BP
130
.4
Z25
1856
v.1

al-Zamakhsharī, Mahmūd ibn 'Umar
al-Qur'ān ma'a tafsīr al-kashshāf 'an haqā'iq altanzīl

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

هُوَ المَجِيدُ

al-Zamakhsharī, Mahmūd ibn 'Umar
al-Qur'ān ma' tafsīr al-kashshāf
'an ḥaqā'iq al-tanzīl

القرآن

مع تفسيره

الكشاف عن حقائق التنزيل

للامام العلامة ابى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي

ان التفاسير فى الدنيا بلا عدد • و ليس فيها لعمري مثل كشاني
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته • فالجهل كالداء و الكشاف كالشاني

صححه

العبد المستنجد بربه القوي وليم ناسو ليس الايرلندي
و المولوي خادم حسين و المولوي عبد الحي مدرسي المدرسة

طبع

بآلات مطبع الليسى الواقع في مدينة

كلكتة

سنة ١٨٥٦ ع

بسم الله الرحمن الرحيم

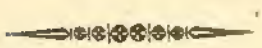

الحمدُ لله الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما - و نزله بحَسَب المَصالح منجما - و جعله بالتحميد مفتتحا و بالاستعاذة مختتما - و ارجاه على قسمين متشابها و مُحْكما - و فَصّله سُوَرا و سُوَرَه آيات - و ميّز بينهن بفصول و غايات - و ما هي الا صفاتُ مبتدأ مبتدَع - و سماتُ منشأ مخترَع - فسبحان من استأثر بالأوّلية و القِدم - و وسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم - انشأه كتابا ساطعا تبيانه - قاطعا برهانه - وَحْيا ناطقا ببيّنات و حُجَج - قرآنا عربيّا غير ذي عِوَج - مِفتاحا للمنافع الدينيّة و الدنياويّة - مِصداقا لما بين يدَيه من الكُتُب السماوية - مُعْجزا باقيا دون كل مُعْجز على وجه كل زمان - دائرا من بين سائر الكُتُب على كل لسان في كل مكان - أفحَم به مَن طُولب بمعارضته من العرب العَرْباء - و أبكم به مَن تُحُدّيَ به من مَصاقع الخُطَباء - فلم يتصدَّ للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحدٌ من فُصحائهم - و لم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بُلَغائهم - على انهم كانوا اكثر من حصى البَطحاء - و اوفر عددا من رِمال الدهناء - و لم ينبِض منهم عِرق العَصَبيّة مع اشتهارهم بالافراط في المُضادّة و المُضارّة - و ألقائهم الشَراشِر على المُعارّة و المُعارّة - و لقائهم دون المناضلة عن أحْسابهم الخُطَط - و ركوبهم في كل ما يرومونه الشَطَط - ان اتاهم احد بمَفخرة اتَوْه بمفاخر - و ان رماهم بمأثرة رمَوْه بمآثر - و قد جرّد لهم الحُجّة اوّلا و السيفَ أخرا فلم يعارضوا الا السيفَ وحده - على ان السيف القاضب مِخراقُ لاعب إن لم تُمْضِ الحُجّة حدّه - فما اعرضوا عن معارضة الحجّة الا لعلمهم ان البحر قد زَخَر فطمّ على الكَواكب - و ان الشمس قد أشرقت فطمست نورَ الكواكب • و الصلوةُ على خير من أُوحي اليه حبيبِ الله ابى القاسم -

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم - ذى اللواء المرفوع في بني لؤيّ - ذى الفرع المنيف في عبد مناف بن قصيّ - المثبّت بالعصمة - المويّد بالحكمة - الشادخ الغرّة الواضح التحجيل - النبيّ الأمي المكتوب فى التورية و الانجيل - و على اله الأطهار - و خلفائه من الأختان و الأصهار - و على جميع المهاجرين و الانصار • اعلم انّ متن كل علم و عمودَ كل صناعة طبقاتُ العلماء فيه متدانيه - و أقدام الصنّاع فيه متقاربة او متساويه - ان سبق العالمُ العالَم لم يسبقه الا بخُطًى يسيرة - او تقدّم الصانعُ الصانعَ لم يتقدّمه الا بمسافة قصيرة - و انّما الذي تباينتْ فيه الرُتب - و تحاذَت فيه الرُكب - و وقع فيه الاستباق و التفاضل - و عظُم التفاوت و التفاضل - حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد - و ترقّى الى ان عُدّ الفٌ بواحد - ما فى العلوم و الصناعات من محاسن النُكت و الفِقَر - و من لطائف معانٍ فيها مباحث للفِكَر - و من غوامض اسرار - محتجبة وراء استار - لا يكشف عنها من الخاصّة الا أوحدُيهم و اخصّهم - و الا واسطتُهم و فصّهم - و عامّتهم عُماة عن ادراك حقائقها بأحداقهم - عُداة في يد التقليد لا يُمنّ عليهم بجزّ نواصيهم و اطلاقهم - ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح - و انهضها بما يبهر الألباب القوارح - من غرائب نُكَتٍ يلطُف مَسْلكها - و مستودعات أسرار يدقّ سِلْكها - علمُ التفسير الذي لا يتمّ لتعاطيه - و اجالة النظر فيه - كلُّ ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن - فالفقيه و ان برّز على الأقران - في علم الفتاوى و الأحكام - و المتكلّم و ان بذّ اهلَ الدنيا في صناعة الكلام - و حافظ القصَص و الأخبار و ان كان من ابن القرية احفظ - و الواعظ و ان كان من الحَسَن البصريّ اوعظ - و النحويّ و ان كان أنحى من سيبَوَيْهِ - و اللُغَويّ و ان عَلك اللغات بقوّة لَحْيَيْه - لا يتصدّى منهم احدٌ لسلوك تلك الطرائق - و لا يغوص على شيء من تلك الحقائق - الا رجلٌ قد بَرع في علمين مختصّين بالقرآن - و هما علم المعاني و علم البيان - و تمهّل في ارتيادهما أوِنه - و تعب فى التنقير عنهما ازمنه - و بعثته على تتبّع مظانّهما همةٌ في معرفة لطائف حُجّة الله - و حرصٌ على استيضاح معجزة رسول الله - صلّى الله عليه و اله و سلّم - بعد ان يكون أخذا من سائر العلوم بحظّ - جامعًا بين امرين تحقيق و حفظ - كثيرَ المطالعات - طويلَ المراجعات - قد رَجع زمانا و رُجع اليه - و رَدّ او انا و رُدّ عليه - فارسا في علم الإعراب - مقدّما في حَمَلة الكتاب - و كان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادَها - مشتعلَ القريحة وقّادَها - يقظانَ النفس درّاكا لمحة و ان لطُفَ شانها - منتبها على الرمزة و ان خفي مكانها - لا كزّا جاسيا - و لا غليظا جافيا - متصرّفا ذا دُرْبة باساليب النظم و النثر - مُرتاضا غير رَيّض بتلقيح بنات الفكر - قد عَلم كيف يُرتّب الكلام و يُؤلّف - و كيف يُنظّم و يُرصّف - طالما دُفع الى مَضائقه - و وقع في مَداحضه و مَزالقه - و لقد رايتُ اخوتَنا فى الدين من افاضل الفئة الناجية العدليّة - الجامعينَ بين علم العربيّة و الاصول الدينيّة - كلّما رجعوا اليّ في تفسير أية فابرزتُ لهم بعضَ الحقائق من الحُجَب - افاضوا في الاستحسان و التعجب - و استطيروا شوقا الى

سورة الفاتحة ١ كلماتها ٢٥ • سورة الفاتحة مكية و هي سبع ايات • حروفها ١٢٦

مصنّف يضمّ اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا اليّ مقترحين أن أملي عليهم في الكشف عن حقائق التنزيل - و عيون الاقاويل في وجوه التاويل • فاستعفيتُ فأبَوا الاّ المراجعةَ و الاستشفاعَ بعُظماء الدين و علماء العدل و التوحيد - و الذي حداني على الاستعفاء على علمي انّهم طلبوا ما الاجابةُ اليه عليّ واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمانَ من رثاثة احواله - و ركاكة رجاله - تقاصُرِ هممهم عن ادنى عُدَد هذا العلم فضلا ان تترقّى الى الكلام المؤسَّس على علمَيِ المعاني و البيان - فامليتُ عليهم مسئلةً في الفواتح و طائفة من الكلام في حقائق سورة البَقَرة و كان كلاما مبسوطا كثيرَ السُوال و الجواب - طويلَ الذُيول و الأذناب - و انما حاولتُ به التنبيهَ على غزارة نُكَت هذا العلم و انْ يكون لهم مَنارا ينتحونه - و مثالا يحتذونه - فلما صَمّم العزمُ على معاودة جوارِ الله - و الاناخة بحرم الله - فتوجّهتُ تلقاءَ مكّة وجدتُ في مُجتازي بكل بادٍ مَن فيه مُسْكة من اهلها و قليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المُملى متطلّعين الى ايناسه - حراصا على اقتباسه - فهزّ ما رأيتُ من عِطفي - و حرّك الساكنَ من نشاطي - فلمّا حططتُ الرحل بمكّةَ اذا انا بالشُعْبة السنيّة - من الدَوْحة الحسنية - الاميرِ الشريف الامام شرفِ آل رسول الله ابي الحسن عليّ بن حمزة بنِ وهّاس ادام الله مجده - و هو النكتة و الشامة في بني الحسن مع كثرة مَحاسنهم و جُموم مَناقبهم اعطشَ الناس كبدا و الهبَم حشّا و اوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدّث نفسه في مدّة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشادّة بقطع الفيافي و طيّ المهامه و الوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقتْ على المستعفى الحِيَل - و عيّت به العِلَل - و رايتني قد اخذتْ منّي السنّ - و تقعقع الشنّ - و ناهزتُ العَشْر التي سَمّتْها العرب دقّاقة الرقاب فاخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد - و الفَحْص عن الشرائد - و وفّق الله و سدّد - نفرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه و كان يُقدّر تمامه في اكثر من ثلثين سنة و ما هي الا أية من ايات هذا البيت المحرّم - و بركة افيضت عليّ من بركات هذا الحرم المعظّم - أسأل الله ان يجعل ما تعبتُ فيه منه سبباً يُنجيني - و نورًا لي على الصراط يسعى بين يدَيّ و يميني - و نعم المسؤل •

سورة فاتحة الكتاب

مكّية و قيل مكّية و مدنّية لانها نزلتْ بمكّة مرّة و بالمدينة اخرى - و تسمى أمّ القران لاشتمالها على المعاني التي في القران من الثناء على الله تعالى بما هو اهله و من التعبّد بالامر

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

و المثاني و من الوعد و الوعيد - و سورة الكنز و الوافية لذلك - و سورة الحمد - و المثاني لانها تثنى في كل ركعة - و سورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزئة بقراءتها فيها - و سورة الشفاء - و الشافية - و هي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ آية دون التسمية و منهم مَنْ مذهبه على العكس * [بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ] قُرّاء المدينة و البصرة و الشام و فقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة و لا من غيرها من السُوَر و انما كُتبتْ للفصل و التبرك بالابتداء بها كما بُدئ بذكرها في كل امر ذي بال و هو مذهب ابي حنيفة رحمه اللّٰه و من تَابَعَهُ و لذلك لا يُجهر بها عندهم في الصلوة - و قُرّاء مكة و الكوفة و فقهاؤهما على انها آية من الفاتحة و من كل سورة - و عليه الشافعيّ و اصحابه و لذلك يجهرون بها و قالوا قد اثبتها السلفُ في المُصْحف مع توصيتهم بتجريد القرآن و لذلك لم يُثبتوا آمِيْنَ فلو لا انها من القرآن لَمَا اثبتوها - و عن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة و اربع عشرة آيةً من كتاب اللّٰه تعالى - فان قلتَ بِمَ تعلقت الباء - قلتُ بمحذوف تقديره بِسْمِ اللّٰهِ اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروٌّ كما ان المسافر اذا حلّ او ارتحل قال بسم اللّٰه و البركات كان المعنى بسم اللّٰه احلّ و بسم اللّٰه ارتحل و كذلك الذابح و كل فاعل يبدأ في فعله ببسم اللّٰه كان مُضْمِرا ما جعلَ التسمية مبدأً له و نظيرهُ في حذف متعلق الجارّ قوله عزّ و جلّ فِيْ تِسْعِ آيٰتٍ اِلٰى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهٖ اي اذهب فِيْ تِسْعِ آيٰتٍ - و كذلك قول العرب في الدعاء للمُعْرِس بالرفاء و البنين و قول الاعراب باليُمْن و البركة بمعنى اَعْرَسْتَ او نَكَحْتَ و منه قوله * شعر * نقلتُ الى الطعام فقال منهم * فريق نحسد الأُنس الطعاما * فان قلتَ لِمَ قدرتَ المحذوف متأخّرا - قلتُ لانّ الاهمّ من الفعل و المتعلق به هو المتعلّق به لانهم كانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العُزّى فوجب ان يقصد الموحّدُ معنى اختصاص اسم اللّٰه عزّ و جلّ بالابتداء و ذلك بتقديمه و تاخير الفعل كما فعل في قوله تعالى اِيَّاكَ نَعْبُدُ حيث صرّح بتقديم الاسم ارادةَ الاختصاص و الدليلُ عليه قوله تعالى بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرٖيهَا وَ مُرْسٰهَا - فان قلت فقد قال اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ فقدّم الفعلَ - قلتُ هناك تقديم الفعل اوقعُ لانها اول سورة نزلتْ فكان الامر بالقراءة اهمّ - فان قلت ما معنى تعلق اسم اللّٰه بالقراءة - قلتُ فيه وجهان - احدهما ان يتعلّق بها تعلُّقَ القلم بالكتْبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لمّا اعتقد ان فعله لا يجيء معتدًّا به في الشرع واقعا على السنة حقّى يصدّر بذكر اسم اللّٰه تعالى لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يُبْدأ فيه باسم اللّٰه فهو ابتر - و الا كان فعلاً كلا فعلٍ جُعل فعله مفعولا باسم اللّٰه كما يُفعل الكَتْب بالقلم - و الثاني ان يتعلق بها تعلّقَ الدُهن بالانبات في قوله تعالى تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ على معنى متبرّكا باسم اللّٰه اقرأ و كذلك قولُ الداعي للمُعْرِس بالرفاء و البنين معناه اَعْرَسْتَ ملتبسا بالرفاء و البنين و هذا الوجه اعرب و احسن - فان قلت

فكيف قال الله تعالى متبرّكا باسم الله اقرأ - قلت هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجلُ الشعرَ على لسان غيره و كذلك قوله اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ الى آخره و كثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه و كيف يُحمّدونه و يُمجّدونه و يُعظّمونه - فان قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تُبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه و لام الابتداء و واو العطف و فائه و غير ذلك فما بال لام الاضافة و بائها بُنِيتا على الكسر - قلت أمّا اللام فللفصل بينها و بين لام الابتداء و أمّا الباء فلكونها لازمة للحرفية و الجر * [و الاسم] احد الاسماء العشرة التي بُنُوا اوائلَها على السكون فاذا نطقوا بها مُبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك و يقفوا على الساكن لسلامة لغتهم عن كل لُكنة و بَشاعة و لوضعها على غاية من الاحكام و الرَصانة و اذا وقعتْ في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء - و منهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سِمْ و سُمْ قال * ع * بسمِ الذي في كل سورة سِمُه * و هو من الاسماء المحذونة الاعجاز كيد و دم و اصلُه سِمْوٌ بدليل تصريفه كاسماء و سُمّي و سميت و اشتقاقهُ من السُموّ لان التسمية تنويهٌ بالمسمّى و اشادة بذكره - ومنه قيل للقب النَبَزُ من النَبْز بمعنى النَبْز وهو رفع الصوت و النَبْز قشر النخلة الاعلى - فان قلت فلمَ حذفت الالف في الخط و اثبتت في قوله بِاسْمِ رَبِّكَ - قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال و قالوا طُوِّلَت الباء تعويضا من طرح الالف - و من عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه قال لكاتبه طَوِّلِ الباء و اظهر السينات ودَوِّر الميمَ * و [اللّٰه] اصله الاله قال * ع * معاذَ الاله ان تكون كظَبْيَة * و نظيره الناسُ اصله الأناسُ قال * شعر * ان المنايا يطّلعنَ * على الأناس الآمنينا * فحذفت الهمزة و عوّض عنها حرف التعريف و لذلك قيل في النداء يا اَللّٰهُ بالقطع كما يقال يا اَللّٰهُ - و الاله من اسماء الاجناس كالرجل و الفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا و كذلك السَنَةُ على عام القحط و البيتُ على الكعبة و الكتابُ على كتاب سيبَوَيه و اما اللّٰهُ بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يُطلق على غيره و من هذا الاسم اشتقّ تَأَلَّهَ و اَلَهَ و اسْتَأْلَهَ كما قيل استنوق و استحجر في الاشتقاق من الناقة و الحجر - فان قلت أ اسم هو ام صفة - قلت بل اسم غير صفة الا ترى تَصِفه و لا تَصِف به لا تقول شيءٌ الهٌ كما لا تقول شيءٌ رجلٌ و تقول الهٌ واحدٌ صمدٌ كما تقول رجلٌ كريمٌ خيّرٌ و ايضا فان صفاته تعالى لا بدّ لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتَها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها و هذا محال - فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق - قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنًى واحدٌ وصيغة هذا الاسم و صيغة قولهم اَلِهَ اذا تحيّر و من اخواته دَلِهَ و عَلِهَ ينتظمهما معنى التحير و الدهشة و ذلك لان الاوهام تتحيّر في معرفة المعبود و تدهش الفِطَنُ و لذلك كثر الضلال و نشا الباطل و قلّ

سورة الفاتحة ١

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ۝

النظر الصحيح - فان قلت هل تفخم لامه - قلت نعم قد ذكر الزجاج انّ تفخيمها سُنّة و على ذلك العربُ كلهم و اطباقهم عليه دليلٌ انهم ورثوه كابرا عن كابر * و [الرَّحْمٰنِ] فَعْلان من رَحِم كغَضْبان و سَكْران من غضب وسكِر وكذلك [الرَّحِيْمِ] فعيل منه كمريض و سقيم من مرِض وسقِم وفى الرَّحْمٰنِ من المبالغة ما ليس فى الرَّحِيْمِ ولذلك قالوا رحمٰن الدنيا والاخرة و رحيم الدنيا و يقولون ان الزيادة فى البناء لزيادة المعنى - و قال الزجّاج فى الغَضْبان هو الممتلئ غضبا و ممّا طنّ على اذني من مُلَح العرب انهم يسمّون مركبا من مَرَاكبهم بالشُّقْدُف وهو مركب خفيف ليس في ثِقَل محامل العراق فقلتُ فى طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردتُ المحمل العراقيّ فقال أليس ذاك اسمه الشُّقْدُف قلتُ بلى قال فهذا اسمه الشِّقِنْداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدَّبَران و العَيُّوق و الصَّعِق لم يستعمل في غير الله عزّ وجلّ كما ان اللّٰهُ من الاسماء الغالبة و اما قول بني حنيفة في مُسَيلمةَ رحمٰنُ اليمامة و قولُ شاعرهم فيه * ع * وانتَ غيث الورى لا زلتَ رحمانا * فباب من تعنّتهم في كفرهم - فان قلت كيف تقول اللّٰه رحمٰن أتصرفه ام لا - قلت اقيسه على أخَواته من بابه اعني نحو عَطْشان و غَرْثان و سَكْران فلا اصرفه - فان قلت قد شرط فى امتناع صرف فَعْلان ان يكون فَعْلان فَعْلى و اختصاصهُ باللّٰه يحظر ان يكون فَعْلان فَعْلى فلمَ تمنعه الصرف - قلت كما حظر ذلك ان يكون له مونث على فَعْلى كعَطْشى فقد حظر ان يكون له مونث على فَعْلانة كنَدْمانة فاذاً لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص و هو القياس على نظائره - فان قلت ما معنى وصف اللّٰه بالرحمة ومعناها العطف والحُنُوّ ومنها الرَّحِمُ لانعطافها على ما فيها - قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان المَلِك اذا عطف على رعيته و رقّ لهم اصابهم بمعروفه و انعامه كما انه اذا ادركته الفَظاظة و القسوة عنّف بهم و منعهم خيرَه و معروفَه - فان قلت فلمَ قدّم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه و القياسُ الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلانٌ عالمٌ نحريرٌ و شجاعٌ باسلٌ و جوادٌ نيّاضٌ - قلت لما قال الرَّحْمٰن فتناول جلائل النِّعَم و عظائمها و اصولَها أردفه الرَّحِيْم كالتتمة و الرديف ليتناول ما دقّ منها و ما لطُف * [اَلْحَمْدُ] والمدح اَخَوان وهو الثناء و الندّاء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدتُ الرجلَ على انعامه و حمدتُه على حسبه و شجاعته - و اما الشكرُ فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب و اللسان و الجوارح قال * شعر * افادتكم النّعماء منّي ثلثة * يدي و لساني والضميرَ المحجّبا * والحمدُ باللسان وحده فهو احدى شُعَب الشكر و منه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر اللّٰهَ عبدٌ لم يحمده - و انما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان و الثناءَ على مُوليها اشيعُ لها و ادلُّ على مكانها من الاعتقاد و ادّاب الجوارح

لخفاء عمل القلب و ما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان و هو النطق الذي يُفْصح عن كل خفيّ و يُجلّي كل مشتبه و الحمدُ نقيضه الذمّ و الشكرُ نقيضه الكفرانُ - و ارتفاع الْحَمْدُ بالابتداء و خبره الظرف الذي هو لِلّٰهِ و اصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاَخْبار كقولهم شكراً و كفراً و عجباً و ما اشبه ذلك - و منها سبحانك و معاذَ اللّٰه ينزّلونها منزلة افعالها و يسدّون بها مسدّها و لذلك لا يستعملونها معها و يجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة - و العدلُ بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى و استقراره - و منه قوله تعالى قَالُوْا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم صلوات اللّٰه عليه حيّاهم بتحيّة احسن من تحيّتهم لان الرفع دالّ على معنى ثبات السلام لهم دون تجدّده و حدوثه - و المعنى نحمد اللّٰه حمدا و لذلك قيل اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اِيَّاكَ نَعْبُدُ - فان قلت ما معنى التعريف فيه - قلت هو نحو التعريف في ارسلها العراكَ و هو تعريف الجنس و معناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو و العراك ما هو من بين اَجْناس الاَفْعال و الاستغراقُ الذي يتوهّمه كثير من الناس وَهْمٌ منهم - و قرأ الحسن البصريّ اَلْحَمْدِ لِلّٰهِ بكسر دال لاتباعها اللامَ - و قرأ ابراهيم بن ابي عبلة اَلْحَمْدُ لُلّٰهِ بضم اللام لاتباعها الدالَ - و الذي جسّرهما على ذلك و الاتباعُ انما يكون في كلمة واحدة كقولهم مُنْحَدِرُ الْجبل و مِغيرةُ تنزّلُ الكلمتين منزلةَ كلمةٍ واحدةٍ لكثرة استعمالهما مقترنتين - و اشفّ القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعةً للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن * [الرَّبّ] المالك و منه قول صفوان لابي سُفيان لَاَنْ يَرُبَّنِي رجلٌ من قُرَيش احبّ اليّ من اَنْ يَرُبَّنِي رجل من هوازنَ تقول ربّه يربّه فهو ربّ كما تقول نمّ عليه ينمّ فهو نمّ - و يجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل و لم يُطلقوا الرب الا في اللّٰه تعالى وحده و هو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم ربّ الدار و ربّ الناقة و قوله تعالى اِرْجِعْ اِلٰى رَبِّكَ - اِنَّهُ رَبِّيْ اَحْسَنَ مَثْوَايَ - و قرأ زيد بن عليّ رضي اللّٰه عنه رَبَّ الْعٰلَمِيْنَ بالنصب على المدح و قيل بما دلّ عليه اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ كانه قيل نحمد اللّٰهَ رَبَّ الْعٰلَمِيْنَ * [العَالَم] اسم لذوي العلم من الملائكة و الثقلين - و قيل كل ما عُلم به الخالق من الاَجْسام و الاَعْراض - فان قلت لِمَ جمع - قلت ليشمل كل جنس مِمّا سمّي به - فان قلت فهو اسم غير صفة و انما يجمع بالواو و النون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاَعْلام - قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه و هي الدلالة على معنى العلم * قرئ مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ - و مَالِكِ - و مَلْك بتخفيف اللام - و قرأ ابوحنيفة رحمه اللّٰه مَلَكَ يَوْمَ الدِّيْنِ بلفظ الفعل و نصب اليوم - و قرأ ابو هريرة رضي اللّٰه عنه مَالِكَ بالنصب - و قرأ

مٰلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ۝ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ۝

غيره مَلِكَ و هو نصب على المدح - و منهم من قرأ مَالِكُ بالرفع - و مَلِكِ هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين و لقوله تعالى لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ و لقوله تعالى مَلِكِ النَّاسِ و لان المُلْك يعمّ و المِلْك يخصّ • و [يَوْمِ الدِّيْنِ] يوم الجزاء - و منه قولهم كما تَدين تُدان و بيت الحماسة • شعر • و لم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا • فان قلت ما هذه الاضافة - قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مُجْرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهلَ الدار و المعنى على الظرفية - و معناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ - فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلاتكون مُعْطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفةً للمعرفة - قلت انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحالُ او الاستقبالُ فكان في تقدير الانفصال كقولك مالكٌ الساعةَ او غدًا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالكُ عبدِه امسِ او زمان مستمرٌّ كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقيةً كقولك مولى العبيد و هذا هو المعنى في مٰلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ - و يجوز ان يكون المعنى مُلَّكَ الامورَ يومَ الدين كقوله تعالى وَنَادٰى اَصْحٰبُ الْجَنَّةِ وَنَادٰى اَصْحٰبُ الْاَعْرَافِ - و الدليل عليه قراءة ابي حنيفة رحمه الله مَلَّكَ يَوْمَ الدِّيْنِ - و هذه الاوصاف التي اُجريت على الله سبحانه و تعالى من كونه ربّا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته و ربوبيته و من كونه ربّا مُنعمًا بالنِّعَم كلها الظاهرة و الباطنة و الجلائل و الدقائق و من كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب و العقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به و انه به حقيق - في قوله تعالى اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احقَّ منه بالحمد و الثناء عليه بما هو اهله • [اِيَّا] ضمير منفصل للمنصوب و اللواحقُ التي تلحقه من الكاف و الهاء و الياء في قولك اِيَّاكَ و اِيَّاهُ و اِيَّايَ لبيان الخطاب و الغيبة و التكلم و لا محلَّ لها من الاعراب كما لا محل للكاف في اَرَاَيْتَكَ و ليستْ باسماء مضمرة و هو مذهب الاخفش و عليه المحققون و اما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستينَ فاياه و اَيَّا الشوابَّ فشيء شاذّ لا يُعمل عليه - و تقديمُ المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قُلْ اَفَغَيْرَ اللّٰهِ تَاْمُرُوْٓنِّيْٓ اَعْبُدُ - قُلْ اَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْغِيْ رَبًّا - و المعنى نخصُّك بالعبادة و نخصُّك بطلب المعونة - و قرئ اِيَّاكَ بتخفيف الياء - و اَيَّاكَ بفتح الهمزة و التشديد - و هِيَّاكَ بقلب الهمزة هاءً قال طُفَيل الغنوي • شعر • هِيَّاكِ و الامرَ الذي ان تراحبتْ • مواردهُ ضاقتْ عليك مصادره • [و العبادة] اقصى غاية الخضوع و التذلل و منه ثوب ذُو عَبْدَة اذا كان في غاية الصفاقة و قوة النسج و لذلك لم يستعمل الّا في الخضوع لله لانه مُولي اعظم النِّعَم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع - فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب - قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب و من الخطاب الى الغيبة و من الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حَتّٰٓى اِذَا

سورة الفاتحة ١ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ع

كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ وقوله وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ ـ و قد التفت امرؤ القيس ثلث التفاتات في ثلثة ابيات • شعره تطاول ليلك بالاثمد • و نام الخلي و لم ترقد • و بات و باتت له ليلة • كليلة ذي العائر الارمد • و ذلك من نبأ جاءني • و خُبِّرْتُه عن ابي الاسود • و ذلك على عادة افتنانهم في الكلام و تصرّفهم فيه و لان الكلام اذا نُقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع و ايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد و قد تختص مواقعه بفوائد و مما اختص به هذا الموضع انه لمّا ذكر الحقيق بالحمد و اجرى عليه تلك الصفات العظام تعلّق العلمُ بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء و غاية الخضوع و الاستعانة في المهمّات فخوطب ذلك المعلوم المتميّز بتلك الصفات فقيل اِيَّاكَ يا مَن هذه صفاته نخصّ بالعبادة و الاستعانة لا نعبد غيرَك و لنستعينه ليكون الخطاب ادلّ على ان العبادة له لذلك التميّز الذي لا تَحِقّ العبادة اِلّا به ـ فان قلت لِمَ قُرنت الاستعانة بالعبادة ـ قلت ليجمع بين ما يتقرّب به العباد الى ربّهم و بين ما يطلبونه و يحتاجون اليه من جهته ـ فان قلت فلم قدّمت العبادة على الاستعانة ـ قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ايستوجبوا الاجابة اليها ـ فان قلت لِمَ اُطلقت الاستعانة ـ قلت ليتناول كل مستعان فيه ـ و الاحسن ان تراد الاستعانة به و بتوفيقه على اداء العبادة و يكون قوله اِهْدِنَا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اُعينكم فقالوا اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ و انما كان احسن لتلاؤم الكلام و اخذ بعضه بحُجْزة بعض ـ و قرأ ابن حُبَيش تِسْتَعِينُ بكسر النون • [هُدًى] اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى اِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ اَقْوَمُ ـ وَاِنَّكَ لَتَهْدِي اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فعومل معاملة اِخْتَارَ في قوله وَاخْتَارَ مُوسٰى قَوْمَهُ ـ و معنى طلب البداية و هم مهتدون طلب زيادة الهدى بمَنْح الالطاف كقوله تعالى وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ـ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ـ و عن عليّ و اُبَيّ رضي الله عنهما اِهْدِنَا ثَبِّتْنَا ـ و صيغةُ الامر و الدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب و انما يتفاوتان في الرتبة ـ و قرأ عبد الله اَرْشِدْنَا • السراط الجادة من سرط الشيءَ اذا ابتلعه لانه يَسترط السابلةَ اذا سلكوه كما سُمّي لَقَما لانه يلتقمهم و [الصِّرَاط] من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مُسَيْطِر و قد تشمّ الصاد صوت الزاء و فرق بعضهم جميعا و فصحاهن اخلاص الصاد و هي لغة قريش و هي المؤنثة في الامام و يجمع صُرُطًا نحو كتاب و كُتُب و يذكّر و يؤنّث كالطريق و السبيل و المرادُ به طريق الحقّ و هو ملة الاسلام • [صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ] بدل من الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ و هو في حكم تكرير العامل كانه قيل اِهْدِنَا الصِّرَاطَ

اٰمِيْنَ ۝

الْمُسْتَقِيْمَ اهدنا صراطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ كما قال لِلَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا لِمَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ - فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ - قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية و التكرير و الاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على الحق وجه و أكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس و افضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم و الفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا و مفصلا ثانيا و اوقعت فلانا تفسيرا و ايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم و الفضل و كانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع و لا منازع - و الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ هم المؤمنون و اطلق الانعام ليشمل كل انعام لان مَن انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته و اشتملت عليه - و عن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيّروا - و قيل هم الانبياء - و قرأ ابن مسعود صِرَاطَ مَنْ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ • [غَيْرِ الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ] بدل من الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ على معنى أنّ المنعَم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله و الضلال - او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة و هي نعمة الايمان و بين السلامة من غضب الله و الضلال - فان قلت كيف صح ان يقع غَيْر صفة للمعرفة و هو لا يتعرّف و ان اُضيف لى المعارف - قلت اَلَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ لاتوقيت فيه فهو كقوله • ع • و لقد اَمُرّ على اللئيم يسبّني • و لان الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ و الضَّالِّيْنَ خلاف المنعم عليهم فليس في غَيْر الذي يلي عليه ان يتعرّف - و قرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و عمر بن الخطاب و رُويت عن ابن كثير - و ذو الحال الضمير في عَلَيْهِمْ و العامل اَنْعَمْتَ - و قيل اَلْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ هم اليهود لقوله تعالى مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ • و [الضَّالّون] هم النصارى لقوله قَدْ ضَلُّوْا مِنْ قَبْلُ - فان قلت ما معنى غضب الله - قلت هو ارادة الانتقام من العُصاة و انزال العقوبة بهم و ان يفعل بهم ما يفعله المَلِك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه و نسأله رضاه و رحمته - فان قلت اي فرق بين عَلَيْهِمْ الاولى و الثانية - قلت الاولى محلها النصب على المفعولية و الثانية محلها الرفع على الفاعلية - فان قلت لِمَ دخلت لَا في وَلَا الضَّالِّيْنَ - قلت لما في غَيْر من معنى النفي كانه قيل لا اَلْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّيْنَ و تقول انا زيدا غيرُ ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لاضارب - و عن عمر و علي رضي الله عنهما انهما قرأا وَغَيْرِ الضَّالِّيْنَ - و قرأ ايوب السختياني وَلَا الضَّالِّيْنَ بالهمز كما قرأ عمرو بن عُبَيد وَلَا جَانَّ و هذه لغة من جدّ في الهرب من التقاء الساكنين - و منها ما حكاه ابو زيد من قولهم شَأْبَة و دَأْبَة • [اٰمِيْنَ] صوت سُمّي

سورة البقرة ٢ كلماتها ٦٢١٢ • سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست وثمانون أية واربعون ركوعاً • حروفها ٢٦٧٩٢

الجزء ١

ع ١

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۝

الٓمٓ ۝

به الفعل الذي هو اِسْتَجِبْ كما ان رُوَيْد وحَيْهَل وهَلُمَّ اصوات سميت بها الافعال التي هي مَهِّلْ و اسرعْ و اَقْبِلْ - و عن ابن عباس سالت رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم عن معنى اٰمِيْنَ فقال افعلْ - وفيه لغتان مدّ الفه و قصرها قال • ع • و يرحم الله عبدا قال اٰمينا • و قال • ع • اٰمينَ فزاد الله ما بيننا بُعدًا • - و عن النبيّ صلى الله عليه و اله و سلم لقنني جبرئيل اٰمِيْنَ عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب و قال انه كالخاتم على الكتاب - و ليس من القرآن بدليل انه لم يثبت فى المصاحف - و عن الحسن لايقولها الامام لانه الداعي - و عن ابي حنيفة مثله و المشهور عنه و عن اصحابه انه يُخفيها و روي الاخفاءَ عبدُ الله بن مغفّل و انسٌ عن رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم - و عند الشافعي رحمه الله يجهر بها - و عن وائل بن حُجْر انّ النبيّ صلى الله عليه و اله و سلم كان اذا قرأ وَلَا الضَّآلِّيْنَ قال اٰمِيْنَ و رفع بها صوته - و عن رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم انه قال لاُبَيّ بن كَعب اَلَا اخبرك بسورة لم تنزل فى التوراة و الانجيل و القرآن مثلها قلتُ بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني و القرآنُ العظيم الذي اُوتيتُه - و عن حُذيفة بن اليمان ان النبيّ صلى الله عليه و اله و سلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حَتْما مقضيًا فيقرأ صبيٌّ من صبيانهم فى الكُتّاب اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذابَ اربعين سنةً •

سورة البقرة

[الٓمٓ] اعلم ان الالفاظ التي ينتجى بها اسماءُ مسمّياتها الحروفُ المبسوطة التي منها ركبت الكلم فتوك فاء اسم تسمى به فه من ضرب اذا تنجيته وكذلك رَا بَا اسمان لقولك ره به و قد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروفُ وُحدان و الاسامي عدد حروفها مرتقٍ الى الثلثة اتجه لهم طرق الى ان يدلّوا فى التسمية على المسمى فلم يغفلوها و جعلوا

المسمى صدرَ كلّ اسم منها كما ترى الا الالفَ فانهم استعاروا الهمزة مكان مسمّاها لانه لا يكون الّا ساكنا و مما يضاهيها في ابداع اللفظ دلالةً على المعنى التهايلُ و الحَوْقَلةُ و الحَيْعَلةُ و البَسْمَلةُ و حكمها ما لم تَلِها العواملُ ان تكون ساكنةَ الاَعْجار موقوفةً كاسماء الاعداد فيقال الفْ لامْ ميمْ كما تقول واحد اثنانْ ثلثهْ فاذا وَلِيَتْها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الفُ وكتبتُ الفَا و نظرتُ الى الفِ و هٰكذا كلّ اسم عمدتَ الى تادية ذاته فحسبُ قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تاثيراتها فحقّك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تُلقي على الحاسب اجناسا مختلفة لترفع حُسْبانَها كيف تصنع و كيف تُلقيها اَغفالا من سمة الاعراب فتقول دارٌ غلامٌ جاريه ثوبٌ بساطٌ و لو اعربتَ ركبتَ شططًا - فان قلت لِمَ قضيتَ لهذه الالفاظ بالاسمية و هلّا زعمتَ انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين - قلت قد استوضحتُ بالبرهان النيّر انها اسماء غير حروف تعلمتُ ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف و مستعملين الحرف في معنى الكلمة و ذلك ان قولك الف دالته على اوسط حروف قال وقام دالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدالتين - الاترى ان الحرف ما دلّ على معنًى في غيره وهذا كما ترى دالّ على معنًى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك بَا تَا وبالتفخيم كقولك يَا هَا و بالتعريف و التنكير و الجمع و التصغير و الوصف و الاسناد اليه و الاضافة و جميع ما للاسماء المتصرفة - ثم اني عثرت من جانب الخليل على نصّ في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسألَ اصحابَه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لَكَ و الباءِ التي في ضَرَبَ فقيل نقول بَا كَافْ فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف و قال اقول كَهْ بَهْ - و ذكر ابو عليّ في كتاب الحجّة في يْسْ و امالة يَا انهم قالوا يا زيدُ في النداء فامالوا و ان كان يا حرفا قال فاذا كانوا قد امالوا مالا يُمال من الحروف من اجل الياء فلأنْ يُميلوا الاسمَ الذي هو ياسين اجدر الاترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها - فان قلت مَن اىّ قبيل هي معربة ام مبنيّة - قلت بل هي اسماء معربة و انما سكنت سكون زيدْ و عمْرٍ وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسّها اعراب لفقد مقتضيه و موجبه - و الدليلُ على ان سكونها وقف و ليس ببناء انها لو بُنيتْ لَحُذِيَ بها حذوَ كيفَ و اينَ و هٰؤلاءِ ولم يُقَل صادْ قَافْ نونْ مجموعا فيها بين الساكنين - فان قلت فلِمَ لَفظَ المتهجّي بما اٰخره الفُ منها مقصورًا فلمّا اعرب مدّ فقال هذه باءٌ و ياءٌ و هاءٌ و ذلك يُخيّل ان وزانها وزان قولك لاَ مقصورةً فاذا جعلتها اسما مددت فقلتَ كتبتُ لاءً - قلت هذا التخييل يضمحلّ بما لخّصتهُ من الدليل و السببُ في انّ قُصرت متهجاةً ومُدّتْ حين مسّها الاعرابُ انّ حال التهجّي خليقة بالاخفّ الاوجز و استعمالها فيه اكثر - فان قلت قد تبيّن انها اسماء لحروف المعجم و انها من قبيل المعربة وان سكون اَعجارها عند الجماء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة

فواتحَ للسُّوَر - قلت فيه اوجه - احدها و عليه اطباق الاكثر انها اسماء السُّوَر وقد ترجمَ صاحب الكتاب البابَ الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السُّوَر وهي في ذلك على ضربين - احدهما ما لا يتأتّى فيه اعراب نحو كهيعص و المر - و الثاني ما يتأتى فيه الاعراب و هو اما ان يكون اسما فردا كصاد و قاف و نون او اسماءً عدّةً على زنة مفرد كحاميم و طاسين و ياسين فانها موازنة لقابيل و هابيل وكذلك طاسين ميم يتأتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميمٌ مضمومةً الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدار الجرد - فالنوع الاول محكيّ ليس الّا - و اما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب و الحكاية - قال قاتل محمد بن طلحة السجّاد وهو شُرَيح بن اوفى العنسي * شعر * تُذكّرني حاميم و الرمحُ شاجر * فهلّا تلا حاميم قبل التقدم * فاعرب حاميم و منعها الصرف و هٰكذا كلّ ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببَي منع الصرف فيها و هما العلمية و التانيث - والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتانِ وبدأت بالحمد لله و قرأتُ سورةً انزلناها - و قال الطرمّاح * شعر * وجدنا في كتاب بني تميم * احقُّ الخيل بالركض المُعارُ * و قال ذو الرمة * شعر * سمعتُ الناسَ ينتجعون غيثا * فقلتُ لصيدحَ انتجعي بلالا * و قال الآخر * شعر * تنادوا بالرحيلُ غدًا * وفي ترحالهم نفسي * و روي منصوبا و مجرورا و يقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رايتُ زيداً مَن زيداً - و قال سيبويه سمعتُ من العرب لا مِن اين يا فتى - فان قلت فما وجه قراءة من قرأ صادَ و قافَ و نونَ مفتوحات - قلت الاوجه ان يقال ذاك نصب و ليس بفتح و انما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرتُ و انتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حٰميم و طٰسين و يٰسين لو قرئ به - وحكى ابو سعيد السيرافيّ ان بعضهم قرأ ياسينَ - و يجوز ان يقال حُرِّكتُ لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالّينَ فان قلت هلا زعمتَ انها مقسم بها و انها نصبت نصب قولهم نعمَ اللهَ لافعلنّ و ايَ اللهَ لافعلنّ على حذف حرف الجر و اعمال فعل القسم - وقال ذو الرمّة * ع * الا ربّ مَن قلبي له اللهَ ناصحٌ * و قال الآخر * ع * فذاك امانةَ اللهِ الثريدُ * قلت ان القرآن و القلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بينَ قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك - قال الخليل في قوله عزّ و جلّ وَاللَّيْلِ اِذَا يَغْشٰى وَالنَّهَارِ اِذَا تَجَلّٰى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْاُنْثٰى الواوانِ الاخريانِ ليستا بمنزلة الاولى و لكنهما الواوانِ اللتانِ تضمّانِ الاسماء في قولك مررتُ بزيدٍ و عمرٍو و الاولى بمنزلة الباء و التاء - قال سيبويه قلت للخليل فلمَ لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسمَ بهذه الاشياء على شيءٍ واحد و لو كان انقضى قسمه بالاول على شيءٍ لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلنّ بالله لاخرجنّ اليوم و لا يقوى ان تقول و حقّك و حقّ زيد لافعلنّ و الواوُ الاخرةُ واو قسم لا يجوز الا مستكرهًا قال وتقول وحياتي ثمّ حياتك لافعلنّ فثمّ ههنا بمنزلة الواو هذا و لا سبيل فيما نحن بصدده الا ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاولَ في الاعراب - فان قلت فقدّرها مجرورة باضمار

الباء القسمية لا تحذفها فقد جاء عنهم اللّٰه لافعلنّ مجرورا و نظيره قولهم لاه ابوك غير انها فُتحت في موضع الجرّ لكونها غير مصروفة و اجعل الواو للعطف حتى يستتبّ لك المصير الى نحو ما اشرت اليه ـ قلت هذا لا يبعد عن الصواب و يعضده ما رووا عن ابن عباس انه قال اقسم اللّٰه تعالى بهذه الحروف ـ فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صادِ و قافِ بالكسر ـ قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين و الذي يبسط من عذر المحرّك ان الوقف لمّا استمرّ بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن و اخرى معاملة هؤلاء ـ فان قلت هل تُسوّغ لي في المحكيّة ما سوّغتَ لي في المعربة من ارادة معنى القسم ـ قلت لا عليك في ذلك و ان تقدّر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عزّ و علا حٰمٓ وَالْكِتٰبِ الْمُبِيْنِ كانه قيل اقسم بهذه السورة و بالكتاب المبين اِنَّا جَعَلْنٰهُ و اما قوله صلّى اللّٰه عليه و آله وسلّم حٰمٓ لا يُنْصرون فيصلح ان يقضى له بالجر و النصب جميعا على حذف الجار و اضماره ـ فان قلت فما معنى تسمية السُّور بهذه الالفاظ خاصة ـ قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان القرآن ليس الا كَلِمًا عربية معروفة المتركب من مسمّيات هذه الالفاظ كما قال عزّ من قائل قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا ـ فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صُوَر الحروف انفسها لا على صُوَر اسامیها ـ قلت لان الكلمة لمّا كانت مركبة من ذوات الحروف و استمرّت العادة متى تُهُجِّيتْ و متى قيل للكاتب اكتبْ كيت و كيت اَن يلفظ بالاسماء و تقع في الكتابة الحروفُ انفسها عُمِلَ على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح ـ و ايضا فان شهرة امرها و اقامة اَلْسُنِ الاسود و الاحمر لها و انّ اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها و ان بعضها مفردٌ لا يخطر ببالٍ غيرُ ما هو عليه من مورده أمنتْ وقوعَ اللبس فيها و قد اتفقتْ في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بُنِي عليها علم الخط و الهجاء ثم ما عاد ذلك بضَيْرٍ و النقصان لاستقامة اللفظ و بقاء الحفظ و كان اتباع خط المصحف سنة لا تُخالَف ـ قال عبد اللّٰه بن دَرَسْتَوَيْهِ في كتابه المترجم بكتاب الكُتّاب المتمّم في الخط و الهجاء ـ خطان لا يقاسان خطّ المصحف لانه سنّة و خط العروض لانه يثبت ما اثبت اللفظ و يسقط عنه ما اسقطه ـ و الوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ و قرع العصا لمن تحدّي بالقرآن و بغرابة نظمه و كالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم و قد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليُؤدّيهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مَقْدرتهم دونه و لم تظهر معجزتهم عن ان ياتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة و هم اُمَرَاء الكلام و رُعَماء الحِوار و هم الحراص على التساجل في اقتضاب الخُطَب و المتهالكون على الارتجان في القصيد و الرجز و لم يبلغ من الحزالة و حسن النظم المبالغَ التي بَذَّتْ بلاغة كلّ ناطق و شقّت غبار كلّ سابق و لم يتجاوز الحد الخارج من قُوى الفصحاء و لم يقع وراء مطامح اعين البصراء الا انه ليس بكلام البشر و انه كلام خالق القُوى و القُدَر و هذا القول

من القوة و الخلافة بالقبول بمنزل - و لناصره على الاول ان يقول ان القران انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم و استعمالاتهم و العربُ لم تتجاوز ما سمّوا به مجموع اسمين و لم يسمّ احد منهم بمجموع ثلثة اسماء و اربعة و خمسة - و نقول بانها اسماء السُوَر حقيقةً يخرج الى ما ليس في لغة العرب و يؤدي ايضا الى صيرورة الاسم و المسمى واحدا - فان اعترضت عليه بانه قول مقول على وجه الدهر و انه لا سبيل الى ردّه - اجابك بان له محملا سوى ما يذهب اليه و انه نظير قول الناس فلانٌ يروي قفانبك و عفت الديار و يقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ - وَبَرَاءَةٌ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُوْلِهٖ -ويُوْصِيْكُمُ اللّٰهُ فِيْ اَوْلَادِكُمْ- وَاللّٰهُ نُوْرُ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد و هذه السُوَر و الآي انما تُعنى رواية القصيدة التي ذاك استهلالها و تلاوة السُوَر او الآية التي تلك فاتحتها فاما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية و استفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة - و للمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري و خروج عن كلام العرب و لكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حَضَرَمَوْتَ - فامّا غير مركبة منثورةً نثرَ اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سمّوا بتابط شرا و برق نحره و شاب قرناها و كما لو سمّي بزيدٌ منطلقٌ او ببيت شعر و ناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة و البيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالةً قاطعةً على صحة ذلك - و امّا تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم و المسمى واحدا لانها تسمية مولف بمفرد و المولف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مولّفا منه و من حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم و المسمى واحدا حيث كان الاسم مولّفا و المسمى مفردا - و الوجه الثالث ان ترد السُوَر مصدّرة بذلك ليكون اول مايقرع الاسماعَ مستقلاً بوجه من الاعراب و تقدمة من دلائل الاعجاز و ذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاُمّيونَ منهم و اهلُ الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خطّ و قرأ و خالط اهل الكتاب و تعلّم منهم و كان مستغربا مستبعدا من الاميّ التكلمُ بها استبعادَ الخط و التلاوة كما قال عزّوجلّ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوْا مِنْ قَبْلِهٖ مِنْ كِتٰبٍ وَّلَا تَخُطُّهٗ بِيَمِيْنِكَ اِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُوْنَ فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار اذه لم يكن ممن اقتبس شيأ من اهله حكمَ الاقاصيص المذكورة في القران التي لم تكن قريش و من دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي و شاهد بصحة نبوته و بمنزلة ان يتكلّم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد - و اعلم انك اذا تاملت ما اورده الله عزّ سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواءً و هي الالف واللام و الميم و الصاد و الراء و الكاف و الهاء و الياء و العين و الطاء و السين و الحاء و القاف و النون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم - ثم اذا نظرت

في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة ايضًا على انصاف اجناس الحروف - بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد و الكاف و الهاء و السين و الحاء - ومن المجهورة نصفها الالف و اللام و الميم و الراء و العين و الطاء و القاف و الياء و النون - ومن الشديدة نصفها الالف و الكاف و الطاء و القاف - ومن الرخوة نصفها اللام و الميم و الراء و الصاد و الهاء و العين و السين و الحاء و الياء و النون - ومن المُطْبَقة نصفها الصاد و الطاء - ومن المُنفتحة نصفها الالف و اللام و الميم و الراء و الكاف و الهاء و العين و السين و الحاء و القاف و الياء و النون - و من المُستعلية نصفها القاف و الصاد و الطاء - ومن المُنخفضة نصفها الالف و اللام و الميم و الراء و الكاف و الهاء و الياء و العين و السين و الحاء و النون - ومن حروف القَلْقَلة نصفها القاف و الطاء - ثم اذا استقريت الكلم و تراكيبها رأيت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقّت في كلّ شيء حكمته و قد علمت ان مُعْظَم الشيء وجُلّه ينزّل منزلة كلّه و هو المطابق للطائف التنزيل و اختصاراته فكان الله عزّ اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم و الزام الحجة اياهم - ومما يدلّ على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف و اللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في مُعْظَم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة و آل عمران و الروم و العنكبوت و لقمٰن و السجدة و الاعراف و الرعد و يونس و ابراهيم و هود و يوسف و الحجر - فان قلت فهلّا عُدِدت باجمعها في اول القرآن و ما لها جاءت مُفرّقة على السور - قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدّى به مؤلف منها لا غير و تجديده في غير موضع واحد أوْصَلُ الى الغرض و اقرّ له في الاسماع و القلوب من ان يفرد ذكره مرّة و كذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن مطلوب به تمكين المكرر في النفوس و تقريره - فان قلت فهلّا جاءت على وتيرة واحدة و لِمَ اختلفت اعداد حروفها فوردت صٓ و قٓ و نٓ على حرف و طٰهٰ و طٰسٓمٓ و يٰسٓ و حٰمٓ على حرفين و الٓمٓ و الٓرٰ و طٰسٓمٓ على ثلثة أحْرُفٍ و المٓصٓ و المٓرٰ على اربعة احرف و كٓهٰيٰعٓصٓ و حٰمٓ عٓسٓقٓ على خمسة احرف - قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام و تصرفهم فيه على طُرُق شتى و مذاهبَ و كما ان ابنية كلماتهم على حرف و حرفين الى خمسة احرف لم يتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك - فان قلت فما وجه اختصاص كلّ سورة بالفاتحة التي اختصّت بها - قلت اذا كان الغرض هو التنبيه و المبادي كلّها في تادية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلّب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمّى الرجل بعض اولاده زيدا و الآخر عمرا لم يقل له لِمَ خصصتَ ولدك هذا بزيد و ذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز و هو حاصل أيّة سلك و كذلك لا يقال لِمَ سمّي هذا الجنس - بالرجل و ذلك بالفرس و لم قيل للاعتماد الضرب و للانتصاب القيام و للقبيضه القعود - فان قلت ما بالهم عدّوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض - قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السُوَر - اما الٓمٓ فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها و هي ست و كذلك

سورة البقرة ٢ — الجزء ١ — ع ١

ذٰلِكَ الْكِتَابُ

الٓمٓصٓ آية و الٓمٓرٰ لم تعد آية و الٓرٰ ليست بآية في سورها الخمس و طٰسٓمٓ آية في سورتيها و طٰهٰ و يٰسٓ آيتان و طٰسٓ ليست بآية و حٰمٓ آية في سورها كلها و حٰمٓ عٓسٓقٓ آيتان و كٓهٰيٰعٓصٓ آية واحدة و نٓ و قٓ و نٓ ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين و مَنْ عَدَاهم لم يعدّوا شيئا منها آية. فان قلت فكيف عدّ ما هو في حكم كلمة واحدة آية. قلت كما عد الرحمٰن وحده و مُدْهَامَّتَانِ وحدها آيتين على طريق التوقيف. فان قلت ما حكمها في باب الوقف. قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنىً مستقل غير محتاج الى ما بعده و ذلك اذا لم تجعل اسماء للسُّوَر و نُعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اَخبارَ مبتدأ محذوف كقوله عزّ قائلا آلٓمٓ اَللّٰهُ اي هذه الٓمٓ ثم ابتدأ فقال اَللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ. فان قلت هل لهذه الفواتح محلّ من الاعراب. قلت نعم لها محلّ فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر اسماء الاعلام. فان قلت ما محلّها. قلت يحتمل الاوجه الثلاثة. اما الرفع فعلى الابتداء. و اما النصب و الجرّ فلما مرّ من صحّة القسم بها و كونها بمنزلة اللّٰهَ واللّٰهِ على اللغتين. ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محلّ في مذهبه كما لا محلّ للجُمَل المبتدأة و للمفردات المعدودة. فان قلت لِمَ صحّت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد. قلت وقعت الاشارة الى الٓمٓ بعد ما سبق التكلم به وتقضى و المتقضي في حكم المتباعد وهذا في كلّ كلام يحدّث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شكّ فيه و يحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لَا فَارِضٌ وَّلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ وقال ذٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِىْ رَبِّىْ ولانه لما وصل من المرسِل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك. وقيل معناه ذلك الكتاب الذى وُعِدوا به. فان قلت لِمَ ذُكّر اسم الاشارة والمشار اليه مونث و هو السورة. قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه و مسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه بالتذكير كما اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت اُمُّك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هذا ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذُبياني * شعر * نبيّتُ نعما على الجران عاتبة * سقيا و رعيا لذاك العاتب الزارى * فان قلت اخبرني عن تاليف [ذلك الكتاب] مع الٓمٓ. قلت ان جعلت الٓمٓ اسما للسورة ففي التاليف وجوه. ان يكون الٓمٓ مبتدأ و ذلك مبتدأ ثانيا و الكتاب خبره و الجملة خبر المبتدأ الاول و معناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كانّ ما عَدَاه من الكتب في مقابلته ناقص و انه الذى يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اى الكامل في الرجلية الجامعُ لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال * ع * هم القوم كل القوم يا اُمّ خالد * و ان يكون الكتاب صفة و معناه هو ذلك الكتاب الموعود. وان يكون الٓمٓ خبر مبتدإ محذوف اي هذه الٓمٓ و يكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة. و ان

ع ١

يكون هذه الٓمٓ جملة و ذلك الكتاب جملة اخرى - و ان جعلت الٓمٓ بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته و الخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب - و قرأ عبدالله الٓمٓ تنزيل الكتاب لا ريب فيه و تاليف هذا ظاهر * [و الريب] مصدر رَابَنِي اذا حصل فيك الريبةُ و حقيقة الريبة قلق النفس و اضطرابها - و منه ما روى الحسن بن على رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يقول دع ما يَرِيبُكَ الى ما لا يَرِيبك فان الشك ريبة و الصدقَ طُمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس و لا تستقر و كونه صحيحا صادقا مما تطمئن له و تسكن - و منه ريب الزمان و هو ما يقلق النفوس و يشخص بالقلوب من نوائبه - و منه انه صلى الله عليه و سلم مرّ بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشئ - فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق و كم من مرتاب فيه - قلت ما نفى ان احداً لا يرتاب فيه و انما المنفي كونه متعلقا للريب و مظنة له لانه من وضوح الدلالة و سطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه - الا ترى الى قوله تعالى وَ اِنْ كُنْتُمْ فِيْ رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَاْتُوْا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهٖ فما ابعد وجوه الريب منهم و انما عرّفهم الطريق الى مزيل الريب و هو ان يحزروا انفسهم و يرووا قُواهم فى البلاغة هل تقوم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحقق عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة و لا مدخل للريبة - فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغَوْل في قوله تعالى لَا فِيْهَا غَوْلٌ - قلت لان القصد فى ايلاء الريب حرفَ النفي نفى الريب عنه و اثبات انه حق و صدق لا باطل و كذب كما كان المشركون يدّعونه و لو أولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد و هو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لَا فِيْهَا غَوْلٌ تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقولَ كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب و النقيصة - و قرأ ابو السمّاك لا ريبٌ فيه بالرفع و الفرق بينها و بين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق و هذه تجوزه و الوقف على فيه هو المشهور - و عن نافع و عاصم انهما وقفا على لا ريب و لا بدّ للواقف من ان ينوي خبرا و نظيره قوله تعالى قَالُوْا لَا ضَيْرَ و قول العرب لا باس و هي كثيرة في لسان اهل الحجاز و التقدير لا ريب فيه فيه هدى * [الهدى] مصدر على فُعَل كالسُّرى و البكى و هو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقاباته - قال الله تعالى اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدٰى و قال الله تعالى لَعَلٰى هُدًى او فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ و يقال مَهْدى في موضع المدح كمهتد و لان اهتدى مطاوع هدى و لن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله - الا ترى الى نحو غَمَّه فاغتمّ و كسره فانكسر و اشباه ذلك - فان قلت فلمَ قيل هدًى للمتقين و المتقون مهتدون - قلت هو كقولك للعزيز المكرّم اعزك الله و اكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه و استدامته

كقوله اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ - ووجه آخر و هو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم من قتل قتيلا فله سلبه - وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض و تضل الضالة و تكف الحاجة فسمى المشارف للقتل و المرض والضلال قتيلا ومريضا و ضالة - ومنه قوله تعالى وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا اي صائرا الى الفجور و الكفر - فان قلت فهلا قيل هدى للضالين - قلت لان الضالين فريقان - فريق علم بقاءهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم - و فريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلوجيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين - وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن و أول المثاني بذكر اولياء الله المرتضين من عباده * [والمتقي] في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاءها اذا اصابها ضلع من غلظ الارض و رقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يولمه - و هو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك و اختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لايتداولها لانها تقع مكفرة عن مجتنبي الكبائر - وقيل يطلق على الرجل اسم المومن لظاهر الحال و المتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر و محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لاريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه و يجوز ان ينصب على الحال و العامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا و ان يقال ان قوله الٓمٓ جملة براسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و ذلك الكتاب جملة ثانية و لاريب فيه ثالثة و هدى للمتقين رابعة و قد اصيب بتفصيلها مفصل البلاغة و موجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق و ذلك لمجيئها متاخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها و هلم جرا الى الثالثة و الرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي و شدا من اعضاده ثم نفي عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة و تسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق و اليقين و لا نقص انقص مما للباطل و الشبهة و قيل لبعض العلماء لِمَ لذلك فقال في حجة تتبختر اتضاحا و في شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من هذه الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق و نظمت هذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة ففي الاولى

الحذف و الرمز الى الغرض بالطف وجه و ارشقه و في الثانية ما في التعريف من الفخامة و في الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف و في الرابعة الحذف و وضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد و ايراده منكرا و الايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه و تبينا لنكت تنزيله و توفيقا للعمل بما فيه * [الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ] اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون و اما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بِأُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام و اذا كان مقتطعا كان وقفا تاما - فان قلت ما هذه الصفة أواردة بيانا و كشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح و الثناء كصفات الله تعالى الجارية عليه تمجيدا - قلت يحتمل ان ترد على طريق البيان و الكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات و ترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات و منصبها و ذكر الصلوة و الصدقة لان هاتين أمّا العبادات البدنية و المالية و هما العيار على غيرهما أ لم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه و سلم الصلوة عماد الدين و جعل الفاصل بين الاسلام و الكفر تركَ الصلوة و سمى الزكوة قنطرة الاسلام و قال الله تعالى وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار سائر العبادات و استتباعها و من ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عدّ الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها و الذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان تقترن به مع ما في ذلك من الايضاح عن فضل هاتين العبادتين و اما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ و يحتمل ان لا تكون بيانا للمتقين و تكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات و يراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي و يحتمل ان يكون مدحا للموصوفين بالتقوى و تخصيصا للايمان بالغيب و اقام الصلوة و ايتاء الزكوة باذكر اظهارا لافاتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات - [و الايمان] افعال من الامن يقال امَنْتُهُ و امَنْتُهُ غيري ثم يقال أمنه اذا صدقه و حقيقته أمنه التكذيب و المخالفة و اما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر و اعترف و اما ما حكى ابو زيد عن العرب ما أمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون و طمانينة و كلا الوجهين حسن في يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ اي يعترفون به او يثقون بانه حق و يجوز ان لايكون بالغيب صلة للايمان و ان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المومن به و حقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ليعلم انّي لم اخنه بالغيب و يعضده ما روي ان اصحاب عبدالله ذكروا اصحاب رسول الله و ايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بيّنا لمن رآه والذي لا اله غيره ما أمن مومن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية - فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته صلة او جعلته حالا - قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما

تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ و العرب تسمي المطمئن من الارض غيبا - و عن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كُلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكُلْيَة اذا بطنت الدابة انتفخت - و اما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل قَيْل و اصله قَيِّل و المراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا عالم اللطيف الخبير و انما نعلم نحن منه ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه و لهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب و ذلك نحو الصانع و صفاته و النبوات وما يتعلق بها و البعث و النشور و الحساب و الوعد و الوعيد و غير ذلك و ان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة و الخفاء - فان قلت ما الايمان الصحيح - قلت ان يعتقد الحق و يعرب عنه بلسانه و يصدقه بعمله - فمن اخل بالاعتقاد و ان شهد و عمل فهو منافق - و من اخل بالشهادة فهو كافر و من اخل بالعمل فهو فاسق و معنى اقامة الصلوة تعديل اركانها و حفظها من ان يقع زيغ في فرائضها و سننها و آدابها من اقام العود اذا قوّمه او الدوام عليها و المحافظة كما قال عز و جل الَّذِينَ هُمْ عَلٰى صَلٰوتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلٰى صَلٰوتِهِمْ يُحَافِظُونَ من قامت السوق اذا نفقت و اقامها قال * شعر * اقامتْ غزالة سُوقَ الضراب * لِأهل العراقَيْنِ حَولا قَميطا * لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات و يتنافس فيه المحصلون و اذا عطلت و اضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه - او التجلد و التشمر لادائها و ان لا يكون في مؤديها فتور عنها و لا توان من قولهم قام بالامر و قامت الحرب على ساقها و في ضده قعد عن الامر و تقاعد عنه اذا تقاعس و تثبط او اداءها فعبّر عن الاداء بالاقامة لان اقيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت و القنوت القيام و بالركوع و بالسجود و قالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * و [الصلوة] فعلة من صلى كالزكوة من زكى و كُتِبَتها بالواو على لفظ المُفَخَّم و حقيقتة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه و سجوده و نظيره كفر اليهودي اذا طأطأ راسه و انحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان - و قيل للداعي مصل تشبيها له في تخشعه بالراكع و الساجد * و اسناد [الرزق] الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله و يسمى رزقا منه و ادخل من التبعيضية صيانة لهم و كفا عن الاسراف و التبذير المنهي عنه و قدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال و يخصون بعض المال الحلال بالتصدق به و جائز ان تراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة و شقيقتها وهي الصلوة و ان تراد هي و غيرها من النفقات في سبيل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كلّ منفق و انفق الشيء و انفده اخوان - و عن يعقوب نفق الشيء و نفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون و عينه فاء فدالّ على معنى الخروج و الذهاب و نحو ذلك اذا تاملت * فان قلت [وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ] أهم غير الاولين ام هم الاولون و انما وسط العاطف

بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝

كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد و في قوله * شعر * الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم * و قوله * يا لهف زيابة للحارث * الصابح فالغانم فالآئب * قلت يحتمل ان يراد بهولاء مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام و اضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي أنزل من عند الله و ايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ و ان النار لن تمسهم الا اياما معدودات و اجتماعهم على الاقرار بالنشأة الاخرى و اعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ وبالمطاعم و المشارب و المناكح على حسب مجراها في الدنيا و دفعه آخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام و لمكان التوالد والتناسل و اهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم و الارواح العبقة و السماع اللذيذ و الفرح و السرور و اختلافهم في الدوام و الانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه و يحتمل ان يراد وصف الاولين و وسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات و هذه - فان قلت فاذا اريد بهولاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا - قلت ان عطفتهم على الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مومني اهل الكتاب و غيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا و كانه قيل هدى للمتقين وهُدًى للذين يومنون بما انزل اليك * فان قلت قوله [بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ] ان عني به القرآن باسره و الشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ المضي و ان اريد به المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل و اشتمال الايمان على الجميع سالفه و مترقبه واجب - قلت المراد المنزل كله و انما عبّر عنه بلفظ المضي و ان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب و المخاطب على الغائب فيقال انا و انت فعلنا و انت وزيد تفعلان و لانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل و انتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا و نظيره تركك كل ما خطب به فلان فهو فصيح و ما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه - وقرأ يزيد بن قُطَيب بِمَا أَنْزَلَ اليك و ما أَنْزَلَ من قبلك على لفظ ما سمي فاعله - و في تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته و ان قولهم ليس بصادر عن ايقان و ان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك و ما انزل من قبلك * و [الايقان] اتقان العلم بانتفاء الشك و الشبهة عنه و [الآخرة] تانيث الآخر الذي هو نقيض الاول و هي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا -

وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة و القى حركتها على اللام كقوله دَابَّةُ ٱرْضِ - وقرأ ابوحَيْوَة النميري يؤقنون بالهمزة و جعل الضمّة في جار الواو كانها فيه فقلبها قاف واو وجوه و وقتت و نحوه * شعر * لَحُبّ المؤقدان الي موسى * و جعدة إذ اضاءهما الوقود * [أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى] الجملة في محل الرفع ان كان الذين يومنون بالغيب مبتدأ و الّا فلا محل لها و نظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يومنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستيناف و ذلك انه لما قيل هدى للمتقين فاختصّ المتقون بان الكتاب لهم هدًى اتجه لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ الى سائله كانّه جواب لهذا السوال المقدر و جيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم و يفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اى الذين هولاء عقائدهم و اعمالهم احقاء بان يهديهم الله و يعطيهم الفلاح و نظيره قولك احبّ رسول الله صلّى الله عليه و سلم الانصار الذين قارعوا دونه و كشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة و ان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا و بالفلاح اجلا - و اعلم ان هذا النوع من الاستيناف يجيء تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان و تارة باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة احسن و ابلغ لانطوائها على بيان الموجب و تلخيصه - فان قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين و ان يرتفع الثاني على الاهتداء و اولئك خبره - قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم باليدى و الفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يومنوا بنبوة رسول الله صلّى الله عليه وسلم و هم ظانّون انهم على الهدى و طامعون انهم ينالون الفلاح عند الله و في اسم الاشارة التي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم و لله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله * شعر * فذلك ان يهلك فحسنى ثناوه * و ان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما * و معنى الاستعلاء في قوله عَلَىٰ هُدًى مثل لتمكنهم من الهدى و استقرارهم عليه و تمسكهم به حيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء و ركبه و نحوه هو على الحق و على الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا و امتطى الجهل و اقتعد غارب الهوى * و معنى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ اى انهم مُنِحُوه من عنده و اُوتُوه من قبله و هو اللطف و التوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير و الترقي الى الافضل فالافضل و نكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه و لا يقادر قدره كانّه قيل على اى هدى كما تقول لو ابصرت فلانا ابصرت رجلا و قال الهذلي * شعر * فلا و ابي الطير المرنّة بالضحى *

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ

على خالد لقد وقعت على لحم * والدون من رتبهم ادغمت نغنّة و بغير غنّة بالكسائي و حمزة و يزيد و وَرْش في رواية و الهاشمي عن ابن كثير لم يغنّوها و قد أغفلها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان * و في تكرير اولئك تنبيه على انهم كما تبنت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كلّ واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميّزة على حيالها - فان قلت لم جاء مع العاطف و ما الفرق بينه و بين قوله تعالى أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ - قلت قد أختلف الخبران هٰهنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثَمّة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة و تشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل * و [هم] فصلٌ و فائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة و التوكيد و ايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدأ و المفلحون خبره و الجملة خبر اولئك و معنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك واستخبرتَ من هو فقيل زيدن التائب اي هو الذي أُخبرتَ بتوبته او على انهم الذين ان حُصّلت صفة المفلحين و تحققوا ماهم و تصوّروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد و ما جُبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عزّ من قائل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا ينالهُ احد على طُرق شتّى و هي ذكر اسم الاشارة و تكريره و تعريف المفلحين و توسيط الفصل بينه و بين اولئك ليُبصّرك مراتبهم و يُرغّبك في طلب ما طلبوا ويُنشّطك لتقديم ماقدموا و يُثبّطك عن الطمع الفارغ و الرجاء الكاذب و التمنّي على الله ما لا تقتضيه حكمته و لم تسبق به كلمته - الَمّ زيّنا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدّرت بذكرهم سورة البقرة * و [المفلح] الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر و لم تستغلق عليه و المفلح بالجيم مثله - و منه قولهم للمُطلّقة استفلحي بامرك بالحاء و الجيم و التركيب دالّ على معنى الشق و الفتح و كذلك اخواته في الفاء و العين نحو فلق و فلذ و فلى * و لما قدم ذكر اولياءه و خالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده و بيّن ان الكتاب هدى و لطف لهم خاصة فقفى على اثره بذكر اضدادهم و هم العتاة المردة من الكفّار الذين لا ينفع فيهم الهدى و لا يجدي عليهم اللطف و سواء عليهم وجود الكتاب و عدمه و انذار الرسول وسكوته - فان قلت لم قطعت قصّة الكفّار عن قصّة المومنين و لم تعطف كنحو قوله إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ وغيره من الآي الكثيرة - قلت ليس وزان هاتين القصّتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب و انه هدى للمتقين و سيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف - فان قلت هذا اذا زعمت

ع ١ ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته و بنيت الكلام بصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة اعدادهم كان مثل تلك الأي المتنوّة - قلت قد مرّ لي ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستيناف و انه مبني على تقدير سوال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى و ان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه * و التعريف في [الَّذِينَ كَفَرُوا] يجوز ان يكون للعهد و ان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لَهَب و ابي جَهْل و الوليد بن المغيرة و اضرابهم و ان يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده و غيرهم و دلّ على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار و تركه عليهم * و [سَوَاءٌ] اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر و منه قوله تعالى تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ بمعنى مستوية و ارتفاعه على انه خبر لِانَّ * و [أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ] في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك و عدمه كما تقول ان زيدا مختصم ابوه و ابن عمّه او يكون أ انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء و سَوَاءٌ خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك و عدمه و الجملة خبر لانّ - فان قلت الفعل ابدأ خبر لا مخبر عنه فكيف صحّ الاخبار عنه في هذا الكلام - قلت هو من جنس الكلام المجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى و قد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بيّنا من ذلك قولهم لا تاكل السمك و تشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك و شرب اللبن و ان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل * و [الهمزة و ام] مجردتان لمعنى الاستواء و قد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا - قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك اللّهمّ اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام و لا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء و لا نداء ومعنى الاستواء استواءهما في علم المستفهم عنهما انه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار و اما عدمه و لكن لا يعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين - وقرئ أ انذرتم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب و اكثر و بتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها و الثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام و بحذفه و القاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح - فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا - قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حدّه وحدّه ان يكون الاول حرف لين و الثاني حرفا مدغما نحو قوله ولَا الضَّالِّينَ وخُوَيْصَّة و الثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس - و الانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي * فان قلت ما موقع [لا يومنون] - قلت اما ان يكون جملة

خَتَمَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ وَعَلٰى سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلٰى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ع

مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض * [الختم] والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتمانه وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه - و[الغشاوة] الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة - فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار - قلت لا ختم ولا تغشية ثمة على الحقيقة وانما هو من باب المجاز - ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل - اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي ايات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانها غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك - واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال * شعر * ختم الاله على لسان غدافر * ختما فليس على الكلام بقادر * واذا اراد النطق خلت لسانه * لحما يحركه لصقر ناقر * فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وَمَآ اَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ - وَمَا ظَلَمْنٰهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوْا هُمُ الظّٰلِمِيْنَ - اِنَّ اللّٰهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل - قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه فكيف بتخييل ما خُيِّل اليك وقد وردت الاية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم - ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كتولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق - بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الانعام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم - او بحال قلوب البهائم انفسها - او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيأ ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك - ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة - تفسير هذا ان لفعل ملابسات شتى

يلابس الفاعل و المفعول به و المصدر و الزمان و المكان و المسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة و قد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة و ذلك لمضاعاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاعى الرجل الاسد في جرأته فيستعار له اسمه فيقال فى المفعول به عيشة راضية و ماء دافق و في عكسه سيل مفعم و فى المصدر شعر شاعر و ذيل ذائل و فى الزمان نهاره صائم و ليله قائم و فى المكان طريق سائر و نهر جار و اهل مكة يقولون صلّى المقام و فى المسبّب بنى الامير المدينة و ناقة ضبوث و حلوب و قال * ع * اذا ردعا في القدر من يستعيرها * فالشيطان هو الختام فى الحقيقة او الكافر الا انّ الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره و مكّنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبّب - و وجه رابع و هو انهم لما كانوا على القطع و البتّ ممن لا يؤمن و لا تغني عنهم الآيات و النذر و لا تجدي عليهم الالطاف المحصلة و لا المقرّبة ان أعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه الطريق الى ان يومنوا طوعا و اختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر و الالجاء و اذا لم يبق طريق الى ايمانهم الا ان يقسرهم الله و يلجئهم ثم لم يقسرهم و لم يلجئهم ليلا ينتقض الغرض فى التكليف عبر عن ترك القسر و الالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم فى التصميم على الكفر و الاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر و الالجاء و هى الغاية القصوى في وصف لجاجهم فى الغي و استشرائهم فى الضلال و البغي - و وجه خامس و هو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولون تبكما بهم من قولهم قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ - وَ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ - وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ و نظيره فى الحكاية و التهكم قوله لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ - فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة تحت حكم الختم و في حكم التغشية فعلى ايهما يعوّل - قلت على دخولها في حكم الختم كقوله تعالى وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً و لوقفهم على سمعهم دون قلوبهم - فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله و على سمعهم - قلت لو لم يكرر لكان انتظامها للقلوب و الاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادلّ على شدّة الختم فى الموضعين و وُحّد السمع كما وُحّد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان رمانكم زمن خميص يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم و ثوبهم و انت تريد الجمع رفضوه - و لك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فاُمِنَ الاصل يدلّ عليه جمع الاذن في قوله وَ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ و ان تقدر مضافا محذوفا اي و على حواس سمعهم - وَ قرأ ابن ابي عَبلة و على اسماعهم - فان قلت هلا منع ابا عمرو و الكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حروف الاستعلاء و هو الصاد - قلت لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين و ذلك اعون شيء على الامالة و ان يمال له ما لا يمال - و [البصر] نور العين و هو ما يبصر به الرائي و يدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب و هو ما به يستبصر و يتامل و كانهما جوهران لطيفان خلقهما

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُولُ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِيْنَ ۝ سورة البقرة ٢

الجزء ١

ع ٢

الله فيهما الذين للابصار و الاستبصار - و قرئ غِشَاوَةٌ بالكسر و النصب وغُشَاوَةٌ بالضم و الرفع و عَشَاوَةٌ بالفتح و النصب و غِشْوَةٌ بالكسر و الرفع و غَشْوَةٌ بالفتح و الرفع و النصب و عشاوةٌ بالعين غير المعجمة و الرفع من العَشَاء * و [العذاب] مثل النكال بناءً و معنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العُذْبَ لانه يقمع العطش و يردعه بخلاف الملح فانه يزيده و يدلّ عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره و فُراتا لانه يرفته على القلب ثم اتّسع فيه فسمّي كلّ ألم فادح عذابا و ان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة * والفرق بين العظيم و الكبير ان العظيم نقيض الحقير و الكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير و يستعملان في الحُنّث و الاحداث جميعا تقول رجل عظيم و كبير تريد جُثّته او خَطَره - ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله وثم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله - اللّهمّ اجرنا من عذابك ولا تبتلنا بسخطك يا واسع المغفرة * افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله و وطّأت فيه قلوبهم ألسنتهم و وافق سرّهم علنهم و فعلهم قولهم - ثم ثنّى بالذين مخّضوا الكفر ظاهرا و باطنا قلبا و السنة - ثم ثلّث بالذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم و ابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مُذَبْذَبِيْنَ بَيْنَ ذٰلِكَ لَآ اِلٰى هٰٓؤُلَآءِ وَلَآ اِلٰى هٰٓؤُلَآءِ وسمّاهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه و امقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها و تدليسا و بالشرك استهزاء وخداعا و لذلك انزل فيهم اِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ فِى الدَّرْكِ الْاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ و وصف حال الذين كفروا في آيتين و حال الذين نافقوا في ثلث عشرة آية و نعى عليهم فيها خُبْثَهم ونكرهم و فَضَحَهم و سَفَّههم و استجهلهم و استهزأ بهم و تهكّم بفعلهم وسجّل بطغيانهم و عَمِههم ودعاهم صُمًّا بُكما عُميا و ضرب لهم الامثال الشنيعة - و قصّة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصّة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة * واصل [ناس] أناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل أُوْقَة في أُنُوقة و حذفها مع لام التعريف كالازم لا يكاد يقال الناس و يشهد لاصله انسان و اُناس و اناسي و انس و سمّوا لظهورهم و انهم يونسون اي يبصرون كما سمّي الجنّ جنّا لاجتنانهم ولذلك سمّوا بشرا و وزن ناس فُعال لان الزنة على الاصول الاتراك تقول في وزن قد إفعل و ليس معك الّا العين وحدها و هو من اسماء الجمع كرُخال و اما نُويسٌ فمن المصغّر الّذي على خلاف مكبّره كأُنَيسيان و رُوَيجل - و لام التعريف فيه للجنس و يجوز ان يكون للعهد و الاشارة الى الذين كفروا المارّ ذكرهم كانه قيل و من هؤلاء من يقول وهم عبدالله بن اُبيّ واصحابه ومن كان في حزبه من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني و اقوم لئام * و [من] في مَنْ يَّقُولُ موصوفة كانه قيل و من الناس ناس يقولون كذا كقوله تعالى مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوْا ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة

سورة البقرة ٢ يُخَادِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ج

حزب ١

ع ٢

تقوله تعالى وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ - فان قلت كيف يجتمعون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم - قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيّرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات اما ذاتي بالنوعية والا تباين الدخول تحت الجنسية - فان قلت لم اختصّ بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر - قلت لاختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عُزَيْر ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمَنَّا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجّها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عتيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم احتازوا الايمان من جانبيه واكتنفوه من طرفيه واحاطوا بأوّله وآخره * وفي تكرير الباء انهم ادعوا كلّ واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام - فان قلت كيف طابق قوله وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ قوله آمَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ الاوّل في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شان الفاعل لا الفعل - قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريقا ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع ونحوه قوله تعالى يُرِيدُونَ اَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ منها وهو ابلغ من قولك وما هم يخرجون منها - فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيّد في الاوّل - قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك دلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قطّ لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما - فان قلت ما المراد باليوم الآخر - قلت يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حدّ له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لا حدّ للوقت بعده * و [الخدع] ان توهم صاحبه خلاف ما يريده به من المكروه من قولهم ضبّ خادع وخَدِع اذا امرّ تحارش يده على باب جُحْره اوهمه انه عليه ثم خرج من باب آخر - فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا تُخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا تخدع والمؤمنون وان جاز ان تُخْدَعوا لم يجز ان تَخْدَعوا الا ترى الى قوله * ع * واستمطروا من

ع ٢

مرس كل مُنخدع * وقول ذى الرُّمّة * ع * ان الحليم وذا الاسلام يختلب * فقد جاء النعت بالانخداع و لم يات بالخدع - قلت فيه وجوه - احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله تعالى حيث يتظاهرون بالايمان و هم كافرون صورة صنع الخادعين و صورة صنع الله معهم حيث آمر باجراء احكام المسلمين عليهم و هم عنده في عداد شرار الكفرة و اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع و كذلك صورة المؤمنين معهم حيث امتثلو امر الله فيهم ما جروا احكامهم عليهم - و الثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم و ظنّهم ان الله ممن يصحّ خداعه لانّ من كان ادعاءه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله و لا بصفاته و لا ان لذاته تعلقا بكلّ معلوم و لا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا و مصابا بالمكروه من وجه خفي و تجويز ان يدلس على عباده و يخدعهم - و الثالث ان يذكر الله و يراد الرسول لانه خليفتُهُ في ارضه و الناطق عنه باوامره و نواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا و رسم كذا و انما القائل و الراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله و رسمهم رسمه مصداقه قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ - وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ - و الرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد و كرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله - و فائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص و لما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ وكذلك إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطية و تمهيد لذكر فضله - فان قلت هل للانتصار بخادعت على واحد وجه صحيح - قلت وجهه ان يقال عنيَ به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمبالغة و المبارة و الفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ و احكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب و لا مبار لزيادة قوة الداعي اليه - و يعضده قراءة من قرأ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا و هو ابو حَيوة و يخادعون بيان ليقول و يجوز ان يكون استينافا كانه قيل و لم يدعون الايمان كاذبين و ما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون - فان قلت وَمَا كانوا يخادعون - قلت كانوا يخادعونهم عن اغراض لهم و مقاصد - منها متاركتهم و اعفاءهم عن المحاربة و عما يطرقون به من سواهم من الكفار - و منها اعطاءهم بما يصطنعون به المومنين من اكرامهم و الاحسان اليهم و اعطاءهم الحظوظ من المغانم و نحو ذلك من الفوائد - و منها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم - فان قلت فلو اظهر عليهم حتى ايصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها - قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد و استبقاء ابليس و ذريته و متاركتهم و ما هم عليه من اغواء المنافقين و تلقينهم النفاق اشدّ من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه الله تعالى من المصلحة * فان قلت ما المراد بقوله و ما يخادعون الا انفسهم - قلت يجوز ان يراد و ما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم

سورة البقرة ٢ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ۙ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا ۚ

الجزء ١

ع ٢

لان ضررها يلحقهم و مكرها يحيق بهم كما يقول فان يضارّ فلانا و ما يضارّ الا نفسه اي دائرة الضرر راجعة اليه و غير متخطّية اياه و ان يراد حقيقة المخادعة اي و هم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنّونها الاباطيل و يكذّبونها فيما يحدّثونها به و انفسهم كذلك تمنيهم و تحدثهم بالاماني و ان يراد به و ما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة و قرئ وَمَا يَخْدِعُونَ وما يُخَدِّعون من خدّع و يَخَدِّعون بفتح الياء بمعنى يختدعون و يُخْدَعون و يخادعون على لفظ مالم يسم فاعله * و [النفس] ذات الشيء و حقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء بأصغريه و كذلك بمعنى الروح و للدمّ نفس لان قوامها بالدمّ و للماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ و حقيقة نُفِسَ الرجل بمعنى عِيْنَ أصيبت نفسه كقولهم صُدِرَ الرجل و قولهم فلان يوامر نفسيه اذا تردد في الامر و اتّجه له رايان و داعيان لايدري على ايّهما يعرج كانهم ارادوا داعييَ النفس و هاجسيَ النفس فسمّوهما نفسين اما لصدورهما عن النفس و اما لان الداعيين لما كانا كالمُشيرين عليه و الآمرين له شبهوهما بذاتين فسمّوهما نفسين و المراد بالانفس هٰهنا ذواتهم و المعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطّاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم و دواعيهم و آراءهم و [الشعور] علم الشيء علم حسّ من الشعار و مشاعر الانسان حواسه و المعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لاحسّ له * و استعمال [المرض] في القلب يجوز ان يكون حقيقة و مجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد و الغلّ و الحسد و الميل الى المعاصي و العزم عليها و استشعار الهوى و الجبن و الضعف و غير ذلك مما هو فساد آفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة و السلامة في نقائض ذلك و المراد به ههنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد و الكفر او من الغلّ و الحسد و البغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم و المؤمنين غلًّا و حنقًا و يبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ و يتحرقون عليهم حسدا أَنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ و تأهبك بما كان من ابن أبي و قول سعد بن عبادة لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم أعف عنه يا رسول الله و اصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك و لقد اصطلح اهل هذه البُحَيرة ان يُعَصِّبوه بالعصابة فلما ردّه الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف و الجبن و الخور لان قلوبهم كانت قوية ما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن و لواه يخفق اياما ثم يقرّ فضعفت حين ملكها الياس عند انزال الله على رسوله النصر و اظهار دين الحق على الدين كلّه و اما لجرأتهم و جسارتهم في الحروب فضعفت جبنا و خورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب و شاهدوا شوكة المسلمين و امداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلّى الله عليه و سلم نصرت بالرعب مسيرة شهر * و معنى

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ۝ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ سورة البقرة ٢

الجزء ١

ع ٣

زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل الله على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة و تبسطا في البلاد و نقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا و غلا و بغضا و ازدادت قلوبهم ضعفا و قلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم و جبنا و خورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع - و قرأ ابو عمرو في رواية الاصمعي مَرَض ومَرْضا بسكون الراء * يقال أَلِمَ فهو [أَلِيمٌ] كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به فحو قوله * ع * تحية بينهم ضَرْب وجيع * و هذا على طريقة قولهم جَدَّ جِدُّهُ و الألم في الحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد و المراد بكذبهم قولهم آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ و فيه رمز الى قبح الكذب و سماجته و تخييل ان العذاب الاليم لاحق لهم لاجل كذبهم و نحوه قوله تعالى مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا و القوم كفرة و انما خصت الخطيات استعظاما لها و تنفيرا عن ارتكابها * و [الكذب] الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به و هو قبيح كله و اما ما يروى عن ابراهيم عليه السلام انه كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به - وعن ابي بكر رضي الله عنه و روي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان - و قرئ يَكْذِبُون من كَذَّبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كَذَب كما يوع في صَدَق فقيل صدّق ونظيرهما بَانَ الشيء و بيّن و قاص الثوب و قاّص او بمعنى الكثرة كقولك مَوَّتَت البهائم وبرّكت الابل و من قولهم كَذَبَ الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره و لذلك قيل له مذبذب و قال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة و الى هذه مرة * [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ] معطوف على يكذبون - و يجوز ان يعطف على يتلو آنفا لانك لو قلت و من الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا و الاول اوجه * و [الفساد] خروج الشيء عن حال استقامته و كونه منتفعا به و نقيضه الصلاح و هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة و الفساد في الارض هَيْج الحروب و الفتن لان في ذلك فساد ما في الارض و انتفاء الاستقامة عن احوال الناس و الزروع و المنافع الدينية و الدنيوية - قال الله تعالى وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ - أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ومنه قيل لحرب كانت بين طي حرب الفساد و كان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمالئون الكفار و يمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم و اغرائهم عليهم و ذلك مما يودي الى هَيْج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته * و [إِنَّمَا] لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد و لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب و معنى [إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ] ان صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة فادح فيها من

سورة البقرة ٢ اَلَآ اِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُوْنَ وَلٰكِنْ لَّا يَشْعُرُوْنَ ۝ وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ اٰمِنُوْا كَمَآ اٰمَنَ النَّاسُ قَالُوْٓا اَنُؤْمِنُ كَمَآ اٰمَنَ السُّفَهَآءُ ؕ
الجزء ١ اَلَآ اِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ وَلٰكِنْ لَّا يَعْلَمُوْنَ ۝
ع ٢

وجه من وجوه الفساد * و[اَلَا] مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله تعالى اَلَيْسَ ذٰلِكَ بِقَادِرٍ ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لايكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اَمَّا من مقدمات اليمين وطلائعها * ع * اما والذي لا يعلم الغيب غيره * اما والذي ابكى واضحك - ردّ الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ ردّ وادلّه على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في كلتا الكلمتين اَلَا واِنّ من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل * وقوله [وَلٰكِنْ لَّا يَشْعُرُوْنَ] انّوههم في النصيحة من وجهين - احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجرّه الى الفساد والفتنة - والثاني تبصيرهم الطريق الاسدّ من اتّباع ذوى الاعلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفّهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم ممّا يلقى من الجهلة * فان قلت كيف صحّ ان يسند [قيل] الى لا تفسدوا وامنوا واسناد الفعل الى الفعل ممّا لايصحّ - قلت الذي لايصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام مهو نحو قولك اُلِّفَ غَرَبَ من ثلثة احرف ومنه زعموا مطيّة الكذب * وما في [كما] يجوز ان يكون كافة مثلها في رُبَّما ومصدريّة مثلها في بما رحبت - واللام في الناس للعهد اي كما اٰمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم وابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم - او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانيّة او جعل المومنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل * والاستفهام في [اَنُؤْمِنُ] في معنى الانكار واللام في السفهاء مشارٌ بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول اوقد فعل السفيه - ويجوز ان يكون للجنس ويندرج تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرف الناس في السفه - فان قلت لم سفّهوهم واستركّوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح - قلت لانهم لجهلهم وإخلالهم بالنظر وانصراف النفس اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وسِطَة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موالي كصُهَيب وبلال وخبّاب فدعوهم سفيها تحقيرا لشانهم او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفتّ في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم بانهم من السُّفَه بمعزل - و[السفه] سخافة العقل وخفة الحلم - فان قلت ام فُصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون - قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم

وَاِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا قَالُوْٓا اٰمَنَّا ۚ وَاِذَا خَلَوْا اِلٰى شَيٰطِيْنِهِمْ ۙ قَالُوْٓا اِنَّا مَعَكُمْ ۙ اِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُوْنَ ۝ سورة البقرة ٢

الجزء ١

ع ٢

على الباطل يحتاج الى نظر و استدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة و اما النفاق و ما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة و الفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم و ما كان قائما بينهم من التغاور و التناحر و تحارب و التحارب فهو كالمحسوس المشاهد و لانه قد ذكر السفه و هو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له * [وَاِذَا لَقُوْا] مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له اوّل قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم و الترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذب لهم و الاستهزاء بهم و لقاءهم بوجوه المصادقين و ايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم - وروي ان عبد الله بن أبي و اصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلم فقال عبد الله انظروا كيف اردّ هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيّد بني تيم و شيخ الاسلام و ثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه و ماله لرسول الله - ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيّد بني عديّ الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه و ماله لرسول الله - ثم اخذ بيد عليّ رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله و ختنه سيّد بني هاشم ما خلا رسول الله صلّى الله عليه و سلم فقال عليّ يا عبد الله اتق الله و لا تنافق فان المنافقين شرّ خليقة الله فقال له عبد الله مهلا يا ابا الحسن اليّ تقول هذا و الله ان ايماننا كايمانكم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلتُ فانثوا عليه خيرا فنزلت - ويقال لقيتُه و لاقيته اذا استقبلته قريبا منه و هو جاري ملاقي و مراوقي و قرأ ابو حنيفة رضي الله عنه و اذا لاقوا * و [خلوتُ] بفلان واليه اذا انفردت معه و يجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك و مضى عنك و منه القرون الخالية و من خلوتُ به اذا سخرت منه و هو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به و معناه و اذا ابوا المسخرة بالمؤمنين الى شياطينهم و حدّثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا و اذمّه اليك * و [شياطينهم] الذين مانلوا الشياطين في تمرّدهم و قد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية و في آخر زائدة و الدليل على اصالتها قولهم تشيطن و اشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح و الخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة و من اسمائه الباطل * [اِنَّا مَعَكُمْ] انا مصاحبوكم و موافقوكم على دينكم - فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية و شياطينهم بالاسمية محققة بانّ - قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين و اوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم و نشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم و ذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه ان ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك و هكذا كلّ قول لم يصدر عن ارتجية و صدق رغبة و اعتقاد و اما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التاكيد و المبالغة و كيف يقولونه و يطمعون في

سورة البقرة ٢ — اللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝

ع ٢

رواجه عنهم و هم بين ظهراني المهاجرين و الانصار الذين مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرٰىةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْاِنْجِيلِ أَلَا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين رَبَّنَا اِنَّنَا اٰمَنَّا و اما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهوديّة و القرار على اعتقاد الكفر و البعد من ان يزلّوا عنه على صدق رغبة و وفور نشاط و ارتياح للتكلم به و ما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق و مُئِنَّةً للتاكيد * فان قلت انى تعلق قوله [اِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ] بقوله اِنَّا مَعَكُمْ. قلت هو توكيد له لان قوله اِنَّا مَعَكُمْ معناه الثبات على اليهودية و قوله اِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ردّ للاسلام و دفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكرٌ له و دافعٌ لكونه معتدا به و دفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقّر الاسلام فقد عظّم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صحّ انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مُسْتَهْزِءُونَ * و [الاستهزاء] السُّخْرِيَة و الاستخفاف و اصل الباب الخفة من الهزء و هو القتل السريع و هزأ يهزء مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزءنّ على مكاني و ناقته تهزء به اي تسرع و تخف - فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبح و السخريّة من باب العبث و الجهل أَلَا ترى الى قوله تعالى قَالُوا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ اَعُوذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ فما معنى استهزاءه بهم - قلت معناه انزال الهوان و الحقارة لهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة و الزراية بمن يهزء به و ادخال الهوان و الحقارة عليه و الاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك و قد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة و المراد به تحقير شانهم و ازدراء امرهم و الدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون و يضحك الضاحكون - و يجوز ان يراد به ما مرّ في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر و هو مبطن بادّخار ما يراد بهم و قيل سمّي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا - فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْهِمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْهِمْ - فان قلت كيف ابتدئ قوله اللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ و لم يعطف على الكلام قبله - قلت هو استيناف في غاية الجزالة و الفخامة و فيه ان الله عزّ و جلّ هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاءهم اليه باستهزاء و لا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال و يحل بهم من الهوان و الذلّ و فيه ان الله هو الذي يتولّى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين و لا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله - فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله اِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ - قلت لانّ يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء و تجدّده وقتا بعد وقت و هكذا كانت نكايات الله فيهم و [illegible] أَوَلَا يَرَوْنَ اَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً اَوْ مَرَّتَيْنِ وما كانوا يخفون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار و تكشف اسرار و نزول في سفلهم و استشعار حذر من ان ينزل فيهم يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ اَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا اِنَّ اللّٰهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * و [يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ]

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ ۝

من مدّ الجيش و امدّه اذا زاده و الحق به ما يقوّيه و يكثّره و كذلك مدّ الدواة و امدّها زادها ما يُصلحها و مددت السراج و الارض اذا استصلحتهما بالزيت و السماد و مدّه الشيطان في الغيّ و امدّه اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيّه و يزداد إنهماكاً فيه - فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المدّ في العمر و الاملاء و الامهال - قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المدّ قرأةُ ابن كثير و ابن مُحَيْص وَ يُمِدّهم - وقرأة نافع وَ إِخْوَانُهُمْ يُمِدُّونَهُمْ على ان الذي بمعنى امهله انما هو مدّ له مع اللام كاملى له - فان قلت فكيف جاز ان يولّيهم الله مددا في الطغيان و هو فعل الشياطين الا ترى الى قوله تعالى وَ إِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ - قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين و خذلهم بسبب كفرهم و اصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين و الظلمة فيها تزايدَ الانشراح و النور في قلوب المؤمنين فسمّي ذلك التزايد مددا و اسند الى الله سبحانه لانه مسبّب عن فعله بهم بسبب كفرهم و اما على منع القسر و الالجاء و اما على ان يسند فعل الشيطان الى الله سبحانه لانه بتمكينه و اقداره و التخلية بينه و بين اغواء عباده - فان قلت فما حملهم على تفسير المدّ في الطغيان بالامهال و موضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه - قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ و شهد بصحته و الا كان منه بمنزلة الاروى من النُعام و من حق مُفسّر كتاب الله الباهر و كلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه و البلاغة على كمالها و ما وقع به التحدّي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم و البلاغة على مراحل - و يعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون و ان هؤلاء من اهل الطبع * و [الطغيان] الغلوّ في الكفر و مجاوزة الحد في العُتُوّ و قرأ زيد بن علي رضي الله عنه في طِغيانهم بالكسر وهما لغتان كلُقْيَان و لِقيان و غُنيان و غِنيان - فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم - قلت فهيا ان الطغيان و التمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم و اجترحته ايديهم و ان الله بري منه ردّا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا و نفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المدّ الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند اليه المدّ على الطريق الذي ذُكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة و يقلعها و يدفع في صدر من يلحد في صفاته و مصداق ذلك انه حين اسند المدّ الى الشياطين اطلق الغيّ و لم يقيده بالاضافة في قوله وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ * و [العمه] مثل العمي الا ان العمي عام في البصر و الراي و العمه في الراي خاصةً و هو التحير و التردد لا يدري اين يتوجه و منه قوله * ع * أُعْمِيَ الهدى بالجاهلين العُمّه * اي الذين لا راي لهم و لا دراية بالطرق و سلك ارضا عمهاء لا منار لها * و معنى [اشتراء الضلالة بالهدى] اختيارها عليه و استبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل و اخذ آخر و منه * شعر * اخذتُ بالجمة راسا ازعرا * و الثنايا

سورة البقرة ٢ فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝

الجزء ١

ع ٢

الواضحات الدُّرَّرا * و بالطويل العمر عمرا جيذرا * كما اشترى المسلم اذ تنصّرا * و عن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني اسرائيل يتفقهون لغير الدين و يتعلّمون لغير العمل و يبتاعون الدنيا بعمل الاخرة - فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى و ما كانوا على هدى - قلت جُعلوا لتمكنهم منه و اعراضه لهم كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطّلوه و استبدلوها به و لان الدين القيّم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكلّ من ضلّ فهو مُستبدل خلاف الفطرة - و[الضلالة] الجور عن القصد وفُقد الاهتداء - يقال ضلّ منزله و ضلّ مُربض نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين * و[الربح] الفضل على راس المال و لذلك سمّي الشفّ من قولك اشفّ بعض ولده على بعض اذا فضّله و لهذا على هذا شفّ * و[التجارة] صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح و ناقة تاجرة كابها من حسنها و سمنها تبيع نفسها - وقرأ ابن ابي عبلة تجارتهم - فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة و هو لاصحابها - قلت هو من الاسناد المجازي و هو ان يسند الفعل الى شيء يتلبّس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمستترين - فان قلت هل يصحّ ربح عبدك و خسرت جاريتك على الاسناد المجازي - قلت نعم اذا دلّت الحال و كذلك الشرط في صحّة رايتُ اسدا و انت تريد الاقدام ان لم يقم حالة دالّة لم يصحّ - فان قلت هَبْ انّ شرى الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح و التجارة كانّ ثمة مبايعة على الحقيقة - قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تُهيّأ باشكال لها و اخرات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن ديباجة و اكثر ماء و رونقا منه و هو المجاز المرشّح و ذلك نحو قول العرب في البليد كانّ اذنَي قلبه خطلان جعلوه كالحمار ثم رشّحوا ذلك بروما لتحقيق البلادة فادّعوا لقلبه اذنين و ادّعوا لهما الخطل ليمثّلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه * شعر * ولما رايت النسر عزّ بن دايةً * وعشّش في وكريه جاش له صدري * لما شبّه الشيب بالنسر و الشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحو قول بعض فتّاكهم في امّه * شعر * فما امّ الوليد و ان اذلّت * بعالمة باخلاق الكرام * اذا الشيطان قصّع في قفاها * تنفقنه بأحبل التوأم * اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد اذا حردت و اساءت الخلق اجتهدنا في ازالة عصبها و اماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اوّلا ثم ضمّ اليه التنفق ثم الحبل التوأم فذلك لما ذكر الله الشرى اتبعه ما يشاكله و يواخيه و ما يكمل و يتمّ بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته * فان قلت ما معنى قوله فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ - قلت معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرّفاتهم شيئان سلامة راس المال و الربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معاً لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة

ع ٢ الربح و ان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر و لانه لايقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح و ما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه و يخسر * لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف و تتميماً للبيان و لضرب العرب الامثالَ و استحضار العلماء المثلَ و النظائر شان ليس بالخفي في ابراز خبيآت المعاني و رفع الاستار عن الحقايق حتى تريك المتخيّل في صورة المحقق و المتوهم في معرض المتيقن و الغائب كانه مشاهد - فيه تبكيت للخصم الالدّ و قمع لسورة الجامح الابيّ و لامرما اكثر الله في كتابه المبين و في سائر كتبه امثاله و فشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و كلام الانبياء و الحكماء قال الله تعالى وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ و من سور الانجيل سورة الامثال - و [المَثَل] في اصل كلامهم بمعنى المِثْل وهو النظير يقال مِثْلٌ و مَثَلٌ و مَثِيلٌ كشبه و شبه و شبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بموردِه مَثَل و لم يضربوا مثلا و لا رأوه اهلا للتسيير و لا جديرا بالتداول و القبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه و من ثم حوفظ عليه و حمي من التغير - فان قلت ما معنى مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا و ما مثل المنافقين و مثل الذى استوقد نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه - قلت قد استعير المثل استعارةَ الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان و فيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا و كذلك قوله مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ اي و فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة - ثم اخذ في بيان عجائبها و لله المثل الاعلى اى الوصف الذي له شان من العظمة و الجلالة مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ اي صفتهم و شانهم المتعجب منه و لما فى المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلةٌ فى الخير و الشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان - فان قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد - قلت وضع الذي موضع الذين كتوله وخضتم كالذي خاضوا - و الذي سوّغ وضع الذي موضع الذين و لم يجز وضع القائم موضع القائمين و لا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة و تكاثر وقوعه في كلامهم و لكونه مستطالا بصلة حقيق بالتخفيف و لذلك نهكوه بالحذف فحذفوا يآءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين و المفعولين - و الثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو و النون انما ذاك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع و الواحد فيهن واحدٌ - او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين و ذراتهم لم يسبقوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تسببه الجماعة بالواحد و انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد و نحوه قوله تعالى مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا و قوله يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ * و [وقود النار] سطوعها و ارتفاع لهبها و من اخواتها وَقَلَ فى الجبل

اذا صعد و علا - و النار جوهر لطيف مضيء حار محرق و النور ضوءها و ضوء كل نير وهو نقيض الظلمة و اشتقاقها من نار ينورُ اذا نفرّ لان فيها حركة و اضطرابا و النور منتشر منها * و[الاضاءة] فرط الانارة و مصداق ذلك قوله هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وهي في الآية متعدية و يحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله و التانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن و اشياء - و تعضده قرأة ابن ابي عبلة فَلَمَّا فَاءَتْ - وفيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة * و [حوله] نصب على الظرف و تاليفه كالدوران و الاطافة و قيل للعام حول لانه يدور - فان قلت اين جواب لَمَّا - قلت فيه وجهان - احدهما ان جوابه ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ و الثاني انه محذوف كما حذف في قوله فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ و انما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدلالة عليه و كان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فَلَمَّا أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكد في احياء النار - فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبمَ يتعلق ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ - قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم - او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان - فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في هذا الوجه الثاني - قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع و اما جمع هذا الضمير و توحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة و على المعنى اخرى * فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ - قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفأها الله و ذهب بنور المستوقد - و وجه آخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام و تلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كُلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ و اما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي و يتبدّوا بها في طرق الغيث فاطفأها الله و خيّب اماديهم - فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد - قلت هو جار على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره - فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فَلَمَّا أَضَآءَتْ - قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا و الغرض ازالة النور عنهم راسا و طمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ * و [الظلمة] عبارة عن عدم النور و انطماسه و كيف جمعها وكيف نكّرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها سبحان وهو قوله[لَّا يُبْصِرُونَ] -

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝

فان قلت فلم وصفت بالاضاءة - قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل و لريح الضلالة عصفة ثم تخفت و نار العرفج مثل لفزوة كل طماح - و افرق بين اذهبه و ذهب به ان معنى اذهبه ازاله و جعله ذاهبا و يقال ذهب به اذا استصحبه و مضى به معه و ذهب السلطان بماله اخذه فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ اذا لَذَهَبَ كُلُّ اِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ و منه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم و امسكه و ما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب - و قرأ اليماني اذهب الله نورهم * [و ترك] بمعنى طرح و خلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظَبْيٍ ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة * ع * فتركته جزر السباع يَنْشِنَهُ * و منه قوله تعالى وَنَتْرُكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين * و [الظلمة] عدم النور و قيل عرض ينافي النور و اشتقاقها من قولهم ما ظَلَمَكَ ان تفعل كذا اي ما منعك و شغلك لانها تَسُدُّ البصر و تمنع الرؤية و قرأ الحسن ظُلْمات بسكون اللام - و قرأ اليماني في ظلمة على التوحيد * و المعمول الساقط من [لا يبصرون] من قبيل المتروك المطرح الذي لايلتفت الى اخطاره بالبال لامن قبيل المقدر المنوي كأنّ الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ - فان قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد - قلت في انهم غبّ الاضاءة خبطوا في ظلمة و تورطوا في حيرة - فان قلت و اين الاضاءة في حال المنافق و هل هو ابدًا الا حائر خابط في ظلماء الكفر - قلت المراد ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم و وراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله و ظلمة العقاب السرمد - و يجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله اسرارهم و ما افتضحوا به بين المؤمنين و اتسموا به من سمة النفاق - و الوجه ان يراد به الطبع لقوله صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ - و في الآية تفسير آخر و هو انهم لما وعظوا بانهم اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى عقّب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد و الضلالة التي اشتروها بطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم و تركه اياهم في الظلمات و تنكير النار للتعظيم * كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدّوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم و ابوا ان ينطقوا به ألسنتهم و ان ينظروا و يتبصروا بعيونهم جعلوا كانما اِيفَتْ مشاعرهم و انتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس و الادراك كقوله * شعر * صمّ اذا سمعوا خيرا ذُكِرْتُ به * و ان ذُكِرْتُ بسوء عندهم اذنوا * ع * اصمّ عمّا ساءه سميع * و كقوله * اصمّ عن الشيء الذي لا اريده * واسمع خلق الله حين اريد * و تونه * فاصممت عمرا و اعميته * عن الجود و الفخر يوم الفخار * فان قلت كيف طريقته عند علماء البيان - قلت طريقة قولهم هم ليوث للشجعان و بحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات و ذاك في الاسماء و قد جاءت الاستعارة في الاسماء و الصفات و الافعال جميعا تقول رايت ليوثا و لقيت عُمّا عن الخير و دجا الاسلام

سورة البقرة ٢ — أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ج

الحزب ١

ع ٢

واضاء الحق - فان قلت هل يسمّى ما في الآية استعارة - قلت مختلف فيه و المحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المفارقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار و يجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنتقل عنه و المنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زُهَير * لدى اسد شاكى السلاح مقذف * له لبدٌ اظفاره لم تقلّم * ومن ثم ترى المُفْلقين السحرة منهم كانهم يتفاسون التشبيه و يُضْربون عن ذكره صفحا - قال ابو تمام * و يصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة فى السماء * و لبعضهم * لا تحسبوا ان في سربالة رجلا * ففيه غيث و ليث مسبل مشبل * و ليس لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة لحذف المبتدأ فاتسلّق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج * اسد عليّ و فى الحروب نعامة * فتخاء تنفر عن صفير الصافر * و معنى [لَا يَرْجِعُونَ] انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع - او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون و لا يدرون ا يتقدمون امْ يتأخرون و كيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه * ثم ثنّى الله سبحانه في شانهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف و ايضاحا غبّ ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال و الاضجار ان يُجمل و يوجز فكذلك الواجب عليه في مواردِ التفصيل و الاشباع ان يُفَصّل و يشبع و اشد الجاحظ * يرمون بالخطب الطوال و تارة * وحي الملاحظ خيفة الرقباء * و مما تُزْجي من التمثيل فى التنزيل قوله وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ و الا ترى الى ذى الرمة كيف صنع في قصيدته * ع * اذاك ام نَمِشٌ بالوشي اكرعه * ح * اذ كل ام خاضب بالسيّ مرتعه * فان قلت قد شبه المنافق فى التمثيل الاول بالمستوقد نارا و اظهاره الايمان بالاضاءة و انقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه فى التمثيل الثاني بالصيب و بالظلمات و بالرعد و بالبرق و بالصواعق - قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر - و ما يتعلق به من شُبه الكفّار بالظلمات - و ما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق - و ما يصيب الكفرة من الافزاع و البلايا و الفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق - و المعنى او كمثل ذوي صيّب و المراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا - فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبّهات و هلّا صرّح به كما فى قوله وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ - وفي قول امرئ القيس * كان قلوب الطير رطبا و يابسا * لدى وكرها العُنّاب و الحشف البالي * قلت كما جاء ذلك صريحا قد جاء مطوّيا ذكره على سنن الاستعارة كقوله وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا

لِرَجُلٍ - والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركّبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدّر شبهه به وهو القول الفصل والمذهب الجزل - ببيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فَتُشَبِّهُهَا بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتُشْبِهُهُ كيفيةٌ حاصلةٌ من مجموع اشياء قد تضامّت وتلاصقت حتى عادت شيئًا واحدا باخر مثلها كقوله تعالى مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا ما يمرّ بدَنَّيه من الكدّ والتعب وكقوله وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ المراد قلّة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فامّا ان يراد تشبيه الاقوال بالاقوال غير منوط بعضها ببعض ومصيّرة شيا واحدا فلا - فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في غلائلهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبّهت حيرتهم وشدّة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق - فان قلت الذي كنتَ تقدّره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيّب هل تقدر مثله في المركب هذه - قلت لولا طلب الراجع في قوله يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة عن مجموع الكلام فلا علىّ اوَلِيَ حرفَ التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به ام لم يَلِهِ - الا ترى الى قوله إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا الاية كيف وَلِيَ الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحّل لتقديره ومما هو بيّنٌ في هذا قول لبيد • وما الناس الا كالديار واهلُها • بها يوم حلّوها وغدْوًا بلاقع • لم يشبّه الناس بالديار وانما شبّه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفناءهم بحلول اهل الديار فيها ورَشْك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية - فان قلت اي التمثيلين ابلغ - قلت الثاني لانه ادلّ على فرط الحيرة وشدّة الامر وفظاعته ولذلك آخَرهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ - فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الاخر بحرف الشك - قلت او في اصلها تساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك نحو قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيّان في استصواب ان يجالسا ومنه قوله تعالى وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا اي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما - وكذلك قوله [أَوْ كَصَيِّبٍ] معناه ان كيفية قصّة المنافقين مشبهة بكيفيتي هاتين القصّتين وان القصّتين سواء في استقلال كل واحد منهما بوجه التمثيل فبايّتهما مثّلتها فانت مُصيب وان مثّلتها بهما جميعا فكذلك - والصَّيِّب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب ايضا صيّب - قال الشماخ • ع • واسحم دانٍ صادقُ الرعد صَيِّب • وتنكير صيّب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل

سورة البقرة ٢ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۖ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝

الجزء ١

ع ٢

كما ذكرت النار في التمثيل الاول - و قرئ كصائب - و الصيّب ابلغ * [و السماء]هذه المُظلّة و عن الحسن انها موج مكفوف - فان قلت قوله من السماء ما الفائدة في ذكره و الصيّب لا يكون الا من السماء - قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من اُفق واحد من بين سائر الافاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كلّ طبقة من الطبقات سماء في قوله تعالى وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا والدليل عليه قوله * ع * و من بُعد ارض بيننا و سماء * و المعنى انه غمام مُطْبِق آخذٌ بآفاق السماء و كما جاء بصيّب و فيه مبالغات من جهة التركيب و البناء و التنكير امّا ذلك بان جعله مُطْبقا و فيه ان السحاب من السماء ينحدر و منها ياخذ ماءه لا كرعم من يزعم انه ياخذه من البحر و يويده قوله تعالى وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ - فان قلت بم ارتفع ظلمات - قلت بالظرف على الاتفاق لا عتماده على موصوف * و [الرعد] الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب تضطرب و تنتفض اذا حدثها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد * [البرق] الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع - فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من ان يراد به السحاب او المطر فايّهما اريد فما ظلماته - قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته و تطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاسفه و انسحاجه بتتابع القطر و ظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل - فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق و الرعد و انما مكانهما السحاب - قلت اذا كانا في اعلاه و مصبّه و ملتبسين في الجملة به فهما فيه - الا تراك تقول فلان في البادية و ما هو منه الا في حيّز يشغله جرمه - فان قلت هلّا جمع الرعد و البرق آخذا بالابلغ كقول البحتري * يا عارضا متلفّعا ببرده * يختال بين برقه و رعده * و كما قيل ظلمات - قلت فيه وجهان - احدهما ان يراد العينان و لكنهما لما كان مصدرين في الاصل يقال رَعَدَتِ السماء رعداً و برقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما و ان اريد معنى الجمع - و الثاني ان يراد الحدثان كانه قيل و ارعاد و ابراق و انما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كانّه قيل فيه ظلمات داجية و رعد قاصف و برق خاطف * و جاز رجوع الضمير في[يَجْعَلُونَ] الى اصحاب الصيّب مع كونه محذوفا قائما مقامه المضاف كما قال الله تعالى أَوْهُمْ قَائِلُونَ لان المحذوف باق معناه و ان سقط لفظه - الا ترى الى حسّان كيف عوّل على بقاء معناه في قوله * يسقون مَن وَرَدَ البريصَ عليهم * بَرَدَى يُصَفِّق بالرحيق السلسل * حيث ذكر يصفّق لان المعنى ماء بردى و لا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد و البرق على ما يوذن بالشدّة و الهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم - فان قلت رؤس الاصابع هو الذي يجعل في الاذن فلِمَ قيل اناملهم - قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ اَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَآ اَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيْهِ ۙ

يحصرها كقوله تعالى فَاغْسِلُوْا وُجُوْهَكُمْ وَاَيْدِيَكُمْ - فَاقْطَعُوْا اَيْدِيَهُمَا اراد البعض الذي هو الى المرفق و الذي الى الرُسغ و ايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل - فان قلت فالاصبع التي تُسدّ بها الاذن اصبعٌ خاصّة فلِمَ ذكر اسم العام دون الخاصّ - قلت لان السبّابة فعّالة من السبّ فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن - الا ترى انّهم قد استبشعوها فكنَوْا عنها بالمُسبّحة والسباحة و المهلّلة والدعاءة - فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات - قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفه الناس في ذلك العهد و انما احدثوها بعد * وقوله [مِنَ الصَّوَاعِقِ] متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولك سقاه من الغَيمة - والصاعقة قَصْفة رعد تنقضّ معها شِقّة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكّت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمرّ بشيء الا اتت عليه الا انّها مع حِدّتها سريعة الخمود يحكى انّها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت - ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق - و منه قوله تعالى وَخَرَّ مُوْسَى صَعِقًا - و قرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف و اذا استويا كان كلّ واحد بناء على حياله - الا تراك تقول صعقه على راسه و صقع الديك و خطيب مُصقع محفر بخطبته - ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستواءهما في التصرف - و بناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة و العاقبة * وقرأ ابن ابي ليلى حذار الموت و انتصب على انه مفعول له كقوله * ع * واغفر عَوَراءَ الكريم ادّخارَه - و [الموت] فساد بنية الحيوان و قيل عَرَض لا يصحّ معه احساس معقب للحيوة * و [احاطة الله بالكافرين] مجاز و المعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاطُ به المحيطَ به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها * و [الخطف] الاخذ بسرعة و قرأ مجاهد يَخْطِفُ بكسر الطاء و الفتح افصح و اعلى و عن ابن مسعود يَخْتَطِفُ و عن الحسن يَخَطِّفُ بفتح الياء و الخاء و اصله يَخْتَطِفُ وعنه يِخِطِّفُ بكسرهما على اتباع الياء الخاءَ و عن زيد بن علي يُخَطِّفُ من خَطَّفَ و عن أُبيّ يَتَخَطَّفُ من قوله وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ * [كُلَّمَآ اَضَآءَ لَهُمْ] استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتَي خُفرق البرق و خفيته وهذا تمثيل لشدّة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيّب و ماهم فيه من غاية التحيّر و الجهل بما يأتون و ما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطَوْا خطوات يسيرةً فاذا خفي و فتر لمعانه بقَوْا واقفين متقيدين عن الحركة وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لزاد في قصيف الرعد فاصمّهم او في ضوء البرق فاعماهم * و [اَضَآءَ] اما متعدّ بمعنى كلّما نوّر لهم ممشى و مسلكا اخذوه و المفعول محذوف - و اما غير متعدّ بمعنى كلّما لمع لهم مشوا في مطرح نوره و ملقى ضوءه - وتعضده قرأة ابن ابي عبلة كلّما ضاء لهم * و [المشي] جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتدّ فهو سعي فاذا

سورة البقرة ٢ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ع

الجزء ١

ع ٢

ازداد فهو عدو - فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما و مع الاظلام اذا - قلت لانهم حراص على وجود ما همّهم به معقود من امكان المشي و تأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها و ليس كذلك التوقف والتحبس * و [أَظْلَمَ] يحتمل ان يكون غير متعدّ وهو الظاهر و ان يكون متعدّيا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قرأة يزيد بن قُطيب أظلم على مالم يسمّ فاعله و جاء في شعر حبيب بن اوس * شعر * هما اظلما حاليّ ثُمّتَ اجليا * ظُلامَيهما عن وجه أمْرَد اشيب * وهو و ان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعلُ ما يقوله بمنزلة ما يرويه - الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فَيَقْتَنِعون بذلك لوثوقهم بروايته و اتقانه * و معنى [قَامُوا] وقفوا و ثبتوا في مكانهم و منه قامت السوق اذا ركدت و قام الماء جَمَدَ * و مفعول [شاء] محذوف لان الجواب يدلّ عليه - والمعنى و لو شاء الله ان يذهب بسمعهم و ابصارهم لذهب بها و لقد تكاثر هذا الحذف في شاء و اراد لا يكادون يبرزون المفعول الّا في الشيء المستغرب كنحو قوله * ع * فلو شئت ان ابكي دما لبكيته * و قوله تعالى لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا - وَلَوْ أَرَادَ اللّٰهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا - و اراد وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ بتصيف الرعد و ابصارهم بوميض البرق - و قرأ ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ * و [الشيء] ما صحّ ان يُعلم و يخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري او اخر الكلم من العربية و انما يخرج التانيث من التذكير الا ترى ان الشيء قد يقع على كلّ ما اخبر عنه من قبل ان يعلم أذكر هو ام أُنثى - و الشيء مذكر و هو اعمّ العام كما ان الله اخصّ الخاصّ يجري على الجسم و العرض و القديم و الحديث تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات و على المعدوم و المحال - فان قلت كيف قيل عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و في الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل و فعل قادر آخر - قلت مشروط في حدّ القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلّها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير و نظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم و لم يدخل فيهم نفسه و ان كان من جملة الناس و اما الفعل بين قادرين فمختلف فيه - فان قلت مِمَّ اشتقاق القدير - قلت من التقدير لانّه يوقع فعله على مقدار قوّته و استطاعته و ما يتميز به عن العاجز * لمّا عدّد الله تعالى فِرَق المكلّفين من المؤمنين و الكفّار والمنافقين و ذكر صفاتهم و احوالهم و مصارف امورهم و ما اختصّت به كلّ فرقة ممّا يُسعدها و يشقيها و يخطيها عند الله تعالى و يُرديها اقبل عليهم بالخطاب و هو من الالتفات المذكور عند قوله تعالى إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وهو فنّ من كلام جَزْل فيه هزّ و تحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصّته كيتَ و كيتَ فقصصتَ عليه ما فرّط منه ثم عدلتَ بخطابك الى الثالث فقلتَ يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك و تستوي على جادة السداد في مصادرك

و موارد بتبعده بالتفاوت نحوه فضل تنبيه و استدعيت اصغاءه الى ارشاده بادئ استدعاء و اوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا تجده اذا استمرت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الاذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول - وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يَا أَيُّهَا النَّاسُ فهو مكي ويَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فهو مدني - فقوله تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ] خطاب لمشركي مكة - ويَا حرف وضع في اصله لنداء البعيد - و هَا صوت يلتف به الرجل ممن يناديه اما نداء القريب فلك أيّ و الهمزة ثم استعملت في مناداة مَن سَها و غَفل و ان قرب تنزيلا له منزلة مَن بَعُدَ فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتاكيد الموذن بان الخطاب الذي يتلوه معنيّ به جدٌّ - فان قلت فما بال الداعي يقول في جُؤاره يا ربّ و يا اللّٰه و هو اقرب اليه من حبل الوريد و اسمع به و ابصر - قلت هو استقصار منه لنفسه و استبعاد لها من مظانّ الزلفى و ما يقرّبه الى رضوان اللّٰه و منازل المقربين هضما لنفسه و اقرارا عليها بالتفريط في جنب اللّٰه مع فرط التهالك على استجابة دعوته و الاذن لندائه و ابتهاله • و [أيّ] وصلة الى نداء ما فيه الالف و اللام كما ان ذو و الذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس و وصف المعارف بالجُمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه و يزيل ابهامه فلا بدّ ان يردفه اسم جنس اوما يجري مجراه و يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو أيّ و الاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الّا ان أيّا لا يستقلّ بنفسه استقلال زيد فلم ينفكّ من الصفة و في هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضربٌ من التاكيد و التشديد - و كلمة التنبيه المقحمةُ بين الصفة و موصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء و مكانفته بتاكيد معناه و وقوعها عوضا مما يستحقه أيّ من الاضافة - فان قلت لم كثر في كتاب اللّٰه النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره - قلت لاستقلاله بارجه من التاكيد و اسباب من المبالغة لان كل ما نادى اللّٰهُ له عبادَهُ من اوامره و نواهيه و عظاته و زواجره و وعده و وعيده و اقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم و غير ذلك مما نطق به كتابه امورٌ عظام و خطوب جسام و معانٍ عليهم ان يتبسّطوا لها و يميلوا بقلوبهم و بصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ - فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين و الكافرين جميعا اوالى كفار مكة خاصّة على ما روي عن علقمة و الحسن فالمؤمنون عابدون ربّهم فكيف أُمروا بما هم ملتبسون به و هل هو الّا كقول القائل • شعر • فلو انني فعلتُ كنتُ كمَنْ • تسأله وهو قائم أن يقوما • و اما الكفار فلا يعرفون اللّٰه ولا يُقرّون به فكيف يعبدونه - قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها و اقبالهم و ثباتهم عليها و اما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لابدّ لها منه و هو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة شرائطها من الوضوء

اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝

سورة البقرة ۲
الجزء ۱
ع ۳

و النية و غيرها و ما لابدّ للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به و ان لم يذكر حيث لم ينفعل الّا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكّة كانوا يعرفون الله و يعترفون به و لئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله - فان قلت فقد جعلت قوله [اعْبُدُوا] متناولا شيئين معا - الامرَ بالعبادة - والامرَ بازديادها - قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا اخر * فان قلت [ربكم] ما المراد به - قلت كان المشركون معتقدين ربوبيّتين ربوبيّة الله و ربوبيّة آلهتهم فان خصّوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه ربّ السموات و الارض و الآلهة التي كانوا يسمّونها اربابا فكان قوله الَّذِي خَلَقَكُمْ صفةً موضحةً مميّزةً و ان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة * و [الَّذِي خَلَقَكُمْ] صفة جرت عليه على طريق المدح و التعظيم و لا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح و اصحّ * و [الخلق] ايجاد الشيء على تقدير و استواء يقال خلق النعل اذا قدّرها و سوّاها بالمقدس - وقرأ ابو عمرو خَلَقَكُمْ بالادغام * وقرأ ابو السميفع وَ خَلَقَ مَنْ قَبْلَكُمْ و في قرأة زيد بن علي وَالَّذِينَ مَنْ قَبْلَكُمْ و هي قرأة مشكلة و وجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في قوله * ع * يا تيم تيم عدي لا ابا لكم * تيم الثاني بين الاول وما اضيف اليه و كاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك * و [لعلّ] للترجي او الاشفاق تقول لعلّ الله يكرمني و لعلّه يهينني و قال الله تعالى لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى - لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ الا ترى الى قوله وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا و قد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فَعَلَ ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به - قال من قال ان لعلّ بمعنى كي و لعلّ لا تكون بمعنى كي و لكن الحقيقة ما القيتُ اليك و ايضا فمن دَيْدَن الملوك و ما عليه اوضاع امورهم و رسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطّنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى و لعلّ و نحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالزمرة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عُثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح و الفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذي العزة و الكبرياء - او تجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ - فان قلت فلعلّ التي في الآية ما معناها و موقعها - قلت ليست ممّا ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تعالى تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب و الشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا و لكن لعلّ واقعة في الاية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله تعالى خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف و ركب فيهم العقول و الشهوات و ازاح العلة في اقدارهم و تمكينهم و هداهم النجدين و وضع في ايديهم زمام الاختيار و اراد منهم الخير و التقوى فهم في صورة

سورة البقرة ۲ الجزء ۱ ع ۳

الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ فِرَاشًا وَّ السَّمَآءَ بِنَآءً وَّ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً

المرجوّ منهم ان يتّقوا لترجّح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل و مصداقه قوله عزّ وجلّ لِيَبْلُوَكُمْ اَيُّكُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا و انما يبلو و يختبر مَن يخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار - فان قلت كما خلق المخاطبين لعلّهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلِمَ قصره عليهم دون من قبلهم - قلت لم يقصره عليهم و لكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ و المعنى على ارادتهم جميعا - فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا و اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم - قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدّي ذلك الى تنافر النظم و انما التقوى قُصارى امر العابد و مُنتهى جهده فاذا قال اُعْبُدُوْا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعثَ على العبادة و اشدَّ الزاما لها و اثبت لها في النفوس و نحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتْكَ يميني الا الجرّ الاثقال و لو قلت لحمل خريطة الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع * قدّم سبحانه و تعالى من موجبات عبادته و ملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اوّلاً لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها و السبب في التمكن من العبادة و الشكر و غيرهما - ثم خلق الارض التي هي مكانهم و مستقرهم الذي لابدّ لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن و متقلّبه و مفترشه - ثم خلق السماء التي هي كالقبّة المضروبة و الخيمة المطنّبة على هذا القرار - ثم ما سوّاه عزّ وجلّ من شبه عقد النكاح بين المقلّة و المظلّة بانزال الماء منها عليها و الاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون ذلك لهم معتبرا و متسلّقا الى النظر الموصل الى التوحيد و الاعتراف و نعمةً يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر و يتفكرون في خلق انفسهم و خلق ما فوقهم و تحتهم و انّ شيأ من هذه المخلوقات كلّها لا يقدر على ايجاد شيئ منها فيتيقّنوا عند ذلك ان لابدّ لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا و هم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر - والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح و التعظيم و اما ان يكون رفعا على الابتداء و فيه ما في النصب من المدح - و قرأ يزيد الشامي بِساطاً وقرأ طلحة مِهاداً - و معنى جعلها فراشا و بساطا و مهادا للناس انهم يقعدون عليها و ينامون و يتقلّبون كما يتقلّب احدهم على فراشه وبساطه و مهاده - فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مُسَطَّحة و ليست بكُرية - قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكُرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها و اتّساع جرمها وتباعد اطرافها و اذا كان متسهلا في الجبل و هو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول و العرض اسهل * و [البناء] مصدر سمّي به المبني بيتا كان او قُبّة او خباء او طراف و البنية العرب اخبيتهم و منه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوّجوا ضربوا عليها خباء جديدا - فان قلت

سورة البقرة ٢ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۚ فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝

الجزء ١

ع ٣

ما معنى اخراج الثمرات بالماء و انما خرجت بقدرته و مشيّته - قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها و مادّة لها كماء الفحل في خلق الولد و هو قادر على ان ينشئ الاجناس كلّها بلا اسباب و لا موادّ كما انشأ نفوس الاسباب و الموادّ ولكن له في انشاء الاشياء مدرّجا لها من حال الى حال و ناقلا من مرتبة الى مرتبة حِكَمًا و دواعي يجدّد فيها لملائكته و النظّار بعيون الاستبصار من عباده عِبَرا و افكارا صالحة و زيادة طمانينة و سكون الى عظيم قدرته و غرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج و ترتيب * و [مِنْ] في مِنَ الثَّمَرٰتِ للتبعيض بشهادة قوله تعالى فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ و قوله فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ - و لان المنكّرين اعني [مَاءً] و [رِزْقًا] يكتنفانه و قد قصد بتنكيرهما معنى البعضيّة فكانه قيل و انزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم و هذا هو المطابق لصحّة المعنى لانه لم يُنزل من السماء الماء كلّه و لا اخرج بالمطر جميع الثمرات و لا جعل الرزق كلّه في الثمرات - و يجوز ان تكون للبيان كقولك انفقتُ من الدراهم الفا - فان قلت فبِمَ انتصب رزقا - قلت ان كانت مِنْ للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له و ان كانت مُبيّنة كان مفعولا لِأَخْرَجَ * فان قلت [فالثمر] المخرج بماء السماء كثير جمّ فلِمَ قيل الثمرات دون الثُّمُر و الثمار - قلت فيه وجهان - احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره و نظيره قولهم كلمة الحُويدرة لقصيدته و قولهم للقرية المَدَرَةُ و انما هي مُدَرٌ متلاحِقٌ - و الثاني ان الجموع تتعاور بعضها موقع بعض لالتقائهما في الجمعية كقوله تعالى كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ - وَثَلٰثَةَ قُرُوءٍ و تعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السُّميفع من الثمرة على التوحيد * و [لكم] صفةٌ جاريةٌ على الرزق ان اريد به العين و ان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم - فان قلت بِمَ تعلق فَلَا تَجْعَلُوا - قلت فيه ثلثة اوجه - ان يتعلق بالامر اي اعْبُدُوا رَبَّكُمْ فلا تجعلوا لله اندادا لان اصل العبادة و اساسها التوحيد و ان لا يُجعل لله ندّ و لا شريك - او بلعلّ على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطّلع في قوله عزّ و جلّ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمٰوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلٰهِ مُوسَىٰ في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا و تخافوا عقابه فلا تُشبّهوه بخلقه - او بالّذي جَعَلَ لَكُمُ اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حقكم بهذه الايات العظيمة و الدلائل النيّرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء * و [النّد] المثل و لا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير * أَتيمًا تجعلون اليَّ ندًّا * و ما تيم لذي حسب نديد * و ناددتُ الرجل خالفته و نافرته من ندّ ندودا اذا نفر و معنى قولهم ليس لله ندّ و لا ضدّ نفي ما يسدّ مسدّه و نفي ما ينافيه - فان قلت كانوا يسمّون اصنامهم باسمه و يعظّمونها بما يعظّم به من القرب و ما كانوا يزعمون انها تخالف الله و تناويه - قلت لما تقربوا اليها و عظّموها و سمّوها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة مثله قادرة على مخالفته و مضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم و كما تهكم بهم بلفظ الند شُنِع عليهم و استفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ص

لمن لا يصحّ ان يكون له ندّ قطّ و في ذلك قال زيد بن عمرو بن نُفيل حين فارق دين قومه * أَرَبًّا واحدًا ام الف ربّ * ادين اذا تُقسّمتَ الامور * و قرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندًّا * فان قلت ما معنى قوله [وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] - قلت معناه وحالكم و صفتكم انكم من صحّة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور و غوامض الاحوال و الاصابة في التدابير و الدهاء و الفطنة بمنزل لا تدفعون عنه و هكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش و كنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور و حسن الاحاطة بها و مفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم و المعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرّافون المميّزون ثم انّ ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل و نهاية سخافة العقل - و يجوز ان يقدر وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انه لا يماثل - او انتم تعلمون ما بينه و بينها من التفاوت - او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله تعالى هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ * لمّا احتجّ عليهم بما يثبت الوحدانية و يحقّقها و يبطل الاشراك و يهدمه و علّم الطريق الى اثبات ذلك و تصحيحه و عرّفهم ان مَن اشرك فقد كابر عقله و غطّي على ما انعم عليه من معرفته و تمييزه عَطَفَ على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوّة محمد صلّى الله عليه و سلم و ما يُدحّض الشبهة في كون القرآن مُعجزةً و اراهم كيف يتعرّفون أهو من عند الله كما يدّعي ام هو من عند نفسه كما يدّعون بارشادهم على ان يحزروا انفسهم و يذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه و اهل جلدته - فان قلت لم قيل مِمَّا نَزَّلْنَا على لفظ التنزيل دون الانزال - قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج و التنجيم وهو من مجازة لمكان التحدي و ذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة و آيات غبّ آيات على حسب النوازل و كفاء الحوادث و على سنن ما نرى عليه اهل الخطابة و الشعر من وجود ما يوجد منهم مفرّقا حينا فحينا و شيئًا فشيئًا حسب ما يعنّ لهم من الاحوال المتجدّدة و الحاجات السانحة لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربةً فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل و تدريج فهاتوا انتم نوبةً واحدة من نُوَبه و هلّموا نجمًا فردا من نُجُومه سورة من اصغر السُّور او آيات شتّى مفتريات وهذه غاية التبكيت و منتهى ازاحة العلل - وقرئ على عبادنا يريد رسول الله و اُمّته * و [السورة] الطائفة من القران المترجمة التي اقلّها ثلث آيات و واوها ان كانت اصلا - فاما ان تسمّى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسوّر ولانها محتوية على فنون من العلم و اجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها - و اما ان تسمّى بالسورة التي هي الرُّتبة - قال النابغة * و الرهط حرّاب وقدّ سُورةٌ * في المجد ليس غراب المطار * لاحد معنيين لان السور

بمنزلة المنازل و المراتب يترقى فيها القاري وهي ايضا في انفسها مترتبة طول و اوساط و قصار او لرفعة شانها و جلالة محلها في الدين - و ان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة و طائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه - فان قلت ما فائدة تفصيل القرآن و تقطيعه سُوَرا - قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة و لامر ما انزل الله التورية و الانجيل و الزبور و سائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسوّرة مترجمة السور و بوّب المصنفون في كلّ فنّ كتبهم ابواباً موشّحة الصدور بالتراجم - و من فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع و اشتمل على اصناف كان احسن و ابجل و افخم من ان يكون بيانا واحدا - و منها ان القاري اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له و اهزّ لعطفه و ابعث على الدرس و التحصيل منه لو استمرّ على الكتاب بطوله و مثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بَريد نفّس ذلك منه و نشّطه للسير و من ثم جزّأ القُرّاءُ القرآن اسباعا و اجزاء و عشورا و اخماسا - و منها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة و خاتمة فيعظم عنده ما حفظه و يَجِلُّ في نفسه و يغتبط به - و منه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة و آل عمران جدّ فينا و من ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل - و منها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال و النظائر و ملاءمة بعضها لبعض و بذلك يتلاحظ المعاني و يتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع * و [مِنْ مِثْلِهِ] متعلق بِسُورَةٍ صفة لها اى بسورة كائنة من مثله و الضمير لما نَزَّلْنَا او لعَبدِنَا - و يجوز ان يتعلق بقوله فَأْتُوا و الضمير للعبد - فان قلت و ما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل - قلت معناه فاتوا بسورة ممّا هو على صفته في البيان الغريب و علو الطبقة في حسن النظم - او فاتوا ممّن هو على حاله من كونه بشرا عربيّا او اميّا لم يقرأ الكتب و لم ياخذ من العلماء و لا قصد الى مثل و نظير هذا لك و لكنه نحو قول القبعثرى للحجاج و قد قال له لأحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم و الاشهب اراد منه من كان على صفة الامير من السلطان و القدرة و بسطة اليد و لم يقصد احدا بجعله مثلا للحجاج - و ردّ الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى [illegible] و لان القرآن حديث معجز بليغ و واقع في اصح [illegible] و حاله مع ردّ الضمير الى المنزل احسن ترتيبا و ذلك ان احدث في اول [illegible] و هو مسوق [illegible] ان لا يذلك عنه بردّ الضمير الى غيره - الا ترى ان المعنى و ان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم ايضا مما هاله و بجانسه و تقدر [illegible] لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال و ان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله و لانه اذا خوطبوا جميعا وهم الجمّ الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات واحد اخر بنحو ما اتى به

سورة البقرة ٢ الجزء ١ ع ٣

وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝

هذا الوحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ - و [الشُّهَدَاءَ] جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة و معنى دون ادنى مكان من الشيئ و منه الشيئ الدون و هو الدني الحقير ودوّن الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء إدناء بعضها من بعض و تقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان احطّ منه قليلا و دونك هذا اصله خُذْه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر و استعير للتفاوت في الاحوال و الرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف و العلم و منه قول من قال لعدوّه وقد رءآه بالثناء عليه انا دون هذا و فوق ما في نفسك واُتّسع فيه فاستعمل في كلّ تجاوز حدّ الى حدّ و تخطّي حكم الى حكم - قال الله تعالى لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين و قال اميّة * ع * يا نفس مالك دون الله من واق * اي اذا تجاوزت وقاية الله ولم تبالها لم يقك غيره * و [مِنْ دُونِ اللَّهِ] متعلق بادْعُوا او بشُهَدَاءَكُمْ - فان علقته بشهدائكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله و زعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى * تريك القذى من دونها و هي دونه * اي تريك القذى قُدّامها و هي قدام القذى لرقّتها و صفائها - و في امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لاينطق في معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون اوليائه و من غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله - و هذا من المساهلة و ارخاء العنان و الاشعار بان شهداءهم و هم مداره القوم الذين هم وجوه المشاهد و فرسان المقاولة و المناقلة تابى عليهم الطباع و تجمح بهم الانسانيّة و الانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحّة الفاسد البيّن عندهم فساده و استقامة المحال الجلي في عقولهم احالته و تعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز - و ان علّقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لاتستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندّعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحّة دعواه و ادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بيّنة تُصحّح بها الدعاوي عند الحُكّام و هذا تعجيز لهم و بيان لانقطاعهم و تخزّلهم و ان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبّثا غير قولهم الله يشهد انّا لصادقون و قولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز و سقوط القدرة - و عن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشيّ و الحمد لله فقيل قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة - او ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد و هو بينكم و بين اعناق رواحلكم و الجنّ و الانس شاهدوكم فادعوا كلّ من يشهدكم واستظهروا به من الجنّ و الانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كلّ شاهد من شهداءكم فهو في معنى قوله قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ الاية * لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلّى الله عليه و سلم و ما جاء به حتى يعثروا على حقيقته و سرّه وامتياز حقّه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز

سورة البقرة ٢ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ

الجزء ١

ع ٣ عنه فقد صرّح الحق عن محضه و وجب التصديق فامنوا و خافوا العذاب المعدّ لمن كذّب و فيه دليلان على اثبات النبوّة و صحّة كون المتحدّى به معجزا و الاخبار بانهم لم يفعلوا و هو غيب لايعلمه الا الله - فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلّا جيء باذا الذي هو للوجوب دون ان الذي للشك - قلت فيه وجهان - احدهما ان يساق المقول معهم على حسب حسبانهم و طمعهم و ان العجز عن المعارضة كان قبل التامّل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم و اقتدارهم على الكلام - و الثاني ان يتهكّم بهم كما يقول الموصوف بالقوّة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاومه ان غالبتك لم ابق عليك و هو يعلم انه غالبه و يتيقنه تيقنا به - فان قلت لم عُبّر عن الاتيان بالفعل و اىّ فائدة في تركه اليه - قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعمَ ما فعلتَ و الفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا و وجازة تغنيك عن طول المكنىّ عنه - الا ترى ان الرجل يقول ضربتُ زيدا في موضع كذا على صفة كذا و شتمته و نكّلت به و يعدّ كيفيّات و افعالا فتقول له بئسَ ما فعلتَ و لو ذكرت ما ابدتَهُ عنه لطال عليك و كذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستُطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله - فان قلت [وَلَنْ تَفْعَلُوا] ما محلّها - قلت لا محلّ لها انها جملة اعتراضيّة - فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي - قلت لا ولن اُختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا و تشديدا تقول لصاحبك لا اُقيم غدًا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدًا كما تفعل في انا مُقيم و انّي مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا انْ و عند القرّاء لا ابدلت الفُها نونا و عند سيبويه و احدى الروايتين عن الخليل حرف مستقل بنفسه نافٍ للمستقبل - فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة - قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس و يتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنىّ العادة محال لا سيّما و الطاعنون فيه اكثف عددا من [...] فلمّا عدلوا عن ذلك علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة * فان قلت ما معنى اشتراطه في [...] انهم اتوا بسورة من مثله - قلت انهم اذا لم ياتوا بها و يئس عجزهم عن المعارضة صحّ عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و اذا صحّ عندهم صدقه ثم لزموا عناده و لم ينقادوا و لم يتّبعوه استوجب العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فَاتَّقُوا النَّارَ موضع فاتركوا العناد لصيقُهُ و ضميمه ترك العناد من حيث انه من تقاصيل [...] ترك العناد و يجوز ان يقول الملك لجنده ان ظفرتم بالعدوّ فاحضروا [...] و اعملوا عملي و افعلوا ما هو نتيجة حذر السخط و هو من باب الكناية التي هو شُعْبة من شُعَب البلاغة و فائدته الايجاز الذي هو من غاية القرآن و تهويل شان العناد بامارة اتقاء النار منابه و ابرازه في صورته مشيّعا ذلك بتهويل صفة النار و تفظيع

الَّتِيْ وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۚ اُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ ۝

امرها * و [الوَقُودُ] ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح - قال سيبويه و سمعنا من العرب من يقول وقدت النارُ وَقودا عاليا ثم قال و الوُقود اكثر و الوَقود الحطب - و قرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان فَخْر قومه و زين بلده - و يجوز ان يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط اى ليست حيوته الّا به فكانّ نفسُ السليط حيوته - فان قلت صلة الذي و التي يجب ان يكون قصّة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس و الحجارة - قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ - فان قلت فلِمَ جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكّرة في سورة التحريم و هٰهنا معرفة - قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اوّلا * فان قلت ما معنى قوله [وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ] - قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانّها لا تتقد الا بالناس و الحجارة و بان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اوّلا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماءه و تلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق و يحمى بالنار و بانها لافراط حرّها و شدّة ذكاءها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها - فان قلت أنار الجحيم كلّها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتّى منها نار بهذه الصفة - قلت بل هي نيران شتّى منها نار توقد بالناس والحجارة يدلّ على ذلك تنكيرها في قوله قُوْا اَنْفُسَكُمْ وَاَهْلِيْكُمْ نَارًا وَّقُوْدُهَا النَّاسُ - فَاَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظّٰى و لعلّ لكفّار الجنّ و شياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكلّ جنس بما يشاكله من العذاب - فان قلت لِمَ قُرِنَ الناس بالحجارة و جعلت الحجارة معهم وقودا - قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما و جعلوها له اندادا و عبدوها من دونه - قال الله تعالى اِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ و هذه الآية مفسّرة لما نحن فيه فقوله اِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ في معنى الناس والحجارة وحَصَبُ جَهَنَّمَ في معنى وقودها ولما اعتقد الكفّار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم و يستدفعون المضارّ عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محمّاة في نار جهنّم ايلاما في ايلامهم و اغراقا في تحسيرهم - و نحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم و فضتهم عدّة و ذخيرة فشحّوا بها و منعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم و جنوبهم - و قيل هي حجارة الكبريت و هو تخصيص بغير دليل و ذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل * [اُعِدَّتْ] هيأت لهم و جعلت عدّة لعذابهم و قرأ عبد الله عُدّت من العتاد بمعنى العُدّة * من عادته عزّ و علا في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب و يشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن

سورة البقرة ٢ وَ بَشِّرِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ

الحجر ١

ع ٣ اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفّار و اعمالهم و اوعدهم بالعقاب قفّاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي و حموها عن الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب * فان قلت مَن المامور بقوله [وَبَشِّر] - قلت يجوز ان يكون رسول الله صلّى الله عليه و سلم و ان يكون كلّ واحد كما قال النبي عليه السلام بشّر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيٰمة لم يامر بذلك واحدا بعينه و انما كلّ احد مامور به و هذا الوجه احسنُ و اجزل لانه يوذن بان الامر لعظمه و فخامة شانه محقوق بان يبشّر به كلّ من قدر على البشارة به - فان قلت عَلَامَ عطفَ هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصحّ عطفه عليه - قلت ليس الذي أعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد و الارهاق و بشّر عمروا بالعفو و الاطلاق - ولك ان تقول هو معطوف على قوله فَاتَّقُوْا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشّر يا فلانُ بني اسد باحساني اليهم - وفي قراءة زيد بن علي رضي الله وبُشِّرَ على لفظ المبني للمفعول عطفا على اُعِدَّتْ * و [البشارة] الاخبار بما يظهر سرور المُخبر به و من ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايُّكم بشّرني بقدوم فلان فهو حرّ فبشروه فرادى عتق اوّلهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكانَ بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه - ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوءه واما فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوّه ابشر بقتل ذريّتك ونهب مالك ومنه قوله فَاُعْتِبُوْا بِالصَّيْلَمِ * و [الصالحة] نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحُطيئة * شعر * كيف الهجاء وما تنفكّ صالحة * مِنْ آلِ لَامْ بظَهْرِ الغيب تاتيني * والصَّالِحَات كلّ ما استقام من الاعمال بدليل العقل و الكتاب و السنّة و اللام للجنس - فان قلت ايّ فرق بين لام الجنس داخلةً على المفرد و بينها داخلةً على المجموع - قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه - واذا دخلت على المجموع صلح لان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد منه لانّ وزانه في تناول الجمعيّة في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعيّة في جُمَل الجنس لا في وُحدانه - فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام - قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكاليف * و [الجَنَّة] البستان من النخل و الشجر المتكاثف المظلّل بالتفاف اغصانه قال زُهير * تسقي جنة سُحقًا * اي نخلا طوالا - و التركيب دائر على معنى الستر و كانّه لتكاثفها و تظليلها سميّت بالجنّة التي هي المرة من مصدر جَنّه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها و سمّيت

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا

دار الثواب جنة لما فيها من الجنان - فان قلت الجنة مخلوقة ام لا - قلت قد اختلف في ذلك و الذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى ادم و حواء الجنة و بمجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي و الرسول و الكتاب و نحوها - فان قلت ما معنى جمع الجنة و تنكيرها - قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان - فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان و العمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر و ان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة و ترك المعصية فهلا شرط ذلك - قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان و العمل الصالح و البشارة مختصة بمن يتوافقا وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة و الثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده و يذهب بحسنه و انه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا - و اعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه و سلم و هو اكرم الناس عليه و اعزهم لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ و قال للمؤمنين وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ بِقَوْلِهِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ كان اشتراط حفظهما من الاحباط و الندم كالداخل تحت الذكر - فان قلت كيف صورة جري الانهار من تحتها - قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية - و عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود و انزه البساتين و اكرمها منظرا ما كانت اشجاره مُظِلَّة و الانهار في خلالها مطردة و لولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى و اللذة الكبرى و ان الجنان و الرياض و ان كانت انق شيء و احسنه لا تروق النواظر و لا تبهج الانفس و لا تجلب الارتياحية و النشاط حتى يجري فيها الماء و الا كان الانس الاعظم فائتاً و السرور الاوفر مفقودا و كانت كتماثيل لا ارواح فيها و صور لا حيوة لها لمّا جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قرآن واحد كالشيئين لابدّ لاحدهما من صاحبه و لمّا قدّمه على سائر نعوتها * و [النهر] المجرى الواسع فوق الجدول و دون البحر يقال لبَرَدَى نهر دمشق و للنيل نهر مصر و اللغة الغالبة النهر بفتح الهاء و مدار التركيب على السعة و اسناد الجري الى الانهار من اسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق و صيد عليه يومان - فان قلت لم نكرت الجنات و عرفت الانهار - قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر - و اما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري و التين و العنب و الوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب - او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا - او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ الآية * و قوله [كُلَّمَا رُزِقُوا] لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم تخلُ خلد السامع ان يقع فيه أثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس آخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها و ان

سورة البقرة ٢ الجزء ١ ع ٣

مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ٭

اجناسها تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله تعالى * فان قلت ما موقع [مِنْ ثَمَرَةٍ] - قلت هو كقولك كما اكلتُ من بستانك من الرمّان شبعا حمدتُك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمّان كانه قيل كلما رزقوا من الجنّات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمّانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك - فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنّات والرزق من الجنّات قد ابتدئ من ثمرة و تنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فيقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من رمان - و تحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنّات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنّات مبتدئا من ثمرة و ليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذّة على هذا التفسير و انما المراد النوع من انواع الثمار - و وجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيان على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد و على هذا يصحّ ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجنّة الواحدة * فان قلت كيف قيل [هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ] وكيف يكون ذات الجنة عندهم هي الجنّة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا - قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل و شبهه بدليل قوله وَ أُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا و هذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة رحمه الله تريد انه لاستحكام الشبه كانّ ذاته ذاته - فان قلت الام يرجع الضمير في قوله [وَأُتُوا بِهِ] - قلت الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين و نظيره قوله تعالى إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَى بِهِمَا اي بجنسي الغنى والفقر لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد - فان قلت لاي غرض تتشابه ثمر الدنيا و ثمر الجنّة وما بال ثمر الجنّة لم يكن اجناسا اخر - قلت ان الانسان بالمألوف آنسُ و الى المعهود اميل و اذا راى ما لم يألفه نفر عنه طبعه و مالته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد و تقدم له معه الف و راى فيه مزية ظاهرة و فضيلة بيّنة و تفاوتا بينه و بين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه و اغتباطه وطال به استعجابه و استغرابه و تبيّن كُنه النعمة فيه و تحقق مقدار الغبطة به و لو كان جنسا لم يعهدوه وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبيّن موقع النعمة حق التبيّن فحين ابصروا الرمّانة من رمّان الدنيا و مبلغها في الحجم و ان الكبرى لا تفضل عن حدّ البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمّانة الجنّة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنّة تقلّ هجر كما رأوا ظلّ الشجرة من شجر الدنيا و قدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنّة يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل و اظهر للمزيّة و اجلب للسرور و ازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمّان و ذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما و تردد هذا القول وتطقيم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر و تمادي الحال في ظهور مزية و تمام فضيلة و على ان ذلك التفاوت

ع ٣ العظيم هو الذي يستملئ تعجبهم و يستدعي تفخيمهم في كل اوان - عن مسروق نخل الجنّة نضيد من اصلها الى فرعها و ثمرها امثال القلال كلما نُزعت ثمرة عادت مكانها اخرى و انهارها تجري في غير اُخدود والعُنقود اثنا عشرة ذراعا - و يجوز ان يرجع الضمير في اُتُوا بِهِ الى الرِّزق كما ان هذا اشارة اليه و يكون المعنى ان ما يُرزقونه من ثمرات الجنّة ياتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يوتى احدهم بالصَّحْفة فياكل منها ثم يوتى بالاخرى فيقول هذا الذي اُتينا به من قبل فيقول الملك كُلْ فاللون واحد والطعم مختلف - و عنه صلّى الله عليه و سلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنّة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها و البيئةُ هيئة الاولى قالوا ذلك و التفسير الاول هو هو - فان قلت كيف موقع قوله وَ اُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا من نظم الكلام - قلت هو كقولك فلان احسن بفلان و نعم ما فعل و راى من الراي كذا و كان صوابا و منه قوله تعالى وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً و كذلك يفعلون و ما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير * والمراد [بتطهير الازواج] ان طُهِّرْنَ مما يختصّ بالنساء من الحيض و الاستحاضة و ما لا يختصّ بهنّ من الاقذار و الادناس - و يجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع و طبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا ممّا يَكْتَسِبْنَ بانفسهن و ما يأخُذْنه من اعراق السوء و المناصب الرديّة و المناشي المفسدة و من سائر عيوبهنّ و مثالبهن و خبثهن و كيدهن - فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كما الموصوف - قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن و هُنّ فاعلات و فواعل و النساء فعلت و هي فاعلة و منه بيت الحماسة * شعر * و اذا العذارى بالدخان تقنعت * و استعجلت نصب القدور فملّت * و المعنى و جماعة ازواج مطهّرة - و قرأ زيد بن علي مطهّرات و قرأ عبيد بن عمير مطهّرة بمعنى متطهرة و في كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهّر به اطهّرة اى فاتطهّر به تطهّرة - فان قلت فما قيل طاهرة - قلت في مطهرة فخامة لصفتين ليست في طاهرة و هي الشعاربان مطهرا طهرهن و ليس ذلك الا الله عزّوجلّ المريد بعباده الصالحين ان يخوّلهم كل مزية فيما اعدّ لهم * و [الخلد] الثبات الدائم و البقاء اللازم الذي لا يتقطع قال الله تعالى وَ مَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ - أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ و قال امرأ القيس * شعر * أَلَا انعم صباحا ايّها الطلل البالي * و هل ينعمن من كان في العصر الخالي * و هل ينعمن الا سعيدٌ مخلّدٌ * قليل الهموم ما يبيت بأوجال * [إِنَّ اللَّهَ] سبقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة و السفهاء او اهل العناد و المراء من الكفّار و استغربوه من ان تكون المحقّرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار و الاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى و رفع الحجاب عن الغرض المطلوب و ادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله

و ان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم و الحقارة فى المضروب به المثل اذاً إلا امرا تستدعيه حال المتمثل له و تستجرّه الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضيّة. الاترى الى الحق لمّا كان واضحا جليّا الجم كيف تمثل له بالضياء و النور و الى الباطل لما كان بضدّ صفته كيف تمثل له بالظلمة و لمّا كانت حال الآلهة التي جعلها الكفّار انداداً لله تعالى لا حال احقر منها و اقلّ و لذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف و الوهن و جعلت اقلّ من الذباب و اخسّ قدرًا و ضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستذكر و لم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة انه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضيّة مضربه محتفظ على مثال ما يحتكمه و يستدعيه. و لعيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف و العمل على العدل و السوّية و النظر فى الامور بناظر العقل اذ سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته و الصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله و ان الكفّار الذين غلبهم الجهل على عقولهم و غضبهم على بصائرهم فلا يتفطنون و لا يلتون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حُبّ الرياسة و هوى الالف و العادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا و قضوا عليه بالبطلان و قابلوه بالانكار و ان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين و انهماك الفاسقين في غيّهم و ضلالهم و العجبُ منهم كيف انكروا ذلك و ما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم و الطيور و اجناس الارض و الحشرات و الهوام و هذه امثال العرب بين ايديهم مسيّرة في حواضرهم و بواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذَرّة و اجرأ من الذباب و اسمع من قُراد و أصْرد من جرادة و اضعف من فراشة و آكل من السوس و قالوا في البعوضة اضعف من بعوضة و اعزّ من مُخّ البعوض و كتقدني مُخّ البعوض و لقد ضربت الامثال فى الانجيل بالاشياء المحتقرة كالزُوان و النخالة وحبّة الخردل و الحصاة و الارضة و الدود و الزنابير و التمثيل بهذه الاشياء و باحقر منها مما لا تغبي استقامته و صحّته على من به ادنى مسكة و لكن دَيدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل و لا متشبّث بامارة و لا إقناع ان يرضى لفرط الحيرة و العجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح و انكار المستقيم و التعويل على المكابرة و المغالطة اذ لم يجد سوى ذلك معوّلا. و عن الحسن و قتادة لما ذكر الله تعالى الذباب و العنكبوت في كتابه و ضرب به المشركين المثل ضحكت اليهود و قالوا ما يشبه هذا كلامَ الله فانزل الله عزّ و جلّ هذه الآية. و [الحياء] تغيّر و انكسار يعترى الانسان من تخوّف ما يعاب به و يذمّ و اشتقاقه من الحيوة يقال حَيِيَ الرجل كما يقال نسي و حَشِيَ و شظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيّ لما يعرضه من الانكسار و التغير منتكس القوة منتقص الحيوة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا و مات حياء و رايت الهلاك في وجهه من شدّة الحياء و ذاب حياء و جمد في مكانه خجلا. فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به و لا يجوز عليه التغير و الخوف و الذمّ

وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ان الله حَيِيٌّ كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردّهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا - قلت هو جارٍ على سبيل التمثيل مُثّل تركه تخييبَ العبد و انه لا يردّ يديه صفرا من عطاءه لكرمه بترك من يترك ردّ المحتاج اليه حياء منه و كذلك معنى قوله [إِنَّ اللّٰهَ لَا يَسْتَحْيِي] اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها - و يجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اَمَا يستحيي ربُّ محمد أن يضرب مثلا بالذباب و العنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة و اطباق الجواب على السوال و هو فن من كلامهم بديع و طراز عجيب منه قول ابي تمام * شعر * مَنْ مُبْلغ افناء يعرُبَ كلّها * انّي بنيتُ الجارَ قبل المنزل * و شهد رجل عند شريح فقال ابلك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تُجَعَّدْ عنّي فقال لله بلادك و قَبِل شهادته فالذي سوّغ بناء الجار و تجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة و لولا بناء الدار لم يصحّ بناء الجار و سبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها و لله درُّ امر التنزيل و احاطته بفنون البلاغة و شُعَبها لاتكاد تستغرب منها فنًّا الّا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه و اسدّ مدارجه و قد استعير الحياء فيما لا يصحّ فيه * شعر * اذا ما إستحيى الماء يعرض نفسه * كَرَعْنَ بسبت في اناء من الورد * و قرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة - و فيه لغتان التعدّي بالجار و التعدّي بنفسه يقولون إستحييت منه و إستحييته وهما محتملتان ههنا - و ضرب المثل اعتماده و صنعه من ضرب اللبن و ضرب الخاتم و في الحديث اغطرب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم خاتما من ذهب * و [مَّا] هذه ابهاميّة وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما و زادته شياعا و عموما كقولك اعطني كتابا مّا تريد اي كتاب كان - او صلة للتاكيد كالتي في قوله فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبتَ بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في - تماما على الذي احسنُ - و وجه اخر حسن جميل و هو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لمّا استنكفوا من تمثل الله الاجرام بالمحقرات قل ان الله لايستحيي ان يضرب للاشياء ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بَلْهَ البعوضة فما فوقها كما يقل فلان لايبالي بما وهب ١٠ دينار و دينارا ن - و المعنى ان لله ان يتمثل للاشياء و حقارة شانها بما لا شيئ اصغر منه و اقلّ كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى و بما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده باطنه او بالمعدوم كما يقول العرب فلان اقلّ من لا شيئ في العدد و لقد المّ به قوله تعالى إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ و هذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج و هو امضغ العرب للشيح و القيصوم المشهود له بالفصاحة و كانوا يشبّهون به الحَسَن و ما اظنّه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته و انتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب و مثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين مجرى ضرب مجرى جعل - و اشتقاق البعوض من البعض و هو القطع كالبضع و العضب يقال بَعَضَّه البعوض و انشد * شعر * لنعم البيت

ع ٣ بيت ابي دثار * اذا ما خاف بعض القوم بعضا * و منه بعض الشيء لانه قطعة منه و البعوض في اصله صفة على فعول كالشطوع فغلبت و كذلك الخموش * [فَمَا فَوْقَهَا] فيه معنيان - احدهما نما تجاوزها و زاد عليها في المعنى الذي ضُربت فيه مثلا و هو القلّة و الحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس و انذلهم هو فوق ذاك تريد هو ابلغ و اعرق فيما وصف به من السفالة و النذالة - و الثاني نما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك ردّ ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب و العنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك و قد ذمّ من عرّفه يشحّ بادنى شيء فقال فلان يبخل بالدرهم و الدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما يُبخل فيه و هو الدرهم و الدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم و الدرهمين - و نحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عايشة رضي الله عنها و هي بمِنًى و هم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خرّ على طُنُب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا انّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة و مُحِيَتْ عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة و تجاوزها في القلّة و هي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة و هي عضّتها و يحتمل ما هو اشدّ من الشوكة و اوجع كالخرور على طنب الفسطاط - فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة و هي النهاية في الصغر - قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقلّ منها و اصغر درجات و قد ضربه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم مثلا للدنيا و في خلق الله حيوان اصغر منها و من جناحها ربّما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبّة لا تكاد تجليها للبصر الحادّ الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوّحتَ لها بيدك حادت عنها و تجنبت مضرّتها فسبحان من يدرك صورة تلك و اعضاءها الظاهرة و الباطنة و تفاصيل خلقتها و يُبصر بصرها و يطّلع على ضميرها و لعل في خلقه ما هو اصغر منها و اصغر سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ و انشدتُ لبعضهم * شعر * يا من يرى مدّ البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل * و يرى عروق نياطها في نحرها * و المُخّ في تلك العظام النُحّل * اغفر لعبد تاب من فَرطاته * ما كان منه في الزمان الاول * و [امّا] حرف فيه معنى الشرط و لذلك يجاب بالفاء و فايدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك و انه لا محالة ذاهب و انه بصدد الذهاب و انه منه عزيمة - قلتَ امّا زيد فذاهب و لذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب و هذا التفسير مدلٍ لفائدتين بيان كونه توكيدا و انه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به و ان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون و الذين كفروا يتولون إحماد عظيم لامر المؤمنين و اعتداد بعلمهم انه الحق و في

وَ اَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَيَقُوْلُوْنَ مَاذَآ اَرَادَ اللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهٖ كَثِيْرًا وَّ يَهْدِيْ بِهٖ كَثِيْرًا ۚ سورة البقرة ٢

الجزء ١

ع ٣

على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم و رميهم بالكلمة الحمقاء * و[الحق] الثابت الذي لايسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت و وجب و حقت كلمة ربّك وثوب محقّق محكم النسج * و [مَاذَا] فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين و ان يكون ذا مركّبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحلّ على الابتداء و خبره ذا مع صلته و على الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله و الاصوب في جوابه ان يجيئ على الاول مرفوعا و على الثاني منصوبا ليطابق الجواب السوال وقد جوّزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رايت خيرٌ اي المرئيُّ خير وفي جواب ما الذي رأيت خيرا اي رايتُ خيرا - وقرئ قوله تعالى وَ يَسْـَٔلُوْنَكَ مَاذَا يُنْفِقُوْنَ قُلِ الْعَفْوُ بالرفع والنصب على التقديرين * و[الارادة] نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيئ اذا طلبته نفسك و مال اليه قلبك و في حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحيّ حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه و قد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان للباري مثل صفة المريد منّا التي هي القصد و هو امر زائد على كونه عالما غير ساهٍ و بعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها و هو غير ساه ولا مكره - و معنى ارادته لافعال غيره انه امر بها و الضمير في اِنَّهُ الْحَقُّ للمثل اوالن يضرب و في قولهم مَاذَآ اَرَادَ اللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلًا إسترذال و استحقار كما قالت عايشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا مثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غثّ ماذا اردت بهذا جوابا و لمن حمل سلاحا رديًّا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هٰذِهٖ نَاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ آيَةً * و قوله [يُضِلُّ بِهٖ كَثِيْرًا وَّ يَهْدِيْ بِهٖ كَثِيْرًا] جار مجرى التفسير و البيان للجملتين المصدرتين بامّا و ان فريق العالمين بانه الحق و فريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة و ان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم و ان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم - فان قلت لم وُصف المهديُّون بالكثرة و القلّة صفتهم وَ قَلِيْلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُوْرُ - وَ قَلِيْلٌ مَّا هُمْ - الناس كَاِبِلٍ مائة لاتجد فيها راحلة - وجدت الناس اخبر تقله - قلت اهل الهدى كثير في انفسهم و حين يوصفون بالقلّة انما يوصفون بالقياس الى اهل الضلال و ايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة و ان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا * شعر * ان الكرام كثير في البلاد و ان * قلوا كما غيرهم قلّ و ان كثروا * و اسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب به المثل فضلّ به قوم و اهتدى قوم تسبّب لضلالهم وهداهم - و عن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد اُخذ بمال عليه و قُيّد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سَلّة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تُدَلّى فاذا دجاج و اخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجالك - وقرأ زيد بن علي

سورة البقرة ٢ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ق

الجزء ١

ع ٣ يُضَلُّ به كثيرٌ و كذلك و ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقُونَ * و [الفسق] الخروج عن القصد قال رؤبة * ع * فواسقا عن قصدها جوائرا * و الفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة و هو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر و قالوا ان اول من حدّ له هذا الحدّ ابو حذيفة و اصل بن عطاء و كونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح و يوارث و يُغسل و يصلّى عليه و يدفن في مقابر المسلمين و هو كالكافر في الذم و اللعن و البراءة منه و اعتقاد عداوته و ان لا يُقبل له شهادة و مذهب مالك بن انس و الزيدية ان الصلوة لا تُجزي خلفه و يقال للخلفاء المَرَدَة من الكفار الفسقةُ و قد جاء الاستعمالان في كتاب الله بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ يريد اللمز والتنابز - إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * [النقض] الفسخ و فكّ التركيب - فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد - قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين و منه قول ابن الدَّيْهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا و بين القوم حبالا و نحن قاطعوها فنخشى ان الله عزّ و جلّ اعزّك و اظهرك ان ترجع الى قومك و هذا من اسرار البلاغة و لطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فيدبّهوا بتلك الرمزة على مكانه و نحوه قولك شجاع يفترس اقرانه و عالم يغترف منه الناس و اذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا الاوقد نبّهت على الشجاع و العالم بانهما اسد و بحر و على المرأة بانها فراش * و [العهد] الموثق و عهد اليه في كذا اذا وصّاه به و وثّقه عليه و استعهد منه اذا اشترط عليه و استوثق منه - و المراد بهولاء الناقضين بعهد الله احبار اليهود و المتعنتون او منافقوهم او الكفّار جميعا - فان قلت فما المراد بعهد الله - قلت ما ركز في عقولهم من الحجّة على التوحيد كانه امر وصّاهم به ووثّقه عليهم و هو معنى قوله وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ او اخذ الميثاق عليهم بادلتهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه و اتّبعوه و لم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه سانزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل و ما اريته اياهم من الايات و ما انعمت عليهم و ما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به و ما ضيعوا من عهده اليهم و حسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله تعالى و اوفوا بعهده و نصره اياهم و كيف انزل باسه و نقمته بالذين غدروا و نقضوا ميثاقهم و لم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلّى الله عليهما و سلم من التحريف و الجحود و كفروا به كما كفروا بمحمد صلّى الله عليه و سلم - و قيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض و لا يقطعوا ارحامهم - و قيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود - العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته و هو قوله وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ و عهد خصّ به النبيين ان يبلغوا

سورة البقرة ٢
الجزء ١
ع ٣

وَ يَقْطَعُونَ مَآ اَمَرَ اللّٰهُ بِهٖٓ اَنْ يُّوْصَلَ وَ يُفْسِدُوْنَ فِى الْاَرْضِ ط اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ ۝ كَيْفَ تَكْفُرُوْنَ بِاللّٰهِ وَ كُنْتُمْ اَمْوَاتًا فَاَحْيَاكُمْ ج ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ۝

الرسالة و يقيموا الدين و لا يتفرقوا فيه و هو قوله تعالى وَاِذْ اَخَذْنَا مِنَ النَّبِيّٖنَ مِيْثَاقَهُمْ - و عُهُدٌ خَصَّ به العلماء و هو قوله وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيْثَاقَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهٗ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُوْنَهٗ و الضمير في ميثاقه للعهد و هو ما وثقوا به عهد الله من قبوله و الزامه انفسهم - و يجوز ان يكون بمعنى تَوْثِقَتِهٖ كما ان الميعاد و الميلاد بمعنى الوعد و الولادة - و يجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من آياته و كتبه و انذار رسله * و معنى [قطعهم ما امر الله به ان يوصل] قطعهم الارحام و موالاة المؤمنين و قيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة و الاتحاد و الاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض و كفرهم ببعض - فان قلت ما الامر - قلت طلب الفعل ممن هو دونك و بعثه عليه و به سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شُبِّه بآمر يامره به فقيل له امرٌ تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان و الشان الطلب و القصد يقال شَأْنُتُ شانه اي قصدت قصده * [هُمُ الْخٰسِرُوْنَ] لانهم استبدلوا النقض بالوفاء و القطعَ بالوصل و الفسادَ بالصلاح و عقابها بثوابها * معنى الهمزة التي في [كَيْفَ] مثله في قولك أ تكفرون بالله و معكم ما يَصرف عن الكفر و يدعو الى الايمان و هو الانكار و التعجب و نظيره قولك أ تطير بغير جناح و كيف تطير بغير جناح - فان قلت قولك أ تطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح و اما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة و الاحياء - قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قَوِيَ من الصارف عن الكفر و الداعي الى الايمان - فان قلت فقد تبيّن امر الهمزة و انها لانكار الفعل و الايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم - قلت حال الشيء تابعةٌ لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تَبِعَه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر و رديفها انكارا لذات الكفر و ثباتا على طريق الكناية و ذلك اقوى لانكار الكفر و ابلغُ - و تحريره انه اذا أُنكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليه و قد عُلم ان كل موجود لا ينفكّ عن حال و صفة عند وجوده و محالٌ ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على طريق البرهاني * و [الواو] في قوله [وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا] للحال - فان قلت فكيف صحّ ان يكون حالا و هو ماض و لا بد لحال جئت و قام الامير و لكن و قد قام الا ان يضمر قد - قلت لم تدخل الواو على كُنْتُمْ اَمْوَاتًا وحده و لكن على جملة قوله كُنْتُمْ اَمْوَاتًا الى تُرْجَعُوْنَ كانه قيل كيف تكفرون بالله و قصتكم هذه و حالكم انكم كنتم امواتا نُطَفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم - فان قلت بعض القصة ماض و بعضها مستقبل و الماضي و المستقبل كلاهما لا يصحّ ان يقعا حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا - قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون و انتم عالمون

سورة البقرة ٢ الجزء ١ ع ٣

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ق ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ط وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ع

بهذه القصة باولها و آخرها - فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته - قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كَيْفَ الانكارُ وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه - فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع - قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم و كثير منهم علموا ثم عاندوا * و [الاموات] جمع مَيْت كالاَقْوَال في جمع قيل - فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحيوة من البنى - قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بَلْدَةً مَيْتًا - وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ - أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ - و يجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس * فان قلت ما المراد [بالاحياء الثاني] - قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر و بالرجوع النشورُ و ان يراد به النشور و بالرجوع المصيرُ الى الجزاء * فان قلت لِمَ كان العطف الاول [بالفاء] والاعقاب [بثم] - قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخٍ و اما الموت فقد تراخى عن الاحياء و الاحياءُ الثاني كذلك متراخٍ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا و ان اريد به احياء القبر فمنه يُكتسب العلمُ بتراخيه و الرجوعُ الى الجزاء ايضا - متراخٍ عن النشور - فان قلت من اين أنكر اجتماع الكفر مع قصة التي ذكرها الله ألانها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ام على نِعَمٍ جِسامٍ حقها ان تُشكر ولا تُكفر - قلت يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده اياتٌ وهي مع كونها ايات من اعظم النعم * [لَكُمْ] لاجلكم و لانتفاعكم به في دنياكم ودينكم - اما الانتفاع الدنيوي فظاهر - و اما الانتفاع الديني فالنظر فيه و ما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم و ما فيه من التذكير بالآخرة و بثوابها و عقابها لاشتماله على اسباب الانس و اللذة من فنون المطاعم و المشارب و الفواكه و المناكح و المراكب و المناظر الحسنة البهيّة و على اسباب الوحشة و المشقّة من انواع المكاره كالنيران و الصواعق و السباع و الاحناش و السموم و الغموم و المخاوف - و قد استُدِلَّ بقوله خَلَقَ لَكُمْ على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها و لم تجر مجرى المحظورات في العقل خُلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها و يستنفع بها - فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض و ما فيها وجه صحة - قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء و تراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء و ما فيها واقعة في الجهات السفلية * و [جَمِيعًا] نصب على الحال من الموصول الثاني * و [الاستواء] الاعتدال و الاستقامة يقال استوى العود و غيره اذا قام و اعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء و منه استعير قوله ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ اي قصد اليها بارادته و مشيته بعد خلق ما في

وَ اِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِي الْاَرْضِ خَلِيْفَةً ۚ قَالُوْٓا اَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُّفْسِدُ فِيْهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَآءَ ۚ

سورة البقرة ٢ الجزء ١ ع ٤

الارض من غيران يريد فيما بين ذلك خلقَ شيئ آخر * و المراد [بالسَّمَاء] جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوقُ * والضمير في [فَسَوّٰهُنَّ] ضمير مبهم * و [سَبْعَ سَمٰوَاتٍ] تفسيره كقولهم ربّه رجلا و قيل الضمير راجع الى السماء و السماء في معنى الجنس و قيل جمع سماءة و الوجه العربي هو الاول - و معنى تسويتهن تعديل خلقهن و تقويمه و اخلاءه من العِوَج و الفطور او اتمامُ خلقهن * [وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ] فمن ثم خلقهن خلقا مستويًا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها و منافعهم و مصالحهم - فان قلت ما فسّرتَ به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثُمَّ لاعطائه معنى التراخي و المهلة - قلت ثُمَّ ههنا لما بين الخلقين من التفاوت و فضلِ خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا على انه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضتَ به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم تحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر - فان قلت اَمَا يناقض هذا قولُهُ وَ الْاَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰيهَا - قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقُ السماء و اما دَحْوُها فمتاخّر - و عن الحسن خلق الله الارضَ في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخانَ و خلق منه السموات و امسك الفهر في موضعها و بسط منها الارض فذلك قوله كَانَتَا رَتْقًا و هو الالتزاق * [وَاِذْ] نصب باضمار اُذْكُرْ و يجوزان ينتصب بقالوا * و [الْمَلٰٓئِكَةِ] جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شَمْأَل و الحاق التاء لتانيث الجمع * و [جَاعِلٌ] من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ و الخبر و هما قوله فِي الْاَرْضِ خَلِيْفَةً فكانا مفعوليه و معناه مصيّر في الارض خليفة * و [الْخَلِيْفَة] من يخلف غيره - و المعنى خَلِيْفَةً منكم لانهم كانوا سكّان الارض فخلفهم فيها اٰدمُ و ذريّته - فان قلت فهلا قيل خلائفَ او خُلَفَاءَ - قلت اريد بالخليفة آدم و استغني بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابى القبيلة في قولك مُضَر و هاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحّد لذلك - و قرئ خَلِيْفَةً بالتنوين - و يجوز ان يريد خليفة منّي لان آدم كان خليفة الله في ارضه و كذلك كل نبيّ اِنَّا جَعَلْنٰكَ خَلِيْفَةً فِي الْاَرْضِ - فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك - قلت ليسألوا ذلك السؤال و يجابوا بما اجابوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم - و قيل لِيُعَلِّمَ بذلك المشاورةَ في امورهم قبل ان يُقدموا عليها و عَرْضَها على ثقاتهم و نُصَحَائهم و ان كان هو بعلمه و حكمته البالغة غنيًّا عن المشاورة * [أَتَجْعَلُ فِيْهَا] تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهلَ المعصية و هو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير و لا يريد الا الخير - فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه و امّ رغيب - قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح - او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون

سورة البقرة ٢ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ط قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ
الجزء ١ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا
ع ٤ مَا عَلَّمْتَنَا ط إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ج فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝

وكلّ خلق سواهم ليسوا على صفتهم - اوقاسوا احد الثقلين على الأخر حيث أسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة - وقرئ يَسْفُكُ بضم الفاء ويسفِكُ ويُسفِكُ من أسفك وسَفَكَ * والواو في [وَنَحْنُ] للحال كما تقول أتحسن الي والناس وانا احقّ منه بالاحسان * و[التسبيح] تبعيد الله من السوء * وكذلك [تقديسه] من سَبَحَ في الارض والماء وقدّس في الارض اذا ذهب فيها وابعد * و[بِحَمْدِكَ] في موضع الحال اى نسبّح حامدين لك ملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك * [أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ] اى اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفيّ عليكم - فان قلت هلا بيّن لهم تلك المصالح - قلت كفى العبادَ ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بيّن لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله [وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا] - واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجميّ واقرب امره ان يكون على فاعَل كآزر وعابِر وشالَخ وفالِغ واشباه ذلك * [أَسْمَاءَهَا] اي اسماء المسمّيات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لابدّ له من مسمى وعوض منه اللام كقوله وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ - فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلّم آدم مسمّيات الاسماء - قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ - أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ - فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فكما علّق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهولاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها - فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسمّيات - قلت آراه الاجناس التي خلقها وعلّمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلّمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية * [ثُمَّ عَرَضَهُمْ] اي عرض المسمّيات وانما ذكّر لان في المسمّيات العقلاء فغلّبهم وانما استنباءهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت * [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] يعني في زعمكم انى استخلف في الارض مفسدين سفّاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان يمن يستخلفه من الفوائد العامية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يُستخلفوا فاراهم بذلك وبيّن لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وقوله [أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] استحضار لقوله لهم إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعُلِّمَ آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ أبيّ عَرَضَها والمعنى عرض مسمّياتهن او مسمّياتها لان

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْٓا اِلَّآ اِبْلِيْسَ ؕ اَبٰى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ۝ وَ قُلْنَا يٰٓاٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنَا مِنَ الظّٰلِمِيْنَ ۝ فَاَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا فَاَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيْهِ ۪ وَ قُلْنَا اهْبِطُوْا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۚ

العرض لا يصح في الاسماء وقرئ ائْبِيهِم بقلب الهمزة ياء و بَيِّهِم بحذفها و الياء مكسورة فيهما *[السجود] لله تعالى على سبيل العبادة و لغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لأدم و ابوا يوسف و اخوته له - و يجوز ان تختلف الاحوال و الاوقات فيه و قرأ ابو جعفر لِلْمَلٰٓئِكَةُ اسْجُدُوا بضم التاء للاتباع - و لا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لِلّٰه* [اِلَّا اِبْلِيْسَ] استثناء متصل لانه كان جنيّا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فَسَجَدُوْا ثم استُثنِيَ منهم استثناءَ واحدٍ منهم- و يجوز ان يجعل منقطعا* [اَبٰى] امتنع مما أمر به [وَ اسْتَكْبَرَ] عنه [وَ كَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ] من جنس كَفَرَة الجنّ و شياطينهم فلذلك ابى و استكبر كقوله كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ اَمْرِ رَبِّهِ* [اسكن] من السكون لانها نوع من اللبث و الاستقرار* و [انْتَ] تاكيد للمستكن في اُسْكُنْ ليصح العطف عليه* و [رَغَدًا] وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها * و [حَيْثُ] للمكان المبهم اي اىّ مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنّة على وجه التوسعة البالغة المُزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة * وقرئ وَلَا تِقْرَبَا بكسر النون - وهذي - والشجرة بكسر الشين - و الشِيرَة بكسر الشين والياء و عن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرأ بها بَرابِرُ مكّة وسُوْدانها* [مِنَ الظّٰلِمِيْنَ] من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله* [فَتَكُوْنَا] جزمٌ عطفٌ على تَقْرَبَا ونصب جواب للنهي* الضمير في [عَنْهَا] للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلّة بسببها و تحقيقه فاصدرَ الشيطان زلّتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ اَمْرِيْ و قوله يَنْهَوْنَ عَنْ اَكْلٍ وَعَنْ شُرْبٍ وقيل فاتهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها و ابعدهما كما تقول زَلَّ عن مرتبة وزَلَّ عني ذاك اذا ذهب عنك وزَلَّ من الشهر كذا وقرئ فَاَزَالَّهُمَا* [مِمَّا كَانَا فِيْهِ] من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها- وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها - فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اُخْرُجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيْمٌ - قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب و التكرمة كدخول الملائكة و لا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لأدم و حوّا - و قيل كان يدنو من السماء فيكلمهما - وقيل قام عند الباب فناداهما - و روي انه اراد الدخول فمنعته الخَزَنَة فدخل في فم الحية حتى دخلت به و هم لا يشعرون * قيل [فَاَزَلَّهُمَا] خطاب لأدم و حوّا و ابليس وقيل والحية - و الصحيح انه لأدم وحوّا والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جُعلا كانهما الانس كلهم و الدليل عليه قوله قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيْعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ و يدل على

سورة البقرة ٢ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ
الجزء ١ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۚ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ
ع ٤ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ ع

ذلك قوله فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وما هو الا حكم يعم الناس كلهم * ومعنى [بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ] ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض - والهبوط النزول الى الارض * [مُسْتَقَرٌّ] موضع استقرار او استقرار و [مَتَاعٌ] و تمتّع بالعيش * [إِلَىٰ حِينٍ] يريد الى يوم القيٰمة وقيل الى الموت * معنى [تلقّى الكلمات] استقبالها بالاخذ و القبول و العمل بها حين علمها - وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته و اتصلت به - فان قلت ما هن - قلت قوله تعالى رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا الآية وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان احبّ الكلام الى الله ما قاله ابوا آدم حين اقترف الخطيئة سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا ربّ ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يا ربّ ألم تنفخ فيّ الروح من روحك قال بلى قال يا ربّ ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكّني جنّتك قال بلى قال يا ربّ ان تُبتُ و اصلحت أراجعي انت الى الجنّة قال نعم - و اكتفي بذكر توبة آدم دون توبة حوّا لانها كانت تبعا له كما طُوِيَ ذكر النساء في اكثر القرآن و السنّة لذلك و قد ذكرها في قوله قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا * [فَتَابَ عَلَيْهِ] فرجع عليه بالرحمة والقبول * فان قلت لِمَ كرر قُلْنَا اهْبِطُوا - قلت للتاكيد و لما يتطرّق به من زيادة قوله فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى - فان قلت ما جواب الشرط الاول - قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك * و المعنى [فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى] برسول ابعثه اليكم وكتب أنزلها عليكم بدليل * قوله [وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] في مقابلة قوله [فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ] - فان قلت فلم جيء بكلمة الشكّ و ايمان البعض كائن لا محالة لوجوبه - قلت للايذان بان الايمان بالله و التوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل و انزال الكتب و انه ان لم يبعث رسولا و لم ينزل كتابا كان الايمان به و توحيده واجبا لما ركّب فيهم من العقول و نصب لهم من الادلّة و مكّنهم من النظر و الاستدلال - فان قلت الخطيئة التي أهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء و ان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس و الاخراج من الجنّة و الاهباط من السماء كما فعل بابليس و نسبته الى الغي و العصيان و نسيان العهد و عدم العزيمة و الحاجة الى التوبة - قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص و الافكار الصالحة التي هي اجلّ الاعمال و اعظم الطاعات و انما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة و تفظيعا لشانها و تهويلا ليكون ذلك لطفا له و لذريته في اجتناب الخطايا و اتقاء المآثم

يَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓئِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ۝

و التنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمّة - و قرئ فمن تبع هُدَيَّ على لغة هُذَيل فلا خوفَ بالفتح * [إِسْرَائِيلَ] هو يعقوب عليه السلام لقبٌ له و معناه في لسانهم صفوة الله و قيل عبد الله و هو بزنة ابراهيم و اسمٰعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية و العجمة و قرئ اسرائل واسرائل * وذكرهم [النعمة] ان لا يُخِلُّوا بشكرها و يعتدّوا بها و يستعظموها و يطيعوا ما نحّها و اراد بها ما انعم به على ابائهم مما عدّد عليهم من الانجاء من فرعون و عذابه و من الغرق و من العفو عن اتخاذ العجل و التوبة عليهم و غير ذلك و ما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلّى الله عليه و آله وسلم المبشَّر به في التوراة و الانجيل * و [العهد] يضاف الى المُعاهِد و المُعاهَد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ و اوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه * و معنى [وَأَوْفُوا بِعَهْدِيٓ] و اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي و الطاعة لي كقوله وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللّٰهَ - وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّٰهَ - رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ * [أُوفِ بِعَهْدِكُمْ] بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم * و [إِيَّٰىَ فَارْهَبُونِ] فلاتنقضوا عهدي و هو من قولك زَيْدًا رَهْبَتُهُ و هو اوكد في افادة الاختصاص من إِيَّاكَ نَعْبُدُ - و قرئ اوّف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا - و يجوز ان يريد بقوله وَأَوْفُوا بِعَهْدِيٓ ما عاهدوا عليه و وعده من الايمان بنبيّ الرحمة والكتاب المعجز و يدلّ عليه قوله [وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ] * [وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ] اول من كفر به او اوّل فريق او فوج كافر به او ولا يكن كلّ واحد منكم اوّل كافر به كقولك كسانا حُلَّةً اي كلّ واحد منّا و هذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اوّل من يؤمن به لمعرفتهم به و بصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به و كانوا يَعِدون اتباعه اول الناس كلّهم فلما بُعث كان امرهم على العكس كقوله لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ الى قوله وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ - فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ - ويجوز ان يراد و لا تكونوا مثل اول كافر به يعني مَنْ أَشْرَكَ به من اهل مكّة اي ولا تكونوا و انتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثلَ من لم يعرفه و هو مشرك لا كتابَ له - و قيل الضمير في بِهِ لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به * و [الاشتراء] استعارة للاستبدال كقوله تعالى اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ - وقوله * ع * كما شترى المسلم ان تنصّرا * وقوله * فاني شريت الحلم بعدك بالجهل * يعني و لا تستبدلوا بآياتي ثمنا و الا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوت لو اصبحوا تبّعا لرسول الله صلّى الله

سورة البقرة ٢ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وَارْكَعُوا
الجزء ١ مَعَ الرّٰكِعِينَ ۝ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتٰبَ ط أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝
ع ٤

عليه و آله و سلم فاستبدلوها و هي بدل قليل و متاع يسير بآيات الله و بالحق الذي كل كبير اليه قليل و كل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير - و قيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم و ثمارهم و يهدون اليهم الهدايا و يرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم و تسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع و كان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا * الباء التي في [الْبَاطِلِ] ان كانت صلة منلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى و لا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل التي كتبتم حتى لا يميزين حقها و باطلكم و ان كانت بدل الاستعارة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى و لا تجعلوا الحق ملتبسا مستبها بباطلكم الذي تكتمونه * و [تَكْتُمُوا] جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى و لا تكتموا - او منصوب باضمار اَنْ * و [الواو] بمعنى الجمع اي و لا تجمعوا لبس الحق بالباطل و كتمان الحق كقولك لا تاكل السمك و تشرب اللبن - فان قلت لبسهم و كتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق - قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتم في التورية ما ليس منها و كتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد صلى الله عليه و آله و سلم - او حكم كذا او يمحوا ذلك و يكتبوه على خلاف ما هو عليه - و في مصحف عبد الله و تكتمون بمعنى كاتمين * [وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] في حال علمكم انكم لابسون كاتمون و هو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه * [وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ] يعني صلوة المسلمين و زكوتهم * [وَارْكَعُوا مَعَ الرّٰكِعِينَ] منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم - وقيل الركوع الخضوع و الانقياد لما يلزمهم في دين الله - و يجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود و ان يكون امرا بان تصلي مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل و اقيموا الصلوة و صلوها مع المصلين لا منفردين * [أَتَأْمُرُونَ] الهمزة للتقرير مع التوبيخ و التعجيب من حالهم * و [البِرُّ] سعة الخير و المعروف و منه البَرُّ لسعته و يتناول كل خير و منه قولهم صدقت و برزت و كان الاحبار يامرون من تصحبوه في السر من اقاربهم و غيرهم باتباع محمد صلى الله عليه و آله و سلم و لا يتبعونه - و قيل كانوا يامرون بالصدقة و لا يتصدقون و اذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها - و عن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها و نخالف الى غيرها * [وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ] و تتركونها من البر كالمنسيات * [وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتٰبَ] تبكيت مثل قوله و أنتم تعلمون يعني تتلون التورية و فيها نعت محمد صلى الله عليه و آله و سلم او فيها الوعيد على الخيانة و ترك البر و مخالفة القول العمل * [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه و كانكم

وَاسْتَعِيْنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ ۚ وَاِنَّهَا لَكَبِيْرَةٌ اِلَّا عَلَى الْخَاشِعِيْنَ ۝ الَّذِيْنَ يَظُنُّوْنَ اَنَّهُمْ مُّلٰقُوْا رَبِّهِمْ وَاَنَّهُمْ
اِلَيْهِ رٰجِعُوْنَ ۝ ع يٰبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ اذْكُرُوْا نِعْمَتِيَ الَّتِيْٓ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَنِّيْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ ۝
وَاتَّقُوْا يَوْمًا لَّا تَجْزِيْ نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ شَيْئًا

في ذلك مسلوبوا العقول لان العقول تاباه و تدفعه و نحوه اُفٍّ لَّكُمْ وَ لِمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ * [وَ اسْتَعِيْنُوْا] على حوائجكم الى اللّٰه بِالصَّبْرِ وَ الصَّلٰوةِ اي بالجمع بينهما و ان تصلّوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقّها و ما يجب فيها من اخلاص القلب و حفظ النيات و دفع الوساوس و مراعاة الآداب و الاحتراس من المكاره مع الخشية و الخشوع و استحضار العلم بانه انتصاب بين يدَي جبّار السمٰوات ليُسأل فكّ الرقاب عن سخطه و عذابه و منه قوله تعالى وَ اْمُرْ اَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا او و استعينوا على البلايا و النوائب بالصبر عليها و الالتجاء الى الصلوة عند وقوعها و كان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله وسلم اذا حَزَبَه امرٌ فزع الى الصلوة - و عن ابن عباس انه نُعِيَ اليه اخوه قُثَمُ و هو في سفر فاسترجع و تنحّى عن الطريق فصلّى ركعتين اطال فيها الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته و هو يقول و استعينوا بالصبر و الصلٰوة - و قيل الصبر الصوم لانه حبس عن المُفطرات و منه قيل لشهر رمضان شهر الصبر - و يجوز ان يراد بالصلوة الدعاء و ان يُستعان على البلايا بالصبر و الالتجاء الى الدعاء و الابتهال الى اللّٰه تعالى في دفعه * [وَ اِنَّهَا] الضمير للصلوة او للاستعانة - و يجوز ان يكون لجميع الامور التي أُمرتها بنو اسرائيل ونُهُوا عنها من قوله اذْكُرُوْا نِعْمَتِيَ الى وَاسْتَعِيْنُوْا * [لَكَبِيْرَةٌ] لشاقّة ثقيلة من قولك كبر عليّ هذا الامر - كبر على المشركين ما تدعوهم اليه - فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين و الخشوعُ في نفسه مما يثقل - قلت لانهم يتوقعون ما ادُّخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم - الا ترى الى قوله تعالى اَلَّذِيْنَ يَظُنُّوْنَ اَنَّهُمْ مُّلٰقُوْا رَبِّهِمْ اي يتوقعون لقاء ثوابه و نيل ما عنده و يطمعون فيه - و في مصحف عبد اللّٰه يَعْلَمُوْنَ و معناه يعلمون ان لا بدّ من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك و لذلك فُسّر يَظُنُّوْنَ بيتيقّنون و امّا مَن لم يوقن بالجزاء و لم يُرجّ الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين و المُرائين باعمالهم - و مثاله مَنْ وُعِدَ على بعض الاعمال و الصنائع اجرةً زائدةً على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة و نشاط و انشراح صدر و مضاحكة لحاضريه كانه يستلذّ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخّره بعض الظَّلَمة و من ثم قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله وسلم و جُعلتْ قرة عيني في الصلوة و كان يقول يا بلال رَوِّحْنا * و [الخشوع] الخبات و التطامن و منه الخشعة للرملة المتطامنة - و اما الخضوع فاللين و الانقياد و منه خضعتْ بقولها اذ تَهَدَّدَتْه * و [اَنِّيْ فَضَّلْتُكُمْ] نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي و تفضيلي * [عَلَى الْعٰلَمِيْنَ] على الجمّ الغفير من الناس كقوله تعالى بَارَكْنَا فِيْهَا لِلْعٰلَمِيْنَ يقال رَأَيْتُ عَالَمًا من الناس يراد الكثرة * [يَوْمًا] يريد يوم القيٰمة * [لَّا تَجْزِيْ] لا تقضي عنها شيئًا من الحقوق و منه الحديث في جَدَعَة من نيار تجزي عنك

سورة البقرة ٢ وَّلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَّلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَّلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۝ وَإِذْ نَجَّيْنٰكُمْ مِنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ
الجزء ١ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ اَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ط
ع ٦

ولا تجزي عن احد بعدك * و [سَيْئًا] مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله تعالى وَلَا يُظْلَمُونَ سَيْئًا - ومن قرأ ولا تُجْزِي من اجزاء عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء - وقرأ ابو السِّرار الغَنَوِيّ لا تجزي نَسَمَةٌ عن نَسَمَة سيئًا وهذه الجملة منصوبة المحلّ صفة ليومًا - فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف - قلت هو محذوف تقديره لا تَجْزِيْ فيه ونحوه ما انشده ابو علي * ع * تَرَوَّحِي اجدرَ اَنْ تَقِيلِي * اي ماءً اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من يُنَزِّل فيقول تُسع فيه فاُجري مجرى المفعول به فحُذِف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مَالٌ اصابوا - ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلّي القطّاع للمَطَامِع وكذلك قوله [وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَّلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ] اي فدية لانها معادلة للمَفْدِيّ ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية - وقرأ قتادة وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً على بناء الفعل للفاعل وهو لله عزّ وجلّ ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فاُوْبِسوا - فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة - قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلّت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعةُ شفيعٍ فعلم انها لا تقبل للعصاة - فان قلت الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع - قلت الى الثانية العاصية غير المجزيّ عنها وهي التي لا يوخذ منها عدل ومعنى لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها - ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اُعْطَتْ عدلا عنها لم يوخذ منها * [وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ] يعني ما دلّت عليه النفس المنكّرة من النفوس الكثيرة - والتذكيرُ بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلثة انفس * اصل [اٰلِ] اهل ولذلك يصغّر باهيل فابدلت هاءه الفا وخصّ استعماله باُولي الخطر والشان كالملوك واشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام * و [فِرْعَوْنَ] عَلَم لمن ملك من العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتوّ الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبّر وفي مُلَح بعضهم * شعر * قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في * اقصى تَفَرْعُنِه وفرط غرامه * وقرئ انْجَيْنٰكم ونَجَّيْتُكم * [يَسُومُونَكُمْ] من سامه خَسْفًا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم * شعر * اذا ما المَلِكُ سام الناسَ خسفا * اَبَيْنَا ان يُقِرَّ الخسفَ فينا * واصله من سام السلعة اذا طلبها كانّه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه * و [السُّوْءَ] مصدر السيّ يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيّئ اشدّه وافظعه كانه قُبْحه بالاضافة الى سائره * و [يُذَبِّحُونَ] بيان لقوله يَسُومُونَكُمْ ولذلك ترك العاطف كقوله تعالى يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا وقرأ الزهري يَذْبَحُونَ بالتخفيف كقولك قطعتُ الثياب وقطّعتها وقرأ

وَ فِي ذٰلِكُمْ بَلَآءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَ اِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَاَنْجَيْنٰكُمْ وَ اَغْرَقْنَآ اٰلَ فِرْعَوْنَ وَ اَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ ۝ وَ اِذْ وٰعَدْنَا مُوْسٰٓى اَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهٖ وَ اَنْتُمْ ظٰلِمُوْنَ ۝ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ۝ وَ اِذْ اٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ وَ الْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ ۝ وَ اِذْ قَالَ مُوْسٰى لِقَوْمِهٖ يٰقَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوْبُوْٓا اِلٰى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوْٓا اَنْفُسَكُمْ ط

عبد الله يُقتلون و انما فعلوا بهم ذلك ان الكهنة انذروا فرعون بانه يُولَدُ مولود يكون على يده هلاكه كما يُقدّر نمرود فلم يُغْنِ عنهما اجتهادهما فى التحفظ وكان ما شاء اللّٰه * و[البلاء] المحنةُ ان اشير بذٰلِكُمْ الى صنيع فرعون والنعمةُ ان اشير به الى الانجاء * [فَرَقْنَا] فصلنا بين بعضه و بعض حتى صارت فيه مَسالك لكم - وقرئ فَرَّقْنَا بمعنى فصّلنا يقال فَرَقَ بين الشيئين و فَرَّقَ بين الاشياء لان المسالك كانت اثنى عشر على عدد الاسباط - فان قلت ما معنى [بِكُمُ] - قلت فيه اوجهٌ - اَن يراد انها كانوا يسلكونه و يتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما - و اَن يراد فرقناه بسببكم وبسبب إنجاءكم و اَن يكون فى موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله * ع * تدوسُ بنا الجماجِمَ و التريبا * اى تدوسها و نحن راكبوها و روى ان بنى اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريقي مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نريهم فقال اللّٰهمّ عَمِّ على اخلاقهم السيّئة فاوحى اليه اَن قُلْ بعصاك هٰكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيه كوى فنظروا و تسامعوا كلامهم [وَ اَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ] الى ذٰلك و تشاهدونه و لاتشكّون فيه * لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون و لم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعدَ اللّٰه موسى ان يُنزل عليه التوراة و ضرب له ميقاتاً ذا القعدة و عشر ذى الحجّة و قيل اربعين ليلة لان الشهور غُررها بالليالي - وقرئ وَاعَدْنَا لان اللّٰه وعده الوحي و وعد المجيئ للميقات الى الطور * [مِنْ بَعْدِهٖ] من بعد مضيّه الى الطور * [وَ اَنْتُمْ ظٰلِمُوْنَ] باشراككم * [ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ] حين تُبتم * [مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ] من بعد ارتكابكم الامر العظيم و هو اتخاذكم العجل * [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ] ارادة ان تشكروا النعمة فى العفو عنكم * و[الْكِتٰبَ وَالْفُرْقَانَ] يعنى الجامع بين كونه كتابا مُنزلا و فرقانا يفرق بين الحقّ و الباطل يعنى التوراة كقولك رأيت الغيث و الليث تريد الرجل الجامع بين الجود و الجرأة و نحوه قوله تعالى وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوْسٰى وَ هٰرُوْنَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَّذِكْرًا يعنى الكتاب الجامع بين كونه فرقانا و ضياء وذكرا - او التوراة و البرهانَ الفارق بين الكفر و الايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات - او الشرعَ الفارقَ بين الحلال و الحرام - و قيل الفرقان انفراق البحر و قيل النصر الذي فَرق بينه وبين عدوه كقولهٖ يومَ الْفُرْقَانِ يريد به يوم بدر * حمل قوله [فَاقْتُلُوْٓا اَنْفُسَكُمْ] على الظاهر وهو البخع - وقيل معناه قتل بعضهم بعضا - وقيل أمر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العَبَدَة - و روي ان الرجل كان يبصر ولده و والده و جاره و قريبه فلم يمكّنه المضيّ لامر اللّٰه فارسل اللّٰه ضبابة و سحابة سوداء لا يتباصرون تحتها و أمروا ان يحتبوا بأفنية بيوتهم و ياخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم

ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ ط فَتَابَ عَلَيْكُمْ ط إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝

و قيل لم اصبروا فلعن الله مَنْ مَدّ طرفه او حلّ حبوته او التفت يمينا او رجلٍ فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى و هارون وقالا يا ربِّ هلكت بنو اسرائيل البقيّةَ البقيّةَ فكشفت السحابة و نزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم و كانت القتلى سبعين الفا - فان قلت ما الفرق بين الفاءات - قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة - و الثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتلَ انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمامَ توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فَاتْبِعوا التوبة القتلَ تتمّةً لتوبتكم - و الثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو إما ان ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم و إما ان يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم * فان قلت من اين اختصّ هذا الموضع بذكر [البارئ] - قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريّا من التفاوت مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ و متميّزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة و الصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة أَبْرِيَاءَ من التفاوت و التنافر الى عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة و البلادة في امثال العرب أَبْلَدُ مِنْ ثَوْرٍ حتى عرّضوا انفسهم لسخط الله و نزول امره بان يفلك ما ركّبه من خِلَقهم و ينثر ما نظم من صُوَرِهم و اشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك و غمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها - قيل القائلون السبعون الذي صُعِقوا - و قيل قالة عشرة آلاف منهم * [جَهْرَةً] عيانا و هي مصدر من قولك جهر بالقراءة و بالدعاء كأنّ الذي يرى بالعين جاهرٌ بالرؤية و الذي يرى بالقلب مخافتٌ بها و انتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة و قرئ جَهَرة بفتح الهاء و هي اما مصدر كالغَلَبَة و إمّا جمع جاهر و في هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادّهم القولَ و عرّفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محالٌ و ان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الأعراض فرادّوه بعد بيان الحجة و وضوح البرهان و لجّوا مكابرة في الكفر كعبدة العجل فسلّط الله عليهم الصعقة كما سلّط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين و دلالة على عِظَمهما بعظم العجلة * و [الصَّاعِقَةُ] ما صعقهم اي أَمَاتَهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم و قيل صيحة جاءت من السماء و قيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخرّوا صعقين ميّتين يوما و ليلة و موسى عليه السلام لم تكن صَعْقته موتا و لكن غشية بدليل قوله فَلَمَّا أَفَاقَ - و الظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ - و قرأ علي رضي الله عنه فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعْقَةُ * [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ۖ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ
فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ ع وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ

نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رأيتم باس الله في رميكم بالصاعقة و اذاقتكم الموت * [وظَلَّلْنَا] وجعلنا الغمام يُظلّكم و ذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يُظلّهم من الشمس و ينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه و ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم [المَنَّ] وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاعٌ و يبعث الله الجنوب فتحشر عليهم [السَّلْوَى] وهي السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه * [كُلُوا] على ارادة القول * [وَمَا ظَلَمُونَا] يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وَمَا ظَلَمُونَا عليه * [القَرْيَةَ] بيت المقدس وقيل اريحا من قُرى الشام أُمروا بدخولها بعد التيه * [البَابَ] باب القرية و قيل هو باب القبة التي كانوا يُصلّون اليها و هم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام - امروا [بالسجود] عند الانتهاء الى الباب شكراً لله و تواضعاً و قيل السجود ان ينحنوا و يتطأمنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع و اخبات و قيل طُوطِئَ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا مُتَزَحِّفين على اوراكهم * [حِطَّةٌ] فِعْلة من الحط كالجلسة و الركبة وهي خبرُ مبتدأ محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حُطّ عنا ذنوبنا حطة و انما رفعت لتُعطي معنى الثبات كقوله * ع * صبرٌ جميل فكلانا مبتلى * والاصل صبرًا على اِصْبِرْ صبرا - وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل و قيل معناه أَمرنا حطة اي ان نحطّ في هذه القرية و نستقر فيها - فان قلت هل يجوز ان ينصب حطة في قراءة مَن نصبها بِقُولُوا على معنى قولوا هذه الكلمة - قلت لا يبعد و الاجود ان تنصب باضمار فعلها و ينتصب محلّ ذلك المضمر بقولوا - و قرئ يُغْفَرْ لَكُمْ على البناء للمفعول بالياء و التاء * [وَسَنَزِيدُ المُحْسِنِينَ] اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مُسيئاً كانت له توبةً ومغفرةً * [فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا] اي وضعوا مكان حطّة قولا غيرها يعني انهم امروا بقولٍ معناه التوبةُ و الاستغفارُ فخالفوه الى قولٍ ليس معناه معنى ما أُمروا به و لم يمتثلوا امرَ الله - وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه و هو لفظ الحطّة فجاءوا بلفظ آخر لانهم لو جاءوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يواخذوا به كما لو قالوا مكان حطّة نستغفرك و نتوب اليك او اللّهمّ اعفُ عنّا و ما اشبه ذلك و قيل قالوا مكان حطّة حنطة - و قيل قالوا بالنبطية حِطَّا سُمْقَاثَا اي حنطة حمراء استهزاءً منهم بما قيل لهم و عدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا * وفي تكرير [الَّذِينَ ظَلَمُوا] زيادة في تقبيح امرهم و ابذان بان انزال [الرِّجْز]

سورة البقرة ٢ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا
الجزء ١ وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ
ع ٧

عليهم لظلمهم و قد جاء في سورة الاعراف فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ على الاضمار - و الرِّجْز العذاب و قرئ بضم الراء و روي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة و عشرون الفا و قيل سبعون الفا * عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسُّقيا فقيل له [اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ] - و لام اما للعهد و الاشارة الى حجر معلوم - فقد روي انه حجر طوريّ حمله معه و كان حجرا مربّعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كلّ وجه ثلثُ اعْيُن لكلّ سبطٍ عينٌ تسيل في جدول الى السبط الذي أُمرن يستقيهم و كانوا ست مائة الف وسبعة المعسكر اثنا عشر ميلا و قيل اهبطه آدم من الجنّة فتوارثوه حتى وقع الى شُعيب فدفعه اليه مع العصا - و قيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل ان رموه بالأُدرة ففرّ به و قال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لي فيه قدرة و لك فيه معجزة فحمله في مِخلاته - و اما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر و عن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال و هذا اظهر في الحجة و ابين في القدرة - و روي انهم قالوا كيف بنا لَوْ أَفْضَيْنا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه و قيل كان يضربه بعصاه فتنفجر و يضربه بها فَيَيْبَسُ فقالوا ان فَقَدَ موسى عصاه مُتْنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة و كَلِّمْها تُطِعْك لعلّهم يعتبرون - وقيل كان من رخام و كان ذراعا في ذراع و قيل مثل راس الانسان و قيل كان من آس الجنّة طوله عشرة اذرع على طول موسى و له شعبتان تتقدان في الظلمة و كان يُحمل على حمار * [فَانْفَجَرَتْ] الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربتَ فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فَتَابَ عَلَيْكُمْ وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ - وقرئ عَشِرَةَ بكسر الشين و فتحها و هما لغتان * [كُلُّ أُنَاسٍ] كلّ سبط * [مَشْرَبَهُمْ] عينهم التي يشربون منها * [كُلُوا] على ارادة القول * [مِنْ رِزْقِ اللَّهِ] مما رزقكم من الطعام و هو المنّ و السلوى و من ماء العيون و قيل الماء ينبت منه الزروع و الثمار فهو رزق يوكل منه و يشرب * و [العثي] اشدّ الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه * كانوا فلّاحة فنزعوا الى عِكْرهم فَاجِمُّوا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت النفس الشقاء * [عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ] ارادوا ما رزقوا في التيه من المنّ و السلوى - فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد - قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف و لا يتبدل و لو كان على مائدة الرجل الوان عدّة يداوم عليها كلّ يوم لا يُبدّلها قيل لا ياكل فلان الّا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل و الاختلاف - و يجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذّذ و التنرّف و نحن قوم فلّاحة اهل زراعات فما نريد الا ما أَلِفْناه و ضَرِيْنا به من الحبوب المتفاوتة كالحبوب و البقول و نحو ذلك * معنى [أَخْرِجْ لَنَا] يُظْهِرْ لنا و يوجد * و [البقل] ما ينبته الارض من الخضر و المراد به

فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَ قِثَّائِهَا وَ فُومِهَا وَ عَدَسِهَا وَ بَصَلِهَا ۖ قَالَ
أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
وَالْمَسْكَنَةُ وَ بَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ
بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ النَّصَارَىٰ وَ الصَّابِئِينَ

أطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكرّات واشباهها - وقرئ وَقُثَّائِهَا بالضم * و[الفوم] الحنطة ومنه فوّموا لنا اي اخبزوا - وقيل الثوم و يدلّ عليه قراءة ابن مسعود وَ ثُومِهَا و هو للعدس والبصل اوفق * [الَّذِي هُوَ أَدْنَى] الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا و الدنو و القرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو دانى المحلّ و قريب المنزلة كما يعبّر بالبعد عن عكس ذلك فيقال هو بعيد المحلّ وبعيد الهمّة يريدون الرفعة و العلوّ - و قرأ زُهير الفُرقُبيّ أَدْنَأُ بالهمزة من الدناءة * [اهْبِطُوا مِصْرًا] و قرئ اُهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به و هبط منه اذا خرج و بلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قِنَّسْرِيْن و هي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ - و يحتمل ان يريد العَلَم و انما صرفه مع اجتماع السببين فيه و هما التعريف و التانيث لسكون وسطه كقوله وَنُوحًا وَ لُوطًا و فيهما العجمة و التعريف و ان اريد به البلد فما فيه الّا سبب واحد و ان يريد مصرا من الامصار و في مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصرَ بغير تنوين كقوله ادْخُلُوا مِصْرَ - و قيل هو مصر ابليم فعرّب * [وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ] جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القُبّة مَنْ ضُرِبَتْ عليه او اُلصِقَتْ بهم حتى لزمتهم ضربةَ لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلّاء اهل مسكنة و مدقعة اما على الحقيقة و اما لتصاغرهم و تفاقرهم خيفة ان تُضَاعَفَ عليهم الجزية * [وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ] من قولك بَاءَ فلانٌ بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له و مكافاته اي صاروا أحقاء بغضبه * [ذٰلِكَ] اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة و المسكنة و الخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء و قد قتلت اليهود لُعَيَّا شَعْيَا و زَكَرِيَّا و يَحْيَى و غيرهم - فان قلت قتل الانبياء لا يكون الّا بغير الحق فما فائدة ذكره - قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيُقتلوا و انما نصحوهم و دعَوْهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلوسُئلوا و انصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم - و قرأ عليّ رضي الله عنه و يُقتّلون بالتشديد * [ذٰلِكَ] تكرار للاشارة * [بِمَا عَصَوْا] بسبب ارتكابهم انواع المعاصي و اعتدائهم حدود الله في كلّ شيء مع كفرهم بايات الله و قتلهم الانبياء و قيل هو اعتداؤهم في السبت - و يجوز ان يشار بذلك الى الكفر و قتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم و اعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما و غلَوْا حتى قَسَتْ قلوبهم فجسروا على جحود الايات و قتل الانبياء او ذلك الكفر و القتل مع ما عصوا * [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] بألسنتهم من غير مواطاة القلوب و هم المنافقون * [وَالَّذِينَ هَادُوا] والذين تَهوَّدوا

سورة البقرة ٢ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ۝
الجزء ١ وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ خُذُوْا مَا اٰتَيْنٰكُمْ بِقُوَّةٍ وَّاذْكُرُوْا مَا فِيْهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ۝ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ
ع ٨ مِّنْ بَعْدِ ذٰلِكَ ۚ فَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهٗ لَكُنْتُمْ مِّنَ الْخٰسِرِيْنَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِيْنَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ
فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُوْنُوْا قِرَدَةً خٰسِئِيْنَ ۝ فَجَعَلْنٰهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِيْنَ ۝

يقال هَادَ يهودُ وتَهَوَّدَ اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هُوْدٌ * [وَالنَّصَارٰى] وهو جمع نصران يقال رجل نصرانٌ و امراة نصرانة قال نصرانة لم تُحْذَف - و الياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمريّ سمّوا لانهم نصروا المسيح * [وَالصَّابِئِيْنَ] وهو من صبأ اذا خرج من الدين و هم قوم عدلوا عن دين اليهودية و النصرانية و عبدوا الملائكة * [مَنْ اٰمَنَ] من هؤلاء الكَفَرَة ايمانا خالصا و دخل في ملّة الاسلام دخولا اصيلا * [وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ] الذي يستوجبونه بايمانهم و عملهم - فان قلت ما محل مَنْ اٰمَنَ - قلت الرفع ان جعلته مبتداء خبره فلهم اجرهم و النصب ان جعلته بدلا من اسم انّ و المعطوف عليه فخبران في الوجه الاول الجملة كما هي و في الثاني فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ - و الفاء لتضمن مَنْ معنى الشرط * [وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ] بالعمل على ما في التوراة * [وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ] حتى قبلتم و اعطيتم الميثاق و ذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرآوا ما فيها من الآصار و التكاليف الشاقة فكبرت عليهم و ابوا قبولها فَاُمِرَ جبرئيل فقَلَعَ الطور من اصله و رفعه فظلّله فوقهم و قال لهم موسى ان قبلتم و الّا القي عليكم حتى قبلوا * [خُذُوْا] على ارادة القول * [مَا اٰتَيْنٰكُمْ] من الكتب * [بِقُوَّةٍ] بجدّ و عزيمة * [وَاذْكُرُوْا مَا فِيْهِ] و احفظوا ما في الكتاب و ادرسوه و لا تنسوه و لا تغفلوا عنه * [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ] رجاء منكم ان تكونوا متّقين او قلنا خذوا و اذكروا ارادة ان تتقوا * [ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ] اعرضتم عن الميثاق و الوفاء به * [فَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ] بتوفيقكم للتوبة لَخَسِرْتُم - و قرئ خُذُوْا مَا اٰتَيْنٰكُمْ و تَذَكَّرُوْا و اذْكُرُوْا * و [السَّبْت] مصدر سَبَتَتِ اليهود اذا عظّمت يوم السبت و ان ناسا منهم اِعْتَدَوْا فيه اي جاوزوا ما حُدّ لهم فيه من التجرّد للعبادة و تعظيمه و اشتغلوا بالصيد - و ذلك ان الله ابتلاهم فما كان يدنى حوت في بحر الّا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرّقت كما قال تَاْتِيْهِمْ حِيْتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُوْنَ لَا تَاْتِيْهِمْ كَذٰلِكَ نَبْلُوْهُمْ فحفروا حياضا عند البحر و شرّعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم * [قِرَدَةً خٰسِئِيْنَ] خبران اي كونوا جامعين بين القردية و الخسوء و هو الصغار و الطرد * [فَجَعَلْنٰهَا] يعني المسخة * [نَكَالًا] عبرة تنكّل من اعتبر بها اي تمنعه و منه النكل القيد * [لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا] لما قبلها * [وَمَا خَلْفَهَا] و ما بعدها من الأمم و القرون لان مَسْخَتهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها و اعتبر بها مَن بلغتهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى و الامم - و قيل نكالا عقوبة

وَاِذْ قَالَ مُوْسٰى لِقَوْمِهٖٓ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تَذْبَحُوْا بَقَرَةً ۭ قَالُوْٓا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۭ قَالَ اَعُوْذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ ۭ قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَّلَا بِكْرٌ ۭ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذٰلِكَ ۭ فَافْعَلُوْا مَا تُؤْمَرُوْنَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۭ قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاۗءُ فَاقِعٌ

متكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم و ما تاخر منها * [وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِيْنَ] للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها * كَانَ في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه و طرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بَقَرَةً و يضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله * [قَالُوْٓا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا] اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مَهْزُوًّا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء * [مِنَ الْجٰهِلِيْنَ] لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل و السفه - و قرئ هُزُوًا بضمتين و هُزْوًا بسكون الزاء نحو كُفُوًا و كُفْوًا - و قرأ حفص هُزُوًا بضمتين و الواو و كذلك كُفُوًا * و [العياذ] و اللياذ من واد واحد - في قراءة عبد الله سَلْ لَّنَا رَبَّكَ مَا هِيَ سوال عن حالها و صفتها و ذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يُضْرَبُ ببعضها ميت فيحيى فسالوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر * و [الفارض] المسنة و قد فُرِضت فروضا فهي فارض قال خُفَافُ بن نُدْبَة * شعر * لعمري لقد اعطيتَ ضيفك فارضا * تسوق اليه ما تقوم على رجل * و كانها سميت فارضا لانها فَرَضتْ سنها اي قطعتها و بلغتَ آخرها * و [البكر] الفتية * و [العوان] النَّصَفُ قال * ع * نواعم بين ابكار وعُون * و قد عَوَنت - فان قلت [بَيْن] يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك - قلت انه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض و البكر - فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مونثين و انما هو للاشارة الى واحد مذكر - قلت جاز ذلك على تاويل ما ذكر و ما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فَعَلَ نائبا عن افعال جَمّة تذكر قبله تقول للرجل نِعْمَ ما فَعَلْتَ و قد ذكر لك افعالا كثيرة و قصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك و قد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا - قال ابو عبيدة قلت لرويةَ في قوله * شعر * فيها خطوط من سواد وبَلَق * كانه في الجلد توليع البَهَق * ان اردت الخطوط فقل كانها و ان اردت السواد و البلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك وبَلَك - و الذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة و كذلك الموصولات و لذلك جاء الذي بمعنى الجمع * [مَا تُؤْمَرُوْنَ] اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله اَمَرْتُك الخير او امركم بمعنى مامور كم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير * [الفقوع] اشد ما يكون من الصفرة و اَصْفَعُ بدل في تاكيد اصفر فَاقِعٌ و وَارِسٌ كما يقال اسودُ حَالِكٌ و حَانِكٌ و ابيضُ يَقَقٌ و لَبَقٌ و احمرُ قَانِيٌّ و ذَرِّيٌّ و اخضرُ دَغِرٌ و مُدْهَامٌّ و ازرقُ خُطْبَانِيٌّ و ارمكُ رُدَانِيٌّ - فان قلت فاقع ههنا واقع خبرا عن اللون فلم يتع توكيدا لصفراء - قلت لم يتع خبرا عن اللون و انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل و اللون من سببها

سورة بقرة ٢ سَوْدَاءُ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ
حزء لَمُهْتَدُونَ ۝ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ۚ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۖ
ع ٨

و ملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة و صفراء فاقع لونها - فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون - قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم سهلية وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جدّ جدّه و جنونك مجنون - و عن وهب اذا نظرت اليها خُيّل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها * و [السرور] لذّة في القلب عند حصول نفع او توقعه و عن علي رضي الله عنه مَنْ لَبس نعلا صفراء قلّ همّه لقوله تعالى تَسُرُّ النَّاظِرِينَ و عن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد و لعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرةٌ و به فسّر قوله تعالى جِمَالَتٌ صُفْرٌ قال الاعشى * شعر * تلك خيلي منه و تلك ركابي * هنّ صُفْر اولادها كالزبيب * [مَا هِيَ] مرة ثانية تكرير للسوال عن حالها و صفتها و استكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها - و عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم والاستقصاء شُؤم - و عن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطعَ اشجارهم و يَهْدِمَ دورهم فكتب اليه بايّهما أبْدَأُ فقال ان قلت لك بقطع الشجر سالتني باي نوع منها ابدأ - و عن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضائن ام ماعز فان بيّنتُ لك قلتَ اذكرا م انثى فان اخبرتك قلتَ اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني و في الحديث اعظم الناس جُرمًا من سال عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسألته * [إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا] اي ان البقر الموصوف بالنعوين و الصفرة كثير فاشتبه علينا ايها تذبح - و قرئ تَشَّابَهَ بمعنى تَتَشَابَهُ بطرح التاء و ادغامها في الشين و تشابهت و متشابهة و متشابهٌ - و قرأ محمد ذو الشامة ان الباقر يشّابه بالياء والتشديد جاء في الحديث لو لم يستثنُوْا لَمَا بُيّنت لهم آخرا الا بداي لو لم يقولوا إِنْ شَاءَ اللّٰهُ * والمعنى [إِنَّا - لَمُهْتَدُونَ] الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل * [لَا ذَلُولٌ] صفة لبقرةٌ بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب و اثارة الارض و لا هي من النواضح التي يستنى علينا لسقي الحروث و لا الاولى للنفي و الثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير و تسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية - و قرأ ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي و هو نفي لذلّها و لان توصف به فيقال هي ذلول و نحوه قولك مررت بقوم لا بخيلَ و لا جبانَ اي فيهم او حيث هم * وقرئ تُسقي بضم التاء من اسقى * [مُسَلَّمَةٌ] سلّمها الله من العيوب - او معفاة من العمل سلّمها اهلها منه كقوله * شعر * و مُعْفَرُ اظهر يُبني عن وليته * ما حجّ ربّه في الدنيا ولا اعتمرا * او مخلصة اللون من سَلِم له كذا اذا خلص له لم يَشُبْ صُفْرَتَها شيء من الالوان * [لَا شِيَةَ فِيهَا] لا لمعة في يُقبتها من لون اخر سوى

قَالُوا الْئٰنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ط فَذَبَحُوْهَا وَمَا كَادُوْا يَفْعَلُوْنَ ۝ ع وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادّٰرَءْتُمْ فِيْهَا ط وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ
مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ ۝ فَقُلْنَا اضْرِبُوْهُ بِبَعْضِهَا ط كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتٰى ط وَيُرِيْكُمْ اٰيٰتِهٖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ۝

الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها و ظلفها و هي في الاصل مصدر و شَاةٌ وَشْيَاءُ و شِيَةٌ اذا خلط بلونه لونا آخر و منه ثور موشّى القوائم * [جِئْتَ بِالْحَقِّ] اي بحقيقة وصف البقرة و ما بقي اشكال في امرها * [فَذَبَحُوْهَا] اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها * و قوله [وَمَا كَادُوْا يَفْعَلُوْنَ] استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم و انهم لتطويلهم المفرط و كثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها و ما كادت تنتهي سؤالاتهم و ما كاد ينقطع خيطُ اسهابهم فيها و تعمقهم - و قيل و ما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها و قيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل - و روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغَيْضَةَ و قال اللّٰهم اني اَسْتَوْدِعُكَهَا لابني حتى يكبر و كان برّا بوالديه فنبتت و كانت من احسن البقر و اسمنه فساوموها اليتيم و امّه حتى اشتروها بملأ مسكها ذهبا و كادت البقرة ان ذاك بثلثة دنانير و كانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة - فان قلت كانت البقرة التي تَذَاوَلَهَا الامر بقرةٌ من شقّ البقر غيرَ مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون و صفات فذبحوا المخصوصة فما فَعَلَ الامرُ الاولُ - قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة و النسخُ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لبده البقرة الموصوفة كما تناول غيرها و لو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص * [وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا] خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم * [فَادّٰرَءْتُمْ] فاختلفتم و اختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدراء بعضهم بعضا اي يدفعه و يزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروحُ عليه الطارحَ اولان الطرحَ في نفسه دَفْعٌ او دَفَعَ بعضكم بعضا عن البراءة و التهمة * [وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ] مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما - فان قلت كيف اعمل مخرج و هو في معنى المضي - قلت قد حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكي الحاضر في قوله بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ و هذه الجملة اعتراض بين المعطوف و المعطوف عليه و هما ادّارَأْتُمْ و قَتَلْتُمْ * و الضمير في [اضْرِبُوْهُ] اما ان يرجع الى النفس و التذكير على تاويل الشخص و الانسان و اما الى القتل لما دلّ عليه من قوله مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ * [بِبَعْضِهَا] ببعض البقرة و اختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها و قيل فخذها اليمنى و قيل عَجْبُها و قيل العظم الذي يلي الغرضوف و هو اصل الاذن و قيل البضعة بين الكتفين و المعنى فضربوه فَحَيِيَ فحذف ذلك لدلالة قوله كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتٰى - روي انهم لما ضربوه قام باذن اللّٰه و اوداجه تشخب دما و قال قتلني فلان و فلان لابْنَيْ اخيه ثم سقط ميتا فاُخِذَا و قُتِلَا و لم يورث قاتل بعد ذلك * [كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتٰى] اما ان يكون خطابا للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى و قلنا لهم كذلك يحيي اللّٰه الموتى يوم القيمة * [وَيُرِيْكُمْ اٰيٰتِهٖ] ودلائله على انه قدير على كل شيء * [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ] فتعلمون على قضية عقولكم و ان من قدر على احياء

سورة البقرة ٢ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ط

الجزء ١

ع ٩

نفس واحدة قدر على إحياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فان قلت هلا احياه ابتداء و لِمَ شَرَطَ في احيائه ذبحَ البقرة و ضربَه ببعضها - قلت في الاسباب و الشروط حِكَمٌ و فوائد و انما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب و اداء التكليف و اكتساب الثواب و الاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب و ما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم و لأخرين في ترك التشديد و المسارعة الى امتثال اوامر الله تعالى و ارتسامها على الفور من غير تفتيش و تكثير سوال و نفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البرّ بالوالدين و الشفقة على الاولاد و تحهيل الهازي بما لا يعلم كنهه و لا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء و بيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به و ان يختاره فتيّ السن غير قحم و لا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يُونِق من ينظر اليه و ان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحّى بنجيبة بثلثمأية دينار و ان الزيادة في الخطاب نسخ له و ان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل و امكانه لا دائه الى البداء و ليعلم بما امر من مسّ الميت بالميت و حصول الحيوة عقيبه ان الموثّر هوالمسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لايعقل ان يتولد منهما حيوة - فان قلت فما للقصّة لم تقصّ على ترتيبها و كان حقها ان يتقدم ذكر القتيل و الضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها و ان يقال وَ اِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا - فَقُلْنَا اذْبَحُوا بَقَرَةً وَاضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا - قلت كل ما قصّ من قصص بني اسرائيل انما قصّ تعديدًا لِمَا وُجد منهم من الجنايات و تقريعا لهم عليها و لما تجدّد فيهم من الأيات العظام و هاتان قصّتان كلّ واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع و ان كانتا متصلتين متحدتين - فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء و ترك المسارعة الى الامتثال و ما يتبع ذلك - والثانيةُ للتقريع على قتل النفس المحرّمة و ما يتبعه من الأية العظيمة و انما قدمت قصّة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لوعمل على عكسه لكانت قصّة واحدة و لذهب الغرض في تثنية التقريع و لقد رُوعيت نكتة بعد ما استُؤنفت الثانية استيناف قصّة براسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا حتى يتبيّن انهما قصّتان فيما يرجع الى التقريع و تثنيته باخراج الثانية مُخرج الاستيناف مع تاخيرها و انها قصّة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة * معنى [ثُمَّ قَسَتْ] استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب و رقتها و نحوه ثم انتم تمترون و صفة القلوب بالقسوة و الغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار و ان المواعظ لا تؤثر فيها و ذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الأيات المعدودة * [فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ] فهي في قسوتها مثل الحجارة * [أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً] منها و اشد معطوف على الكاف امّا على معنى او مثل اشد قسوة فحذف

وَ اِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْاَنْهَارُ ط وَ اِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ ط وَ اِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ ط وَ مَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ۝ اَ فَتَطْمَعُوْنَ اَنْ يُّؤْمِنُوْا لَكُمْ وَ قَدْ كَانَ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُوْنَ كَلَامَ اللّٰهِ ثُمَّ يُحَرِّفُوْنَهٗ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوْهُ وَ هُمْ يَعْلَمُوْنَ ۝ وَ اِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا قَالُوْٓا اٰمَنَّا ج وَ اِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ اِلٰى بَعْضٍ قَالُوْٓا اَ تُحَدِّثُوْنَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ

المضاف و اقيم المضاف اليه مقامه و تعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفاً على الحِجَارَةِ و اِمّا على او هي في انفسها اشدّ قسوة - والمعنى ان من عرف حالها شبّهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة - فان قلت لِمَ قيل اَشَدّ قَسْوَةً و هل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل و فعل التعجب - قلت لكونه ابين و ادلّ على فرط القسوة و وجه آخر و هو ان لا يقصد معنى الاقسى و لكن قصد وصف القسوة بالشدّة كانه قيل اشتدّت قسوة الحجارة و قولهم اشدّ قسوة و قرئ قَسَاوَةً و تُرِكَ ضمير المفضّل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم و عمرو اكرم * و قوله [وَ اِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ] بيان لفضل قولهم على الحجارة في شدّة القسوة و تقرير لقوله اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةً - و قرئ وَ اِنْ بالتخفيف و هي اِن المخفّفة من المثقّلة التي تلزمها اللام الفارقة و منها قوله تعالى وَ اِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيْعٌ * و [التفجّر] التفتّح بالسعة و الكثرة - و قرأ مالك بن دينار يَتْفَجَّرُ * [يَشَّقَّقُ] يتشقّق و به قرأ الاعمش و المعنى ان من الحجارة ما فيه خُرُق واسعة يتدفّق منها الماء الكثير الغزير و منها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا * [يَهْبِطُ] يتردّى من اعلى الجبل - و قرئ بضم الباء * و [الخشية] مجاز عن انقيادها لامر الله تعالى و انها لا تمتنع على ما يريد فيها و قلوب هؤلاء لا تنقاد و لا تفعل ما اُمِرَتْ به - و قرئ يَعْمَلُوْنَ بالياء و التاء و هو وعيد * [اَفَتَطْمَعُوْنَ] الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و المؤمنين [اَنْ يُّؤْمِنُوْا لَكُمْ] ان يُحْدِثوا الايمان لاجل دعوتكم و يستجيبوا لكم كقوله فَاٰمَنَ لَهٗ لُوْطٌ يعنى اليهود [وَقَدْ كَانَ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ] طائفة فيمن سلف منهم [يَسْمَعُوْنَ كَلَامَ اللّٰهِ] و هو ما يتلونه من التوراة [ثُمَّ يُحَرِّفُوْنَهٗ] كما حرّفوا صفة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و آية الرجم - و قيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلّم موسى بالطور و ما اَمَرَ به و نهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا و ان شئتم فلا تفعلوا فلا باس - و قرئ كَلِمَ اللّٰهِ * [مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوْهُ] من بعد ما فهموه و ضبطوه بعقولهم و لم تبق لهم شبهة في صحته * [وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ] انهم كاذبون مفترون و المعنى اِنْ كَفَرَ هؤلاء و حرّفوا فلهم سابقة في ذلك * [وَاِذَا لَقُوا] يعنى اليهود [قَالُوْا] قال منافقوهم [اٰمَنَّا] بانكم على الحق و ان محمدا هو الرسول المبشّر به * [وَاِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ] الذين لم ينافقوا [اِلٰى بَعْضٍ] الذين نافقوا [قَالُوْا] عاتبين عليهم [اَتُحَدِّثُوْنَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ] بما بيّن لكم في التوراة من صفة محمّد - او قال المنافقون لاعقابهم يردّدونهم التصلّب في دينهم اتحدّثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فيناقضون المؤمنين و ينافقون

سورة البقرة ٢ الجزء ١ ع ٩ النصف

لِيُحَآجُّوكُمْ بِهٖ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۚ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ۝ اَوَلَا يَعْلَمُوْنَ اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ ۝ وَمِنْهُمْ
اُمِّيُّوْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ الْكِتٰبَ اِلَّآ اَمَانِيَّ وَاِنْ هُمْ اِلَّا يَظُنُّوْنَ ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِيْنَ يَكْتُبُوْنَ الْكِتٰبَ بِاَيْدِيْهِمْ ق
ثُمَّ يَقُوْلُوْنَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ لِيَشْتَرُوْا بِهٖ ثَمَنًا قَلِيْلًا ۚ فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ اَيْدِيْهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا
يَكْسِبُوْنَ ۝ وَقَالُوْا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ اِلَّآ اَيَّامًا مَّعْدُوْدَةً ۚ قُلْ اَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْدًا فَلَنْ يُّخْلِفَ اللّٰهُ
عَهْدَهٗٓ اَمْ تَقُوْلُوْنَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ۝ بَلٰى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَّاَحَاطَتْ بِهٖ خَطِيْٓئَتُهٗ فَاُولٰٓئِكَ
اَصْحٰبُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ۝

اليهود * [لِيُحَآجُّوكُمْ بِهٖ عِنْدَ رَبِّكُمْ] ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجّتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجّة عند الله اَتَرَاكَ تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد * [يَعْلَمُ] جميع [مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ] ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان * [وَمِنْهُمْ اُمِّيُّوْنَ] لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة و يتحققوا ما فيها * [لَا يَعْلَمُوْنَ الْكِتَابَ] التوراة [اِلَّآ اَمَانِيَّ] الا ما هم عليه من امانيّهم و ان الله يعفو عنهم و يرحمهم و لا يواخذهم بخطاياهم و ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم و ما يمنّيهم احبارهم من ان النار لا تمسّهم الا اياما معدودة و قيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد - قال اعرابي لابن دأب في شيء حدث به أهذا شيء رَوَيْتَه ام تَمَنَّيْتَه اي اختلقته - وقيل الا ما يقرؤون من قوله * ع * تمنّى كتاب الله اول ليلة * والاشتقاق من منى اذا قدّر لان المتمني يُقَدِّر في نفسه و يحزر ما يتمناه و كذلك المختلق و القاري يقدر اَنّ كلمة كذا بعد كذا و اِلّا اماني من الاستثناء المنقطع - و قرئ اَمَانِيَ بالتخفيف * ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم و الاستيقان ثم العوام الذين قلّدوهم و نبّه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه و على العامي ان لا يرضى بالتقليد و الظن و هو متمكّن من العلم * [يَكْتُبُوْنَ الْكِتٰبَ] المحرف [بِاَيْدِيْهِمْ] تاكيد و هو من سجاير التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه * [مِمَّا يَكْسِبُوْنَ] من الرشى * [اِلَّآ اَيَّامًا مَّعْدُوْدَةً] اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل - و عن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة و انما نُعَذَّب مكان كلّ الف سنة يوما * [فَلَنْ يُّخْلِفَ اللّٰهُ] متعلق بمحذوف تقديره ان اَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْدًا فلن يخلف الله عهده * و [اَمْ] إما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما - و يجوز ان تكون منقطعة * [بَلٰى] اثبات لما بعد حرف النفي و هو قوله لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ اي بلى تَمَسُّكُم ابدا بدليل قوله هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ * [مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً] من السيئات يعني كبيرة من الكبائر [وَاَحَاطَتْ بِهٖ خَطِيْٓئَتُهٗ] تلك و استولت عليه كما تحيط العدوّ و لم يتفصّ عنها بالتوبة - و قرئ خطاياه و خطيئاته و قيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته - و سال رجل الحسنَ فقال سبحان الله اَتَرَاكَ ذَا لِحْيَة و ما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكلّ آية نهى فيها الله عنها

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ ع وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ
تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۖ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ
أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ح

و اخبرك انه مَنْ عَمِلَ بما أُدخله النار فهي الحطيئة المحيطة * [لا تَعْبُدُونَ] إخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر و هو ابلغ من صريح الامر و النهي لانه كانه سُوْرِعَ الى الامتثال و الانتهاء فهو يخبر عنه و تنصره قراءة عبد الله و أُبَيّ لَا تَعْبُدُوا و لا بدّ من ارادة القول و يدلّ عليه ايضا قوله وَقُولُوا * وقوله [وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا] إما ان يقدّر و تحسنون بالوالدين احسانا او و احسنوا - و قيل هو جواب قوله أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ اجراء له مُجرى القسم كانه قيل و اذ أقسمنا عليهم لا تعبدون - و قيل معناه أَنْ لا تعبدوا فلمّا حذفت أَنْ رُفع كقوله *ع* الا أيُّها الزاجري احضرُ الوغى * و يدلّ عليه قراءة عبد الله أَنْ لَا تَعْبُدُوا و يحتمل ان لا تعبدوا ان تكون أَنْ فيه مفسّرة و ان تكون ان مع الفعل بدلاً عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم - و قرئ بالتاء حكايةً لما خُوطبوا به و بالياء لانهم غُيّبٌ * [حُسْنًا] قولا هو حُسْنٌ في نفسه لافراط حسنه - و قرئ حَسَنًا و حُسْنى على المصدر كبشرى * [ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ] على طريق الالتفات اي توليتم عن الميثاق و رفضتموه * [إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ] قيل هم الذين اسلموا منهم * [وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ] و انتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق و التولية * [لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ] لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جُعِلَ غير الرجل نفسَه اذا اتصل به اصلا او دينا و قيل اذا قَتَلَ غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتصّ منه * [ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ] بالميثاق و اعترفتم على انفسكم بلزومه * [وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ] عليها كقولك فلان مقرّ على نفسه بكذا شاهد عليها - و قيل و انتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق * [ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ] استبعاد لما اسند اليهم من القتل و الاجلاء و العدوان بعد اخذ الميثاق منهم و اقرارهم و شهادتهم - و المعنى ثُمَّ أَنْتُمْ بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعتَ بغير الوجه الذي خرجتَ به * و قوله [تَقْتُلُونَ] بيان لقوله ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ و قيل هؤلاء موصول بمعنى الذين - و قرئ تَظَّاهرون بحذف التاء و ادغامها و تتظاهرون باثباتها و تَظَّهرون بمعنى تَتَظَّهرون اي تتعاونون عليهم - و قرئ تَفْدُوهم و تُفَادُوهم و أَسْرَى و أُسَارَى * و [هُوَ] ضمير الشان و - يجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم * [أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ] اي بالفداء [وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ] اي بالقتال و الاجلاء - و ذلك ان قُرَيْظَةَ كانوا حُلَفَاء الأَوْس و النَّضِير كانوا حلفاء الخَزْرَج فكان كلّ

سورة البقرة ٢ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَّفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ اِلَّا خِزْيٌ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۚ وَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّوْنَ اِلٰٓى اَشَدِّ الْعَذَابِ ؕ
الجزء ١ وَ مَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ۝ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ ز فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ
ع ١١ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَ ۝ ع وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ وَ قَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهٖ بِالرُّسُلِ ز وَ اٰتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ
مَرْيَمَ الْبَيِّنٰتِ وَ اَيَّدْنٰهُ بِرُوْحِ الْقُدُسِ ؕ اَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُوْلٌۢ بِمَا لَا تَهْوٰٓى اَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ ج
فَفَرِيْقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيْقًا تَقْتُلُوْنَ ۝

فريق يقاتل مع حلفائه و اذا غلبوا خرّبوا ديارهم و اخرجوهم و اذا اُسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيّرتهم العرب و قالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون اُمرنا ان نفديهم و حرّم علينا قتالهم و لكنا نستحيي ان نذلّ حلفاءنا * و [الخزي] قتل بني قُريظة و اسرهم و اجلاء بني النضير - و قيل الجزية * و انما رُدّ مَنْ فَعَل منهم ذلك الى اشدّ العذاب لان عصيانه اشدّ - و قرئ تُرَدُّوْنَ و يَعْلَمُوْنَ بالياء و التاء * [فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ] عذاب الدنيا بنقصان الجزية و لا ينصرهم احد بالدفع عنهم و كذلك عذاب الاخرة * [الْكِتٰب] التوراة اتاه اياها جملة واحدة - و يقال قفّاه اذا اتبعه من القفا نحو ذَنَّبَهُ من الذَنَب و قفّاه به اتبعه اياه يعني و ارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله تعالى ثُمَّ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى و هم يوشع و اشمويل و شمعون و داود و سليمان و شعيا و ارميا و عزير و حزقيل و الياس و اليسع و يونس و زكريّا و يحيى و غيرهم * و قيل [عِيْسَى] بالسريانية اِيشُوع * و [مَرْيَمَ] بمعنى الخادم - و قيل المريم بالعبريّة من النساء كالزِّير من الرجال و به فسر قول رؤبة * ع * قلت لِزِيْر لم تصله مريسُه * و وزن مريم عند النحويين مَفْعَل لان فَعِيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عِثْيَر و عُلَيَب * [الْبَيِّنٰتِ] المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى و ابراء الاكمه و الابرص و الاخبار بالمغيبات - و قرئ وَ اَيَّدْنٰهُ و منه آجَدَه بالجيم اذا قوّاه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف و اوجدني بعد فقر * [بِرُوْحِ الْقُدُسِ] بالروح المقدسة كما تقول حاتمُ الجود و رجلُ صدق و وَصَفَها بالقدس كما قال وَ رُوْحٌ مِنْهُ وصفه بالاختصاص و التقريب للكرامة - و قيل لانه لم تضمّه الاصلاب و لا ارحام الطوامث و قيل بجبرئيل و قيل بالانجيل كما قال في القرآن وَ رُوْحًا مِنْ اَمْرِنَا و قيل باسم الله الاعظم الذي كان يُحيي الموتى بذكره و المعنى و لقد اتبعنا يا بني اسرائيل انبياءكم ما اتيناهم * [اَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُوْلٌ] منهم بالحق * [اسْتَكْبَرْتُمْ] عن الايمان به فوسّط بين الفاء و ما تعلقت به همزة التوبيخ و التعجب من شانهم و يجوز ان يريد و لقد آتيناهم ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبّخهم على ذلك و دخول الفاء لعطفه على المقدر - فان قلت هلا قيل و فريقا قتلتم - قلت هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس و تصويره في القلوب و ان يراد و فريقا تقتلونهم بعدُ لانكم تحومون حول قتل محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم لولا اني اعصمه منكم و لذلك سَحَرْتُمُوْهُ و سممتم له الشاة

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الْكَافِرِينَ ۝ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ ۚ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم عند موته ما زالت أكلة خيبر تُعادني فهذا اوانُ قطعت ابهري • [غُلْفٌ] جمع اغلف اي هي خلقةٌ وجبلةٌ مغشّاةٌ باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم و لا تفقهُهُ مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ - ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة و التمكن من قبول الحق بان الله لعنهم و خذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلّفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة و تسبّبوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانُهم و للمومنين • [فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ] فايمانا قليلا يؤمنون و ما مزيدة و هو ايمانهم ببعض الكتاب - و يجوز ان تكون القلّة بمعنى العدم و قيل غُلْف تخفيف غُلُف جمع غِلاف اي قلوبنا أوعيةٌ للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره - و روي عن ابي عمرو قُلُوبُنَا غُلُف بضمتين • [كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ] هو القرآن • [مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ] من كتابهم لا يخالفه - و قوبل مُصَدِّقًا على الحال - فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة - قلت اذا وصف النكرة تخصّص فصحّ انتصاب الحال عنه و قد وصف كتاب بقوله مِنْ عِندِ اللَّهِ و جواب لَمَّا محذوف و هو نحو كذّبوا به و استهانوا بمجيّه و ما اشبه ذلك • [يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا] يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللّهمّ انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته و صفته في التوراة و يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظلّ زمان نبيّ يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتلَ عاد و إرَمَ - و قيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم و يعرّفونهم ان نبيا يُبعث منهم قد قرب اوانه - و السين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب و استسخر او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم • [فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا] من الحق [كَفَرُوا بِهِ] بغيًا و حسدًا و حرصًا على الرياسة • [عَلَى الْكَافِرِينَ] اي عليهم وضعا للظاهر موضع المُضْمَر للدلالة على ان اللعنة لَحِقَتْهم لكفرهم - و اللام للعهد - و يجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوّليًا • [مَا] نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئًا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا • [وَ اشْتَرَوْا] بمعنى باعوا • [بَغْيًا] حسدا و طلبا لما ليس لهم و هو علةُ اشتروا • [أَن يُنَزِّلَ] لان ينزّل او على ان ينزّل اي حسدوه على ان ينزّل الله [مِن فَضْلِهِ] الذي هو الوحي [عَلَى مَن يَشَاءُ] و تقتضي حكمتُه ارسالَه • [فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ] فصاروا أحقّاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق و بَغَوا عليه و قيل كفروا بمحمد بعد عيسى و قيل بعد قولهم عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ و قولهم يَدُ اللّٰهِ مَغْلُولَةٌ و غير ذلك من انواع كفرهم • [بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ] مطلق

سورة البقرة ٢ الجزء ١ ع ١١

قَالُوْا نُؤْمِنُ بِمَآ اُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُوْنَ بِمَا وَرَآءَهٗ ق وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ط قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُوْنَ
اَنْبِيَآءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۝ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ مُّوْسٰى بِالْبَيِّنٰتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ
بَعْدِهٖ وَاَنْتُمْ ظٰلِمُوْنَ ۝ وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ ط خُذُوْا مَآ اٰتَيْنٰكُمْ بِقُوَّةٍ وَّاسْمَعُوْا ط قَالُوْا
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ق وَاُشْرِبُوْا فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ط قُلْ بِئْسَمَا يَاْمُرُكُمْ بِهٖٓ اِيْمَانُكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۝
قُلْ اِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْاٰخِرَةُ عِنْدَ اللّٰهِ خَالِصَةً مِّنْ دُوْنِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ۝
وَلَنْ يَّتَمَنَّوْهُ اَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْهِمْ ط

فيما انزل الله من كل كتاب [قَالُوْا نُؤْمِنُ بِمَا اُنْزِلَ عَلَيْنَا] مقيّد بالتورٰية • [وَيَكْفُرُوْنَ بِمَا وَرَاءَهٗ] اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورٰية • [وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ] منها غير مخالف له وفيه ردّ لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورٰية فقد كفروا بها - ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادّعاءهم الايمان بالتورٰية والتورٰية لا تُسَوِّغُ قتلَ الانبياء • [وَاَنْتُمْ ظٰلِمُوْنَ] يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم • وكُرِّرَ رفع الطور لما نِيْطَ به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد • [وَاسْمَعُوْا] مَا اُمِرْتُمْ به في التورٰية • [قَالُوْا سَمِعْنَا] قولك [وَعَصَيْنَا] امرك - فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم - قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسْمَعُوْا وليكن سماعكم سماعَ تقبّلٍ وطاعةٍ فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة • [وَاُشْرِبُوْا فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْعِجْلَ] اي تداخلهم حبّه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوبَ الصِبْغُ وقوله فِيْ قُلُوْبِهِمْ بيان لمكان الاشراب كقوله اَنَّمَا يَاْكُلُوْنَ فِيْ بُطُوْنِهِمْ نَارًا • [بِكُفْرِهِمْ] بسبب كفرهم • [بِئْسَمَا يَاْمُرُكُمْ بِهٖٓ اِيْمَانُكُمْ] بالتورٰية لانه ليس في التورٰية عبادة العجاجيل - واضافة الامر الى ايمانهم تهكّمٌ كما قال قوم شعيب اَصَلٰوتُكَ تَاْمُرُكَ وكذلك اضافة الايمان اليهم • وقوله [اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ] تشكيكٌ في ايمانهم وقدحٌ في صحّة دعواهم له • [خَالِصَةً] نصب على الحال من الدَّارُ الْاٰخِرَةُ والمراد الجنّة اي سالمة لكم خالصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حقّ يعني اِنْ صحّ قولكم لَنْ يَّدْخُلَ الْجَنَّةَ اِلَّا مَنْ كَانَ هُوْدًا • [وَالنَّاسِ] للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون • [فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ] لان مَنْ اَيْقَنَ انه من اهل الجنّة اشتاق اليها وتمنّى سرعة الوصول الى النعيم والتخلّصَ من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشّرين بالجنّة ما روي - كان عليّ رضي الله عنه يطوف بين الصَّفَّيْنِ في غِلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزيّ المحاربين فقال يا بُنيّ لايبالي ابوك على المَوت سقط ام عليه سقط الموت - وعن حذيفة رضي الله عنه انه كان يتمنّى الموت فلما احْتُضر قال حبيب جاء على فاقة لَا اَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ يعني على التمنّي - وقال عمّار بصفّين الآن اُلاقي الاحبّة محمدا وحزبَه وكان كلّ واحد من العشرة يُحِبّ الموت ويُحِنّ اليه - وعن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لو تمنّوا الموت لغصّ كلّ انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي • [بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْهِمْ] بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وبما جاء

وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِالظّٰلِمِيْنَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ اَحْرَصَ النَّاسِ عَلٰى حَيٰوةٍ ۛ وَمِنَ الَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا ۛ يَوَدُّ اَحَدُهُمْ
لَوْ يُعَمَّرُ اَلْفَ سَنَةٍ ۚ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهٖ مِنَ الْعَذَابِ اَنْ يُّعَمَّرَ ؕ

به وتحريف كتاب الله و سائر انواع الكفر والعصيان • وقوله [وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ اَبَدًا] من المعجزات لانه اخبار بالغيب و كان كما اخبر به كقوله وَلَنْ تَفْعَلُوْا - فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنّوا - قلت لانهم لو تمنّوه لَنُقِلَ ذلك كما نقل سائر الحوادث و لكان ناقلوه من اهل الكتاب و غيرهم من اولى المطاعن في الاسلام اكثر من الدّر و ليس منهم احد نَقَلَ ذلك - فان قلت التمنّي من اعمال القلوب و هو سرّ لا يطّلع عليه احد فمن اين علمتَ انهم لم يتمنّوا - قلت ليس التمنّي من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا فاذا قاله قالوا تَمَنّى و ليت كلمة التمنّي ومحال ان يقع التحدّي بما في الضمائر و القلوب و لو كان التمنّي بالقلوب و تمنّوا لقالوا قد تمنّينا الموت في قلوبنا و لم ينقل انهم قالوا ذلك - فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدَّقون - قلت كم حكي عنهم من اشياء قالوها بها المسلمين من الافتراء على الله و تحريف كتابه و غير ذلك ممّا علموا انهم غير مصدّقين فيه و لا يحمل له الا الكذب البحت و لم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمنّي من افعال القلوب و قد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم و اخبارهم عن ضمائرهم و كان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدّق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خافٍ لا سبيل الى الاطلاع عليه • [وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِالظّٰلِمِيْنَ] تهديد لهم • [وَلَتَجِدَنَّهُمْ] هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ و مفعوله هُمْ - اَحْرَصَ - فان قلت لِمَ قال [عَلٰى حَيٰوةٍ] بالتنكير - قلت لانه اراد حيٰوة مخصوصة و هي الحيٰوة المتطاولة و لذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة اُبَيّ عَلَى الْحَيٰوةِ • [وَمِنَ الَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا] محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس - فان قلت أَلَم يدخل الذين اشركوا تحت الناس - قلت بلى و لكنهم اُفردوا بالذكر لان حرصهم شديد - و يجوز ان يراد و احرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه و فيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة و لا يعرفون الا الحيٰوة الدنيا فحرصهم عليها لا يُستبعد لانها جنتُهم فاذا زاد عليهم في الحرص مَنْ له كتاب و هو مقرّ بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ - فان قلت لِمَ زاد حرصهم على حرص المشركين - قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة و المشركون لا يعلمون ذلك - و قيل اراد بالذين اشركوا المجوسَ لانهم كانوا يقولون لملوكهم عِشْ الف نَيروز و الف مِهرجان - و عن ابن عباس رضي الله عنه هو قول الاعاجم زي هزار سال و قيل وَمِنَ الَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا كلام مبتدأ اي و منهم ناس يودّ احدهم على حذف الموصوف كقوله وَمَا مِنَّا اِلَّا لَهٗ مَقَامٌ مَّعْلُوْمٌ و الذين اشركوا على هذا مشارٌ به الى اليهود لانهم قالوا عُزَيْرُ بْنُ اللّٰهِ • و الضمير في [وَمَا هُوَ] لاحدهم • و [اَنْ يُّعَمَّرَ] فاعلُ بِمُزَحْزِحِهٖ اي و ما احدهم بِمَنْ يزحزحه من النار تعميرُه - و قيل الضمير لما دلّ

سورة البقرة ٢ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ ع قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّٰهِ مُصَدِّقًا لِّمَا
الجزء ١ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝
ع ١٢

عليه يُعَمَّرَ من مصدره و أَنْ يُعَمَّرَ بدل منه - ويجوز ان يكون هو مبهما و أَنْ يُعَمَّرَ مُوضحه و الزَّحْزَحَةُ التبعيد و الانجاء - فان قلت • [يَوَدُّ أَحَدُهُمْ] ما موقعه - قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف - فان قلت كيف اتصل لَوْ يُعَمَّرُ بِيَوَدُّ أَحَدُهُمْ - قلت هو حكاية لِوَدَادَتِهِم و لَوْ في معنى التمني و كان القياس لَوْ أُعَمَّرُ إلا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يَوَدُّ أَحَدُهُمْ كقولك حلف بالله ليفعلنّ به • روي ان عبد الله بن صُورِيَا من احبار فَدَك حاجّ رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم و سأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبرئيل فقال ذاك عدوّنا و لو كان غيره لآمنّا بك و قد عادانا مرارًا و اشدّها انه انزل على نبيّنا ان بيت المقدس سَيُخَرِّبُه بُخْتَنَصَّرُ فَبَعَثْنَا مَنْ يقتله فلقيه ببَابِلَ غلاما مسكينا فدفع عنه جبرئيل عليه السلام و قال ان كان ربّكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه و ان لم يكن اياه فعلى اىّ حق تقتلونه و قيل امره الله تعالى ان يجعل الندوة فينا فجعلها في غيرنا - و روي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة و كان ممرّه على مدارس اليهود و كان يجلس اليهم و يسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك و انا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبّكم ولا اسألكم لاني شاكّ في ديني و انما ادخل عليكم لارداد بصيرة في امر محمد صلّى الله عليه وآله و سلّم و ارى آثاره في كتابكم ثم سالهم عن جبرئيل فقالوا ذاك عدوّنا يطّلع محمدا على اسرارنا و هو صاحب كلّ خسف و عذاب و ان ميكائيل يجيئ بالخصب و السلام فقال لهم و ما منزلتهما من الله تعالى قالوا اقرب منزلة جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ميكائيل عدوٌّ لجبرئيل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوّين و لانتم اكفر من الحمير و من كان عدوًّا لاحدهما كان عدوًّا للاخر و من كان عدوًّا لهما كان عدوًّا لله ثم رجع عمر فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلّم لقد وافقك ربّك يا عمر قال عمر لقد رَأَيْتُنِي في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر و قرئ جَبْرَئِيلُ بوزن قَفْشَائِيلُ و جَبْرَئِلُ بحذف الياء و جَبْرِيلُ بحذف الهمزة وجِبْرِيلُ بوزن قِنْدِيلُ و جَبْرَالٌ بلام شديدة و جَبْرَائِيلُ بوزن جَبْرَاعِيلُ و جَبْرَائِلُ بوزن جَبْرَاعِلُ و منع الصرف فيه للتعريف و العجمة وقيل معناه عبد الله • الضمير في [نَزَّلَهُ] للقرآن ونحوهذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدلّ على نفسه و يكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيئ من صفاته • [عَلَىٰ قَلْبِكَ] اي حفظه اياك و فَهَّمَكَهُ • [بِإِذْنِ اللّٰهِ] بتيسيره و تسهيله - فان قلت كان حق الكلام ان يقال عَلَىَّ قلبي - قلت جاءت على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به كانه قيل قُلْ ما تكلمت به من قولي مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ - فان قلت كيف استقام قوله فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ جزاء للشرط - قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبرئيلَ احدٌ من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزّل كتابا مصدّقا للكتب بين

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلّٰهِ وَ مَلٰٓئِكَتِهٖ وَ رُسُلِهٖ وَ جِبْرِيْلَ وَ مِيْكٰلَ فَاِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِّلْكٰفِرِيْنَ ۝ لَقَدْ اَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ اٰيٰتٍۢ بَيِّنٰتٍ ۚ وَ مَا يَكْفُرُ بِهَآ اِلَّا الْفٰسِقُوْنَ ۝ اَوَ كُلَّمَا عٰهَدُوْا عَهْدًا نَّبَذَهٗ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ ۭ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۝ وَ لَمَّا جَآءَهُمْ رَسُوْلٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيْقٌ مِّنَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ ۗ كِتٰبَ اللّٰهِ وَرَآءَ ظُهُوْرِهِمْ كَاَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝ وَ اتَّبَعُوْا مَا تَتْلُوا الشَّيٰطِيْنُ

يديه فلو انصفوا لاحبّوه و شكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم و يُصحّح المنزل عليهم و الثاني إن عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزّل عليك القرآن مصدقًا لكتابهم و موافقا له و هم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم و لذلك كانوا يحرّفونه و يجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد أذيتَه و أسأتَ اليه - افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر و هو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزّل منزلة التغاير في الذات - و قرئ مِيْكَال بوزن قِنْطَار و مِيْكَائِيْل كمِيْكَاعِيْل و مِيْكَائِل كمِيْكَاعِل و مِيْكَئِل كمِيْكَعِل و مِيْكَئِيْل كمِيْكَعِيْل - قال ابن جنّي العربُ اذا نطقتْ بالاعجمي خلّطتْ فيه * [عَدُوٌّ لِّلْكٰفِرِيْنَ] اراد عدوّ لهم فجاء بالظاهر ليدلّ على ان اللّٰه انما عاداهم لكفرهم و انّ عداوة الملائكة كفرٌ و اذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة و هم اشرف و المعنى مَنْ عاداهم عاداه اللّٰهُ و عاقبه اشدّ العقاب * [اِلَّا الْفٰسِقُوْنَ] الا المتمرّدون من الكَفَرَة - و عن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره - و عن ابن عباس رضي اللّٰهُ عنه قال ابن صُوريا لرسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم ما جئتنا بشيء نعرفه و ما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلتْ - و اللام في اَلْفَاسِقُوْنَ للجنس و الاحسن ان تكون اشارة الى اهل الكتاب * [اَوَ كُلَّمَا] الواو للعطف على محذوف معناه اَكَفَرُوْا بالآيات البيّنات و كلما عاهدوا - و قرأ ابو السَّمّال بسكون الواو على ان الفاسقين بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل و ما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد اللّٰه مرارًا كثيرة - و قرئ عُوْهِدُوْا و عَهِدُوْا و اليهود موسومون بالغدر و نقض العهود و كم اخذ اللّٰه الميثاقَ منهم و من ابائهم فنقضوا و كم عاهدهم رسول اللّٰه فلم يَفُوْا الذين عاهدتَ منهم ثم ينقضون عهدهم في كلّ مرة * و [النبذ] الرمي بالذمام و رفضه - وقرأ عبداللّٰه نَقَضَهُ فَرِيْقٌ مِنْهُمْ * و قال [فَرِيْقٌ مِنْهُمْ] لان منهم مَنْ لم ينقض * [بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ] بالتوراة و ليسوا من الدين في شيء فلا يعدّون نقض المواثيق ذنبا و لا يبالون به * [كِتٰبَ اللّٰهِ] يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول اللّٰه المصدّق لما معهم كافرون بها نابذون لها و قيل كتاب اللّٰه القرآنُ نبذوه بعد ما لزمهم تلقّيه بالقبول * [كَاَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ] انه كتاب اللّٰه لا يدخلهم فيه شكّ يعني ان علمهم بذلك رصينٌ و لكنهم كابروا و عاندوا و نبذُه وراء ظهورهم مثلُ لتركهم و إعراضهم عنه مُثّل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه و قلّة التفات اليه و عن الشعبي هو بين ايديهم يقرءونه و لكنهم نبذوا العمل به - و عن سُفيان ادرجوه في الديباج و الحرير و حلّوه بالذهب و لم يُحلّوا حلاله و لم يُحرّموا حرامه * [وَ اتَّبَعُوْا] اي نبذوا كتاب اللّٰه و اتبعوا * [مَا تَتْلُوا الشَّيٰطِيْنُ] يعني و اتبعوا كتب السحر

سورة البقرة ٢ الجزء ١ ع ١٢

عَلٰى مُلْكِ سُلَيْمٰنَ ۚ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٰنُ وَلٰكِنَّ الشَّيٰطِيْنَ كَفَرُوْا يُعَلِّمُوْنَ النَّاسَ السِّحْرَ ۗ وَمَآ اُنْزِلَ عَلَى
الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوْتَ وَمَارُوْتَ ۭ وَمَا يُعَلِّمٰنِ مِنْ اَحَدٍ حَتّٰى يَقُوْلَآ اِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۭ فَيَتَعَلَّمُوْنَ
مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُوْنَ بِهٖ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهٖ ۭ وَمَا هُمْ بِضَاۗرِّيْنَ بِهٖ مِنْ اَحَدٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ ۭ وَيَتَعَلَّمُوْنَ مَا
يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۭ وَلَقَدْ عَلِمُوْا لَمَنِ اشْتَرٰىهُ مَا لَهٗ فِي الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۭ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهٖٓ
اَنْفُسَهُمْ ۭ لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ ۝

و الشَّعْوذة التي كانت تقرأها * [عَلٰى مُلْكِ سُلَيْمٰنَ] اي على عهد مُلكه وفي زمانه - و ذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمّون الى ما سمعوا اكاذيب يلقّنونها و يُلقونها الى الكَهَنَة و قد دوّنوها في كتب يقرءونها و يعلّمونها الناس و فشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجنّ تَعلَمُ الغيب و كانوا يقولون هذا علم سليمان و ما تمّ لسليمان ملكه الاّ بهذا العلم و به تسخّر الانسَ و الجنَّ و الريحَ التي تجري بامره * [وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٰنُ] تكذيب للشياطين و دفع لما بَثّتْ به سليمانَ من اعتقاد السحر و العمل به و سمّاه كفراً و لكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر و تدوينه * [يُعَلِّمُوْنَ النَّاسَ السِّحْرَ] يقصدون به اغواءهم و اضلالهم * [وَمَا اُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ] عطف على السحر اي و يعلمونهم ما انزل على الملكين - و قيل هو عطف على مَا تَتْلُوا اي و اتبعوا ما انزل * [هَارُوْتَ وَمَارُوْتَ] عطف بيان للملكين علمان لهما و الذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاءً من اللّٰه للناس مَنْ تعلّمه منهم و عَمِلَ به كان كافراً و من تجنّبه او تعلّمه لئلا يعمل به و لكن ليتوقّاه و لئلا يغترّ به كان مؤمنا * ع * عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * كما ابتلي قوم طالوتَ بالنهر فمن شرب منه فليس منّي و من لم يطعمه فانه منّي - و قرأ الحسن على الْمَلَكَيْنِ بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل - و ما يعلّم الملكان احدا حتى ينبّهاه و ينصحاه و يقولا له [اِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ] اي ابتلاء و اختبار من اللّٰه * [فَلَا تَكْفُرْ] فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر * [فَيَتَعَلَّمُوْنَ] الضمير لما دلّ عليه مِنْ اَحَدٍ اي فيتعلم الناس من الملكين * [مَا يُفَرِّقُوْنَ بِهٖ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهٖ] اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العُقَد ونحو ذلك مما يحدث اللّٰه عنده الفرقَ و النشوزَ و الخلافَ ابتلاءً منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله تعالى [وَمَا هُمْ بِضَاۗرِّيْنَ بِهٖ مِنْ اَحَدٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ] لانه ربما احدث اللّٰه عنده فعلا من افعاله و ربما لم يحدث و يتعلمون ما يضرهم و لا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر و فيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجرّ الى الغواية - و لقد علم هؤلاء اليهود ان من اشترى اي استبدل ما تتلوا الشياطين من كتاب اللّٰه * [مَا لَهٗ فِي الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ] من نصيب * [وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهٖ اَنْفُسَهُمْ] اي باعوها - و قرأ الحسن الشَّيَاطُوْنَ - و عن بعض العرب تستانُ فان حوله تَسَاتُوْنَ و قد ذكر وجهه فيما بعد - و قرأ الزهري هَارُوْتُ و مَارُوْتُ بالرفع على هما هاروت و ماروت و هما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف و لو

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ

كانا من الهَرْت و المَرْت و هو الكسر كما زعم بعضهم لا نصرنا - و قرأ طلحة و ما يُعْلِمان من اَعْلَمَ - و قرئ بين المُرِّ بضم الميم و كسره مع الهمز و المَرِّ بالتشديد على تقدير التخفيف و الوقف كقولهم فَرَجٌّ و اجراء الوصل مُجْرى الوقف - و قرأ الاعمش و ما هم بِضَارِّي بطرح النون و الاضافة الى احد و الفصل بينهما بالظرف - فان قلت كيف يضاف الى احد و هو مجرور بِمِنْ - قلت جعل الجار جزءً من المجرور - فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولاً في قوله وَلَقَدْ عَلِمُوا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ - قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جَعَلَهُمْ حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه * [وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا] برسول الله و القرآن * [وَاتَّقَوْا] الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله و اتباع كتب الشياطين * [لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ] و قرئ لَمَثُوبَةٌ كَمَشُورَةٍ و مَشْوَرَةٍ * [لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] ان ثواب الله خير مما هم فيه و قد علموا لكنه جَهْلِهم لترك العمل بالعلم - فان قلت كيف أُوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لَوْ - قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة و استقرارها كما عُدِل عن النصب الى الرفع في سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لذلك - فان قلت فهلا قيل لَمَثُوبَةُ اللَّهِ خَيْرٌ - قلت لان المعنى لَشَيْءٌ من الثواب خير لهم - و يجوز ان يكون قوله وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا تمنّيًا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم و اختيارهم له كانه قيل وَلَيَتَّهُمْ امنوا ثم ابتدئ لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ * كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه و اله و سلم اذا القى عليهم شيئا من العلم رَاعِنَا يا رسول الله اي راقبنا و انتظرنا و تأنّ بنا حتى نفهمه و نحفظه و كانت لليهود كلمةٌ يتسابّون بها عبرانيةٌ او سريانيةٌ و هي رَاعِيْنَا فلما سمعوا بقول المؤمنين رَاعِنَا افترصوه و خاطبوا به الرسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و هم يعنون به تلك المَسَبَّة فنُهِيَ المؤمنون عنها و امروا بما هو في معناها و هو * [انْظُرْنَا] من نَظَرَهُ اذا انتظره - و قرأ أُبَيّ اَنْظِرْنَا من النَّظْرة اى اَمْهِلْنا حتى نحفظ - و قرأ عبد الله بن مسعود رَاعُونَا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير - و قرأ الحسن رَاعِنًا بالتنوين من الراعن و هو الهَوَج اي لا تقولوا قولا راعنًا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيًّا كدارع و لابن لانه لما اشبه قولهم راعينا و كان سببا في السب اتصف بالرعن * [وَاسْمَعُوا] و اَحْسِنوا سماع ما يكلّمكم به رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و يُلقي عليكم من المسائل بآذان واعية و اَذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة و طلب المراعاة - او واسمعوا سماعَ قبولٍ و طاعةٍ ولا يكن سماعكم مثلَ سماع اليهود حيث قالوا سَمِعْنَا و عَصَيْنَا او و اسمعوا ما أُمرتم به نجد حتى لا ترجعوا الى مَا نُهيتم عنه تاكيدا عليهم تركَ تلك الكلمة - و روي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله و الذي نفسي بيده لئن سمعتُها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه و اله و سلم لاضربنّ عنقه فقالوا او لستم

سورة البقرة ٢ وَ لِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝ مَا يَوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِيْنَ اَنْ يُّنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ
الجزء ١ مِّنْ رَّبِّكُمْ ؕ وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهٖ مَنْ يَّشَآءُ ؕ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ۝ مَا نَنْسَخْ مِنْ اٰيَةٍ اَوْ نُنْسِهَا
ع ١٣ نَاْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ اَوْ مِثْلِهَا ؕ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ لَهٗ مُلْكُ
السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ؕ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍ ۝ اَمْ تُرِيْدُوْنَ اَنْ تَسْئَلُوْا
رَسُوْلَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوْسٰى مِنْ قَبْلُ ؕ وَمَنْ يَّتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْاِيْمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيْلِ ۝

تقولونها فنزلت ٭ [وَ لِلْكٰفِرِيْنَ] و لليهود الذين تهاونوا برسول الله و سبّوه [عَذَابٌ اَلِيْمٌ] - من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب و المشركون كقوله تعالى لَمْ يَكُنِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ وَ الْمُشْرِكِيْنَ- و الثانية مزيدة لاستغراق الخير- و الثالثة لابتداء الغاية ٭ و [الْخَيْرِ] الوحي و كذلك [الرَّحْمَةَ] كقوله تعالى اَهُمْ يَقْسِمُوْنَ رَحْمَةَ رَبِّكَ و المعنى انهم يرون انفسهم احقّ بان يوحى اليهم فيحسدونكم و ما يحبّون ان ينزل عليكم شيئ من الوحي ٭ [وَ اللّٰهُ يَخْتَصُّ] بالنبوة [مَنْ يَّشَآءُ] ولا يشاء الّا ما تقتضيه الحكمة ٭ [وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ] اشعار بان ايتاء النبوّة من الفضل العظيم كقوله تعالى اِنَّ فَضْلَهٗ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيْرًا- روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا اَلَا تَرَوْنَ الى محمد يامر اصحابه بامرٍ ثم ينهاهم عنه و يامرهم بخلافه و يقول اليوم قولاً و يرجع عنه غداً فنزلت- و قرئ مَا نَنْسَخْ مِنْ اٰيَةٍ وما نُنْسِخ بضم النون من اَنْسَخَ او نَنْسَأْهَا- و قرئ نُنْسِهَا و نُنَسِّهَا بالتشديد و نَنْسَهَا و تُنْسَهَا على خطاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم- و قرأ عبد الله مَا نُنْسِكَ من آية او نَنْسَخْهَا- و قرأ حذيفة مَا نَنْسَخْ مِنْ اٰيَةٍ اَوْ نُنْسِكْهَا و نسخُ الاية ازالتها بابدالِ اخرى مكانها وانساخُها اَلْاَمْرُ بنسخها و هو ان يامر جبرئيلَ عليه السلام بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها و نَسْؤُها تاخيرها و اذهابها لا الى بدل و انساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كلّ آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها و حكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل ٭ [نَاْتِ] باية خير منها للعباد اي بآية العملُ بها اكثر للثواب ٭ [اَوْ مِثْلِهَا] في ذلك ٭ [عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ] فهو يقدر على الخير و ما هو خير منه و على مثله في الخير ٭ [لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ] فهو يملك اموركم و يدبّرها و يُجْريها على حسب ما يُصْلحكم و هو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ و منسوخ- لمّا بيّن لهم انه مالك امورهم و مدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الايات و غيره و قرّرهم على ذلك بقوله اَلَمْ تَعْلَمْ اراد ان يوصّيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به و يُنزّل عليهم و ان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه اباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وَبَالاً عليهم كقولهم اِجْعَلْ لَنَا اِلٰهاً- اَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَةً و غير ذلك [وَمَنْ يَّتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْاِيْمَانِ] و من ترك الثقة بالايات المنزلة و شكّ فيها و اقترح غيرها ٭ [فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيْلِ] - روي ان فِنْحَاصَ بن عازورا و زيد بن قَيْس و نفراً من اليهود قالوا لحذيفة بن اليَمان و عَمّار بن يَاسِر بعد وقعة اُحد اَلم تروا ما اصابكم

وَدَّ كَثِيْرٌ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ لَوْ يَرُدُّوْنَكُمْ مِّنْ بَعْدِ اِيْمَانِكُمْ ۚ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۚ فَاعْفُوْا وَاصْفَحُوْا حَتّٰى يَاْتِيَ اللّٰهُ بِاَمْرِهٖ ۗ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝ وَ اَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَ اٰتُوا الزَّكٰوةَ ۗ وَ مَا تُقَدِّمُوْا لِاَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوْهُ عِنْدَ اللّٰهِ ۗ اِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ۝ وَ قَالُوْا لَنْ يَّدْخُلَ الْجَنَّةَ اِلَّا مَنْ كَانَ هُوْدًا اَوْ نَصٰرٰى ۗ تِلْكَ اَمَانِيُّهُمْ ۗ

ولو كنتم على الحق ما هُزِمْتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وانضل ونحن اهدى منكم سبيلًا فقال عمّار كيف نقضُ العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عِشْتُ فقالت اليهود اما هذا فقد مَبَا وقال حذيفة و اما انا فقد رضيتُ بالله ربًّا و بمحمد نبيًّا و بالاسلام دينًا و بالقرآن اماماً و بالكعبة قبلةً و بالمؤمنين اِخْوانًا ثم اَتَيَا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واخبراه فقال اَصَبْتُمَا خيرا و افلحتما فنزلت - فان قلت بِمَ تعلق قوله [مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ] - قلت فيه وجهان - احدهما ان يتعلق بِوَدَّ على معنى انهم تمنّوا ان ترتدّوا عن دينكم و تمنيهم ذلك من عند انفسهم و من قِبَلِ شهوتهم لامن قِبَلِ التديّن والميل مع الحق لانهم وَدّوا ذلك من بعد ما تبيّن لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنّيهم من قِبَلِ الحق - و امّا ان يتعلق بِحَسَدًا اي حسدا متباينا منبعثا من اصل انفسهم * [فَاعْفُوْا وَ اصْفَحُوْا] فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عمّا يكون منهم من الجهل والعداوة * [حَتّٰى يَاْتِيَ اللّٰهُ بِاَمْرِهٖ] الذي هو قتل بني قُرَيْظة و اجلاء بني النضير و اذلالهم بضرب الجزية عليهم * [اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ] فهو يقدر على الانتقام منهم * [مِنْ خَيْرٍ] من حسنة صلوة او صدقة او غيرهما * [تَجِدُوْهُ عِنْدَ اللّٰهِ] تجدوا ثوابه عند الله * [اِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ] عالم لايضيع عنده عملُ عاملٍ * الضمير في [وَ قَالُوْا] لاهل الكتاب من اليهود والنصارى و المعنى و قالت اليهود لن يدخل الجنّة الا من كان هودا و قالت النصارى ان يدخل الجنّة الا من كان نصارى فلفّ بين القولين ثقةً بان السامع يردّ الى كلّ فريق قولَه وَ اَمَنًا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين و تضليل كلّ واحد منهما لصاحبه ونحوه وَ قَالُوْا كُوْنُوْا هُوْدًا اَوْ نَصَارٰى تَهْتَدُوْا * [وَ الْيَهُوْدُ] جمع هائد كعائذ و عُوذ و بازل و بُزُل - فان قلت كيف قيل كَانَ هُوْدًا على توحيد الاسم و جمع الخبر - قلت حمل الاسم على لفظ مَنْ و الخبر على معناه كقراءة الحسن اِلَّا مَنْ هُوَ صَالُوا الْجَحِيْمِ - وقوله فَاِنَّ لَهٗ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ - و قرأ اُبَيّ بن كعب اِلَّا مَنْ كَانَ يَهُوْدِيًّا اَوْ نَصْرَانِيًّا - فان قلت لِمَ قيل تِلْكَ اَمَانِيُّهُمْ و قولهم لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ اُمنيّةٌ واحدةٌ - قلت اشير بها الى الاماني المذكورة و هو امنيّتهم ان لا ينزّل على المؤمنين خير من ربّهم - و امنيّتُهم ان يردّوهم كفّارا - وامنيتهم ان لا يدخل الجنّة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم - و قوله قُلْ هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ متصل بقولهم لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ اِلَّا مَنْ كَانَ هُوْدًا اَوْ نَصَارٰى * و [تِلْكَ اَمَانِيُّهُمْ] اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف و اقامة المضاف اليه مُقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه - و الامنيةُ فُعولةٌ من التمني

سورة البقرة ٢ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ بَلَىٰ ق مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ص
الجزء ١ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ع وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ص وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ
ع ١٤ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ط كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّٰهُ
يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللّٰهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ

مثل الأُحْدُوثَة والأُعْجُوبَة * [هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ] هاتوا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنّة * [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] في دعواكم و هذا أهدم شيء لمذهب المقلّدين و انّ كلّ قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت - وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى أحضِرْ * [بَلَىٰ] اثبات لما نفَوْه من دخول غيرهم الجنّة * [مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ] مَنْ اخلص نفسه له لا يُشْرك به غيرَه * [وَهُوَ مُحْسِنٌ] في عمله * [فَلَهُ أَجْرُهُ] الذي يستوجبه - فان قلت مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ كيف موقعه - قلت يجوز ان يكون بَلَىٰ ردًّا لقولهم ثم يقع مَنْ أَسْلَمَ كلاما مبتدأ و يكون مَنْ متضمّنًا لمعنى الشرط و جوابه فَلَهُ أَجْرُهُ - و ان يكون مَنْ أَسْلَمَ فاعلاً للفعل المحذوف اي بلى يدخلها من اسلم و يكون قوله فَلَهُ أَجْرُهُ كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم * [عَلَىٰ شَيْءٍ] اي عَلَى شيء يصحّ ويُعْتَدّ به و هذه مبالغة عظيمة لان المحال و المعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده و هذا كقولهم اقلّ من لا شيء * [وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ] الواو للحال و الكتاب للجنس اي قالوا ذلك و حالهم انهم من اهل العلم و التلاوة للكتب و حقّ مَنْ حَمَلَ التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله و آمَنَ به ان لا يكفر بالباقي لان كلّ واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته و كذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا * [كَذَٰلِكَ] اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج [قَالَ] الجهلة [الَّذِينَ] لا علم عندهم و لا كتاب كعَبَدَة الاصنام و المعطّلة و نحوهم قالوا لكلّ اهل دين ليسوا على شيء و هذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم - و روي ان وَفْدَ نَجْرَانَ لما قدموا على رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى و الانجيل و قالت النصارى لهم نحوه و كفروا بموسى و التوراة * [فَاللّٰهُ يَحْكُمُ] بين اليهود و النصارى * [يَوْمَ الْقِيَامَةِ] بما يقسم لكلّ فريق منهم من العقاب الذي استحقه - و عن الحسن حُكْمُ الله بينهم ان يكذّبهم و يُدْخِلهم النار * [أَنْ يُذْكَرَ] ثاني مفعولي مَنَعَ لانك تقول منعته كذا و مثله وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ - وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا - و يجوز ان تحذف حرف الجر مع أَنْ و لك ان تنصبه مفعولا له بمعنى مدمها كراهةَ ان يذكر و هو حكم عامّ لجنس مساجد الله و ان مانعها من ذكر الله مُفْرِط في الظلم و السببُ فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى و يمنعون الناس ان يصلّوا فيه و ان الروم غَزَوْا اهله فخرّبوه و احرقوا

وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞

التوراة و قتلوا و سبوا - و قيل منع المشركين رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية - فان قلت فكيف قيل مساجد الله و انما وقع المنع و التخريب على مسجد واحد و هو بيت المقدس او المسجد الحرام - قلت لا بأس ان يجيئ الحكم عاما و ان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا وَمَنْ اظلمُ ممن اذى الصالحين و كما قال الله عز و جل وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ و المنزول فيه الاخنس بن شريق * [وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا] بانقطاع الذكر او تخريب البنيان و ينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله و لا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى والمشركين * [أُولَٰئِكَ] المانعون [مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا] اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله [إِلَّا خَائِفِينَ] على حال التهيب و ارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها و يلوها و يمنعوا المؤمنين منها و المعنى ما كان الحق و الواجب الا ذلك لو لا ظُلْمُ الكَفَرَةِ و عتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم و كتب في اللوح انه ينصر المؤمنين و يقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين - روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا ممارقة - و قال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا اتهك ضربا و بلغ اليه في العقوبة و قيل نادى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم الا لايحجن بعد هذا العام مشرك و لا يطوفن بالبيت عريان - و قرأ عبد الله الا خُيَّفاً وهو مثل صُيَّم - وقد اختلف العلماء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة رحمه الله و لم يجوزه مالك و فرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره - و قيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول و التحاية بينهم و بينه كقوله وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و اله و سلم * [خِزْيٌ] قتلٌ و سبيٌ او ذلةٌ بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قُسْطَنْطِينِيَّةَ و رومية و عمورية * [وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ] اي بلاد المشرق و المغرب والارضُ كلها لله هو مالكها و متوليها * [فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا] ففي اي مكان فاتكم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ * [فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ] اي جهته التي امر بها و رضيها و المعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها و افعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد و لا في مكان دون مكان * [إِنَّ اللَّهَ] واسعُ الرحمة يريد التوسعة على عباده و التيسير عليهم * [عَلِيمٌ] بمصالحهم و عن ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت - و عن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاء فعذروا - و قيل معناه فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا للدعاء و الذكر

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ط بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ط كُلٌّ لَّهُ قَانِتُوْنَ ◎ بَدِيْعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ط وَاِذَا قَضٰٓى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ◎ وَقَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ اَوْ تَاْتِيْنَآ اٰيَةٌ ط كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ط تَشَابَهَتْ قُلُوْبُهُمْ ط قَدْ بَيَّنَّا الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يُّوْقِنُوْنَ ◎ اِنَّآ اَرْسَلْنٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيْرًا وَّنَذِيْرًا وَّلَا تُسْئَلُ عَنْ اَصْحٰبِ الْجَحِيْمِ ◎

ولم يُرِدِ الصلوة - وقرأ الحسن فَاَيْنَمَا تَوَلَّوْا بفتح التاء من التولّي يريد فايّنما توجّهوا القبلة * [وَقَالُوْا] و قرئ بغير وَ اويريد الذين قالوا اَلْمَسِيْحُ ابْنُ اللّٰهِ - وَعُزَيْرُ بْنُ اللّٰهِ - وَالْمَلٰٓئِكَةُ بَنَاتُ اللّٰهِ [سُبْحَانَهُ] تنزيهٌ له عن ذلك و تبعيد * [بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ] هو خالقه و مالكه و من جملته الملائكة و عزير و المسيح * [كُلٌّ لَّهُ قَانِتُوْنَ] منقادون لا يمتنع شيئ منهم على تكوينه و تقديره و مشيّته و مَنْ كان بهذه الصفة لم يُجانَس و من حق الولد ان يكون من جنس الوالد - و التنوين في كُلٌّ عوض من المضاف اليه اي كلّ ما في السمٰوٰت و الارض - و يجوز ان يراد كلّ من جعلوه لله ولدًا له قانتون مطيعون عابدون مقرّون بالربوبيّة مذعنون لِمَا اضافوا اليهم - فان قلت كيف جاء بمَا التي لغير اولى العلم مع قوله قَانِتُوْنَ - قلت هو كقوله سُبْحَانَ مَا سَخَّرَكُنَّ لَنَا او كانه جاء بمَا دون مَنْ تحقيرًا لهم و تصغيرًا لشانهم كقوله وَجَعَلُوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا * يقال بَدَعَ الشيئ فهو بديع كقولك بَزَعَ الشيئ فهو بَزِيْعٌ و [بَدِيْعُ السَّمٰوٰتِ] من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديعٌ سمواتُه و ارضُه - وقيل البديع بمعنى المُبْدِع كما ان السميع في قول عمرو * ع * اَمِنْ رَيحانة الداعي السميعُ * بمعنى المسمع و فيه نظر * [كُنْ فَيَكُوْنُ] مِنْ كَانَ التامّة اي اُحْدُثْ فَيَحْدُثُ وهذا مجاز من الكلام و تمثيل و لا قول ثَمَّ كما لا قول في قوله * ع * اذا قالت الانساع للبطنِ الْحَقِ * و انما المعنى ان ما قضاه من الامور و اراد كونه فانما يتكوّن و يدخل تحت الوجود من غير امتناع و لا توقف كالمامور المطيع الذي يُؤمَرُ فيمتثل لا يتوقف و لا يمتنع و لا يكون منه الاباء اَكَّدَ بهذا استبعادَ الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لِاَحْوال الاجسام في توالدها - و قرئ بَدِيْعِ السَّمٰوٰتِ مجرورا على انه بدل من الضمير في قوله لَهُ - و قرأ المنصور بالنصب على المدح * [وَقَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ] و قال الجهلة من المشركين و قيل من اهل الكتاب و نفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به * [لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ] هلّا يكلّمنا كما يكلّم الملائكة و كلّم موسى استكبارا منهم و عتوًا * [اَوْ تَاْتِيْنَا اٰيَةٌ] جحودا لان يكون ما اتاهم من اٰيات اللّٰه اٰيات و استهانةً بها * [تَشَابَهَتْ قُلُوْبُهُمْ] اي قلوب هؤلاء و مَنْ قَبْلَهم في العمى كقوله اَتَوَاصَوْا به * [قَدْ بَيَّنَّا الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ] يُنْصِفون فيُوقِنون انها اٰيات يجب الاعتراف بها و الاذعان لها و الاكتفاء بها عن غيرها * [اِنَّآ اَرْسَلْنٰكَ] لان تُبَشِّرَ وتُنْذِرَ لا لِتُجْبِرَ على الايمان و هذه تسلية لرسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم و تسرية عنه لانه كان يغتمّ و يضيق صدره لاصرارهم و تصميمهم على الكفر * [وَلَا تُسْئَلُ عَنْ اَصْحٰبِ الْجَحِيْمِ] مالهم لم يُؤْمنوا بعد ان بَلَّغْتَ وبَلَغْتَ جهدك في دعوتهم كقوله فَاِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ

وَلَنْ تَرْضٰى عَنْكَ الْيَهُوْدُ وَلَا النَّصٰرٰى حَتّٰى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ اِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَالْهُدٰى ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ
اَهْوَآءَهُمْ بَعْدَ الَّذِيْ جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍ ۝ اَلَّذِيْنَ اٰتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ
يَتْلُوْنَهٗ حَقَّ تِلَاوَتِهٖ ۗ اُولٰٓئِكَ يُؤْمِنُوْنَ بِهٖ ۗ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِهٖ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ ۝ يٰبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ اذْكُرُوْا
نِعْمَتِيَ الَّتِيْٓ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَنِّيْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ ۝ وَاتَّقُوْا يَوْمًا لَّا تَجْزِيْ نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ
شَيْئًا وَّلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَّلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَّلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَ ۝ وَاِذِ ابْتَلٰٓى اِبْرٰهِيْمَ رَبُّهٗ بِكَلِمٰتٍ فَاَتَمَّهُنَّ ۗ

وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ - وقرئ وَلَا تَسْأَلْ على النهي - روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنُهِيَ عن السوال عن احوال الكَفَرَة والاهتمام باعداء الله - وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بليّة فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبَر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلّفه ما يُضجره او انت يا مستخبِر لا تقدر على استماع خبره لا يحتاشه السامعَ واضجاره فلا تسأل - وتعضد القراءةَ الاولى قراءةُ عبد الله وَلَنْ تُسْأَلَ وقراءة أُبَيّ وَمَا تُسْأَلُ - كانهم قالوا لن ترضى عنك وان ابلغتَ في طلب رضانا حتى تتّبع ملّتنا اقناطاً منهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عزّوجلّ كلامهم ولذلك قال [قُلْ اِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدٰى] على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هُدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصحّ ان يسمّى هدًى وهو الهدى كلّه ليس وراءه هدًى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدًى انما هو هوًى - الا ترى الى قوله [وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوَآءَهُمْ] اي اقوالهم التي هي اهواء وبِدَع * [بَعْدَ الَّذِيْ جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ] اي من الدين المعلوم صحّته بالبراهين الصحيحة * [اَلَّذِيْنَ اٰتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ] هم مؤمنوا اهل الكتاب [يَتْلُوْنَهٗ حَقَّ تِلَاوَتِهٖ] لا يحرّفونه ولا يغيّرون ما فيه من نعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم * [اُولٰٓئِكَ يُؤْمِنُوْنَ] بكتابهم دون المحرّفين * [وَمَنْ يَّكْفُرْ بِهٖ] من المحرّفين [فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ] حيث اشتروا الضلالة بالهدى * [وَاِذِ ابْتَلٰٓى اِبْرٰهِيْمَ رَبُّهٗ بِكَلِمٰتٍ] اختبره باوامرَ ونواهٍ واختبارُ الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبدُ كانّه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك - وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه اِبْرَاهِيْمُ رَبَّهُ رفع ابراهيم ونصب ربه - والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعَلَ المختبِر هل يُجيبه اليهنّ ام لا - فان قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر - قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى رَبُّهُ ابراهيمَ فاما ابتلى ابْراهيمَ رَبُّهُ او ابتلى رَبَّهُ ابراهيمُ فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذُكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابراهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربّه ابراهيمُ فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنًى فلا سبيل الى صحّته * والمستكنّ في [فَاَتَمَّهُنَّ] في احدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهنّ حق القيام

سورة البقرة ٢ الجزء ١ ع ١٥

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝ وَإِذْ جَعَلْنَا
الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ۖ

و اداهنّ احسن التادية من غير تفريط و توانٍ ونحوه وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى و في الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئًا - و يعضده ما روي عن مقاتل انه فسّر الكلمات بما سأل ابراهيم ربّه في قوله رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا اٰمِنًا - وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ - وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ - رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا - فان قلت ما العامل في إِذْ - قلت اما مضمر نحو و اذكر إِذِ ابْتَلَىٰ او اذ ابتلاه كان كيتَ و كيتَ و امّا قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ * فان قلت فما موقع قَالَ - قلت هو على الاول استيناف كانه قيل فما ذا قال له ربّه حين اتمّ الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما و على الثاني جملة معطوفة على ما قبلها - و يجوز ان يكون بيانا لقوله ابْتَلَىٰ و تفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة و تطهير البيت و رفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ - وقيل في الكلمات هنّ - خمسٌ في الرأس الفرقُ و قصّ الشاربِ والسواكُ والمضمضة والاستنشاق - و خمسٌ في البدن الختان و الاستحداد و الاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط - وقيل ابتلاه من شرائع الاسلام بثلثين سهما - عَشْرٌ في براءة التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ - وعشرٌ في الاحزاب إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ - وعشرٌ في المؤمنون وَسَأَلَ سَائِلٌ الى قوله وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ - وقيل هي مناسك الحجّ كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف و غيرهنّ - وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان و ذبح ابنه والنار والهجرة * [والامامُ] اسمٌ مَن يُؤتَمّ به على زِنة الآلة كالازار لما يوتزر به اي يأتمّون بك في دينهم * [وَمِنْ ذُرِّيَّتِي] عطف على الكاف كانه قال و جاعل بعض ذريتي كما يقال لك ساكرمك فتقول و زيدا * [لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] و قرئ الظَّٰلِمُونَ اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي و عهدي اليه بالامامة و انما ينال من كان عادلا بريّا من الظلم - و قالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة و كيف يصلح لها من لا يجوز حكمه و شهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدّم للصلوٰة - وكان ابو حنيفة رحمه الله يُفتي سرًّا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليهما و حمل المال اليه والخروج معه على الناصّ المتغلّب المتسمّي بالامام والخليفة كالدوانيقيّ و اشباهه و قالت له امرأة اشرتَ على ابني بالخروج مع ابراهيم و محمد ابنَيْ عبد الله بن الحسن حتى قُتل فقال ليتني مكان ابنك - و كان يقول في المنصور و اَشياعه لو ارادوا بناء مسجد و ارادوني على عدّ اُجرِه لما فعلتُ - و عن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قطّ و كيف يجوز نصب الظالم للامامة والامامُ انما هو لكفّ الظلمة و اذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم * و [الْبَيْتَ] اسم غالب للكعبة كالنجم للثريّا * [مَثَابَةً لِّلنَّاسِ] مَثَابَةً و مرجعا للحُجّاج و العُمّار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اَعْيان الذين يزورونه او امثالهم * [وَأَمْنًا] و موضع امن كقوله

وَ اتَّخِذُوْا مِنْ مَّقَامِ اِبْرٰهٖمَ مُصَلًّى ؕ وَ عَهِدْنَآ اِلٰٓى اِبْرٰهٖمَ وَ اِسْمٰعِيْلَ اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِيْنَ وَ الْعٰكِفِيْنَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُوْدِ ۝ وَ اِذْ قَالَ اِبْرٰهٖمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا اٰمِنًا وَّ ارْزُقْ اَهْلَهٗ مِنَ الثَّمَرٰتِ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ ؕ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ

حَرَمًا اٰمِنًا و يتخطف الناس من حولهم و لان الجاني يأوي اليه فلا يُتعرَّض له حتى يخرج - و قرئ مَثَابَاتٌ لانه مثابة لكلّ من الناس لا يختصّ به واحد منهم سواء العاكف فيه و البادي * [وَ اتَّخِذُوْا] على ارادة القول اي و قلنا اتخذوا منه موضع صلوٰة تُصلّون فيه و هو على وجه الاختيار و الاستحباب دون الوجوب - و عن النبي صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلّى يريد أفلا نؤثره لفضله بالصلوة فيه تبركًا به و تيمنا بموطئ قدم ابراهيم فقال لم أُومَر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت - و عن جابر بن عبد اللّٰه ان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم استلم الحجر و رمل ثلثة اشواط و مشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلّى خلفه ركعتين و قرأ وَ اتَّخِذُوْا مِنْ مَّقَامِ اِبْرٰهٖمَ مُصَلًّى وقيل مصلّى مدعى * و [مَقَامِ اِبْرٰهٖمَ] الحجر الذي فيه اثر قدميه و الموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه و هو الموضع الذي يسمّى مقام ابراهيم - و عن عمر رضي اللّٰه عنه انه سأل المُطّلب بن ابي وَداعَة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم - و عن عطاء مقام ابراهيم عَرَفَةُ و المزدلفةُ و الجمارُ لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها - و عن النخعي الحرم كلّه مقام ابراهيم - و قرئ وَ اتَّخَذُوْا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي و اتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي رُسِمَ به لاهتمامه به و اسكان ذرّيته عنده قبلة يصلّون اليها * [عَهِدْنَا] امرنا هما [اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ] بان طهّرا او اي طهّرا - و المعنى طهّراه من الاوثان و الانجاس وطواف الجُنب والحائض والخبائث كلّها او اخلصاه لهولاء لا يغشه غيرهم * [وَ الْعٰكِفِيْنَ] المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين - و يجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوٰة كما قال لِلطَّآئِفِيْنَ وَ الْقَآئِمِيْنَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُوْدِ - و المعنى للطائفين و المصلّين لان القيام و الركوع و السجود هيأت المصلّي - اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدًا اٰمنًا ذا امن كقوله عِيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ او اٰمنا مَنْ فيه كقولك ليل نائم * و [مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ] بدل من اَهْلَهٗ يعني ارزق المؤمنين من اهله خاصّة * [وَ مَنْ كَفَرَ] عطف على مَنْ اٰمَنَ كما عطف وَ مِنْ ذُرِّيَّتِيْ على الكاف في جَاعِلُكَ - فان قلت لِمَ خصّ ابراهيمُ صلوات اللّٰه عليه المؤمنين حتى رَدّ عليه - قلت قاسَ الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما ان الاستخلاف استرعاء يختصّ بمن ينصح للمَرْعِيّ و ابعد الناس عن النصيحة الظالمُ بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق و الزاما للحجة له و المعنى و ارزق مَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهٗ - و يجوز ان يكون وَ مَنْ كَفَرَ مبتدأ متضمنا معنى الشرط و قوله فَاُمَتِّعُهٗ جوابا للشرط اي و من كفر فانا امتعه - و قرئ فَاُمَتِّعُهٗ فَاَضْطَرُّهٗ فَاَلْجِئُهٗ الى عذاب النار لِزَامُ المضطَرِّ الذي لا يملك

سورة البقرة ٢ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
الجزء ١ وَإِسْمَاعِيلُ ۖ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ مِ
ع ١٥

الامتناع مما اضطر اليه - وقرأ أُبَيّ فَنُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُ - وقرأ يحيى بن وثاب فَاضْطُرُّهُ بكسر الهمزة - وقرأ ابن عباس فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطُرُّهُ على لفظ الامر و المراد الدعاء من ابراهيم دعا ربّه بذلك - فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة - قلت في قَالَ ضمير ابراهيم اي قال ابراهيم بعد مسئلته اختصاص المؤمنين بالرزق وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرُّهُ - و قرأ ابن مُحَيْصِن فَاطَّرُّهُ بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطَّجَعَ و هي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها و لا تدغم هي فيما يجاورها و هي حروف ضُمَّ شُفْرٌ * [وَإِذْ يَرْفَعُ] حكايةُ حالٍ ماضية * و [الْقَوَاعِدَ] جمع قاعدة و هي الاساس و الاصل لما فوقه و هي صفة غالبة و معناها الثابتة و منه قَعَدَكَ اللّٰهُ اي اسأل اللّٰهَ ان يُقَعِّدَكَ اي يُثَبِّتَكَ و رفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع و تطاولت بعد التقاصر - و يجوز ان يكون المراد بها سانات البناء لان كلّ سافٍ قاعدة للذي يبنى عليه و يوضع فوقه و معنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سانا فوق سافٍ فقد رفع السانات - و يجوز ان يكون المعنى و اذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت اى استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء - و روي انه كان موسّسا قبل ابراهيم فبنى على الاساس - و روي ان اللّٰه تعالى انزل البيت ياقوتة من يَواقيت الجنّة له بابان من زمرّد شرقي و غربي و قال لآدم عليه السلام اَهْبَطتُ لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا و تلقته الملائكة فقالوا بُرَّ حجُّك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفَيْ عام و حجّ آدم اربعين حجّة من ارض الهند الى مكّة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه اللّٰه ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان اللّٰه امر ابراهيم ببنائه و عرّفه جبرئيل مكانه - و قيل بعث اللّٰه سحابة اظلّته و نودي اَنِ ابْنِ على ظلّها لا تَزِدْ و لا تَنْقُصْ - و قيل بناه من خمسة اجبل طور سينا و طور زيتا و لبنان و الجودي و اسّسه من حِراء و جاء جبرئيل بالحجر الاسود من السماء - و قيل تمخّض ابو قُبَيْس فانشقّ عنه و قد خبئ فيه في ايام الطوفان و كان ياقوتة بيضاء من الجنّة فلما لمسته الحُيَّضُ في الجاهلية اسودّ - و قيل كان ابراهيم يبني و اسمعيل يناوله الحجارة * [رَبَّنَا] اي يقولان رَبَّنَا و هذا الفعل في محلّ النصب على الحال و قد اظهره عبد اللّٰه في قراءته و معناه يرفعانها قائلين رَبَّنَا * [إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ] لدعائنا [الْعَلِيمُ] لضمائرنا و نيّاتنا - فان قلت هلّا قيل قواعد البيت و اىّ فرق بين العبارتين - قلت في ابهام القواعد و تبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبيَّن * [مُسْلِمَيْنِ لَكَ] مخلصين لك اَوْجُهَنا من قوله اَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ او مستسلمين يقال اَسْلَمَ له و سلّم و استسلم اذا خضع و اذعن و المعنى زِدْنا

وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ص وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تُبْ عَلَيْنَا ج إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ۝ رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلًا مِّنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ اٰيٰتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيْهِمْ ط إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ۝ ع وَ مَنْ يَّرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ إِبْرٰهِيْمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ط وَ لَقَدِ اصْطَفَيْنٰهُ

اخلاصا و ادغاما لك و قرئ مُسْلِمَيْنِ لَكَ على الجمع كانهما ارادا انفسهما و هاجر - او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه * [وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا] و اجعل من ذريتنا [أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ] و مِنْ للتبعيض او للتبيين كقوله وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْكُمْ - فان قلت لِمَ خَصَّا ذريتهما بالدعاء - قلت لانهم احق بالشفقة و النصيحة قوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيْكُمْ نَارًا و لان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم و شايعوهم على الخير - الا ترى ان المقدمين من العلماء و الكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد مَن وراءهم - و قيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه و اله و سلم * [وَ أَرِنَا] منقول من رَأَى بمعنى اَبْصَرَ او عَرَفَ و لذلك لم يتجاوز مفعولين اي و بصِّرْنا متعبداتنا في الحج - او و عرِّفناها و قيل مَذابحنا - وقرئ وَ أَرْنَا بسكون الراء قياسا على فَخْذ في فَخِذ و قد استُرْذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليلٌ عليها فاستقاطها اجحاف - و قرأ ابو عمرو باشمام الكسرة - و قرأ عبد الله وَ أَرِهِمْ مَنَاسِكَهُمْ * [وَ تُبْ عَلَيْنَا] ما فرط منا من الصغائر و استنابا لذريتهما * [وَ ابْعَثْ فِيْهِمْ] في الامة المسلمة [رَسُوْلًا مِّنْهُمْ] من انفسهم - روي انه قيل له قد استجيب لك و هو في أخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه و اله وسلم قال عليه السلام انا دَعْوة ابي ابرٰهيم و بُشْرى اخي عيسى و رؤيا امّي * [يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ اٰيٰتِكَ] يقرأ عليهم و يُبلّغهم ما يوحي اليه من دلائل وَحْدانيّتك و صدق انبيائك [وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ] القرآن [وَالْحِكْمَةَ] الشريعة و بيان الاحكام [وَ يُزَكِّيْهِمْ] و يطهّرهم من الشرك و سائر الأرجاس كقوله وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبٰتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبٰٓئِثَ * [وَ مَنْ يَّرْغَبُ] انكار و استبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملّة ابراهيم * [وَ مَنْ سَفِهَ] في محل الرفع على البدل من الضمير في يَرْغَبُ و صحّ البدل لان مَن يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد - سَفِهَ نَفْسَهُ امتهنها و استخفّ بها و اصل السفه الخفّة و منه زمام سفيه و قيل انتصاب النفس على التمييز نحو غُبن رأيَه و اَلِم رأسَه و يجوز ان يكون في شذوذ تعريفُ المميز نحو قوله * ع * ولا بفزارة الشعر الرقابا * ع * اجبّ الظهر ليس له سنام * و قيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظنّي مقيم اي في ظنّي والوجه هو الاول وكفا شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق و تَغْمَص الناس و ذلك انه اذا رغب عمّا لا يَرغب عنه عاقل قطّ فقد بالغ في اذالة نفسه و تعجيزها حيث خالف بها كلّ نفس عاقلة * [وَ لَقَدِ اصْطَفَيْنٰهُ] بيان لخطاء رأي من رغب عن ملّته لان مَن جمعَ الكرامة عند الله في الدارين بان كان صَفْوته و خِيَرته في الدنيا وكان مشهودًا له بالاستقامة على الخير في الأخرة لم يكن احدٌ اولى بالرغبة في طريقته

سورة البقرة ٢ وَفِي الدُّنْيَا ۚ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝
الجزء ١ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ۖ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
ع ١٦ مُسْلِمُونَ ۝ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ

منه * [اذْ قَالَ] ظرف لاصْطَفَيْنَاهُ اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اُذْكر استشهاداً على ما ذكر من حاله كانه قيل اُذْكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يُرْغَب عن ملة مثله * و معنى قَالَ لَهُ [اَسْلِمْ] اخْطِر ببالك النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة و الاسلام * [فَقَالَ اَسْلَمْتُ] اي فنظرَ و عرفَ - و قيل اَسْلِمْ اي اذعنْ و اَطِعْ * و روي ان عبدالله بن سلام دعا ابنَيْ اخيه سلمةَ و مهاجراً الى الاسلام فقال لهما قد علمنا ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمٰعيل نبيًّا اسمه اَحْمَدُ فمن اٰمن به فقد اهتدى و رشدَ و من لم يؤمن به فهو ملعون فاسلمَ سلمة و ابى مهاجر ان يُسْلم فنزلتْ - قرئ وَ اَوْصَى و هي في مصاحف اهل الحجاز و الشام * و الضمير في [بِهَا] لقوله اَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ على تاويل الكلمة و الجملة و نحوه رجوع الضمير في قوله وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً الى قوله اِنَّنِيْ بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُوْنَ اِلَّا الَّذِيْ فَطَرَنِيْ - وقوله كَلِمَةً بَاقِيَةً دليل على ان الضمائر في جَعَلَهَا على تاويل الكلمة * [وَ يَعْقُوْبُ] عطف على اِبْرٰهِيْمُ داخل في حكمه - و المعنى و وصّى بها يعقوب بنيه ايضا - وقرئ وَيَعْقُوْبَ بالنصب عطفا على بَنِيْهِ و معناه و وصّى بها ابراهيمُ بنيه و نافلتَه يعقوب * [يَا بَنِيَّ] على اضمار القول عند البصريين و عند الكوفيين يتعلق بوَصَّى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل * شعر * رجلانِ من ضبَّةَ اخبرانا * اِنَّا رأينا رجلا عريانا * بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا و عندهم يتعلق بفعل الاخبار - و في قراءة اُبيّ و ابن مسعود اِنَّ يَا بَنِيَّ * [اصْطَفَى لَكُمُ الدِّيْنَ] اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان و هو دين الاسلام و وفقكم للاخذ به * [فَلَا تَمُوْتُنَّ] معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تُصَلِّ الا و انت خاشع فلا تنهاه عن الصلوٰة و لكن عن ترك الخشوع في حال صلوته - فان قلت فاين نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوٰة و ليس بمنهيّ عنها - قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوٰة التي لا خشوع فيها كلا صلوٰة فكانه قال اَنْهاك عنها اذا لم تُصَلِّها على هذه الحالة - الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوٰةَ لجار المسجد الا في المسجد فكانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تُصَلِّ الا في المسجد و كذلك المعنى في الاية ظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موتٌ لا خيرَ فيه و انه ليس بموت السُّعَداء و ان من حق هذا الموت ان لا يَحُلّ فيهم و تقول في الامر ايضا مُتْ و انت شهيد و ليس مرادك الامر بالموت و لكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات و انما امرته بالموت اعتداداً منك بميتته و اظهاراً لفضلها على غيرها و انها حقيقة بان يحث عليها * [اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ] هي اَمِ المنقطعة و معنى الهمزة فيها الانكار - وَالشُّهَدَاءُ جمع شهيد بمعنى الحاضر

اِذْ حَضَرَ يَعْقُوْبَ الْمَوْتُ ۙ اِذْ قَالَ لِبَنِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ بَعْدِيْ ؕ قَالُوْا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَ اِلٰهَ اٰبَآئِكَ اِبْرٰهِيْمَ
وَ اِسْمٰعِيْلَ وَ اِسْحٰقَ اِلٰهًا وَّاحِدًا ۚ وَّ نَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ ۝ تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ
مَّا كَسَبْتُمْ ۚ وَ لَا تُسْاَلُوْنَ عَمَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ۝ وَ قَالُوْا كُوْنُوْا هُوْدًا اَوْ نَصٰرٰى تَهْتَدُوْا ؕ قُلْ بَلْ مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ

اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام [اِذْ حضره الْمَوْتُ] اي حين احتُضر و الخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك و انما حصل لكم العلم به من طريق الوحي - و قيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبيٌّ الّا على اليهوديّة الّا انهم لو شهدوه و سمعوا ما قاله لبنيه و ما قالوه لَظَهر لهم حرصه على ملّة الاسلام و لمّا ادّعوا عليه اليهوديّة فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء و لكن الوجه ان تكون اَمْ متصلة على ان يقدّر قبلها محذوف كانه قيل اتدّعون على الانبياء اليهوديّة ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد و ملّة الاسلام و قد علمتم ذلك فمالكم تدّعون على الانبياء ماهم منه بُرَاء - و قرئ حَضِرَ بكسر الضاد و هي لغة * [مَا تَعْبُدُوْنَ] ايّ شيئ تعبدون و مَا عام في كلّ شيئ فاذا عُلم فُرق بمَا و مَن و كفاك دليلا قول العلماء مَن لمَا يعقل و لو قيل من تعبدون لم يعمّ الا اوْلِي العلم وَحْدهم - و يجوز ان يقال مَا تَعْبُدُوْنَ سوال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أ فقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات * و [اِبْرٰهِيْمَ وَ اِسْمٰعِيْلَ وَ اِسْحٰقَ] عطف بيان لاٰبَائِكَ و جُعِل اسمٰعيل و هو عمّه من جملة اٰبائه لان العم اٰبٌ و الخالة اُمٌّ لانخراطهما في سلك واحد و هو الاُخوّة لا تفاوت بينهما و منه قوله عليه السلام عَمُّ الرجل صِنْوُ ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صِنْوَي النخلة و قال عليه السلام في العباس هذا بقيّة ابائي و قال ردّوا عليّ ابي فاني اَخْشَى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعُرْوَةَ بن مسعود - و قرأ اُبيّ وَ اِلٰهَ اِبْرٰهِيْمَ بطرح اٰبَائِكَ - و قرئ اَبِيْكَ - فيه وجهان ان يكون واحدا و ابرٰهيم وحده عطف بيان له و ان يكون جمعا بالواو و النون و قال * و فدّيننا بالابينا * [اِلٰهًا وَّاحِدًا] بدل من اِلٰهَ اٰبَائِكَ كقوله تعالى بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ او على الاختصاص اي نريد بالٰه ابائك الٰها واحدا * [وَ نَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ] حال من فاعل نَعْبُدُ او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في لَهٗ - و يجوز ان تكون جملة معطوفة على نَعْبُدُ و ان تكون جملة اعتراضية موكّدة اي و من حالنا انّا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون * [تِلْكَ] اشارة الى الامّة المذكورة التي هي ابرٰهيم و يعقوب و بنوهما الموحّدون - و المعنى ان احدًا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم و ذلك انهم افتخروا باوائلهم و نحوه قول رسول الله صلّى عليه و اٰله و سلّم يا بني هاشم لا يَأْتِيَنّي الناس باعمالهم و تأتوني بانسابكم * [وَ لَا تُسْاَلُوْنَ عَمَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ] ولا تُواخَذون بسيّاٰتهم كما لا تنفعكم حسناتهم * [بَلْ مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ] بل تكون ملّة ابرٰهيم اي اهل ملّته كقول عديّ بن حاتم انّي من دين يريد من اهل دين - و قيل بل نتبع ملّة ابرٰهيم - و قرئ مِلَّةُ اِبْرٰهِيْمَ

سورة البقرة ٢
الجزء ١
ع ٦١

حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ۖ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝

بالرفع اي ملّته ملّتنا او امرنا ملّته او نحن ملّته بمعنى اهلُ ملّته و [حَنِيفًا] حال من المضاف اليه كقولك رأيتُ وجه هند قائمةً - والحنيفُ المائل عن كلّ دين باطل الى دين الحق و الحنفُ الميل في القدمين و تحنّفَ اذا مال و انشد * شعر * و لكنّا خُلقنا اذ خُلقنا * حنيفًا ديننا عن كلّ دين * [وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] تعريض باهل الكتاب و غيرهم لان كلًّا منهم يدّعي اتباع ابرٰهيم و هو على الشرك * [قُولُوا] خطاب للمؤمنين - و يجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق و الّا فانتم على الباطل وكذلك قوله بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ يجوز ان يكون على بل اتّبعوا انتم ملّة ابرٰهيم او كونوا اهل ملّته - و السبطُ الحافد و كان الحسن و الحسين سبطَيْ رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلم * [وَالْأَسْبَاطِ] حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثنى عشر * [لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ] لا نؤمن ببعض و نكفر ببعض كما فعلت اليهود و النصارى - و أَحَدٍ في معنى الجماعة و لذلك صحّ دخول بَيْنَ عليه * [بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ] من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له و هو دين الاسلام و من يتّبع غير الاسلام دينا فلن يُقبل منه فلا يوجد اذا دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقًّا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فَإِنْ آمَنُوا بكلمة الشك على سبيل الفرض و التقدير اي فان حصّلوا دينا آخر مثل دينكم مساويًا له في الصحّة و السداد فَقَدِ اهْتَدَوْا و فيه ان دينهم الذي هم عليه و كلّ دين سواه مغائرٌ له غير مماثل لانه حقّ وهدىً و ما سواه باطل و ضلال و نحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأيٌ اصوبُ منه فاعمل به وقد علمتَ انه لا اصوبَ من رأيك و لكنك تريد تبكيت صاحبك و توقيفه على ان ما رأيت لا رأي و راءه - و يجوز ان لا تكون الباء صلةً و تكون باءَ الاستعانة كقولك كتبت بالقلم و عملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها - و قرأ ابن عبّاس و ابن مسعود بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ و قرأ أُبيّ بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ * [وَإِنْ تَوَلَّوْا] عما تقولون لهم و لم يُنصفوا فما هم الّا [فِي شِقَاقٍ] اي في مباينة و معاندة لا غيرُ و ليسوا من طلب الحق في شيء - او ان تولّوا عن الشهادة و الدخول في الايمان بها [فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ] غمان من الله لاظهار رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم عليهم و قد انجز وعده بقتل قُرَيظة و سبيهم و اجلاء بني النضير - و معنى السين ان ذلك كائنٌ لا محالة و ان تأخّر الى حين * [وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] وعيدٌ لهم اي يسمع ما ينطقون به و يعلم ما يُضمرون من الحسد و الغلّ و هو معاقبهم عليه - او وعدٌ لرسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم بمعنى يسمع ما تدعوا به

صِبْغَةَ اللّٰهِ ۚ وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً ز وَّنَحْنُ لَهٗ عٰبِدُوْنَ ۝ قُلْ اَتُحَآجُّوْنَنَا فِى اللّٰهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۚ
وَلَنَآ اَعْمَالُنَا وَلَكُمْ اَعْمَالُكُمْ ۚ وَنَحْنُ لَهٗ مُخْلِصُوْنَ ۝ اَمْ تَقُوْلُوْنَ اِنَّ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ
وَالْاَسْبَاطَ كَانُوْا هُوْدًا اَوْ نَصٰرٰى ۗ قُلْ ءَاَنْتُمْ اَعْلَمُ اَمِ اللّٰهُ ۗ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهٗ مِنَ اللّٰهِ ۗ

ويعلم نيّتك وما تريده من اظهار دين الحقّ وهو مستجيب لك ومُوصلك الى مرادك • [صِبْغَةَ اللّٰهِ] مصدر موكّد منتصب عن قوله اٰمَنَّا بِاللّٰهِ كما انتصب وَعْدَ اللّٰهِ عمّا تقدمه وهي فِعْلَةٌ مِنْ صَبَغَ كالجِلْسَة مِنْ جَلَسَ وهي الحالة التي يقع عليها الصَّبْغ - و المعنى تطْهيرَ اللّٰه لان الايمان يُطَهّر النفوس - و الاصل فيه ان النصارى كانوا يَغْمسون اولادهم في ماء اصفر يُسمّونه المَعْموديّة و يقولون هو تطهير لهم فاذا فعَلَ الواحد منهم بولده ذلك قال الآنَ صار نصرانيّا حقًّا فأُمِر المسلمون بان يقولوا لهم قُوْلُوا اٰمَنَّا و صَبَغَنا اللّٰه بالايمان صِبغةً لا مثل صبغتنا و طَهَّرَنا به تطهيراً لامثل تطهيرنا - او يقول المسلمون صَبَغَنَا اللّٰه بالايمان صبغةً و لم نُصبغ صبغتَكم و انما جيء بلفظ الصبغة على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجارَ اِغْرِسْ كما يَغْرِس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام • [وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً] يعني انه يصْبَغ عباده بالايمان ويطهّرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته • وقوله [وَنَحْنُ لَهٗ عٰبِدُوْنَ] عطف على اٰمَنَّا بِاللّٰهِ و هذا العطف يردّ قول من زعم ان صِبْغَةَ اللّٰهِ بدل من مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صِبغةَ اللّٰه لما فيه من فكّ النظم و اخراج الكلام عن اِلْتئامه و اتّساقه - و انتصابُها على انّها مصدر موكّد هو الذي ذكره سيبويه و القولُ ما قالت حذام • قرأ زيد بن ثابت اَتُحَاجُّوْنَنَا بادغام النون - والمعنى اَتُجادلوننا في شان اللّٰه و اِصْطفائه النبيّ من العرب دونكم و تقولون لو اَنْزل اللّٰه على احد لَاَنْزل علينا و تُرَوْنَكم احقّ بالنبوة منّا • [وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ] نشترك جميعا في اَنّنا عباده و هو ربّنا و هو يُصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فُوِّضَ في ذلك لا يختصّ به عجميّ دون عربيّ اذا كان اهلاً للكرامة • [وَلَنَآ اَعْمَالُنَا وَلَكُمْ اَعْمَالُكُمْ] يعني ان العمل هو اساس الامر و به العبرة و كما ان لكم اعمالاً يعتبرها اللّٰه في اعطاء الكرامة و مَنْعها فنحن كذلك • ثم قال [وَنَحْنُ لَهٗ مُخْلِصُوْنَ] فجاء بما هو سبب الكرامة اي و نحن له موحّدون نُخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يُؤهّل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوّة و كانوا يقولون نحن احقّ بان تكون النبوة فينا لانّا اهل كتاب و العرب عَبَدَة اَوْثان • [اَمْ تَقُوْلُوْنَ] يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون اَمْ معادلة للهمزة في اَتُحَاجُّوْنَنَا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجّةَ في حكمة اللّٰه ام ادّعاءَ اليهوديّة و النصرانيّة على الانبياء و المراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا - و ان تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون والهمزة للانكار ايضا - و في من قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة • [قُلْ ءَاَنْتُمْ اَعْلَمُ اَمِ اللّٰهُ] يعني ان اللّٰه شَهِد لهم بملّة الاسلام في قوله مَا كَانَ اِبْرٰهِيْمُ يَهُوْدِيًّا وَّلَا نَصْرَانِيًّا وَّلٰكِنْ كَانَ حَنِيْفًا مُّسْلِمًا • [وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهٗ مِنَ اللّٰهِ] اي كَتَمَ شهادة اللّٰه التي هي عنده انه شَهِدَ بها و هي شهادته لابرٰهيم بالحنيفيّة - ويحتمل

سورة البقرة ٢ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ۝ تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ ۚ وَلَا تُسْـَٔلُوْنَ
الجزء ٢ عَمَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ۝ ع سَيَقُوْلُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلّٰىهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِيْ كَانُوْا عَلَيْهَا ۭ قُلْ لِّلّٰهِ
ع ١ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۭ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَاۗءُ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ۝ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰكُمْ اُمَّةً وَّسَطًا لِّتَكُوْنُوْا
شُهَدَاۗءَ عَلَى النَّاسِ

معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة و هم عالمون بها - و الثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منّا فلا نكتمها و فيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كُتُبهم و سائر شهاداته • و [مِنْ] في قوله شَهَادَةً عِنْدَهٗ مِنَ اللّٰهِ مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدتَ له و مثله بَرَاۗءَةٌ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ • [سَيَقُوْلُ السُّفَهَاۗءُ] الخفاف الاحلام و هم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة و انهم لا يرون النسخ - و قيل المنافقون لحرصهم على الطعن و الاستهزاء - و قيل المشركون قالوا رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها و الله ليرجعنّ الى دينهم - فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه - قلت فائدته ان مفاجاة المكروه اشدّ و العلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس و ان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم و اردّ لشغبه و قبل الرمي يُرَاشُ السهمُ [مَا وَلّٰىهُمْ] ما صرفهم • [عَنْ قِبْلَتِهِمْ] و هي بيت المقدس • [لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ] اي بلاد المشرق و المغرب و الارضُ كلها • [يَهْدِيْ مَنْ يَّشَاۗءُ] من اهلها [اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ] و هو ما توجبه الحكمةُ و المصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس و اخرى الى الكعبة • [وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰكُمْ] و مثل ذلك الجعلِ العجيبِ جعلناكم [اُمَّةً وَّسَطًا] خيارا و هي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء و لذلك استوى فيه الواحد و الجمع و المذكر و المونث و نحوه قوله عليه السلام وَاَنْطُوا الثَّبَجَةَ يريد الوسيطة بين السمينة و العجفاء وصفاً بالثَّبَج و هو وسط الظهر الا انه اُلْحِقَ تاء التانيث مراعاة لحق الوصف و قيل للخيار وسطٌ لان الاطراف يتسارع اليه الخلل و العوار و الاوساط محميّة محوطة و منه قول الطائي • شعر • كانت هي الوسط المحميّ فاكتنفتْ • بها الحوادث حتى اصبحت طرفا - و قد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنّ اراد من خيار الدنانير او عُدُولاً لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض • [لِّتَكُوْنُوْا شُهَدَاۗءَ عَلَى النَّاسِ] روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياءَ بالبيّنة على انهم قد بلّغوا و هو اعلم فيوتى بامة محمد صلى الله عليه و اله و سلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد صلى الله عليه و اله و سلم فيُسْأل عن حال امته فيُزكيهم و يشهد بعدالتهم و ذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد - وَجِئْنَا بِكَ عَلٰى هٰٓؤُلَاۗءِ شَهِيْدًا - فان قلت فهلا قيل لكم شهيدا و شهادته لهم لا عليهم - قلت لما كان الشهيد كالرقيب و المُبَيِّن على المشهود له

وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝

جيئ بكلمة الاستعلاء و منه قوله تعالى وَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ - كُنْتَ اَنْتَ الرَّقِيْبَ عَلَيْهِمْ - وَ اَنْتَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ - و قيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لايصحّ الّا بشهادة العدول الأخيار • [وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا] يزكّيكم و يُعلم بعدالتكم - فان قلت لِمَ أُخّرت صلة الشهادة اولاً و قدّمت أخرًا - قلت لان الغرض فى الاول اثبات شهادتهم على الامم و فى الأخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم • [الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا] ليست بصفة للقبلة و انما هي ثاني مفعولَيْ جَعَلَ يريد وما جعلنا القبلةَ الجهةَ التي كنت عليها و هي الكعبة لان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كان يصلّي بمكّة الى الكعبة ثم أُمر بالصلوٰة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تالّفًا لليهود ثم حُوّل الى الكعبة فيقول وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِيْ يجب ان تستقبلها الجهةَ التي كنت عليها اولًا بمكّة يعني و ما رَدَدْنَاك اليها الا امتحانا للناس و ابتلاءً [لِنَعْلَمَ] الثابت على الاسلام الصادقَ فيه ممّن هو على حرف ينكص [عَلٰى عَقِبَيْهِ] يَقلقه فيرتدّ كقوله وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ اِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا الأية - و يجوز ان يكون بيانًا للحكمة في جَعْل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبةَ و ان استقبالك بيتَ المقدس كان امرًا عارضا لغرض و انما جعلنا القبلة الجهة الَّتِيْ كُنْتَ عَلَيْهَا قدل وقتك هذا و هي بيتُ المقدس لنمتحن الناس و نظهر من يتّبع الرسول منهم و من لايتّبعه و ينفر عنه - و عن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكّة بيت المقدس الّا انه كان يجعل الكعبة بينه و بينه - فان قلت كيف قال لِنَعْلَمَ و لم يزل عالمًا بذلك - قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء و هو ان يعلمه موجودا حاصلا و نحوه وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوْا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصّٰبِرِيْنَ - و قيل ليعلم رسولُ الله و المؤمنون و انما أسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه و اهل الزلفى عنده - و قيل معناه لنميّز التابع من الناكص كما قال لِيَمِيْزَ اللّٰهُ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ فوضع العام موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز به • [وَاِنْ كَانَتْ لَكَبِيْرَةً] هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة - و الضمير في كَانَتْ لما دلّ عليه قوله وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِيْ كُنْتَ عَلَيْهَا من الردّة او التحويلة او الجعلة - و يجوز ان يكون للقبلة - لَكَبِيْرَةً لثقيلة شاقّة • [اِلَّا عَلَى الَّذِيْنَ هَدَى اللّٰهُ] الّا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم و كانوا اهلًا للطفه • [وَ مَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِيْعَ اِيْمَانَكُمْ] اي ثباتكم على الايمان و انكم لم تزلّوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم و اعدّكم الثواب العظيم - و يجوز ان يراد و ما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة و اضاعة لايمانكم - و قيل من كان صلّى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة - و عن ابن عباس رضي الله عنه لما وُجّه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الى الكعبة قالوا كيف

سورة البقرة ٢ قَدْ نَرٰى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ ج فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰىهَا ص فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الجزء ٢ الْحَرَامِ ط وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوْا وُجُوْهَكُمْ شَطْرَهٗ ط وَاِنَّ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ لَيَعْلَمُوْنَ اَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
ع ١ رَّبِّهِمْ ط وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُوْنَ ۝ وَلَئِنْ اَتَيْتَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ بِكُلِّ اٰيَةٍ مَّا تَبِعُوْا قِبْلَتَكَ ج

بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت • [لَرَءُوْفٌ رَّحِيْمٌ] لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يُصْلِحهم - ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رأيك في ابي تراب فقرأ قوله الاَّ عَلَى الَّذِيْنَ هَدَى اللّٰهُ ثم قال وعليّ منهم وهو ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم - وقرئ اَلَّا لِيُعْلَمَ على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة - ويجوز ان يكون مَنْ متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت أزيد في الدار ام عمرو - وقرأ ابن ابي اسحٰق عَلَى عَقِبَيْهِ بسكون القاف - وقرأ اليزيدي لَكَبِيْرَةٌ بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله • ع • وجيران لنا كانوا كرام • والاصل وَاِنْ هي لَكَبِيْرَةٌ كقولك اِنْ زيد لمنطلقٌ ثم وَاِنْ كَانَتْ لَكَبِيْرَةٌ - وقرئ لِيُضَيِّعَ بالتشديد • [قَدْ نَرٰى] ربما نرى ومعناه كثرةُ الرؤية كقوله • ع • قد اترك القِرْن مصفرًا انامله • [تَقَلُّبَ وَجْهِكَ] تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يتوقع من ربّه ان يحوّله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرٰهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزولَ جبرئيل عليه السلام والوحيَ بالتحويل • [فَلَنُوَلِّيَنَّكَ] فلنعطينّك ولنُمَكِّنَنّك من استقبالها من تولاك وَلَّيْتُهُ كذا اذا جعلته واليًا له - او فلنجعلنّك تَلِي سَمْتَها دون سمت بيت المقدس • [تَرْضٰىهَا] تُحبّها وتميل اليها لاَغْراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقتْ مشيّة الله وحكمته • [شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] نحوَه قال • شعر • واطعنُ بالقوم شطر الملوك • وقرأ ابيّ تِلْقَاءَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - وعن البراء بن عازب قدم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المدينةَ فصلّى نحوَ بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وُجّه الى الكعبة - وقيل كان ذلك في رَجَبَ بعد زوال الشمس قبل قتال بَدْرٍ بشهرين ورسول الله صلى الله عليه واله وسلم في مسجد بني سَلِمَةَ وقد صلّى باصحابه ركعتين من صلوٰة الظهر فتحوّل في الصلوٰة واستقبل الميزاب وحوّل الرجال مكان النساء والنساءَ مكان الرجال فسُمّي المسجد مسجدَ القبلتين - وَشَطْرَ الْمَسْجِدِ نصب على الظرف اي اجْعل تولية الوجه تلقاءَ المسجد اي في جهته وسَمْته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذِكْر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين • [لَيَعْلَمُوْنَ اَنَّهُ الْحَقُّ] ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبياءهم برسول الله انه يصلّي الى القبلتين [يَعْلَمُوْنَ] قرئ بالياء والتاء • مَا تَبِعُوْا قِبْلَتَكَ جواب القسم المحذوف سدّ مسدّ جواب الشرط • [بِكُلِّ اٰيَةٍ] بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق • [مَا تَبِعُوْا قِبْلَتَكَ] لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجّة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في

سورة البقرة ٢ الجزء ٢ ع ١

وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ج وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ط وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ لا إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظّٰلِمِينَ ۝ اَلَّذِينَ آتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ط وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ

كُتبهم من نَعْتك انّك على الحق • [وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ] حسمٌ لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك و قالوا لو ثبتَ على قبلتنا لكنّا نرجوا ان تكون صاحبَنا الذي ننتظره و طمعوا في رجوعه الى قبلتهم - وقرئ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ على الاضافة • [وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ] يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يُرجى اتفاقهم كما لا يُرجى موافقتهم لك و ذلك انّ اليهود تستقبل بيتَ المقدس و النصارى مطلعَ الشمس اخبر عز و جلّ عن تصلّب كلّ حزب فيما هو فيه و ثباته عليه فالمُحِقُّ منهم لا يزلّ عن مذهبه لتمسّكه بالبرهان و المُبْطِلُ لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده • و قوله [وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ] بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ كلام وارد على سبيل الفرض و التقدير بمعنى ولئن اتبعتَهم مثلا بعد وضوح البرهان و الاحاطة بحقيقة الامر [إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظّٰلِمِينَ] المرتكبينَ الظلمَ الفاحشَ و في ذلك لطف للسامعين و زيادة تحذير و استفظاعٍ لحال من يترك الدليل بعد انارته و يتبع الهوى و تهييجٌ و البابٌ للثبات على الحق - فان قلت كيف قال وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ و لهم قبلتان لليهود قبلة و للنصارى قبلة - قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلةً واحدةً • [يَعْرِفُونَهُ] يعرفون رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم معرفةً جليّةً يُميّزون بينه و بين غيره بالوصف المعيّن المشخّص [كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ] لا يشتبه عليهم ابناءهم و ابناء غيرهم - و عن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال انا اعلم به منّي بابْني قال و لِمَ قال لانّي لستُ اشكّ في محمد انه نبيّ فامّا ولدي فلعلّ والدته خانتْ فَقَبّلَ عمر راسهَ - و جاز الاضمار و ان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدلّ عليه و لا يلتبس على السامع و مثل هذا الاضمار فيه تفخيم و اشعار بانه لشهرته وكونه علما معلومٌ بغير اعلام - وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة و قوله كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ يشهد للاول و ينصره الحديث عن عبد الله بن سلام - فان قلت لم اختصّ الابناء - قلت لان الذكور اشهر و اعرف و هم لصيقة الآباء الزمُ و بقلوبهم الصقُ • و قال [فَرِيقًا مِنْهُمْ] استثناءٌ لمن آمن منهم او لجهّالهم الذين قال فيهم وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتٰبَ • [اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ] يحتمل ان يكون اَلْحَقُّ خبرَ مبتدأ محذوف اي هو الحق او مبتدأ خبره مِنْ رَبِّكَ - و فيه وجهان ان تكون اللام للعهد و الاشارةُ الى الحق الذي عليه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم او الى الحق الذي في قوله لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربّك - و ان تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه

سورة البقرة ٢ الجزء ٢ ع ٢

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝ ع وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۙ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ق إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

و ما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل - فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل مِنْ رَبِّكَ - قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر و ان يكون حالاً - وقرأ علي رضي الله عنه اَلْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ على الابدال من الاول اي يكتمون الحقَّ الحقَّ من ربك • [فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ] الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك • [وَلِكُلٍّ] من اهل الاديان المختلفة • [وِجْهَةٌ] قبلة - و في قراءة اُبَيّ وَلِكُلِّ قِبْلَةٌ • [هُوَ مُوَلِّيهَا] وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله مولّيها اياه - و قرئ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٍ على الاضافة - والمعنى وكلّ وجهة اللهُ مولّيها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربتُ و لزيد ابوه ضاربه - و قرأ ابن عامر هو مُوَلَّاهَا اي هو مولّى تلك الجهة قد وُلِّيَهَا - و المعنى لكلّ امة قبلة تتوجه اليها منكم و من غيركم [فَاسْتَبِقُوا] انتم [الْخَيْرَاتِ] و استبقوا اليها غيركم من امر القبلة و غيره - ومعنى اخر و هو ان يراد و لكلّ منكم يا امة محمد وجهةٌ اي جهة يصلّي اليها جنوبيةً او شماليةً او شرقيةً او غربيةً فاستبقوا الخيرات • [أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا] للجزاء من موافق و مخالف لا تعجزونه - و يجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات و هي الجهات المسامتة للكعبة و ان اختلفت - أَيْنَمَا تَكُونُوا من الجهات المختلفة - يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا يجمعكم و يجعل صلوتكم كانها الى جهة واحدة و كانكم تصلّون حاضرى المسجد الحرام • [وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ] اي و من اىّ بلد خرجتَ للسفر [فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] اذا صليتَ [وَإِنَّهُ] و ان هذا المامور به • و قرئ [يَعْمَلُونَ] بالتاء والياء - و هذا التكرير لتاكيد امر القبلة و تشديده لان النسخ من مظانّ الفتنة و الشبهة و تسويل الشيطان و الحاجة الى التفصلة بينه و بين البداء فكُرِّر عليهم ليثبتوا و يعزموا و يَجِدّوا ولانه نِيْطَ بكلّ واحد ما لم يُنَطْ بالاخر فاختلفتْ فوائدها • [إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا] استثناء من النَّاسِ - و معناه لئلا يكون حجةٌ لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترَكَ قبلتنا الى الكعبة الا مَيْلاً الى دين قومه و حبًّا لبلده و لو كان على الحق الزمَ قبلة الانبياء - فان قلت اىّ حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحوّل حتى احترز من تلك الحجة و لم يُبَالِ بحجة المعاندين - قلت كانوا يقولون ماله لا يحوّل الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته في التورية - فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين - قلت لانهم يسوقونه سياق الحجة - ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة و اعتراض في تركم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم و اسمٰعيل اَبَوَيِ العرب

فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ۞ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۞ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ
وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۞ ع يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۞
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ
مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ

الا للذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدأ له فرجع الى قبلة اٰبائه و يوشك ان يرجع الى دينهم - و قرأ زيد بن علي رضي الله عنهما اَلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْهُمْ على ان اَلَّا للتنبيه و وقف على حُجَّةٌ ثم استانف مُنَبِّهًا [فَلَا تَخْشَوْهُمْ] فلا تخالفوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم • [وَاخْشَوْنِيْ] فلا تخالفوا امري و ما رأيته مصلحة لكم • و متعلق اللام محذوف معناه ولا تمامي النعمة عليكم و ارادتي اهتداءكم اَمَرْتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل و اخشوني لِأُوَفِّقكم وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِيْ عَلَيْكُمْ - و قيل هو معطوف على لِئَلَّا يَكُوْنَ - و في الحديث تمام النعمة دخول الجنة - و عن عليّ رضي الله عنه تمام النعمة الموتُ على الاسلام • [كَمَا اَرْسَلْنَا] اما ان يتعلق بما قبله اي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِيْ عَلَيْكُمْ في الاخرة بالثواب كما اَتْممتُها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول • [فَاذْكُرُوْنِيْ] بالطاعة [اَذْكُرْكُمْ] بالثواب [وَاشْكُرُوْا لِيْ] ما انعمتُ به عليكم [وَلَا تَكْفُرُوْنِ] ولا تجحدوا نعمائي • [اَمْوَاتٌ بَلْ اَحْيَاءٌ] هم اموات بل هم احياء [وَلٰكِنْ لَّا تَشْعُرُوْنَ] كيف حالهم في حيٰوتهم - و عن الحَسَن ان الشهداء احياء عندالله تُعْرَض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الرَّوح والفرح كما تعرض النار على ارواح اٰل فرعون غُدوّة و عشيًا فيصل اليهم الوجع - و عن مجاهد يُرْزَقون ثمر الجنة و يجدون ريحها و ليسوا فيها - و قالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها و يوصل اليها النعيم و ان كانت في حجم الذرّة - و قيل نزلت في شهداء بدر و كانوا اربعة عشر • [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ] ولنصيبنكم بذلك اصابةً تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون و تثبتون على ما انتم عليه من الطاعة و تسلمون لامر الله و حكمه ام لا • [بِشَيْءٍ] قليل من كلّ واحد من هذه البلايا و طرف منه • [وَبَشِّرِ الصّٰبِرِيْنَ] المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم و اذعان - و عن النبيّ صلى الله عليه واٰله و سلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته و احسن عقباه و جعل له خلفا صالحا يرضاه - و روي انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه و اٰله و سلم فقال اِنَّا لِلّٰهِ وَاِنَّا اِلَيْهِ رٰجِعُوْنَ فقيل أ مصيبة هي قال نعم كلّ شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة و انما قُلّل في قوله بِشَيْءٍ ليوذن ان كلّ بلاء اَصاب الانسان و ان جلّ فوقه ما يقلّ اليه و ليخفّف عليهم و يُرِيَهم ان رحمته معهم في كلّ حال لا تزايلهم و انما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطّنوا عليه نفوسهم • [و نَقْص] عطف على شَيْءٍ او على الْخَوْف بمعنى و شيء من نقص

سورة البقرة ٢ مُصِيبَةٌ قَالُوٓا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ
جزء ٢ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ
ع ٣ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ

الاموال • و الخطابُ في وَبَشِّرْ لرسول الله صلى الله عليه و اله و سلم او لكلّ من يتاتى منه البشارة - و عن الشافعيّ رحمه الله الخوفُ خوفُ الله و الجوعُ صيام شهر رمضان و النُّقص من الاموال الزكواتُ و الصدقاتُ و من الانفس الامراضُ و من الثمرات موتُ الاولاد - و عن النبيّ صلّى الله عليه و اله و سلّم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أَقَبَضْتم ولد عبدي فيقولون نَعَمْ فيقول أَ قبضتم ثمرة قلبه فيقولون نَعَمْ فيقول الله تعالى ما ذا قال عبدي فيقولون حَمِدَكَ و استرجع فيقول الله تعالى ابْنُوا لعبدي بيتًا في الجنّة و سمّوه بيتَ الحمد • و [الصلوٰة] الحنوّ و التعطّف فوُضعت موضع الرأفة و جُمع بينها و بين الرحمة كقوله تعالى رَأْفَةً وَّرَحْمَةً - رَءُوفٌ رَّحِيمٌ و المعنى عليهم رأفة بعد رأفة و رحمة اىّ رحمة • [وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُوْنَ] لطريق الصواب حيث استرجعوا و سلّموا لِأَمْرِ الله • و [الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ] عَلَمان للجبلين كالصمّان و المُقطّم • و [شَعَائِر] جمع شعيرة و هي العلامة من أعلام مناسكه و متعبّداته • و [الحجّ] القصد • و [الاعتمار] الزيارة فغلّبا على قصد البيت و زيارته للنسكين المعروفين و هما في المعاني كالنجم و البيت في الاعيان • و اصل [يَطَّوَّفَ] يَتَطَوَّفَ فأُدْغم - و قرئ اَنْ يَطُوْفَ من طاف - فان قلت كيف قيل انهما مِنْ شَعَائِرِ الله ثم قيل لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ اَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا - قلت كان على الصفا إساف و على المروة نائلةُ و هما صنمان - يروى انهما كانا رجلا و امرأة زَنَيا في الكعبة فمُسخا حجرين فوُضعا عليهما ليُعْتبَر بهما فلما طالت المدة عُبدا من دون الله فكان اهل الجاهليّة اذا سعَوْا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكُسرت الاوثان كَرِه المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهليّة و ان يكون عليهم جناحٌ في ذلك فرفع عنهم الجناح - و اختلف في السعي فمن قائل هو تطوّع بدليل رفع الجناح و ما فيه من التخيير بين الفعل و الترك كقوله فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا اَنْ يَّتَرَاجَعَا و غير ذلك و لقوله وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا كقوله فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ - ويروى ذلك عن انَس و ابن عباس و ابن الزُّبير و تنصره قراءة ابن مسعود فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ اَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا - و عن ابي حنيفة رحمه الله انه واجب و ليس بركن و على تاركه دم و عند الاوّلين لا شيء عليه و عند مالك و الشافعيّ هو ركن لقوله عليه السلام اسعَوْا فان الله كتب عليكم السعي - و قرئ وَمَنْ يَّطَّوَّعَ بمعنى و من يتطوّع فادغم - و في قراءة عبد الله وَمَنْ يَّتَطَوَّعْ بِخَيْرٍ • [اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْتُمُوْنَ] من احبار اليهود [مَا اَنْزَلْنَا] في التوراة [مِنَ الْبَيِّنٰتِ] من الآيات الشاهدة على امر محمد صلّى الله عليه و اله و سلّم [وَالْهُدٰى] و الهداية بوصفه الى اتّباعه و الايمان به [مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنّٰهُ] و لخّصناه [لِلنَّاسِ فِى الْكِتٰبِ]

سورة البقرة ٢ الجزء ٢ ع ٤

أُولٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰعِنُوْنَ ۝ اِلَّا الَّذِيْنَ تَابُوْا وَ اَصْلَحُوْا وَ بَيَّنُوْا فَاُولٰٓئِكَ اَتُوْبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَ اَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَ مَاتُوْا وَهُمْ كُفَّارٌ اُولٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّٰهِ وَ الْمَلٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ اَجْمَعِيْنَ ۝ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ۚ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُوْنَ ۝ وَ اِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ ۚ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ ۝ اِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِيْ تَجْرِيْ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَ مَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَآءِ مِنْ مَّآءٍ فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَآبَّةٍ ۖ وَّ تَصْرِيْفِ الرِّيٰحِ

فى التوراة لم ندَعْ فيه موضعَ اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبيّن الملخّص فكتموه و لبّسوا على الناس • [اُولٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰعِنُوْنَ] الذين يتأتى منهم اللعن عليهم و هم الملائكة و المؤمنون من الثقلين • [اَصْلَحُوْا] ما افسدوا من احوالهم و تداركوا ما فرط منهم • [وَ بَيَّنُوْا] ما بيّنه الله في كتابهم فكتموه او بيّنوا للناس ما احدثوه من تومتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم و يُعرَفوا بضد ما كانوا يُعرَفون به و يقتدي بهم غيرُهم من المفسدين • [اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا] يعنى الذين ماتوا من هولاء الكاتمين و لم يتوبوا ذكر لعنتهم احياءً ثم لعنتهم امواتا - وقرأ الحسن وَ الْمَلٰٓئِكَةُ وَ النَّاسُ اَجْمَعُوْنَ بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى التقدير كقولك عجبتُ من ضَرْبِ زيدٍ و عمروٌ تريد من اَنْ ضُرِبَ زيدٌ و عمروٌ كانه قيل اولئك عليهم اَنْ لَعَنَهم اللّٰهُ و الملائكةُ - فان قلت ما معنى قوله وَ النَّاسِ اَجْمَعِيْنَ و فى الناس المسلم و الكافر - قلت اراد بالناس من يعتدّ بلعنه و هم المؤمنون - و قيل يوم القيٰمة يلعن بعضهم بعضا • [خٰلِدِيْنَ فِيْهَا] فى اللعنة و قيل فى النار الّا انها اُضمرت تفخيما لشانها و تهويلا • [وَلَا هُمْ يُنْظَرُوْنَ] من الانظار اي لا يُمهلون و لا يوجّلون - او لا يُعتذرون ليعتذروا - او لا يُنظر اليهم نظرَ رحمة • [اِلٰهُ وَّاحِدٌ] فرد فى الالٰهيّة لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمّى غيره الٰها • [وَلَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ] تقرير للوحدانيّة بنفي غيره و اثباته • [الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ] المولي لجميع النِعَم اصولِها و فروعِها و لا شيئ سواه بهذه الصفة فان كلّ ما سواه امّا نعمة و امّا منعم عليه • و قيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة و ستون صنما فلما سمعوا بهذه الاٰية تعجبوا و قالوا ان كنتَ صادقا فائتِ باٰية نعرف بها صدقك فنزلت • [اِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَ النَّهَارِ] و اعتقابهما لان كلّ واحد منهما يعقب الاٰخر كقوله جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً • [بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ] بالذي ينفعهم مما يحمل فيها - او بنفع الناس - فان قلت قوله وَ بَثَّ فِيْهَا عطف على اَنْزَلَ ام اَحْيَا - قلت الظاهر انه عطف على اَنْزَلَ داخل تحت حكم الصلة لان قوله فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ عطف على اَنْزَلَ فاتصل به وصار اجميعا كالشيئ الواحد فكانّه قيل و ما اَنزل فى الارض من ماءٍ و بثّ فيها من كل دابّة - و يجوز عطفه على اَحْيَا على معنى فاحيا بالمطر الارضَ و بثّ فيها من كلّ دابّة به لانهم ينمون بالخصب و يعيشون بالحيا • [وَ تَصْرِيْفِ الرِّيٰحِ] في مهابّها قبولا و دَبورا و جَنوبا و شمالا وفي احوالها حارّةً و باردةً و عاصفةً ولَيِّنةً وعُقْمًا ولَواقِحَ - و قيل تارة

وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اَنْدَادًا
يُّحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ ؕ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَشَدُّ حُبًّا لِّلّٰهِ ؕ وَلَوْ يَرَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْٓا اِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ اَنَّ الْقُوَّةَ لِلّٰهِ
جَمِيْعًا ۙ وَّاَنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعَذَابِ ۝ اِذْ تَبَرَّاَ الَّذِيْنَ اتُّبِعُوْا مِنَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْا وَرَاَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
الْاَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْا لَوْ اَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّاَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوْا مِنَّا ؕ كَذٰلِكَ يُرِيْهِمُ اللّٰهُ اَعْمَالَهُمْ حَسَرٰتٍ

بالرحمة و تارة بالعذاب • [وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ] سُخّر للرياح تُقلّبه في الجوّ بمشيّة الله يُمطر حيث شاء • [لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ] ينظرون بعيون عقولهم و يعتبرون انها دلائلُ على عظيم القدرة و باهر الحكمة - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ويلٌ لمن قرأ هذه الآية فمجّ بها اي لم يتفكر فيها و لم يعتبر بها - و قرئ وَ اُعْلُكِ بضمتين - و تصريف الرّيح على الافراد • [اَنْدَادًا] امثالا من الاصنام و قيل من الرؤساء الذين كانوا يَتبعونهم و يُطيعونهم و ينزلون على اوامرهم و نواحيهم و استُدلّ بقوله اِذْ تَبَرَّاَ الَّذِيْنَ اتُّبِعُوْا مِنَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْا • و معنى [يُحِبُّوْنَهُمْ] يعظّمونهم و يخضعون لهم تعظيمَ المحبوب • [كَحُبِّ اللّٰهِ] كتعظيم الله و الخضوع له اي كما يُحبّ اللّٰهَ تعالى على انه مصدر من المبنيّ للمفعول و انما استغني عن ذكر من يحبّه لانه غير ملبس - و قيل كحبهم اللّٰهُ اي يُسوّون بينه و بينهم في محبتهم لانهم كانوا يُقرّون بالله و يتقرّبون اليه فَاِذَا رَكِبُوْا فِى الْفُلْكِ دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ • [اَشَدُّ حُبًّا لِّلّٰهِ] لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه و يخضعون له و يجعلونهم وسائط بينهم و بينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله و يعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلةُ اِلٰهها من حَيْس عام المجاعة • [اَلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا] اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كلّ شيئ من العقاب و الثواب دون انداده هم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيٰمة لكان منهم مالا يدخل تحت الوصف من الندم و الحسرة و وقوع العلم بظلمهم و ضلالهم فحذف الجواب كما في قوله وَلَوْ تَرٰى اِذْ وُقِفُوْا - و قولهم لو رايتَ فلانا و السياطُ تاخذه - و قرئ وَلَوْ تَرٰى على خطاب الرسول او كلّ مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت امراً عظيما - و قرئ اِذْ يُرَوْنَ على البناء للمفعول و اِذْ في المستقبل كقوله وَنَادٰى اَصْحَابُ الْجَنَّةِ • [اِذْ تَبَرَّاَ] بدل من اِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ اي تبرأ المتبوعون و هم الرؤساء من الاتّباع - و قرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل و الثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء • [وَ رَاَوُا الْعَذَابَ] الواو للحال اي تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب • [وَ تَقَطَّعَتْ] عطف على تَبَرَّاَ • [وَالْاَسْبَابُ] الوُصَل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد و من الانساب و المحاب و الاتباع و الاستتباع كقوله لَقَدْ تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ • [لَوْ] في معنى التمني و لذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرّة فنتبرأ منهم • [كَذٰلِكَ] مثل ذلك الإراء الفظيع • [يُرِيْهِمُ اللّٰهُ اَعْمَالَهُمْ حَسَرٰتٍ] اي ندامات و حَسَرات ثالث مفاعيل اَرٰى - و معناه ان

عَلَيْهِمْ ط وَمَا هُمْ بِخٰرِجِيْنَ مِنَ النَّارِ ۝ ع يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ كُلُوْا مِمَّا فِى الْاَرْضِ حَلٰلًا طَيِّبًا وَّ لَا تَتَّبِعُوْا
خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ ط اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ۝ اِنَّمَا يَاْمُرُكُمْ بِالسُّوْٓءِ وَ الْفَحْشَآءِ وَ اَنْ تَقُوْلُوْا عَلَى اللّٰهِ
مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ۝ وَ اِذَا قِيْلَ لَهُمُ اتَّبِعُوْا مَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوْا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ اَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اٰبَآءَنَا ط اَوَ لَوْ كَانَ
اٰبَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ شَيْـًٔا وَّ لَا يَهْتَدُوْنَ ۝ وَ مَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا كَمَثَلِ الَّذِيْ يَنْعِقُ

اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم * [وَ مَا هُمْ بِخٰرِجِيْنَ] هُمْ بمنزلته في قوله * ع * هم يفرشون اللبد كلّ طمرّة * في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص * [حَلٰلًا] مفعول كُلُوْا او حال مما فى الارض * [طَيِّبًا] طاهرا من كل شبهة * [وَ لَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ] فتد خلوا في حرام اوشبهة او تحريم حلال او تحليل حرام - و مِنْ للتبعيض لان كلّ ما فى الارض ليس بماكول - و قرئ خُطُوٰتِ بضمتين و خُطْوٰتِ بضمة وسكون و خُطُوَّاتِ بضمتين و همزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو و خَطَوَاتِ بفتحتين و خَطْوَاتِ بفتحة وسكون و الخَطْوة المرّة من الخَطْو والخُطْوة ما بين قدمي الخاطي و هما كالغَرْفة والغُرْفة و القَبْضة و القُبْضة يقال اتبع خُطْواته و وطئ على عقبه اذا اقتدى به واستنّ بسنته * [مُبِيْنٌ] ظاهر العداوة لاخفاء به * [اِنَّمَا يَاْمُرُكُمْ] بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه و ظهور عداوته اي لا يامركم بخير قطّ انما يامركم [بِالسُّوْٓءِ] بالقبيح [وَالْفَحْشَاءِ] و ما يتجاوز الحد فى القبح من العظائم - و قيل السوء ما لا حدّ فيه و الفحشاء ما يجب الحدّ فيه * [وَ اَنْ تَقُوْلُوْا عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ] و هو قولكم هذا حلال و هذا حرام بغير علم و يدخل فيه كل ما يضاف الى اللّٰه تعالى مما لا يجوز عليه - فان قلت كيف كان الشيطان آمرًا مع قوله لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ - قلت شُبّه تزيينه و بعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا و تحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له و قبولكم وساوسه و لذلك قال وَلَاٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ اٰذَانَ الْاَنْعَامِ - وَلَاٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّٰهِ و قال اللّٰه تعالى اِنَّ النَّفْسَ لَاَمَّارَةٌ بِالسُّوْٓءِ لما كان الانسان يطيعها فيُعطيها ما اشتهتْ * [لَهُمْ] الضمير للناس و عُدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لاضالّ اضل من المقلّد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هولاء الحمقى ماذا يقولون - قيل هم المشركون - و قيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم الى الاسلام فقالوا [بَلْ نَتَّبِعُ مَا اَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اٰبَآءَنَا] فانهم كانوا خيرًا منّا واعلم - و اَلْفَيْنَا بمعنى و جدنا بدليل قوله بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ اٰبَآءَنَا * [اَوَ لَوْ كَانَ اٰبَآؤُهُمْ] الواو للحال والهمزة بمعنى الردّ والتعجيب - معناه ايتّبعونهم و لو كان اباءهم لا يعقلون شيأ من الدين ولا يهتدون للصواب * لابدّ من مضاف محذوف تقديره وَمَثَلُ داعي الَّذِيْنَ كَفَرُوْا [كَمَثَلِ الَّذِيْ يَنْعِقُ] - او وَمَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا كبهائم الَّذِيْ يَنْعِقُ - و المعنى و مثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جَرْس النغمة و دويّ الصوت من غير القاء اذهان و لا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق و نداءه الذي هو تصويت بها و زجرُلها ولاتفقه شيأ اٰخر

سورة البقرة ٢ الجزء ٢ ع ٥

بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ط صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ
لِغَيْرِ اللَّهِ ج فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ط إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ

و لا تعي كما يفهم العقلاء و يَعُونَ - و يجوز ان يراد بمَا لَا يَسْمَعُ الاَصمّ الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الراعي صوته بكلامه الا النداءَ و التصويتَ لا غيرُ من غير فهم للحروف - و قيل معناه و مَثلهم في اتّباعهم آباءَهم و تقايدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت و لا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتّبعونهم على ظاهر حالهم و لا يفقهون أنهم على حق ام باطل - و قيل معناه و مثلهم في دعاءهم الاصنامَ كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيأ - و المعنيق التصويت يقال نَعَقَ المؤذّن و نعق الراعي بالضأن قال الاخطل • شعر • فا نَعِقْ بضأنك يا جرير فانما • منّتك نفسُك في الخلاء ضلالا • و اما نَعَقَ الغراب فبالغين المعجمة • [صُمٌّ] هم صُمّ و هو رفع على الذم • [مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ] من مستلذاته لان كل ما رزقه اللّٰه لا يكون الا حلالا • [وَاشْكُرُوا لِلَّهِ] الذي رزقكموها • [إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ] ان صح انكم تختصّونه بالعبادة و تقرّون انه مُوْلي النعم - و عن النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم يقول اللّٰه تعالى إنّي و الجنّ و الانس في بناء عظيم أَخْلق و يُعبد غيري و أَرْزق و يُشكر غيري • قرئ [حَرَّمَ] على البناء للفاعل وَ حُرِّمَ على البناء للمفعول و حَرُمَ بوزن كَرُمَ • [أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ] اي رُفع به الصوت للصنم و ذلك قول اهل الجاهليّة باسم اللّات و العُزّى • [غَيْرَ بَاغٍ] على مضطرّ اخر بالاستيثار عليه • [وَلَا عَادٍ] سدّ الجَوْعة - فان قلت في الميتات ما يحلّ و هو السمك و الجراد قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم أُحلّت لنا ميتتان و دمان - قلت قصد ما يتفاهمه الناس و يتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكلَ فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك و الجراد كما لو قال اكلَ دَمًا لم يسبق الى الكبد و الطحال و لاعتبار العادة و التعارف قالوا من حَلف لا يأكلُ لحما فاكلَ سمكا لم يحنث و ان اكل لحمانى الحقيقة قال اللّٰه تعالى لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا و شبّهوه بمن حلف لا يركب دابّة فركب كافرا لم يحنث و ان سمّاه اللّٰه تعالى دابّة في قوله إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا - فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه - قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحمٌ سمينٌ يريدون انه شحيم • [فِي بُطُونِهِمْ] ملأ بطونهم تقول اكلَ فلان في بطنه و اكلَ في بعض بطنه • [إِلَّا النَّارَ] لانه اذا اكل ما يتلبّس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار و منه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال الشاعر • ع • اكلت دمًا ان لم أَرُعْكِ بضرّة • وقال • ع • يأكلن كل ليلة اكلا • و ادخل الاكل مسلّطا اكلا لتلبّسه بكونه اكلا له • [وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ] تعريض بحرمانهم حال اهل

يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أُولٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدٰى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ۝ ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ نَزَّلَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتٰبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالْكِتٰبِ وَالنَّبِيِّينَ ۚ وَآتَى الْمَالَ عَلٰى حُبِّهِ

الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه و تزكيتهم بالثناء عليهم - و قيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه - و قيل لا يكلمهم بما يحبون و لكن بنحو قوله اِخْسَئُوْا فِيْهَا وَلَا تُكَلِّمُوْنِ * [فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ] تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد و السجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب - و قيل فما اصبرهم ايّ شيئ صبّرهم يقال اصبره على كذا و صبّره بمعنى و هذا اصل معنى فعل التعجب - و الذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله * [ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ نَزَّلَ] اي ذٰلِكَ العذابُ بسبب انّ اللّٰهَ نَزَّلَ ما نزّل من الكُتُب بِالْحَقِّ * [وَإِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا] في كُتُبِ الله فقالوا في بعضها حق و في بعضها باطل و هم اهل الكتاب * [لَفِيْ شِقَاقٍ] لفي خلاف * [بَعِيْدٍ] عن الحق - و البُعْد للجنس - او كُفْرهم ذلك بسبب ان الله نزّل القرآن بالحق كما يعلمون و ان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سِحْر و بعضهم شِعْر و بعضهم اساطير لَفِيْ شِقَاقٍ بَعِيْدٍ يعني انّ اولئك لو لم يختلفوا و لم يشاقّوا لَما جَسَرَ هٰؤلاء ان يكفروا * [اَلْبِرَّ] اسم للخير و لكل فعل مرضيّ * [اَنْ تُوَلُّوْا وُجُوْهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ] الخطاب لاهل الكتاب ان اليهود تصلّي قِبَلَ المغرب الى بيت المقدس و النصارى قِبَلَ المشرق و ذلك انّهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حُوِّل رسولُ الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الى الكعبة و زَعم كلّ واحد من الفريقين ان البرّ التوجه الى قبلته فَرُدَّ عليهم - و قيل ليس البرّ فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البرّ و لكن البِرَّ ما بُيِّنَه - و قيل كثر خوض المسلمين و اهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به و صرف الهمة اليه برُّ من آمن و قام بهذه الاعمال - و قرئ وَلَيْسَ الْبِرَّ بالنصب على انه خبر مقدم - و قرأ عبد الله بَأَنْ تُوَلُّوْا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد * [وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ] على تاويل حذف المضاف اي برّ مَن آمن - او بتأوّل البرّ بمعنى ذي البرّ او كما قالت * ع * فانما هي اقبال و ادبار * و عن المبرّد لو كنتُ ممن يقرأ القرآن لقرأتُ وَلٰكِنَّ الْبَرَّ بفتح الباء - و قرئ وَلٰكِنَّ الْبَارَّ - و قرأ ابن عامر و نافع وَلٰكِنِ الْبِرُّ بالتخفيف * و [الْكِتٰبِ] جنس كُتب الله او القرآن * [عَلٰى حُبِّهٖ] مع حب المال و الشُّحّ به كما قال ابن

سورة البقرة ٢ ذَوِي الْقُرْبٰى وَ الْيَتٰمٰى وَ الْمَسٰكِيْنَ وَ ابْنَ السَّبِيْلِ وَ السَّآئِلِيْنَ وَ فِي الرِّقَابِ ٤ وَ اَقَامَ الصَّلٰوةَ
الجزء ٢ وَ اٰتَى الزَّكٰوةَ ج وَ الْمُوْفُوْنَ بِعَهْدِهِمْ اِذَا عٰهَدُوْا ج وَ الصّٰبِرِيْنَ فِي الْبَاْسَآءِ وَ الضَّرَّآءِ وَ حِيْنَ الْبَاْسِ ط
ع ٦ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا ط

مسعود ان تؤتيه و انت صحيح شحيح تأمل العيش و تخشى الفقر و لا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا و لفلان كذا - وقيل على حُبّ الله - و قيل على حُبّ الايتاء يريد ان يعطيه و هو طيب النفس باعطائه - و قدم ذوى القربى لانهم احق قال عليه السلام صَدَقتُك على المسكين صَدَقة و على ذي رحمك اثنتان لانها صَدَقة وصلةٌ وقال عليه السلام افضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح • واَطْلق [ذَوِي الْقُرْبٰى وَ الْيَتٰمٰى] و المراد الفقراء منهم لعدم الالباس • [وَ الْمَسٰكِيْنَ] الدائم السكون الى الناس لانه لا شيئ له كالمسكين للدائم السكر • [وَ ابْنَ السَّبِيْلِ] المسافر المنقطع و جُعل ابنًا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابنُ الطريق - و قيل هو الضيف لان السبيل تَرعفُ به • [وَ السَّآئِلِيْنَ] مستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه و اٰله وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه • [وَ فِي الرِّقَابِ] و في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم - و قيل فى ابتياع الرقاب و اعتاقها - و قيل في فك الاسارى - فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم تفاه بايتاء الزكوٰة فهل دلّ ذلك على ان فى المال حقًا سوى الزكوٰة - قلت يحتمل ذلك - و عن الشعبيّ ان فى المال حقًا سوى الزكوٰة وتلا هذه الاية - و يحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوٰة او يكون حثًا على نوافل الصدقات و المبارّ - وفى الحديث نَسخت الزكوٰةُ كلَّ صدقة يعني وجوبَها - و روي ليس فى المال حق سوى الزكوٰة • [وَ الْمُوْفُوْنَ] عطف على مَنْ اٰمَنَ - واخرج [الصّٰبِرِيْنَ] منصوبا على الاختصاص و المدح اظهارًا لفضل الصبر فى الشدائد و مواطن القتال على سائر الاعمال - وقرئ والصَّابِرُوْنَ - و قرئ وَ الْمُوْفِيْنَ وَ الصَّابِرِيْنَ • و [الْبَاْسَآءِ] الفقر و الشدة [وَ الضَّرَّآءِ] المرض و الزمانة • [صَدَقُوْا] كانوا صادقين جادّين فى الدين • عن عمر بن عبد العزيز و الحسن البصريّ و عطاء و عكرمة و هو مذهب مالك و الشافعيّ رحمهم الله ان الحرّ لا يقتل بالعبد و الذكرَ لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الاية و يقولون هي مفسّرة لما ابهم في قوله اَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ و لان تلك واردة لحكاية ما كُتب فى التوراة على اهلها و هذه خوطب بها المسلمون و كتب عليهم مَا فيها - و عن سعيد بن المسيّب و الشعبيّ و النخعيّ و قتادة و الثوري و هو مذهب ابي حنيفة رحمه الله و اصحابه انها منسوخة بقوله اَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ و القصاصُ ثابت بين العبد و الحرّ و الذكر و الانثى و يستدلون بقوله صلى الله عليه و اٰله وسلم المسلمون تتكافأ دماءهم و بان التفاضل غير معتبر فى الانفس بدليل ان جماعةً لو قتلوا واحدا قُتلوا به - و روي انه كان بين حَيَّيْن من اَحياء العرب دماء فى الجاهلية و كان لاحدهما طَوْل على الاٰخر فاقسموا لنقتلنّ الحرّ منكم بالعبد و الذكرَ بالانثى و الاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه و اٰله وسلم حين جاء الله

وَ أُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلٰى ؕ اَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ
بِالْعَبْدِ وَالْاُنْثٰى بِالْاُنْثٰى ۝ فَمَنْ عُفِىَ لَهٗ مِنْ اَخِيْهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوْفِ وَاَدَآءٌ اِلَيْهِ بِاِحْسَانٍ ؕ
ذٰلِكَ تَخْفِيْفٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدٰى بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهٗ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝

بالسلام فنزلت و امرهم ان يتباوؤا • [فَمَنْ عُفِىَ لَهٗ مِنْ اَخِيْهِ شَيْءٌ] معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيئ من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير و طائفة من السير و لا يصح ان يكون شيئ في معنى المفعول به لان عفا لايتعدى الى مفعول به الا بواسطة - و اخوه هو ولي المقتول و قيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم و مطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه و بينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية و السلام - فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فَمَنْ عُفِىَ لَهٗ - قلت يتعدى بعن الى الجاني و الى الذنب فيقال عفوت عن فلان و عن ذنبه قال الله تعالى عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ و قال عَفَا اللّٰهُ عَنْهَا فاذا تعدى الى المذنب و الذنب قيل عفوتُ لفلان عمّا جنى كما تقول غفرتُ له ذنبه و تجاوزتُ له عنه و على هذا ما في الاية كانه قيل فَمَنْ عُفِىَ لَهٗ عن جنايته فاستُغْني عن ذكر الجناية - فان قلت هلا فسرت عُفِىَ بتُرِك حتى يكون شيئ في معنى المفعول به - قلت لان عفا الشيئَ بمعنى تركه ليس بثَبَت و لكن اعفاه و منه قوله عليه السلام واَعفوا اللُّحى - فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه و ازاله فهلا جعلتَ معناه فمن مُحِيَ له من اخيه شيئ - قلت عبارة قَلِقة في مكانها و العفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب و السنة و استعمال الناس فلا يعدل عنها الى اُخرى قلقةٍ نابيةٍ عن مكانها و ترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجتري اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة و ادعاء على العرب ما لاتعرفه و هذه جرأة يستعاذُ بالله منها - فان قلت لم قيل شَيْءٌ من العفو - قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرفٌ من العفو و بعضٌ منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تمّ العفو و سقط القصاص و لم تجب الا الدية • [فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوْفِ] فليكن اتباعٌ او فالامر اتباعٌ و هذه توصية للمعفوّ عنه و العافي جميعا يعني فليتبع الوليُّ القاتلَ بالمعروف بان لا يعنّف به و لا يطالبه الا مطالبة جميلة و ليؤدّ اليه القاتل بدلَ الدم اَدَاءً بِاِحْسَانٍ بان لا يُمطله و لا يبخسه • [ذٰلِكَ] الحكم المذكور من العفو و الدية • [تَخْفِيْفٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ] لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة و حرّم العفو و اخذُ الدية و على اهل الانجيل العفو و حرّم القصاص و الدية و خيّرت هذه الامّة بين الثلث القصاص و الدية و العفو توسعة عليهم و تيسيرا • [فَمَنِ اعْتَدٰى بَعْدَ ذٰلِكَ] التخفيف و تجاوزَ ما شُرع له من قتل غير القاتل و القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتلَ بقبوله الديةَ ثم يظفرُ به فيقتله • [فَلَهٗ عَذَابٌ اَلِيْمٌ] نوع من العذاب شديدُ الالم في الاخرة - و عن قتادةَ العذاب الاليم ان يقتل لا محالة و لا يقبل منه

سورة البقرة ٢ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ يَّآ أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ۝ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
الجزء ٢ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِيْنَ بِالْمَعْرُوْفِ ۚ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِيْنَ ۝
ع ٦ فَمَنْ بَدَّلَهُ

دية لقوله عليه السلام لا اُعافي احداً قَتَلَ بعد اخذه الدية • [وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ] كلام فصيح لما فيه من الغرابة و هو ان القصاص قتل و تفويت للحيٰوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيٰوة - ومن اصابة محزّ البلاغة تعريف القصاص و تنكير الحيٰوة لان المعنى و لكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيٰوةٌ عظيمةٌ و ذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعةَ و كم قَتل مُهَلْهِل باخيه كُلَيب حتى كان يُفني بكرَ بن وايل و كان يُقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيٰوة اي حيٰوة او نوع من الحيٰوة وهي الحيٰوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل انه اذا هَمَّ بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلِمَ صاحبه من القتل و سلِمَ هو من القود و كان القصاص سبب حيٰوة نفسين - و قرأ ابو الجوزاء وَلَكُمْ فِي الْقَصَصِ حَيٰوةٌ اي فيما قُصّ عليكم من حكم القتل و القصاص - و قيل القصص القرآن اي و لكم في القرآن حيٰوة للقلوب كقوله رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا - وَيَحْيٰى مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ • [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ] اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح و حفظ النفوس لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص و الحكم به و هو خطاب له فضلُ اختصاص بالائمة • [إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ] اذا دنا منه و ظهرت اَمَاراته • [خَيْرًا] مالا كثيرا - عن عايشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية و له عيال و اربع مائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا - و اراد اُخرُ ان يوصيَ فسألته كم مالك فقال ثلثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال اللّٰه إِنْ تَرَكَ خَيْرًا و ان هذا الشيئ يسير فاتركه لعيالك - و عن علي رضي الله عنه ان مولًى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال اللّٰه تعالى إِنْ تَرَكَ خَيْرًا والخير هو المال وليس لك مال - وَالْوَصِيَّةُ فاعل كُتِبَ وذُكّر فعله للفاصل و انها بمعنى ان يوصي و لذلك ذُكّر الراجع في قوله فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ - و الوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث و بقوله عليه السلام ان اللّٰه اعطى كلّ ذي حقٍ حقَّه اَلَا لا وصيةَ لوارث و بتلقّي الامّة اياه بالقبول حتى لَحِق بالمتواتر و ان كان من الآحاد لانهم لا يتلقّون بالقبول الا الثابت الذي صحت روايته - و قيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية و الميراث بحكم الآيتين - و قيل ماهي بمخالفة لآية المواريث - ومعناها كتب عليكم ما اوصى به اليه من توريث الوالدين و الاقربين من قوله تعالى يُوْصِيْكُمُ اللّٰهُ فِيْ اَوْلَادِكُمْ - او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين و الاقربين بتوفير ما اوصى به اللّٰه لهم عليهم و ان لا ينقص من انصباءهم • [بِالْمَعْرُوْفِ] بالعدل و هو ان لا يوصيَ للغنيّ و يَدَع الفقير و لا يتجاوز الثلث • [حَقًّا] مصدر مؤكد اي حُقَّ ذلك حقًّا • [فَمَنْ بَدَّلَهُ] فمن غيّر الايصاء عن

بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَاِنَّمَآ اِثْمُهُ عَلَى الَّذِيْنَ يُبَدِّلُوْنَهُ ط اِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ۝ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوْصٍ جَنَفًا اَوْ اِثْمًا
فَاَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ اِثْمَ عَلَيْهِ ط اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ ع يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ۝ اَيَّامًا مَّعْدُوْدٰتٍ ط فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيْضًا اَوْ عَلٰى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِّنْ اَيَّامٍ اُخَرَ ط

وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء و الشهود * [بَعْدَ مَا سَمِعَهُ] و تحققه * [فَاِنَّمَآ اِثْمُهُ عَلَى الَّذِيْنَ يُبَدِّلُوْنَهُ] فما اثم الايصاء المغيّر او التبديل الا على مبدّليه دون غيرهم من الموصي و الموصى له لانهما بريّان من الحيف * [اِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ] وعيد للمبدّل * [فَمَنْ خَافَ] فمن توقّع و علم و هذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان تُرسل السماءُ يريدون التوقّع و الظنّ الغالب الجاري مجرى العلم * [جَنَفًا] ميلاً عن الحق بالخطاء في الوصية * [اَوْ اِثْمًا] او تعمّدا للحيف * [فَاَصْلَحَ بَيْنَهُمْ] بين الموصى لهم و هم الوالدان و الاقربون باجراءهم على الطريق الشرع * [فَلَآ اِثْمَ عَلَيْهِ] حينئذ لان تبديله تبديلُ باطلٍ الى حقّ - ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليُعْلِم ان كل تبديل لايوثم * [كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ] على الانبياء و الامم من لدن آدم الى عهدكم قال عليّ رضي الله عنه اوّلهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امّة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وَحْدكم * [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ] بالمحافظة عليها و تعظيمها لاصالتها و قِدَمها - او لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ المعاصيَ لان الصائم اظلفُ لنفسه و اردعُ لها من مواقعة السوء قال عليه السلام عليه بالصوم فان الصوم له وِجاءٌ - او لَعَلَّكُمْ تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم - و قيل معناه انه كصومهم في عدد الايام و هو شهر رمضان كُتب على اهل الانجيل فاصابهم مُوْتانٌ فزادوا عشراً قبله و عشرا بعده فجعلوه خمسين يوما - و قيل كان وقوعه في البرد الشديد و الحرّ الشديد فشقّ عليهم في اسفارهم و معايشهم فجعلوه بين الشتاء و الربيع - زادوا عشرين يوما كفارةً لتحويله عن وقته - و قيل الايام المعدودات عاشوراء و ثلثة ايام من كلّ شهر كتب على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان - و قيل كُتِبَ عَلَيْكُمْ كَمَا كُتِبَ عليهم ان يتقوا المفطِر بعد ان يصلّوا العشاء و بعد ان يناموا ثم نسخ ذلك لقوله اُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الاية * و معنى [مَّعْدُوْدٰتٍ] موقّتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دَرَاهِمَ معدودة و اصله ان المال القليل يقدر بالعدد و يُحتقر فيه و الكثير يهال هيلا و تحثى حثيا - و انتصاب اَيَّامًا بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة * [اَوْ عَلٰى سَفَرٍ] او راكبَ سفر * [فَعِدَّةٌ] فعليه عدّة - و قرئ بالنصب بمعنى فليصم عدةً و هذا على سبيل الرخصة - و قيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدّة [مِنْ اَيَّامٍ اُخَرَ] * و اختلفت في المرض المبيح للافطار فمن قائل كلّ مرض ان الله تعالى لم يخصّ مرضًا دون مرض كما لم يخصّ سفرًا دون سفر فكما ان لكلّ مسافر ان يُفطر فكذلك كلّ مريض - و عن ابن سيرين رحمه الله انه دُخِلَ عليه في رمضان و هو يأكل فاعتلّ بوجع اصبعه - و سئل

وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ط فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ط وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ شَهْرُ رَمَضَانَ

مالك رحمه الله عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار - وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم و يزيد فيه لقوله تعالى يُرِيدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ - و عن الشافعي لا يُفطر حتى يجهده الجهد غير المتحمل - و اختلف ايضا في القضا فعامة العلماء على التخيير - و عن ابي عُبَيدة بن الجَرّاح رحمه الله ان الله لم يرخص لكم في فطره و هو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر و ان شئت ففرّق - و عن علي و ابن عمر و الشعبي و غيرهم رحمهم الله انه يقضي كما فاتَ متتابعا - و في قراءة أبي فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ مُتَتَابِعَاتٍ - فان قلت فكيف قيل فَعِدَّةٌ على التذكير و لم يُقَل فعدّتها اي فعدّة الايام المعدودات - قلت لَمّا قيل فَعِدَّةٌ و العدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يوثر عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة • [وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ] و على المُطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا • [فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ] نصف صاع من بُرّ او صاع من غيره عند اهل العراق - و عند اهل الحجاز مُدٌّ و كان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم و لم يتعوّدوه فاشتدّ عليهم فرخّص لهم في الافطار و الفدية - و قرأ ابن عباس رضي الله عنه يُطَوَّقُونَهُ تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلّفونه او يُقلّدونه و يقال لهم صوموا - و عنه يَتَطَوَّقُونَهُ بمعنى يتكلّفونه او يتقلدونه و يَطَّوَّقُونَهُ بادغام التاء في الطاء وَيُطَيَّقُونَهُ وَيَطَّيَّقُونَهُ بمعنى يتطوّقونه و اصلهما يُطْيِوْقُونَهُ وَ يَتَطَيْوِقُونَهُ على انهما من فَيْعَلَ وَ تَفَيْعَلَ من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياءً كقولهم تَدَيَّرَ المكان وما بها دَيّار - و فيه وجهان - احدهما نحو معنى يُطِيقُونه - و الثاني يُكَلّفونه او يتكلّفونه على جهد منه و عسر و هم الشيوخ و العجائز و حكم هؤلاء الافطار و الفدية و هو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ - و يجوز ان يكون هذا معنى يُطِيقُونَهُ اي يصومونه جَهْدهم و طاقتهم و مبلغ وسعهم • [فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا] فزاد على مقدار الفدية [فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ] فالتطوع أَخْيَر له او الخير - و قرئ فَمَنْ يَطَّوَّعْ بمعنى يتطوّع - [وَأَنْ تَصُومُوا] ايها المطيقون او المطوّقون و حَمْلكم على انفسكم وجهدتُم طاقتكم - [خَيْرٌ لَّكُمْ] من الفدية و تطوع الخير - و يجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضًا - وفي قراءة ابي وَالصِّيَامُ خَيْرٌ لَّكُمْ • [الرمضان] مصدر رَمِضَ اذا احترق من الرَّمْضاء فاضيف اليه الشهر وجعل عَلَما و منع الصرف للتعريف و الالف و النون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دَبِرَتْ - فان قلت لم سمّي شهرَ رمضان - قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سمّوه بذلك لارتماضهم فيه من حرّ الجوع و مقاساة شدته كما سمّوه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يُزعجهم اضجارا بشدته عليهم - و قيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سمّوها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهرُ ايامَ رَمَضِ الحرّ - فان قلت

الَّذِيْٓ اُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرْاٰنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ بَيِّنٰتٍ مِّنَ الْهُدٰى وَ الْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۚ وَمَنْ كَانَ مَرِيْضًا اَوْ عَلٰى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ اَيَّامٍ اُخَرَ ۚ يُرِيْدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيْدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلٰى مَا هَدٰىكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ۝

اذا كانت التسمية واقعة مع المضاف و المضاف اليه جميعا نما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه السلام مَنْ صام رمضان ايمانا و احتسابا - مَنْ ادرك رمضان فلم يُغفَر له - قلت هو من باب الحذف لأَمْن الالباس كما قال • بما اعيا النِّطاسيُّ حِذْيَما • اراد ابنَ حِذْيَم وارتفاعه على انه مبتدأ و خبره اَلَّذِيْ اُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرْاٰنُ - او على انه بدل من الصيام في قوله كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ - او على انه خبر مبتدأ محذوف - و قرئ بالنصب على صُوموا شَهْرَ رَمَضَانَ او على الابدال من اَيَّامًا مَّعْدُوْدَاتٍ او على انه مفعولُ و اَنْ تَصُوْمُوْا • و معنى [اُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرْاٰنُ] اُبْتُدِئَ فيه انزاله و كان ذلك في ليلة القدر - و قيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نُجُوْمًا - و قيل اُنْزِلَ في شانه الْقُرْاٰنُ و هو قوله كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كما تقول اُنْزِل في عمر كذا وفي علي كذا - و عن النبي عليه السلام نزلتْ صُحُف ابرٰهيم اولَ ليلة من رمضان وانزلت التوراة لستّ مَضَيْنَ والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين مضينَ • [هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنٰتٍ] نصب على الحال اي انزل و هو هداية للناس الى الحق و هو اٰياتٌ واضحاتٌ مكشوفاتٌ مما يهدي الى الحق و يفرق به بين الحق و الباطل - فان قلت ما معنى قوله وَبَيِّنٰتٍ مِّنَ الْهُدٰى بعد قوله هُدًى لِّلنَّاسِ - قلت ذكر اولا انه هُدًى ثم ذكر انه بيّنات من جملة ما هدى به الله و فرّق به بين الحق و الباطل من وحيه و كُتُبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى و الضلال • [فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ] فَمَنْ كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر فى الشهر فَلْيَصُمْ فيه و لا يفطر - و الشَّهْرَ منصوب على الظرف و كذلك الهاء في فَلْيَصُمْهُ و لا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم و المسافر كلاهما شاهدان للشهر • [يُرِيْدُ اللّٰهُ] ان يُيَسِّر عليكم و لا يُعسّر و قد نفى عنكم الحرج فى الدين و امركم بالحنيفيّة السَّمْحة التي لا اِصْر فيها و من جملة ذلك ما رخّص لكم فيه من اباحة الفطر فى السفر و المرض و من الناس مَن فَرض الفطر على المريض و المسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة - قرئ اليُسْرَ والْعُسْرَ بضمتين • الفعل المعلّل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره [وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلٰى مَا هَدٰىكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ] شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر و امر المرخّص له بمراعاة عدّة ما افطر فيه و من الترخيص في اباحة الفطر فقوله لِتُكْمِلُوْا علةُ الامر بمراعاة العدّة و لِتُكَبِّرُوْا علةُ ما علّم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ علة الترخيص و التيسير و هذا نوع من اللّف لطيف المسلك لا يكاد يتهدّى الى تبيّنه الا النقاب المحدّث من علماء البيان - و انما عدّي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمّنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبّروا الله حامدين على ما هداكم - ومعنى

وَاِذَا سَئَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَاِنِّي قَرِيبٌ ۖ اُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ اِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي
لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝ اُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ اِلَى نِسَائِكُمْ ۖ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَاَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۖ عَلِمَ اللّٰهُ
اَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ اَنْفُسَكُمْ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ارادةَ ان تشكروا - و قرئ وَ لِتُكَمِّلُوا بالتشديد - فان قلت هل يصحّ ان يكون وَلِتُكْمِلُوا معطوفا على علّة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون و لتكملوا العدة او على اليُسْر كانه قيل يريد الله بكم اليسر و يريد بكم لتكملوا كقوله يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا - قلت لا يبعد ذلك و الاول اوجه - فان قلت ما المراد بالتكبير - قلت تعظيم الله و الثناء عليه - و قيل هو تكبير يوم الفطر - و قيل هو التكبير عند الاهلال * [فَاِنِّي قَرِيبٌ] تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعا و سرعة انجاحه حاجة من ساله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اَسْرعت تلبيته و نحوه نَحْنُ اَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ و قوله عليه السلام هو بينكم و بين اَعْنَاق رَواحلكم * و روي ان اَعرابيًا قال لرسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم أ قريب ربّنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت [فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي] اذا دعوتهم للايمان و الطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم * و قرئ يَرْشُدُونَ وَيَرْشُدُونَ بفتح الشين و كسرها * كان الرجل اذا امسى حلّ له الاكل و الشرب و الجماع الى ان يصلّي العشاء الاخرة او يرقد فاذا صلّاها او رقد و لم يُفطر حَرُم عليه الطعام و الشراب و النساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقَعَ اهله بعد صلوة العشاء الاخرة فلمّا اغتسل اخذ يبكي و يلوم نفسه فاتى النبيَّ صلّى الله عليه و اله و سلّم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله و اليك من نفسي هذه الخاطئةَ و اخبرَه بما فعل فقال عليه السلام ما كنتَ جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت - و قرئ اَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ اي احلّ الله - و قرأ عبد الله الرُّفُوثَ و هو افصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النَّيْك و قد اَرْفث الرجل - و عن ابن عباس رضي الله عنه انه اَنْشد و هو مُحْرم * شعر * وهنّ يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا * فقيل له اَرَفثتَ فقال انما الرفث ما كان عند النساء و قال الله تعالى فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ فكني به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك - فان قلت لم كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وَقَدْ اَفْضَى بَعْضُكُمْ اِلَى بَعْضٍ - وَلَمَّا تَغَشَّاهَا - بَاشِرُوهُنَّ - اَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ - دَخَلْتُمْ بِهِنَّ - فَاْتُوا حَرْثَكُمْ - مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمَسُّوهُنَّ - فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ - وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ - قلت استهجانًا لما وُجد منهم قبل الاباحة كما سمّاه اختيانًا لانفسهم - فان قلت لم عدّي الرفث بالى - قلت لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل و المرأة يعتنقان و يشتمل كلّ واحد منهما على صاحبه في عناقه شبّه بالباس المشتمل عليه قال الجعدي * شعر * اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنّت فكانت عليه لباسا - فان قلت ما موقع قوله هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ - قلت هو استيناف كالبيان بسبب الاحلال و هو انه اذا كانت بينكم و بينهن مثل هذه المخالطة و الملابسة قلّ

فَتَابَ عَلَيْكُمْ ج وَعَفَا عَنْكُمْ ج فَالْئٰنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْاَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْاَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ص

صبركم عن هنّ وصَعُبَ عليكم اجتنابهنّ فلذلك رخّص لكم في مباشرتهنّ • [تَخْتَانُونَ اَنْفُسَكُمْ] تظلمونها و تنقصونها حظّها من الخير - و الاختيانُ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة و شدّة • [فَتَابَ عَلَيْكُمْ] حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور • [وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ] و اطلبوا ماقسم الله لكم و اثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها و لكن لابتغاء ما وضع الله له النكاحَ من التناسل - و قيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر - و قيل و ابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم و حلّله دون مالم يكتب لكم من المَحَلّ المحرَّم - و عن قتادة و ابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر - و قرأ ابن عباس وَ اتَّبِعُوا - و قرأ الاعمش وَأْتُوا - و قيل معناه و اطلبوا ليلة القدر و ما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها و قمتموها و هو قريب من بدع التفاسير • [اَلْخَيْطُ الْاَبْيَضُ] هو اول ما يبدُو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود و [الْخَيْطُ الْاَسْوَدُ] ما يمتدّ معه من غَبَش الليل شبّهما بخيطين ابيض و اسودَ - و قال ابوداؤد • شعره فلما اضاءت لنا سُدْفَة • و لاح من الصبح خيط انارا • و قوله [مِنَ الْفَجْرِ] بيان للخيط الابيض و اكتفي به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني - و يجوز ان يكون مِنْ للتبعيض لانه بعض الفجر و اوله - فان قلت أ هذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه - قلت قوله مِنَ الْفَجْرِ اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايتُ اسدا مجاز فاذا زِدتَ من فلان رجع تشبيها - فان قلت فلِمَ زيد مِنَ الْفَجْرِ حتى كان تشبيها و هلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه و ادخلُ في الفصاحة - قلت لان من شرط المستعار ان يدلّ عليه الحال او الكلام و لو لم يذكر مِنَ الْفَجْرِ لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد مِنَ الْفَجْرِ فكان تشبيها بليغا و خرج من ان يكون استعارة - فان قلت فكيف التبس على عديّ بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدتُ الى عقالين ابيض و اسود فجعلتُهما تحت وسادتي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبيّن لي الابيض من الاسود فلما اصبحتُ غدوتُ الى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فاخبرته فضحك و قال ان كان وسادك لعريضا و روي انك لَعَريض القفاء انما ذلك بياض النهار وسواد الليل - قلت غفل عن البيان ولذلك عَرّض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قفاه لانه ممّا يستدلّ به على بلاهة الرجل وقلّة فطنته و انشدتني بعض البدويات لبدوي • شعر • عريض القفا ميزانه في شماله • قد انحصّ من حَسْب القرابط شاربُهْ - فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعديّ انها نزلتْ و لم ينزل مِنَ الْفَجْرِ فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيطَ الابيضَ والخيط الاسودَ فلا يزال يأكل و يشرب حتى يتبيّن له فنزل بعد ذلك مِنَ الْفَجْرِ فعلموا انه انما يعني بذلك الليلَ و النهارَ و كيف جاز تاخير البيان و هو يشبه العبث

سورة البقرة ٢ ثُمَّ اَتِمُّوا الصِّيَامَ اِلَى الَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوْهُنَّ وَاَنْتُمْ عَاكِفُوْنَ فِى الْمَسٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ فَلَا
الجزء ٢ تَقْرَبُوْهَا ۗ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ اٰيٰتِهٖ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ ۝ وَلَا تَاْكُلُوْٓا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوْا بِهَآ
ع ٧ اِلَى الْحُكَّامِ لِتَاْكُلُوْا فَرِيْقًا مِّنْ اَمْوَالِ النَّاسِ بِالْاِثْمِ

حيث لا يفهم منه المراد ان ليس باستعارة لفقد الدلالة و لا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهي غير مرادة - قلت اما من لا يجوز تاخير البيان و هم اكثر الفقهاء و المتكلمين و هو مذهب ابي علي و ابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث - و اما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب و يعزم على فعله اذا استوضح المراد منه • [ثُمَّ اَتِمُّوا الصِّيَامَ اِلَى الَّيْلِ] قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان و على جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال • [عَاكِفُوْنَ فِى الْمَسٰجِدِ] معتكفون فيها - و الاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه - و المراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله اُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ اِلٰى نِسَآئِكُمْ - فَالْاٰنَ بَاشِرُوْهُنَّ - وقيل معناه و لا تلامسوهن بشهوة و الجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل - وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك - وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد و انه لا يختص به مسجد دون مسجد - وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي عليه السلام وهو احد المساجد الثلثة - وقيل في مسجد جامع - و العامة على انه في مسجد جماعة - وقرأ مجاهد فِى الْمَسٰجِدِ • [تِلْكَ] الاحكام التي ذكرت [حُدُوْدُ اللّٰهِ فَلَا تَقْرَبُوْهَا] فلا تغشوها - فان قلت كيف قيل فَلَا تَقْرَبُوْهَا مع قوله فَلَا تَعْتَدُوْهَا - وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُوْدَ اللّٰهِ - قلت من كان في طاعة الله و العمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق و الباطل لئلا يدانيَ الباطل و ان يكون في الواسطة متباعدا من الطرف فضلا ان تخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ان لكل ملك حمى و حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى و قربان حيزه واحد - و يجوز ان يريد بحدود الله محارمه و منهيه خصوصا لقوله وَ لَا تُبَاشِرُوْهُنَّ و هي حدود لا تُقرب • و لا يأكل بعضكم مال بعض [بِالْبَاطِلِ] بالوجه الذي لم يجعله الله و لم يشرعه • و لا [تُدْلُوْا بِهَا] و لا تلقوا امرها و المحكومة فيها الى الحكام • [لِتَدْلُوْا] بالمحاكم [فَرِيْقًا] طائفة [مِنْ اَمْوَالِ النَّاسِ بِالْاِثْمِ] بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالتصاح مع العلم بان المقضيّ له ظالم - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه قال للخصمين انما انا بشر و انتم تختصمون اليّ و لعل بعضكم الْحَنُ بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيتُ له بشيء من حق اخيه فلا ياخذنّ منه شيئا فاني انما اقضي له قطعةً من نار فبكيا و قال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا

وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ع يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ط قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ ط وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقٰى وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ص وَ اتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ

و توخيا ثم استهما ثم ليحتل كل واحد منكما صاحبه - و قيل وَ تُدْلُوا بها و تلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة - و تُدْلُوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار اَن كقوله وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ • [وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] انكم على الباطل و ارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبحُ و صاحبُه احق بالتوبيخ • و روي ان معاذ بن جبل و ثعلبة بن غنم الانصاريَّ قالا يا رسول اللّٰه ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ و يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فنزلت [مَوَاقِيتُ] معالم يوقت بها الناس مزارعهم و متاجرهم و محال ديونهم و صومهم و فطرهم و عدد نسائهم و ايام حيضهن و مدد حملهن و غير ذلك و معالم للحج يعرف بها وقته • كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطاً و لا داراً و لا فسطاطا من باب فاذا كان من اهل المدر نقبَ نقباً في ظهر بيته منه يدخل و يخرج او يتخذ سلماً يصعد فيه و ان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم [لَيْسَ الْبِرُّ] بتحرجكم من دخول الباب [وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ] برّ [مَنِ اتَّقٰى] ما حرّم اللّٰه - فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله - قلت كانه قيل لهم عند سوالهم عن الاهلة و عن الحكمة في نقصانها و تمامها معلوم ان كلّ ما يفعله اللّٰه عزّ و جلّ لا يكون الا حكمة بالغة و مصلحة لعباده فَدَعُوا السوال عنه و انظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البرّ في شيء و انتم تحسبونها برّا - و يجوز ان يجرى ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحجّ لانه كان من افعالهم في الحجّ - و يحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سوالهم و ان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت و يدخله من ظهره - و المعنى ليس البرّ و ما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم و لكن البرّ برُّ من اتّقى ذلكَ و تجنّبه و لم يجسر على مثله - ثم قال [وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا] اي و باشروا الامور على وجوهها التي يجب ان تباشر عليها و لا تعكسوا و المراد وجوب توطين النفوس و ربط القلوب على ان جميع افعال اللّٰه حكمة و صواب من غير اختلاج شبهة و لا اعتراض شكّ في ذلك حتى لا يسئل عنه لما في السوال من الايهام بمقارنة الشكّ لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ • المقاتلة في سَبِيلِ اللّٰهِ هو الجهاد لاعلاء كلمة اللّٰه و اعزاز الدين • [الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ] الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين و على هذا يكون منسوخا بقوله وَ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً - و عن الربيع بن انس رضي اللّٰه عنه هي اول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم يقاتل من قاتل و يكف عمن كف - او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ و الصبيان و الرهبان و النساء - او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم

سورة البقرة ٢ الجزء ٢ ع ٨

وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ
وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۚ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ
كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ
فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ

المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا - و قيل لمّا صدّ المشركون رسولَ الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عام الحُدَيبية و صالحوه على ان يرجع من قابلٍ فيُخلوا له مكّةَ ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش و يصدّوهم و يقاتلوهم في الحرم و في الشهر الحرام و كرهوا ذلك نزلت و أُطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم و في الشهر الحرام و رفع عنهم الجناح في ذلك • [وَلَا تَعْتَدُوا] بابتداء القتال او بقتال من نُهيتم عن قتاله من النساء و الشيوخ والصبيان والذين بينكم و بينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة • [حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ] حيث وجدتموهم في حِلّ او حرم والثقفُ وجود على وجه الاخذ والغلبة و منه رجل ثَقْفٌ سَرِيع الاخذ لاقرانه قال • شعر • فاما تثقفوني فاقتلوني • فمن اثقفْ فليس الى خلود • [مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ] اي من مكّة و قد فعل رسول الله عليه السلام بمن لم يُسلم منهم يوم الفتح • [وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ] اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشدّ عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشدّ من الموت قال الذي يُتمنى فيه الموت جَعَل الاخراج من الوطن من الفِتَن والمِحَن التي يُتمنى عندها الموتُ ومنه قول القائل • شعر • لقتلٌ بحدّ السيف اهون موقعا • على النفس من قتلٍ بحدّ فراق • وقيل الفتنة عذاب الأخرة ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ - و قيل الشرك اعظم من القتل في الحرم و ذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم و يعيبون به المسلمين فقيل و الشرك الذي هم عليه اشدّ و اعظم مما يستعظمونه - و يجوز ان يراد و فتنتهم اياكم بصدّكم عن المسجد الحرام اشدّ من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم - و قرئ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ حَتَّىٰ يَقْتُلُوكُمْ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان و قال فان تَقْتُلُونَا نُقْتَلْكُم • [فَإِنِ انْتَهَوْا] عن الشرك و القتال كقوله إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ • [حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ] اي شرك [وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ] خالصا ليس للشيطان فيه نصيب • [فَإِنِ انْتَهَوْا] عن الشرك • [فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ] فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ موضعَ على المنتهين - او فلا تظلموا الا الظّٰلِمِيْنَ غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله تعالى فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ - واريد انكم ان تعرّضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلّط عليكم من يعدو عليكم • قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتالَ و ذلك في ذي القعدة [الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ] اي هذا الشهر بذلك الشهر و هتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما

وَالْحُرُمٰتُ قِصَاصٌ ط فَمَنِ اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوْا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ ص وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ ۝ وَاَنْفِقُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَلَا تُلْقُوْا بِاَيْدِيْكُمْ اِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَاَحْسِنُوْا ۛ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ ۝ وَاَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّٰهِ ط

هتكوا حرمته عليكم * [وَالْحُرُمٰتُ قِصَاصٌ] اي و كلّ حرمة يجري فيها القصاص مَن هَتَكَ حرمةً اي حرمة كانت اُقتصّ منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك و لا تبالوا وَاكّد ذلك بقوله فَمَنِ اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوْا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ * [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحلّ لكم * الباء في [بِاَيْدِيْكُمْ] مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد - و المعنى و لاتُقبّضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها اُخذةً بايديكم مالكةً لكم - و قيل بِاَيْدِيْكُمْ بانفسكم - و قيل تقديره وَ لَا تُلْقُوْا انفسكم بِاَيْدِيْكُمْ كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبّب لهلاكها - و المعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل اللّٰه لانه سبب الهلاك - او عن الاسراف في النفقة حتى يُفقر نفسه و يضيّع عياله - او عن الاستقتال و الاخطار بالنفس - او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدوّ - و روي ان رجلا من المهاجرين حَمَل على صفّ العدوّ فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايّوبَ الانصاريّ نحن اعلم بهذه الآية و انما اُنزلت فينا صَحِبْنا رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم فنصرناه و شهدنا معه المشاهد و اُثرناه على اهالينا و اموالنا و اولادنا فلما فشا الاسلام و كثر اهله و وَضَعتِ الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا و اولادنا و اموالنا نُصلحها و نُقيم فيها فكانت التهلكة الاقامةَ في الاهل و المال و تركَ الجهاد - و حكى ابو عليّ في الحلبيّات عن ابي عبيدة التهلُكة و الهلاكُ و الهُلْك واحد قال فدلّ هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر و مثله ما حكاه سيبويه من قولهم التَضُرّة و النَسُرّة و نحوها في الاعيان النَضْبَة و النَتْفَة - و يجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة و التبصرة و نحوهما على انها مصدر من هَلَّك فابدلت من الكسرة ضمّةً كما جاء الجُوار في الجِوار * [وَ اَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّٰهِ] ايتوا بهما تامّين كاملين بمناسكهما و شرائطهما لوجه اللّٰه من غير توانٍ و لا نقصان يقع منكم فيهما قال * شعر * تمام الحجّ اَن تقفَ المطايا * على خرقاء واضعةً اللثام * جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحجّ الذي لا يتمّ الّا به - و قيل اتمامها ان تُحرم بهما من دُوَيرة اهلكَ - روي ذلك عن عليّ و ابن عباس و ابن مسعود رضي اللّٰه عنهم - و قيل ان تُفرد لكلّ واحد منهما سفرا كما قال محمد حجّة كوفيّة و عمرة كوفية افضل - و قيل ان تكون النفقة حلالا - و قيل ان تخلصوهما للعبادة و لا تشوبوهما بشيئ من التجارة و الاغراض الدنياوية - فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة - قلت ما هو الا امر باتمامهما و لا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوّعين فقد يومر باتمام الواجب و التطوع جميعا الا ان تقول ان الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ وَ فِيمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ و الامر للوجوب في اصله الا ان يدلّ على خلاف الوجوب كما دل في قوله فَاصْطَادُوْا -

سورة البقرة ٢ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ

الجزء ٢

ع ٨

وَانْتَشِرُوا و نحو ذلك فيقال لك فقد دلّ الدليل على نفي الوجوب و هو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرةُ واجبة مثل الحجّ قال لا و لكن ان تعتمر خير لك - و عنه الحجّ جهاد و العمرة تطوّع - فان قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان العمرة لَقَرينة الحجّ - و عن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له اني وجدت الحجّ و العمرة مكتوبين عليّ اَهْلَلتُ بهما جميعا فقال هُديت لسنّة نبيّك و قد نُظمتْ مع الحجّ في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحجّ - قلت كونها قرينة للحجّ ان القارن يقرنُ بينهما و انهما يقترنان في الذكر فيقال حجّ فلان و اعتمر و الحُجّاج و العُمّار - و لانها الحجّ الاصغر و لا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب و اما حديث عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللتُ بهما و اذا اهلّ بالعمرة وجبتْ عليه كما اذا كبّر بالتطوع من الصلوة و الدليلُ الذي ذكرنا اَخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحجّ وحده فيها فهما بمنزلة قولك صُمْ شهر رمضان وستة من شوال في انك تامره بفرض و تطوّع - و قرأ عليّ و ابن مسعود و الشعبيّ رضي الله عنهم وَ الْعُمْرَةُ لِلّٰهِ بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحجّ و هو الوجوب • [فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ] يقال أُحصر فلان اذا منعه امرٌ من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى اَلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ - و قال ابن مَيّادة • وما هَجْر ليلى ان تكون تباعدتْ • عليك ولاان احصرتْك شغول • وحُصر اذا حَبسه العدوّ عن المُضيّ او سُجن - و منه قيل للمَحْبس الحصير و للمَلِك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم و هما بمعنى المنع في كلّ شيء مثل صدّه و اصدّه و كذلك قال الفرّاء و ابو عمرو الشَيبانيّ و عليه قول ابي حنيفة كل منع عنده من عدوّ كان او مرض او غيرهما معتبرٌ في اثبات حكم الاحصار - و عند مالك و الشافعي منع العدو وَحده - و عن النبيّ عليه السلام من كُسر او عَرج فقد حلّ و عليه الحجّ من قابل • [فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ] فما تيسّر منه يقال يَسُر الامر و استيسر كما يقال صعب و استصعب - و الهَدْي جمع هَدْية كما يقال في جَدْية السرج جَدْي - و قرئ مِنَ الْهَدِيّ بالتشديد جمع هديّة كمطيّة و مطيّ - يعني فان منعتم من المُضيّ الى البيت و انتم مُحرمون بحجّ او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ماتيسر من الهَدْي من بعير او بقرة او شاة - فان قلت اين و متى يُنحر هدي المحصر - قلت ان كان حاجّا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة يبعث به و يجعل للمبعوث على يده يوم أمارٍ و عندهما في ايام النحر - و ان كان معتمرا فبالحرم في كلّ وقت عندهم جميعا و مَا اسْتَيْسَرَ رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر - او نصب على فاهدوا مَا اسْتَيْسَرَ • [وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ] الخطاب للمحصرين اي لا تحلّوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ [مَحِلَّهُ] اي مكانه الذي يجب نحره فيه و محل الدَيْن وقت وجوب قضائه و هو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رح - فان قلت فان النبيّ صلى الله

سورة البقرة ٢ الجزء ٢ ع ٨

فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا اَوْ بِهٖٓ اَذًى مِّنْ رَّأْسِهٖ فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ اَوْ صَدَقَةٍ اَوْ نُسُكٍ ۚ فَاِذَآ اَمِنْتُمْ ۛ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ اِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلٰثَةِ اَيَّامٍ فِى الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ اِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۭ

عليه وآله وسلم نحر هَدْيه حيث أحصر - قلت كان مُحْصَره طرفَ الحديبيّة الذي الى اسفل مكّة و هو من الحرم - و عن الزُهري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحر هَدْيه فى الحرم - و قال الواقدي الحديبيةُ هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكّة * [فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا] فمن كان به مرض يحوّجه الى الحلق [اَوْ بِهٖٓ اَذًى مِّنْ رَّأْسِهٖ] و هو القَمْل او الجراحة فعليه اذا احتلق فِدْيَةٌ [مِّنْ صِيَامٍ] ثلثة ايام [اَوْ صَدَقَةٍ] على ستة مساكين لكلّ مسكين نصف صاع من بُرّ [اَوْ نُسُكٍ] وهو شاة - و عن كعب بن عُجْرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم قال له لعلّك آذاك هَوامّك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك و صُمْ ثلثة ايام او اَطْعم ستة مساكين اوانْسك شاة - و كان كعب يقول فيَّ نزلتْ هذه الاية - و روي انه مرّ به و قد قرح راسه فقال كفى بهذا اذًى وامره ان يحلق ويُطعم او يصوم - وَ النُّسُك مصدر و قيل جمع نَسِيْكة - وقرأ الحسَنَ اَوْ نُسُك بالتخفيف * [فَاِذَآ اَمِنْتُمْ] الاحصار يعني فاذا لم تحصروا و كنتم في حال امن وَسَعة * [فَمَنْ تَمَتَّعَ] اي استمتع [بِالْعُمْرَةِ اِلَى الْحَجِّ] و استمتاعه بالعمرة الى وقت الحجّ انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحجّ - وقيل اذا حلّ من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرّما عليه الى ان يُحرم بالحجّ * [فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ] و هو هَدْي المتعة و هو نسك عند ابي حنيفة و يأكل منه - و عند الشافعي يجري مجرى الجنايات و لا ياكل منه - و يذبحه يوم النحر عندنا و عنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته * [فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ] الهدي فعليه [صِيَامُ ثَلٰثَةِ اَيَّامٍ فِى الْحَجِّ] اي في وقته و هو اشهره مابين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحجّ و هو مذهب ابي حنيفة و الافضل ان يصوم يوم التروية و عرفة و يومًا قبلهما و ان مضى هذا الوقت لم يُجزئه الّا الدم - و عند الشافعي لا يصام الا بعد الاحرام بالحجّ تمسكًا بظاهر قوله [فِى الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ اِذَا رَجَعْتُمْ] بمعنى اذا نفرتم و فرغتم من اعمال الحجّ عند ابي حنيفة و عند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم - و قرأ ابن ابي عبلة وَسَبْعَةً بالنصب عطفا على محل ثَلٰثَةِ اَيَّامٍ كانه قيل فصيامُ ثلثة ايام كقوله اَوْ اِطْعَامٌ فِيْ يَوْمٍ ذِيْ مَسْغَبَةٍ يَتِيْمًا - فان قلت فما فائدة الْفَذْلَكَة - قلت الواو قد تجيئ للاباحة في نحو قولك جالِس الحسنَ و ابنَ سيرينَ الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان متمثّلا فَفُذْلكتْ نفيًا لتوهم الاباحة و ايضا ففائدة الفَذْلَكَة في كلّ حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتاكد العلم وفي امثال العرب عِلمانِ خير من علم و كذلك [كَامِلَةٌ] تاكيد اخر و فيه زيادة توصية بصيامها و ان لا يُتهاون بها و لا يُنْقَص من عددها كما تقول للحاج

سورة البقرة ٢ ذٰلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ اَهْلُهٗ حَاضِرِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ط وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ ۝ ع اَلْحَجُّ اَشْهُرٌ
الجزء ٢ مَّعْلُوْمٰتٌ ج فَمَنْ فَرَضَ فِيْهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوْقَ وَلَا جِدَالَ فِى الْحَجِّ ط
ع ٩

اذا كان لك اهتمام بامر تامره به و كان منك بمنزلِ اَللّٰهَ اَللّٰهَ لا تقصر - و قيل كَامِلَةٌ في وقوعها بدلا من الْهَدْيِ - و في قراءة ابيّ فَصِيَامُ ثَلٰثَةِ اَيَّامٍ مُّتَتَابِعَاتٍ * [ذٰلِكَ] اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة و اصحابه لانه لا مُتْعَةَ و لا قرانَ لحاضرى المسجد الحرام عندهم و من تمتع منهم او قرن كان عليه دم و هو دم جناية لا يأكل منه واما القارن و المتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نُسُك يأكلان منه - و عند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام و لم يوجب عليهم شيئا * و حاضرو [الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] اهل المواقيت فمن دونها الى مكّة عند ابي حنيفة و عند الشافعي اهل الحرم و من كان مَن الحرم على مسافة لا تُقْصر فيها الصلوٰة * [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] في المحافظة على حدوده و ما امركم به و نهاكم عنه في الحجّ و غيره * [وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ] لمن خالف ليكون عالمكم بشدّة عقابه لطفا لكم في التقوى * اي وقت الحجّ [اَشْهُرٌ] كقولك البرد شهران و الاشهرُ المعلوماتُ شوال و ذو القعدة و عشر ذى الحجة عند ابي حنيفة و عند الشافعي تسع ذى الحجة و ليلة يوم النحر و عند مالك ذو الحجة كله - فان قلت ما فائدة توقيت الحجّ بهذه الاشهر - قلت فائدته ان شيئا من افعال الحجّ لا يصحّ الا فيها و الاحرام بالحجّ لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها و عند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه - فان قلت فكيف كان الشهران و بعضُ الثالث اشهرا - قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فَقَدْ صَغَتْ قُلُوْبُكُمَا ما سوال فيه اذن و انما كان يكون موضعا للسوال لو قيل ثلثةُ اشهر معلوماتٌ - وقيل نُزّل بعض اشهر منزلة كلّه كما يقال رايتك سنة كذا او على عهد فلان و لعل العهد عشرون سنة او اكثر و انما رأه في ساعة منها - فان قلت ما وجه مذهب مالك و هو مروي عن عُرْوَةَ بن الزبير - قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمرَ و ابن عمر فكانها مُخْتَصة للحج لا مجال فيها للعمرة - و عن عمر رضي اللّٰه عنه انه كان يخفق الناس بالدِرّة و ينهاهم عن الاعتمار فيقن - و عن عمر رضي اللّٰه عنه انه قال لرجل ان اطعتني انتظرتَ حتى اذا اهللتَ المحرّمَ خرجتَ الى ذات عِرْق فاهللتَ منها بعمرة - و قالوا لعل من مذهب عُروةَ جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر * [مَّعْلُوْمٰتٌ] معروفات عند الناس لا يُشكلن عليهم و فيه ان الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه و انما جاء مُقرّرا له * [فَمَنْ فَرَضَ فِيْهِنَّ الْحَجَّ] فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي و سوقه عند ابي حنيفة و عند الشافعي بالنية * [فَلَا رَفَثَ] فلا جماع لانه يفسده او فلا فُحْشَ في الكلام * [وَلَا فُسُوْقَ] و لا خروج عن حدود الشريعة و قيل السباب و التنابز بالالقاب * [وَلَا جِدَالَ] و لا مراء مع الرُفقاء و الخَدَم و المكارين و انما أُمر باجتناب ذلك و هو واجب الاجتناب

وَ مَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّٰهُ ط وَ تَزَوَّدُوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوٰى ز وَ اتَّقُوْنِ يٰٓاُولِى الْاَلْبَابِ ط لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَبْتَغُوْا فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ ط فَاِذَآ اَفَضْتُمْ

في كلّ حال لانه مع الحجّ اسمٌ كلبس الحرير فى الصلٰوة و التطريب في قراءة القرآن و المرادُ بالنفي وجوب انتفاءها و انها حقيقة بان لا تكون - و قرئ المنفيّات الثلثُ بالنصب و بالرفع - و قرأ ابو عمرو و ابن كثير الاولين بالرفع و الأخرَ بالنصب لانهما حَمَلا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونَنّ رفث و لا فسوق و الثالثَ على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل و لا شكّ و لا خلاف فى الحجّ و ذلك ان قريشا كانت تُخالف سائر العرب فتَقِفُ بالمشعر الحرام و سائرُ العرب يقفون بعرفة و كانوا يُقدّمون الحجّ سنةً و يوخّرونه سنةً و هو النسيئ فرُدّ الى وقت واحد و ردّ الوقوف الى عرفة فاخبر اللّٰه تعالى انه قد ارتفع الخلاف فى الحجّ و استُدلّ على ان المنهي عنه هو الرفث و الفسوق دون الجدال بقوله صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم من حجّ فلم يرفث و لم يفسق خرج كيومِ ولدتْه امّه و انه لم يَذكر الجدال * [وَ مَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ يَّعْلَمْهُ اللّٰهُ] حثٌّ على الخير عقيب النهي عن الشر و ان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسنَ و مكان الفسوق البرَّ و التقوى و مكان الجدال الوفاقَ و الاخلاقَ الجميلةَ - او جُعل فعل الخير عبارةً عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نُهُوا عنه و ينصره قوله تعالى [وَتَزَوَّدُوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوٰى] اي اجعلوا زادكم الى الأخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتّقاءها - و قيل كان اهل اليمن لا يتزوّدون و يقولون نحن متوكّلون و نحن نحجّ بيت اللّٰه أ فلا يُطعمنا فيكونون كَلًّا على الناس فنزلت فيهم - و معناه و تزوّدوا و اتقوا الاستطعامَ و ابرامَ الناس و التثقيلَ عليهم فان خير الزاد التقوى * [وَ اتَّقُوْنِ] وخافوا عقابي [يٰٓاُولِى الْاَلْبَابِ] يعني ان قضية اللبّ تقوى اللّٰه و من لم يتّقه من الألبّاء فكانه لا لبّ له * [فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ] عطاءٌ منه و تفضلا و هو النفع و الربح بالتجارة و كان ناس من العرب يتاثّمون ان يتّجروا ايام الحجّ واذا دخل العشرُ كفّوا عن البيع و الشراء فلم تقُمْ لهم سوق و يسمّون من يخرج بالتجارة الداجّ و يقولون هؤلاء الداجّ و ليسوا بالحاجّ و قيل كانت عُكاظُ و مَجَنّةُ و ذو المجاز أسواقهم فى الجاهلية يتّجرون فيها في ايام الموسم و كانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثّموا فرفع عنهم الجناح في ذلك و أُبيح لهم و انما يباح لهم ما لم يَشْغل عن العبادة - و عن ابن عمر رضي اللّٰه عنه ان رجلا قال له انّا قوم نُكري في هذا الوجه و ان قوما يزعمون ان لا حجّ لنا فقال سأل رجل رسولَ اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم عمّا سألتَ فلم يردّ عليه حتى نزل لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فدعاه فقال انتم حُجّاج - و عن عمر رضي اللّٰه عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة فى الحجّ فقال و هل كانت معايشنا الّا من التجارة فى الحجّ - و قرأ ابن عباس رضي اللّٰه عنهما فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ فِيْ مَوَاسِمِ الْحَجِّ * [اَنْ تَبْتَغُوْا] في ان تبتغوا * [اَفَضْتُمْ] دفعتم بكثرة و هو من افاضة الماء و هو صبّه بكثرة و اصله اَفْضَضْتُمْ انفسكم فتُرك ذكر المفعول كما تُرك في دفعوا من موضع

مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدٰىكُمْ ۚ وَاِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهٖ لَمِنَ الضَّآلِّيْنَ ۝
ثُمَّ اَفِيْضُوْا مِنْ حَيْثُ اَفَاضَ النَّاسُ

كذا و صبُّوا - و في حديث ابي بكر رضي الله عنه ضَبَّ في دَقَرَان و هو يخرش بعيره بمِحْجَنه ويقال افاضوا في الحديث - وهضبوا فيه • و [عَرَفَاتٍ] علم للموقف سمّي بجمع كأذرعات - فان قلت هلّا مُنعت الصرف و فيها سببان التعريف و التانيث - قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون با لتاء التي في لفظها و اما بتاء مقدّرة كما في سُعادَ فالتي في لفظها ليست للتانيث و انما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث و لايصحّ تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المونث مانعة من تقديرها كما لا يقدّر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمونث كتاء التانيث فابت تقديرَها - و قالوا سُمّيَتْ بذلك لانها وُصفتْ لابرٰهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها - و قيل ان جبرئيل حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفتُ - و قيل التقى فيها آدم و حوّا فتعارفا - و قيل لان الناس يتعارفون فيها و الله اعلم بحقيقة ذلك و هي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الّا ان تكون جمع عارف - و قيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لايكون الا بعده - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم الحجّ عرفةُ فمن ادرك عرفةَ فقد ادرك الحجّ • [فَاذْكُرُوا اللّٰهَ] بالتلبية و التهليل و التكبير و الثناء و الدعوات - و قيل بصلوة المغرب و العشاء • و [الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ] قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام و عليه الميْقدة - و قيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزِمَي عرفة الى وادي مُحَسِّر وليس المازمان ولا وادي محسّر من المشعر الحرام - و الصحيح انه الجبل لما روى جابر رضي الله عنه ان النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لما صلّى الفجر يعني بالمزدلفة بغَلَسٍ رَكِبَ ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا و كبّر و هلّل و لم يزل واقفًا حتى اسفر و قوله تعالى عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ معناه مما يلي المشعر الحرام قريبًا منه و ذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسّر أوْ جُعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلةً به عند المشعر - والمشعر الْمعلم لانه مَعْلم لعبادة و وُصف بالحرام لحرمته - و عن ابن عباس رضي الله عنه انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركتُ الناس هذه الليلة لا ينامون - و قيل سمّيت المزدلفة وجمعًا لان آدم صلوات الله عليه اجتمع فيها مع حوّا و ازدلف اليها اي دنا منها - و عن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين - و يجوز ان يقال وُصفتْ بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها • [كَمَا هَدٰىكُمْ] ما مصدرية او كافّة - و المعنى و اذكروه ذكرًا حسنًا كما هداكم هدايةً حسنةً او اذكروه كما علّمكم كيف تذكرونه و لا تعدلوا عنه • [وَاِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهٖ] من قبل الهدى [لَمِنَ الضَّآلِّيْنَ] الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه و تعبدونه - و اِنْ هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة • [ثُمَّ اَفِيْضُوْا] ثم لتكن افاضتكم [مِنْ حَيْثُ اَفَاضَ النَّاسُ] و لا تكن من المزدلفة و ذلك

وَاسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ ط اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ فَاِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَذِكْرِكُمْ اٰبَآءَكُمْ اَوْ اَشَدَّ ذِكْرًا ط فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُوْلُ رَبَّنَآ اٰتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَا لَهٗ فِى الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۝ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّقُوْلُ رَبَّنَآ اٰتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَّفِى الْاٰخِرَةِ حَسَنَةً وَّقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيْبٌ مِّمَّا كَسَبُوْا ط وَاللّٰهُ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ۝

لما كان عليه الحُمْس من الترفع على الناس و التعالي عليهم و تعظمهم عن ان يساووهم في الموقف و قولهم نحن اهل الله و قُطّان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع و سائرُ الناس بعرفات - فان قلت فكيف موقع ثُمَّ - قلت نحو موقعها في قولك اَحْسِنْ الى الناس ثم لا تُحسِنْ الى غير كريم تاتي بثُمَّ لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم و الاحسان الى غيره و بُعْد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثُمَّ اَفِيْضُوْا لتفاوت ما بين الافاضتين و ان احدهما صواب و الثانية خطاء - و قيل ثُمَّ اَفِيْضُوْا مِنْ حَيْثُ اَفَاضَ النَّاسُ و هم الحُمْس اي من المزدلفة الى مِنًى بعد الافاضة من عرفات - و قرئ مِنْ حَيْثُ اَفَاضَ النَّاسِ بكسر السين اي الناسي و هو آدم من قوله وَلَقَدْ عَهِدْنَا اِلٰى اٰدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه • [اسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ] من مخالفتكم في الموقف و نحو ذلك من جاهليتكم • [فَاِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ] اي فاذا فرغتم من عباداتكم الحجّية و نفرتم [فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَذِكْرِكُمْ اٰبَآءَكُمْ] فَاَكْثِرُوْا ذكر الله و بالغوا فيه كما تفعلون في ذكر اٰبائكم و مَفاخرهم و اَيّامهم و كانوا اذا قَضوا مناسكهم وَقَفوا بين المسجد بمِنًى و بين الجبل فيُعَدّدون فضائل اٰبائهم و يذكرون محاسن اَيّامهم • [اَوْ اَشَدَّ ذِكْرًا] في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كَذِكْرِكُمْ كما تقول كذكر قريش اباءَهم او قوم اشدّ منهم ذكرًا - او في موضع نصب عطف على اٰبَآءَكُمْ بمعنى او اَشَدَّ ذكرًا من اباءكم على ان ذكرا من فعل المذكور • [فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُوْلُ] معناه اَكْثِروا ذكر الله ودعاءَه فان الناس من بين مُقِلّ لا يَطلب بذكر الله الا اَغْراض الدنيا و مُكْثِر يَطلب خيرَ الدارين فكونوا من المُكْثِرين • [اٰتِنَا فِى الدُّنْيَا] اجعل اِيْتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة • [وَمَا لَهٗ فِى الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ] اي من طالب خلاق و هو النصيب او ما لهذا الداعي في الاٰخرة من نصيب لان همّه مقصور على الدنيا • و الحَسنتان ما هو طَلِبة الصالحين في الدنيا من الصحة و الكفاف و التوفيق في الخير و طَلِبتهم في الاٰخرة من الثواب - و عن عليّ رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة و في الاٰخرة الحَوْراء و عذابُ النار امرأة السوء • [اُولٰٓئِكَ] الداعون بالحسنتين [لَهُمْ نَصِيْبٌ مِّمَّا كَسَبُوْا] اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة و هو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مِمَّا خَطِيْٓئٰتِهِمْ اُغْرِقُوْا - اَوْ لهم نصيب مما دَعوا به نُعْطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا و استحقاقهم في الاخرة و سُمّي الدعاء كسبًا لانه من الاعمال و الاعمالُ موصوفة بالكسب مِمَّا كَسَبَتْ اَيْدِيْكُمْ - و يجوز ان يكون اُولٰٓئِكَ للفريقين جميعًا او ان لكلّ فريق نصيبًا من جنس ما كسبوا • [وَاللّٰهُ سَرِيْعُ الْحِسَابِ] يوشك ان يقيم القيمة

وَ اذْكُرُوا اللّٰهَ فِيْٓ اَيَّامٍ مَّعْدُوْدٰتٍ ؕ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِيْ يَوْمَيْنِ فَلَآ اِثْمَ عَلَيْهِ ۚ وَ مَنْ تَاَخَّرَ فَلَآ اِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقٰى ؕ وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوْٓا اَنَّكُمْ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ ۝ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُّعْجِبُكَ قَوْلُهٗ

و يحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة - او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم و كثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه - روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة - و روي في مقدار فواق ناقة - وروي في مقدار لمحة * [الايام المعدودات] ايام التشريق - و ذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات و عند الجمار - و عن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق و في الطواف * [فَمَنْ تَعَجَّلَ] فمن عجل في النفر او استعجل النفر و تعجل و استعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر و استعجل و متعديين يقال تعجل الذهاب و استعجله و المطاوعة اوفق لقوله وَ مَنْ تَاَخَّرَ كما هي كذلك في قوله * شعر * قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل * لاجل المتأني [فِيْ يَوْمَيْنِ] بعد يوم النحر يوم القر و هو اليوم الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس و اليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم و هو مذهب الشافعي - و يروى عن قتادة و عند ابي حنيفة و اصحابه ينفر قبل طلوع الفجر * [وَ مَنْ تَاَخَّرَ] حتى رمى في اليوم الثالث و الرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة و عند الشافعي لا يجوز - فان قلت كيف قال فَلَآ اِثْمَ عَلَيْهِ عند التعجل و التاخر جميعا - قلت دلالة على ان التعجل و التاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا - فان قلت اليس التاخر بافضل - قلت بلى و يجوز ان يقع التخيير بين الفاضل و الافضل كما خير المسافر بين الصوم و الافطار و ان كان الصوم افضل - و قيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما و منهم من جعل المتاخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا * [لِمَنِ اتَّقٰى] اي ذلك التخيير و نفي الاثم من المتعجل و المتاخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتحامل في قابه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثما في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال [وَ اتَّقُوا اللّٰهَ] ليعبأ بكم - و يجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج و غيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون مَنْ سواه كقوله ذٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ يُرِيْدُوْنَ وَجْهَ اللّٰهِ * [مَنْ يُّعْجِبُكَ قَوْلُهٗ] اي يروقك و تعظم في قلبك و منه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس و هو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لان له القول و ادعى انه يحبه و انه مسلم و قال يعلم الله اني صادق - و قيل هو عام في المنافقين كانت تحلو لي السنتهم و قلوبهم امر من الصبر - فان قلت بم يتعلق قوله فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا - قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة باطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا و لا يريد به الآخرة كما ترى المؤمن الحقيقي

فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّٰهَ عَلٰى مَا فِي قَلْبِهٖ وَهُوَ اَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَاِذَا تَوَلّٰى سَعٰى فِي الْاَرْضِ لِيُفْسِدَ
فِيْهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ؕ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۝ وَاِذَا قِيْلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ اَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْاِثْمِ
فَحَسْبُهٗ جَهَنَّمُ ؕ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّشْرِيْ نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ ؕ وَاللّٰهُ رَءُوْفٌ بِالْعِبَادِ ۝
يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا ادْخُلُوْا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ۪ وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ ؕ اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ۝

و المحبّة الصادقة للرسول فكلامه اذن فى الدنيا لا فى الاٰخرة - و يجوز ان يتعلق بيُعْجِبُكَ اي قوله حلوٌ فصيح فى الدنيا فهو يعجبك و لا يعجبك فى الاٰخرة لما يرهقه فى الموقف من الحُبْسة و اللُكنة - او لانه لا يوذن له فى الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه • [وَيُشْهِدُ اللّٰهَ عَلٰى مَا فِيْ قَلْبِهٖ] اي يحلف و يقول اللّٰهُ شاهد على ما في قلبي من محبتك و من الاسلام - و قرئ وَيَشْهَدُ اللّٰهُ - و في مُصحف اُبَيّ وَيَسْتَشْهِدُ اللّٰهَ • [وَهُوَ اَلَدُّ الْخِصَامِ] و هو شديد الجدال و العداوة للمسلمين - و قيل كان بينه و بين ثقيف خصومةٌ فبيّتهم ليلاً و اهلك مواشيهم و احرق زروعهم - و الْخِصَامُ المخاصمة - و اضافة الاَلَدّ بمعنى فِيْ كقولهم نَبْتُ الغدر - او جعل الخصام الدّ على المبالغة - و قيل الخِصام جمع خَصْم كصَعْب و صِعاب بمعنى و هو اشد الخصوم خصومة • [وَاِذَا تَوَلّٰى] عنك و ذهب بعد الاٰنة القول و احلاء المنطق [سَعٰى فِي الْاَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيْهَا] كما فعل بثقيف - و قيل و اِذَا تَوَلّٰى و اذا كان واليًا نعل مايفعله وُلاة السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث و النسل - و قيل يُظهر الظلم حتى يمنع اللّٰهُ بشوم ظلمه القَطْرَ فيهلك الحرثَ و النسلَ - و قرئ وَ يَهْلِكَ الْحَرْثُ وَ النَّسْلُ على ان الفعل للحرث و النسل و الرفعُ للعطف على سَعٰى - و قرأ الحَسَن بفتح اللام و هو لغة نحو ابى يابى - و روي عنه وَ يُهْلَكَ على البناء للمفعول • [اَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْاِثْمِ] من قولك اخذتُه بكذا اذا حملتَه عليه و الزمتَه اياه اي حملتْه العزة التي هي و حَمِيّةُ الجاهلية على الاثم الذي يُنهى عنه وَ الزمتْه ارتكابَه و ان لايُخلّي عنه ضرارًا و لجاجًا - او على رَدّ قول الواعظ • [يَشْرِيْ نَفْسَهُ] يبيعها اي يبذلها فى الجهاد - و قيل يامر بالمعروف و ينهى عن المنكر حتى يُقتَل - و قيل نزلتْ في صُهَيب بن سِنان اَرادَه المشركون على ترك الاسلام و قتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنتُ معكم لم انفعكم و ان كنتُ عليكم لم اضرّكم فخلّوني وما انا عليه و خذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة • [وَاللّٰهُ رَءُوْفٌ بِالْعِبَادِ] حيث كلّفهم الجهاد فعرّضهم لثواب الشهداء • [السِّلْمِ] بكسر السين و فتحها - و قرأ الاعمش بفتح السين و اللام و هو الاستسلام و الطاعةُ اي استسلموا لله و اَطيعوه • [كَآفَّةً] لا يُخرج احد منكم يدَه عن طاعته و قيل هو الاسلام و الخطاب لاهل الكتاب لانهم اٰمنوا بنبيّهم و كتابهم او للمنافقين لانهم اٰمنوا بألسنتهم - و يجوز ان يكون كَآفَّةً حالا من السِّلْم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال • شعر • السلم تاخذ منها ما رضيتَ به • و الحرب تكفيك من انفاسها جُرَعُ • على ان المؤمنين اُمروا بان يدخلوا فى الطاعات كلها و ان لايدخلوا في طاعة دون طاعة

سورة البقرة ٢ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ
الجزء ٢ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ
ع ١٠ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ

او في شُعَب الاسلام و شرائعه كلّها و ان لا يُخلّوا بشيئ منها - و عن عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم ان يقيم على السبت و ان يقرأ من التوراة في صلوته من الليل - و كافّة من الكفّ كانهم كفّوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم * [فَإِنْ زَلَلْتُمْ] عن الدخول في السلم * [مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ] اي الحُجَج و الشواهد على ان ما دُعيتم الى الدخول فيه هو الحق * [فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ] غالب لا يُعجزه الانتقام منكم * [حَكِيمٌ] لا ينتقم الا بحق - و روي ان قارئا قرأ غَفُورٌ رَحِيمٌ فسمعه اَعْرابيٌّ فانكره و لم يقرأ القرآن و قال ان كان هذا كلامَ الله فلا يقول كذا الحكيم لا يَذكر الغُفرانَ عند الزلل لانه اغراء عليه - و قرأ ابو السَمال زَلِلْتُمْ بكسر اللام و هما لغتان نحو ضَلَلْتُ و ضَلِلْتُ * [اتيانُ الله] اتيان امره و بأسه كقوله اَوْ يَأْتِيَ اَمْرُ رَبِّكَ - فَجَاءَهُمْ بَأْسُنَا - و يجوز ان يكون المَاتيُّ به محذوفا بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ * [فِي ظُلَلٍ] جمع ظُلّة و هي ما اظلّك - و قرئ ظِلَالٍ و هي جمع ظُلّة كقُلّة و قِلال او جمع ظِلّ - و قرئ [وَالْمَلَائِكَةُ] بالرفع كقوله هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا اَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ و بالجر عطف على ظُلَلٍ او على الغَمام - فان قلت لِمَ ياتيهم العذابُ في الغمام - قلت لان الغمام مَظنّة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع و اهولَ لان الشرّ اذا جاء من حيث لا يُحتسب كان اغمّ كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يُحتسب كان اسرّ فكيف اذا جاء الشرّ من حيث يُحتسب الخير و لذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يُتوقع الغيث و من ثمّه اشتدّ على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وَ بَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * [وَقُضِيَ الْأَمْرُ] و اُتِمّ امر اهلاكهم و تدميرهم و فُرِغ منه - و قرأ معاذ بن جبل وَ قَضَاءُ الْأَمْرِ على المصدر المرفوع عطفا على الْمَلَائِكَةُ - و قرئ تَرْجِعُ على البناء للفاعل و المفعول بالتانيث و التذكير فيهما * [سَلْ] اَمْرٌ للرسول عليه السلام او لكلّ احد و هذا السوال سوال تقريع كما تُسأل الكفرة يوم القيٰمة * [كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ] على ايدي انبياءهم و هي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحّة دين الاسلام * و [نِعْمَةَ اللَّهِ] اياته و هي اجلّ نعمة من الله لانها اسباب الهدى و النجاة من الضلالة و تبديلهم اياها ان الله اظهرها ليكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا اِلَى رِجْسِهِمْ - او حرّفوا آيات الكتب الدالّة على دين محمد صلّى الله عليه و اله و سلّم - فان قلت كَمْ استفهامية ام خبرية - قلت تحتمل الامرين و معنى الاستفهام فيها للتقرير - فان قلت ما معنى

مِنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۗ وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ كَانَ النَّاسُ
اُمَّةً وَّاحِدَةً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيّٖنَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ ۪ وَاَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ
النَّاسِ فِيْمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ اِلَّا الَّذِيْنَ اُوْتُوْهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ بَغْيًا
بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَى اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا

[مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ] - قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه - و قرئ وَمَنْ يُبْدِلْ بالتخفيف • المزيّن هو الشيطان زيّن لهم الدنيا و حسّنها في اعينهم بوساوسه و حبّبها اليهم فلا يريدون غيرها - و يجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها و احبّوها - او جُعل امهال المزيّن تزيينا و يدلّ عليه قراءة من قرأ زَيَّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا على البناء للفاعل • [وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا] كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظّ لهم من الدنيا كابن مسعود و عمّار و صُهَيْب و غيرهم اي لا يريدون غيرها و هم يسخرون ممّن لا حظّ له فيها او ممن يَطلب غيرَها • [وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] لانهم في عِلِّيِّين من السماء وهم في سِجِّين من الارض - او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة و هم في هُوان - او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يطاول هؤلاء عليهم في الدنيا و يرون الفضل لهم عليهم فَالْيَوْمَ الَّذِينَ اٰمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ • [وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ] بغير تقدير يعني انه يوسّع على من توجب الحكمةُ التوسعةَ عليه كما وسّع على قارون و غيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة و هي استدراجكم بالنعمة و لو كانت كرامةً لكان اولياءه المؤمنون احقّ بها منكم - فان قلت لم قال مِنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا ثم قال وَالَّذِينَ اتَّقَوْا - قلت ليُريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي و ليكون بعثاً للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك •

[كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَّاحِدَةً] متفقين على دين الاسلام [فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيّٖنَ] يريد فاختلفوا فبعث الله و انما حُذف لدلالة قوله لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيْمَا اخْتَلَفُوا فِيْهِ عليه - و في قراءة عبد الله كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَّاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيّٖنَ و الدليل عليه قوله عزّ و علا وَمَا كَانَ النَّاسُ اِلَّا اُمَّةً وَّاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا - و قيل كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَّاحِدَةً كفاراً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيّٖنَ فاختلفوا عليهم و الاول الوجه - فان قلت متى كان الناس امّة واحدة متفقين على الحقّ - قلت عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بين آدم و بين نوح عشرةُ قرون على شريعة من الحقّ فاختلفوا - و قيل هم نوح و مَن كان معه في السفينة

[وَاَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰبَ] يريد الجنس او مع كلّ واحد منهم كتابه • [لِيَحْكُمَ] الله او الكتابُ او النبيُّ المنزّل عليه •
[فِيْمَا اخْتَلَفُوا فِيْهِ] في الحقّ و دين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق • [وَمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ] في الحقّ
[اِلَّا الَّذِينَ اُوْتُوهُ] الا الذين اوتوا الكتاب المنزّل لازالة الاختلاف اي ازدادوا الاختلاف لمّا انزل عليهم الكتاب و جعلوا نزول الكتاب سببا في شدّة الاختلاف و استحكامه • [بَغْيًا بَيْنَهُمْ] حسدا بينهم و ظلما

سورة البقرة ٢ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ط وَاللّٰهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا
الجزء ٢ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ط مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتّٰى يَقُولَ الرَّسُولُ
ع ١٠ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتٰى نَصْرُ اللّٰهِ ط أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللّٰهِ قَرِيبٌ ۝ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ط قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ
مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ط وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ بِهِ
عَلِيمٌ ۝ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ج

لحرصهم على الدنيا وقلة انصافهم منهم • و [مِنَ الْحَقِّ] بيانٌ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ اي فهدى اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا للحق الذي اختلف فيه مَن اختلف • [أَمْ] منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لمّا ذكر ما كانت عليهم الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعاً لرسول اللّٰه والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ أَمْ حَسِبْتُمْ • و [لَمَّا] فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قَدْ في الاثبات - والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر • [مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا] حالهم التي هي مثل في الشدة • و [مَسَّتْهُمُ] بيان للمثل وهو استيناف كأنّ قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ • [وَزُلْزِلُوا] وأُزعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع • [حَتّٰى يَقُولَ الرَّسُولُ] الى الغاية التي قال الرسول ومن مَعَهُ فيها • [مَتٰى نَصْرُ اللّٰهِ] اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك معناه طلب الصبر وتمنّيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليلٌ على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العِظَم لان الرسل لا يُقادَر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجّوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمع وراءها • [أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللّٰهِ قَرِيبٌ] على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابةً لهم الى طلبتهم من عاجل النصر - و قرئ حَتّٰى يَقُولَ بالنصب على اضمار أَنْ ومعنى الاستقبال لأنّ أَنْ عَلَمٌ له - و بالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيءُ البعير يجرّ بطنه الا انها حال ماضية محكيّة • فان قلت كيف طابق الجوابُ السوالَ في قوله قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ وهم قد سالوا عن بيان ما يُنفقون واجيبوا ببيان المصرف - قلت قد تضمّن قوله [قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ] بيانَ ما ينفقونه وهو كلّ خير وبُني الكلام على ما هو اهمّ وهو بيان المصرف لان النفقة لا يُعتدّ بها الا ان تقع موقعها قال الشاعر • شعر • ان الصنيعة لا تكون صنيعةً • حتى يصاب بها طريق الصنع • وعن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هِمٌّ وله مال عظيمٌ فقال ماذا تنفق من اموالنا واين نضعها فنزلت - وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة - وعن الحسن هي في التطوع • [وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ] من الكراهة بدليل قوله وَعَسٰى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ثم ما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها • ع • فانما هي اقبال وادبار • كانه في

وَعَسٰٓى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْـًٔا وَّهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَعَسٰٓى اَنْ تُحِبُّوْا شَيْـًٔا وَّهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ۝ ع
يَسْـَٔلُوْنَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيْهِ ۗ قُلْ قِتَالٌ فِيْهِ كَبِيْرٌ ۗ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَكُفْرٌ بِهٖ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاِخْرَاجُ اَهْلِهٖ مِنْهُ اَكْبَرُ عِنْدَ اللّٰهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ اَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُوْنَ يُقَاتِلُوْنَكُمْ حَتّٰى يَرُدُّوْكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ

نفسه كراهة لفرط كراهتهم له و امّا ان يكون فعلًا بمعنى مفعول كالخُبْز بمعنى المخبوز اي و هو مكروه لكم - و قرأ السَلَمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضَعف و الضُعف - و يجوز ان يكون بمعنى الاكراه على طريق المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدّة كراهتهم له ومشقته عليهم و منه قوله تعالى حَمَلَتْهُ اُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا و على قوله تعالى [وَعَسٰٓى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْـًٔا] جميعُ ما كُلّفوه فان النفوس تكرهه و تنفر عنه و تُحبّ خلافه • [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ] ما يُصلحكم و ما هو خير لكم [وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ] ذلك • بعث رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم عبد الله بن جَحْش على سَرِيّة في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصّد عِيرًا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرميّ و ثلثة معه فقتلوه و اَسَرُوا اثنين و استاقوا العير و فيها من تجارة الطائف و كان ذلك اوّل يوم من رجب و هم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش قد استحلّ محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف و يَدْعَرُ فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم العيرَ و عظُم ذلك على اصحاب السَرِيّة و قالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا و رَدّ رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم العيرَ و الاُسارى - و عن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم الغنيمة - و المعنى يسألك الكفّار او المسلمون عن القتال فى الشهر الحرام • و [قِتَالٍ فِيْهِ] بدل الاشتمال من الشهر - و في قراءة عبد الله عَنْ قِتَالٍ فِيْهِ على تكرير العامل كقوله لِلَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا لِمَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ - و قرأ عكرمة قَتْلٍ فِيْهِ قُلْ قَتْلٌ فِيْهِ كَبِيْرٌ اي اثم كبير - و عن عطاء انه سُئل عن القتال فى الشهر الحرام فحلف بالله ما يحلّ للناس ان يغزو فى الحرم و لا فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه و ما نسخت و اكثرُ الاقاويل على انها منسوخة بقوله اُقْتُلُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوْهُمْ - فان قلت كيف صحّ العطف قبل الفراغ من المعطوف عليه و قد مُنعوا من ذلك - قلت وَكُفْرٌ بِهٖ في معنى الصدّ عن سبيل الله و اتحادُهما هو الذي سوّغ ذلك كانه لا فصل و كانه قيل وَصَدَّ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ • [وَصَدٌّ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ] مبتدأ اَكْبَرُ خبره يعني و كبائر قريش مِنْ صَدّهم عن سبيل الله و عن المسجد الحرام و كُفْرهم بالله و اِخْراج اهل المسجد الحرام و هم رسول الله و المؤمنون • [اَكْبَرُ عِنْدَ اللّٰهِ] مما فعلته السَرِيّة من القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطاء و البناء على الظن • [وَالْفِتْنَةُ] الاخراج او الشرك - وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عطف على سَبِيْلِ اللّٰهِ - و لا يجوز ان يعطف على الهاء في بِهٖ • [وَلَا يَزَالُوْنَ يُقَاتِلُوْنَكُمْ] اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين و انهم لا ينفكّون عنها • [حَتّٰى يَرُدُّوْكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ] و حَتّٰى معناها التعليل

سورة البقرة ٢ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
الجزء ٢ وَالْآخِرَةِ ۚ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
ع ١١ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ

تقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردّكم * [وَإِنِ اسْتَطَاعُوا] استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تُبقِ عليّ و هو واثق بانه لا يظفر به * [وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ] و من يرجع عن دينه الى دينهم و يطاوعهم على رده اليه [فَيَمُتْ] على الرِّدّة * [فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] لما يفوتهم باحداث الردّة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام و باستدامتها و الموت عليها من ثواب الآخرة و بها احتجّ الشافعي على ان الردّة لا تُحبط الاعمال حتى يموت عليها - و عند ابي حنيفة انها تُحبطها و ان رجع مسلما * [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا] روي ان عبد الله بن جحش و اصحابه حين قتلوا الحضرمي ظنّ قومٌ انهم و ان سلموا من الاثم وليس لهم اجرٌ فنزلت [أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ] - و عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون و انه مَنْ رجا طلب و مَن خاف هرب * نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا فكان المسلمون يشربونها و هي لهم حلال ثم ان عمر و معاذا و نفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مَذهبة للعقل مَسلبة للمال فنزلت [فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ] فشربها قوم و تركها آخرون ثم دعا عبدُ الرحمٰن بن عوف ناسًا معهم فشربوا و سكروا فَأَمَّ بعضهم فقرأ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ فنزلت وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ فقلّ من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقّاص فلما سكروا افتخروا و تناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلَحْي بعير فشجّه مُوضِحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال عمر اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا فنزلت إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ الى قوله فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا ربِّ - و عن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بير نُبنيت مكانها منارةٌ لم أُؤَذِّنْ عليها و لو وقعت في بحر ثم جفّ و نبت فيه الكلأ لم أرعَه - و عن ابن عمر رضي الله عنهما لو ادخلتُ اصبعي فيه لم تتبعني و هذا هو الايمان حقًا و هم الذين اتقوا الله حقّ تُقاته - و الخمر ما غلا و اشتدّ و قذف بالزبد من عصير العنب و هو حرام و كذلك نقيع الزبيب و التمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا و اشتدّ ذهب خبثه و نصيبُ الشيطان و حلّ شربه ما دون السُكر اذا لم يقصد بشربه اللهو و الطرب عند ابي حنيفة - و عن بعض اصحابه لَأن اقولَ مرارا هو حلال احبّ اليّ من ان اقول مرةً هو حرام و لَأن أخرّ من السماء فأتقطّع قِطَعًا احبّ اليّ من

وَاثْمُهُمَآ اَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُوْنَكَ مَاذَا يُنْفِقُوْنَ ۖ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُوْنَ ۝

ان اتناولَ منه قطرة - و عند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر و كذلك كلّ ما اسكر من كل شراب و سُمّيت خمرا لتغطيتها العقلَ و التمييزَ كما سميتْ سَكَرا لانها تَسْكرهما اي تحجزهما و كانها سميتْ بالمصدر من خَمَرَه خمراً اذا سَتَره للمبالغة • والمَيْسر القمار مصدر من يَسَر كالموعد و المرجع من فعلهما يقال يسرتُه اذا قمرتُه و اشتقاقه من اليسر لانه اخذُ مالِ الرجل بيُسرٍ و سهولة من غير كدّ ولا تعب - او من اليسار لانه سلب يساره - و عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله و ماله قال • ع • اقول لهم يا لشعب اذ يَيْسرونني • اي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور - فان قلت كيف صفة الميسر - قلت كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلامُ و الاقلامُ الفذُّ و التوأمُ و الرقيبُ و الحِلسُ و النافِسُ و المُسبلُ والمعلّى و المنيحُ و السفيحُ و الوغدُ لكلّ واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها و يُجزّيونها عشرة اجزاء - و قيل ثمانية و عشرين الا لثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم • شعر • لي في الدنيا سهام ليس فيهن رييح • واساميهنّ وغد و سفيح ومنيح • للفذّ سهم و للتوأم سهمان و الرقيب ثلثة و للحِلس اربعة و للنافس خمسة و للمسبل ستة و للمعلّى سبعة يجعلونها في الربابة و هي خريطة و يضعونها على يدي عدل ثم يُجَلجلها و يُدخل يده فيخرج باسم رجلٍ رجلٍ قِدحًا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسومَ به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا و غَرِم ثمنَ الجزور كلّه و كانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها و يفتخرون بذلك و يذمّون من لم يدخل فيه ويسمّونه البَرَم و هي حكم الميسر انواعُ القمار من النرد و الشطرنج وغيرهما - و عن النبي صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم اياكم و هاتين الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم - و عن علي رضي اللّٰه عنه ان النرد و الشطرنج من الميسر - و عن ابن سيرين كل شيئ فيه خطر فهو من الميسر - و المعنى يسالونك عمّا في تعاطيهما بدليل قوله تعالى قُلْ فِيْهِمَآ اِثْمٌ كَبِيْرٌ [وَاِثْمُهُمَا] و عقاب الاثم في تعاطيهما [اَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا] و هو الانتذاذ بشرب الخمر و القمار و الطربُ فيهما و التوصّل بهما الى مصادقات الفتيان و معاشراتهم و النيل من مطاعمهم ومساربهم و اَعْطياتهم و سلب الاموال بالقمار و الافتخارُ على الابرام - و قرئ اِثْمٌ كَثِيْرٌ بالثاء - و في قراءة اُبَيّ وَاِثْمُهُمَا اَقْرَبُ و معنى الكثرة ان اصحاب الشرب و القمار يقترفون فيها الاثام من وجوه كثيرة • [الْعَفْوَ] نقيض الجهد و هو ان يُنْفق ما لا يَبلغُ انفاقُهُ منه الجهد و استفراغَ الوسع قال • ع • خذ العفو مني تستديمي مودتي • ويقال للارض السهلة العفو - قرئ بالرفع والنصب - و عن النبي صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المَغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثلَه فاعرضَ عنه ثم اتاه من الجانب الايسر

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ط وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتٰمٰى ط قُلْ اِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ط وَاِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ ط وَاللّٰهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ط وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَاَعْنَتَكُمْ ط اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتّٰى يُؤْمِنَّ ط

ما عرض عنه فقال هاتها مُغْضَبًا فاخذها فخذنه بها خذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيئ احدكم بماله كله يتصدق به و يجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى • [فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] اما ان يتعلق بِتَتَفَكَّرُونَ فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بيّنت لكم ان العفو اصلح من الجهد فى النفقة - او تتفكرون فى الدارين فتؤثرون ابقاءهما و اكثرهما منافع - و يجوز ان يكون اشارة الى قوله وَاِثْمُهُمَا اَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ليتفكروا في عقاب الاثم فى الاخرة و النفع فى الدنيا حتى لا يختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم - و اما ان يتعلق بِيُبَيِّنُ على معنى يُبيّن لكم الأيات في امر الدارين و فيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون • لمّا نزلت اِنَّ الَّذِينَ يَاْكُلُونَ اَمْوَالَ الْيَتٰمٰى ظُلْمًا اعتزلوا اليتامى و تحامروهم و تركوا مخالطتهم و القيامَ باموالهم و الاهتمامَ بمصالحهم فشقّ ذلك عليهم و كاد يُوقعهم فى الحرج فقيل [اِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ] اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم و لاموالهم خير من مجانبتهم • [وَاِنْ تُخَالِطُوهُمْ] و تعاشروهم و لم تجانبوهم فهم [اِخْوَانُكُمْ] فى الدين و من حق الاخ ان يخالط اخاه و قد حملت المخالطة على المظاهرة • [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ] اي لا يخفى على الله مَن داخلهم بافساد و اصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه و لا تتحرّوا غير الاصلاح [وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَاَعْنَتَكُمْ] لحملكم على العنت و هو المشقة و احرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم - و قرأ طاؤس قُلْ اِصْلَاحٌ اِلَيْهِمْ و معناه ايصال الصلاح اليهم - و قرئ لَاَعْنَتَكُمْ بطرح الهمزة و القاء حركتها على اللام و كذلك فَلَاثَمَ عَلَيْهِ • [اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ] غالب يقدر على ان يُعنت عباده و يحرجهم ولكنه [حَكِيمٌ] لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم • [وَلَا تَنْكِحُوا] و قرئ بضم التاء اي لا تُزوّجوهنّ او لا تُزوّجوهن • و [المشركات] الحربيات و الأية ثابتة و قيل المشركات الحربيات و الكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللّٰهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّٰهِ الى قوله تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ و هي منسوخة لقوله تعالى وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ و سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيئ قطّ و هو قول ابن عباس رضي الله عنه و الزهري - و روي ان رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليُخرج منها ناسا من المسلمين و كان يهوى امرأة فى الجاهلية اسمها عَنَاق فاتته و قالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام قد حال بيننا فقالت فهل لكَ ان تتزوج بي قال نعم و لكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم فاستامره فاستامره فنزلت [وَلَاَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ] و لامرأة مؤمنة حرّة كانت او مملوكة و كذلك وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ لان الناس كلهم عبيد الله و اماء

وَ لَاَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَّ لَوْ اَعْجَبَتْكُمْ ط وَ لَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتّٰى يُؤْمِنُوْا ط وَ لَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَّ لَوْ اَعْجَبَكُمْ ط اُولٰٓئِكَ يَدْعُوْنَ اِلَى النَّارِ ج وَ اللّٰهُ يَدْعُوْٓا اِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِاِذْنِهٖ ج وَ يُبَيِّنُ اٰيٰتِهٖ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ ۝ ع وَ يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الْمَحِيْضِ ط قُلْ هُوَ اَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَآءَ فِي الْمَحِيْضِ وَ لَا تَقْرَبُوْهُنَّ حَتّٰى يَطْهُرْنَ ج

[وَ لَوْ اَعْجَبَتْكُمْ] ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك • [اُولٰٓئِكَ] اشارة الى المشركات و المشركين اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يُوالَوْا و لا يصاهَروا و لا يكون بينهم و بين المؤمنين الا المناصبة و القتال • [وَ اللّٰهُ يَدْعُوْٓا اِلَى الْجَنَّةِ] يعني و اولياء الله و هم المؤمنون يدعون الى الجنة [وَ الْمَغْفِرَةِ] و ما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم و مصاهرتهم و ان يؤثروا على غيرهم • [بِاِذْنِهٖ] بتيسير الله و توفيقه للعمل الذي يُستحق به الجنة و المغفرة - و قرأ الحسن وَالْمَغْفِرَةُ بِاِذْنِهٖ بالرفع اي و المغفرة حاصلة بتيسيره • [الْمَحِيْضِ] مصدر يقال حاضتْ مَحيضا كقولك جاء مجيئا وباتَ مبيتا • [قُلْ هُوَ اَذًى] اي الحيض شيء يستقذر و يوذي من يقربه نفرةً منه و كراهةً له • [فَاعْتَزِلُوا النِّسَآءَ] فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن - روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم ياكلوها و لم يشاربوها و لم يجالسوها على فرش و لم يساكنوها في بيت كفعل اليهود و المجوس فلما نزلتْ اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهنّ من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يارسولَ الله البرد شديد و الثياب قليلةٌ فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت و ان استاثرنا بها هلكت الحُيَّض فقال عليه السلام انما أُمرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حِضنّ و لم يامركم باخراجهنّ من البيوت كفعل الاعاجم - و قيل ان النصارى كانوا يجامعونهن و لا يبالون بالحيض و اليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين - و بين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة و ابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازارُ و محمد بن الحسن لا يوجب الّا اعتزال الفرج - و روى محمد حديث عايشة رضي الله عنها ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امرأتَه و هي حائض فقالت تَشدّ ازارها على سَفلتها ثم ليُباشرها ان شاء - و ما روى زيد بن اسلم ان رجلا سأل النبيَّ صلى الله عليه و آله و سلم ما يحلّ لي من امرأتي و هي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال و هذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عايشة رضي الله عنها انها قالت يتجنّب شعار الدم و له ماسوى ذلك • و قرئ يَطَّهَّرْنَ بالتشديد اي يَتَطَهَّرْنَ بدليل قوله فَاِذَا تَطَهَّرْنَ - و قرأ عبد الله حَتّٰى يَتَطَهَّرْنَ و يَطْهُرْنَ بالتخفيف و التطهُّر الاغتسال و الطهرُ انقطاع دم الحيض و كلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم و ان لم تغتسل و في اقل الحيض لا يقربها

سورة البقرة ٢ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝ نِسَاؤُكُمْ
الجزء ٢ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝
ع ١٢

حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة - وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتطهر فتجمع بين الامرين و هو قول و اصح و يعضده قوله فَإِذَا تَطَهَّرْنَ * [مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ] من الماتى الذي امركم الله به وحلله لكم و هو الغسل * [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ] مما عسى تقدر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك * [وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ] المتنزهين عن الفواحش - او إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب و يحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض و الطاهر قبل الغسل و اتيان ما ليس بمباح و غير ذلك * [حَرْثٌ لَكُمْ] مواضع حرث لكم و هذا مجاز شُبِّهَ بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور * وقوله [فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ] تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة - والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون الماتى واحدا و هو موضع الحرث و قوله هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ - وَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ - فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ من الكنايات اللطيفة و التعريضات المستحسنة و هذه و اشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها و يتأدبوا بها و يتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم - وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مُجَبِّيَةٌ من دُبرها في قُبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال عليه السلام كذبت اليهود فنزلت [وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ] ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة و ما هو خلاف ما نُهيتم عنه - و قيل طلب الولد وقيل التسمية على الوطئ * [وَاتَّقُوا اللَّهَ] فلا تجترئوا على المناهي [وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ] فتزودوا ما لا تفتضحون به * [وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ] المستوجبين للمدح و التعظيم بترك القبائح و فعل الحسنات - فان قلت ما موقع قوله نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ مما قبله - قلت موقعه موقع البيان و التوضيح لقوله فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ يعني ان الماتى الذي امركم الله به و هو مكان الحرث ترجمةٌ له و تفسيرا او ازالةً للشبهة و دلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من الماتى الذي يتعلق به هذا الغرض - فان قلت ما بال يَسْئَلُونَكَ جاء بغير واو ثلثا مرات ثم مع الواو ثلثا - قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوالٍ متفرقة فلم يُؤت بحرف العطف لان كل واحد من السوالات سوال مبتدأ وسالوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيئ بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السوال عن الخمر و الميسر و السوال عن الانفاق و السوال عن كذا و كذا * [الْعُرْضَة] فُعْلة بمعنى مفعول كالقُبضة و الغُرفة وهو اسم ما تعرضه دون الشيئ من عرض العود على الاناء فيعترض دونه و يصير حاجزا و مانعا منه تقول فلان عُرضة دون الخير و العرضة ايضا المعرض للامر قال * ع * لا تجعلوني عرضة للوائم * و معنى

وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ

الاية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف اللهَ ان احنث في يميني فيترك البرّ ارادة البرّ في يمينه فقيل لهم [وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ] اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمّي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه و آله وسلم لعبد الرحمٰن بن سَمُرة اذا حلفتَ على يمين فرأيتَ غيرها خيرا منها فات الذي هو خير و كفّر عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه * و قوله [أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا] عطف بيان لِّأَيْمَانِكُمْ اي للامور المحلوف عليها التي هي البرّ و التقوى و الاصلاح بين الناس - فان قلت بم تعلقت اللام في لِّأَيْمَانِكُمْ - قلت بالفعل اي ولا تجعلوا اللّٰه لايمانكم برزخا و حجازا - و يجوز ان يتعلق بعُرْضَةً لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى ولا تجعلوه شيئا يعترض البرّ من اعترضني كذا - و يجوز ان يكون اللام للتعليل و يتعلق أَنْ تَبَرُّوا بالفعل او بالعرضة اي و لا تجعلوا اللّٰه لاجل ايمانكم به عرضة لأَنْ تَبَرُّوا ومعناها على الاخرى و لا تجعلوا اللّٰهَ معرّضا لِّأَيْمَانِكُمْ فتبتذلوه بكثرة الحلف به و لذلك ذَمّ من أنزل فيه وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ باشتغل المذامّ و جعل الحلّاف مقدّمتها وَأَنْ تَبَرُّوا علة للنهي اي ارادة أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا لان الحلاف مجترئ على اللّٰه غير معظّم له فلا يكون برّا متقيا و لا يثق به الناس فلا يُدخلونه في وساطاتهم و اصلاح ذات بينهم * [اللَّغْوِ] الساقط الذي لا يعتدّ به من كلام و غيره و لذلك قيل لما لا يعتدّ به في الدية من اولاد الابل لغو و اللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتدّ به في الايمان و هو الذي لا عقد معه و الدليل عليه وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُّمُ الْأَيْمَانَ * [بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ] و اختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة و اصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنّه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه - و عند الشافعي هو قول العرب لا و اللّٰه و بلى و اللّٰه مما يوكّدون به كلامهم و لا يخطر ببالهم الحلف و لو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكرَ ذلك و لعلّه قال لا و اللّٰه الفَ مرة و فيه معنيان - احدهما لَا يُؤَاخِذُكُمْ اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلف احدكم بالظن وَلٰكِنْ يعاقبكم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين و هو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله و هي اليمين الغموس - والثاني لا يواخذكم اي لا يُلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه و لكن يلزمكم الكفارة بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ اي بما نوت قلوبكم و قصدت من الايمان و لم يكن كسب اللسان وحده * [وَاللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ حيث لم يواخذكم باللغو في ايمانكم * قرأ عبد اللّٰه الَّوْا مِنْ نِّسَائِهِمْ - و قرأ ابن عباس يُقْسِمُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ - فان قلت كيف عُدّي بمِنْ و هو معدّى بعلى - قلت قد ضُمّن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنّه قيل يبعدون من نسائهم مُولين او مقسمين و يجوز ان يراد لهم [مِنْ نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ

كقولك لي منك كذا و الايلاء من المرأة ان يقول و الله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق و لا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابرهيم النخعي و حكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطي ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيئ و حنث القادر و لزمته كفارة اليمين و لا كفارة على العاجز و ان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة و عند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيئ و اما ان يطلق و ان ابى طلق عليه الحاكم * و معنى قوله [فَإِنْ فَاءُو] فان فاؤ في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فَإِنْ فَاءُو فِيهِنَّ [فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] يغفر للمؤمنين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء و هو الغالب ان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفئة التي هي مثل التوبة * [وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ] فتربصوا الى مضي المدة [فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] وعيد على اصرارهم و تركهم الفئة و على قول الشافعي معناه فَإِنْ فَاءُو وَإِنْ عَزَمُوا بعد مضي المدة - فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفئة قبل انقضاء مدة التربص - قلت موقع صحيح لان قوله فَإِنْ فَاءُو وَإِنْ عَزَمُوا تفصيل لقوله لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ و التفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول - فان قلت ما تقول في قوله فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع - قلت الغالب ان العازم للطلاق و تارك الفئة و الضرار لا يخلو من مقاولة و مدمدمة و لا بد له من ان يحدث نفسه و يناجيها بذلك و ذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان * [وَالْمُطَلَّقَاتُ] اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء - فان قلت كيف جاءت ارادتهن خاصة و اللفظ يقتضي العموم - قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح للكل و بعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك - فان قلت فما معنى الاخبار عنهن بالتربص - قلت هو خبر في معنى الامر وصل الكلام وَلْيَتَرَبَّصْنَ المطلقاتُ و اخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر و اشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا و نحوه قولهم في الدعاء رَحِمَكَ اللَّهُ اُخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها و بناءه على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تاكيد و لو قيل يتربصن المطلقات لم يكن بتلك الوكادة - فان قلت هلا قيل يتربصن ثلثة قروء كما قيل تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ و ما معنى ذكر الانفس - قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص و زيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن و ذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن و يغالبنها على الطموح و يجبرنها على التربص * و [القروء] جمع قَرْء و قُرْء و هو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان

وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ اَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّٰهُ فِيْٓ اَرْحَامِهِنَّ اِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ ۚ وَ بُعُوْلَتُهُنَّ اَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِيْ ذٰلِكَ اِنْ اَرَادُوْٓا اِصْلَاحًا ۚ

ولم يقل طهران وقوله تعالى وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ فاقام الاشهر مُقام الحيض دون الاطهار و لان الغرض الاصيل في العدة استبراءُ الرحم و الحيضُ هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر و لذلك كان الاستبراء من الامَة بالحيضة ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت و امرأة مُقرئ وقال ابوعمرو بن العلاء دنعَ فلان جارية الى فلانة تُقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء - فان قلت فما تقول في قوله تعالى فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ و الطلاق الشرعي انما هو في الطهر - قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بَقِينَ من الشهر تريد مستقبلا لثلث - و عدَّتُهن الحيض الثلث - فان قلت فما تقول في قول الاعشى • ع • لِمَا ضاع فيها من قُروء نسائكا • قلت اراد لِمَا ضاع فيها من عدة نسائك لشُهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطالَ مدة غيبته عن اهله كلّ عام لاقتحامه في الحروب و الغارات و انه تمرّ على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعْنَ فيها او اراد من اوقات نسائك فان القرء و القارئ جاءا في معنى الوقت و لم يُردْ لا حيضا و لا طهرا - فان قلت فعلام انتصب ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ - قلت على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربّص الغلاء اي يتربّصن مُضيّ ثلثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء - فان قلت لما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء - قلت يتّسعون في ذلك فيستعملون كلّ واحد من الجمعين مكان الأخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بِأَنْفُسِهِنَّ و ماهي الا نفوس كثيرة - و لعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فأُوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع - و قرأ الزهري ثَلَاثَةَ قُرُوٍّ بغير همز • [مَا خَلَقَ اللّٰهُ فِيْٓ اَرْحَامِهِنَّ] من الولد اومن دم الحيض و ذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع و لئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها - او كتمتْ حيضها و قالت و هي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق - و يجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنّة فلا يعترفن به و يجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه • [اِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ] تعظيم لفعلهن و ان من اٰمن بالله و بعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم • [و البعول] جمع بعل و التاء لاحقة لتانيث الجمع كما في الحُزونة و السُهولة - و يجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعلُ حسنُ البعولة يعني و اهل بعولتهن • [اَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ] برجعتهن - و في قراءة اُبيّ بِرَدِّتِهِنَّ [فِيْ ذٰلِكَ] في مدة ذلك التربص - فان قلت كيف جُعلوا اَحَقَّ بالرجعة كان للنساء حقًا فيها - قلت المعنى ان الرجل ان اراد الرجعة و اَبَتْها المرأة وجب ايثار قوله على قولها و كان هو احق منها لان لها حقًا في الرجعة [اِنْ اَرَادُوْٓا] بالرجعة [اِصْلَاحًا] لما بينهم و بينهن و احسانا اليهن و لم يريدوا مَضارتهن •

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۖ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ
فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا

[وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ] ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن • [بِالْمَعْرُوفِ] بالوجه الذي لا يُنكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنّف احد الزوجين صاحبه - و المراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال • [دَرَجَةٌ] زيادة في الحق وفضيلة - قيل المرأة تنال من اللذة ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها • [الطَّلَاقُ] بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع و الارسال دفعة واحدة و لم يُرد بالمرّتين التثنية و لكن التكرير كقوله ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين و نحو ذلك من التثنى التي يراد بها التكرير قولهم لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ وحَنَانَيْكَ وهَذَا دَيْكَ و ذَوَالَيْكَ • وقوله تعالى [فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ] تخييرلهم بعد ان علّمهم كيف يطلّقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بواجبهن و بين ان يُسرّحوهن السراحَ الجميلَ الذي علّمهم - و قيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلث فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ اي برجعة أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ اي بان لا يراجعها حتى تَبِينَ بالعدّة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها و ضرارها - و قيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث - وروي ان سائلا سال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم اين الثالثة فقال عليه السلام أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ - و عند ابي حنيفة و اصحابه الجمع بين التطليقتين و الثلث بدعة و السنةُ ان لا يوقع عليها الا واحدةً في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر ان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكلّ قرء تطليقة - و عند الشافعي لا باس بارسال الثلث لحديث العجلاني الذي لاعَنَ امرأته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فلم ينكر عليه - روي ان جميلة بنت عبد الله بن أُبيّ كانت تحت ثابت بن قَيْس بن شمّاس و كانت تبغضه و هو يحبّها فاتت رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم فقالت يا رسول الله لا انا و لا ثابت لا يجمع راسي و راسه شيئ و الله ما اعيب عليه في دين و لا خُلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضاً اني رفعتُ جانب الخباء فرايته اقبل في عِدّة فاذا هو اشدّهم سوادا اقصرهم قامةً و اقبحهم وجها فنزلت و كان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها و هو اول خلع كان في الاسلام - فان قلت لمن الخطاب في قوله [وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا] ان قلت الازواج لم يطابقه قوله فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ و ان قلت الائمة و الحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتين - قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول

سورة البقرة ٢ الجزء ٢ ع ١٣

اِلَّآ اَنْ يَّخَافَآ اَلَّا يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ ؕ فَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيْمَا افْتَدَتْ بِهٖ ؕ تِلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ فَلَا تَعْتَدُوْهَا ۚ وَمَنْ يَّتَعَدَّ حُدُوْدَ اللّٰهِ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ ۝ فَاِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهٗ مِنْۢ بَعْدُ حَتّٰى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهٗ ؕ

الخطاب للازواج و أخره للايمة و الحكام و نحو ذلك غير عزيز في القرآن و غيره و ان يكون الخطاب كلّه للايمة و الحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ و الايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون و المُوتون • [مِمَّآ اٰتَيْتُمُوْهُنَّ] مما اعطيتموهن من الصَدُقات • [اِلَّآ اَنْ يَّخَافَآ اَلَّا يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ] الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مَواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة و سوء خلقها • [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا] فلا جناح على الرجل فيما اَخَذَ و لا عليها فيما اعطتْ • [فِيْمَا افْتَدَتْ بِهٖ] فيما فدتْ به نفسها و اختلعت به من بذل ما اوتيتْ من المهر - و الخلعُ بالزيادة على المهر مكروه و هو جائز في الحكم - وروي ان امرأة نشزت على زوجها فرُفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزِبْل ثلث ليالٍ ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بتُّ منذ كنت عنده اقرّ لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها و لو بقُرطها قال قتادة يعني بمالها كلّه هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا - و قرئ اِلَّآ اَنْ يُّخَافَا على البناء للمفعول و ابدال اَنْ لَّا يُقِيْمَا من الف الضمير و هو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركهُ اقامةَ حدود الله ونحوه وَاَسَرُّوا النَّجْوٰى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا و يعضده قراءة عبد الله اِلَّآ اَنْ تُخَافُوْا - و في قراءة اُبيّ اِلَّآ اَنْ يَظُنَّا - ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظنّ يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظنّ • [فَاِنْ طَلَّقَهَا] الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله تعالى اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ و استوفى نصابه - او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين [فَلَا تَحِلُّ لَهٗ مِنْۢ بَعْدُ] من بعد ذلك التطليق [حَتّٰى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهٗ] حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كما التزوج و يقال فلانة ناكح في بني فلان و قد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره و هو سعيد بن المسيَّب و الذي عليه الجمهور انه لا بدّ من الاصابة لما روى عروة عن عايشة رضي الله عنها ان امرأةَ رُفاعةَ جاءت الى النبي صلّى الله عليه و اٰله و سلّم فقالت ان رفاعة طلّقني فبتُّ طلاقي و ان عبد الرحمٰن بن الزبير تزوجني و انما معه مثل هُدْبَة الثوب و انه طلقني قبل ان يمسّني فقال رسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم أ تريدين ان ترجعي الى رُفاعة لا حتى تذوقي عُسَيلته و يذوق عُسَيلتكِ - و روي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه كان قد مسّني فقال لها كذبت في قولكِ الاول فلن اصدّقكِ في الاٰخر فلبثت حتى قُبض رسولُ الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم فاتت ابابكر رضي الله عنه فقالت أ اَرْجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم حين قال لكِ ما قال فلا ترجعي اليه فلما قُبض ابوبكر رضي الله عنه قالت مثله لعمر رضي الله عنه فقال ان اتيتني بعد مرّتكِ هذه لارجمنّكِ فمنعها - فان قلت

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ ٢٣٠ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۖ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۗ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ٢٣١ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ

فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل - قلت ذهب سفيان و الاوزاعي و ابو عبيد و مالك و غيرهم الى انه غير جائز و هو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة و عنه انهما ان اضمر التحليل ولم يصرّحا به فلا كراهة - و عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم انه لعن المحلّل و المحلّل له - و عن عمر رضي الله عنه لا أوتى بمحلّل ولا محلّل له الا رجمتهما - و عن عثمان رضي الله عنه لا الّا نكاح رغبة غير مدالسة • [فَإِنْ طَلَّقَهَا] الزوج الثاني • [أَنْ يَتَرَاجَعَا] ان يرجع كلّ واحد منهما الى صاحبه بالزواج • [إِنْ ظَنَّا] ان كان في ظنّهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيّب عنهما لا يعلمه الا الله و من فسّر الظنّ ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ و المعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد و لكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد و انما يظنّ ظنّا • [فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ] اي أخر عدتهن و شارفن منتهاها و الاجلُ يقع على المدة كلها و على أخرها يقال لعمر الانسان اجلٌ و للموت الذي ينتهي به اجل و كذلك الغاية و الامد يقول النحويون من لابتداء الغاية و الى لانتهاء الغاية و قال • شعر • كلّ حي مستكمل مدة العمر • وموتٌ اذا انتهى امده • و يتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلدَ اذا شارفه و داناه و يقال قد وصلتَ ولم يصل وانما شارفَ ولانه قد عُلم ان الامساك بعد تقضّي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له و في غير عدة منه فلا سبيل له عليها • [فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ] فاما ان يُراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة • [أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ] و اما ان يخلّيها حتى تنقضي عدتها و تبين من غير ضرار • [وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا] كان الرجل يطلّق المرأة و يتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة و لكن ليطوّل العدة عليها فهو الامساك ضرارا • [لِّتَعْتَدُوا] لتظلموهن - و قيل لتُلْجئوهن الى الافتداء • [فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ] بتعريضها لعقاب الله • [وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا] اي جِدّوا في الاخذ بها و العمل بما فيها و ارعوها حقّ رعايتها و الا فقد اتخذتموها هُزُوًا و لعبًا يقال لمن لم يجدّ في الامر انما انت لاعبٌ و هازئ و يقال كن يهوديا و الا فلا تلعب بالتوراة - و قيل كان الرجل يطلّق و يُعتق و يتزوج و يقول كنتُ لاعبًا - و عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم ثلث جدهن جدٌّ و هزلهن جدٌّ الطلاق و النكاح و الرجعة • [وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ] بالاسلام و بنبوة محمد عليه السلام [وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ] من القرآن و السنة و ذكرها مقابلتها بالشكر و القيام بحقها • [يَعِظُكُمْ بِهِ] بما انزل عليكم • [فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ] اما ان يخاطب به

سورة البقرة ٢ الجزء ٢ ع ١٣

أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ

الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلمًا وقسرًا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن مَنْ شِئْنَ من الازواج - و المعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن و اما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن - روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عَضَل اخته ان ترجع الى الزوج الاول - و قيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له و الوجه ان يكون خطابًا للناس اي لا يوجدُ فيما بينكم عضلٌ لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين - و العضلُ الحبس و التضييق و منه عَضَلت الدجاجة اذا نَشِبَ بيضُها فلم يخرج و اُنشد لابن هرمة * شعر * و ان قصائدي لك فاصطنعني * عقائلُ قد عُضِلنَ عن الكفاح * و بلوغ الاجل على الحقيقة - و عن الشافعي دلّ سياق الكلامين على افتراق البلوغين * [إِذَا تَرَاضَوْا] اذا تراضى الخُطّاب و النساء [بِالْمَعْرُوفِ] بما يحسن في الدين و المروّة من الشرائط - و قيل بمهر المثل - و من مذهب ابي حنيفة انها اذا زوّجت نفسها باقلّ من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا * فان قلت لمن الخطاب في قوله [ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ] - قلت يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لكل احد و نحوه ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ * [أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ] من ادناس الاثام - وقيل أزكى واطهرُ افضل و اطيب * [وَاللَّهُ يَعْلَمُ] ما في ذلك من الزكاء و الطهر [وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] و انتم لا تعلمونه - او و الله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام و الشرائع وانتم تجهلونه * [يُرْضِعْنَ] مثل يَتَرَبَّصْنَ في انه خبر في معنى الامر الموكد * [كَامِلَيْنِ] توكيد كقوله تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ لانه مما يُتسامح فيه فتقول اقمتُ عند فلان حولين و لم تستكملهما - و قرأ ابن عباس رضي الله عنهما أَنْ يُكْمِلَ الرَّضَاعَةَ - و قرئ الرِّضَاعَةَ بكسر الراء و الرَّضْعَةَ - وَأَنْ تُتِمَّ الرَّضَاعَةُ - و أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ برفع الفعل تشبيها لأَنْ بما لتماثلهما في التاويل - فان قلت كيف اتصل قوله لِمَنْ أَرَادَ بما قبله - قلت هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هَيْتَ لَكَ لك بيان للمُهيَّت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع - و عن قتادة حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ثم انزل الله اليسرَ و التخفيف فقال [لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ] اراد انه يجوز النقصان - و عن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر - و قيل اللام متعلقة بيُرْضِعْنَ كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولدَه اي يُرضعن حولين لمن اراد ان يتمّ الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الأم و عليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الأمّ بارضاعه و هي مندوبة الى ذلك و لا تُجبر عليه - و لا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجةً او معتدةً من نكاح و عند الشافعي يجوز اذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق - فان قلت فما بال الوالدات مامورات بأَنْ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ - قلت اما ان يكون امرا على وجه الندب و اما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له ظئرا و كان الاب عاجزا عن استيجار - و قيل

سورة البقرة ٢ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُّتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُوْدِ لَهٗ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ ۗ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ اِلَّا وُسْعَهَا ۚ
الجزء ٢ لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُوْدٌ لَّهٗ بِوَلَدِهٖ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ ۚ فَاِنْ اَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا
ع ١٤

اراد الوالدات المطلقات و انجاب النفقة و الكسوة لاجل الرضاع • [وَعَلَى الْمَوْلُوْدِ لَهٗ] و على الذي يولد له و هو الوالد - و [لَهٗ] في محل الرفع على الفاعلية نحو عَلَيْهِمْ فِى الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ - فان قلت لِمَ قيل المولود له دون الوالد - قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء و لذلك ينسبون اليهم لا الى الأمّهات و انشد للمامون بن الرشيد • شعر • فانما امّهات الناس اوعية • مستودعات و للآباء ابناء • فكان عليهم ان يرزقوهن و يكسوهن اذا ارضعن لهم ولدهم كالاظار الا ترى انه ذكره باسم الولد حيث لم يكن هذا المعنى و هو قوله تعالى وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهٖ وَلَا مَوْلُوْدٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهٖ شَيْئًا • [بِالْمَعْرُوْفِ] تفسيره ما يعقبه و هو ان لا يكلّف واحد منهما ما ليس في وسعه و لا يتضارا - و قرئ لَا تُكَلَّفُ بفتح التاء و لَا تُكَلِّفُ بالنون - و قرئ لَا تُضَارُّ بالرفع على الاخبار و هو يحتمل البناء للفاعل و المفعول - و ان يكون الاصل تُضَارِرُ بكسر الراء و تُضَارَرُ بفتحها - و قرأ لَا تُضَارَّ بالفتح اكثر القرّاء - و قرأ الحسن بالكسر على النهي و هو محتمل للبنائين ايضا و يُبيّن ذلك انه قرئ لَا تُضَارَرْ و لَا تُضَارِرْ بالجزم و فتح الراء الاولى و كسرها - و قرأ ابو جعفر لَا تُضَارْ بالسكون مع التشديد على نية الوقف - و عن الاعرج لَا تُضَارْ بالسكون و التخفيف و هو من ضَارَهُ يَضِيرُهُ و نوى الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمّة فظنّه الراوي سكونا - و عن كاتب عمر بن الخطاب لَا تُضَرَّ - و المعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها و هو ان تعنّف به و تطالب منه ما ليس بعدل من الرزق و الكسوة و ان تشغل قلبه بالتعريض في شان الولد و ان تقول بعد ما الفها الصبي اطلبْ له ظئرا و ما اشبه ذلك و لا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها و كسوتها و لا ياخذه منها و هي تريد ارضاءه و لا يكرهها على الارضاع و كذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قِبَل الزوج و عن ان يلحق الضرار بالزوج من قِبَلها بسبب الولد - و يجوز ان يكون تُضَارُّ بمعنى تُضِرّ و ان يكون الباء من صلته اي لا تُضِرّ والدة بولدها فلا تُسيئ غذاءه و تعهده و لا تفرّط فيما ينبغي له و لا تدعه الى الاب بعد ما الفها و لا يُضر المولود له بان ينتزعه من يدها او يقصّر في حقها فتقصر هي في حق الولد - فان قلت كيف قيل بِوَلَدِهَا و بِوَلَدِهٖ - قلت لمّا بُنيت المرأة عن المضارّة ضيف اليها الولد استعطافا لها عليه و انه ليس باجنبي منها فمن حقّها ان تسمح عليه و كذلك الوالد • [وَعَلَى الْوَارِثِ] عطف على قوله وَعَلَى الْمَوْلُوْدِ لَهٗ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ و ما بينهما تفسيره بِالْمَعْرُوْفِ معترض بين المعطوف و المعطوف عليه فكان المعنى و على وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق و الكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها و يكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف و تجنّب الضرار - و قيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه - و اختلفوا فعند ابن ابي ليلى كلّ من ورثه

سورة البقرة ٢ الجزء ٢ ع ١٤

وَ تَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ط وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوٓا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَّآ أَتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ط وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوٓا أَنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَّ عَشْرًا ج

و عند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرّم منه و عند الشافعي لانفقة فيما عدا الولادَ - و قيل من ورثه من عصبته مثل الجد و الاخ و ابن الاخ و العمّ و ابن العمّ - و قيل المراد وارث الاب و هو الصبي نفسه و انه ان مات ابوه و ورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الامّ على ارضاعها - و قيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله و اجعله الوارثَ منا * [فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا] صادرا عن تراضٍ منهما و تشاور [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا] في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد - و قيل هو في غاية الحولين لا يُتجاوز و انما اعتبر تراضيهما في الفصال و تشاورُهما اما الاب فلا كلام فيه و اما الام فلانها احقّ بالتربية و هي اعلم بحال الصبي - و قرئ فَإِنْ أَرَادَ اسْتَرْضَعَ منقول من أَرْضع يقال أَرْضعتِ المرأة الصبيَّ و استرضعتُها الصبي فتُعدّيه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة و استنجحتُه الحاجةَ - و المعنى ان تسترضعوا المَراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحتُ الحاجة و لا تذكر من استنجحتَه و كذلك حكم كلّ مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول * [إِذَا سَلَّمْتُمْ] الى المراضع [مَا أَتَيْتُمْ] ما اردتم اتياءه كقوله تعالى إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلٰوةِ - وقرئ مَا آتَيْتُمْ من اتى اليه احسانا اذا فعله و منه قوله تعالى إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا اي مفعولا - وروى شيبانُ عن عاصم مَا أُوتِيتُمْ اي ما آتاكم الله و اقدركم عليه من الاجرة و نحوه وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ وليس التسليم بشرط للجواز و الصحّة و انما هو ندب الى الاولى - و يجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تُعطاه المُرضِع من اهنى ما يكون لتكون طيّبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبي و احتياطا في امره فأُمرنا بايتاءه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن * [بِالْمَعْرُوفِ] متعلق بسلّمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مُطيّبين لانفس المراضع بما امكن حتى يومنَ تفريطهن بقطع معاذيرهن * [وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ] على تقدير حذف المضاف اراد و ازواج الذين يتوفون منكم [يَتَرَبَّصْنَ] وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم - وقرئ يَتَوَفَّوْنَ بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة عليّ رضي الله عنه - والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤليّ كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل مَن المتوفي بكسر الفاء فقال الله تعالى و كان احدَ الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره ان يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة * [يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَّ عَشْرًا] يعتددنَ هذه المدة و هي اربعة اشهر و عشرة ايام - وقيل عشرٌ ذهابا الى الليالي و الايامُ داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صُمت عشرا ولو ذكّرت خرجت من كلامهم ومن البيّن

سورة البقرة ٢ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ
الجزء ٢ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ
ع ١٤ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ

هذه قوله تعالى إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا - ثم إن لبثتم إلا يوما * [فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ] فاذا انقضت عدتهن [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ] ايها الائمة و جماعة المسلمين [فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ] من التعرض للخطاب [بِالْمَعْرُوفِ] بالوجه الذي لا ينكره الشرع - و المعنى انهن لو فعلن ما هو منكرٌ كان على الائمة ان ينكفوهن و ان فرّطوا كان عليهم الجناح * [فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ] هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة و من غرضي ان اتزوج و عسى الله ان يُيسّر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام المُوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك - و روى ابن المبارك عن عبد الرحمٰن بن سليمان عن خالته قالت دخل عليّ ابو جعفر محمد بن علي و انا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و حق جدي عليّ رضي الله عنه و قدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك أتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلتُ انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و موضعي - قد دخل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على ام سلمة و كانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله و هو يتحامل على يده حتى اثّر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة - فان قلت اي فرق بين الكناية و التعريض - قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له و التعريض ان تذكر شيئا تدلّ به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلّم عليك و لانظر الى وجهك الكريم و لذلك قالوا * ع * و حسبك بالتسليم مني تقاضيا * و كانه اضافة الكلام الى غرض يدل على الغرض و يسمّى التلويح لانه يلوّح منه ما يريده * [أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ] او سترتم و اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرّضين ولا مصرّحين * [عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ] لا محالة ولا تتفقون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه و فيه طرف من التوبيخ كقوله عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ - * فان قلت اين المستدرك بقوله وَلَٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ] - قلت هو محذوف لدلالة قوله سَتَذْكُرُونَهُنَّ عليه تقديره عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ ستذكرونهن فاذكروهن وَلَٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا - و السِّرّ وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسرّ قال الاعشى * شعر * و لا تقربن جارة ان سرّها * عليك حرام فانكحن او تابدا * ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما سُمّي بالنكاح * [إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا] و هو ان تعرّضوا و لا تصرّحوا - فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء - قلت لا تُواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سِرًّا لانه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض - و قيل معناه

حَتّٰى يَبْلُغَ الْكِتٰبُ اَجَلَهٗ ؕ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا فِيْٓ اَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوْهُ ۚ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ حَلِيْمٌ ۝ ع
لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوْهُنَّ اَوْ تَفْرِضُوْا لَهُنَّ فَرِيْضَةً ۚ وَّمَتِّعُوْهُنَّ ۚ عَلَى الْمُوْسِعِ قَدَرُهٗ
وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهٗ ۚ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوْفِ ۚ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِيْنَ ۝ وَاِنْ طَلَّقْتُمُوْهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمَسُّوْهُنَّ
وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيْضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ اِلَّآ اَنْ يَّعْفُوْنَ

لا تواعدوهن جماعا و هو ان يقول لها ان نكحتُك كان كيت و كيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الاّ اَنْ تَقُوْلُوْا قَوْلًا مَّعْرُوْفًا يعني من غير رفث و لا افحاش فى الكلام - و قيل لا تواعدوهن سرّا اي نى السرّ على ان المواعدة فى السرّ عبارة عن المواعدة بما يستهجنُ لان مسارّتهن فى الغالب مما يستحيى من المهاجرة به - و عن ابن عباس رضي الله عنهما اِلَّا اَنْ تَقُوْلُوْا قَوْلًا مَّعْرُوْفًا هو ان يتواثقا على ان لا تتزوج غيرَه * [وَلَا تَعْزِمُوْا عُقْدَةَ النِّكَاحِ] من عَزم الامرَ و عزم عليه و ذِكرُ العزم مبالغة فى النهي عن عقد النكاح فى العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى - و معناه ولا تعزموا عقد عُقْدة النكاح - و قيل معناه و لا تقطعوا عقدة النكاح و حقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيامَ من الليل و روي لم يبيّت الصيام * [حَتّٰى يَبْلُغَ الْكِتٰبُ اَجَلَهٗ] يعني ما كُتب و فُرض من العدة * [يَعْلَمُ مَا فِيْٓ اَنْفُسِكُمْ] من العزم على ما لا يجوز [فَاحْذَرُوْهُ] ولاتعزموا عليهم * [غَفُوْرٌ حَلِيْمٌ] لا يعاجلكم بالعقوبة * [لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ] لا تبعة عليكم من ايجاب مهر [اِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوْهُنَّ] ما لم تجامعوهن [اَوْ تَفْرِضُوْا لَهُنَّ فَرِيْضَةً] الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا - وفرضُ الفريضة تسميةُ المهر و ذلك ان المطلقة غيرَ المدخول بها ان سُمّي لها مهر فلها نصف المسمى و ان لم يسمّ لها فليس لها نصف مهر المثل و لكن المتعة و الدليلُ على ان الجناح تبعة المهر قوله وَاِنْ طَلَّقْتُمُوْهُنَّ الى قوله فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ فقوله فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ اثبات للجناح المنفي ثمه - و المتعةُ درع و ملحفة و خمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقلّ من ذلك فلها الاقلّ من نصف مهر المثل و من المتعة و لا تنقص من خمسة دراهم لان اقلّ المهر عشرة دراهم فلا تنقص من نصفها * و [الْمُوْسِعِ] الذي له سعة * وَ [الْمُقْتِرِ] الضيّق الحال * و [قَدَرُهٗ] مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به - و قرئ بفتح الدال و اَلْقَدْر و اَلْقَدَر لغتان - و عن النبي صلّى الله عليه و اله وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوّج امرأة و لم يسمّ لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها أَمْتِعْهَا قال لم يكن عندي شيء قال متّعها بقَلَنْسُوَتِك - و عند اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها و يُستحب لسائر المطلقات و لا تجب * [مَتَاعًا] تاكيد لِمَتِّعُوْهُنَّ بمعنى تمتيعا [بِالْمَعْرُوْفِ] بالوجه الذي يحسن فى الشرع و المروة * [حَقًّا] صفة لمَتَاعًا اي متاعا واجبا عليهم او حُقّ ذلك حقًّا * [عَلَى الْمُحْسِنِيْنَ] على الذي يُحسنون الى المطلقات بالتمتيع و سمّاهم قبل الفعل محسنين كما قال صلّى الله عليه و اله و سلم من قتل قتيلا فله سلبه * [اِلَّا اَنْ يَّعْفُوْنَ] يريد المطلقات - فان قلت اىّ فرق بين قولك الرجال

أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝

يعفُون و النساء يعفُون - قلبت الواو في الاول ضميرهُنّ و النون علم الرفع و الواو في الثاني لام الفعل و النون ضمير هُنّ و الفعل مبنيّ لاتّرفي لفظه للعامل وهو في محل النصب • [أَوْ يَعْفُوَ] عطف على محله • و [الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ] الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر و تقول المرأة ما راني ولا خدمتُه ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا - او يَعْفُوَ الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي - و قيل هو الزوج و عفوه ان يسوق اليها المهر كُمّلا و هو مذهب ابي حنيفة و الاول ظاهر الصحّة - وتسميةُ الزيادة على الحق عفوًا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها - او سمّاه عفوا على طريق المشاكلة - و عن جُبَير بن مُطعِم انه تزوج امرأةً و طلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احقّ بالعفو - و عنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتًا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كملا فقيل له لِمَ تزوجتها فقال عَرَضها عليّ فكرهتُ ردّه قيل فلِمَ بعثت بالصداق قال فاين الفضل - و [الْفَضْلَ] التفضّل اي و لا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض و تتمرّدوا و لا تسقصوا - و قرأ الحَسَن أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بسكون الواو - و اسكانُ الواو و الياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها • و قرأ ابونهيك و ان يَعْفُوَ بالياء • و قرئ و لا تَنْسَوِا الْفَضْلَ بكسر الواو • [وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ] اي الوسطى بين الصلوات - او الفضلى من قولهم للافضل الاوسطُ - وانما افردت و عطفتْ على الصَّلَوات لانفرادها بالفضل و هي صلوةُ العصر - و عن النبي صلّى الله عليه و آله وسلّم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر مَلَأَ الله بيوتهم نارًا و قال عليه السلام انها الصلوة التي شُغل عنها سليمٰن بن داؤد حتى توارت بالحجاب - و عن حفصةَ انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغتَ هذه الاية فلا تكتبها حتى املِيها عليك كما سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم يقرؤها فاملتْ عليه وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ صَلَوةِ العَصْرِ - و روي عن عايشة و ابن عباس رضي الله عنهم وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَصَلَوةِ الْعَصْرِ بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين - احدهما الصلوة الوسطى إمّا الظهر و اما الفجر و اما المغرب على اختلاف الروايات فيها - و الثانيةُ العصر - وقيل فضلها اما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم و معايشهم - و عن ابن عمر رضي الله عنهما هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم يصلّيها بالهاجرة و لم تكن صلوة اشدّ على اصحابه منها - و عن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار و صلوتي الليل - و عن قَبيصة بن ذُويب هي المغرب لانها وتر النهار و لا تنقص في السفر من الثلث - و قرأ عبد الله وَعَلَى الصَّلَوةِ الْوُسْطَى و قرأت عايشة رضي الله عنها وَالصَّلَوةَ الْوُسْطَى بالنصب على المدح و الاختصاص - و قرأ نافع الْوُسْطَى • [وَقُومُوا لِلَّهِ]

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝ وَالَّذِينَ
يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا ۖ وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۖ

می الصلوٰة [قٰنِتِيْنَ] ذاكرين لله می قيامكم و القنوت ان تذكر الله قائما - و عن عكرمة كانوا يتكلمون فی الصلوٰة فنُهوا - و عن مجاهد هو الركوع و كفّ الايدي و البصر - و روي انهم كانوا اذا قام احدهم الی الصلوٰة هابَ الرحمٰن ان يمدّ بصره او يلتفت او يقلّب الحصی او يحدث نفسه بشيئ من امور الدنيا • [فَإِنْ خِفْتُمْ] فان كان بكم خوف من عدو او غيره [فَرِجَالًا] فصلّوا راجلين و هو جمع راجل كقائم و قيام او رَجِل يقال رَجُل رَجِل اي راجل - و قرئ فرُجَالًا بضم الراء و رُجَّالًا بالتشديد و رَجْلا - و عند ابي حنيفة لا يصلّون في حال المشي و المسايفة مالم يمكن الوقوف - و عند الشافعي يصلّون في كلّ حال و الراكب يُومي و يسقط عنه التوجه الی القبلة • [فَإِذَا أَمِنْتُمْ] فاذا زال خوفكم [فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ] من صلوٰة الامن - او فاذا امنتم فاشكروا الله علی الامن و اذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع و كيف تصلّون في حال الخوف و في حال الامن • تقديره فيمن قرأ وَصِيَّةً بالرفع و وصية الذين يتوفون - او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم - او و الذين يتوفون اهل وصية لازواجهم - و فيمن قرأ بالنصب و الذين يتوفون يوصون وصيّة كقولك انما انت سيرَ البريد باضمار تسير او الزم الذين يتوفون وصيةً و تدل عليه قراءة عبد الله كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْوَصِيَّةُ لِأَزْوَاجِكُمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ مكان قوله [وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ] - و قرأ ابيّ مَتَاعٌ لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا - و روي عنه مَتَاعٌ لِأَزْوَاجِهِمْ - وَمَتَاعًا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل - و علی قراءة ابيّ مَتَاعًا نصب بمَتَاعٌ لانه في معنی التمتيع كقولك الحمد لله حمدَ الشاكرين و اعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا • و [غَيْرَ إِخْرَاجٍ] مصدر موكّد كقولك هذا القول غيرَ ما تقول او بدل من مَتَاعًا او حال من الأزواج اي غيرَ مخرجات - و المعنی ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصّوا قبل ان يُحتضَروا بان تُمتَّع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته و لا يُخْرَجْنَ من مساكنهن و كان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا - و قيل نسخ ما زاد منه علی هذا المقدار و نسخت النفقة بالارث الذي هو الربع و الثمن - و اختلف في السكنی فعند ابي حنيفة و اصحابه لا سكنی لهن • [فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ] من التزين و التعرض للخُطّاب [مِنْ مَعْرُوفٍ] مما ليس بمنكر شرعا - فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمةُ المتاخرةَ - قلت قد يكون الاية متقدمة في التلاوة وهي متاخرة في التنزيل كقوله تعالی سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مع قوله قد نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ • [وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ] عمّ المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن و هي المطلّقة الغير المدخول بها وقال

سورة البقرة ٢ الجزء ٢ ع ١٦

حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۝ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيٰتِهٖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ع اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ اُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ۖ فَقَالَ لَهُمُ اللّٰهُ مُوتُوا ثُمَّ اَحْيَاهُمْ ۗ اِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضٰعِفَهٗ لَهٗ اَضْعَافًا كَثِيرَةً ۗ وَاللّٰهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ ۖ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ اَلَمْ تَرَ اِلَى الْمَلَاِ مِنْ بَنِي اِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسٰى ۘ اِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ

[حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ] كما قال ثمه حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ - و عن سعيدبن جبير و ابى العالية والزهري انها واجبة لكل مطلّقة - وقيل قد تناولت التمتيعَ الواجبَ و المستحبَ جميعا - وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة • [اَلَمْ تَرَ] تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب و اخبار الاولين و تعجيبٌ من شانهم - و يجوز ان يخاطب به من لم يَرَ ولم يسمع لان هذا الكلام جرىٰ مجرى المثل في معنى التعجيب - روي ان اهل دَاوَرْدَانَ قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا و يعلموا انه لا مفرّ من حكم الله و قضائه - و قيل مرّ عليهم حزقيل بعد زمان طويل و قد عريت عظامهم و تفرقت اوصالهم فلوى شدقه و اصابعه تعجبا مما راى فاوحى اليه نادِ فيهم اَنْ قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم و بحمدك لا اله الا انت - و قيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرًا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم • [وَهُمْ اُلُوفٌ] فيه دليل على الالوف الكثيرة - و اختلف في ذلك فقيل عشرة و قيل ثلثون و قيل سبعون و من بدع التفاسير الوف متآلفون جمع الف كقاعد و قعود • فان قلت ما معنى قوله [فَقَالَ لَهُمُ اللّٰهُ مُوتُوا] - قلت معناه فاماتهم و انما جيئ به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله و مشيته و تلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيئ فامتثلوه امتثالا من غير اباء و لا توقف كقوله تعالى اِنَّمَا اَمْرُهٗ اِذَا اَرَادَ شَيْئًا اَنْ يَقُولَ لَهٗ كُنْ فَيَكُونُ و هذا تشجيع للمسلمين على الجهاد و التعرض للشهادة و ان الموت اذا لم يكن منه بدٌّ و لم ينفع منه مفرٌّ فاولى ان يكون في سبيل الله • [لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ] حيث يبصّرهم ما يعتبرون به و يستبصرون كما بصّر اولئك وكما بصّركم باقتصاص خبرهم - اولَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ حيث احيى اولئك ليعتبروا بموتهم و لوشاء لتركهم موتى الى يوم البعث - والدليلُ على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله • [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ] يسمع ما يقوله المتخلفون و السابقون • [عَلِيمٌ] بما يضمرونه و هو من وراء الجزاء • [اقراض الله] مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه و القرضُ الحسن اما المجاهدة في نفسها و اما النفقة في سبيل الله • [اَضْعَافًا كَثِيرَةً] قيل الواحد بسبعمائة - و عن السدي كَثِيرَةً لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا اِلَّا اللّٰهُ • [وَاللّٰهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ] يوسع على عباده و يُقتر فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة • [وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] فيجازيكم بما قدّمتم • [لِنَبِيٍّ لَهُمْ] هو يوشع او شمعون

سورة البقرة ٢ الجزء ٢ ع ١٦

ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا
أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللّٰهُ
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّٰهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ
أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ

او اشمويل *[ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا] انْهَضْ للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه و ننتهي الى امره طلبوا من نبيّهم نحو ما كان يفعل رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اله و سلّم من التامير على الجيوش التي كان يجهّزها و من امرهم بطاعته و امتثال اوامره - و روي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم * [نُقَاتِلْ] قرئ بالنون و الجزم على الجواب و بالنون و الرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدّرين القتال - او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل - و قرئ يُقَاتِلْ بالياء و الجزم على الجواب و بالرفع على انه صفة لمَلِكًا * و خبر عَسَيْتُمْ [أَلَّا تُقَاتِلُوا] و الشرطُ فاصل بينهما - و المعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقّعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جُبْنكم عن القتال فَادخل هَلْ مستفهما عمّا هو متوقع عنده و مَظنون و اراد بالاستفهام التقريرَ و تثبيتَ ان المتوقع كائن و انه صائب في توقعه كقوله تعالى هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ معناه التقرير - و قرئ عَسِيتُمْ بكسر السين و هي ضعيفة * [وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] و اىّ داعٍ لنا الى ترك القتال و اىّ غرض لَنا فيه [وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا] و ذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر و فلسطين فَاَسَرُوا من ابْنَاء ملوكهم اربعمائة و اربعين * [إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ] قيل كان القليل منهم ثلثمائة و ثلثة عشر على عدد اهل بدر *[وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ] وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال و ترك الجهاد * [طَالُوتَ] اسم اعجمي كجالوت و داؤد انما امتنع من الصرف لتعريفه و عُجمته و زعموا انه من الطُّول لما وُصف به من البسطة في الجسم و وزنُه ان كان من الطُّول فَعَلُوت منه اصله طَوَلوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيًّا كما وافق حِنْطا حنطة و بِشْمالَها رَخْمانا رَحيما بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم فهو من الطُّول كما لو كان عربيا و كان احد سببيه العجمةَ لكونه عبرانيا *[أَنَّىٰ] كيف و من اين و هو انكار لتملّكه عليهم و استبعاد له - فان قلت ما الفرق بين الواوين في وَنَحْنُ أَحَقُّ - وَلَمْ يُؤْتَ. قلت الاولى للحال و الثانية لعطف الجملة الواقعة حالا على الجملة الواقعة حالا فانتظمتهما معًا في حكم واو الحال - و المعنى كيف يتملّك علينا و الحال انه لا يستحق التملّك لوجود من هو احق بالملك و انه فقير و لابد للملك من مال يعتضد به - و انما قالوا ذلك لان النبوّة كانت في سبط لاوى بن يعقوب و المُلْك في سبط يهوذا لم يكن طالوت من احد السبطين و لانه كان رجلا سقاء او دبّاغا فقيرًا - و روي ان نبيّهم دعا اللّٰهَ حين طلبوا منه مَلِكا ماتي بعصًا يقاس بها من يُملّك عليهم فلم يساوها الا طالوت *[قَالَ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ] يريد ان اللّٰه

وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ط وَاللّٰهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَّشَآءُ ط وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ
اِنَّ اٰيَةَ مُلْكِهٖٓ اَنْ يَّاْتِيَكُمُ التَّابُوْتُ فِيْهِ سَكِيْنَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ اٰلُ مُوْسٰى وَاٰلُ هٰرُوْنَ تَحْمِلُهُ الْمَلٰٓئِكَةُ ط

هو الذي اختاره عليكم و هو اعلم بالمصالح منكم و لا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب و المال و هما العلم المبسوط و الجسامة و الظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب - و يجوز ان يكون عالما بالديانات و بغيرها - و قيل قد اوحي اليه و نبئ و ذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به و ان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس و اهيب في القلوب * [و البسطة] السعة و الامتداد - و روي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه * [يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَّشَآءُ] اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه مَنْ يَّشَآءُ من يستصلحه للملك * [وَاللّٰهُ وَاسِعٌ] الفضل و العطاء يوسع على من ليس له سعة من المال و يغنيه بعد الفقر * [عَلِيْمٌ] بمن يصطفيه للملك * [التَّابُوْتُ] صندوق التوراة و كان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل و لا يفرون * و [السكينة] السكون و الطمانينة - و قيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر و ذنب كذنبه و جناحان فَنَفَّ فيَزِفّ التابوت نحو العدو و هم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا و سكنوا و نزل النصر - و عن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان و فيها ريح هفافة * [وَبَقِيَّةٌ] هي رُضاض الالواح و عصا موسى و ثيابه و شيء من التوراة و كان رفعه الله تعالى بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله و هم ينظرون اليه فكان ذلك اية لاصطفاء الله طالوت - و قيل كان مع موسى و مع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم بلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت - و قيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين - و قرأ ابي و زيد بن ثابت التَّابُوهُ بالهاء و هي لغة الانصار - فان قلت ما وزن التابوت - قلت لا يخلو من ان يكون فَعَلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سَاسُمٌ و قَلِقٌ و لانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذا فَعَلوت من التوب و هو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء و تُودَع فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه و صاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته - و اما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس و انهما من حروف الزيادة و لذلك ابدلت من تاء التانيث - و قرأ ابو السمال سَكِيْنَةٌ بفتح السين و التشديد و هو عربي - و قرئ تَحْمِلُهُ بالياء - فان قلت مَنْ [اٰلُ مُوْسٰى وَاٰلُ هٰرُوْنَ] - قلت الانبياء من بني يعقوب بعدهما الا ان عمران هو ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما - و يجوز ان يراد مِمَّا تَرَكَهُ مُوْسٰى و هٰرُوْن و الْ مقحم للتفخيم شانهما * [فَصَلَ] عن موضع كذا اذا انفصل عنه و جاوزه و اصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ ع فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ج فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ج وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ج فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ط فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ط قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ط وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝

حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل - وقيل فصل عن البلد فُصُولا - ويجوز ان يكون فَصَلَه فَصْلا وفَصَل فُصُولا كوقفَ وصدَّ ونحوهما - والمعنى انفصل عن بلده بالجنود - روي انه قال لقومه لا يخرجْ معي رجل بنى بناءً لم يفرغ منه ولا تاجرٌ مشتغل بالتجارة ولا رجل متزوّج بامرأة لم يَبْنِ عليها ولا ابتعي الا الشابَّ النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قَيْظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يُجري الله لهم نهرا فقال [إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم] بما اقترحتموه من النهر [فَمَن شَرِبَ مِنْهُ] فمن ابتدأ شُرْبَه من النهر بان كرع فيه [فَلَيْسَ مِنِّي] فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما - ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي *[وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ] ومن لم يذقه من طَعِم الشيءَ اذا ذاقه ومنه طَعْم الشيء لمذاقه قال * ع * وان شئت لم اطعم نُقاخا ولا بَرْدا * الاترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويتال ما ذُقتُ غَماضاً ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل أَيْلَةَ من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شُرَّعًا بل هو اشدّ منه واصعب وانما عرف ذلك طالوتُ باخبار من النبيّ وان كان نبيًّا كما يروى عن بعضهم فبالوحي - وقرئ بنَهْرٍ بالسكون - فان قلت مما استثني قوله [إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ] قلت من قوله فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا انها قدمت للعناية كما قدّم وَالصَّابِئُونَ في قوله إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليلُ عليه قوله [فَشَرِبُوا مِنْهُ] اي مكرعوا فيه [إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ] - وقرئ غَرْفَةً بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف - وقرأ أُبيٌّ والاعمش إِلَّا قَلِيلٌ بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبًا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فَشَرِبُوا مِنْهُ في معنى فلم يطيعوه حُمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ونحوه قول الفرزدق * ع * لم يدعْ * من المال الا مُسْحَتٌ او مجلّف * كانه قال لم يبق من المال الا مسحتٌ او مجلّف - وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا * [وَالَّذِينَ آمَنُوا] يعني القليل [قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ] يعني الخُلّص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاءَ الله وايقنوه - او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة - وقيل الضمير في قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا للكثير الذين انخزلوا وَالَّذِينَ يَظُنُّونَ هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهرُ بينهما يُظهر اولئك عذرهم في الانخزال ويَرُدّ عليهم هؤلاء ما يعتذرون به - وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه

سورة البقرة ٢ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝
الجزء ٣ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ۙ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
ع ١٧ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ
وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ

اسودت شفاههم و غلبهم العطش * و [جالوت] جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد و كانت بيضته فيما ثلثمائة رطل * [وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا] و هب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب و الجاءة الرعب في قلب العدو و نحو ذلك من الاسباب * كان ايشى ابو داؤد في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داؤد سابعهم و هو صغير يرعى الغنم فأوحي الى اشموبل ان داؤد بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء و قد مرّ في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله و قالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته و رمى بها جالوت فقتله و زوّجه طالوت بنته - و روي انه حسده و اراد قتله ثم تاب * [وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ] في مشارق الارض المقدسة و مغاربها و ما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داؤد * [وَالْحِكْمَةَ] و النبوة * [وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ] من صنعة الدروع و كلام الطير و الدواب و غير ذلك * [وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ] و لولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض و يكف بهم فسادهم لغلب المفسدون و فسدت الارض و بطلت منافعها و تعطلت مصالحها من الحرث و النسل و سائر ما يعمر الارض - و قيل و لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها و قتل المسلمين او لولم يدفعهم بهم لعم الكفر و نزلت السخطة فاستوصل اهل الارض * [تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ] يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف و اماتتهم و احيائهم و تمليك طالوت و اظهاره بالاية التي هي نزول التابوت من السماء و غلبة الجبابرة على يد صبي * [بِالْحَقِّ] باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك * [وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ] حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب و لا سماع اخبار * [تِلْكَ الرُّسُلُ] اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله * [فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ] لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات * [مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ] منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير و هو موسى عليه السلام - و قرئ كَلَّمَ اللَّهَ بالنصب - و قرأ اليماني كَالَّمَ اللَّهَ من المكالمة و يدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه * [وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ] اي و منهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة و الظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه و آله و سلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الايات المتكاثرة المترتبة الى الف اية او اكثر و لو لم يوت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء من المعجزة الدائمة على وجه الدهر دون سائر المعجزات و في هذا الابهام من تفخيم فضله و اعلاء قد

وَاٰتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنٰتِ وَاَيَّدْنٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ وَلٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ اٰمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلُوا ۖ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ
يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوٓا اَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنٰكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ
وَالْكٰفِرُونَ هُمُ الظّٰلِمُونَ ۝ اَللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ۚ اَلْحَيُّ

ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العَلَم الذي لا يشتبه و المتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعلَ هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تُعُرِّف و اشتُهِر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به و آدَهَ بصاحبه - و سُئل الحُطَيْئَة عن اشعر الناس فذكر زهيراً و النابغة ثم قال و لو شئتُ لذكرت الثالثَ اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يُفخِّم امرَه - ويجوز ان يريد ابرهيم ومحمدا و غيرهم من اولى العزم من الرُّسُل - و عن ابن عباس رضي الله عنه كنّا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحاً بطول عبادته و ابرهيم بخُلّته و موسى بتكليم الله اياه و عيسى برفعه الى السماء و قلنا رسول الله افضلُ منهم بُعث الى الناس كافّة و غُفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تاخّر و هو خاتم الانبياء فدخل فقال فيمَ انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريّا فذكر انه لم يعمل سيئة قطّ و لم يهمّ بها - فان قلت فلم خصّ موسى و عيسى من بين الانبياء بالذكر - قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة و لقد بيّن الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من القضل و هو اية من الايات فلما كان هذان النبيّان قد اوتيا ما اوتيا من عِظام الآيات خُصّا بالذكر في باب التفضيل و هذا دليل بيّن ان مَن زِيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فُضّل على غيره ولما كان نبيّنا صلى الله عليه و آله وسلم هو الذي أُوتِي منها ما لم يوتَ احد في كثرتها و عِظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللّهم ارزقنا شفاعته يوم الدين * [وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ] مشيئة الجاء و قسر [مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ] من بعد الرُّسُل لاختلافهم في الدين و تشعّب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا * [وَلٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ اٰمَنَ] لالتزامه دينَ الانبياء [وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ] لاعراضه عنه * [وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلُوا] كرره للتاكيد * [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ] من الخذلان و العصمة * [اَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنٰكُمْ] اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به * [مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَ يَوْمٌ] لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه [لَا بَيْعٌ فِيهِ] حتى تبتاعوا ما تنفقونه [وَلَا خُلَّةٌ] حتى يسامحكم اَخِلّاؤكم به و ان اردتم ان يحطّ عنكم ما في ذمّتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حطّ الواجبات لان الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير * [وَالْكٰفِرُونَ هُمُ الظّٰلِمُونَ] اراد و التاركون الزكوة هم الظالمون فقال وَالْكٰفِرُونَ للتغليظ كما قال في اية الحجّ وَمَنْ كَفَرَ مكان و من لم يحجّ و انه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ - و قرئ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ بالرفع * [اَلْحَيُّ] الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء و هو على اصطلاح المتكلّمين الذي يصح

سورة البقرة ٢ الحمد ٣ ع ١

الْقَيُّومُ ج لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ط لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ط مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ط
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ج وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ج وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ ج
وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ج وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝

ان يعلم و يقدر • و [الْقَيُّومُ] الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه - و قرئ القَيَّامُ و القَيِّمُ • و [السِّنَة] ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمّى النُّعاسَ قال ابن الرقاع العاملي • شعر • وسْنانُ اقصدَه النعاس فرنّقت • في عينه سِنَةٌ و ليس بنائم • اي لا ياخذه نعاس و لا نوم و هو تاكيد للقَيُّوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما - و منه حديث موسى انه سأل الملائكة و كان ذلك من قومه كطلب الرؤية أَيَنَامُ رَبُّنَا فاوحى اللّٰه اليهم ان يوقظوه ثلثا و لا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوّتين فاخذهما و القى اللّٰه عليه النعاس فضرب احدٰيهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهؤلاء اني أمسك السموات و الارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا • [مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ] بيان لملكوته و كبريائه و ان احدا لايتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا أذن له فى الكلام كقوله تعالى لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ • [يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ] ما كان قبلهم و ما يكون بعدهم - و الضمير لما فى السموات و الارض لان فيهم العقلاء او لما دلّ عليهم مَنْ ذا من الملائكة و الانبياء • [مِنْ عِلْمِهِ] من معلوماته [إِلَّا بِمَا شَاءَ] الا بما علم • [الكرسيّ] ما يُجْلَس عليه و لا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وَسِعَ كُرْسِيُّهُ اربعة اوجه - احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات و الارض لبسطته وسعته و ما هو الا تصوير لعظمته و تخييل فقط و لا كرسي ثمه و لا قعود و لا قاعد كقوله وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ - وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ - و السَّمٰوٰتُ مَطْوِيّٰتٌ بِيَمِينِهِ من غير تصور قبضة وطيّ و يمين انما هو تخييل لعظمة شانه و تمثيل حسّي الا ترى الى قوله وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ - و الثاني وسع علمُه وسمّي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالِم - و الثالث وسع ملكُه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملِك - و الرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات و الارض وهو الى العرش كاصغر شيئ - و عن الحسن الكرسي هو العرش • [وَلَا يَئُودُهُ] و لا يُثقله ولا يشقّ عليه • [حِفْظُهُمَا] حفظ السموات و الارض • [وَهُوَ الْعَلِيُّ] الشان [الْعَظِيمُ] الملك والقدرة - فان قلت كيف ترتّبت الجُمَل في أية الكرسي من غير حرف عطف - قلت ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه و البيان متحد بالمبيّن فلو توسّط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا و لحائها - فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق و كونه مُهَيْمِنا عليه غير ساه عنه - و الثانية لكونه مالكا لما يدبّره - و الثالثة لكبرياء شانه - و الرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة و غير المرتضى - و الخامسة لسعة علمه و تعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله و عظم قدره - فان قلت لم فضلت هذه الاية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم ما قرئت هذه الاية في

لَآ اِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ ۚ قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَّكْفُرْ بِالطَّاغُوْتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى ۚ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَ اللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ۝ اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ ۗ وَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا

دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما و لا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا عليُّ عَلِّمها ولدَك و اهلَك و جيرانَك فما نزلت اية اعظم منها - و عن عليّ رضي الله عنه سمعت نبيّكم صلّى الله عليه و اله و سلّم على اعواد المنبر و هو يقول من قرأ اية الكرسي في دُبر كلّ صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنّة الا الموت و لا يُواظب عليها الا صدّيق او عابد و من قرأها اذا اخذ مضجعه أمنه الله على نفسه و جاره و جار جاره و الابيات حوله - و تذاكر الصحابة رضوان الله عليهم افضلَ ما في القرآن فقال لهم عليّ رضي الله عنه اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم يا عليّ سيّدُ البشر آدم و سيد العرب مُحمّد ولا فخر و سيد الفُرس سَلمانُ و سيد الروم صُهيْب و سيد الحبشة بلال و سيد الجبال الطور و سيد الايام يوم الجمعة و سيد الكلام القرآن و سيد القرآن البقرة و سيد البقرة اية الكرسي - فلمّا فضّلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله تعالى و تعظيمه و تمجيده و صفاته العظمى و لا مذكور اعظم من ربّ العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار و بهذا يعلم ان اشرف العلوم و اعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل و التوحيد، ولا يغرّنك عنه كثرة اعدائه فـــان العرانينَ نَلْقاها مُحسَّدة • [لَآ اِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ] اي لم يُجبر الله امر الايمان على الاجبار و القسر و لكن على التمكين و الاختيار و نحوه قوله تعالى وَلَوْشَاءَ رَبُّكَ لَاٰمَنَ مَنْ فِي الْاَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيْعًا اَفَاَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتّٰى يَكُوْنُوْا مُؤْمِنِيْنَ اي لوشاء لَقَسرهم على الايمان و لكنه لم يفعل و بنى الامر على الاختيار • [قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ] قد تميّز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة [فَمَنْ يَّكْفُرْ بِالطَّاغُوْتِ] فمن اختار الكفر بالشيطانِ او الاصنامِ - والايمانَ بالله [فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى] من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها و هذا تمثيل للمعلوم بالنظرِ و الاستدلالِ بالمُشاهَد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيُحكم اعتقاده والتيقن به - و قيل هو اخبار في معنى النهي اي لاتُكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله وَجَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنٰفِقِيْنَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ - و قيل هو في اهل الكتاب خاصّة لانهم خَصَّصُوا انفسهم بادآء الجزية - و روي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنانِ تنصّرا قبل ان يُبْعث رسول الله صلّى الله عليه و اله وسلّم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما و قال و الله لا ادَعُكما حتى تُسلما فَاَبَيا فاختصموا الى رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم فقال الانصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النارَ و انا انظر فنزلت فخلّاهما • [اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا] اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يُخرجهم بلطفه و تاييده من الكفر الى الايمان • [وَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا] اي صمّموا على الكفر امرُهم على عكس ذلك - او الله وليّ

سورة البقرة ٢ الجزء ٣ ع ٢

اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ط اولئك اصحب النار ج هم فيها خلدون ۝
الم تر الى الذي حاج ابرهم في ربه ان اتاه الله الملك ج اذ قال ابرهم ربي الذي يحي ويميت
قال انا احي واميت ط قال ابرهم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت
الذي كفر ط والله لا يهدي القوم الظلمين ۝ او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ج قال انى
يحي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه ط قال كم لبثت ط قال لبثت يوما او بعض يوم ط

المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم و يوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين و الذين كفروا اولياءهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك و الشبهة • [الم تر] تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره به • [ان اتاه الله الملك] متعلق بحاج على وجهين - احدهما حاج لان اتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره و اورثه الكبر و العتو فحاج لذلك - او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان اتاه الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان و نحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون - و الثاني حاج وقت ان اتاه الله ملكه - فان قلت كيف جاز ان يوتي الله الملك الكافر - قلت فيه قولان أنا ما غلب به و تسلط من المال و الخدم و الاتباع و اما التغليب و التسليط فلا - و قيل ملكه امتحانا لعباده • و [اذ قال] نصب بحاج او بدل من ان اتاه اذا جعل بمعنى الوقت • [انا احي و اميت] يريد اعفي عن القتل و اقتل و كان الاعتراض عتيدا ولكن ابرهيم لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه و لكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليدهته اول شيء و هذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة - وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابرهيم الكافر - و قرأ ابو حيوة فبهت بوزن ضرب - و قيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام و سجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحي ويميت • [او كالذي] معناه او رايت مثل الذي مر حذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجب - و يجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت كالذي حاج ابرهيم - او كالذي مر على قرية و اما ركن كافرا بالبعث و هو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك و لكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي - و قيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم عليه السلام • و قوله [انى يحيي] اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة لاحياء و استعظام لقدرة المحيي و القرية بيت المقدس حين خربه بختنصر - و قيل هي التي خرج منها الالوف • [وهي خاوية على عروشها] تفسيره فيما بعد • [يوما او بعض يوم] بناء على الظن - روي انه مات ضحى و بعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال

قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ
وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ

او بعض يوم - وروي ان طعامه كان تيناً وعنباً وشرابه عصيراً او لبناً وجد التين و العنب كما جُنيا و الشراب على حاله * [لَمْ يَتَسَنَّهْ] لم يتغير والهاء اصلية اوهاء سكت و اشتقاقُه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو و ذلك ان الشيئ يتغير بمرور الزمان - و قيل اصله يتسنّن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضّي البازي - ويجوز ان يكون معنى لَمْ يَتَسَنَّهْ لم تمرّ عليه السنون التي مرّت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة - و في قراءة عبد الله فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَ هٰذَا شَرَابُكَ لَمْ يَتَسَنَّ - وقرأ ابيّ لَمْ يَسَّنَّهْ بادغام التاء في السين * [وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ] كيف تفرّقت عظامه و نخرت وكان له حمار قد ربطه - و يجوز ان يراد و انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته و ذلك من اعظم الآيات ان يُعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير * [وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ] فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت و حفظ ما معه - و قيل اتى قومَه راكبَ حماره و قال انا عُزَير فكذّبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يقرأها هذّا من ظهر قلبه و هم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله و لم يقرأ التوراة ظاهرا احدٌ قبل عُزَير فذلك كونه آية - و قيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا و هو شابٌّ فاذا حدّثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة * [وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ] هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجّب من احياء هم [كَيْفَ نُنشِزُهَا] كيف نُحييها - و قرأ الحسن نَنْشُرُهَا من نَشَرَ الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا - و قرئ بالزاء بمعنى نحرّكها و نرفع بعضها الى بعض للتركيب * و فاعل [تَبَيَّنَ] مضمر تقديره فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ان الله على كل شيئ قدير [قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني و ضربتُ زيدا - ويجوز فلما تبيّن له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى - و قرأ ابن عباس رضي الله عنهما فلما تُبُيِّنَ لَهُ على البناء للمفعول - و قرئ قَالَ اعْلَمْ على لفظ الامر - و قرأ عبد الله قِيْلَ اعْلَمْ - فان قلت فان كان المارّ كافرا كيف يسوغ ان يكلّمه الله - قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا * [أَرِنِي] بصّرني - فان قلت كيف قال له [أَوَلَمْ تُؤْمِن] و قد علم انه اثبتُ الناس ايمانا - قلت ليُجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين * و [بَلَىٰ] ايجاب لما بعد النفي و معناه بلى آمنتُ [وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي] ليزيد سكونا و طمانينة بمضامّة علم الضرورة علمَ الاستدلال و تظاهرُ الادلّة اسكنُ للقلوب و ازيد للبصيرة و اليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد طمانينة القلب العلمَ الذي لا مجال فيه للتشكيك - فان قلت لم تعلقت اللام في لِيَطْمَئِنَّ - قلت بمحذوف تقديره ولكن سألتُ ذلك ارادة طمانينة القلب * [فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ] قيل طاؤسا وديكا وغُرابا وحَمامة *

سورة البقرة ٢ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
الجزء ٣ حَكِيمٌ ۝ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ
ع ٣ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝

[فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ] بضم الصاد وكسرها بمعني فَأَمِلْهُنَّ واضممهن اليك قال * ع * ولكن اطراف الرماح تُصورها * وقال * شعر * ونرع يصير الجيدَ وَحْفٍ كأنه * على الليت قنوان الكروم الدوالح * وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فَصُرَّهُنَّ بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صرّة يصُرُّه و يصِرُّه اذا جَمعه نحو فرّة و يفُرّه و يفِرّه - و عنه فَصَرِّهُنَّ من التصرية و هي الجمع ايضا * [ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا] يريد ثم جزّئهن و فرّق اجزاءهن على الجبال - و المعنى على كلّ جبل من الجبال التي بحضرتك و في ارضك - قيل كانت اربعةَ اجبل - و من السُدّي سبعةً * [ثُمَّ ادْعُهُنَّ] و قل لهن تعالَيْنَ باذن الله * [يَأْتِينَكَ سَعْيًا] ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن - فان قلت ما معنى امره بضمّها الى نفسه بعد ان يأخذها - قلت ليتأمّلها و يعرف اشكالها و هيئاتها و حِلاها لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء و لا يتُوهّم انها غير تلك و لذلك قال يَأْتِينَكَ سَعْيًا - و روي انه أُمر بان يذبحها و يتفّ ريشها و يقطّعها و يفرّق اجزاءها و يخلط ريشها و دماءها و لحومها و ان يمسك رؤسها ثم أُمر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل الجبل رُبْعا من كلّ طائر يصيح بها تعالَيْن باذن الله فجعل كلّ جزء يطير الى الاخر حتى صارت جُثَثًا ثم اقبلن فانضممْنَ الى رؤسهن كلّ جُثّة الى رأسها - و قرئ جُزُءٌ بضمتين و جُزًا بالتشديد و وجهه انه خفّف بطرح همزته ثم شدّد كما يشدّد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف * [مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ] لابدّ من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة - او مثلهم كمثل باذر حبة و المُنبتُ هو الله و لكن الحبّة لما كانت سببا أُسند اليها الانبات كما يُسنَد الى الارض و الى الماء - و معنى انباتها سبعَ سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شُعَب لكلّ واحدة سنبلةٌ و هذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر - فان قلت كيف صحّ هذا التمثيل و المثل غير موجود - قلت بل هو موجود في الدُخن و الذرّة و غيرهما و ربما طرحتْ ساق البُرّة في الاراضي القوية المُغلّة فيبلغ حبُّها هذا المبلغ و لو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض و التقدير - فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقّه من التمييز بجمع القلّة كما قال وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ - قلت هذا لما قدّمتُ عند قوله ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها * [وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ] اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكلّ منفق لتفاوت احوال المنفقين - او يضاعف سبع المائة و يزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك * [المَنّ] ان يعتدّ على من أحسن اليه باحسانه و يُريه انه اعظمه و اوجب عليه حقّاته و كانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسُوها و ابعضهم * شعر * وانّ

قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَّمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ اَذًى ط وَاللّٰهُ غَنِيٌّ حَلِيْمٌ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تُبْطِلُوْا صَدَقٰتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْاَذٰى كَالَّذِيْ يُنْفِقُ مَالَهٗ رِئَآءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ط فَمَثَلُهٗ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاَصَابَهٗ وَابِلٌ فَتَرَكَهٗ صَلْدًا ط لَا يَقْدِرُوْنَ عَلٰى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوْا ط وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكٰفِرِيْنَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ اَنْفُسِهِمْ

امرأ اسدى الي صنيعةً * وذكرتيها مرةً لئيم * وفي نوابغ الكلم صنوان مَن مَنَحَ سائله و منّ - ومن منع سائله و ضنّ - وعيبها طعمُ الاداء احلى من المنّ - وهي امرّ من الاداء مع المنّ * [وَالْاَذٰى] ان يتطاول عليه بسبب ما اتى اليه * ومعنى ثُمَّ اظهار التفاوة بين الانفاق و ترك المنّ و الاذى و انّ تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثُمَّ اسْتَقَامُوْا - فان قلت اي فرق بين قوله لَهُمْ اَجْرُهُمْ و قوله فيما بعدُ فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ - قلت الموصول لم يُضمَّن ههنا معنى الشرط و ضُمّنه ثمه و الفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر و طرحُها عارٍ عن تلك الدلالة * [قَوْلٌ مَّعْرُوْفٌ] ردٌ جميلٌ [وَمَغْفِرَةٌ] و عفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤل - او و نَيْل مغفرة من الله بسبب الردّ الجميل - او و عفو من جهة السائل لانه اذا ردّه ردًّا جميلا عذرَه [خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَّتْبَعُهَآ اَذًى] و صحّ الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة * [وَاللّٰهُ غَنِيٌّ] لا حاجة به الى منفق يمنّ و يوذي * [حَلِيْمٌ] عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه و وعيد له * ثم بالغ في ذلك بما اتبعه [كَالَّذِيْ يُنْفِقُ مَالَهٗ] اي لَا تُبْطِلُوْا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْاَذٰى كابطال المنافق الَّذِيْ يُنْفِقُ مَالَهٗ [رِئَآءَ النَّاسِ] لا يريد بانفاقه رضاء الله و لا ثواب الاخرة [فَمَثَلُهٗ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ] مَثَلُه ونفقته التي لا يُنتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عَلَيْهِ تُرَابٌ - و قرأ سعيد بن المسيّب صَفْوَانَ بوزن كَرَوَان * فَاَصَابَهٗ وَابِلٌ] مطر عظيم القطر [فَتَرَكَهٗ صَلْدًا] اجرد نقيًّا من التراب الذي كان عليه و منه صَلد جبين الاصلع اذا برق [لَا يَقْدِرُوْنَ عَلٰى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوْا] كقوله فجعلناه هَبَآءً مَّنْثُوْرًا - و يجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لَا تُبْطِلُوْا صَدَقَاتِكُمْ مماثلين الذي ينفق - فان قلت كيف قال لَا يَقْدِرُوْنَ بعد قوله كَالَّذِيْ يُنْفِقُ - قلت اراد بالَّذِيْ يُنْفِقُ الجنس او الفريق الذي ينفق و لان مَنْ و الَّذِيْ يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق * [وَتَثْبِيْتًا مِّنْ اَنْفُسِهِمْ] و ليثبتوا منها بدل المال الذي هو شقيق الروح و بذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة و على الايمان لان النفس اذا رِيضتْ بالتحامل عليها و تكليفها ما يصعبُ عليها ذلّت خاضعةً لصاحبها و قلّ طمعها في اتباعه لشهواتها و بالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان و اليقين - و يجوز ان يراد و تصديقًا للاسلام و تحقيقًا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله عُلم ان تصديقه و ايمانه بالثواب من اصل نفسه و من اخلاص قلبه - و مِنْ على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هزّ من عطفه و حرّك من نشاطه - و على الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ - و يحتمل ان يكون المعنى وَتَثْبِيْتًا مِّنْ اَنْفُسِهِمْ

كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ۚ فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ۝ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ
الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ ۖ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝

عند المؤمنين انها صادرة الايمان محلصة فيه و تعضده قراءة مجاهد وَتَبْيِينًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ - فان قلت
ما معنى التبعيض - قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبّت بعض نفسه و من بذل ماله
و روحه معا فهو الذي ثبتها كلها وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ - والمعنى و مثل نفقة هؤلاء
في زكائها عند الله [كَمَثَلِ جَنَّةٍ] وهي البستان [بِرَبْوَةٍ] بمكان مرتفع و خصّها لان الشجر فيها ازكى
و احسن ثمرا [أَصَابَهَا وَابِلٌ] مطر عظيم القطر [فَآتَتْ أُكُلَهَا] ثمرتها [ضِعْفَيْنِ] مثلي ماكانت تثمر
بسبب الوابل* [فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ] فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها - او مثل حالهم عند الله
بالجنّة على الربوة و نفقتهم الكثيرة و القليلة بالوابل و الطلّ و كما ان كلّ واحد من المطرين يضعّف اكل
الجنّة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله و يبذل فيها الوسع زاكية عند الله
زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده - وقرئ كَمَثَلِ حَبَّةٍ - وَبِرَبْوَةٍ بالحركات الثلاث - وَأُكُلَهَا بضمتين * الهمزة
في [أَيَوَدُّ] للانكار * وقرئ لَهُ جَنَّاتٌ - وذُرِّيَّةٌ ضِعَافٌ * و [الاعصار] الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع
نحو السماء كالعمود و هذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها
مُحْبَطَةً فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنّة من اعنى الجنان و اجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد
ضعاف و الجنّة معاشهم و متعيّشهم فهلكت بالصاعقة - وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عنها اصحابه فقالوا الله
اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنه في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين
قال قل يا ابن اخي و لا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال اي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات
ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها - وعن الحسن هذا مثل قلّ والله من
يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه و كثر صبيانه افقر ما كان الى جنّته و ان احدكم و الله افقر ما يكون
الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا - فان قلت كيف قال جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ثم قال لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ
الثَّمَرَاتِ - قلت النخيل و العنب لما كانا اكرم الشجر و اكثرها منافع خصّهما بالذكر و جعل الجنّة منهما وان
كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كلّ الثمرات - ويجوز ان يريد بالثمرات
المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ بعد قوله جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ - فان قلت
علام عطف قوله وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ - قلت الواو للحال كالعطف - ومعناه ان تكون له جنّة و قد اصابه الكبر - وقيل يقال
وددت ان يكون كذا و وددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنّة و اصابه

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَنْفِقُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ اَخْرَجْنَا لَكُمْ مِّنَ الْاَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيْثَ مِنْهُ
تُنْفِقُوْنَ وَلَسْتُمْ بِاٰخِذِيْهِ اِلَّآ اَنْ تُغْمِضُوْا فِيْهِ ؕ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ حَمِيْدٌ ۝ اَلشَّيْطٰنُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَاْمُرُكُمْ
بِالْفَحْشَآءِ ۚ وَاللّٰهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ؕ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ ۝ يُّؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَّشَآءُ ۚ وَمَنْ يُّؤْتَ
الْحِكْمَةَ فَقَدْ اُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيْرًا ؕ وَمَا يَذَّكَّرُ اِلَّآ اُولُوا الْاَلْبَابِ ۝ وَمَآ اَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ اَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ

[مِنْ طَيِّبٰتِ مَا كَسَبْتُمْ] من جياد مكسوباتكم [وَمِمَّآ اَخْرَجْنَا لَكُمْ] من الحَبّ والثمر والمَعادن وغيرها - فان قلت فهلّا قيل و ما اخرجنا لكم عطفاً على مَا كَسَبْتُمْ حتى يشتمل الطَّيِّبُ على المكسوب و المخرَج من الارض - قلت معناه و من طيبات ما اخرجنا لكم الاّ انه حذف لذكر الطيّبات • [وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيْثَ] ولا تقصدوا المال الرَّديّ [مِنْهُ تُنْفِقُوْنَ] تخصّونه بالانفاق وهو في محلّ الحال - و قرأ عبد الله وَلَا تَأَمَّمُوْا - و قرأ ابن عباس رضي الله عنه وَلَا تُيَمِّمُوْا بضم التاء و يَمَّمَهُ وتَيَمَّمَهُ و تَأَمَّمَهُ سواء في معنى قَصَدَه • [وَلَسْتُمْ بِاٰخِذِيْهِ] و حالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم [اِلَّآ اَنْ تُغْمِضُوْا فِيْهِ] الاّ بان تتسامحوا في اخذه و تترخّصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقّه اذا غضّ بصرَه و يقال للبائع اَغمِضْ اي لا تستقص كأنك لا تبصر وقال الطِرِمّاح • شعر • لم يُقْذِنَا بالوِتْرِ قوم و للضَّيْـمِ رجال يرضون بالاغماض • وقرأ الزُهْري تُغْمِضُوْا واَغمض و غمّض بمعنًى وعنه تَغْمِضُوْا بضم الميم و كسرها من غمض يغمُض - وقرأ قتادة تُغْمَضُوْا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تُدْخَلوا فيه و تُجْذَبوا اليه - و قيل الا ان تُوجَدوا مُغْمِضين - و عن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يُغْمِض لكم من ثمنه - و عن ابن عباس رضي الله عنه كانوا يتصدّقون بحَشَف التمر وشراره فنُهوا عنه • اي يَعِدُكم في الانفاق [اَلْفَقْرَ] و يقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا - و قرئ اَلْفُقْر بالضم - و اَلْفَقْر بفتحتين - و الوعدُ يستعمل في الخير و الشرّ قال الله تعالى اَلنَّارُ وَعَدَهَا اللّٰهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا • [وَيَاْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَآءِ] و يُغريكم على البخل و مَنع الصدقات اغراء الآمر للمامور و الفاحشُ عند العرب البخيل • [وَاللّٰهُ يَعِدُكُمْ] في الانفاق [مَّغْفِرَةً] لذنوبكم و كفارة لها [وَفَضْلًا] و ان يُخلف عليكم افضل ممّا انفقتم - او و ثوابًا عليه في الآخرة • [يُؤْتِي الْحِكْمَةَ] يوفّق للعلم و العمل به - و الحكيمُ عند الله هو العالم العامل - و قرئ وَمَنْ يُّؤْتَ الْحِكْمَةَ بمعنى و من يوته الله الحكمة و هٰكذا قرأ الاعمش • و [خَيْرًا كَثِيْرًا] تنكيرُ تعظيم كانه قال فقد اوتي اىّ خير كثير • [وَمَا يَذَّكَّرُ اِلَّآ اُولُوا الْاَلْبَابِ] يريد الحُكَماء العُلَماء العُمّال والمرادُ به الحثّ على العمل بما تضمّنت الآي في معنى الانفاق • [وَمَآ اَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ] في سبيل الله - او في سبيل الشيطان [اَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ] في طاعة الله او في معصيته [فَاِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُهٗ] لا يخفى عليه و هو مجازيكم عليه [وَمَا لِلظّٰلِمِيْنَ] الذين يمنعون الصدقات - او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يفون بالنذور - او ينذرون في المعاصي • [مِنْ اَنْصَارٍ] ممّن ينصرهم من الله و يمنعهم من عقابه • مَا في [نِعِمَّا] نكرة غير موصولة و لا موصوفة - و معنى فَنِعِمَّا هِيَ فنعم شيئًا ابداؤها - وقرئ بكسر النون و فتحها • [وَاِنْ

سورة البقرة ٢ فَإِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظّٰلِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا
الجزء ٣ الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدٰىهُمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ
ع ٤ يَهْدِي مَنْ يَّشَاءُ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللّٰهِ ۚ وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ] و تصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء [فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ] فالاخفاء خير لكم و المراد الصدقات المتطوّع بها فان الافضل فى الفرائض ان يجاهَر بها - و عن ابن عباس صدقات السرّ فى التطوع تفضلُ علانيتَها سبعين ضعفًا و صدقة الفريضة علانيتُها افضل من سرّها بخمسة و عشرين ضعفًا و انما كانت المجاهرة بالفرائض افضلَ لنفي التهمة حتى اذا كان المزكّي ممن لا يُعْرف باليسار كان اخفاءه افضل و المتطوّعُ ان اراد ان يُقتدى به كان اظهاره افضل • و نُكَفِّرُ قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محلّ ما بعد الفاء - او على انه خبر مبتدأ محذوف اي و نحن نكفّر - او على انه جملةٌ من فعل وفاعل مبتدأةٌ - و مجزومًا عطفا على محل الفاء و ما بعده لانه جواب الشرط - وقرئ وَيُكَفِّرُ بالياء مرفوعا والفعل للّٰه او للاخفاء - وَتُكَفِّرُ بالتاء مرفوعا و مجزوما والفعل للصدقات - و قرأ الحسن بالياء و النصب باضمار اَنْ و معناه اِنْ تُخْفُوهَا يكن خيرًا لكم و اَن يكفّر عنكم • [لَيْسَ عَلَيْكَ هُدٰىهُمْ] لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نُهوا عنه من المنّ و الاذى و الانفاق من الخبيث و غير ذلك و ما عليك الا ان تبلّغهم النواهي فحسب • [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَّشَاءُ] يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نُهي عنه • [وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ] من مال [فَلِأَنْفُسِكُمْ] فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنّوا به على الناس و لا توذوهم بالتطاول عليهم • [وَمَا تُنْفِقُونَ] و ليست نفقتكم الا لابتغاء وجه اللّٰه و لطلب ما عنده فما بالكم تمنّون بها و تنفقون الخبيث الذي لا يوجّه مثله الى اللّٰه • [وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ] ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه و اجملها - و قيل جاءت اسماءُ بنتُ ابي بكر رضى اللّٰه عنهما فاتتْها امّها تسألها و هي مشركة فابتْ ان تُعطيها فنزلتْ - و عن سعيد بن جبير كانوا يتّقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين - و روي ان ناسًا من المسلمين كانت لهم اَصْهار فى اليهود و رضاع و قد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم - و عن بعض العلماء لو كان شرّ خلق اللّٰه لكان لك ثواب نفقتك - و اختلف فى الواجب فجوّز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمّة واباه غيرُه • الجارّ متعلق بمحذوف - و المعنى اعمدوا لِلْفُقَرَاءِ او اجعلوا ما تنفقون لِلْفُقَرَاءِ كقوله تعالى في تسع آيٰت - و يجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي صدقاتكم للفقراء • و [الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] هم الذين اَحْصرهم الجهاد [لَا يَسْتَطِيعُونَ] لاشتغالهم به [ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ] للكسب - و قيل هم اصحاب الصُّفّة و هم نحوٌ من اربع مائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن

ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ۚ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ۚ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ

فى المدينة و لا عشائر فكانوا في صُفّة المسجد و هي سقيفته يتعلّمون القرآن بالليل و يرتّحون الغزو بالنهار و كانوا يخرجون في كلّ سَرِيّة بعثها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى - و عن ابن عباس وقف رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يوما على اصحاب الصُّفّة فرأى فقرهم و جهدهم و طيب قلوبهم فقال ابْشروا يا اصحاب الصفّة فمَن بقي من أُمّتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي فى الجنّة • [يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ] يخالهم [أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ] مستغنين من اجل تعفّفهم عن المسئلة [تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ] من صفرة الوجه و رثاثة الحال • و [الالحاف] الالحاح و هو اللزوم و ان لا يفارق الا بشيء يُعطاه من قولهم لَحَفَنِي من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ان الله تعالى يُحبّ الحَيِيّ الحليمَ المتعفّف و يُبغض البذيّ السائل المُلْحِف - و معناه انهم ان سالوا سالوا بتلطف و لم يُلحّوا - و قيل هو نفي للسوال و الالحاف جميعا كقوله • ع • على لاحب لا يهتدى بمناره • يريد نفي المنار و الاهتداء به و [بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً] يعمّون الاوقات و الاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجةٌ محتّاج عجّلوا قضاءها و لم يوخّروه و لم يتعلّلوا بوقت و لا حال - و قيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدّق باربعين الف دينار عشرةٌ بالليل و عشرةٌ بالنهار و عشرةٌ فى السرّ و عشرةٌ فى العلانية - و عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلتْ في عليّ رضي الله عنه لم يملك الا اربعةَ دراهم فتصدّق بدرهم ليلا و بدرهم نهارا و بدرهم سرًّا و بدرهم علانية - و قيل نزلتْ في علف الخيل و ارتباطها في سبيل الله - و عن ابي هريرة رضي الله عنه كان اذا مرّ بفرس سمين قرأ هذه الآية • [الرِّبٰوا] كتب بالواو على لغة من يفخّم كما كتبت الصلوٰة و الزكوٰة و زيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع • [لَا يَقُومُونَ] اذا بُعثوا من قبورهم [إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ] اي المصروع و تخبّطُ الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرعُ و الخبطُ الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون • و [المسّ] الجنون و رجل ممسوس و هذا ايضا من زعماتهم و ان الجنّيّ يمسه فيختلط عقله و كذلك جُنّ الرجل معناه ضربته الجنّ و رأيتهم لهم فى الجنّ قصص و اخبار و عجائب و انكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات - فان قلت بم يتعلق قوله مِنَ الْمَسِّ - قلت بلا يَقُومُونَ - اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع - و يجوز ان يتعلق بيَقُومُ اي كما يقوم المصروع من جنونه - و المعنى انهم يقومون يوم القيٰمة مخبّلين كالمصروعين تلك سيماهم يُعرفون بها عند اهل الموقف - و قيل الذين يخرجون

سورة البقرة ٢ الجزء ٣ ع ٥

مِنَ الْمَسِّ ۚ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَالُوْٓا اِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰوا ۘ وَاَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا ۚ فَمَنْ جَآءَهٗ مَوْعِظَةٌ مِّنْ
رَّبِّهٖ فَانْتَهٰى فَلَهٗ مَا سَلَفَ ۚ وَاَمْرُهٗٓ اِلَى اللّٰهِ ۚ وَمَنْ عَادَ فَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ۝ يَمْحَقُ
اللّٰهُ الرِّبٰوا وَيُرْبِى الصَّدَقٰتِ ۗ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ اَثِيْمٍ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ
وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا
الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَذَرُوْا مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبٰٓوا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۝ فَاِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا فَاْذَنُوْا بِحَرْبٍ

من الأجداث ينفضون الا آكلة الربوا فانهم ينهضون و يسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض • [ذٰلِكَ] العقاب بسبب قولهم [اِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰوا] - فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام فى الربوا لا فى البيع فوجب ان يقال انهم شبّهوا الربوا بالبيع فاستحلّوه و كانت شُبْهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين - قلت جيئ به على طريق المبالغة و هو انه قد بلغ من اعتقادهم في حلّ الربوا انهم جعلوه اصلا و قانونا فى الحلّ حتى شبّهوا به البيع • و قوله [وَاَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا] انكار لتسويتهم بينهما و دلالة على ان القياس يهدمه النصّ لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلالَ الله و تحريمَه • [فَمَنْ جَآءَهٗ مَوْعِظَةٌ] فمن بلغه وعظ من الله وزجرٌ بالنهي عن الربوا [فَانْتَهٰى] فتبع النهيَ و امتنع [فَلَهٗ مَا سَلَفَ] فلا يواخَذ بما مضى منه لانه أُخذ قبل نزول التحريم • [وَاَمْرُهٗٓ اِلَى اللّٰهِ] يحكم في شانه يوم القيٰمة و ليس من امره اليكم شيئ فلا تطالبوه به • [وَمَنْ عَادَ] الى الربوا [فَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ] و هذا دليل بيّنٌ على تخليد الفُسّاق - وذكّر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي و لانها في معنى الوعظ - وقرأ ابيّ و الحسن فَمَنْ جَاءَتْهُ • [يَمْحَقُ اللّٰهُ الرِّبٰوا] يذهب ببركته و يهلك المال الذي يدخل فيه - و عن ابن مسعود رضي الله عنه الربوا و ان كثر الى قُلّ [وَيُرْبِى الصَّدَقٰتِ] ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي أُخرجت منه الصدقة و يبارك فيه - وفي الحديث ما نقصت زكوٰة من مال قطّ • [كُلَّ كَفَّارٍ اَثِيْمٍ] تغليظ في امر الربوا و ايذانٌ بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين • اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا و بقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها - روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحلّ بالمال و الربوا - وقرأ الحسن مَا بَقِىَ بقلب الياء الفًا على لغة طي - وعنه مَا بَقِيْ بياء ساكنة و منه قول جرير • شعر • هو الخليفة فارضوا ما رضي لكُمُ • ماضي العزيمة ما في حكمه جنفُ • [اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ] ان صحّ ايمانكم يعني ان دليل صحّة الايمان و ثباته امتثال ما أُمرتم به من ذلك • [فَاْذَنُوْا بِحَرْبٍ] فاعلموا بها من أَذِنَ بالشيئ اذا علم به - و قرئ فَاْذَنُوْا فَاعْلموا بها غيركم و هو من الأَذَن و هو الاستماع لانه من طرق العلم - و قرأ الحسن فَاْيْقِنُوْا و هو دليل لقراءة العامة - فان قلت هلا قيل بحرب الله و رسوله - قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند

مِنَ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ ۚ وَاِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوْسُ اَمْوَالِكُمْ ۚ لَا تَظْلِمُوْنَ وَلَا تُظْلَمُوْنَ ۝ وَاِنْ كَانَ ذُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ اِلٰى مَيْسَرَةٍ ؕ
وَاَنْ تَصَدَّقُوْا خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ۝ وَاتَّقُوْا يَوْمًا تُرْجَعُوْنَ فِيْهِ اِلَى اللّٰهِ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ ۝ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْۤا اِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ اِلٰۤى اَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوْهُ ؕ وَلْيَكْتُبْ بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ

اللّٰه و رسوله - و روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب اللّٰه و رسوله * [وَاِنْ تُبْتُمْ] من الارتباء [فَلَكُمْ رُءُوْسُ اَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُوْنَ] المديونين بطلب الزيادة عليها [وَلَا تُظْلَمُوْنَ] بالنقصان منها - فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا - قلت قالوا يكون مالهم فيئاً للمسلمين - و روى المفضّل عن عاصم لَا تُظْلَمُوْنَ وَ لَا تَظْلِمُوْنَ * [وَاِنْ كَانَ ذُوْ عُسْرَةٍ] و ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار - و قرأ عثمان رضي اللّٰه عنه ذَا عُسْرَةٍ على و ان كان الغريم ذا عسرة - و قرئ وَمَنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ [فَنَظِرَةٌ] فالحكم او فالامر نَظِرَةٌ وهي الانظار - و قرئ فَنَظْرَةٌ بسكون الظاء - و قرأ عطاء فَنَاظِرُهُ بمعنى فصاحبُ الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشبٌ وباقلٌ بمعنى ذو عُشْبٍ وذو بقل - و عنه فَنَاظِرْهُ على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة و يأسِرْه بها [اِلٰى مَيْسَرَةٍ] الى يسار - و قرئ بضم السين كمَقْبَرَة و مَقْبُرَة و مَشْرَقَة و مَشْرُقَة - و قرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله *ع* واخلفوك عدَ الامر الذي وعدوا * و قوله تعالى و اِقَامَ الصَّلٰوةِ * [وَاَنْ تَصَدَّقُوْا خَيْرٌ لَّكُمْ] ندبٌ الى ان يتصدّقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله تعالى وَاَنْ تَعْفُوْا اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى - و قيل اريد بالتصدق الانظار لقوله صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم لان يحلّ دَيْن رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكلّ يوم صدقة * [اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ] انه خير لكم فتعملوا به جُعل من لا يَعْمل به وان علمه كانّه لا يَعلمه - و قرئ تَصَدَّقُوْا بتخفيف الصاد على حذف التاء * [تُرْجَعُوْنَ] قرئ على البناء للفاعل و المفعول - و قرئ يُرْجَعُوْنَ بالياء على طريقة الالتفات - و قرأ عبد اللّٰه تُرَدُّوْنَ - و قرأ ابيّ تَصِيْرُوْنَ - و عن ابن عباس انها اٰخر اٰية نزل بها جبرئيل عليه السلام و قال ضَعْها في رأس المائتين و الثمانين من البقرة و عاش رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم بعدها احدا و عشرين يوما - و قيل احدا و ثمانين - و قيل سبعة ايام - و قيل ثلث ساعات * [اِذَا تَدَايَنْتُمْ] اذا دَايَنَ بعضكم بعضا يقال دايَنتُ الرجلَ اذا عاملته [بِدَيْنٍ] مُعْطيًا او اٰخذًا كما تقول بايعتُه اذا بعتَه او باعَك قال زوبة * شعر * دايَنتُ اروى و الديون تُقْضى * فمَطَلَتْ بعضًا و ادّت بعضا * و المعنى اذا تعاملتم بدين مؤجّل فَاكْتُبُوْهُ - فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمّى و اىّ حاجة الى ذكر الدين كما قال دايَنت اروى و لم يقل بدين - قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فَاكْتُبُوْهُ اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن - و لانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل و حالّ - فان قلت ما فائدة قوله مُسَمًّى - قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسّنة و الاشهر و الايام و لو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاجّ لم يجز لعدم التسمية - و انما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق و أمن من النسيان و ابعد من الجحود - و الامر للندب - و عن ابن عباس

بالعدل ص ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب ح وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس
منه شيأ ط فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل ط واستشهدوا
شهيدين من رجالكم ج فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما

ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف - وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول اية • [بالعدل] متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيئ مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها ديّنا • [ولا يأب كاتب] ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب [ان يكتب كما علمه الله] مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير - وقيل هو كقوله تعالى و أحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها - وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب - فان قلت اي فرق بين الوجهين - قلت ان علقته بان يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد - وان علقته بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة • [وليملل الذي عليه الحق] ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به - والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فبمي تملي عليه • [ولا يبخس منه] من الحق [شيأ] والبخس النقص - وقرئ شيًا بطرح الهمزة و شيًا بالتشديد • [سفيها] محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف [او ضعيفا] صبيا او شيخا مختلا [او لا يستطيع ان يمل هو] او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعيّ به او خرس [فليملل وليه] الذي يلي امره من وصيّ ان كان سفيها او صبيا - او وكيل ان كان غير مستطيع - او ترجمان يملّ عنه وهو يصدقه - وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه • [واستشهدوا شهيدين] واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين [من رجالكم] من رجال المؤمنين - والحرية و البلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء - وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيئ - وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة - ويجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل [فان لم يكونا] فان لم يكن الشهيدان [رجلين فرجل وامرأتين] فليشهد رجل وامرأتان و شهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود و القصاص • [ممن ترضون] ممن تعرفون عدالتهم [ان تضل احداهما] ان لا تبتدي احداهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له - وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل - فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله تعالى - قلت لما كان الضلال سببا للاذكار و الاذكار مسببا عنه و هم يذكرون كل واحد من السبب

فَتُذَكِّرَ إِحْدٰىهُمَا الْأُخْرٰى ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوْا ۚ وَلَا تَسْئَمُوْٓا أَنْ تَكْتُبُوْهُ صَغِيْرًا أَوْ كَبِيْرًا إِلٰٓى أَجَلِهٖ ۚ ذٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنٰٓى أَلَّا تَرْتَابُوْٓا إِلَّآ أَنْ تَكُوْنَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيْرُوْنَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوْهَا ۚ وَأَشْهِدُوْٓا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۖ

و المسبب منزلة الأخر لتباسهما و اتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكارُ ارادةً للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احدٰيهما الاخرى ان ضلتْ و نظيره قولهم اعددتُ الخشبةَ ان يميل الحائطُ فادعمَهُ و اعددت السلاح ان يجيئ عدوّ فادفعَهُ * و قرئ [فَتُذَكِّرَ] بالتخفيف و التشديد و هما لغتان - و فَتُذَاكِرَ - و قرأ حمزة اِنْ تَضِلَّ إِحْدٰيهُمَا على الشرط فَتُذَكِّرُ بالرفع و التشديد كقوله وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِنْهُ - و قرئ اَنْ تُضَلَّ إِحْدٰيهُمَا على البناء للمفعول و التانيث و من بدع التفاسير فَتُذَكِّرَ فتجعل احدٰيهما الاخرى ذِكْرا بعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر * [اِذَا مَا دُعُوْا] ايقيموا الشهادةَ - و قيل ليُستشهدوا - و قيل لهم شُهَدَاءُ قبل التحمّل تنزيلا لما يُشارف منزلة الكائن - و عن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلتْ * كُنِي بالسأم عن الكَسَل لان الكسل صفة المنافق و منه الحديث لا يقول المؤمن كسلتُ - و يجوز ان يراد من كثرت مداينانه فاحتاج ان يكتب لكلّ دَيْن صغير او كبير كتابا فربما ملّ كثرة الكَتْب * و الضمير في [تَكْتُبُوْهُ] الدَّيْنَ و الحَقّ [صَغِيْرًا اَوْ كَبِيْرًا] على اىّ حال كان الحق من صغر او كبر - و يجوز ان يكون الضمير للكتاب و اَنْ يكتبوه مختصرا او مُشْبعا ولا يُخلّوا بكتابته [اِلٰى اَجَلِهٖ] الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته * [ذٰلِكُمْ] اشارة الى اَنْ تَكْتُبُوْهُ لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكَتْب * [اَقْسَطُ] اعدل من القسط [وَ اَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ] و اعون على اقامة الشهادة [وَاَدْنٰى اَلَّا تَرْتَابُوْا] و اقرب من انتفاء الريب - فَان قلت ممّ بني افعلا التفضيل اعني اَقْسَطُ وَ اَقْوَمُ - قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسطَ و اقامَ و ان يكون اَقسَط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم - و قرئ وَلَايَسْئَمُوْا اَنْ يَكْتُبُوْهُ بالياء فيهما * فان قلت ما معنى [تِجَارَةً حَاضِرَةً] وسواء كانت المبايعة بدَيْن او بعَيْن فالتجارة حاضرة و ما معنى ادارتها بينهم - قلت اريدَ بالتجارة ما يتّجر فيه من الابدال - ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدًا بيد - و المعنى الّا ان تتبايعوا بيعاً ناجزاً يدا بيد فلا باس ان لاتكتبوا لانه لايتوهم فيه ما يتوهم في التداين - و قرئ تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ بالرفع على كان التامّة - وقيل هي الناقصة على ان الاسم تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ و الخبر تُدِيْرُوْنَهَا و بالنصب على الا ان تكون التجارة تِجَارَةً حَاضِرَةً كبيت الكتاب * شعر * بني اسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب اَشْنَعا * اي اذ اكان اليوم يوما * [وَ اَشْهِدُوْٓا اِذَا تَبَايَعْتُمْ] امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزًا او كائنًا لانه احوط و ابعد مما عسى يقع من الاختلاف - و يجوز ان يراد وَ اَشْهِدُوْٓا اِذَا تَبَايَعْتُمْ هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة - و عن الحسن ان شاء اشهدَ و ان شاء لم يشهد - و عن الضحّاك هي عزيمة من الله

سورة البقرة ٢ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَّلَا شَهِيْدٌ ط وَاِنْ تَفْعَلُوْا فَاِنَّهٗ فُسُوْقٌ بِكُمْ ط وَاتَّقُوا اللّٰهَ ط وَيُعَلِّمُكُمُ اللّٰهُ ط وَاللّٰهُ بِكُلِّ
الجزء ٣ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ۝ وَاِنْ كُنْتُمْ عَلٰى سَفَرٍ وَّلَمْ تَجِدُوْا كَاتِبًا فَرِهٰنٌ مَّقْبُوْضَةٌ ط فَاِنْ اَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى
ع ٧ اؤْتُمِنَ اَمَانَتَهٗ وَلْيَتَّقِ اللّٰهَ رَبَّهٗ ط وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ط وَمَنْ يَّكْتُمْهَا فَاِنَّهٗ اٰثِمٌ قَلْبُهٗ ط وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ عَلِيْمٌ ۝ ع

ولو على ناقة بقتب * [وَلَا يُضَارَّ] يحتمل البناء للفاعل و المفعول و الدليلُ عليه قراءة عمر رضي الله عنه وَلَا يُضَارِرْ بالاظهار و الكسر - و قرءة ابن عباس رضي الله عنه وَلَا يُضَارَرْ بالاظهار و الفتح - و المعنى نهي الكاتب و الشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف و الزيادة و النقصان - او النهي عن الضرار بهما بان يُعْجَلا عن مهمّ ويُأزّ - او لا يُعطى الكاتبَ حقّه من الجُعْل - او يحمّل الشهيدُ مؤنة مجيئه من بلد - وقرأ الحسن وَ لَا يُضَارِّ بالكسر * [وَاِنْ تَفْعَلُوْا] و ان تضارّوا [فَاِنَّهٗ] فان الضرار [فُسُوْقٌ بِكُمْ] و قيل و ان تفعلوا شيأ مما نُهيتم عنه * [عَلٰى سَفَرٍ] مسافرين - و قرأ ابن عباس و ابيّ رضي الله عنهما كَتَبًا - و قال ابن عباس أ رأيت ان وجدت الكاتبَ ولم تجد الصحيفة و الدواة - وقرأ ابو العالية كُتُبًا - وقرأ الحسن كُتَّابًا جمع كاتب * فَرُهُنٌ فالذي يستوثق به رُهُنٌ - وقرئ فَرُهْنٌ بضم الهاء و سكونها و هو جمع رَهْن كسَقْف و سُقُف - و فَرِهْن - فان قلت فلم شرط السفر في الارتهان و لا يختصّ به سفر دون حضر و قد رهن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم درعه في غير سفر - قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصّة و لكن السفر لما كان مظنّةً لاعواز الكَتْب و الاشهاد أُمِرَ على سبيل الارشاد الى حفظ المال مَنْ كَانَ عَلٰى سَفَرٍ بان يُقيم التوثّق بالارتهان مُقام التوثق بالكَتْب و الاشهاد - و عن مجاهد و الضحّاك انهما لم يجوّزاه الا في حال السفر اخذًا بظاهر الآية و اما القبض فلابدّ من اعتباره - و عند مالك يصحّ الارتهان بالايجاب و القبول بدون القبض * [فَاِنْ اَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا] فان امن بعضُ الدائنين بعضَ المديونين لحسن ظنّه به - و قرأ أُبَيّ فان أُوْمِنَ اي أمنه الناس و وصفوا المديونَ بالامانة و الوفاء و الاستغناء عن الارتهان من مثله [فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ اَمَانَتَهٗ] حثٌّ للمديون على ان يكون عند ظنّ الدائن به و امنه منه و ايتمانه له و ان يودي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه - و سمّي الدين امانةً و هو مضمون لايتمانه عليه بترك الارتهان منه - و القراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فتقول اَلَّذِئْ تُمِنَ او الَّدِيْتُمِنَ - و عن عاصم انه قرأ اَلَّذِتُّمِنَ بادغام الياء في التاء قياسا على اتَّسَرَ في الافتعال من اليسر و ليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة و اتَّزر عامي و كذلك رَيَّا في رؤيا * [اٰثِمٌ] خبر اِنَّ * و [قَلْبُهٗ] رفع باٰثِمٌ على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه - و يجوز ان يرتفع قَلْبُهٗ بالابتداء و اٰثِمٌ خبر مقدم و الجملة خبر اِنَّ - فان قلت هلا اقتصر على قوله فَاِنَّهٗ اٰثِمٌ و ما فائدة ذكر القلب و الجملةُ هي الآثمة لا القلب وحده - قلت كتمان الشهادة هو ان يُضمرها و لا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب أُسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ - الاترى تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني ومما عرفه قلبي

لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَ مَا فِي الْاَرْضِ ؕ وَاِنْ تُبْدُوْا مَا فِيْٓ اَنْفُسِكُمْ اَوْ تُخْفُوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ ؕ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَآءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ ؕ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝ اٰمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَآ اُنْزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهٖ وَ الْمُؤْمِنُوْنَ ؕ كُلٌّ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَ مَلٰٓئِكَتِهٖ وَ كُتُبِهٖ وَ رُسُلِهٖ

و لان القلب هو رئيس الاعضاء و المضغةُ التي ان صلحتْ صلح الجسد كلّه و ان فسدتْ فسد الجسد كلّه فكانه قيل فقد تمكّن الاثم في اصل نفسه و مَلَكَ اشرف مكان فيه و لئلا يظنّ ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط و ليعلم ان القلب اصل متعلقه و معدن اقتراقه و اللسان ترجمانٌ عنه و لان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها - الا ترى ان اصل الحسنات و السيئات الايمان و الكفر و هما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب - و عن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراكُ باللّٰه لقوله تعالى فَقَدْ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ و شهادةُ الزور و كتمانُ الشهادة - و قرئ قَلْبَهُ بالنصب كقوله سَفِهَ نَفْسَهُ - و قرأ ابن ابي عبلة اَثِمَ قَلْبَهُ اي جعله اثما * [وَاِنْ تُبْدُوْا مَا فِيْٓ اَنْفُسِكُمْ اَوْ تُخْفُوْهُ] يعني من السوء [يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَآءُ] ممن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه و اضمره [وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ] ممن استوجب العقوبة بالاصرار و لا يدخل فيما يُخفيه الانسانُ الوساوسُ و حديثُ النفس لان ذلك مما ليس في وُسعه الخلوّ منه و لكن ما اعتقده و عزم عليه - و عن عبد اللّٰه بن عمر رضي اللّٰه عنهما انه تلاها فقال لئن اخذنا اللّٰه بهذا لنهلكنّ ثم بكى حتى سُمع نشيجه فذُكر لابن عباس فقال يغفر اللّٰه لابي عبد الرحمٰن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ - و قرئ فَيَغْفِرُ وَ يُعَذِّبُ مجزومين عطفا على جواب الشرط و مرفوعين على فهو يغفرُ و يعذّبُ - فان قلت كيف يقرأ الجازم - قلت يُظهر الراء و يُدغم الباء و يُدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطاء فاحشا و راويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن و ينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يوذن بجهل عظيم - و السبب في نحو هذه الروايات قلّة ضبط الرُّواة و السبب في قلّة الضبط قلّة الدراية و لا يَضبط نحو هذا الا اهل النحو - و قرأ الاعمش يَغْفِرْ بغير فاء مجزومًا على البدل من يُحَاسِبْكُمْ كقوله * شعر * متى تاتنا تُلْمِم بنا في ديارنا * تجدْ حَطَبًا جزْلًا و نارا تاجّجا * و معنى هذا البدلِ التفصيلُ لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصّل فهو جار مجرى بدل البعض من الكلّ او بدلِ الاشتمال كقولك ضربتُ زيدا راسَه و اُحبُّ زيدا عقلَه و هذا البدل واقع في الافعال وقوعَه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان * [وَالْمُؤْمِنُوْنَ] - اِنْ عُطف على الرَّسُوْلُ كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كُلٌّ راجعاً الى الرسول و المؤمنين اي كلّهم اٰمن باللّٰه و ملائكته و كُتبه و رُسله من المذكورين و وقف عليه - و ان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين و وُحّد ضمير كُلٌّ في اٰمَنَ على معنى كلّ واحد منهم اٰمن و كان يجوز ان يجمع كقوله و كُلٌّ اَتَوْهُ دٰخِرِيْنَ * وقرأ ابن عباس وَكِتٰبِهٖ يريد القرآن او الجنس و عنه الكتاب اكثر من

سورة البقرة ٢ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ۟ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ
الجزء ٣ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ
ع ٧ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۚ

الكتب - فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع - قلت لانه اذا أُريدَ بالواحد الجنس و الجنسيةُ قائمة في وُحْدان الجنس كلّها لم يخرج منه شيء فاما الجمع فلا يدخل تحته الّا ما فيه الجنسية من الجموع • [لَا نُفَرِّقُ] يقولون لا نفرق - و عن ابي عمر وَيُفَرِّقُ بالياء على ان الفعل لِكُلٍّ - و قرأ عبد الله لَا يُفَرِّقُونَ • و [أَحَدٍ] في معنى الجمع كقوله تعالى فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ و لذلك دخل عليه بَيْنَ • [سَمِعْنَا] اجبنا • [غُفْرَانَكَ] منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك و لا نكفرك - و قرئ وَ كُتُبِهِ و رُسُلِهِ بالسكون • [الوُسْع] ما يسع الانسان و لا يضيق عليه و لا يحرج فيه اي لا يكلّفها الا ما يتّسع فيه طوقه ويتيسّر عليه دون مدى الطاقة و المجهود وهذا اخبار عن عدله و رحمته كقوله تعالى يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلّي اكثر من الخمس و يصوم اكثر من الشهر و يحجّ اكثر من حَجّة - و قرأ ابن ابي عبلة وَسْعَهَا بالفتح [لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ] ينفعها ما كسبت من خير و يضرّها ما اكتسبت من شرّ لا يُؤاخَذ بذنبها غيرُها و لا يُثاب غيرُها بطاعتها - فان قلت لِمَ خصّ الخير بالكسب و الشرّ بالاكتساب - قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشرّ مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه و امّارة به كانت في تحصيله اعملُ و اجدّ فجعلتْ لذلك مكتسبة فيه و لما لم تكن كذلك في باب الخير وُصفتْ بما لا دلالةَ فيه على الاعتمال • اي لا تؤاخذْنا بالنسيان او الخطاء ان فرطَ منّا - فان قلت النسيان و الخطاء متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المواخذة بهما - قلت ذُكر النسيان و الخطاء و المراد بهما ما هما مسبّبان عنه من التفريط و الاغفال الا ترى الى قوله و ما أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ و الشيطان لا يقدر على فعل النسيان و انما يوسوس فيكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان - و لانهم كانوا متّقين اللّهَ حقّ تُقاته فما كانت تفرط منهم فرطةٌ الّا على وجه النسيان و الخطاء فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يواخذون به كانه قيل ان كان النسيان و الخطاء مما يواخذ به فما فيهم سبب مواخذة الا الخطاء و النسيان - و يجوز ان يدعوَ الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل اللّه استدامته و الاعتداد بالنعمة فيه • و [الاصر] العبءُ الذي يامر حاملَه اي يحبسه مكانه لا يستقلّ به لثقله استعير للتكليف الشاقّ من نحو قتل الانفس و قطع موضع النجاسة من الجلد و الثوب و غير ذلك - و قرئ أَصَارًا على الجمع و في قراءة ابيّ لَا تُحَمِّلْ عَلَيْنَا بالتشديد - فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة و التي في وَلَا تُحَمِّلْنَا - قلت هذه للمبالغة في حَمَلَ عليه و تلك لنقل حَمَلَهُ من مفعول و احد الى مفعولين • [وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ] من العقوبات النازلة بمَن قبلنا - طلبوا الاعفاء عن التكليفات

وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلٰنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ ۝ ع

سورة ال عمران ٣
الجزء ٣
ع ٨

كلماتها ٣٥٤٢ • سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية وعشرون ركوعا • حروفها ١٥٣٢٩

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۝

الٓمّٓ ۝ اللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ ۝

الشامة التي كُلفها مَنْ قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها - و قيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف و هذا تكرير لقوله وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا اِصْرًا • [مَوْلٰنَا] سيدنا و نحن عبيدك - او ناصرنا - او متولي امورنا [فَانْصُرْنَا] فمن حق المولى ان ينصر عبيده - او فان ذلك عادتك - او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها - و عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلتُ - و عنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه - و عنه عليه السلام أُوتيتُ خواتيمَ سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبيٌّ قبلي - و عنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمٰن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفَيْ سنة مَن قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل - فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة - قلت لا باس بذلك و قد جاء في حديث النبيّ صلى الله عليه و آله وسلم من آخر سورة البقرة و خواتيم سورة البقرة - و عن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش - و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا و الذي لا اله غيره رمى الذي أُنزلتْ عليه سورة البقرة و لا فرق بين هذا و بين قولك سورة الزُّخرف و سورة الممتحنة و سورة المجادلة و اذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله وَسْئَلِ القرية - و عن بعضهم انه كره ذلك و قال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرةُ - عن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فُسْطاط القرآن فتعلّموها فانّ تعلّمها بركة و تركها حسرة و لن تستطيعها البَطَلَة قيل وما البَطَلَة قال السَحَرَة •

سورة آل عمران

[ميم] حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف و لام و ان يبدأ ما بعدها كما تقول و احدٌ اثنان و هي قراءة عاصم و اما فتحها فهي حركة الهمزة أُلقيت عليها حين اسقطت للتخفيف - فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها و هي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها - قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف و السكون و الهمزةُ في حكم الثابت و انما حذفت تخفيفا و أُلقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها و نظيره قولهم واحدِ اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال - فان قلت

سورة ال عمران ٣ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ اَنْزَلَ التَّوْرٰىةَ وَ الْاِنْجِيْلَ ۙ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ
الجزء ٣ وَ اَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ؕ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ ؕ وَ اللّٰهُ عَزِيْزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۝ اِنَّ اللّٰهَ
ع ٨ لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى الْاَرْضِ وَ لَا فِى السَّمَآءِ ۝ هُوَ الَّذِىْ يُصَوِّرُكُمْ فِى الْاَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ؕ لَاۤ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ
الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ۝ هُوَ الَّذِىْۤ اَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰبَ مِنْهُ اٰيٰتٌ مُّحْكَمٰتٌ هُنَّ اُمُّ الْكِتٰبِ وَ اُخَرُ مُتَشٰبِهٰتٌ ؕ

هلّا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين - قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف و ذلك قولك هذا ابرٰهيم و داوٗد و اسحٰق و لو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لَحُرِّك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين و لمّا انتُظر ساكن اٰخر - فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك حرّكوا - قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحدٌ اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اَيْمٌ و مُدَيْقٌ فلما حرّكوا الدال عُلم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير و ليست لالتقاء الساكنين - فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عُبَيْد بالكسر - قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين و ما هي بمقبولة * و [التَّوْرٰىةَ وَ الْاِنْجِيْلَ] اسمان اعجميان و تكلُّف اشتقاقهما من الوَرْي و النَّجْل و وزنهما بتَفْعَلَة و اِنْعِيل انما يصحّ بعد كونهما عربيين - و قرأ الحسن اَلْاَنْجِيْلَ بفتح الهمزة و هو دليل على العُجمة لان اَفْعِيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب - فان قلت لم قيل نَزَّلَ الْكِتٰبَ - وَ اَنْزَلَ التَّوْرٰىةَ وَ الْاِنْجِيْلَ - قلت لان القراٰن نزل منجما و نزل الكتابان جملة - و قرأ الاعمش نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكُتُبَ بالتخفيف و رفع الكتاب * [هُدًى لِّلنَّاسِ] اي لقوم موسى و عيسى و من قال نحن متعبدون بشرائع مَنْ قبلنا مسّره على العموم - فان قلت ما المراد بالفرقان - قلت جنس الكتب السماوية لان كلّها فرقان يفرق بين الحقّ و الباطل - او الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلثة و انزل ما يفرق به بين الحقّ و الباطل من كتبه - او من هذه الكتب - او اراد الكتاب الرابع و هو الزبور كما قال وَ اٰتَيْنَا دَاوٗدَ زَبُوْرًا وهو ظاهر - او كرّر ذكر القراٰن بما هو نعت له و مدح من كونه فارقا بين الحقّ و الباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه و اظهارا لفضله * [بِاٰيٰتِ اللّٰهِ] من كتبه المنزلة و غيرها [ذُو انْتِقَامٍ] له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم * [لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ شَيْءٌ] في العالم فعبّر عنه بالسماء و الارض فهو مطّلع على كفر من كفر و ايمان من اٰمن و هو مجازيهم عليه [كَيْفَ يَشَآءُ] من الصُّوَر المختلفة المتفاوتة - و قرأ طاوٗس تَصَوَّرَكُمْ اي صوّركم لنفسه و لتعبّده كقولك اتّخذتُ مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا و تاثّلته اذا اتّخذته لنفسك - و عن سعيد بن جبير هذا حجّاج على من زعم ان عيسى كان ربّا كانه نبّه بكونه مصوّرا في الرحم على انه عبد كغيره و كان يخفى عليه ما لا يخفى على اللّٰه * [مُحْكَمٰتٌ] اُحكمت عبارتها بان حُفظت من الاحتمال و الاشتباه * [مُتَشٰبِهٰتٌ] مشتبهات محتملات [هُنَّ اُمُّ الْكِتٰبِ]

فَاَمَّا الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُوْنَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاۤءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاۤءَ تَاْوِيْلِهٖ ۚ وَ مَا يَعْلَمُ تَاْوِيْلَهٗۤ اِلَّا اللّٰهُ ۘ وَ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ يَقُوْلُوْنَ اٰمَنَّا بِهٖ ۙ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۚ وَ مَا يَذَّكَّرُ اِلَّاۤ اُولُوا الْاَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً ۚ اِنَّكَ اَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَاۤ اِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيْهِ ؕ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيْعَادَ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ اَمْوَالُهُمْ وَ لَاۤ اَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللّٰهِ شَيْـًٔا ؕ

اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها و ترد اليها و مثال ذلك لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ اِلٰى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ - لَا يَاْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ - اَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا - فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما - قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه و لاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص و التامل من النظر و الاستدلال و لو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله و توحيده الا به - و لما في المتشابه من الابتلاء و التمييز بين الثابت على الحق و المتزلزل فيه - و لما في تقادح العلماء و اتعابهم القرائح في استخراج معانيه وردّه الى المحكم من الفوائد الجليلة و العلوم الجمّة و نيل الدرجات عند الله و ان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله و لا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره و اهمّه طلب ما يوفق بينه و يُجريه على سَنَن واحد تفكّر و راجع نفسه و غيره ففتح الله عليه و تبيّن مطابقة المتشابه المحكمَ ازداد طُمانينةً الى معتقده و قوةً في ايقانه * [الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ زَيْغٌ] هم اهل البدع [فَيَتَّبِعُوْنَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ] فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم و يحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق [اِبْتِغَاۤءَ الْفِتْنَةِ] طَلَبَ ان يُفتنوا الناس عن دينهم و يُضلّوهم [وَ ابْتِغَاۤءَ تَاْوِيْلِهٖ] و طلبَ ان ياوّلوه التاويل الذي لايشتهونه [وَ مَا يَعْلَمُ تَاْوِيْلَهٗۤ اِلَّا اللّٰهُ وَ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ] اي لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه اِلَّا اللّٰهُ و عباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه و تمكّنوا و عضّوا فيه بضرس قاطع - و منهم من يقف على قوله اِلَّا اللّٰهُ و يبتدئ وَالرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ يَقُوْلُوْنَ و يفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه و بمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية و نحوه و الاول هو الوجه * وَيَقُوْلُوْنَ كلام مستانفٌ موضحٌ لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل [يَقُوْلُوْنَ اٰمَنَّا بِهٖ] اي بالمتشابه [كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا] اي كلّ واحد منه و من المحكم من عنده - او بالكتاب كلّ من متشابهه و محكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه و لا يختلف كتابه [وَمَا يَذَّكَّرُ اِلَّا اُولُوا الْاَلْبَابِ] مدح للراسخين بلقاء الذهن و حسن التامل - و يجوز ان يكون يَقُوْلُوْنَ حالا من الراسخين - و قرأ عبد الله اِنْ تَاْوِيْلُهٗۤ اِلَّا عِنْدَ اللّٰهِ - و قرأ ابيّ و يَقُوْلُ الرَّاسِخُوْنَ * [لَا تُزِغْ قُلُوْبَنَا] لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا [بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنَا] و ارشدتنا لدينك - او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا [مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً] من عندك نعمة بالتوفيق و المعونة - و قرئ لَا يُزِغْ قُلُوْبَنَا بالتاء و الياء و رفع القلوب * [جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ] اي تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله تعالى يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ - و قرئ جَامِعُ النَّاسَ على الاصل * [اِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيْعَادَ] معناه ان الالهية تقتضي

وَ اُولٰٓئِكَ هُمْ وَقُوْدُ النَّارِ ۝ كَدَاْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ ؕ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا ۚ فَاَخَذَهُمُ اللّٰهُ
بِذُنُوْبِهِمْ ؕ وَاللّٰهُ شَدِيْدُ الْعِقَابِ ۝ قُلْ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا سَتُغْلَبُوْنَ وَتُحْشَرُوْنَ اِلٰى جَهَنَّمَ ؕ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝
قَدْ كَانَ لَكُمْ اٰيَةٌ فِيْ فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ؕ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَاُخْرٰى كَافِرَةٌ يَّرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ

خُلْف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيّب سائلهُ و الميعادُ الموعد • قرأ عليّ رضي الله عنه لَنْ تُغْنِيَ بسكون الياء و هذا من الجدّ في استثقال الحركة على حروف اللين • [مِنَ] في قوله مِنَ اللّٰهِ مثله في قوله وَاِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِيْ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا - و المعنى لن تغني عنهم من رحمة الله - او من طاعة الله [شَيْئًا] اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق - و منه ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ اي لا ينفعه جدّه و حظّه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك و عبادتك و ما عندك و في معناه قوله تعالى وَمَا اَمْوَالُكُمْ وَلَآ اَوْلَادُكُمْ بِالَّتِيْ تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفٰى • وقرئ وُقُوْدُ بالضم بمعنى اهل وُقُودها - والمرادُ بالَّذِيْنَ كَفَرُوْا مَنْ كفر برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم - و عن ابن عباس هم قُرَيْظَة و النَّضير • [الدأبُ] مصدر دَأَب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه و حاله و الكافُ مرفوعُ المحلّ تقديره دأبُ هؤلاء الكَفَرَة كَدَأْبِ مَن قبلهم من آلِ فِرْعَوْنَ و غيرهم - و يجوزان ينتصب محلّ الكاف بلَنْ تُغْنِيَ او بالوُقُوْدُ اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغنِ عن اولئك - او تُوقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناسَ كداب ابيك تريد كظلم ابيك و مثل ما كان يظلمهم و انّ فلانا لَمُحارَفٌ كداب ابيه تريد كما حُورف ابوه • [كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا] تفسير لدابهم ممافعلوا و فُعل بهم على انه جواب سوال مقدر عن حالهم • [قُلْ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا] هم مشركوا مكّة [سَتُغْلَبُوْنَ] يعني يوم بدر - و قيل هم اليهود - لمّا غلب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يوم بدر قالوا هذا و الله النبيّ الامّيّ الذي بَشَرَنا به موسى و هموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم اُحُد شكّوا - و قيل جمعهم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بعد وقعة بدر في سوق بني قَيْنُقَاع فقال يا معشرَ اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش و اَسْلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبيّ مرسل فقالوا لا يغرّنك انك لقيتَ قوما اَغْمارا لا علمَ لهم بالحرب فاصبتَ منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انّا نحن الناس فنزلت - و قرئ سَيُغْلَبُوْنَ - و يُحْشَرُوْنَ بالياء كقوله تعالى قُلْ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اِنْ يَّنْتَهُوْا يُغْفَرْ لَهُمْ على قُلْ لهم قولي لك سَيُغْلَبُوْنَ - فان قلت اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى - قلت معنى القراءة بالتاء الامرُ بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة و الحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى سَيُغْلَبُوْنَ و يُحْشَرُوْنَ و هو الكائن من نفس المتوعّد به و الذي يدلّ عليه اللفظ - و معنى القراءة بالياء الامر بان يَحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اَدِّ اليهم هذا القولَ الذي هو قولي لك سَيُغْلَبُوْنَ وَيُحْشَرُوْنَ • [قَدْ كَانَ لَكُمْ اٰيَةٌ] الخطاب لمشركي قريش • [فِيْ فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا] يوم بدر [يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ] يرى المشركون المسلمين مثلَيْ عدد المشركين تريبا من الفين - او مثلَيْ عدد المسلمين ستّ مائة و نيفا و عشرين اراهم الله اياهم

رَأْيَ الْعَيْنِ ط وَ اللّٰهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهٖ مَنْ يَّشَآءُ ط اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّاُولِي الْاَبْصَارِ ۝ زُيِّنَ لِلنَّاسِ
حُبُّ الشَّهَوٰتِ مِنَ النِّسَآءِ وَ الْبَنِيْنَ وَ الْقَنَاطِيْرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْاَنْعَامِ
وَ الْحَرْثِ ط ذٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ج وَ اللّٰهُ عِنْدَهٗ حُسْنُ الْمَاٰبِ ۝ قُلْ اَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ ط
لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَ اَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ

مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم و يجبنوا عن قتالهم و كان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة و الدليل عليه قراءة نافع تَرَوْنَهُمْ بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلَيْ نفسكم الكافرة - او مثلَيْ انفسهم - فان قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْٓ اَعْيُنِهِمْ - قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجترأوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اَعْيُنِهِم حتى غُلبوا فكان التقليل و التكثير في حالين مختلفين و نظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهٖٓ اِنْسٌ وَّلَا جَآنٌّ و قوله وَقِفُوْهُمْ اِنَّهُمْ مَسْئُوْلُوْنَ و تقليلهم تارة و تكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة و اظهار الآية - و قيل يرى المسلمون المشركين مثلَيْ المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقارعة الواحد الاثنين في قوله تعالى فَاِنْ يَّكُنْ مِّنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَّغْلِبُوْا مِائَتَيْنِ بعد ما كُلّفوا ان يقاوم الواحدُ العشرةَ في قوله تعالى اِنْ يَّكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُوْنَ صٰبِرُوْنَ يَغْلِبُوْا مِائَتَيْنِ ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف و كان الكافرون ثلثةَ امثالهم - و قراءة نافع لاتساعد عليه - و قرأ ابن مُصَرِّف يُرِيْهِمُ على البناء للمفعول بالياء و التاء اي يُريهم الله ذلك بقدرته - و قرئ فِئَةٌ تُقَاتِلُ وَ اُخْرٰى كَافِرَةٌ بالجر على البدل من فِئَتَيْنِ و بالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في الْتَقَتَا • [رَأْيَ الْعَيْنِ] رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينةً كسائر المعاينات • [وَ اللّٰهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهٖ] كما ايد اهل بدر بتكثير هم في عين العدو • [زُيِّنَ لِلنَّاسِ] المزيّن هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله اِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْاَرْضِ زِيْنَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ - و يدل عليه قراءة مجاهد زَيَّنَ لِلنَّاسِ على تسمية الفاعل - و عن الحسن الشيطان و الله زيّنها لهم لانا لا نعلم احدا اذمّ لها من خالقها • [حُبُّ الشَّهَوٰتِ] جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة مجبولا على الاستمتاع بها - و الوجه ان يُقصد تخسيسها فيسمّيها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهدٌ على نفسه بالبهيمية و قال زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوٰتِ ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزيّن لهم حُبَّه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسّره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها و ادل على ذمّ مَن يستعظمها ويتهالك عليها و يُرجّح طلبها على طلب ما عند الله • و [القنطار] المال الكثير قيل مِلءُ مَسْك ثَوْر - و عن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكّة مائة رجل قد قَنْطروا • و [الْمُقَنْطَرَةِ] مبنيّة من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلّفة و بدرة مبدّرة • و [الْمُسَوَّمَةِ] المُعْلَمة من السُّوْمة وهي العلامة - او المُطَهَّمةُ - او المرعيّةُ من اسام اذا رعا و سوّمها • و [الْاَنْعَامِ] الازواج الثمانية • [ذٰلِكَ] المذكور

سورة ال عمران ٣ الجزء ٣ ع ٩ النصف

وَ رِضْوَانٌ مِّنَ اللّٰهِ ؕ وَ اللّٰهُ بَصِيْرٌ بِالْعِبَادِ ۝ الَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَآ اِنَّنَآ اٰمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصّٰبِرِيْنَ وَ الصّٰدِقِيْنَ وَ الْقٰنِتِيْنَ وَ الْمُنْفِقِيْنَ وَ الْمُسْتَغْفِرِيْنَ بِالْاَسْحَارِ ۝ شَهِدَ اللّٰهُ اَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ وَ الْمَلٰٓئِكَةُ وَ اُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ ؕ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ۝

مَتَاعُ الْحَيٰوةِ • [لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰتٌ] كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلكم على رجل عالم عندي رجلٌ من صفته كيتَ و كيتَ - و يجوز ان يتعلق اللام بخَيْرٍ- واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به وترتفع جَنّٰتٌ على هو جَنّٰتٌ و تنصره قراءة من قرأ جَنّٰتٍ بالجرّ على البدل من خَيْرٍ • [وَ اللّٰهُ بَصِيْرٌ بِالْعِبَادِ] يُثيب و يُعاقب على الاستحقاق - او بَصِيْرٌ بالذين اتقوا باحوالهم فلذلك اعدّلهم الجنات • [الَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ] نصب على المدح او رفع - و يجوز الجر صفةً للمتقين او للعِبَاد • و الواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كلّ واحدة منها و قد مرّ الكلام في ذلك- و خصّ الاسحار لانهم كانوا يقدّمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهٗ- و عن الحسن كانوا يصلّون في اول الليل حتى اذا كان السَّحَر اخذوا في الدعاء و الاستغفار هذا نهارهم و هذا ليلهم • شُبِّهَتْ دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصّة التي لا يقدر عليها غيره و بما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص و آية الكرسي و غيرهما بشهادة الشاهد في البيان و الكشف وكذلك اقرار الملائكة و اولى العلم بذلك و احتجاجهم عليه • [قَآئِمًا بِالْقِسْطِ] مقيما للعدل فيما يَقْسِم من الارزاق و الآجال و يُثيب و يُعاقب و ما يامر به عبادَه من انصاف بعضهم لبعض و العملِ على السويّة فيما بينهم - و انتصابُه على انه حال مؤكدة منه كقوله وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا - فان قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه و لو قلت جاءني زيدٌ و عمرٌو راكبا لم يجز- قلت انما جاز هذا لعدم اللبّاس كما جاز في قوله وَ وَهَبْنَا لَهٗ اِسْحٰقَ وَ يَعْقُوْبَ نَافِلَةً ان انتصب نَافِلَةً حالا عن يعقوب و لو قلت جاءني زيد و هند راكبا جاز لتميزه بالمذكورة او على المدح - فان قلت أليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد للّٰه الحميدَ - انّا معشرَ الانبياء لا نُورث - انّا بني نهشل لا ندّعي لاب - قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة و انشد سيبويه في ما جاء منه نكرة قولَ الهُذَلِيّ • شعر • و ياوي الى نسوة عُطْلٍ • و شُعْثا مراضيعَ مثل السَّعَالي - فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفيّ كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو- قلت لا يبعد فقد ارَاهم يتّسعون في الفصل بين الصفة و الموصوف - فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شَهِدَ فهل يصحّ ان ينتصب حالا عن هُوَ في لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ - قلت نعم لانها حال موكدة و الحال الموكّدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا و كذلك لو قلت لرجل الا عبد الله شجاعا و هو ارجه من انتصابه عن فاعل شَهِدَ وكذلك انتصابه على المدح - فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة اللّٰه و الملائكة و اولى العلم كما دخلت الوحدانية - قلت نعم اذا جعلته حالا من

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ج وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ط

هُوَ - او نصبًا على المدح منه - او صفةً للمنفي كانه قيل شهد اللّٰه و الملٰئكةُ و اولوا العلم انه لا اٰله الا هو و انه قائم بالقسط - و قرأ عبد الله القائمُ بالقسطِ على انه بدل من هُوَ - او خبر مبتدأ محذوف - و قرأ ابو حنيفه قَيِّمًا بِالْقِسْطِ • [الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] صفتانِ مقرّرتانِ لما وصف به ذاته من الوحدانية و العدل يعني انه العزيزُ الذي لا يغالبه اٰله اخر الحكيمُ الذي لا يعدل عن العدل في افعاله - فان قلت ما المراد بأُولِي الْعِلْمِ الذين عظّمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه و مع الملٰئكة في الشهادة على وحدانيته و عدله - قلت هم الذين يُثبتون وحدانيته و عدله بالحُجج الساطعة و البراهين القاطعة و هم علماء العدل و التوحيد • و قرئ أَنَّهُ بالفتح - و إِنَّ الدِّينَ بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد اللّٰه على انه او بأنه و قوله [إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ] جملة مستانفة موكّدة للجملة الاولى - فان قلت ما فائدة هذا التوكيد - قلت فائدتها ان قوله لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ توحيد و قوله قَائِمًا بِالْقِسْطِ تعديل فاذا اردفه قوله إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ فقد آذن ان الاسلام هو العدل و التوحيد و هو الدين عند اللّٰه و ما عداه فليس عنده في شيئ من الدين و فيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يودي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين اللّٰه الذي هو الاسلام و هذا بيّن جليّ كما ترى - و قرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شَهِدَ اللَّهُ أَنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ و البدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين اللّٰه هو التوحيد و العدل - و قرئ الاول بالكسر و الثاني بالفتح على ان الفعل واقع على أَنَّ و ما بينهما اعتراض موكّد و هذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل و التوحيد فتري القراءات كلّها متعاضدةً على ذلك - و قرأ عبد اللّٰه أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ - و قرأ ابيٌّ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ لَلْإِسْلَامُ و هي مُقوّية لقراءة من فَتَحَ الاولى و كسرَ الثانيةَ - و قرئ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ بالنصب على انه حال من المذكورين قبله و بالرفع على هم شُهَدَاءُ لِلّٰهِ - فان قلت فعلام عطف على هذه القراءة وَالْمَلٰئِكَةُ - وَأُولُوا الْعِلْمِ - قلت على الضمير في شُهَدَاءَ و جاز لوقوع الفاصل بينهما - فان قلت لم كرّر قوله لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ - قلت ذكره اولًا للدلالة على اختصاصه بالوحدانيّة و انه لا اٰلهَ الا تلك الذات المتميّزة ثم ذكره ثانيًا بعد ما قرن بائبات الوحدانية اثباتَ العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اٰله الا هذا الموصوف بالصفتين و لذلك قرن به قولَهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لتضمّنهما معنى الوحدانيّة و العدل • [الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ] اهلُ الكتاب من اليهود و النصارى و اختلافُهم انهم تركوا الاسلام و هو التوحيد و العدل [مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ] انه الحق الذي لا مَحيد عنه فثلّثت النصارى و قالت اليهود عُزَيرٌ ابن اللّٰه و قالوا كنّا احقّ بان تكون النبوّة فينا من قريش لانهم امّيّون و نحن اهل كتاب و هذا تجويرٌ للّٰه [بَغْيًا بَيْنَهُمْ] اي ما كان ذلك الاختلاف و تظاهرُ هٰؤلاء بمذهب و هٰؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم و طلبا منهم للرياسة و حظوظ الدنيا و استتباع كلّ فريق ناسًا يطأُون اعقابهم لا شبهةً في الاسلام - و قيل هو اختلافهم في نبوّة محمد

وَمَنْ يَكْفُرْ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ فَاِنَّ اللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ۝ فَاِنْ حَاۤجُّوْكَ فَقُلْ اَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۭ وَقُلْ لِّلَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ وَالْاُمِّيّٖنَ ءَاَسْلَمْتُمْ ۭ فَاِنْ اَسْلَمُوْا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۚ وَاِنْ تَوَلَّوْا

حيث أمن به بعض و كفر بعض - و قيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من أمن بموسى و منهم من أمن بعيسى - و قيل هم اليهود و اختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع التورية سبعين حبرا من بني اسرائيل و جعلهم أمناء عليها و استخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم و تحاسدا على حظوظ الدنيا و الرياسة - و قيل هم النصارى و اختلافهم في امر عيسى بعدما جاءهم العلم انه عبد الله و رسوله • [فَاِنْ حَاۤجُّوْكَ] فان جادلوك في الدين [فَقُلْ اَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ] اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده و ادعو الها معه يعني ان ديني دين التوحيد و هو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي و ما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه و نحوه قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ تَعَالَوْا اِلٰى كَلِمَةٍ سَوَاۤءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اَلَّا نَعْبُدَ اِلَّا اللّٰهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهٖ شَيْـًٔا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه و من معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه [وَمَنِ اتَّبَعَنِ] عطف على التاء في اَسْلَمْتُ و حسن للفاصل - و يجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه [وَقُلْ لِّلَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ] من اليهود و النصارى [وَالْاُمِّيّٖنَ] و الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب [ءَاَسْلَمْتُمْ] يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام و يقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم و هذا كقولك لمن لخصت له المسئلة و لم تبق من طرق البيان و انكشف طريقا الا سلكته هل فهمتها لا ام لك - و منه قوله عز و علا فَهَلْ اَنْتُمْ مُّنْتَهُوْنَ بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر و الميسر - و في هذا الاستفهام استقصار و تعيير بالمعاندة و قلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق و للمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه و بين الاذعان و كذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة و كلة القريحة و في فَهَلْ اَنْتُمْ مُّنْتَهُوْنَ بالتعاعد عن الانتهاء و الحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه [فَاِنْ اَسْلَمُوْا فَقَدِ اهْتَدَوْا] فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى و من الظلمة الى النور [وَاِنْ تَوَلَّوْا] لم يضروك فانك رسول منبئ ما عليك الا ان تبلغ الرسالة و قد فعلت على طريق الهدى • و قرأ الحسن يُقَتِّلُوْنَ النَّبِيِّيْنَ - و قرأ حمزة وَيُقَاتِلُوْنَ الَّذِيْنَ يَاْمُرُوْنَ - و قرأ عبد الله وَقَاتَلُوْا - و قرأ ابي يَقْتُلُوْنَ النَّبِيِّيْنَ وَالَّذِيْنَ يَاْمُرُوْنَ و هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء و قتلوا اتباعهم و هم راضون بما فعلوا و كانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و المؤمنين لولا عصمة الله - و عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف و نهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثمائة و اربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة و اثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا

فَاِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلٰغُ ؕ وَاللّٰهُ بَصِيْرٌ بِالْعِبَادِ ۝ ع اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ النَّبِيّٖنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَّيَقْتُلُوْنَ
الَّذِيْنَ يَاْمُرُوْنَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ ۝ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ ز
وَمَا لَهُمْ مِّنْ نّٰصِرِيْنَ ۝ اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ اُوْتُوْا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتٰبِ يُدْعَوْنَ اِلٰى كِتٰبِ اللّٰهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
يَتَوَلّٰى فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ ۝ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَالُوْا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ اِلَّآ اَيَّامًا مَّعْدُوْدٰتٍ ص وَّغَرَّهُمْ فِيْ دِيْنِهِمْ
مَا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَ ۝ فَكَيْفَ اِذَا جَمَعْنٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيْهِ قف وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ ۝ قُلِ اللّٰهُمَّ

قَتَلَتَهم بالمعروف ونَهَوْهم عن المنكر فقُتِلوا جميعا من آخر النهار • [فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ] لان لهم اللعنة والخزيَ في الدنيا و العذاب في الآخرة - فان قلت لم دخلت الفاء في خبر اِنَّ - قلت لتضمّن اسمها معنى الجزاء كانّه قيل الذين يكفرون فَبَشِّرْهُمْ بمعنى من يكفر فبشّرهم و اِنَّ لا تُغيّر معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول و لو كان مكانها ليت او لعلّ لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء • [اُوْتُوْا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتٰبِ] يريد اَحْبارَ اليهود و انهم حصّلوا نصيبا وافرا من التورٰية - ومِنْ اما للتبعيض و اما للبيان او حصّلوا من جنس الكتب المنزلة - او من اللوح التورٰية و هي نصيب عظيم • [يُدْعَوْنَ اِلٰى كِتٰبِ اللّٰهِ] و هو التورٰية [لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ] و ذلك ان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نُعَيْم بن عمرو و الحارث بن زيد على ايّ دين انت قال على ملّة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديّا قال لهما ان بيننا و بينكم التورٰية فهلمّوا اليها فأبَيا - و قيل نزلت في الرجم و قد اختلفوا فيه - و عن الحسن و قتادة كِتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكّوا فيه [ثُمَّ يَتَوَلّٰى فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ] استبعاد لتولّيهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب • [وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ] و هم قوم لا يزال الاعراض دَيْدنهم - و قرئ لِيُحْكَمَ على البناء للمفعول و الوجهُ ان يراد ما وقع من الاختلاف و التعادي بين من اسلم مِنْ اَحبارهم و بين من لم يُسلم و انهم دُعُوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحّته و هو التورٰية ليحكم بين المُحقّ و المُبطل منهم ثُمَّ يَتَوَلّٰى فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ و هم الذين لم يُسلموا و ذلك ان قوله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يقتضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم و بين رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم • [ذٰلِكَ] التولّي و الاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امرَ العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المُجْبِرة و الحشويّة [وَغَرَّهُمْ فِيْ دِيْنِهِمْ مَا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَ] من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرّت اولئك شفاعةُ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في كبائرهم • [فَكَيْفَ اِذَا جَمَعْنٰهُمْ] فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم و هو استعظام لما اَعدّ لهم و تهويل لهم و انهم يقعون فيما لا حيلةَ لهم في دفعه و المَخلص منه و ان ما حدّثوا به انفسهم و سهّلوه عليها تعلّلٌ بباطل و تطمّعٌ بما لا يكون - و روي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفّار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاَشْهاد ثم يامر بهم الى النار [وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ] يرجع الى كلّ نفس على المعنى لانه في معنى كلّ الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي • الميم في [اَللّٰهُمَّ] عوض

سورة آل عمران ٣ الجزء ٣ ع ١٠

مٰلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ۖ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ
اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ تُوْلِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوْلِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم و بدخول حرف النداء عليه و فيه لام التعريف و بقطع همزته في يا اللّٰهُ وبغير ذلك • [مٰلِكَ الْمُلْكِ] اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف المُلّاك فيما يملكون [تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ] تعطي من تشاء النصيب الذي قسمتَ له و اقتضته حكمتك من الملك [وَتَنْزِعُ مِمَّنْ تَشَاءُ] النصيبَ الذي اعطيتَه منه فالملك الاول عامٌ شامل و الملكان الاخران خاصان بعضان من الكل - روي ان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم حين افتتح مكّةَ وعَدَ اُمّتَه ملكَ فارس و الروم فقال المنافقون و اليهود هيهاتَ هيهاتَ من اين لمحمد ملكُ فارسَ و الروم هم اعزّ و امنع من ذلك - وروي ان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم لما خطّ الخندق عام الاحزاب و قطع لكلّ عشرة اربعين ذراعا و اخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتلّ العظيم لم تعمل فيها المَعاول فوجّهوا سلمانَ الى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم يُخبره فاخذ المِعْوَل من سلمان فضربها ضربة صدعتها و برق منها برق اضاء ما بين لابَتَيْها لكأنّ مصباحا في جوف بيت مظلم وكبّر و كبّر المسلمون و قال اضاءتْ لي منها قُصور الحِيْرة كانها انْياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القُصور الحُمْر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءتْ لي قصور صَنْعاءَ واخبرني جبرئيل عليه السلام ان اُمّتي ظاهرة على كلّها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنّيكم و يعدكم الباطلَ و يخبركم انه يبصر من يثرب قصورَ الحيرة و مدائن كسرى و انها تُفتَحُ لكم و انتم انما تحفرون الخندق من الفرق لاتستطيعون ان تبرزوا فذرلتْ • فان قلت كيف قال [بِيَدِكَ الْخَيْرُ] فذكر الخير دون الشرّ - قلت لانّ الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بِيَدِكَ الْخَيْرُ تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك و لان كلّ افعال اللّٰه تعالى من نافع و ضارّ صادر عن الحكمة و المصلحة فهو خير كلّه كايتاء الملك و نزعه • ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل و النهار في المعاقبة بينهما و حال الحيّ و الميّت في اخراج احدهما من الاخر و عطف عليه رزقه بغير حساب دالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيّرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم و يذلّهم و يؤتيه العرب و يُعزّهم - و في بعض الكتب انا اللّٰه مَلِكُ الملوك قلوبُ الملوك و نواصيهم بيدي فان العبادُ اطاعوني جعلتُهم عليهم رحمة وان العباد عَصَوني جعلتُهم عليهم عقوبة فلاتشتغلوا بسبّ الملوك و لكن توبوا الَيّ اعطِفْهم عليكم و هو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولّى عليكم • نُهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر و قد كرر ذلك في القرآن وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ - لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارٰى اَوْلِيَاءَ - لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ الآية و المحبّة

وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ز وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُوْنَ الْكٰفِرِيْنَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ
الْمُؤْمِنِيْنَ ج وَمَنْ يَّفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّٰهِ فِيْ شَيْءٍ اِلَّآ اَنْ تَتَّقُوْا مِنْهُمْ تُقٰىةً ط وَيُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهٗ ط
وَاِلَى اللّٰهِ الْمَصِيْرُ ۝ قُلْ اِنْ تُخْفُوْا مَا فِيْ صُدُوْرِكُمْ اَوْ تُبْدُوْهُ يَعْلَمْهُ اللّٰهُ ط وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي
الْاَرْضِ ط وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ج وَّمَا عَمِلَتْ
مِنْ سُوْٓءٍ ج تَوَدُّ لَوْ اَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهٗٓ اَمَدًا بَعِيْدًا ط

فى الله و البغض فى الله باب عظيم و اصلٌ من اصول الايمان * [مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ] يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحةً عن موالاة الكافرين فلا تُؤثروهم عليهم [وَمَنْ يَّفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّٰهِ فِيْ شَيْءٍ] و من يُوالِ الكَفَرَةَ فليس من ولاية الله في شيئ يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله راسًا و هذا امر معقول فان موالاة الوليّ و موالاة عدوّه متنافيان قال * شعر * تَوَدُّ عدوّي ثم تزعمُ انّني * صديقك ليس الزُّوْرُ عنك بعازبِ * [اِلَّآ اَنْ تَتَّقُوْا مِنْهُمْ تُقٰىةً] الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاءه - و قرئ تَقِيَّةً - قيل للمتّقي تقاةٌ و تقيّة كقولهم ضربُ الامير لمضروبه رَخَّصَ لهم في موالاتهم اذا خافوهم و المرادُ بتلك الموالاة مخالفة و معاشرة ظاهرة و القلب مطمئنٌّ بالعداوة و البغضاء و انتظار زوال المانع من قَشْر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كُنْ وَسَطًا و امشِ جانبا * [وَيُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهٗ] فلا تتعرّضوا لسخطه بموالاة اعدائه و هذا وعيد شديد - و يجوز ان يضمّن تَتَّقُوْا معنى تحذروا و تخافوا فيعدّى بمِنْ و ينتصب تُقٰىةً او تَقِيَّةً على المصدر كقوله تعالى اِتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهٖ * [اِنْ تُخْفُوْا مَا فِيْ صُدُوْرِكُمْ اَوْ تُبْدُوْهُ] من ولاية الكفّار او غيرها مما لا يرضى الله [يَعْلَمْهُ] و لم يخفَ عليه وَ هو الذي [يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ] لا يخفى عليه منه شيئٌ قطّ فلا يخفى عليه سرّكم وعَلَنكم [وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ] فهو قادر على عقوبتكم و هذا بيان لقوله وَ يُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهٗ لان نفسه و هي ذاته المتميزة من سائر الذوات متّصفة بعلمٍ ذاتيّ لا تختصّ بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلّها و بقدرةٍ ذاتيّة لا تختصّ بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلّها و كان حقّها ان تُحذَر و تُتّقى فلا يجسر احد على قبيح و لا يقصّر عن واجب فان ذلك مُطّلع عليه لا محالة فلاحقٌ به العقاب و لو علم بعضُ عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همّه بما يُورِد و يُصدر و نصب عليه عُيُونا و بثّ من يتجسّسُ عن بواطن اموره لَاَخَذ حذره و تيقّظ في امره و اتقى كلّ ما يتوقع فيه الاستراية به فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السرّ و اخفى مهيمنٌ عليه و هو اُمن - اللّٰهم انّا نعوذ بك من اغترارنا بسترك * [يَوْمَ تَجِدُ] منصوب بتَوَدُّ و الضمير في بَيْنَهٗ للْيَوْم اي يوم القيٰمة حين تجد كلّ نفس خيرها و شرّها حاضرين تتمنّى لو ان بينها و بين ذلك اليوم و هَوْله اَمَدًا بَعِيْدًا - و يجوز ان ينتصب يَوْمَ تَجِدُ بمضمر نحو اذكر و يقعَ على ما عملت وحده و يرتفعَ و مَا عَمِلَتْ على الابتداء و تَوَدُّ خبره لي و الذي عملَتْهُ من سوء تودّ هي لو تباعد

وَيُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ ط وَاللّٰهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝ قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوْبَكُمْ ط وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ قُلْ اَطِيْعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُوْلَ ج فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِيْنَ ۝
اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰٓى اٰدَمَ وَنُوْحًا وَّاٰلَ اِبْرٰهِيْمَ وَاٰلَ عِمْرٰنَ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ ۝ ذُرِّيَّةً

ما بينها و بينه و لا يصحّ ان تكون مَا شرطية لارتفاع تَوَدُّ - فان قلت فهل يصحّ ان يكون شرطية على قراءة عبد الله وَدَّتْ - قلت لا كلام في صحّته و لكن الحمل على الابتداء و الخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم و اثبت لموافقة قراءة العامة - و يجوز ان يعطف وَ مَا عَمِلَتْ على مَا عَمِلَتْ و يكون تَوَدُّ حالا اي يَوْمَ تَجِدُ عملها [مُحْضَرًا] وَادًّا تباعد ما بينها و بين اليوم او عملَ السوء محضرا كقوله تعالى و وَجَدُوْا مَا عَمِلُوْا حَاضِرًا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤنه و نحوه فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوْا اَحْصَاهُ اللّٰهُ وَنَسُوْهُ * و [الامد] المسافة كقوله تعالى يَا لَيْتَ بَيْنِيْ وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ - وكرّر قوله وَيُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه * [وَاللّٰهُ رَءُوْفٌ بِالْعِبَادِ] يعني ان تحذيره نفسه و تعريفه حالها من العلم و القدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حقّ المعرفة و حذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه و اجتناب سُخْطه - و عن الحسن من رأفته بهم اَنْ حذّرهم نفسه - و يجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه و قدرته مرجوّ لسعة رحمته كقوله اِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ وَّذُوْ عِقَابٍ اَلِيْمٍ * محبّة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره و رغبتهم فيها و محبّةُ الله عباده ان يرضى عنهم و يحمد فعلهم - والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة [فَاتَّبِعُوْنِيْ] حتى يصحّ ما تدعونه من ارادة عبادته يرضَ عنكم وَيَغْفِرْ لَكُمْ - و عن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم انهم يُحبّون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبّته وخالف سنة رسوله فهو كذّاب و كتاب الله يكذّبه و اذا رأيت من يذكر محبّةَ الله و يُصفّق بيديه مع ذكرها و يطرب و ينعر و يصعق فلا تشكّ في انه لا يعرف ما الله و لا يدري ما محبّة الله و ما تصفيقهُ و طربه و نعرته و صعقته الّا انه تصوّر في نفسه الخبيثة صورةً مستملحةً معشّقةً فسماها الله بجهله و دعارته ثم صفّق و طرب و نعر و صعق على تصورها و ربّما رأيت المنيّ قد ملأ ازار ذلك المُحِبّ عند صعقته و حَمْقى العامة على حوَاليْه قد ملئوا آرادانهم بالدموع لمارقتهم من حاله - و قرئ تَحِبُّوْنَ - وَيُحِبُّكُمْ - و يُحِبُّكُمْ من حبّه يَحُبّه قال * شعر * اَحِبّ ابا ثروان من حُبّ تمره * واعلم ان الرفقَ بالجار ارفقُ * و الله لولا تمرهُ ما حببتُه * و لا كان ادنى من عُبَيْد و مُشْرِقِ * [فَاِنْ تَوَلَّوْا] يحتمل ان يكون ماضيا و ان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا و يدخل في جملة ما يقول الرسول لهم * [اٰلَ اِبْرٰهِيْمَ] اسمعيل و اسحٰق و اولادهما و [اٰلَ عِمْرٰنَ] موسى و هارون ابنا عمران بن يصهر - و قيل عيسى و مريم بنتُ عمران بن ماثان و بين العمرانين الف و ثمانمائة سنة * و [ذُرِّيَّةً] بدل من اٰلَ اِبْرٰهِيْمَ وَاٰلَ عِمْرٰنَ [بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ] يعني ان الالين ذريةٌ واحدة متسلسلة بعضُها منشعب من بعض

بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ط وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ۝ اِذْ قَالَتِ امْرَاَتُ عِمْرٰنَ رَبِّ اِنِّيْ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِيْ بَطْنِيْ مُحَرَّرًا
فَتَقَبَّلْ مِنِّيْ ج اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا

موسى و هارونُ من عمران و عمرانُ من يصهرَ و يصهرُ من قاهثَ و قاهثُ من لاوى و لاوى من يعقوبَ و يعقوبُ من اسحٰق - و كذلك عيسى بن مريم بنتِ عمران بن ماثان ... سليمانُ بن داوٗد بن ايشى ... يهوذا بن يعقوب بن اسحٰق و قد دخل في آل ابراهيم رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم - و قيل بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ في الدين كقوله تعالى اَلْمُنٰفِقُوْنَ وَالْمُنٰفِقٰتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ * [وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ] يعلم من يصلح للاصطفاء - او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين - او سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ لقول امرأة عمران و نيتها و [اِذْ] منصوب به - و قيل باضمار اذكر * و [اِمْرَاَةُ عِمْرٰنَ] هي امرأة عمران بن ماثان امُّ مريم البتول جدةُ عيسى عليه السلام و هي حَنَّةُ بنتُ فاقوذَ و قوله اِذْ قَالَتِ امْرَاَةُ عِمْرٰنَ على اثر قوله وَاٰلَ عِمْرٰنَ مما يرجّح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى و القول الاخر يرجّحه ان موسى يُقرن بابراهيم كثيرا في الذكر - فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنتٌ اسمها مريم اكبر من موسى و هارون و لعمران بن ماثان مريم البتول فما اَدْرٰاكَ ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى و هارون - قلت كفى بكفالة زكريّا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريّا بن اُذن و عمرانَ بن ماثان كانا في عصر واحد و قد تزوج زكريا بنته ايشاعَ اختَ مريم فكان يحيٰى وعيسى ابنَي خالة - روي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يُطعم فرخًا له فتحركت نفسها للولد و تمنّته فقالت اللّٰهم ان لك عليّ نذرًا شكرًا ان رزقتني ولدا اَنْ اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سَدَنَته و خَدَمه فحملت بمريم و هلك عمران و هي حامل [مُحَرَّرًا] معتقا لخدمة بيت المقدس لايَدَعني عليه ولا استخدمه و لا اشغله بشيء و كان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم - و روي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خُيّر بين ان يفعل و بين ان لا يفعل - و عن الشعبي مُحَرَّرًا مخلصا للعبادة و ما كان التحرير الا للغلمان و انما بَنَت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا * [فَلَمَّا وَضَعَتْهَا] الضمير لِمَا فِيْ بَطْنِيْ و انما انّث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم اللّٰه - او على تاويل الحَبَلَة او النفس او النَسَمة - فان قلت كيف جاز انتصاب اُنْثٰى حالا من الضمير في وَضَعَتْهَا و هو كقولك وضعتُ الانثى انثى - قلت الاصل وضعتُه انثى و انما اُنّث لتانيث الحال لان الحال و ذا الحال لشيء واحد كما اُنّث الاسم في مَا كَانَتْ اُمُّكَ لتانيث الخبر و نظيره قوله تعالى فَاِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ - و اما على تاويل الحبلة او النسمة فهو ظاهر كانه قيل اني وضعتُ الحبلة او النسمة انثى - فان قلت فلم قالت اِنِّيْ وَضَعْتُهَا اُنْثٰى و ما ارادت الى هذا القول - قلت كانه تحسرًا على ما رأت من خيبة رجائها و عكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو و تقدر ان تلد ذكرًا ولذلك نذرته محررًا للسدانة و لتكلمها بذلك على وجه التحسر و التحزن قال اللّٰه

قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ۖ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ

تعالى [وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ] تعظيما لموضوعها و تجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه - و معناه و الله اعلم بالشيء الذي وضعت و ما علق به من عظائم الامور و ان يجعله و ولده اية للعالمين و هي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيأ فلذلك تحسرت - و في قراءة ابن عباس وَاللَّهُ عَلَمُ بِمَا وَضَعْتِ على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب و ما علم الله من عظم شانه و علو قدره - و قرئ وَضَعْتُ بمعنى و لعل لله تعالى فيه سرًا و حكمة و لعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها * فان قلت فما معنى قوله [وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى] - قلت هو بيان لما في قوله وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ من التعظيم للموضوع و الرفع منه - و معناه و ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وُهبت لها - و اللام فيهما للعهد * فان قلت علام عطف قوله [وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ] - قلت هو عطف على إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى و ما بينهما جملتان معترضتان كقوله تعالى وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ - فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها - قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب و الطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها و ان يصدق فيها ظنها بها - الا ترى كيف اتبعه طلب العاذة لها و لولدها من الشيطان و اغوائه - و ما يروى من الحديث ما من مولود يُولد الا و الشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم و ابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم و ابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما لقوله تعالى لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ واستهلاله صارخا من مسه تخييل و تصوير لطمعه فيه كانه يمسه و يضرب بيده عليه و يترل هذا ممن اعوبه و نحوه من التخييل قول ابن الرومي * شعر * لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد * و اما حقيقة المس و النخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا و لو سُلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا و عياطا مما يبلونا به من نخسه * [فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا] فرضي بها في النذر مكان الذكر [بِقَبُولٍ حَسَنٍ] فيه وجهان - احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط و اللدود لما يسعط به و يلد و هو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر و لم تُقبل قبلها انثى في ذلك - او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ و تصلح للسدانة - و روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة و حملتها الى المسجد و وضعتها عند الاحبار ابناء هرون و هم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم و صاحب قربانهم و كانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل و احبارهم و ملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا و كانوا سبعة و عشرين الى نهر فألقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء و رسبت اقلامهم فتكفلها - و الثاني

وَّ اَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَّكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ط كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ج قَالَ يٰمَرْيَمُ اَنّٰى لَكِ هٰذَا ط قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ ط اِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ هُنَالِكَ

ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبّلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن و هو الاختصاص - و يجوز ان يكون معنى تَقَبَّلَهَا فاستقبلها كقولك تعجّله بمعنى استعجله و تقصّاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامرَ اذا اخذه باوله و عُنفوانه قال القُطاميّ • شعر • و خير الامر ما استقبلتَ منه • و ليس بان تتبّعه اتّباعا • و منه المثل خُذ الامر بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين وُلدت بِقَبُوْلٍ حَسَنٍ • [وَ اَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا] مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يُصلحها في جميع احوالها • و قرئ وكَفَلَهَا زَكَرِيَّا بورن وعَملها [وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا] بتشديد الفاء و نصب زَكَرِيَّا و الفعل لله تعالى بمعنى و ضمّها اليه و جعله كافلا لها و ضامنا لمصالحها - ويؤيّدها قراءة اُبيّ و اَكْفَلَهَا من قوله تعالى فقال اَكْفِلْنِيْهَا - و قرأ مجاهد تَقَبَّلْهَا رَبُّهَا - وَ اَنْبِتْهَا - وكَفِّلْهَا على لفظ الامر في الأفعال الثلثة و نصب رَبَّهَا تدعو بذلك اي فَتَقَبَّلْهَا يا رَبَّها و رَبِّها و اجعل زكريّا كافلا لها - قيل بنى لها زكريّا محرابا في المسجد اي غُرفة يصعد اليها بسُلّم - و قيل المحراب اشرف المجالس و مقدّمها كانها وُضعت في اشرف موضع من بيت المقدس - و قيل كانت مساجدهم تسمى المحاريبَ - و روي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده و كان اذا خرج غلّق عليها سبعة ابواب • [وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا] كان رزقها ينزل عليها من الجنّة ولم ترضع ثَدْيًا قطّ فكان يجد عندها فاكهةَ الشتاء في الصيف و فاكهةَ الصيف في الشتاء • [اَنّٰى لَكِ هٰذَا] من اين لكِ هذا الرزق الذي لا يُشبه ارزاق الدنيا و هو آت في غير حينه و الابوابُ مغلّقة عليك لا سبيل للداخل به اليكِ [قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ] فلا تستبعدْ - قيل تكلّمتْ و هي صغيرة كما تكلّم عيسى و هو في المهد - وعن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم انه جاع في زمن قحط فاهدتْ له فاطمة رضي الله عنها رَغيفين و بَضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها و قال هَلمّي يا بُنيّةُ فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوّ خبزا و لحما فَبُهتتْ و عَلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلّى الله عليه و آله و سلّم انّى لكِ هذا فقالتْ هو من عند الله اِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ فقال عليه السلام الحمد الذي جعلكِ شبيهةَ سيّدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عليَّ بن ابي طالب و الحسنَ و الحسينَ و جميع اهل بيته عليه حتى شبعوا و بقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها • [اِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ] من جملة كلام مريم - او من كلام ربّ العزّة عزّ من قائل • [بِغَيْرِ حِسَابٍ] اي غير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق • [هُنَالِكَ] في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب - و في ذلك الوقت فقد يستعار هُنا و ثَمّ و حيثُ للزمان - لمّا رأى حال مريم في كرامتها على الله و منزلتها رغب في ان يكون له من ايشاعَ ولد مثل ولد اختها حنّةَ في النجابة و الكرامة على الله و ان كانتْ عاقرا

دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۚ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰئِكَةُ
وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ
الصَّالِحِينَ ۝ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝
قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝

عجوزا فقد كانت اختها كذلك - و قيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر • [ذُرِّيَّةً] ولدا و الذرية تقع على الواحد و الجميع • [سَمِيعُ الدُّعَاءِ] مجيبه • قرئ فَنَادَاهُ الْمَلَٰئِكَةُ - و قيل ناداه جبرئيل عليه السلام و انما قيل الْمَلَٰئِكَةُ على قولهم فلان يركب الخيل • [أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ] بالفتح على بِأَنَّ اللَّهَ - و بالكسر على ارادة القول - لان النداء نوع من القول - وقرئ يُبَشِّرُكَ و يُبْشِرُكَ من بَشَرَه و أَبْشَرَه - و يَبْشُرُكَ بفتح الياء من بَشَرَه • و [يَحْيَىٰ] ان كان اعجميا و هو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى و عيسى - وان كان عربيا فللتعريف و وزن الفعل كيَعمَر • [مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ] مصدقا بعيسى مؤمنا به - قيل هو اول من آمن به و سُمّي عيسى كَلِمَةَ لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها و هي قوله كُنْ من غير سبب آخر - وقيل مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ مؤمنا بكتاب منه وسُمّي الكتاب كَلِمَةً كما قيل كلمة الْقَصِيدَةِ لقصيدته • و [السَّيِّد] الذي يسود قومَه اي يفوقهم في الشرف و كان يحيى فائقا لقومه و فائقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة قط وبالغا من سيادة • و [الْحَصُور] الذي لا يقرب النساء حَصْرًا لنفسه اي منعا لها من الشهوات - و قيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الأخطل • شعره و شارب مُربح بالكأس نادَمني • لا بالحَصُور و لا فيها بسَأّار • فاستعير لمن لا يدخل في اللعب و اللهو - وقد روي انه مرَّ و هو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خُلقتُ • [مِنَ الصَّالِحِينَ] ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء - او كائنا من جملة الصالحين كقوله وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ • [أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ] استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم • [وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ] كقولهم ادركته السنّ العالية - و المعنى اثر فيّ الكبر و اضعفني و كانت له تسع و تسعون سنة و لامرأته ثمانٌ وتسعون • [كَذَٰلِكَ] اي يَفْعَلُ اللَّهُ [مَا يَشَاءُ] من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل و هو خلق الولد بين الشيخ الفاني و العجوز العاقر - او كَذَٰلِكَ اللَّهُ مبتدأ و خبر اي على نحو هذه الصفة اللَّهُ - و يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات • [آيَةً] علامة اعرفُ بها الحبلَ لأتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر • [قَالَ آيَتُكَ] ان لا تقدر على تكليم الناس [ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ] و انما خصّ تكليم الناس ليُعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصةً مع ابقاء قدرته على التكليم بذكر الله و لذلك قال [وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ] يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس و هي من الآيات الباهرة - فان قلت لم حُبس لسانه عن كلام الناس - قلت ليتخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على

وَاِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يٰمَرْيَمُ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰىكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفٰىكِ عَلٰى نِسَآءِ الْعٰلَمِيْنَ ۝ يٰمَرْيَمُ اقْنُتِيْ لِرَبِّكِ وَاسْجُدِيْ وَارْكَعِيْ مَعَ الرّٰكِعِيْنَ ۝ ذٰلِكَ مِنْ اَنْۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوْحِيْهِ اِلَيْكَ ۭ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ اِذْ يُلْقُوْنَ اَقْلَامَهُمْ

قضاء حق تلك النعمة الجسيمة و شكرها الذي طلب الاية من اجله كانه لما طلب الاية من اجل الشكر قيل له ايتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر و احسنُ الجواب و اوقعه ما كان مشتقًا من السوال و منتزعا منه • [اِلَّا رَمْزًا] الا اشارةً بيد او راس او غيرهما و اصله التحرك يقال ارتمزَ اذا تحرّك و منه قيل للبحر الراموز - و قرأ يحيى بن وثّاب اِلَّا رُمُزاً بضمتين جمع رَموز كرَسُول و رُسُل - و قرئ رَمْزًا بفتحتين جمع رامز كخادم و خَدَم و هو حال منه و من النّاسَ دفعةً كقوله • شعر • مثلما تلقني فردَيْنِ ترجُف • روانف اَلْيَتَيْكِ و تستطارا • بمعنى الا مترامزين - كما يكلّم الناسُ الاخرسَ بالاشارة و يكلّمهم • و [اَلْعَشِيّ] من حين تزول الشمس الى ان تغيب و [اَلْاِبْكَار] من طلوع الفجر الى وقت الضحى - و قرئ وَالْاُبْكَارِ بفتح الهمزة جمع بَكَر كسَحَر و اَسْحار يقال اتيتُه بُكَرًا بفتحتين - فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه - قلت لما ادّى مؤدّى الكلام وفُهم منه ما يفهم منه سمّي كلاما - و يجوز ان يكون استثناء منقطعا • [يٰمَرْيَمُ] روي انهم كلّموها شفاهًا معجزة لزكريّا - او ارهاصًا لنبوة عيسى • [اصْطَفٰىكِ] اولًا حين تقبّلك من امّك و ربّاك و اختصّك بالكرامة السنيّة [وَطَهَّرَكِ] مما يستقذر من الافعال و مما قرفك به اليهود [وَاصْطَفٰىكِ] اخرًا [عَلٰى نِسَآءِ الْعٰلَمِيْنَ] بان وهب لك عيسى من غير اب و لم يكن ذلك لاحد من النساء • اُمرت بالصلوة بذكر القنوت و السجود لكونهما من هيأت الصلوة و اركانها ثم قيل لها [وَارْكَعِيْ مَعَ الرّٰكِعِيْنَ] بمعنى و لتكن صلوتك مع المصلّين اي في الجماعة او انظمي نفسك في جملة المصلّين وكوني معهم في عدادهم و لا تكوني في عداد غيرهم - و يحتمل ان يكون في زمانها مَنْ كان يقوم و يسجد في صلوته و لا يركع و فيه من يركع فاُمرتْ بان تركع مع الراكعين و لا تكون مع من لا يركع • [ذٰلِكَ] اشارة الى ما سبق من نبإ زكريّا و يحيى و مريم و عيسى عليهم السلام يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي - فان قلت لم نفيت المشاهدة و انتفاءها معلوم بغير شبهة و تركُ نفي استماع الانباء من حُفّاظها و هو موهوم - قلت كان معلومًا عندهم علما يقينيًا انه ليس من اهل السماع و القراءة و كانوا مذكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة و هي في غاية الاستبعاد و الاستحالة فنُفيت على سبيل التهكّم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له و لا قراءة ونحوه وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ - و وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّوْرِ [وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ] اذ اَجمعوا امرهم • [اَقْلَامَهُمْ] اَزلامهم و هي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين - و قيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبرّكًا بها • [اِذْ يَخْتَصِمُوْنَ] اي شانها تنافسًا في التكفل بها - فان قلت اَيُّهم يَكْفُلُ بم يتعلق - قلت بمحذوف دلّ عليه يُلْقُوْنَ اَقْلَامَهُمْ كانه قيل يلقونها ينظرون ايّهم يكفل - او ليعلموا - او يقولون • [اَلْمَسِيْحُ] لقب من الالقاب المشرّفة

سورة آل عمران ٣ الجزء ٣ ع ١٢

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ
اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا
يَشَاءُ ۖ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ وَرَسُولًا
إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ

كالصدّيق و الفاروق و اصله مسيحا بالعبرانية و معناه المبارَك كقوله وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وكذلك [عِيسَىٰ] معرّب من ايشوع و مشتقّا من المسح و العَيْس كالراقم في الماء - فان قلت اذْ قَالَتْ بم يتعلّق - قلت هو بدل من و اذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ - و يجوز ان يبدل من اذْ يَخْتَصِمُونَ على ان الاختصام و البشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا - فان قلت لم قيل عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ والخطاب لمريم - قلت لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الّا الى أمّه و بذلك فُضّلتْ و اصطفيتْ على نساء العالمين - فان قلت لم ذكّر ضمير الكَلِمَة - قلت لان المسمّى بها مذكّر - فان قلت لم قيل اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ و هذه ثلثة اشياء الاسم منها عيسى و اما المسيح و الابن فلقب و صفة - قلت الاسم للمسمّى علامة يعرف بها و يتميّز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به و يتميّز ممّن سواه مجموع هذه الثلثة [وَجِيهًا] حال من كَلِمَةٍ و كذلك قوله وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ - وَيُكَلِّمُ - وَمِنَ الصَّالِحِينَ - اي يبشّرك به موصوفا بهذه الصفات - و صحّ انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة - و الوجاهةُ في الدُّنْيَا النبوّة و التقدم على الناس وفي الْآخِرَةِ الشفاعة و علوّ الدرجة في الجنّة * و كونه [مِنَ الْمُقَرَّبِينَ] رفعه الى السماء و صحبته للملائكة * [و المهد] ما يمهد للصبيّ من مضجعه سمّي بالمصدر - وفي الْمَهْدِ في محلّ النصب على الحال [وَكَهْلًا] عطف عليه بمعنى و يكلّم الناس طفلا وكهلا - و معناه يكلّم الناس في هاتين الحالتين كلامَ الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة و حال الكهولة التي يستحكم فيها العقل و يستنبأ فيها الانبياء * و من بدع التفاسير ان قوله [رَبِّ] نداء لجبرئيل عليه السلام بمعنى يا سيّدي * و تُعَلِّمُهُ عطف على يُبَشِّرُكَ - او على وَجِيهًا - او على يَخْلُقُ - او هو كلام مبتدأ - و قرأ عاصم و نافع و تُعَلِّمُهُ بالياء - فان قلت علام تحمل وَرَسُولًا و مُصَدِّقًا من المنصوبات المتقدمة و قوله أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ - وَلِمَا بَيْنَ يَدَيَّ بانى حمله عليها - قلت هو من المضائق و فيه وجهان - احدهما ان يضمر له وَأُرسلتُ على ارادة القول تقديره وتُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ و الْحِكْمَةَ و قيل أُرسلتُ رسولا بِأَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ - و مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ - و الثاني ان الرسول و المصدّق فيهما معنى النطق فكانه قيل و ناطقا باني قد جئتكم و ناطقا باني اصدّق ما بين يدي - و قرأ اليزيدي و رَسُولًا عطفا على كَلِمَةٍ [أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ] اصله ارسلتُ بِأَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بحذف الجار و نصب الفعل * و [أَنِّي] بدل من أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ - او جر بدل من

فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا
تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ
مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ
رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ

اية - او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيأ مثل صورة الطير * [فَأَنْفُخُ فِيهِ] الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير * [فَيَكُونُ طَيْرًا] فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا - و قرأ عبد الله فَأَنْفُخُهَا قال * ع * كالهبرني تنحى ينفخ الفحما * و قيل لم يخلق غير الخفاش [الْأَكْمَهَ] الذي ولد اعمى - و قيل هو الممسوح العين - و يقال لم يكن في هذه الأمة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير - وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى مَن اطاق منهم اتاه و مَن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده * وكرر [بِإِذْنِ اللَّهِ] دفعا لوهم من توهم اللاهوتية - و روي انه احيى سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يافلان اكلت كذا و يا فلان خبئ لك كذا * وقرئ تَدْخُرُونَ بالذال والتخفيف * [وَلِأُحِلَّ] رد على قوله بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ اي جئتكم بآية من ربكم - وَلِأُحِلَّ لَكُمْ - ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اي جئتكم بآية و جئتكم مصدقا * وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم و الثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك - قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له - و اختلفوا في احلاله لهم السبت - وقرئ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ على تسمية الفاعل وهو مَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ - او الله عز وجل - او موسى عليه السلام لان ذكر التوراة دل عليه و لانه كان معلوما عندهم - و قرئ حُرُمَ نحو كُرُمَ * [وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ] شاهدة على صحة رسالتي وهي قولي إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه - و قرئ بالفتح على البدل من آية * و قوله [فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ] اعتراض . فان قلت كيف جعل هذا القول آية مِّن رَّبِّهِ - قلت لان الله تعالى جعله علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل و الاستدلال - و يجوز ان يكون تكريرا لقوله جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير و الابراء و الاحياء و الانباء بالمخفيات و بغيره من ولادتي بغير اب و من كلامي في المهد و من سائر ذلك - و قرأ عبد الله وَجِئْتُكُم بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ لما جئتكم به من الآيات وَأَطِيعُونِي فيما ادعوكم اليه * ثم ابتدأ فقال [إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ] ومعنى قراءة من فتح و لان الله ربي و ربكم فاعبدوه كقوله لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ فَلْيَعْبُدُوا - و يجوز ان يكون المعنى و جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم و ما بينهما اعتراض * [فَلَمَّا أَحَسَّ] فلما علم منهم [الْكُفْرَ] علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس * و [إِلَى اللَّهِ] من صلة أَنصَارِي مضمنا معنى الاضافة كانه قيل مَن الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني - او يتعلق بمحذوف حال من الياء اي مَنْ أَنصَارِي ذاهبا إِلَى اللَّهِ

سورة آل عمران ٣ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ۚ آمَنَّا بِاللَّهِ ۚ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ
حزب ٣ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ
ع ١٣ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ
ثلث ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ

ملتجئا اليه • [نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ] اي انصار دينه ورسوله و [حَوَارِيّ] الرجل صفوته وخالصته - ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال • شعر • فقل للحواريات يبكين غيرنا • ولا تبكنا الا الكلاب النوائح • وفي وزنه الحواليّ وهو الكثير الحيلة - وانما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم • [مَعَ الشَّاهِدِينَ] مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم - او مع الذين يشهدون بالوحدانية - وقيل مع امة محمد لانهم شهداء على الناس • [وَمَكَرُوا] الواو لكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة [وَمَكَرَ اللَّهُ] ان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل • [وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ] اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب • [إِذْ قَالَ اللَّهُ] ظرف لخير الماكرين - او لمكر الله • [إِنِّي مُتَوَفِّيكَ] اي مستوفي اجلك - ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم • [وَرَافِعُكَ إِلَيَّ] الى سمائي ومقر ملائكتي [وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا] من سوء جوارهم وخبث صحبتهم - وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته - وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الان - وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا - ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء من مقرب • [فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ] يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى • [فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ] تفسير الحكم قوله [فَأُعَذِّبُهُمْ] - فَنُوَفِّيهِمْ [أُجُورَهُمْ] - وقرئ فَيُوَفِّيهِمْ - بياء • [ذَٰلِكَ] اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره [نَتْلُوهُ] - و [مِنَ الْآيَاتِ] خبر بعد خبر - وخبر مبتدأ محذوف - ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي و نتلوه صلته ومن الآيات الخبر - ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه • [وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ] القرآن وصف بصفة من هو من سببه - او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه • [إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ] ان شان عيسى وحاله الغريبة كشان آدم - وقوله خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة اب ولا ام

كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ

فكذلك حال عيسى - فان قلت كيف شُبّه به وقد وُجد هو بغير اب و وجد آدم بغير اب و امّ - قلت هو مَثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف - ولانه شبّه به في انه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة و هما في ذلك نظيران - و لان الوجود من غير اب و امّ اغرب و اخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبّه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم و احسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه - و عن بعض العلماء انه أُسر بالروم فقال لهم لِمَ تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يُحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر و احيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يُبرئ الاكمهَ و الابرصَ قال فجرجيس اولى لانه طُبخ و أُحرق ثم قام سالماً • [خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ] قدّره جسداً من طين [ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ] اي انشأه بشراً كقوله ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ [فَيَكُونُ] حكاية حال ماضية • [الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ] خبر مبتدأ محذوف اي هو الحقّ كقول اهل خيبر محمدٌ و الخميسُ • ونهيه عن الامتراء وجلّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ان يكون ممترياً من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة و ان يكون لطفاً لغيره • [فَمَنْ حَاجَّكَ] من النصارى [فِيهِ] في عيسى [مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ] اي من البيّنات الموجبة للعلم [تَعَالَوْا] هلمّوا و المراد المجيء بالرأي و العزم كما تقول تعالَ نتأمّل في هذه المسئلة • [نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ] اي يدعُ كلٌّ منّي و منكم ابناءه ونساءه و انفسه الى المباهلة • [ثُمَّ نَبْتَهِلْ] ثم نتباهل بان نقول بَهْلَةُ الله على الكاذب منّا و منكم و البَهْلة بالفتح و الضم اللعنة و بَهَلَهُ الله لعنه و ابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله و ناقة باهل لاصرار عليها و اصل الابتهال هذا ثم استعمل في كلّ دعاء يجتهد فيه و ان لم يكن التعاناً - و روي انه لمّا دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع و ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال و الله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمداً نبيٌّ مرسل و لقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم و الله ما باهل قوم نبيّاً قط فعاش كبيرهم و لا نبت صغيرهم و لئن فعلتم ليهلكنّ فان ابيتم الا الف دينكم و الاقامة على ما انتم عليه فودعوا الرجل و انصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و قد اخذ بيد الحسين اخذاً بيد الحسن و فاطمة تمشي خلفه و عليّ خلفها و هو يقول اذا انا دعوت فأمّنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لأرى وجوهاً لو شاء الله ان يُزيل جبلاً من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا و لا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك و ان نقرّك على دينك و نبقى على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فأسلموا لكن لكم ما للمسلمين و عليكم ما عليهم قالوا قال فاني ناجزكم فقالوا ما لنا

فَنَجْعَلْ لَّعْنَتَ اللّٰهِ عَلَى الْكٰذِبِيْنَ ۝ اِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ اِلٰهٍ اِلَّا اللّٰهُ ۭ وَاِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ
الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ۝ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌۢ بِالْمُفْسِدِيْنَ ۝ قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ تَعَالَوْا اِلٰى كَلِمَةٍ سَوَاۗءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

بحرب العرب طائفة و كن نصالحك على ان لا تغزونا و لا تخيفنا و لا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر و الف في رجب و ثلثين درعا عادية من حديد نصالحكم على ذلك و قال و الذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران و لو لاعنوا مسخوا قردة و خنازير و لاضطرم عليهم الوادي نارا و لاستاصل الله نجران و اهله حتى الطير على رؤس الشجر و لما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا - و عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم خرج و عليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت - فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه و من خصمه و ذلك امر يختص به و بمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء و النساء - قلت ذلك اكد في الدلالة على ثقته بحاله و استيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته و افلاذ كبده و احب الناس اليه لذلك و لم يقتصر على تعريض نفسه له و على ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته و اعزته هلاك الاستيصال ان تمت المباهلة و خص الابناء و النساء لانهم اعز الاهل و الصقهم بالقلوب و ربما تداهم الرجل بنفسه و حارب دونهم حتى يقتل و من ثمه كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب و يسمون الذادة عنها باراواحهم حماة الحقائق و قدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم و قرب منزلتهم و ليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها و فيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام و فيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه و اله وسلم لانه لم ير واحد من موافق و لا مخالف انهم اجابوا الى ذلك • [اِنَّ هٰذَا] الذي قص عليك من نبإ عيسى [لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ] - قرئ بتحريك الهاء على الاصل - و باسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد - و هو اما فصل بين اسم ان و خبرها و اما مبتدأ و القصص الحق خبره و الجملة خبر ان - فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل - قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه قرب الى المبتدأ منه و اصلها ان تدخل على المبتدأ • و من في قوله [وَمَا مِنْ اِلٰهٍ اِلَّا اللّٰهُ] بمنزلة الباء على القلب في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق - و المراد الرد على النصارى في تثليثهم • [فَاِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌۢ بِالْمُفْسِدِيْنَ] وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله فَاُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوْا يُفْسِدُوْنَ • [يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ] قيل هم اهل الكتابين - و قيل وفد نجران - و قيل يهود المدينة • [سَوَاۗءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ] مستوية بيننا و بينكم لا يختلف فيها القرآن و التوراة و الانجيل و تفسير الكلمة قوله [اَلَّا نَعْبُدَ اِلَّا اللّٰهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهٖ شَيْـًٔا وَّلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا اَرْبَابًا مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ] يعني تعالوا الينا

أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ۝ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝
هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ مَا كَانَ
إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ
لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ۚ

حتى لا نقول عزيرُ ابن الله و لا المسيحُ ابن الله لان كلواحد منهما بعضنا بشرٌ مثلنا و لا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم و التحليل من غيررجوع الى ما شرع الله كقوله اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا - و عن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يُحلّون لكم و يُحرّمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك - و عن الفُضَيل لا أُبالي اطعتُ مخلوقا في معصية الخالق او صلّيتُ لغير القبلة - و قرئ كَلِمَة بسكون اللام - و قرأ الحسن سَوَاء بالنصب بمعنى استوتْ استواء * [فَإِنْ تَوَلَّوْا] عن التوحيد [فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] اي لزمتكم الحُجّة فوجب عليكم ان تعترفوا و تُسلّموا بأنّا مُسلِمُونَ دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترفْ بانني انا الغالب و سلّمْ لي الغلبة - و يجوز ان يكون من باب التعريض - و معناه واشْهَدُوا و اعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره * زعم كلّ فريق من اليهود و النصارى ان ابراهيم كان منهم و جادلوا رسولَ الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و المؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثتْ بعد نزول التوراة و النصرانيةَ بعد نزول الانجيل و بين ابراهيم و موسى الف سنة و بينه و بين عيسى الفانِ فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة * [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال * [هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ] هَا للتنبيه و أَنْتُمْ مبتدأ و هَؤُلَاءِ خبره و[حَاجَجْتُمْ] جملة مستانفة مبيّنة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى و بيان حماقتكم و قلّة عقولكم انكم جادلتم فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ مما نطق به التوراة و الانجيل [فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ] ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم - و عن الاخفش هَا أَنْتُمْ هؤُلَاءِ على الاستفهام فقُلبت الهمزة هاءً و معنى الاستفهام التعجبُ من حماقتهم - و قيل هَؤُلَاءِ بمعنى الذين وحَاجَجْتُمْ صلته * [وَاللَّهُ يَعْلَمُ] علم ما حاججتم فيه و[أَنْتُمْ] جاهلون به * ثم اعلمهم بانه بريٌّ من دينكم و ما كان الا [حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] كما لم يكن منكم و اراد بالمشركين اليهود و النصارى لاشراكهم به عزيرَ و المسيحَ * [إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ] ان اخصَّهم به و اقربهم منه من الوَلي و هو القرب [لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ] في زمانه وبعده [وَهَٰذَا النَّبِيُّ] خصوصا [وَالَّذِينَ آمَنُوا] من امّته - و قرئ وَهَٰذَا النَّبِيَّ بالنصب عطفا على الهاء في اتَّبَعُوهُ اي اتبعوه و اتبعوا هٰذَا النَّبِيَّ - و بالجر عطفا على إِبْرَاهِيمَ * [وَدَّتْ طَّائِفَةٌ] هم اليهود دَعَوا حُذيفة و عمّارا و معاذا الى

سورة ال عمران ٣ الجزء ٣ ع ١٥

وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ع وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي
أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ط
قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ط قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ

اليهودية • [وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ] وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم و اضلالهم - او وما يقدرون على اضلال المسلمين و انما يُضلُّون امثالهم من اشياعهم • [بِآيَاتِ اللَّهِ] بالتوراة و الانجيل وكفرهم بما انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و غيرها و شهادتهم اعترافهم بانها ايات الله - او تَكْفُرُونَ بالقرآن و دلائل نبوة الرسول [وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ] نعته في الكتابين - او تَكْفُرُونَ بايات الله جميعا • [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ] انها حقٌّ - قرئ تَلْبِسُونَ بالتشديد - و قرأ يحيى بن وثاب تَلْبَسُونَ بفتح الباء اي تكتسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبَيْ زور و قوله • ع • اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا • [وَجْهَ النَّهَارِ] اوله قال • شعر • مَن كان مسرورا بمقتل مالك • فليات نسوتنا بوجه نهار • و المعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار و اكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم و يقولون ما رجعوا و هم اهل كتاب و عالم الامر قد تبيّن لهم فيرجعون برجوعكم - و قيل تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد و اكفروا به آخر النهار و قولوا انا نظرنا في كتبنا و شاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك المنعوت و ظهر لنا كذبه و بُطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شكّ اصحابه في دينهم - و قيل هذا في شان القبلة لما صُرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما أُنزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلّوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في آخره و صلّوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا و قد رجعوا فيرجعون • [وَلَا تُؤْمِنُوا] متعلق بقوله أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ و ما بينهما اعتراض اي و لا تُظهروا ايمانكم بِأَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسرّوا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم و لا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا و دون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام • [أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ] عطف على أَن يُؤْتَىٰ - و الضمير في يُحَاجُّوكُمْ لِأَحَدٌ لانه في معنى الجميع بمعنى و لا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله تعالى بالحجة - فان قلت فما معنى الاعتراض - قلت معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يُسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك و لم ينفع كيدكم و حيلكم و زيّكم تصديقكم عن المسلمين و المشركين و كذلك قوله تعالى [قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ] يريد الهداية و التوفيق - او يتمّ الكلام عند قوله إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ على معنى و لا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر و هو

يُؤَدِّهِ مَنْ يَشَاءُ ط وَ اللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ ۝ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهٖ مَنْ يَّشَاءُ ط وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ۝
وَمِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ مَنْ اِنْ تَاْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُّؤَدِّهٖٓ اِلَيْكَ ج وَمِنْهُمْ مَّنْ اِنْ تَاْمَنْهُ بِدِيْنَارٍ لَّا يُؤَدِّهٖٓ اِلَيْكَ
اِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ط ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَالُوْا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْاُمِّيّٖنَ سَبِيْلٌ ج وَيَقُوْلُوْنَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ

ايمانهم وجه النهار اِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِيْنَكُمْ الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم و لان اسلامهم كان اغيظ لهم و قوله اَنْ يُّؤْتٰى معناه لان يؤتى احد مِثْلَ مَآ اُوْتِيتم قلتم ذلك و دبّرتموه لا لشيء آخر - يعني ان ما بكم من الحسد و البغي ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم و الكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم - و الدليل عليه قراءة ابن كثير ءَاَنْ يُّؤْتٰى اَحَدٌ مِّثْلَ مَآ اُوْتِيْتُمْ بزيادة همزة الاستفهام للتقرير و التوبيخ بمعنى اَلَنْ يؤتى احد - فان قلت فما معنى قوله اَوْ يُحَآجُّوْكُمْ على هذا - قلت معناه دبّرتم ما دبّرتم لان يوتى احد مثل ما اوتيتم و لما يتصل به عند كفركم به من محاجّتهم لكم عند ربّكم - و يجوز ان يكون هُدَى اللّٰهِ بدلا من الْهُدٰى وَاَنْ يُّؤْتٰى اَحَدٌ خبر اِنَّ على معنى قل ان هدى الله اَنْ يُّؤْتٰى اَحَدٌ مِّثْلَ مَآ اُوْتِيْتُمْ اَوْ يُحَآجُّوْكُمْ حتى يحاجّوكم عِنْدَ رَبِّكُمْ فيقرعوا باطلكم بحقهم و يُدحضوا حُجّتكم - و قرئ اِنْ يُّؤْتٰى اَحَدٌ على اِنِ النافية و هو متصل بكلام اهل الكتاب اي و لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم و قولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجّوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجّونكم - و يجوز ان ينتصب اَنْ يُّؤْتٰى بفعل مضمر يدلّ عليه قوله و لا تؤمنوا الا لمن تبعَ دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم الا ان قولهم وَلَا تُؤْمِنُوْٓا اِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِيْنَكُمْ انكار لَاَنْ يُّؤْتٰى اَحَدٌ مِّثْلَ ما اوتوا * عن ابن عباس [مَنْ اِنْ تَاْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ] هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا و مائتي اوقية ذهبا فادّاه اليه - و [مَنْ اِنْ تَاْمَنْهُ بِدِيْنَارٍ] فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده و خانه - و قيل المامونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليه و الخائنون في القليل اليهودُ لغلبة الخيانة عليهم * [اِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا] الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة و التعنيف او بالرفع الى الحاكم و اقامة البينة عليه - و قرئ يُؤَدِّهِ بكسر الهاء و الوصل و بكسرها بغير وصل و بسكونها - و قرأ يحيى بن وثّاب تَيْمَنْهُ بكسر التاء و دِمْتَ بكسر الدال من دام يدام * [ذٰلِكَ] اشارة الى ترك الاداء الذي دلّ عليه لَمْ يُؤَدِّهِ اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم [لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْاُمِّيّٖنَ سَبِيْلٌ] اي لا يتطرق علينا عتاب و ذمّ في شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب و ما فعلناهم من حبس اموالهم و الاغرار بهم لانهم ليسوا على ديننا و كانوا يستحلّون ظلم من خالفهم و يقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة - و قيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضَوْهم فقالوا أليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم و ادّعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم - و عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم انه قال عند نزولها كَذَبَ اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا و هو تحت قدميّ الا الامانة فانها مؤدّاة

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ

الى البرّ و الفاجر - و عن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نُصيب في الغزو من اموال اهل الذمّة الدجاجةَ و الشاةَ قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال اهل الكتاب لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ انهم اذا ادّوا الجزية لم يحلّ لكم أكل اموالهم الا بطيبة انفسهم * [وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ] بادّعائهم ان ذلك في كتابهم [وَهُمْ يَعْلَمُونَ] انهم كاذبون * [بَلَىٰ] اثبات لما نفوه من السبيل عليهم فِي الْأُمِّيِّينَ اي بَلَى عليهم سبيل فيهم * و قوله [مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ] جملة مستانفة مقرّرة للجملة التي سدّت مسدّها - و الضمير في [بِعَهْدِهِ] راجع الى مَنْ أَوْفَىٰ على ان كلّ من وفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة و الغدر فان الله يحبّه - فان قلت فهذا عام يخيّل انه لو وفى اهلُ الكتاب بعهودهم و تركوا الخيانة لكسبوا محبّة الله - قلت اجلّ لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم و هو ما أُخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدّق لما معهم و لو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتّقوه في ترك الكذب على الله و تحريف كلمه - و يجوز ان يرجع الضمير الى الله على ان كلّ من وفى بعهد الله و اتقاه فان الله يحبّه و يدخل في ذلك الايمانُ و غيرُه من الصالحات و ما وجب اتقاؤه من الكفر و أعمال السوء - فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى مَنْ - قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير - و عن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام و بَحيرا الراهب و نُظرائهما من مسلمة اهل الكتاب * [يَشْتَرُونَ] يستبدلون [بِعَهْدِ اللَّهِ] بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدّق لما معهم * [وَأَيْمَانِهِمْ] و بما حلفوا به من قولهم و الله لنؤمنَنّ به و لننصرنّه * [ثَمَنًا قَلِيلًا] متاع الدنيا من الترؤّس و الارتشاء و نحو ذلك - و قيل نزلت في ابي رافع و لُبابة بن ابى الحُقَيق و حُيَيّ بن أخطب حرّفوا التوراة و بدّلوا صفة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و اخذوا الرشوة على ذلك - و قيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسولُ الله قالوا نعم قال لقد هممتُ ان آميركم و اكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعلّه شُبّه علينا فرويدًا حتى نلقاه فاطلقوا فكتبوا صفةً غير صفته ثم رجعوا اليه و قالوا قد غلطنا و ليس هو بالنعت الذي نُعت لنا ففرح و مارهم - و عن الاشعث بن قيس نزلت فيّ كانت بيني و بين رجل خصومة في بير فاختصمنا الى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال شاهداك او يمينه فقلتُ اذن يحلف و لا يبالي فقال من حلف على يمين يستحقّ بها ما لا هو فيها فاجرٌ لقي الله و هو عليه غضبان - و قيل نزلت في رجل اقام سِلعةً في السوق فحلف لقد أُعطي بها ما لم يُعطَه - و الوجه ان نزولها في اهل الكتاب و قوله و بِعَهْدِ اللَّهِ يقوّي رجوع الضمير في بِعَهْدِهِ الى الله * [وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ] مجاز عن الاستهانة بهم و السُّخط عليهم تقول

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ۚ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ

سورة آل عمران ٣ الجزء ٣ ع ١٥

فلان لا ينظر الي فلان تريد نفي اعتداده به و احسانه اليه * [وَلَا يُزَكِّيهِمْ] ولا يثني عليهم - فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر و فيمن لا يجوز عليه - قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه و اعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد و الاحسان و ان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر * [لَفَرِيقًا] هم كعب بن الاشرف و مالك بن الصيف و حيي بن اخطب و غيرهم * [يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ] يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف - و قرأ اهل المدينة يُلَوُّونَ بالتشديد كقوله لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ - وعن مجاهد و ابن كثير يَأْلُونَ و وجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها و القاء حركتها على الساكن قبلها - فان قلت الام يرجع الضمير في [لِتَحْسَبُوهُ] - قلت الى ما دل عليه يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ وهو المحرف - و يجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لِتَحْسَبُوا ذلك الشبه من الكتاب - و قرئ لِيَحْسَبُوهُ بالياء بمعنى يفعلون ذلك لِيَحْسبه المسلمون من الكتاب * [وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] تاكيد لقوله هُوَ مِنَ الْكِتَابِ و زيادة تسنيع عليهم و تسجيل بالكذب و دلالة على انهم لا يعترضون و لا يورون و انما يصرحون بانه في التوراة هكذا و قد انزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله و قساوة قلوبهم و ياسهم من الآخرة - وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف و غيروا التوراة و كتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم اخذت قُرَيظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم * [مَا كَانَ لِبَشَرٍ] تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى - و قيل ان ابا رافع القُرَظي و السيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اتريد ان نعبدك و نتخذك ربا قال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني و لا بذلك امرني فنزلت - و قيل قال رجل يا رسول الله نُسلم عليك كما يُسلم بعضنا على بعض أ فلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يُسجد لاحد من دون الله و لكن اكرموا نبيكم و اعرفوا الحق لاهله * [وَ الْحُكْمَ] و الحكمة و هي السنة * [وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ] و من يقول كونوا - و الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف و النون كما يقال رقباني و لحياني و هو الشديد التمسك بدين الله و طاعته - وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة - وعن الحسن رَبَّانِيِّينَ علماء و فقهاء - وقيل علماء معلمين و كانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم * [بِمَا كُنْتُمْ] بسبب كونكم عالمين و بسبب كونكم دارسين للعلم او جب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم و الدراسة و كفى به دليلا على خيبة سعي من جد نفسه و كد روحه

تُعَلِّمُونَ الْكِتٰبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ ع وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ

في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولاتنفعه بثمرها - و قرئ [تُعَلِّمُونَ] من التعليم و تَعْلَمُونَ من التعلم * [تَدْرُسُونَ] تقرؤن - و قرئ تُدَرِّسُونَ من التدريس و تُدْرِسُونَ على ان ادرس بمعنى درّس كاكرم و كرّم و انزل و نزّل و تَدَّرَّسُونَ من التدرّس - و يجوز ان يكون معناه و معنى تَدْرُسُونَ بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ فيكون معناهما تُدَرِّسُونَ من التدريس - و فيه ان من عام و درّس العلم و لم يعمل به فَلَيْسَ مِنَ اللّٰهِ فِي شَيْءٍ و ان السبب بينه و بين ربّه منقطع حيث لم يُثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته * قرئ [وَلَا يَأْمُرُكُمْ] بالنصب عطفا على ثُمَّ يَقُولَ وفيه وجهان - احدهما ان تجعل لَا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله مَا كَانَ لِبَشَرٍ - و المعنى ما كان لبشر ان يستنبئه اللّٰه وينصبه للدعاء الى اختصاص اللّٰه بالعبادة و ترك الاندادثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له و يامركم [أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا] كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني و لا يستخفّ بي - و الثاني ان تجعل لَا غير مزيدة - و المعنى ان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة و اليهودَ و النصارى عن عبادة عزيرَ و المسيحِ فلما قالوا له [نتّخذك ربّا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه اللّٰه ثم يامر الناس بعبادته و ينهاكم عن عبادة الملائكة و الانبياء - والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر و تنصرها قراءة عبد اللّٰه وَلَنْ يَأْمُرَكُمْ - و الضمير في وَلَا يَأْمُرَكُمْ - وَأَيَأْمُرُكُمْ للبشر - و قيل للّٰه - و الهمزة في أَيَأْمُرُكُمْ للانكار * [بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] دليل ان المخاطبين كانوا مسلمين و هم الذين استاذنوه ان يسجدوا له * [مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ] فيه غير وجه - احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك - و الثاني ان يضيف الميثاقَ الى النبيين اضافته الى الموثِق لا الى الموثَق عليه كما تقول ميثاق اللّٰه و عهد اللّٰه كانه قيل وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ الْمِيثَاقَ الذي وثقه الانبياء على اُمَمهم - و الثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين و هم بنو اسرائيل على حذف المضاف - و الرابع ان يراد اهل الكتاب و ان يرد على زعمهم تبكيتا بهم لانهم كانوا يقولون نحن اَوْلى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب و مّنا كان النبيون - وتدلّ عليه قراءة ابيّ و ابن مسعود وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ * و اللام في [لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ] لام التوطية لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف و في لَتُؤْمِنُنَّ لام جواب القسم - و مَا يحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولَتُؤْمِنُنَّ سادّ مسدّ جواب القسم و الشرط جميعا - و ان تكون موصولة بمعنى للذي أٰتيتكموه لتؤمنن به - و قرئ لَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ - وقرأ حمزة لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ بكسر اللام - و معناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب و الحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان مَا مصدرية و الفعلان معها اعني ءَاتَيْنَاكُمْ - وَجَاءَكُمْ في معنى المصدرين و اللام داخلة

لَمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ط قَالَ ءَاَقْرَرْتُمْ وَاَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ اِصْرِي ط قَالُوٓا اَقْرَرْنَا ط قَالَ فَاشْهَدُوا
وَاَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّٰهِدِيْنَ ۝ فَمَنْ تَوَلّٰى بَعْدَ ذٰلِكَ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْفٰسِقُوْنَ ۝ اَفَغَيْرَ دِيْنِ اللّٰهِ يَبْغُوْنَ وَلَهٗٓ اَسْلَمَ
مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَّكَرْهًا وَّاِلَيْهِ يُرْجَعُوْنَ ۝ قُلْ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَآ اُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ اُنْزِلَ عَلٰٓى

للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول و لتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة و ان الرسول الذي أمركم بالايمان به و نصرته موافق لكم غير مخالف - و يجوز ان يكون مَا موصولة - فان قلت كيف يجوز ذلك و العطف على آتَيْنَاكُمْ و هو قوله ثُمَّ جَاءَكُمْ لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول لَلذي جاءكم رسول مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ - قلت بلى لان مَا مَعَكُمْ في معنى ما آتَيْتُكُمْ فكانه قيل لَلَّذي أتيكموه و جاءكم رسول مصدق له - و قرأ سعيد بن جبير لَمَّا بالتشديد بمعنى حين أتيتكم بعض الكتاب و الحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمانُ به و نصرتُه و قيل اصله لِمَنْ مَا فاستثقلوا اجتماع ثلث ميمات و هي الميمان و النون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لِمَّا - و معناه لِمَنْ اجل ما آتيتكم لتؤمنن به و هذا نحو من قراءة حمزة في المعنى * [اِصْرِي] عهدي - و قرئ أُصْرِي بالضم و سمّي اصرا لانه مما يوصر اي يشدّ و يعقد و منه الإصار الذي يعقد به - و يجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعِنْب و عُنُب - و ان يكون جمع اِصار * [فَاشْهَدُوا] فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار و أنَا عَلى ذلكم من اقراركم و تشاهدكم مِنَ الشّٰهِدِيْنَ و هذا توكيد عليهم و تحذير من الرجوع اذ أُعلموا بشهادة الله و شهادة بعضهم على بعض - و قيل الخطاب للملائكة * [فَمَنْ تَوَلّٰى بَعْدَ ذٰلِكَ] الميثاق و التوكيد [فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْفٰسِقُوْنَ] اي المتمردون من الكفار * دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة - و المعنى فاولئك هم الفاسقون فَغَيْرَ دِيْنِ اللّٰهِ تَبْغُوْنَ ثم توسطت الهمزة بينهما - و يجوز ان يعطف على محذوف تقديره [اَ] يتولّون [فَغَيْرَ دِيْنِ اللّٰهِ تَبْغُوْنَ] و قدّم المفعول الذي هو غَيْرَ دِيْنِ اللّٰهِ على فعله لانه اهمّ من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل - و روي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام و كل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه و آله و سلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك و لا ناخذ بدينك فنزلت - وقرئ يَبْغُوْنَ بالياء و تُرْجَعُوْنَ بالتاء و هي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولّون و الراجعون جميع الناس - و قرئا بالياء معا و بالتاء معا * [طَوْعًا] بالنظر في الادلّة و الانصاف من نفسه [وَكَرْهًا] بالسيف او بمعاينة ما يُلجي الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل و ادراك الغرق فرعون و الاشفاء على الموت فَلَمَّا رَاَوْا بَاْسَنَا قَالُوٓا اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَحْدَهٗ - و انتصب طَوْعًا وَكَرْهًا على الحال بمعنى طائعين و مُكْرَهين * امر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بان يخبر عن نفسه و عمّن معه بالايمان فلذلك وحّد الضمير في [قُلْ] وجُمع في [اٰمَنَّا] - و يجوز ان يومر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر

إِبْرٰهِيمَ وَ إِسْمٰعِيلَ وَ إِسْحٰقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسٰى وَ عِيسٰى وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ۖ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ۚ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخٰسِرِينَ ۝ كَيْفَ يَهْدِي اللّٰهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنٰتُ ۚ
وَ اللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ ۝ أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّٰهِ وَ الْمَلٰئِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝
خٰلِدِينَ فِيهَا ۚ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللّٰهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا

بيته - فان قلت لما عدي أُنزِلَ في هذه الآية بحرف الاستعلاء و فيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء - قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق و ينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين و اخرى بالآخر - و من قال انما قيل عَلَيْنَا لقوله قُلْ - وَ أَيْضًا لقوله قُولُوا تفرقة بين الرسول و المؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء و يأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسّف الا ترى الى قوله بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ - وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتٰبَ و الى قوله آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا * [وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] موحّدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها * ثم قال [وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ] يعني التوحيد و اسلام الوجه لله تعالى دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ * [مِنَ الْخٰسِرِينَ] من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع - و قرئ و من يَبْتَغْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ بالادغام * [كَيْفَ يَهْدِي اللّٰهُ قَوْمًا] كيف يلطف بهم و ليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودلّ على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم و بعد ما شهدوا بان الرسول حقّ و بعد ماجاءتهم الشواهد من القرآن و سائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة و هم اليهود كفروا بالنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم بعد ان كانوا مؤمنين به و ذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات - و قيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام و لحقوا بمكة منهم طُعمة بن أُبَيْرِق و وَحْوَح بن الاسلت و الحرث بن سُوَيد بن الصامت - فان قلت علام عطف قوله وَشَهِدُوا - قلت فيه وجهان ان يعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ وقول الشاعر * ع * ليسوا مصلحين عشيرة و لا ناعب * و يجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حقّ * [وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي] لا يلطف بالقوم الظّٰلِمِينَ المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم [إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ] الكفر العظيم و الارتداد * [وَأَصْلَحُوا] ما افسدوا - او دخلوا في الصلاح - قيل نزلت في الحرث بن سُوَيد حين ندم على ردّته و ارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجُلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب و قبل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم توبته [ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا] هم اليهود كفروا بعيسى و الانجيل بعد ايمانهم بموسى و التوراة ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بكفرهم بمحمد و القرآن - او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين - قيل مبعثه ثم ازدادوا كفرا اصرارهم على ذلك و طعنهم فيه في كل

لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ ع لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ

وقت وعداوتهم له و نقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدّهم عن الايمان به و سخريتهم بكل أية تنزل - و قيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة و ازدادوهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون و ان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة - فان قلت قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ - قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ماتوا على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم - فان قلت هلم قيل في احدى الايتين لَنْ تُقْبَلَ بغير فاء و في الاخرى فَلَنْ يُقْبَلَ - قلت قد أوذن بالفاء ان الكلام بُني على الشرط و الجزاء و ان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر و بترك الفاء ان الكلام مبتدأ و خبر و لا دليل فيه على التسبّب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم - فان قلت فحين كان معنى لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ بمعنى الموت على الكفر فهلّا جعل الموت على الكفر مسبّبا عن ارتدادهم و ازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب و ركوب الزين و جرّة الى الموت على الكفر - قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام و لا يموت على الكفر - فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كُني عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة - قلت الفائدة فيها جليلة و هي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار و ابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال و اشدّها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل اليأس من الرحمة *[ذَهَبًا] نصب على التمييز - و قرأ الاعمش ذَهَبٌ بالرفع ردا على مِلْءُ كما يقال عندي عشرون نفساً رجال - فان قلت كيف موقع قوله وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ - قلت هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن تقبل من احدهم ندية و لو افتدى بملء الارض ذهبا - و يجوز ان يراد و لو افتدى بمثله كقوله وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ و المثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضربَ زيد تريد مثل ضربه و ابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله * ع * ولا هَيْثَمَ الليلة للمطيّ * وقضيةٌ و لا اباحسن لها - تريد و لا مثل هيثم و لا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت و ذلك ان المثلين يسدّ احدهما مسدّ الآخر فكانا في حكم شيء واحد - و ان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدّق به و لو افتدى به ايضا لم يقبل منه - و قرئ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا على البناء للفاعل و هو الله عز و علا و نصب مِلْءَ - و مِلْءُ لَرْضِ بتخفيف الممزتين * [لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ] لن تبلغوا حقيقة البرّ و لن تكونوا أبرارا - و قيل لن تنالوا برّ الله و هو ثوابه [حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ] حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي

سورة ال عمران ٣ وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ شَيْءٍ فَاِنَّ اللّٰهَ بِهٖ عَلِيْمٌ ۝ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيْٓ اِسْرَآئِيْلَ اِلَّا مَا حَرَّمَ اِسْرَآئِيْلُ عَلٰى نَفْسِهٖ

الجزء ٤

ع ١

تحبونها و توثرونها كقوله اَنْفِقُوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ - و كان السلف رحمهم الله اذا احبّوا شيأ جعلوه لله - و روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله انّ احبّ اموالي اليّ بَيْرحى فضعها يا رسول الله حيث اراك اللهُ فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم بَخٍ بَخٍ ذاك مال رابح او مال رائح و اني ارى ان تجعلها في الاقربينَ فقال ابو طلحة افعلُ يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يُحبّها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسولُ الله صلّى الله عليه و آله وسلّم اُسامةَ بن زيد فكانّ زيدا وجد في نفسه و قال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم اَمَا انِ الله تعالى قد قبلها منك - و كتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعريّ ان يبتاع له جارية من سبي جَلولاءَ يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوْا مِمَّا تُحِبُّوْنَ فاعتقها - و نزل بابي ذرٍ ضَيْف فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خُنتني قال وجدت خير الابل فَحْلها فذكرتُ يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه لَيوم اُوضع في حفرتي - و قرأ عبد الله حَتّٰى تُنْفِقُوْا بَعْضَ مَا تُحِبُّوْنَ و هذا دليل على ان مِنْ في مِمَّا تُحِبُّوْنَ للتبعيض و نحوه اخذت من المال و مِنْ في مِنْ شَيْءٍ لتبيين مَا تُنْفِقُوْا اي من اِيّ شيئ كان طيّبٍ تحبونه او خبيثٍ تكرهونه * [فَاِنَّ اللّٰهَ] عَلِيْمٌ بكلّ شيئ تنفقونه فمجازيكم بحسبه * [كُلُّ الطَّعَامِ] كلّ المطعومات - او كلّ اَنواع الطعام * و [الحلّ] مصدر يقال حلّ الشيئ حِلًّا كقولك ذِلّت الدابة ذِلًّا و عزّ الرجل عِزًّا - وفي حديث عايشة رضي الله عنها كنت اطيّبه لحلّه و حُرمه و لذلك استوى في الوصف به المذكرُ و المونثُ و الواحدُ و الجمعُ قال الله تعالى لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ * والذي حرم اسرائيل و هو يعقوب عليه السلام على نفسه لحومُ الابل و اَلبانُها - و قيل العروق كان به عرق النَسا - فنذر اِن شُفي ان يحرّم على نفسه احبّ الطعام اليه و كان ذلك احبّه اليه فحرّمه - و قيل اشارت عليه الاَطبّاء باجتنابه ففعل ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداءً - و المعنى ان المطاعم كلّها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة و تحريم ما حُرّم عليهم منها لظلمهم و بغيهم لم يحرم منها شيئ قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرّمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه و هو ردّ على اليهود و تكذيب لهم حيث ارادوا براءةَ ساحتهم مما نعي عليهم في قوله تعالى فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ الى قوله تعالى عَذَابًا اَلِيْمًا وفي قوله وَعَلَى الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِيْ ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُوْمَهُمَا الى قوله ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ و جحودَ ما غاظهم و اشمأزّوا منه و امتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم و ظلمهم فقالوا لَسْنا باول من حُرّمتْ عليه و ما هو الا تحريم قديم كانت محرّمة على نوح و على ابراهيم و مَن بعده من بني اسرائيل و هلمّ جرًّا الى ان انتهى التحريم الينا فحرّمتْ علينا كما حرّمت على مَن قبلنا و غرضُهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي

مِنْ قَبْلِ اَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرٰىةُ ۗ قُلْ فَاْتُوْا بِالتَّوْرٰىةِ فَاتْلُوْهَآ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝ فَمَنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ
مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ ۝ قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ فَاتَّبِعُوْا مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا ۗ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۝
اِنَّ اَوَّلَ بَيْتٍ وُّضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِيْ بِبَكَّةَ مُبٰرَكًا وَّهُدًى لِّلْعٰلَمِيْنَ ۝ فِيْهِ اٰيٰتٌۢ بَيِّنٰتٌ مَّقَامُ اِبْرٰهِيْمَ ۚ

و الظلم و الصدّ عن سبيل اللّٰه و اكل الربوا و اخذ اموال الناس بالباطل و ما عدّد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حُرّم عليهم نوع من الطيبات عقوبةً لهم *[قُلْ فَاْتُوْا بِالتَّوْرٰىةِ فَاتْلُوْهَا] أُمر بان يحاجّهم بكتابهم و يبكّتهم مما هو ناطق به من ان تحريم ما حرّم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم و بغيهم لا تحريم قديم كما يدّعونه - فروي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة و بُهتوا و انقلبوا صاغرين و في ذٰلك الحجّةُ البيّنةُ على صدق النبيّ صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم و على جواز النسخ الذي يُنكرونه *[فَمَنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ] بزعمه ان ذلك كان محرّما على بني اسرائيل قبل انزال التوراة من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة [فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ] المكابرون الذين لا يُنصفون من انفسهم و لا يلتفتون الى البيّنات *[قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ] تعريض بكذبهم كقوله ذٰلِكَ جَزَيْنٰهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَاِنَّا لَصٰدِقُوْنَ اي ثبت ان اللّٰه صادق فيما انزل و انتم الكاذبون [فَاتَّبِعُوْا مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا] وهي ملّة الاسلام التي عليها محمد و من اٰمن معه حتى تتخلصوا من اليهوديّة التي ورّطتكم في فساد دينكم و دنياكم حيث اضطرّتكم الى تحريف كتاب اللّٰه لتسوية اغراضكم و الزمتكم تحريمَ الطيبات التي اَحلّها اللّٰه لابراهيم و لمن تبعه *[وُضِعَ لِلنَّاسِ] صفة لبيت و الواضع هو اللّٰه عزّوجلّ تدل عليه قراءة من قرأ وَضَعَ لِلنَّاسِ بتسمية الفاعل وهو اللّٰه - و معنى وَضْع اللّٰه بيتا للناس انه جعله متعبّدا لهم فكانه قال ان اول متعبّد للناس الكعبةُ - و عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم انه سئل عن اول مسجد وُضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس و سئل كم بينهما قال اربعون سنة - و عن عليّ رضي اللّٰه عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى و الرحمة و البركة و اول من بناه ابراهيم ثم بناه قوم من العرب من جُرهم ثم هُدم فبنته العمالقةُ ثم هُدم فبناه قريش - و عن ابن عباس هو اول بيت حُجّ بعد الطوفان - و قيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء و الارض خلقه قبل الارض بالفَيّ عام و كان زَبَدَةً بيضاء على الماء فدُحيت الارض تحته - و قيل هو اول بيت بناه اٰدم في الارض - و قيل لما اُهبط اٰدم قالت له الملائكة طُفْ حول هذا البيت فلقد طُفنا قبلك بالفَيّ عام و كان في موضعه قبل اٰدم بيت يقال له الضُّراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السماوات * [لَلَّذِيْ بِبَكَّةَ] البيت الذي ببكّة وهي عَلَم للبلد الحرام و مكّةُ و بكّةُ لغتان فيه نحو قولهم النُّبَيْط و النُّمَيْط في اسم موضع بالدهنا و نحوه من الاعقاب امر راتبٌ و راتمٌ و حُمّى مُغْمِطة و مُغْبِطة - و قيل مكّةُ البلدُ و بكّةُ موضعُ المسجد - و قيل اشتقاقها من بَكّه اذا زحمه لازدحام الناس فيها - و عن قتادة يبكّ الناس بعضهم بعضا الرجال و النساء يصلّي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت

وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ اٰمِنًا ؕ وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا ؕ وَ مَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰلَمِيْنَ ۝ قُلْ يٰۤاَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَكْفُرُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ ز وَ اللّٰهُ شَهِيْدٌ عَلٰى مَا تَعْمَلُوْنَ ۝ قُلْ يٰۤاَهْلَ

ببكّة وهي الرحمة قال * شعر * اذا الشريبُ اخذته الاكّة * فخلّه حتى يبكّ بكّه * وقيل تبكّ اعناق الجبابرة اي تدقّها لم يقصدها جبار الاقصمه الله تعالى * [مُبَارَكًا] كثيرَ الخير لما يحصل لمن حجّه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب - وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير لَلَّذِيْ بِبَكَّةَ هو والعاملُ فيه المقدّر في الظرف من فعل الاستقرار * [وَهُدًى لِّلْعٰلَمِيْنَ] لانه قبلتهم ومتعبّدهم * [مَقَامُ اِبْرٰهِيْمَ] عطف بيان لقوله اٰيٰتٌ بَيِّنٰتٌ - فان قلت كيف صحّ بيان الجماعة بالواحد - قلت فيه وجهان - احدهما ان يجعل وحده بمنزلة اٰيات كثيرة لظهور شانه وقوّة دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى اِنَّ اِبْرٰهِيْمَ كَانَ اُمَّةً - والثاني اشتماله على ايات لان اثر القدم في الصخرة الصمّاء اٰيةٌ وغوصُه فيها الى الكعبين اٰيةٌ والانةُ بعض الصخر دون بعض اٰيةٌ وابقاؤه دون سائر اٰيات الانبياء عليهم السلام اٰيةٌ لابراهيم خاصة وحفظُه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوفَ سنة اٰيةٌ - ويجوز ان يراد فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامْن مَن دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلثة والاربعة - ويجوز ان تذكر هاتان الاٰيتان ويُطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الاٰيات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامْن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طيّ الذكر قول جرير * شعر * كانت حنيفة اثلاثا فثُلثُهم * من العبيد وثُلث من مواليها * ومنه قوله عليه السلام حُبّب اليّ من دنياكم ثَلٰث الطيب والنساء وقرّة عيني في الصلوٰة - وقرأ ابن عباس وابيّ ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قُتَيبة اٰيَةٌ بَيِّنَةٌ على التوحيد وفيها دليل على ان مَقَامُ اِبْرٰهِيْمَ واقع وحده عطف بيان - فان قلت كيف اجزتَ ان يكون مَقَامُ اِبْرٰهِيْمَ والاَمْن عطف بيان للاٰيٰت وقوله وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ اٰمِنًا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية - قلت اجزتُ ذلك من حيث المعنى لان قوله وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ اٰمِنًا دلّ على امن داخله فكانّه قيل فيه اٰيٰتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ اِبْرٰهِيْمَ وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه اٰية بينة من دخله كان اٰمنا صحّ لانه في معنى قولك فيه اٰية بيّنة امنُ من دخله - فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر - قلت فيه قولان - احدهما انه لما ارتفع بُنيان الكعبة وضعفَ ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه - وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكّة فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقّه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شقّ راسه ثم حولته الى شقّه الايسر حتى غُسلت الشقّ الاٰخر فبقي اثر قدميه عليه - ومعنى وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ اٰمِنًا معنى قوله اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا اٰمِنًا وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ اٰمِنًا وكان الرجل لو جرّ كل

الْكِتٰبِ لِمَ تَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ مَنْ اٰمَنَ تَبْغُوْنَهَا عِوَجًا وَّاَنْتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ۝

ع ١

جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يُطلب - و عن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطّاب ما مسسته حتى يخرج منه - و عند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحِلّ بقصاص او ردّة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى و لا يطعم و لا يسقى و لا يبايع حتى يضطرّ الى الخروج - و قيل أمناً من النار - و عن النبيّ صلى الله عليه و آله وسلم من مات في احد الحرمين بُعث يوم القيامة آمنا - و عنه عليه السلام الحجون و البقيع يرخذ باطرافهما و ينتران في الجنّة و هما مقبرتا مكّة و المدينة - و عن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم على ثنيّة الحجون و ليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة و من هذا الحرم كلّه سبعين الفاً وجوهُهم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفّع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوهُهم كالقمر ليلة البدر - و عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم من صبر على حرّ مكّة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتَيْ عام * [مَنِ اسْتَطَاعَ] بدل من النّاس - و روي ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم فسّر الاستطاعة بالزاد و الراحلة و كذا عن ابن عباس و ابن عمر و عليه اكثر العلماء - و عن ابن الزبير هو على قدر القوة - و مذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه - و عنه ذلك على قدر الطاقة و قد يجد الزادَ و الراحلةَ من لا يقدر على السفر و قد يقدر عليه من لا زاد له و لا راحلة - و عن الضحّاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع و قيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان نطلق اليه و لو حَبْوًا فكذلك يجب عليه الحج * و الضمير في [إِلَيْهِ] للبيت او للحج و كل مأتيّ الى الشيء فهو سبيل اليه - و في هذا الكلام انواع من التوكيد و التشديد - منها قوله وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه و الخروج من عهدته - و منها انه ذكر النّاس ثم ابدل عنه مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا و فيه ضربان من التاكيد - احدهما ان الابدال تثنية للمراد و تكرير له - و الثاني ان الايضاح بعد الابهام و التفصيلَ بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين - و منها قوله [وَمَنْ كَفَرَ] مكان و من لم يحج تغليظا على تارك الحجّ و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم من مات و لم يحجّ فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا و نحوه من التغليظ مَن تركَ الصلوة متعمدا فقد كفر - و منها ذكرُ الاستغناء عنه و ذلك مما يدلّ على المقت و السخط و الخذلان - و منها قوله [عَنِ الْعٰلَمِيْنَ] و لم يقل عنه و ما فيه من الدلالة على استغناءه عنه ببرهان لانه اذا استغني عن العالمين تناوله الاستغناء لامحالة و لانه يدلّ على الاستغناء الكامل مكان ادلّ على عظم السَخَط الذي وقع عبارة عنه - و عن سعيد بن المسيّب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحجّ الى مكّة غير واجب - و روي انه لما نزل قوله وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ جمع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم اهلَ الاديان كلّهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحجّ فحجّوا فامنت به مائة واحدة و هم المسلمون

سورة آل عمران ٣ الجزء ٤ ع ٢

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۝ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

و كفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به و لا نصلّي اليه و لا نحجّه فنزل وَمَنْ كَفَرَ - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم حُجّوا قبل ان لا تحجّوا فانه قد هُدم البيت مرتين و يرفع في الثالثة - و روي حُجّوا قبل ان لا تحجّوا حجّوا قبل ان يمنع البَرّ جانبَه - و عن ابن مسعود حُجّوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة الا تاكل منها دابة الا نفقت - و عن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحجّ عاما واحدا ما نوظروا - و قرئ حِجُّ الْبَيْتِ بالكسر • [وَاللَّهُ شَهِيدٌ] الواو للحال - و المعنى لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ التي دلّتكم على صدق مُحَمَّد صلّى الله عليه و آله وسلّم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها و هذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته • قرأ الحسن تُصَدُّونَ من أصدّه [عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] عن دين حقّ علم انه سبيل الله التي أُمر بسلوكها و هو الاسلام و كانوا يفتنون المؤمنين و يحتالون لصدّهم عنه و يمنعون مَن اراد الدخول فيه بجهدهم - و قيل اتت اليهود الاوس و الخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات و الحروب ليعودوا لمثله • [تَبْغُونَهَا عِوَجًا] تطلبون لها اعوجاجا و ميلا عن القصد و الاستقامة - فان قلت كيف تَبْغُونَهَا عِوَجًا و هو محال - قلت فيه معنيان - احدهما انكم تُلبّسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تُنسخ و بتغييركم صفة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عن وجبها ونحو ذلك - و الثاني انكم تُتعبون انفسكم في اخفاء الحق و ابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كلّ مستقيم • [وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ] انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضالّ مُضلّ - او و انتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم و يستشهدونكم في عظائم امورهم و هم الاحبار [وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ] وعيد - و محل تَبْغُونَهَا نصب على الحال قيل مرّ شاس بن قيس اليهودي و كان عظيمَ الكفر شديدَ الطعن على المسلمين شديدَ الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس و الخزرج في مجلس لهم يتحدّثون فغاظه ذلك حيث تآلفوا و اجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة و قال مالنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابّا من اليهود ان يجلس اليهم و يذكّرهم يوم بُعاث و ينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار و كان يوما اقتتلت فيه الاوس و الخزرج و كان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك و تفاخروا و تغاضبوا و قالوا السلاح السلاح فبلغ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين و الانصار فقال ادعوى الجاهلية و انا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام و قطع به عنكم امر الجاهلية و الّف بينكم فعرف القوم انها نزغةٌ من الشيطان و كَيْدٌ من عدوهم فألقوا السلاح و بكوا و عانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم فما كان يوم اقبح اوّلا و احسن آخرا من ذلك اليوم • [وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ] معنى الاستفهام فيه الانكار و التعجيب - و المعنى من اين يتطرّق اليكم الكفر و الحال ان ايات الله و هي القرآن المعجز [تُتْلَى عَلَيْكُمْ]

اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ۚ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ

على لسان الرسول غضّة طرية و بين اظهركم رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم يدبّيكم و يعظكم و يزيح شُبهكم • [وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ] و من يتمسك بدينه - و يجوز ان يكون حثًّا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار و مكائدهم • [فَقَدْ هُدِيَ] فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئتَ فلانا فقد افلحتَ كأنّ الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا - و معنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده • [حَقَّ تُقَاتِهِ] واجبَ تقواه و ما يحقّ منها و هو القيامُ بالمواجب واجتنابُ المحارم و نحوه فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ يريد بالغوا في التقوى حتى لاتتركوا من المستطاع منها شيأ - و عن عبدالله هو ان يطاع فلا يعصى و يشكر فلايكفر و يذكر فلاينسى - و روي مرفوعا - و قيل هو ان لا تاخذه في الله لَوْمة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه - و قيل لايتقي الله عبدٌ حَقَّ تقاته حتى يخزن لسانه - و المُقاة من اتقى كالتُؤدة من اتّأد • [وَلَا تَمُوتُنَّ] معناه و لا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تاتني الا و انت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان و لكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان • قولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به و وثوقه بحمايته بامتساك المتدلّي من مكان مرتفع بحبل و ثيق يامن انقطاعه - و ان يكون الحبل استعارة لعهده و الاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه - و المعنى و اجتمعوا على استمانتكم بالله و وثوقكم به وَلَا تَفَرَّقُوا عنه - او و اجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده و هو الايمان و الطاعة او بكتابه لقول النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه و لا يُخلق عن كثرة الردّ مَنْ قال به صدق و مَنْ عمل به رشد و من اعتصم به هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • [وَلَا تَفَرَّقُوا] و لا تتفرّقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود و النصارى - او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا و يحاربه - او و لا تُحدثوا ما يكون عنه التفرق و يزول معه الاجتماع و الالفة التي انتم عليها مما يابى جامعكم و المؤلف بينكم و هو اتباع الحق و التمسك بالاسلام • كانوا في الجاهلية بينهم الاحن و العداوة و الحروب المتواصلة فالّف الله بين قلوبهم بالاسلام و قذف فيها المحبة فتحابّوا و توافقوا و صاروا [إِخْوَانًا] متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم و ازال الاختلاف و هو الاخوة في الله - و قيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب و ام فوقعت بينهما العداوة و تطاولت الحروب مائة و عشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام و الّف بينهم برسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم • [وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ] و كنتم مُشْفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر [فَأَنْقَذَكُمْ] منها بالاسلام - و الضمير للحُفرة او للنّار او للشَّفا - و انما انّث لاضافته الى الحفرة و هو منها كما قال • ع • كما

سورة ال عمران ٣ الجزء ٤ ع ٢

مِنْهَا ط كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيٰتِهٖ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ ۝ وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ اُمَّةٌ يَّدْعُوْنَ اِلَى الْخَيْرِ وَ يَاْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ط وَ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ۝

شرقت صدر القناة من الدم * و شفا الحفرة و شفتها حرفها بالتذكير و التانيث و لامها واو الّا انها في المذكر مقلوبة و في المونث محذوفة و نحو الشفا و الشفة الجانبُ و الجانبةُ - فان قلت كيف جُعلوا على حرف حفرة من النار - قلت لو ماتوا على ماكانوا عليه و قعوا في النار فمثّلت حيوتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مُشفين على الوقوع فيها * [كَذٰلِكَ] مثل ذٰلك البيان البليغ [يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيٰتِهٖ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ] ارادة ان تزدادوا هدًى [وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ اُمَّةٌ] مِنْ للتعبيض لان الامر بالمعروف و النهي عن المنكر من فروض الكفايات - ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف و المنكر و علم كيف يرتب الامر في اقامته و كيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف و امر بمنكر و ربما عرف الحكم في مذهبه و جهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر و قد يغلظ في موضع اللين و يلين في موضع الغلظة و يُنكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا - او على مَن الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب الماصر و الجلادين و اضرابهم - و قيل مِنْ للتبيين بمعنى و كونوا امّة تامرون كقوله تعالى كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَاْمُرُوْنَ * [وَ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ] هم الاخصّاء بالفلاح دون غيرهم - و عن النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله وسلّم انه سئل و هو على المنبر مَن خير الناس قال امرهم بالمعروف و انهاهم عن المنكر واتقاهم للّٰه و اوصلهم - و عنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة اللّٰه في ارضه و خليفة رسوله و خليفة كتابه - و عن عليّ رضي اللّٰه عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و من شَنِئ الفاسقين و غضب للّٰه غضب اللّٰه له - و عن حذيفة ياتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احبّ اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر - و عن سفيان الثوري اذا كان الرجل مُحَبَّبا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلمْ انه مُداهنٌ و الامر بالمعروف تابع للمامور به ان كان واجبا فواجبٌ وان كان ندبا فندب و اما النهي عن المنكر فواجب كلّه لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح - فان قلت ما طريق الوجوب - قلت قد اختلف فيه شيخان فعند ابي علي السمعُ و العقل - و عند ابي هاشم السمع وحده - فان قلت ما شرائط النهي - قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يامن ان ينكر الحسن و ان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه و انما يحسن الذم عليه و النهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهيّ يزيد في منكراته و ان لا يغلب على ظنّه ان نهيه لا يوثر لانه عبث - فان قلت فما شروط الوجوب - قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيّا لشرب الخمر باعداد آلاته و ان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقه مضرة عظيمة - فان قلت كيف يباشر الانكار - قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقّى الى

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝

الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ثم قال فَقَاتِلُوا - فان قلت فمن يباشره - قلت كل مسلم تمكن منه و اختص بشرائطه - وقد اجمعوا ان من راى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد و اما الانكار الذي بالقتال فالامام و خلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة و معهم عُدّتها - فان قلت فمن يُؤمر و يُنهى - قلت كل مكلّف و غير المكلف اذا هَمّ بضرر غيره مُنع كالصبيان و المجانين و يُنهى الصبيان عن المحرّمات حتى لا يتعوّدوها كما يوخذون بالصلوة ليمرنوا عليها - فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه - قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه و انكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط هذا الواجب الآخر - وعن السلف مُروا بالخير و ان لم تفعلوا - وعن الحسن انه سمع مُطرّفَ بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال وددنا يفعل ما يقول ودّ الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر - فان قلت كيف قيل يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ - قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال و التروك و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله وَ الصَّلٰوةِ الْوُسْطٰى * [كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا] وهم اليهود و النصارى [مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ] الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة و هي كلمة الحق - وقيل هم مبتدعوا هذه الامة و هم المشبهة و المجبرة و الحشوية و اشباههم * [يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ] نصب بالظرف و هو لَهُمْ - او باضمار اذكروا - وقرئ تَبْيَضُّ و تَسْوَدُّ بكسر حرف المضارعة و تَبْيَاضُّ و تَسْوَادُّ و البياضُ من النور و السوادُ من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وُسم ببياض اللون و اسفاره و اشراقه و ابيضّت صحيفته و اشرقت و سعى النور بين يديه و بيمينه و من كان من اهل ظلمة الباطل وُسم بسواد اللون وكسوفه و كمده و اسودّت صحيفته و اظلمت و احاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله و بسعة رحمته من ظلمات الباطل و اهله * [أَكَفَرْتُمْ] فيقال لهم أَكَفَرْتُمْ - و الهمزة للتوبيخ و التعجيب من حالهم و الظاهر انهم اهل الكتاب وكُفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه و اله و سلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه - و عن عطاء تَبيضّ وجوه المهاجرين و الانصار و تسودّ وجوه بني قُريظة و النَضير - و قيل هم المرتدون - و قيل اهل البدع و الاهواء - و عن ابي اُمامة هم الخوارج و لما رآهم على درج دمشق دمعتْ عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شرّ قتلى تحت ادیم السماء و خير قتلى تحت ادیم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب ا شيء تقوله برايك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم غير مرة قال فما شانك دمعتْ عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان مارقك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم - و قيل هم

سورة آل عمران ٣ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّٰهِ ط هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ ۝ تِلْكَ اٰيٰتُ اللّٰهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ط وَمَا
الجزء ٤ اللّٰهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعٰلَمِينَ ۝ وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ط وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
ع ٣ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ ط وَلَوْ اٰمَنَ أَهْلُ الْكِتٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ط
مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ ۝ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ط وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ۝

جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلٰى • [فَفِي رَحْمَةِ اللّٰهِ] ففي نعمته و هي الثواب المخلد - فان قلت كيف موقع قوله [هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ] بعد قوله فَفِي رَحْمَةِ اللّٰهِ - قلت موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لايظعنون عنها و لا يموتون • [تِلْكَ اٰيٰتُ اللّٰهِ] الواردة في الوعد و الوعيد [نَتْلُوهَا عَلَيْكَ] ملتبسة [بِالْحَقِّ] و العدل من جزاء المحسن و المسيء بما يستوجبانه • [وَمَا اللّٰهُ يُرِيدُ ظُلْمًا] فياخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن و نكر ظُلْمًا و قال [لِّلْعٰلَمِينَ] على معنى ما يريد شيأ من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمّن يصفه بارادة القبائح و الرضى بها • كَانَ عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام و ليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ - و منه قوله تعالى وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَّحِيمًا - و منه قوله تعالى [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ] كانه قيل وُجدتم خير امة - و قيل كنتم في علم الله خير امة - و قيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به • [أُخْرِجَتْ] أظهرت و قوله [تَأْمُرُونَ] كلام مستانف بُيّن به كونهم خَيْرَ أُمَّةٍ كما تقول زيد كريم يُطعم الناس ويكسوهم و يقوم بما يُصلحهم • [وَتُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ] جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من اٰمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتدّ بايمانه فكانه غير مؤمن بالله و يقولون نؤمن ببعض و نكفر ببعض و يريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هُمُ الْكٰفِرُونَ حقا - و الدليل عليه قوله وَلَوْ اٰمَنَ أَهْلُ الْكِتٰبِ مع ايمانهم بالله [لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ] لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما اٰثروا دينهم على دين الاسلام حُبًّا للرياسة و استتباع العوام و لو اٰمنوا لكان لهم من الرياسة و الاتباع و حظوظ الدنيا ما هو خير مما اٰثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وُعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين • [مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ] كعبد الله بن سلام و اصحابه [وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ] المتمردون في الكفر • [لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى] الا ضرارا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك [وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ] منهزمين و لا يضروكم بقتل او اسر • [ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ] ثم لا يكون لهم نصر من احد و لا يمنعون منكم و فيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يوذونهم بالتهكّي بهم و توبيخهم و تضليلهم و تهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انهم وَعَدَهم الغلبة عليهم و الانتقام منهم و ان عاقبة امرهم الخذلان و الذل - فان قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ - قلت عُدل به عن حكم الجزاء

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ اَيْنَ مَا ثُقِفُوْٓا اِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللّٰهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُوْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۭ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ الْاَنْۢبِيَاۗءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۭ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ ۝ لَيْسُوْا سَوَاۗءً ۭ مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ اُمَّةٌ قَاۗىِٕمَةٌ يَّتْلُوْنَ اٰيٰتِ اللّٰهِ اٰنَاۗءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُوْنَ ۝

سورة آل عمران ٣
الجزء ٤
ع ١

الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اُخبركم انهم لا ينصرون - فان قلت فاىّ فرق بين رفعه و جزمه فى المعنى - قلت لوجزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار و حين رُفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم و قصّتهم التي اُخبركم عنها و اُبشّركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر و القوّة لا ينهضون بعدها بجناح و لا يستقيم لهم امر و كان كما اَخبر من حال بني قُريظة و النّضير و بني قَيْنُقاع و يهود خيبر - فان قلت فما الذي عُطف عليه هذا الخبر - قلت جملة الشرط و الجزاء كانه قيل اُخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اُخبركم انهم لا ينصرون - فان قلت فما معنى التراخي في ثُمّ - قلت التراخي فى المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار - فان قلت ما موقع الجملتين اعني مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ - و لَنْ يَضُرُّوْكُمْ - قلت هما كلامان و ارادان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل و على ذكر فلان فان من شانه كيت و كيت و لذلك جاءا من غير عاطف * [بِحَبْلٍ مِّنَ اللّٰهِ] في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسّكين او ملتبسين بِحَبْلٍ مِّنَ اللّٰهِ و هو استثناء من اعم عام الاحوال - و المعنى ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ في عامّة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله و حبل الناس يعني ذمّة الله و ذمّة المسلمين اي لاعزّ لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمّة لما قبلوه من الجزية * [وَبَآءُوْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ] استوجبوه [وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ] كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون فى المسكنة عيرظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله و غضبه * [ذٰلِكَ] اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة و المسكنة و البواء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله و قتلهم الانبياء ثم قال [ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا] اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله و اعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب فى استحقاق سخط الله فان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر و نحوه ممّا خَطَّبَاتِهِمْ اُغْرِقُوْا و اخذهم الربوا وقد نهوا عنه و اكلهم اموال الناس بالباطل * الضمير في [لَيْسُوْا] لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين * و قوله [مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ اُمَّةٌ قَاۗىِٕمَةٌ] كلام مستانف لبيان قوله لَيْسُوْا سَوَاۗءً كما وقع قوله تَاْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ بيانا لقوله كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ - اُمَّةٌ قَاۗىِٕمَةٌ مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام و هم الذين اسلموا منهم و عبّر عن تهجّدهم بتلاوة القراٰن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون و ادلّ على حسن صورة امرهم - وقيل عنى صلوٰة العشاء لان اهل الكتاب لايصلّونها - و عن ابن مسعود اخّر رسول الله صلّى الله و آله و سلّم صلوٰة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوٰة فقال اَمَا انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم - وقرأ هذه الاية * و قوله [يَتْلُوْنَ] -

سورة ال عمران ٣ الجزء ٤ ع ٣

يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرٰتِ ط وَاُولٰٓئِكَ
مِنَ الصّٰلِحِينَ ۝ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ط وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝ اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ
اَمْوَالُهُمْ وَلَآ اَوْلَادُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا ط وَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ج هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ ۝ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ
الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ اَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا اَنْفُسَهُمْ فَاَهْلَكَتْهُ ط وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَلٰكِنْ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝

و [يُؤْمِنُونَ] في محل الرفع صفتان لامّة اي امّة قائمة مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة ايات الله بالليل ساجدين - و من الايمان بالله لان ايمانهم به لا ايمان لاشراكهم به عُزيرا و كفرهم ببعض الكتب و الرسل دون بعض - و من الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته - و من الامر بالمعروف و النهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين - و من المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها - و المسارعةُ في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في امر سارع في تولّيه و القيام به و آثر الفور على التراخي • [وَاُولٰٓئِكَ] الموصوفون بما وُصفوا به من جملة [الصّٰلِحِينَ] الذين صلحت احوالهم عند الله و رضيهم و استحقوا ثناءه عليهم - و يجوز ان يريد بالصّٰلِحِينَ المسلمين • [فَلَنْ يُكْفَرُوهُ] لمّا جاء وَصْف الله عز و علا بالشكر في قوله وَاللّٰهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ في معنى توفية الثواب نفي عنه نقيض ذلك - فان قلت لم عدّي الى مفعولين و شَكَرَ و كَفَرَ اليتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة و كفرها - قلت ضُمّن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تُحرَموه بمعنى فلن تُحرَموا جزاءه - و قرئ يَفْعَلُوا - و يُكْفَرُوهُ بالياء و التاء [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ] بشارة للمتقين بجزيل الثواب و دلالة على انه لايفوز عنده الا اهل التقوى • [الصرّ] الريح الباردة نحو الصَّرصَر قال • شعر • لاتعدَنّ اتاريّاً تَضُرّهم • تَكْباءُ صِرّ بامحال مُحلّات • كما قالت ليلى الاخْيَليّةُ • شعر • و لم تغلب الخصم الالدّ و تملأ الجِفان سديفا يوم تكباء صرصر • - فان قلت ما معنى قوله [كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ] قلت فيه اوجه احدها ان الصرّ في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرّة بمعنى فيها قرّة صرّ كما يقول بردٌ بارد على المبالغة - والثاني ان يكون الصرّ مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على اصله - و الثالث ان يكون من قوله تعالى لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّٰهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ و من قولك ان ضيّعني فلان فعلى الله كلأ و كالئ قال • ع • و في الرحمن للضعفاء كالئ • شَبّه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم و المفاخر و كسب الثناء و حسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حُطاما - و قيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم - و قيل ما انفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه الاه و شبّه بحرث قوم ظلموا انفسهم و انما عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشدُّ و ابلغ (٣) - فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه و ضياعه بالحرث الذي ضربته الصرّ و الكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح - قلت هو من التشبيه المركب الذي

(٣) فان قلت فلم قال ظَلَمُوٓا اَنْفُسَهُمْ ولم يقتصر بقوله اصابت حرث قوم - قلت لان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء ذهب على اشدّ حتى لايبقى منه شيء و حرث الظالمين هو الذي يذهب على الكمال لصفة نفسه فاما حرث المسلم لعكس فلا يذهب على الكمال لانه وان كان يذهب صورة لانه لايذهب معنى لما فيه من حصول اغراض لهم في الآخرة و الثواب بالصبر على الذهاب • الى هنا حاشية كتبته باملاء المصنف

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ۚ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ۚ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ
وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۝ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ

مرّ في تفسير قوله كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا - ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح - او مثل ما ينفقون كمثل مُهلَك ريح وهو الحرث - وقرئ تُنْفِقُونَ بالتاء • [وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ] الضمير للمنفقين على معنى وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة القبول - او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة - وقرئ وَلٰكِنَّ بالتشديد بمعنى ولكنّ انفسهم يظلمونها هم ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر • [بِطَانَةً] الرجل وليجته خصيصه وصفيّه الذي يُفضي اليه بسُقوره ثقةً به شُبّه ببطانة الثوب كما يقال فلانٌ شعاري - وعن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الانصار شعار والناس دثار • [مِنْ دُونِكُمْ] من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون - ويجوز تعلقه بلَا تَتَّخِذُوا وبِبِطَانَةً على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم [لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا] يقال آلَ في الامر يالُ اذا قصّر فيه ثم استعمل معدًّى الى مفعولين في قولهم لا آلُوك نصحا ولا آلوك جهداً على التضمين - والمعنى لا امنعك نصحا - والخبال الفساد • [وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ] ودّوا عنتكم على ان مَا مصدرية - والعَنَتُ شدّة الضرر والمشقّة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنّوا ان يضرّوكم في دينكم ودنياكم اشدّ الضرر وابلغه • [قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ] لانهم لايتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بُغضهم للمسلمين - وعن قتادة قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ لِأَوْلِيَائِهِمْ من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضاً على ذلك - وفي قراءة عبد الله قَدْ بَدَا الْبَغْضَاءُ • [قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ] الدالّة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه [إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ] ما بُيّن لكم فعملتم به - فان قلت كيف موقع هذه الجُمل - قلت يجوز ان يكون لَا يَأْلُونَكُمْ صفة للبِطَانَة وكذلك قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ كانه قيل بطانة غيرَ اليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قَدْ بَيَّنَّا فكلام مبتدأ واحسن منه وابلغ ان تكون مستانفات كلُّها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة • [هَا] للتنبيه و [أَنْتُمْ] مبتدأ و [أُولَاءِ] خبره اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله [تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ] بيان لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء - وقيل أُولَاءِ موصول تُحِبُّونَهُمْ صلته • والواو في [وَتُؤْمِنُونَ] للحال والنصابُها من لَا يُحِبُّونَكُمْ اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كلّه وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقّكم ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله مالا يرجون • وبوصف المنقاظ والنادم بَعَضّ الانامل والبنان والابهام قال الحرث بن الظالم المُرّيّ • شعر • فاقتلُ اقواما لياما اذلّة • يعضّون من غيظ رؤُسَ

سورة آل عمران ٣ بِالْكِتٰبِ كُلِّهٖ ۚ وَاِذَا لَقُوْكُمْ قَالُوْٓا اٰمَنَّا ۖ وَاِذَا خَلَوْا عَضُّوْا عَلَيْكُمُ الْاَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ؕ قُلْ مُوْتُوْا بِغَيْظِكُمْ ؕ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌۢ بِذَاتِ
الجزء ٤ الصُّدُوْرِ ۝ اِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۚ وَاِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَّفْرَحُوْا بِهَا ؕ وَاِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ؕ
ع ٤ اِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُوْنَ مُحِيْطٌ ۝ ع وَاِذْ غَدَوْتَ مِنْ اَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِيْنَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ؕ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ۝

الاباهم • [قُلْ مُوْتُوْا بِغَيْظِكُمْ] دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به و المراد بزيادة الغيظ زيادة ما يُغيّظهم من قوّة الاسلام و عزّ اهله و مالهم في ذلك من الذُلّ و الخزي و التبار • [اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ] فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق و البغضاء و ما يكون منهم في حال خلوّ بعضهم ببعض و هو كلام داخل في جملة المقول او خارج منها - فان قلت فكيف معناه على الوجهين - قلت اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اُخبرهم بما يُسرّونه من عضّهم الانامل غيظًا اذا خلوا و قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرّونه بينكم و هو مضمرات الصدور فلا تظنّوا ان شيأ من اسراركم يخفى عليه - و اذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا مُحَمَّدُ و لا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرّون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك و هو ما اضمروه في صدورهم و لم يظهروه بالسنتهم - و يجوز ان لا يكون ثمه قول و ان يكون قوله قُلْ مُوْتُوْا بِغَيْظِكُمْ امرًا لرسول الله بطيب النفس و قوّة الرجاء و الاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام و اذلالهم به كانه قيل حدّثْ نفسك بذلك • [الحسنة] الرخاء و الخصب و النصرة و الغنيمة و نحوها من المنافع و [السيّئة] ما كان ضد ذلك و هذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير و يشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة - فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس و السيّئة بالاصابة - قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله اِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَاِنْ تُصِبْكَ مُصِيْبَةٌ - مَا اَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ وَمَا اَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ - اِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوْعًا وَاِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوْعًا • [وَاِنْ تَصْبِرُوْا] على عداوتهم [وَتَتَّقُوْا] ما نُهيتم عنه من موالاتهم - او و اِنْ تَصْبِرُوْا على تكاليف الدين و مشقّته و تتّقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله [لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ] - و قرئ لَا يَضِرْكُمْ من ضاره يضيره - و يَضُرُّكُمْ على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مُدُّ يا هذا - و روى المفضّل عن عاصم لَا يَضُرَّكُمْ بفتح الراء و هذا تعليم من الله و ارشاد الى ان يستعان على كيد العدوّ بالصبر و التقوى - و قد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلًا في نفسك • [اِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُوْنَ] من الصبر و التقوى و غيرهما [مُحِيْطٌ] ففاعل بكم ما انتم اهله - و قرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه • واذكر [اِذْ غَدَوْتَ مِنْ اَهْلِكَ] بالمدينة و هو غدوّه الى اُحُد من حجرة عايشة رضي الله عنها - روي ان المشركين نزلوا باُحُد يوم الاربعاء فاستشار رسولُ الله صلّى الله عليه و آله و سلّم اصحابَه و دعا عبدَ الله بن ابيّ بن سلول و لم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله و اكثر الانصار يا رسول الله اَقِم بالمدينة و لا تخرج اليهم فو الله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب

اِذْ هَمَّتْ طَّآئِفَتَانِ مِنْكُمْ اَنْ تَفْشَلَا ۙ وَ اللّٰهُ وَلِيُّهُمَا ؕ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ ۝ وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرٍ

ع ٤

منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف و انت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشرّ محبس و ان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم و رماهم النساء و الصبيان بالحجارة و ان رجعوا رجعوا خائبين - و قال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم فقال صلى الله عليه و اله و سلم اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا و رايت في ذباب سيفي ثلما فاولتُ هزيمة و رايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتُها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة و تدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدرٌ و اكرمهم الله بالشهادة يوم اُحَد اُخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا و قالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و الوحي ياتيه و قالوا اصنع يا رسول الله ما رايتَ فقال لا ينبغي لنبيّ ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من اُحَد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصفّ اصحابه للقتال كاما يقوّم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخّر و كان نزوله في عدوة الوادي و جعل ظهره و عسكره الى اُحَد و امّر عبدَ الله بن جبير على الرُماة و قال لهم انضحوا عنا بالنبل لاياتونا من ورائنا *[تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِيْنَ] تُنزلهم - و قرأ عبد الله لِلْمُؤْمِنِيْنَ بمعنى تسوّي لهم و تهيّئ *[مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ]مواطن و مواقف و قد اتّسع في قعد و قام حتى اُجريا مُجرى صار و استعمل المقعد و المقام في معنى المكان و منه قوله تعالى فِيْ مَقْعَدِ صِدْقٍ - قَبْلَ اَنْ تَقُوْمَ مِنْ مَّقَامِكَ من مجلسك و موضع حكمك *[وَ اللّٰهُ سَمِيْعٌ] لاقوالكم [عَلِيْمٌ] بنياتكم و ضمائركم * اِذْ هَمَّتْ] بدل من اِذْ غَدَوْتَ - او عمل فيه معنى سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ * و[الطَّائِفَتَانِ] حيّان من الانصار بنو سلمة من الخزرج و بنو حارثة من الاوس و هما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم في الف و قيل في تسع مائة و خمسين و المشركون في ثلثة آلاف و وعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابيّ بثلث الناس و قال يا قوم علامَ نقتل انفسنا و اولادنا نتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيّكم و انفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهمّ الحيّان باتباع عبد الله نعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم - و عن ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا و الظاهر انها ما كانت الا همّة و حديثَ نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات و الصبر و يوطّنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة *شعره* قول لها اذا جشأت و جاشت *مكانك تُحمدي او تستريحي* حتى قال معوّذة عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفّين فما ثبّت معي الا قول عمرو بن الاطنابة و لو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية و الله تعالى يقول [وَ اللّٰهُ وَلِيُّهُمَا] و يجوز ان يراد و الله ناصرهما و متولي امرهما

وَّاَنْتُمْ اَذِلَّةٌ ج فَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ۝ اِذْ تَقُوْلُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ اَلَنْ يَّكْفِيَكُمْ اَنْ يُّمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلٰثَةِ اٰلٰفٍ مِّنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُنْزَلِيْنَ ۝ بَلٰٓى اِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا وَيَاْتُوْكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ اٰلٰفٍ مِّنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِيْنَ ۝

مما لهما تفشلان و لا تتوكلان على الله - فان قلت فما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الاية و الله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به و قد اخبرنا الله بانه ولينا - قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله و انزاله فيهم اية باطقة بصحة الولاية و ان تلك الهمة غير الماخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة و تصميم كانت سببا لنزولها - و الفشل الجبن و الخور - و قرأ عبد الله وَاللّٰهُ وَلِيُّهُمْ كقوله وَاِنْ طَآئِفَتٰنِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ اقْتَتَلُوْا • امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه و لايفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة و ذلة - و الاذلة جمع قلة و الذلان جمع الكثرة و جاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا - و ذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال و قلة السلاح و المال و المركوب و ذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد و ما كان معهم الا فرس واحد - و قلتهم انهم كانوا ثلثمائة و بضعة عشر و كان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل و معهم مائة فرس و اسنة و الشوكة • و [بَدْر] اسم ماء بين مكة و المدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به • [فَاتَّقُوا اللّٰهَ] في الثبات مع رسول الله [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ] بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له • [اِذْ تَقُوْلُ] ظرف لنَصَرَكُمْ على ان يقول لهم ذلك يوم بدر - او بدل ثان من اِذْ غَدَوْتَ على ان يقوله لهم يوم اُحُد - فان قلت كيف يصح ان يقوله لهم يوم اُحُد و لم تنزل فيه الملائكة - قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر و التقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم و لم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلذلك لم تنزل الملائكة و لو تموا على ما شرط عليهم لنزلت و انما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم و يعزموا على الثبات و يثقوا بنصر الله • و معنى [اَلَنْ يَّكْفِيَكُمْ] انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف من الملائكة و انما جيء بلَنْ الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم و ضعفهم و كثرة عدوهم و شوكته كالائسين من النصر • و [بَلٰى] اجاب لما بعد لَنْ بمعنى بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال [اِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا] يُمْدِدْكُمْ باكثر من ذلك العدد مُسَوِّمِيْنَ للقتال [وَيَاْتُوْكُمْ] يعني المشركين [مِّنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا] من قولك فعل من غزوته و خرج من فوره الى غزوة اخرى و جاء فلان و رجع من فوره و منه قول ابي حنيفة الامر على الفور لا على التراخي و هو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لاريث فيها و لا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث - و المعنى انهم ان ياتوكم من ساعتهم هذه [يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ] بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم و ييسر فتحكم ان صبرتم و اتقيتم - و قرئ مُنْزَلِيْنَ بالتشديد - و مُنْزِلِيْنَ

وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ اِلَّا بُشْرٰى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهٖ ۚ وَمَا النَّصْرُ اِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ الْعَزِيْزِ الْحَكِيْمِ ۝ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوْا خَآئِبِيْنَ ۝ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْاَمْرِ شَيْءٌ اَوْ يَتُوْبَ عَلَيْهِمْ اَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَاِنَّهُمْ ظٰلِمُوْنَ ۝ وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ ۚ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝

بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر * و [مُسَوِّمِيْنَ] بفتح الواو وكسرها بمعنى معلَمين و معلِمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلَمين بعمائم صُفْر مُرخاة على اكتافهم - و عن الضحاك معلَمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب و اذنابها - و عن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم - و عن قتادة كانوا على خيل بُلْق - و عن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك - و عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انه قال لاصحابه تَسَوَّموا فان الملائكة قد تسوّمت * [وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ] الهاء لان يُمِدَّكُمْ اي و ما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تُنصَرون و ليَطْمَئِنَّ به قُلُوبكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر و طمانينة لقلوبهم * [وَمَا النَّصْرُ اِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ] لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا و لا من عند الملائكة و السكينة و لكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة و الطمع في الرحمة و يربط به على قلوب المجاهدين [الْعَزِيْزِ] الذي لا يغالب في حكمه * [الْحَكِيْمِ] الذي يعطي النصر و يمنعه لما يرى من المصلحة * [لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا] ليهلك طائفة منهم بالقتل و الاسر و هو ما كان يوم بدر من قتل سبعين و اسر سبعين من رؤساء قريش و صناديدهم * [اَوْ يَكْبِتَهُمْ] او يخزيهم و يغيظهم بالهزيمة * [فَيَنْقَلِبُوْا خَآئِبِيْنَ] غير ظافرين بمبتغاهم و نحوه وَرَدَّ اللّٰهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوْا خَيْرًا ويقال كبته بمعنى كَبَدَه اذا ضرب كبده بالغيظ و الحُرقة - وقيل في قول ابي الطيب * ع * لَأَكْبت حاسدا و أَرِيْ عدوًّا * هو من الكبد و الرية - و اللام متعلقة بقوله وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ - او بقوله وَمَا النَّصْرُ اِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ * [اَوْ يَتُوْبَ] عطف على ما قبله و لَيْسَ لَكَ مِنَ الْاَمْرِ شَيْءٌ اعتراض - و المعنى ان الله مالك امرهم فاما يهلكهم او يلزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصرّوا على الكفر و لَيْسَ لَكَ من امرهم شَيْءٌ انما انت عبد مبعوث لانذارهم و مجاهدتهم - و قيل ان يَتُوْبَ منصوب باضمار اَنْ و ان يَتُوْبَ في حكم اسم معطوف بأَوْ على الْاَمْرِ او على شَيْءٌ اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم - او لَيْسَ لَكَ مِنْ امرهم شيءٌ او التوبة عليهم او تعذيبهم - و قيل اَوْ بمعنى اِلَّا اَنْ كقولك لَأُلزمنّك او تُعطيَنّي حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم - او يعذبهم فتتشفى منهم - و قيل شَجَّ عُتبة بن ابي وقّاص يوم اُحُد و كسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه و سالمٌ مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم و هو يقول كيف يُفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم بالدم و هو يدعوهم الى ربّهم فنزلت - و قيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه ان فيهم من يؤمن * عن الحسن [يَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَآءُ] بالتوبة و لايشاء ان يغفر لا التائبين [وَيُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ] و لا

سورة آل عمران ٣ الجزء ٤ ع ٥

يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبٰوٓا أَضْعَافًا مُّضٰعَفَةً ۖ وَّاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيٓ أُعِدَّتْ
لِلْكٰفِرِينَ ۝ وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَسَارِعُوٓا إِلٰى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكٰظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ

يشاء ان يعذب الا للمستوجبين للعذاب - و عن عطاء يغفر لمن يتوب اليه و يعذب من لقيه ظالما و اتباعه قوله اَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ - اَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَاِنَّهُمْ ظٰلِمُونَ تفسير بيّن لمَنْ يَشَاءُ و انهم المتوب عليهم - او الظالمون ولكن اهل الاهواء و البدع يتصامّون و يتعامّون عن ايات اللّٰه فيخبطون خبط عشواء و يطيّبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يغفر الذنب الكبير لمن يشاء و يعذب من يشاء على الذنب الصغير * لَا تَأْكُلُوا الرِّبٰوٓا أَضْعَافًا مُّضٰعَفَةً] نهي عن الربو مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كانَ الرجل منهم اذا باع الدينُ محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون [وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكٰفِرِينَ] كان ابو حنيفة يقول هي اخوف اية في القرآن حيث اوعد اللّٰه المؤمنين بالنار المعدّة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه و قد امدّ ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوقّرهم على طاعته و طاعة رسوله و مَن تامل هذه الايات و امثالها لم يحدّث نفسه بالاطماع الفارغة و التمني على اللّٰه تعالى و في ذكره تعالى لَعَلَّ و عَسَى في نحو هذه المواضع و ان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفَطِن من دقّة مسلك التقوى و صعوبة اصابة رِضَى اللّٰه و عزّة التوصل الى رحمته و ثوابه * في مصاحف اهل المدينة و الشام [سَارِعُوا] بغير واو - و قرأ الباقون بالواو وتنصره قراءة ابيّ و عبد اللّٰه و سَابِقُوا - و معنى المسارعة الى المغفرة و الجنّة الاقبالُ على ما يستحقان به * [عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ] اي عرضها عرض السموات و الارض كقوله عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ - و المراد وصفها بالسعة و البسطة فشبّهت بارسع ما علمه الناس من خلقه و ابسطه - خُصّ العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله بَطَائِنُهَا مِنْ اِسْتَبْرَقٍ - و عن ابن عباس كسبع السموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض * [فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ] في حال الرخاء و اليسر و حال الضيقة و العسر لا يُحِلّون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير او قليل - كما حكي عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة - و عن عايشة رضي اللّٰه عنها انها تصدّقت بحبّة عنب - او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرّة و مضرّة لا تمنعهم حال فرح و سرور و لا حال محنة و بلاء من المعروف و سواء عليهم كان الواحد منهم في عُرْس او في حبس فانه لا يدع الاحسان - و انتظم بذكر الانفاق لانه اشقّ شيء على النفس و ادلّه على الاخلاص و لانه كان في ذلك الوقت اعظمَ الاعمال الحاجة اليه في مجاهدة العدو و مواساة فقراء المسلمين * كَظْمُ القِربةِ اذا ملأها و شدّ فاها و كظم البعير اذا لم يجترّ و منه كظمُ الغيظ و هو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر و لا يظهر له اثرا - و عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم من كظم غيظا و هو يقدر على انفاذه ملأ اللّٰه

وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ ۝ وَالَّذِيْنَ اِذَا فَعَلُوْا فَاحِشَةً اَوْ ظَلَمُوْٓا اَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّٰهَ فَاسْتَغْفَرُوْا لِذُنُوْبِهِمْ قف
وَمَنْ يَّغْفِرُ الذُّنُوْبَ اِلَّا اللّٰهُ قف وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلٰى مَا فَعَلُوْا وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ ۝ اُولٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ
وَجَنّٰتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ط وَنِعْمَ اَجْرُ الْعٰمِلِيْنَ ۝ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ

قلبه امنا و ايمانا - و عن عايشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء * [وَالْعَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ] اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه - و روي ينادي منادٍ يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا - و عن ابن عُيَيْنة انه رواه للرشيد و قد غضب على رجل فخلاه - و عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت * [وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ] يجوز ان تكون اللام للجنس فيتناول كل مُحسن و يدخل تحته هؤلاء المذكورون - و ان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء * [وَالَّذِيْنَ] عطف على الْمُتَّقِيْنَ اي اُعِدَّتْ للمتقين و للتائبين - و قوله [اُولٰٓئِكَ] اشارة الى الفريقين - و يجوز ان يكون وَالَّذِيْنَ مبتدأ و خبره اُولٰٓئِكَ * [فَاحِشَةً] فعلة متزايدة القبح [اَوْ ظَلَمُوْٓا اَنْفُسَهُمْ] او اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذون به - وقيل الفاحشة الربا - و ظلم النفس ما دونه من القبلة و اللمسة و نحوهما - و قيل الفاحشةُ الكبيرةُ و ظلمُ النفس الصغيرةُ * [ذَكَرُوا اللّٰهَ] تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم و جلاله الموجب للخشية و الحياء منه [فَاسْتَغْفَرُوْا لِذُنُوْبِهِمْ] فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين * [وَمَنْ يَّغْفِرُ الذُّنُوْبَ اِلَّا اللّٰهُ] وصف لذاته بسعة الرحمة و قرب المغفرة و ان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له و انه لا مَفْزع للمذنبين الا فضله و كرمه و ان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار و التنصّل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو و التجاوز و فيه تطييب النفوس للعباد و تنشيط للتوبة وبعثٌ عليها و ردع عن اليأس و القنوط و ان الذنوب و ان جلت فان عفوه اجل و كرمه اعظم - و المعنى انه وحده معه مصححات المغفرة و هذه جملة معترضة بين المعطوف و المعطوف عليه * [وَلَمْ يُصِرُّوْا] ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ما اصرّ من استغفر و ان عاد في اليوم سبعين مرة - و روي لا كبيرةَ مع الاستغفار و لا صغيرةَ مع الاصرار * [وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ] حال من فعل الاصرار و حرف النفي منصبٌّ عليهما معا - و المعنى و ليسوا ممن يصرّون على الذنوب و هم عالمون بقبحها و بالنهي عنها و بالوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح - و في هذه الايات بيان قاطع ان الذين امنوا على ثلث طبقات متقون و تائبون و مُصرّون و ان الجنّة للمتقين و التائبين منهم دون المُصرّين و من خالف في ذلك فقد كابر عناده و عاند ربه * قال [اَجْرُ الْعٰمِلِيْنَ] بعد قوله جَزَاؤُهُمْ لانهما في معنًى واحد و انما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل و اجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون - و روي ان الله عز و جل اوحى الى موسى ما اقلّ حياءً من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ هٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَلَا تَهِنُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا

بطاعتي - و عن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب و انتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور و ارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة - و عن الحسن يقول الله تعالى يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي و ادخلوا الجنة برحمتي و اقتسموها باعمالكم - و عن رابعة البصرية رضي الله عنها انها كانت تُنشد * شعر * ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجري على اليبس * والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة و الجنات * [قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ] يريد ما سنّه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ - ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ * [هٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ] ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم و الاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم * [وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ] يعني انه مع كونه بيانا و تنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت و موعظة للذين اتقوا من المؤمنين - و يجوز ان يكون قوله قَدْ خَلَتْ جملة معترضة للبعث على الايمان و ما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين و يكون قوله هٰذَا بَيَانٌ اشارةً الى ما لخص وبيّن من امر المتقين و التائبين و المصرّين * [وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا] تسلية من الله سبحانه لرسوله و للمؤمنين عما اصابهم يوم أُحد و تقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثكم ذلك وَهْنًا وَجُبْنًا و لا تبالوا به وَلَا تَحْزَنُوا على من قُتل منكم و جُرح * [وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ] و حالكم انكم اعلا منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم أُحد - او وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ شاذا لان قتلاكم لله و لاعلاء كلمته و قتلاهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر و لان قتلاكم في الجنة و قتلاهم في النار - او هي بشارة لهم بالعلو و الغلبة اي و انتم الاعلون في العاقبة و ان جندنا لهم الغالبون * [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] متعلق بالنهي بمعنى وَلَا تَهِنُوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب و النعة بصُنع لله و قلة المبالاة باعدائه او بالأعلَوْن اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله و يبشركم به من العلبة * قرئ قُرِحَ بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضَعف و الضُعف - و قيل هو بالفتح الجراح و بالضم ألمها - و قرأ ابو السمال قَرَح بفتحتين و قيل القَرْح و القَرَح كالطَرْد و الطَرَد - و المعنى ان نالوا منكم يوم أُحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يُضعف ذلك قلوبهم و لم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا و نحوه فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ - و قيل كان ذلك يوم أُحد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - فان قلت كيف قيل قَرْحٌ مِّثْلُهُ و ما كان قرحهم يوم أُحد مثل قرح المشركين - قلت بلى كان مثله و قد قُتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ

بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَلِيَعْلَمَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الظّٰلِمِيْنَ ۝ وَلِيُمَحِّصَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ
اٰمَنُوْا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِيْنَ ۝ اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوْا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰبِرِيْنَ ۝

مَا اَرَاكُمْ مَا تُحِبُّوْنَ • [وَتِلْكَ الْاَيَّامُ] تِلْكَ مبتدأ و الْاَيَّامُ صفته و [نُدَاوِلُهَا] خبره - ويجوز ان يكون تِلْكَ الْاَيَّامُ مبتدأ و خبرا كما تقول هي الايام تُبلي كل جديد - و المراد بالْاَيَّام اوقات الظفر و الغلبة - نُدَاوِلُهَا نصرّفها بين الناس نديل تارة لهٰؤلاء و تارة لهٰؤلاء كقوله و هو من ابيات الكتاب • شعر • فيومًا علينا و يومًا لنا • و يومًا نُساءُ و يومًا نُسَرّ • و من امثال العرب الحربُ سِجال - و عن ابي سفيٰن انه صعد الجبل يوم اُحد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخَطّاب فقال عمر هذا رسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم و هذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفين يومٌ بيوم و الايامُ دُوَل و الحرب سِجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواءٌ قتلانا في الجنّة و قتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خِبْنا اذن و خسرنا و المداولةُ مثل المعاورة و قال • شعر • يرد المياهَ فلا يزال مُداوِلًا • في الناس بين تمثّل وسماع • يقال داولتُ بينهم الشيء فتداولوه • [وَلِيَعْلَمَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا] فيه وجهان - احدهما ان يكون المعلّل محذوفًا معناه و ليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلْنا ذلك و هو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعْلَ من يريد ان يعلم مَن الثابت على الايمان منكم من غير الثابت و الا فالله عزّ وجلّ لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها - و قيل معناه وَلِيعلمهم علما يتعلّق به الجزاء و هو ان يُعلمهم موجودا منهم الثبات - و الثاني ان تكون العلة محذوفة و هذا عطف عليه معناه و فعلنا ذلك ليكون كيت و كيت وَلِيَعْلَمَ اللّٰهُ - و انما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليساويهم عما جرى عليهم و ليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب و لا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه • [وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَآءَ] و ليكرم ناسًا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد - او و ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لِتَكُوْنُوْا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ • [وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الظّٰلِمِيْنَ] اعتراض بين بعض التعليل و بعض - معناه و الله لا يحبّ من ليس من هٰؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحّصين من الذنوب و التمحيصُ التطهير و التصفية • [وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِيْنَ] و يهلكهم - يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز و الاستشهاد و التمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم و ان كانت على الكافرين فلمَحْقهم و محو اٰثارهم • [اَمْ] منقطعة و معنى الهمزة فيها الانكار [وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ] بمعنى و لما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزّل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعامله و لَمّا بمعنى لم الا ان فيها ضربا من التوقع تدلّ على نفي الجهاد فيما مضى و على توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا و لمّا تريد و لم يفعل و انا اتوقع فعله - قرئ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللّٰهُ بفتح الميم - و قيل اراد النون الخفيفة و لما يعلمَنْ فحذفها [وَيَعْلَمَ الصّٰبِرِيْنَ]

نصب باضمار أنْ و الواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمكَ و تشربَ اللبن - و قرأ الحسن بالجزم على العطف - و روى عبد الوارث عن ابى عمرو وَيَعْلَمُ بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل و لما تجاهدوا و انتم صابرون * [وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ] خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا و كانوا يتمنّون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر و هم الذين ألحّوا على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى الخروج الى المشركين و كان رايه فى الاقامة بالمدينة - يعني و كنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه و تعرفوا شدته و صعوبة مقاساته * [فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ] اي رايتموه معاينين مشاهدين له حين قُتل بين ايديكم مَن قُتل من اخوانكم و اقاربكم و شارفتم ان تُقتلوا و هذا توبيخ لهم على تمنّيهم الموتَ و على ما تسبّبوا له من خروج رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه و قلّة ثباتهم عنده - فان قلت كيف يجوز تمنّى الشهادة و في تمنّيها تمنّي غلبة الكافر المسلمَ - قلت قصدُ متمنّى الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غيرُ و لا يذهب وَهْمه الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصدٌ الى حصول المامول من الشفاء و لا يخطر ببالة ان فيه جرَّ منفعةٍ و احسانٍ الى عدو الله و تنفيقا لصناعته - و لقد قال عبد الله بن رواحة حين بعض الى مُؤتة و قيل له ردكم الله * سمعه لكنني اسأل الرحمن مغفرةً * وضربةً ذات فرغ تقذف الزبدا * او طعنة بيدَيْ حرّان مُجْهزة * بحربة تنفذ الاحشاء و الكبدا * حتى يقولوا اذا مرّوا على جدثي * ارشدك الله من غاز و قد رشدا * لما رمى عبد الله بن قَمِئة الحارثي رسولَ الله صلّى الله عليه و آله وسلّم بحجر فكسر رباعيته و شجّ وجهه اقبل يريد قتله فذبّ عنه مصعبُ بن عمير و هو صاحب الراية يوم بدر و يوم أُحد حتى قتله ابن قمئة و هو يرى انه رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم فقال قد قتلتُ محمدا و صرخ صارخ ألا ان محمدا قد قُتل - وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا فى الناس خبر قتله فانكفئوا فجعل رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم يدعو الىّ عبادَ الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامَهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا و امّهاتنا اتانا خبر قتلك فرُعبت قلوبنا فولّينا مدبرين فنزلت - و روي انه لما صرخ الصارخ قال بعضُ المسلمين ليت عبد الله بن ابىّ يأخذ لنا اماناً من ابي سفيان و قال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم و الى دينكم فقال انس بن النضر عمّ انس بن مالك يا قوم ان كان قُتل مُحَمَّد فان رب مُحَمَّد حيّ لا يموت و ما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم فقاتلوا على ما قاتل عليه و موتوا على ما مات عليه ثم قال اللّهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء و ابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قُتل - و عن بعض المهاجرين انه مرّ بانصاري يتشحّط فى دمه فقال يا فلان أشعرت ان محمدا صلّى الله عليه و آله و سلّم قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلّغ

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ط أَفَائِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ط وَمَنْ يَّنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ
فَلَنْ يَّضُرَّ اللّٰهَ شَيْئًا ط وَسَيَجْزِي اللّٰهُ الشّٰكِرِيْنَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوْتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ كِتٰبًا مُّؤَجَّلًا ط
وَمَنْ يُّرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ج وَمَنْ يُّرِدْ ثَوَابَ الْاٰخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ط وَسَنَجْزِي الشّٰكِرِيْنَ ۝ وَكَأَيِّنْ
مِّنْ نَّبِيٍّ قٰتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّوْنَ كَثِيْرٌ ج فَمَا وَهَنُوْا لِمَا أَصَابَهُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَمَا ضَعُفُوْا وَمَا اسْتَكَانُوْا ط

قاتلوا على دينكم و المعنى [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ] فسيخلوا كما خلَوْا وكما ان اتباعهم بقَوا متمسكين بدينهم بعد خلوّهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة و الزامُ الحجة لا وجوده بين اظْهُر قومه * [أَفَائِنْ مَّاتَ] الفاءُ معلّقة الجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزةُ لانكار ان يجعلوا خلوّ الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلوّ الرسل قبله و بقاءَ دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين مُحَمَّد صلّى اللّٰه عليه و آله وسلّم لا للانقلاب عنه - فان قلت لما ذكر القتل و قد علم انه لا بقتل - قلت لكونه مجوّزا عند المخاطبين - فان قلت امّا علموه من ناحية قوله وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ - قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم و ذوى البصيرة الا ترى انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس و اذالتهم - و الانقلابُ على الاعقاب الادبار عمّا كان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله وسلّم يقوم به من امر الجهاد وغيره - و قيل الارتداد و ما ارتدّ احد من المسلمين ذلك اليومَ الا ما كان من قول المنافقين و يجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار و الانكشاف عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله وسلّم و اسلامه * [فَلَنْ يَّضُرَّ اللّٰهَ] فما ضرّ الا نفسَه لان اللّٰه تعالى لا يجوز عليه المنافع والمضارّ [وَسَيَجْزِي اللّٰهُ الشّٰكِرِيْنَ] الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر و اضرابه و سمّاهم شٰكِرِيْنَ لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا - المعنى ان موت النفس محال ان يكون الا بمشيّة اللّٰه فاخرجه مُخرج فعلٍ لا ينبغي لاحد ان يُقدم عليه الا ان ياذن اللّٰه له فيه تمثيلا و ان مَلَك الموت هو الموكّل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن من اللّٰه وهو على معنيين - احدهما تحريضهم على الجهاد و تشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع و ان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله و ان خوض المهالك و اقتحام المعارك - و الثاني ذكر ما منع اللّٰه برسوله عند غلبة العدو و التفافهم عليه و اسلام قومه له تهزة للمختلس من الحفظ و الكلاءة و تاخير الاجل * [كِتٰبًا] مصدر موكد لان المعنى كتب الموت كتابا [مُّؤَجَّلًا] موقّتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر * [وَمَنْ يُّرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا] تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم اُحُد [نُؤْتِهِ مِنْهَا] اي من ثوابها و [سَنَجْزِيْ] الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة اللّٰه فلم يشغلهم شيئ عن الجهاد - وقرئ يُؤْتِهِ وَسَيَجْزِيْ بالياء فيهما * قرئ قَاتَلَ و قُتِلَ بالتشديد والفاعل رِبِّيُّوْنَ او ضمير النبيّ * [وَمَعَهُ رِبِّيُّوْنَ] حال عنه بمعنى قتل كائنا مَعَهُ رِبِّيُّوْنَ و القراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول - و عن سعيد بن جبير رحمه اللّٰه ما سمعنا بنبيّ قُتل في

وَاللّٰهُ يُحِبُّ الصّٰبِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِينَ ۝ فَاٰتٰىهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْاٰخِرَةِ ۗ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ ع يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوٓا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلٰٓى أَعْقٰبِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خٰسِرِينَ ۝ بَلِ اللّٰهُ مَوْلٰىكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النّٰصِرِينَ ۝ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطٰنًا ۚ وَمَأْوٰىهُمُ النَّارُ ۗ

القتال - و الربّيون الربانيّون - وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس و الضمّ و الكسر من تغييرات النسب • و قرئ فَمَا وَهِنُوا بكسر الهاء و المعنى [فَمَا وَهَنُوا] عند قتل النبيّ [وَمَا ضَعُفُوا] عن الجهاد بعده [وَمَا اسْتَكَانُوا] للعدو و هذا تعريض بما اصابهم من الوهن و الانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم و بضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين و استكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابيّ في طلب الامان من ابي سفين •[وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ] هذا القول و هو اضافة الذنوب و الاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضمًا لها و استقصارًا و الدعاء بالاستغفار منها مقدّما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب و النصرة على العدوّ ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء و طهارة و خضوع اقرب الى الاستجابة• [فَاٰتٰىهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا] من النصرة و الغنيمة و العزّ و طيب الذكر و خصّ ثواب الاخرة بالحسن دلالة على فضله و تقدمه و انه هو المعتدّ به عنده تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّٰهُ يُرِيدُ الْاٰخِرَةَ• [إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا] قال عليّ رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم و ادخلوا في دينهم - و عن الحسن ان تستنصحوا اليهودَ و النصارى و تقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم و يوقعون لهم الشبه في الدين و يقولون لو كان نبيًّا حقًّا لَمَا غُلب و لَمَا اصابه و اصحابه ما اصابهم و انما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يومٌ له و يومٌ عليه - و عن السدّي ان تستكينوا لابي سفين و اصحابه و تستامنوهم [يَرُدُّوكُمْ] الى دينهم - و قيل هو عام في جميع الكفار و ان على المؤمنين ان يجانبوهم و لا يطيعوهم في شيء و لا ينزلوا على حكمهم و لا على مشاورتهم حتى لا يستجرّوهم الى موافقتهم•[بَلِ اللّٰهُ مَوْلٰىكُمْ] اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد و ولايته - و قرئ بالنصب على بَل اطيعوا الله مولاكم• [سَنُلْقِي] قرئ بالنون و الياء [و الرُّعْبَ] بسكون العين و ضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوفَ يوم أحد فانهزموا الى مكّة من غير سبب و لهم القوّة و الغلبة - و قيل ذهبوا الى مكّة فلمّا كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم و نحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا • [بِمَا أَشْرَكُوا] بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعبَ في قلوبهم اشراكُهم به [مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطٰنًا] الهةً لم ينزل الله باشراكها حجّة - فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصحّ لهم الاشراك - قلت لم يعن ان هناك حجّة الا انها لم تنزّل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم عليه حجّة و انما المراد نفي الحجّة و نزولها جميعا كقوله • ع • و لا ترى الضبّ بها ينجحر•

وَبِئْسَ مَثْوَى الظّٰلِمِيْنَ ۝ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعْدَهٗٓ اِذْ تَحُسُّوْنَهُمْ بِاِذْنِهٖ ۚ حَتّٰٓى اِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِى الْاَمْرِ
وَعَصَيْتُمْ مِّنْۢ بَعْدِ مَآ اَرٰىكُمْ مَّا تُحِبُّوْنَ ؕ مِنْكُمْ مَّنْ يُّرِيْدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرِيْدُ الْاٰخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۚ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ؕ وَاللّٰهُ ذُوْ فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ ۝ اِذْ تُصْعِدُوْنَ وَلَا تَلْوٗنَ عَلٰٓى اَحَدٍ وَّالرَّسُوْلُ يَدْعُوْكُمْ فِىْٓ

[وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعْدَهٗ] وعدهم الله النصر بشرط الصبر و التقوى في قوله تعالى اِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا وَيَاْتُوْكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا يُمْدِدْكُمْ - و يجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سَنُلْقِيْ فِيْ قُلُوْبِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فلما فشلوا و تنازعوا لم يرعبهم - و قيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا و قد وعدنا الله النصرَ فنزلت و ذلك ان رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم جعل اُحدا خلفَ ظهره واستقبل المدينة و اقام الرُّماة عند الجبل و امرَهم ان يثبتُوا في مكانهم و لا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرُّماةُ يرشقون خيلهم و الباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا و المسلمون على اٰثارهم يحسّونهم اي يقتلونهم قتلا ذريعا • حَتّٰى اِذَا فشلوا - والفشلُ الجبن و ضعف الراي • و تنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا و قال بعضهم لا نخالف امر رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم فممن ثبت مكانه عبدُ الله بن جبير امير الرُّماة في نفر دون العشرة و هم المعنيّون بقوله وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرِيْدُ الْاٰخِرَةَ و نفَر اعقابُهم يذهبون و هم الذين ارادوا الدنيا فكرّ المشركون على الرُّماة و قتلوا عبدَ الله بن جبير و اقبلوا على المسلمين و حالت الريح دَبورا و كانت صبًا حتى هزموهم و قتلوا مَن قتلوا و هو قوله [ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ] ليمتحنَ صبرَكم على المصائب و ثباتَكم على الايمان عندها • [وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ] لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم • [وَاللّٰهُ ذُوْ فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ] يتفضّل عليهم بالعفو - و هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اُديل لهم او اُديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة - فان قلت اين متعلق حَتّٰى اِذَا - قلت محذوف تقديره حَتّٰى اِذَا فَشِلْتُمْ منعكم نصره - و يجوز ان يكون المعنى صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعْدَهٗ الى وقت فشلكم • [اِذْ تُصْعِدُوْنَ] نصب بصَرَفَكُمْ - او بقوله لِيَبْتَلِيَكُمْ - او باضمار اذكر - و الاصعاد الذهاب في الارض و الابعادُ فيه يقال صعد في الجبل و اصعد في الارض يقال اصعدنا من مكّة الى المدينة - و قرأ الحسن تَصْعَدُوْنَ يعني في الجبل - وتعضد الاولى قراءة ابيّ اِذْ تُصْعِدُوْنَ في الوادي - و قرأ ابو حَيْوَة تَصَّعَّدُوْنَ بفتح التاء وتشديد العين من تصعّد في السلّم • و قرأ الحسن تَلْوُوْنَ بواو واحدة و قد ذكرنا وجهها - و قرئ يُصْعِدُوْنَ و يَلْوُوْنَ بالياء • [وَالرَّسُوْلُ يَدْعُوْكُمْ] كان يقول اليّ عبادَ الله اليّ عبادَ الله انا رسول الله من يكرّ فله الجنّة • [فِىْٓ اُخْرٰىكُمْ] في ساقتكم و جماعتكم الاخرى و هي المتاخّرة يقال جئت في اخر الناس و اُخراهم كما تقول في اوائلهم و اوّلهم بتاويل مقدمتهم و جماعتهم الاُولى • [فَاَثَابَكُمْ] عطف على صَرَفَكُمْ اي فجازاكم الله غمًّا حين صرفكم عنهم و ابتلاكم بسبب عمّ اذقتموه رسولَ الله صلّى الله عليه و آله وسلّم بعصيانكم له - او غمًّا مضاعفا غمًّا بعد غمّ و غماً متصلا بغمّ

سورة آل عمران ٣ الجزء ٤ ع ٧

أُخْرٰىكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلٰى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ ط وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ
مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَّغْشٰى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ط
يَقُولُونَ هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ط قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّٰهِ ط يُخْفُونَ فِيٓ أَنْفُسِهِمْ مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ط يَقُولُونَ

من الاغتمام بما أُرجف به من قتل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و الجرح و القتل و ظفر المشركين و فوت الغنيمة و النصر [لِكَيْلَا تَحْزَنُوا] لتتمرّنوا على تجرّع الغموم وتضرّوا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع و لا على مصيب من المضارّ - و يجوز ان يكون الضمير في فَأَثَابَكُمْ للرسول اي فأساكم في الاغتمام و كما غمّكم ما نزل به من كسر الرُباعية و الشجة و غيرها غمّه ما نزل بكم فاثابكم غمّا اغتمّه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله و لم يثرّبكم على عصيانكم و مخالفتكم لامره و انما فعل ذلك ليسلّيكم و ينفّس عنكم لئلا تحزنوا على مافاتكم من نصر الله و لا على ما اصابكم من غلبة العدو • و انزل الله الأمن على المؤمنين و ازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا و عليهم النوم - و عن ابي طلحة غَشِيَنا النعاسُ و نحن في مَصافّنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه و ما احد الا يميل تحت حجفته - و عن ابن الزبير لقد رايتني مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حين اشتدّ علينا الخوفُ فارسل الله علينا النومَ و الله اني لاسمع قولَ معتّب بن قشير و النعاسُ يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيئ ما قُتلنا ههنا • [و الأَمَنَة] الامن - و قرئ أَمْنَة بسكون الميم كانها المرة من الامن و [نُعَاسًا] بدل من أَمَنَةً - و يجوز ان يكون هو المفعول و أَمَنَةً حالا منه مقدّمة عليه كقولك رايت راكبا رجلا - او مفعولا له بمعنى نعستم أَمَنَةً - و يجوز ان تكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي أَمَنَة - او على انه جمع آمن كبارّ و بَرَرَة • [يَغْشٰى] قرئ بالياء و التاء ردًّا على النُعَاس او على الأَمَنَة [طَآئِفَةً مِّنْكُمْ] هم اهل الصدق و اليقين [وَطَآئِفَةٌ] هم المنافقون [قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ] مابهم الا همّ انفسهم لاهمّ الدين و لاهمّ الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و المسلمين او قد اوقعتهم انفسهم و ما حلّ بهم في الهموم و الاشجان فهم في التشاكي و التباث • [غَيْرَ الْحَقِّ] في حكم المصدر - و معناه يَظُنُّونَ بِاللّٰهِ غير الظنّ الحقّ الذي يجب ان يظن به و [ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ] بدل منه - و يجوز ان يكون المعنى يَظُنُّونَ بِاللّٰهِ ظنّ الجاهلية - و غَيْرَ الْحَقِّ تاكيد ليَظُنُّونَ كقولك هذا القول غير ما تقول و هذا القول لا قولك و ظن الجاهلية كقولك حاتم الجود و رجلُ صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية - و يجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يسالونه • [هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ] معناه هل لنا معاشرَ المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر و الاظهار على العدو • [قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّٰهِ] و لاوليائه المؤمنين و هو النصر و الغلبة كَتَبَ اللّٰهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي - وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ • [يُخْفُونَ فِيٓ أَنْفُسِهِمْ مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ] معناه يقولون لك فيما يُظهرون هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ سوال المؤمنين

لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هٰهُنَا ۗ قُلْ لَّوْ كُنْتُمْ فِيْ بُيُوْتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِيْنَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ اِلٰى مَضَاجِعِهِمْ ۚ
وَلِيَبْتَلِيَ اللّٰهُ مَا فِيْ صُدُوْرِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِيْ قُلُوْبِكُمْ ۗ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ
يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعٰنِ ۙ اِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوْا ۚ وَلَقَدْ عَفَا اللّٰهُ عَنْهُمْ ۗ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ حَلِيْمٌ ۝

المستمرشدين وهم فيما يُبطنون على النفاق• [يَقُوْلُوْنَ] في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم اِنَّ الْاَمْرَ كُلَّهٗ لِلّٰهِ• [لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْاَمْرِ شَيْءٌ] اي لوكان الامر كما قال مُحَمَّد انَّ الْاَمْرَ كُلَّهٗ لِلّٰهِ و لاوليائه وانهم الغالبون لما غُلبنا قط و لما قُتل من المسلمين من قُتل في هذه المعركة• [قُلْ لَّوْ كُنْتُمْ فِيْ بُيُوْتِكُمْ] يعني من علم الله منه انه يُقتل ويُصرع في هذه المصارع و كتب ذلك في اللوح لم يكن بدٌّ من وجوده فلو تعدتم في بيوتكم [لَبَرَزَ] من بينكم [الَّذِيْنَ] علم الله انهم يقتلون [اِلٰى مَضَاجِعِهِمْ] وهي مَصارعهم ليكون ما علم انه يكون- و المعنى ان الله كتب في اللوح قَتْل من يُقتل من المؤمنين و كَتَب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كلّه وان ما يكتبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم و ترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرّضهم على الجهاد فتحصل الغلبة- وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيئ يعنون لم نملك شيأ من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى اُحد وكان علينا ان نقيم و لا نبرح كما كان راي عبد الله بن ابيّ وغيره و لو ملكنا من التدبير شيأ ما قُتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كلّه لله يريد ان الله عزّ و جلّ قد دبّر الامر كما جرى و لو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل مَن قُتل منكم- و قرئ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ -وكَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ على البناء للفاعل- و لَبَرَزَ بالتشديد و ضم الباء• [وَلِيَبْتَلِيَ اللّٰهُ] و ليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص و يمحّص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فَعل ذلك لمصالح جمّة و للابتلاء و التمحيص- فان قلت كيف مواقع الجُمَل التي بعد قوله و طَائِفَةٌ -قلت اَهَمَّتْهُمْ صفة لطَائِفَةٌ- و يَظُنُّوْنَ صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمّتهم انفسهم ظانّين - او استيناف على وجه البيان للجملة قبلها و يَقُوْلُوْنَ بدل من يَظُنُّوْنَ - فان قلت كيف صحّ ان يقع ما هو مسئلة عن الامر بدل من الاخبار بالظن- قلت كانت مسئلتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه و يُخْفُوْنَ حال من يَقُوْلُوْنَ -وقُلْ اِنَّ الْاَمْرَ كُلَّهٗ لِلّٰهِ اعتراض بين الحال وذي الحال و يَقُوْلُوْنَ بدل من يُخْفُوْنَ والاجود ان يكون استيناف• [اسْتَزَلَّهُمْ] طلب منهم الزلل و دعاهم اليه [بِبَعْضِ مَا كَسَبُوْا] من ذنوبهم-ومعناه ان الذين انهزموا يوم اُحد كان السبب في تولّيهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التائيدَ و تقوية القلوب حتى تولّوا - و قيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي و انما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجرّ الى الذنب كما ان الطاعة تجرّ الى الطاعة و تكون لطفاً فيها -وقال الحسن استزلّهم بقبول ما زيّن لهم من الهزيمة- و قيل بعض ما كسبوا هو توكهم المركز الذي امرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالثبات فيه فجرّهم ذلك الى الهزيمة- وقيل ذكّرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخّروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم و يجاهدوا على حال مرضية- فان

سورة آل عمران ٣ الجزء ٤ ع ٨

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا
مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝
وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى

قلت ام قيل ببعض ما كسبوا - قلت هو كقوله تعالى وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ لتوبتهم واعتذارهم [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ] للذنوب [حَلِيمٌ] لا يعاجل بالعقوبة • [وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ] لاجل اخوانهم كقوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب • [إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ] اذا سافروا فيها و ابعدوا للتجارة او غيرها [أَوْ كَانُوا غُزًّى] جمع غاز كعاف و عُفًّى كقوله • عُفَّى الحياض اجون - وقرئ بتخفيف الزاء على حذف التاء من غُزَاة - فان قلت كيف قيل اذا ضَرَبُوا مع قَالُوا - قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الارض - فان قلت ما متعلق لِيَجْعَلَ - قلت قَالُوا اي قالوا ذلك و اعتقدوه ليكون [حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ] على ان اللام مثلها في لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا - او لَا تَكُونُوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول و اعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة و يصون منها قلوبكم - فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى - قلت معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم و الحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم و ما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ - و يجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون و يعتقدون وضادتهم مما يغمهم ويغيظهم • [وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ] ردّ لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر و الغازي و يميت المقيم و القاعد وكما يشاء وعن خالد بن وليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا و فيه ضربة او طعنة و ها انا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء • [وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] فلا تكونوا مثلهم - وقرئ بالياء يعني الذين كفروا • [لَمَغْفِرَةٌ] جواب القسم و هو ساد مسد جواب الشرط وكذلك [لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ] كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات و نهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم و لئن تم عليكم ما تحذرونه من الهلاك بالموت و القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة و الرحمة بالموت في سبيل الله [خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ] من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا - و عن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء - و قرئ بالياء اي يجمع الكفار - لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تُحْشَرُونَ لوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه و ادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي - و قرئ مُتُّمْ بضم الميم و كسرها من مات يموت و مات يمات • مَا مزيدة للتوكيد و الدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله و نحوه [فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ] و معنى الرحمة ربطه على جاشه

اللّٰهِ تُحْشَرُوْنَ ۝ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ ۚ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيْظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوْا مِنْ حَوْلِكَ ۖ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْاَمْرِ ۚ فَاِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ ۗ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِيْنَ ۝
اِنْ يَّنْصُرْكُمُ اللّٰهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۚ وَاِنْ يَّخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِيْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ بَعْدِهٖ ۗ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُوْنَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يَّغُلَّ ۗ وَمَنْ يَّغْلُلْ يَاْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

و توفيقه للرفق و التلطف بهم حتى اتاهم غما بغم و اساءهم بالمباتة بعد ما خالفوه و عصوا امره و انهزموا و تركوه. [وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا] جافيا [غَلِيْظَ الْقَلْبِ] قاسيه [لَانْفَضُّوْا مِنْ حَوْلِكَ] لتفرقوا عنك لا يبقى حولك احد منهم [فَاعْفُ عَنْهُمْ] فيما يختص بك [وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ] فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم [وَشَاوِرْهُمْ فِي الْاَمْرِ] يعني في امر الحرب و نحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي تستظير برايهم و لما فيه من تطييب نفوسهم و الرفع من اقدارهم. و عن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة و لكنه اراد ان يستن به من بعده. و عن النبي صلى الله عليه و اله وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم. و عن ابي هريرة ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب الرسول صلى الله عليه و اله وسلم. و قيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله صلى الله عليه و اله وسلم بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالراي دونهم. و قرئ وَشَاوِرْهُمْ فِيْ بَعْضِ الْاَمْرِ. [فَاِذَا عَزَمْتَ] فاذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى [فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ] في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت و لا من تشاوره. و قرئ فَاِذَا عَزَمْتُ بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء و ارشدتك اليه فتوكل عليّ و لا تشاور بعد ذلك احدا. [اِنْ يَّنْصُرْكُمُ اللّٰهُ] كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم [وَاِنْ يَّخْذُلْكُمْ] كما خذلكم يوم احد [فَمَنْ ذَا الَّذِيْ يَنْصُرُكُمْ] فهذا تنبيه على ان الامر كله لله على وجوب التوكل عليه و نحوه مَا يَفْتَحِ اللّٰهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهٗ مِنْ بَعْدِهٖ [مِنْ بَعْدِهٖ] من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته. و قرأ عبيد بن عمير وَاِنْ يَّخْذُلْكُمْ من اخذله اذا جعله مخذولا و فيه ترغيب في الطاعة و بيان ما يستحقون به النصر من الله تعالى و التائيد و تحذير من المعصية و مما يستوجبون به العقوبة بالخذلان. [وَعَلَى اللّٰهِ] و ليخص المؤمنون ربهم بالتوكل و التفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه و لان ايمانهم يوجب ذلك و يقتضيه. يقال غلّ شيأ من المغنم غلولا و اغلّ اغلالا اذا اخذه في خفية يعال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيأ مع الجلد و الغلّ الحقد الكامن في الصدر. و منه قوله صلى الله عليه و اله و سلم من بعثناه على عمل فغلّ شيأ جاء يوم القيمة يحمله على عنقه و قوله صلى الله عليه و اله وسلم هدايا الولاة غلول. و عنه ليس على المستعير غير المغلّ ضمان. و عنه لا اغلال و لا اسلال. و يقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته و احمدته. و معنى [وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يَّغُلَّ] و ما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول. و كذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه و ما صح له ان يوجد غالا و لا يوجد

سورة آل عمران ٣ الجزء ٤ ع ٨

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝
هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ

غالّا الا اذا كان غالّا و فيه وجهان - احدهما ان يبرّأ رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم من ذلك و ينزّه و يذبّ على عصمته فان النبوة و الغلول متنافيان لئلا يظنّ به ظانٌّ شيأ منه و ان لا يسترِيب به احد - كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعلّ رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم اخذها - و روي انما نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماةُ المركزَ و طلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم من اخذ شيأ فهو له و أنْ لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبيّ صلى الله عليه و اله و سلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقيةَ اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه و اله و سلم بل ظننتم انا نغلّ و لا نقسم لكم - و الثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه و اله و سلم على ما روي انه بعث طلائع فغنمتْ غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلتْ - يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما و يمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسُمّي حرمان بعض الغُزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر - ولو قرئ أنْ يُغَلّ من اغلّ بمعنى غلّ لجاز * [يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] يات بالشيء الذي غلّه بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه - و روي الا لا اعرفنّ احدكم يوم القيمة ياتي ببعير له رُغاء و ببقرة لها خُوار وبشاة لها ثُغاء فينادي يا مُحَمَّد يا مُحَمَّد فاقول لا املك لك من الله شيأ قد بلّغتك - و عن بعض جفاة الاعراب انه سرق ناقحة مسك فتُليتْ عليه الاية فقال اذا احملها طيّبة الريح خفيفة المحمل - ويجوز ان يراد يات بما احتمل من وباله وتبعته و اثمه - فان قلت هلا قيل ثم يوفّى ما كسب ليتصل به - قلت جيئ بعام دخل تحته كلّ كاسب من الغالّ و غيره فاتصل به من حيث المعنى و هو ابلغ وانبت لانه اذا علم الغالّ ان كل كاسب خيرا او شرًّا مجزيّ فموفّى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب [وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ] اي يعدل بينهم في الجزاء كلُّ جزاؤه على قدر كسبه * [هُمْ دَرَجَاتٌ] اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله * شعر * أنصبُ للمنيّة تعذيبي * رجائي امرهم دَرَج السيول * وقيل ذوو درجات - و المعنى تفاوتُ منازل لمُثابين منهم و منازل المعاقبين - او التفاوت بين الثواب و العقاب * [وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ] عالم باعمالهم و درجاتها فمجازيهم على حسبها [لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ] على من امن مع رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم من قومه وخصّ المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه * [مِنْ أَنْفُسِهِمْ] من جنسهم عربيا مثلهم - و قيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده - فان قلت فما وجه المنّة عليهم في ان كان من انفسهم - قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه و كانوا واقفين على احواله في الصدق و الامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه و الوثوق به و في كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ - و

أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ۚ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ أَوَلَمَّا
أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا

في قراءة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قراءة فاطمة رضي الله عنها مِنْ أَنْفَسِيمْ اي من اشرفهم لان عدنان ذرورة ولد اسمعيل - و مضر ذروة نزار بن معد بن عدنان - و خندف ذروة مُضَر - و مُدْرِكة ذروة خندف - و قريش ذروة مدركة و ذروة قريش محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم - و فيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم و رؤساء مُضَر الحمد لله الذي جعلنا من ذُرِّيّة ابراهيم و زرع اسمعيل و ضيضى معدّ و عنصر مضر و جعلنا حَضَنة بيته وسُوَّاس حَرَمه و جعل لنا بيتا محجوجا و حرما آمنا و جعلنا الحكّام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمّد بن عبد الله من لا يوزن به فتًى من قريش الا رجح به و هو و الله بعد هذا له نبأ عظيم و خطر جليل * و قرئ لَمِنْ مَنِّ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ اِذْ بَعَثَ فِيهِمْ و فيه وجهان - ان يراد لَمِنْ مَنِّ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ منّه او بعثه اِذْ بَعَثَ فِيهِمْ فحذف لقيام الدلالة - او يكون اِذْ في محل الرفع كاذا في قولك اَخطبُ ما يكون الامير اذا كان قائما و بمعنى لَمِنْ مَنِّ اللهِ على المؤمنين وقت بعثه * [يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ] بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي [وَيُزَكِّيهِمْ] و يطهّرهم من دنس القلوب بالكفر و نجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرّمات و سائر الخبائث - و قيل ويأخذ منهم الزكوة * [وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ] القرآن و السّنّة بعد ما كانوا اجهل الناس و ابعدهم من دراسة العلوم * [وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ] بعثة الرسول [لَفِي ضَلَالٍ] اِنْ هي المخففة من الثقيلة و اللامُ هي الفارقة بينها و بين النافية و تقديرُه وان الشان و الحديث كانوا من قبل لفي ضلال [مُبِينٍ] ظاهر لا شبهة فيه * [أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ] يريد ما اصابهم يوم اُحد من قتل سبعين منهم * [قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا] يوم بدر من قتل سبعين و اسر سبعين وَمَّا نصب بقُلْتُمْ - و أَصَابَتْكُمْ في محل الجر باضافة لَمَّا اليه و تقديرُه أَقُلتم حين اصابتكم و [أَنَّىٰ هَٰذَا] نصب لانه مقول و الهمزة للتقرير و التقريع - فان قلت علام عطفت الواوُ هذه الجملةَ - قلت على ما مضى من قصّة اُحد من قوله وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ - و يجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل اَفعلتم كذا و قلتم حينئذ كذا - أَنَّىٰ هَٰذَا من اين هذا كقوله تعالى أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا لقوله [مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ] و قوله مِنْ عِندِ اللهِ - و المعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز - و عن عليّ رضي الله عنه لاَخذكم الفداء من اُساري بدر قبل ان يؤذن لكم * [إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فهو قادر على النصر و على منعه و على ان يصيب لكم تارة و يصيب منهم اخرى * [وَمَا أَصَابَكُمْ] يوم اُحد يَوْمَ الْتَقَى جَمْعُكُم و جَمْعُ المشركين فهو كائن * [بِإِذْنِ اللهِ] اي بتخليته استعارة الاذن لتخليته الكفارَ و انه لم يمنعهم منهم ليبتليهم ان الاذن مُخلّ بين المأذون له و مراده * [وَلِيَعْلَمَ]

فِي سَبِيلِ اللّٰهِ اَوِ ادْفَعُوا ط قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّا تَّبَعْنٰكُمْ ط هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ اَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْاِيْمَانِ ج يَقُوْلُوْنَ بِاَفْوَاهِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوْبِهِمْ ط وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُوْنَ ۝ اَلَّذِيْنَ قَالُوْا لِاِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوْا لَوْ اَطَاعُوْنَا مَا قُتِلُوْا ط قُلْ فَادْرَءُوْا عَنْ اَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝

و هو كائن ليتميّز المؤمنون و المنافقون و ليظهر ايمان هؤلاء و نفاق هؤلاء - [وَ لِيَعْلَمَ] من جملة الصلة عطف على نَافَقُوْا و انما لم يقل فقالوا لانه جواب لسوال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فما ذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم - و يجوز ان يقتصر الصلة على نَافَقُوا و يكون وَ لِيَعْلَمَ كلاما مبتدأ - قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للاخرة كما يقاتل المؤمنون و بين ان يقاتلوا ان لم يكن لهم غم الاخرة دفعا عن انفسهم و اهليهم و اموالهم فابوا القتال و جحدوا القدرة عليه راسا لنفاقهم و دغلهم و ذلك ما روي ان عبد الله بن ابيّ انخزل مع حُلَفائه فقيل له فقال ذلك - و قيل [اَوِ ادْفَعُوْا] العدو بتكثيركم سواد المجاهدين و ان لم تقاتلوا ان كثرة السواد مما يروّع العدوّ و يكسر منه - و عن سهل بن سعد الساعدي و قد كُفّ بصره لو امكنني لبعتُ داري و لحقتُ بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم و بين عدوهم قيل و كيف و قد ذهب بصرك قال لقوله اَوِ ادْفَعُوْا اراد اكثّر سوادهم - و وجه اخر و هو ان يكون معنى قولهم [لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا] لو نعلم ما يصحّ ان يسمّى قتالا [لَّا تَّبَعْنٰكُمْ] يعنون ان ما انتم فيه لخطاء رايكم و زللكم عن الصواب ليس بشيء و لا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان راي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة و ما كان يستصوب الخروج * [هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ اَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْاِيْمَانِ] يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان و ما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين و قالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم و اقتربوا من الكفر - و قيل هم اهل الكفر قرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين * [يَقُوْلُوْنَ بِاَفْوَاهِهِمْ] لايتجاوز ايمانهم افواههم و مخارج الحروف منهم وَ لا تعي قلوبهم منه شيا و ذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم و ان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم افواههم * [وَ اللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُوْنَ] من النفاق و بما يُجري بعضهم مع بعض من ذمّ المؤمنين و تجهيلهم و تخطية رايهم و الشماتة بهم و غير ذلك لكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات و انا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله و كيفياته * [اَلَّذِيْنَ قَالُوْا] في اعرابه اوجه - ان يكون نصبا على الذمّ او على الرد على الَّذِيْنَ نَافَقُوْا - او رفعا على هم الَّذِيْنَ قَالُوْا او على البدال من واو يَكْتُمُوْنَ - و يجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بِاَفْوَاهِهِمْ او قُلُوْبِهِمْ كقوله * ع * على جوده لضنّ بالماء حاتم * [لِاِخْوَانِهِمْ] لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم اُحد - او اخوانهم في النسب و في سكنى الدار * [وَقَعَدُوْا] اي قالوا و قد قعدوا عن القتال لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من القعود و رافقونا فيه لما قتلوا كما لم نُقتل * [قُلْ فَادْرَءُوْا عَنْ اَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ] معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا و هو القعود عن القتال فجدّروا

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَسْتَبْشِرُونَ

الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مُغنٍ عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة و لا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها - و روي انه مات يومَ قالوا هذه المقالة سبعون منافقا - فان قلت فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ - قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال و ان يكون غيرَه لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سببَ نجاته ولو لم يقاتل لقُتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود و انكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره - و وجه آخر اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ في قولكم لو اطاعونا و تعدرا ما قُتلوا يعني انهم لو اطاعوكم و قعدوا لُقتلوا قاعدين كما قُتلوا مقاتلين و قوله فَادْرَءُوْا عَنْ اَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفّاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا * [وَلَا تَحْسَبَنَّ] الخطاب لرسول الله صلى الله عليه و اله وسلم او لكل احد - وقرئ بالياء على وَلَا يَحْسَبَنَّ رسولُ الله صلى الله عليه و اله و سلم او وَلَا يَحْسَبَنَّ حاسب - و يجوز ان يكون [اَلَّذِيْنَ قُتِلُوْا] فاعلا و يكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قُتلوا امواتا اي وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتلوا انفسهم اَمْوَاتًا فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول - قلت هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله [اَحْيَاءٌ] والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما - وقرئ وَلَا تَحْسَبَنَّ بفتح السين - وقُتِّلُوْا بالتشديد - واَحْيَاءٌ بالنصب على معنى بل احسبهم احياء [عِنْدَ رَبِّهِمْ] مقربون عنده زور زلفى كقوله فَالَّذِيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ [يُرْزَقُوْنَ] مثل مايرزق سائر الاحياء ياكلون و يشربون و هو تاكيد لكونهم اَحْيَاءً ووصفٌ لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله * [فَرِحِيْنَ بِمَا اٰتٰهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ] وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجّلا لهم رزق الجنّة و نعيمها - وعن النبيّ صلى الله عليه و اله و سلم لما اصيب اخوانكم بأُحُد جعل الله ارواحَهم في اجواف طَيْرٍ خُضْرٍ تدور في انهار الجنّة وتاكل من ثمارها و تاوي الى قناديل من ذهب معلّقة في ظل العرش [وَيَسْتَبْشِرُوْنَ] باخوانهم المجاهدين الذين [لَمْ يَلْحَقُوْا بِهِمْ] اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم [مِنْ خَلْفِهِمْ] يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم و هم قد تقدموهم - وقيل لَمْ يَلْحَقُوْا بِهِمْ لم يدركوا فضلهم و منزلتهم * [اَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ] بدل من اَلَّذِيْنَ - والمعنى وَيَسْتَبْشِرُوْنَ بما تبيّن لهم من حال مَن تركوا خلفهم من المؤمنين و هو انهم يبعثون آمنين يوم القيمة بشّرهم الله بذلك فهم مستبشرون به - وفي ذكر حال الشهداء و استبشارهم بمن خلفهم بعثٌ للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة و الجدّ في الجهاد و الرغبة في نَيْل منازل الشُّهداء و اصابة فضلهم و احمادٌ لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله و بشرى للمؤمنين بالفوز في المآب - و كرّر

سورة آل عمران ٣ الجزء ٤ ع ٩

بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّٰهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوْٓءٌ وَّاتَّبَعُوْا رِضْوَانَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ ذُوْ فَضْلٍ عَظِيْمٍ ۝ اِنَّمَا ذٰلِكُمُ الشَّيْطٰنُ يُخَوِّفُ اَوْلِيَآءَهٗ فَلَا تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۝ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِيْنَ يُسَارِعُوْنَ فِى الْكُفْرِ اِنَّهُمْ لَنْ يَّضُرُّوا اللّٰهَ شَيْئًا يُرِيْدُ اللّٰهُ اَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الْاٰخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْاِيْمَانِ لَنْ يَّضُرُّوا اللّٰهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اَنَّمَا نُمْلِىْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّاَنْفُسِهِمْ اِنَّمَا نُمْلِىْ لَهُمْ لِيَزْدَادُوْٓا اِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ ۝ مَا كَانَ اللّٰهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلٰى مَآ اَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّٰى يَمِيْزَ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِىْ مِنْ رُّسُلِهٖ مَنْ يَّشَآءُ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ وَاِنْ تُؤْمِنُوْا وَتَتَّقُوْا فَلَكُمْ اَجْرٌ عَظِيْمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ بِمَآ اٰتٰىهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُوْنَ مَا بَخِلُوْا بِهٖ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَلِلّٰهِ مِيْرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ ۝ لَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّذِيْنَ قَالُوْٓا اِنَّ اللّٰهَ فَقِيْرٌ وَّنَحْنُ اَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوْا وَقَتْلَهُمُ الْاَنْۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَّنَقُوْلُ ذُوْقُوْا عَذَابَ الْحَرِيْقِ ۝ ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْكُمْ وَاَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ ۝ الَّذِيْنَ قَالُوْٓا اِنَّ اللّٰهَ عَهِدَ اِلَيْنَآ اَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُوْلٍ حَتّٰى يَاْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَاْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِىْ بِالْبَيِّنٰتِ وَبِالَّذِىْ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوْهُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝ فَاِنْ كَذَّبُوْكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَآءُوْ بِالْبَيِّنٰتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتٰبِ الْمُنِيْرِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَاِنَّمَا تُوَفَّوْنَ اُجُوْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَاُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَآ اِلَّا مَتَاعُ الْغُرُوْرِ ۝ لَتُبْلَوُنَّ فِىْٓ اَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِيْنَ اَشْرَكُوْٓا اَذًى كَثِيْرًا وَاِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا فَاِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ ۝ وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيْثَاقَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهٗ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُوْنَهٗ فَنَبَذُوْهُ وَرَآءَ ظُهُوْرِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهٖ ثَمَنًا قَلِيْلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُوْنَ ۝ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ يَفْرَحُوْنَ بِمَآ اَتَوْا وَّيُحِبُّوْنَ اَنْ يُّحْمَدُوْا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوْا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝ وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيْرٌ ۝ اِنَّ فِىْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَاٰيٰتٍ لِّاُولِى الْاَلْبَابِ ۝ الَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ قِيَامًا وَّقُعُوْدًا وَّعَلٰى جُنُوْبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُوْنَ فِىْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَآ اِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ اَخْزَيْتَهٗ وَمَا لِلظّٰلِمِيْنَ مِنْ اَنْصَارٍ ۝ رَبَّنَآ اِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُّنَادِىْ لِلْاِيْمَانِ اَنْ اٰمِنُوْا بِرَبِّكُمْ فَاٰمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّاٰتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْاَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَاٰتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلٰى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيْعَادَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ اَنِّىْ لَآ اُضِيْعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا وَاُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ وَاُوْذُوْا فِىْ سَبِيْلِىْ وَقٰتَلُوْا وَقُتِلُوْا لَاُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّاٰتِهِمْ وَلَاُدْخِلَنَّهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ عِنْدَهٗ حُسْنُ الثَّوَابِ ۝ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فِى الْبِلَادِ ۝ مَتَاعٌ قَلِيْلٌ ثُمَّ مَاْوٰىهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ لٰكِنِ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّٰتٌ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ لِّلْاَبْرَارِ ۝ وَاِنَّ مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ لَمَنْ يُّؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ وَمَآ اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ خٰشِعِيْنَ لِلّٰهِ لَا يَشْتَرُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ ثَمَنًا قَلِيْلًا اُولٰٓئِكَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ اِنَّ اللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اصْبِرُوْا وَصَابِرُوْا وَرَابِطُوْا وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ۝

يَسْتَبْشِرُوْنَ ليعلق به ما هو بيان لقوله اَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ من ذكر النعمة و الفضل و ان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله و حكمته ان يُحصّل لهم و لا يضيّع - و قرئ وَاَنَّ اللّٰهَ بالفتح عطفا على النِّعْمَة و الفَضْل - و بالكسر على الابتداء و على ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي و تعضدها قراءة عبد الله وَاللّٰهُ لَا يُضِيْعُ [الَّذِيْنَ اسْتَجَابُوْا] مبتدأ خبره لِلَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا - او صفة لِلْمُؤْمِنِيْنَ - او نصب على المدح - و روي ان ابا سفيان و اصحابه لما انصرفوا من اُحد فبلغوا الرَّوْحاء ندموا وهمّوا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم فاراد ان يرهبهم و يريهم من نفسه و اصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان و قال لا يخرجنّ معنا احد الّا من حضر يومنا بالامس فخرج مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال و كان باصحابه القُرْح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر و القى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فذرات - و مِنْ في لِلَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا مِنْهُمْ للتبيين مثلها في قوله تعالى وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَ عَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً لان الَّذِيْنَ اسْتَجَابُوْا لِلّٰهِ وَالرَّسُوْلِ قد احسنوا كلهم و اتقوا الا بعضهم - و عن عروة بن الزبير قالت لي عايشة رضي الله عنها ان ابويك لمِنَ الَّذِيْنَ اسْتَجَابُوْا لِلّٰهِ وَالرَّسُوْلِ تعني ابا بكر و الزبير * [الَّذِيْنَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ اِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوْا لَكُمْ] - روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من اُحد يا مُحَمَّد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئتَ فقال صلى الله عليه و اله و سلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مرّ الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نُعَيْم بن مسعود الاشجعيّ و قد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت مُحَمَّدا ان نلتقي بموسم بدر و ان هذا عام جدب و لا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر و نشرب فيه اللبن و قد بدا لي و لكن ان خرج مُحَمَّد و لم اخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبّطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نُعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراي ائتوكم في دياركم و قراركم فلم يفلت منكم احد الّا شريد ا فتريدون ان تخرجوا و قد جمعوا لكم عند الموسم فو الله لا يفلت منكم احد - و قيل مرّ بابي سفيان رَكْب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حِمْل بعير من زبيب ان ثبّطوهم فكره المسلمون الخروجَ فقال صلى الله عليه و اله و سلم و الذي نفسي بيده لاخرجنّ و لو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا و هم يقولون حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ - و قيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار حتى وافوا بدرا و اقاموا بها ثماني ليال و كانت معهم تجارات فباعوها و اصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غادمين و رجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهلَ مكة جيشَ السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبّطون و الآخرون ابو سفيان و اصحابه - فان قلت كيف قيل النَّاسُ ان

فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ اِيمَانًا ۖ وَّقَالُوْا حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ ۝ فَانْقَلَبُوْا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّٰهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ
سُوْٓءٌ ۙ وَّاتَّبَعُوْا رِضْوَانَ اللّٰهِ ۗ وَاللّٰهُ ذُوْ فَضْلٍ عَظِيْمٍ ۝ اِنَّمَا ذٰلِكُمُ الشَّيْطٰنُ يُخَوِّفُ اَوْلِيَآءَهٗ ۖ فَلَا تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ

كان نُعَيم هو المثبّطُ وحده - قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل و يلبس البرود و ماله الا فرس واحد و برد فرد و لانه حين قال ذلك لم يخلُ من ناس من اهل المدينة يضامّونه و يصلون جناح كلامه و يثبّطون مثل تثبيطه - فان قلت الامَ يرجع المستكن في فَزَادَهُمْ - قلت الى المقول الذي هو [اِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوْا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ] كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا - او الى مصدر قَالُوْا كقولك من صدق كان خيرا له - او الى النّاس اذا اريد به نُعَيْم وحده - فان قلت كيف زادهم نُعَيم او مقولُهُ ايمانا - قلت لما لم يسمعوا قوله و اخلصوا عقده النية و العزمَ على الجهاد و اظهروا حميّة الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم و اقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحُجَج و لان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة و الطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد و اقرار و عمل - و عن ابن عمر قلنا يا رسولَ الله ان الايمان يزيد و ينقص قال نعم يزيد حتى يُدخل صاحبَه الجَنّة و ينقص حتى يُدْخل صاحبَه النارَ - و عن عمر رضي الله عنه انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا - و عنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به * [حَسْبُنَا اللّٰهُ] مُحْسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه و الدليل على انه بمعنى المُحْسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية [وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ] ونعم الموكول اليه هو * [فَانْقَلَبُوْا] فرجعوا من بدر [بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّٰهِ] وهي السلامة و حذر العدو منهم [وَفَضْلٍ] و هو الربح في التجارة كقوله لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَبْتَغُوْا فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ [لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوْٓءٌ] لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدو [وَاتَّبَعُوْا رِضْوَانَ اللّٰهِ] بجرأتهم و خروجهم * [وَاللّٰهُ ذُوْ فَضْلٍ عَظِيْمٍ] قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا و في ذلك تحسير لمن تخلّف عنهم و اظهار لخطاء رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء - و روي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو و رضي عنهم * [الشَّيْطٰنُ] خبر ذٰلِكُمْ بمعنى انما ذلكم المثبّط هو الشيطان و يُخَوِّفُ اَوْلِيَآءَهٗ جملة مستانفة بيان لشَيْطَنَته - او الشيطان صفة لاسم الاشارة و يُخَوِّفُ الخبر - و المراد بالشيطان نُعَيْم او ابو سفيان - و يجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف يعني انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله * [يُخَوِّفُ اَوْلِيَآءَهٗ] يخوّفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان و اصحابه و تدل عليه قراءة ابن عباس و ابن مسعود يُخَوِّفُكُمْ اَوْلِيَآءَهٗ و قوله فَلَا تَخَافُوْهُمْ - و قيل يُخَوِّفُ اَوْلِيَآءَهٗ القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم - فان قلت فالمَ رجع الضمير في [فَلَا تَخَافُوْهُمْ] على هذا التفسير - قلت الى النّاس في قوله اِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوْا لَكُمْ فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال و تجبُنوا [وَخَافُوْنِيْ] فجاهدوا مع رسولي صلى الله عليه و اله و سلم و سارعوا الى ما يامركم به [اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ] يعني ان الايمان

سورة آل عمران ٣ الجزء ٤ ع ٩

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا
يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۚ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ۖ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ

يقتضي ان تؤثروا خوفَ الله على خوف الناس و لا يخشون احدا الا الله • [يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ] يقعون فيهِ سريعا و يرغبون فيه اشدّ رغبة و هم الذين نافقوا من المتخلّفين - و قيل هم قوم ارتدّوا عن الاسلام - فان قلت فما معنى قوله [وَلَا يَحْزُنْكَ] و من حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق و ارتداد من ارتدّ - قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضرّوك و يُعينوا عليك الا ترى الى قوله [إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا] يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير انفسهم و ما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بيّن كيف يعود وباله عليهم بقوله [يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ] اي نصيبا من الثواب [وَلَهُمْ] بدل الثواب [عَذَابٌ عَظِيمٌ] و ذلك ابلغ ما ضرّ به الانسان نفسه - فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظًّا فى الآخرة و اىّ فائدة في ذكر الارادة - قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم و تعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قطّ حين سارعوا فى الكفر تنبيها على تماديهم فى الطُّغْيان وبلوغهم الغايةَ فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم • [إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ] اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد و التسجيل عليهم بما اضاف اليهم - و اما ان يكون عاما للكفار و الاول خاصا فيمن نافق من المتخلّفين او ارتدّ عن الاسلام او على العكس • و [شَيْئًا] نصب على المصدر لان المعنى شَيْئًا من الضرر و بعض الضرر • [الَّذِينَ كَفَرُوا] فيمن قرأ بالتاء نصبٌ و [إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ] بدل منه اي و لا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير لهم و أَنَّ مع ما في حيّزه يذوب عن المفعولين كقوله أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ و مَا مصدرية بمعنى و لا تحسبن ان املاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة و لكنها وقعت فى الامام متصلة فلا يخالف و يتبع سنة الامام فى خط المصاحف - فان قلت كيف صحّ مجيء البدل و لم يذكر الا احد المفعولين و لا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد - قلت صحّ ذلك من حيث ان التعويل على البدل و المبدلُ منه فى حكم المنحّى الا ترى تقول جعلتُ متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك - و يجوز ان يقدّر مضاف محذوف على وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او و لا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم و هو فيمن قرأ بالياء رفع و الفعل متعلق بأَنَّ و ما في حيزه و الاملاءُ لهم تخليتهم و شانهم مستعار من املاء الفرس اذا ارخى له الطِّوَل ليرعى كيف شاء - و قيل هو امهالهم و اطالة عمرهم - و المعنى و لا تحسبن ان الاملاء خيرلهم من منعهم اوقطع آجالهم • [إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ] مَا هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافّة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل

وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ◎ مَا كَانَ اللّٰهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلٰى مَآ اَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّٰى يَمِيْزَ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ ط وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِيْ مِنْ رُّسُلِهٖ مَنْ يَّشَآءُ ص فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ ج وَاِنْ تُؤْمِنُوْا

سورة آل عمران ٣
الجزء ٤
ع ٩

اِنَّمَا نُمْلِيْ لَهُمْ لِيَزْدَادُوْٓا اِثْمًا - فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم - قلت هو علة للاملاء و ما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز و الفاقة و خرجت من البلد لمخافة الشر و ليس شيء منها بغرض لك و انما هي علل و اسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للاملاء و سببا فيه - فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة الاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب - قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله و بسببه على طريق المجاز - و قرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى و فتح الثانية وَلَا تَحْسَبَنَّ بالياء على معنى و لا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون و انما هو ليتوبوا و يدخلوا في الايمان و قوله اِنَّمَا نُمْلِيْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّاَنْفُسِهِمْ اعتراض بين الفعل و معموله - و معناه ان الاملاء خير لانفسهم ان عملوا فيه و عرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة و ترك المعاجلة بالعقوبة - فان قلت فما معنى قوله [وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ] على هذه القراءة - قلت معناه و لا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم و للتعذيب و الواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين * اللام لتاكيد النفي عَلٰى مَآ اَنْتُمْ عَلَيْهِ من اختلاط المؤمنين الخلص و المنافقين [حَتّٰى يَمِيْزَ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ] حتى يعزل المنافق عن المخلص. وقرئ يُمَيِّزَ من مَيَّز - و في رواية عن ابن كثير يُمِيْزَ من أمار بمعنى مَيَّز - فان قلت لمن الخطاب في اَنْتُمْ - قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص و النفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض و انه لا يعرف مخلصكم من منافقكم للتفاوتكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم و اخباره باحوالكم ثم قال [وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ] اي و ما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل و اخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها و ايمانها و لكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه و يخبره بان في الغيب كذا و ان فلانا في قلبه النفاق و فلان في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله تعالى لا من جهة اطلاعه على المغيبات - و يجوز ان يراد لا يتركم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد و انفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم و شاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور و الاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر الله به و ما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب و مضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِيْ مِنْ رُّسُلِهٖ

وَ تَتَّقُوْا فَلَكُمْ اَجْرٌ عَظِيْمٌ ۝ وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ بِمَآ اٰتٰىهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ؕ بَلْ هُوَ شَرٌّ
لَّهُمْ ؕ سَيُطَوَّقُوْنَ مَا بَخِلُوْا بِهٖ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ؕ وَ لِلّٰهِ مِيْرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ ؕ وَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ ۝ ع
لَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّذِيْنَ قَالُوْٓا اِنَّ اللّٰهَ فَقِيْرٌ وَّ نَحْنُ اَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوْا وَ قَتْلَهُمُ الْاَنْۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ

مَنْ يَّشَآءُ] فيخبره ببعض المغيبات [فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهٖ] بان تقدروه حق قدره و تعلموه وحده مطلعا على الغيوب و ان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله و لا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب و ليسوا من علم الغيب في شيء - و عن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا و من يكفر فنزلت * [وَ لَا تَحْسَبَنَّ] من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي و لا تحسبن بخل الذين يبخلون [هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ] و كذلك من قرأ بالياء و جعل فاعل يَحْسَبَنَّ ضمير رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم او ضمير احد و من جعل فاعله الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره و لا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم و الذي سوغ حذفه دلالة يَبْخَلُوْنَ عليه و هُوَ فصل - و قرأ الاعمش بغير هُوَ [سَيُطَوَّقُوْنَ] تفسير لقوله هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق و في امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها و يذم - و قيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه و تنقر راسه و تقول انا مالك - و عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم في مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع و روي بشجاع اسود - و عن النخعي سيطوقون بطوق من نار * [وَ لِلّٰهِ مِيْرَاثُ السَّمٰوٰتِ] اي و له ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال و غيره فما لهم يبخلون عليه بماله و لا ينفقونه في سبيله ونحوه وَ اَنْفِقُوْا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلَفِيْنَ فِيْهِ - و قرئ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بالتاء و الياء فالتاء على طريق الالتفات و هي ابلغ في الوعيد و الياء على الظاهر * [لَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ] قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى مَنْ ذَا الَّذِيْ يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد اذ لك او عن استهزاء بالقرآن و ايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم - و معنى سماع الله له انه لا يخفى عليه و انه اعد له كفاء من العقاب * [سَنَكْتُبُ مَا قَالُوْا] في صحائف الحفظة او سنحفظه و نثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب - فان قلت كيف قال لَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ ثم قال سَنَكْتُبُ و هلا قيل و لقد كتبنا - قلت ذكر وجود السماع اولا موكدا بالقسم ثم قال سَنَكْتُبُ على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته و تدوينه كما لن يفوتنا [قَتْلَهُمُ الْاَنْۢبِيَآءَ] و جعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان و بان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم و انهم اصلاء في الكفر و لهم فيه سوابق و ان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول - و روي ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام و الى اقام الصلوة و ايتاء الزكوة و ان يقرض الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سأنا القرض فلطمه ابوبكر في وجهه و قال لولا الذي

وَّ نَقُوْلُ ذُوْقُوْا عَذَابَ الْحَرِيْقِ ۝ ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْكُمْ وَ اَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ ۝ اَلَّذِيْنَ قَالُوْٓا
اِنَّ اللّٰهَ عَهِدَ اِلَيْنَآ اَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُوْلٍ حَتّٰى يَاْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَاْكُلُهُ النَّارُ ؕ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِيْ
بِالْبَيِّنٰتِ وَ بِالَّذِيْ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوْهُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝ فَاِنْ كَذَّبُوْكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَآءُوْ
بِالْبَيِّنٰتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِتٰبِ الْمُنِيْرِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ؕ وَ اِنَّمَا تُوَفَّوْنَ اُجُوْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ؕ فَمَنْ زُحْزِحَ

بيننا وبينكم من العهد لضربتُ عنقك مشكلة الى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و جحد ما قاله نزلت ونحوه قولهم يَدُ اللّٰهِ مَغْلُوْلَةٌ [وَ نَقُوْلُ ذُوْقُوْا] ونتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا [عَذَابَ الْحَرِيْقِ]- كما ان قتلتم المسلمين الغُصَص يقال للمنتقم منه احُسُّ و ذُقْ و قال ابو سفين لحمزة رضي الله عنه ذق عُقَق - و قرأ حمزة سَيُكْتَبُ بالياء على البناء للمفعول ويَقُوْلُ بالياء - و قرأ الحسن و الاعرج سَيُكْتَبُ بالياء و تسمية الفاعل - و قرأ ابن مسعود وَيُقَالُ ذُوْقُوْا * [ذٰلِكَ] اشارة الى ما تقدم من عقابهم - و ذَكَرَ الايدي لان اكثر الاعمال يزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب - فان قلت فلم عُطف قوله [وَاَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ] على مَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْكُمْ و كيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيات في استحقاق التعذيب - قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم و من العدل ان يعاقب المسيء منهم و يثيب المحسن [عَهِدَ اِلَيْنَآ] امرنا في التورية و اوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الاية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتاكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة و افتراء على الله لان اكل النار القربان لم يجب الايمان للرسول الآتي به الا لكونه آية و معجزة فهو اذن و سائر الايات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الايات وقد الزمهم الله ان انبياء هم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق و جاؤهم ايضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها - و قرئ بِقُرْبَانٍ بضمتين و نظيره السُّلْطَان - فان قلت ما معنى قوله [وَ بِالَّذِيْ قُلْتُمْ] - قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار و موداه كقوله تعالى ثُمَّ يَعُوْدُوْنَ لِمَا قَالُوْا اي لمعنى ما قالوا في مصاحف اهل الشام وَبِالزُّبُرِ وهي الصُّحُف [وَ الْكِتٰبِ الْمُنِيْرِ] التورية و الانجيل و الزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من تكذيب قومه و تكذيب اليهود * قرأ اليزيدي ذَائِقَةُ الْمَوْتَ على الاصل - و قرأ الاعمش ذَائِقَةُ الْمَوْتَ بطرح التنوين مع النصب كقوله وَ لَا ذَاكِرَ اللّٰهَ اِلَّا قَلِيْلًا - فان قلت كيف اتصل به قوله تعالى [وَ اِنَّمَا تُوَفَّوْنَ اُجُوْرَكُمْ] - قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون لابد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم و معاصيكم عقيب موتكم و انما توفونها يوم قيامكم من القبور - فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حُفَر النيران - قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور و تكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك

عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ط وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَآ اِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ اَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ قف
وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوٓا اَذًى كَثِيرًا ط وَاِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَاِنَّ ذٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ الْاُمُورِ ۝ وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ

ببعض الاجور * [الزحزحة] التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة [فَقَدْ فَازَ] فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله تعالى والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يوتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور - وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ * خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه - والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصايب - وفي الاموال الانفاق في سبل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطية من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير [فَاِنَّ ذٰلِكَ] فان الصبر والتقوى [مِنْ عَزْمِ الْاُمُورِ] من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا * [وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ] واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب [لَتُبَيِّنُنَّهُ] الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له والله لتفعلن [فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ] فنبذوا الميثاق وتاكيده عليهم بمعنى لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه ماخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيأ لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام الدنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار - وعن طاؤس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله اوكذت نبيا نكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك - وعن محمد بن كعب القرظي لا يحل لاحد من

وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا
بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ۖ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ
وَاللَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝

العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل - وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا - وقرئ لَيُبَيِّنُنَّهُ - وَلَا يَكْتُمُونَهُ بالياء لانهم غيب - وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله تعالى وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتٰبِ لَتُفْسِدُنَّ * [لَا تَحْسَبَنَّ] خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واحد المفعولين [الَّذِينَ يَفْرَحُونَ] والثاني بِمَفَازَةٍ وقوله فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين - وقرئ لَا تَحْسَبَنَّ - فَلَا تَحْسَبُنَّهُمْ بضم الباء على خطاب المؤمنين ولَا يَحْسَبَنَّ - فَلَا يَحْسَبَنَّهُمْ بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول - وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للَّذِينَ يَفْرَحُونَ والمفعول الاول محذوف على لا تحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفَلَا يَحْسَبَنَّهُمْ تاكيد * ومعنى [بِمَا أَتَوْا] بما فعلوا واتى وجَاءَ يستعملان بمعنى فَعَلَ قال الله تعالى إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا - لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا - وتدل عليه قراءة ابي يَفْرَحُونَ بِمَا فَعَلُوا - وقرئ أَتَوْا بمعنى أَعْطَوا - وعن علي رضي الله عنه بِمَا أُوتُوا * ومعنى [بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ] بمنجاة منه - روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب - ومعنى يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا بما اوتوه من علم التوراة - وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا] من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه - وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج - وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومذاقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر - ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه * [وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ] فهو يملك امرهم [وَاللَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فهو يقدر على عقابهم * [لَآيٰتٍ] ادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته [لِّأُولِي الْأَلْبَابِ] للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر - وفي الفصائح الصغار املأ عَيْنَيْك

سورة آل عمران ٣ الجزء ٤ ع ١١ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَّ قُعُودًا وَّ عَلَى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ ٤

من زينة هذه الكواكب و اجلّها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدّرها متدبرا حكمة مدبّرها قبل ان يسافر بك القدر و يحال بينك وبين النظر - و عن ابن عمر قلت لعايشة رضى الله عنها اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فبكت و اطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عايشة هل لكِ ان تاذني لي الليلةَ في عبادة ربّي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صبّ الماء ثم قام يصلّي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموعُ حَقْوَيْه ثم جلس فحمد الله و اثنى عليه و جعل يبكي ثم رفع يديه وجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلّت الارضَ فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال و مالي لا ابكي و قد انزل الله عليّ في هذه الليلة اِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ ثم قال ويل لمن قرأها و لم يتفكر فيها و روي ويل لمن لاكها بين فكّيه و لم يتاملها - و عن عليّ كرّم الله وجهه ان النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم كان اذا قام من الليل يتسوّك ثم ينظر الى السماء ثم يقول اِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ - و حكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عَبَدَ الله ثلثين سنة اظلّته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظلّه فقالت له امّه لعلّ فرطة فرطتْ منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعلّ قالت فما اوتيت الا من ذاك * [يَذْكُرُونَ اللَّهَ] ذكرا دائما على اىّ حال كانوا من قيام و قعود و اضطجاع لا يخلّون بالذكر في اغلب احوالهم - و عن ابن عمر و عروة بن الزبير و جماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلّى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَّقُعُودًا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله - و قيل معناه يصلّون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لعمران بن الحُصين صلِّ قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب توميء ايماء و هذه حجة للشافعي رحمه الله في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد - و عند ابي حنيفة رحمه الله انه يستلقي حتى اذا وجد خفّة قعد * و محل [عَلٰى جُنُوبِهِمْ] نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما و قعودا و مضطجعين [وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ] و ما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام و ابداع صنعتها و ما دُبّر فيها مما تكلّ الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع و كبرياء سلطانه - و عن سفيان الثوري انه صلّى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غُشي عليه و كان يبول الدم من طول حزنه و فكرته - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً ۚ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا

فنظر الى النجوم و الى السماء فقال اشهدُ ان لك ربّا و خالقا اللهم اغفر فنظر الله اليه فغفر له - و قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لا عبادة كالتفكر - و قيل الفكرة تُذهب الغفلة و تُحدث للقلب الخشية كما تُحدث الماءُ للزرع النباتَ و ما جُليت القلوب بمثل الاحزان و لا استنارت بمثل الفكرة - و روي عن النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم لا تفضّلوني على يونس بن متّى فانه كان يُرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا و انما كان ذلك للتفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض [مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً] على ارادة القول اي يقولون ذلك و هو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين - و المعنى ما خلقتَه خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقتَه لداعي حكمة عظيمة و هو ان تجعلها مساكن للمكلفين و ادلّة لهم على معرفتك و وجوب طاعتك و اجتناب معصيتك و لذلك وصل به قوله فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ لانه جزاء من عصى و لم يُطع فان قلت هٰذَا اشارة الى ما ذا - قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل و يتفكرون في مخلوق السموات و الارض اي فيما خُلق منها - و يجوز ان يكون اشارة الى السموات و الارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقتَ هذا المخلوق العجيب باطلا و في هذا ضرب من التعظيم كقوله تعالى إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ - و يجوز ان يكون بَاطِلاً حالا من هٰذَا و [سُبْحَانَكَ] اعتراض للتنزيه من العبث و ان يخلق شيئاً بغير حكمة *[فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ] فقد ابلغت في اخزائه و هو نظير قوله فَقَدْ فَازَ فنحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمّان فقد ادرك و من سبق الاناة فقد سبق *[وَمَا لِلظَّالِمِينَ] اللام اشارة الى مَنْ يُدْخِلِ النَّارَ و اعلام بان من يُدخل النار [فَلاَ نَاصِرَ لَهُ] بشفاعة و لا غيرها * تقول سمعت رجلا يقول كذا و سمعتُ زيدا يتكلم فتُوقع الفعلَ على الرجل و تحذف المسموع لانك و صفتَه بما يُسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره و لولا الوصف او الحال لم يكن منه بدّ و ان يقال سمعت كلام فلان او قوله - فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي و ينادي - قلت ذُكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه المنادي اعظم من منادٍ ينادي للايمان و نحوه قولك مررت بهادٍ يهدي للاسلام و ذلك ان المنادي اذا أُطلق ذهب الوهم الى منادٍ للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع و كذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق و يهدي لسداد الراي و غير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان و يهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي و الهادي و فخّمته و يقال دعاه لكذا و الى كذا و ندبه له و اليه و ناداه له و اليه و نحوه هداه للطريق و اليه و ذلك ان معنى انتهاء الغاية و معنى الاختصاص و اقعان جميعا و المنادي هو الرسول - ادْعُوا إِلَى اللهِ - ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ - و عن محمد بن كعب القرظي *[أَنْ آمِنُوا] اي آمنوا

وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَاٰتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلٰى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۗ اِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيْعَادَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ
رَبُّهُمْ اَنِّيْ لَآ اُضِيْعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰى ۚ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۚ فَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا وَاُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ وَاُوْذُوْا
فِيْ سَبِيْلِيْ وَقٰتَلُوْا وَقُتِلُوْا لَاُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّاٰتِهِمْ وَلَاُدْخِلَنَّهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ ۚ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ ۗ

او بان امنوا * [ذُنُوْبَنَا] كبائرنا [سَيِّاٰتِنَا] صغائرنا [مَعَ الْاَبْرَارِ] مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم و الابرار جمع برّ او بارّ كربّ و ارباب و صاحب و اصحاب [عَلٰى رُسُلِكَ] عَلٰى هذه صلة للوعد في قولك وعدك الله الجنة على الطاعة - و المعنى مَاوَعَدْتَّنَا على تصديق رسلك الاتراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول و قولَه اٰمَنَّا وهو التصديق - و يجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ماوعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محمّلون ذلك فانما عليه ما حمّل - و قيل على اَلْسنة رسلك و الموعودُ هوالثواب - و قيل النصرة على الاعداء - فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وَعَد و اللّٰهُ لا يُخلف الميعاد - قلت معناه طلب التوفيق فيما يَحفظ عليهم اسبابَ انجاز الميعاد او هوباب من اللجاء الى الله تعالى و الخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم و التضرع اليه و اللجاء الذي هوسيماء العبودية * يقال استجاب له و استجابه * ع * فلم يستجبه عند ذاك مجيبُ * [اَنِّيْ لَآ اُضِيْعُ] قرئ بالفتح على حذف الباء و بالكسر على ارادة القول - وقرئ لَآ اُضَيِّعُ بالتشديد [مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰى] بيان لعامل [بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ] اي يجمع ذكوركم و اناثكم اصلٌ واحدٌ فكل واحد منكم من الاخر اي من اصله اوكانه منه لفرط اتصالكم و اتحادكم - و قيل المراد وصلة الاسلام و هذه جملة معترضة بُيّنت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين - و روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة و لا يذكر النساء فنزلت * [فَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا] تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له و التفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارّين الى الله بدينهم من دار الفتنة و اضطرّوا الى الخروج من ديارهم التي أُلفوا فيها و نشأوا بما ساءهم المشركون من الخسف [وَاُوْذُوْا فِيْ سَبِيْلِيْ] من اجله وبسببه يريد سبيل الدين [وَقٰتَلُوْا وَقُتِلُوْا] و غزوا المشركين و استُشهدوا - و قرئ وَقُتِّلُوْا بالتشديد - وَقُتِلُوْا و قُتِّلُوْا على التقديم بالتخفيف و التشديد و قَتَلُوْا و قُتِّلُوْا على بناء الاول للفاعل و الثاني للمفعول - و قَتَلُوْا وَ قُتِّلُوْا على بناءهما للفاعل [ثَوَابًا] في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابةً اوتثويبا [مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ] لان قوله لَاُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ وَلَاُدْخِلَنَّهُمْ في معنى لَاُثيبنّهم * [وَ عِنْدَهٗ] مَثَل اي يختص به و بقدرته و فضله لا يُثيبه غيره و لا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به و بملكه و ان لم يكن بحضرته و هذا تعليم من الله كيف يدعى و كيف يبتهل اليه و يتضرع * و تكرير رَبَّنَا من باب الابتهال و اعلامٌ بما يوجب حسن الاجابة و حسنَ الاثابة من احتمال المشاق في دين الله و الصبر على صعوبة تكاليفه و قطع اطماع الكسالى

وَ اللّٰهُ عِنْدَهٗ حُسْنُ الثَّوَابِ ۝ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فِي الْبِلَادِ ۝ مَتَاعٌ قَلِيْلٌ ق ثُمَّ مَاْوٰىهُمْ جَهَنَّمُ ط وَ بِئْسَ الْمِهَادُ ۝ لٰكِنِ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّٰتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ ط وَ مَا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ لِّلْاَبْرَارِ ۝ وَ اِنَّ مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ لَمَنْ يُّؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ مَآ اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ وَ مَآ اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ

المتمتّعين عليه و تسجيلٌ على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة - و روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه مَن حزبه امر فقال خمس مرّات رَبَّنَا انجاه الله مما يخاف و اعطاه ما اراد - وقرأ هذه الآية - و عن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر الله تعالى انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء و ما يستجاب به فلا بدّ من تقديمه بين يدي الدعاء * [لَا يَغُرَّنَّكَ] الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق و المضطرب و درك العاجل و اصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسّطهم في الارض و تصرّفهم في البلاد يتكسّبون و يتّجرون و يتدهقنون - عن ابن عباس رضي الله عنهما هم اهل مكة - وقيل هم اليهود - و روي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء و لين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير و قد هلكنا من الجوع و الجهد - فان قلت كيف جاز ان يغترّ رسول الله صلّى الله عليه و اله وسلّم بذلك حتى ينهى عن الاغترار - قلت فيه وجهان - احدهما ان مِدْرَة القوم و مقدّمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم - و الثاني ان رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم كان غير مغرور بحالهم فاكّد عليه ما كان عليه و ثُبّت على الزامه كقوله فَلَا تَكُوْنَنَّ ظَهِيْرًا لِّلْكٰفِرِيْنَ - وَ لَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ - فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِيْنَ و هذا في النهي نظير قوله في الامر اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ - يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اٰمِنُوْا و قد جعل النهي في الظاهر للتقلب و هو في المعنى للمخاطب و هذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غرّه لاغترّبه فمنع السبب ليمتنع المسبب - و قرئ لَا يَغُرُّنَّكَ بالنون الخفيفة [مَتَاعٌ قَلِيْلٌ] خبر مبتدأ محذوف اي ذلك متاع قليل و هو التقلب في البلاد اراد قلّته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعدّ الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليلٌ قال رسول الله صلّى الله عليه و اله وسلّم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليمّ فلينظر بم يرجع [وَبِئْسَ الْمِهَادُ] وساء ما مهّدوا لانفسهم * النُّزُل و [النُّزُل] ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبّي * شعر * وكنّا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا و المرهفات له نزلا * و انتصابه اما على الحال من جَنّٰتٌ لتخصصها بالوصف و العامل اللام - و يجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكّد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله [وَ مَا عِنْدَ اللّٰهِ] من الكثير الدائم [خَيْرٌ لِّلْاَبْرَارِ] مما يتقلب فيه الفجّار من القليل الزائل - وقرأ مُسْلِمة بن محارب و الاعمش نُزُلًا بالسكون - و قرأ يزيد بن القعقاع لٰكِنَّ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا بالتشديد [وَ اِنَّ مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ] عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام و غيره من مسلمي اهل

سورة النساء ٤ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝
الجزء ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝
ع ١٢

كلماتها ٣٧٢٠ * سورة النساء مدنية وهي مائة وسبع وسبعون آية واربع وعشرون ركوعا * حروفها ١٦٦٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝

يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ

الكذاب - وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا - وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبرئيل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت * ودخلت لام الابتداء على اسم ان لتفصل الظرف بينهما كقوله تعالى وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ * [وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ] من القرآن [وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ] من الكتابين [خَٰشِعِينَ لِلَّهِ] حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع [لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا] كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم [أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ] اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله أُولَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ - يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ [إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ] لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر - ويجوز ان يراد ان ما توعدون اتٍ فرتب بعد ذكر الموعد * [اصْبِرُوا۟] على الدين وتكاليفه [وَصَابِرُوا۟] اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا - والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته [وَرَابِطُوا۟] وافيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ - وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة - عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم - وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس *

سورة النساء

[يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ] يابني آدم [خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ] فرتكم من اصل واحد وهو نفس آدم اليكم

وَّ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَّ نِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِي تَسَاءَلُوْنَ بِهٖ وَالْاَرْحَامَ ۚ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْبًا ۝

فان قلت علام عطف قوله [وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا] - قلت فيه و جهان - احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ انشأها و ابتدأها وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا و انما حذف لدلالة المعنى عليه - و المعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشأها من تراب و خلق زوجها حوّاء من ضلع من اضلاعها [وَ بَثَّ مِنْهُمَا] نوعي جنس الانس وهما الذكور و الاناث - فوصفها بصفة هي بيان و تفصيل لكيفية خلقهم منها - و الثاني ان يعطف على خَلَقَكُمْ و يكون الخطاب في يٰاَيُّهَا النَّاسُ للذين بُعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - و المعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرّع منه و خلق منها امّكم حوّاء [وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَّ نِسَاءً] غيركم من الامم الفائتة للحصر - فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام و جزالته ان يُجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها و يدعو اليها و يبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى و داعيا اليها - قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة و مَن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء و من المقدورات عقاب العُصاة فالنظر فيه يودي الى ان يُتقى القادر عليه و يُخشى عقابه و لانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها و التفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها - او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصلهُ فقيل اتقوا ربّكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرّعة من اَرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه و لا تغفلوا عنه و هذا المعنى مطابق لمعاني السورة - وقرئ وَ خَالِقٌ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ بَاثٌّ مِنْهُمَا بلفظ اسم الفاعل و هو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق * تَسَّاءَلُوْنَ بِهٖ تتساءلون به فادغمت التاء في السين - و قرئ [تَسَاءَلُوْنَ] بطرح التاء الثانية اي يسأل بعضكم بعضا بالله و بالرَحِم فيقول بالله و بالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف و اُناشدك الله و الرحِمَ او تسألون غيركم بالله و الرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رايت الهلال و تراءيناه - و تنصره قراءة من قرأ تَسَّاءَلُوْنَ بِهٖ مهموزا وغير مهموز و قرئ [وَ الْاَرْحَامَ] بالحركات الثلاث - فالنصب على وجهين - اما على واتقوا الله و الارحام - او ان يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد و عمرا - و تنصره قراءة ابن مسعود تَسَّاءَلُوْنَ بِهٖ وَ بِالْاَرْحَامِ - و الجر على عطف الظاهر على المضمر و ليس بسديد لان المضمر المتصل متصل كاسمه و الجار والمجرور كشيء واحد نكانا في قولك مررت به و زيد و هذا غلامه و زيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز و وجب تكرير العامل كقولك مررت به و بزيد و هذا غلامه و غلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد و عمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر و قد تُحمّل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار و نظيرها قول الشاعر * ع * فما بك والايام من عجب * والرفع على انه مبتدأ خبره محذوف كانه قيل و الارحامُ كذلك على

سورة النساء ٤ وَ اٰتُوا الْيَتٰمٰٓى اَمْوَالَهُمْ وَ لَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيْثَ بِالطَّيِّبِ ص وَ لَا تَاْكُلُوْٓا اَمْوَالَهُمْ اِلٰٓى اَمْوَالِكُمْ ط اِنَّهُ كَانَ حُوْبًا كَبِيْرًا ۝

الجزء ٤

ع ١٢

معنى والارحام مما يُتقى او و الارحام مما يتساءل به - و المعنى انهم كانوا يُقرّون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله و الرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم و اتقوا الذي تتناشدون به و اتقوا الارحام فلا تقطعوها - او و اتقوا الله الذي تتعاطفون بذكره وبذكر الرحم و قد أذن عز وجل اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال اَلَّا تَعْبُدُوْٓا اِلَّآ اِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا - و عن الحسن اذا سألك بالله فاعطه و اذا سألك بالرحم فاعطه و للرحم حجنة عند العرش - و معناه ما روي عن ابن عباس الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشّت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه - وسئل ابن عُيينة عن قوله عليه السلام تخيّروا لنُطَفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله تعالى تَسَآءَلُوْنَ بِهٖ وَ الْاَرْحَامَ واول صلته ان يختاره الموضع الحلالَ فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجرُ ثم يختار الصحّة و يجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتّبع شهوته و هواه بغير هدىً من الله * [اليَتٰمٰى] الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم و اليُتْم الانفراد و منه الرملة اليتيمة و الدرّة اليتيمة - و قيل اليتم في الناسي من قِبَل الاباء و في البهائم من قبل الامهات - فان قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى - قلت فيه وجهان - ان يجمع على يَتْمى كأَسْرى ان اليتم من وادي الافات و الاوجاع ثم يجمع فَعْلى على فَعَالى كأَسارى - و يجوز ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب و فارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب و حقُّ هذا الاسم ان يقع على الصغار و الكبار لبقاء معنى الانفراد عن الاباء الا انه قد غلب ان يسمّوا به قبل ان يبلغوا مبالغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل و قائم عليهم و انتصبوا كُفاةً يكفلون غيرهم و يقومون عليهم زلّ عنهم هذا الاسم - و كانت قريش تقول لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يتيم ابي طالب امّا على القياس و امّا حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئاً في حجر عمّه تواضعا له و اما قوله عليه السلام لايتمَ بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم يُجرَ عليه احكام الصغار - فان قلت فما معنى قوله و اٰتُوا الْيَتٰمٰٓى اَمْوَالَهُمْ - قلت اما ان يراد باليتامى الصغار و بايتائهم الاموالَ ان لايطمع فيها الاولياء و الاوصياء و وُلاة السوء و قُضاته و يكفّوا عنها ايديَهم الخاطفةَ حتى تاتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة و اما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على التباس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عُشَراء بعد وضعها على ان فيه اشارةً الى ان لا يوخّر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ و لا يمطلوا ان اُونس منهم الرشد و ان يوتوها قبل ان يزلّ عنهم اسم اليتامى و الصغار - و قيل هي في رجل من غَطَفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمّه فترافعا الى النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلّم فذرأتْ فلما سمعها العمّ قال اطعنا الله و اطعنا الرسول نعوذ بالله من الحُوب الكبير فدفع ماله اليه فقال صلّى الله عليه وآله و سلّم و من يوقَ شحّ نفسه ويُطع ربه هكذا فاره يعني جنته فانما

فبض انفقوا ماله انفقه في سبيل الله فقال عليه السلام ثبت الاجر و بقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر و هو ينفق ماله في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام و بقي الوزر على والده [وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ] و لا تستبدلوا الحرام و هو مال اليتامى بالحلال و هو مالكم و ما ابيح لكم من المكاسب و رزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه - او و لا تستبدلوا الامر الخبيث و هو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب و هو حفظها و التورع منها و التفعّلُ بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجّل بمعنى الاستعجال و التاخّر بمعنى الاستيخار قال ذو الرُّمّة *شعر* فيا كرم السكن الذين تحمّلوا * عن الدار و المستخلف المتبدّل * اراد و يا لؤم ما استخلفته الدار و استبدلته - و قيل هو ان يعطي رديّا و ياخذ جيّدا - و عن السدّي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة و هذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي [وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ] و لا تنفقوها معها و حقيقته و لا تضمّوها اليها في الانفاق حتى لا تفرّقوا بين اموالكم و اموالهم قلّة مبالاة بما لا يحل لكم و تسوية بينه و بين الحلال - فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده و مع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها - قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال و هم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ و الذم احق و لانهم كانوا يفعلون كذلك فنُعي عليهم فعلهم و سمّع بهم ليكون ازجر لهم * و [الحُوب] الذنب العظيم و منه قوله عليه السلام ان طلاق ام ايوب لحُوبٌ فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا - و قرأ الحسن حَوْبًا بفتح الحاء و هو مصدر حاب يحوب حَوْبًا - و قرئ حَابًا و نظير الحوب و الحاب القول و القال و الطَّرْد و الطَّرَد * و لما نزلت الاية في اليتامى و ما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى و اخذوا يتحرّجون من ولايتهم و كان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الرواج و الثماني والستُّ فلا يقوم بحقوقهن و لا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرّجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقلّلوا عدد المنكوحات لان من تحرّج من ذنب او تاب عنه و هو مرتكب مثله فهو غير متحرج و لا تائب لانه انما وجب ان يُتحرج من الذنب و يُتاب عنه لقبحه و القبح قائم في كل ذنب - و قيل كانوا لا يتحرجون من الزنا و هم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل لهم ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا [فَانْكِحُوا] ماحل لكم من النساء و لا تحوموا حول المحرمات - و قيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال و جمال او يكون ولّيها فيتزوجها ضنّا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن و فقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن و يفرّط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم - و يقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور و هو جمع

سورة النساء ٤ مَثْنٰى وَثُلٰثَ وَرُبٰعَ ۚ فَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا تَعْدِلُوْا فَوَاحِدَةً اَوْ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ ۭ ذٰلِكَ اَدْنٰٓى اَلَّا تَعُوْلُوْا ۝

الجزء ٤

ع ١٢

يقيمة على القلب كماقيل ايامى و الاصل ايائم و يقائم - و قرأ النخعي تَقْسِطُوْا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لِئَلَّا يَعْلَمَ يريد و ان خفتم ان تجوروا [مَا طَابَ لَكُمْ] ما حل لكم [مِنَ النِّسَاءِ] لان منهن ماحرم كاللاتي في أية التحريم - و قيل مَا ذهابًا الى الصفة و لان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء و منه قوله تعالى اَوْ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ [مَثْنٰى و ثُلٰثَ وَرُبٰعَ] معدولة عن اَعْداد مكررة و انما منعت الصرفَ لما فيها من العدلين عدلُها عن صيغها و عدلُها عن تكررها وهي نكرات يعرّفن بلام التعريف تقول فلن ينكح المثنى و الثلاث و الرباع و محلهن النصب على الحال مِمَّا طَابَ تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العددَ ثنتين ثنتين و ثلاثا ثلاثا و اربعا اربعا - فان قلت الذي أُطْلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى و ثلاث و رباع - قلت الخطاب للجميع بوجب التكرير ايصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المالَ وهو الف درهم درهمين درهمين و ثلاثة ثلاثة و اربعة اربعة و لو افردت لم يكن له معنىً - فان قلت فلم جاء العطف بالواو دون او - قلت كما جاء بالواو في المثال الذي حذوتُه لك و لو ذهبتَ تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة أعلمتَ انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة و ليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تَثْنِية و بعضه على تثليث وبعضه على تربيع و ذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة التي دلّت عليه الواو - و تحريره ان الواو دلت على اطلاق ان ياخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين في تلك الاعداد و ان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ماوراء ذلك - و قرأ ابراهيم وَثُلَثَ وَرُبَعَ على القصر من ثلاث و رباع [فَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا تَعْدِلُوْا] بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها [فَوَاحِدَةً] فالزموا او فاختاروا واحدة و ذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما و جدتم العدل فعليكم به - و قرئ فَوَاحِدَةٌ بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة [اَوْ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ] سوّى في السهولة و اليسر بين الحرة الواحدة و بين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة و اقصر شغبًا و اخفّ مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم او لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل - و قرأ ابن ابي عبلة مَنْ مَلَكَتْ * [ذٰلِكَ] اشارة الى اختيار الواحدة و التسرّي [اَدْنٰٓى اَلَّا تَعُوْلُوْا] اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عَالَ الميزان عَوْلًا اذا مال و ميزان فلان عائل و عالَ الحاكم في حكمه اذا جار - و روي ان اعرابيا حَكَم عليه حاكم فقال له اتعول عليّ - و قد روت عايشة رضي الله عنها عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم اَلَّا تَعُوْلُوْا الا تجوروا - و الذي يحكى عن الشافعيّ انه فسّر اَلَّا تَعُوْلُوْا الا يكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل

وَاٰتُوا النِّسَآءَ صَدُقٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَاِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوْهُ هَنِيْٓـًٔا مَّرِيْٓـًٔا ۝

عيالَه يعولهم كقولهم مانهم يمونهم اذا أنفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم و في ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع و كسب الحلال و الرزق الطيب و كلامٌ مثله من أعلام العلم و ائمة الشرع و رؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة و السداد و ان لا يظن به تحريف تُعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنَّ بكلمة خرجت من في اخيك سوءً و انت تجد لها في الخير محملا و كفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العيّ من كلام الشافعيّ رحمه الله شاهدا بانه كان اعلى كعبا و اطول باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا و لكن للعلماء طرقا و اساليبَ فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات - فان قلت كيف يقلّ عيال من تسرّى و هي السراري نحو ما في المهائر - قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد و التناسل بخلاف التسري و لذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحد بالاضافة الى تزوج الاربع - و قرأ طاؤس اَنْ لَا تَعِيْلُوْا من اعال الرجل اذا كثر عياله و هذه القراءة تعضد تفسيرَ الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده [صَدُقٰتِهِنَّ] مهورهن و في حديث شريح قضى ابن عباس رضي الله عنه لها بالصدقة - و قرئ صَدْقَتِهِنَّ بفتح الصاد و سكون الدال على تخفيف صَدُقَاتِهِن - وصُدْقَتِهِنَّ بضم الصاد و سكون الدال جمع صُدْقة بوزن غُرْفة - و قرئ صُدُقَتِهِنَّ بضم الصاد و الدال على التوحيد و هو تثقيل صُدْقة كتولك في ظُلْمة ظُلُمة [نِحْلَةً] من نحله كذا اذا اعطاه اياه و وهبه له عن طيبة من نفسه نِحْلةً و نُحْلا - ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتُك جداد عشرين وسقا بالعالية - و انتصابها على المصدر لان النحلة و الايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل و اعطوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم - او على الحال من المخاطبين اي أتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء - او من الصَّدُقَات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس - و قيل نحلة من الله عطيّة من عنده و تفضلا منه عليهن - وقيل النحلة الملّة و نحلة الاسلام خير النِّحَل و فلان ينتحل كذا اي يدينُ به - والمعنى أتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها - و يجوز ان تكون حالا من الصَّدُقات اي دينا من الله شرعه وفرضه - و الخطابُ للازواج و قيل للاولياء انهم كانوا يا خذون مهور بناتهم و كانوا يقولون هنيالك الذافجة لمن توالد بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالَك اي تُعظمه * الضمير في [مِنْهُ] جارٍ مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قُلْ ءَاُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله * ع * كانه في الجلد توابع البهق * فقال اردت كان ذاك - او يرجع الى ماهو في معنى الصدقات و هو الصداق لانك لو قلت و اتوا النساء صداقهن لم تُخِلّ بالمعنى فهو نحو قوله فَاَصَّدَّقَ وَاَكُنْ مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ كانه قيل اَصَّدَّقْ و [نَفْسًا] تمييز

سورة النساء ٤ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝

الجزء ٤

ع ١٢

وتوحيدُها لان الغرض بيان الجنس و الواحد يدل عليه - و المعنى فان وهبن لكم شيأ من الصداق و تجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبّثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم و سوء معاشرتكم [فَكُلُوهُ] فانفقوه قالوا فان وهبتْ له ثم طلبتْ منه بعد الهبة عُلم انها لم تطب عنه نفسًا - و عن الشعبي ان رجلا اتى مع امرأته شُرَيحا في عطية اعطتها اياه و هي تطلب ان ترجع فقال شريح ردّ عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ قال لوطابت نفسها عنه لما رجعت فيه - و عنه أُتيها فيما وهبتْ و لا أُميله لانهن يُخْدَعن - و يحكى ان رجلا من آل ابي مُعَيط اعطته أمراته الفَ دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرًا ثم طلّقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروانَ فقال الرجل اعطتْني طيبة بها نفسُها فقال عبد الملك فاين الاية التي بعدها فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْأً اردد عليها - و عن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قُضاته ان النساء يُعطين رغبةً ورهبةً فايّما امرأةٍ اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها - و عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم سُئل عن هذه الاية فقال اذا جادت لزوجها بالعطيّة طائعةً غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان و لا يواخذكم الله به في الآخرة - و روي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه و لا خديعة فكلوه سائغا هنيأ و في الاية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فَإِنْ طِبْنَ و لم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة - وقيل فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ و لم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب - و عن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير - و عن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تُقم في بيت زوجها سنة - و يجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه و لو انث لتناول ظاهره هبةَ الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا [الهنيء و المريء] صفتان من هَنُؤَ الطعام و مَرُؤَ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه - وقيل الهنيء ما يلذّه الآكل و المريء ما يحمد عاقبتَه - وقيل هو ما ينساغ في مجراه - وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه و هو انسياغه و هما وصف للمصدر اي اكلا هنيأ مريأ - او حال من الضمير اي كلوه و هو هنيء مريء و قد يوقف على فَكُلُوهُ و يبتدأ هَنِيأً مَرِيأً على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأً مرأً و هذه عبارة عن التحليل و المبالغة في الاباحة و ازالة التبعة [السُّفَهَاءَ] المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي و لا يدّعي لهم باصلاحها و تثميرها و التصرف فيها - و الخطابُ للاولياء و اضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معائشهم كما قال وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ - نَمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ و الدليلُ على انه خطاب الاولياء في اموال اليتامى قوله وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ

وَ ابْتَلُوا الْيَتٰمٰى حَتّٰى اِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ج فَاِنْ اٰنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوْٓا اِلَيْهِمْ اَمْوَالَهُمْ ج

[جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ قِيٰمًا] اي تقومون بها و تنتعشون و لو ضيّعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم و انتعاشكم. و قرئ قِيَمًا بمعنى قياما كما جاء عِوَذا بمعنى عياذا - و قرأ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قِوَامًا بالواو و قوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يُملك به - و كان السلف يقولون المال سلاح المؤمن و لَاَنْ اَتْرُكَ مالًا يحاسبني الله عليه خير من ان اَحْتاج الى الناس - و عن سفين وكانت له بضاعة يُقلّبها لولاها لتمندل بي بنو العباس - و عن غيره و قيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها و كانوا يقولون اتّجروا و اكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه و ربما راؤا رجلا في جنازة فقالوا له انهب الى دكانك [وَ ارْزُقُوْهُمْ فِيْهَا] و اجعلوها مكانا لرزقهم بان تتّجروا فيها و تتربّحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق - و قيل هو امر لكل احد ان لا يُخْرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امرأة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي و يفسده [قَوْلًا مَّعْرُوْفًا] قال ابن جُرَيج عِدةً جميلةً ان صلحتم و رشدتم سلّمنا اليكم اموالكم - و عن عطاء اذا ربحتُ اعطيتُك و ان غنمتُ في غزاتي جعلت لك حظا - و قيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله و اياك بارك الله فيك - و كل ما سكنتْ اليه النفس و احبّته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته و نفرتْ منه لقبحه فهو منكر * [وَ ابْتَلُوا الْيَتٰمٰى] و اختبروا عقولهم و ذوقوا احوالهم و معرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبيّنتم [مِّنْهُمْ رُشْدًا] اي هداية دفعتم [اِلَيْهِمْ اَمْوَالَهُمْ] من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغُ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده و لطلب ما هو مقصود به وهو التوالد - والايناس الاستيضاح فاستعير للتبيّن - و اختلف في الابتلاء و الرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة و اصحابه رحمهم الله ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه - و الرشد التهدّي الى وجوه التصرف - و عن ابن عباس رضي الله عنهما الصلاحُ في العقل و الحفظُ للمال - و عند مالك و الشافعي الابتلاء ان يتتبّع احواله و تصرّفه في الاخذ و الاعطاء و يتبصّر مَخايله و ميلَه الى الدين - و الرشدُ الصلاح في الدين لان الفسق مَفسدة للمال - فان قلت فان لم يُونَس منه رشد الى حد البلوغ - قلت عند ابي حنيفة رحمه الله يُنتظر الى خمس و عشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام مُروهم بالصلوة لسبع دُفع اليه ماله اونس منه رشد اولم يونس - و عند اصحابه لايدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد - فان قلت ما معنى تنكير الرشد - قلت معناه نوعا من الرشد و هو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد و مَخيلةً من مَخايله حتى لا ينتظروه تمام الرشد - فان قلت كيف نظم هذا الكلام - قلت ما بعد حَتّٰى الى فَادْفَعُوْٓا اِلَيْهِمْ اَمْوَالَهُمْ جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجُمَل كالتي في قوله * شعر * فما زالت القتلى تَمُجّ دماءَها *

سورة النساء ٤ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ۚ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۚ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ
الجزء ٤ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
ع ١٢

بدجلة حتى ماء دجلة أشكل * و الجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان إذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بَلَغُوا النِّكَاحَ و قوله فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ جملة من شرط و جزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو إذا بَلَغُوا النِّكَاحَ مكانه قيل و ابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم - و قرأ ابن مسعود رضي الله عنه فَإِنْ أَحَسْتُمْ بمعنى احسستم قال * ع * أَحَسْنَ به فهن اليه شوس * و قرئ رَشَدًا بفتحتين - و رُشْدٌ بضمتين [إِسْرَافًا وَبِدَارًا] مسرفين و مبادرين كبرهم لاسرافكم و مبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا * ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعف من اكلها ولا يطمع و يقتنع بمارزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير يأكل قدرا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف و لفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها - وعن النبي عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افأكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك - و عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها و تلوط حوضها و تهنأ جرباها و تسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب - و عنه يضرب بيده مع ايديهم [فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ] و لا يلبس عمامة مما فوقها - و عن ابراهيم لايلبس الكتان و الحلل ولكن ماسدّ الجوعة و وارى العورة - و عن محمد بن كعب يتقوم تقوم البهمة و ينزل نفسه منزلة الاجير فيما لابدّ منه - و عن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه - و عنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي - و عن مجاهد يستسلف فاذا ايسر اداه - و عن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن و ركب الظهر و لبس مايستره من الثياب و اخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه و ان اعسر فهو في حل - و عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت و ان افتقرت اكلت بالمعروف و اذا ايسرت قضيت - و استعفّ ابلغ من عفّ كانه طالب زيادة العفة - [فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ] بانهم تسلّموها و قبضوها و برئت عنها ذممكم و ذلك ابعد من التخاصم و التجاحد و ادخل في الامانة و براءة الساحة الاترى انه اذا لم يُشهد فادّعى عليه صدّق مع اليمين عند ابي حنيفة و اصحابه و عند مالك و الشافعي لا يصدّق البتة فكان في الاشهاد الاستظهار من توجه الحالف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة [وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا] اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع و القبض او محاسبا فعليكم بالتصادق و اياكم و التكاذب

وَالْأَقْرَبُونَ ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۝ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ

[الْأَقْرَبُونَ] هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم [مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ] بدل من مَا تَرَكَ بتكرير العامل [وَنَصِيبًا مَفْرُوضًا] نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لابدّ لهم من ان يحوزوه و لا يُستأثر به - و يجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ كانه قيل قسمة مفروضة - روي ان اوس بن صامت الانصاريّ ترك امرأته امّ كُحّة و ثلاث بنات فزوى ابنا عمّه سويدٌ و عُرْفُطة او قتادة و عَرْفَجة ميراثَه عنهن و كان اهل الجاهلية لايورّثون النساء و الاطفال و يقولون لايرث الا من طاعن بالرماح و ذاد عن الحوزة و حاز الغنيمة فجاءت ام كُحّة الى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يُحدث الله عزوجلّ فنزلت فبعث اليهما لا تُفرقا من مال اوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا و لم يبيّن حتى يبيّن فنزلت يُوصِيكُمُ اللَّهُ فاعطى ام كُحّة الثمن و البنات الثُّلُثين و الباقيَ ابني العم * [وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ] اي قسمة التركة [أُولُو الْقُرْبَىٰ] ممن لايرث [فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ] الضمير لمَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ و هو امر على الندب - قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثّة المتاع فخصّهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا و لو كان فريضة لضرب له حد و مقدارا كما لغيره من الحقوق - و روي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهم قسم ميراث ابيه و عايشةُ رضي الله عنها حيّة فلم يدعْ في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية - و قيل هو على الوجوب - و قيل منسوخ بآية الميراث كالوصية - و عن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسختْ والله ما نسختْ و لكنها مما تهاون به الناس * و القولُ المعروف ان يلطّفوا لهم القول و يقولوا خذوا بارك الله عليكم و يعتذروا اليهم و يستقلّوا ما اعطوهم و لا يستكثروه و لا يمنّوا عليهم - و عن الحسن والنخعي ادركنا الناس و هم يقسمون على القرابات و المساكين و اليتامى من العين يعنيان الورقَ و الذهبَ فاذا قسم الورق و الذهب و صارت القسمة الى الارضين و الرقيق و ما اشبه ذلك قالوا لهم [قَوْلًا مَعْرُوفًا] كانوا يقولون لهم بورك فيكم * [لَوْ] مع ما في حيّزه صلة لِلَّذِينَ و المراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى و يشفقوا عليهم خوفَهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا و شفقتهم عليهم و ان يقدّروا ذلك في انفسهم و يصوّروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة و الرحمة - و يجوز ان يكون المعنى و ليخشوا على اليتامى من الضياع - و قيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يُغنون عنك من الله شيأ فقدّم مالك فيستغرقه بالوصايا فأُمروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض و يشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا - و يجوز ان يتصل بما قبله و ان يكون امراً للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة

سورة النساء ٤ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا
الجزء ٤ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝ ع يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ۚ فَإِنْ كُنَّ
ع ١٣

من ضعفاء اقاربهم و اليتامى و المساكين و ان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان و الخيبة - فان قلت ما معنى وقوع لَوْ تَرَكُوا و جوابه صلة لِلَّذِينَ - قلت معناه و ليخش الذين صفتهم و حالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا و ذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم و كاسبهم كما قال القائل * شعر * لقد زاد الحيوة الي حبا * بناتي انهن من الضعاف * احاذر ان يرين البوس بعدي * و ان يشربن رنقا بعد صاف * و قرئ ضُعَفَاءَ و ضُعَافًا و ضَعَافَى نحو سُكَارى و سَكارى * و [القول السديد] من الاوصياء ان لا يوذوا اليتامى و يكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن و الترحيب و يدعوهم بيا بنيّ و يا ولدي و من الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتُجحف باولادك مثل قول رسول الله لسعد انك اَنْ تترك ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس - و كان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث و ان الخُمس افضل من الربع و الربع من الثلث و من المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول و يجملوه للحاضرين [ظُلْمًا] ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء و قضاته [فِي بُطُونِهِمْ] ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه و في بعض بطنه قال * ع * كلوا في بعض بطنكم تعفوا * و معنى ياكلون [نَارًا] ياكلون ما يجرّ الى النار فكانه نار في الحقيقة - و روي انه يُبعث اكل مال اليتيم يوم القيمة و الدخان يخرج من قبره و من فيه و انفه و اذنيه و عينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا * وقرئ [سيصلَوْن] بضم الياء و تخفيف اللام و تشديدها [سَعِيرًا] نارا من النيران مبهمة الوصف * [يُوصِيكُمُ اللَّهُ] يعهد اليكم و يامركم [فِي أَوْلَادِكُمْ] في شان ميراثهم بما هو العدل و المصلحة و هذا اجمال تفصيله [لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ] - فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر - قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك و لان قوله لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ قصد الى بيان فضل الذكر و قولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى و ما كان قصدا الى بيان فضله كان ادلّ على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه و لانهم كانوا يورّثون الذكور دون الاناث و هو السبب لورود الاية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يُحرَمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يُدلون به - فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكيف قيل للذكر المثلان - قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر و الانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين و اما في حال الانفراد فالذي ياخذ المال كله و البنتان تاخذان الثلثين و الدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد و هو قوله فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ

- و المعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم [فَإِنْ كُنَّ نِسَآءً] فان كانت البنات او المولودات نساء خُلَّصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن [فَوْقَ اثْنَتَيْنِ] يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكانَ - و ان يكون صفة لنِسَآءً اي نِسَآءً زائدات على اثنتين [وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً] اي و ان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى [فَلَهَا النِّصْفُ] و قرئ وَاحِدَةٌ بالرفع على كان التامة و القراءة بالنصب اوفق لقوله فَإِنْ كُنَّ نِسَآءً - وقرأ زيد بن ثابت رضي الله عنه النُّصْفُ بالضم - و الضمير في تَرَكَ للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت - فان قلت قوله لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يرد قوله فَإِنْ كُنَّ نِسَآءً وهو لبيان حظ الاناث - قلت و ان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فُهم منه و تُبيّن حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فَإِنْ كُنَّ نِسَآءً - فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في كُنَّ و كَانَتْ مبهمين و يكون نِسَآءً و وَاحِدَةً تفسيرا لهما على انّ كانَ تامة - قلت لا بُعدُ ذلك - فان قلت لم قيل فَإِنْ كُنَّ نِسَآءً و لم يقل و ان كانت امرأة - قلت لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكرَ فيهن ليميّز بين ما ذكر من اجتماعهن مع المذكور في قوله لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ و بين انفرادهن و اريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها و بين كونها وحدها لا قرينة لها - فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن و حكم البنات و البنت في حال الانفراد و لم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما و ما باله لم يذكر - قلت اما حكمهما فمختلف فيه - فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فَإِنْ كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فاعطاهما حكم الواحدة و هو ظاهر مكشوف - و اما سائر الصحابة رضي الله عنهم فقد اعطوهما حكم الجماعة و الذي يعلّل به قولهم ان قوله لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر و ذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك تحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فَإِنْ كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للاثنتين و هو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت - و قيل ان البنتين امسّ رحما بالميت من الاختين واوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين فلم يروا ان يقصّروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما - و قيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها و يكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان [وَلِأَبَوَيْهِ] الضمير للميت و [لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا] بدل من لِأَبَوَيْهِ بتكرير العامل و فائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه و لو قيل و لابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين

عليهما على السوية و على خلافها - فان قلت فهلا قيل و لكل واحد من ابويه السدس و اي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما - قلت لان في الابدال و التفصيل بعد الاجمال تاكيدا و تشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر و التفسير * و [السُّدُسُ] مبتدأ وخبره لِأَبَوَيْهِ و البدل متوسط بينهما للبيان - و قرأ الحسن و نُعيم بن ميسرة السُّدْسُ بالتخفيف و كذلك الثُّلْثُ و الرُّبُعُ و الثُّمُنُ و الولد يقع على الذكر و الانثى و يختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس و ان كان انثى عصّب مع اعطاء السدس - فان قلت قد بيّن حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث و اي فائدة في قوله وَ وَرِثَهُ أَبَوَاهُ - قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس رضي الله عنهما - و المعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين - فان قلت ما العلة في انّ كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال - قلت فيه وجهان - احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العتد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه - و الثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يُضعف عليها اذا خلصا و يكون صاحب فرض و عصبةً و جامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حطّ نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امرأة و تركت زوجا و ابوين فطار للزوج النصف و للام الثلث و الباقي للاب صارت الام سهمين و الاب سهما و احدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين [فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ] الاخوة يحجبون الام عن الثلث و ان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس و للاب خمسة الاسداس و يستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس و عنه انهم ياخذون السدس الذي حَجبوا عنه الامّ - فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوةُ الاخوين و الجمع خلاف التثنية - قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية و التثنيةُ كالتثليث و التربيع في افادة الكمّية و هذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدلّ بالاخوة عليه - و قرئ فلِأُمِّه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الاتراها انكسرت في قوله وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً [مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ] متعلق بما تقدّمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها - و قرئ يُوَصِّي بِهَا بالتخفيف و التشديد - و يُوصَى بها على البناء للمفعول مخففا - فان قلت ما معنى أَوْ - قلت معناه الاباحة و انه ايكان احدهما او كلاهما قدّم على قسمة الميراث كقولك جَالِسِ الحسنَ او ابنَ سيرين - فان قلت لم قدمت الوصية على الدين و الدين مقدّم عليها في الشريعة - قلت لما كانت الوصية مشبهةً للميراث في كونها ما خوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة و يتعاظمهم و لا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين

يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ

فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أَوْ للتسوية بينهما فى الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله [آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ] من انفع لكم من ابائكم و ابنائكم الذين يموتون أمن اوصى منهم ام من لم يوص - يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الأخرة بامضاء وصيته فلو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا و جعل ثواب الأخرة اقرب و احضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا و ان كان عاجلا قريبا فى الصورة الا انه فانٍ فهو فى الحقيقة الامد الاقصى و ثوابُ الأخرة و ان كان أجلا الا انه باقٍ فهو فى الحقيقة الاقرب الادنى - و قيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه فى الجنة سأل ان يُرفع ابوه اليه فيرفع و كذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سأل ان يرفع ابنه اليه فانتم [لَا تَدْرُونَ] فى الدنيا [أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا] و قيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة - و قيل الاب تجب عليه النفقة على الابن ان احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما فى النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية و من حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه و يناسبه و القولُ ما تقدم [فَرِيضَةً] نُصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا [إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا] بمصالح خلقه [حَكِيمًا] فى كل ما فرض و قسم من المواريث وغيرها [فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ] منكم او من غيركم جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدةُ و الجماعةُ سواء فى الربع و الثمن * [وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ] يعنى الميتَ و [يُورَثُ] من ورث اي يورّث منه و هو صفة لرَجُلٌ و [كَلَالَةً] خبر كَانَ اي و ان كان رجل موروث منه كلالة - او يجعل يُورَثُ خبر كان و كَلَالَةً حالا من الضمير فى يُورَثُ - و قرئ يُوَرِّثُ و يُوَرَّثُ بالتخفيف و التشديد على البناء للفاعل و كَلَالَةً حال او مفعول به - فان قلت ما الكلالةُ - قلت يتطلق على ثلثة - على من لم يخلّف ولدا ولا والدا - و على من ليس بولد ولا والد من المخلّفين - و على القرابة من غير جهة الولد و الوالد و منه قولهم ما ورث المجدّ عن كلالة كما تقول ما صَمتَ عن عِيّ و ما كَفّ عن جبن - و الكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال و هو ذهاب القوة من الإعياء قال الاعشى * ع * فآليتُ لا ارثى لها من كلالة * فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد و الوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالّة ضعيفة و اذا جعل صفة للموروث او الوارث بمعنى ذي كلالة كما تقول فلان

أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ
يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ

من قرابتي تريد من ذوي قرابتي - و يجوز ان تكون صفة كالحاجة والفقاقة للاحمق - فان قلت فان جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها - قلت على انها مفعول له اي يورث الرجل الكلالة او يورث غيره لاجلها - فان قلت فان جعلت يُورَثُ على البناء للمفعول من أُورِث ما وجهه - قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث * فان قلت فالضمير في قوله [فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا] الى من يرجع حينئذ - قلت الى الرجل و الى اخيه او اخته و على الاول اليهما - فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر للانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه - قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر و الانثى - و عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برائي فان كان صوابا فمن الله و ان كان خطاء فمني و من الشيطان والله منه بريء الكلالةُ ما خلا الولد و الوالد - و عن عطاء و الضحاك ان الكلالة هو الموروث - و عن سعيد بن جبير هو الوارث و قد اجمعوا على ان المراد اولاد الام و تدل عليه قراءة ابيّ و لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِّنَ الْأُمِّ - و قراءة سعد بن ابي وقاص و لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِّنْ أُمٍّ و قيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين و ان للاخوة كل المال فعلم ههنا انه لما جعل للواحد السدسُ و للاثنين الثلث و لم يزادوا على الثلث شيأ انه يعني بهم الاخوة للام و ان فالكلالة عامة لمن عدا الولدَ والوالدَ من سائر الاخوة الاخياف و الاعيان و اولاد العلّات و غيرهم [غَيْرَ مُضَارٍّ] حال اي يُوصِي بِهَا و هو غير مضار لورثته و ذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه و نيته مضارة ورثته و مغاضبتهم لا وجه الله - و عن قتادة كره الله الضرار في الحيوة و عند الممات و نهى عنه - و عن الحسن المضارة في الدَين ان يوصي بدَين ليس عليه و معناه الاقرار [وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ] مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصيةً كقوله فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ - و يجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصيةً من الله و هو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصيةً من الله بالاولاد و ان لا يدعهم عالةً بامراته في الوصية و تنصر هذا الوجه قراءة الحسن غَيْرَ مُضَارِّ وَصِيَّةِ مِّنَ اللَّهِ بالاضافة [وَاللَّهُ عَلِيمٌ] بمَن جار او عدل في وصيته [حَلِيمٌ] عن الجائر لا يعاجله و هذا وعيد - فان قلت في يُوصِي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث - قلت كما عملتُ في قوله تعالى فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ لانه علم ان التارك و الموصي هو الميت - فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يُوصَى بِهَا على ما لم يسم فاعله - قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يُوصَى بِهَا علم ان ثمه موصيا كما قال يُسَبِّحُ لَهُ على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثمه مسبِّحا فاضمر يسبح فلما كان رجال فاعلَ مايدل عليه يُسَبِّحُ كان غير مضار

وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ط وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ۝ وَ مَنْ يَّعْصِ اللّٰهَ وَ
رَسُوْلَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُوْدَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيْهَا ص وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ ۝ ع وَالّٰتِيْ يَاْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَآئِكُمْ
فَاسْتَشْهِدُوْا عَلَيْهِنَّ اَرْبَعَةً مِّنْكُمْ ج فَاِنْ شَهِدُوْا فَاَمْسِكُوْهُنَّ فِي الْبُيُوْتِ حَتّٰى يَتَوَفّٰهُنَّ الْمَوْتُ اَوْ يَجْعَلَ اللّٰهُ
لَهُنَّ سَبِيْلًا ۝ وَ الَّذٰنِ يَاْتِيٰنِهَا مِنْكُمْ فَاٰذُوْهُمَا ج فَاِنْ تَابَا وَ اَصْلَحَا فَاَعْرِضُوْا عَنْهُمَا ط اِنَّ اللّٰهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيْمًا ۝
اِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّٰهِ لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ السُّوْٓءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوْبُوْنَ مِنْ قَرِيْبٍ فَاُولٰٓئِكَ يَتُوْبُ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ ط وَ كَانَ

حالا عما يدل عليه يُوصِي بِهَا [تِلْكَ] اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى و الوصايا و المواريث وسماها حُدُوْدَ الله الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطّوها الى ما ليس لهم بحق [يُدْخِلْهُ] قرئ بالياء و النون و كذلك يُدْخِلْهُ نَارًا - و قيل يُدْخِلْهُ و خٰلِدِيْنَ حملا على لفظ مَنْ و معناه - و انتصب خٰلِدِيْنَ و خَالِدًا على الحال - فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجَنّٰت و نَارًا - قلت لا لانهما جريا على غير مَن هما له فلابد من الضمير و هو قولك خٰلِدِيْنَ هم فيها و خَالِدًا هو فيها [يَاْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ] يرهقنها يقال اتى الفاحشةَ و جاء ها و غشيها و رهقها بمعنًى - و في قراءة ابن مسعود يَاْتِيْنَ بِالْفَاحِشَةِ و الفاحشةُ الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح [فَاَمْسِكُوْهُنَّ فِي الْبُيُوْتِ] قيل معناه فحادرهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى اَلزَّانِيَةُ وَ الزَّانِيْ الاية - و يجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحدّ لكونه معلوما بالكتاب و السنة و يوصى بامساكهن في البيوت بعد ان يحدّدن صيانة لهن عن مثل ماجرى عليهن بسبب الخروج من البيوت و التعرض للرجال [اَوْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لَهُنَّ سَبِيْلًا] هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح - و قيل السَّبِيْل هو الحدّ لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقتَ - فان قلت ما معنى يَتَوَفّٰهُنَّ الْمَوْتُ و التوفي و الموت بمعنًى واحد كانه قيل حتى يُميتهن الموت - قلت يجوز ان يراد حتى يتوفّاهن ملائكة الموت كقوله تعالى اَلَّذِيْنَ يَتَوَفّٰهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ - اِنَّ الَّذِيْنَ تَوَفّٰهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ - قُلْ يَتَوَفّٰكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ او حتى ياخذهن الموت و يستوفي ارواحهن [وَ الَّذٰنِ يَاْتِيٰنِهَا مِنْكُمْ] يريد الزاني و الزانية [فَاٰذُوْهُمَا] فوبخوهما و ذمّوهما و قولوا لهما امَا استحييتما اما خفتما الله [فَاِنْ تَابَا وَ اَصْلَحَا] وغيرا الحال [فَاَعْرِضُوْا عَنْهُمَا] و اقطعوا التوبيخ و المذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذمّ و العقاب - و يحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما و يراد بالايذاء ذمهما و تعنيفهما و تهديدهما بالرفع الى الامام و الحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما و لا تتعرضوا لهما - و قيل نزلت الاولى في السحاقات و هذه في اللواطين - و قرئ وَ اللَّذٰنِ بتشديد النون - اَللَّذَانِ بالهمزة و تشديد النون [اَلتَّوْبَةُ] من تاب الله عليه اذا قبل توبته و غفر له يعني انما القبول و الغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء [بِجَهَالَةٍ] في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب كل قبيح مما يدعو اليه السفهُ و الشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة و العدل - و عن مجاهد من عصى اللهَ فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته

اللّٰهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ◎ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ج حَتّٰى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْـٰٔنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ط أُولٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ◎ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ط

[مِنْ قَرِيبٍ] من زمان قريب و الزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حَتّٰى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ فبيّن ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ماوراء ذلك في حكم القريب - و عن ابن عباس قبل ان ينزل به سلطان الموت - و عن الضحّاك كل توبة قبل الموت فهو قريب - و عن النخعي مالم يوخذ بكظمه - و روى ابو ايوب عن النبيّ عليه السلام ان الله يقبل توبة العبد مالم يُغرغر - و عن عطاء و لو قبل موته بفُواق ناقة - و عن الحسن ان ابليس قال حين هُبط الى الارض وعزتك لا افارق ابنَ آدم مادام روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة مالم يُغَرْغِرْ - فان قلت ما معنى مِنْ في قوله مِنْ قَرِيبٍ - قلت معناه التبييض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمّى ما بين وجود المعصية و بين حضرة الموت زمانا قريبا فاي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب و الا فهو تائب من بعيد - فان قلت ما فائدة قوله [فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ] بعد قوله إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّٰهِ لهم - قلت قوله إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّٰهِ اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات و قوله فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ عدةٌ بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعدُ العبد الوفاءَ بالواجب [وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ] عطف على الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ سوّى بين الذين سوّفوا توبتهم الى حضرة الموت و بين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الاخرة فكما ان الماتت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوّف الى حضرة الموت لمجاوزة كلواحد منهما اوانَ التكليف و الاختيار [أُولٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ] في الوعيد نظيرُ قوله فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لامحالة - فان قلت مَن المراد من الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ اهم الفسق من اهل القبلة ام الكفار - قلت فيه وجهان - احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله وَهُمْ كُفَّارٌ و ان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين و الاعراض عنهما ان تابا و اصلحا و يكون قوله وَهُمْ كُفَّارٌ واردًا على سبيل التغليظ كقوله وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰلَمِينَ و قوله عليه السلام فليمتْ ان شاء يهوديا او نصرانيا - من ترك الصلوة متعمّدا فقد كفر لان من كان مصدّقا و مات و هو لايحدّث نفسه بالتوبة حالُه قريبة من حال الكافر لانه لايجترئ على ذلك الا قلبٌ مُصْمَت * كانوا يُلوون النساء بضروب من البلايا و يظلمونهن بانواع من الظلم فزُجروا عن ذلك * كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امرأة القى ثوبه عليها و قال انا احقّ بها من كل احد فنزل [لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا] اي أن تاخذوهن على سبيل الارث كما تُحاز المواريث و هن كارهات لذلك او مكرهات - وقيل كان يُمسكها حتى تموت فيحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن و هن غير راضيات بامساككم * و كان الرجل اذا تزوج امرأة و لم تكن من حاجته

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ

حَبَسَهَا مع سوء العشرة و القهر لتفتدي منه بمالها وتختلع وقيل [وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ] والعضلُ الحبس و التضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه [إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ] و هي النشوز و شكاسة الخلق و ايذاء الزوج و اهله بالبذاء و السلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عُذرتم في طلب الخلع و تدل عليه قراءة أُبَيٍّ إِلَّا أَنْ يَفْحُشْنَ عَلَيْكُمْ - و عن الحسن الفاحشةُ الزنا فان فعلتْ حل لزوجها ان يسألها الخلع - و قيل كانوا اذا اصابت امرأتُه فاحشةً اخذ منها ما ساق اليها و اخرجها - و عن ابي قِلابة و محمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها - و عن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضراراً حتى تفتدي منه يعني و ان زنتْ - و قيل نسخ ذلك بالحدود * و كانوا يُسيئون معاشرة النساء فقيل لهم [وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ] و هو النَّصَفة في المبيت و النفقة و الجماعُ في القول [فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ] فلا تفارقوهن لكراهة الانفس و حدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين و احمد و ادنى الى الخير واحبتْ ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح * وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهتَ التي تحته و رماها بفاحشة حتى يُلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل [وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ] الآية و [القنطار] المال العظيم من قَنْطرتُ الشيء اذا رفعتَه و منه القَنْطرة لانها بناء مشيّد قال * شعر * كقنطرة الرومي اقسم ربُّها * لتُكْتَنَفَنْ حتى تُشاد بقرمدِ * و عن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تُغالوا بصُدُق النساء فلو كانت مَكْرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله عليه السلام ما اصدقَ امرأةً من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقيّةً فقامت اليه امرأة فقالت له يا امير المؤمنين لمَ تمنعُنا حقا جعله الله لنا و الله يقول وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فقال عمر رضي الله عنه كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تذكرونه عليّ حتى ترد عليّ امرأة ليست من اعلم النساء و [البهتان] ان تستقبل الرجلَ بامر قبيح تقذفه به و هو بريء منه لانه يُبهت عند ذلك اي يتحيّر و انتصب بُهتانا على العلة اي باهتين و آثمين او على انه مفعول له و ان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا و [الميثاق الغليظ] حق الصحبة و المضاجعة كانه قيل و اخذن به منكم ميثاقا غليظا اي بافضاء بعضكم الى بعض و وصفهُ بالغِلَظ لقوته و عظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد و الامتزاج - و قيل هو قول الولي عند العقد أنكحك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان - و عن النبيّ عليه السلام استوصُوا بالنساء خيرا فانهن عوَانٍ في ايديكم اخذتموهن بامانة الله و استحللتم فروجهن بكلمة الله * وكانوا ينكحون زوجاتهم و ناس منهم يمقتونه من ذوي مروّاتهم و يسمّونه

سورة النساء ٤ الجزء ٤ ع ١٥

وَّاٰتَيْتُمْ اِحْدٰىهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَاْخُذُوْا مِنْهُ شَيْـًٔا ط اَتَاْخُذُوْنَهٗ بُهْتَانًا وَّاِثْمًا مُّبِيْنًا ۝ وَكَيْفَ تَاْخُذُوْنَهٗ وَقَدْ اَفْضٰى بَعْضُكُمْ اِلٰى بَعْضٍ وَّاَخَذْنَ مِنْكُمْ مِّيْثَاقًا غَلِيْظًا ۝ وَلَا تَنْكِحُوْا مَا نَكَحَ اٰبَآؤُكُمْ مِّنَ النِّسَآءِ اِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ط اِنَّهٗ كَانَ فَاحِشَةً وَّمَقْتًا ط وَسَآءَ سَبِيْلًا ۝ ع حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ اُمَّهٰتُكُمْ وَبَنٰتُكُمْ وَاَخَوٰتُكُمْ وَعَمّٰتُكُمْ وَخٰلٰتُكُمْ وَبَنٰتُ

نكاحَ المقت و كان المولود عليه يقال له المقتيّ و من ثمه قيل [وَمَقْتًا] كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغةٌ في القبح قبيح ممقوت في المروة و لا مزيد على ما يجمع القبحين - و قرئ لَا تَحِلُّ لَكُمْ بالتاء على ان اَنْ تَرِثُوْا بمعنى الوراثة - وَكُرْهًا بالفتح و الضم من الكراهة و الاكراه - و قرئ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ من ابانت بمعنى تبيّنت او بيّنت كما قرئ مُبَيِّنَةٍ بكسر الياء و فتحها - و يَجْعَلُ اللّٰهُ بالرفع على انه في موضع الحال وَاٰتَيْتُمْ اِحْدٰىهُنَّ بوصل همزة اِحْدٰىهُنَّ كما قرئ فَلْتَمَ عَلَيْهِ - فان قلت تَعْضُلُوْهُنَّ ما وجه اعرابه - قلت النصب عطفا على اَنْ تَرِثُوْا و لا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء و لا ان تعضلوهن - فان قلت اي فرق بين تعدية ذهب بالباء و بينها بالهمزة - قلت اذا عدّي بالباء فمعناه الاخذ و الاستصحاب كقوله تعالى فَلَمَّا ذَهَبُوْا بِهٖ و اما الاذهاب فكالازالة - فان قلت اِلَّآ اَنْ يَّاْتِيْنَ ما هذا الاستثناء - قلت هو استثناء من اعمّ عام الظرف او المفعول له كانه قيل و لا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة او و لا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان ياتين بفاحشة - فان قلت من اي وجه صح قوله تعالى فَعَسٰٓى اَنْ تَكْرَهُوْا جوابا للشرط - قلت من حيث ان المعنى فَاِنْ كَرِهْتُمُوْهُنَّ فَاصْبِرُوْا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خَيْرًا كَثِيْرًا ليس فيما تحبونه - فان قلت كيف استثني مَا قَدْ سَلَفَ من مَا نَكَحَ اٰبَآؤُكُمْ - قلت كما استثني غير ان سيوفهم من قوله و لا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره و ذلك غير ممكن و الغرض المبالغة في تحريمه و سد الطريق الى اباحته كما يعلّق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار - و حتى يلج الجمل في سمّ الخياط - معنى [حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ اُمَّهٰتُكُمْ] تحريم نكاحهن لقوله تعالى وَلَا تَنْكِحُوْا مَا نَكَحَ اٰبَآؤُكُمْ مِّنَ النِّسَآءِ و ان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها و من تحريم لحم الخنزير تحريم اكله - و قرئ وَبَنٰتُ الْاُخْتِ بتخفيف الهمزة - و قد نزّل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمّى المرضعة اُمًّا للرضيع و المراضعةَ اختا و كذلك زوجُ المرضعة ابوه و ابواه جداه و اخته عمته و كل ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع و بعده فهم اخوته و اخواته لابيه و امُّ المرضعة جدته و اختُها خالته و كل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته و اخواته لابيه و امّه و من ولدها من غيره فهم اخوته و اخواته لامّه و منه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب و قالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين - احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب و يجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امَّها و هذا المعنى غير موجود في الرضاع - و الثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب و يجوز في الرضاع

الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ

لان المانع في النسب رَطْ الاب اياها و هذا المعنى غير موجود في الرضاع [مِنْ نِسَائِكُمْ] متعلق بِرَبَائِبُكُمْ ومعناه ان الربيبة من المرأة المدخول بها محرّمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها - فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله تعالى وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ - قلت لا يخلو - اما ان يتعلق بهن و بالربائب فيكون حرمتهن و حرمة الربائب غير مبهمتين جميعا - و اما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة و حرمة الربائب مبهمة - فلا يجوز الاول لان معنى مِنْ مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر الاترك اذا قلت و امهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت مِنْ لبيان النساء و تمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن و اذا قلت و ربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل مِنْ لابتداء الغاية كما تقول بدأت رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم من خديجة و ليس بصحيح ان يعنى بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان - و لا يجوز الثاني لان مايليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر لا يُرَدّ الا ان تقول أُعلّقه بالنساء و الربائب و اجعلُ مِنْ للاتصال كقوله تعالى الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ * ع * فاني لستُ منك و لستَ مني * و ما انا من دِدٍ و لا الددُ مني - و أُمّهات النِّسَاء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الرَّبَائِب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا - و قد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى - و قد روي عن النبيّ عليه السلام في رجل تزوج امرأة ثم طلّقها قبل ان يدخل بها انه قال لابأس ان يتزوج ابنتها و لا يحل له ان يتزوج امّها - و عن عمر رضي الله عنه و عمران بن الحُصَيْن ان الام تحرم بنفس العقد - و عن مسروق هي مرسَلة فأرسِلوا ما ارسل الله - و عن ابن عباس أَبْهِموا ما ابهم الله الا ماروي عن عليّ و ابن عباس و زيد و ابن عمر و ابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤا وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمُ اللَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ - و كان ابن عباس يقول و الله ما نزل الا هكذا - و عن جابر روايتان - و عن سعيد بن المسيّب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلُف على امّها و اذا طلّقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموتَ مقام الدخول في ذلك كما قام ستامه في باب المهر - و سمّي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا و ربيبة لانه يربّيهما كما يربّ ولدَه في غالب الامر ثم اتسع فيه فسمّيا بذلك و ان لم يربّهما - فان قلت ما فائدة قوله فِي حُجُورِكُمْ - قلت فائدته التعليل للتحريم و انهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم و في حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم باصهاتهن و تمكّنَ بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخُلْطة و الأُلْفة و جعل الله بينكم المودّة و الرحمة و كانت الحال خليقة بان تُجرِيَ اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم - و عن عليّ رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم و به اخذ داؤد - فان قلت ما معنى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ - قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها - و ضرب

مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ

عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة رحمه الله - وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابنٌ له فقال انها لا تحل لك - وعن مسروق انه اراد ان تباع جاريته بعد موته وقال امّا انى لم اُصب منها الا ما يحرّمها على ولدي من اللمس والنظر - وعن الحسن فى الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال - وعن عطاء وحمّاد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا يتزوج امّها ولا ابنتها - وعن الاوزاعيّ اذا دخل بالامّ فعرّاها ولمسها بيده او اغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها - وعن ابن عباس وطاؤس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده [الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ] دون من تبنّيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنتَ جحش الاسديّة بنتَ عمته اُميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيدُ بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرجٌ في ازواج ادعيائهم [وَأَنْ تَجْمَعُوا] في موضع الرفع عطف على المحرّمات اي وحُرّم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم فى الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعليّ رضي الله عنهما انهما قالا احلّتهما اية وحرّمتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله اوّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فرجح عليٌّ التحريمَ وعثمان التحليلَ [إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ] ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله تعالى انّ اللّٰهَ كَانَ غَفُورًا [وَالْمُحْصَنَاتُ] القراءة بفتح الصاد - وعن طلحة بن مصرّف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن اُحْصِنّ بالتزويج فهن محصَنات ومحصِنات [إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ] يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سُبين ولهن ازواج في دارالكفر فهن حلال لغُزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق * شعر * وذاتِ حائل انكحتُها رماحُنا * حلالٍ لمن يبني بها لم تطلّق * [كِتَابَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ] مصدر مؤكّد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرّم - فان قلت علام عطف قوله [وَأُحِلَّ لَكُمْ] - قلت على الفعل المضمر الذي نصب كِتَابَ اللّٰهِ اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحلّ لكم ما وراء ذلكم وتدل عليه قراءة اليمانيّ كُتِبَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ - وَأُحِلَّ لَكُمْ - وروي عن اليمانيّ كُتِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ على الجمع ورفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ وَأُحِلَّ لَكُمْ على البناء للمفعول فقد عطفه على حُرِّمَتْ [أَنْ تَبْتَغُوا] مفعول له بمعنى بيّن لكم ما يحل مما يحرم ارادةَ ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم [مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ] لئلا تضيّعوا اموالكم وتُفقروا انفسكم فيما لا تحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم والمفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين - والاحصانُ العفّة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام - والاموالُ المهور وما يُخرَج فى المناكح -

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهٖ مِنْهُنَّ فَاٰتُوْهُنَّ اُجُوْرَهُنَّ فَرِيْضَةً ؕ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيْمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهٖ مِنْۢ بَعْدِ الْفَرِيْضَةِ ؕ

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ١

فان قلت اين مفعول تَبْتَغُوْا - قلت يجوز ان يكون مقدّرا و هو النساء و الاجود ان لا يقدّر و كانه قيل ان تُخْرِجوا اموالكم - و يجوز ان يكون اَنْ تَبْتَغُوْا بدلا من مَا وَرَاءَ ذٰلِكُمْ - و المسافح الزاني من السفح و هو صبّ المني و كان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني و ماذيني من المذي [فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهٖ مِنْهُنَّ] فما استنفعتم به من المنكوحات من جماع اوخلوة صحيحة او عقد عليهن [فَاٰتُوْهُنَّ اُجُوْرَهُنَّ] عليه فاسقط الراجع الى مَا لانه لا يُلْبس كقوله اِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ باسقاط منه - و يجوز ان يكون مَا في معنى النساء و مِنْ للتبعيض او للبيان و يرجع الضمير اِلَيْهِ على اللفظ في بِهٖ و على المعنى في فَاٰتُوْهُنَّ - و اُجُوْرَهُنَّ مهورهن لان المهر ثواب على البضع [فَرِيْضَةً] حال من الاجور بمعنى مفروضةً - او وضعت موضع ايتاءً لان الايتاء مفروض - او مصدر موكّد اي فُرض ذلك فريضةً [فِيْمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهٖ مِنْۢ بَعْدِ الْفَرِيْضَةِ] فيما تحطّ عنه من المهر او تهبُ له من كله او يزيد لها على مقداره - و قيل فيما تراضيا به من مقام او فراق - و قيل نزلتْ في المتعة اللتي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكّة على رسوله ثم نسختْ - كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك و يقضي منها وطره ثم يسرّحها سمّيت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها - و عن عمر رضي الله عنه لا اُوتى برجل تزوج امرأة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة - و عن النبيّ عليه السلام انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتُكم بالاستمتاع من هذه النساء الّا ان الله حرم ذلك الى يوم القيٰمة - وقيل اُبيح مرتين وحُرّم مرتين - و عن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ و كان يقرأ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهٖ مِنْهُنَّ اِلٰى اَجَلٍ مُسَمًّى - و يروي انه رجع عن ذلك يوم موته و قال اللّٰهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة و قولي في الصرف * [الطَّوْل] الفضل يقال لفلان على فلان طَوْل اي زيادة فضل و قد طاله طَوْلا فهو طائل قال * شعر * لقد زادني حبّا لنفسيَ انني * بغيض الى كل امرئٍ غير طائلِ * ومنه قولهم ما حَلِيَ منه بطائل اي بشيء يعتدّ به مما له فضل وخطر - ومنه الطُّول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القِصَر قصور فيه و نقصان - و المعنى و من لم يستطع زيادة في المال و سعةً يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امةً - قال ابن عباس من ملك ثلث مائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء و هو الظاهر و عليه مذهب الشافعيّ رحمه الله و اما ابوحنيفة فيقول الغنيّ و الفقير سواء في جواز نكاح الامة و يفسر الآية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة - و في رواية عن ابن عباس انه قال و مما وسّع الله على هذه الامّة نكاح الامة و اليهودية و النصرانية و ان كان موسرا وكذلك قوله مِنْ فَتَيٰتِكُمُ الْمُؤْمِنٰتِ الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية و هو مذهب اهل الحجاز - و عند اهل العراق يجوز نكاحها و نكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ١

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ط وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ط بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ج فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ
أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ج فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ
بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ط ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ط وَأَنْ تَصْبِرُوا
خَيْرٌ لَكُمْ ط وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ع يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ط

بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل - فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة - قلت لما فيه من اتباع الولد الامّ في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومَهانة و العزةُ من صفات المؤمنين و قوله مِنْ فَتَيَاتِكُمْ اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين - فان قلت فما معنى قوله تعالى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ - قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم و بين ارقائكم في الايمان و رجحانه و نقصانه فيهم و فيكم و ربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة و المرأةُ افضل في الايمان من الرجل و حق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب و الانساب و هذا تانيس بنكاح الاماء و ترك الاستنكاف منه [بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ] اي انتم و ارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضلُ حر عبدا الا برجحان فيه [بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ] اشتراط اذن الموالي في نكاحهن و يُحتجّ به لقول ابي حنيفة رحمه الله ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم [وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ] وادوا اليهن مهورهن بغير مطل و ضرار و احواج الى الاقتضاء و اللزّ - فان قلت الموالي هم مُلّاك مهورهن لانهنّ و انواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل وَآتُوهُنَّ - قلت لانهن و ما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فاتوا مواليهن فحذف المضاف [مُحْصَنَاتٍ] عفائف و [اخدان] الاخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرّات له [فَإِذَا أُحْصِنَّ] بالتزويج - وقرئ أَحْصَنَّ [نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ] اي الحرائر [مِنَ الْعَذَابِ] من الحد كقوله تعالى وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف [ذَٰلِكَ] اشارة الى نكاح الاماء [لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ] لمن خاف الاثم الذي تودّي اليه غلبة الشهوة - و اصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة و ضرر و لا ضرر اعظم من مواقعة المأثم - و قيل اريد به الحد لانه اذا هوّنها خشي ان يواقعها فيحدّ فيتزوجها [وَأَنْ تَصْبِرُوا] في محل الرفع على الابتداء و خبرهم عن نكاح الاماء متعففين [خَيْرٌ لَكُمْ] - و عن النبي عليه السلام الحرائر صلاح البيت و الاماء هلاك البيت [يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ] اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام موكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابالك لتاكيد اضافة لاب - و المعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفيّ عنكم من مصالحكم

وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ ۝ وَاللّٰهُ يُرِيْدُ اَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْكُمْ ۖ وَيُرِيْدُ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهَوٰتِ اَنْ تَمِيْلُوْا مَيْلًا عَظِيْمًا ۝ يُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يُّخَفِّفَ عَنْكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيْفًا ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَاْكُلُوْٓا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اِلَّآ اَنْ تَكُوْنَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ۣ وَلَا تَقْتُلُوْٓا اَنْفُسَكُمْ ۭ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًا ۝ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوَانًا وَّظُلْمًا فَسَوْفَ

و افاضل اعمالكم و ان يَهْدِيَكُمْ مناهج من كان قبلكم من الانبياء و الصالحين و الطُرق التي سلكوها في دينهم لتقتدُوا بهم [وَيَتُوْبَ عَلَيْكُمْ] و يُرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيّاتكم فيتوب عليكم و يكفّر لكم [وَاللّٰهُ يُرِيْدُ اَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْكُمْ] ان تفعلوا ماتستوجبون به ان يتوب عليكم [وَيُرِيْدُ] الفجرة [الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهَوٰتِ اَنْ تَمِيْلُوْا مَيْلًا عَظِيْمًا] و هو الميل عن القصد و الحق و لا ميل اعظم منه بمساعدتهم و موافقتهم على اتّباع الشهوات - و قيل هم اليهود - و قيل المجوس كانوا يُحلّون نكاح الاخوات من الاب و بنات الاخ و بنات الاخت فلما حرّمهن الله قالوا فانكم تُحلّون بنت الخالة و العمّة و الخالةُ و العمّةُ عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ و الاخت فنزلتْ يقول يريدون ان تكونوا زُناة مثلهم* [يُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يُّخَفِّفَ عَنْكُمْ] باحلال نكاح الامة وغيره من الرُخص [وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيْفًا] لا يصبر عن الشهوات و على مشاق الطاعات - و عن سعيد بن المسيّب ما آيَسَ الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قِبل النساء وقد اتى عليّ ثمانون سنة و ذهبت احدى عينيّ و انا اعشو بالاخرى و انّ اخْوَفَ ما اخافُ عليّ فتنةُ النساء - و قرئ اَنْ يَّمِيْلُوْا بالياء والضمير للّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهَوٰتِ - و قرأ ابن عباس رضي الله عنهما وَخَلَقَ الْاِنْسَانَ على البناء للفاعل و نصب الاِنْسَان - و عنه رضي الله عنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعتْ عليه الشمس و غربت يُرِيْدُ اللّٰهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ - وَاللّٰهُ يُرِيْدُ اَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْكُمْ - يُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يُّخَفِّفَ عَنْكُمْ - اِنْ تَجْتَنِبُوْا كَبَآئِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ - اِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ اَنْ يُّشْرَكَ بِهٖ - اِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ - وَمَنْ يَّعْمَلْ سُوْٓءًا اَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهٗ - مَا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِعَذَابِكُمْ* [بِالْبَاطِلِ] بما لم تُبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة و الغصب والقمار و عقود الربوا [اِلَّآ اَنْ تَكُوْنَ تِجَارَةً] الا ان تقع تجارةٌ - و قرئ تِجَارَةٌ على الا ان تكون التجارة تجارةً [عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ] و الاستثناء منقطع معناه و لكن اقصدُوا كون تجارةٍ عن تراض - او و لكن كون تجارة عن تراض غير منهيّ عنه و قوله عَنْ تَرَاضٍ صفة لتِجَارَةً اي تجارة صادرة عن تراض وخصّ التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها و التراضي رضى المتبائعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب و القبول و هو مذهب ابي حنيفة و عند الشافعيّ تفرّقهما عن مجلس العقد متراضيين [وَلَا تَقْتُلُوْٓا اَنْفُسَكُمْ] من كان من جنسكم من المؤمنين - و عن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او و لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجَهَلة - و عن عمرو بن العاص انه تأوّله في التيمم لخوف البرد فلم يُنكر عليه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم - و قرأ عليّ رضي الله عنه وَلَا تُقَتِّلُوْا بالتشديد [اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًا] ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم - و قيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبةً لهم و تمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امّةَ

نُصْلِيهِ نَارًا ط وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا ۝ اِنْ تَجْتَنِبُوْا كَبٰٓئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّاٰتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهٖ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ ط لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوْا وَلِلنِّسَآءِ نَصِيْبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ط وَسْـَٔلُوا اللّٰهَ مِنْ فَضْلِهٖ ط اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا ۝ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدٰنِ وَالْاَقْرَبُوْنَ ط وَالَّذِيْنَ عَقَدَتْ اَيْمَانُكُمْ فَاٰتُوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ ط اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدًا ۝ ع اَلرِّجَالُ

مُحَمَّد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة [ذٰلِكَ] اشارة الى القتل اي ومن يُقدم على قتل الانفس [عُدْوَانًا وَّظُلْمًا] لا خطأ ولا اقتصاصا - وقرئ عِدْوَانًا بالكسر و[نُصْلِيْهِ] بتخفيف اللام وتشديدها - و نَصْلِيْهِ بفتح النون من صَلاَه يَصْلاه ومنه شاة مَصْلِيَّة - و يُصْلِيه بالياء و الضمير لله عزوجل او لذٰلِكَ لكونه سببا للصُّلِيّ [نَارًا] نارا مخصوصة شديدة العذاب [وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا] لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه [كَبٰٓئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ] وقرئ كَبِيْرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ اي ما كبر من المعاصى التي ينهاكم الله عنها و الرسول [نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّاٰتِكُمْ] نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم و نجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر و صبركم عنها على عقاب السيّات - و الكبيرةُ والصغيرةُ انما وُصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما - و التكفيرُ اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة - و الاحباطُ نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الضاعه - و عن علىّ رضي الله عنه الكبائر سبعٌ الشركُ و القتلُ و القذفُ و الربوا و مالُ اليتيم و الفرارُ من الزحف و التعرّبُ بعد الهجرة - وزاد ابن عمر السحرَ و استحلالَ البيت الحرام - و عن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبع مائة اقرب لانه لاصغيرةَ مع الاصرار ولا كبيرةَ مع الاستغفار - و روي الى سبعين - وقرئ يُكَفِّرْ بالياء و[مُدْخَلًا] بضم الميم وفتحها بمعنى المكان و المصدر فيهما [وَلَا تَتَمَنَّوْا] نُهوا عن التحاسد و عن تمنّي ما فضّل الله به بعضَ الناس على بعض من الجاه و المال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة و تدبير و علم باحوال العباد و بما يُصْلِح المقسومَ له من بسط في الرزق او قبض وَلَوْ بَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهٖ لَبَغَوْا فِي الْاَرْضِ فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علماً بان ما قُسم له هو مصلحته و لوكان خلافه لكان مفسدة له و لا يحسد اخاه على حظه [لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوْا] جعل ما قُسم لكل من الرجال و النساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط و القبض كسبًا له [وَسْـَٔلُوا اللّٰهَ مِنْ فَضْلِهٖ] و لا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد - و قيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان و لهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الاخرة على الاعمال و لهن اجر واحد فقالت ام سلمة و نسوةٌ معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت * مِمَّا تَرَكَ تبيين [لِكُلٍّ] اي و لكل شيءٍ [مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدٰنِ وَالْاَقْرَبُوْنَ] من المال جَعَلْنَا مَوَالِيَ وُرّاثا يلونه و يحرزونه - او و لكل

قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللّٰهُ بَعْضَهُمْ عَلٰى بَعْضٍ وَّبِمَآ اَنْفَقُوا مِنْ اَمْوَالِهِمْ ط فَالصّٰلِحٰتُ قٰنِتٰتٌ حٰفِظٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّٰهُ ط وَالّٰتِيْ تَخَافُوْنَ نُشُوْزَهُنَّ فَعِظُوْهُنَّ وَاهْجُرُوْهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوْهُنَّ ج فَاِنْ

قوم جعلناهم موالي نصيبٌ مما ترك الوالدان و الاقربون على ان جَعَلْنَا مَوَالِيَ صفة لِكُلٍّ و الضمير الراجع الى كُلٍّ محذوف و الكلام مبتدأ و خبر كما تقول لكل مَنْ خلقه الله انسانا مِنْ رزق الله اي حظ من رزق الله - او و لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وُرّاثا مما ترك على ان مِنْ صلةُ مَوَالِ لانهم في معنى الوُرّاث و في تَرَكَ ضمير كُلٍّ ثم فسّر الموالي بقوله الْوَالِدٰنِ وَ الْاَقْرَبُوْنَ كانه قيل مَنْ هم فقيل الْوَالِدٰنِ وَالْاَقْرَبُوْنَ [وَ الَّذِيْنَ عَقَدَتْ اَيْمَانُكُمْ] مبتدأ ضُمّن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء و هو قوله تعالى [فَاٰتُوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ] و يجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه - و يجوز ان يعطف على الْوَالِدٰنِ و يكون المضمر في فَاٰتُوْهُمْ للْمَوَالِي و المراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة - كانَ الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمُك و هدمي هدمُك و ثاري ثارُك وحربي حربُك و سالمي سلْمُك و ترثُني و ارثُك و تطلب بي و اطلبُ بك و تعقلُ عني و اعقلُ عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ - و عن النبيّ عليه السلام انه خطب يوم الفتح فقال ما كان مِن حَلِف في الجاهلية فتمسّكوا به فانه لم يَزِده الاسلام الاشدةً ولا تُحْدثوا حِلْفا في الاسلام - و عند ابي حنيفة رحمه الله لو اَسْلم رجل على يد رجل و تعاقدا على ان يتعاقلا و يتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعيّ - و قيل المعاقدة التبنّي و معنى عَاقَدَتْ اَيْمَانُكُمْ عاقدتهم ايدكم ومَاسَحْتُمُوهم - و قرئ عَقَّدَتْ بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودَ هم ايمانكم [قَوَّامُوْنَ عَلَى النِّسَاءِ] يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الوُلاة على الرعايا - و سُمّوا قَوّامًا لذلك • و الضمير في [بَعْضَهُمْ] للرجال و النساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال [عَلٰى بَعْضٍ] و هم النساء - و فيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب و الاستطالة و القهر و قد ذكروا في فضل الرجال العقلَ والحزمَ و العزمَ و القوةَ و الكتابةَ في الغالب و الفروسيةَ و الرميَ و ان منهم الانبياءَ و العلماءَ و فيهم الامامة الكبرى و الصغرى و الجهاد و الأذان والخطبةُ و الاعتكافُ و تكبيراتُ التشريق عند ابي حنيفة والشهادةُ في الحدود والقصاص وزيادةُ السهم و التعصيبُ في الميراث والحمالةُ و القسامةُ و الولايةُ في النكاح و الطلاقُ و الرجعةُ و عددُ الازواج و اليتيم الانتسابُ و هم اصحاب اللُّحى و العمائم [وَّبِمَآ اَنْفَقُوْا] وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن [مِنْ اَمْوَالِهِمْ] في المهور و النفقات - و روي ان سعد بن الربيع و كان نقيبا من نُقَبَاء الانصار نشزتْ عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله عليه السلام و قال اَفْرَشْتُهُ كريمتي فلطمها فقال لتقتصّ منه فنزلتْ فقال اردنا امرا واراد الله امرا و الذي اراد الله خير و رَفَع القصاص - و اختلف في ذلك فقيل لاقصاص بين الرجل و امرأته فيما دون النفس و لوشجها و لكن يجب العقل - و قيل لاقصاص الا في الجرح و القتل و اما اللطمة ونحوها فلا [قٰنِتٰتٌ]

مطيعات قائمات بما عليهن للازواج [حٰفِظٰتٌ لِّلْغَيْبِ] الغيبُ خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظهُ في حال الغيبة من الفروج والبيوت و الاموال - وعن النبيّ عليه السلام خير النساء امرأة ان نظرتَ اليها سرّتْك وان امرتَها اطاعتْك واذا غِبتَ عنها حفظتْكَ في مالها ونفسها وتلا الاٰية - وقيل لِّلْغَيْبِ لاسرارهم [بِمَا حَفِظَ اللّٰهُ] بما حفظهن اللّٰه حين اوصى بهن الازواجَ في كتابه و اَمر رسوله فقال استوصُوا بالنساء خيرا - او بما حفظهن اللّٰهُ و عصمهن و وفقهن لحفظ الغيب - او بما حفظَهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب و اوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة و مَا مصدرية - وقرئ بِمَا حَفِظَ اللّٰهَ بالنصب على ان مَا موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حقَّ الله و امانة الله وهو التعفف و التحصّن والشَّفقة على الرجال و النصيحةُ لهم - و قرأ ابن مسعود فَالصَّوَالِحُ قَوَانِتُ حَوَافِظُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّٰهُ فاصلحوا اليهن • نُشُوْزَهُنَّ و نُشُوْصَهن ان تعصي زوجَها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج [فِى الْمَضَاجِعِ] فى المراقد اي لا تُداخلوهن تحت اللُّحُف - او هي كناية عن الجماع - وقيل هو ان يُولّيها ظهره فى المضجع - وقيل فِي الْمَضَاجِعِ في بيوتهن التي يبتْنَ فيها اي لاتباشروهن - و قرئ فى الْمَضْجَعِ - وفى الْمُضْطَجَعِ وذلك لتعرّف احوالهن و تحقّق امرهن فى النشوز اَمر بوعظهن اولاً ثم بهُجرانهن فى المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ و الهجرانُ - و قيل معناه اكرهوهن على الجماع و اربطوهن من هَجرَ البعيرَ اذا شدّه بالهجار و هذا من تفسير الثقلاء - و قالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرّح لايجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه - و عن النبيّ عليه السلام علّق سوطك حيث يراه اهلُك - وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما كنتُ رابعةَ اربع نسوة عند الزبير بن العوّام فاذا غضب على احدانا ضربها بعود المِشْجب حتى يكسره عليها - ويروى عن الزبير ابيات منها • ع • ولولا بَنُوها حولها لخمطتُها • [فَلَا تَبْغُوْا عَلَيْهِنَّ سَبِيْلًا] فاريلوا عنهن التعرض بالاذى و التوبيخ و التجنّي و توبوا عليهن و اجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة و الاتقياد و ترك النشوز [اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيْرًا] فاحذروه و اعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم - و يروى ان ابا مسعود الانصاريّ رضي الله عنه رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسولُ اللّٰه عليه السلام فصاح به ابا مسعود لَلّٰهُ اقدرُ عليك منك عليه فرمى بالسوط و اعتق الغلام - او اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيْرًا و انكم تعصونه على علو شانه و كبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع [شِقَاقَ بَيْنِهِمَا] اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ و اصله بل مكر الليل و النهار او على ان جعل البين مُشاقّا و الليل و النهار ماكرين على قولهم نهارك صائم - و الضمير للزوجين و لم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل

حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ۚ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ

عليهما و هو الرجال و النساء [حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ] رجلا مقنعا رضيّ يصلح لحكومة العدل و الاصلاح بينهما. و انما كان بَعْث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرفُ ببواطن الاحوال و اطلبُ للصلاح و انما تسكن اليهم نفوس الزوجين و تبرُز اليهم ما في ضمائرهما من الحب و البغض و ارادة الصحبة و الفرقة و موجبات ذلك و مقتضياته و ما يزويانه عن الاجانب و لا يُحبّان ان يطّلعوا عليه - فان قلت فهل يليان الجمعَ بينهما و التفريقَ ان رأيا ذلك - قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين - و قيل ذلك اليهما و ما جُعلا حكمين الا و اليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما - و عن عُبَيْدة السَّلماني شهدتُ عليا رضي الله عنه و قد جاءته امرأة و زوجها و مع كل واحد فئام من الناس فاخرج هؤلاء حَكَمًا و هؤلاء حَكَمًا و قال عليّ رضي الله عنه للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رأيتما أن تُفرّقا فرّقتما و ان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال عليّ رضي الله عنه كذب و الله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك و عليك فقالت المرأة رضيتُ بكتاب الله لي و عليّ - و عن الحسن يجمعان و لا يفرّقان - و عن الشعبي ما قضى الحكمان جاز * و الالف في [يُرِيدَا إِصْلَاحًا] ضمير الحَكَمَيْن و في [يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا] للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين و كانت نيّتهما صحيحةً و قلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما و اوقع الله بطيب نفسيهما و حسن سعيهما بين الزوجين الوفاقَ و الالفةَ و القى في نفوسهما المودةَ و الرحمةَ - و قيل الضميران للحَكَمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين و النصيحةَ للزوجين يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا فيتفقان على الكلمة الواحدة و يتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض و يتمّ المراد - و قيل الضميران للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير و ان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفةَ و ابدلهما بالشقاق وفاقا و بالبغضاء مودّة [إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا] يعلم كيف يوفق بين المختلفين و يجمع بين المفترقين لو انفقتَ ما في الارض جميعا ما ألّفتَ بين قلوبهم و لكن الله الّف بينهم [وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا] و احسنوا بهما احسانا [وَبِذِي الْقُرْبَىٰ] و بكل مَن بينكم و بينه قربى من اخ او عمّ او غيرهما [وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ] الذي قرب جواره [وَالْجَارِ الْجُنُبِ] الذي جواره بعيد - و قيل الجارُ القريب النسب و الجارُ الجُنُب الاجنبي و انشد لبلعاء بن قيس * شعر * لا يجتوينا مجاورٌ ابدا * ذو رحم او مجاورٌ جنبُ * و قرئ وَالْجَارِ ذَا الْقُرْبَىٰ نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقّي الجوار و القربى [وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ] هو الذي يصحبك بان يحصل بجنبك اما رفيقا في السفر و اما جارا ملاصقا و اما شريكا في تعلّم علم او حرفة و اما قاعدا

مُخْتَالًا فَخُوْرًا ۝ الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ وَيَأْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُوْنَ مَآ اٰتٰىهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ ۭ وَاَعْتَدْنَا
لِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابًا مُّهِيْنًا ۝ وَالَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمْ رِئَاۗءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ۭ وَمَنْ يَّكُنِ
الشَّيْطٰنُ لَهٗ قَرِيْنًا فَسَاۗءَ قَرِيْنًا ۝ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَاَنْفَقُوْا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّٰهُ ۭ وَكَانَ اللّٰهُ بِهِمْ

الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك و بينه معليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه و تجعله ذريعة الى الاحسان - وقيل الصاحب بالجنب المرأة [وَابْنِ السَّبِيْلِ] المسافر المنقطع به - و قيل الضيف * [والمختال] التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه و اصحابه و مماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم - و قرىء وَالْجَارِ الْجُنُبِ بفتح الجيم و سكون النون [الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ] بدل من قوله مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُوْرًا - او نصب على الذم - و يجوز ان يكون رفعاً عليه - وان يكون مبتدأ خبرهُ محذوف كانه قيل الذين يبخلون و يفعلون و يصنعون أحقاء بكل ملامة * و قرىء بِالْبُخْلِ بضم الباء و فتحها و بفتحتين و ضمتين اي يبخلون بذات ايديهم و بما في ايدي غيرهم فيامرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وُجد - وفي امثال العرب البخلُ من الضنين بنائل غيره * شعر * وانَّ امرأ ضنّت يداه على امرىء * بنيل يد من غيره لبخيلُ * و لقد رأينا ممن بُلي بداء البخل مَنْ اذا طَرَق سَمْعه ان احداً جاد على احد شُخص به و حلّ حُبْوته و اضطرب و دارت عيناه في راسه كانما نُهب رحله و كُسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرةً على وجوده - وقيل هم اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم و يقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر و لا تدرون ما يكون و قد عابهم بكتمان نعمة الله و ما اتاهم من فضل الغنى و التفاخر الى الناس - و عن النبيّ صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم اذا انعم الله على عبد نعمةً احبّ ان تُرى نعمتُه على عبده - و بنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فذمّ به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسرّه ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اُسرّك بالنظر الى اٰثار نعمتك فاعجبه كلامه - و قيل نزلت في شان اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم [رِئَاۗءَ النَّاسِ] للاشعار و ليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاءَ وجه الله - و قيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله عليه السلام [فَسَاۗءَ قَرِيْنًا] حيث حملهم على البخل و الرياء و كل شر - و يجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يُقرَن لهم في النار [وَمَاذَا عَلَيْهِمْ] و اي تبعة و وبال عليهم في الايمان و الانفاق في سبيل الله و المرادُ الذمُّ و التوبيخ و الاكمل مَنْفعة و مَفْلحة في ذلك و هذا كما يقال للمنتقم ما ضرّك لو عفوت وللعاقّ ما كان يزوك لو كنت باراً و قد عُلم انه لا مضرة ولا موزئة في العفو و البرّ و لكنه ذمّ و توبيخ و تجهيل بمكان المنفعة [وَكَانَ اللّٰهُ بِهِمْ عَلِيْمًا] وعيد * [الذرة] النملة الصغيرة - و في قراءة عبد الله مِثْقَالَ نَمْلَةٍ - وعن ابن عباس انه ادخل يدَه في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة - و قيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوّة ذرة - و فيه دليلٌ انه لو نقص من الاجر ادنى شيء و اصغره او زاده

عَلِيمًا ۝ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۚ وَاِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ اَجْرًا عَظِيمًا ۝ سورة النساء ٤
فَكَيْفَ اِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَّجِئْنَا بِكَ عَلٰى هٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝ يَوْمَئِذٍ يَّوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَعَصَوُا الجزء ٥
الرَّسُوْلَ لَوْ تُسَوّٰى بِهِمُ الْاَرْضُ ۘ وَلَا يَكْتُمُوْنَ اللّٰهَ حَدِيْثًا ۝ ع يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَقْرَبُوا الصَّلٰوةَ وَاَنْتُمْ سُكٰرٰى ع ٣

فى العقاب الكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته فى الحكمة لالاستحالته فى القدرة [وَاِنْ تَكُ حَسَنَةً] و ان تكن مثقالُ الذرة حسنةً و انما انّث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مونث - وقرئ بالرفع على كان التامة [يُضٰعِفْهَا] يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثوابَ في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية - و عن عثمان المبدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعتُ رسولَ اللّٰه صلّى اللّٰه عليه واٰله و سلّم يقول ان الله تعالى يُعطي عبدَه المؤمنَ بالحسنة الفَ الفِ حسنة قال ابو هريرة رضي اللّٰه عنه لا بل سمعتُه يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الفي حسنة ثم تلا هذه الاية و المرادُ الكثرة لا التحديد [وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ اَجْرًا عَظِيمًا] و يُعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما و سمّاه اجرا انه تابع للاجر لايثبت الا بثباته - وقرئ يُضَعِّفْهَا بالتشديد و التخفيف من اَضْعَف وضَعّف - و قرأ ابن هُرْمُز نُضٰعِفْهَا بالنون [فَكَيْفَ] يصنع هؤلاء الكفرةُ من اليهود و غيرهم [اِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ بِشَهِيدٍ] يشهد عليهم بما فعلوا و هو نبيّهم كقوله وكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ [وَجِئْنَا بِكَ عَلٰى هٰٓؤُلَآءِ] المكذبين [شَهِيدًا] و عن ابن مسعود انه قرأ سورة النساء على رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم حتى بلغ قولَه وَجِئْنَا بِكَ عَلٰى هٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا فبكى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه واٰله وسلّم و قال حسبُنا [لَوْ تُسَوّٰى بِهِمُ الْاَرْضُ] لو يُدْفَنون فتسوّى بهم الارض كما تسوّى بالموتى - و قيل يودّون انهم لم يُبْعثوا و انهم كانوا و الارضُ سواءٌ - و قيل تصير البهائم ترابا فيودّون حالها [وَلَا يَكْتُمُوْنَ اللّٰهَ حَدِيْثًا] ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم - و قيل الواو للحال اي يودّون ان يُدفنوا تحت الارض و انهم لايكتمون الله حديثا و لا يكذبون في قولهم و اللهِ ربّنا ما كنّا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك و جحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك و تكلّمت ايديهم و ارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنّون ان تسوّى بهم الارض - و قرئ تَسَوّٰى بحذف التاء من تَتَسَوّٰى يقال سوّيته فتسوّى نحو لويته فتلوّى و تَسَوّٰى بادغام التاء في السين كقوله يَسَّمَّعُوْنَ و ماضيه اِسَّوّٰى كارّكى • روي ان عبد الرحمن بن عَوف صنع طعاما و شرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه واٰله وسلّم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فاما ثملوا و جاء وقت صلوة المغرب قدّموا احدهم ليصلّي بهم فقرأ اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ وَاَنْتُمْ عَابِدُوْنَ مَا اَعْبُدُ فنزلت مكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلّوا العشاء شربوها فلا يُصبحون الا و قد ذهب عنهم السكر و علموا ما يقولون ثم نزل تحريمها - ومعنى [لَا تَقْرَبُوا الصَّلٰوةَ] لاتغشوها ولا تقوموا اليها و اجتنبوها كقوله وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنٰى - وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ - و قيل معناه ولا تقربوا مواضعها و هي المساجد كقوله عليه السلام جَنِّبُوْا مساجدَكم صبيانَكم و

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ٣

حَتّٰى تَعْلَمُوْا مَا تَقُوْلُوْنَ وَلَا جُنُبًا اِلَّا عَابِرِيْ سَبِيْلٍ حَتّٰى تَغْتَسِلُوْا ۭ وَاِنْ كُنْتُمْ مَّرْضٰٓى اَوْ عَلٰي سَفَرٍ اَوْ جَاۗءَ اَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَاۗىِٕطِ اَوْ لٰمَسْتُمُ النِّسَاۗءَ فَلَمْ تَجِدُوْا مَاۗءً فَتَيَمَّمُوْا صَعِيْدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوْا بِوُجُوْهِكُمْ وَاَيْدِيْكُمْ ۭ

مجانينكم - و قيل هو سكر النعاس و غلبة النوم كقوله * شعر * و رانوا بسكر سناتهم كل الربون * و قرئ سَكَارٰى بفتح السين و سُكْرٰى على ان يكون جمعا نحو هَلْكٰى و جَوْعٰى لان السكر علة تلحق العقل - او مفردا بمعنى و انتم جماعة سَكرى كقولك امرأة سَكْرى و سُكْرى بضم السين كُحْبْلى على ان تكون صفة للجماعة - و حكى جناح بن حُبَيْش كَسْلٰى و كُسْلٰى بالفتح و الضم [وَلَا جُنُبًا] عطف على قوله وَاَنْتُمْ سُكَارٰى لان محل الجملة مع الواو النصبُ على الحال كانه قيل لاتقربوا الصلوة سكارى و لاجنبا - و الجُنُب يستوي فيه الواحد و الجمع و المذكر و المونث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب [اِلَّا عَابِرِيْ سَبِيْلٍ] استثناء من عامة احوال المخاطبين و انتصابُه على الحال - فان قلت كيف جمع بين هذه الحال و الحال التي قبلها - قلت كانه قيل و لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا و معكم حال اخرى تُعذرون فيها و هي حال السفر و عبورُ السبيل عبارة عنه - و يجوز ان لا يكون حالا و لكن صفة لقوله جُنُبًا اي و لا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين - فان قلت كيف يصح صلوتهم على الجنابة لعذر السفر - قلت اريد بالجُنُب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لاتقربوا الصلوة غير مغتسلين [حَتّٰى تَغْتَسِلُوْا] الا ان تكونوا مسافرين و قال مَن فسّر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جُنُبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه - وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فيصيبهم الجنابة و لا يجدون ممرّا الا في المسجد فرُخّص لهم - و روي ان رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم لم ياذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمرّ فيه و هو جُنُب الا لعليّ رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد * فان قلت اذكر في حكم الشرط اربعةً و هم المرضى و المسافرون و المُحْدثون و اهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم - قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا و ان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم و عجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا و كذلك المسافر اذا عدموه لبُعده و المحدثون و اهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب * و قال الزجّاج [الصعيد] وجه الارض ترابا كان او غيره و ان كان صخرا لا تراب عليه او ضَرب المتيمم يدَه عليه و مسح لكان ذلك طهورا و هو مذهب ابي حنيفة رحمه الله - فان قلت فما يصنع بقوله في سورة المائدة فَامْسَحُوْا بِوُجُوْهِكُمْ وَاَيْدِيْكُمْ مِّنْهُ اي بعضه و هذا لايتاتى في الصخر الذي لا تراب عليه - قلت قالوا انّ مِنْ لابتداء الغاية - فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قولٌ متعسَّفٌ و لا يَفْهم احد من العرب من قول القائل مسحتُ براسه من الدهن و من الماء و من التراب الا معنى التبعيض - قلت هو كما تقول و الاذنان لمسحهما احق من الرجلين [اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُوْرًا] كناية عن الترخيص و التيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطّائين و يغفر لهم اثر ان يكون ميسّرا غير معسّر - فان

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۝ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ۝ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ

قلتَ كيف نظم في سلك واحد بين المرضى و المسافرين و بين المُحْدِثين و الجُنُبين و المرضُ و السفرُ سببان من اسباب الرخصة و الحدثُ سبب لوجوب الوضوء و الجنابةُ سبب لوجوب الغُسْل - قلت اراد سبحانه ان يرخّص للذين و جب عليهم التطهر و هم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخصّ اولا من بينهم مَرْضاهم و سَفْرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض و السفر و غلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عمّ كل من و جب عليه التطهر و اعوزه الماءُ لخوف عدوّ او سبعٍ او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان الماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض و السفر * و قرئ مِنْ غَيْطٍ قيل هو تخفيف غَيْط كهَيْن في هَيِّن و الغَيْطُ بمعنى الغائط * [أَلَمْ تَرَ] من رؤية القلب و عُدّي بالى على معنى الم ينتهِ علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم [أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ] حظا من علم التوراة و هم احبار اليهود [يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ] يستبدلونها بالهدى و هو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و انه هو النبيّ العربيّ المبشَّر به في التوراة و الانجيل [وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا] ايتها المؤمنون سبيلَ الحق كما ضلّوه و تنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يُحبّون ان يضلّ معهم غيرهم - و قرئ أَنْ يَضِلُّوا بالياء بفتح الضاد و كسرها [وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِأَعْدَائِكُمْ] و قد اخبركم بعداوة هؤلاء و أطلعكم على احوالهم و ما يريدون بكم فاحذروهم و لا تستنصحوهم في اموركم و لا تستشيروهم [وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا] فثقوا بولايته و نصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم و يكفيكم مكرهم [مِنَ الَّذِينَ هَادُوا] بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود و نصارى - و قوله وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَكَفَى بِاللَّهِ - وَكَفَى بِاللَّهِ جُمَل توسّطت بين البيان و المبيّن على سبيل الاعتراض او بيان لأَعْدَائِكُمْ و ما بينهما اعتراض او صلة لنَصِيرًا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله تعالى وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا - و يجوز ان يكون كلاما مبتدأ على أَنْ يُحَرِّفُونَ صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرّفون كقوله * شعر * و ما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت و اخرى ابتغي العيش اكدحُ * اي فمنهما تارةٌ اموت فيها [يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ] يُميلونه عنها و يزيلونه لانهم اذا بدّلوه و وضعوا مكانه كَلِمًا غيرَه فقد اماله عن مواضعه التي وضعه الله فيها و ازاله عنها و ذلك نحو تحريفهم أَسْمَرَ رَبْعَةً عن موضعه في التوراة بوضعهم آدَمَ طُوال مكانه و نحو تحريفهم الرجمَ بوضعهم الحدَّ بدله - فان قلت كيف قيل هيهنا عَنْ مَوَاضِعِهِ و في المائدة مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ - قلت أَمَّا عَنْ مَوَاضِعِهِ فعلى ما فسّرنا من ازالته عن مواضعه التي أَوْجبت حكمة الله وضعَه فيها بما اقتضتْ شهواتهم من ابدال غيره مكانه و أَمَّا مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ فامعنى انه كانت له مواضعُ هو قَمِنٌ بانْ يكون فيها فحين حرّفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مراغمه و مقارة

وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ

و المعنيان متقاربان - و قرئ يُحَرِّفُونَ الْكَلَامَ و الْكِلَامَ بكسر الكاف و سكون اللام جمع كِلمة تخفيف كَلِمة « قولهم [غَيْرَ مُسْمَعٍ] حال من المخاطب اى اسمعْ وانت غيرُ مسمع وهو قولٌ ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منّا مدعوًّا عليك بلا سمعتَ لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يَسْمع فكان اصمّ غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعتَ دعوةٌ مستجابة - او اسمع غيرَ مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيأ - او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فَسُمْعك عنه ناب - و يجوز على هذا ان يكون غَيْرَ مُسْمَعٍ مفعول اِسْمَعْ اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لانّ اُذنك لا تعيه نبوًّا عنه - و يحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اَسْمَعَ فلان فلانا اذا سبّه و كذلك قولهم [رَاعِنَا] يحتمل راعنا بكلامك اي اُرْعُبْنا و انتظرْنا - و يحتمل شبّه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابّون بها و هي راعينا فكانوا سخرية بالدين و هزؤًا برسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يكلمونه بكلام محتمل يذوون به الشتيمة والاهانة و يظهرون به التوقير و الاكرام [لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ] فتلا بها و تحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون رَاعِنَا موضع اُنْظرنا و غَيْرَ مُسْمَعٍ موضع لا اُسْمِعتَ مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا - فان قلت كيف جازًا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرّحوا وقالوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا - قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر و العصيان و لا يواجهونه بالسبّ و دعاء السوء - و يجوز ان يقولوه فيما بينهم - و يجوز ان لا ينطقوا بذلك و لكنهم لما لم يؤمنوا به جُعلوا كانهم نطقوا به - و قرأ ابيّ وَ اَنْظِرْنَا من الانظار و هو الامهال - فان قلت الام يرجع الضمير في قوله تعالى لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ - قلت الى اَنهم قالوا الان المعنى و لو ثبت قولهم [سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا] - [لَكَانَ] قولهم ذلك [خَيْرًا لَّهُمْ وَاَقْوَمَ] و اعدل و اسدّ [وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ] اي خذلهم بسبب كفرهم و ابعدهم عن الطافه [فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا] ايمانا [قَلِيلًا] اي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به و هو ايمانهم بمن خالفهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله « ع « قليل التسكّي للمُهِمّ يُصيبه « اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد آمنوا [اَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا] اي نمحو تخطيط صُوَرها من عين و حاجب و انف و فم [فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا] فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها و الفاء للتسبيب و ان جعلتها للتعقيب على انهم تُوعّدوا بعقابين احدهما عقيب الاخر ردّها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فنكسها الوجوهُ الى خلف و الاقفاءُ الى قدام - و وجهٌ اخر وهو ان يراد بالطمس القلب و التغيير كما طَمس اموال القبط فقلبها حجارة و بالوجوه رؤسهم و وجهاؤهم اي من قبل ان نغيّر احوال وُجهائهم فنسلبهم اقبالهم و وجاهتهم و نكسوهم صغارهم و ادبارهم - او نردهم

كَمَا لَعَنَّا أَصْحٰبَ السَّبْتِ ط وَكَانَ أَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُولًا ۝ إِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهٖ وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ
يَّشَآءُ ج وَمَنْ يُّشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدِ افْتَرٰٓى إِثْمًا عَظِيْمًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ يُزَكُّوْنَ أَنْفُسَهُمْ ط بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّيْ مَنْ
يَّشَآءُ وَلَا يُظْلَمُوْنَ فَتِيْلًا ۝ أُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُوْنَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ ط وَكَفٰى بِهٖٓ إِثْمًا مُّبِيْنًا ۝ ع أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ أُوْتُوْا

الى حيث جاءوا منه وهي اذرعات الشام - يريد اجلاء بني النضير - فان قلت لمن الراجع في قوله أَوْ نَلْعَنَهُمْ - قلت للوجوه ان اريد الوجهاء اوالاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم - او يرجع الى الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتٰبَ على طريقة الالتفات [أَوْ نَلْعَنَهُمْ] او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا [أَصْحٰبَ السَّبْتِ] - فان قلت فاين وقوع الوعيد - قلت هو مشروط بالايمان وقد أمن منهم ناس - وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيمة وان الله اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذٰلِكَ مَثُوْبَةً عِنْدَ اللّٰهِ مَنْ لَّعَنَهُ اللّٰهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيْرَ وَكَانَ أَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُوْلًا] فلابد ان يقع احد الامرين ان لم تؤمنوا - فان قلت قد ثبت ان الله عز وعلا يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله [إِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُّشْرَكَ بِهٖ وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ] - قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله لِمَنْ يَّشَآءُ كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير ليبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله [فَقَدِ افْتَرٰٓى إِثْمًا] اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه [الَّذِيْنَ يُزَكُّوْنَ أَنْفُسَهُمْ] اليهود والنصارى قالوا نَحْنُ أَبْنٰٓؤُا اللّٰهِ وَأَحِبَّآؤُهٗ - وقالوا لَنْ يَّدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوْدًا أَوْ نَصٰرٰى - وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله - فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والله اني لَأَمِيْنٌ في السماء امينٌ في الارض - قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذاباً لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان مَن شهد الله له بالتزكية ومَن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم [بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّيْ مَنْ يَّشَآءُ] اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية - ومعنى يُزَكِّيْ مَنْ يَّشَآءُ يزكي المرتضين من عباده الذين عُرف منهم الزكاء فوصفهم به [وَلَا يُظْلَمُوْنَ] اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم - او من يشاء

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ٤

نَصِيبًا مِّنَ الْكِتٰبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰٓؤُلَآءِ أَهْدٰى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝
أُولٰٓئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ
النَّاسَ نَقِيرًا ۝ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلٰى مَآ ءَاتٰىهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرٰهِيمَ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ
وَءَاتَيْنٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفٰى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

يتابون على زكاتهم و لا ينقص من ثوابهم و نحوه فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ [كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ] في زعمهم انهم عند الله ازكياء [وَكَفَىٰ] بزعمهم هذا [إِثْمًا مُّبِينًا] من بين سائر اثامهم [الْجِبْتِ] الاصنام و كل ما عُبد من دون الله [و الطاغوتُ] الشيطان و ذلك ان حُيَيّ بن اخطب و كعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يخالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فقالوا انتم اهل كتاب و انتم اقربُ الى مُحَمَّد منكم الينا فَلَا نَامَنُ مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت و الطاغوت لانهم سجدوا للاصنام و اطاعوا ابليس فيما فعلوا - و قال ابو سفيان أنحن اهدى سبيلا ام مُحَمَّد فقال كعب ماذا يقول مُحَمَّد قالوا يامر بعبادة الله وحده و ينهى عن الشرك قال و ما دينكم قالوا نحن وُلاة البيت نسقى الحاجّ و نقرى الضيف و نفكّ العاني و ذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا * وصف اليهودَ بالبخل و الحسد و هما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة و يتمنون ان يكون لهم نعمةُ غيرهم فقال [أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ] على ان أَمْ منقطعة و معنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال [فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ] اي لوكان لهم نصيب من الملك فاذن لايؤتون احدا مقدارَ نقير لفرط بخلهم - و [النقيرُ] النُّقْرة في ظهر النواة و هو مثل في القلة كالفتيل و القطمير * و المرادُ بالملك اما ملك اهل الدنيا و اما ملك الله كقوله تعالى قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ و هذا اوصفُ لهم بالشحّ و احسن لطباقه نظيرَه من القرآن - و يجوز ان يكون معنى الهمزة في أَمْ لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك و كانوا اصحاب اموال و بساتين و قصور مشيدة كما تكون احوال الملوك و انهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيأ - و قرأ ابن مسعود فَإِذَنْ لَا يُؤْتُوا على اعمال اذنْ عملَها الذي هو النصب و هي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن [أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ] بل اتحسدون رسولَ الله صلى الله عليه و آله و سلم والمؤمنين على انكار الحسد و استقباحه و كانوا يحسدونهم [عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ] من النصرة و الغلبة و ازدياد العزّ و التقدم كل يوم [فَقَدْ آتَيْنَا] الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتابَ و الحكمةَ [آلَ إِبْرَاهِيمَ] الذين هم أسلاف مُحَمَّد صلى الله عليه و آله وسلم و انه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه - و عن ابن عباس رضي الله عنه الملك في آل ابراهيم ملك يوسف و داؤد و سليمان عليهم السلام - و قيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسعَ و قد كان لداؤد مائة و لسليمان ثلثمائة سرية و سبعمائة سرية [فَمِنْهُم] فمن اليهود

بِاٰيٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيْهِمْ نَارًا ؕ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُوْدُهُمْ بَدَّلْنٰهُمْ جُلُوْدًا غَيْرَهَا لِيَذُوْقُوا الْعَذَابَ ؕ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ
عَزِيْزًا حَكِيْمًا ۝ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَآ
اَبَدًا ؕ لَهُمْ فِيْهَآ اَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَّنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيْلًا ۝ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تُؤَدُّوا الْاَمٰنٰتِ اِلٰٓى اَهْلِهَا ۙ وَاِذَا
حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ اَنْ تَحْكُمُوْا بِالْعَدْلِ ؕ اِنَّ اللّٰهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهٖ ؕ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ سَمِيْعًا بَصِيْرًا ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ

[مَنْ اٰمَنَ بِهٖ] اي بما ذكر من حديث آل ابراهيم [وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ] و انكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و منهم من انكر نبوته - او من آل ابراهيم مَنْ آمن بابراهيم و منهم مَنْ كفر كقوله تعالى فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَّكَثِيْرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُوْنَ [بَدَّلْنٰهُمْ جُلُوْدًا غَيْرَهَا] ابدلناهم اياها - فان قلت كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلودٌ لم تعص - قلت العذاب للجملة الحساسة و هي التي عصت لا للجلد - و عن فُضَيْل يجعل النضيجُ غيرَ نضيجٍ - و عن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم تُبدّل جلودهم كل يوم سبع مرات - و عن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس [لِيَذُوْقُوا الْعَذَابَ] ليدوم لهم ذوقه و لا ينقطع كقولك للعزيز اعزّك الله اي ادامك على عزّك و زادك فيه * [عَزِيْزًا] لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين [حَكِيْمًا] لا يعذّب الا بعدل مَن يستحقه [ظَلِيل] صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليلٌ اَلْيَلُ و يومٌ اَيْوَمُ و ما اشبه ذلك و هو ما كان نَيْئًا لا نُضْج فيه و دائما لا تنسخه الشمسُ و سجسجاً لا حرّ فيه و لا برد و ليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل - و في قراءة عبد الله سَيُدْخِلُهُمْ بالياء [اَنْ تُؤَدُّوا الْاَمٰنٰتِ] الخطاب عام لكل احد في كل امانة - و قيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار و كان سادن الكعبة و ذلك ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمانُ باب الكعبة و صعد السطح و ابى ان يدفع المفتاحَ اليه و قال لو علمتُ انه رسول الله لم امنعه فلوى عليٌّ بن ابي طالب رضي الله عنه يدَه و اخذه منه و فتح و دخل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يُعطيه المفتاحَ و يجمع له السقاية و السدانة فنزلتْ فامر عليًا ان يرده الى عثمان و يعتذر اليه فقال عثمان لعليّ رضي الله عنه اكرهتَ و أذيتَ ثم جئتَ ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرانا و قرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله و ان محمدا رسولُ الله فهبط جبرئيل عليه السلام واخبر رسولَ الله صلى الله عليه و آله وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا - و قيل هو خطاب للوُلاة باداء الامانات و الحكم بالعدل - و قرئ الْاَمَانَةَ على التوحيد [نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهٖ] مَا امّا ان تكون منصوبة موصوفة بِيَعِظُكُمْ بِهٖ و امّا ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيأ يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به و المخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك و هو المامور به من اداء الامانات و العدل في الحكم - و قرئ نَعِمَّا بفتح النون - لمّا امر الولاةَ باداء الامانات الى اهلها و ان يحكموا بالعدل امر الناسَ بان يطيعوهم و يغزلوا على قضاياهم * و المراد [بِاُولِي الْاَمْرِ] اُمَرَاء الحق لان امراء الجور اللهُ و رسولُه بريّان

سورة النساء ٤ أٰمَنُوٓا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۚ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُولِ
الجزء ٥ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ ع أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ
ع ٥ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۖ وَيُرِيدُ

منهم فلا يعطفون على الله و رسوله في وجوب الطاعة لهم و انما يجمع بين الله و رسوله و الامراء الموافقين لهما في ايثار العدل و اختيار الحق و الامر بهما و النهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين - و من تبعهم باحسان و كان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلتُ فيكم فان خالفتُ فلا طاعة لي عليكم - و عن ابي حازم ان مَسْلمة بن عبد الملك قال له اَلَسْتم اُمرتم بطاعتنا في قوله وَ اُولِي الْاَمْرِ مِنْكُمْ قال اليس قد نُزعتْ عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِيْ شَيْءٍ فَرُدُّوْهُ اِلَى اللّٰهِ وَ الرَّسُوْلِ - وقيل هم امراء السرايا - و عن النبيّ صلّى الله عليه و اٰله وسلّم من اطاعني فقد اطاع الله و من عصاني فقد عصى الله و من يُطعْ اميري فقد اطاعني و من يعصِ اميري فقد عصاني - و قيل هم العلماء الدِّيّنون الذين يُعلّمون الناس الدينَ و يامرونهم بالمعروف و ينهونهم عن المنكر [فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِيْ شَيْءٍ] فان اختلفتم انتم و اولوا الامر منكم في شيء من امور الدين [فَرُدُّوْهُ اِلَى اللّٰهِ و رسوله] اي ارجعوا فيه الى الكتاب و السنة و كيف تلزم طاعة امراء الجور وقد جنّح الله الامرَ بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك و هو ان اَمَرَهم اولاً باداء الامانات و بالعدل في الحكم و امَرَهم اٰخراً بالرجوع الى الكتاب و السنة فيما اشكل و امراء الجور لا يؤدون امانةً و لا يحكمون بعدل و لا يردون شيأ الى كتاب و لا الى سنّة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبتْ بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله و رسوله و احق اسمائهم اللصوص المتغلّبة [ذٰلِكَ] اشارة الى الردّ اي الردّ الى الكتاب و السنة [خَيْرٌ] لكم و اصلح [وَ اَحْسَنُ تَاْوِيْلًا] و احسن عاقبة - و قيل اَحْسَنُ تَاْوِيْلًا من تاويلكم انتم * روي ان بشرا المنافقَ خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبيّ صلّى الله عليه و اٰله وسلّم و دعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرضَ المنافق و قال تعالَ نتحاكم الى عمر بن الخطّاب فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لنا رسولُ الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى بَرَدَ ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله و رسوله فنزلتْ و قال جبرئيل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق و الباطل فقال له رسول الله انت الفاروقُ [و الطاغوت] كعب بن الاشرف سمّاه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان و عداوة رسول الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم او على التشبيه بالشيطان و التسمية باسمه او جُعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله [وَقَدْ اُمِرُوْا اَنْ يَّكْفُرُوْا بِهٖ وَيُرِيْدُ الشَّيْطٰنُ اَنْ يُّضِلَّهُمْ] و قرئ بِمَا اُنْزِلَ وَمَا اُنْزِلَ على البناء للفاعل - و قرأ عباس بن الفضل اَنْ يَّكْفُرُوْا بِهَا ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوْتُ يُخْرِجُوْنَهُمْ * وقرأ الحسن

الشَّيْطٰنُ اَنْ يُّضِلَّهُمْ ضَلٰلًا بَعِيْدًا ۝ وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اِلٰى مَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ وَاِلَى الرَّسُوْلِ رَاَيْتَ الْمُنٰفِقِيْنَ يَصُدُّوْنَ
عَنْكَ صُدُوْدًا ۝ فَكَيْفَ اِذَآ اَصَابَتْهُمْ مُّصِيْبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْهِمْ ثُمَّ جَآءُوْكَ يَحْلِفُوْنَ بِاللّٰهِ اِنْ اَرَدْنَآ
اِلَّآ اِحْسَانًا وَّتَوْفِيْقًا ۝ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ يَعْلَمُ اللّٰهُ مَا فِيْ قُلُوْبِهِمْ ۖ فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَّهُمْ فِيْٓ اَنْفُسِهِمْ
قَوْلًا بَلِيْغًا ۝ وَمَآ اَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا لِيُطَاعَ بِاِذْنِ اللّٰهِ ۭ وَلَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَّلَمُوْٓا اَنْفُسَهُمْ جَآءُوْكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّٰهَ

تَعَالَوْا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليتُ تخفيفا كما قالوا ما باليتُ به بالة و اصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في اية ان اصلها اُيِيَةٌ فاعلة فحذفت اللام فلما حذف اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعالى فضمّتْ فصار تعالَوْا نحو تقدّموا و منه قول اهل مكة تعالِيْ بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني * ع * تعالي اُقاسمْكِ الهمومَ تعالي * و الوجه فتح اللام [فَكَيْفَ] تكون حالهم و كيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يُصْدرون امراً و لا يُوْردونه [اِذَآ اَصَابَتْهُمْ مُّصِيْبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْهِمْ] من التحاكم الى غيرك و اتهامهم لك في الحكم [ثُمَّ جَآءُوْكَ] حين يُصابون فيعتذرون اليك و [يَحْلِفُوْنَ] ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك [اِلَّآ اِحْسَانًا] لا اساءة [وَّتَوْفِيْقًا] بين الخصمين و لم نُرد مخالفة لك و لا تسخطا لحكمك ففرّجْ عنا بدعائك و هذا وعيد لهم على فعلهم و انهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم و لا يُغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله - و قيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه و قد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يُحْسن الى صاحبنا بحكومة العدل و التوفيق بينه و بين خصمه و ما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به [فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ] لا تُعاقبْهم لمصلحة في استبقائهم و لا تزد على كفّهم بالموعظة و النصيحة عما هم عليه [وَقُلْ لَّهُمْ فِيْٓ اَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيْغًا] بالغْ في وعظهم بالتخويف والانذار - فان قلت بم تعلق قوله فِيْٓ اَنْفُسِهِمْ - قلت بقوله بَلِيْغًا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم موثّرا في قلوبهم يغتمّون به اغتماما و يستشعرون منه الخوف استشعارا و هو التوعد بالقتل و الاستيصال ان نجم منهم النفاق و اطلع قرنه و اخبرْهم ان ما في نفوسهم من الدغل و النفاق معلوم عند الله و انه لا فرق بينكم و بين المشركين و ما هذه المكانة الا لاظهاركم الايمان و اسراركم الكفر و اضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف - او يتعلق بقوله قُلْ لَّهُمْ اي قُلْ لَهُمْ في معنى انفسهم الخبيثة و قلوبهم المطوية على النفاق قَوْلًا بَلِيْغًا و ان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم و طهّروا قلوبكم و داووها من مرض النفاق و الا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من النقمة و شرا من ذلك و اغلظ - او قُلْ لَهُمْ في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسرّا لهم بالنصيحة انما في السرّ انجح و في الامحاض ادخل قَوْلًا بَلِيْغًا يبلغ منهم و يوثّر فيهم [وَمَآ اَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُوْلٍ] و ما ارسلنا رسولا قط [اِلَّا لِيُطَاعَ بِاِذْنِ اللّٰهِ] بسبب اذن الله في طاعته و بانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه و يتبعوه لانه مودّ عن الله فطاعته طاعة الله و معصيته معصية الله و من يُطع الرسول فقد اطاع الله - و يجوز ان يراد

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ٥

وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ

بتيسير الله و توفيقه في طاعته [وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ] بالتحاكم الى الطاغوت [جَاءُوكَ] تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوه [فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ] من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك بردّ قضائك حتى انتصبتَ شفيعا لهم الى الله و مستغفرا [لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا] لعلموه تَوَّابًا اي لتاب عليهم و لم يُقَل و استغفرت لهم و عُدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و تعظيما لاستغفاره و تنبيها على ان شفاعة مَنْ اسمه الرسول من الله بمكان [فَلَا وَرَبِّكَ] معناه فوربك كقوله فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم [وَلَا يُؤْمِنُونَ] جواب القسم - فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتُظاهر لا في لَا يُؤْمِنُونَ - قلت يابى ذلك استواء النفي و الاثبات فيه و ذلك قوله فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ [فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ] فيما اختلف بينهم واختلط و منه الشجر لتداخل اغصانه [حَرَجًا] ضيقا اي لا تضيق صدورهم من حكمك - و قيل شكًّا لان الشاكّ في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين [وَيُسَلِّمُوا] و ينقادوا و يذعنوا لما تاتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك سلّم لامر الله و أسلم له و حقيقته سلّم نفسه له و اسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة و [تَسْلِيمًا] تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل و ينقادوا لحكمه انقيادًا لا شبهة فيه بظاهرهم و باطنهم - قيل نزلت في شان المنافق و اليهودي - و قيل نزلت في شان الزبير و حاطب بن ابي بلتعة و ذلك انهما اختصما الى رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم في شراج من الحرّة كانا يسقيان بها النخل فقال اسقِ يا زبير ثم أرسِل الماء الى جارك فغضب حاطبٌ وقال ان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم قال اسقِ يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر و استوف حقك ثم أرسله الى جارك كان قد اشار على الزبير برأي فيه السعة له و لخصمه فلما أحفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتّهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى عليه السلام فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شمّاس اما و الله ان الله يعلم مني الصدق لو امرني محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ان اقتل نفسي لقتلتها - و روي انه قال ذلك ثابت و ابن مسعود و عمار بن ياسر فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم و الذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمانُ اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي - و روي عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه انه قال و الله لو امرنا ربنا لفعلنا و الحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شان حاطب و نزلت في شان هؤلاء [وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ] اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او

أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ۝ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ

خروجهم من ديارهم حين استُتيبوا من عبادة العجل [مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا] ناس [قَلِيلٌ مِّنْهُمْ] و هذا توبيخ عظيم و ارفعُ على البدل من الواو في فَعَلُوهُ - و قرئ إِلَّا قَلِيلًا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا [مَا يُوعَظُونَ بِهِ] من اتباع رسول الله و طاعته و الانقياد لما يراه و يحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى [لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ] في عاجلهم و اجلهم [وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا] لايمانهم و ابعد من الاضطراب فيه [وَإِذًا] جواب لسوال مقدر كانه قيل و ماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل و اذن لو ثبتوا [لَآتَيْنَاهُمْ] لان إِذَنْ جواب و جزاء [مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا] كقوله تعالى وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميتُه اجرا لانه تابع للاجر لايثبت الا بثباته [وَلَهَدَيْنَاهُمْ] و لَلَطَفْنا بهم و وفقناهم لازدياد الخيرات - [الصديقون] افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه و صدقوا في اقوالهم و افعالهم و هذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وُعدوا مرافقة اقرب عباد الله الى الله و ارفعهم درجات عنده [وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا] فيه معنى التعجب كانه قيل و ما احسن اولئك رفيقا و لاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وَحَسْنَ بسكون السين يقول المتعجب حَسُنَ الوجهُ وجهُك و حُسْنَ الوجهُ وحِسْنُك بالفتح و الضم مع التسكين [وَالرَّفِيق] كالصَّدِيق و الخليط في استواء الواحد و الجمع فيه - و يجوز ان يكون مفردا بُنِّي به الجنس في باب التمييز - و روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم كان شديدَ الحُبِّ لرسول الله صلى الله عليه و اله وسلم قليلَ الصبر عنه فاتاه يوما و قد تغير وجهه و نحل جسمه و عُرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقتُ اليك و استوحشتُ وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفتُ ان لا اراك هناك لاني عرفت انك تُرفع مع النبيين و ان أُدخلتُ الجنة كنتُ في منزل دون منزلك و ان لم أُدخل فذاك حينٌ لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه و اله وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احبَّ اليه من نفسه و ابويه و اهله و ولده و الناس اجمعين - و حكي ذلك عن جماعة من الصحابة * [ذَٰلِكَ] مبتدأ و [الْفَضْلُ] صفته و [مِنَ اللَّهِ] الخبر - و يجوز ان يكون ذَٰلِكَ مبتدأ و الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ خبره - و المعنى ان ما أُعطي المطيعون من الاجر العظيم و مرافقة المنعم عليهم من الله انما تفضَّلَ به عليهم تبعا لثوابهم [وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا] بجزاء مَنْ اطاعه - او اراد ان فضل المنعم عليهم و مزيّتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه و توفيقه وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم [خُذُوا حِذْرَكُمْ] الحِذْر و الحَذَر بمعنًى كالاثْر و الأَثَر يقال اخذ حِذره اذا تيقظ و

لَيُبَطِّئَنَّ ج فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ۝ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللّٰهِ
لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يٰلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ الَّذِينَ
يَشْرُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ط وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝
وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا

احترزَ من المخوف كانه جعل الحَذَرَ آلته التي يقي بها نفسه و يعصم بها روحه - و المعنى احذَرُوا و احترزُوا من العدو و لا تمكنوه من انفسكم [فَانْفِرُوا] اذا نفرتم الى العدو امّا [ثُبَات] جماعات متفرقة سرّية بعد سرية و امّا [جَمِيعًا] اي مجتمعين كوكبة واحدة و لا تتخاذلوا فتُلقوا بانفسكم الى التهلكة - و قرئ فَانْفُرُوا بضم الفاء * اللام في [لَمَنْ] للابتداء بمنزلتها في قوله إِنَّ اللّٰهَ لَغَفُورٌ و في [لَيُبَطِّئَنَّ] جواب قسم محذوف تقديره و ان منكم لمن أُقْسِمُ بالله لَيُبَطِّئَنَّ و القسم وجوابه صلةُ مَنْ و الضمير الراجع منها اليه ما استكنّ في لَيُبَطِّئَنَّ - و الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و المبطّئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا - و معنى لَيُبَطِّئَنَّ ليتثاقلنّ و ليتخلّفنّ عن الجهاد و بطّأ بمعنى ابطأ كعَتَمَ بمعنى أَعْتَمَ اذا ابطأ - و قرئ لَيُبْطِئَنَّ بالتخفيف يقال بطّأ عليّ فلان و ابطأ عليّ و بَطُؤَ نحو ثَقُلَ و يقال ما بطأ بك فيعدّى بالباء - و يجوز ان يكون منقولا من بَطُؤَ نحو ثَقُلَ من ثُقِّل فيراد ليبطّئن غيره و ليثبّطنه عن الغزو و كان هذا دَيْدَن المنافق عبد الله بن ابيّ و هو الذي ثبّط الناسَ يوم أُحد [فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ] من قتل او هزيمة * [فَضْلٌ مِنَ اللّٰهِ] من فتح او غنيمة [لَيَقُولَنَّ] - و قرأ الحسن لَيَقُولُنَّ بضم اللام اعادة للضمير الى معنى مَنْ لان قوله لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ في معنى الجماعة و قوله [كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ] اعتراض بين الفعل الذي هو لَيَقُولَنَّ و بين مفعوله و هو يٰلَيْتَنِي - و المعنى كَأَنْ لم يتقدم له معكم مُوادّة لان المنافقين كانوا يوادّون المؤمنين و يصادقونهم في الظاهر و ان كانوا يبغون لهم الغوائلَ في الباطن و الظاهرُ انه تهكّمٌ لانهم كانوا اعدى عدوّ للمؤمنين و اشدّهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودّة الا على وجه العكس تهكما بحالهم * و قرئ فَأَفُوزُ بالرفع عطفا على كُنْتُ مَعَهُمْ ليلتئم الكونُ معهم و الفوزُ معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا - و يجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز في ذاك الوقت [يَشْرُونَ] بمعنى يشترون و يبيعون قال ابن مفرّغ * شعر * و شريتُ بُرْدًا ليتني * من بعد بُرْدٍ كنتُ هامة * فالذين يشترون الحيوة الدنيا بالآخرة هم المبطّئون وُعظوا بان يغيّروا ما بهم من النفاق و يخلصوا الايمان بالله و رسوله و يجاهدوا في سبيل الله حقّ الجهاد و الذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبّون الآجلة على العاجلة و يستبدلونها بها - و المعنى ان صدّ الذين مرضت قلوبهم و ضعفت نيّاتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون - و وعد المقاتلَ في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاءَ الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله [وَالْمُسْتَضْعَفِينَ] فيه وجهان - أن يكون مجرورا عطفا على سَبِيلِ اللّٰهِ اي في سبيل الله و في خلاص

مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ اَهْلُهَا ۚ وَ اجْعَلْ لَّنَا مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَّ اجْعَلْ لَّنَا مِنْ لَّدُنْكَ نَصِيْرًا ۝ اَلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ۚ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ الطَّاغُوْتِ فَقَاتِلُوْٓا اَوْلِيَآءَ الشَّيْطٰنِ ۚ اِنَّ كَيْدَ الشَّيْطٰنِ كَانَ ضَعِيْفًا ۝ ع اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ قِيْلَ لَهُمْ كُفُّوْٓا اَيْدِيَكُمْ وَ اَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَ اٰتُوا الزَّكٰوةَ ۚ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ اِذَا فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّٰهِ اَوْ اَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوْا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا

المستضعفين - و منصوبا على الاختصاص يعني و اَخُصُّ من سبيل الله خلاصَ المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير و خلاصُ المستضعفين من المسلمين من ايدى الكفار من اعظم الخير واخصّه - و المستضعفون هم الذين اسلموا بمكة و صدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلّين مستضعفين يَلْقون منهم الاذى الشديد فكانوا يدعون الله بالخلاص و يستنصرونه فيسّر الله لبعضهم الخُروجَ الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خيرَ وليّ و ناصر و هو مُحَمَّد صلّى الله عليه و آله و سلّم فتولّاهم احسن التولي و نصرهم اقوى النصر و لمّا خرج استعمل على اهل مكة عتّابَ بن أسيْد فرأوا هذه الولاية و النصرة كما ارادوا - قال ابن عباس رضي الله عنه كان يذصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعزّبها من الظلمة - فان قلت لم ذكر الوِلْدان - قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الوِلْدانَ غيرَ المكلفين ارغاما لآبائهم و امّهاتهم و مُبْغضةٌ لهم لمكانهم و لان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس و كما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء - و عن ابن عباس رضي الله عنهما كنتُ انا و امّي من المستضعفين من النساء و الوِلْدان - و يجوز ان يراد بالرجال و النساء الاحرارُ والمحرائرُ و بالولدان العبيدُ و الأماءُ لان العبد و الامة يقال لهما الوليدُ و الوليدةُ - و قيل للوِلْدان و الوُلْدِ الوِلْدانُ لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء و الاخوة - فان قلت لم ذكر الظالم و موصوفه مونث - قلت هو وصف للقرية الا انه مُسْنَد الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها و ذكّر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلُها و لو انّث فقيل الظالمة اهلُها لجاز لا لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكّر و يونّث - فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلُها - قلت نعم كما تقول التي ظَلَموا اهلُها على لغة من يقول اكلوني البراغيثُ و منه وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا * رغّب الله المؤمنين ترغيبا وشجّعهم تشجيعا باخبارهم انهم انّما [يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ] فهو وليّهم و ناصرهم و اعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا وليّ لهم الا الشيطان و كيدُ الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه [كُفُّوْٓا اَيْدِيَكُمْ] اي كفّوها عن القتال و ذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة و كانوا يتمنّون ان يوذن لهم فيه [فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ] بالمدينة كَعَّ فريق منهم لا شكّا في الدين و لا رغبةً عنه و لكن نفورا عن الاخطار بالارواح و خوفا من الموت [كَخَشْيَةِ اللّٰهِ] من اضافة المصدر الى المفعول - فان قلت ما محل كَخَشْيَةِ اللّٰهِ من الاعراب - قلت محله النصب

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ٧

الْقِتَالَ ۚ لَوْلَآ اَخَّرْتَنَآ اِلٰٓى اَجَلٍ قَرِيْبٍ ؕ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ ؕ وَالْاٰخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقٰى قف وَلَا
تُظْلَمُوْنَ فَتِيْلًا ۝ اَيْنَ مَا تَكُوْنُوْا يُدْرِكْكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِيْ بُرُوْجٍ مُّشَيَّدَةٍ ؕ وَاِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَّقُوْلُوْا هٰذِهٖ
مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ ۚ وَاِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَّقُوْلُوْا هٰذِهٖ مِنْ عِنْدِكَ ؕ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ ؕ فَمَالِ هٰٓؤُلَآءِ الْقَوْمِ

على الحال من الضمير في يَخْشَوْنَ اي يَخْشَوْنَ الناسَ مثل اهل خشية الله اي مُشْبهين لاهل خشية الله [اَوْ اَشَدَّ خَشْيَةً] بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله و اَشَدَّ معطوف على الحال - فان قلت لم عدلتَ عن الظاهر و هو كونه صفة للمصدر ولَمْ تُقَدَّرْ يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يُخْشى اللّٰهُ - قلت ابى ذلك قولُه اَوْ اَشَدَّ خَشْيَةً لانه و ما عطف عليه في حكم واحد و لو قلت يخشون الناسَ اشدّ خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق و لم ينتصب انتصابَ المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشدّ خشية فتنصب خشية و انت تريد المصدر انما تقول اشدّ خشيةٍ فتجرّها و اذا نصبتها لم تكن اشدّ خشيةً الّا عبارة عن الفاعل حالا منه اللّٰهم الا ان تجعل الخشية خاشية و ذات خشية على قولهم جدّ جَدُّه فتزعم ان معناه يخشون الناس خشيةً مثل خشية الله او خشية اشدّ خشيةً من خشية الله - و يجوز على هذا ان يكون محل اَشَدَّ مجرورا عطفًا على خَشْيَةِ اللّٰهِ تريد كخشيةِ الله او كخشيةٍ اشدّ خشيةً منها [لَوْلَآ اَخَّرْتَنَآ اِلٰٓى اَجَلٍ قَرِيْبٍ] استزادة في مدة الكفّ و استمهال الى وقت اٰخر كقوله لَوْلَآ اَخَّرْتَنِيْ اِلٰٓى اَجَلٍ قَرِيْبٍ فَاَصَّدَّقَ [وَلَا تُظْلَمُوْنَ فَتِيْلًا] ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاقّ القتال فلا ترغبوا عنه - و قرئ وَلَا يُظْلَمُوْنَ بالياء • قرئ يُدْرِكُكُمْ بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموتُ وشُبّه بقول القائل • ع • من يفعل الحسناتِ اللّٰهُ يشكرها • و يجوز ان يقال حُمل على ما يقع موقع اَيْنَ مَا تَكُوْنُوْا و هو اَيْنَ مَا كُنْتُمْ كما حمل و لا ناعبٍ على ما يقع موقع ليسوا مصلحين و هو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول • ع • لا غائبٌ مالي و لا حرم • و هو قولٌ نحويّ سيبويّ - و يجوز ان يتصل بقوله وَلَا تُظْلَمُوْنَ فَتِيْلًا اي ولا تُنقصون شيأً مما كتب من آجالكم اَيْنَ مَا تَكُوْنُوْا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدأ قوله يُدْرِكْكُّمُ الْمَوْتُ [وَلَوْ كُنْتُمْ فِيْ بُرُوْجٍ مُّشَيَّدَةٍ] والوقف على هذا الوجه على اَيْنَ مَا تَكُوْنُوْا - و البروجُ الحصون - مُشَيَّدَةٍ مرفّعة - و قرئ مَشِيْدَةٍ من شاد القصرَ اذا رفعه او طلاه بالشِّيد و هو الجصّ - و قرأ نُعَيْم بن ميسرة مُشَيِّدَةٍ بكسر الياء و صفًا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قيصدةٌ شاعرةٌ و انما الشاعر قارضها [السيئة] تقع على البلية و المعصية و الحسنةُ على النعمة و الطاعة قال الله تعالى وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّاٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ و قال اِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّاٰتِ - والمعنى و ان تصبهم نعمة من خِصب و رخاء نسبوها الى الله و ان تصبهم بلية من قحط و شدة اضافوها اليك و قالوا هي من عندك و ما كانت الا بشومك كما حكى الله عن قوم موسى عليه السلام وَاِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَّطَّيَّرُوْا بِمُوْسٰى وَمَنْ مَّعَهٗ - و عن قوم صالح قَالُوْا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَّعَكَ - و روي عن اليهود لُعنتْ انها تشاءمتْ برسول الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم فقالوا

لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ز وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ط وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ط وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ج وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ز فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ط وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ج فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ط وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ط وَلَوْ كَانَ

منذ دخل المدينة نقصت ثمارها و غلت اسعارها فرد الله عليهم [قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] يبسط الارزاق و يقبضها على حسب المصالح [لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا] فيعلموا ان الله هو الباسط القابض و كل ذلك صادر عن حكمة و صواب ثم قال [مَا أَصَابَكَ] يا انسان خطاباً عاماً [مِنْ حَسَنَةٍ] اي من نعمة و احسان [فَمِنَ اللَّهِ] تفضلا منه و احسانا و امتنانا و امتحانا [وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ] اي من بلية و مصيبة [فَمِنْ عِنْدِكَ] لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وَمَا أَصَابَكَ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ - و عن عايشة رضي الله عنها ما من مسلم يُصيبه وَصَبٌ و لا نَصَبٌ حتى الشوكةُ يُشاكها و حتى انقطاعُ شِسع نعله الا بذنب و ما يعفو الله اكثرُ [وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا] اي رسولا للناس جميعا لستَ برسول العرب وحدهم انت رسول العرب و العجم كقوله وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ - قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا [وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا] على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك و اتباعك [مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ] لانه لا يامر الا بما امر الله به و لا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما أمر به و الانتهاء عما نهى عنه طاعةً لله - و روي انه قال من احبني فقد احبَّ اللهَ و من اطاعني فقد اطاع اللهَ فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشركَ و هو ينهى ان يُعبد غيرُ الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربّا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت [وَمَنْ تَوَلَّى] عن الطاعة فاعرض عنه [فَمَا أَرْسَلْنَاكَ] الا نذيرا لا [حَفِيظًا] و مُهَيْمِنا عليهم تَحفظ عليهم اعمالَهم و تُحاسبهم عليها و تُعاقبهم كقوله وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ [وَيَقُولُونَ] اذا امرتهم بشيء [طَاعَةٌ] بالرفع اي أمرنا و شاننا طاعة - و يجوز النصب بمعنى اطعناك طاعةً و هذا من قول المرتسم سمعًا و طاعةً و سمعٌ و طاعةٌ و نحوه قول سيبويه و سمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحتَ فيقول حمدُ الله و ثناءٌ عليه كانه قال امري و شاني حمدُ الله و لو نصب حمدَ الله و ثناءً عليه كان على الفعل و الرفعُ يدل على ثبات الطاعة و استقرارها [بَيَّتَ طَائِفَةٌ] زورت طائفةٌ و سوّت [غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ] خلافَ ما قلتَ و ما امرتَ به او خلافَ ما قالتْ و ما ضمنتْ من الطاعة لانهم ابطنوا الردَّ لا القبولَ و العصيانَ لا الطاعةَ و انما يُنافقون بما يقولون و يُظهرون - و التبييتُ إمّا من البيتوتة لانه قضاء الامر و تدبيره بالليل يقال هذا امر بُيّت بليل و امّا من ابيات الشعر لان الشاعر يدبّرها و يسوّيها [وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ] - يُثبته في صحائف اعمالهم و يجازيهم عليه على سبيل الوعيد - او يكتبه في جملة ما يوحي اليك فيُطلعك على اسرارهم فلا تحسبوا ان ابطانهم يُغني

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ٧

مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّٰهِ لَوَجَدُوْا فِيْهِ اخْتِلَافًا كَثِيْرًا ۝ وَاِذَا جَآءَهُمْ اَمْرٌ مِّنَ الْاَمْنِ اَوِ الْخَوْفِ اَذَاعُوْا بِهٖ ؕ وَلَوْ رَدُّوْهُ
اِلَى الرَّسُوْلِ وَاِلٰٓى اُولِى الْاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِيْنَ يَسْتَنْبِطُوْنَهٗ مِنْهُمْ ؕ وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهٗ

عنهم [فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ] ولا تُحدّث نفسك بالانتقام منهم [وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ] في شانهم فان الله يكفيك معرّتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعزّ انصاره - وقرئ بَيَّتْ طَّائِفَةٌ بالادغام - وتذكيرُ الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج * تدبُّر الامر تامّله والنظر في اَدْباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبّر القرآن تامُّل معانيه وتبصُّر ما فيه [لَوَجَدُوْا فِيْهِ اخْتِلَافًا كَثِيْرًا] لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حدَّ الاعجاز وبعضه قاصرًا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبرَ عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالّا على معنًى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالّا على معنًى فاسد غير ملتئم فلمّا تجاوبَ كله بلاغةً معجزةً فائتةً لقوى البلغاء وتناصرَ صحةَ معانٍ وصدْقَ اخبار عُلم انه ليس الّا من عند قادرٍ على ما لا يقدر عليه غيرُه عالمٍ بما لا يعلمه احد سواه - فان قلت اليس نحو قوله تعالى فَاِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِيْنٌ كَاَنَّهَا جَانٌّ - فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ اَجْمَعِيْنَ - فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهٖ اِنْسٌ وَّلَا جَانٌّ من الاختلاف - قلت ليس باختلاف عند المتدبّرين * [هُمْ] ناس من ضَعَفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خِبْرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من امن وسلامة او خوف وخلل [اَذَاعُوْا بِهٖ] وكانت اذاعتهم مفسدة [وَلَوْ رَدُّوْا] ذلك الخبرَ [الى رسول الله وَاِلٰى اُولِى الْاَمْرِ] وهم كُبّار الصحابة البُصَراءُ بالامور او الذين كانوا يؤمّرون منهم [لَعَلِمَهُ] لَعلِمَ تدبيرَ ما اَخْبروا به [الَّذِيْنَ يَسْتَنْبِطُوْنَهٗ] الذين يستخرجون تدبيره بفِطَنهم وتَجارِبهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها - وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واولى الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيُذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداءَ فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردّوه الى الرسول والى اولى الامر وفوّضوه اليهم وكانوا كَاَنْ لم يسمعوا لَعَلِمَ الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبّرونه وما يأتون ويذرون فيه - وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيأ من الخبر عن السرايا مظنونا غيرَ معلوم الصحة فيُذيعونه فيعود ذلك وبالًا على المؤمنين ولو ردّوه الى الرسول والى اولى الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلمَ هل هو مما يذاع او لا يذاع لَعَلِمَهُ الَّذِيْنَ يَسْتَنْبِطُوْنَهٗ مِنْهُمْ لَعلِم صحتَه وهل هو مما يُذاع او لا يذاع هؤلاء المُذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اي يتلقّونه منهم ويَسْتخرجون علمَه من جهتهم يقال اذاع السرَّ واذاع به قال * شعر * اذاع به في الناس حتى كانه * بعَلْياء نارٌ اُوقدتْ بتَقُوْبِ * ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعةَ وهو ابلغ من اَذَاعوه - وقرئ لَعَلْمَهُ باسكان اللام كقوله * شعر * كما ضَجَرَ بازلٌ * من الاُدْم دَبَّرتْ صفحتاه وغاربُه * والنبطُ الماءُ يخرج من البير اولَ ما تُحْفر وانباطهُ

لَا تَّبَعْتُمُ الشَّيْطٰنَ اِلَّا قَلِيْلًا ۝ فَقَاتِلْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ۚ لَا تُكَلَّفُ اِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِيْنَ ۚ عَسَى اللّٰهُ اَنْ
يَّكُفَّ بَاْسَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ۭ وَاللّٰهُ اَشَدُّ بَاْسًا وَّاَشَدُّ تَنْكِيْلًا ۝ مَنْ يَّشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَّكُنْ لَّهٗ نَصِيْبٌ مِّنْهَا ۚ
وَمَنْ يَّشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَّكُنْ لَّهٗ كِفْلٌ مِّنْهَا ۭ وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيْتًا ۝ وَاِذَا حُيِّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ

واستنباطهُ اخراجهُ واستخراجهُ فاستعير لما يَستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يُعْضِل ويُهِمّ [وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهٗ] وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيقُ [لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطٰنَ] لبقيتُمْ على الكفر [اِلَّا قَلِيْلًا] منكم او الّا اتّباعا قليلا * لمّا ذكر في الآي قبلها تثبُّطَهم عن القتال واظهارَهم الطاعةَ واضمارَهم خلافَها قال [فَقَاتِلْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ] ان افردوك وتركوك وحدك [لَا تُكَلَّفُ اِلَّا نَفْسَكَ] غيرَ نفسك وحدها اَنْ تُقدّمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنودُ فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوفُ - وقيل دعا الناسَ في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفين واعد رسولَ اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم اللقاءَ فيها فكرهَ بعضُ الناس ان يخرجوا فنزلتْ فخرج وما معه الّا سبعون لم يَلْوِ على احد ولو لم يَتْبعه احد لخرج وحده - وقرئ لَا تُكَلَّفْ بالجزم على النهي - ولَا نُكَلِّفُ بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسَك وحدها [وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِيْنَ] وما عليك في شانهم الّا التحريض فحسب لا التعنيف بهم [عَسَى اللّٰهُ اَنْ يَّكُفَّ بَاْسَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا] وهم قريش وقد كَفّ بأسهم فقد بدأ لابيّ سفين وقال هذا عام مُجْدِب وما كان معهم زادٌ الا السويق ولا يُلْقون الّا في عام مُخْصِب فرجع بهم [وَاللّٰهُ اَشَدُّ بَاْسًا] من قريش [وَاَشَدُّ تَنْكِيْلًا] تعذيبا * [الشفاعة الحسنة] هي التي روعي بها حق مسلم ودُفع بها عنه شرا وجُلب اليه خير وابتُغي بها وجهُ الله ولم توخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حدّ من حدود الله ولا في حق من الحقوق [والسيئة] ما كان بخلاف ذلك - وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوعُ له جاريةً فغضب وردّها وقال لو علمتُ ما في قلبك لما تكلّمتُ في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها - وقيل الشفاعة الحسنة هي الدَّعْوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله - وعن النبيّ صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استُجيب له وقال له المَلَك ولك مثل ذلك فذلك النصيبُ والدعوةُ على المسلم بضد ذلك [مُقِيْتًا] شهيدا حفيظا - وقيل مقتدرا واقاتَ على الشيء - قال الزُّبَيْر بن عبد المُطّلب * شعر * وذي ضِغْن كففتُ السوءَ عنه * وكنتُ على اساءته مُقيتا * - وقال السَّمَوْءَلُ * شعر * اَلِيَ الفضلُ ام عليّ اذا حُوسبتُ اني على الحساب مُقيتُ * واشتقاقهُ من القُوْت لانه يُمْسك النفس ويحفظها * [الاحسن مِنْهَا] اَنْ تقول وعليكم السلامُ ورحمةُ الله اذا قال السلامُ عليكم واَنْ تزيد وبركاتُه اذا قال ورحمة الله - وروي ان رجلا قال لرسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم السلامُ عليك فقال وعليك السلامُ ورحمةُ الله - وقال آخر السلامُ عليك ورحمةُ الله فقال وعليك السلامُ ورحمةُ الله وبركاتُه - وقال آخر السلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاتُه فقال وعليك فقال الرجل

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ٨ النصف

فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ۗ

نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددتُ عليك مثله [أَوْ رُدُّوهَا] او اجيبوها بمثلها و ردّ السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلّم ويكرّرُه و جواب التسليمة واجب والتخييرُ انما وقع بين الزيادة و تركها - وعن ابي يوسف من قال لاخر اقرئ فلانا السلامَ وجب عليه ان يفعل - و عن النخعي السلام سنة و الرد فريضة - وعن ابن عباس الردّ واجب و ما من رجل يمرّ على قوم مسلمين فيسلّم عليهم و لا يردّون عليه الا نُزع عنهم روح القدس وَرَدّت عليه الملائكة - و لا يُردّ السلامُ في الخطبة و قراءة القرآن جهرا و رواية الحديث و عند مذاكرة العلم و الأذان و الاقامة - وعن ابي يوسف لا يسلّم على لاعب النرد و الشطرنج و المغنّي و القاعد لحاجته و مُطيّر الحمام و العاري من غير عذر في حمّام او غيره - و ذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على الطهارة - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم انه تيمّم لرد السلام - قالوا و يسلّم الرجل اذا دخل على امرأته و لا يسلّم على اجنبية و يسلّم الماشي على القاعد و الراكبُ على الماشي وراكبُ الفرس على راكب الحمار و الصغيرُ على الكبير و الاقلّ على الاكثر و اذا التقيا ابتدرا - وعن ابي حنيفة رحمه الله لا يجهر بالردّ يعني الجهر الكثير - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم اذا سلّم عليكم اهلُ الكتاب فقولوا و عليكم اي و عليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السامُ عليكم - و روي لاتبدئ اليهوديَّ بالسلام و ان بدأك فقل و عليك - وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر و عليك السلام و لا تقل و رحمة الله فانها استغفار - و عن الشعبي انه قال لنصراني سلّم عليه و عليك السلامُ ورحمةُ الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش - وقد رخّص بعض العلماء في ان يُبدأ اهلُ الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثةٌ تُحوج اليهم - و روي ذلك عن النخعي - و عن ابي حنيفة لاتبدأه بسلام في كتاب ولا غيره - و عن ابي يوسف لا تسلّم عليهم و لا تصافحهم و اذا دخلتَ فقل السلام على من اتبع الهدى و لا بأس بالدعاء له بما يُصلحه في دنياه [عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا] اي محاسبكم على كل شيء من التحية و غيرها [لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] اما خبر للمبتدأ و اما اعتراض و الخبر لَيَجْمَعَنَّكُمْ و معناه اللهُ و الله [لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ] اي ليحشرنكم اليه و القيامةُ و القيام كالطلابة و الطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا] لانه عزّ و علا صادق لا يجوز عليه الكذب و ذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه و هو قبحه و وجهُ قبحه الذي هو كونه كذبا و اخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمَنْ كذبَ لم يكذب الّا لانه محتاج الى ان يكذب ليجرّ منفعة او يدفع مضرة او هو غنيّ عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو مغفلٌ لا يفرّق بين الصدق و الكذب في اخباره ولا يبالي بايّهما نطق و ربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق - و عن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال له لو غرغرتَ

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ٨

أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ط وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ
سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ع فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ

لمواثيقك به ما فارقته - و قيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا تجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح [فِئَتَيْنِ] نصب على الحال كقولك مالك قائما - روي ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار و قال بعضهم هم مسلمون - و قيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم انا على دينك و ما اخرجنا الا اجتواء المدينة و الاشتياق الى بلدنا - و قيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم يوم احد ثم رجعوا - و قيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح و قتلوا يسارا - و قيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة - و معناه مالكم اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا و تفرقتم فيه فرقتين و مالكم لم تبتوا القول بكفرهم [وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ] اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا [بِمَا كَسَبُوا] من ارتدادهم و لحوقهم بالمشركين و احتيالهم على رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم - او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم [أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا] ان تجعلوا من جملة المهتدين [مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ] من جعله من جملة الضلال و حكم عليه بذلك - او خذله حتى ضل - و قرئ رَكَسَهُمْ - وَ رُكِسُوا فِيهَا *[فَتَكُونُونَ] عطف على تَكْفُرُونَ و لو نصب على جواب التمني لجاز - و المعنى ودوا كفركم فكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال و اتباع دين الآباء فلا تتولوهم و ان أمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله و رسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء و لا تعرب [فَإِنْ تَوَلَّوْا] عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل و الحرم و جانبوهم مجانبة كلية و ان بذلوا لكم الولاية و النصرة فلا تقبلوا منهم [إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ] استثناء من قوله فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ - و معنى يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ ينتهون اليهم و يتصلون بهم - و عن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان و اتصلت به اذا انتميت اليه - و قيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم بمن معه مَنْ هو من انسبائهم - و القوم هم الاسلميون كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم عهد و ذلك انه وادع و قت خروجه الى مكة هلال بن عويمر السلمي على ان لا يعينه و لا يعين عليه و على ان من وصل الى هلال و لجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال - و قيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح [أَوْ جَاءُوكُمْ] لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ٩

أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ط وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ج فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ
السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ط كُلَّمَا رُدُّوا
إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ج فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَقِفْتُمُوهُمْ ط وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۝ ع وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ج وَمَنْ

او قوم مُمْسكين عن القتال لا لكم و لا عليكم - او على صلة الَّذِينَ كانه قيل الّا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجهُ العطفُ على الصلة لقوله فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا بعد قوله فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ فتقرّر انّ كفّهم عن اقتال احد سببَيْ استحقاقهم لنفي التعرض عنهم و ترك الايقاع بهم - فان قلت كلواحد من الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء و استحقاق ازالة التعرض الاتصالُ بالمعاهدين و الاتصالُ بالمكافّين لان الاتصال بهؤلاء او بهؤلاء دخولٌ في حكمهم فهلّا جوّزت ان يكون العطف على صفة قَوْمٌ ويكون قوله فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ تقريرًا لحكم اتصالهم بالمكافّين و اختلاطهم بهم و جريهم على سننهم - قلت هو جائز و لكن الاول اظهر و اجرى على اسلوب الكلام - وفي قراءة ابيّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ [جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ] بغير او و وجهه ان يكون جَاءُوكُمْ بيانا ليَصِلُونَ او بدلا او استينافا او صفة بعد صفة لقوم - حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ في موضع الحال باضمار قد - و الدليل عليه قراءة من قرأ حَصِرَةً صُدُورُهُمْ - و حَصِرَاتٍ صُدُورُهُمْ - و حَاصِرَاتٍ صُدُورُهُمْ - و جعله المبرّد صفة لموصوف محذوف على او جاءوكم قوما حصرت صدورهم - و قيل هو بيان لمجاءُوكُمْ و هم بنو مُدْلِج جاءوا رسولَ اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم غيرَ مقاتلين - و الحصر الضيق و الانقباض [أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ] عن ان يقاتلوكم - او كراهةَ ان يقاتلوكم - فان قلت كيف يجوز ان يسلّط اللّٰهُ الكفرةَ على المؤمنين - قلت ما كانت مكافّتهم الا لقذف اللّٰه الرعبَ في قلوبهم و لو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء و نحوه لم يقذفه فكانوا متسلّطين مقاتلين غير مكافّين فذلك معنى التسليط - و قرئ لَقَاتَلُوكُمْ بالتخفيف و التشديد [فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ] فان لم يتعرضوا لكم [وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ] اي الانقيادَ و الاستسلامَ - وقرئ بسكون اللام مع فتح السين [فَمَا جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا] فما اذن لكم في اخذهم وقتالهم [سَتَجِدُونَ آخَرِينَ] هم قوم من اسد و غطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا و عاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا و نكسوا عهودهم [كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ] كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين [أُرْكِسُوا فِيهَا] قُلبوا فيها اقبحَ قلب و اشنعه و كانوا شرًّا فيها من كل عدوّ [حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ] حيث تمكّنتم منهم [سُلْطَانًا مُبِينًا] - حجّة و ضحة لظهور عداوتهم و انكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام - او تسلّطا ظاهرا من حيث اذنّا لكم في قتالهم [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ] و ما صحّ له و لا استقام و لا لاق بحاله كقوله تعالى وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ - وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ [أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا] لقتلٍ غيرَ قصاص [إِلَّا خَطَأً] الا على وجه الخطا - فان قلت بم انتصب خَطَأً - قلت بانه مفعول له اي

قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ط فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ

ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده - و يجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطأ - و ان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ - و المعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم - و قرئ خَطَاءً بالمد وخَطًا بوزن عَمًى بتخفيف الهمزة - و روي ان عَيَّاش بن ابي ربيعة و كان اخا ابي جهل لامه اسلمَ وهاجرَ خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم فاقسمت امه لا تاكل و لا تشرب و لا يُؤْويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي أُنَيْسَة فاتياه وهو في أُطُم فنزلا منه ابوجهل فى الذروة و الغارب و قال اليس مُحَمَّد يحثك على صلة الرحم انصرف و برَّ امَّك و انت على دينك حتى نرل وذهب معهما فلما نسحا عن المدينة كتفاه و جَلَده كلواحد مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمَنْ انت يا حارث لله عليّ إنْ وجدتك خاليا أنْ اقتلك و قدما به على امه فحلفتْ لا يُحَل كتافه او يرتدَّ ففعل ثم هاجر بعد ذلك و اسلم الحارثُ و هاجرَ فلقيه عَيَّاش بظهر قُباء و لم يشعُرْ باسلامه فَنَحى عليه فقتله ثم أُخْبر باسلامه فاتى رسولَ الله صلى الله عليه واله وسلم فقال قتلتُه و لم اشعُرْ باسلامه فنزلت [فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ] فعليه تحريرُ رقبة و التحريرُ الاعتاق و الحرُّ و العتيقُ الكريم لان الكرم فى الاحرار كما ان اللوم فى العبيد و منه عِتاق الخيل و عِتاق الطير لكرامها وحرُّ الوجه اكرم موضع منه و قولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل - و الرقبة عبارة عن النَّسَمة كما عُبّر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق - و المرادُ بِرَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء - و عن الحسن لا تُجْزي الا رقبة قد صلّتْ و صامتْ و لا تُجْزى الصغيرة و قاسَ عليها الشافعيّ رحمه الله كفارةَ الظهار فاشترط الايمانَ - و قيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يُدْخِل نفسا مثلَها في جملة الاحرار ان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قِبَل ان الرقيق ممنوع عن تصرف الاحرار [مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ] مودّاة الى وَرَثَته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها و بين سائر التركة في كل شيء يُقْضى منها الدين و ينفذ الوصية و اذا لم يُبْق وارثا فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الوَرَثة كما قال رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم انا وارثُ من لا وارث له - و عن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها عن عَقْله فقال لا اعلم لك شيأ انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابيُّ فقال كتب اليّ رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم يامرني ان أُوَرث امرأة اشيمَ الضبابيّ من عَقْل زوجها اشيمَ فورثها عمرُ و عن ابن مسعود رضي الله عنه يرث كل وارث من الدية غيرُ القاتل - و عن شريك لا يقضى من الدية دَيْن و لا تنفذ وصية - و عن ربيعة الغُرّة لامّ الجنين وحدها و ذلك خلاف قول الجماعة - فان فات على

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَن يَقْتُلْ

من تجب الرقبة و الدية - قلت على القاتل الا ان الرقبةَ في ماله و الديةَ يتحمّلها عنه العاقلةُ فان لم تكن له عاقلةٌ فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله [إِلَّا أَنْ يَّصَّدَّقُوا] الا ان يتصدقوا عليه بالدية و معناه العفو لقوله إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ و نحوه وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ - و عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كل معروف صدقة - و قرأ أُبَيّ إِلَّا أَنْ يَّتَصَدَّقُوا - فان قلت بم تعلق أَنْ يَّصَّدَّقُوا و ما محلّه - قلت تعلق بعَلَيْهِ اوبمُسَلَّمَةٌ كانه قيل و يجب عليه الدية او يسلّمها الا حين يتصدقون عليه و محلّها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلسْ ما دام زيد جالسا - و يجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين [مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ] من قوم كُفّارٍ اهل حرب و ذلك نحو رجل اسلم في قومه الكُفّارِ و هو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفّارةُ اذا قتله خطأ و ليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كُفّار محاربون - و قيل كان الرجلُ يُسْلم ثم ياتي قومَه و هم مشركين فيغزوهم جيشُ المسلمين فيُقتل فيهم خطأً لانهم يظنونه كافرا مثلَهم [وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ] كَفَرَةٍ لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين و اهلِ الذمة من الكتابيين فحكمُه حكم مسلم من المسلمين [فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ] رقبةً بمعنى لم يملكها و لا مايتوصل به اليها فعليه صيام [شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ] قبولا من الله و رحمة منه من تاب اللّهُ عليه اذا قبل توبتَه يعني شُرع ذلك توبةً منه او نَقلكم من الرقبة الى الصوم توبةً منه * هذه الآية فيها من التهديد و الايعاد و الإنذار و الارعاد امرٌ عظيم و خطبٌ غليظ و من ثَمّه روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة - و عن سفيان كان اهل العلم اذا سُئلوا قالوا لا توبة له و ذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ و التشديد و الا فكل ذنب ممحوّ بالتوبة و ناهيك بمحو الشرك دليلا - و في الحديث زَوالُ الدنيا اهونُ على الله من قتل امرئ مسلم - و فيه لو ان رجلا قُتل بالمشرق و آخر رضي بالمغرب لَاُشْرِكَ في دمه - و فيه ان هذا الانسانَ بنيان الله ملعون مَنْ هدم بنيانَه - و فيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوبٌ بين عينيه اٰيسٌ من رحمة الله - و العجب من قوم يقرؤن هذه الآية و يَرَوْن ما فيها و يسمعون هذه الاحاديثَ الفظيعةَ و قولَ ابن عباس مع التوبة ثم لا تدعُهم اشعبيّتهم و طماعيّتهم الفارغةُ و اتباعهم هواهم و ما يُخيّل اليهم مُناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة اَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْاٰنَ اَمْ عَلٰى قُلُوْبٍ اَقْفَالُهَا - ثم ذكر الله سبحانه التوبةَ في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط و التحفّظ فيه حسمٌ للاطماع و ايّ حسم و لكن لا حيلة لمن تُمادي - فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتُبْ من اهل الكبائر - قلت ما ابين الدليلَ فيها و هو تناولُ قوله وَ مَنْ يَّقْتُلْ ايّ قاتلٍ كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ٩

مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا
إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقٰٓى إِلَيْكُمُ السَّلٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ۚ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيٰوةِ
الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّٰهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۭ كَذٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۭ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ۝ لَا يَسْتَوِي الْقٰعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۭ

الا انّ التائب اخرجه الدليلُ ممن ادّعى اخراجَ المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله [فَتَبَيَّنُوا] وقرئ فَتَثَبَّتُوا وهما من التفعّل بمعنى الاستعفال اي اطلبوا بيان الامر و ثباتَه و لا تتهوّكوا فيه من غير رويّة. و قرئ السَّلَمَ و السِّلْمَ وهما الاستسلام - وقيل الاسلام - وقيل التسليم الذي هو تحيّة اهل الاسلام [لَسْتَ مُؤْمِنًا] و قرئ مُؤْمَنًا بفتح الميم من امنه اي لا نُؤمنك و اصله ان مِرْداس بن نَهِيك رجلا من اهل فدك أَسْلَمَ و لم يُسْلم من قومه غيرُه غزتهم سريّة لرسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم كان عليها غالب بن فُضالة اللَّيثيُّ فهربوا و بقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيلَ ألجأ غنمَه الى عاقول من الجبل و صعدَ فلما تلاحقوا وكبّروا كبّر و نزل و قال لا اله الّا الله مُحَمَّد رسولُ الله السلامُ عليكم فقتله أُسامة بن زيد و استاق غنمَه فاخبروا رسولَ الله صلّى الله عليه و اله وسلّم فوجد وجدا شديدا و قال قتلتموه ارادةَ ماسعه ثم قرأ الآية على أُسامةَ فقال يا رسول الله استغفرلي قال فكيف بلا اله الّا الله قال أُسامةُ فما زال يُعيدها حتى وددتُ انّ لم اكن اسلمتُ الّا يومئذ ثم استغفرَلي و قال اَعتِقْ رقبةً [تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا] تطلبون الغنيمة التي هي حطامٌ سريعُ النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبّت و قلة البحث عن حال مَنْ تقتلونه [فَعِنْدَ اللّٰهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ] يُغنمكموها تُغنيكم عن قتل رجلٍ يظهر الاسلامَ و يتعوّذ به من التعرّض له فاخذوا ماله [كَذٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ] اول ما دخلتم في الاسلام سُمعتْ من افواهكم كلمةُ الشهادة فحُصنتْ دماؤكم و اموالُكم من غير انتظار الاطّلاع على مواطاة قلوبكم لألسنتكم [فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ] بالاستقامة و الاشتهار بالايمان و التقدّم فيه و انْ صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فُعل بكم و انْ تعتبروا ظاهرَ الاسلام في المكافّة و لا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النيّة فتجعلوه سُلّما الى استباحة دمه و ماله وقد حرّمهما الله. و قوله [فَتَبَيَّنُوا] تكرير للامر بالتبيّن ليبوّب عليهم [إِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] فلا تتهافتوا في القتل و كونوا محترزين محتاطين في ذلك [غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ] قرئ بالحركات الثلاث فالرفعُ صفة للقاعدون و النصبُ استثناء منهم او حال عنهم و الجرُّ صفة للمؤمنين - والضرر المرضُ او العاهةُ من عمًى او عرج او زمانة او نحوها - و عن زيد بن ثابت كنتُ الى جنب رسول الله صلّى الله عليه و اله وسلّم فغشيتْه السكينةُ فوقعتْ فخذُه على فخذي حتى خشيتُ ان ترضّها ثم سُرّي عنه فقال اكتبْ فكتبتُ في كتف لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فقال ابن ام مكتوم و كان اعمى يا رسولَ الله و كيف بمن لا يستطيع الجهادَ من المؤمنين فغشيتْه السكينةُ كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأتُ

سورة النساء ٤ فَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجٰهِدِيْنَ بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقٰعِدِيْنَ دَرَجَةً ؕ وَكُلًّا وَّعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنٰى ؕ وَفَضَّلَ اللّٰهُ
الجزء ٥ الْمُجٰهِدِيْنَ عَلَى الْقٰعِدِيْنَ اَجْرًا عَظِيْمًا ۝ دَرَجٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَّرَحْمَةً ؕ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا ۝ اِنَّ
ع ١٠ الَّذِيْنَ تَوَفّٰىهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ ظَالِمِيْٓ اَنْفُسِهِمْ قَالُوْا فِيْمَ كُنْتُمْ ؕ قَالُوْا كُنَّا مُسْتَضْعَفِيْنَ فِى الْاَرْضِ ؕ قَالُوْٓا اَلَمْ تَكُنْ اَرْضُ اللّٰهِ

لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ فقال غَيْرُ اُولِى الضَّرَرِ قال زيد ارلها الله وحدها فاحققها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى مُلْحَقِها عند صدع فى الكتف - وعن ابن عباس لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُوْنَ عن بدر والخارجون اليها - وعن مقاتل الى تبوك - فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهدَ لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء - قلت معناه الانكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبَوْنِ البعيد ليانف القاعدُ ويترفّع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتزّ للجهاد ويرغب فيه وفى ارتفاع طبقته ونحوُه هَلْ يَسْتَوِى الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَالَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ اُرِيدَ به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب به الى التعلّم ولينهض بنفسه عن ضَعَة الجهل الى شرف العلم [فَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجٰهِدِيْنَ] جملة مُوضحة لما نُفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيبَ بذلك - والمعنى على القاعدين غيرُ اولى الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتصمّنة لهذا الوصف [وَكُلًّا] وكلّ فريق من القاعدين والمجاهدين [وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنٰى] اي المثوبةَ الحسنى وهي الجنّة وان كان المجاهدون مفضّلين على القاعدين درجة - وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لقد خلّفتم بالمدينة اقواماً ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحّت نياتُهم ونصحت جُيوبُهم وكانت انفُدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره - فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضّلين درجةً ومفضّلين درجاتٍ فمَنْ هم - قلت اما المفضّلون درجةً واحدةً فهم الذين فُضّلوا على القاعدين الاَضرّاء واما المفضّلون درجاتٍ فالذين فُضّلوا على القاعدين الذين اَذن لهم فى التخلّف اكتفاءً بغيرهم لان الغزو فرض كفاية - فان قلت لم نصب دَرَجَةً و اَجْرًا و دَرَجٰتٍ - قلت نُصب قوله دَرَجَةً لوقوعها موقع المرّة من التفضيل كانه قيل فضّلهم تفضيلة واحدة - و نظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة - واما اَجْرًا فقد انتصب بفَضَّلَ لانه في معنى اَجَرهم اَجرًا - و دَرَجٰتٍ و مَغْفِرَةً و رَحْمَةً بدل من اَجْرًا - ويجوز ان ينتصب دَرَجٰتٍ نصبَ دَرَجَةً كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضّلهم تفضيلات - و نُصب اَجْرًا عَظِيْمًا على انه حال عن النكرة التي هي دَرَجٰتٍ مقدّمةً عليها وانتصب مَغْفِرَةً و رَحْمَةً باضمار فعلهما بمعنى وغفرلهم و رحمهم مغفرةً و رحمةً [تَوَفّٰىهُمُ] - يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ تَوَفّتْهُمْ - ومضارعا بمعنى تتوفّاهم كقراءة من قرأ تُوَفّيهم على مضارع وُفّيتُ بمعنى ان الله يُوفّى الملائكةَ انفسَهم ليتوفّونها اي يُمكّنهم من استيفائها فيستوفونها [ظَالِمِيْٓ اَنْفُسِهِمْ] في حال ظلمهم انفسَهم [قَالُوْا] قال الملائكة للمتوفّين [فِيْمَ كُنْتُمْ] في اىّ شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكّة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضةً - فان قلت كيف صح

وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ سورة النساء ٤
وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا الجزء ٥
غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ع ١٠

و نوع قوله [كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ] جوابا عن قولهم فِيمَ كُنْتُمْ و كان حق الجواب ان يقولوا كُنَّا في كذا او لم نكن في شيء - قلت معنى فِيمَ كُنْتُمْ التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة و لم يهاجروا فقالوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ اعتذارا مما وُبِّخوا به و اعتلالا بالاستضعاف و انهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم [أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا] اراد وا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تُمنعون فيها من اظهار دينكم و من الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب و العوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او عَلِمَ انه في غير بلده اقوم بحق الله و ادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة - و عن النبي صلى الله عليه و اله وسلم من فرّ بدينه من ارض الى ارض و ان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة و كان رفيق ابيه ابراهيم و نبيه محمد صلى الله عليه و اله و سلم اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير و درك المرجو من فضلك و المبتغى من رحمتك و صل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة * ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم و عجزهم و لا معرفة لهم بالمسالك - و روي ان رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم بعث بهذه الاية الى مسلمي مكة فقال جُنْدب بن ضَمْرة او ضَمْرة بن جُنْدب لبنيه احملوني فاني لستُ من المستضعفين و اني لاهتدي الطريق و الله لا ابيتُ الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة و كان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم - فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال و النساء لو استطاعوا حيلة و اهتدوا سبيلا - قلت الرجال و النساء قد يكونون مستطيعين مهتدين و قد لا يكونون كذلك و اما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال و النساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال - و يجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال و النساء فيلحقوا بهم في التكليف و ان اريد العبيد و الاماء فلا سؤال - فان قلت الجملة التي هي لَا يَسْتَطِيعُونَ ما موقعها - قلت هي صفة للمُسْتَضْعَفِينَ او للرجال و النساء و الولدان و انما جاز ذلك و الجُمَل نكرات لان الموصوف و ان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله * ع * و لقد امرّ على اللئيم يسبني - فان قلت لم قيل عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ بكلمة الطماع - قلت للدلالة

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ١١

إِلَى اللّٰهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ ط وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ ع وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلٰوةِ ج إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ط إِنَّ الْكٰفِرِينَ

على ان ترك الهجرة امر مُضيَّق لا توسعة فيه حتى ان المضطرّ البيّنَ الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره [مُرٰغَمًا] مهاجرا و طريقا يراغم بسلوكه قومَه اي يفارقهم على رغم انوفهم و الرغم الذلّ و الهوان و اصله لصوق الانف بالرَغام و هو التراب يقال راغمتُ الرجلَ اذا فارقتَه و هو يكره مفارقتك لمذلّة تلحقه بذلك قال النابغة الجعديّ * شعر * كطود يُلاذ بأركانه * عزيز المُراغَم و المذهب * و قرئ مَرْغَمًا * وقرئ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف - وقبل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله * ع * مِن عَنَزِيّ سَنَّني لم اضرِبْهُ * و قرئ يُدْرِكَهُ بالنصب على اضمار أن كقوله * ع * وألْحَقَ بالحجاز فأستريحا * [فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ] فقد وجب ثوابه عليه و حقيقةُ الوجوب الوقوعُ و السقوط فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا - و وجبت الشمس سقط قرصها - و المعنى فقد عَلِم الله كيف يُثيبه و ذلك واجب عليه - و روي في قصة جندب بن ضَمْرة انه لما ادركه الموتُ اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللّٰهم هذه لك و هذه لرسولك أُبايعك على ما بايَعَك عليه رسولُك فمات حميدا فبلغ خبره اصحابَ رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم فقالوا لو تُوفّي بالمدينة لكان اتمّ اجرا و قال المشركون و هم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت - و قالوا كل هجرة لغرض دينيّ من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يَزداد فيه طاعةً او قناعة و زهدا في الدنيا او ابتغاءَ رزق طيّب فهي هجرة الى الله و رسوله و ان ادركه الموت في طريقه فأجْرُه واقع على الله * [الضرب] في الارض هو السفر و ادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصرُ عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرةُ ثلثة ايام وليالِيهن سيرَ الابل و مشيَ الاقدام على القصد و لا اعتبار بابطاء الضارب و اسراعه فلو سار مسيرةَ ثلثة ايام وليالِيهن في يوم قصرَ و لو سار مسيرةَ يوم في ثلثة ايام لم يقصُرْ - و عند الشافعيّ ادنى مدة السفر اربعةُ بُرُد مسيرةُ يومين و قوله [فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلٰوةِ] ظاهرُه التخييرُ بين القصر و الاتمام و ان الاتمام افضَلُ و الى التخيير ذهب الشافعيّ رحمه الله - و روي عن النبيّ صلّى الله عليه و اله و سلّم انه اتمّ في السفر - و عن عايشة رضي الله عنها اعتمرتُ مع رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم من المدينة الى مكّة حتى اذا قدمتُ مكة قلتُ يا رسولَ الله بابي انتَ و امّي قصرتُ و اتممتُ و صمتُ و افطرتَ فقال احسنتِ يا عايشةُ و ما عاب عليّ - و كان عثمان رضي الله عنه يُتِمّ و يَقصر - و عند ابي حنيفة القصرُ في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره - و عن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمامٌ غير قصر على لسان نبيّكم - و عن عايشة رضي الله عنها اولَ ما فُرِضَتِ الصلوة فُرِضَتْ ركعتين ركعتين فأُقِرّتْ في السفر و زِيدتْ في الحضر - فان قلت فما تصنع بقوله فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا - قلت كانهم آلفوا الاتمامَ

كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلٰوةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَّرَائِكُمْ ۖ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرٰى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۚ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَّاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ١٢

فكانوا مَظِنّة لان يَخْطُر ببالهم انّ عليهم نقصانا فى القصر فنُفي عنهم الجُناح لتطييبَ انفسهم بالقصر و يطمئنُّوا اليه - و قرئ تُقْصِرُوا من أقصر و جاء فى الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها - وقرأ الزُهْرِيّ تُقَصِّرُوا بالتشديد و القصرُ ثابت بنصّ الكتاب في حال الخوف خاصّةً و هو قوله تعالى [إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَّفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا] و امّا في حال الامن فبالسنّة - و في قراءة عبد الله مِنَ الصَّلٰوةِ أَنْ يَّفْتِنَكُمْ ليس فيها إِنْ خِفْتُمْ على انه مفعول له بمعنى كراهةَ ان يفتنكم و المرادُ بالفتنة القتالُ و التعرّضُ بما يكره [وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلٰوةَ] يتعلّق بظاهره مَنْ لا يرى صلوةَ الخوف بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حيث شُرط كونه فيهم و قال من رأها بعده إن الائمة نُوّاب عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في كل عصر قُوّام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضرَ الجماعة في حال الخوف عليه ان يؤمّهم كما أمّ رسولُ الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الجماعاتِ التي كان يحضرها - و الضمير في فِيهِمْ للحائفين [فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ] فاجعلهم طائفتين فلتقمْ احداهما معك فصلّ بهم [وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ] الضمير اما للمصلين و اما لغيرهم - فان كان للمصلين فقالوا ياخذون من السلاح ما لايشغلهم عن الصلوة كالسيف و الخنجر و نحوهما - و ان كان لغيرهم فلا كلام فيه [فَإِذَا سَجَدُوا] اي الذين سجدوا مع الامام [فَلْيَكُونُوا] يعني غير المصلين [مِنْ وَّرَائِكُمْ] يحرسونكم - و صفةُ صلوة الخوف عند ابي حنيفة ان يصلّي الامامُ باحدى الطائفتين ركعةً ان كانت الصلوة ركعتين و الاخرى بازاء العدوّ ثم تنفتل هذه بازاء العدوّ و تاتيَ الاخرى فيصلّي بها ركعةً و يُتمّ صلوتَه ثم تنفتل هذه بازاء العدوّ و تاتيَ الاولى فتُؤدّيَ الركعة بغير قراءة و تُتمّ صلوتَها ثم تحرسَ و تاتيَ الاخرى فتؤدّيَ الركعةَ بقراءة و تُتمّ صلوتَها [و السجود] على ظاهره عند ابي حنيفة - و عند مالك بمعنى الصلوة لان الامام يصلّي عنده بطائفة ركعةً و يقفُ قائما حتى تُتمّ صلوتَها و تسلّم و تذهب ثم يصلّي بالثانية ركعةً و يقف قاعدا حتى تُتمّ صلوتَها و يسلّم بهم و يعضده [وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرٰى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ] - وقرئ وَأَمْتِعَاتِكُمْ - فان قلتَ كيف جُمع بين الاسلحة و بين الحذر فى الاخذ - قلتُ جعل الحذر و هو التحرّز و التيقّظ آلةً يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه و بين الاسلحة فى الاخذ و جُعلا ماخوذين و نحوه قوله وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ جُعل الايمان مستقرًّا لهم و متبوّأً لتمكّنهم فيه فلذلك جمع بينه و بين الدار فى التبوّء [فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ] فيشدّون عليكم شدةً واحدةً * و رُخّص لهم في وضع الاسلحة ان ثقُلَ عليهم حملُها بسبب ما يبلّهم من مطر او يُضعفهم من مرض و امرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيَهجُمَ عليهم

عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ط إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابًا مُهِينًا ۝ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ج فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا
الصَّلَوٰةَ ج إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ۝ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ط إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ
فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ج وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ط وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ ع إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

العدوّ - فان قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله [إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا] - قلت الامر بالحذر
من العدوّ يوهم توقّع غلبته و اعتزازه فنُفي عنهم ذلك ايذانا باخبارهم ان الله يُعين عدوّهم و يَخذله و ينصرهم
عليه لتقوى قلوبهم و ليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك و انما هو تعبّد من الله كما قال تعالى وَلَا
تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ [فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ] فاذا صلّيتم في حال الخوف و القتال [فَاذْكُرُوا اللَّهَ] فصلّوها
[قِيَامًا] مُسايفين و مُقارعين [وَقُعُودًا] جاثين على الرُّكَب مُرامين [وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ] مُثخنين بالجراح
[فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ] حين تضع الحرب اوزارها و امنتم [فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ] فاقضوا ما صلّيتم في تلك الاحوال
التي هي احوال القلق و الانزعاج [إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا] محدودا باوقات لا يجوز اخراجها
عن اوقاتها على اىّ حال كنتم خوف او امن و هذا ظاهر على مذهب الشافعيّ في ايجابه الصلوٰة على
المُحارب في حال المسايفة و المشي و الاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأنّ يعليه القضاء - و اما
عند ابي حنيفة فهو معذور في تركها الى ان يطمئنّ - و قيل معناه فاذا قضيتم صلوٰة الخوف فَأَقِيموا ذكرَ
الله مهلّلين مكبّرين مسبّحين داعين بالنصرة و التائيد في كافّة احوالكم من قيام و قعود و اضطجاع فان ما انتم
فيه من خوف و حرب جديرٌ بذكر الله و دعائه و اللجاء اليه - فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فاذا امنتم - فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَأَتِمّوها
[وَلَا تَهِنُوا] و لا تضعُفوا و لا تتوانَوا [فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ] في طلب الكفّار بالقتل و التعرّض به لهم ثم ألزمهم
الحجّة بقوله [إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ] اي ليس ما تُكابدون من الالم بالجرح و القتل
مختصًّا بكم انما هو امر مشترك بينكم و بينهم يُصيبهم كما يُصيبكم ثم انهم يصبرون عليه و يتشجّعون فمالكم
لا تصبرون مثلَ صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم [تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ] من اظهار دينكم على
سائر الأديان و من الثواب العظيم في الأخرة - و قرأ الاعرج أَنْ تَكُونُوا بفتح الهمزة بمعنى و لا تهنوا لان تكونوا تالمون
و قوله فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ تعليل - و قرئ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا يَأْلَمُونَ - و روي ان هذا في بدر الصغرى كان
بهم جراح فتواكلوا [وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا] لا يُكلّفكم شيأ و لا ياسركم و لا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يُصلحكم -
روي ان طُعمة بن أُبَيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قَتادةُ بن النُعمان في جِرابٍ دقيقٍ
فجعل الدقيقُ ينتثر من خرق فيه و خبّاها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتُمست الدرع عند
طعمةَ فلم توجد و حلف ما اخذها و ما له بها علمٌ فتركوه و اتّبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهوديّ
فاخذوها فقال دفعها الىّ طُعمةُ و شهد له ناسٌ من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلّى الله

الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرٰىكَ اللّٰهُ ۚ وَلَا تَكُنْ لِّلْخَآئِنِيْنَ خَصِيْمًا ۝ وَّاسْتَغْفِرِ اللّٰهَ ۚ إِنَّ اللّٰهَ
كَانَ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا ۝ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِيْنَ يَخْتَانُوْنَ أَنْفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيْمًا ۝
يَّسْتَخْفُوْنَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُوْنَ مِنَ اللّٰهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُوْنَ مَا لَا يَرْضٰى مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللّٰهُ بِمَا
يَعْمَلُوْنَ مُحِيْطًا ۝ هٰأَنْتُمْ هٰؤُلَآءِ جٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُّجَادِلُ اللّٰهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَمْ مَّنْ يَّكُوْنُ

عليه وآله وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم و قالوا ان لم تفعل هلكَ و افتضح و برئ اليهودي فهمّ رسولُ الله صلّى الله عليه و آله وسلم ان يفعل و أن يعاقب اليهودي - و قيل هَمّ ان يقطع يده فنزلت - و رُوي ان طعمة هرب الى مكة و ارتدّ و نقب حائطا بمكة ليسرق اهلَه فسقط الحائطُ عليه فقتله [بِمَآ أَرٰىكَ اللّٰهُ] بما عرّفك و اوحى به اليك - و عن عمر رضي الله عنه لا يقولنّ احدكم قضيتُ بما ارانى الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيّه و لكن ليجتهدْ رأيَه لان الرأي من رسول الله كان مصيبا لان الله كان يُريه اياه و هو منّا الظنُّ و التكلّفُ [وَلَا تَكُنْ لِّلْخَآئِنِيْنَ خَصِيْمًا] و لا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبراء يعني لا تُخاصم اليهود لاجل بني ظفر و [وَاسْتَغْفِرِ اللّٰهَ] مما هممتَ به من عقاب اليهودي [يَخْتَانُوْنَ أَنْفُسَهُمْ] يخونونها بالمعصية كقوله عَلِمَ اللّٰهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُوْنَ أَنْفُسَكُمْ جُعلت معصية العُصاة خيانةً منهم لانفسهم كما جعلت ظالما لها لان الضرر راجع اليهم - فان قلت لم قيل لِّلْخَآئِنِيْنَ و يَخْتَانُوْنَ أَنْفُسَهُمْ و كان السارق طعمةَ وحده - قلت لوجهين - احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة و نصروه وكانوا شركاءَ له في الاثم - و الثاني انه جُمع ليتناول طعمةَ و كلَّ من خانَ خيانتَه فلا يخاصَمُ لخائن قطُّ و لا يجادَلُ عنه - فان قلت لم قيل [خَوَّانًا أَثِيْمًا] على المبالغة - قلت كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة و ركوب المأثم و مَنْ كانت تلك خاتمة امره لم يُشَكّ في حاله - و قيل اذا عثرتَ من رجل على سيئة فاعلمْ ان لها اخوات - و عن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امُّه تبكي و تقول هذه اول سرقة سرقها فاعفُ عنه فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبدَه في اول مرة [يَسْتَخْفُوْنَ] يستترون [مِنَ النَّاسِ] حياءً منهم و خوفا من ضررهم [وَلَا يَسْتَخْفُوْنَ مِنَ اللّٰهِ] ولا يستحيون منه [وَهُوَ مَعَهُمْ] وهو عالم بهم مطّلع عليهم لا يخفى عليه خافٍ من سرّهم - و كفى بهذه الآية ناعيةً على الناس ما هم فيه من قلّة الحياء و الخشية من ربّهم مع علمهم انْ كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سُتْرة و لا غفلة و لا غيبة و ليس الا الكشف الصريح و الافتضاح [يُبَيِّتُوْنَ] يدبّرون و يُزوّرون و اصله ان يكون بالليل [مَا لَا يَرْضٰى مِنَ الْقَوْلِ] و هو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليُسرق دونه و يحلف ببراءته - فان قلت كيف سُمّي التدبير قولا و انما هو معنًى في النفس - قلت لمّا حدّث بذلك نفسَه سُمّي قولا على المجاز - و يجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حَلَف به بعد ان بيّته و توريكه الذنبَ على اليهودي [هٰأَنْتُمْ هٰؤُلَآءِ] هَا للتنبيه في أَنْتُمْ و أُولَاءِ و هما مبتدأ و خبر و [جٰدَلْتُمْ] جملة مبيّنة لوقوع أُولَاءِ خبرا كما تقول لبعض الأسخياء انت حاتم تجود بمالك و تُؤثر على

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ١٣ الثلث

عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا
فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيٓئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ احْتَمَلَ
بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ ع وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ۚ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ
أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ

نفسك - ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين و جادلتم صلته - و المعنى هَبُوا انكم خاصمتم عن طعمة و قومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الأخرة اذا اخذهم الله بعذابه * وقرأ عبد الله عَنْهُ اي عن طعمة [وَكِيلًا] حافظا و مُحاميا من بأس الله و انتقامه [وَمَنْ يَعْمَلْ سُوٓءًا] قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة و اليهودي [أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ] بما يختص به كالحلف الكاذب - و قيل وَمَنْ يَعْمَلْ سُوٓءً من ذنب دون الشرك أَوْيَظْلِمْ نَفْسَهُ بالشرك - و هذا بعيد لطعمة على الاستغفار و التوبة تلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته و الذب عنه [فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ] اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء [خَطِيٓئَةً] صغيرة [أَوْ إِثْمًا] او كبيرة [ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيٓـًٔا] كما رمى طعمة زيدا [فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا] لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهتٌ فهو جامع بين الامرين - وقرأ معاذ بن جبل ومن يَكْسِبْ بكسر الكاف والسين المشددة و اصله يَكْتَسِبْ [وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ] اي عصمته و الطافه و ما أوحي اليك من الاطلاع على سرهم [لَهَمَّتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ] من بني ظفر [أَن يُضِلُّوكَ] عن القضاء بالحق و توخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كُنْهَ القصة [وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ] لان وباله عليهم [وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ] لانك انما عملت بظاهر الحال و ما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك [وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ] من خفيات الامور و ضمائر القلوب - او من امور الدين و الشرائع - و يجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر و يرجع الضمير في مِنْهُمْ الى الناس - و قيل الاية في المنافقين [لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ] من تناجي الناس [إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ] الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كَثِيرٍ كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد - و يجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى و لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخيرُ * و قيل المعروف القرض - و قيل اغاثة الملهوف - و قيل هو عام في كل جميل - و يجوز ان يراد با صَدَقَةِ الواجبُ و بالْمَعْرُوفِ ما يُتصدَّق به على سبيل التطوع - و عن النبي صلى الله عليه و اله وسلم كلام ابن ادم كلُّه عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله - وسمع سفيان رجلا يقول ما اشدَّ هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ فهو هذا بعينه أَرَما سمعته يقول وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ فهو هذا بعينه

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ١٤

وَمَنْ يَّفْعَلْ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيْهِ اَجْرًا عَظِيْمًا ۝ وَمَنْ يُّشَاقِقِ الرَّسُوْلَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُ الْهُدٰى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيْلِ الْمُؤْمِنِيْنَ نُوَلِّهٖ مَا تَوَلّٰى وَنُصْلِهٖ جَهَنَّمَ ؕ وَسَآءَتْ مَصِيْرًا ۝ ع اِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ اَنْ
يُّشْرَكَ بِهٖ وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ ؕ وَمَنْ يُّشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا ۝ اِنْ يَّدْعُوْنَ مِنْ
دُوْنِهٖٓ اِلَّآ اِنٰثًا ۚ وَاِنْ يَّدْعُوْنَ اِلَّا شَيْطٰنًا مَّرِيْدًا ۝ لَّعَنَهُ اللّٰهُ ۘ وَقَالَ لَاَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيْبًا مَّفْرُوْضًا ۝
وَّلَاُضِلَّنَّهُمْ وَلَاُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَاٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ اٰذَانَ الْاَنْعَامِ وَلَاٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّٰهِ ؕ وَمَنْ يَّتَّخِذِ الشَّيْطٰنَ

و شرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعلُ الخير عبادةَ الله و التقرُّبَ به اليه و ان يبتغيَ به وجهَه خالصا لان الاعمال بالنيّات - فان قلت كيف قال اِلَّا مَنْ اَمَرَ ثم قال [وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ] - قلت قد ذكر الامر بالخير ليدلَّ به على فاعله لانه اذا دخل الامرُ به في زمرة الخيّرين كان الفاعل فيهم ادخلَ ثم قال وَمَنْ يَّفْعَلْ ذٰلِكَ فذكر الفاعلَ و قرن به الوعدَ بالاجر العظيم - و يجوز ان يراد و من يامرْ بذلك فعبّر عن الامر بالفعل كما يُعبّر به عن سائر الافعال * و قرئ يُؤْتِيْهِ بالياء [وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيْلِ الْمُؤْمِنِيْنَ] و هو السبيل الذي هُمْ عليه من الدين الحنيفيّ القيّم و هو دليل على ان الاجماع حُجّة لا يجوز مخالفتُها كما لا يجوز مخالفة الكتاب و السنّة لان الله عزّ و جلّ جمع بين اتّباع غير سبيل المؤمنين و بين مُشاقّة الرسول في الشرط و جعل جزاءه الوعيدَ الشديدَ فكان اتّباعهم و اجبا كمُوالاة الرسول [نُوَلِّهٖ مَا تَوَلّٰى] نجعلَه واليًا لما تولّى من الضلال بان نَخْذُلَه و نخلّيَ بينه و بين ما اختاره [وَنُصْلِهٖ جَهَنَّمَ] و قرئ وَنَصْلِهٖ بفتح النون من صَلَاه - وقيل هي في طِعْمة و ارتداده و خروجه الى مكّة [اِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ اَنْ يُّشْرَكَ بِهٖ] تكرير للتاكيد - و قيل كرّر لقصة طِعْمةَ - و روي انه مات مشركا - وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال اني شيخ مُنْهمكٌ في الذنوب الّا اني لم اُشْرِك بالله شيأ منذ عرفتُه و آمنتُ به و لم اتّخذ من دونه وليًّا و لم اُوقِع المعاصيَ جرأةً على الله و لا مكابرةً له و ما توهّمتُ طَرْفة عين اني اُعْجز الله هربا و اني لنادمٌ تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلتْ - وهذا الحديث ينصر قولَ من فسّر مَنْ يَّشَاءُ بالتائب من ذنبه [اِلَّآ اِنٰثًا] هي اللّات و العُزّى و مناةُ - و عن الحسن رضي الله عنه لم يكن حيٌّ من احياء العرب الّا و لهم صنم يعبدونه يُسمّونه اُنثى بني فلان - و قيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله - و قيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله - و قرئ اُنُثًا جمع انيث او اناث و وُثْنًا و اُثْنًا بالتخفيف و التثقيل جمع وَثَنٍ كقولك اَسَد و اُسْد اُسُد و قلبُ الواو الفا نحو اُجُوْه في وُجُوْه - و قرأتْ عايشةُ رضي الله عنها اَوْثَانًا * [وَاِنْ يَّدْعُوْنَ] و ان يعبدون بعبادة الاصنام [اِلَّا شَيْطٰنًا] لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجُعلت طاعتهم له عبادةً - و [لَعَنَهُ اللّٰهُ - وَقَالَ لَاَتَّخِذَنَّ] صفتان بمعنى شيطانا مَرِيدًا جامعًا بين لعنة الله و هذا القول الشنيع [نَصِيْبًا مَّفْرُوْضًا] مقطوعا و اجبا فرضتُه لنفسي من قولهم فَرَض له في العطاء و فَرْضُ الجند رزقُه - قال الحسن من كل الف تسعمائة و تسعين الى النار [وَلَاُمَنِّيَنَّهُمْ]

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ١٤

وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝ أُولَٰئِكَ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ
أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ

الامانيّ الباطلة من طول الاعمار و بلوغ الآمال و رحمة الله للمجرمين بغير توبة و الخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة و نحو ذلك * [و تبتيكنّ الآذان] فعلهم بالبحائر - كانوا يشقّون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن و جاء الخامس ذكرا و حرّموا على انفسهم الانتفاع بها * [و تغييرهم خلق الله] فقؤ عين الحامي و اعفاؤه عن الركوب - و قيل الخصاء - و هو في قول عامة العلماء مباح في البهائم و امّا في بني آدم فمحظور - و عند ابي حنيفة يكره شرى الخصيان و امساكهم و استخدامهم لان الرغبة قد تدعو الى خصائهم - و قيل فطرة الله التي هي دين الاسلام - و قيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله - و عن ابن مسعود هو الوشم - و عنه لعن الله الواشرات والمتنمّصات و المستوشمات والمغيّرات خلق الله تعالى - و قيل التخنّث [وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا] مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد غيره [وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا] توكيد ثالث بليغ - فان قلت ما فائدة هذه التوكيدات - قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة و امانيّه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجّز وعد الله على ما يتجرّعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان * في [لَيْسَ] ضمير وعد الله اي ليس بنال ما وعد الله من الثواب [بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا بِأَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ] و الخطاب للمسلمين لانه لا يتمنّى وعد الله الا من آمن به و لذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم اياهم في الايمان بوعد الله - و عن مسروق و السدّي هي في المسلمين - و عن الحسن ليس الايمان بالتمنّي و لكن ما وقر في القلب و صدّقه العمل ان قوما ألهتهم امانيّ المغفرة حتى خرجوا من الدنيا و لا حسنة لهم و قالوا نحسن الظنّ بالله و كذبوا لو احسنوا الظنّ بالله لاحسنوا العمل - و قيل ان المسلمين و اهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبيّنا قبل نبيّكم و كتابنا قبل كتابكم - و قال المسلمون نحن اولى منكم نبيّنا خاتم النبيين و كتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت - و يحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكوننّ خيرا منهم و احسن حالا لاوتينّ مالا و ولدا ان لي عنده للحسنى - و كان اهل الكتاب يقولون نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ - لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً - و بعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله - و من جعله ان الخطاب للمشركين * قوله [مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ] و قوله [وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ] بعد ذكر تمنّي اهل الكتاب نحو من قوله بلى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ و قوله وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ عقيب قوله وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً و اذا ابطل الله الامانيّ و اثبت ان الامر

مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولٰٓئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُوْنَ نَقِيْرًا ۝ وَمَنْ اَحْسَنُ دِيْنًا مِّمَّنْ اَسْلَمَ وَجْهَهٗ
لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَّاتَّبَعَ مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا ؕ وَاتَّخَذَ اللّٰهُ اِبْرٰهِيْمَ خَلِيْلًا ۝ وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي
الْاَرْضِ ؕ وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيْطًا ۝ ع وَيَسْتَفْتُوْنَكَ فِي النِّسَآءِ ؕ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيْكُمْ فِيْهِنَّ وَمَا يُتْلٰى

كلّه معقود بالعمل وان من اصلح عملهٗ فهو الفائز ومن اساء عملهٗ فهو الهالكُ تبيّن الامرُ ووضح ووجب قطعُ الامانيّ وحسمُ المطامع والاقبالُ على العمل الصالح ولكنه نُصْح لا تعيه الاذان ولا تُلقى اليه الاذهان - فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية - قلت الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلًّا لا يتمكّن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يَعمل منها ما هو تكليفه وفي وُسْعه وكم من مكلّف لا حجّ عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال - والثانيةُ لتبيين الابهام في مَنْ يَعْمَلْ - فان قلت كيف خُصّ الصالحون بانّهم [لَا يُظْلَمُوْنَ] وغيرهم مثلهم في ذلك - قلت فيه وجهان - احدهما ان يكون الراجع في وَلَا يُظْلَمُوْنَ لعُمّال السوء وعُمّال الصالحات جميعا - والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالًّا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مَجْزِيُّوْن باعمالهم لا تفاوُتَ بينهم ولانّ ظلم المُسيء اَنْ يُزاد في عقابه وارحمُ الراحمينَ معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنًى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابعُ للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان يُنْقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالةً على انه لا يقع نقصان في الفضل [اَسْلَمَ وَجْهَهٗ لِلّٰهِ] اَخْلَصَ نفسه لله وجعلها سالمةً له لا تعرف لها ربًّا ومعبودا سواه [وَهُوَ مُحْسِنٌ] وهو عامل للحسنات تارك للسيّئات [حَنِيْفًا] حال من المتبع او من اِبْرٰهِيْمَ كقوله بَلْ مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا - وهو الذي تحنّف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام [وَاتَّخَذَ اللّٰهُ اِبْرٰهِيْمَ خَلِيْلًا] مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامةٍ تُشْبه كرامةَ الخليل عند خليله [والخليل] المُخالّ وهو الذي يُخالّك اي يوافقك في خِلالك - او يسائرك في طريقتك من الخَلّ وهو الطريق في الرمل - او يسدّ خلَلك كما تسدّ خلَله - او يداخلك خِلال منازلك وحُجُبك - فان قلت ما موقع هذه الجملة - قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم - والحوادث جَمّة - فائدتها تاكيدُ وجوب اتّباع ملّته لان من بلغ من الرُّلفى عند الله اَن اتّخذه خليلا كان جديرا بان تُتّبع ملّتُه وطريقتُه ولو جعلتَها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنًى - وقيل ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في اَزْمة اصابت الناسَ يمتار منه فقال خليلهُ لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلتُ ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانُه بنطحاء لبنة فملأوا منها الغرائر حياءً من الناس فلما اخبروا ابراهيمَ ساءه الخبرُ فحملتْه عيناه وعمدتْ امرأتُه الى غرارة منها فاخرجتْ احسن حُوّارى واختبزت واستنبهَ ابراهيم عليه السلام فاشتمّ رائحةَ الخبز فقال من اين لكم فقالت امرأته من عند خليلك المصريّ فقال بل من عند خليلي الله عزّ وجلّ فسمّاه الله خليلا [وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ] متصل بذكر العُمّال الصالحين والطالحين ومعناه ان له

سورة النساء ٤ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتٰبِ فِي يَتٰمَى النِّسَاءِ الّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ
الجزء ٥ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتٰمَى بِالْقِسْطِ ط وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۝ وَإِنِ امْرَأَةٌ
ع ١٥ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ط وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ط وَأُحْضِرَتِ

ملك اهل السموات و الارض فطاعته واجبة عليهم [وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا] فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها و شرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها [مَا يُتْلَى] في محل الرفع اي الله يُفْتيكم و المتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتٰمَى و هو من قولك اعجبني زيدٌ وكرمُه - و يجوز ان يكون مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ مبتدأ وفِي الْكِتٰبِ خبره على انها جملة معترضة - و المراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم و ان العدل و النصفة في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله تعالى التي تجب مراعاتها و المحافظة عليها و المُخلّ بها ظالمٌ متهاونٌ بما عظمه الله و نحوه في تعظيم القرآن وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ - ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يُفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم - وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فِيهِنَّ لاختلاله من حيث اللفظ و المعنى - فان قلت بم تعلّق قوله [فِي يَتٰمَى النِّسَاءِ] - قلت في الوجه الاول هو صلة يُتْلَى اي يتلى عليكم في معناهن - ويجوز ان يكون فِي يَتٰمَى النِّسَاءِ بدلا من فِيهِنَّ و اما في الوجهين الآخرين فبدلٌ لا غير - فان قلت الاضافة في يَتٰمَى النِّسَاءِ ما هي - قلت اضافة بمعنى مِنْ كقولك عندي سُحْق عمامة - وقرئ في يَيٰمَى النِّسَاءِ بيائين على قلب همزة ايامى ياء [لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ] - و قرئ مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَهُنَّ اي ما فرض لهن من الميراث - و كان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه و مالها فان كانت جميلة تزوّجها واكل المال و ان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها [وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ] يحتمل في أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ لجمالهن وعن أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ لدمامتهن - و رُوي ان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان اذا جاءه وليُّ اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوّجها غيرك و التمس لها مَنْ هو خير منك و ان كانت دميمة و لا مال لها قال تزوّجها فانت احقّ بها [وَالْمُسْتَضْعَفِينَ] مجرور معطوف على يَتٰمَى النِّسَاءِ و كانوا في الجاهلية انما يورّثون الرجال القوّام بالامور دون الاطفال و النساء - ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ [وَأَنْ تَقُومُوا] مجرور كالمُسْتَضْعَفِينَ بمعنى يُفْتيكم في يَتٰمَى النِّسَاءِ و في الْمُسْتَضْعَفِينَ و في أَنْ تَقُومُوا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى و يامركم ان تقوموا و هو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم و لا يُخلّوا احدا يهتضمهم [خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا] توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخائله و اماراته و [النشوز] ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه و نفقته و المودّة و الرحمة التي بين الرجل و المرأة و ان يؤذيها بسبّ او ضرب و [الاعراض] ان يُعرض عنها بان يُقلّ محادثتها

الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ

و موانستها و ذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او شيء في خَلْق او خُلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا بأس بهما في [أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا] - و قرئ يَصَّالَحَا و يَصَّلِحَا بمعنى يَتَصَالَحَا و يَصْطَلِحَا و نحو اِصَّلَحَ اِصَّبَرَ في اصطبر [صُلْحًا] في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلثة - و معنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفساً عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سَوْدَة بنت زَمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم و عرفت مكان عايشة رضي الله عنها من قلبه فوهبت لها يومها - و كما روي ان امرأة اراد ان يطلقها زوجها لرغبته عنها و كان لها منه ولد فقالت لا تُطَلِّقْنى و دَعْني أَقُوم على ولدي و تقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يَصلح فهو احب اليّ فاقرّها - او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يُمسكها باحسان او يُسرّحها [وَالصُّلْحُ خَيْرٌ] من الفُرقة او من النشوز و الاعراض و سوء العشرة - او هو خير من الخصومة في كل شيء - او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شرّ من الشرور - و هذه الجملة اعتراض و كذلك قوله [وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ] و معنى احضار الانفس الشُّحَّ ان الشحّ جُعل حاضراً لها لا يغيب عنها ابدا و لا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه - و الغرض ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها و بغير قسمتها و الرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها و ان يُمسكها اذا رغب عنها و أحبّ غيرها [وَإِن تُحْسِنُوا] بالاقامة على نسائكم و ان كرهتموهن و احببتم غيرهن و تصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة [وَتَتَّقُوا] النشوز و الاعراض و ما يُؤدي الى الاذى و الخصومة [فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ] من الاحسان و التقوى [خَبِيرًا] و هو يُثيبكم عليه - و كان عمران بن حِطّان الخارجيّ من آدم بني آدم و امرأته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمدُ لله فقال مالك قالت حمدت الله على انى و اياك من اهل الجنة قال كيف قلت لانك رُزقتَ مثلي فشكرتَ و رُزقتُ مثلك فصبرتُ وقد وعد الله الجنةَ عبادَه الشاكرين و الصابرين [وَلَن تَسْتَطِيعُوا] و محال ان تستطيعوا العدلَ بين النساء و التسويةَ حتى لا يقع ميلُ البتةَ و لا زيادةٌ و لا نقصانٌ فيما يجب لهن فَرُفع لذلك عنكم تمام العدل و غايتُه و ما كُلّفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا جهدَكم و طاقتكم لان تكليف ما لا يُستطاع داخل في حد الظلم وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ - وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة - و عن النبيّ صلى الله عليه و اله وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل و يقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك و لا املك يعني المحبةَ لان عايشة رضي الله عنها كانت احبَّ اليه - و قيل ان العدل بينهن امرٌ صعبٌ بالغ من الصعوبة حدًّا يُوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوّى بينهن في القسمة و النفقة و التعهّد و النظر و الاقبال و المماسحة و المفاكهة و المؤانسة و غيرها مما لا يكاد الحصرُ ياتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كُنّ محبوبات كلّهن فكيف اذا

سورة النساء ٤ النِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝
الجزء ٥ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ
ع ١٥ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ

مال الغلب مع بعضهن [فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ] فلاتجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضىً منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليُسر و السعة فلا تُفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ [فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ] وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال * شعر * هل هي الا حظة او تطليقُ * او صلفٌ او بين ذاك تعليقُ * وفي قراءة أبيّ فَتَذَرُوهَا كَالْمُسْجُونَةِ - وفي الحديث من كانت له امرأتانِ يميل مع احداهما جاء يوم القيمة واحدُ شِقَّيْه مائل - وروي ان عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه بَعث الى ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمال فقالت عايشة رضي الله عنها أ الى كل ارواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بَعث عمرُ مثلَ هذا قالوا لا بَعثَ الى القُرَشيّات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفعْ راسَك فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله و نفسه فرجع الرسول فاخبره واتمّ لهن جميعا - و كان لمعاذ امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضّأ في بيت الاخرى مماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد [وَإِنْ تُصْلِحُوا] ما مضى من مَيْلكم و تتداركوه بالتوبة [وَتَتَّقُوا] فيما يستقبل - غفر الله لكم * قرئ وَإِنْ يَتَفَارَقَا بمعنى وان يُفارق كلُّ واحد منهما صاحبه [يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا] برزقه زوجا خيرا من زوجه و عيشا هنأ من عيشه - و [السعة] الغنى و المقدرة - و [الواسع] الغنيّ المقتدر [مِنْ قَبْلِكُمْ] متعلق بوصّينا او بأوتوا - [وَإِيَّاكُمْ] عطف على الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ - و الكتابُ اسم للجنس فيتناول الكُتُب السماوية [أَنِ اتَّقُوا] بأن تقوا - او تكون أن المفسرة لان التوصية في معنى القول - و قوله [وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ] عطف على اتَّقُوا لان المعنى امرناهم و امرناكم بالتقوى و قُلْنا لهم و لكم إن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ - والمعنى ان لله الخلقَ كلَّه وهو خالقهم و مالكم و المنعمُ عليهم بأصناف النعم كلّها فحقّه ان يكون مطاعا في خلقه غير مَعْصيّ يتقون عقابه و يرجون ثوابه - وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ من الأمم السالفة و وصّيناكم أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ يعني انها وصية قديمة ما زال يوصّي الله بها عبادَه لعلم بما مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة و قلنا لهم و لكم إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ في سماواته و ارضه من الملائكة و الثقلين مَنْ يُوَحّده و يعبده و يتقيه [وَكَانَ اللَّهُ] مع ذلك [غَنِيًّا] عن خلقه و عن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نِعَمه و ان لم يحمده احد منهم - و تكرير قوله [لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيُطيعوه ولا يعصوه لان الحشية و التقوى اعمل الجوارح كلّه [إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ] يُفْنكم و يُعْدِمكم

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ٦

أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ۝ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ

كما اوجدكم و انشأكم [وَيَأْتِ بِآخَرِينَ] و يوجد انسا اخرين مكانكم او خلقا اخرين غير الانس [وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ] من الاعدام و الايجاد [قَدِيرًا] بليغ القدرة لا يتمنع عليه شيء اراده و هذا غضب عليهم و تخويف و بيان لاقتداره - و قيل هو خطاب لمن كان يُعادي رسولَ اللّٰه صلى اللّٰه عليه و اله و سلم من العرب اي ان يشأ يُمتكم و يأت بناس أخرين يُوالونه - و يروى انها لما نزلت ضرب رسولُ اللّٰه صلى اللّٰه عليه و اله و سلم بيده على ظهر سلمان و قال انهم قومُ هذا يريد ابناءَ فارس [مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا] كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة [فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] فماله يطالب احدهما دون الأخر و الذي يطلبه إخسّهما الن من جاهدَ لله خالصا لم تُخطئْه الغنيمةُ وله من ثواب الأخرة ما الغنيمةُ الى جنبه كالشيء . والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والأخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط [قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ] مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا [شُهَدَاءَ لِلَّهِ] تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أُمرتم باقامتها [وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ] و لو كانت الشهادة على انفسكم او ابائكم او اقاربكم - فان قلت الشهادة على الوالدين و الاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة عَلَىٰ نَفْسِهِ - قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها - و يجوز ان يكون المعنى و ان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على ابائكم و اقاربكم وذلك ان يَشهد على من يتوقع ضررَه من سلطانٍ ظالم او غيره [إِن يَكُنْ] ان يكن المشهود عليه [غَنِيًّا] فلا يمنع الشهادةَ عليه لغناه طلبا لرضاه [أَوْ فَقِيرًا] فلا يمنعها ترحمًا عليه [فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا] بالغني و الفقير اي بالنظر لهما و ارادة مصلحتيهما و لولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظرُ لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثُنّي الضمير في أَوْلَىٰ بِهِمَا و كان حقه ان يوحّد لان قوله إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا في معنى ان يكن احدَ هذين - قلت قد رجع الضمير الى ما دلّ عليه قوله ان يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا لا الى المذكور فلذلك ثُنّي و لم يُفرَد و هو جنس الغني و جنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني و الفقير اي بالأغنياء و الفقراء - وفي قراءة ابيّ فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِم و هي شاهدة على ذلك - و قرأ عبد الله إِن يَكُنْ غَنِيٌّ أَوْ فَقِيرٌ على كان التامة [أَن تَعْدِلُوا] يحتمل العدلَ و العدولَ كانه قيل فلا تتّبعوا الهوى كراهةَ ان تعدلوا عن الناس او ارادةَ ان تعدلوا عن الحق [وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا] ـ دوا ألسنتكم عن شهادة الحق او حكومه العدل او تُعرضوا عن الشهادة بما عندكم و تمنعوها - وقرئ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا بمعنى و ان وَلِيتم اقامةَ

الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ
لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ۝ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ

الشهادة او اعرضتم عن اقامتها [فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] و بمجازاتكم عليه * [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ] خطاب للمسلمين - و معنى [آمَنُوا] اثبتوا على الايمان ودوموا عليه وازدادوه * [وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ] المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب و الدليل عليه قوله وَكُتُبِهِ - و قرئ وَكِتَابِهِ على ارادة الجنس - و قرئ نَزَّلَ و أَنْزَلَ على البناء للفاعل - و قيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب و الرسل و كفروا ببعض - و روي انه لعبد الله بن سلام و أسد و أسيد ابني كعب و ثعلبة بن قيس و سلام ابن اخت عبد الله بن سلام و سلمة بن اخيه و يامين بن يامين أتوا رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك و بكتابك و موسى و التوراة و عزير و نكفر بما سواه من الرسل و الكتب فقال عليه السلام بل آمنوا بالله و رسوله محمد و كتابه القرآن و بكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فامنوا كلهم - و قيل هو للمنافقين كانه قيل يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا - فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ و كانوا مؤمنين بالتوراة و الانجيل - قلت كانوا مؤمنين فيما يحسبون و ما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله و لان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به هو المعجزة و لا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا و هذا الذي اراد عز وجل في قوله وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا - فان قلت لم قيل نُزِّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ - و أَنْزَلَ مِن قَبْلُ - قلت لان القرآن نُزِّل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله - و معنى قوله [وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ] الآية و من يكفر بشيء من ذلك [فَقَدْ ضَلَّ] لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا [لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا] نفي للغفران و البداية و هي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام و المراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما و هو الايمان الخالص الثابت - و المعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد و عهد منهم ازدياد الكفر و الاصرار عليه يستبعد منهم ان يتداركوا ما يستحقون به المغفرة و يستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا دينهم قلوب قد طبعت بالكفر و مرنت على الردة و كان الايمان اهون شيء عندهم و ادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى و ليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة و نصحت توبتهم لم تقبل منهم و لم يغفر لهم ذلك مقبول حيث هو بذل للطاعة و استفراغ الوسع و لكنه استبعاد له و استغراب و انه امر لا يكاد يكون

الْمُؤْمِنِينَ ط اَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَاِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا ۝ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتٰبِ اَنْ اِذَا سَمِعْتُمْ اٰيٰتِ
اللّٰهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَاُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوْا مَعَهُمْ حَتّٰى يَخُوْضُوْا فِيْ حَدِيْثٍ غَيْرِهٖ ج اِنَّكُمْ اِذًا مِّثْلُهُمْ ط اِنَّ اللّٰهَ جَامِعُ الْمُنٰفِقِيْنَ
وَالْكٰفِرِيْنَ فِيْ جَهَنَّمَ جَمِيْعًا ۝ الَّذِيْنَ يَتَرَبَّصُوْنَ بِكُمْ ج فَاِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّٰهِ قَالُوْٓا اَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَاِنْ كَانَ لِلْكٰفِرِيْنَ نَصِيْبٌ قَالُوْٓا اَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ط فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ط

وهكذا نرى الفاسقَ الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يُرجى منه الثبات والغالبُ انه يموت على شرّ حال واسمج صورة - وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم [بَشِّرِ الْمُنٰفِقِيْنَ] وُضع بَشِّرْ مكان اخبِرْ تهكّما بهم [الَّذِيْنَ] نصبٌ على الذمّ او رفعٌ بمعنى اُريد الذين او هُمُ الذين - وكانوا يُمايلون الكَفَرَةَ ويُوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتمّ امر مُحَمَّد فتوَلَّوا اليهودَ [فَاِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيْعًا] يريد لاوليائه الذين كَتَب الله لهم العزّ والغلبةَ على اليهود وغيرهم وقال وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُوْلِهٖ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ [اَنْ اِذَا سَمِعْتُمْ] هي اَنِ المخفّفة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نُزّل عليكم ان الشان كذا والشانُ ما افادتْهُ الجملة بشرطها وجزائها وَاَنْ مع ما في حيّزها في موضع الرفع بنُزِّلَ او في موضع النصب بنَزَّلَ فيمن قرأ به والمنزَّلُ عليهم في الكتاب هو ما نُزّل عليهم بمكّة من قوله وَاِذَا رَاَيْتَ الَّذِيْنَ يَخُوْضُوْنَ فِيْ اٰيٰتِنَا فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوْضُوْا فِيْ حَدِيْثٍ غَيْرِهٖ وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القراٰن في مَجالسهم فيستهزؤن به فنُهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه فكان اَحْبار اليهود بالمدينة يفعلون نحوَ فعلِ المشركين فنُهوا ان يقعدوا معهم كما نُهوا عن مجالسة المشركين بمكّة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القراٰن من الاَحْبار هم المنافقون فقيل لهم اِنَّكُمْ اِذًا مثل الاَحْبار في الكفر * [اِنَّ اللّٰهَ جَامِعُ الْمُنٰفِقِيْنَ وَالْكٰفِرِيْنَ] يعني القاعدين والمقعودَ معهم - فان قلت الضمير في قوله فَلَا تَقْعُدُوْا مَعَهُمْ الى مَنْ يرجع - قلت الى من دَلّ عليه يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَاُ بِهَا كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها - فان قلت لِمَ يكونون مثلَهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض - قلت لانهم اذا لم يُنكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر - فان قلت فهلّا كان المسلمون بمكّة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين - قلت لانهم كانوا لا يُنكرون لعَجْزهم وهؤلاء لم يُنكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم [الَّذِيْنَ يَتَرَبَّصُوْنَ] اما بدل من الَّذِيْنَ يَتَّخِذُوْنَ واما صفة للمُنٰفِقِيْنَ او نصبٌ على الذمّ منهم - يَتَرَبَّصُوْنَ بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدّد لكم من ظفر او اخفاق [اَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ] مظاهرين فاَسْهِموا لنا في الغنيمة [اَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ] الم نغلبْكم ونتمكّنْ من قتلكم واَسْركم فاَبْقَينا عليكم [وَنَمْنَعْكُمْ] من المسلمين بان ثَبَّطْناهم عنكم وخيّلْنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومَرَّضنا في قتالكم وتَوانَيْنا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اَصبتم وقرئ وَنَمْنَعْكُمْ بالنصب باضمار اَنْ قال الحُطَيْئَة * شعر * الم اكُ جارَكم ويكونَ بيني * وبينكم المودةُ والاِخاءُ *

سورة النساء ٤ الجزء ٥ ع ١٧

وَلَنْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لِلْكٰفِرِيْنَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ سَبِيْلًا ۝ اِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ يُخٰدِعُوْنَ اللّٰهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ۚ وَاِذَا قَامُوْٓا اِلَى الصَّلٰوةِ قَامُوْا كُسَالٰى يُرَآءُوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ اِلَّا قَلِيْلًا ۝ مُّذَبْذَبِيْنَ بَيْنَ ذٰلِكَ لَآ اِلٰى هٰٓؤُلَآءِ

- فان قلت لم سُمّي ظفر المسلمين فتحًا و ظفر الكافرين نصيبًا - قلت تعظيمًا لشان المسلمين و تخسيسًا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تُفتح له ابواب السماء حتى ينزل على ارايائه و امّا ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنيّ و لُمْظة من الدنيا يُصيبونها [يُخٰدِعُوْنَ اللّٰهَ] يفعلون ما يفعل المُخادِع من اظهار الايمان و ابطان الكفر [وَهُوَ خَادِعُهُمْ] و هو فاعلٌ بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء و الاموالِ في الدنيا و اعدّ لهم الدَّرَكَ الاسفلَ من النار في الاخرة و لم يُخادِعْ في العاجل من فضيحة و احلال بأس و نقمة و رعب دائم - و المخادِعُ اسم فاعل من خادعتُه فخدعتُه اذا غلبتَه و كنتَ اخدعَ منه - و قيل يُعْطَوْن على الصراط نورًا كما يُعْطى المؤمنون فيمضُوْن بنورهم ثم يَطفأ نورهم و يبقى نور المؤمنين فينادون انْظرونا نَقْتبِسْ من نوركم [كُسَالٰى] قرئ بضم الكاف و فتحها جمع كَسلان كسُكارى في سَكْران اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيأً على كُرهٍ لا عن طِيْبة نفس و رغبة [يُرَآءُوْنَ النَّاسَ] يقصدون بصلوتهم الرياءَ و السُمعةَ [وَلَا يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ اِلَّا قَلِيْلًا] و لا يُصلّون الا قليلا لانهم لا يُصلّون قطّ غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به و ما يجاهرون به قليل ايضًا لانهم ما وَجدوا مندوحة من تكلُّف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه - او و لا يذكرون الله بالتسبيح و التهليل الا ذكرًا قليلا في النُدرة و هكذا نرى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبتَهُ الايامَ و الليالي لم تسمع منه تهليلةً و لا تسبيحةً و لا تحميدةً و لكنْ حديثُ الدنيا يستغرق به اوقاتَه لا يفتُر عنه - و يجوز ان يراد بالقلة العدمُ - فان قلت ما معنى المُرَاءاة و هي مفاعلة من الرؤية - قلت فيه وجهان - احدهما ان المرائي يُريهم عملَه و هم يُرُوْنَه استحسانَه - و الثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناسَ بمعنى رآئم كقولك نعّمه و ناعَمه و فقّده و فاقَده و عيش مفانَق - روى ابو زيد رأَت المرأةُ المرأةَ الرجلَ اذا امسكتْها لترى وجهَهُ و تدلّ عليه قراءة ابن ابي اسحٰق يُرِوْنهم بهمزة مشددة مثل يُرِعُوْنهم اي يبصّرونهم اعمالَهم و يراءُوْنهم كذلك [مُذَبْذَبِيْنَ] امّا حالٌ نحو قوله وَلَا يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ عن و او يُرَآءُوْنَ اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين - او منصوب على الذمّ - و معنى مَذْبَذِيْنَ ذَبْذَبَهم الشيطان و الهوى بين الايمان و الكفر فهم مترددون بينهما متحيّرون و حقيقةُ المذبذب الذي يُذبّ عن كلا الجانبين اي يُذاد و يُدفع فلا يقرّ في جانب و احد كما قيل فلان يُرمى به الدَّحْوانُ الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذبّ كان المعنى كلّما مال الى جانب ذُبّ عنه - و قرأ ابن عباس مُذَبْذِبِيْنَ بكسر الذال بمعنى يُذبذبون قلوبَهم او دينَهم او رايَهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صَلصلَ و تصلصلَ بمعنى - و في مصحف عبد الله مُتَذَبْذِبِيْنَ - و عن ابي جعفر مُدَبْدَبِيْنَ بالدال غير المعجمة و كان المعنى اخذ بهم تارةً في دُبّة و تارةً في دُبّة فليسوا بماضين على دُبّة واحدة و الدُبّة الطريقة و منها دُبّة قريش

وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ۝ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ۖ وَلَن
تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ
ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ

و [ذٰلِكَ] اشارة الى الكفر و الايمان [لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ] لا منسوبين الى هؤلاء بكونوا مؤمنين [وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ] ولا منسوبين الى هَٰٓؤُلَآءِ فيسموا مشركين [لَا تَتَّخِذُوا ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ] لا تنشقوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهودَ و غيرَهم من اعداء الاسلام اولياءَ [سُلْطَٰنًا] حُجَّةً بيّنةً بمعنى ان موالاة الكافرين بيّنة على النفاق - و عن صعصعة بن صُوحانَ انه قال لابن اخ له خاصِ المؤمنَ و خالِقِ الكافرَ و الفاجرَ فان الفاجر يرضى منك بالخُلُق الحسن و انه يحق عليك ان تخالص المؤمن [ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ] الطبق الذي في قعر جهنم و النار سبع دركات سُمّيت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض - و قرئ بسكون الراء و الوجهُ التحريك لقولهم ادْراكُ جهنم - فان قلت لم كان المنافق اشدَّ عذابا من الكافر - قلت لانه مثله في الكفر و ضمّ الى كفره الاستهزاء بالاسلام و اهله و مداجاتهم [وَأَصْلَحُوا۟] ما افسدوا من اسرارهم و احوالهم في حال النفاق [وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ] و وثقوا به كما يثق المؤمنون الخُلَّص [وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ] لا يبتغون بطاعاتهم الا وجهَه [فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ] فهم اصحاب المؤمنين و رفقاؤهم في الدارين [وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا] فيشاركونهم فيه و يساهمونهم - فان قلت مَن المنافق - قلت هو في الشريعة مَنْ أظهر الايمان و ابطن الكفر و اما تسمية من ارتكب ما يُفسَّق به بالمنافق فللتغليظ كقوله صلى الله عليه و آله و سلم مَنْ ترك الصلوةَ متعمّدا فقد كفر - و منه قوله عليه السلام ثلثٌ من كنّ فيه فهو منافق و ان صام و صلّى و زعم انه مسلم مَنْ اذا حدّث كذب و اذا وعدَ اخْلَفَ و اذا اؤتُمن خان - و قيل لحُذيفة رضي الله عنه مَن المنافق فقال الذي يصفُ الاسلامَ و لا يعمل به - و قيل لابن عمر ندخل على السلطان و نتكلّم بكلام فاذا خرجنا تكلّمنا بخلافه فقال كُنّا نعدّه من النفاق - و عن الحسن اتى على النفاق زمان و هو مقروع فيه فاصبح و قد عُمّم و وُتّد و أُعطي سيفا يعني الحجّاج [مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ] أيتشفّى به من الغيظ ام يُدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم و هو الغنيّ الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك و انما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيءَ فان تُمتم بشكر نعمته و آمنتم به فقد انعدتم عن انفسكم استحقاقَ العذاب [وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا] مُثيبا مُوفيا اجوركم [عَلِيمًا] بحق شكركم و ايمانكم - فان قلت لم قدّم الشكر على الايمان - قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه و تعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصّلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكانه اصل التكليف و مدارُه [إِلَّا مَن ظُلِمَ] الا جهر مَنْ ظُلم استثنى من الجهر الذي لا يحبّه الله جهرَ

الْجَهْرَ بِالسُّوْٓءِ مِنَ الْقَوْلِ اِلَّا مَنْ ظُلِمَ ؕ وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيْعًا عَلِيْمًا ۝ اِنْ تُبْدُوْا خَيْرًا اَوْ تُخْفُوْهُ اَوْ تَعْفُوْا عَنْ سُوْٓءٍ فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ
عَفُوًّا قَدِيْرًا ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ وَيُرِيْدُوْنَ اَنْ يُّفَرِّقُوْا بَيْنَ اللّٰهِ وَرُسُلِهٖ وَيَقُوْلُوْنَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَّنَكْفُرُ
بِبَعْضٍ وَّيُرِيْدُوْنَ اَنْ يَّتَّخِذُوْا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيْلًا ۝ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْكٰفِرُوْنَ حَقًّا ۚ وَاَعْتَدْنَا لِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابًا مُّهِيْنًا ۝
وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ وَلَمْ يُفَرِّقُوْا بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ اُولٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيْهِمْ اُجُوْرَهُمْ ؕ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوْرًا
رَّحِيْمًا ۝ يَسْـَٔلُكَ اَهْلُ الْكِتٰبِ اَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتٰبًا مِّنَ السَّمَآءِ فَقَدْ سَاَلُوْا مُوْسٰٓى اَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَقَالُوْٓا اَرِنَا اللّٰهَ

المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء - وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم
لمن انتصر بعد ظلمه - وقيل ضاف رجل قوما فلم يُطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت -
وقرئ اِلَّا مَنْ ظَلَمَ على البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يُحبّه الله فيجهر بالسوء -
ويجوز ان يكون مَنْ ظَلَمَ مرفوعا كانه قيل لا يحب اللّٰهُ الجهرَ بالسوء الا الظالمُ على لغة من يقول ما جاءني زيد
الا عمرٌو بمعنى ما جاءني الا عمرٌو - ومنه لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ الْغَيْبَ اِلَّا اللّٰهُ * ثم حثّ على العفو وان لا
يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثًّا على الاحبّ اليه و
الافضل عنده والتدخل في الكرم والتخشّع والعبودية * وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه
عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطلع الدليلُ على ان العفو هو الغرض
المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله [فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيْرًا] اي يعفو عن الجانبين مع قدرته على
الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنّة الله * جعل الذين اٰمنوا بالله وكفروا برُسُله او اٰمنوا بالله وببعض رُسُله وكفروا
ببعض كافرين بالله ورُسُله جميعا لما ذكرنا من العلة - ومعنى اتّخاذهم بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيْلًا ان يتخذوا دينا
وسطا بين الايمان والكفر كقوله وَلَا تَجْهَرْ بِصَلٰوتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيْلًا اي طريقا وسطا
في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطؤا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اُولٰٓئِكَ
هُمُ الْكٰفِرُوْنَ حَقًّا اي هم الكاملون في الكفر - وحقًّا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقًّا اي حَقَّ
ذلك حقًّا وهو كونهم كاملين في الكفر - او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقًّا ثابتا
بقينا لا شكّ فيه * فان قلت كيف جاز دخول [بَيْنَ] على [اَحَدٍ] وهو يقتضي شيئين فصاعدا -
قلت ان احدا عامٌّ في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما - تقول ما رأيت احدا تقصد العموم
الا ترى تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرّقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه
قوله تعالى لَسْتُنَّ كَاَحَدٍ مِّنَ النِّسَآءِ [سَوْفَ يُؤْتِيْهِمْ اُجُوْرَهُمْ] معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تاخّر
فالغرض به توكيدُ الوعد وتثبيتُه لا كونه متاخّرا * روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء
وغيرهما قالوا لرسول الله صلّى الله عليه واٰله وسلّم ان كنتَ نبيًّا صادقا فاْتنا بكتاب من السماء
جملةً كما اتى به موسى فنزلت - وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله - وقيل

سورة النساء ٤ الجزء ٦ ع ١٦

جَهْرَةً فَاَخَذَتْهُمُ الصّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذٰلِكَ ۚ
وَ اٰتَيْنَا مُوْسٰى سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا ۝ وَ رَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّوْرَ بِمِيْثَاقِهِمْ وَ قُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَّ قُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوْا
فِي السَّبْتِ ز وَ اَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيْثَاقًا غَلِيْظًا ۝ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيْثَاقَهُمْ وَ كُفْرِهِمْ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَ قَتْلِهِمُ الْاَنْبِيَآءَ

كتابا نُعاينُه حين ينزل و انما اقترحوا ذلك على سبيل التعنُّت - و قال الحسن البصريّ و لو سألوه لكي يتبيّنوا الحقّ لاعطاهم و فيما اتاهم كفاية [فَقَدْ سَاَلُوْا مُوْسٰى] جواب لشرط مقدّر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبرَ من ذلك و انما اسند السوال اليهم و ان وُجد من آبائهم في ايام موسى و هم نُقَباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم و راضين بسوالهم و مُضاهين لهم في التعنُّت [جَهْرَةً] عيانا بمعنى اَرِناه نَرَهُ جهرةً [بِظُلْمِهِمْ] بسبب سوالهم الرؤيةَ و لو طلبوا امرا جائزا لَمَا سُمّوا ظالمين و لَمَا اخذتهم الصاعقة كما سأل ابراهيمُ صلوتُ الله عليه ان يُرِيَه اِحْياءَ الموتى فلم يُسمّه ظالماً و لا رماه بالصاعقة فتبًّا للمشبّهة و رميًا بالصواعق [وَ اٰتَيْنَا مُوْسٰى سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا] تسلُّطا و استيلاءً ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسَهُمْ حتى يُتاب عليهم فاطاعوه و احتبَوْا بأفنيتهم و السيوفُ تتساقط عليهم فيا لَكَ من سلطان مبين [بِمِيْثَاقِهِمْ] بسبب ميثاقهم ليخافوا فلاينقضوه [وَ قُلْنَا لَهُمْ] و الطور مُظلّ عليهم [ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا] - [وَ لَا تَعْدُوْا فِي السَّبْتِ] و قد اُخذ منهم الميثاقُ على ذلك و قولهم سَمِعْنَا وَ اَطَعْنَا و معاهدتهم على ان يتمّوا عليه ثم نقضوه بعد ذلك - و قرئ لَا تَعْتَدُوْا و لَا تَعُدُّوْا بادغام التاء في الدال - [فَبِمَا نَقْضِهِمْ] فبنقضهم و مَا مزيدة للتوكيد - فان قلت بم تعلقت الباء و ما معنى التوكيد - قلت اِمّا ان يتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا - و اِمّا ان يتعلق بقوله حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ على ان قوله فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا بدل من قوله فَبِمَا نَقْضِهِمْ و اَمّا التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريمَ الطيّبات لم يكن الا بنقض العهد و ما عُطف عليه من الكفر و قتل الانبياء و غير ذلك - فان قلت هلّا زعمتَ ان المحذوف الذي تعلقت به الباءُ ما دلّ عليه قوله بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبعَ الله عليها بكفرهم - قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ردٌّ و انكارٌ لقولهم قُلُوْبُنَا غُلْفٌ فكان متعلقًا به و ذلك انهم ارادوا بقولهم [قُلُوْبُنَا غُلْفٌ] ان الله خلق قلوبنا غلفًا اي في اَكِنّةٍ لا يتوصل اليها شيء من الذكر و الموعظة كما حكى اللّٰهُ عن المشركين و قالوا لو شاء الرحمٰن ما عبدناهم و كمذهب المُجبِرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله و مَنَعها الالطافَ بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تُخلق غُلفًا غيرَ قابلة للذكر و لا متمكّنة من قبوله - فان قلت علام عُطف قوله [وَ بِكُفْرِهِمْ] - قلت الوجه ان يعطف على فَبِمَا نَقْضِهِمْ و يجعل قوله [بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ] كلاما تبع قوله وَ قَوْلِهِمْ قُلُوْبُنَا غُلْفٌ على وجه الاستطراد - و يجوز عطفه على ما يليه من قوله بِكُفْرِهِمْ - فان قلت ما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عُطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده و هو قوله وَ كُفْرِهِمْ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ

بِغَيْرِ حَقٍّ وَّقَوْلِهِمْ قُلُوْبُنَا غُلْفٌ ۭ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْنَ اِلَّا قَلِيْلًا ۝ وَّبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ
عَلٰي مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيْمًا ۝ وَّقَوْلِهِمْ اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ اللّٰهِ ۚ وَمَا قَتَلُوْهُ وَمَا صَلَبُوْهُ
وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ۭ وَاِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ لَفِيْ شَكٍّ مِّنْهُ ۭ مَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ اِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوْهُ

و قوله بكفرهم - قلت قد تكرّر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمّد صلوات الله عليهم فعطف بعضُ كفرهم على بعض او عُطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فجمعهم بين نقض الميثاق و الكفر بايات الله و قتل الانبياء و قولهم قلوبُنا غلف و جمعهم بين كفرهم وبهتهم مريمَ عليها السلام و افتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم و جمعهم بين كفرهم و كذا و كذا [و البهتان العظيم]هو القرنية - فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداءً له عاملين لقتله يسمّونه الساحرَ ابنَ الساحرة و الفاعلَ ابنَ الفاعلة فكيف قالوا [اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ اللّٰهِ] - قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون اِنَّ رَسُوْلَكُمُ الَّذِيْٓ اُرْسِلَ اِلَيْكُمْ لَمَجْنُوْنٌ - و يجوز ان يضع الله الذكرَ الحسنَ مكانَ ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم رفعًا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به و تعظيمًا لما ارادوا بمثله كقوله لَيَقُوْلُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيْزُ الْعَلِيْمُ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ مَهْدًا * روي ان رهطًا من اليهود سبّوه و سبّوا اُمّه فدعا عليهم اللّهم انت ربي و بكلمتك خلقتني اللّهم العَنْ من سبّني و سبّ والدتي فمسخ الله مَنْ سبّهما قِرَدَةً و خنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء و يُطهّره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايّكم يرضى ان يُلقى عليه شَبَهي فيُقتَل و يُصلب و يدخل الجنّة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شَبَهَه فقُتل و صُلب - وقيل كان رجلا ينافق عيسى عليه السلام فلما اردوا قتله قال انا آتيكم عليه فدخل بيتَ عيسى و رُفع عيسى و اُلقي شَبَهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنّون انه عيسى - ثم اختلفوا فقال بعضهم انه الله لاصعد قتله و قال بعضهم انه قد قُتل و صُلب و قال بعضهم ان كان هذا عيسى فاينَ صاحبُنا و ان كان صاحبُنا فاينَ عيسى و قال بعضهم رُفع الى السماء و قال بعضهم الوجهُ وجه عيسى و البدن بدنُ صاحبنا - فان قلت شُبّهَ مسندٌ الى ما ذا ان جعلتَه مسندا الى المسيح فالمسيح مشبَّهٌ به و ليس بمشبَّه و ان اسندتَه الى المقتول فالمقتول لم يجرِ له ذكرٌ - قلت هو مسند الى الجارّ و المجرور و هو لَهُمْ كقولك خُيّل اليه كانه قيل و لكن وقع لهم التشبيه - و يجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله اِنَّا قَتَلْنَا يدلّ عليه كانه قيل و لكن شُبّه لهم مَنْ قتلوه [اِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ] استثناء منقطع لان اتّباع الظن ليس من جنس العلم يعني و لكنهم يتّبعون الظن - فان قلت قد وُصفوا بالشك و الشك ان لا يترجّح احد الجائزين ثم وُصفوا بالظن و الظنّ ان يترجّح احدهما فكيف يكونون شاكّين ظانّين - قلت اريد انهم شاكّون ما لهم من علم قطّ ولكن ان لاحت لهم امارة تظنّوا فذاك [وَمَا قَتَلُوْهُ يَقِيْنًا] و ما قتلوه قتلاً يقينًا او ما قتلوه متيقّنين كما ادّعَوْا ذلك في قولهم اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ او تجعل يَقِيْنًا تاكيدا لقوله

يَقِينًا ۝ بَل رَّفَعَهُ اللّٰهُ اِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَاِنْ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ اِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهٖ قَبْلَ مَوْتِهٖ ۚ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ
يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبٰتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ
كَثِيْرًا ۝ وَّاَخْذِهِمُ الرِّبٰوا وَقَدْ نُهُوْا عَنْهُ وَاَكْلِهِمْ اَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَاَعْتَدْنَا لِلْكٰفِرِيْنَ مِنْهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا ۝

وَمَا قَتَلُوْهُ كقولك و ما قتلوه حقًّا اي حقّ انتفاءُ قتله حقًّا - و قيل هو من قولهم قتلتُ الشيء علمًا و نحرتُه علمًا اذا تبالغَ فيه علمُك و فيه تهكّمٌ لانه اذا نُفي عنهم العلمُ نفيًا كليًّا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علمٌ يقين و احاطة لم يكن الا تهكّمًا بهم [لَيُؤْمِنَنَّ بِهٖ] جملة قسميّة واقعةٌ صفةً لموصوف محذوف تقديرُه و اِنْ من اهل الكتاب احد الّا ليؤمنَنّ به ونحوه وَمَا مِنَّآ اِلَّا لَهٗ مَقَامٌ مَّعْلُوْمٌ - وَاِنْ مِّنْكُمْ اِلَّا وَارِدُهَا - و المعنى و ما من اليهود و النصارى احد الّا ليؤمنَنّ قبل موته بعيسى و بانه عبد الله و رسولُه يعني اذا عايَنَ قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانُه لانقطاع وقت التكليف - و عن شهر بن حَوْشَب قال لي الحَجّاج اٰيةٌ ما قرأتُها الا تَخالَجَ في نفسي شيء منها يعني هذه الاٰيةَ - و قال لي اُوتي بالاسير من اليهود و النصارى فَاَضْرِبُ عنقَه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهوديّ اذا حضره الموتُ ضربت الملائكةُ دبرَه و وجهَه و قالوا يا عدوَّ الله اتاك عيسى نبيًّا فكذّبتَ به فيقول اٰمنتُ انه عبد نبيّ و تقول للنصرانيّ اتاك عيسى نبيًّا فزعمتَ انه اللّٰهُ او ابنُ الله فيؤمن انه عبد الله و رسولُه حيث لاينفعه ايمانه قال و كان متّكيًا فاستوى جالسًا فنظر اليّ وقال ممن قلتُ حدّثني محمدُ بن عليّ بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتَها من عينٍ صافية او من معدنها قال الكلبي فقلتُ له ما اردتَ الى اَن تقول حدّثني محمد بن عليّ بن الحنفية قال اردتُ ان اُغيظه يعني بزيادته اسمَ عليّ لانه مشهور بابن الحنفية - و عن ابن عباس رضي الله عنه انه فسّره كذلك فقال له عكْرِمة فان اتاه رجل فضرب عنقَه قال لا تَخْرج نفسُه حتى يُحرّك بها شفَتَيْه قال و ان خرّ من فوق بيت او احترق او اكَلَه سبعٌ قال يتكلم بها في الهواء و لا تخرج روحُه حتى يؤمن به و يدلّ عليه قراءةُ اُبَيّ اِلَّا لَيُؤْمِنُنَّ بِهٖ قَبْلَ مَوْتِهِمْ بضم النون على معنى و اِنْ منهم احد الّا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدًا يصلح للجمع - فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم - قلت فائدته الوعيد و ليكون علمُهم بانهم لابدّ لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة و ان ذلك لا ينفعهم بعثًا لهم وتنبيهًا على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزامًا للحُجّة لهم وكذلك قوله تعالى [وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا] يشهد على اليهود بانهم كذّبوه و على النصارى بانهم دعَوْه ابنَ الله - و قيل الضميران لعيسى بمعنى و اِنْ منهم احدٌ الا ليؤمننّ بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله - روي انه ينزل من السماء في اٰخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الّا يؤمن به حتى تكون الملّة واحدةً و هي ملّة الاسلام و يُهلك اللّٰهُ في زمانه المسيحَ الدجّالَ و تقع الامنة حتى ترتع الاُسُود مع الابل والنمورُ مع البقر و الذئابُ مع الغنم و يلعب الصبيان بالحيّات و يلبث في الارض اربعين سَنَةً ثم يُتوفّى

سورة النساء ٤ الجزء ٦ ع ٢

لٰكِنِ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَآ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيْمِيْنَ الصَّلٰوةَ
وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ وَالْمُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ط اُولٰٓئِكَ سَنُؤْتِيْهِمْ اَجْرًا عَظِيْمًا ۝ اِنَّآ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ كَمَآ اَوْحَيْنَآ
اِلٰى نُوْحٍ وَّالنَّبِيّٖنَ مِنْ بَعْدِهٖ ج وَاَوْحَيْنَآ اِلٰٓى اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَالْاَسْبَاطِ وَعِيْسٰى
وَاَيُّوْبَ وَيُوْنُسَ وَهٰرُوْنَ وَسُلَيْمٰنَ ج وَاٰتَيْنَا دَاوٗدَ زَبُوْرًا ۝ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنٰهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا
لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ط وَكَلَّمَ اللّٰهُ مُوْسٰى تَكْلِيْمًا ۝ رُسُلًا مُّبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ لِئَلَّا يَكُوْنَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّٰهِ حُجَّةٌ

ويُصلي عليه المسلمون ويدفنونه - ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم - وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم [فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا] فبأي ظلم منهم - والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وَعَلَى الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِيْ ظُفُرٍ وحرمت عليهم الألبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من اطعامهم وغيرها [وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ كَثِيْرًا] ناسا كثيرا او صدا كثيرا [بِالْبَاطِلِ] بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب [لٰكِنِ الرّٰسِخُوْنَ] يريد من امن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون [وَالْمُؤْمِنُوْنَ] يعني المؤمنين منهم - او المؤمنين من المهاجرين والانصار - وارتفع الرّٰسِخُوْنَ على الابتداء ويؤمنون خبره [وَالْمُقِيْمِيْنَ] نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يُلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه مَنْ لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب ومواقع في النصب على الاختصاص من الامتنان وعُيِّبَ عليه ان لم يكتب الاولين الذين مَثَلُهم في التوراة ومثلُهم في الانجيل كالوا ابعدَ همةً في الغيرة على الاسلام وذبِّ المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثُلمة ليسدَّها مَنْ بعدهم وخرقًا يرقوه مَنْ يَلحق بهم - وقيل هو عطف على بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء - وفي مصحف عبد الله وَالْمُقِيْمُوْنَ بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي [اِنَّآ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ] جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسولَ الله ان يُنزل عليهم كتابا من السماء واحتجاجٌ عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا * وقرئ زُبُوْرًا بضم الزاء جمع زِبْر وهو الكتاب [وَرُسُلًا] نصب بمضمر في معنى ارحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا وما اشبه ذلك او بما فسّره [قَصَصْنٰهُمْ] وفي قراءة اُبَيّ وَرُسُلٌ قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلٌ لَّمْ نَقْصُصْهُمْ - وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب انهما قرءا وَكَلَّمَ اللّٰهَ بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكَلْم وان معناه وجرّح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن [رُسُلًا مُّبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ] الوجه ان ينتصب على المدح - ويجوز انتصابه على

بَعْدَ الرُّسُلِ ط وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ لٰكِنِ اللّٰهُ يَشْهَدُ بِمَآ اَنْزَلَ اِلَيْكَ اَنْزَلَهٗ بِعِلْمِهٖ ج وَالْمَلٰٓئِكَةُ يَشْهَدُوْنَ ط وَكَفٰى بِاللّٰهِ شَهِيْدًا ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ قَدْ ضَلُّوْا ضَلٰلًا بَعِيْدًا ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَظَلَمُوْا لَمْ يَكُنِ اللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيْقًا ۝ اِلَّا طَرِيْقَ جَهَنَّمَ خٰلِدِيْنَ فِيْهَآ اَبَدًا ط وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا ۝ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الرَّسُوْلُ بِالْحَقِّ مِنْ رَّبِّكُمْ فَاٰمِنُوْا خَيْرًا لَّكُمْ ط وَاِنْ تَكْفُرُوْا فَاِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ط وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيْمًا حَكِيْمًا ۝ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لَا تَغْلُوْا فِيْ دِيْنِكُمْ وَلَا تَقُوْلُوْا عَلَى اللّٰهِ اِلَّا الْحَقَّ ط اِنَّمَا

التكرير - فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها - قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له - قرأ السلمي لٰكِنَّ اللّٰهَ يَشْهَدُ بالتشديد - فان قلت الاستدراك لابد له من مستدرَك فما هو في قوله لٰكِنِ اللّٰهُ يَشْهَدُ - قلت لما سأل اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله اِنَّا اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ قال لٰكِنِ اللّٰهُ يَشْهَدُ بمعنى انهم لا يشهدون لكن الله يشهد - وقيل لما نزل اِنَّا اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لٰكِنِ اللّٰهُ يَشْهَدُ - ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق - فان قلت بم يجابون لو قالوا بم يعلم ان الملائكة يشهدون بذلك - قلت يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة ماشهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته - فان قلت ما معنى قوله [اَنْزَلَهٗ بِعِلْمِهٖ] وما موقعه من الجملة التي قبله - قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه - وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه - ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين يرصد من الملائكة [وَالْمَلٰٓئِكَةُ يَشْهَدُوْنَ] بذلك كما قال في آخر سورة الحن الاترى الى قوله وَاَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ والاحاطة بمعنى العلم [وَكَفٰى بِاللّٰهِ شَهِيْدًا] وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا - قُلْ اَيُّ شَيْءٍ اَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّٰهُ [كَفَرُوْا وَظَلَمُوْا] جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة [وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيْقًا] لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جنهم - او لا يهديهم يوم القيمة طريقا الا طريقها [يَسِيْرًا] اي لا معارض له منه [فَاٰمِنُوْا خَيْرًا لَّكُمْ] وكذلك اِنْتَهُوْا خَيْرًا لَّكُمْ انتصابه بمضمر وذلك

سورة النساء ٤ الحزء ٦ ع ٣

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ۚ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ قف وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن

انه لمّا بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خَيْرًا لَّكُمْ اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر و التثليث و هو الايمان و التوحيد [لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ] غلت اليهود في حطّ المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رِشْدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الٰها [وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ] وهو تنزيهه عن الشريك و الولد - و قرأ جعفر بن محمد إِنَّمَا الْمَسِيحُ بوزن السَّكِّيت - وقيل لعيسى كَلِمَةُ اللّٰه و كلمةٌ منه لانه وُجد بكلمته و امره لا عن غير من غير واسطة اب و لا نطفة - و قيل له رُوحُ اللّٰه و رُوحٌ مِّنْهُ لذلك لانه ذو روح وُجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحيّ و انما اختُرع اختراعا من عند الله و قدرته خاصةً و معنى [أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ] اوصلها اليها و حصّلها فيها [ثَلَاثَةٌ] خبر مبتدا محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب و اقنوم الابن و اقنوم روح القدس و انهم يريدون باقنوم الاب الذات و باقنوم الابن العلم و باقنوم روح القدس الحيوة فتقديره اللّٰهُ ثلثة و الّا فتقديره الآلهة ثلثة و الذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله و المسيح و مريم ثلثة آلهة و ان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ - وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ و المشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتيّة و ناسوتيّة من جهة الاب و الام - و يدل عليه قوله تعالى إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فاثبت انه ولد لمريم اتّصل بها اتصالَ الاولاد بامّهاتهم و ان اتصاله بالله عزّ و جلّ من حيث انه رسوله و انه موجود بامره و ابتداعه جسدا حيّا من غير اب فنفى ان يتّصل به اتصالَ الابناء بالآباء و قوله [سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ] و حكايةُ الله اونقُ من حكاية غيره - و معنى سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ سبحه تسبيحا من ان يكون له ولد - و قرأ الحسنُ إِنْ يَّكُونُ بكسر الهمزة و رفع النون اي سبحانه ما يكون له ولدٌ على ان الكلام جملتان [لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] بيان لتنزيهه ممّا نُسب اليه يعني ان كل ما فيها خَلْقه و مِلْكه فكيف يكون بعض ملكه جزءً منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام و هو متعالٍ عن صفات الاجسام و الاعراض [وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا] يَكِلُ اليه الخلقُ كلّه امورَهم فهو الغنيّ عنهم و هم الفقراء اليه [لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ] ان يانف و ان يذهب بنفسه عزّةً من نكفتُ الدمعَ اذا نحيتَه عن خدّك باصبعك [وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ] ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم خطرا و هم الملائكة الكَرُوبيّون الذين حول العرش كجبرئيل و ميكائيل و اسرافيل و مَنْ في طبقتهم - فان قلت من اين دلّ قوله [وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ] على ان المعنى و لا مَنْ فوقه - قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك و ذلك ان الكلام

يَّسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهٖ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ اِلَيْهِ جَمِيْعًا ۝ فَاَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ فَيُوَفِّيْهِمْ اُجُوْرَهُمْ وَيَزِيْدُهُمْ مِنْ فَضْلِهٖ ۚ وَاَمَّا الَّذِيْنَ اسْتَنْكَفُوْا وَاسْتَكْبَرُوْا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا ۝ وَّلَا يَجِدُوْنَ لَهُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَّلَا نَصِيْرًا ۝ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَاَنْزَلْنَآ اِلَيْكُمْ نُوْرًا مُّبِيْنًا ۝ فَاَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوْا بِهٖ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِيْ رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَّيَهْدِيْهِمْ اِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيْمًا ۝ يَسْتَفْتُوْنَكَ ؕ

انما سيق لردّ مذهب النصارى وغلوّهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفّع عيسى عن العبودية ولا مَنْ هوا رفع منه درجةً كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح و يدلّ عليه دلالةً ظاهرةً بيّنةً تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجةً و اعلاهم منزلةً ومثاله قول القائل * شعر * و ما مثله ممن يجاود حاتمٌ * ولا البحر ذو الامواج يلتجّ زاخرهُ * لا شبهة في انه قصدَ بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود - و مَنْ كان له ذوق فليذُقْ مع هذه الآية قولهُ وَلَنْ تَرْضٰى عَنْكَ الْيَهُوْدُ وَلَا النَّصٰرٰى حتى يعترف بالفرق البيّن - وقرأ عليّ رضي الله عنه عُبَيْدًا لِلّٰهِ على التصغير - وروي ان وفد نجرانَ قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لِمَ تعيبُ صاحبَنا قال و مَنْ صاحبكم قالوا عيسى قال وايّ شيء اقول قالوا تقول انه عبدُ اللّٰهِ ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدًا للّٰه قالوا بلى فنزلتْ اي لايستنكف عيسى من ذلك فلاتستنكفوا له منه فلو كان موضعَ استنكافٍ لكان هو اولى بان يستنكف لان العار اَلْصقُ به - فان قلت علام عطف قوله وَلَا الْمَلٰٓئِكَةُ - قلت لا يخلو امّا ان يعطف على المَسِيْح اوعلى اسم يَكُوْنَ اوعلى المستتر في عَبْدًا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة و قولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا مَنْ فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد اللّٰهَ هو و مَنْ فوقه - فان قلت قد جُعلت الملائكة و هم جماعةٌ عبدًا لله في هذا العطف فما وجهه - قلت فيه وجهان - احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقرّبون ان يكونوا عبادًا لله فحذف ذلك لدلالة عَبْدًا لِلّٰهِ عليه ايجازًا - و امّا اذا عطفتَهم على الضمير في عَبْدًا فقد طاح هذا السوال - قرئ فَسَنَحْشُرُهُمْ بضم الشين وكسرها و بالنون - فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصّل لانه اشتمل على الفريقين و المفصّلُ على فريق واحد - قلت هو مثل قولك جمع الامامَ الخوارجَ فمن لم يخرج عليه كساه و حمله و من خرج عليه نكّل به وصحّةُ ذلك لوجهين - احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدلّ على ذكر الثاني كما حُذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فَاَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوْا بِهٖ - و الثاني و هو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمّهم وكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانّه قيل و من يستنكف عن عبادته و يستكبر فسيعذّب بالحسرة اذا رأى اجورَ العاملين وبما يُصيبه من عذاب الله * [البرهان - والنور المبين] لقرآن اواراد بالبرهان دينَ الحق او رسولَ الله و بالنور المبين ما يُبيّنه و يصدّقه من الكتاب المعجز [فِيْ رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ] في ثواب

سورة النساء ٤ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلٰلَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَّلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَّمْ
الجزء ٦ يَكُنْ لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثٰنِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِنْ كَانُوٓا إِخْوَةً رِّجَالًا وَّنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ
ع ٤ الْأُنْثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ۗ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

مسلحون و تفضّل [وَيَهْدِيَهُمْ إِلَيْهِ] الى عبادته [صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا] و هو طريق الاسلام - و المعنى توفيقهم و تبيينهم * روي انه آخر ما نزل من الاحكام - كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختًا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت - وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت [إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ] ارتفع امْرُؤٌا بمضمر يفسره الظاهر و محل [لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ] الرفعُ على الصفة لا النصبُ على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد و المرادُ بالولد الابنُ و هو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر و على الانثى لان الابن يُسقط الاختَ و لاتُسقطها البنتُ الا في مذهب ابن عباس رضي الله عنه و بالاخت التي هي لاب و ام او لاب دون التي لامّ لان الله فرض لها النصفَ و جعل اخاها عصبةً و قال لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ و اما الاخت لامّ فلها السدس في أية المواريث مسوًّى بينها و بين اخيها [وَهُوَ يَرِثُهَا] و اخوها يرثها ان قُدّر الامر على العكس من موتها و بقائه بعدها [إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهَا وَلَدٌ] اي ابنٌ لان الابن يُسقط الاخَ دون البنت - فان قلت الابن لايُسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلمّ اقتُصر على نفي الولد - قلت بُيّن حكم انتفاء الولد و وُكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنّة وهو قوله عليه السلام اَلْحِقوا الفرائضَ باهلها فما بقي فلأَوْلى عصبةٍ ذكرٍ و الاب اَولى من الاخ و ليسا بأوّل حكمين بُيّن احدهما بالكتاب و الاخر بالسنة - و يجوز ان يُدَلّ بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فأَوْلى ان يرث عند انتفاء الابعد و لان الكلالة تتناول انتفاءَ الوالد و الولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالًّا على انتفاء الاخر - فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية و الجمع في قوله [فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ - وَإِنْ كَانُوٓا إِخْوَةً] - قلت اصله فان كان من يرث بالاُخوّة اثنتين و ان كان من يرث بالاُخوّة ذكورا و اناثا و انما قيل فَإِنْ كَانَتَا - وَإِنْ كَانُوٓا كما قيل مَن كانت أُمّك فكما انّث ضمير مَنْ لمكان تانيث الخبر كذلك ثنّى و جمع ضمير مَنْ يَرِثُ فِي كَانَتَا - وَ كَانُوٓا لمكان تثنية الخبر و جمعه و المراد بالاخوة الاخوة و الاخوات تغليبا لحكم الذكورة [أَنْ تَضِلُّوا] مفعول له و معناه كراهةَ ان تضلّوا - عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة النساء فكانما تصدّق على كل مؤمن و مؤمنة ورثَ ميراثا و أُعطي من الاجر كمن اشترى محرّرا و برئ من الشرك و كان في مشية الله من الذين يُتجاوز عنهم *

كلماتها ٢٨٤٢ — * سورة المائدة مدنية و هي مائة و عشرون أية و ستة عشر ركوعا * — حروفها ١٢٣٦٩٤ — سورة المائدة ٥ الجزء ٦ ع ٤

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ◎

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَوْفُوْا بِالْعُقُوْدِ ۚ اُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيْمَةُ الْاَنْعَامِ اِلَّا مَا يُتْلٰى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَاَنْتُمْ حُرُمٌ ۗ اِنَّ اللّٰهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيْدُ ◎ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تُحِلُّوْا شَعَآئِرَ اللّٰهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَآئِدَ وَلَآ آٰمِّيْنَ

سورة المائدة

يقال وفى بالعهد و اوفى به ومنه وَ الْمُوْفُوْنَ بِعَهْدِهِمْ - و العقدُ العهد المُوثَّق شُبِّه بعقد الحبل و نحوه قال الحُطَيئة * شعر * قومٌ اذا عقدوا عقدًا لِجارهمُ * شَدّوا العِناجَ و شَدّوا فوقه الكربا * و هي عقودُ الله التي عقدها على عباده و ألزمها إياهم من مواجب التكليف - و قيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات و يتحالفون عليه و يتماسحون من المبايعات و نحوها و الظاهرُ انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله و تحريم حرامه و انه كلام قُدّم مجملا ثم عُقّب بالتفصيل و هو قوله اُحِلَّتْ لَكُمْ وما بعده - [البهيمة] كل ذاتِ اربع فى البرّ و البحر و اضافتُها الى [الانعام] للبيان وهي الاضافة التي بمعنى مِنْ كخاتم فضة و معناه البهيمة من الانعام [اِلَّا مَا يُتْلٰى عَلَيْكُمْ] اِلَّا محرّمَ ما يُتْلى عليكم من القرآن من نحو قوله حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ - او اِلَّا مَا يُتْلٰى عَلَيْكُمْ اية تحريمه - و الأنعام الازواج الثمانية - وقيل بهيمة الانعام الظباءُ و بقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويُدانيها من جنس البهائم فى الاجترار وعدم الاَنْياب فاضيفتْ الى الانعام لملابسة الشَبَه [غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ] نصبٌ على الحال من الضمير في لَكُمْ اي اُحلّت لكم هذه الاشياء لا مُحلّين الصيدَ - و عن الاخفش ان انتصابه عن قوله اَوْفُوْا بِالْعُقُوْدِ و قوله [وَاَنْتُمْ حُرُمٌ] حال عن مُحِلّي الصَّيْدِ كانه قيل احللنا لكم بعضَ الانعام في حال امتناعكم من الصيد و انتم مُحْرِمون لئلا تحرّج عليكم - [اِنَّ اللّٰهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيْدُ] من الاحكام و يَعْلم انه حكمة و مصلحة - و الحُرُم جمع حرام و هو المحرم - [الشعائر] جمع شعيرة وهو اسم ما اُشعر اي جُعل شعارًا و عَلَمًا للنُسك من مواقف الحج و مرامي الجمار و المطاف و المسعى و الافعالِ التي هي علامات الحاجّ يُعْرَف بها من الاحرام و الطواف و السعي و الحلق و النحر - و الشهرُ الحرام شهر الحجّ - و الهَدْيُ ما اُهدي الى البيت و تُقُرِّب به الى الله من النسائك و هو جمع هَدْية كما يقال جَدْي في جمع جَدْية السرج - و القلائد جمع قِلادة و هي ما قُلّد به الهدي من نعل او عُرْوة مَزادة او لِحاء شجر او غيرَه - و أمّوا المسجد الحرام قاصدوه و هم الحُجّاج و العُمّار - و احلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر و ان يحال بينها و بين المتنسّكين بها و ان يُحدثوا في شهر الحج ما يصدُّون به الناسَ عن الحج و ان يُتعرّض للهدي بالغصب او بالمنع عن بلوغ محلّه -

سورة المائدة ٥ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ
الجزء ٦ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا
ع ٢
الربع

واما القلائد ففيها وجهان - احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي و هي البُدْن و تعطف على الهدي للاختصاص و زيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ كانه قيل و القلائد منها خصوصًا - والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغةً في النهي عن التعرض للهَدْي على معنى و لا تُحِلّوا قلائدها - فَضْلًا عن ان تُحِلّوها كما قال وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ فنهى عن ابداء الزينة مبالغةً في النهي عن ابداء مواقعها [وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ] و لا تُحِلّوا قوما قاصدين المسجد الحرام [يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ] وهو الثواب [وَرِضْوَانًا] و ان يرضى عنهم اي لاتتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيمًا لهم و استنكارا ان يتعرض لمثلهم - قيل هي محكمة - وعن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم المائدة من آخر القرآن نزولًا فَاحِلّوا حلالها و حَرِّموا حَرامَها - و قال الحسن ليس فيها منسوخ - وعن ابي ميسرةَ فيها ثماني عشرة فريضةً و ليس فيها منسوخ - و قيل هي منسوخة - و عن ابن عباس كان المسلمون و المشركون يحجّون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدًا عن حج البيت بقوله لَا تُحِلّوا ثم نزل بعد ذلك إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ - مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ - وقال مجاهد و الشعبيّ لا تُحِلّوا نُسِخ بقوله وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ. وفُسّر ابتغاء الفضل بالتجارة - و ابتغاءُ الرضوان بان المشركين كانوا يظنّون بانفسهم انهم على سداد من دينهم و ان الحج يُقرّبهم الى الله فوصفهم الله بظنّهم - و قرأ عبد الله وَ لَا آمِّي الْبَيْتَ الْحَرَامَ على الاضافة - و قرأ حميد بن قَيْس و الاعرج تَبْتَغُونَ بالتاء على خطاب المؤمنين [فَاصْطَادُوا] اباحةٌ للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل فاذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا - و قرئ بكسر الفاء - و قيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء - و قرئ وَ إِذَا أَحْلَلْتُمْ يقال حَلّ المُحْرِم و احلّ * جَرَمَ يجري مجرى كسبَ في تعدّيه الى مفعول واحد و اثنين تقول جَرَمَ ذنبًا نحو كسبَه وجرمتُه ذنبًا نحو كسبتُه اياه و يقال اجرمتُه ذنبًا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبتُه ذنبًا وعليه قراءة عبد الله وَلَا يُجْرِمَنَّكُمْ بضم الياء و اولُ المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبينَ و الثاني أَنْ تَعْتَدُوا - و [أَنْ صَدُّوكُمْ] بفتح الهمزة متعلق بالشَنآن بمعنى العلة و الشنآنُ شدة البغض - و قرئ بسكون النون - و المعنى و لا يكسبنّكم بغضُ قوم لأن صدّوكم الاعتداءَ و لا يحملنّكم عليه - و قرئ إِنْ صَدُّوكُمْ على ان الشرطية - و في قراءة عبد الله إِنْ يَصُدُّوكُمْ - و معنى صدّهم اياهم عن المسجد الحرام منعُ اهل مكة رسولَ الله و المؤمنين يوم الحُدَيْبِيَة عن العمرة - و معنى الاعتداء الانتقامُ منهم بالحاق مكروه بهم [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ] على العفو و الاغضاء [وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ] على الانتقام و التشفّي - و يجوز ان يراد العموم لكل بِرّ و تقوى و كلّ اثم و عُدْوان فيتناول لعمومه العفوَ و الانتصارَ * كان اهل الجاهلية يا كلون هذه المحرّمات البهيمية التي تموت حتف

اللّٰهَ ۚ اِنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيْرِ وَمَآ اُهِلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ بِهٖ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوْذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيْحَةُ وَمَآ اَكَلَ السَّبُعُ اِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ قف وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَاَنْ تَسْتَقْسِمُوْا بِالْاَزْلَامِ ؕ ذٰلِكُمْ فِسْقٌ ؕ اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ دِيْنِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ؕ اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ

انفها و الفصيدَ و هو الدم في المباعر يشوونها و يقولون لم يُحْرم مَنْ فُزْدَلَه [وَمَا اُهِلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ بِهٖ] اي رُفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه [وَالْمُنْخَنِقَةُ] التي خَنَقُوْهَا حتى ماتت او انخفقت بسبب [وَالْمَوْقُوْذَةُ] التي اَثْخنوها ضربًا بعصا او حجر حتى ماتت - و التي تردّتْ من جبل او في بئر فماتت - و التي نطحَتْها اخرى فماتت بالنطح - وما اكل السبُعُ بعضَه [اِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ] الّا ما ادركتم ذكاتَه وهو يضطرب اضطرابَ المذبوح وتشخُبُ اوداجُه - و قرأ عبد الله وَالْمَنْطُوْحَةُ - وفي رواية عن ابي عمرو السَّبْعُ بسكون الباء - وقرأ ابن عباس وَاَكِيْلُ السَّبُعِ [وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ] كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظّمونها بذلك ويتقرّبون به اليها تُسمّى الانصابَ و النُّصُبُ واحد قال الاعشى * ع * وذا النُّصُبَ المنصوبَ لاتعبدَنَّهُ - وقيل هو جمع والواحد نصاب - وقرئ النُّصْبُ بسكون الصاد [وَاَنْ تَسْتَقْسِمُوْا بِالْاَزْلَامِ] و حُرّم عليكم الاستقسام بالقداح - كان احدهم اذا اراد سفرًا او غزوًا او تجارةً او نكاحًا او امرًا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربّي وعلى بعضها امرني ربّي وبعضُها غُفْل فان خرج الأمر مضى لطيّته و ان خرج الناهي اَمسك و ان خرج الغُفْل اجالها عَوْدًا - فمعنى الاستقسام بالازلام طلبُ معرفة ما قُسم له مما لم يقسم له بالازلام - وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزورَ على الانصباء المعلومة [ذٰلِكُمْ فِسْقٌ] الاشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حُرّم عليهم لان المعنى حُرّم عليكم تناولُ الميتة وكذا وكذا - فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرّف الحال فسقًا - قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استاثر به علّامُ الغيوب و قال لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ الْغَيْبَ اِلَّا اللّٰهُ واعتقادٌ ان اليه طريقًا و الى استنباطه و قولَه امرني ربّي ونهاني ربّي افتراءٌ على الله و ما يدريه انه امره او نهاه و الكَهَنَة و المنجّمون بهذه المثابة - و ان كان اراد بالربّ الصنَم فقد رُوي انهم كانوا يُجيلونها عند اصنامهم فَاَمْرُهُ ظاهر * [اَلْيَوْمَ] لم يُرد به يوما بعينه و انما اراد الزمانَ الحاضرَ و ما يتصل به و يُدانيه من الازمنة الماضية و الآتية كقولك كنت بالامس شابًّا و انت اليوم اشيب فلا تُريد بالامس اليومَ الذي قبل يومك و لا باليوم يومك ونحوه اَلْاٰنَ في قوله * شعر * اَلْاٰنَ لمّا ابيضَّ مَسْرُبَتي * وعضضتُ من نابي على جِذَمِ * و قيل اريد يومُ نزولها و قد نزلتْ يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجّة الوداع [يَئِسَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ دِيْنِكُمْ] يئسوا منه ان يُبطلوه وان ترجعوا مُحلّلين لهذه الخبائث بعد ما حُرّمتْ عليكم - و قيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عزّ وجلّ وفى بوعده من اظهاره على الدين كلّه [فَلَا تَخْشَوْهُمْ] بعد اظهار الدين و زوال الخوف من الكفّار و انقلابهم مغلوبين

وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِينًا ط فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِاِثْمٍ فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ۝ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا اُحِلَّ لَهُمْ ط قُلْ اُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبٰتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ

مقهورين بعد ما كانوا غالبين [وَاخْشَوْنِي] و اَخْلِصوا لي الخشية [اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ] كَفَيْتكم امرَ عدوكم و جعلتُ اليدَ العُليا لكم كما تقول الملوكُ اليومَ كمَلَ لنا الملكُ و كمَلَ لنا ما نريد اذا كُفوا مَن ينازعهم الملكَ و وصلوا الى اغراضهم و مآربهم - او اكملتُ لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام و التوقيف على الشرائع و قوانين القياس و اصول الاجتهاد [وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي] بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين و هدم مَنار الجاهلية و مَناسكهم و ان لم يحج معكم مُشرك ولم يطُف بالبيت عُريان - او اَتْمَمْتُ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ باكمال امر الدين و الشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي اذلك لانه لا نعمة اتمّ من نعمة الاسلام [وَرَضِيتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِينًا] بمعنى اخترتُه لكم من بين الاديان واَذنتكم بانه هو الدين المرضيّ وحده وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْاِسْلَامِ دِينًا - اِنَّ هٰذِهٖ اُمَّتُكُمْ اُمَّةً وَاحِدَةً - فان قلت بم اتصل قوله [فَمَنِ اضْطُرَّ] - قلت بذكر المحرمات وقوله ذٰلِكُمْ فِسْقٌ اعتراض اُكّد به معنى التحريم و كذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل و النعمة التامّة و الاسلام المنعوت بالرضى دون غيره من المِلَل ومعناه فمن اضطُرّ الى الميتة او الى غيرها [فِي مَخْمَصَةٍ] في مَجاعة [غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِاِثْمٍ] غيرَ مُنْحرف اليه كقوله تعالى غَيْرَ بَاغٍ وَّلَا عَادٍ [فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] لا يواخذه بذلك * في السوال معنى القول فلذلك وقع بعده [مَاذَا اُحِلَّ لَهُمْ] كانه قيل يقولون لك ماذا اُحلّ لهم وانما لم يُقَلْ ماذا اُحلّ لنا حكايةً لما قالوه الا ان يَسْـَٔلُونَكَ بلفظ الغيبة كما تقول اَقْسَمَ زيد ليفعلنّ ولو قيل لَاَفعلنّ واُحلّ لنا لكان صوابا - و مَاذَا مبتدأ وَاُحِلَّ لَهُمْ خبره كقولك اىّ شيء اُحلّ لهم و معناه ماذا احلّ لهم من المطاعم كانهم حين تُلي عليهم ما حُرّم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما اُحلّ لهم منها فقيل [اُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبٰتُ] اي ما ليس بخبيث منها و هو كل ما لم يات تحريمه في كتاب او سنّة او قياس مجتهد [وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ] عطف على الطَّيِّبٰتُ اي اُحلّ لكم الطيّبات و صَيْد ما علّمتم فحذف المضاف او تجعل مَا شرطية وجوابها فَكُلُوا - و الجوارح الكواسب من سباع البهائم و الطير كالكلب و الفهد والنمر و العُقاب و الصقر و الباز و الشاهين [و المكلِّب] مؤدّب الجوارح ومُضَرّيها بالصيد لصاحبها و رائضها لذلك بما عَلِم من الحيل وطُرق التاديب و التذقيف و اشتقاقهُ من الكلب لان التاديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتُقّ من لفظه لكثرته في جنسه - او لان السبع يسمّى كلبا و منه قوله عليه السلام اللّٰهم سَلِّطْ عليه كلبًا من كلابك فاكله الاسدُ - اومن الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كَلِبٌ بكذا اذا كان ضاريا به و انتصابُ مُكَلِّبِينَ على الحال من عَلَّمْتُمْ - فان قلت ما فائدة هذه الحال و قد استُغْني عنها بعَلَّمْتُمْ - قلت فائدتها ان يكون مَنْ يُعلّم الجوارح نحريراً في علمه مدرّبا فيه موصوفا بالتكليب [تُعَلِّمُونَهُنَّ] حال ثانية او استيناف - و فيه فائدة جليلة وهي انّ على كل

مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّٰهُ ز فَكُلُوْا مِمَّآ اَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهِ ص وَاتَّقُوا اللّٰهَ ط اِنَّ اللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ۝ اَلْيَوْمَ اُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبٰتُ ط وَطَعَامُ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ص وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ز وَالْمُحْصَنٰتُ مِنَ الْمُؤْمِنٰتِ وَالْمُحْصَنٰتُ مِنَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ اِذَآ اٰتَيْتُمُوْهُنَّ اُجُوْرَهُنَّ مُحْصِنِيْنَ غَيْرَ مُسٰفِحِيْنَ وَلَا مُتَّخِذِيْٓ اَخْدَانٍ ط

اُخذ علماً ان لاياخذه الا من اقتل اهله علماً و اكرمهم دراية و اغوصهم على لطائفه و حقائقه و ان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من اخذ عن غير متقن قد ضيّع ايامه و عضّ عند لقاء النحارير انامله [مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّٰهُ] من علم التكليب لانه الهام من الله و مكتسب بالعقل - او مما عرّفكم ان تُعلّموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه و انزجاره بزجره و انصرافه بدعائه و امساكه الصيد عليه و ان لايأكل منه - وقرئ مُكْلِبِيْنَ بالتخفيف و افعل و فعّل يشتركان كثيرا - و الامساك على صاحبه ان لايأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه - و عن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تأكل - وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب و لم يشترطوه في سباع الطير و منهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا و لم يفرق بين امساك الكل و البعض - وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص و ابي هريرة رضي الله عنهم اذا اكل الكلب ثلثيه و بقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل - فان قلت الام رجع الضمير في قوله [وَاذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهِ] - قلت امّا ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسّموا عليه اذا ادركتم ذكاته - او الى ما علّمتم من الجوارح اي سمّوا عليه عند ارساله [طَعَامُ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ] قيل هو ذبائحهم - وقيل جميع مطاعمهم - ويستوي في ذلك جميع النصارى - و عن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب و قال ليسوا على النصرانية و لم يأخذوا منها الا شرب الخمر و به اخذ الشافعي رحمه الله - و عن ابن عباس انه سُئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لابأس و هو قول عامة التابعين و به اخذ ابو حنيفة و اصحابه - و حكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة و قال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور و يعبدون الملائكة و صنف لا يقرؤن كتابا و يعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب - و اما المجوس فقد سُنّ بنم سنّة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم و نكاح نسائهم - و قد روي عن ابن المسيّب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله و يذبح فلا بأس - وقال ابو ثور و ان امره بذلك في الصحة فلا بأس وقد اساء [وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ] فلا عليكم ان تُطعموهم لانه لوكان حراما عليهم طعام المؤمنين لمّا ساغ لهم اطعامهم * [اَلْمُحْصَنٰتُ] الحرائر و العفائف و تخصيصهن بعث على تخيّر المؤمنين لنُطفهم - و الاماء من المسلمات يصحّ نكاحهن بالاتفاق - وكذلك نكاح غير العفائف منهن - واما الاماء الكتابيات عند ابي حنيفة هنّ كالمسلمات و خالفه الشافعي و كان ابن عمر لايرى نكاح الكتابيات و يحتجّ بقوله وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكٰتِ حَتّٰى يُؤْمِنَّ و يقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى - و عن عطاء قد اكثر الله المسلمات و انما رُخّص لهم يومئذ [مُحْصِنِيْنَ] اعفاء [وَلَا مُتَّخِذِيْٓ اَخْدَانٍ]

سورة المائدة ٥ الجزء ٦ ع ٥

وَمَنْ يَّكْفُرْ بِالْاِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهٗ ز وَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ۝ ع يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اِذَا قُمْتُمْ اِلَى الصَّلٰوةِ فَاغْسِلُوْا وُجُوْهَكُمْ وَاَيْدِيَكُمْ اِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوْا بِرُءُوْسِكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ اِلَى الْكَعْبَيْنِ ط وَاِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوْا ط

صدائق و الخدن يقع على الذكر و الانثى - [وَمَنْ يَّكْفُرْ بِالْاِيْمَانِ] بشرائع الاسلام و ما احل الله و حرم * [اِذَا قُمْتُمْ اِلَى الصَّلٰوةِ] كقوله فَاِذَا قَرَأْتَ الْقُرْاٰنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ و كقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة الفعل - فان قلت لم جاز ان يعبّر عن ارادة الفعل بالفعل - قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه و ارادته له و هي قصده اليه و ميله و خلوص داعيه فكما عبّر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لايطير و الاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران و الابصار و منه قوله تعالى نُعِيْدُهٗ وَعْدًا عَلَيْنَا اِنَّا كُنَّا فَاعِلِيْنَ يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبّر عن ارادة الفعل بالفعل و ذلك لان الفعل مسبّب عن القدرة و الارادة فاقيم المسبّب مقام السبب للملابسة بينهما و لايجاز الكلام و نحوه من اقامة المسبّب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبّر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبّب عنه - و قيل معنى قُمْتُمْ اِلَى الصَّلٰوةِ قصدتموها لانّ من توجّه الى شيء و قام اليه كان قاصدًا له لا محالة فعبّر عن القصد له بالقيام اليه - فان قلت ظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث و غير محدث فما وجهه - قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة و ان يكون للندب - و عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و الخلفاء بعده انهم كانوا يتوضّؤن لكل صلوة - و عن النبيّ صلى الله عليه و اله و سلم من توضّأ على طهر كتب الله له عشر حسنات - و عنه عليه السلام انه كان يتوضّأ لكل صلوة فلمّا كان يوم الفتح مسح على خفّيه فصلّى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عمدًا فعلته يا عمر يعني بيانًا للجواز - فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين و غيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب و لهؤلاء على وجه الندب - قلت لا لان تناول الكلمة الواحدة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز و التعمية - و قيل كان الوضوء لكل صلوة واجبًا اول ما فرض ثم نسخ - الى تفيد معنى الغاية مطلقا فامّا دخولها في الحكم و خروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فَنَظِرَةٌ اِلٰى مَيْسَرَةٍ لان الاعسار علة الانظار و بوجود الميسرة تزول العلة و لو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا او موسرا - و كذلك اَتِمُّوا الصِّيَامَ اِلَى اللَّيْلِ و لو دخل الليل لوجب الوصال و مما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله و منه قوله تعالى مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصٰى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله - و قوله تعالى اِلَى الْمَرَافِقِ - وَاِلَى الْكَعْبَيْنِ لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل و اخذ زفر و داؤد بالمتيقن فلم يدخلاها - و عن النبيّ صلى الله عليه و اله و سلم

وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

انه كان يُدير الماءَ على مرفقيه [وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ] المراد الصاق المسح بالرأس وماسحُ بعضه ومستوعبُه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعابَ اواكثرَه على اختلاف الرواية - واخذ الشافعيّ رحمه الله باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح - واخذ ابو حنيفة رحمه الله ببيان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو ما رُوي انه صلّى الله عليه وآله وسلّم مسح على ناصيته وقَدَّر الناصيةَ بُرْبُعِ الرأس - وقرأ جماعةٌ [وَأَرْجُلَكُمْ] بالنصب فدلّ على ان الأَرْجُلَ مغسولة - فان قلت فما تصنع بقراءة الجرّ ودخولها في حكم المسح - قلت الأَرْجُل من بين الاعضاء الثلثة المغسولة تُغْسل بصبّ الماء عليها فكانت مَظِنّة للإسراف المذموم المنهيّ عنه فعُطفتْ على الرابع الممسوح لا لتُمْسَحَ ولكن ليُنبّهَ على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها - وقيل إلى الكَعْبَيْنِ فجيء بالغاية إماطةً لظنّ ظانٍّ يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة - وعن عليّ رضي الله عنه انه اشرفَ على فئة من قُريش فرأى في وضوءهم تجوّزًا فقال ويل للأعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا - وعن ابن عمر كُنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فتوضّأ قوم وأعقابُهم بيض تلوح فقال ويل للأعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب - وعن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلا يتوضّأ فترك باطنَ قدَمَيْه فامره ان يُعيد الوضوءَ وذلك للتغليظ عليه - وعن عايشة رضي الله عنها لأَنْ تُقْطعا احبّ اليّ من ان امسح على القدمين بغير خُفَّين - وعن عطاء والله ما علمتُ ان احدا من اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مسح على القدمين - وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح - وعن الحسن انه جمع بين الامرين - وروي عن الشعبيّ نزل القرآن بالمسح والغسلُ سنة - وقرأ الحسن وَأَرْجُلُكُمْ بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين * وقرئ فَأَطْهِرُوا اي فطهّروا أبدانكم وكذلك لِيُطْهِرَكُمْ * وفي قراءة عبد الله فَأَمُّوا صَعِيدًا [مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ] في باب الطهارة حتى لايرخّص لكم في التيمم [وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ] بالتراب اذا أعوزكم التطهر بالماء [وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ] وليتمّ برُخصه انعامَه عليكم بعزائمه [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] نعمتَه فيُثيبكم [وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ] وهي نعمة الاسلام [وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ] اي عاقَدَكم به عقدا وثيقا هو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايَعهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمَنْشَط والمَكْرَه فقبلوا وقالوا [سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا] - وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان * عُدّي [يَجْرِمَنَّكُمْ] بحرف الاستعلاء مضمّنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنّكم - ويجوز ان يكون قوله أَنْ تَعْتَدُوا بمعنى على ان تعتدوا

وَاتَّقُوا اللّٰهَ ط اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُوْنُوْا قَوّٰمِيْنَ لِلّٰهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْا ط اِعْدِلُوْا ق هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى ز وَاتَّقُوا اللّٰهَ ط اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ ۝ وَعَدَ
اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّاَجْرٌ عَظِيْمٌ ۝ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَآ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ

فحُذف مع ان و نحوُه قوله عليه السلام من اتُّمِنَ على مَلِيّ فليَتْبَعْ لانه بمعنى أُحيلَ - و قرئ شَنْاٰنُ بالسكون و نظيره في المصادر لَيَان - و المعنى لا يحملنكم بغضُكم للمشركين على ان تتركوا العدلَ فتعتدوا عليهم بان تتقصّروا منهم و تتنقّوا مما في قاوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحلّ لكم من مُثْلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك [اِعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى] نباهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف فصرّح لهم بالامر بالعدل تاكيدا و تشديدا ثم استانف فذكرلهم وجه الامر بالعدل و هو قوله [هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى] اي العدل اقرب الى التقوى و ادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفاً فيها و فيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظنّ بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياء و احبّاؤه * [لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّاَجْرٌ عَظِيْمٌ] بيان للموعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال فذمّ لهم و عدا فقيل اي شيء وَعَدَه لهم فقيل لهم مغفرة و اجر عظيم - او يكون على ارادة القول بمعنى وَعَدهم و قال لهم مغفرة - او على اجراء وَعَدَ مُجْرى قال لانه ضربٌ من القول - او يجعل وَعَدَ واقعا على الجملة التي هي لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ كما وقع تَرَكْنَا على قوله سَلَامٌ عَلٰى نُوْحٍ كانه قيل و عدهم هذا القولَ و اذا وعدهم من لا يُخلف الميعادَ هذا القولَ فقد وعدهم مضمونَه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقّون به عند الموت و يوم القيمة فيسرّون به و يستريحون اليه و يهوّن عليهم السكرات والاهوالَ قبل الوصول الى الثواب * روي ان المشركين رأوا رسولَ الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و اصحابَه قاموا الى صلوة الظهر يصلّون معا وذلك بعُسْفان في غزوة ذي امار فلما صلّوا ندموا الا كانوا اكبّوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوةً هي احبُّ اليهم من ابنائهم و ابنائهم يعنون صلوةَ العصر و همّوا بان يوقعوا بهم اذ قاموا لها فنزل جبرئيل عليه السلام بصلوة الخوف - و روي ان رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم اتى بني قُرَيْظة و معه الشيخان و عليّ رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن اُمَيّة الضَّمْري خطأً بحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلِسْ حتى نُطعمَك و نُقرضَك فجلسوه في صُفّة و همّوا بالفتك به و عمد عمرو بن جِحّاش الى رحًى عظيمة يطرحها عليه فامسك اللّٰهُ يدَه و نزل جبرئيل عليه السلام فاخبره فخرج - و قيل نزل منزلا و تفرّق الناس في الظلّ يستظلّون بها فعلّق رسولُ الله صلّى الله عليه و آله و سلّم سلاحَه بشجرة فجاء اعرابي فسلّ سيف رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ثم اقبل عليه فقال مَن يمنعك مني قال اللّٰهُ ثلاثا و شام الاعرابيُّ السيفَ فصاح رسولُ الله صلّى الله عليه و آله وسلّم باصحابه فاخبرهم و ابى ان يعاقب * يقال بسط اليه لسانَه اذا شتمه و بسط اليه يدَه اذا بطش به و [يَبْسُطُوْٓا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ] و السنتَهم بالسوء - و معنى بسط

الْجَحِيمِ ◎ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ ط وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ◎ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ
عَشَرَ نَقِيبًا ط وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ط لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلٰوةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكٰوةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ ج فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ◎ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قٰسِيَةً ج يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ

اليد مدّها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع و مديد الذراع بمعنى * [فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ] فمنعها ان تُمدّ اليكم * لمّا استقرّ بنواسرائيل بمصرَ بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام و كان يسكنها الكنعانيّون الجبابرةُ و قال لهم اني كتبتُها لكم دارا و قرارا فاخرجوا اليها و جاهدوا مَنْ فيها و اني ناصركم و امَرَ موسى بان يأخذَ من كل سبط نقيبًا يكون كفيلًا على قومه بالوفاء بما أُمروا به توثقةً عليهم فاختار النقباءَ و اخذ الميثاقَ على بني اسرائيل و تكفّلَ لهم به النُقَباءُ و ساربهم فلمّا دنا من ارض كنعان بعث النقباءَ يتجسّسون فرأوا أجراما عظيمة و قوّةً و شوكةً فهابوا فرجعوا و حدّثوا قومَهم و قد نهاهم موسى عليه السلام ان يُحدّثوهم فنكثوا الميثاقَ الّا كالبَ بنَ يوفنّا من سبط يهودا و يوشعَ بنَ نُون من سبط افرائيمَ بن يوسف و كانا من النُقَباء - والنقيب الذي يُنقّب عن احوال القوم و يُفتّش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرّفها - [إِنِّي مَعَكُمْ] اني ناصركم و مُعينكم [عَزَّرْتُمُوهُمْ] نصرتموهم و منعتموهم من ايدى العدوّ - و منه التعزير و هو التنكيل و المنعُ من معاودة الفساد - و قرئ بالتخفيف يقال عَزَرْتُ الرجلَ اذا خطّأته و كنفتَه و التعزيرُ و التأديبُ من واد واحد و منه لَتُنصُرُنّك نصرًا مؤزّرا اي قويًّا - و قيل معناه و لقد اخذنا ميثاقهم بالايمان و التوحيد و بعثنا منهم اثني عشر مَلِكًا يُقيمون فيهم العدلَ و يأمرونهم بالمعروف و ينهَوْنهم عن المنكر - و اللام في لَئِنْ أَقَمْتُمْ موطّية للقسم و في لَأُكَفِّرَنَّ جواب له و هذا الجواب سادٌّ مسدَّ جواب القسم و الشرط جميعا [بَعْدَ ذٰلِكَ] بَعْدَ ذلك الشرط المؤكّد المعلّق بالوعد العظيم - فان قلت من كَفَر قبل ذلك ايضا فقد ضلّ سواء السبيل - قلت اجَلْ و لكن الضلال بعده اظهر و اعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعِظَم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر و تمادى - [لَعَنّٰهُمْ] طَرَدْناهم و اخرجناهم من رحمتنا - و قيل مسخناهم - و قيل ضربنا عليهم الجزيةَ [وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قٰسِيَةً] خَذَلْناهم و مَنَعْناهم الألطافَ حتى قستْ قلوبهم - او املينا لهم و لم نُعاجلْهم بالعقوبة حتى قستْ - و قرأ عبد الله قَسِيَّةً اي رديّة مغشوشة من قولهم درهم قَسِيٌّ و هو من القَسْوة لان الذهب و الفضّة الخالصين فيهما لِين و المغشوش فيه يُبْس وصلابة و القاسي و القاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس و الصلابة - و قرئ قَسِيَّةً بكسر القاف للاتباع - [يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ] بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوةَ اشدُّ من الافتراء على الله تعالى و تغيير وَحْيه [وَنَسُوا حَظًّا] و تركوا نصيبا جزيلا و قسطا وافيا [مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ] من التوراة يعني أنّ تركهم و اعراضهم عن

وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۖ فَأَغْرَيْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ
إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ

التوراة اغفال حظ عظيم - او نسيت قلوبهم و نسيت فحرفوا التوراة و زلت اشياء منها عن حفظهم - و عن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية و تلا هذه الآية - و قيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه و اله وسلم و بيان نعته - [وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ] اي هذه عادتهم و هجيراهم و كان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل و هؤلاء يخونونك ينكثون عهودك و يظاهرون المشركين على حربك و يهمون بافتك بك و ان يسمّوك [عَلَىٰ خَائِنَةٍ] على خيانة - او على فعلة ذات خيانة - او على نفس او فرقة خائنة - و يقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للمبالغة قال * شعر * حدثت نفسك بالوفاء و لم تكن * الغدر خائنة مغل الاصبع * و قرىء عَلَىٰ خِيَانَةٍ مِنْهُمْ - [إِلَّا قَلِيلًا] و هم الذين امنوا منهم [فَاعْفُ عَنْهُمْ] بعث على مخالقتهم - و قيل هو منسوخ بآية السيف - و قيل فاعف عن مؤمنيهم و لا تؤاخذهم بما سلف منهم - [أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ] اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله و الرسل و بافعال الخير - او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك - فان قلت فهلا قيل من النصارى - قلت لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله و هم الذين قالوا لعيسى نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ثم اختلفوا بعد نسطورية و يعقوبية و ملكانية انصارا للشيطان - [فَأَغْرَيْنَا] فالصقنا و الزمنا من غريي بالشيء اذا لزمه و لصق به و اغراه غيره و منه الغراء الذي يلصق به [بَيْنَهُمُ] بين فرق النصارى المختلفين - و قيل بينهم و بين اليهود و نحوه وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا - او يلبسكم شيعا و يذيق بعضكم بأس بعض * [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ] خطاب لليهود و النصارى [مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ] من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم و من نحو الرجم [وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ] مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية و لم تكن فيه فائدة . او اقتضاء حكم و صفته مما لابد من بيانه و كذلك الرجم و ما فيه احياء شريعة و اماتة بدعة - و عن الحسن و يعفو عن كثير منكم لا يواخذه - [قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ] يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك و الشك و لابانته ما كان خافيا على الناس من الحق - او لانه ظاهر الاعجاز [مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ] مَنْ آمن منهم [سُبُلَ السَّلَامِ] طرق السلامة و النجاة من عذاب الله - او سُبُل الله * قولهم [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ] معناه بتّ القول على ان حقيقة الله هو المسيح

سورة المائدة ٥
الجزء ٦
ع ٧

أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصٰرٰى نَحْنُ أَبْنٰؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۗ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۗ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ۗ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يٰأَهْلَ الْكِتٰبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلٰى فَتْرَةٍ مِنَ
الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ع

لا غيرُ - قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك - و قيل ما صرّحوا به و لكن مذهبهم يُؤدّي اليه حيث اعتقدوا انه يَخْلق و يُحْيي و يُميت و يُدبّر امر العالم [قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا] فَمَنْ يمنع من قدرته و مشيّته شيأً [إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ] مَنْ دَعَوْهُ الٰهاً من المسيح و امّه دلالةٌ على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد و اراد بعطف مَنْ فِي الْأَرْضِ على الْمَسِيحَ - وَأُمَّهُ انهما من جنسهم لا تفاوُتَ بينهما و بينهم في البشريّة [يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ] اي يخلق من ذَكَر و انثى و يخلق من انثى من غير ذَكَر كما خلق عيسى و يخلق من غير ذكر و انثى كما خلق آدَم - او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزةً له و كاحياء الموتى و ابْراء الاكمه و الابرص و غير ذلك فيجب ان ينسب اليه و لا ينسبَ الى البشر المُجْرى على يده [أَبْنٰؤُا اللّٰهِ] اشياعُ ابنَي الله عزيرَ و المسيح - كما قيل لِأَشْياع ابي خُبَيْب و هو عبد اللة بن الزبير الخُبَيْبون و كما كان يقول رهطُ مُسَيْلمة نحن انبياء الله و يقول اقرباء المَلِك و ذَووه و حَشَمُه نحن الملوك و لذلك قال مؤمنُ آل فرعون لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ * [فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ] فان صحّ انكم ابناء الله و احبّاؤه فلِمَ تُذْنبون و تُعذّبون بذنوبكم فتُنْسخون و تَمَسُّكم النار اياما معدودات على زعمكم و لو كنتم ابناء الله لَكُنْتُم من جنس الاب غيرَ فاعلين للقبائح و لا مستوجبين للعقاب و لو كنتم احبّاؤه لَما عصيتموه و لَما عاقبكم [بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ] من جملة مَنْ خُلق من البشر [يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ] و هم اهل الطاعة [وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ] و هم العُصاة * [يُبَيِّنُ لَكُمْ] امّا ان يُقدّر المبيَّن و هو الدين و الشرائع و حَذْفُه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه - او يقدّر ما كنتم تُخْفون و حَذْفه لتقدُّم ذكره - او لا يقدّر و يكون المعنى يَبْذُل لكم البيانَ - و محلّه النصب على الحال اي مُبيّنا لكم - و [عَلٰى فَتْرَةٍ] متعلق بجَاءَكُمْ اي جاءكم على حين فتور [مِنَ] ارسال [الرُّسُلِ] و انقطاع من الوحي [أَنْ تَقُولُوا] كراهةَ ان تقولوا [فَقَدْ جَاءَكُمْ] متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم - و قيل كان بين عيسى و مُحَمَّد عليهما السلام خمسمائة و ستّون سنة - وقيل ستُّمائة - و قيل اربع مائة و نَيّف و ستون - و عن الكلبي كان بين موسى و عيسى الفٌ و سبع مائة سنة و الفُ نبيّ و بين عيسى و مُحَمَّد اربعة انبياء ثلثةٌ من بني اسرائيل و واحدٌ من العرب خالدُ بن سنان العبسيُّ - و المعنى الامتنانُ عليهم و ان الرسول بُعث اليهم حين انطمستْ آثار الوحي اَحْوَجَ ما يكونون اليه ليهشّوا اليه و يعدّوه اعظمَ نعمة من الله و فتْحَ باب الرحمة و تلزمهم الحجّة فلا يعتلّوا غدا بانه لم يُرْسَل اليهم من يُنْبِئهم

سورة المائدة ٥ وَ اِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ يٰقَوْمِ اذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَعَلَ فِيْكُمْ اَنْبِيَآءَ وَ جَعَلَكُمْ مُّلُوْكًا ۖ وَّ اٰتٰكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ
الجزء ٦ اَحَدًا مِّنَ الْعٰلَمِيْنَ ۝ يٰقَوْمِ ادْخُلُوا الْاَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِيْ كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ وَ لَا تَرْتَدُّوْا عَلٰٓى اَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوْا
ع ٧ خٰسِرِيْنَ ۝ قَالُوْا يٰمُوْسٰٓى اِنَّ فِيْهَا قَوْمًا جَبَّارِيْنَ ۖ وَ اِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا حَتّٰى يَخْرُجُوْا مِنْهَا ۚ فَاِنْ يَّخْرُجُوْا
مِنْهَا فَاِنَّا دٰخِلُوْنَ ۝ قَالَ رَجُلٰنِ مِنَ الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوْا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ۚ فَاِذَا دَخَلْتُمُوْهُ
فَاِنَّكُمْ غٰلِبُوْنَ ۚ وَ عَلَى اللّٰهِ فَتَوَكَّلُوْٓا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۝ قَالُوْا يٰمُوْسٰٓى اِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَآ اَبَدًا ۟ مَّا دَامُوْا فِيْهَا

عن عدّهم [جَعَلَ فِيْكُمْ اَنْبِيَآءَ] لانه لم يُبعث في امّة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء [وَ جَعَلَكُمْ مُّلُوْكًا] لانه ملّكهم بعد فرعون مُلْكَه و بعد الجبابرة مُلْكَهم و لان الملوك تكاثروا فيهم تكاثُرَ الانبياء - وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمّى انقاذهم مُلْكا - وقيل المَلِك مَنْ له مسكن واسع فيه ماءٌ جارٍ - و قيل من له بيت وخَدَم - وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلُّف الاعمال وتحمُّل المشاقّ [مَّا لَمْ يُؤْتِ اَحَدًا مِّنَ الْعٰلَمِيْنَ] من فلق البحر و اغراق العدو وتظليل الغمام و انزال المنّ و السلوى و غير ذلك من الامور العظام - و قيل اراد عالمي زمانهم * [الْاَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ] ارض بيت المقدّس - وقيل الطور وما حَوْلَه - و قيل الشام - و قيل فلسطين و دمشق و بعض الاُرْدُنّ - و قيل سمّاها الله لابراهيم ميراثًا لولده حين رُفع على الجبل فقيل له انظر فانّك ما ادرك بصرُك و كان بيتُ المقدس قرارَ الانبياء و مسكنَ المؤمنين [كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ] قسمها لكم و سمّاها او خطّ في اللوح انها لكم [وَ لَا تَرْتَدُّوْا عَلٰٓى اَدْبَارِكُمْ] ولا تنكصوا على اعقابكم مُدبرين من خوف الجبابرة جبنًا و هلعًا - قيل لمّا حدّثهم النقباءُ بحال الجبابرة رَدّوا اصواتهم بالبكاء و قالوا ليتنا متنا بمصر و قالوا تعالَوْا نجعل علينا رأسًا ينصرف بنا الى مصر - و يجوز ان يراد لَا تَرْتَدُّوْا عَلٰٓى اَدْبَارِكُمْ في دينكم بمخالفتكم امرَ ربّكم و عصيانكم نبيّكم فترجعوا [خٰسِرِيْنَ] ثوابَ الدنيا و الآخرة * [الجبّار] فعّال من جَبَرَه على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد * [قَالَ رَجُلٰنِ] هما كالب ويوشع [مِنَ الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ] من الذين يخافون الله و يخشونه كانه قيل رجلان من المتّقين - و يجوز ان يكون الواو لبني اسرائيل و الراجعُ الى الموصول محذوفٌ تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبّارون وهم رجلان منهم [اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمَا] بالايمان فامّدا قالهم ان العمالقة اجسامٌ لا قلوب فيها فلا تخافوهم و ارجعوا اليهم فانكم غالبوهم يُشجّعانهم على قتالهم وقراءةُ من قرأ يُخَافُوْنَ بالضم شاهدة له وكذلك اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمَا كانه قيل من المخوفين - و قيل هو من الاخافة و معناه من الذين يُخوّفون من الله بالتذكرة و الموعظة - او يخوّفهم وعيدُ الله بالعقاب - فان قلت ما محل اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمَا - قلت ان انتظم مع قوله مِنَ الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ في حكم الوصف لرجلان فمرفوع و ان جعل كلاما معترضا فلا محل له - فان قلت من اين علما انهم غالبون - قلت من جهة اخبار موسى بذلك و قوله كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ - و قيل من جهة غلبة الظنّ وما تبيّنا من عادة الله في نصرة رُسله و ما عهدا من صُنع الله لموسى في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة و الجابُ باب قرنتم [لَنْ نَّدْخُلَهَا] نفيٌ لدخولهم في

سورة المائدة ٥ الجزء ٦ ع ٩

فَاذْهَبْ اَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَآ اِنَّا هٰهُنَا قٰعِدُوْنَ ۝ قَالَ رَبِّ اِنِّيْ لَآ اَمْلِكُ اِلَّا نَفْسِيْ وَاَخِيْ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفٰسِقِيْنَ ۝ قَالَ فَاِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ اَرْبَعِيْنَ سَنَةً ۚ يَتِيْهُوْنَ فِي الْاَرْضِ ۗ فَلَا تَاْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفٰسِقِيْنَ ۝ ع

المستقبل على وجه التاكيد المؤنس و [اَبَدًا] تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول [وَمَا دَامُوْا فِيْهَا] بيان الابد [فَاذْهَبْ اَنْتَ وَرَبُّكَ] يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب و لكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة و القصد للجواب كانهم قالوا اَرِدْنا فقالهم و الظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله و رسوله و قلة مبالاة بهما و استهزاء و قصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم و جفائهم و قسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل و سألوا بها رؤية الله جهرة و الدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم - و يُحكى ان موسى و هٰرون خرّا لوجوههما قُدّامهم لشدة ماورد عليهما فهمّوا برجمهما و لامر ما قرن الله اليهودَ بالمشركين و قدمهم عليهم في قوله لَتَجِدَنَّ اَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِيْنَ اٰمَنُوا الْيَهُوْدَ وَ الَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا • لما عَصَوْه و تمردوا عليه و خالفوه و قالوا ما قالوا من كلمة الكفر و لم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هٰرون عليه السلام [قَالَ رَبِّ اِنِّيْ لَا اَمْلِكُ] لنصرة دينك [اِلَّا نَفْسِيْ وَاَخِيْ] و هذا من البث و الحزن و الشكوى الى الله و الحسرة و رقة القلب التي بمثلها تُستحلب الرحمة و تُستنزل النصرة و نحوُه قول يعقوب عليه السلام اِنَّمَا اَشْكُوْا بَثِّيْ وَ حُزْنِيْ اِلَى اللّٰهِ - و عن عليّ رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البُغاة فما اجابه الا رجلان فتنفّس الصُعَداءَ و دعا لهما و قال اين تقعان مما اريد - و ذُكر في اعراب اَخِيْ وجوه - اَن يكون منصوبا عطفا على نَفْسِيْ و على الضمير في اِنِّيْ بمعنى لا املك الا نفسي و ان اخي لا يملك الا نفسه - و مرفوعا عطفا على محل انَّ واسمها كانه قيل انا لا املك الا نفسي و هٰرونُ كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لَا اَمْلِكُ و جار للفصل - و مجرورا عطفا على الضمير في نَفْسِيْ و هو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار - فان قلت اَمَا كان معه الرجلان المذكوران - قلت كانه لم يثق بهما كل الوثوق و لم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان و اتصال الصحبة من احوال قومه و تلوّنهم فلم يذكر الا النبيَّ المعصوم الذي لا شبهة في امره - و يجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عند ما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه - و يجوز ان يريد و من يواخيني على ديني [فَافْرُقْ] فافصلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهم بان تحكم انا دنا نستحق و تحكم عليهم بما يستحقون و هو في معنى الدعاء عليهم و لذلك وُصل به قوله فَاِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ على وجه التسبب - او فباعِدْ بيننا و بينهم و خَلِّصْنا من صحبتهم كقوله وَ نَجِّنِيْ مِنَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَ [فَاِنَّهَا] فان الارض المقدسة [مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ] لا يدخلونها و لا يملكونها - فان قلت كيف يوفق بين هذا و بين قوله الَّتِيْ كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ - قلت فيه وجهان - احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تُجاهدوا اَهْلها فلما ابَوُا الجهاد قيل فَاِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ - و الثاني ان يراد فَاِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ اَرْبَعِيْنَ سَنَةً فاذا مضت الاربعون كان ما كتب - فقد روي ان موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل و كان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها

سورة المائدة ٥ الجزء ٦ ع ٩ النصف

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ۘ اِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ اَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْاٰخَرِ ۭ قَالَ لَاَقْتُلَنَّكَ ۭ قَالَ اِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّٰهُ مِنَ الْمُتَّقِيْنَ ۝ لَىِٕنْۢ بَسَطْتَّ اِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِيْ مَآ اَنَا بِبَاسِطٍ يَّدِيَ اِلَيْكَ لِاَقْتُلَكَ ۚ

ما شاء الله ثم قُبض - و قيل لمّا مات موسى بُعث يوشع نبيًّا فاخبرهم بانه نبيّ الله و ان الله امَره بقتال الجبابرة فصدقوه و بايعوه وساربهم الى اريحا وقتل الجبّارين و اخرجهم و صار الشام كله لبني اسرائيل - و قيل لم يدخل الارضَ المقدسةَ احد ممن قال انّا لَنْ نَّدْخُلَهَا وهلكوا في التيه و نشأت نواشئُ من ذُرّياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها - و العاملُ في الظرف اما مُحَرَّمَةٌ و اما يَتِيْهُوْنَ - و معنى [يَتِيْهُوْنَ فِي الْاَرْضِ] يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا - والتيه المفازة التي يُتاه فيها - روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كلّ يوم جادّين حتى اذا سئموا و امسَوْا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه و كان الغمام يُظلّهم من حر الشمس و يُطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم و ينزل عليهم المنّ و السلوى ولا تطول شعورهم و اذا وُلد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله - فان قلت فلم كانوا يُنْعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون - قلت كما ينزل بعضُ النوازل على العُصاة عركًا لهم و عليهم مع ذلك النعمةُ متظاهرة و مثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويُوذيه ليتاديب و يتثقف ولا يقطع عنه معروفَه و احسانَه - فان قلت هل كان معهم في التيه موسى و هٰرون عليهما السلام - قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابًا و قد طَلب موسى من ربّه ان يفرق بينهما وبينهم - و قيل كانا معهم الّا انه كان ذلك رَوْحًا لهما و سلامًا لا عقوبة كالنار لابراهيم و ملائكة العذاب. و روي ان هٰرون مات في التيه و مات موسى بعده فيه بسنة و دخل يوشع اريحا بعد موته بثلثة اشهر مات النُقباءُ في التيه بغتةً الّا كالبَ ويوشعَ -[فَلَا تَاْسَ] فلا تحزَنْ عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم * هما ابنا اٰدم لصلبه قابيل و هابيل اوحى الله الى اٰدم ان يزوّج كلّ واحد منهما توأمة الاخر و كانت توأمة قابيل اجمل واسمُها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال ايها اٰدم قَرِّبا قربانًا فمن ايكما قُبل زُوّجها فقُبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فاردا قابيل حسدا و سخطا و توعّده بالقتل - و قيل هما رجلان من بني اسرائيل[بِالْحَقِّ]تلاوةً ملتبسة بالحق والصحة - او اتْلُه نبأً ملتبساً بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين و اهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ويبغون عليه - او اتْلُ عليهم و انت مُحِقّ صادق و [اِذْ قَرَّبَا] نصب بالنبأ اي قصّتهم و حديثهم في ذلك الوقت - ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي اُتْلُ عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف - و القُربان اسم ما يتقرّب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحُلْوان اسم ما يُعطى يقال قرّب صدقة و تقرّب بها لان تقرّبَ مطاوع قرّب قال الاصمعي تقرّبوا قرّب القمع فيعدّى بالباء حتى يكون بمعنى قرّبَ - فان قلت كيف كان قوله اِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّٰهُ مِنَ الْمُتَّقِيْنَ جوابا لقوله لَاَقْتُلَنَّكَ - قلت لمّا كان الحسد لاخيه على تقبّل قربانه هو الذي حمله على توعّده بالقتل قال له انما اُتيتَ من قِبل نفسك لانسلاخها من

إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ◎ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ ◎ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ◎ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ

لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني و مالك لا تُعاتب نفسك و لا تَحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعانٍ - وفيه دليل على ان الله تعالى لا يقبل طاعةً الا من مؤمن متقٍ فما انتهاء على اكثر العاملين اعمالهم - و عن عامر بن عبد الله انه بكى حين حَضرته الوفاةُ فقيل له ما يُبكيك فقد كنتَ و كنتَ فقال انّي اسمعُ اللّٰهَ يقول اِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّٰهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ] قيل كان اقوى من القاتل و ابطش منه ولكنه تحرّجَ عن قتل اخيه و استسلم له خوفاً من الله لان الدفع لم يكن مباحًا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره [إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ] أَنْ تحتمل اثمَ قتلي لك او تتلكُ واثمَ قتلك ليَ - فان قلت كيف يحتمل اثمَ قتله له وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ - قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأتُ قراءةَ فُلانٍ و كتبتُ كتابتَه تريد المثل و هو اتساعٌ فاشٍ مستفيضٌ لا يكاد يُستعمل غيره و نحوُه قوله عليه السلام المستبّان ما قالا فعلى البادئ مالم يعتدِ المظلومُ على ان البادئ عليه اثم سبّه و مثل اثم سبّ صاحبه لانه كان سببًا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفوٌّ عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله مَالَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ لانه اذا خرج من حدّ المكافاة واعتدى لم يَسْلم - فان قلت فحين كفّ هابيلُ عن قتل اخيه و استسلم و تحرّج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فأيْنَ الاثم حتى يتحمل اخوه مثلَه فيجتمعَ عليه الاثمان - قلت هو مقدّر فهو يتحمل مثل الاثم المقدّر كانه قال انّي اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطتُ اليك يدي - و قيل بِإِثْمِي باثم قتلي - وَإِثْمِكَ الذي من اجله لم يتقبّل قربانك - فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوةَ اخيه و تعذيبَهُ بالنار . قلت كان ظالمًا و جزاء الظالم حسنٌ جائز ان يراد الا ترى الى قوله وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده العبدُ لانه لا يريد الّا ماهو حسنٌ - و المراد بالاثم وبال القتل و ما يجرّه من استحقاق العقاب - فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل و الجزاءُ بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لَئِنْ بَسَطْتَ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ - قلت ليُفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصفَ الشنيعَ و لذلك اكّده بالباء الموكّدة للنفي [فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ] فوسّعته له و يسّرته من طاع له المرتع اذا اتّسع - وقرأ الحسن فَطَاوَعَتْ وفيه وجهان - ان يكون مما جاء من فَاعَلَ بمعنى فَعَلَ - وان يراد انّ قتل اخيه كانه دعا نفسَه الى الاقدام عليه فطاوعَتْه ولم تمتنع - وَلَهُ لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله - و قيل قُتل وهو ابن عشرين سنةً وكانَ قتله عند عقبة حِراء - وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم - [فَبَعَثَ اللّٰهُ غُرَابًا] - روي انه اول قتيل قُتل على وجه الارض من بني آدم و لمّا قتله تركه بالعَراء لايدري ما يصنع به فخاف عليه السباعَ فحملهُ في جِراب على ظهره سنةً حتى أروح وعكفت عليه السباعُ فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل

كَيْفَ يُوَارِيْ سَوْاَةَ اَخِيْهِ ؕ قَالَ يٰوَيْلَتٰٓى اَعَجَزْتُ اَنْ اَكُوْنَ مِثْلَ هٰذَا الْغُرَابِ فَاُوَارِيَ سَوْاَةَ اَخِيْ ۚ فَاَصْبَحَ
مِنَ النّٰدِمِيْنَ ۝ مِنْ اَجْلِ ذٰلِكَ ۚ كَتَبْنَا عَلٰى بَنِيْٓ اِسْرَآئِيْلَ اَنَّهٗ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ اَوْ فَسَادٍ فِي
الْاَرْضِ فَكَاَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيْعًا ؕ وَمَنْ اَحْيَاهَا فَكَاَنَّمَآ اَحْيَا النَّاسَ جَمِيْعًا ؕ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنٰتِ

احدُهما الاٰخرَ فحفر له بمنقاره و رِجْلَيْهِ ثم القاه في الحفرة [فقالَ يٰوَيْلَتٰى اَعَجَزْتُ] - و رُوي انه لمّا قتله اسودّ جسدُه و كان ابيض فسأله اٰدم عن اخيه فقال ما كنتُ عليه وكيلاً فقال بل قتلتَه و لذلك اسودّ جسدك - و رُوي ان اٰدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك و انه رثاه بشعر و هو كذبٌ بحتٌ و ما الشعر الا منحول ملحون وقد صحّ ان الانبياء معصومون من الشعر [لِيُرِيَهُ] ليُريَه الله او ليُريه الغرابُ اي ليعلّمه لانه لمّا كان سببَ تعلميه فكانّه قصد تعليمَه على سبيل المجاز [سَوْاَةَ اَخِيْهِ] عورةَ اخيه ومالا يجوز ان يتكشّف من جسده والسَّوْاةُ الفضيحة لقبحها قال * ع * يا لَقَوم للسَّوْاة السَّوْاءِ * اي للفضيحة العظيمة فكني بها عنها - [فَاُوَارِيَ] بالنصب على جواب الاستفهام - و قرئ بالسكون على فانا اُوارِيْ - او على التسكين في موضع النصب للتخفيف [مِنَ النّٰدِمِيْنَ] على قتله لما تعبَ فيه من حمله وتحيُّره في امره وتبيّنَ له من عجزه و تلمُّذه للغراب و اسودادِ لونه و سخط ابيه و لم يندم ندم التائبين [مِنْ اَجْلِ ذٰلِكَ] بسبب ذلك وبعلّته - وقيل اصله مِن اَجَلَ شرًّا اذا جناه ياجلُه اجلاً ومنه قول خَوّات بن جُبَيْر * شعر * واهلُ خباء صالحٍ ذاتُ بينهمْ * قد احتربوا في عاجل انا آجلُه * كانك اذا قلت من اجلك فعلتُ كذا اردتَ من ان جنيتَ فعلَه و اوجبتَه و يدلّ عليه قولهم مِن جَرّاك فعلتُه اي مِن اَنْ جررتَه بمعنى جنيتَه - و ذٰلِكَ اشارة الى القتل المذكور اي مِن ان جنى ذلك القتلُ الكتبَ وجرّه [كَتَبْنَا عَلٰى بَنِيْٓ اِسْرَآئِيْلَ] ومِنْ لابتداء الغاية اي ابتدأ الكَتْب ونشأ من اجل ذلك ويقال فعلتُ كذا لاجل كذا وقد يقال اَجْلَ كذا بحذف الجارّ و ايصالِ الفعل قال * ع * اجْلَ ان الله قد فضّلكم * وقرئ مِنَ اجْلِ ذٰلِكَ بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها - وقرأ ابو جعفر مِنْ اِجْلِ ذٰلِكَ بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفّف كسر النونَ مُلقيا لكسرة الهمزة عليها [بِغَيْرِ نَفْسٍ] بغير قتل نفسٍ لا على وجه الاقتصاص [اَوْ فَسَادٍ] عطف على نَفْسٍ لمعنًى اوبغير فساد في الارض و هو الشرك وقيل قطع الطريق - [وَمَنْ اَحْيَاهَا] و من استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتلٍ او غرقٍ او حرقٍ اوهدمٍ او غير ذلك - فان قلت كيف شُبّه الواحد بالجميع وجُعل حكمه كحكمهم - قلت لان كل انسان يُدلي بما يُدلي به الاٰخر من الكرامة على الله و ثبوت الحرمة فاذا قُتل فقد اُهين ماكُرِمَ على الله وهتكتْ حرمته و على العكس ولا فرقَ اذنْ بين الواحد و الجميع في ذلك - فان قلت فما الفائدة في ذكر ذلك - قلت تعظيم قتل النفس و احيائها في القلوب ليشمئزّ الناس عن الجسارة عليها و يتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض على النفس لقتل النفس اذا تصوّر قتلَها بصورة قتل الناس جميعا عظُمَ ذلك عليه فثبّطه وكذلك الذي اراد احياءَها - وعن مجاهد قاتلُ النفس جزاؤه جهنمُ وغضبُ الله والعذاب

ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ۝ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي
الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ

العظيم و لوقتل الناس جميعًا لم يزد على ذلك - و عن الحسن يا ابن آدم ارأيت لوقتلت الناس جميعًا أكنت تطمع ان يكون لك عمل يُوازي ذالك فيغفر لك به كلّا انه شيء سَوَّلته لك نفسك و الشيطانُ فكذلك اذا قتلت واحدًا [بَعْدَ ذَٰلِكَ] بعد ما كتبنا عليهم و بعد مجيء الرُّسل بالآيات [لَمُسْرِفُونَ] يعني في القتل لايبالون بعظمته * [يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] يحاربون رسولَ الله و محاربةُ المسلمين في حكم محاربته [وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا] مُفسدين او لانّ سعيهم في الارض لمّا كان على طريق الفساد نُزّل منزلة وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فانتصب فَسَادًا على المعنى - و يجوز ان يكون مفعولًا له اي للفساد - نزلت في قوم هلال بن عُوَيْمر وكان بينه و بين رسول الله عهد وقد مرّ بهم قوم يريدون رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقطعوا عليهم - و قيل في العُرَنيّين فأُوحي اليه ان مَنْ جمع بين القتل و اخذ المال قُتل و صُلب و مَنْ افرد القتل قُتل و مَنْ افرد اخذ المال قُطعت يده لاخذ المال و رجلُه لإخافة السبيل و مَن افرد الاخافةَ نُفي من الارض - و قيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرًا كان او مسلمًا - و معناه [أَن يُقَتَّلُوا] من غير صلب ان افردوا القتلَ [أَوْ يُصَلَّبُوا] مع القتل ان جمعوا بين القتل و الاخذ - قال ابو حنيفة و محمد يصلب حيًّا و يُطعَنُ حتى يموت [أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ] ان اخذوا المال [أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ] اذا لم يزيدوا على الاخافة - و عن جماعة منهم الحسن و النخعي ان الامام مُخيّر بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل - و النفيُ الحبسُ عند ابي حنيفة - و عند الشافعي النفيُ من بلد الى بلد لا يزال يُطلب وهو هارب فزعًا - و قيل يُنفى من بلده و كانوا ينفونهم الى دهلك و هو بلد في اقصى تهامة و تامع و هو من بلاد الحبشة [خِزْيٌ] ذُلّ و فضيحة [إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا] استثناءٌ من المعاقبين عقابَ قطع الطريق خاصةً و اما حكمُ القتل و الجراح و اخذ المال فالى الاولياء ان شاءوا عفَوا و ان شاءوا استوفوا - و عن عليّ رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبًا بعد ما كان يقطع الطريق فقبِلَ توبتَه و درأ عنه العقوبةَ * [الْوَسِيلَةَ] كل مايتوسّل به اي يتقرّب من قرابة او صنيعة او غير ذالك فاستعيرت لما يتوسّل به الى الله من فعل الطاعات و ترك المعاصي و أنشد للبيد * شعر * ارى الناس لايدرون ما قدْرُ امرهم * الا كل ذي لُبّ الى الله واسلُ * [لِيَفْتَدُوا بِهِ] ليجعلوه فديةً لانفسهم و هذا تمثيل للزوم العذاب لهم و انه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه - و عن النبيّ عليه السلام يقال للكافر يوم القيمة ارأيتَ لو كان لك مِلْءُ الارض

سورة المائدة ٥ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝ يُرِيْدُوْنَ اَنْ يَّخْرُجُوْا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِيْنَ مِنْهَا ز وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيْمٌ ۝ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ
الجزء ٦ فَاقْطَعُوْٓا اَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللّٰهِ ط وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ۝ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهٖ وَاَصْلَحَ فَاِنَّ
ع ١٠ اللّٰهَ يَتُوْبُ عَلَيْهِ ط اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ط يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ

ذهبًا أكُنتَ تقتدي به فيقول نعم فيقال له قد سُئلتَ ما هو ايسر من ذلك - ولو مع ما في حيزه خبرانِ - فان قلت لم وُحّد الراجع في قوله لِيَفْتَدُوْا بِهٖ و قد ذكر شيآن - قلت هو نحو قوله * ع * فَاِنِّيْ وَقَيَّارٌ بِها لَغَرِيْبُ * او على اجراء الضمير مُجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك - و يجوز ان يكون الواو في وَمِثْلَهٗ بمعنى مع فيتوحّد المرجوع اليه - فان قلت فهم ينتصب المفعول معه - قلت بما يستدعيه لَوْ من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض - قرأ ابو واقد اَنْ يُخْرَجُوْا بضم الياء من اَخْرج و يشهد لقراءة العامّة قولُه بِخَارِجِيْنَ - و ما يروى عن عِكْرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قومًا يُخْرجون من النار و قد قال الله تعالى وَمَا هُمْ بِخَارِجِيْنَ مِنْهَا فقال و يحك اقرأ ما فوقها هذا للكُفّار فمما لَفّقته المُجْبرة و ليس بارل تكاذيبهم و فِراهم و كفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابنَ عمّ رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم و هو بين اظهر اَعْضاده من قريش وانْضاده من بني عبد المطّلب و هو حَبْر الامّة و بحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله احدٌ من اهل الدنيا و برفعه الى عكرمة دليلين ناصّين ان الحديث فِرية ما فيها مِرْية * [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ] رفعُهما على الابتداء و الخبرُ محذوف عند سيبويه كانه قيل و فيما فُرض عليكم السارق و السارقة اي حكمهما - و وجه آخر و هو ان يرتفعا بالابتداء و الخبرُ فَاقْطَعُوْٓا اَيْدِيَهُمَا ودخولُ الفاء لتضمُّنهما معنى الشرط لان المعنى و الذي سرق و التي سرقتْ فاقطعوا ايديهما و الاسم الموصول يُضمَّن معنى الشرط - و قرأ عيسى بنُ عمر بالنصب و فَضّلها سيبويه على قراءة العامّة لاجل الامر لان زيدًا فاضربْهُ احسن من زيدٌ فاضربْهُ [اَيْدِيَهُمَا] يَدَيْهِما و نحوه وَقَدْ صَغَتْ قُلُوْبُكُمَا اكْتفي بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف و اريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله وَالسَّارِقُوْنَ وَالسَّارِقَاتُ فَاقْطَعُوْٓا اَيْمَانَهُمْ - و السارقُ في الشريعة من سرق من الحرز - و المقطعُ الرسغ و عند الخوارج المنكب - و المقدارُ الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة - و عند مالك و الشافعي رُبع دينار - و عن الحسن درهم و في مَوَاعظه احذَرْ مَنْ قطع يدك في درهم - [جَزَآءً - نَكَالًا] مفعول لهما * [فَمَنْ تَابَ] من السُرّاق [مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهٖ] من بعد سرقته [وَاَصْلَحَ] امْرَه بالتفصّي عن التَبِعات [فَاِنَّ اللّٰهَ يَتُوْبُ عَلَيْهِ] و يُسقط عنه عقاب الآخرة و امّا القطعُ فلا تُسقطه التوبةُ عند ابي حنيفة و اصحابه - و عند الشافعي في احد قوليه تُسقطه * [مَنْ يَّشَآءُ] من يجب في الحكمة تعذيبُه و المغفرةُ له من المُصرّين و التائبين - و قيل يُسقط حدّ الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون داعيًا له الى الاسلام و ابعدَ من التنفير عنه و لا يُسقطه عن المسلم لان في اقامته الصلاحَ للمؤمن و الحيوةَ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ - فان قلت لم قدّم التعذيب على المغفرة - قلت لانه قُوبل

وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَآءُ ۚ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝ يٰٓاَيُّهَا الرَّسُوْلُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِيْنَ يُسَارِعُوْنَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
الَّذِيْنَ قَالُوْٓا اٰمَنَّا بِاَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوْبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا ۛ سَمّٰعُوْنَ لِلْكَذِبِ سَمّٰعُوْنَ لِقَوْمٍ اٰخَرِيْنَ ۙ
لَمْ يَاْتُوْكَ ۛ يُحَرِّفُوْنَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهٖ ۛ يَقُوْلُوْنَ اِنْ اُوْتِيْتُمْ هٰذَا فَخُذُوْهُ ۛ وَاِنْ لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوْا ۭ

ذلك تقدّم السرقة على التوبة - قرئ لَا يُحْزِنْكَ بضم الياء ويُسْرِعُوْنَ - والمعنى لا تهتمّ ولا تُبالِ بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكانيك شرّهم يقال اسرع فيه الشيبُ واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعًا فكذلك مسارعتُهم في الكفر وقوعهم وتهافتُهم فيه اسرعَ شيء اذا وجدوا فرصةً لم يُخطئوها - و[اٰمَنَّا] مفعول قَالُوْا - و[بِاَفْوَاهِهِمْ] متعلق بقَالُوْا لا باٰمَنَّا - [وَمِنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا] منقطع مما قبله خبر لسَمّٰعُوْنَ اي ومن اليهود قوم سَمّٰعُوْنَ - ويجوز ان يعطف على مِنَ الَّذِيْنَ قَالُوْا - ويرتفع سَمّٰعُوْنَ على هم سَمّٰعُوْنَ والضميرُ للفريقين او لِلَّذِيْنَ هَادُوْا - ومعنى [سَمّٰعُوْنَ لِلْكَذِبِ] قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك المَلِكُ يسمع كلامَ فلان ومنه قوله سمع الله لمن حمده [سَمّٰعُوْنَ لِقَوْمٍ اٰخَرِيْنَ لَمْ يَاْتُوْكَ] يعني اليهودَ الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم وتجافَوْا عنه لِما افرطَ فيهم من شدة البَغْضاء وتبالَغ من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المُفْرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك - وقيل سَمّٰعُوْنَ الى رسول الله لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سَمّٰعُوْنَ من رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم لاجل قَوْمٍ اٰخَرِيْنَ من اليهود وَجَّهوهم عيونًا ليبلّغوهم ما سمعوا منه - وقيل السَّمّٰعُوْنَ بنو قريظة والقَوْم الاٰخَرُوْن يهود خيبرَ [يُحَرِّفُوْنَ الْكَلِمَ] يُميلونه ويُزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيبدّلونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع [اِنْ اُوْتِيْتُمْ هٰذَا] المحرَّفَ المُزالَ عن مواضعه [فَخُذُوْهُ] واعلموا انه الحق واعملوا به [وَاِنْ لَّمْ تُؤْتَوْهُ] وافتاكم مُحَمَّد صلّى الله عليه واله وسلّم بخلافه [فَاحْذَرُوْا] وآياكم وايّاه فهو الباطل والضلال - وروي ان شريفًا من خيبرَ زنى بشريفة وهما مُحْصنان وحدُّهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمَهما لشرفهما فبعثوا رهطًا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسولَ الله صلّى الله عليه واله وسلّم عن ذلك وقالوا ان اَمَركم مُحَمَّد بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم وامَرهم بالرجم فابَوْا ان ياخذوا به فقال له جبرئيل عليهما السلام اجعَلْ بينك وبينهم ابنَ صُوريا فقال هل تعرفون شابًّا امرد ابيض اعور يسكن فدكَ يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اَعلم يهودي على وجه الارض ورضُوا به حكَمًا فقال له رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم اَنشُدُك الهَ الذي لا الٰه الّا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور واَنجاكم واغرق اٰل فرعون والذي انزل عليكم كتابَه وحلالَه وحرامَه هل تجدون فيه الرجمَ على من اُحْصن قال نعم فوثب عليه سَفَلة اليهود فقال خفتُ اِنْ كذبتُه ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسولَ الله صلّى الله عليه واله وسلّم عن اشياء كان يعرفها من

سورة المائدة ٥ وَمَنْ يُّرِدِ اللّٰهُ فِتْنَتَهٗ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهٗ مِنَ اللّٰهِ شَيْـًٔا ؕ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ لَمْ يُرِدِ اللّٰهُ اَنْ يُّطَهِّرَ قُلُوْبَهُمْ ؕ لَهُمْ
الجزء ٦ فِى الدُّنْيَا خِزْيٌ وَّلَهُمْ فِى الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ۝ سَمّٰعُوْنَ لِلْكَذِبِ اَكّٰلُوْنَ لِلسُّحْتِ ؕ فَاِنْ جَآءُوْكَ
ع ١١ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ اَوْ اَعْرِضْ عَنْهُمْ ۚ وَاِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَّضُرُّوْكَ شَيْـًٔا ؕ وَاِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ؕ
اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ ۝ وَكَيْفَ يُحَكِّمُوْنَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرٰىةُ فِيْهَا حُكْمُ اللّٰهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ ؕ
وَمَآ اُولٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ ۝ اِنَّآ اَنْزَلْنَا التَّوْرٰىةَ فِيْهَا هُدًى وَّنُوْرٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّوْنَ الَّذِيْنَ اَسْلَمُوْا لِلَّذِيْنَ

اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بالمؤمنين فرجما عند باب مسجده [وَمَنْ يُّرِدِ اللّٰهُ فِتْنَتَهٗ] تركه مفتونا وخذلانه [فَلَنْ تَمْلِكَ لَهٗ مِنَ اللّٰهِ شَيْـًٔا] فان تستطيع له من لطف الله و توفيقه شيأ [اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ لَمْ يُرِدِ اللّٰهُ] ان يمنحهم من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم و لا تنجع [اِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ لَا يَهْدِيْهِمُ اللّٰهُ ـ كَيْفَ يَهْدِى اللّٰهُ قَوْمًا كَفَرُوْا بَعْدَ اِيْمَانِهِمْ [السُّحت] كل ما لا يحل كسبه وهو من سَحَتَه اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال الله تعالى يَمْحَقُ اللّٰهُ الرِّبٰوا والربوا باب منه ـ و قرئ السُّحْت بالتخفيف والتثقيل ـ والسَّحْت بفتح السين على لفظ المصدر من سَحَتَه ـ والسَّحَت بفتحتين ـ والسِّحْت بكسر السين و كانوا يأخذون الرشى على الاحكام و تحليل الحرام ـ وعن الحسن رضي الله عنه كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كُمّه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيأكل الرشوة و يسمع الكذب ـ وحُكي ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدّم اليهم العُرَاضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى سَمّٰعُوْنَ لِلْكَذِبِ اَكّٰلُوْنَ لِلسُّحْتِ ـ وعن النبي عليه السلام كل لحم انبته السحتُ فالنار اولى به ـ قيل كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مخيّرا اذا تحاكمَ اليه اهلُ الكتاب بين ان يحكم بينهم و بين ان لا يحكم ـ وعن عطاء و النخعي و الشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حُكّام المسلمين فان شاءوا حكموا وان شاءوا اعرضوا ـ و قيل هو منسوخ بقوله وَاَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ ـ وعند ابي حنيفة ان احتكموا الينا حُملوا على حكم الاسلام و ان زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيأ أُقيم عليه الحد ـ و اما اهل الحجاز فانهم لا يَرَوْن اقامةَ الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صُولحوا على شركهم و هو اعظم من الحدود يقولون ان النبي عليه السلام رجم اليهوديين قبل نزول الجزية [فَلَنْ يَّضُرُّوْكَ شَيْـًٔا] لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا طلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم و ابى الحكومة لهم شقّ عليهم و تكرّهوا اعراضه عنهم و كانوا خُلَفاء بان يعاودوه و يُصارّوه فأمن الله سرّيه ـ [بِالْقِسْطِ] بالعدل و الاحتياط كما حكم بالرجم [وَكَيْفَ يُحَكِّمُوْنَكَ] تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمن به و بكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدّعون الايمان به [ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ] ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لايرضون به [وَمَآ اُولٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ]

هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ

بكتابهم كما يدّعون - او وَمَا اُولٰئِكَ بالكاملين في الايمان على سبيل التهكّم بهم - فان قلت فيها حُكْمُ اللّٰهِ ما موضعه من الاعراب - قلت امّا ان ينتصب حالا من التّوراة و هي امّا مبتدأ خبره عِنْدَهُمْ - و امّا ان يرتفع خبرًا عنها كقولك و عندهم التوراة ناطقة بحكم الله - و امّا ان لا يكون له محل و يكون جملة مبيّنة لان عندهم ما يُغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد يَنْصحك و يُشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره - فان قلت لِمَ اُنّثت التوراة - قلت لكونها نظيرة لمَوْماة و دَوْداة ونحوها في كلام العرب - فان قلت علام عطف ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ - قلت على يُحَكِّمُونَكَ [فِيهَا هُدًى] يهدى الحق والعدل [وَ نُورٌ] يُبيّن ما استبْهَمَ من الاحكام - الَّذِينَ اَسْلَمُوْا صفة اُجْرِيت على النّبيّين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة و التوضيح و اريد باجرائها التعريض باليهود و انهم بُعَداء من ملّة الاسلام الّتي هي دين الانبياء كلّهم في القديم و الحديث و ان اليهودية بمعزل منها و قوله [الَّذِينَ اَسْلَمُوْا لِلَّذِيْنَ هَادُوْا] مناد على ذلك [وَ الرَّبَّانِيُّوْنَ وَ الْاَحْبَارُ] و الرّهّاد و العلماء من ولد هٰرون الذين التزموا طريقة النبيين و جانَبُوا دين اليهود [بِمَا اسْتُحْفِظُوْا مِنْ كِتٰبِ اللّٰهِ] بما سألهم انبياؤهم حفظه من التوراة اي بسبب سوال انبياءهم اياهم ان يحفظوه من التغيير و التبديل - و مِنْ في مِنْ كِتٰبِ اللّٰهِ للتبيين [وَ كَانُوْا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ] رُقباء لئلا يبدّل - و المعنى يحكم باحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى و كان بينهما الف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على احكام التوراة لايتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من حملهم على حكم الرجم و ارغام انوفهم و ابائه عليهم ما اشتَهَوه من الجلد و كذلك حَكَم الربانيّون و الاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله و القضاء باحكامه و بسبب كونهم عليه شهداء - و يجوز ان يكون الضمير في اسْتُحْفِظُوْا للانبياء و الربانيين و الاحبار جميعا و يكون الاستحفاظ من الله اي كلّفهم الله حفظه و ان يكونوا عليه شُهَداء [فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ] نهيٌ للحُكّام عن خشيتهم غيرَ الله في حكوماتهم و ادهانهم فيها و امضائها على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرباء و الاصدقاء [وَ لَا تَشْتَرُوْا] و لا تستبدلوا و لا تستعيضوا بايات الله و احكامه [ثَمَنًا قَلِيْلًا] وهو الرشوة و ابتغاء الجاه و رضى الناس كما حَرّف احبار اليهود كتاب الله و غيّروا احكامه رغبةً في الدنيا و طلبًا للرياسة فهلكوا [وَ مَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ] مستهينًا به [فَاُولٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُوْنَ] - و الظّٰلِمُوْنَ وَ الْفٰسِقُوْنَ وصف لهم بالعتوّ في كفرهم حين ظلموا ايات الله بالاستهانة و تمرّدوا بان حكموا بغيرها - و عن ابن عباس ان الكٰفِرِيْنَ و الظّٰلِمِيْنَ و الفٰسِقِيْنَ اهلُ الكتاب - و عنه نعم القومُ انتم ما كان من حُلوٍ فلكم و ما كان من مُرٍّ فهو لاهل الكتاب مَنْ جحدَ حُكْمَ الله كفَرَ و من لم يحكم به و هو

سورة المائدة ٥ الجزء ٦ ع ١١

بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْاَنْفَ بِالْاَنْفِ وَالْاُذُنَ بِالْاُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوْحَ قِصَاصٌ ط فَمَنْ
تَصَدَّقَ بِهٖ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهٗ ط وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ ۝ وَقَفَّيْنَا عَلٰٓى اٰثَارِهِمْ بِعِيْسَى
ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرٰىةِ ص وَاٰتَيْنٰهُ الْاِنْجِيْلَ فِيْهِ هُدًى وَّنُوْرٌ وَّمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ التَّوْرٰىةِ وَهُدًى وَّمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِيْنَ ۝ وَلْيَحْكُمْ اَهْلُ الْاِنْجِيْلِ بِمَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ فِيْهِ ط وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ اَنْزَلَ

مقرٌّ فهو ظالمٌ فاسقٌ - و عن الشعبي هذه في اهل الاسلام والظّٰلِمُوْنَ في اليهود و الفٰسِقُوْنَ في النصارى - و عن ابن مسعود هو عامّ في اليهود وغيرهم - و عن حذيفة انتم اشبه الامم سمتًا ببني اسرائيل لتركبنّ طريقهم حذوَ النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة غيرَ انّي لا ادري اتعبدون العجل ام لا * في مصحف اُبيّ وَاَنْزَلَ اللّٰهُ عَلٰى بَنِيْ اِسْرَائِيْلَ فِيْهَا و فيه وَاَنَّ الْجُرُوْحَ قِصَاصٌ - والمعطوفاتُ كلها قُرِئَتْ منصوبةً و مرفوعةً و الرفع للعطف على محل اَنَّ النَّفْسَ لان المعنى وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيْهَا النَّفْسُ بالنفس اِمّا لاجراء كتبنا مُجْرى قلنا و اِما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكَتْب كما تقع عليه القراءة تقول كتبتُ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ و قرأتُ سُوْرَةً اَنْزَلْنَاهَا و لذلك قال الزجّاج لو قرئ اِنَّ النَّفْسَ بالكسر لكان صحيحا - او للاستيناف - والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق و كذلك العينُ مفقوّة بالعين والانفُ مجدوع بالانف و الاذنُ مصلومة بالاذن و السنُّ مقلوعة بالسنّ [وَالْجُرُوْحَ قِصَاصٌ] ذات قصاص و هو المقاصّة و معناه ما يمكن فيه القصاص و تُعْرف المساواة - و عن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلتْ - [فَمَنْ تَصَدَّقَ] من اصحاب الحق [بِهٖ] بالقصاص وعفا عنه [فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهٗ] فالتصدّق به كفّارة للمتصدّق يكفّر الله من سيّاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته - و عن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدّق به - وقيل فهو كفّارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحبُ الحق سقط عنه ما لزمه - و في قراءة اُبيّ فَهُوَ كَفَّارَتُهٗ لَهٗ يعني فالمتصدّق كفارته له اي الكفّارة التي يستحقّها له لا ينقص منها و هو تعظيم لما فعل كقوله فَاَجْرُهٗ عَلَى اللّٰهِ وترغيبٌ في العفو * قَفَّيْتُهٗ مثل عقّبته اذ اتبعتَه ثم يقال قفّيته بفلان وعقّبته به فتعدّيه الى الثاني بزيادة الباء - فان قلت فاين المفعول الاول في الاٰية - قلت هو محذوف و الظرف الذي هو عَلٰى اٰثَارِهِمْ كالسادّ مسدّه لانه اذا قفّى به على اثره فقد قفّى به اياه و الضميرُ في اٰثَارِهِمْ لِلنَّبِيِّيْنَ في قوله يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّوْنَ الَّذِيْنَ اَسْلَمُوْا - و قرأ الحسن الْاَنْجِيْلَ بفتح الهمزة فان صحّ عنه فلانّه اعجمي خرج لعُجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل و اُجر - [وَمُصَدِّقًا] عطفٌ على محلّ فِيْهِ هُدًى و محلّه النصب على الحال [وَهُدًى وَمَوْعِظَةً] يجوز ان ينتصبا على الحال لقوله مُصَدِّقًا و ان ينتصبا مفعولاً لهما لقوله وَلْيَحْكُمْ كانّه قيل و الهدى و الموعظة اٰتيناه الانجيلَ و للحكم [بِمَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ فِيْهِ] من الاحكام - فان قلت فان نظمت هُدًى و مَوْعِظَةً في سلك مُصَدِّقًا فما تصنع بقوله وَلْيَحْكُمْ - قلت اصنعُ به ما صنعتُ بهُدًى و مَوْعِظَةً حين جعلتهما مفعولاً لهما فاُقدّر و ليحكم اهل الانجيل بما انزل الله اٰتيناه اياه - و قرئ وَلْيَحْكُمْ على لفظ الامر بمعنى و قلنا

اللّٰهُ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْفٰسِقُوْنَ ۝ وَاَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ
فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ ؕ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَّمِنْهَاجًا ؕ
وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ اُمَّةً وَّاحِدَةً وَّلٰكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيْ مَآ اٰتٰىكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرٰتِ ؕ اِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيْعًا
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَ ۝ وَاَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَآءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ اَنْ يَّفْتِنُوْكَ

ليحكم - وروي في قراءة اُبيّ وَ اَنْ لِيَحْكُمْ بزيادة اَنْ مع الامر على انّ اَنْ موصولة بالامر كقولك امرتُهُ بان قُمْ كانه قيل واٰتيناه الانجيل و امرنا بان يحكم اهل الانجيل - و قيل ان عيسى صلوات الله عليه كان متعبّدا بما في التورٰية من الاحكام لان الانجيل مواعظ و زواجر و الاحكام فيه قليلة و ظاهر قوله وَلْيَحْكُمْ اَهْلُ الْاِنْجِيْلِ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ فيه يردّ ذلك وكذلك قوله لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَّمِنْهَاجًا وان ساغ لقائل ان يقول معناه و ليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورٰية - فان قلت ايُّ فرق بين التعريفين في قوله وَ اَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ الْكِتٰبَ و قوله لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتٰبِ - قلت الاول تعريف العهد لانه عُني به القرآن و الثاني تعريف الجنس لانه عُني جنس الكُتُب المنزلة - و يجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يُرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق و انما اُريد نوع معلوم منه و هو ما انزل من السماء سوى القرآن [وَمُهَيْمِنًا] و رقيبًا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحّة و الثبات - و قرئ وَمُهَيْمَنًا عَلَيْهِ بفتح الميم اي هُوْمِنَ عليه بان حُفظ من التغيير و التبديل كما قال لَا يَاْتِيْهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهٖ و الذي هِيْمَنَ عليه اللّٰهُ عزّ وجلّ او الحُفّاظ في كل بلد لو حُرّف حرفٌ منه او حركة او سكون لَتَنَبَّهَ عليه كُلُّ احد و لَاَشْمَاَزُّوْا رادّين و مُنْكرين - ضُمّن [وَلَا تَتَّبِعْ] معنى و لا تنحرفْ فلذلك عُدّي بعَنْ كانه قيل و لا تنحرفْ عما جاءك من الحقّ متّبعًا اهواءهم [لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ] ايُّها الناس [شِرْعَةً] شريعةً - و قرأ يحيى بن وثّاب بفتح الشين [وَمِنْهَاجًا] و طريقًا و اضحًا في الدين تجرُونَ عليه - و قيل هذا دليل على انّا غير متعبدين بشرائع مَنْ قبلنا [لَجَعَلَكُمْ اُمَّةً وَّاحِدَةً] جماعةً متفقةً على شريعة و احدة او ذوي امة و احدة اي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد [لِيَبْلُوَكُمْ فِيْمَآ اٰتٰىكُمْ] من الشرائع المختلفة هل تعلمون بها مُذْعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال و الاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشُبَهَ و تُفرّطون في العمل [فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرٰتِ] فابتدروها و تسابقوا نحوها [اِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ] استيناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات [فَيُنَبِّئُكُمْ] فيُخبركم بما لا تشكّون معه من الجزاء الفاصل بين مُحقّكم و مبطلكم و عاملكم و مفرّطكم في العمل - فان قلت [وَاَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ] معطوف على ما ذا - قلت على الْكِتٰبِ في قوله وَاَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ الْكِتٰبَ كانه قيل و انزلنا اليك ان احكم على انّ اَنْ وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال - و يجوز ان يكون معطوفًا على بِالْحَقِّ اي انزلناه بالحق و بان احكم [اَنْ يَّفْتِنُوْكَ عَنْ بَعْضِ مَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ اِلَيْكَ] ان يُضلّوك عنه و يستزلّوك و ذلك ان كعبَ بنَ اسيد

سورة المائدة ٥ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ

الجزء ٦ لَفَاسِقُونَ ۞ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ ع يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

ع ١٢ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي

وعبدَ الله بنَ صوريا وشاسَ بنَ قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا له يا مُحَمّد قد عرفتَ انّا احبار اليهود وانّا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلّهم و لم يخالفونا وانّ بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك و نُصدّقك فابى ذلك رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم فنزلتْ [فَإِنْ تَوَلَّوْا] عن الحكم بما انزل الله اليك و ارادوا غيره [فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ] يعني بذنب التولّي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ موضع ذلك و اراد ان لهم ذنوبا جمّةً كثيرةَ العدد و ان هذا الذنب مع عظمه بعضُها و واحد منها و هذا الابهام لتعظيم التولّي و استنرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد * ع * او يرتبطْ بعضَ النفوس حمامُها * اراد نفسه و انما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفساً كبيرة و نفساً ايّ نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير و هو في معنى البعضية فكذلك اذا صرّح بالبعض [لَفَاسِقُونَ] لمتمرّدون في الكفر مُعْتَدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرّد العظيم و الاعتداء في الكفر [أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ] فيه وجهان - احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى - و روي ان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال لهم القتلى بواءٌ فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلتْ - و الثاني ان يكون تعييراً لليهود بانّهم اهل كتاب وعلم و هم يبغون حكم الملّة الجاهلية التي هي هوًى و جهلٌ لا يصدر عن كتاب و لا يرجعُ الى وحي من الله - وعن الحسن هو عامّ في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكمٌ بعلم فهو حكمُ الله و حكمٌ بجهل فهو حكم الشيطان - وسُئل طاؤس عن الرجل يُفضّل بعضَ ولده على بعض فقرأ هذه الآية - وقرئ تَبْغُونَ بالياء و التاء و قرأ السُلَميّ أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ برفع الحكم على الابتداء و ايقاع يبغون خبراً و اسقاطُ الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله وعن الصفة في الناسُ رجلانِ رجلٌ اهنتُ و رجلٌ اكرمتُ و عن الحال في مررت بهند يضرب زيدٌ - و قرأ قتادة أَفَحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيره من حُكّام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون مُحَمّد خاتم النبيين حَكَمًا كاولئك الحكام - اللام في قوله [لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] للبيان كاللام في هَيْتَ لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتبينون ان لا اعدلَ من الله ولا احسنَ حكماً منه * لَا تَتَّخِذُوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم و تُواخونهم و تُصافونهم و تُعاشرونهم معاشرةَ المؤمنين ثم عَلّل النهيَ بقوله [بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ] اي انما يوالي بعضهم بعضًا لاتّحاد ملّتهم و اجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم

الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ ۝ فَتَرَى الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ يُّسَارِعُوْنَ فِيْهِمْ يَقُوْلُوْنَ نَخْشٰٓى اَنْ تُصِيْبَنَا دَآئِرَةٌ ؕ فَعَسَى اللّٰهُ اَنْ يَّاْتِيَ بِالْفَتْحِ اَوْ اَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهٖ فَيُصْبِحُوْا عَلٰى مَآ اَسَرُّوْا فِيْٓ اَنْفُسِهِمْ نٰدِمِيْنَ ۝ وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَهٰٓؤُلَآءِ الَّذِيْنَ اَقْسَمُوْا بِاللّٰهِ جَهْدَ اَيْمَانِهِمْ اِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ؕ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فَاَصْبَحُوْا خٰسِرِيْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ

ولموالاتهم [وَمَنْ يَّتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَاِنَّهٗ] من جملتهم و حكمه حكمهم و هذا تغليظ من الله و تشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين و اعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم لا ترا أى نارا هما - ومنه قول عمر رضي الله عنه لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله و لا تامنوهم اذ خونهم الله و لا تدنوهم اذ اقصاهم الله - و روي انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصراني و السلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة و استغن عنه بغيره [اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ] يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه و يخذلهم مقتا لهم [يُّسَارِعُوْنَ فِيْهِمْ] ينكمشون في موالاتهم و يرغبون فيها و يعتذرون بانهم لا يامنون [اَنْ تُصِيْبَنَا دَآئِرَةٌ] من دوائر الزمان اي صرف من صروفه و دولة من دُوَله فيحتاجوا اليهم و الى معونتهم - و عن عبادة بن الصامت انه قال لرسول الله صلى الله عليه و اله و سلم ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم و اني ابرأ الى الله و رسوله من ولايتهم و اوالي الله و رسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر و لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع [فَعَسَى اللّٰهُ اَنْ يَّاْتِيَ بِالْفَتْحِ] لرسول الله صلى الله عليه و اله وسلم على اعدائه و اظهار المسلمين [اَوْ اَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهٖ] يقطع شأفة اليهود و يجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون [نٰدِمِيْنَ] على ما حدثوا به انفسهم - و ذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و يقولون ما نظن ان يتم له امره و الحري ان تكون الدولة و الغلبة لهولاء - و قيل اَوْ اَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهٖ او ان يؤمر النبي صلى الله عليه و اله و سلم باظهار اسرار المنافقين و قتلهم فيندموا على نفاقهم - و قيل اَوْ اَمْرٍ مِّنْ عِنْدِ الله لا يكون للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل و لا ركاب [وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا] قرئ بالنصب عطفا على ان يَّاْتِيَ - و بالرفع على انه كلام مبتدأ اي و يقول الذين اٰمنوا في ذلك الوقت - و قرئ بغير واو و هي في مصاحف مكة و المدينة و الشام كذلك على انه جواب قائل يقول فما ذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين اٰمنوا [اَهٰٓؤُلَآءِ الَّذِيْنَ اَقْسَمُوْا] - فان قلت لمن يقولون هذا القول - قلت امّا ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم و اغتباطا بما منّ الله عليهم من التوفيق في الاخلاص اَهٰٓؤُلَآءِ الَّذِيْنَ اَقْسَمُوْا لكم بأغلاظ الايمان انهم اوليآؤكم و معاضدوكم على الكفار - و امّا ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة و النصرة كما حكى الله عنهم وَاِنْ قُوْتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ - [حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ] من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس و فيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم - او من قول الله عز و جل

سورة المائدة ٥ اٰمَنُوْا مَنْ يَّرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهٖ فَسَوْفَ يَاْتِى اللّٰهُ بِقَوْمٍ يُّحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهٗٓ اَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ اَعِزَّةٍ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ

الجزء ٦

ع ١٢

شهادةٌ لهم بحبوط الاعمال و تعجيبًا من سوء حالهم * قرئ [مَنْ يَّرْتَدَّ] و[مَنْ يَّرْتَدِدْ] وهو فى الامام بدالين و هو من الكائنات التي اُخبر عنها فى القرآن قبل كونها - وقيل كان اهل الرِّدّة احدى عشرة فرقة - ثلاثٌ فى عهد رسول الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم بنو مدلج و رئيسهم ذوالخمار و هو الاسود العنسي وكان كاهنًا تنبّأ باليمن و استولى على بلاده و اخرج عُمّالَ رسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم فكتب رسول الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم الى معاذ بن جبلَ و الى سادات اليمن فاهلكه الله على يدَيْ فيروز الديلَميّ بَيّتَه فقتله واخبر رسولُ الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم بقتله ليلةَ قُتل وسُرّ المسلمون و قُبض رسول الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم من الغد واتى خبرُه في اٰخر شهر ربيع الاول - وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبّأ وكتبَ الى رسول الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم من مُسَيْلمة رسول الله الى مُحَمّد رسول الله امّا بعدُ فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من مُحَمّد رسول الله الى مسيلمة الكذّاب امّا بعدُ فان الارض لله يُوْرثها من يشاء من عباده و العاقبةُ للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقُتل على يدي وحشي قاتل حمزةَ وكان يقول قتلتُ خير الناس فى الجاهلية وشرَّ الناس فى الاسلام اراد فى جاهليتي و اسلامي - وبنو اسد قوم طُلَيْحة بن خُوَيْلد تنبّأ فبعث اليه رسولُ الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم خالدًا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اَسْلم و حسن اسلامُه - وسَبْعٌ فى عهد ابي بكر رضي الله عنه فَزارةُ قوم عُيَيْنة بن حصن و غَطَفانُ قوم قُرّة بن سلمة القشيري وبنو سُلَيْم قوم الفُجَاءة بن عبد يالَيْل وبنو يربوع قوم مالك بن نُوَيْرة وبعض بني تميم قوم سجاحَ بنت المنذر المتنبّئة التي زوّجتْ نفسَها مسيلمةَ الكذّاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفرْ و استغفري *شعر* اَمَتْ سَجاح ووالاها مُسَيْلمة * كذّبة في بني الدُّنيا وكذّاب * وكندة قوم الاشعث بن قيس و بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحُطَم بن زيد وكفى الله امرَهم على يدَيْ ابي بكر الصدّيق رضي الله عنه - وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسّان قوم جبلة بن الايهم نصرَتْه اللطمة و سيّرتْه الى بلد الروم بعد اسلامه [فَسَوْفَ يَاْتِى اللّٰهُ بِقَوْمٍ] قيل لما نزلت اشار رسولُ الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا - قيل هم الفانِ من النخع و خمسة الاف من كندةَ و بجيلةَ و ثلاثة الاف من اَفْناء الناس جاهدوا يوم القادسيّة - وقيل هم الانصار - وقيل سُئل رسول الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم عنهم فضرب يده على عاتق سلمانَ و قال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلّقا بالثريّا لنالَه رجال من ابناء فارس [يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهٗ] محبةُ العباد ترْكُ طاعتِه و ابتغاءُ مرضاته و ان لا يفعلوا ما يوجب سخطَهُ وعقابَهُ و محبةُ الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظّمهم و يثني عليهم و يرضى عنهم و امّا ما يعتقده اجهل الناس و اعداهم للعلم و اهله و امقتهم للشرع و اسوأهم طريقةً و ان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجَهَلة والسُّفَهاء شيأ وهم الفرقة المفتعلة المتقعلة من الصُّوف ومايدينون به من المحبة والعشق والتغنّي على كراسيّهم

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ؕ ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَّشَاءُ ؕ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ اِنَّمَا
وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَنْ يَّتَوَلَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ

حرّبها الله وفي مراقصهم عطّلها الله بابيات الغزل المقولة في المُرْدان الذين يُسمّونهم شُهَداء و صَعَقاتهم التي اَيْنَ عنها صَعقة موسى عند دكّ الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا - ومن كلماتهم كما انه بذاته يحبّهم كذلك يحبّون ذاتَه فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات - ومنها الحُبّ شرطه ان تلحقهم سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة - فان قلت اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمّن لمعنى الشرط - قلت هو محذوف معناه فَسَوْفَ يَاتِي اللّٰهُ بِقَوْمٍ مكانهم اوبقوم غيرهم او ما اشبه ذلك [اَذِلَّةٍ] جمع ذليل واما ذَلول فجمعه ذُلُل ومن زعم انه من الذِلّ الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلّة - فان قلت هلّا قيل اذلّة للمؤمنين اعزّة على الكفرين - قلت فيه وجهان - احدهما ان يضمّن الذُلّ معنى الحنوّ والعطف كانه قيل عاطفينَ عليهم على وجه التذلّل والتواضع - والثاني انهم مع شرفهم وعلوّ طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله عزّ وعلا اَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ - وقرئ اَعِزَّةً - واَذِلَّةً بالنصب على الحال [وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ] يحتمل ان يكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لُعنتْ فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياء هم اليهودَ فلا يعملون شيأ مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانو ايجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قطّ - وان تكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدةَ في سبيل الله وانهم صِلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكارِ منكرٍ او امرٍ بمعروف مضَوْا فيه كالمَسامير المحماة لا يزعهم قولُ قائل ولا اعتراضُ معترض ولا لومةُ لائم يشقّ عليه جدّهم في انكارهم وصلابتهم في امرهم - واللومة المرّة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتانِ كانه قيل لايخافون شيأ قطّ من لوم احد من اللُوّام و [ذٰلِكَ] اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة [يُؤْتِيهِ] يوفّق له [مَنْ يَّشَاءُ] ممن يعلم ان له لطفًا [وَاسِعٌ] كثير الفواضل والالطاف [عَلِيمٌ] بمن هو من اهلها - عقّب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكْرَ من تجب موالاتهم بقوله [اِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا] ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة - فان قلت قد ذكرت جماعة فهلّا قيل انما اولياؤكم - قلت اصل الكلام انما وليّكم الله فجُعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نُظم في سلك اثباتها له اثباتُها لرسول الله والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين امنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع وفي قراءة عبد الله اِنَّمَا مَوْلٰىكُمْ - فان قلت [اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ] ما محلّه - قلت الرفع على البدل من الَّذِينَ اٰمَنُوا او على هم الذين يقيمون - اوالنصب على المدح فيه تمييز للخُلّص من الذين اٰمنوا نفاقا او واطأتْ قلوبهم السنتَهم الّا انهم مُفَرّطون في العمل [وَهُمْ رَاكِعُونَ] الواو فيه للحال اي يعملون ذلك

سورة المائدة ٥ الجزء ٦ ع ١٣

امَنُوْا فَاِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغٰلِبُوْنَ ۝ ع يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِيْنَكُمْ هُزُوًا وَّ لَعِبًا مِّنَ
الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ اَوْلِيَآءَ ۚ وَ اتَّقُوا اللّٰهَ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۝ وَ اِذَا نَادَيْتُمْ اِلَى الصَّلٰوةِ
اتَّخَذُوْهَا هُزُوًا وَّلَعِبًا ؕ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُوْنَ ۝ قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ هَلْ تَنْقِمُوْنَ مِنَّآ اِلَّآ اَنْ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَآ اُنْزِلَ
اِلَيْنَا وَمَآ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَاَنَّ اَكْثَرَكُمْ فٰسِقُوْنَ ۝ قُلْ هَلْ اُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذٰلِكَ مَثُوْبَةً عِنْدَ اللّٰهِ ؕ مَنْ لَّعَنَهُ اللّٰهُ

في حال الركوع و هو الخشوع و الاخبات و التواضع لله اذا صلّوا و اذا ركعوا - و قيل هو حال من يُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة و انها نزلت في عليّ رضي الله عنه حين سأله سائل و هو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرجًا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثيرَ عمل تفسد بمثله صلوته - فان قلت كيف صحّ ان يكون لعليّ رضي الله عنه و اللفظ لفظ الجماعة - قلت جيئ به على لفظ الجمع و ان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه و لينبّه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ و الاحسان و تفقّد الفقراء حتى ان لزمهم امر لا يقبل التاخير و هم في الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها [فَاِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ] من اقامة الظاهر مُقام المضمر و معناه فانهم [هُمُ الْغٰلِبُوْنَ] و لكنهم بذلك جعلوا اعلامًا لكونهم حزب الله - و اصل الحزب القوم يجتمعون لامر حَزَبهم - و يحتمل ان يريد بحزب الله الرسولَ و المؤمنين و يكون المعنى و من يتولّهم فقد تولّى حزبَ الله و اعتضد بمن لا يغالَب * روي ان رِفاعةَ بن زيد و سُوَيْد بن الحارث قد اظهر الاسلامَ ثم نافقا و كان رجال من المسلمين يوادّونهما فنزلت - يعني ان اتخاذهم دينكم هزوًا و لعبًا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء و الشنآن و المنابذة و فصّل المستهزئين باهل الكتاب و الكفّار و ان كان اهل الكتاب من الكفّار اطلاقاً للكفّار على المشركين خاصة و الدليلُ عليه قراءة عبد الله وَ مِنَ الَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا - و قرئ وَ الْكُفَّارِ بالنصب و الجرّ و تعضد قراءةَ الجرّ قراءةُ ابيّ وَ مِنَ الْكُفَّارِ [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] في موالاة الكفّار و غيرها [اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ] حقًّا لان الايمان حقًّا يأبى موالاةَ اعداء الدين [اتَّخَذُوْهَا] الضمير للصلوة او للمناداة - قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان مُحَمَّدًا رسول الله قال حُرِّق الكاذبُ فدخلت خادمة بنارٍ ذات ليلة و هو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو و اهله - و قيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنصّ الكتاب لا بالمنام و حده [لَا يَعْقِلُوْنَ] لان لعبهم و هزؤهم من افعال السفهاء و الجهلة فكانه لا عقل لهم - قرأ الحسن [هَلْ تَنْقِمُوْنَ] بفتح القاف و الفصيح كسرها - و المعنى هل تعيبون منّا و تُنكرون الّا الايمان بالكتب المنزلة كلها [وَ اَنَّ اَكْثَرَكُمْ فٰسِقُوْنَ] - فان قلت علام عطف قوله وَ اَنَّ اَكْثَرَكُمْ فٰسِقُوْنَ - قلت فيه وجوه - منها ان يعطف على اَنْ اٰمَنَّا بمعنى و ما تنقمون منّا الّا الجمعَ بين ايماننا و بين تمرّدكم و خروجكم عن الايمان كانه قيل و ما تنكرون منّا الّا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام و انتم خارجون منه - و يجوز ان يكون على تقدير حذف

وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝

المضاف اي و اعتقادَ انّكم فسقون - ومنها ان يعطف على المجرور اي و ما تَنْقِمُونَ منّا الّا الايمانَ بالله و بما انزل و بانّ اكثركم فسقون - و يجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي و ما تَنْقِمُونَ منّا الّا الايمانَ مع انّكم فسقون - و يجوز ان يكون تعليلاً معطوفاً على تعليل محذوف كانه قيل و ما تَنْقِمُونَ منّا الّا الايمان لقلّة انصافكم و فسقكم و اتّباعكم الشهوات و يدلّ عليه تفسيرُ الحسن بفسقكم نقتم ذلك علينا - و روي انه اتى رسولَ الله صلّى الله عليه وآله و سلّم نفرٌ من اليهود فسألوه عمّن يؤمن به من الرسل فقال اؤمنُ بالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا الى قوله و نحنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فقالوا حين سمعوا ذكرَ عيسى ما نعلم اهلَ دين اقلّ خطاً في الدنيا و الأخرة منكم و لا ديناً شرّاً من دينكم فنزلت - وعن نعيم بن ميسرة وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ بالكسر - و يحتمل ان ينتصب و أَنَّ أَكْثَرَكُمْ بفعل محذوف يدلّ عليه هل تَنْقِمُونَ اي و لا تنقمون أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ - او يرتفع على الابتداء والخبرُ محذوف اي و فسقُكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم أنّا على الحق و انكم على الباطل الّا ان حُبَّ الرياسة و كسبَ الاموال لا يَدَعُكم فَتُنْصِفوا [ذٰلِكَ] اشارة الى المنقوم ولابدّ من حذف مضاف قبله او قبل مَنْ تقديرُه بشرّ من اهل ذلك اودينُ من لعنه الله و [مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ] في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذٰلِكُمُ النَّارُ - او في محل الجرّ على البدل من شَرّ - وقرئ مَثُوبَةً - و مَثْوبَةً ومثالهما مَشُورَة و مَشْوَرَة - فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة - قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله *ع* تَحِيَّةُ بينهم ضربٌ وجيع * ومنه فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ - فان قلت المعاقَبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة - قلت كانّ اليهود لمّا زعموا ان المسلمين ضالّون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شرٌّ عقوبةً في الحقيقة و اليقين من اهل الاسلام في زعمكم و دعواكم [وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ] عطف على صلة مَنْ كانّه قيل و من عبد الطاغوت - وفي قراءة أُبَيّ وعَبَدُوا الطَّاغُوتَ على المعنى - وقرأ ابن مسعود ومَنْ عَبَدُوا - و قرئ وَعَابِدَ الطَّاغُوتِ عطفاً على القِرَدَة - وَعَابِدِي - وَعِبَادَ - وَعَبْدَ - وَعُبُدَ - ومعناه العلوّ في العبودة كقولهم رجل حَذِرٌ وقَطِنٌ البليغ في الحذر والفطنة قال * شعر * أبني لُبَيْنَى انّ أُمّكم * أَمَةٌ و ان اباكم عَبْدُ * وَعُبُدَ بوزن حُطَمَ - وَعَبِيدَ وعُبُدَ بضمّتين جمع عبيد - وَعَبْدَة بوزن كَفَرَة - وعَبَدَ واصله عَبَدَة فحذفت التاء للاضافة او هو كخَدَم في جمع خادم - وعَبْدَ - وعُبَّدَ - واعْبُدَ - وَعُبِدَ الطَّاغُوتُ على البناء للمفعول و حذف الراجع بمعنى وعُبد الطاغوت فيهم او بينهم - وَعُبِدَ الطَّاغُوتُ بمعنى صار الطاغوت معبوداً من دون الله كقولك أُمِرَ اذا صار اميراً - وعَبُدُ الطَّاغُوتِ بالجرّ عطفاً على مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ - فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عُبّاد الطاغوت - قلت فيه وجهان - احدهما انه خذلهم حتى عبدوها - و الثاني انه حَكَم عليهم بذلك و وَصَفَهم به كقوله تعالى وَجَعَلُوا الْمَلٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثًا - وقيل الطاغوتُ العِجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زيّنه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة

سورة المائدة ٥ وَاِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا اٰمَنَّا وَقَدْ دَّخَلُوْا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوْا بِهٖ ؕ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا كَانُوْا يَكْتُمُوْنَ ۝ وَتَرٰى
الجزء ٦ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُوْنَ فِى الْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ ؕ لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ۝ لَوْلَا يَنْهٰهُمُ الرَّبّٰنِيُّوْنَ
ع ١٣ وَالْاَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْاِثْمَ وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ ؕ لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَصْنَعُوْنَ ۝ وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ يَدُ اللّٰهِ مَغْلُوْلَةٌ ؕ

للشيطان و هو الطاغوت - و عن ابن عباس رضي الله عنه الطّاغُوت الكَهَنَة وكل من اطاع احدًا في معصية الله فقد عبده - و قرأ الحسن الطَّوَاغِيْتَ - وقيل وَجَعَلَ مِنْهُمْ قَرَدَةَ اصحاب السبت وَالْخَنَازِيْرَ كُفّار اهل مائدة عيسى - وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبّانهم مُسخوا قردة و مشائخهم مُسخوا خنازير - وروي انها اما نزلت كان المسلمون يُعيّرون اليهودَ و يقولون يا اِخْوة القردة و الخنازير فينكّسون رؤسهم [اُولٰئِكَ] الملعونون الممسوخون [شَرٌّ مَّكَانًا] جعلت الشرارة للمكان و هي لاهله و فيه مبالغة ليست في قولك اولئك شرّ افضل ادخوله في باب الكذابة التي هي اخت المجاز - نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يُظهرون له الايمانَ نفاقًا فاخبره الله بشانهم وانهم يَخْرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بايات الله و موعظك وقوله [بِالْكُفْرِ - وبِهٖ] حالان اي دخلوا كافرين و خرجوا كافرين و تقديره ملتبسين بالكفر - وكذلك قوله وَقَدْ دَّخَلُوْا وَهُمْ قَدْ خَرَجُوْا و لذلك دخلت قَدْ تقريبًا للماضي من الحال ولمعنًى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحةً عليهم فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم متوقعا لاظهار الله ماكتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قَالُوْٓا اٰمَنَّا اي قالوا ذلك وهذه حالهم [الْاِثْمَ] الكذب بدليل قوله عن قَوْلِهِمُ الْاِثْمَ [وَالْعُدْوَان] الظلم - وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ - وقيل الاثم ما يختص بهم و العدوان ما يتعدّاهم الى غيرهم و المسارعةُ في الشيء الشروعُ فيه بسرعة [لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَصْنَعُوْنَ] كانهم جعلوا اثم من مُرتكبي المناكير لان كل عامل لا بسمّى صانعًا و لا كلّ عمل بسمّى صناعةً حتى يتمرّن فيه ويتدرّب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها و تحمله على ارتكابها و امّا الذي ينهاه فلا شهوةَ معه في فعل غيره فاذا فرّط في الانكار كان اشدّ حالا من المُواقع - ولعمري ان هذه الاية مما يقذ السامعَ و يغيي على العلماء توانيهم - وعن ابن عباس رضي الله عنه هي اشدّ اية في القرآن - وعن الضحّاك ما في القرآن اية اخوف عندي منها * غلّ اليد و بسطُها مجاز عن البخل والجود و منه قوله تعالى وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوْلَةً اِلٰى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غلّ ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في مَلِك لا يعطي عطاء قطّ و لا يمنعه الّا باشارته من غير استعمال يد و بسطها و قبضها ولو اَعْطى الاقطعُ الى المنكب عطاءً جزلًا لقالوا ما ابسطَ يَدَه بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا معاقبتين للبخل و الجود و قد استعملوهما حيث لا يصح اليد كقوله * شعر * جاد الحمى بُسُط اليدين بوابل * شَكرتْ نداه تلاعُه وروابُهُ *

سورة المائدة ٥ الجزء ٦ ع ١٣

غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا
لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ

ولقد جعل لبيد للشمال يدًا في قوله * ع * اذ اصبحت بيد الشمال زمامها * ويقال بسط الياس كفيه في صدري فجعلت للياس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفين ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصُّر صحّة الصواب في تاويل امثال هذه الآية ولم يتخلّص من يد الطاعن اذا عبثت به - فان قلت قد صحّ ان قوله يَدُ اللّٰهِ مَغْلُولَةٌ عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ومن حقّه ان يطابق ما تقدّمه والّا تنافر الكلام وزلّ عن سَنَنه - قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثمّة كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر * ع * بقيتُ وَفْري وانحرفتُ عن العُلى * ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغلّ الايدي حقيقة يغلّون في الدنيا أُساري وفي الآخرة معذّبين بأغلال جهنم والطباقُ من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبَّني سبَّ اللّٰهُ دابرَهُ اي قطعه لان السبّ اصله القطع - فان قلت كيف جاز ان يدعو اللّٰهُ عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد - قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلًا الى بخلهم ونكدًا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزّق اعراضهم - فان قلت لم ثُنّيت اليد في بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ وهي مفردة في يَدُ اللّٰهِ مَغْلُولَةٌ - قلت ليكون ردًّ قولهم وانكاره ابلغَ وادلَّ على اثبات غاية السخاء والجود له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعًا فبني المجاز على ذلك - وقرئ وَلُعِنُوا بسكون العين - وفي مصحف عبد الله بَلْ يَدَاهُ بُسْطٌ يقال يده بسطٌ بالمعروف ونحوه مِشْيَةٌ سُجُحٌ وناقة سُرُح [يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ] تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الّا على مقتضى الحكمة والمصلحة - روي ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالًا فلمّا عصوا اللّٰهَ تعالى في مُحَمَّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وكذّبوه كفّ الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يدُ الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه [وَلَيَزِيدَنَّ] اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديًا في الجحود وكفرًا بايات الله [وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ] فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتّى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد [كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا] كلّما ارادوا محاربة احد غُلبوا وقُهروا لم يقم لهم نصر من الله على احد قطّ وقد اذلهم الاسلام وهم في ملك المجوس - وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بُخْت نُصّر ثم افسدوا فسلّط عليهم قُطْرُس الروميّ ثم افسدوا فسلّط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلّط عليهم المسلمين - وقيل كلّما حاربوا رسول الله نُصر عليهم - وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الّا وجدتهم من اذلّ الناس [وَيَسْعَوْنَ] ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

سورة المائدة ٥ الجزء ٦ ع ١٤

اٰمَنُوْا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّاٰتِهِمْ وَلَاَدْخَلْنٰهُمْ جَنّٰتِ النَّعِيْمِ ۝ وَلَوْ اَنَّهُمْ اَقَامُوا التَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِيْلَ وَمَآ اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ مِنْ رَّبِّهِمْ لَاَكَلُوْا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ اَرْجُلِهِمْ ۭ مِنْهُمْ اُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۭ وَكَثِيْرٌ مِّنْهُمْ سَاۗءَ مَا يَعْمَلُوْنَ ۝ ع
يٰٓاَيُّهَا الرَّسُوْلُ بَلِّغْ مَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ ۭ وَاِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهٗ ۭ وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۭ

من كُتبهم [وَلَوْ اَنَّ اَهْلَ الْكِتٰبِ] مع ما عددنا من سيّاتهم [اٰمَنُوْا] برسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم و بما جاء به و قرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان [لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ] تلك السّيّات و لم نؤاخذهم بها و لَاَدْخلناهم مع المسلمين الجنّة و فيه اعلام بعظم معاصي اليهود و النصارى و كثرة سيّاتهم و دلالة على سعة رحمة الله و فتحه بابَ التوبة على كل عاصٍ و ان عظُمت معاصيه و بلغت مبالغ سيّات اليهود و النصارى و ان الايمان لا يُنْجي و لا يسعد الّا مشفوعاً بالتقوى كما قال الحسنُ هذا العمود فاين الاطناب [وَلَوْ اَنَّهُمْ اَقَامُوا التَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِيْلَ] اقاموا احكامهما و حدودَهما و ما فيهما من نعت رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم [وَمَآ اُنْزِلَ عَلَيْهِمْ] من سائر كتب الله لانهم مكلّفون الايمانَ بجميعها فكانها انزلت اليهم - و قيل هو القرآن لوسّع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا - و قوله [لَاَكَلُوْا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ اَرْجُلِهِمْ] عبارة عن التوسعة و فيه ثلثة اوجه - ان يفيض عليهم بركات السماء و بركات الارض - و ان يُكثر الاشجارَ المُثْمرة و الزروعَ المُغلّة - و ان يرزقهم الجنانَ اليانعةَ الثمارَ يجتنون ما تدلّى منها من رؤس الشجر و يلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم [مِنْهُمْ اُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ] طائفة حالها امم في عداوة رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم - وقيل هي الطائفة المؤمنة عَبْدُ الله بن سلام و اصحابهُ و ثمانية و اربعون من النصارى [وَسَاۗءَ مَا يَعْمَلُوْنَ] فيه معنى التعجب كانه قيل و كثير منهم ما اسوء عملهم - و قيل هم كعب بن الاشرف و اصحابه و الروم [بَلِّغْ مَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ] جميع ما انزل اليك و اي شيء انزل اليك غير مرافب في تبليغه احدا و الخائف ان يناله مكروهٌ [وَاِنْ لَّمْ تَفْعَلْ] و ان لم تبلغ جميعَه كما امرتك [فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهٗ] و قرئ بِرِسَالَتِهِ فلم تبلغ اذنْ ما كلّفت من اداء الرسالات و لم تُؤدِّ منها شيأ قطّ و ذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تُؤدِّ بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعًا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلّها لان كل منها بما يُدانيه غيرها و كونها لذلك في حكم شيء واحد و الشيءُ الواحد لايكون مبلّغًا غير مبلّغ مؤمنًا به غير مؤمَن به - و عن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمتَ اية لم تبلغ رسالتي - و روي عن رسول الله بعثني الله برسالته فضقتُ بها ذرعًا فاوحى الله الىّ ان تبلّغ رسالاتي عذّبتك و ضمن لي العصمةَ فقويتُ - فان قلت و قوع قوله فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهٗ جزاء للشرط ما وجه صحّته - قلت فيه وجهان - احدهما انه اذا لم يمتثل امرَ الله في تبليغ الرسالات و كتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرًا شنيعًا لاخفاءَ بشناعته فقيل ان لم تبلّغ منها ادنى شيء و انْ كلمة و احدة فانت كمن ركب الامرَ الشنيعَ الذي هو كتمان كلها كما عظّم قتل النفس بقوله فَكَاَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيْعًا - و الثاني

سورة المائدة ٤ الجزء ٦ ع ١٤

اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكٰفِرِيْنَ ۝ قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لَسْتُمْ عَلٰى شَيْءٍ حَتّٰى تُقِيْمُوا التَّوْرٰىةَ وَ الْاِنْجِيْلَ وَ مَآ اُنْزِلَ
اِلَيْكُمْ مِنْ رَّبِّكُمْ ؕ وَلَيَزِيْدَنَّ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ مَّآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَّ كُفْرًا ۚ فَلَا تَاْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ ۝
اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَ الَّذِيْنَ هَادُوْا وَ الصَّابِئُوْنَ وَ النَّصٰرٰى مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمانُ الوحي كلّه من العقاب فوضع السبب موضع المسبّب و يعضده قوله عليه السلام فاوحى الله اليّ انْ لم تبلّغ رسالاتي عذّبتك [وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ] عدةٌ من الله بالحفظ و الكلاءة - والمعنى والله يضمن لك العصمةَ من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم - فان قلت اين ضمان العصمة وقد شُجّ في وجهه يوم اُحد وكُسرتْ رباعيّته - قلت المراد به انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشدّ تكليفَ الانبياء عليهم السلام - وقيل نزلتْ بعد يوم اُحد و [النَّاس] الكُفّار بدليل قوله اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكٰفِرِيْنَ و معناه انه لا يُمكّنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك - وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يُحْرَس حتى نزلتْ فَاَخْرج راسَه من قُبّة اَدم فقال انصرفوا ايّها الناس فقد عصمني الله من الناس [لَسْتُمْ عَلٰى شَيْءٍ] اي على دين يُعتدّ به حتى يسمّى شيأ لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيرَه و تصغيرَ شانه وفي امثالهم اقلّ من لا شيء [فَلَا تَاْسَ] فلا تتاسّفْ عليهم لزيادة طغيانهم و كفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنىً عنهم * [وَالصَّابِئُوْنَ] رفع على الابتداء و خبره محذوف و النيةُ به التاخير عما في حيّز اِنّ من اسمها و خبرها كانه قيل ان الذين امنوا و الذين هادوا و النصارى حكمهم كذا و الصابئون كذلك و انشد سيبويه شاهدًا له * شعر * و اَلَا فاعلموا انّا وانتم * بُغاة ما بقينا في شقاق * اي فاعلموا انّا بُغاة و انتم كذلك - فان قلت هلّا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل اِنّ و اسمها - قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا و عمروٌ منتلقان - فان قلت لِمَ لا يصحّ و النية به التاخير و كانّك قلت ان زيدا منطلق و عمروٌ - قلت لاني اذا رفعتُه رفعتُه عطفًا على محل اِنّ و اسمها و العاملُ في محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما ينتظمهما اِنّ في عملها فلو رفعتُ الصابئون المنويّ به التاخيرُ بالابتداء و قد رفعتَ الخبر بانّ لَاَعْمَلتُ فيهما رافعين مختلفين - فان قلت فقوله وَ الصَّابِئُوْنَ معطوف لا بدّ له من معطوف عليه فما هو - قلت هو مع خبره المحذوف جملةٌ معطوفةٌ على جملة قوله اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا الى اٰخره ولا محل لها كما لا محل للتي عُطفتْ عليها - فان قلت ما التقديم و التاخير الّا لفائدة فما فائدة هذا التقديم - قلت فائدته التنبيه على ان الصابئينَ يتاب عليهم ان صحّ منهم الايمان و العمل الصالح فما الظنّ بغيرهم و ذلك ان الصابئين اَبْين هؤلاء المعدودين ضلالًا واشدّهم غيًّا وما سُمّوا صابئين الّا لانهم صبأوا عن الاديان كلّها اي خرجوا كما ان الشاعر قدّم قوله و اَنْتم تنبيهًا على ان المخاطبين اوغلُ في الوصف بالبُغاة من قومه حيث عاجلَ به قبل الخبر الذي هو بُغاة لئلا يُدخل قومَه في البغي قبلهم مع كونهم اوغلَ فيه منهم و اثبتَ قدمًا

يَحْزَنُونَ ◎ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا
وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ◎ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ ◎ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ

- فان قلت فاولئك والصابئين واياكم اكان التقديم حاصلا - قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه و انما يقال مقدم و موخر للمزال لا في القار في مكانه و مجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام - فان قلت كيف قيل الَّذِينَ آمَنُوا ثم قيل مَنْ آمَنَ - قلت فيه وجهان - ان يراد بالَّذِينَ آمَنُوا الذين امنوا بألسنتهم و هم المنافقون - و ان يراد بمَنْ آمَنَ من ثبت على الايمان و استقام ولم يخالجه ريبة فيه - فان قلت فما محل مَنْ آمَنَ - قلت اما الرفع على الابتداء و خبره فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ و الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر انّ - و اما النصب على البدل من اسم انّ و ما عطف عليه او من المعطوف عليه - فان قلت فاين الراجع الى اسم انّ - قلت محذوف تقديره مَنْ آمَنَ منهم كما جاء في موضع آخر - و قرئ وَ الصَّابِئُونَ بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يَسْتَهْزِيُونَ - وَالصَّابُونَ و هو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى و الشهوات في دينهم و لم يتبعوا ادلة العقل و السمع - و في قراءة أُبَيّ و الصَّابِئِيْنَ بالنصب وبها قرأ ابن كثير - و قرأ عبد الله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ * [لَقَدْ أَخَذْنَا] ميثاقهم بالتوحيد [وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا] ليقفوهم على ما يأتون و ما يذرون في دينهم [كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ] جملة شرطية و قعت صفة لرُسُلًا و الراجع محذوف اي رسول منهم [بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ] بما يخالف هواهم و يضاد شهواتهم من مشاق التكليف و العمل بالشرائع - فان قلت اين جواب الشرط فان قوله [فَرِيقًا كَذَّبُوا وَ فَرِيقًا يَقْتُلُونَ] نابٍ عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين و لانه لا يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك اكرمتُ - قلت هو محذوف يدل عليه قوله فَرِيقًا كَذَّبُوا وَ فَرِيقًا يَقْتُلُونَ كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه - و قوله فَرِيقًا كَذَّبُوا جواب مستانف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم - فان قلت لم جيء باحد الفعلين ماضيا و بالآخر مضارعا - قلت جيء بيَقْتُلُونَ على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل و استحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها - قرئ أَلَّا تَكُونَ بالنصب على الظاهر - و بالرفع على ان أَنْ هي المخففة من الثقيلة اصله انّه لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ فخففت أَن و حذف ضمير الشان - فان قلت كيف دخل فعل الحسبان على أَنَّ التي هي للتحقيق - قلت نُزّل حسبانهم لفوته في صدورهم منزلة العلم - فان قلت فاين مفعولا حسبَ - قلت سدّ ما يشتمل عليه صلة أَنْ و انّ من المسند و المسند اليه مسدّ المفعولين - و المعنى و حسب بنو اسرائيل انهم لا يُصيبهم من الله فتنةٌ اي بلاء و عذاب في الدنيا و الآخرة [فَعَمُوا] عن الدين [وَصَمُّوا] حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل [فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا] كرّة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية

سورة المائدة ٥ الجزء ٦ ع ١٤

رَبِّي وَرَبُّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ۖ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ

- وقرئ عُمُوا وصُمُّوا بالضم على تقدير عماهم الله وصمّهم اي رماهم و ضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكنه اذا ضربته بالنيزك و ركبته اذا ضربته بركبتك [كَثِيرٌ مِنْهُمْ] بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث - او هو خبر مبتدأ محذوف اي اولئك كَثِيرٌ مِنْهُمْ * لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه و بينهم في انه عبد مربوب كمثلهم و هو احتجاج على النصارى [إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ] في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله [فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ] التي هي دار الموحدين اي حرّمه دخولها و منعه منه كما يمنع المحرَّمُ من المحرَّم عليه [وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ] كلامٌ الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يُساعدهم عليه و لم ينصر قولهم و ردّه و انكره و ان كانوا معظّمين له بذلك و رافعين من مقداره - او من قول عيسى على معنى و لا ينصركم احد فيما تقولون و لا يساعدكم عليه لاستحالته و بُعده عن المعقول او و لا ينصركم ناصر في الأخرة من عذاب الله - مِنْ في قوله [وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ] للاستغراق و هي المقدّرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله - والمعنى و ما اله قطّ في الوجود الّا الٰه موصوف بالوحدانية لا ثانيَ له و هو الله وحده لا شريك له - و مِنْ في قوله [لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ] للبيان كالتي في قوله فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ - فان قلت فهلّا قيل ليمسّنهم عذاب اليم - قلت في اقامة الظاهر مقام المضمر فائدة و هي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا و في البيان فائدة اخرى و هي الاعلام في تفسير الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ انهم بمكان من الكفر - والمعنى ليمسّنّ الذين كفروا من النصارى خاصةً [عَذَابٌ أَلِيمٌ] اي نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرون من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها عشرون - و يجوز ان يكون للتبعيض على معنى ليمسّنّ الذين بقُوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية [أَفَلَا يَتُوبُونَ] الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكرّرة عليهم بالكفر و هذا الوعيد الشديد مما هم عليه و فيه تعجيب من اصرارهم [وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] يغفر لهؤلاء ان تابوا و لغيرهم [قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ] صفة لرَسُولٌ اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بايات من الله كما اتوا بامثالها إنْ ابرأ الله الابرصَ واحيى الموتى على يده فقد احيى العصا رجعلها حيّة تسعى و فلق البحر و طمسَ على يد موسى و إنْ خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر و لا انثى [وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ] اي و ما امّه ايضا الا كبعض النساء المصدّقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة شريفين احدهما نبيّ و الأخر صحابيّ فمن اين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يُوصَف به سائر الانبياء و صحابتهم مع انهم لا تميّز و لا تفاوت

ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ
سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ

بينهما و بينهم بوجه من الوجوه - ثم صرّح ببُعدهما عما نسب اليهما في قوله [كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ] لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم و النفض لم يكن الا جسماً مركّباً من عظم و لحم و عروق و اعصاب و اخلاط و امزجة مع شهوة و قرم و غير ذلك مما يدلّ على انه مصنوع مؤلف مدبّر كغيره من الاجسام [كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ] اي الاعلام من الادلّة الظاهرة على بطلان قولهم - [أَنَّى يُؤْفَكُونَ] كيف يصرفون عن استماع الحق و تأمّله - فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثُمَّ انْظُرْ - قلت معناه ما بين العجبين يعني انه بيّن لهم الايات بيانا عجبا و ان اعراضهم عنها اعجب منه [مَا لَا يَمْلِكُ] هو عيسى اي شيأ لا يستطيع ان يَضُرّكم بمثل ما يضركم به الله من البلايا و المصائب في الانفس و الاموال و لا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحّة الابدان و السعة و الخصب و لان كل ما يستطيعه البشر من المضارّ و المنافع فبإقدار الله و تمكينه فكأنّه لا يملك منه شيأ وهذا دليل قاطع على ان امره مذاف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرّا و لا نفعا وصفةُ الربّ ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته [وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] متعلق بالتعبدون اي أتشركون بالله ولا تخشونه و هو الذي يسمع ما تقولون و يعلم ما تعتقدون - او تعبدون العاجز وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ الذي يصحّ منه ان يسمع كل مسموع و يعلم كل معلوم و لن يكون كذلك الا وهو حيٌّ قادرٌ [غَيْرَ الْحَقِّ] صفة للمصدر اي لا تغلوا في دينكم غلوًّا غير الحق اي غلوًّ باطلا لان الغلوّ في الدين غلوّان - حقٌّ و هو ان يفحص عن حقائقه و يفتش عن اباعد معانيه و يجتهد في تحصيل حُجَجه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل و التوحيد - و غلوٌّ باطل و هو ان يتجاوز الحقّ و يتخطاه بالاعراض عن الادلّة و اتباع الشُبَه كما يفعل اهل الاهواء و البدع [قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ] هم ايمّتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبيّ عليه السلام [وَأَضَلُّوا كَثِيرًا] ممن شايعهم على التثليث [وَضَلُّوا] لما بُعث رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم [عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ] حين كذّبوه و حسدوه و بغَوْا عليه نزل الله لَعَنَهم في الزبور على لسان داؤد و في الانجيل على لسان عيسى - و قيل ان اهل أيلة لما اعتدوا في السبت قال داؤد اللّهم العَنْهم و اجعلهم اية فمُسخوا قردةً - و لما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللّهم عَذِّبْ مَنْ كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذّبه احدا من العالمين والعَنْهم كما لعنتَ اصحاب السبت فاصبحوا خنازير و كانوا خمسةَ آلاف رجل ما فيهم امرأة و لا صبيّ [ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا] اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سببه المسخ الا لاجل المعصية و الاعتداء لا لشيء آخر ثم فسّر المعصية و الاعتداء بقوله [كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ]

كَفَرُوا ط لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خٰلِدُونَ ۝ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالنَّبِيِّ سورة المائدة ٥
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فٰسِقُونَ ۝ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ الجزء ٦
أَشْرَكُوا ج وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصٰرٰى ط ذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَ ع ١٥

لا ينهى بعضهم بعضًا عن منكر فعلوه ثم قال [لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] للتعجيب من سوء فعلهم موكدًا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير و قلة عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع مايتلون من كلام الله و ما فيه من المبالغات في هذا الباب - فان قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرًا للمعصية و الاعتداء - قلت من قبل ان الله عز و جل امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية و هو اعتداء لان في التناهي حسمًا للفساد فكان تركه على عكسه - فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه و لا يكون النهي بعد الفعل - قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق و الاتهم تسوى و تهيأ فتنكر - و يجوز ان يراد لا ينتهون و لا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه و يداومون على فعله يقال تناهى عن الامر و انتهى عنه اذا امتنع منه و تركه [تَرٰى كَثِيرًا مِنْهُمْ] هم منافقوا اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين و يصافونهم [أَنْ سَخِطَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ] هو المخصوص بالذم و محله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الاخرة سخط الله عليهم - و المعنى موجب سخط الله [وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ] ايمانا خالصا غير نفاق [مَا اتَّخَذُوا] المشركين [أَوْلِيَاءَ] يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم و ان ايمانهم ليس بايمان [وَلٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فٰسِقُونَ] متمردون في كفرهم و نفاقهم - و قيل معناه و لو كانوا يؤمنون بالله و موسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون * وصف الله شدة شكيمة اليهود و صعوبة اجابتهم الى الحق و لان عريكة النصارى و سهولة ارعوائهم و ميلهم الى الاسلام و جعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا و كذلك فعل في قوله وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلٰى حَيٰوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا و لعمري انهم لكذلك و اشد - و عن النبي صلى الله عليه و اله و سلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله و علل سهولة ماخذ النصارى و قرب مودتهم للمؤمنين [بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا] اي علماء و عبادا و انهم قوم فيهم تواضع و استكانة و لا كبر فيهم و اليهود على خلاف ذلك - و فيه دليل بين على ان العلم انفع شيء و اهداه الى الخير و ادله على الفوز حتى علم القسيسين و كذلك غم الاخرة و التحدث بالعاقبة و ان كان في راهب و البراءة من الكبر و ان كانت في نصراني و وصفهم الله برقة القلوب و انهم يبكون عند استماع القران و ذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة و المشركون و هم يغرونه عليهم و يتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ و قرأ سورة طٰهٰ الى قوله

سورة المائدة ٥ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۚ يَقُولُونَ
الجزء ٧ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ
ع ١٥ الصَّالِحِينَ ۝ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى فَبَكَى النَّجَاشِيُّ وَكَذَلِكَ فَعَلَ قَوْمُهُ الَّذِينَ وَفَدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا حِينَ قَرَأَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سُورَةَ يٰسٓ بَكَوْا - فَإِنْ قُلْتَ بِمَ تَعَلَّقَتِ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا - قُلْتُ بِعَدَاوَةٍ وَمَوَدَّةٍ عَلَى أَنَّ عَدَاوَةَ الْيَهُودِ الَّتِي اخْتَصَّتِ الْمُؤْمِنِينَ أَشَدُّ الْعَدَاوَاتِ وَأَظْهَرُهَا وَأَنَّ مَوَدَّةَ النَّصَارَى الَّتِي اخْتَصَّتِ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ الْمَوَدَّاتِ وَأَدْنَاهَا وُجُودًا وَأَسْهَلُهَا حُصُولًا وَوَصْفُ الْيَهُودِ بِالْعَدَاوَةِ وَالنَّصَارَى بِالْمَوَدَّةِ مِمَّا يُؤْذِنُ بِالتَّفَاوُتِ ثُمَّ وَصْفُ الْعَدَاوَةِ وَالْمَوَدَّةِ بِالشِّدَّةِ وَالْأَقْرَبِ - فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ [تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ] - قُلْتُ مَعْنَاهُ تَمْتَلِئُ مِنَ الدَّمْعِ حَتَّى تَفِيضَ لِأَنَّ الْفَيْضَ أَنْ يَمْتَلِئَ الْإِنَاءُ أَوْ غَيْرُهُ حَتَّى يَطْلَعَ مَا فِيهِ مِنْ جَوَانِبِهِ فَوُضِعَ الْفَيْضُ الَّذِي هُوَ مِنَ الِامْتِلَاءِ مَوْضِعَ الِامْتِلَاءِ وَهُوَ مِنْ إِقَامَةِ الْمُسَبَّبِ مَقَامَ السَّبَبِ - أَوْ قُصِدَتِ الْمُبَالَغَةُ فِي وَصْفِهِمْ بِالْبُكَاءِ فَجُعِلَتْ أَعْيُنُهُمْ كَأَنَّهَا تَفِيضُ بِأَنْفُسِهَا أَيْ تَسِيلُ مِنَ الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِ الْبُكَاءِ مِنْ قَوْلِكَ دَمَعَتْ عَيْنُهُ دَمْعًا - فَإِنْ قُلْتَ أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ مِنْ وَمِنْ فِي قَوْلِهِ [مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ] - قُلْتُ الْأُولَى لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ عَلَى أَنَّ فَيْضَ الدَّمْعِ ابْتَدَأَ وَنَشَأَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَكَانَ مِنْ أَجْلِهِ وَبِسَبَبِهِ وَالثَّانِيَةُ لِتَبْيِينِ الْمَوْصُولِ الَّذِي هُوَ مَا عَرَفُوا - وَيَحْتَمِلُ مَعْنَى التَّبْعِيضِ عَلَى أَنَّهُمْ عَرَفُوا بَعْضَ الْحَقِّ فَبَكَاهُمْ وَبَاغَ مِنْهُمْ فَكَيْفَ إِذَا عَرَفُوهُ كُلَّهُ وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ وَأَحَاطُوا بِالسُّنَّةِ - وَقُرِئَ تُرَى أَعْيُنُهُمْ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ [رَبَّنَا آمَنَّا] الْمُرَادُ بِهِ إِنْشَاءُ الْإِيمَانِ وَالدُّخُولُ فِيهِ [فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ] مَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ هُمْ شُهَدَاءُ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَقَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا ذِكْرَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَذَلِكَ [وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ] إِنْكَارٌ وَاسْتِبْعَادٌ لِانْتِفَاءِ الْإِيمَانِ مَعَ قِيَامِ مُوجِبِهِ وَهُوَ الطَّمَعُ فِي إِنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ - وَقِيلَ لَمَّا رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ لَامُوهُمْ فَأَجَابُوهُمْ بِذَلِكَ وَأَرَادُوا وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُثَلِّثِينَ وَذَلِكَ لَيْسَ بِإِيمَانٍ بِاللَّهِ - وَمَحَلُّ لَا نُؤْمِنُ النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ بِمَعْنَى غَيْرَ مُؤْمِنِينَ كَقَوْلِكَ مَالَكَ قَائِمًا - وَالْوَاوُ فِي [وَنَطْمَعُ] وَاوُ الْحَالِ - فَإِنْ قُلْتَ مَا الْعَامِلُ فِي الْحَالِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ - قُلْتُ الْعَامِلُ فِي الْأُولَى مَا فِي اللَّامِ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ كَأَنَّهُ قِيلَ أَيُّ شَيْءٍ حَصَلَ لَنَا غَيْرَ مُؤْمِنِينَ وَفِي الثَّانِيَةِ مَعْنَى هَذَا الْفِعْلِ وَلَكِنْ مُقَيَّدًا بِالْحَالِ الْأُولَى لِأَنَّكَ لَوْ أَزَلْتَهَا وَقُلْتَ وَمَا لَنَا وَنَطْمَعُ لَمْ يَكُنْ كَلَامًا - وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَنَطْمَعُ حَالًا مِنْ لَا نُؤْمِنُ عَلَى أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُوَحِّدُونَ اللَّهَ وَيَطْمَعُونَ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَصْحَبُوا الصَّالِحِينَ - وَأَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى لَا نُؤْمِنُ عَلَى مَعْنَى وَمَا لَنَا نَجْمَعُ بَيْنَ التَّثْلِيثِ وَبَيْنَ الطَّمَعِ فِي صُحْبَةِ الصَّالِحِينَ أَوْ عَلَى مَعْنَى وَمَا لَنَا لَا نَجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ لِأَنَّ الْكَافِرَ مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَطْمَعَ فِي صُحْبَةِ الصَّالِحِينَ - قَرَأَ الْحَسَنُ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ [بِمَا قَالُوا] بِمَا تَكَلَّمُوا مِنَ اعْتِقَادِ

سورة المائدة ٥ الجزء ٧ ع ١

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰيٰتِنَآ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ الْجَحِيْمِ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تُحَرِّمُوْا طَيِّبٰتِ مَآ اَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوْا ط
اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ ۝ وَكُلُوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ حَلٰلًا طَيِّبًا ص وَّاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِيْٓ اَنْتُمْ بِهٖ مُؤْمِنُوْنَ ۝
لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِيْٓ اَيْمَانِكُمْ وَلٰكِنْ يُّؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُّمُ الْاَيْمَانَ ج فَكَفَّارَتُهٗٓ اِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسٰكِيْنَ مِنْ

و اخلاص من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده و ما يذهب اليه [طَيِّبٰتِ مَآ اَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ] ما طاب و لذّ من الحلال - ومعنى لَا تُحَرِّمُوْا لاتمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لاتقولوا حَرَّمْنَاها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهّدا منكم و تقشّفا - و روي ان رسول الله صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم وصف القيٰمة لاصحابه يوماً فبالغ و اشبع الكلام في الانذار فرقّوا و اجتمعوا في بيت عثمٰن بن مظعون و اتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين و ان لايناموا على الفرش و لا ياكلوا اللحم و الودك و لا يقربوا النساء و الطيّب و يرفضوا الدنيا و يلبسوا المُسُوح و يسيحوا في الارض و يُحبّوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسولَ الله صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم فقال لهم انّي لم اُومَر بذلك ان لانفسكم عليكم حقًّا فصوموا و اَفطروا وقوموا و ناموا فانّي اقوم و انام و اصوم و اُفطر و اٰكل اللحم و الدسم و اٰتي النسآء فمن رغب عن سنّتي فليس منّي و نزلت - و روي ان رسول الله صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم كان يأكل الدّجاج والفالوذ و كان يُعجبه الحلواء و العسل و قال ان المؤمن حلو يُحبّ الحلاوة - و عن ابن مسعود ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الاٰية و قال نَم على فراشك وكفّر عن يمينك - و عن الحسن انه دُعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة و عليها الألوان من الدجاج المسمّن و الفالوذ و غير ذلك فاعتزل فرقد ناحيةً فسأل الحسنُ اَهو صائم قالوا لا و لكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه و قال يا فُرَيْقد اترى اعاب النحل بلُباب البُرّ بخالص السمن يعيبه مسلم - و عنه انه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ و يقول لا اؤدّي شكره قال افيشرب الماءَ البارد قال نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكبر من نعمته عليه في الفالوذ - و عنه ان الله تعالى ادّب عباده فاحسن ادبهم قال لِيُنْفِقْ ذُوْ سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهٖ ماعاب الله قوماً وسّع عليهم الدنيا فتنعّموا و اطاعوا و لاعذّر قوماً زواها عنهم فعصوه [وَلَا تَعْتَدُوْا] و لا تتعدّوا حدودَ ما اُحلّ لكم الى ما حُرّم عليكم - او و لاتُسرفوا في تناول الطيّبات - او جعل تحريم الطيّبات اعتداء و ظلماً فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوّليًّا لوروده على عقبه - او اراد و لا تعتدوا بذلك - [وَكُلُوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ] اي من الوجوه الطيّبة التي تسمّى رزقا [حَلٰلًا] حال من مَا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ - [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] تاكيد للتوصية بما امر به و زاده تاكيدا بقوله [الَّذِيْٓ اَنْتُمْ بِهٖ مُؤْمِنُوْنَ] لان الايمان به يوجب التقوى في انتهاء الى ما امر به و عما نهي عنه * [اللغو] في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم و اختلف فيه - فعن عايشة رضي الله عنها سُئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا و الله و بلى و الله و هو مذهب الشافعي - و عن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظنّ و هو قول ابي حنيفة [بِمَا عَقَّدْتُّمُ الْاَيْمَانَ] بتعقيدكم

سورة المائدة ٥ الجزء ٧ ع ١ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوٓا أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٨٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ

الايمان و هو توثيقها بالقصد و النية - و روي ان الحسن سُئل عن لغو اليمين و كان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد دَعْني أُجِبْ عنك فقال * شعر * و لستَ بماخوذ بلغو تقوله * اذا لم تعمّد عاقدات العزائم * - و قرئ عَقَّدْتُمْ بالتخفيف وَعَاقَدْتُمْ - و المعنى و لكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اذا حنثتم بحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم - او بنكث مَا عَقَّدْتُمْ بحذف المضاف [فَكَفَّارَتُهُ] فكفارة نكثه و الكفارةُ الفعلة التي من شانها ان تكفّر الخطيئةَ اي تسترها [مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ] من اقصده لان منهم من يُسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتّر و هو عند ابي حنيفة نصف صاع من بُرّ او صاع من غيره لكل مسكين او يغدّيهم و يعشّيهم - و عند الشافعي رحمه الله مُدّ لكل مسكين - و قرأ جعفر بن محمد أَهَالِيكُمْ بسكون الياء - و الاهالي اسم جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة و الاراضي في جمع ارض و قولهم أَهْلُون كقولهم أَرْضُون بسكون الراء - و اما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معديْ كرب تسكينها للياء بالالف [أَوْ كِسْوَتُهُمْ] عطف على محل مِنْ أَوْسَطِ - و قرئ بضم الكاف و نحوه قُدْرة في قِدْرة و اُسْوة في اِسْوة و الكسوةُ ثوب يُغطّى العورة - و عن ابن عباس رضي الله عنه كانت العباءة تجزي يومئذ - و عن ابن عمر رضي الله عنه ازار او قميص او رداء او كساء - و عن مجاهد ثوب جامع - و عن الحسن ثوبان ابيضان - و قرأ سعيد بن المسيّب و اليماني أَوْ كَاسْوَتِهِمْ بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصوهم عن مقدار نفقتهم و لكن تُواسون بينهم و بينهم - فان قلت ما محل الكاف - قلت الرفع تقديره او طعامهم كَاسْوَتِهِمْ بمعنى كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط [أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ] شرط الشافعيّ الايمانَ قياساً على كفّارة القتل - و اما ابو حنيفة و اصحابه فقد جوّزوا تحريرَ الرقبة الكافرة في كل كفّارة سوى القتل - فان قلت ما معنى أَوْ - قلت التخيير و ايجاب احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق بانيا اخذ المكفّر فقد اصاب [فَمَنْ لَمْ يَجِدْ] احدها [فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ] متتابعات عند ابي حنيفة تمسّكا بقراءة أُبيّ و ابن مسعود فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ - و عن مجاهد كل صوم متتابعٌ الا قضاء رمضان و تُخيّر في كفارة اليمين [ذَٰلِكَ] المذكور [كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ] و لو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او تمانيك الكفارة - و المعنى اذا حلفتم و حنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفّارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف - و التكفيرُ قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة و اصحابه - و يجوز عند الشافعي بالمال اذا لم يعص الحانث [وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ] فلا تحنثوا اراد الأيمان التي الحنث فيها معصية لان الأيمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس و على كلّه - و قيل احفظوها بان تكفّروها - و قيل احفظوها كيف حلفتم بها و لا تنسوها تهاونا بها [كَذَٰلِكَ] مثل ذلك البيان [يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ]

وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۚ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝

اعلامٌ شريعته و احكامه [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] نعمتُهُ فيما يعلّمكم و يُسهّل عليكم المخرج منه * اكّد تحريم الخمر و الميسر وجوهاً من التاكيد - منها تصدير الجملة بانّما - و منها انه قرنهما بعبادة الاصنام و منه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن - و منها انه جعلهما رجساً كما قال فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ - و منها انه جعلهما من عمل الشيطان و الشيطانُ لا ياتي منه الّا الشرّ البحت - و منها انه امر بالاجتناب - و منها انه جَعل الاجتناب من الفلاح و اذا كان الاجتناب فلاحًا كان الارتكاب خيبةً و مَحْقةً - و منها انه ذكر ما ينتتج منهما من الوبال و هو وقوع التعادي و التباغض بين اصحاب الخَمْر و القمر و ما يؤدّيان اليه من الصدّ عن ذكر الله و عن مراعاة اوقات الصلوة - و قولُه [فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ] من ابلغ ما يُنْهى به كانه قيل قد تُلي عليكم ما فيها من انواع الصوارف و الموانع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كَأَنْ لم توعظوا و لم تزجروا - فان قلت الم يَرجع الضمير في قوله فَاجْتَنِبُوهُ - قلت الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شان الخمر و الميسر او تعاطيهما او ما اشبه ذلك و لذلك قال رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ - فان قلت لِم جَمع الخمر و الميسر مع الانصاب و الازلام اولاً ثم افردهما اخرًا - قلت لان الخطاب مع المؤمنين و انما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر و اللعب بالميسر و ذَكَر الانصابَ و الازلام لتاكيد تحريم الخمر و الميسر و اظهار ان ذلك جميعًا من اعمال اهل الجاهلية و اهلِ الشرك فوجب اجتنابُه باسره و كانّه لا مباينة بين مَن عبد صنماً و اشرك بالله في علم الغيب و بين من شرب خمرا او قامر ثم افردهما بالذكر ليُري ن المقصود بالذكر الخمرُ و الميسرُ - و قوله وَعَنِ الصَّلَاةِ اختصاصُ للصلوة من بين الذكر كانه قيل و عن الصلوة خصوصًا [وَاحْذَرُوا] و كونوا حَذِرين خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيّئة و عمل كل حسنة - و يجوز ان يراد وَاحْذَرُوا ما عليكم في الخمر و الميسر او في ترك طاعة الله و الرسول [فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا] انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسولَ ما كُلّف الّا [الْبَلَاغُ الْمُبِينُ] بالايات و انما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كُلّفتموه * رَفَع الجناح عن المؤمنين في اىّ شيء طعموه من مستلذّات المطاعم و مشتهياتها [إِذَا مَا اتَّقَوْا] ما حُرّم عليهم منها [وَآمَنُوا] و ثبتوا على الايمان و العملِ الصالح و ازدادوه [ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا] ثم ثبتوا على التقوى و الايمان [ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا] ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي و حسنوا اعمالهم او احسنوا الى الناس و اسّوهم بما رزقهم الله من الطيّبات - و قيل لمّا نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسولَ الله فكيف باخواننا الذين ماتوا و هم يشربون الخمر و ياكلون مال الميسر فانزلت يعني ان

سورة المائدة ٥ الجزء ٧ ع ٢ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّٰهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهٗٓ اَيْدِيْكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّٰهُ مَنْ يَّخَافُهٗ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدٰى بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهٗ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَاَنْتُمْ حُرُمٌ ۭ وَمَنْ قَتَلَهٗ مِنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاۗءٌ

المؤمنين لا جناح عليهم في اي شيء طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا و امنوا ثم اتقوا و احسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم و حمدا لاحوالهم فى الايمان و التقوى و الاحسان و مثله ان يقال لك هل على زيد جناح فيما فعل فتقول و قد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد جناح فى المباح اذا اتقى المحارم و كان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل * نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد و هم محرمون و كثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم و طعنا برماحهم [لِيَعْلَمَ اللّٰهُ مَنْ يَّخَافُهٗ بِالْغَيْبِ] ليتميز من يخاف عقاب الله و هو غائب منتظر فى الاخرة فيتقى الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه [فَمَنِ اعْتَدٰى] فصاد [بَعْدَ ذٰلِكَ] الابتلاء فالوعيد لاحق به - فان قلت ما معنى التقليل والتصغير فى قوله بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ - قلت قُلّل وصُغّر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح و الاموال و انما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك و انهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف بثباتهم عند ما هو اشد منه - وقرأ ابراهيم يَنَالُهٗ بالياء * [حُرُمٌ] محرمون جمع حرام كرُدُح في جمع رداح - و التعمد ان يقتله و هو ذاكر لاحرامه اوعالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله و هو ناس لاحرامه او رمى صيدا و هو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ - فان قلت فمحظورات الاحرام يستوي فيها العمد و الخطأ فما بال التعمد مشروطا فى الاية - قلت لان مورد الاية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد و انت محرم فنزلت - و لان الاصل فعل المتعمد و الخطأ لاحق به للتغليظ و يدل عليه قوله لِيَذُوْقَ وَبَالَ اَمْرِهٖ - وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِنْهُ - و عن الزهري نزل الكتاب بالعمد و وردت السنة بالخطأ - و عن سعيد بن جُبَيْر لا ارى فى الخطأ شيأ اخذا باشتراط العمد فى الاية - و عن الحسن روايتان - [فَجَزَاۗءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ] برفع جَزَاءٌ و مِثْلُ جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد و هو عند ابي حنيفة قيمة المصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد و بين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بُرّ او صاعا من غيره و ان شاء صام عن اطعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به - و عن محمد و الشافعي مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير فى النعم عُدل الى قول ابي حنيفة - فان قلت ما يصنع من يُفسر المثل بالقيمة بقوله مِنَ النَّعَمِ و هو تفسير للمثل وبقوله هَدْيًا بٰلِغَ الْكَعْبَةِ - قلت قد خُيّر من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى فى الاية فكان قوله مِنَ النَّعَمِ

مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ سورة المائدة ٥ الجزء ٧

بيانًا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخييرلان من قوّم الصيد و اشترى بالقيمة هديًا فاهداه فقد جرى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسّف اذا قوّم ونظر بعد التقويم اي الثلثة يختار فامّا اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فانما كان شيأ النظير له قوّم حينئذ ثم تخيّر بين الاطعام و الصوم ففيه نبوّ عما في الآية الاترى الى قوله أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْعَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا كيف خيّر بين الاشياء الثلثة و لا سبيل الى ذلك الاّ بالتقويم - و قرأ عبد الله فَجَزَاؤُهُ مِثْلُ مَا قَتَلَ - و قرئ فَجَزَاءُ مِثْلِ مَا قَتَلَ على الاضافة و اصلُه فجزاءُ مِثْلَ ما قتل بنصب مثلَ بمعنى فعليه ان يجزي مثلَ ما قتل ثم أُضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدًا ثم من ضرب زيد - و قرأ السلمي على الاصل - و قرأ محمد بن مقاتل فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ بنصبهما بمعنى فليحز جزاءً مثلَ ما قتل - و قرأ الحسن مِنَ النَّعْمِ بسكون العين إستثقل الحركة على حرف الحلق فسكّنه [يَحْكُمُ بِهِ] بمثل ما قتل [ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ] حكمان عادلان من المسلمين - قالوا و فيه دليل على ان لمثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر و الاجتهاد دون الاشياء المشاهدة - و عن قبيصة انه اصاب ظبيًا و هو مُحْرِم فسأل عمر رضي الله عنه فشاور عبدَ الرحمن بن عَوْف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه ضربًا بالدِرة فقال اتغمص الفُتْيا و تقتل الصيدَ و انت مُحْرِم قال الله تعالى يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ فانا عمر و هذا عبد الرحمن - و قرأ محمد بن جعفر ذُوعَدْلٍ مِنْكُمْ اراد يحكم به من يعدل منكم و لم يُرِد الوحدة - و قيل اراد الامامَ - [هَدْيًا] حال عن جَزَاءٌ فيمن وصفه بمِثْلُ لان الصفة خصّصته فقرّبته من المعرفة - او بدل من مِثْلُ فيمن نصبه او عن محله فيمن جره - و يجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في بِهِ و وصف هديا بِبَالِغَ الْكَعْبَةِ لان اضافته غير حقيقة - و معنى بلوغه الكعبةَ أن يذبح بالحرم فاما التصدّق به فحيث شئت عند ابي حنيفة - و عند الشافعي في الحرم - فان قلت لم يرفع كَفَّارَةٌ من ينصب جَزَاءٌ - قلت يجعلها خبر مبتدأ محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفّارة - او يُقدّر فعليه ان يجزي جزاءٌ او كَفَّارَةٌ فيعطفها على ان يجزي - وقرئ أَوْ كَفَّارَةُ طَعَامِ مَسَاكِينَ على الاضافة وهذه الاضافة مبيّنة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كتوك خاتمُ فضةٍ بمعنى خاتم من فضة - وقرأ الاعرج أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ و انما وُحّد لانه وافع موقع التبيين فاكتفي بالواحد الدالّ على الجنس - و قرئ أَوْعِدْلُ ذَلِكَ بكسر العين - و الفرقُ بينهما ان عَدل الشيء ما عادلَه من غير جنسه كالصوم و الاطعام و عِدله ما عدل به في المقدار و منه عِدلا الجمل لان كل واحد منهما عُدل بالآخر حتى اعتدلا كانّ المفتوح تسمية بالمصدر و المكسورَ بمعنى المفعول به كالذبح و نحوه و نحوهما الحِمْل و [ذَٰلِكَ] اشارة الى الطعام و [صِيَامًا] تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا و الخيارُ في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة و ابي يوسف - و عند محمد الى الحكمين [لِيَذُوقَ] متعلق بقوله فَجَزَاءٌ اي

سورة المائدة ٥ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۗ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۝ أُحِلَّ لَكُمْ
الجزء ٧ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۚ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
ع ٣ تُحْشَرُونَ ۝ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۗ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا

فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام - و الوبال المكروه و الضرر الذي يذال في العاقبة مِنْ عمل سوء لتقاه عاقبة من قوله تعالى فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ثقيلا و الطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يُستمرأ [عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ] لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و تسئلوه عن جوازه - و قيل عَمَّا سَلَفَ لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع مَنْ قابلهم و كان الصيد فيها محرما [وَمَنْ عَادَ] الى قتل الصيد و هو محرم بعد نزول النهي عنه [فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ] يَنْتَقِمُ خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه و لذلك دخلت الفاء و نحوه فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ يعني ينتقم منه في الاخرة - و اختلف في وجوب الكفارة على العائد - فعن عطاء و ابراهيم و سعيد بن جبير و الحسن وجوبها و عليه عامة العلماء - و عن ابن عباس و شريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر و انه لم يذكر الكفارة [صَيْدُ الْبَحْرِ] مصيدات البحر مما يوكل و مما لا يوكل [وَطَعَامُهُ] و ما يطعم من صيده - و المعنى أُحِلَّ لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر و أُحِلَّ لكم اكل المأكول منه و هو السمك وحده عند ابي حنيفة - و عند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الاية عنده أُحِلَّ لكم صيد حيوان البحر و ان تطعموه [مَتَاعًا لَّكُمْ] مفعول له اي أُحِلَّ لكم تمتيعا لكم و هو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً في باب الحال لان قوله مَتَاعًا لَّكُمْ مفعول له مختص بالطعام كما ان نَافِلَةً حال مختصة بيعقوب يعني أُحِلَّ لكم طعامه تمتيعا لتغائكم ياكلونه طريا - و لسيارتكم و يزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر - و قرئ وَطُعْمُهُ * و [صَيْدُ الْبَرِّ] ما صيد فيه و هو ما يفرخ فيه و ان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة - و اختلف فيه - فمنهم مَنْ حَرَّم على المُحْرِم كلَّ شيء يقع عليه اسم الصيد و هو قول عمر و ابن عباس - و عن ابي هريرة و عطاء و مجاهد و سعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكلَ ما صاده الحلال و ان صاده لاجله اذا لم يدلّ و لم يُشر و كذلك ما ذبحه قبل احرامه و هو مذهب ابي حنيفة و اصحابه - و عند مالك و الشافعي و احمد لا يباح له ما صيد لاجله - فان قلت ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صَيْدُ الْبَرِّ - قلت قد اخذ ابو حنيفة بالمفهوم من قوله وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا لان ظاهره انه صيد المُحْرِمين دون صيد غيرهم و مصيدهم حين كانوا غير محرمين و يدل عليه قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ - و قرأ ابن عباس وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ اي اللَّهُ عزوجل - و قرئ مَادُمْتُمْ بكسر الدال فيمن يقول دام يدام [الْبَيْتَ الْحَرَامَ] عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك [قِيَامًا لِّلنَّاسِ] انتعاشا لهم

سورة المائدة ٥ الجزء ٧ ع ٣

أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ اِعْلَمُوٓا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّٰهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ مَّا عَلَى الرَّسُولِ اِلَّا الْبَلٰغُ ۗ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝ قُلْ لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللّٰهَ يٰٓأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَاءَ
اِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ۚ وَاِنْ تَسْـَٔلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْاٰنُ تُبْدَ لَكُمْ ۚ عَفَا اللّٰهُ عَنْهَا ۗ وَاللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ قَدْ سَأَلَهَا

في امر دينهم و دنياهم و نهوضا الى اغراضهم و مقاصدهم في معاشهم و معادهم لما يتم لهم من امر حجهم و عمرتهم و تجارتهم و انواع منافعهم - و عن عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا و لم يوخروا [وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ] و الشهر الذي يودى فيه الحج و هو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله تعالى - وقيل عُني به جنس الاشهر الحُرُم [وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ] و المقلد منه خصوصا و هو البُدُن لان الثواب فيه اكثر و بهاء الحج معه اظهر [ذٰلِكَ] اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس و الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد و غيره [لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ] كل شيء و هو عالم بما يصلحكم و ينعشكم مما امركم به وكلفكم [شَدِيدُ الْعِقَابِ] لمن انتهك محارمه [غَفُورٌ رَّحِيمٌ] لمن حافظ عليها • [مَّا عَلَى الرَّسُولِ اِلَّا الْبَلٰغُ] تشديد في ايجاب القيام بما امر به و ان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ و قامت عليكم الحُجّة و لزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط • البون بين الخبيث و الطيب بعيد عند الله و ان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث و فوات الطيب و هو عالم في حلال المال و حرامه وصالح العمل و طالحه و صحيح المذاهب و فاسدها و جيد الناس و رديهم [فَاتَّقُوا اللّٰهَ] و اثروا الطيب وان دل على الخبيث و ان كثر و من حق هذه الآية ان تُكْفَح بها وجوه العجبرة اذا افتخروا بالكثرة • شعر • كانبر بسعد ان سعدا كثيرة • و لا ترتج من سعد وفاء و لا نصرا • شعر • لا يدهمنك من دهمائهم عدد • فان جُلّهم بل كلّهم بقر • و قيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنُهوا عن الايقاع بهم و ان كانوا مشركين • الجملة الشرطية و المعطوفة عليها اعني قوله اِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَاِنْ تَسْـَٔلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْاٰنُ تُبْدَ لَكُمْ صفة لأشياء - و المعنى لا تكثروا مسئلة رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم حتى تسئلوه عن تكاليف شاقة عليكم ان اتاكم بها و كلفكم اياها تغمكم و تشق عليكم و تندموا على السوال عنها و ذلك نحو ما روي ان سُراقة بن مالك او عُكّاشة بن مِحْصن قال يا رسول الله الحجّ علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم حتى اعاد مسئلته ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم ويحك و ما يؤمنك ان اقول نعم و الله لو قلتُ نعم لوجبتْ و لو وجبتْ ما استطعتم و لو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك مَنْ كان قبلكم بكثرة سوالهم و اختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم و اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه - [وَاِنْ تَسْـَٔلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْاٰنُ] و ان تسئلوا

سورة المائدة ٥ قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كٰفِرِينَ ◎ مَا جَعَلَ اللّٰهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَّلَا سَآئِبَةٍ وَّلَا وَصِيلَةٍ وَّلَا حَامٍ وَّلٰكِنَّ الَّذِينَ
الجزء ٧ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ ط وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ◎ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلٰى مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ وَإِلَى الرَّسُولِ
ع ٣ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَا ط أَوَلَوْ كَانَ آبَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَّلَا يَهْتَدُونَ ◎ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ
أَنْفُسَكُمْ ج لَا يَضُرُّكُمْ مَّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ط إِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ◎ يٰٓأَيُّهَا

عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي و هو ما دام الرسول بين ظهركم يوحى اليه [تُبْدَ لَكُمْ] تلك التكاليف التي تسوءكم و تومروا بتحمّلها فتعرّضون انفسكم بغضب الله بالتفريط فيها [عَفَا اللّٰهُ عَنْهَا] عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها [وَاللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ] لا يعاجلكم بما يَفْرط منكم بعقوبة - فان قلت كيف قال لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ثم قال [قَدْ سَأَلَهَا] و لم يقل قد سال عنها - قلت الضمير في سَأَلَهَا ليس براجع الى أَشْيَاءَ حتى يجب تعديته بعَنْ و انما هو راجع الى المسئلة التي دلّ عليها لَا تَسْـَٔلُوا يعني قد سأل هذه المسئلةَ قومٌ من الاولين [ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا] اي بمرجوعها او بسببها [كٰفِرِينَ] و ذلك ان بني اسرائيل كان يستفتون انبياءهم عن أَشْيَاءَ فاذا أُمروا بها تركوها فهلكوا • كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكرٌ بحروا اُذنها اي شقّوها و حرّموا ركوبها و لا تطرد عن ماء و لا مرعىً و اذا لقيها المُعيي لم يركبها و اسمُها البحيرة - و كان يقول الرجل اذا قدمتُ من سفري او برئتُ من مرضي فناقتي سائبة و جعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها - و قيل كان الرجل اذا اعتق عبدًا قال هو سائبة فلا عقل بينهما و لا ميراث و اذا ولدت المرأة أُنثى فهي لهم و ان ولدت ذكرًا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا و انثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم و اذا نتجتْ من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهرَه فلا يُركب و لا يحمل عليه و لا يمنع من ماء و لا مرعىً - و معنى [مَا جَعَلَ اللّٰهُ] ما شرع ذلك و لا أمر بالتبحير و التسييب و غير ذلك و لكنهم بتحريمهم ما حرّموا [يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ] فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا و لكنهم يقلّدون في تحريمها كبارَهم • الواو في قوله [أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ] واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار و تقديره أَحَسْبهم ذلك و لو كان اباؤهم [لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَّلَا يَهْتَدُونَ] و المعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي و انما يعرف اهتداؤه بالحجّة • كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتوّ العناد من الكفرة يتمنّون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم و ما كُلّفتم من اصلاحها و المشي بها في طريق الهدى لَا يَضُرُّكُمُ الضُّلَّالُ عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عزّ و جلّ لنبيّه فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرٰتٍ و كذلك من تاسّف على ما فيه الفسّقة من الفجور و المعاصي و لا يزال يذكر مصائبهم و مناكيرهم فهو مخاطب به و ليس المراد ترك الامر بالمعروف و النهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد و انما هو بعض الضُّلّال الذين فَصّلت الآية بينهم و بينه - و عن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم

الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي

مقبولة و لكن يُوشك ان ياتي زمان تامرون فلا يُقبل منكم حينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسليةٌ لمن يامر و ينهى فلا يقبل منه و بسطٌ لعذره - و عنه ليس هذا زمان تاويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيفُ و السوطُ و السجنُ - و عن ابي ثعلبة الخُشَنيّ انه سُئل عن ذلك فقال للسائل سألتَ عنها خبيرًا سألتُ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عنها فقال ايتمروا بالمعروف و تناهَوْا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شُحًّا مطاعًا و هوىً متّبعا و دنيا مُؤثرةً و اعجابَ كل ذي راي برايه فعليك نفسك ودَعْ امرَ العوام و ان من وراءكم ايامًا الصبرُ فيهن كقبض على الجَمْر للعامل منهم مثل اَجْر خمسين رجلا يعملون مثل عمله - و قيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهتَ اباك و لاموه فنزلت [عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ] عَلَيْكُمْ من اسماء الفعل بمعنى اَلْزِموا اصلاحَ انفسكم و لذلك جُزم جوابه - و عن نافع عليكم أَنْفُسُكُمْ بالرفع - و قرئ لَا يَضُرُّكُمْ و فيه وجهان - ان يكون خبرًا مرفوعًا و تنصره قراءة ابي حَيْوة لَا يَضِيرُكُمْ - و ان يكون جوابا للامر مجزومًا و انما ضُمّت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة و الاصل لا يضررْكم - و يجوز ان يكون نهيًا و لَا يَضِرْكُمْ بكسر الضاد و ضمها من ضاره يضيره و يضوره * ارتفع [اثْنَانِ] على انه خبر للمبتدأ الذي هو شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ على تقدير شهادةُ بينكم شهادةُ اثنين - او على انه فاعل شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان - و قرأ الشعبي شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ بالتنوين - و قرأ الحسن شَهَادَةً بالنصب و التنوين على لِيُقم شهادةَ اثنان وَإِذَا حَضَرَ ظرف للشهادة - [وَحِينَ الْوَصِيَّةِ] بدل منه و في ابداله منه دليل على وجوب الوصية و انها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم و يذهل عنها - و حضورُ الموت مشارفته و ظهور اَمارات بلوغ الاجل [مِنْكُمْ] من اقاربكم [مِنْ غَيْرِكُمْ] من الاجانب [إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ] يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم من احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجُعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميّت و بما هو اصلح و هم له انصح - و قيل مِنْكُمْ من المسلمين و مِنْ غَيْرِكُمْ من اهل الذمّة - و قيل هو منسوخ لا يجوز شهادة الذمّي على المسلم و انما جازت في اول الاسلام لقلّة المسلمين و تعذّر وجودهم في حال السفر - و عن مكحول نسخها قولُه وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ - و روي انه خرج بُدَيل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص و كان من المهاجرين مع عديّ بن يزيد و تميم بن أوس و كانا نصرانيين تجّارًا الى الشام فمرض بُدَيل وكتب كتابًا فيه ما معه و طرحه في متاعه و لم يُخبر به صاحبيه و مرضا ان يدفع متاعَه الى اهله و مات فنشرا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيّباه واصاب هلُ بُدَيل الصحيفةَ وطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله فنزلت [تَحْبِسُونَهُمَا] تقفونهما و تصبرونهما للحلف [مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ] من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس - و عن الحسن بعد العصر او الظهر

سورة المائدة ٥ الجزء ٧ ع ٣

به ثَمَنًا وَّلَوْ كَانَ ذَا قُرْبٰى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّٰهِ اِنَّآ اِذًا لَّمِنَ الْاٰثِمِيْنَ ۝ فَاِنْ عُثِرَ عَلٰٓى اَنَّهُمَا اسْتَحَقَّآ اِثْمًا فَاٰخَرٰنِ يَقُوْمٰنِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِيْنَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْاَوْلَيٰنِ فَيُقْسِمٰنِ بِاللّٰهِ لَشَهَادَتُنَآ اَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا

ان اهل الحجاز كانوا يقعدون للمحكومة بعدهما وفي حديث بُدَيل انها لما نزلت صلى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم صلوةَ العصر ودعا بعديّ وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وُجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعديّ - وقيل هي صلوة اهل الذمة وهم يعظّمون صلوة العصر [اِنِ ارْتَبْتُمْ] اعتراض بين القَسَم والمُقْسَم عليه - والمعنى وان ارتبتم في شانهما واتّهمتموهما فحلّفوهما - وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيّان فليس بمنسوخ تحليفهما - وعن عليّ رضي الله عنه انه كان يحلّف الشاهدَ والراوي اذا اتّهمهما - والضمير في بِهٖ للقسم وفي كَانَ للمقسم له - يعني لا نستبدلُ بصحة القسم بالله عرضًا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نُقسم له قريبًا منّا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدًا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كُوْنُوْا قَوّٰمِيْنَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلٰٓى اَنْفُسِكُمْ اَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْاَقْرَبِيْنَ [شَهَادَةَ اللّٰهِ] اي الشهادةَ التي امر الله بحفظها وتعظيمها - وعن الشعبي انه وقف على شَهَادَة ثم ابتدأ اَللّٰهِ بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه - وروي عنه بغير مدّ على ما ذكره سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يُعوّض منه همزة الاستفهام فيقول اَللّٰهِ لقد كان كذا - وقرئ لَمِلْأَثِمِيْنَ بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون مِنْ فيها كقوله عَادًا الْاُوْلٰى - فان قلت ما موقع تَحْبِسُوْنَهُمَا قلت هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما - فان قلت كيف فُسّرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة - قلت امّا كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلتَ في بعض ائمة الفقه اذا صلّى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر - ويجوز ان يكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان تكون الصلوة لطفًا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور اِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ [فَاِنْ عُثِرَ] فان اطّلع [عَلٰٓى اَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا اِثْمًا] اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما من الآثمين [فَاٰخَرٰنِ] فشاهدان آخران [يَقُوْمٰنِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِيْنَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ] اي من الذين استحق عليهم الاثم - ومعناه من الذين جُني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته - وفي قصة بُدَيل انه اما ظهرتْ خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احقّ من شهادتهما و [الْاَوْلَيٰنِ] الاحقّان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما - وارتفاعهما على هما الْاَوْلَيَانِ كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان - وقيل هما بدل من الضمير في يَقُوْمٰنِ او من آخَرٰنِ - ويجوز ان يرتفعا باسْتَحَقَّ اي من الذين استحق عليهم انتداب الْاَوْلَيين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال - وقرئ الْاَوَّلِيْنَ على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدّم على الاجانب في الشهادة لكونهم احقّ بها - وقرئ الْاَوَّلِيْنِ على

وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّٰلِمِينَ ۝ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ۝ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ۝ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ

التثنية وانتصابه على المدح - وقرأ الحسن الْأَوْلَيْنِ ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي - وابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشرى فيما كتما فانكر لورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشرى - فان قلت فما وجه قراءة من قرأ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيٰنِ على البناء للفاعل و هو علي و ابي و ابن عباس - قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردهما للقيام بالشهادة و يظهروا بهما كذب الكاذبين [ذٰلِكَ] الذي تقدم من بيان الحكم - [أَدْنَىٰ] ان ياتي الشهداء على نحو تلك الحادثة [بِالشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌ] ان تكر ايمان شهود اخرين [بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ] فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بُدَيْل - [وَاسْمَعُوا] سمع اجابة و قبول * [يَوْمَ يَجْمَعُ] بدل من المنصوب في قوله وَاتَّقُوا اللَّهَ وهو من بدل الاشتمال كانه قيل و اتقوا الله يوم جمعه - او ظرف لقوله لَا يَهْدِي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم - او ينصب باضمار اُذْكر او يوم يجمع الله الرسلَ كان كيتَ و كيتَ و [مَاذَا] منتصب بِأُجِبْتُمْ انتصابَ مصدره على معنى اي اجابة اُجبتم ولو اريدَ الجوابُ لقيل بماذا اُجبتم - فان قلت ما معنى سوالهم - قلت توبيخ قومهم كما كان سوال الموؤدة توبيخا للوائد - فان قلت فكيف يقولون [لَا عِلْمَ لَنَا] و قد علموا ثم اُجيبوا - قلت يعلمون ان الغرض بالسوال توبيخ اعدائهم فيكلون الامرَ الى علمه و احاطته بما منُوا به منهم و كابدوا من سوء اجابتهم اظهاراً للتشكي و اللجاء الى ربهم في الانتقام منهم و ذلك اعظم على الكفرة و انت في اعضادهم و اجلب لحسرتهم و سقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله و تشكي انبيائه عليهم - و مثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصةً من خواصه ذنبةً قد عرفها السلطان و اطلع على كنهها و عزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما و يقول له ما فعل بك هذا الخارجيّ و هو عالم بما فعل به يريد توبيخه و تبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضاً للامر الى علم سلطانه و اتكالاً عليه و اظهاراً لسكانه و تعظيماً لما حلّ به منه - و قيل من هول ذلك اليوم يعزعون و يذهلون عن الجواب ثم يُجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولُهم بالشهادة على اُمَمهم - و قيل معناه عِلْمُنا ساقط مع علمك و مغمور به لانك علّام الغيوب و مَن علم الخفيّات لم يخفَ عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم لدا الى جنب علمك - و قيل لَا عِلْمَ لَنَا بما كان منهم بعدنا و انما الحكم للخاتمة و كيف يخفى عليهم امرهم و قد رأوهم سُوْد الوجوه زُرق العيون موبَّخين - و قرئ عَلَّامَ الْغُيُوبِ بالنصب على ان الكلام قد تمّ بقوله أَنتَ اي انك الموصوف بايصافك المعروفة من العلم و غيره ثم نصب علّام الغيوب

سورة المائدة ٥ الجزء ٧ ع ٤

وَالِدَتِكَ ۘ اِذْ اَيَّدْتُّكَ بِرُوْحِ الْقُدُسِ ۖ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۚ وَاِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِيْلَ ۚ وَاِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِاِذْنِىْ فَتَنْفُخُ فِيْهَا فَتَكُوْنُ طَيْرًا بِاِذْنِىْ وَتُبْرِئُ
الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ بِاِذْنِىْ ۚ وَاِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتٰى بِاِذْنِىْ ۚ وَاِذْ كَفَفْتُ بَنِىْٓ اِسْرَآءِيْلَ عَنْكَ اِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ
فَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ اِنْ هٰذَآ اِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ۝ وَاِذْ اَوْحَيْتُ اِلَى الْحَوَارِيّٖنَ اَنْ اٰمِنُوْا بِىْ وَبِرَسُوْلِىْ ۚ
قَالُوْٓا اٰمَنَّا وَاشْهَدْ بِاَنَّنَا مُسْلِمُوْنَ ۝ اِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ يٰعِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيْعُ رَبُّكَ اَنْ يُّنَزِّلَ

على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم انّ - [اِذْ قَالَ اللّٰهُ] بدل من يَوْمَ يَجْمَعُ والمعنى انه يوبّخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسول عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الايات العظام فكذّبوهم وسمّوهم سَحَرة - او جاوزوا حدّ التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى من البينات والمعجزات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامّه الهين - [اَيَّدْتُّكَ] قوّيتك - وقرئ اَيَّدْتُّكَ على اَفعلتك [بِرُوْحِ الْقُدُسِ] بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القُدُس لانه سبب الطهر من اوصار الآثام والدليل عليه قوله تُكَلِّمُ النَّاسَ - وفي الْمَهْدِ في موضع الحال لان المعنى تُكلّمهم طفلا وكهلا الآن في الْمَهْدِ فيه دليل على حدّ من الطفولة - وقيل روح القدس جبرئيل صلوات الله عليه اُيّد به لتثبيت الحجّة - فان قلت ما معنى قوله [فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا] - قلت معناه تكلّمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاَشُدّ والحدّ الذي يستنبأ فيه الانبياء [وَالتَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِيْلَ] خصّا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة - وقيل الكتابُ الخط والحِكْمَةُ الكلام المحكم الصواب [كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ] هيئةً مثل هيئة الطير [بِاِذْنِىْ] بتسهيلي [فَتَنْفُخُ فِيْهَا] الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فَتَكُوْنُ - [تُخْرِجُ الْمَوْتٰى] تخرجهم من القبور وتبعثهم - قيل اخرج سامَ بن نوح ورجلين وامرأة وجارية - [وَاِذْ كَفَفْتُ بَنِىْٓ اِسْرَآءِيْلَ عَنْكَ] يعني اليهود حين هموا بقتله - وقيل لمّا قال الله لعيسى اُذْكُرْ نِعْمَتِىْ عَلَيْكَ كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدّخر شيئاً لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت ايذانا امسى بات - [اَوْحَيْتُ اِلَى الْحَوَارِيّٖنَ] امرتهم على اَلْسنة الرسل [مُسْلِمُوْنَ] مخلصون من اسلم وجهه لله [عِيْسَى] في محل النصب على اتّباع حركة الابن كقولك يا زيدَ بنَ عمرٍو وهي اللغة الفاشية - ويجوز ان يكون مضمومًا كقولك يا زيدُ بنَ عمرٍو والدليل عليه قوله « ع » احارِ بنَ عمرٍو كانّي خمر « لان الترخيم لا يكون الّا في المضموم - فان قلت كيف قالوا [هَلْ يَسْتَطِيْعُ رَبُّكَ] بَعْد ايمانهم واخلاصهم - قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادّعاءهم ليما ثم اتبعه قوله اِذْ قَالُوا فَاَنَّ ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هَلْ يَسْتَطِيْعُ رَبُّكَ كلام لا يردّ مثله عن مؤمنين معظّمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكّوا في اقتداره

سورة المائدة ٥ الجزء ٧ ع ٥ الربع

عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ
قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ
فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ

واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الايات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] ان كانت دعواكم الايمان صحيحة - و قرئ هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ اي هل تستطيع سوال ربك - و المعنى هل تسئله ذلك من غير صارف يصرفك عن سوالة - و [المائدة] الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من مَادَه اذا اعطاه و رفده كانها تميد مَن تُقدَّم اليه [وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ] نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل - او نَكُونَ من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوّة عاكفين عليها على ان عَلَيْهَا في موضع الحال و كانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان و الاخلاص و انما سأل عيسى و اجيب ليُلزموا الحجة بكمالها و يُرسَل عليهم العذاب اذا خالفوا - و قرئ وَ يُعْلَمَ بالياء على البناء للمفعول - و تَعْلَمَ - و تَكُونَ بالتاء و الضميرُ للقلوب - [اللَّهُمَّ] اصله يا اللهُ فحذف حرف النداء و عُوِّضت منه الميم و [رَبَّنَا] نداء ثان [تَكُونُ لَنَا عِيدًا] اي يكون يوم نزولها عيدًا - قيل هو يوم الاحد و من ثمه اتخذه النصارى عيدًا - و قيل العيد السرور العائد و لذلك يقال يوم عيد و كان معناه تكون لنا سرورًا و فرحًا - و قرأ عبد الله تَكُنْ على جواب الامر نظيرهما يَرِثُنِي وَيَرِثُ [لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا] بدل من لَنَا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا - و قيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل اوّلهم - و يجوز المقدّمين منا و الاتباع - و في قراءة زيد لِأُوَّلِنَا وَأُخْرَانَا و التانيث بمعنى الأُمّة و الجماعة - [عَذَابًا] بمعنى تعذيبا و الضمير في [لَا أُعَذِّبُهُ] للمصدر و لو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بدّ من الباء - روي ان عيسى لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سُفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها و اخرى تحتها و هم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى و قال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مُثلة و عُقوبة و قال ليقم احسنكم عملًا يكشف عنها و يذكر اسمَ الله عليها و يأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضّا و صلّى و بكى ثم كشف المنديل و قال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشويّة بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما و عند راسها ملح و عند ذَنبها خَلّ و حولها من ألوان البقول ماخلا الكُرّاث و اذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون و على الثاني عسل و على الثالث سمن و على الرابع جبن و على الخامس فديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعَهُ الله بالقدرة العالية كلوا ماسألتم و اشكروا يُمْددكم الله و يزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية أية اخرى

لِيْ ۗ بِحَقٍّ ؕ اِنْ كُنْتُ قُلْتُهٗ فَقَدْ عَلِمْتَهٗ ؕ تَعْلَمُ مَا فِيْ نَفْسِيْ وَلَآ اَعْلَمُ مَا فِيْ نَفْسِكَ ؕ اِنَّكَ اَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوْبِ ۝
مَا قُلْتُ لَهُمْ اِلَّا مَآ اَمَرْتَنِيْ بِهٖٓ اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا مَّا دُمْتُ فِيْهِمْ ۚ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِيْ
كُنْتَ اَنْتَ الرَّقِيْبَ عَلَيْهِمْ ؕ وَاَنْتَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ ۝ اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۚ وَاِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ
اَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ۝ قَالَ اللّٰهُ هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰدِقِيْنَ صِدْقُهُمْ ؕ لَهُمْ جَنّٰتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ

فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مسوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير - وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فَمَنْ يَّكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَاِنِّيْٓ اُعَذِّبُهٗ قالوا لا نريد فلم تنزل - وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيداً الى يوم القيمة لقوله وَاٰخِرِنَا والصحيح انها نزلت - [سُبْحٰنَكَ] من ان يكون لك شريك [مَا يَكُوْنُ لِيْ] ما ينبغي لي [اَنْ اَقُوْلَ] قولاً لا يحق لي ان اقوله - [فِيْ نَفْسِيْ] في قلبي - والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبيّنه فقيل فِيْ نَفْسِكَ لقوله فِيْ نَفْسِيْ [اِنَّكَ اَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوْبِ] تقرير للجملتين معاً لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد - اَنْ في قوله [اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ] اِنْ جعلتها مفسرة لم يكن لها بدّ من مفسر والمفسر امّا فعل القول وامّا فعل الامر وكلاهما لا وجه له - امّا فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يوسّط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلتُ لهم الّا ان اعبدوا الله ولكن ما قلتُ لهم الّا اعبدوا الله - وامّا فعل الامر فمسند الى ضمير الله عزّ وجلّ فلو فسّرته باعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخلُ من ان تكون بدلاً من مَآ اَمَرْتَنِيْ بِهٖ او من الهاء في بِهٖ وكلاهما غير مستقيم - لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلتُ لهم الّا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلتُ لهم الّا عبادته لان العبادة لا تقال - وكذلك اذا جعلته بدلاً من الهاء لانك لو اقمتَ اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مقام الهاء فقلتَ الّا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصحّ لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلة - فان قلت فكيف يصنع - قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى مَا قُلْتُ لَهُمْ اِلَّا مَآ اَمَرْتَنِيْ بِهٖ ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بِاَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ - ويجوز ان تكون اَنْ موصولة عطف بيان للهاء لا بدلاً [وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا] رقيباً كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتديّنوا به ۝ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِيْ كُنْتَ اَنْتَ الرَّقِيْبَ عَلَيْهِمْ] تمنعهم من القول به بما نصبتَ لهم من الادلّة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل و [اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبَادُكَ] الذين عرفتهم عاصين جاحدين لاياتك مكذبين لانبيائك [وَاِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ] القويّ القادر على الثواب والعقاب [الْحَكِيْمُ] الذي لا يثيب ولا يعاقب الّا عن حكمة وصواب - فان قلت المغفرة لا تكون للكفّار فكيف قال وَاِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ - قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على اِنْ فقال ان عذّبتهم عدلتَ لانهم احقّاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجهَ حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظمَ جرماً كان العفو عنه احسنَ

فِيهَا أَبَدًا ط رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ط ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ط وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ع

سورة الانعام ٦
الجزء ٧
ع ٦

كلماتها ٣١٠٠ سورة الانعام مكية وهي مائة و خمس او ستّ و ستون اٰية و عشرون ركوعا حروفها ١٢٩٣٥

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۝

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمٰتِ وَالنُّورَ ط ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝

-قرئ هذا يَوْمُ يَنْفَعُ بالرفع والاضافة - و بالنصب إمّا على انه ظرف لقَالَ و إمّا على ان هٰذَا مبتدأ و الظرف خبرٌ و معناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يومَ ينفع - ولا يجوز ان يكون فتحًا كقوله يَوْمَ لَا تَمْلِكُ لانه مضاف الى متمكّن - و قرأ الاعمش يَوْمٌ يَنْفَعُ بالتنوين كقوله وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي - فان قلت ما معنى قوله [يَنْفَعُ الصّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ] ان اريد صِدْقهم فى الاٰخرة فليست الاٰخرة بدار عمل - و ان اريد صدقهم فى الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه الانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيٰمة - قلت معناه الصدق المستمرّ بالصادقين في دنياهم و اٰخرتهم - وعن قتادة متكلّمان تكلّما يوم القيٰمة اَمّا ابليس فقال ان الله وعدكم وعدَ الحقّ فصدق يومئذٍ وكان قبل ذلك كاذبًا فلم ينفعه صدقه و اَمّا عيسى عليه السلام فكان صادقًا فى الحيٰوة و بعد الممات فنفعه صدقه - فان قلت فى السموات والارض العقلاءُ وغيرهم فلِمَ غلّب العقلاء وقيل وَمَنْ فيهن - قلت مَا يتناول الاجناسَ كلّها تناولًا عامًّا الا تراك تقول اذا رأيتَ شبحًا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم - عن رسول الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم من قرأ سورة المائدة أُعطي من الاجر عشرُ حسنات و مُحي عنه عشر سيّئات و رُفع له عشر درجات بعدد كل يهودي و نصراني يتنفّس فى الدنيا

سورة الانعام

[جَعَلَ] يتعدّى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى اَحْدث و انشا كقوله تعالى وَجَعَلَ الظُّلُمٰتِ وَالنُّورَ - و الى مفعولين اذا كان بمعنى صَيّر كقوله تعالى وَجَعَلُوا الْمَلٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبٰدُ الرَّحْمٰنِ اِنٰثًا - و الفرق بين الخلق و الجعل ان الخلق فيه معنى التقدير و فى الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئًا او نقله من مكان الى مكان و من ذلك وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا - وَجَعَلَ الظُّلُمٰتِ وَالنُّورَ ان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وَجَعَلْنٰكُمْ أَزْوَاجًا - اَجَعَلَ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَاحِدًا - فان قلت لم افرد النور - قلت للقصد الى الجنس كقوله تعالى وَالْمَلَكُ عَلٰى أَرْجَائِهَا اولان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظلّ و ظلّه هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس و احد و هو النار - فان قلت علام عطف قوله [ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ] - قلت اَمّا على قوله اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلق

سورة الانعام ٦ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ۝ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمٰوٰتِ
الجزء ٧ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝
ع ٦ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبٰؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ

الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته - و امّا على قوله خَلَقَ السَّمٰوٰتِ على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احدٌ سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه - فان قلت فما معنى ثُمَّ - قلت استبعادُ ان يعدلوا به بعد وضوح ايات قدرته وكذلك ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ استبعادٌ لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه مُحْييهم ومُميتهم و باعثهم [ثُمَّ قَضٰى أَجَلًا] اجلَ الموت [وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ] اجل القيٰمة - و قيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت - و الثاني ما بين الموت و البعث و هو البرزخ - و قيل الاول النومُ - و الثاني الموتُ - فان قلت المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تاخيره فلِمَ جاز تقديمه في قوله وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ - قلت لانه تَخَصَّص بالصفة فقارب المعرفة كقوله وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ - فان قلت الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيّد و لي عبد كَيِّس و ما اشبه ذلك فما اوجب التقديمَ - قلت اوجبه ان المعنى و لي اجل مسمًّى عنده تعظيمًا لشان الساعة ولمّا جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم - [فِي السَّمٰوٰتِ] متعلق بمعنى اسم الله تعالى كانه قيل - وهو المعبود فيها و منه قوله وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلٰهٌ - او وهو المعروف بالالٰهية فيها - او المُتوحَّد بالالٰهيّة فيها - او هو الذي يقال له الله فيها لا يُشْرَك به في هذا الاسم - ويجوز ان يكون اللّٰهُ فِي السَّمٰوٰتِ خبرًا بعد خبر على معنى انه الله و انه في السمٰوٰت و الارض بمعنى انه عالم بما فيها لا يخفى عليه منه شيء كائنًا ذا تة فيها - فان قلت كيف موقع قوله [يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ] - قلت ان اردت المتوحّدَ بالالٰهيّة كان تقريرًا له لان الذي استوى في علمه السرّ و العلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلتَ فِي السَّمٰوٰتِ خبرا بعد خبر و ان جعلته كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم و جهركم - او خبر ثالث - [وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ] من الخير و الشرّ و يُثيب عليه و يُعاقب - مِنْ في [مِنْ آيَةٍ] للاستغراق و في [مِنْ آيٰتِ رَبِّهِمْ] للتبعيض يعني و ما يظهر لهم دليل قطّ من الادلّة التي يجب فيها النظر و الاستدلال و الاعتبار [إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ] تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلّة خوفهم وتدبّرهم للعواقب [فَقَدْ كَذَّبُوا] مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الايات فَقَدْ كَذَّبُوا بما هو اعظم آية و اكبرها و هو الحقّ [لَمَّا جَاءَهُمْ] يعني القرآن الذي تحدّوا به على تبالُغهم في الفصاحة فعجزوا عنه [فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبٰؤُا] الشيء الذي [كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] و هو القرآن اي اخباره و احواله بمعنى سيعلمون باي شيء استهزأوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء و ذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيٰمة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته * مَكَّنَّاهُ في الارض جعل له مكانا و نحوه أَرَّضَ له و منه قوله إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ - أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ و امّا مكّنه في الارض فاثبته فيها و منه قوله وَلَقَدْ مَكَّنّٰهُمْ

سورة الانعام ٦ الجزء ٧ ع ٦

قَرْنٍ مَّكَّنّٰهُمْ فِي الْاَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَّكُمْ وَاَرْسَلْنَا السَّمَآءَ عَلَيْهِمْ مِّدْرَارًا ۖ وَّجَعَلْنَا الْاَنْهٰرَ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمْ فَاَهْلَكْنٰهُمْ
بِذُنُوْبِهِمْ وَاَنْشَاْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا اٰخَرِيْنَ ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتٰبًا فِيْ قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوْهُ بِاَيْدِيْهِمْ لَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا
اِنْ هٰذَآ اِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ۝ وَقَالُوْا لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۭ وَلَوْ اَنْزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْاَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُوْنَ ۝ وَلَوْ جَعَلْنٰهُ
مَلَكًا لَّجَعَلْنٰهُ رَجُلًا وَّلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبِسُوْنَ ۝ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِيْنَ سَخِرُوْا مِنْهُمْ مَّا

فِيْ مَا اِنْ مَّكَّنّٰكُمْ فِيْهِ والتقارب المعنيين جمعَ بينهما في قوله [مَكَّنّٰهُمْ فِي الْاَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَّكُمْ] و المعنى لم نُعط اهلَ مكة نحوَ ما اعطينا عاداً و ثمودَ و غيرهم من البسطة في الاجسام و السعةِ في الاموال و الاستظهارِ باسباب الدنيا [وَالسَّمَآءَ] المُظلّة لان الماء ينزل منها الى السحاب والسحابُ والمطرُ و [مِّدْرَارًا] المغزار فان قلت اي فائدة في ذكر انشاء قرنٍ آخرين بعدهم - قلت الدلالة على انه لايتعاظمه ان يُهلك قرناً و يخرّب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشيء مكانهم آخرين يعمّر بهم بلاده كقوله وَلَا يَخَافُ عُقْبٰهَا [كِتٰبًا] مكتوبا [فِيْ قِرْطَاسٍ] في ورق [فَلَمَسُوْهُ بِاَيْدِيْهِمْ] ولم يقتصروهم على الرؤية لئلا يقولوا انما سُكّرت ابصارنا ولاتبقى لهم علة لقالوا [اِنْ هٰذَآ اِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ] تمنّتْ و عنادُ اللحق بعد ظهوره [لَقُضِيَ الْاَمْرُ] لقضي امر هلاكهم [ثُمَّ لَا يُنْظَرُوْنَ] بعد نزوله طَرفة عين - امّا انهم اذا عاينوا المَلَك فدنزل على رسول الله في صورته وهي أية لا شيءَ ابينُ منها وايقنُ ثم لا يؤمنون كما قال وَلَوْ اَنَّنَا نَزَّلْنَآ اِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ لم يكن بدّ من اهلاكهم كما أُهلك اصحاب المائدة - واما لانه بزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم - و امّا لانهم اذا شاهدوا ملكاً في صورته رهقتْ ارواحهم من هول ما يُشاهدون - و معنى ثُمَّ بُعْدُ ما بين الامرين قضاء الامر و عدم الانظار جُعل عدمُ الانظار اشدّ من قضاء الامر لان مفاجاة الشدّة اشدّ من نفس الشدّة - [وَلَوْ جَعَلْنٰهُ مَلَكًا] و لو جعلنا الرسولَ ملكاً كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على مُحَمّد ملك و تارة يقولون مَا هٰذَآ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَاَنْزَلَ مَلٰٓئِكَةً [لَّجَعَلْنٰهُ رَجُلًا] لَاَرْسَلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في اعم الاحوال في صورة دِحْيَةَ لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صُوَرهم [وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ] و لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا رأوا المَلَك في صورة الانسان هذا انسان وليس بمَلَك فان قال لهم الدليلُ على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز و هو ناطق بأني مَلَكٌ لا بشرٌ كذّبوه كما كذّبوا مُحَمّداً صلى الله عليه و آله وسلم و ما فعلوا ذلك خُذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لُبْس الله عليهم - و يجوز ان يراد وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ حينئذ مثل [مَّا يَلْبِسُوْنَ] على انفسهم الساعة في كفرهم بايات الله البيّنة - و قرأ ابن مُحَيْصن وَلَبَسْنَا بلام واحدة - و عن الزهري وَلَلَبَّسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يُلَبِّسُوْنَ بالتشديد [وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ] تسلية لرسول الله صلى الله عليه و سلم عمّا كان يلقى من قومه [فَحَاقَ] بهم فلحاظ بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به و هو الحق حيث أُهلكوا من اجل الاستهزاء به - فان قلت اي فرق بين قوله فَانْظُرُوْا وبين قوله ثُمَّ انْظُرُوْا - قلت جعل الخطر مسبّبا عن السير في قوله فَانْظُرُوْا فكانه قيل سيروا لاجل النظر و لا تسيروا سيرَ الغافلين - و امّا قوله [قُلْ سِيْرُوْا فِي الْاَرْضِ

سورة الانعام ٦ الجزء ٧ ع ٧

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ ط قُلْ لِلّٰهِ ط كَتَبَ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ط لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ط الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الَّيْلِ وَالنَّهَارِ ط وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ قُلْ أَغَيْرَ اللّٰهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ط قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُلْ إِنِّي

ثُمَّ انْظُرُوا] فمعناه اباحةُ السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع و ايجاب النظر في آثار الهالكين و نُبِّه على ذلك بثُمَّ لتباعد ما بين الواجب و المباح [لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ] سوال تبكيت و [قُلْ لِلّٰهِ] تقرير لهم اي هو لله لاخلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تُضيفوا شيأ منه الى غيره [كَتَبَ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ] اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مُقرّون به من خلق السموات و الارض ثم اوعدهم على انتفائهم النظرَ و اشراكهم به مَنْ لا يقدر على خلق شيء بقوله [لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ] فيُجازيكم على شرككم و قوله [الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ] نصب على الذمّ او رفع اي اريد الذين خسروا - او انتم الذين خسروا - فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسبّبا عن خسرانهم والامرُ على العكس - قلت معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر [فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] - و [لَهُ] عطف على لِلّٰهِ - [مَا سَكَنَ فِي الَّيْلِ وَالنَّهَارِ] من السكنى و تعديه بفي كما في قوله وَسَكَنْتُمْ فِي مَسٰكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ [وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] يسمع كلَّ مسموع ويعلم كلَّ معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان - أَوَلِيَ [غَيْرَ اللّٰهِ] همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو أَتَّخِذُ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الوليّ فكان اولى بالتقديم ونحوه فَغَيْرَ اللّٰهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ - اللّٰهُ أَذِنَ لَكُمْ - وقرئ [فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ] بالجر صفةً لله - و بالرفع على المدح - وقرأ الزهري فَطَرَ - وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات و الارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها [وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ] و هو يَرزق و لا يُرْزق كقوله تعالى مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ - وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ - و المعنى ان المنافع كلها من عنده و لا يجوز عليه الانتفاع - و قرئ وَلَا يَطْعَمُ بفتح الياء - و روى ابن المامون عن يعقوب وَهُوَ يَطْعَمُ وَلَا يُطْعِمُ على بناء الاول للمفعول و الثاني للفاعل والضميرُ غَيْرَ لِلّٰهِ - وقرأ الاشهب وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعِمُ على بنائهما للفاعل وفسّر بان معناه وهو يُطعم ولا يَسْتطعم - وحكى الاهوري اطعمتُ بمعنى استطعمتُ ونحوه اودتُ - ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسَب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع و يبسط و يقدر ويُغني ويُفقر [أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ] لان النبيّ سابق امّته في الاسلام كقوله تعالى وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ وكقول موسى سُبْحٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ [وَلَا تَكُونَنَّ] وقيل لي لا تكونن [مِنَ الْمُشْرِكِينَ] ومعناه امرت بالاسلام ونُهيت عن الشرك [مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ] العذاب [يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ] اللّٰهُ الرحمةَ العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمتَ زيدا من جوعه فقد احسنتَ اليه تريد فقد اتممتَ الاحسانَ اليه - او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بدّ من الثواب * وقرئ مَنْ يُصْرَفْ

أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ۝
وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۚ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ
عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۚ قُلِ اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا
الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّٰهِ آلِهَةً أُخْرٰى ۚ قُلْ لَا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ
وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ۘ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظّٰلِمُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا

عَنْهُ على البناء للفاعل - والمعنى مَن يَصْرف اللّٰه عنه في ذلك اليوم فَقَدْ رَحِمَهُ بمعنى من يدفع له عنه ويحفظه وقد عُلم مَن المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوماً او مذكوراً قبله وهو العذاب - ويجوز ان ينتصب يَوْمَئِذٍ بيَصْرِفْ انتصابَ المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هَوْلَه فقد رحمه - وتنصر هذه القراءة قراءة ابيّ مَنْ يَصْرِفِ اللّٰهُ عَنْهُ -[وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ] من مرض او فقر او غير ذلك من البلاياء فلا قادر على كشفه الا هو [وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ] من غنىً او صحة [فَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فكان قادراً على ادامته وازالته [فَوْقَ عِبَادِهِ] تصوير للقهر والعلوّ بالغلبة والقدرة كقوله وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ [الشيء] اعم العامّ لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم وكذلك صحّ ان يقال في الله عزّ وجلّ شيء لا كالاشياء كذلك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولم يصحّ جسم لا كالاجسام واراد أيّ شهيد اكبر شَهَادَةً فوضع شَيْئاً مقام شهيد ليبالغ بالتعميم [قُلِ اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ] يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قُلِ اللّٰهُ بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ اي هو شهيد بيني وبينكم - وان يكون اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ هو الجواب لدلالته على ان اللّٰه عزّ وجلّ اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادةً شهيدٌ له [وَمَنْ بَلَغَ] عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اي لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وأُنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم - وقيل مَن بلغه الى يوم القيمة - وعن سعيد بن جُبَيْر من بلغه القرآن فكأنما رأى مُحَمَّداً صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم * [أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ] تقريرٌ لهم مع انكار واستبعاد [قُلْ لَا أَشْهَدُ] شهادتكم [الَّذِينَ آتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ] يعني اليهود والنصارى [يَعْرِفُونَهُ] يعرفون رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة [كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ] بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاَهْل مكّة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحّة نبوّته ثم قال [الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ] من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين [فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] به جمعوا بين امرين متناقضين تكذّبوا على الله ما لا حُجّة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجّة البيّنة والبرهان الصحيح حيث قالوا لَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وقالوا وَاللّٰهُ أَمَرَنَا بِهَا وقالوا الْمَلٰئِكَةُ بَنَاتُ اللّٰهِ وَهٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذّبوا القرآن والمعجزات وسمّوها سحراً ولم يؤمنوا

ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ

بالرسول [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ] ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف [أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ] اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله و قوله [الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] معناه ترعمونهم شركاء فحذف المفعولان - و قرئ نَحْشُرُهُمْ - ثُمَّ يُقَالُ بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ - ويجوز ان يشاهدوهم آلهة انهم حين لاينفعونهم ولايكون منهم ما رجَوْا من الشفاعة فكأنهم غَيَّبُ عنهم و ان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علَّقوا بهم الرجاء فيها فيرَوْا مكان خزيهم و حسرتهم - [فِتْنَتُهُمْ] كفرهم - و المعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارَهم و قاتلوا عليه و افتخروا به و قالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه و الحلف على الانتفاء من التديُّن به - و يجوز ان يراد ثُمَّ لَمْ يَكُنْ جوابهم إِلَّا أَنْ قَالُوا فسمّي فتنة لانه كذب - و قرئ تَكُنْ بالتاء - وفِتْنَتَهُمْ بالنصب و انما انّث [أَنْ قَالُوا] لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانتْ أُمُّك - و قرئ بالياء و نصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة • و قرئ رَبَّنَا بالنصب على النداء [وَضَلَّ عَنْهُمْ] وغاب عنهم [مَا كَانُوا يَفْتَرُونَهُ] اي يفترون إلهيّته و شفاعته - فان قلت كيف يصح ان يَكْذبوا حين يطّلعون على حقائق الامور و على ان الكذب و الجحود لا وجه لمنفعته - قلت المُمتحن ينطق بما ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة و دهشاً الا تراهم يقولون رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكّوا فيه وقالوا يا مالكُ ليقضِ علينا ربُّك وقد علموا انه لا يقضي عليهم - و امّا قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطأ في معتقدنا - وحملُ قوله انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بعني في الدنيا فتمحُّلٌ وتعسُّفٌ وتحريفٌ لافصح الكلام الى ماهو عيٌّ وافحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه و هو تاب عنه اشدَّ التبوّ وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيرُه بقوله يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ بعد قوله وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ مشبّه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا [وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ] حين تتلو القرآن - رُوي انه اجتمع ابو سفيان و الوليد و النضر وعُتبةُ وشيبةُ و ابو جهل و اضرابهم يستمعون تلاوةَ رسول الله فقالوا للنضر يا ابا قُتَيْلَةَ ما يقول مُحَمَّد فقال و الذي جعلها بيته يعني الكعبةَ ما ادري ما يقول الا انه يُحرّك لسانه و يقول اساطير الاولين مثل ما حدّثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لأراه حقًّا فقال ابوجهل كلا فنزلت - و الاكنّةُ على القلوب و الوقرُ في الآذان مثل في نَوْ قلوبهم و مَسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته - ووجهُ اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وَجَعَلْنَا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ - وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ - و قرأ طلحة وِقْرًا بكسر الواو

سورة الانعام ٦ الجزء ٧ ع ٨

وَجَعَلْنَا عَلٰى قُلُوْبِهِمْ اَكِنَّةً اَنْ يَّفْقَهُوْهُ وَفِيْٓ اٰذَانِهِمْ وَقْرًا ؕ وَاِنْ يَّرَوْا كُلَّ اٰيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوْا بِهَا ؕ حَتّٰٓى اِذَا جَآءُوْكَ
يُجَادِلُوْنَكَ يَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اِنْ هٰذَآ اِلَّآ اَسَاطِيْرُ الْاَوَّلِيْنَ ۝ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۚ وَاِنْ يُّهْلِكُوْنَ
اِلَّآ اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُوْنَ ۝ وَلَوْ تَرٰٓى اِذْ وُقِفُوْا عَلَى النَّارِ فَقَالُوْا يٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِاٰيٰتِ رَبِّنَا وَنَكُوْنَ
مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ۝ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَّا كَانُوْا يُخْفُوْنَ مِنْ قَبْلُ ؕ وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ وَاِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ ۝ وَقَالُوْٓا

[حَتّٰى اِذَا جَاءُوْكَ يُجَادِلُوْنَكَ] هي حتّى التي تقع بعدها الجُمَل والجملة قوله اِذَا جَاءُوْكَ يَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا. وَيُجَادِلُوْنَكَ في موضع الحال - ويجوز ان تكون الجارّة وتكون اِذَا جَاءُوْكَ في محل الجرّ بمعنى حتى وقت مجيئهم ويُجَادِلُوْنَكَ حال وقوله [يَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا] تفسير له - والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسّر مجادلتهم بانهم يقولون [اِنْ هٰذَا اِلَّآ اَسَاطِيْرُ الْاَوَّلِيْنَ] فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب [وَهُمْ يَنْهَوْنَ] الناسَ عن القرآن او عن الرسول واتّباعه ويثبّطونهم عن الايمان به [وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ] بانفسهم فيضلّون ويُضلّون [وَاِنْ يُّهْلِكُوْنَ] بذلك [اِلَّآ اَنْفُسَهُمْ] ولا يتعدّاهم الضررُ الى غيرهم وان كانوا يظنّون انهم يُضِرّون رسولَ الله - وقيل هو ابوطالب لانه كان ينهى قريشًا عن التعرّض لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به - وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله سوءًا فقال * شعر * والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اُوسَّد في التراب دفينا * فاصدَعْ بامرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقّر منه عيونا * ودعوتني وزعمتَ انك ناصح * ولقد صدقتَ وكنتَ ثم امينا * وعرضتَ دينًا لامحالة انه * من خير اديان البريّة دينا * لولا الملامة او حذاري سُبّة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا * فنزلت [وَلَوْ تَرٰى] جوابه محذوف تقديره وَلَوْ تَرٰى لرأيتَ امرا شنيعا [وُقِفُوْا عَلَى النَّارِ] اُرُوْها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او اُدخلوها فعُرّفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهّمته وعرّفته - وقرئ وَقَفُوْا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا [يٰلَيْتَنَا نُرَدُّ] ثمّ تمنّيهم ثم ابتدأوا [وَلَا نُكَذِّبَ بِاٰيٰتِ رَبِّنَا وَنَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ] واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبّهه سيبويه بقولهم دعني ولا عود بمعنى دَعْني وانا لا اعود تركتني اولم تتركني - ويجوز ان يكون معطوفا على نُرَدُّ - او حالا على معنى يا ليتنا نردّ غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمنّي فان قلت يدفع ذلك قوله [وَاِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ] لان التمني لا يكون كاذبا - قلت هذا تمنٍّ قد تضمّن معنى العِدَة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالاً فاُحسن اليك واُكافيك على صنيعك فهذا متمنٍّ في معنى الواعد فلو رُزق مالاً ولم يُحسن الى صاحبه ولم يكافئه كُذّب كانه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان - وقرئ وَلَا نُكَذِّبَ وَنَكُوْنَ بالنصب باضمار اَنْ على جواب التمنّي ومعناه ان رُددنا لم نكذّب ولكنْ من المؤمنين [بَلْ بَدَا لَهُمْ مَّا كَانُوْا يُخْفُوْنَ] من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صُحُفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنّوا ما تمنّوا ضجرًا لا انهم عازمون على انهم لو ردّوا لآمنوا - وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم

سورة الانعام ٦ الجزء ٧ ع ٨

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ ع قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ۝ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ

الذي كانوا يُسرّونه - وقيل هو في اهل الكتاب و انه يظهرلهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله [وَلَوْ رُدُّوا] الى الدنيا بعد وقوفهم على النار [لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ] من الكفر و المعاصي [وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ] فيما وعدوا من انفسهم لا يَفُون به -[وَقَالُوا] عطف على لَعَادُوا اي ولو رُدّوا لكفروا و لقالوا [إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا] كما كانوا يقولون قبل معاينة القيٰمة - ويجوز ان يعطف على قوله و إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ على معنى و انهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وكفى به دليلا على كذبهم [وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ] مجاز عن الحبس للتوبيخ و السوال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيّده ليعاتبه - وقيل وُقفوا على جزاء ربهم - وقيل عُرِّفوه حق التعريف - قَلَّ مردود على قول قائل قَلَّ ماذا قال لهم ربهم اذ وُقفوا عليه فقيل [قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ] وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث و الجزاء ما هو الحق وما هو الا باطل [بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ] بكفركم بلقاء الله ببلوغ الاخرة وما يتصل بها وقد حُقّق الكلام فيه في موضع اخر - وحَتَّىٰ غاية لَكَذَّبُوا لا لَخَسِرَ لان خسرانهم لا غاية له اي ما آل بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة - فان قلت اما يتحسّرون عند موتهم - قلت اما كان الموت وقوعا في احوال الاخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمّي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم من مات فقد قامت قيٰمته اوجعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة [بَغْتَةً] فجاة و انتصابها على الحال بمعنى باغتة - اوعلى المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة [فَرَّطْنَا فِيهَا] الضمير للحَيٰوة الدُّنْيَا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة - او للسّاعة على معنى قصّرنا في شانها و في الايمان بها كما تقول فرّطت في فلان و منه فرّطت في جنب الله [يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ] كقوله فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما أُلف الكسب باليدي [سَاءَ مَا يَزِرُونَ] بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ * جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا و اشتغالا بما لا يعني ولا يُعتد بمنفعة كما تُعتد اعمال الاخرة المنافع العظيمة و قوله [لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ] دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو - وقرأ ابن عباس وَلَدَارُ الْآخِرَةِ - وقرئ يَعْقِلُونَ بالتاء والياء قد في [قَدْ نَعْلَمُ] بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله * ع * ولكنه قد يُهلك المال نائله * والباء في إِنَّهُ ضمير الشان [لَيَحْزُنُكَ] قرئ بفتح الياء وضمها و [الَّذِي يَقُولُونَ] هو قولهم ساحر كذاب [لَا يُكَذِّبُونَكَ] قرئ بالتشديد والتخفيف من كذّبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا - والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدّق بالمعجزات فهم لا يكذّبونك في الحقيقة وانما يكذّبون الله

سورة الانعام ٦ الجزء ٧ ع ١٠ النصف

وَلٰكِنَّ الظّٰلِمِيْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ يَجْحَدُوْنَ ۝ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوْا عَلٰى مَا كُذِّبُوْا وَاُوْذُوْا حَتّٰٓى اَتٰىهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمٰتِ اللّٰهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِنْ نَّبَاِى الْمُرْسَلِيْنَ ۝ وَاِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ اِعْرَاضُهُمْ فَاِنِ اسْتَطَعْتَ اَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْاَرْضِ اَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَآءِ فَتَاْتِيَهُمْ بِاٰيَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدٰى فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ ۝ اِنَّمَا يَسْتَجِيْبُ الَّذِيْنَ يَسْمَعُوْنَ ۘ وَالْمَوْتٰى يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ ثُمَّ اِلَيْهِ يُرْجَعُوْنَ ۝ وَقَالُوْا

بجحود اياته نَاهَ عن حزنك لنفسك و انهم كذبوك و انت صادق و ليشغلك عن ذلك ما هو اهم و هو استعظامك لجحود ايات الله و الاستهانة بكتابه و نحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك و انما اهانوني و من هذه الطريقة قوله اِنَّ الَّذِيْنَ يُبَايِعُوْنَكَ اِنَّمَا يُبَايِعُوْنَ اللّٰهَ - و قيل انهم لا يكذبونك بقلوبهم و لكنهم يجحدون بألسنتهم - و قيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق و لكنهم يجحدون بايات الله - و عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء و لكنهم كانوا يجحدون - و كان ابو جهل يقول ما نكذبك و انك عندنا لمصدق و انما نكذب ما جئتنا به - و روي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن مُحَمَّد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له و الله ان مُحَمَّدًا لصادق و ما كذب قط و لكن اذا ذهب بنو قصي باللواء و السقاية و الحجابة و النبوة فما ذا يكون لسائر قريش فنزلت. و قوله [وَلٰكِنَّ الظّٰلِمِيْنَ] من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم [وَلَقَدْ كُذِّبَتْ] تسلية لرسول الله و هذا دليل على ان قوله فَاِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُوْنَكَ ليس بنفي لتكذيبه و انما هو من قولك لغلامك ما اهانوك و لكنهم اهانوني [عَلٰى مَا كُذِّبُوْا وَاُوْذُوْا] على تكذيبهم و ايذائهم [وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمٰتِ اللّٰهِ] لمواعيده من قوله تعالى وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِيْنَ اِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُوْرُوْنَ - [وَلَقَدْ جَآءَكَ مِنْ نَّبَاِى الْمُرْسَلِيْنَ] بعض انبائهم وقصصهم و ما كابدوا من مصابرة المشركين * كان يكبر على النبي صلى الله عليه و آله و سلم كفر قومه و اعراضهم عما جاء به فنزل لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ - اِنَّكَ لَا تَهْدِيْ مَنْ اَحْبَبْتَ [وَاِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ اِعْرَاضُهُمْ فَاِنِ اسْتَطَعْتَ اَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا] منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم اية يؤمنون بها [اَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَآءِ فَتَاْتِيَهُمْ] منها [بِاٰيَةٍ] فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك و المراد بيان حرصه على اسلام قومه و تهالكه عليه و انه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم - و قيل كانوا يقترحون الايات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون - و يجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو الاتيان بالآية كانه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها - و حذف جواب اِنْ كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزورة - [وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدٰى] بان يأتيهم بآية ملجئة و لكنه

سورة الانعام ٦ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ
الجزء ٧ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝
ع ١٠ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ۗ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ ۖ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ

لا يفعل لخروجه عن الحكمة [فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ] من الذين يجهلون ذلك و يرومون ما هو خلافه [إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ] يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون و انما يستجيب من يسمع كقوله إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ - [وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ] مثل لقدرته على إلجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة [ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ] للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالايمان و انت لا تقدر على ذلك - و قيل معناه و هؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون و انما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم - و قرئ يَرْجِعُونَ بفتح الياء [لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ] نُزِّلَ - بمعنى أُنْزِلَ - و قرئ أَنْ يُنَزِّلَ بالتشديد و التخفيف و ذكر الفعل و الفاعل مؤنث لان تانيث آية غير حقيقي و حسن للفصل و انما قالوا ذلك مع تكاثر ما أُنْزِل من الايات على رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم لتركهم الاعتداد بما أُنْزِل عليه كانه لم يُنْزِل عليه شيء من الايات عنادا منهم [قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً] تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل و نحوه - او آية ان جحدوها جاءهم العذاب [وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية و ان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها * [أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ] مكتوبة ارزاقها و آجالها و اعمالها كما كُتِبَتْ ارزاقكم و آجالكم و اعمالكم - [مَا فَرَّطْنَا] ما تركنا و ما اغفلنا [فِي الْكِتَابِ] في اللوح المحفوظ [مِنْ شَيْءٍ] من ذلك لم نكتبه و لم نثبت ما وجب ان يُثْبَت مما يختص به [ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ] يعني الامم كلها من الدواب و الطير فيعوضها و ينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجمّاء من القرناء - فان قلت كيف قيل إِلَّا أُمَمٌ مع افراد الدابة و الطائر - قلت لما كان قوله وَمَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَا طَائِرٍ دالا على معنى الاستغراق و مُغْنِيًا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله إِلَّا أُمَمٌ على المعنى - فان قلت هلا قيل و ما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم و ما معنى زيادة قوله فِي الْأَرْضِ - و يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ - قلت معنى ذلك زيادة التعميم و الاحاطة بكل كانه قيل و ما من دابة قط في جميع الارضين السبع و ما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها - فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك - قلت الدلالة على عظم قدرته و لطف علمه و سعة سلطانه و تدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف و هو حافظ لما لها و ما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شان و ان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان - و قرأ ابن ابي عبلة وَلَا طَائِرٌ بالرفع على المحل كانه قيل و ما دابة ولا طائر - و قرأ علقمة مَا

إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ
إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝ ع وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝
فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا
بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ

فَرَطْنَا بالتخفيف - فان قلت كيف اتبعه قوله [وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] - قلت لمَّا ذكر من خلائقه و آثار قدرته ما يشهد لربوبيته و ينادي على عظمته قال و المكذبون [صُمٌّ] لا يسمعون كلام المنبِّه [بُكْمٌ] لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامُّل ذلك و التفكُّر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع [مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ] اي يخذله و يُخلِّه و ضلالَه لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف [مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] اي يلطف به لان اللطف يُجدي عليه - أَرَأَيْتَكُمْ اخبروني و الضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شانه ولو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارايت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف من القول ومتعلقُ الاستخبار محذوف تقديره [أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ] مَن تدعون ثم بكّتهم بقوله [أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ] بمعنى اتخصّون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضرٌّ ام تدعون اللّٰه دونها [بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ] بل تخصّونه بالدعاء دون الآلهة [فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ] اي ما تدعونه الى كشفه [إِنْ شَاءَ] ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة [وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ] و تتركون آلهتكم ولا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربّكم وحده اذ هو القادر على كشف الضرّ دون غيره - ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ كانه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون ان اتتكم عذاب الله - فان قلت ان علّقتَ الاستخبارَ به فما تصنع بقوله فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ مع قوله أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين - قلت قد اشترط في الكشف المشيّة وهو قوله إِنْ شَاءَ ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الّا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجحَ منه [الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ] البؤس والضُّرّ - وقيل البأساء القحط والجوع والضَّرّاء المرض ونقصان الانفس والاموال - والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرُّسل فكذّبوهم فاخذناهم [لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ] يتذلّلون و يتخشّعون لربّهم ويتوبون عن ذنوبهم [فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا] معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلَوْلَا لتفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الّا عنادهم و قسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زيّنها الشيطان لهم [فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ] من البأساء و الضرّاء اي تركوا الاتّعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم [فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ] من الصحة و السعة و صنوف النعمة لنُرِيحَ عليهم بين نوبتَيِ الضرّاء و السرّاء كما يفعل الاب المشفق بولده يُخاشنه تارةً ويُلاطفه اخرى طلباً لصلاحه [حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا] من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصدٍّ لتوبة و اعتذار [أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ] و آجِمون متحسّرون

سورة الانعام ٦ الجزء ٧ ع ١٢

الَّذِينَ ظَلَمُوا ط وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّٰهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلٰى قُلُوبِكُمْ مَنْ
إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ط انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأٰيٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتٰىكُمْ عَذَابُ اللّٰهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً
هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظّٰلِمُونَ ۝ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ج فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايٰتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ قُلْ لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ
اللّٰهِ وَلَآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ج إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحٰى إِلَيَّ ط قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمٰى وَالْبَصِيرُ ط
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلٰى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝

انسون [فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ] اخرهم لم يترك منهم احد قد استوصلت شافتهم [وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ] ايذانٌ بوجوب الحمد لله عند هلاك الظَّلَمَة و انه من اجلّ النعم و اجزل القسم - وقرئ فَقُطِّعَ بالتشديد - [إِنْ أَخَذَ اللّٰهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ] بان يُصِمَّكم و يُعْمِيكم [وَخَتَمَ عَلٰى قُلُوبِكُمْ] بان يُغطي عليها ما يذهب عنده فَهمكم و عقلكم [يَأْتِيكُمْ بِهِ] اي يأتيكم بذلك اجراءً للضمير مجرى اسم الاشارة او بما أُخذ و خُتم عليه [يَصْدِفُونَ] يُعرضون عن الايات بعد ظهورها * لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل [بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً] و عن الحسن لَيْلًا أَوْ نَهَارًا - و قرئ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً [هَلْ يُهْلَكُ] اي ما يهلك هلاك تعذيب و سخط [إِلَّا الظّٰلِمُونَ] - و قرئ هل يَهْلِكُ بفتح الياء * [إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ] من أمن بهم و بما جاؤا به و أطاعهم ومن كذّبهم و عصاهم و لم نُرسلهم لِيتلقّى بهم و يقترح عليهم الايات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة [وَأَصْلَحَ] ما يجب اصلاحه مما كُلّف * جُعل العذاب ماسًّا كأنه حيّ يفعل بهم ما يريد من الآلام و منه قولهم لقيت منه الامرّين و الأفورين حيث جُمعوا جمعَ العقلاء و قوله تعالى إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا اي لا ادّعي ما يُستبعد في العقول ان يكون لبشر من مِلْك [خَزَائِنُ اللّٰهِ] و هي قِسَمه بين الخلق و ارزاقه و علمُ الغيب - و [إِنِّي] من الملائكة الذين هم اشرف جنس خَلَقه الله و افضلُه و اقربُه منزلةً منه اي لم أدّعِ الٰهيّة ولا ملكيّة لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملكية حتى تستبعدوا دعوايَ و تستنكروها و انما ادّعي ما كان مثله لكثير من البشر و هو النبوّة [هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمٰى وَالْبَصِيرُ] مثلُ للضالّ و المهتدي - و يجوز ان يكون مثلًا لمن اتّبع ما يوحى اليه و من لم يتبع - او لمن ادّعى المستقيم و هو النبوة و المحالَ و هو الالٰهية او الملكية [أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ] فلا تكونوا ضالّين اشباهَ العُميان - او فتعلموا اني ما ادّعيتُ ما لا يليق بالبشر - او فتعلموا ان اتّباع ما يوحى اليّ مما لا بدّ لي منه - فان قلت أَعْلَمُ الْغَيْبَ ما محله من الاعراب - قلت النصب عطفًا على محل قوله عِنْدِي خَزَائِنُ اللّٰهِ لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القولَ ولا هذا القولَ [وَأَنْذِرْ بِهِ] الضمير راجع الى قوله مَا يُوحٰى إِلَيَّ [وَالَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا] إمّا قوم داخلون في الاسلام مقرّون بالبعث لأنهم مفرّطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه [لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين و إمّا اهل الكتاب لانهم مقرّون بالبعث و إمّا ناس من

سورة الانعام ٦ الجزء ٧ ع ١٢

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰوةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ط مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّٰلِمِينَ ۝ وَكَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهٰؤُلَاءِ مَنَّ

المشركين عُلم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقًّا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذر هٰؤلاء - وقوله [لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ] في موضع الحال من يُحْشَرُوا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين و لا مشفوعا لهم و لابدّ من هذه الحال لان كلّا محشور و المخوف انما هو الحشر على هذه الحال - ذكر غير المتقين من المسلمين و امر بانذارهم ليتّقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم و امره بتقريبهم و اكرامهم و ان لايطيع فيهم من اراد بهم خلافَ ذلك و اثنى عليهم بانهم يُواصلون دعاءَ ربهم اي عبادتَه و يُواظبون عليها - و المراد بذكر الغدٰوة و العشيّ الدوامُ - و قيل معناه يُصلّون صلوة الصبح و العصر و وسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله [يُرِيدُونَ وَجْهَهُ] و الوجه يعبّر به عن ذات الشيء و حقيقته - روي ان رؤسًا من المشركين قالوا لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لوطردتَ هؤلاء الاعبُد يعنون فقراءَ المسلمين و هم عمّار وصُهَيْب وخبّاب و سلمانُ و اضرابهم و ارواحَ حِبابهم و كانت عليهم جِباب من صوف جلسنا اليك و حادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فَأَقِمْهم عنّا اذا جئنا فاذا قمنا فَاقْعُدهم معك ان شئت قال نعم طمعًا في ايمانهم - و روي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلتَ حتى ننظر الى ماذا يصيرون قالوا فاكتبْ بذلك كتابا فدعا بالصحيفة و بعليّ ليكتب فنزلتْ فرمى بالصحيفة و اعتذر عمر رضي الله عنه من مقالته قال سلمان و خبّاب فينا نزلتْ فكان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقعد معنا و يدنو منه حتى تمسّ رُكْبَتُنا رُكْبَتَه و كان يقوم عنّا اذا اراد القيامَ فنزلتْ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ فترك القيام عنّا الى ان يقوم عنه و قال الحمد لله الذي لم يَمُتْني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امّتي معكم المَحْيا و معكم الممات [مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] كقوله إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي و ذلك انهم طعنوا في دينهم و اخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص و بارادة وجه الله في اعمالهم على معنى و ان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الّا اعتبار الظاهر و الاتّسام بسيرة المتقين و انكان لهم باطن غير مرضيّ فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعدّاهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعدّاك اليهم كقوله وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى - فان قلت أمَا كفى قوله مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى ضمّ اليه [وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ] - قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة و قُصد بهما مؤدّى واحد و هو المعنى في قوله وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى و لا يستقلّ بهذا المعنى الّا الجملتان جميعا كانه قيل لا تواخذ انت و لاهم بحساب صاحبه و قيل الضمير للمشركين و المعنى لا يواخذون بحسابك و لا انت بحسابهم حتى يُهمّك ايمانهم و يجرّك الحرصُ عليه الى ان تطرد المؤمنين [فَتَطْرُدَهُمْ] جواب النفي [فَتَكُونَ مِنَ الظّٰلِمِينَ] جواب

اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ۗ اَلَيْسَ اللّٰهُ بِاَعْلَمَ بِالشّٰكِرِيْنَ ۝ وَاِذَا جَآءَكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاٰيٰتِنَا فَقُلْ سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ
عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ اَنَّهٗ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوْٓءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهٖ وَاَصْلَحَ فَاَنَّهٗ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ
الْاٰيٰتِ وَلِتَسْتَبِيْنَ سَبِيْلُ الْمُجْرِمِيْنَ ۝ قُلْ اِنِّيْ نُهِيْتُ اَنْ اَعْبُدَ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ ۗ قُلْ لَّآ اَتَّبِعُ اَهْوَآءَكُمْ

اعمي و يجوز ان يكون عطفاً على فَتَطْرُدَهُمْ على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبَّب عن طردهم - و قرئ بالغُدوة و العَشيّ [وَكَذٰلِكَ فَتَنَّا] و مثل ذلك الفتن العظيم فتنّا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم و ذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين [اَهٰٓؤُلَآءِ] اشارة تحقير [مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا] اي انعم الله عليهم بالتوفيق للاصابة الحق و لما يُسعدهم عنده من دوننا و نحن المقدّمون و الرؤساء وهم العبيد و الفقراء انكار لان يكون امثالهم على الحق و ممنوّاً عليهم من بيننا بالخير و نحوه اَلَيْسَ الذّٰكِرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا - لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُوْنَآ اِلَيْهِ و معنى فَتَنّاهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سبباً لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون [اَلَيْسَ اللّٰهُ بِاَعْلَمَ بِالشّٰكِرِيْنَ] اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان و الشكر فيوفقه للايمان و من يصمّم على كفره فيخذله و يمنعه التوفيق [فَقُلْ سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ] اما ان يكون امراً بتبليغ سلام الله اليهم و اما ان يكون امراً ان يبدأهم بالسلام اكراماً لهم و تطييباً لقلوبهم و كذلك قوله [كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ] من جملة ما يقول لهم ليسرّهم و يُبشّرهم بسعة رحمة الله و قبوله التوبة منهم - و قرئ اِنَّهٗ - فَاِنَّهٗ بالكسر على الاستيناف كان الرحمة استفسرت فقيل [اَنَّهٗ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ] و بالفتح على الابدال من الرحمة - [بِجَهَالَةٍ] في موضع الحال اي عمله و هو جاهل و فيه معنيان - احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة و هو عالم بذلك او ظانّ فهو من اهل السفه و الجهل لا من اهل الحكمة و التدبير و منه قول الشاعر شعر على انها قالت عشيّة زُرتها * جهلتَ على عمد و لم تك جاهلا * و الثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه و المضرّة و من حق الحكيم ان لا يُقدم على شيء حتى يعلم حاله و كيفيته - و قيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا و لم يَعلم انها مفسدة * قرئ [وَلِتَسْتَبِيْنَ] بالتاء و الياء مع رفع السبيل لانه تُذكّر و تُؤنث - و بالتاء على خطاب الرسول مع نصب السَّبيل يقال استبان الامر و تبيّن و استبنتُه و تبينته - و المعنى و مثل ذلك التفصيل البيّن نفصّل ايات القرآن و نُلخّصها في صفة احوال المجرمين مَن هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه و من ترى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة و من دخل في الاسلام الّا انه لا يحفظ حدوده و لتستوضح سبيلهم فنعاملَ كلًّا منهم بما يجب ان يُعامَل به فصلنا ذلك التفصيل * [نُهِيْتُ] صُرفتُ و زُجرتُ بما رُكّب فيّ من ادلّة العقل و بما اوتيتُ من ادلّة السمع عن عبادة ما تعبدون [مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ] و فيه استجهال لهم و وصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة [قُلْ لَّآ اَتَّبِعُ اَهْوَآءَكُمْ] اي لا اَجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل و هو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال و تنبيهٌ لكل من اراد اصابةَ

قَدْ ضَلَلْتُ اِذًا وَّمَآ اَنَا مِنَ الْمُهْتَدِيْنَ ۝ قُلْ اِنِّيْ عَلٰى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَكَذَّبْتُمْ بِهٖ ؕ مَا عِنْدِيْ مَا تَسْتَعْجِلُوْنَ
بِهٖ ؕ اِنِ الْحُكْمُ اِلَّا لِلّٰهِ ؕ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفٰصِلِيْنَ ۝ قُلْ لَّوْ اَنَّ عِنْدِيْ مَا تَسْتَعْجِلُوْنَ
بِهٖ لَقُضِيَ الْاَمْرُ بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ ؕ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِالظّٰلِمِيْنَ ۝ وَعِنْدَهٗ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ اِلَّا هُوَ ؕ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ؕ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَّرَقَةٍ اِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِيْ ظُلُمٰتِ الْاَرْضِ وَلَا رَطْبٍ
وَّلَا يَابِسٍ اِلَّا فِيْ كِتٰبٍ مُّبِيْنٍ ۝ وَهُوَ الَّذِيْ يَتَوَفّٰكُمْ بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيْهِ لِيُقْضٰٓى

الحق و مجانبة الباطل [قَدْ ضَلَلْتُ اِذًا] اي ان تبعتُ اهواءكم فانا ضالّ و ما انا من الهدى في شيء يعني انكم كذلك - و لمّا نفى ان يكون الهوى متّبعا نبّه على ما يجب اتباعه بقوله [قُلْ اِنِّيْ عَلٰى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ] و معنى قوله اِنِّيْ عَلٰى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ [وَكَذَّبْتُمْ بِهٖ] اني من معرفة ربّي و انه لا معبود سواه على حُجّة واضحة و شاهد صدق و كَذّبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بيّنة من هذا الامر و انا على يقين منه اذا كان ثابتاً عندك بدليل ثم عقّبه بما دلّ به على استعظام تكذيبهم بالله و شدة غضبه عليهم لذلك و انهم احقاء بان يغاضوا بالعذاب المستعجل فقال [مَا عِنْدِيْ مَا تَسْتَعْجِلُوْنَ بِهٖ] يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ [اِنِ الْحُكْمُ اِلَّا لِلّٰهِ] في تاخير عذابكم - يَقْضِي الْحَقَّ اي القضاءَ الحقَّ في كل ما يقضي من التاخير و التعجيل في اقسامه [وَهُوَ خَيْرُ الْفٰصِلِيْنَ] اي القاضين - و قرئ يَقُصُّ الْحَقَّ اي يتّبع الحق و الحكمة فيما يحكم به و يقدّره مَن قصّ اثره [لَوْ اَنَّ عِنْدِيْ] اي في قدرتي و امكاني [مَا تَسْتَعْجِلُوْنَ بِهٖ] من العذاب [لَقُضِيَ الْاَمْرُ بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ] لاهلكتُكم عاجلاً غضبًا لربّي و امتعاضاً من تكذيبكم به و لتخلصتُ منكم سريعاً [وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِالظّٰلِمِيْنَ] و بما يجب في الحكمة من كنه عقابهم - و قيل عَلٰى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ على حجّة من جهة ربي وهي القرآن وَكَذَّبْتُمْ بِهٖ اي بالبيّنة وذكر الضمير على تاويل البيان او القرآن - فان قلت لم انتصب الحق - قلت لانه صفة لمصدر يَقْضِيْ اي يقضي القضاءَ الحقَّ - و يجوز ان يكون مفعولاً به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق و يدبّره - و في قراءة عبد الله يَقْضِيْ بِالْحَقِّ - فان قلت لم اسقطت الياء في الخط - قلت اتباعاً لخط اللفظ و سقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين - جعل المغيب [مَفَاتِح] على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصّل بها الى ما في الخزائن المستوثق منها بالاغلاق و الاقفال و مَنْ علم مفاتحها و كيف تفتح توصّل اليها فاراد انه هو المتوصّل الى المغيّبات وحده لا يتوصّل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال الخزائن و يعلم فتحها فهو المتوصّل الى ما في الخزائن - و المفاتح جمع مِفتح وهو المفتاح - و قرئ مَفَاتِيحُ - و قيل هي جمع مَفْتَح بفتح الميم وهو الخزن [وَلَا حَبَّةٍ - وَلَا رَطْبٍ وَّلَا يَابِسٍ] عطف على وَرَقَةٍ و داخل في حكمها كانه قيل و ما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه - و قوله [اِلَّا فِيْ كِتٰبٍ مُّبِيْنٍ] كالتكرير لقوله اِلَّا يَعْلَمُهَا ان معنى لَا يَعْلَمُهَا و معنى اِلَّا فِيْ كِتٰبٍ مُّبِيْنٍ واحد - و الكتاب المبين علم الله او اللوح - و قرئ وَلَا حَبَّةٌ - وَلَا رَطْبٌ وَّلَا يَابِسٌ بالرفع و فيه وجهان - ان يكون عطفاً

اَجَلٌ مُّسَمًّى ۚ ثُمَّ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ۝ ع وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهٖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ؕ
حَتّٰٓى اِذَا جَآءَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُوْنَ ۝ ثُمَّ رُدُّوْٓا اِلَى اللّٰهِ مَوْلٰىهُمُ الْحَقِّ ؕ اَلَا لَهُ الْحُكْمُ
وَهُوَ اَسْرَعُ الْحَاسِبِيْنَ ۝ قُلْ مَنْ يُّنَجِّيْكُمْ مِّنْ ظُلُمٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُوْنَهٗ تَضَرُّعًا وَّخُفْيَةً ۚ لَئِنْ اَنْجٰىنَا مِنْ
هٰذِهٖ لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الشّٰكِرِيْنَ ۝ قُلِ اللّٰهُ يُنَجِّيْكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ اَنْتُمْ تُشْرِكُوْنَ ۝ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلٰٓى
اَنْ يَّبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ اَوْ مِنْ تَحْتِ اَرْجُلِكُمْ اَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَّيُذِيْقَ بَعْضَكُمْ بَاْسَ بَعْضٍ ؕ اُنْظُرْ

على محل مِنْ وَرَقَةٍ - وان يكون رفعًا على الابتداء وخبرُه اِلَّا فِي كِتٰبٍ مُّبِيْنٍ كقولك لا رجلٌ منهم ولا امرأةٌ الّا في الدار [وَهُوَ الَّذِيْ يَتَوَفّٰىكُمْ بِالَّيْلِ] الخطاب للكفرة اي انتم مُنسدحون الليلَ كلَّه كالجيف [وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ] ما كسبتم من الآثام فيه [ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيْهِ] ثم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فلم دعوتني فيقول في امر كذا [لِيُقْضٰٓى اَجَلٌ مُّسَمًّى] وهو الاجل الذي سمّاه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم [ثُمَّ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ] وهو المرجع الى موقف الحساب [ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ] في ليلكم ونهاركم [حَفَظَةً] ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون - وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كلَّ شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبيه الحَفَظة تكتب لفظ اللَّفَظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالى غنيٌّ بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها - قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها عليهم في صحائف تُعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيٰمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء [تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا] اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه - وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول مَنْ يتناوله وما من اهل بيت الّا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين - وقرئ تَوَفّٰىهُ - ويجوز ان يكون ماضيًا ومضارعًا بمعنى تتوفاه [يُفَرِّطُوْنَ] بالتشديد والتخفيف فالتفريطُ التواني والتاخيرُ عن الحدّ والافراطُ مجاوزة الحدّ اي لا ينقصون مما امروا به او لا يزيدون فيه [ثُمَّ رُدُّوْٓا اِلَى اللّٰهِ] اي الى حكمه وجزائه [مَوْلٰىهُمُ] مالكهم الذي يلي عليهم امورهم [الْحَقِّ] العدل الذي لا يحكم الّا بالحق [اَلَا لَهُ الْحُكْمُ] يومئذٍ لا حكم فيه لغيره [وَهُوَ اَسْرَعُ الْحَاسِبِيْنَ] لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحقَ بالنصب على المدح كقولك الحمدُ لله الحقَّ ظُلُمٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مجاز عن مَحَاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مُظْلِم ويوم ذو كواكبَ اي اشتدّت ظلمته حتى عاد كالليل - ويجوز ان يراد ما يشقّون عليه من الخسف في البرّ والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرّعوا كشف الله عنهم الخسفَ والغرقَ فنجوا من ظلماتها [لَئِنْ اَنْجٰىنَا] على ارادة القول [مِنْ هٰذِهٖ] من هذه الظلمة والشدّة • وقرئ يُنَجِّيْكُمْ بالتخفيف والتشديد - وَاَنْجٰىنَا - وخُفْيَةً بالضم والكسر [هُوَ الْقَادِرُ] هو الذي عرفتموه قادرًا وهو الكامل القدرة [عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ] كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة

سورة الانعام ٦ الجزء ٧ ع ١٤

كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝ وَكَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۭ قُلْ لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيْلٍ ۝ لِكُلِّ نَبَاٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ۝ وَاِذَا رَاَيْتَ الَّذِيْنَ يَخُوْضُوْنَ فِيْٓ اٰيٰتِنَا فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوْضُوْا فِيْ حَدِيْثٍ غَيْرِهٖ ۭ وَاِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرٰى مَعَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَ ۝ وَمَا عَلَى الَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَّلٰكِنْ ذِكْرٰى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ ۝ وَذَرِ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِيْنَهُمْ لَعِبًا وَّلَهْوًا وَّغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهٖٓ

و ارسل على قوم نوح الطوفان - [اَوْ مِنْ تَحْتِ اَرْجُلِكُمْ] كما اغرق فرعون و خسف بقارون - و قيل من فوقكم من قبل اكابركم و سلاطينكم - و من تحت ارجلكم من قبل سفلتكم و عبيدكم - و قيل هو حبس المطر و النبات [اَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا] او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام - و معنى خلطهم ان يُنشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في مَلاحم القتال من قوله * شعره * وكتيبة لَبَستُها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضتُ لها يدي * وعن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم سألتُ اللهَ ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك و سألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني و اخبرني جبرئيل عليه السلام ان فناء امتي بالسيف - و عن جابر بن عبد الله لما نزل مِنْ فَوْقِكُمْ قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم اعوذ بوجهك فلما نزل اَوْ مِنْ تَحْتِ اَرْجُلِكُمْ اَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا قال هاتان اَهْوَنُ - و معنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة - و الضمير في قوله [وَكَذَّبَ بِهٖ] راجع الى العذاب [وَهُوَ الْحَقُّ] اي لابد ان ينزل بهم [قُلْ لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيْلٍ] بحفيظ وكل اليّ امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر - [لِكُلِّ نَبَاٍ] لكل شيء ينبأ به يعني ابناءهم بانهم يعذبون و ايعادهم به [مُّسْتَقَرٌّ] وقت استقرار و حصول لابد منه - و قيل الضمير في بِهٖ للقرآن - [يَخُوْضُوْنَ فِيْٓ اٰيٰتِنَا] في الاستهزاء بها و الطعن فيها و كانت قريش في اَنْديتهم يفعلون ذلك [فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ] فلا تُجالسهم و قُم عنهم [حَتّٰى يَخُوْضُوْا فِيْ حَدِيْثٍ غَيْرِهٖ] فلا بأس ان تُجالسهم حينئذ [وَاِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطٰنُ] و ان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهيَ عن مجالستهم [فَلَا تَقْعُدْ] معهم [بَعْدَ الذِّكْرٰى] بعد ان تذكر النهيَ - و قرئ يُنْسِيَنَّكَ بالتشديد - و يجوز ان يراد و ان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قُبحَ مجالسة المستهزئين لانها مما تُنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها و نبهناك عليه معهم [* وَمَا عَلَى الَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ] و ما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيءٌ مما يحاسبون عليه من ذنوبهم [وَلٰكِنْ] عليهم ان يُذكّروهم [ذِكْرٰى] اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم و اظهار الكراهة لهم و موعظتهم [لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ] لعلهم يجتنبون الخوضَ حياءً او كراهةً لمساءتهم - و يجوز ان يكون الضمير الذين يَتَّقُوْنَ اي يُذكّرونهم ارادةَ ان يثبتوا على تقواهم و يزدادوها - و روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا نقوم لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام و ان نطوف فرخّص لهم - فان قلت ما محل ذِكْرٰى - قلت يجوز ان يكون نصبا على وَلٰكِنْ يُذكّرونهم ذِكْرٰى اي تذكيرا - او رفعا على وَلٰكِنْ عليهم ذِكْرٰى - و لا يجوز ان يكون

سورة الانعام ٦ الجزء ٧ ع ١٥

اَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ق لَيْسَ لَهَا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَلِيٌّ وَّلَا شَفِيْعٌ ج وَاِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ط
اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اُبْسِلُوْا بِمَا كَسَبُوْا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيْمٍ وَّعَذَابٌ اَلِيْمٌ بِمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ ع ۝ قُلْ اَنَدْعُوْا مِنْ دُوْنِ
اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلٰٓى اَعْقَابِنَا بَعْدَ اِذْ هَدٰىنَا اللّٰهُ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيٰطِيْنُ فِى الْاَرْضِ حَيْرَانَ ص
لَهٗٓ اَصْحٰبٌ يَّدْعُوْنَهٗٓ اِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ط قُلْ اِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدٰى ط وَاُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ۝ وَاَنْ اَقِيْمُوا

عطفًا على محل مِنْ شَيْءٍ كقولك ما في الدار من احد ولكنْ زيدٌ لان قوله مِنْ حِسَابِهِمْ يابى ذلك [اتَّخَذُوْا دِيْنَهُمْ لَعِبًا وَّلَهْوًا] اي دينهم الذي كان يجب ان ياخذوا به لعبًا و لهوًا وذلك ان عبادة الاصنام وماكانوا عليه من تحريم البحائر و السوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتّباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجدّ - او اتخذوا ما هو لعب و لهو من عبادة الاصنام وغيرها دينًا لهم - او اتّخذوا دينهم الذي كُلّفوه ودُعوا اليه وهو دين الاسلام لعبًا و لهوًا حيث سخروا به واستهزءوا - وقيل جعل الله لكل قوم عيدًا يُعظّمونه ويُصلّون فيه ويَعْمرونه بذكر اسم الله و الناس كلهم من المشركين و اهل الكتاب اتّخذوا عيدهم لهوًا و لعبًا غيرُ المسلمين فانهم اتّخذوا عيدهم كما شرعه الله - و معنى [ذَرْهُمْ] اعرض عنهم ولا تبالِ بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشتغل قلبك بهم * [وَذَكِّرْ بِهٖ] اي بالقرآن [اَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ] مخافة ان تُسْلَم الى الهلكة و العذاب و تُرْتَهَن بسوء كسبها - و اصل الابسال المنع لان المُسْلَم اليه يمنع المُسْلِم قال * ع * وابسالي بنيّ بغير جرم * ومنه هذا عليك بسلٌ اي حرام محظور و الباسلُ الشجاع لامتناعه من قِرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتدّ عبوسه فاذا زاد قالوا بسَل و العابسُ منقبض الوجه * [وَاِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ] اي و ان تفدِ كلَّ فداء و العَدْلُ الفدية لان الفادي يعدل المَفْديَّ بمثله - و كُلَّ عَدْلٍ نصب على المصدر - و فاعل [يُؤْخَذْ] قوله [مِنْهَا] لا ضمير العدل لان العدل هٰهنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ فبمعنى المَفْديّ به فصحّ اسناده اليه - [اُولٰٓئِكَ] اشارة الى المتّخذين دينهم لعبًا و لهوًا * قيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبدُ الرحمن الى عبادة الاوثان [قُلْ اَنَدْعُوْا] انعبد من دون الله الضارّ النافع ما لا يقدر على نفعنا و لا مضرّتنا وأ [نُرَدُّ عَلٰٓى اَعْقَابِنَا] راجعينَ الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه و هدانا للاسلام [كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيٰطِيْنُ] كالذي ذهبتْ به مَرَدة الجنّ و الغيلانُ [فِى الْاَرْضِ] في المهمه [حَيْرَانَ] تائهًا ضالًّا عن الجادّة لا يدري كيف يصنع - [لَهٗ] اي لهذا المستهوي [اَصْحٰبٌ] رُفقة [يَدْعُوْنَهٗٓ اِلَى الْهُدٰى] الى ان يهدوه الطريقَ المستويَ - او سمّى الطريق المستقيم بالهُدَى يقولون له [ائْتِنَا] وقد اعتسف المهمهَ تابعًا للجنّ لا يجيبهم و لا يأتيهم و هذا مبنيّ على ما تزعمه العرب و تعتقده ان الجنّ تستهوي الانسان و الغيلان تستولي عليه كالذي يتخبّطه الشيطان فشُبّه به الضالّ عن طريق الاسلام التابعُ لخطوات الشيطان و المسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم - [قُلْ اِنَّ هُدَى اللّٰهِ] و هو الاسلام [هُوَ الْهُدٰى] وحده و ما وراءه ضلال و غيّ وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ الْاِسْلَامِ دِيْنًا فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ اِلَّا الضَّلٰلُ

سورة الانعام ٦ الجزء ٧ ع ١٥ الثلث

الصَّلٰوةَ وَاتَّقُوْهُ ؕ وَهُوَ الَّذِيْٓ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ ۝ وَهُوَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ ؕ وَيَوْمَ يَقُوْلُ كُنْ فَيَكُوْنُ ۝ قَوْلُهُ الْحَقُّ ؕ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ ؕ عٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ؕ وَهُوَ الْحَكِيْمُ الْخَبِيْرُ ۝ وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيْمُ لِاَبِيْهِ اٰزَرَ اَتَتَّخِذُ اَصْنَامًا اٰلِهَةً ۚ اِنِّيْٓ اَرٰىكَ وَقَوْمَكَ فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ۝ وَكَذٰلِكَ نُرِيْٓ اِبْرٰهِيْمَ مَلَكُوْتَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلِيَكُوْنَ مِنَ الْمُوْقِنِيْنَ ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَاٰ كَوْكَبًا ۚ قَالَ هٰذَا رَبِّيْ ۚ فَلَمَّآ اَفَلَ

- فان قلت ما محل الكاف في قوله كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ - قلت النصب على الحال من الضمير في نُرَدُّ عَلٰى اَعْقَابِنَا اي اَنَنْكُصُ مُشْبِهِيْنَ مَنِ استهوته الشياطين - فان قلت ما معنى اسْتَهْوَتْهُ - قلت هو استفعال من هَوِيَ في الارض اذا ذهب فيها كانّ معناه طلبتْ هويَّهُ و حَرَّضتْ عليه - فان قلت ما محل [اُمِرْنَا] - قلت النصب عطفًا على محل قوله اِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدٰى على انهما مقولان كانه قيل قُلْ هذا القولَ و قل اُمِرْنَا لِنُسْلِمَ - فان قلت ما معنى اللام في [لِنُسْلِمَ] - قلت هي تعليل للامر بمعنى اُمِرْنَا و قيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم - فان قلت فاذا كان هذا واردًا في شان ابي بكر رضي الله عنه فكيف قيل للرسول قُلْ اَنَدْعُوْا - قلت للاتّحاد الذي كان بين رسول اللّٰه والمؤمنين خصوصًا بينه و بين الصديق رضي الله عنه - فان قلت علامَ عطف قوله [وَاَنْ اَقِيْمُوْا] - قلت على موقع لِنُسْلِمَ كانه قيل و اُمِرْنَا ان نُسلم وَاَنْ اَقِيْمُوْا - و يجوز ان يكون التقدير و اُمِرْنَا لِاَنْ نُسْلِمَ و لان اقيموا اي للاسلام و لاقامة الصلوة - قَوْلُهُ الْحَقُّ مبتدأ [وَيَوْمَ يَقُوْلُ] خبره مقدّمًا عليه و انتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يومَ الجمعة القتالُ و اليومُ بمعنى الحين - و المعنى انه خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ قائمًا بالحقّ و الحكمة و حين يقول لشيء من الاشياء [كُنْ فَيَكُوْنُ] ذلك الشيء [قَوْلُهُ الْحَقُّ] و الحكمة اي لا يكون شيأ من السموات و الارض و سائر المكوّنات الّا عن حكمة و صواب [يَوْمَ يُنْفَخُ] ظرف لقوله وَلَهُ الْمُلْكُ كقوله لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ - و يجوز ان يكون قَوْلُهُ الْحَقُّ فاعلَ يَكُوْنُ على معنى و حين يقول لقوله الحقّ اي لقضائه الحقّ كُنْ فَيَكُوْنُ قَوْلُهُ الْحَقُّ - و انتصاب اليومَ بمحذوف دلّ عليه قوله بِالْحَقِّ كانه قيل و حين يُكَوِّنُ و يُقَدِّر يقوم بالحقّ [عٰلِمُ الْغَيْبِ] هو عالم الغيب و ارتفاعُه على المدح - [اٰزَرَ] اسم ابي ابراهيم - و في كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارَحُ و الاقربُ ان يكون وزن اٰزَرَ فاعَلَ مثل تَارَحَ و عابَرَ و عازَرَ و شالَخَ و فالَغَ و ما اشبهها من اسمائهم و هو عطف بيان لِاَبِيْهِ - و قرئ اٰزَرُ بالضم على النداء - و قيل اٰزَرُ اسم صنم فيجوز ان يُنْبَزَ به للزومه عبادتَه كما نُبِزَ ابن قيس بالرُّقَيّات اللاتي كان يُشَبِّب بهن فقيل ابن قيس الرقّياتُ و في شعر بعض المُحْدثين * شعر * ادعى باسماء نبزًا في قبائلها * كانّ اسماء اَضْحَتْ بعضَ اسمائي * او اريد عابد اٰزَرَ فحذف المضاف و اقيم المضاف اليه مُقامه - و قرئ ءَاَزَرًا تَتَّخِذُ اَصْنَامًا اٰلِهَةً بفتح الهمزة و كسرها بعد همزة الاستفهام و زاءٍ ساكنة و راءٍ منصوبة منوّنة و هو اسم صنم و معناه اتعبد اٰزَرًا على الانكار ثم قال تَتَّخِذُ اَصْنَامًا اٰلِهَةً تثبيتًا لذلك و تقريرًا و هو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان له [فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ] عطف على قَالَ اِبْرٰهِيْمُ لِاَبِيْهِ و قوله وَكَذٰلِكَ نُرِيْ اِبْرٰهِيْمَ جملة

سورة الانعام ٦ الجزء ٧ ع ١٥

قَالَ لَآ اُحِبُّ الْاٰفِلِيْنَ ۝ فَلَمَّا رَاَ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هٰذَا رَبِّيْ ۚ فَلَمَّآ اَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِيْ رَبِّيْ لَاَكُوْنَنَّ
مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّيْنَ ۝ فَلَمَّا رَاَ الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّيْ هٰذَآ اَكْبَرُ ۚ فَلَمَّآ اَفَلَتْ قَالَ يٰقَوْمِ اِنِّيْ
بَرِيْٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَ ۝ اِنِّيْ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِيْ فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ حَنِيْفًا وَّمَآ اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۝ ج
وَحَآجَّهٗ قَوْمُهٗ ؕ قَالَ اَتُحَآجُّوْٓنِّيْ فِي اللّٰهِ وَقَدْ هَدٰىنِ ؕ وَلَآ اَخَافُ مَا تُشْرِكُوْنَ بِهٖٓ اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ رَبِّيْ شَيْـًٔا ؕ

معترض بها بين المعطوف و المعطوف عليه - و المعنى و مثل ذلك التعريف و التبصير نُعرّف ابرٰهيم و نُبصّره ملكوت السموات و الارض يعني الربوبيّة و الالٰهيّة ونُوفّقه لمعرفتها و نُرشده بما شرحنا صدره و سدّدنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال [وَلِيَكُوْنَ مِنَ الْمُوْقِنِيْنَ] فعلنا ذلك وَنُرِيْ حكاية حال ماضيه و كان ابوه و قومه يعبدون الاصنام و الشمس و القمر و الكواكب فاراد ان يُنبّههم على الخطأ في دينهم و ان يُرشدهم الى طريق النظر و الاستدلال و يُعرّفهم ان النظر الصحيح مُؤدٍّ الى ان شيأ منها لا يصح ان يكون الٰهاً لقيام دليل الحدوث فيها و ان وراءها مُحدثاً احدثها و صانعاً صنعها و مدبّراً دبّر طلوعها و افولها و انتقالها و مسيرها و سائر احوالها [هٰذَا رَبِّيْ] قول من يُنصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصّب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق و انجى من الشغب ثم يكرّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجّة [لَآ اُحِبُّ الْاٰفِلِيْنَ] لا احبّ عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المنتقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام [بَازِغًا] مبتدئاً في الطلوع [لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِيْ رَبِّيْ] تنبيهٌ لقومه على ان من اتّخذ القمر الٰهاً و هو نظير الكواكب في الافول فهو ضالٌّ و ان الهداية الى الحق بتوفيق الله و لطفه [هٰذَا اَكْبَرُ] من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه [اِنِّيْ بَرِيْٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَ] من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها [اِنِّيْ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِيْ فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ] اي للذي دلّت هذه المحدثات عليه و على انه مبتدئها و مبتدعها - وقيل هذا كان نظره و استدلاله في نفسه فحكاه الله و الاول اظهر لقوله لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِيْ رَبِّيْ و قوله يٰقَوْمِ اِنِّيْ بَرِيْٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَ - فان قلت لم احتجّ عليهم بالافول دون النزوع و كلاهما انتقال من حال الى حال - قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء و احتجاب - فان قلت ما وجه التذكير في قوله هٰذَا رَبِّيْ و الاشارة للشمس - قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ماجاءت حاجتك - و مَنْ كانت امّك - وَلَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ اِلَّآ اَنْ قَالُوْا وكان اختيار هذه الطريقة واجباً لصيانة الربّ عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا في صفة الله علّام و لم يقولوا علّامة وانكال العلّامة ابلغ احتراز من علامة التانيث - وقرئ تُرِيْ اِبْرٰهِيْمَ مَلَكُوْتَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ بالتاء و رفع الملكوت و معناه تُبصّره دلائل الربوبية. [وَحَآجَّهٗ قَوْمُهٗ قَالَ اَتُحَآجُّوْٓنِّيْ فِي اللّٰهِ] وكانوا حاجّوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك [وَقَدْ هَدٰىنِ] يعني الى التوحيد [وَلَآ اَخَافُ مَا تُشْرِكُوْنَ بِهٖ] و قد خوّفوه ان معبوداتهم تُصيبه بسوء [اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ رَبِّيْ شَيْـًٔا] الّا وقت مشية ربّي شيأ يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قطّ لانها

وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ
يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ
أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ
وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ
الصَّالِحِينَ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ
وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا
لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۖ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا
بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا

لا تقدر على منفعة ولا مضرّة الا اذا شاء ربّي ان يُصيبني بمخوف من جهتها ان اصبتُ ذنبا استوجبُ به انزال المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقّة من الشمس و القمر او يجعلها قادرة على مضرّتي - [وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا] اي ليس بعجب و لا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها - [أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ] فتميّزوا بين الصحيح و الفاسد و القادر و العاجز - [وَكَيْفَ أَخَافُ] التخويفكم شبأ مامون الخوف لا يتعلق به ضرر يوجه - و انتم [لَا تَخَافُونَ] ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله [مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ] باشراكه [سُلْطَانًا] اي حُجّة لان الاشراك لا يصحّ ان يكون عليه حُجّة كانه قال و ما لكم تُنكرون على الامن في موضع الامن و لا تُنكرون على انفسكم الامنَ في موضع الخوف - و لم يقل فايُّنا احقّ بالامن انا لم اقتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله [فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ] يعني فريقي المشركين و الموحّدين ثم استانف الجوابَ عن السوال بقوله - [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ] اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تُفسقهم و انى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس * [وَتِلْكَ] اشارة الى جميع ما احتجّ به ابراهيمُ على قومه من قوله فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ لَيْلٌ الى قوله وَهُمْ مُهْتَدُونَ ومعنى آتَيْنَاهَا ارشدناه اليها و وفقناه لها - [نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ] يعني في العلم و الحكمة - و قرىء بالتنوين [وَمِن ذُرِّيَّتِهِ] الضمير لنوح او لابرهيم * [وَدَاوُودَ] عطف على نوحا اي و هدينا داود - [وَمِنْ آبَائِهِمْ] في موضع النصب عطفا على كُلًّا بمعنى و فضّلنا بعضَ ابائهم - [وَلَوْ أَشْرَكُوا] مع فضلهم و تقدّمهم و ما رفع لهم من الدرجات لكانوا لغيرهم في حبوط اعمالهم كما قال لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ - [آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ] يريد الجنس * [فَإِن يَكْفُرْ بِهَا] بالكتاب و الحكم و النبوّة - او بالنبوّة [هَٰؤُلَاءِ] يعني اهل مكّة [قَوْمًا] هم الانبياء المذكورون و من تبعهم بدليل قوله أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ و بدليل وصل قوله فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ بما قبله - و قيل هم اصحاب النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و كلّ من آمن به - و قيل كل مؤمن بني آدم - و قيل الملائكة

سورة الانعام ٦ ذِكْرٰى لِلْعٰلَمِيْنَ ۝ وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهٖٓ اِذْ قَالُوْا مَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ عَلٰى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ اَنْزَلَ الْكِتٰبَ
الجزء ٧ الَّذِيْ جَآءَ بِهٖ مُوْسٰى نُوْرًا وَّهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُوْنَهٗ قَرَاطِيْسَ تُبْدُوْنَهَا وَتُخْفُوْنَ كَثِيْرًا ۚ وَعُلِّمْتُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُوْٓا
ع ١٧ اَنْتُمْ وَلَآ اٰبَآؤُكُمْ ۖ قُلِ اللّٰهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِيْ خَوْضِهِمْ يَلْعَبُوْنَ ۝ وَهٰذَا كِتٰبٌ اَنْزَلْنٰهُ مُبٰرَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِيْ

و ادّعى الانصارُ آباءهم - وعن مجاهدهم الفُرْس - ومعنى توكيلهم بها امرهم وُفّقوا للايمان بها و القيام بحقوقها كما يوكّل الرجل بالشيء ليقوم به و يتعهّده ويحافظ عليه - والباء في بِهَا صلةُ كَفَرْنَ و في بِكٰفِرِيْنَ تاكيد النفي [فَبِهُدٰىهُمُ اقْتَدِهْ] فاخلُصْ هُداهم بالاقتداء ولا تقتدِ الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول و المراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله و توحيده واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهي هُدًى ما لم تنسخ فاذا نُسختْ لم تبقَ هُدًى بخلاف اصول الدين فانها هدًى ابدًا - والهاء في اقْتَدِهْ للوقف تسقط في الدرج و استحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف * [وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهٖ] وما عرفوه حقّ معرفته في الرحمة على عباده و اللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل و الوحيَ اليهم وذلك من اعظم رحمة واجلّ نعمة وَمَآ اَرْسَلْنٰكَ اِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِيْنَ - او ما عرفوه حقّ معرفته في سخطه على الكافرين وشدّة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوّة و القائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تَجْعَلُوْنَهٗ بالتاء وكذلك تُبْدُوْنَهَا وَتُخْفُوْنَ و انما قالوا ذلك مبالغةً في انكار انزال القرآن على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فَاَلْزِموا ما لابدّ لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى و ادرج تحت الالزام توبيخهم و اَنْ نُعِي عليهم سوء حملهم لكتابهم و تحريفهم و ابداءُ بعض واخفاءُ بعض فقيل جاء به موسى وهو نور و هدًى للناس حتى غيّروه وبعّضوه و جعلوه قراطيس مقطّعة و ورقات مفرّقة ليستمكنوا مما راموا من الابداء و الاخفاء - و روي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود و رؤسائهم قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نَشَدتُك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحَبْر السمين فانت الحبر السمين قد سمنتَ من مالك الذي يُطْعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفتَ الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه و جعلوا مكانه كعب بن الاشرف - وقيل القائلون قريش و قد ألزموا انزالَ التوراة انهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى و التوراةَ و كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتب لكنّا اهدى منهم * [وَعُلِّمْتُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُوْٓا اَنْتُمْ وَلَآ اٰبَآؤُكُمْ] الخطاب لليهود اي عُلّمتم على لسان مُحَمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم مما اُوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حَمَلة التوراة و لم يعلمه اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم اِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَقُصُّ عَلٰى بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ اَكْثَرَ الَّذِيْ هُمْ فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ - وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّآ اُنْذِرَ اٰبَآؤُهُمْ [قُلِ اللّٰهُ] اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يذاكروك [ثُمَّ ذَرْهُمْ فِيْ خَوْضِهِمْ] في باطلهم الذي يخوضون فيه و لا عليك بعد الزام الحجّة و يقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعبٌ و [يَلْعَبُوْنَ] حال من ذَرْهُمْ او من خَوْضِهِمْ - ويجوز

بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ۖ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

ان يكون فِي خَوْضِهِمْ حالاً من يَلْعَبُونَ - و ان يكون صلةً له او لذَرْهُمْ - [مُبٰرَكٌ] كثير المنافع و الفوائد [وَلِتُنْذِرَ] معطوف على ما دلّ عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات و تصديق ما تقدمه من الكتب والانذار - وقرئ لِتُنْذِرَ بالتاء و الياء - وسُمِّيت مكّة [أُمَّ الْقُرَىٰ] لانها مكان اول بيت وضع للناس و لانها قبلة اهل القرى كلّها و محجّهم ولانها اعظم شانًا و لبعض المجاورين * شعر * فمن يُلْقِ في بعض القريات رَحْلَه * فَأُمُّ القرى مُلْقى رحالي ومُنْتابي * [وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ] يصدّقون بالعاقبة و يخافونها [يُؤْمِنُونَ] بهذا الكتاب و ذلك ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن و خصّ الصلوة لانها عماد الدين و مَنْ حافظ عليها كانت لطفاً له في المحافظة على اَخَواتها - [افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا] فزعم ان الله بعثه نبيًّا [أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ] و هو مسيلمة الحنفي الكذّاب - او كذّاب صَنْعاء الاسود العنسيّ - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم رأيت فيما يرى النائم كان في يدَيَّ سوارين من ذهب فكبرا عليّ و اهمّاني فاوحى الله الى ان انفخهما فنفختهما فطارا عنّي فاوّلتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذّابُ اليمامة مسيلمةُ و كذّابُ صنعاءَ الاسودُ العنسيُّ [وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ] هو عبد الله بن سعد بن ابي سَرْح القرشي كان يكتب لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فكان اذا املى عليه سَمِيعًا عَلِيمًا كتب هو عَلِيمًا حَكِيمًا و اذا قال عَلِيمًا حَكِيمًا كتب غَفُورًا رَحِيمًا فلمّا نزلت و لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ الى اخر الاية عجب عبدُ الله من تفصيل خلق الانسان فقال فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ فقال عليه السلام اكْتُبْها فكذلك نزلت فشكّ عبد الله و قال لئن كان مُحَمَّد صادقًا لقد أُوحِيَ اليّ كما أُوحِيَ اليه و لئن كان كاذبًا لقد قلتُ كما قال فارتدّ عن الاسلام و لَحِق بمكّة ثم رجع مسلماً قبل فتح مكّة - وقيل هو النضر بن الحارث و المستهزئون - [وَلَوْ تَرَىٰ] جوابه محذوف اي لرأيت امرا عظيما [إِذِ الظَّالِمُونَ] يريد الذين ذكرهم من اليهود و المتنبّئة فيكون اللام للعهد - و يجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله * و [غَمَرَاتِ الْمَوْتِ] شدائده وسكراته و اصلُ الغمرة ما يغمر من الماء واستعيرت للشدة الغالبة [بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ] يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اَخْرِجوها الينا من اجسادكم و هذه عبارة عن العنف في السياق و الالحاح و التشديد في الارهاق من غير تنفيس و امهال و انهم يفعلون بهم فعل الغريم المُلِظّ يبسط يده الى من عليه الحقّ و يعنّف عليه في المطالبة و لا يُمْهله و يقول له اَخْرِج اليّ ما لي عليك الساعةَ و لا اَرِيمُ مكاني حتى انزعه من اَحْداقك - و قيل معناه بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ عليهم بالعذاب [أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ] خَلِّصوها من ايدينا اي لا تقدرون

سورة الانعام ٦ الجزء ٧ ع ١٨

عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى
كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۚ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ
لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ۚ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ

على الحلاص [تُجْزَوْنَ] تجزون بردوا وقت الاماتة و ما يعذبون به من شدة الجزع - و ان يريدوا الوقت الممتد لمتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ و القيمة [وَالْهُونِ] الهوان الشديد و اضافة العذاب اليه كقولك رجلُ سوءٍ تريد العراقة في الهوان و التمكن فيه [عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ] ولا تؤمنون بها [فُرَادَى] منفردين عن اموالكم و اولادكم و ما حوصتم عليه و اثرتموه من دنياكم و عن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم و شركاء الله [كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ] على الهيئة التي وُلدتم عليها في الانفراد [وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ] ما تفضلنا به عليكم في الدنيا شُغلتم به عن الآخرة [وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ] لم ينفعكم و لم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم [فِيكُمْ شُرَكَاءُ] في استبعادكم لانهم حين دعوهم آلهة و عبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم و في استبعادهم - قرئ فُرَادًا بالتنوين - و فُرَادَ مثل ثُلاثَ و فُرَادَى نحو سُكْرَى - فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو - قلت في محل النصب صفة لمصدر جِئْتُمُونَا اي مجيئاً مثل خلقنا لكم - [تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ] رفع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمعَ بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التاويل و من رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قُوتل خلفكم و امامكم - و في قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم * [فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى] بالنبات والشجر - و عن مجاهد اراد الشقين الذين في النواة و الحنطة [يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ] اي الحيوان و النامي من النطف و البيض و الحب و النوى - و مخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان و النامي - فان قلت كيف قال [وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ] بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ - قلت عطفه على فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى لا على الفعل و يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ موقعه موقع الجملة المتلية لقوله فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى لان فلق الحب و النوى بالنبات و الشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا [ذَٰلِكُمُ اللَّهُ] ذاكم المحيي الميت هو الله الذي تحق له الربوبية [فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ] فكيف تُصرفون عنه و عن توليه الى غيره * [الْإِصْبَاحِ] مصدر سُمّي به الصبح - و قرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح و انشد قوله * شعر * افنى رياحا و بَني رياح * تناسُخُ الامساء و الأصباح * بالكسر و الفتح مصدرين و جمع مُسْي و صبح - فان قلت فما معنى فَلْق الصبح و الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال * ع * تَفَرّي ليل عن بياض نهار * قلت فيه وجهان - احدهما ان يراد فالق ظلمة الصباح وهي الغبش في اخر الليل و منقضاه الذي يلي الصبح -

تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ۚ وَمِنَ النَّخْلِ

سورة الانعام ٦
الجزء ٧
ع ١٨

- والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار و اسفاره و قالوا انشق عمود الفجر و انصدع الفجر و سمّوا الفجر فلقاً بمعنى مفلوق قال الطائي * ع * وآزرق الفجر يبدو قبل ابيضه * و قرئ فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَ جَاعِلَ اللَّيْلِ بالنصب على المدح - و قرأ النخعي فَلَقَ الْإِصْبَاحَ وَجَعَلَ اللَّيْلَ - [السكن] ما يسكن اليه الرجل و يطمئن استيناساً به و استراحاً اليه من زوج او حبيب و منه قيل للنار سكنٌ لانه يستانس بها الا تراهم سمّوها المونسة و الليلُ يطمئنّ اليه التَعِبُ بالنهار لاستراحته فيه و جمامه - و يجوز ان يراد و جعل اللَّيْل مسكونًا فيه من قوله لِتَسْكُنُوا فِيهِ - [وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ] قُرِئَا بالحركات الثلاث - فالنصب على اضمار فعل دلّ عليه جَاعِلُ اللَّيْلِ اي و جعل الشمس و القمر حُسباناً او بعطفان على محل اللَّيْل - فان قلت كيف يكون لِلَّيْل محلّ و الاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضافَ اليه في معنى المُضيّ و لا تقول زيدٌ ضاربُ عمروٍ امس - قلت ما هو في معنى المُضيّ و انما هو دالّ على جعل مستمرّ في الازمنة المختلفة وكذلك فَلِقُ الْحَبِّ وَفَالِقُ الْإِصْبَاحِ كما تقول اللّٰهُ قادرٌ عالمٌ فلا تقصد زماناً دون زمان - و الجرّ عطف على لفظ اللَّيْلِ - و الرفع على الابتداء و الخبرُ محذوف تقديره و الشمس و القمر مجعولان حُسباناً او محسوبان حُسباناً - ومعنى جعل الشمس والقمر حُسْبَانًا جعلهما عَلَمَيْ حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما - و [الْحُسْبَانُ] بالضم مصدر حَسَبَ كما ان الحِسْبان بالكسر مصدر حَسِبَ ونظيره الكُفْران و الشُكْران - [ذٰلِكَ] اشارة الى جعلهما حسباناً اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم [تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ] الذي قهرهما و سخّرهما [الْعَلِيمِ] بتدبيرهما وتدويرهما [فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] في ظلمات الليل بالبر و البحر و اضافها اليهما لملابستها لهما - او شبّه مشتبهات الطُرُق بالظلمات * مَن فتح قاف المُسْتَقَر كان المُسْتَوْدَع اسم مكان منه او مصدراً - و مَن كسرها كان اسم فاعل و المُسْتَوْدَع اسم مفعول - و المعنى فلكم مستقرّ في الرحم و مستودع في الصُلب - او مستقرّ فوق الارض و مستودع تحتها - او فمنكم مستقرّ و منكم مستودع - فان قلت لم قيل يَعْلَمُونَ مع ذكر النجوم و يَفْقَهُونَ مع ذكر انشاء بني آدم - قلت كان انشاء الانس من نفس و احدة و تصريفهم بين احوال مختلفة الطفٌ و ادقّ صنعةً وتدبيراً فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة و تدقيق نظر مطابقاً له [فَأَخْرَجْنَا بِهِ] بالماء [نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ] نبتَ كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد و هو الماء و المسبّبات صنوفٌ مُفْتَنّة كما قال الله تعالى يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ [فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ] من النبات [خَضِرًا] شيأ غضًّا اخضر يقال اَخْضَرُ و خَضِرٌ كاعور وعَوِر وهو ما تشعّبَ من اصل النبات الخارج من الحبّة [نُخْرِجُ مِنْهُ] من الخضر [حَبًّا مُتَرَاكِبًا] و هو

مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنّٰتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي
ذٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ ع

السنبل - و [قِنْوَانٌ] رفع بالابتداء و مِنَ النَّخْلِ خبره و مِنْ طَلْعِهَا بدل منه كانه قيل وحاصلةٌ من طلع النخل قنوانٌ - و يجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اَخْرَجْنَا عليه تقديره و مُخْرجة من طلع النخل قنوانٌ - و من قرأ يَخْرُجُ مِنْهُ حَبٌّ مُتَرَاكِبٌ كان قِنْوَانٌ عنده معطوفا على حَبٌّ - و القنوانُ جمع قِنْوٍ نظيره صِنْوٌ و صِنْوَانٌ - و قرئ بضم القاف و بفتحها على انه اسم جمع كَرَكْبٍ لان فُعْلَانٌ ليس من زنات التكسير [دَانِيَةٌ] سَهلة المجتنى مُعَرَّضة للقاطف كالشيء الدانى القريب المتناول و لان النخلة و ان كانت صغيرة يَدَانُها القاعدُ فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطولَ - و قال الحسن دَانِيَةٌ قريبٌ بعضها من بعض - و قيل ذَكَر القريبةَ و تَرَكَ ذكرَ البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دَلّ بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ - و قوله [وَّ جَنّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ] فيه وجهان - احدهما ان يراد و ثَمّ جنّات من اعناب اي مع النخل - و الثاني ان تعطف على قِنْوَانٌ على معنى و حاصلةٌ او و مخرجةٌ من النخل قِنْوَانٌ و جَنّٰتٌ مِنْ أَعْنَابٍ اي من نبات اعناب - و قرئ جَنّٰتٍ بالنصب عطفا على نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ اي واخرجنا به جنات من اعناب و كذلك قوله [وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ] و الاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله وَالْمُقِيمِينَ الصَّلٰوةَ افضل هذين الصنفين [مُشْتَبِهًا وَّ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ] يقال اشتبه الشيآن و تشابها كقولك استويا و تساويا و الافتعال و التفاعل يشتركان كثيرا - و قرئ مُتَشَابِهًا وَّغَيْرَ مُتَشَابِهٍ و تقديره و الزيتونَ متشابهًا و غير متشابه و الرمّان كذلك كقوله كذت منه و والدي بريًا - و المعنى بعضه متشابهٌ و بعضه غير متشابه في القدر و اللون و الطّعم و ذلك دليل على التعمّد دون الاهمال [انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ] اذا اَخْرج ثمره كيف يُخْرجه ضئيلا ضعيفا لايكاد ينتفع به - و انظروا الى حال [يَنْعِهِ] و نضجه كيف يعود شيأ جامعا لمنافع و ملاذّ نظر اعتبار و استبصار و استدلال على قدرة مقدّره و مدبّره و ناقله من حال الى حال - و قرئ وَ يُنْعِهِ بالضم يقال يَنَعَتِ الثمرة يَنْعًا و يُنْعًا - و قرأ ابن مُحَيْصن وَيَانِعِهِ - و قرئ ثُمُرِهِ ۔ ان جعلتَ [لِلّٰهِ شُرَكَاءَ] مفعولَيْ جَعَلُوا نصبتَ [الْجِنَّ] بدلًا من شُرَكَاءَ - و ان جعلت لِلّٰهِ لغوا كان شُرَكَاءَ الْجِنَّ مفعولين قُدّم ثانيهما على الاول - فان قلت ما فائدة التقديم - قلت فائدته استعظام ان يتّخذ لله شريكٌ مَنْ كان ملكًا او جنيًّا او انسيًّا او غير ذلك و لذلك قُدّم اسم الله تعالى على الشركاء - و قرئ الْجِنُّ بالرفع كانه قيل مَن هم فقيل الْجِنُّ - و بالجرّ على الاضافة التي للتبيين - و المعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله - و قيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير و كل نافع و ابليسَ خالق الشرّ و كل ضارّ - [وَخَلَقَهُمْ] و خلق الجاعلين لله شركاءَ و معناه و علموا ان الله خالقهم دون الجنّ و لم يمنعهم علمُهم ان يتّخذوا من لا يخلق شريكًا الخالق و قيل الضمير للجنّ - و قرئ وَخَلْقَهُمْ اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا له خَلْقَهُمْ حين نسبوا قبائحهم الى الله

بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ط اَنّٰى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَّلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةٌ ط وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ج وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ ج لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ج خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ج وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَّكِيلٌ ۝ لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ ز وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ ج

في قولهم وَاللّٰهُ اَمَرَنَا بِهَا [وَخَرَقُوا لَهُ] و خلقوا له اي افتعلوا له [بَنِيْنَ وَبَنٰتٍ] و هو قولُ اهل الكتابين في المسيح و عزير وقولُ قريش في الملائكة يقال خلقَ الافكَ وخرقَه واختلقَهُ واخترقه بمعنى - و سُئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كانَ الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها و اللّٰه - و يجوز ان يكون من خَرَقَ الثوب اذا شقّه اي اشتقّوا له بَنِيْنَ وَبَنٰتٍ - و قرئ وَ خَرَّقُوْا بالتشديد للتكثير لقوله بَنِيْنَ وَبَنٰتٍ - و قرأ ابن عمر و ابن عبّاس و حَرَّفُوْا لَهُ بمعنى و زَوَّرُوْا له اولادًا لان المزوّر محرّف مُغيّر للحق الى الباطل [بِغَيْرِ عِلْمٍ] من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ او صواب ولكن رميًا بقولٍ عن عمي و جهالة من غير فكرو رَوِيّة * [بَدِيْعُ السَّمٰوٰتِ] من اضافة الصفة المشبّهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديعٌ شعره - او هو بديع في السموات و الارض كقولك فلان ثَبْتُ الغدر اي ثابت فيه - و المعنى انه عديم النظير و المثل فيها - و قيل البديع بمعنى المُبْدِع - و ارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ و خبره اَنّٰى يَكُوْنُ لَهُ وَلَدٌ او فاعل تَعٰلٰى - و قرئ بالجرّ ردًّا على قوله وَجَعَلُوْا لِلّٰهِ او على سُبْحٰنَهُ - و بالنصب على المدح - و فيه ابطال الولد من ثلثة اوجه - احدها ان مُبْتَدِع السموات و الارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام و مخترع الاجسام لا يكون جسمًا حتى يكون والدًا - و الثاني ان الولادة لا تكون الّا بين زوجين من جنس واحد و هو متعالٍ عن مجانسٍ فلم يصحّ ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة - و الثالث انه ما من شيء الّا و هو خالقه و العالم به و مَنْ كان بهذه الصفة كان غنيًّا عن كل شيء و الولد انما يطلبه المحتاج - و قرئ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةٌ بالياء و انما جاز للفصل كقوله * ع * لقد وَلَدَ الْاَخْيَطِلَ اُمُّ سُوْءٍ * [ذٰلِكُمْ] اشارة الى الموصوف بما تقدّم من الصفات و هو مبتدأ و ما بعده اَخْبار مترادفة و هي [اللّٰهُ رَبُّكُمْ - لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ - خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] اي ذلكم الجامع لهذه الصفات [فَاعْبُدُوْهُ] مسبَّب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعتْ له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه و لا تعبدوا مَنْ دونه مِنْ بعض خلقه ثم قال [وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَّكِيْلٌ] يعني هو مع تلك الصفات مالكٌ لكلّ شيء من الأرزاق و الآجال رقيب على الاعمال * البصر هو الجوهر اللطيف الذي رَكّبه الله تعالى في حاسّة النظر به تدرك المبصَرات - فالمعنى ان الأبصار لا تتعلق به [وَلَا تُدْرِكُهُ] لانه متعالٍ ان يكون مُبْصَرًا في ذاته لان الأبصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلًا او تابعًا لذي الجسم و الهيأت [وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ] و هو لطف ادراكه للمدركات يُدرك تلك الجواهرَ اللطيفةَ التي لا يُدركها مدرك [وَهُوَ اللَّطِيْفُ] يلطف عن ان تدركه الابصار [الْخَبِيْرُ] بكل لطيف فهو يُدرك الابصار لالطف من ادراكه و هذا من باب اللفّ [قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَّبِّكُمْ] هو وارد على لسان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم اقوله

وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِحَفِيظٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ ۝ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ

وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ - و البصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر [فَمَنْ أَبْصَرَ] الحق و آمن [فَلِنَفْسِهِ] ابصر و اياها نفع [وَمَنْ عَمِيَ] عنه فعلى نفسه عمي و اياها ضر بالعمى [وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ] احفظ اعمالكم و أجازيكم عليها انما انا منذر و اللّٰهُ هو الحفيظ عليكم - [وَلِيَقُولُوا] جوابه محذوف تقديره وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ نُصَرِّفها و معنى [دَرَسْتَ] قرأتَ و تعلّمتَ - و قرئ دَارَسْتَ اي دارستَ العلماءَ - و دَرَسَتْ بمعنى قَدُمَتْ هذه الايات و عفتْ كما قالوا اَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - وَدُرِسَتْ بضم الراء مبالغةً في دَرَسَتْ اي اشتدّ دروسها - و دُرِسَتْ على البناء للمفعول بمعنى قُرِئَتْ او عُفِيَتْ - وَدَارَسَتْ و فسّروها بدارست اليهود مُحَمَّداً صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم و جاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم - و يجوز ان يكون الفعل للايات و هو لاهلها اي دَارَسَ اهلُ الايات وَحَمَلَتْها مُحَمَّدا و هم اهل الكتاب - و دَرَسَ اي درس مُحَمَّد - و دَارِسَاتٌ على هي دَارِسَاتٌ اي قديمات او ذات درس كعِيشَةٍ رَاضِيَةٍ - فان قلت اي فرق بين اللامين في لِيَقُولُوا و لِنُبَيِّنَهُ - قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز و الثانية حقيقة و ذلك ان الايات صُرِّفت للتبيين و لم تصرّف ليقولوا دارستَ ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الايات كما حصل التبيين شُبِّه به فسيق مساقَهُ - و قيل لِيَقُولُوا كما قيل لِنُبَيِّنَهُ - فان قلت الامَ يرجع الضمير في قوله وَلِنُبَيِّنَهُ - قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل و كذلك نُصَرِّف القرآن - او الى القرآن و ان لم يجر له ذكر لكونه معلوما - او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل لقولهم ضربتُهُ زيدا - و يجوز ان يراد فيمن قرأ دَرَسْتَ و دَارَسْتَ درستَ الكتاب و دارستَه فيرجع الى الكتاب المفهوم - [لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] اعتراض اكّد به ايجاب اتباع الوحي لا محلّ له من الاعراب - و يجوز ان يكون حالا مِنْ رَبِّكَ و هي حال موكدة كقوله وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا [وَلَا تَسُبُّوا] الآية [الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَيَسُبُّوا اللّٰهَ] وذلك انهم قالوا عند نزول قوله إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ لَتُنْتَهِيَنَّ عن سبّ آلهتنا او لنهجونّ إلهك - وقيل كان المسلمون يسبّون اصنامهم فنهوا لئلا يكون سبّهم سببا لسبّ الله - فان قلت سبّ الآلهة حقّ وطاعة فكيف صحّ النهي عنه و انما يصحّ النهي عن المعاصي - قلت رُبَّ طاعة عُلم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر و من اجلّ الطاعات فاذا عُلم انه يودّي الى زيادة الشرّ انقلب معصيةً ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر - فان قلت فقد روي عن الحسن

رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۖ قُلْ
إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا
بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ ع وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ

و ابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساءً فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لأسرع ذلك في ديننا - قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن لحضورنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سبّ الآلهة و انما خُيّل الى محمد رحمة الله عليه انه مثله حتى نبّه عليه الحسن [عَدْوًا] ظلمًا و عدوانًا - و قرئ عُدُوًّا بضم العين و تشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عَدْوًا و عُدُوًّا و عُدْوانًا و عِدَاءً - و عن ابن كثير عَدُوًّا بفتح العين بمعنى اعداءً [بِغَيْرِ عِلْمٍ] على جهالة بالله و بما يجب ان يذكر به [كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ] مثل ذلك التزيين زيّنا لكل امّة من امم الكفار سوءَ [عملهم] اي خلّيناهم و شانهم و لم نكفّهم حتى حسن عندهم سوء عملهم - او امهلنا الشيطان حتى زيّن لهم - او زيّناه في زعمهم و قولهم ان الله امرنا بهذا و زيّنه لنا [فَيُنَبِّئُهُمْ] فيوبّخهم عليه و يعاتبهم و يعاقبهم [لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ] من مقترحاتهم * [لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ] و هو قادر عليها و لكنه لا يُنزلها الا على موجب الحكمة - او انما الايات عند الله لا عندي فكيف أُجيبكم اليها و أتيكم بها [وَمَا يُشْعِرُكُمْ] و ما يدريكم [أَنَّهَا] ان الأية التي يقترحونها [إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ] بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها و انتم لا تدرون بذلك و ذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الأية و يتمنّون مجيئها فقال عزّوجلّ و ما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله [كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ] - و قيل انّهم بمعنى لعلّهم من قول العرب ايْتِ السوقَ أنّكَ تشتري لحمًا قال امرؤ القيس * شعر * عُوجوا على الطلل المحيل لأنّنا * نبكي الديارَ كما بكى ابنُ خِذام * و يُقويها قراءة أُبيّ لَعَلَّهَا إِذَا جَاءَتْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ - و قرئ إِنَّهَا بالكسر على ان الكلام قد تمّ قبله بمعنى و ما يُشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ القبةَ و منهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح - و قرئ وَمَا يُشْعِرُهُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها و ما يشعرهم ان تكون قلوبهم حذائد كما كانت عند نزول القرآن و غيره من الايات مطبوعًا عليها فلا يؤمنون بها [وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ - وَنَذَرُهُمْ] عطف على لَا يُؤْمِنُونَ داخل في حكم وَمَا يُشْعِرُكُمْ بمعنى و ما يشعركم انهم لا يُؤْمِنُونَ و ما يشعركم انا نقلب افئدتهم و ابصارهم اي نطبع على قلوبهم و ابصارهم فلا يفقهون و لا يُبصرون الحق كما كانوا عند نزول اياتنا اوّلا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعًا على قلوبهم - وَ ما يشعركم انّا [نَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ] اي لتخليهم و شانهم لا نكفّهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه - و قرئ وَيُقَلِّبُ - وَيَذَرُهُمْ اي الله عزّ و جلّ - و قرأ الاعمش وَتُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ على البناء

سورة الانعام ٦ فَبْلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوٓا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ
جزء ٨ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ
ع ١ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۝ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُمْتَرِينَ ۝ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن

للمفعول [وَلَوْ اَنَّنَا نَزَّلْنَا اِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ] كما قالوا لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ [وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتٰى] كما قالوا فَاْتُوْا بِاٰبَآئِنَا [وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا] كما قالوا اَوْ تَاْتِيَ بِاللّٰهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ قَبِيْلًا قُبُلًا كُفَلَاءَ بصحة ما بشرنابه وانذرنا اوجماعات - وقيل قُبُلًا مقابلة - وقرئ قِبَلًا اي عيانًا [اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ اللّٰهُ] مشيئة اكراه و اضطرار [وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُوْنَ] فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الايات - او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الّا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الاية المقترحة - [وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا] وكما حلنا بينك و بين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر و كثرة الثواب و الاجر . وانتصب [شَيٰطِيْنَ] على البدل من عَدُوًّا - او على انهما مفعولان كقوله وَجَعَلُوْا لِلّٰهِ شُرَكَآءَ الْجِنَّ [يُوْحِيْ بَعْضُهُمْ اِلٰى بَعْضٍ] يُوَسوس شياطينُ الجنّ الى شياطين الانس و كذلك بعض الجنّ الى بعض و بعض الانس الى بعض - وعن مالك بن دينار ان شياطين الانس اشدّ عليّ من شياطين الجنّ لاني اذا تعوّذتُ بالله ذهب شيطان الجنّ عنّي و شيطان الانس يجيئني فيجرّني الى المعاصي عيانًا [زُخْرُفَ الْقَوْلِ] ما يزيّنه من القول و الوسوسة و الاغراء على المعاصي و يموّهه غُرُوْرًا [خدعًا واخذًا على غرّة - وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوْهُ] ما فعلوا ذلك اي ما عادوك اوما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يفهم ولا يخلّيهم وشانهم - [وَلِتَصْغٰٓى] جوابه محذوف تقديره و ليكون ذلك جعلنا لكل نبيّ عدوًّا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقه ما ذكر - والضمير في اِلَيْهِ يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فَعَلُوْهُ اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة لشياطين افئدةُ الكفّار [وَلِيَرْضَوْهُ] لانفسهم [وَلِيَقْتَرِفُوْا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُوْنَ] من الاثام - [اَفَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْتَغِيْ حَكَمًا] على ارادة القول اي قُلْ يا مُحَمَّد افغيرَ الله اطلب حاكمًا يحكم بيني وبينكم ويفصل المُحقّ منّا من المُبطل [وَهُوَ الَّذِيْ نَزَّلَ اِلَيْكُمُ الْكِتٰبَ] المعجزَ [مُفَصَّلًا] مبيّنًا فيه الفصل بين الحق و الباطل و الشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضده بالدلالة على ان القرآن حقّ بعلم اهل الكتاب ذا حق تصديقه ما عندهم و موافقته له [فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ] من باب التهييج و الاهاب كقوله وَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ اوفَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يَرِيْبك جحود اكثرهم وكفرهم به - ويجوز ان يكون وَلَا تَكُوْنَنَّ خطابًا لكل احد على معنى انه اذا تمت الادلة على صحته و صدقه فما ينبغي ان يمترى فيه احد - وقيل الخطاب لرسول الله ﷺ

فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ
عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا لَكُمْ
أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ
بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ۝ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا
كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ۝ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ
لِيُجَادِلُوكُمْ ۚ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ

اللّٰه عليه واله وسلم خطاب لأمّته * وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ اي تمّ كل ما اخبر به وأمر و نهى و وعد و وعد [صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] لا احد يبدّل شيئاً من ذلك بما هو اصدق و اعدل - وصِدْقًا وعَدْلًا نصب على الحال - و قرئ [كَلِمَتُ رَبِّكَ] اي ما تكلّم به - وقيل هي القرآن - [وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ] الناس اضلّوك لان الاكثر في غالب الامر يتّبعون اهواءهم ثم قال [إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ] و هو ظنّهم ان اباءهم كانوا على الحقّ فهم يقلّدونهم [وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ] يقدّرون انهم على شيء - او يكذبون في ان الله حرّم كذا واحلّ كذا - و قرئ مَنْ يُضِلُّ بضم الياء اي يُضلّه الله * فَكُلُوا مسبب عن انكار اتّباع المضلّين الذين يُحلّون الحرام ويُحرّمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل اللّٰهُ احقّ ان تأكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان [فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ] خاصّة دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتهم او مات حتف انفه و مَا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ وهو المذكّى ببسم الله - [وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا] و اي غرض لكم في ان لا تاكلوا فَقَدْ فُصِّلَ لَكُمْ و قد بيّن لكم مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ مما لم يحرم وهو قوله حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ - و قرئ [فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ] على تسمية الفاعل وهو الله عزّ وجلّ [إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ] مما حرّم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة [وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ] قرئ بفتح الياء و ضمها اي يُضلّون فيحرّمون و يحلّلون باهوائهم و شهواتهم من غير تعلّق بشريعة [ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ] ما اعلنتم منه و ما اسررتم - وقيل ما عملتم و ما نويتم - و قيل ظاهره الزنا في الحوانيت و باطنه الصديقة في السرّ - [وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ] الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني و انّ الاكل منه لفسق - او الى الموصول على ان اكله لفسق - او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقاً - فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه نسيان او عمد - قلت قد تأوّله هؤلاء بالميتة و بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ بِهِ - لَيُوحُونَ [يوسوسون [إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ] من المشركين [لِيُجَادِلُوكُمْ] بقولهم و لا تاكلون مما قتله الله و بهذا يرجّح تاويل من تأوّله بالميتة - [إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ] لان من اتّبع غير الله في دينه فقد اشرك به - و من حقّ ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم و ان كان ابو حنيفة مرخّصاً في النسيان دون العمد - و مالك

كَمَنْ مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ؕ كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكٰفِرِيْنَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ۝ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِيْ كُلِّ
قَرْيَةٍ اَكٰبِرَ مُجْرِمِيْهَا لِيَمْكُرُوْا فِيْهَا ؕ وَمَا يَمْكُرُوْنَ اِلَّا بِاَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُوْنَ ۝ وَاِذَا جَآءَتْهُمْ اٰيَةٌ قَالُوْا لَنْ نُّؤْمِنَ
حَتّٰى نُؤْتٰى مِثْلَ مَآ اُوْتِيَ رُسُلُ اللّٰهِ ؕ اَللّٰهُ اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسٰلَتَهٗ ؕ سَيُصِيْبُ الَّذِيْنَ اَجْرَمُوْا صَغَارٌ عِنْدَ
اللّٰهِ وَعَذَابٌ شَدِيْدٌ بِمَا كَانُوْا يَمْكُرُوْنَ ۝ فَمَنْ يُّرِدِ اللّٰهُ اَنْ يَّهْدِيَهٗ يَشْرَحْ صَدْرَهٗ لِلْاِسْلَامِ ۚ وَمَنْ يُّرِدْ اَنْ يُّضِلَّهٗ يَجْعَلْ
صَدْرَهٗ ضَيِّقًا حَرَجًا كَاَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ ؕ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۝ وَهٰذَا

والشافعي فيهما « مَثَل الذي هداه الله بعد الضلالة و مَنَحه التوفيق لليقين الذي يُميّز به بين المُحق و المُبطل والمهتدي و الضالّ ممن كان ميتًا فاحياه الله وجعل [لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ] مستضيئاً به مميّز بعضهم من بعض و يَفْصل بين حُلاهم و من بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلّص - و معنى قوله [كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا] كَمَنْ صفته هذه وهي قولهُ فِي الظُّلُمٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ فِيْهَا اَنْهٰرٌ اي صفتها هذه و هي قوله فِيْهَا اَنْهٰرٌ [زُيِّنَ لِلْكٰفِرِيْنَ] اي زيّنه الشيطان او الله عزّوجلّ على قوله زَيَّنَّا لَهُمْ اَعْمَالَهُمْ و يدلّ عليه قوله [وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِيْ كُلِّ قَرْيَةٍ اَكٰبِرَ مُجْرِمِيْهَا] يعني وكما جعلنا في مكّة صناديدها [لِيَمْكُرُوْا فِيْهَا] كَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِيْ كُلِّ قَرْيَةٍ اَكٰبِرَ مُجْرِمِيْهَا لذلك و معناه خلّيناهم ليمكروا و ما كففناهم عن المكر وخصّ الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال و الماكرون بالناس كقوله اَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا - و قرئ اَكٰبِرَ مُجْرِمِيْهَا على قولك هم اكبر قومهم و اكابر قومهم [وَمَا يَمْكُرُوْنَ اِلَّا بِاَنْفُسِهِمْ] لان مكرهم يَحيق بهم و هذا تسلية لرسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم و تقديم موعد بالنصرة عليهم - روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوّة حقًّا لكنتُ اولى بها منك لاني اكبر منك سنًّا واكثر منك مالاً - وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسَيْ رهان قالوا منّا نبيّ يوحى اليه و الله لا نرضى به ولا نتّبعه ابدًا الّا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت ونحوها قوله بَلْ يُرِيْدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ اَنْ يُّؤْتٰى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً - [اَللّٰهُ اَعْلَمُ] كلام مستانف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوّة الّا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم [سَيُصِيْبُ الَّذِيْنَ اَجْرَمُوْا] من اكابرها [صَغَارٌ] وَمَذَلَّةٌ بعد كبرهم و عظمهم [وَعَذَابٌ شَدِيْدٌ] في الدارين من الاسر و القتل و عذاب النار [فَمَنْ يُّرِدِ اللّٰهُ اَنْ يَّهْدِيَهٗ] ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الّا بمن له لطف [يَشْرَحْ صَدْرَهٗ لِلْاِسْلَامِ] يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحبّ الدخول فيه - وَمَنْ يُّرِدْ اَنْ يُّضِلَّهٗ] ان يخذله ويخلّيه وشانه وهو الذي لا لطف له [يَجْعَلْ صَدْرَهٗ ضَيِّقًا حَرَجًا يمنعه الطافه حتى يتسوّ قلبه وينبو عن قبول الحق و يفسد فلا يدخله الايمان - وقرئ ضَيِّقًا بالتخفيف و التشديد حَرِجًا بالكسر - و حَرَجًا بالفتح وصفًا بالمصدر - كَاَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ كانما يُزاول امرًا غير ممكن لان صعود السماء مثلٌ فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة - و قرئ [يَصَّعَّدُ] واصله

صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ سورة الانعام ٦
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ۚ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۚ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا الجزء ٨
بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۖ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ ع ٢

بتصعّدُ - و قرأ عبد الله يَتَصَعَّدُ - و يَصَّاعَدُ واصله يتصاعد - و يَصْعَدُ من صَعِدَ - و يُصْعِدُ من أَصْعد [يَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ] يعني الخذلان و منعَ التوفيق وَصَفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطِيب - او اراد الفعل المؤدي الى الرجس و هوالعذاب من الارتجاس و هو الاضطراب [وَهٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ] و هذا طريقه الذي اقتضته الحكمة و عادتُه في التوفيق و الخذلان [مُسْتَقِيمًا] عادلاً مُطَّرِدًا و انتصابه على انه حال موكدة كقوله وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا * [لَهُمْ] لقوم يذكرون [دَارُ السَّلَامِ] دارالله يعني الجنةَ اضافها الى نفسه تعظيمًا لها - او دارالسلامة من كل آفة و كدر [عِنْدَ رَبِّهِمْ] في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا يُنْسى - اوذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ [وَهُوَ وَلِيُّهُمْ] مواليهم و محبّهم - او ناصرهم على اعدائهم [بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] بسبب اعمالهم - او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون - [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ] منصوب بمحذوف اي واذكُرْ يوم نحشرهم - او ويوم نحشرهم قلنا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ - اويوم نحشرهم وقلنا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ كان ما لا يوصف لفظاعته - و الضميرُ لمن يحشر من الثقلين و غيرهم - و الجنّ هم الشياطين [قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ] اضللتم منهم كثيرًا و جعلتموهم اتْباعكم فَحُشر معكم منهم الجمّ الغفير كما تقول استكثر الاميرُ من الجنود و استكثر فلان من الاشياع [وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ] الذين اطاعوهم و استمعوا الى و سوستهم [رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ] اي انتفع الانسُ بالشياطين حيث دلّوهم على الشهوات و على اسباب التوصُّل اليها و انتفع الجنُّ بالانس حيث اطاعوهم و ساعدوهم على مرادهم و شهوتهم في اغوائهم - و قيل استمتاع الانس بالجنّ ما في قوله وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ و ان الرجل كان اذا نزل وادياً وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبيرَ الجنّ - و استمتاع الجنّ بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يَقْدرون على الدفع عنهم و اجارتهم لهم [وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا] يعنون يوم البعث و هذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين و اتّباع الهوى و التكذيب بالبعث و استسلام لربّهم و تحسُّر على حالهم * [خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ] اي تُخلدون في عذاب النار ابدَ كلّه - إِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ الا الاوقات التي تُنْقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير - فقد روي انهم يدخلون وادياً فيه من الزمهرير ما يُميّز بعضَ أوصالهم من بعض فيتعاوَوْن و يطلبون الردّ الى الجحيم - او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره و لم يزل يَحْرُق عليه انيابه و قد طلب اليه ان ينفّس عن خناقه اهلكني الله ان نفّستُ عنك الّا اذا شئتُ و قد علم انه لا يشاء الّا التشفّيَ منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف و التشديد فيكون قوله الّا اذا شئتُ من اشدّ الوعيد مع تهكّم بالموتور لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع [إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ] لا يفعل

سورة الانعام ٦ وَكَذٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ ع يٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ
الجزء ٨ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
ع ٣ أَنَّهُمْ كَانُوا كٰفِرِينَ ۝ ذٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرٰى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غٰفِلُونَ ۝ وَلِكُلٍّ دَرَجٰتٌ مِمَّا عَمِلُوا ۚ
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا

شيأ الا بموجب الحكمة [عَلِيمٌ] بان الكفار يستوجبون عذاب الابد - [نُوَلِّي بَعْضَ الظّٰلِمِينَ بَعْضًا] نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين و عُواة الانس - او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة و قرناءهم كما كانوا فى الدنيا [بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال لهم يوم القيمة على جهة التوبيخ • [أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ] و اختلف في ان الجن هل بُعث اليهم رُسُل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية و لم يفرق بين مكلفين و مكلفين ان يُبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف - وقال آخرون الرُسُل من الانس خاصة و انما قيل رُسُلٌ مِنْكُمْ لانه لما جُمع الثقلان فى الخطاب صح ذلك و ان كان من احدهما كقوله يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ - وقيل اراد رُسُل الرُّسُل من الجن اليهم كقوله وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ - وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يُبعث مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم يُبعثون الى الانس ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الجن والانس [قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا] حكاية لتصديقهم و اجابتهم قوله أَلَمْ يَأْتِكُمْ لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم - قولهم [شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا] اقرار منهم بان حُجّة الله لازمة لهم و انهم محجوجون بها. فان قلت ما لهم مُقرين في هذه الآية جاحدين في قوله تعالى وَاللّٰهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ - قلت تتفاوت الاحوال و المواطن في ذلك اليوم المتطاول فيُقرّون في بعضها ويجحدون فى البعض - او أُريد شهادة ايديهم و ارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم - فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم - قلت الأُولى حكاية لقولهم كيف يقولون و يعتذرون - والثانية ذمٌّ لهم وتخطية لرأيهم ووصفٌ لقلة نظرهم لانفسهم و انهم قوم غرّتهم الحيوة الدنيا و اللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطُرّوا الى الشهادة على انفسهم بالكفر و الاستسلام لربهم و استيجاب عذابه و انما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم • [ذٰلِكَ] اشارة الى ما تقدّم من بعثة الرسل اليهم و انذارهم سوءَ العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك و [أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرٰى] تعليل لي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان أَنْ هي التي تنصب الافعال - و يجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشان و الحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم - و لك ان تجعله بدلا من ذٰلِكَ لقوله وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ [بِظُلْمٍ] بسبب ظلم قدموا عليه - او ظالما على انه و اهلكهم وهم [غٰفِلُونَ] لم يُذَبّهوا برسول و كتاب لكان ظلما وهو متعالٍ عن الظلم وعن كل قبيح - [وَلِكُلٍّ] من المكلفين [دَرَجٰتٌ] منازل [مِمَّا عَمِلُوا] من جزاء اعمالهم [وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ] بساه عنه تخفى عليه مقاديره و احواله و ما يُستحق عليه من الاجر

سورة الانعام ٦ — الحجر ١٥ — ع ٢

أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ۝ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۙ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي
عَامِلٌ ۚ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۙ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ
وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ
يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ

---

١ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ] عن عباده و عن عبادتهم [ذُو الرَّحْمَةِ] يترحّم عليهم بالتكليف ليُعرّضهم للمنافع الدائمة [إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ] ايّها العصاة [وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ] من الخلق المطيع [كَمَا أَنشَأَكُم
مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ] من اولاد قوم أُخرين لم يكونوا على مثل صفتكم و هم اهل سفينة نوح عليه السلام *
المكانة تكون مصدرا يقال مَكُن مكانة اذا تمكّن ابلغ التمكّن و بمعنى المكان يقال مكان و مكانة و مقام
و مقامة - وقوله [اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ] يحتمل اعْمَلُوا عَلَىٰ تمكّنكم من امركم و اقصى استطاعتكم
و امكانكم و اعملوا على جهتكم و حالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا أُمر ان يثبت على حاله
على مكانتك يا فلان اي اثبتْ على ما انت عليه لا تنحرف عنه [إِنِّي عَامِلٌ] اي عامل على
مكانتي التي انا عليها - و المعنى اثبتوا على كفركم و عداوتكم لي وانّي ثابت على الاسلام و على
مصابرتكم [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] أيُّنا تكون له العاقبة المحمودة و طريقة هذا الامر طريقة قوله اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
و هي التحاية و التسجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشرّ فكانه مامور به و هو واجب عليه حتّم
ليس له ان يتفصّى عنه و يعمل بخلافه - فان قلت ما موضع مَنْ - قلت الرفع اذا كان بمعنى اي وعُلّق
عنه فعل العلم - او النصب اذا كان بمعنى الذي [وَعَاقِبَةُ الدَّارِ] العاقبة الحسنى التي خلق الله
هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف لمسلك فيه انصاف في المقال و ادبٌ حسنٌ مع تضمّن شدة الوعيد
و الوثوق بان المنذِر مُحِقّ و ان المنذَر مبطل * كانوا يعيّنون اشياء من حرث و نتاج لله و اشياء منهما لأُلهتهم
فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا نامياً يزيد في نفسه خيراً رجعوا فجعلوه للألهة و اذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها
و اعتلّوا بان الله غنيٌّ و انما ذلك لحُبّهم لألهتهم و ايثارهم لها - وقوله [مِمَّا ذَرَأَ] فيه ان الله كان اولى بان
يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه و زكّاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء و لا تزكية بزعمهم - وقرئ بالضم
اى قد زعموا انه لله و الله امرهم بذلك و لا شرع لهم تلك القسمة التي هي من السرك لانهم اشركوا بين
الله و بين اصنامهم في القربة [فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ] اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من
قِرى الضيفان و التصدّق على المساكين [فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ] من انفاق عليها بذبح نسائكَ عندها
و الاجراء على سَدَنتها و نحو ذلك [سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] في ايثار ألهتهم على الله و عملهم على مالم يشرع
لهم [وَكَذَٰلِكَ] و مثل ذلك التزيين و هو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله و الألهة - او و مثل
ذلك التزيين البليغ الذي عُلم من الشياطين - و المعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سَدَنة الاصنام

وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

يَئِدوا لهم فقتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة - وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن وُلد له كذا غلاما ليذبحن احدهم كما حلف عبد المطلب - و قرئ [زَيَّنَ] على البناء للفاعل الذي هو شُرَكَاؤُهُمْ و نصب قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ - و زُيِّنَ على البناء للمفعول الذي هو القتل و رفع شُرَكَاؤُهُمْ باضمار فعل دلّ عليه زُيِّنَ كانه قيل لما قتل زُيِّنَ لَهُمْ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ مَن زيّنه فقيل زيّنه لهم شركاؤهم - و اما قراءة ابن عامر قَتْلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ برفع القتل ونصب الاولاد و جرّ الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء و الفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات و هو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج وردّ *ع * زَجَّ القلوصَ ابي مزادة * فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه و جزالته و الذي حمله على ذلك انّه رأى في بعض المصاحف شُرَكَائِهِمْ مكتوبا بالياء و لو قرأ بجرّ الاولاد و الشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب [لِيُرْدُوهُمْ] ليُهلكوهم بالاغواء [وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ] و ليخلطوه عليهم و يُشبّهوه و دينهم ما كانوا عليه من دين اسمٰعيل حتى زلّوا عنه الى الشرك - و قيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه - و قيل معناه و ليوقعوهم في دين ملتبس - فان قلت ما معنى اللام - قلت ان كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السَّدَنة فعلى معنى الصيرورة [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ] مشيّة قسر [مَا فَعَلُوهُ] لما فعل المشركون ما زُيّن لهم من القتل - او لَمَا فعل الشياطين او السَّدَنة التزيينَ او الارداءَ او اللبسَ او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة - [وَمَا يَفْتَرُونَ] وما يفترونه من الافك - او و افتراءهم * [حِجْرٌ] فِعْل بمعنى مفعول كالذبح و الطحن و يستوي في الوصف به المذكر و المونث و الواحد و الجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات - و قرأ الحسن و قتادة حُجْر بضم الحاء - و عن ابن عبّاس حِرْج و هو من التضييق و كانوا اذا عيّنوا اشياء من حَرْثهم و انعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خَدَم الاوثان و الرجالَ دون النساء [وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا] هي البحائر و السوائب والحوامي [وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا] في الذبح و انما يذكرون عليها اسماء الاصنام - و قيل لا يحجّون عليها و لا يُلبّون على ظهورها - و المعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعامٌ حِجْر و هذه انعام محرمة الظهور و هذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم و نسبوا ذلك التجنيسَ الى الله [افْتِرَاءً عَلَيْهِ] اي فعلوا ذلك كلّه على جهة الافتراء و انتصابهُ على انه مفعول له - او حال - او مصدر موكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء [كَانُوا يَقُولُونَ] في أجنّة البحائر و السوائب ما وُلد منها حيّا فهو خالص للذكور لا تاكل منه الاناث و ما وُلد ميتا اشترك فيه الذكور و الاناث - و أنث [خَالِصَةٌ] للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنّة - و ذُكّر [مُحَرَّمٌ] للحمل على اللفظ و نظيره وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ - و يجوز ان يكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر - و ان تكون مصدرا و قع موقع

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۚ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ
سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً
عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ
وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ

الخالص كالعافية اي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خَالِصَةٌ بالنصب على ان قوله لِذُكُورِنَا هو الخبر و خَالِصَةٌ مصدر مؤكد - ولا يجوز ان يكون حالاً متقدمة لان المجرور لايتقدم عليه حاله - و قرأ ابن عباس خَالِصَةُ على الاضافة - و في مصحف عبد الله خَالِصٌ - [وَإِن يَكُن مَّيْتَةً] وان يكن ما في بطونها ميتة - وقرئ وَإِنْ تَكُنْ بالتانيث على وان تكن الاجنة ميتة - وقرأ اهل مكة وَإِنْ تَكُنْ مَّيْتَةٌ بالتانيث و الرفع على كان التامة - وتذكير الضمير في قوله فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ لان الميتة لكل ميت ذكر او انثى فكانه قيل و ان يكن ميت فهم فيه شركاء [سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ] اي جزاء وصفهم الكذبَ على الله في التحليل و التحريم من قوله وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ - وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هٰذَا حَلَالٌ وَهٰذَا حَرَامٌ نزلت في ربيعة و مُضَر و العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مَخافةَ السبي و الفقر [سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ] لخفة أحلامهم و جهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم - وقرئ قَتَّلُوا بالتشديد [مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ] من البحائر و السوائب و غيرها * [أَنشَأَ جَنَّاتٍ] من الكروم [مَّعْرُوشَاتٍ] مسموكات [وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ] متروكات على وجه الارض لم تعرش - و قيل المعروشات ما في الأرياف و العُمْرانِ مما غرسه الناس و اهتموا به فعرشوه وغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ مما انبته الله وَحْشِيًّا في البراري و الجبال فهو غير معروش يقال عرشتُ الكرم اذا جعلتَ له دعائم و سمكا تعطف عليه القضبانُ و سقفُ البيت عرشُه [مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ] في اللون و الطَّعْمِ و الحجم و الرائحة - و قرئ أُكْلُهُ بالضم والسكون و هو ثمره الذي يوكل - و الضميرُ للنخل و الزرعُ داخل في حكمه لكونه معطوفاً عليه و مُخْتَلِفًا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ - وقرئ ثُمُرِهِ بضمتين - فان قلت ما فائدة قوله [إِذَا أَثْمَرَ] و قد عُلم انه اذا لم يُثمر لم يوكل منه - قلت لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل إِذَا أَثْمَرَ ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الثمر لئلا يتوهم انه لايباح الا اذا ادرك و اينع [وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ] الاية مكية والزكوة انما فُرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد و كان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العُشر ونصف العشر - وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه و اهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يُمكن فيه الايتاء [وَلَا تُسْرِفُوا] في الصدقة كما روي عن ثابت بن قَيْس انه صرم خمسمائة نخلة فعرق ثمرها كله ولم يُدخل منه شيأ الى منزله وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ

سورة الانعام ٦ الجزء ٨ ع ٥

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ
أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ
اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۗ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ
اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ع قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ

الْبَسْط مُتَقَعِّدًا مَلُومًا مَّحْسُورًا [حَمُولَةً وَّفَرْشًا] عطف على جَنّٰتٍ اي و انشأ من الانعام ما يحمل الاثقال و ما يُفرش المذبح او ينسج من وبره و صوفه و شعره الفرشُ - و قيل الحمولةُ الكبار التي تصلح للحمل والفرشُ الصغار كالفصلان والعجاجيل و الغنم لدنوها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها [وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ] في التحليل و التحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية [ثَمٰنِيَةَ اَزْوَاجٍ] بدل من حَمُولَةً وَّ فَرْشًا [اثْنَيْنِ] زوجين اثنين يريد الذكر و الانثى كالجمل و الناقة و الثور و البقرة و الكبش و النعجة و التيس و العنز و الواحدُ اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سُمّي كلواحد منهما زوجًا و هما زوجان بدليل قوله خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْاُنْثٰى و الدليل عليه قوله ثَمٰنِيَةَ اَزْوَاجٍ ثم فسّرها بقوله مِنَ الضَّاْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ - وَ مِنَ الْاِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ و نحو تسميتهم الفردَ بالزوج بشرط ان يكون معه آخرُ من جنسه تسميتهم الزجاجةَ كأسًا بشرط ان يكون فيها خمر - و الضان و المعز جمع ضائن و ماعز كتاجر و تَجْر - و قرئا بفتح العين - و قرأ اُبَيّ وَمِنَ الْمَعْزٰى - و قرئ اٰلذَّكَرَيْنِ على الابتداء * الهمزة في [اٰلذَّكَرَيْنِ] للانكار - و المراد بالذكرين الذكرُ من الضأن و الذكرُ من المعز - و بالْاُنْثَيَيْنِ الانثى من الضأن و الانثى من المعز على طريق الجنسية - و المعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها و معزها شيأ من نوعَيْ ذكورها و اناثها و لا مما تحمل اناث الجنسين و كذلك الذكران من جنسي الابل و البقر و الانثيان منهما و ما تحمل اناثهما و ذلك انهم كانوا يحرّمون ذكور الانعام تارةً و اناثها تارةً و اولادها كيف ما كانت ذكورًا او اناثًا او مختلطة تارةً و كانوا يقولون قد حرّمها الله فأنكر ذلك عليهم [نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ] اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدلّ على تحريم مَا حَرَّمْتُمْ [اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ] في ان الله حرّمه [اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ] بل اَكُنْتُم شهداء و معنى الهمزة الانكارُ يعني ام شاهدتم ربّكم حين امركم بهذا التحريم و ذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول و هم يقولون الله حرّم هذا الذي نحرّمه فتهكّم بهم في قوله اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ على معنى اَعَرَفْتُم التوصيةَ به مشاهدينَ لانكم لا تؤمنون بالرسل [فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا] فنسب اليه تحريم ما لم يحرم [لِيُضِلَّ النَّاسَ] و هو عمرو بن لُحَي بن قمعة الذي بَحَر البحائر وسيّب السوائب - فان قلت كيف فُصل بين بعض المعدود وبعضه و لم يوالَ بينه - قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضًا غير اجنبيّ من المعدود وذلك ان

خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَعَلَى
الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۚ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا
أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ
وَاسِعَةٍ ۚ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا

الله عزّ وجلّ مَنَّ على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم و باباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرّمها و الاحتجاجُ على من حرّمها تاكيد و تشديد للتحليل و الاعتراضاتُ في الكلام لاتُساق الّا للتوكيد [فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ] تنبيهٌ على ان التحريم انما يثبت بوحي الله و شرعه لا بهوى النفس [مُحَرَّمًا] طعامًا محرّمًا من المطاعم التي حرّمتموها [إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً] الّا ان يكون الشيء المحرّم ميتة [أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا] اي مصبوباً سايلاً كالدم في العروق لا كالكبد و الطحال و قد رُخّص في دم العروق بعد الذبح [أَوْ فِسْقًا] عطف على المنصوب قبله سُمّي مَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فسقًا لتوغّله في باب الفسق و منه قوله تعالى وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ و أُهِلَّ صفة له منصوبة المحلّ - و يجوز ان يكون مفعولاً له من أُهِلَّ اي أُهِلَّ لغير الله به فسقًا - فان قلت فعلامَ يعطف [أُهِلَّ] و الامَ يرجع الضمير في [بِهِ] على هذا القول - قلت يعطف على يَكُونَ و يرجع الضمير الى ما رجع اليه المستكنّ في يَكُونَ [فَمَنِ اضْطُرَّ] فمن دعته الضرورةُ الى اكل شيء من هذه المحرّمات [غَيْرَ بَاغٍ] على مضطرّ مثله تارك لمواساته [وَلَا عَادٍ] متجاوز قدر حاجته من تناوله [فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] لا يؤاخذه - ذو الظُفُرِ ماله اصبع من دابّة اوطائر وكان بعض ذوات الظفر حلالاً لهم فلمّا ظلموا حُرّم ذلك عليهم فعمّ التحريمُ كل ذي ظفر بدليل قوله فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ و قوله [وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا] كقولك من زيد اخذتُ ماله تريد بالاضافة زيادةَ الربط - و المعنى انه حَرّم عليهم لحم كل ذي ظفر و شحمَه و كلّ شيء منه و تركَ البقر و الغنم على التحليل لم يُحَرِّم منهما الّا الشحوم الخالصة و هي الثروب و شحوم الكلى و قوله [إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا] يعني الّا ما اشتمل على الظهور و الجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء [أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ] وهو شحم الالية - و قيل الْحَوَايَا عطف على شُحُومَهُمَا - و أَوْ بمنزلتها في قولهم جالس الحسنَ او ابنَ سيرين - [ذَٰلِكَ] الجزاء [جَزَيْنَاهُمْ] و هو تحريم الطيبات [بِبَغْيِهِمْ] بسبب ظلمهم [وَإِنَّا لَصَادِقُونَ] فيما اوعدنا به العُصاةَ لا نُخْلفه كما لا نُخْلف ما وعدناه اهلَ الطاعة فلمّا عصَوْ و بغوا أَحْقَقنا بهم الوعيدَ و أَحْلَلنا بهم العقابَ [فَإِنْ كَذَّبُوكَ] في ذلك و زعموا ان الله واسعُ الرحمة و انه لا يؤاخذ بالبغي و يُخْلف الوعيدَ جودًا و كرمًا [فَقُلْ] لهم [رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ] لاهل طاعته [وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ] مع سعة رحمته [عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ] فلايغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته [سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا] اخبار بما سوف يقولونه و لمّا قالوه قال و قَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ يعنون

سورة الانعام ٦ الجزء ٨ ع ٥

حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّٰى ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۗ
إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۝ قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۚ فَلَوْ شَاءَ لَهَدٰىكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ
الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّٰهَ حَرَّمَ هٰذَا ۚ فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بكفرهم و تمرّدهم ان شركهم و شرك ابائهم وتحريمهم ما احلّ الله بمشية الله و ارادته ولولا مشيته لم يكن شيء من ذلك كمذهب الجبرة بعينه [كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] اي جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عزّ و علا ركّب في العقول و انزل في الكتب ما دلّ على غناه و براءته من مشية القبائح و ارادتها و الرسل اخبروا بذلك فمن علّق وجود القبائح من الكفر و المعاصي بمشية الله و ارادته فقد كذب التكذيب كله و هو تكذيب الله و كتبه و رسله و نبذ ادلّة العقل و السمع وراء ظهره [حَتّٰى ذَاقُوا بَأْسَنَا] حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم [قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ] من امر معلوم يصحّ الاحتجاج به فيما قلتم [فَتُخْرِجُوهُ لَنَا] و هذا من التهكّم و الشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون له حجّة [إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ] في قولكم هذا [وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ] تقدّرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون - و قرئ كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بالتخفيف [قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ] يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية الله فلله الحجّة البالغة عليكم على قود مذهبكم [فَلَوْ شَاءَ لَهَدٰىكُمْ أَجْمَعِينَ] منكم و من مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشية الله يقتضي ان تعلّقوا دين من يخالفكم ايضاً بمشيته فتوالوهم و لا تعادوهم و توقوهم و لا تخالفوهم لان المشية تجمع بين ما انتم عليه و بين ما هم عليه [هَلُمَّ] يستوي فيه الواحد و الجمع و المذكر و المؤنث عند الحجازيين و بنو تميم تؤنث و تجمع و المعنى هاتوا شهداءكم و قرّبوهم - فان قلت كيف امره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله حرّم ما زعموه محرّماً ثم امره بان لا يشهد معهم - قلت امره باستحضارهم و هم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجّة و يُلقمهم الحجر و يُظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم لبسوا على شيء تتساوي اقدام الشاهدين و المشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصحّ التمسّك به و قوله [فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ] يعني فلا تسلّم لهم ما شهدوا به و لا تصدّقهم لانه اذا سلّم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم و كان واحدا منهم [وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذّب بايات الله و عدل به غيره فهو متّبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن الا مصدّقا بالايات موحّدا لله - فان قلت هلا قيل قل هَلُمَّ شهداء يشهدون ان الله حرّم هذا و اي فرق بينه و بين المنزل - قلت اراد ان يُحضروا شهداءهم الذين هُم انهم يشهدون لهم و ينصرون قولهم و كان المشهود لهم يتّكلونهم و يثقون بهم و يعتضدون بشهادتهم ليُهدَم ما يقومون به فيحقّ الحقّ و يبطل الباطل فاضيف الشهداء الى ذلك و جيء بالّذين للدلالة على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم و بنصرة مذهبهم و الدليل عليه قوله فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ و لو قيل هَلُمَّ شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناساً يشهدون

سورة الانعام ٦
الجزء ٨
ع ٦

بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝ ع قُلْ تَعَالَوْا اَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ اَلَّا تُشْرِكُوْا بِهٖ شَيْئًا وَّ بِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا ۚ
وَلَا تَقْتُلُوْٓا اَوْلَادَكُمْ مِّنْ اِمْلَاقٍ ؕ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَاِيَّاهُمْ ۚ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۚ وَلَا
تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِيْ حَرَّمَ اللّٰهُ اِلَّا بِالْحَقِّ ؕ ذٰلِكُمْ وَصّٰكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ۝ وَلَا تَقْرَبُوْا مَالَ الْيَتِيْمِ اِلَّا بِالَّتِيْ
هِيَ اَحْسَنُ حَتّٰى يَبْلُغَ اَشُدَّهٗ ۚ وَاَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيْزَانَ بِالْقِسْطِ ۚ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَاِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوْا
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبٰى ۚ وَبِعَهْدِ اللّٰهِ اَوْفُوْا ؕ ذٰلِكُمْ وَصّٰكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ ۝ وَاَنَّ هٰذَا صِرَاطِيْ مُسْتَقِيْمًا فَاتَّبِعُوْهُ ۚ وَلَا

بتحريم ذلك مكان الظاهر طلبَ شهداءَ بالحق وذلك ليس بالغرض و يناقضه قوله فَاِنْ شَهِدُوْا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ - [تعالَ] من الخاص الذي صار عامًّا و اصله ان يقوله من كان في مكانٍ عالٍ لمن هو اسفل منه ثم كثر واتُّسع فيه حتى عَمّ - و [مَا حَرَّمَ] منصوب بفعل التلاوة بمعنى اَتْلُ الذي حَرَّمه ربُّكم - او بحَرَّمَ بمعنى اَوَّلُ اي شيء حَرَّم ربُّكم لان التلاوة من القول - و [اَنْ] في اَنْ لَّا تُشْرِكُوْا مفسرة و [لَا] للنهي - فان قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل و جعلت اَنْ لَّا تُشْرِكُوْا بدلاً من مَا حَرَّمَ - قلت وجب ان يكون لَا تُشْرِكُوْا - و لَا تَقْرَبُوْا - وَلَا تَعْدُوْا - و لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ نواهيَ لانعطاف الاوامر عليها و هي قوله وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا لان التقدير و اَحْسِنوا بالوالدين احسانًا واوفوا وَاِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوْا وَبِعَهْدِ اللّٰهِ اَوْفُوْا - فان قلت فما تصنع بقوله وَاَنَّ هٰذَا صِرَاطِيْ مُسْتَقِيْمًا فَاتَّبِعُوْهُ فيمن قرأ بالفتح و انما يستقيم عطفه على اَنْ لَّا تُشْرِكُوْا اذا جعلت اَنْ هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى اَتْلُ عليكم نفيَ الشرك و التوحيدَ و اَتْلُ عليكم ان هذا صراطي مستقيما - قلت اجعلُ قوله وَاَنَّ هٰذَا صِرَاطِيْ مُسْتَقِيْمًا علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وَاَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلّٰهِ فَلَا تَدْعُوْا مَعَ اللّٰهِ اَحَدًا بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليلُ عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا صراطي انه مستقيم - فان قلت اذا جعلت اَنْ مفسرة افعل التلاوة و هو معلق بما حَرَّمَ رَبُّكُمْ وجب ان يكون ما بعده منهيًّا عنه محرمًا كله كالشرك و ما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر - قلت لمّا وردت هذه الاوامر مع النواهي و تقدّمن جميعًا فعلُ التحريم و اشتركنَ في الدخول تحت حكمه عُلم ان التحريم راجع الى اضدادها و هي الاساءة الى الوالدين و بخس في الكيل و الميزان وتركُ العدل في القول و نكثُ عهد الله [مِّنْ اِمْلَاقٍ] من اجل فقر و من خشيته كقوله خَشْيَةَ اِمْلَاقٍ [مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ] مثل قوله ظَاهِرَ الْاِثْمِ وَبَاطِنَهٗ [اِلَّا بِالْحَقِّ] كالقصاص و القتل على الردّة و الرجم * [اِلَّا بِالَّتِيْ هِيَ اَحْسَنُ] الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره - و المعنى احفظوه عليه [حَتّٰى يَبْلُغَ اَشُدَّهٗ] فادفعوه اليه [بِالْقِسْطِ] بالسوية و العدل * [لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا] الا ما يسعها و لا تعجز عنه و انما اتبع الامرَ بايفاء الكيل و الميزان ذلك لان مراعاة الحدّ من القسط الذي لا زيادة فيه و لانقصان مما يحرج فيه الحرج فأُمر ببلوغ الوُسْع و ان ما وراءه معفوٌّ عنه [وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبٰى] و لو كان المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فما ينبغي ان يزيد في القول او ينقص كقوله وَلَوْ عَلٰٓى اَنْفُسِكُمْ اَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْاَقْرَبِيْنَ - وقرئ وَاَنْ هٰذَا صِرَاطِيْ

سورة الانعام ٦ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذٰلِكُمْ وَصّٰىكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ثُمَّ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتٰبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
الجزء ٨ اَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَهٰذَا كِتٰبٌ اَنْزَلْنٰهُ مُبٰرَكٌ فَاتَّبِعُوهُ
ع ٧ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ اَنْ تَقُولُوا اِنَّمَا اُنْزِلَ الْكِتٰبُ عَلٰى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ۪ وَاِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغٰفِلِينَ ۝

تخفيف اَنْ و اصله و انّه هذا صراطي على ان الهاء ضمير الشان و الحديث - و قرأ الاعمش وَهٰذَا صِرَاطِي - و في مصحف عبد الله وَهٰذَا صِرَاطُ رَبِّكُمْ - و في مصحف ابيّ وَهٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ ۔ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ] الطُّرُق المختلفة في الدين من اليهودية و النصرانية و المجوسية وسائر البدع و الضلالات [فَتَفَرَّقَ بِكُمْ] فتفرّقكم ايدي سبا [عَنْ سَبِيلِهِ] عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام - وقرئ فَتَفَرَّقَ بادغام التاء - وروى ابو وائل عن ابن مسعود عن النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم انه خطّ خطّا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خطّ عن يمينه و عن شماله خطوطا ثم قال هذه سُبُل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية وَاَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ - و عن ابن عبّاس رضي الله عنه هذه الايات محكمات لم ينسخهنّ شيء من جميع الكُتُب - وقيل انهن امّ الكتاب مَن عمل بهنّ دخل الجنّة و مَن تركهنّ دخل النار - و عن كعب الاحبار و الذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاوّل شيء في التوراة - فان قلت علام عطف قوله [ثُمَّ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتٰبَ] قلت على وَصّٰىكُمْ بِهِ - فان قلت كيف صحّ عطفه عليه بثُمّ و الايتاء قبل التوصية بدهر طويل - قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصّاها كلّ امة على لسان نبيّها كما قال ابن عبّاس محكماتٌ لم ينسخهنّ شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذٰلِكُمْ وَصّٰىكُمْ بِهِ يا بني آدم قديما و حديثا ثم اعظم من ذلك انّ اتينا موسى الكتاب و انزلنا هذا الكتاب المبارك - و قيل هو معطوف على ما تقدّم قبل عشر السورة من قوله وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ [تَمَامًا لِلْكَرَامَةِ و نعمة على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ويدلّ عليه قراءة عبد الله عَلَى اَنْ اَحْسَنُوا اراد به موسى عليه السلام اي تتمةً للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ و في كل ما أُمر به - اوتماما على الذي احسن موسى من العلم و الشرائع من اَحْسَنَ الشيءَ اذا اَجاد معرفتَه اي زيادةً على علمه على وجه التتميم - و قرأ يحيى بن يعمر عَلَى الَّذِيْ اَحْسَنُ اي على الذي هو احسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ بالرفع اي على الدين الذي هو احسن دين و ارضاه - او اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتٰبَ تَمَامًا اي تامّا كاملا على احسن ما يكون عليه الكُتُب اي على الوجه و الطريق الذي هو احسن و هو معنى قول الكلبي اتمّ له الكتاب على احسنه - [اَنْ تَقُولُوا] كراهة ان تقولوا [عَلٰى طَائِفَتَيْنِ] يريدون اهلَ التوراة و اهلَ الانجيل [وَ اِنْ كُنَّا] هي اِن المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها و بين النافية و الاصلُ و انّه كُنّا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان [عَنْ دِرَاسَتِهِمْ] عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم [لَكُنَّا اَهْدٰى مِنْهُمْ] لحدّة اذهاننا و

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ

ثقافة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها وشعارها واسجاعها وامثالها على انا امميون - وقرئ أَنْ يَقُولُوا - أَوْ يَقُولُوا بالياء [فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ] تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يَقُولُوا على لفظ الغيبة احسنُ لما فيه من الالتفات - والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تَعِدون من انفسكم فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فحُذف الشرط وهو من احاسن الحذوف - [فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ] بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكّن من معرفة ذلك [وَصَدَفَ عَنْهَا] الناس فضّل واضل [سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ] كقوله الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ [الْمَلَائِكَةُ] ملائكة الموت او العذاب [أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ] او يأتي كلُّ ايات ربك بدليل قوله [أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ] يريد ايات القيمة والهلاك الكلّي - وبعضُ الايات أَشْرَاطُ الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك - وعن البراء بن عازب كُنَّا نتذاكر الساعةَ اذ أَشْرَفَ علينا رسولُ اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم فقال ما تذكرون قلنا نتذاكر الساعةَ قال انها لا تقوم حتى تَرَوْا قبلها عشرَ ايات الدخانَ ودابّةَ الارض وخسفاً بالمشرق وخسفاً بالمغرب وخسفاً بجزيرة العرب والدجّالَ وطلوعَ الشمس من مغربها ويأجوجَ ومأجوجَ ونزولَ عيسى ونارا تخرج من عدن [لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ] صفة لقوله نَفْساً وقوله [أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا] عطف على آمَنَتْ - والمعنى ان أَشْرَاطَ الساعة اذا جاءت وهي آية ملجئة مضطرّة ذهب أَوَانُ التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذٍ نفساً غير مقدّمة ايمانها من قبل ظهور الايات او مقدّمة ايمانها غير كاسبة خيراً في ايمانها فلم يفرّق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنتْ في غير وقت الايمان وبين النفس التي آمنتْ في وقتها ولم تكسب خيراً لتعلم ان قوله تعالى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جمعٌ بين قرينتين لا ينبغي ان تنفكّ احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك [قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ] وعيدٌ - وقرئ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بالياء والتاء - وقرأ ابن سيرين لَا تَنْفَعُ بالتاء لكون الايمان مضافاً الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبتْ بعض اصابعه [فَرَّقُوا دِينَهُمْ] اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى - وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقةً كلُّها في النار الّا واحدةً وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقةً كلُّها في النار الّا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين كلُّها في النار الا واحدةً - وقيل فَرَّقُوا دِينَهُمْ فآمنوا ببعض وكفروا ببعض - وقرئ فَارَقُوا دِينَهُمْ اي تركوه [وَكَانُوا شِيَعًا] فرقاً كل

سورة الانعام ٦ الجزء ٨ ع ٧ النصف

فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۚ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۚ
دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ
كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ
خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ع

فرقة تُشيّع اماماً لها [لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ] اي من السوال عنهم وعن تفرّقهم - وقيل من عقابهم - وقيل هي منسوخة بآية السيف * [عَشْرُ أَمْثَالِهَا] على اقامة صفة الجنس المميّز مقام الموصوف تقديره عَشْرُ حسنات امثالها - وقرئ عَشْرٌ أَمْثَالُهَا برفعهما جميعاً على الوصف وهذا اقلّ ما وعد من الاضعاف وقد وَعَدَ بالواحد سبعمائة و وَعَدَ ثواباً بغير حساب و مضاعفة الحسنات فضل و مكافاة السيآت عدل [وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ] لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم [دِينًا] نصب على البدل من محلّ إِلَىٰ صِرَاطٍ لان معناه هداني صراطاً بدليل قوله تعالى وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا - والقيّم فيعل من قام كسيّد من ساد وهو ابلغ من القائم - وقرئ [قِيَمًا] والقِيَم مصدر بمعنى القيام وصف به و [مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ] عطف بيان و [حَنِيفًا] حال من إِبْرَاهِيمَ * [إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي] و عبادتي وتقرّبي كلّه - وقيل وذبحي - وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله تعالى فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ - وقيل صلاتي وحجّي من مناسك الحج [وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي] وما آتيه في حياتي واموت عليه من الايمان و العمل الصالح [لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] خالصة لوجهه [وَبِذَٰلِكَ] من الاخلاص [أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] لان اسلام كل نبيّ متقدم على اسلام امّته [أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا] جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربّاً غيره [وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ] فكلّ من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ - [وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا] جواب عن قولهم اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ - جعلهم [خَلَائِفَ الْأَرْضِ] لان محمّداً صلّى الله عليه و آله و سلّم خاتم النبيين فخلفت امّته سائر الامم - او جعلهم يخلف بعضهم بعضاً - او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرّفون فيها [وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ] في الشرف و الرزق [لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ] من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحرّ بالعبد والغنيّ بالفقير - [إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ] لمن كفر نعمته - [وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ] لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب - عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أُنزلت عليّ سورة الانعام جملة واحدة يُشيّعها سبعون الف مَلَك لهم زَجَل بالتسبيح و التحميد فمن قرأ سورة الانعام صلّى عليه و استغفر له اولئك السبعون الف مَلَك بعدد كل آية من سورة الانعام يوماً وليلة *

كلماتها ٣٣٨٧ — سورة الاعراف مكية وهي مائتان و ست أيات و اربع وعشرون ركوعا — حروفها ١٤٦٣٥ — سورة الاعراف ٧ — الجزء ٨ — ع ٨

بسم الله الرحمن الرحيم ۝

الٓمٓصٓ ۝ كِتٰبٌ اُنْزِلَ اِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِيْ صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنْذِرَ بِهٖ وَذِكْرٰى لِلْمُؤْمِنِيْنَ ۝ اِتَّبِعُوْا مَآ اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوْا مِنْ دُوْنِهٖٓ اَوْلِيَآءَ ۭ قَلِيْلًا مَّا تَذَكَّرُوْنَ ۝ وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ اَهْلَكْنٰهَا فَجَاۗءَهَا بَاْسُنَا بَيَاتًا اَوْهُمْ قَاۗىِٕلُوْنَ ۝

سورة الاعراف

مكية غير ثمان أيات وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الى وَاِنْ نَتَقْنَا و هي مائتان و خمس ايات [كِتٰبٌ] خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب و [اُنْزِلَ اِلَيْكَ] صفة له و المراد بالكتاب السورةُ [فَلَا يَكُنْ فِيْ صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ] اي شك منه كقوله تعالى فَاِنْ كُنْتَ فِيْ شَكٍّ مِّمَّآ اَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ وسمّي الشك حرجًا لان الشاك ضيّق الصدر حرجُهُ كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشكّ في انه مُنزلٌ من الله - او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومَه و تكذيبَهم له و اعراضَهم عنه و اَذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط ليه فأمّنه الله و نهاه عن المبالاة بهم - فان قلت بم تعلق قوله [لِتُنْذِرَ] - قلت بأُنْزِلَ اي أُنزل اليك لإنذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم أنذرهم و كذلك اذا أيقن انه من عند الله شجّعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جَسور متوكّل على ربّه متكل على عصمته - فان قلت فما محلّ [ذِكْرٰى] - قلت يحتمل الحركات الثلاث - النصبَ باضمار فعلها كانه قيل لِتُنْذِرَ بِهٖ و تُذَكِّرَ تذكيرًا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير - و الرفعَ عطفًا على كِتٰبٌ او بانه خبر مبتدأ محذوف - والجرَّ للعطف على محلّ اَنْ تُنْذِرَ اي للانذار و للذكرى - فان قلت النهي في قوله فَلَا يَكُنْ متوجهٌ الى الحرج فما وجهه - قلت هو من قولهم لا اَرَيَنَّكَ ههنا - [اِتَّبِعُوْا مَآ اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ] من القرآن والسنّة [وَلَا تَتَّبِعُوْا مِنْ دُوْنِهٖ] من دون الله [اَوْلِيَآءَ] اي و لا تتولّوا مَنْ دونه من شياطين الجنّ و الانس فيحملوكم على عبادة الاوثان و الاهواء و البدع و يُضلّوكم عن دين الله و ما انزل اليكم و آمركم باتباعه - و عن الحسن يا ابنَ آدم أُمرتَ باتباع كتاب الله و سنّة مُحَمَّد صلى الله عليه و آله و سلم و الله ما نزلت اية الّا و هو يُحبّ ان تعلم في مَنْ أُنزلت و ما معناها - و قرأ مالك بن دينار وَلَا تَبْتَغُوْا من الابتغاء وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ الْاِسْلَامِ دِيْنًا - و يجوز ان يكون الضمير في مِنْ دُوْنِهٖ مَا اُنْزِلَ على ولا تتبعوا من دون دين الله دينَ اولياء - قَلِيْلًا مَّا تَذَكَّرُوْنَ حيث تتركون دينَ الله و تتبعون غيره - وقرئ [تَذَكَّرُوْنَ] بحذف التاء - و بتَذَكَّرُوْنَ بالياء - و قَلِيْلًا نصب بتَذَكَّرُوْنَ اي تذكّرون تذكّرا قليلا و مَا مزيدة لتوكيد القلة * [فَجَاۗءَهَا] فجاء اهلَها [بَيَاتًا] مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بيَاتًا حسنًا و بِيْتَةً حسنة - و قوله [هُمْ قَاۗىِٕلُوْنَ] حال معطوفة على بَيَاتًا كانه قيل

فجاءهم بأسنا بائتين او قائلين - فان قلت هل يُقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اَهْلَكْنٰهَا - قلت انما يقدر المضاف للحاجة و لا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها و انما قدرناه قبل الضمير في فَجَآءَهَا لقوله اَوْهُمْ قَآئِلُوْنَ - فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هُمْ قَآئِلُوْنَ - قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة و ردّه الزجاج و قال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم تحتج الى واو لان الذكر قد عاد على الاول - و الصحيح انها اذا عُطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفَيْ عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فتقول جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حدّه و اما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله اَهْلَكْنٰهَا فَجَآءَهَا بَاْسُنَا و الاهلاك انما هو بعد مجيء البأس - قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله اِذَا قُمْتُمْ اِلَى الصَّلٰوةِ و انما خُصّ هذان الوقتان وقتُ البيات و وقتُ القيلولة لانهما وقتا الغفلة و الدَّعَة فيكون نزول العذاب فيهما اشدّ وافظع و قوم لوط اُهلكوا بالليل وقتَ السَّحَر و قوم شُعَيْب وقتَ القيلولة -[فَمَا كَانَ دَعْوٰىهُمْ] ما كانوا يدّعونه من دينهم و ينتحلونه من مذهبهم الّا اعترافهم ببطلانه وفساده - و قولهم [اِنَّا كُنَّا ظٰلِمِيْنَ] فيما كُنّا عليه - و يجوز فما كان استغاثتهم الّا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لَلْكَعْب - و يجوز فما كان دعاءهم ربَّهم الّا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم و ان الات حين دعاء و لا يزيدون على ذمّ انفسهم و تحسُّرهم على ما كان منهم - و دَعْوٰىهُمْ نصب خبر كَانَ - و اَنْ قَالُوْٓا رفع اسمٌ له - و يجوز العكس [فَلَنَسْـَٔلَنَّ الَّذِيْنَ اُرْسِلَ اِلَيْهِمْ] اُرْسِلَ مسند الى الجارّ و المجرور و هو اِلَيْهِمْ و معناه فلنسئلن المرسل اليهم و هم الامم يسألهم عمّا اجابوا به رُسُلَهم كما قال تعالى وَيَوْمَ يُنَادِيْهِمْ فَيَقُوْلُ مَاذَآ اَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِيْنَ و نسأل المرسلين عما اجيبوا به كما قال تعالى يَوْمَ يَجْمَعُ اللّٰهُ الرُّسُلَ فَيَقُوْلُ مَاذَآ اُجِبْتُمْ - [فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ] على الرُّسُل و المرسَل اليهم ما كان منهم [بِعِلْمٍ] عالمين باحوالهم الظاهرة و الباطنة و اقوالهم و افعالهم [وَمَا كُنَّا غَآئِبِيْنَ] عنهم و عمّا وُجد منهم - فان قلت فاذا كان عالما بذلك و كان يقصّه عليهم فما معنى سؤالهم - قلت معناه التوبيخ و التقريع و التقرير اذا ناهوا به بألسنتهم و شهد عليهم انبياؤهم [وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذِ ِالْحَقُّ] يعني وزنَ الاعمال و التمييزَ بين راجحها و خفيفها - و رفعُه على الابتداء و خبرُه يَوْمَئِذٍ - و اَلْحَقُّ صفته او الوزن يوم يسأل اللّٰهُ الامم و رسلَهم الوزنُ الحقُّ اي العدل - و قرئ اَلْقِسْطُ - و اختلف في كيفية لوزن فقيل توزن صُحُف الاعمال بميزان له لسانٌ و كفّتان ينظر اليه الخلائق تأكيدا للحجّة و اظهارا للنَّصَفَة و قطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم و تشهد عليهم ايديهم و ارجلهم و جلودهم و يشهد عليهم الانبياء و الملائكة و الأشهاد و كما تثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب - و قيل

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي
مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۝ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝

هي عبارة عن القضاء السوي و الحكم العادل [فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ] جمع ميزان او موزون اي فمن رَجَحَتْ اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر و هي الحسنات او ما توزن به حسناتهم - و عن الحسن و حُقّ لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل و حُقّ لميزان توضع فيه السيئات ان يخفّ [بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ] يكذّبون بها ظلماً كقوله فَظَلَمُوا بِهَا [مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ] جعلنا لكم فيها مكاناً و قراراً - او مَلّكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها [وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ] جمع معيشة و هي ما يعاش به من المطاعم و المشارب وغيرها - اوما يتوصّل به الى ذلك - و الوجهُ تصريح الياء - و عن ابن عامر انه هَمَز على التشبيه بصحائف [وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ] يعني خلقنا اباكم آدم طيناً غير مصوّر ثم صوّرناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ - [مِنَ السَّاجِدِينَ] ممن سجد لآدم * لأني [أَنْ لَا تَسْجُدَ] صلة بدليل قوله مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ و مثلها لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ بمعنى ليعلم - فان قلت ما فائدة زيادتها - قلت توكيدُ معنى الفعل الذي تدخل عليه و تحقيقُهُ كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب و ماصنعك ان تُحقّق السجود وتُلزمه نفسك [إِذْ أَمَرْتُكَ] الان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجاباً وحَتّمه حتماً لابدّ لك منه - فان قلت لم سأله عن المانع من السجود وقد عَلم ما منعه - قلت للتوبيخ و لاظهار معاندته و كفره وكبره و افتخاره باصله وازدرائه باصل آدم و انه خالَفَ امرربّه معتقداً انه غير واجب عليه لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب - فان قلت كيف يكون قوله أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ جواباً لما مَنَعَكَ و انما الجواب ان يقول منعني كذا - قلت قد استانف قصةً اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم و بعلّة فضله عليه وهو ان اصله من نار و اصل آدم من طين فعلم منها الجواب و زيادةً عليه وهي انكار الامر و استبعاد ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعداً ان يؤمر بما أُمر به * اهْبِطْ مِنْهَا من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقرّ العاصين المتكبّرين من الثقلين [فَمَا يَكُونُ لَكَ] فما يصحّ لك [أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا] وتعصي [فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ] من اهل الصَّغار و الهوان على الله و على اوليائه لتكبُّرك كما تقول الرجل قُم صاغراً اذا اهنته وفي عدة قُم راشداً و ذلك انه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار - و عن عمر رضي الله عنه مَن تواضع لله رَفع الله حكمته و قال انتعش نعشك الله و من تكبّر وعدا طورهَ قصمه الله الى الارض - فان قلت لم أُجيب الى استنظاره و انما استنظر ليُفسد عباده و يُغويهم - قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب

سورة الاعراف ۷ الجزء ۸ ع ۹

قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝ قَالَ اخْرُجْ

و حكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف و انواع الملاذ و الملاهي و ما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده [فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي] فبسبب اغوائك اياي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ و هو تكليفه اياه ما وقع به في الغي و لم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه و من آدم انفساً و مناصب - و عن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك - و المعنى فبسبب وقوعي في الغي لَأَجْتَهِدَنَّ في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم - فان قلت لم تعلقت الباء فان تعلقها بِلَأَقْعُدَنَّ تصدّ عنه لامُ القسم لانقول والله لزيد لأمرنّ - قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني أُقسم بالله لأقعدنّ اي فبسبب اغوائك أُقسم - و يجوز ان يكون الباء للقسم اي فَأُقسم باغوائك لاقعدنّ و انما أَقسم بالاغواء لانه كان تكليفاً و التكليفُ من احسن افعال الله لكونه تعريضاً لسعادة الابد فكان جديراً بان يقسم به - و من تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاؤس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كُبّار الفقهاء يُرمى بالقدر فجلس اليه فقال طاؤس تقوم او تُقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقهُ منه قال ربّ بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنّك بقوم بلغ من تهالُكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه وتعالى ان لفقوا الاكاذيبَ على الرسول و الصحابة و التابعين - و قيل مَا للاستفهام كانه قيل بايّ شيء اغويتني ثم ابتدأ لَأَقْعُدَنَّ و اثباتُ الالف اذا ادخل حرف الجرّ على ما الاستفهامية قليل شاذّ - و اصل الغيّ الفساد و منه غوي الفصيل اذا بَشِم و البَشَم فساد في المعدة [لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ] لأعترضنّ لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدوّ على الطريق ليقطعه على السابلة و انتصابهُ على الظرف كقوله * ع * كما عسل الطريقَ الثعالبُ * و شبّه الزجاج بقولهم ضُرب زيد الظهرَ و البطنَ اي على الظهر و البطن - و عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فعد له بطريق الاسلام فقال له تَدَعُ دينَ ابائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تَدَعُ ديارك و تتعرّب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تُقاتِلُ فتقتل فتُقسَم مالك و تنكح امرأتك فعصاه فقاتل [ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم] من الجهات الاربع التي يأتي منها العدوّ في الغالب و هذا مثل لوسوسته اليهم و تسويله ما امكنه و قدر عليه كقوله وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ - فان قلت كيف قيل [مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ] بحرف الابتداء - [وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَن شَمَائِلِهِمْ] بحرف المجاوزة - قلت المفعول فيه عُدّي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا و كانت لغةٌ توجد و اُقتباس و انما يفتش عن صحة موقعها فقط فلمّا سمعناهم يقولون جلس عن يمينه و على يمينه و عن شماله و على شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكّن من جهة اليمين تمكّن المستعلي

مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ
الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ
لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ

من المستعلى عليه - و معنى عن يمينه انه جلس متجانباً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجانبين و غيره كما ذكرنا في تعالَ و نحوهُ من المفعول به فولهم رميتُ عن القوس و على القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها و يستعليها اذا وُضع على كبدها للرمي و يبتدئ الرميُ منها و كذلك قالوا جلس بين يديه و خلفه بمعنى فِي لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل - وعن شقيق ما من صباح الا تعدّاني الشيطان على اربعة مراصد من بين يدَيَّ ومن خلفي وعن يميني و عن شمالي - أمّا من بين يدَيَّ فيقول لاتخَفْ فان الله غفور رحيم فَاَقْرَأُ وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا - و أمّا من خلفي فيُخوّفني الضَّيْعة على مخلَّفي فَاَقْرَأُ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا - و أمّا من قِبل يميني فيأتيني من قِبل الثناء فَاَقْرَأُ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ - و امّا من قِبل شمالي فيأتيني من قِبل الشهوات فَاَقْرَأُ وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ [وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ] قالهُ تظنّياً بدليل قوله وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ - وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم - [مَذْءُومًا] من ذَأَمه اذا ذمّه - وقرأ الزُهري مَذُومًا بالتخفيف مثل مَسُول في مسئول - واللام [فِي لَمَنْ تَبِعَكَ]موطّئة للقسم [لَأَمْلَأَنَّ] جوابه وهو ساد مسدّ جواب الشرط [مِنْكُمْ]منكم ومنهم فغلّب ضمير المخاطب كما في قوله إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ - وروى عصمة عن عاصم لِمَنْ تَبِعَكَ بكسر اللام بمعنى لِمَنْ تَبِعَكَ منهم هذا الوعيدُ و هو قوله لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ على ان لَأَمْلَأَنَّ في محل الابتداء وَلِمَنْ تَبِعَكَ خبره [وَيَا آدَمُ] * وقلنا يا آدم - وقرئ هٰذِي الشَّجَرَةَ والاصل الياء و الهاء بدلٌ منها * و يقال وَسْوَسَ اذا تكلّم كلاماً خفيًّا يكرّره و منه وَسْوَاسُ الحُلِيّ و هو فعل غير متعدٍ كوَلولت المرأة و وَعْوَعَ الذئب ورجل موسوس بكسر الواو لا يقال موسوَس بالفتح ولكن موسوَسٌ له و موسوَسٌ اليه وهو الذي تُلقى اليه الوسوسة - و معنى وَسْوَسَ له فَعَل الوسوسةَ لاجله و وَسْوَسَ اليه القاها اليه [لِيُبْدِيَ] جعل ذلك غرضًا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره و ان لايطّلع عليه مكسوفًا و فيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور و انه لم يزل مستهجنًا في الطباع مستقبحًا في العقول - فان قلت ما للواو المضمومة في وُورِيَ لم تقلب همزة كما في أُوَيْصِل - قلت لان لغة أبية مُدّة كالف وَارى وقد جاء في قراءة عبد الله أُرِيَ بالقلب [إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ] الا كراهة ان تكونا و فيه دليل على ان الملكيّة بالمنظر الاعلى و ان البشرية تَلْمح مرتبتها كَلَا و لَا - وقرئ مَلِكَيْنِ بكسر اللام كقوله وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى [مِنَ الْخَالِدِينَ] من الذين لا يموتون و يبقَوْن في الجنّة

سورة الاعراف ٧ الْخَالِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِحِينَ ۝ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
الجزء ٨ يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِّلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمَا
ع ٩ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا سكته وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ۝ قَالَ اهْبِطُوا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۚ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَآ

ساكنين - وقرئ مِنْ سَوْآتِهِمَا بالتوحيد - وسَوَّاتِهِمَا بالواو المشدّدة [وَقَاسَمَهُمَا] وأقسم لهما [إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِحِينَ] - فان قلت المقاسمة ان تُقسم لصاحبك ويُقسم لك تقول قاسمتُ فلاناً حالفتُه وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ - قلت كانه قال لهما أُقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له أتُقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم - او أقسم لهما بالنصيحة وقَسَما له بقبولها - او أخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهادَ المُقاسِم [فَدَلَّىٰهُمَا] فنزلهما الى الاكل من الشجرة [بِغُرُورٍ] بما غرهما به من القسم بالله - وعن قتادة وانما يُخدع المؤمن بالله - وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعةً وحسُنَ صلوةً أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلباً للعتق فقيل له اتعم يخدعونك فقال من خَدَعَنا بالله انخدعنا له [فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ] وجدا طَعْمها أخذين في الاكل منها - وقيل الشجرة هي السُّنبلة - وقيل شجرة الكَرم [بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا] اي تهافتَ عنهما اللباس وظهرتْ لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدُهما من الآخر - وعن عايشة رضي الله عنها ما رأيتُ منه ولا رأى مني - وعن سعيد بن جُبَير كان لباسهما من جنس الاظفار - وعن وهب كان لباسهما نوراً يَحُول بينهما وبين النظر - ويقال طَفِق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل - وقرأ ابو السَّمّال وَطَفَقَا بالفتح [يَخْصِفَانِ] ورقةً فوق ورقة على عورتهما ليستترا بها كما تُخْصف النعل بان تُجعل طَرَقة على طَرَقة وتُوثق بالسيور - وقرأ الحسن يَخْصِفَانِ بكسر الخاء وتشديد الصاد واصلُه يَختصفان - وقرأ الزُّهري يُخْصِفَانِ من اخْصف وهو منقول من خَصَف اي يُخْصِفَانِ انفسَهما - وقرئ يُخَصِّفَانِ من خَصَّف بالتشديد [مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ] قيل كان ورق التين - [أَلَمْ أَنْهَكُمَا] عتاب من الله تعالى وتوبيخ وتنبيهٌ على الخطأ حيث لم تَحْذرا ما حَذّرهما الله من عداوة ابليس - وروي انه قال لآدم الم يكن لك فيما منحتُك من شجر الجنة مندوحةٌ عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننتُ ان احداً من خَلْقك يحلف بك كاذباً قال فبعزتي لَأُهْبطنّك الى الارض ثم لاتنال العيشَ الا كدّ فأُهبط وعُلّم صنعةَ الحديد وأُمر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودارس وذرى وطحن وخبز - وسمّيا ذنبهما وان كان صغيراً مغفوراً ظُلْماً لانفسهما وقال [لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ] على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغيرَ من السيّآت واستصغارهم العظيمَ من الحسنات [اهْبِطُوا] الخطاب لآدم وحوّاء وابليس - و [بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ] في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه [مُسْتَقَرٌّ] استقراراً او موضعُ استقرار [وَمَتَاعٌ] وانتفاعٌ بعيش [إِلَىٰ حِينٍ] الى انقضاء

تُخْرَجُونَ ۞ ع يٰبَنِيٓ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُّوَارِيْ سَوْاٰتِكُمْ وَرِيْشًا ط وَلِبَاسُ التَّقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ ط ذٰلِكَ
مِنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ۞ يٰبَنِيٓ اٰدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطٰنُ كَمَآ اَخْرَجَ اَبَوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْاٰتِهِمَا ط اِنَّهٗ يَرٰىكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهٗ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ط اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيٰطِيْنَ اَوْلِيَآءَ لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۞

أجاكم - وعن ثابت البُناني لمّا أُهبط آدم وحَضرته الوفاة احاطتْ به الملائكةُ فجعلتْ حوّاء تدور حولهم فقال لها خلّي ملائكةَ ربّي فانما اصابني الذي اصابني فيكِ فلمّا تُوفّيَ غسّلته الملائكة بماء وسدرٍ وترا وحَنّطته وكفّنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسَرْنديبَ بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنّتكم بعده - جُعل ما في الارض مُنْزلا من السماء لانه قُضي ثَمّه وكُتب ومنه وَاَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ الْاَنْعَامِ ثَمٰنِيَةَ اَزْوَاجٍ و [الريش] لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي وانزلنا عليكم لباسين لباسًا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم ان الزينة غرض صحيح كما قال لِتَرْكَبُوْهَا وَزِيْنَةً - وَلَكُمْ فِيْهَا جَمَالٌ - قرأ عثمن رضي الله عنه وَرِيَاشًا جمع ريش كشعب وشعاب [وَلِبَاسُ التَّقْوٰى] ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعهُ على الابتداء وخبرهُ امّا الجملة التي هي [ذٰلِكَ خَيْرٌ] كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر وامّا المفرد الذي هو خَيْرٌ - وذلك صفة للمبتدأ كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى - او ان تكون اشارة الى اللباس المواري للسَّوْأة لان مواراة السَّوْأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة - وقيل لِبَاسُ التَّقْوٰى خبر مبتدأ محذوف اي وهو لِبَاسُ التَّقْوٰى ثم قيل ذٰلِكَ خَيْرٌ - وفي قراءة عبدالله و ابيّ وَلِبَاسُ التَّقْوٰى خَيْرٌ - وقيل المراد بلِبَاسُ التَّقْوٰى ما يُلْبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب - و قرئ و لِبَاسَ التَّقْوٰى بالنصب عطفًا على لِبَاسًا - و رِيْشًا -[ذٰلِكَ مِنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ] الدالّة على فضله و رحمته على عباده يعني انزالَ اللباس [لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ] فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيبَ ذكر بدوّ السَّوْآت وخَصْف الورق عليها اظهارًا للمنّة فيما خَلق من اللباس ولما في العُرْي وكَشْف العورة من المهانة والفضيحة واشعارًا بان التستّر باب عظيم من ابواب التقوى [لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطٰنُ] لا تمحننكم بان لا تدخلوا الجنّة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها [يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا] حال اي اخرجهما نازعًا لباسهما بان كان سببًا في ان نُزع عنهما [اِنَّهٗ يَرٰىكُمْ] هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدوّ المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون - وعن مالك بن دينار ان عدوًّا يراك ولا تراه لَشديدُ المؤنة الّا مَن عصم الله [وَقَبِيْلُهٗ] وجنوده من الشياطين وفيه دليل بيّن ان الجنّ لا يُرَوْن ولا يَظْهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وانّ زعم من يدّعي رؤيتهم زور ومَخْرقة [اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيٰطِيْنَ اَوْلِيَآءَ لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ] اي خَلّينا بينهم وبينهم ولم نكفّهم عنهم حتى تولّوهم واطاعوهم فيما سوّلوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير اخر ابلغ من الاوّل - فان قلت علام عطف

سورة الاعراف ۷ الجزء ۸ ع ۱۰

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿۲۸﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿۲۹﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿۳۰﴾ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ

وَقَبِيلَهُ - دلت على الضمير في يَرَاكُمْ المؤكد بهُوَ - و الضميرُ في إِنَّهُ ضمير الشان و الحديث - وقرأ اليزيدي وَقَبِيلَهُ بالنصب وفيه وجهان - ان تعطفه على اسم إِنَّ - و ان تكون الواو بمعنى مع - و اذا عطف على اسم إِنَّ و هو الضمير في إِنَّهُ كان راجعًا الى ابليس -[الْفَاحِشَةَ] ما تَبَاعُ في قبحه من الذنوب اي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلون فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما تقليد و التقليد ليس بطريق للعلم و الثاني افتراءٌ على الله و الحادٌ في صفاته - كانوا يقولون لو كره الله منّا ما نفعله لَنَهَانَا عنه - وعن الحسن ان الله بعث مُحَمَّدًا صلى الله عليه و آله و سلم الى العرب وهم قدريّة مُجْبِرة يحملون ذنوبهم على الله و تصديقهُ قوله عزوجل وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً -[قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ] لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي و وجود الصارف فكيف يأمر بفعله [أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] انكار لاغاقتهم القبيحَ اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط - وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عُرَاةً -[بِالْقِسْطِ] بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حَسَنٌ عند كل مميّز - وقيل بالتوحيد - وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ]وقل قِيمُوا وُجُوهَكُمْ اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها [عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ] في كل وقت سجود - او في كل مكان سجود وهو الصلوة [وَادْعُوهُ] و اعبدوه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ اي اطاعةً مستقيمين بها وجهه خالصًا [كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ] كما انشأكم ابتداءً يُعيدكم احتجّ عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق - و المعنى انه يُعيدكم فيُحازيكم على اعمالكم فَأَخْلِصوا له العبادةَ -[فَرِيقًا هَدَى] وهم الذين اسلموا اي وَفَّقهم لله الايمان [وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ] اي كلمةُ الضلالة و علمُ الله انهم يَضِلّون و لا يهتدون - و انتصاب قوله وَفَرِيقًا بفعل يفسّره ما بعده كانه قيل و خذل فَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ [إِنَّهُمُ] ان الفريق الذين حَقّ عليهم الضلال [اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ] اي تولّوهم بالطاعة فيما أمروهم به و هذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالّون باختيارهم و تولّتهم الشياطينَ دون الله [خُذُوا زِينَتَكُمْ] اي زِيكم و لباس زينتكم [عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ] كلما صلّيتم او طُفتم وكانوا يطوفون عُرَاةً - و عن طاؤس لم يأمرهم بالحرير و الديباج و انما كان احدهم يطوف عُريانًا و يدعُ ثيابَه وراء المسجد و ان طاف وهي عليه ضُرب و انتُزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها - و قيل تفاؤلاً ليتعرّوا من الذنوب كما تعرّوا من الثياب - و قيل الزينة المَشط - و قيل الطِيب - و السنّة ان ياخذ الرجل احسنَ هيئة للصلوة - وكان بنو عامر في ايام حجّهم لا يأكلون الطعام الّا قُوتًا و لا يأكلون دسمًا يعظّمون بذلك حجّهم فقال المسلمون فنحن احق ان نفعل

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِيٓ اَخْرَجَ لِعِبَادِهٖ وَالطَّيِّبٰتِ مِنَ الرِّزْقِ ۭ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَّوْمَ الْقِيٰمَةِ ۭ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ ۝ قُلْ اِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْاِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَاَنْ تُشْرِكُوْا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهٖ سُلْطٰنًا وَّاَنْ تَقُوْلُوْا عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ۝ وَلِكُلِّ اُمَّةٍ اَجَلٌ ۚ فَاِذَا جَاۗءَ اَجَلُهُمْ لَا يَسْتَاْخِرُوْنَ سَاعَةً وَّلَا يَسْتَقْدِمُوْنَ ۝ يٰبَنِيْٓ اٰدَمَ اِمَّا يَاْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّوْنَ عَلَيْكُمْ اٰيٰتِيْ فَمَنِ اتَّقٰى وَاَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ۝ وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوْا عَنْهَآ اُولٰۗىِٕكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ۝ فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى

وقيل لهم [وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا] - وعن ابن عباس كُلْ ما شئتَ والبَسْ ما شئتَ ما اخطأتْكَ خصلتانِ سرفٌ ومَخيلةٌ - ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصرانيّ حاذق فقال لعليّ بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطبّ شيء والعلمُ علمانِ علم الأبدان وعلم الأديان فقال له قد جمع الله الطبَّ كلَّه في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قولُه وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا فقال النصراني ولا يُؤثَر عن رسولكم شيء في الطبّ قال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم الطبَّ في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدةُ بيت الداء والحميةُ رأس كل دواء وأعطِ كل بدن ما عوّدته فقال النصرانيّ ما ترك كتابُكم ولا نبيُّكم لجالينوس طبًّا * [زِينَةَ اللّٰهِ] من الثياب وكلّ ما يتجمّل به [وَالطَّيِّبٰتِ مِنَ الرِّزْقِ] المستلذّات من المآكل والمشارب - ومعنى الاستفهام في مَنْ انكار تحريم هذه الاشياء - وقيل كانوا اذا احرموا حرّموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها وابنها [قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا] غيرَ خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها [خَالِصَةً يَّوْمَ الْقِيٰمَةِ] لايُشْركهم فيها احد - فان قلت هلّا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم - قلت ليُنبّهَ على انها خُلقتْ للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكَفَرة تبعٌ لهم كقوله وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهٗ قَلِيْلًا ثُمَّ اَضْطَرُّهٗٓ اِلٰى عَذَابِ النَّارِ - وقرئ خَالِصَةٌ بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر - [الْفَوَاحِشَ] ما تفاحش قبحُه اي تزايدَ - وقيل هي ما يتعلق بالفروج - [وَالْاِثْمَ] عامّ لكل ذنب - وقيل شرب الخمر - [وَالْبَغْيَ] الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال وَيَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَاۗءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ [مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهٖ سُلْطٰنًا] فيه تهكّم لانه لا يجوز ان ينزّل برهانًا بان يُشْرَك به غيرُه [وَاَنْ تَقُوْلُوْا عَلَى اللّٰهِ] وان تتقوّلوا على الله وتفتروا الكذب من التحريم وغيره * [وَلِكُلِّ اُمَّةٍ اَجَلٌ] وعيدٌ لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم - وقرئ فَاِذَا جَاۗءَ اَجَلُهُمْ - وقال [سَاعَةً] لانها اقلّ الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصرَ وقت واقربَه * [اِمَّا يَاْتِيَنَّكُمْ] هي ان الشرطية ضُمّتْ اليها مَا مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمتْ فعلَها النونُ الثقيلةُ او الخفيفةُ - فان قلت فما جزاء هذا الشرط - قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء - والمعنى فمن اتقى وأصلح منكم والذين كذّبوا منكم - وقرئ تَاْتِيَنَّكُمْ بالتاء * [فَمَنْ اَظْلَمُ] فمَن اشنعُ ظلماً ممن تقوّل على الله مالم يقُلْه

عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اَوْ كَذَّبَ بِاٰيٰتِهٖ ؕ اُولٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتٰبِ ؕ حَتّٰٓى اِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ
قَالُوْٓا اَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ ؕ قَالُوْا ضَلُّوْا عَنَّا وَ شَهِدُوْا عَلٰٓى اَنْفُسِهِمْ اَنَّهُمْ كَانُوْا كٰفِرِيْنَ ۝ قَالَ ادْخُلُوْا
فِيْٓ اُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِّنَ الْجِنِّ وَ الْاِنْسِ فِي النَّارِ ؕ كُلَّمَا دَخَلَتْ اُمَّةٌ لَّعَنَتْ اُخْتَهَا ؕ حَتّٰٓى اِذَا
ادَّارَكُوْا فِيْهَا جَمِيْعًا قَالَتْ اُخْرٰىهُمْ لِاُوْلٰىهُمْ رَبَّنَا هٰٓؤُلَآءِ اَضَلُّوْنَا فَاٰتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ؕ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ
وَّلٰكِنْ لَّا تَعْلَمُوْنَ ۝ وَ قَالَتْ اُوْلٰىهُمْ لِاُخْرٰىهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُوْنَ ۝ ع

[اَوْ كَذَّبَ] ما قاله - [اُولٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتٰبِ] اي مما كُتب لهم من الارزاق او الاعمار [حَتّٰى اِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا] حَتّٰى غاية لنَيْلهم نصيبَهم و استيفائهم له اي الى وقت وفاتهم و هي حَتّى التي يبتدأ بعدها الكلام و الكلام ههنا الجملة الشرطية و هي اِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا قَالُوْا - و [يَتَوَفَّوْنَهُمْ] حال من الرُّسل اي متوفّيهم - و الرُّسل مَلَك الموت و اَعْوانُه - و مَا و قعت موصولة بَايْنَ في خط المصحف و كان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الآلهة الذين تدعون - [ضَلُّوْا عَنَّا] غابوا عنّا فلا نراهم و لا ننتفع بهم اعترافاً منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه و انهم لم يجدوه في العاقبة * [قَالَ ادْخُلُوْا] اي يقول الله تعالى يوم القيٰمة لاولئك الذين قال فيهم فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اَوْ كَذَّبَ بِاٰيٰتِهٖ و هم كُفّار العرب [فِيْٓ اُمَمٍ] في موضع الحال اي كائنين في جملة امم و في غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع اُمم [قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ] وتقدّم زمانهم زمانكم [لَّعَنَتْ اُخْتَهَا] التي ضلّت بالاقتداء بها [حَتّٰى اِذَا ادَّارَكُوْا فِيْهَا] اي تداركوا بمعنى تلاحقوا و اجتمعوا في النار [قَالَتْ اُخْرٰىهُمْ] منزلةً و هي الاتباع و السَّفَلَة [لِاُوْلٰىهُمْ] منزلةً و هي القادة و الرؤس و معنى لِاُوْلٰىهُمْ لاجل اولهم لان خطابهم مع الله لا معهم [عَذَابًا ضِعْفًا] مضاعفا [لِكُلٍّ ضِعْفٌ] لان كلًّا من القادة و الاتباع كانوا ضالّين مضلّين [وَلٰكِنْ لَّا تَعْلَمُوْنَ] قرئ بالتاء و الياء * - [فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ] عطفوا هذا الكلامَ على قول الله تعالى للسفلة لِكُلٍّ ضِعْفٌ اي فقد ثبت اَنْ لا فضل لكم علينا و انّا متساوون في استحقاق الضعف [فَذُوْقُوا الْعَذَابَ] من قول القادة او من قول الله لهم جميعا * لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ اَبْوَابُ السَّمَآءِ] لا يصعد لهم عمل صالح اليه يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ كَلَّا - اِنَّ كِتٰبَ الْاَبْرَارِ لَفِيْ عِلِّيِّيْنَ - و قيل ان الجنّة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء و لا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة - و قيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين - و قيل لا تنزل عليهم البركة و لا يغاثون فَفَتَحْنَا اَبْوَابَ السَّمَآءِ - و قرئ لَا تُفَتَّحُ بالتشديد - وَلَا يُفْتَحُ بالياء - وَلَا يَفْتَحُ بالتاء و البناء للفاعل و نصب الابواب على ان الفعل للّٰه تعالى - وبالياء على ان الفعل لله عزّ و جلّ - وقرأ ابن عبّاس الْجُمَّلُ بوزن القُمَّل - وسعيد بن جُبَيْر الْجُمَّلُ بوزن النُّغَر - و قرئ الْجُمْلُ بوزن القُفْل - و الْجُمُلُ بوزن النُّصُب - و الْجَمَلُ بوزن الحَبَل و معناه القِدْس الغليظ لانه حبال جُمعت و جُعلت جملةً واحدةً - و عن ابن عبّاس ان الله احسنُ تشبيها من ان يُشبّه بالجَمل يعني ان الجمل مناسب للخيط الذي يُسلك في سَمّ الابرة و البعيرُ

اِنَّ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوْا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ اَبْوَابُ السَّمَآءِ وَ لَا يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فِيْ سَمِّ
الْخِيَاطِ ؕ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِيْنَ ۝ لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَّ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ؕ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي
الظّٰلِمِيْنَ ۝ وَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَ عَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَآ ۚ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ الْجَنَّةِ ۚ هُمْ فِيْهَا
خٰلِدُوْنَ ۝ وَ نَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمُ الْاَنْهٰرُ ۚ وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ هَدٰىنَا لِهٰذَا ۟ قف
وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ اَنْ هَدٰىنَا اللّٰهُ ۚ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ؕ وَ نُوْدُوْٓا اَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ اُوْرِثْتُمُوْهَا بِمَا كُنْتُمْ

لا يناسبه الّا ان قراءة العامّة اوفع لان سَمّ الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خُرْت الابرة و قالوا لمدليل الماهر خِرِّيت لاهتدائه في المضائق المشبّهة بِخُرات الإبَر و الجَمَل مثل في عِظم الجِرم قال * شعر * جسم الجمال و احلام العصافير * ان الرجال ليسوا بجزر * تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدًا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الّا في باب واسع في ثقب الابرة - و عن ابن مسعود انه سُئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالًا للسائل و اشارةً الى ان طلب معنًى آخر تكلُّف - و قرئ في سَمِّ بالحركات الثلث - و قرأ عبد الله فِيْ سَمِّ الْمِخْيَطِ والخياطُ و المِخيط كالجِزام و المِحزم ما يخاط به و هو الابرة - [وَ كَذٰلِكَ] و مثل ذلك الجزاء الفظيع [نَجْزِي الْمُجْرِمِيْنَ] ليؤذن ان الاجْرام هو السبب المُوصل الى العقاب و ان كل من اجرم عُوقب و قد كرر فقال [وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظّٰلِمِيْنَ] لان كل مجرم ظالم لنفسه - [مِهَادٌ] فراش [غَوَاشٍ] اغْطِيَةٌ - و قرئ غواشٌ بالرفع كقوله وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَاتُ في قراءة عبد الله - [لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا] جملة معترضة بين المبتدأ و الخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وَصْفُ الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوُسْع و هو الامكان الواسع غيرُ الضيق من الايمان و العمل الصالح - و قرأ الاعمش لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ * من كان في قلبه غلّ على اخيه في الدنيا نُزع منه فسلمت قلوبهم و طهرت و لم يكن بينهم الّا التوادّ و التعاطف - و عن عليّ رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا و عثمن و طلحة و الزبير منهم - [هَدٰىنَا لِهٰذَا] اي وفّقنا لموجب هذا الفوز العظيم و هو الايمان و العمل الصالح [وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ] اللام لتوكيد النفي يعنون و ما كان يستقيم ان تكون مهتدين لولا هداية الله و توفيقه - و في مصاحف اهل الشام مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ بغير واو على انها جملة موضحة للاولى [لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ] فكان لنا لطفًا و تنبيهًا على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورًا و اغتباطًا بما نالوا و تلذّذًا بالتكلّم به لا تقرّبًا و تعبّدًا كما ترى مَن رُزق خيرًا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك و لا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة [اَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ] اَنْ مخففة من الثقيلة تقديره و نودوا بانه تِلْكُمُ الْجَنَّةُ اُوْرِثْتُمُوْهَا و الضمير ضمير الشان و الحديث - او تكون بمعنى اَيْ لان المذاداة من القول كانه قيل و قيل لهم [تِلْكُمُ الْجَنَّةُ اُوْرِثْتُمُوْهَا - بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ] بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقوله المبطلة * اَنْ في [اَنْ قَدْ وَجَدْنَا] يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة - و ان تكون مفسّرة كالتي سبقت انفًا و كذلك [اَنْ لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰلِمِيْنَ] و انما قالوا لهم ذلك اغتباطًا بحالهم و شماتةً باصحاب

سورة الاعراف ٧ الجزء ٨ ع ١٣ الثلث

تَعْمَلُونَ ۝ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ
رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ۝ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ
وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ
ٱلنَّارِ ۙ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ
أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۖ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ

النار زيادة في غمّهم وليكون حكايته لطفًا لمن سمعها - وكذلك قول المؤذن بينهم لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰلِمِينَ وهو ملك
امره الله فينادي بينهم نداءً يُسْمِع اهلَ الجنة و اهلَ النار - وقرئ اَنْ لَعْنَةَ اللّٰهِ بالتشديد والنصب - وقرأ
الاعمش اِنَّ لَعْنَةَ اللّٰهِ بكسر اِنَّ على ارادة القول او على اجراء اَذَّنَ مُجْرى قال - فان قلت هلّا قيل
ما وعدكم ربّكم كما قيل مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا - قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وَعَدَنَا عليه - ولقائل ان يقول
اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيامة لانهم كانوا
مكذّبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك - [وَبَيْنَهُمَا
حِجَابٌ] يعني بين الجنة و النار - اوبين الفريقين و هو السور المذكور في قوله فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ - [وَعَلَى
الْأَعْرَافِ] وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة و النار وهي اعاليه جمع عُرْف استعير
من عُرْف الفرس و عُرْف الديك [رِجَالٌ] من المسلمين من اخرهم دخولاً في الجنة لقصور اعمالهم كانهم
المُرْجَوْن لامرالله يُحْبَسون بين الجنة و النار الى ان يأذن الله لهم في دخول الجنة [يَعْرِفُونَ كُلًّا] من
زُمَر السعداء و الاشقياء [بِسِيمَاهُمْ] بعلامتهم التي اعلمهم الله بها يُلْهِمهم الله ذلك او تُعَرِّفهم الملائكة اذا
نظروا الى اصحاب الجنة نادَوْهم بالتسليم عليهم [وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ] ورأوا ما هم
فيه من العذاب استعاذوا بالله و فزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم - و نادوا رجالا من رؤس الكفرة
يقولون لهم [أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللّٰهُ بِرَحْمَةٍ] اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء
يستهينون بهم و يحتقرونهم لفقرهم وقلّة حظوظهم من الدنيا و كانوا يُقْسمون ان الله لا يُدْخلهم الجنة
[ادْخُلُوا الْجَنَّةَ] يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى
الفريقين ويعرفوهم بسيماهم و يتولوا ما يقولون - وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدّم
و التاخّر على حسبها و ان احدًا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلّف عنده الا بتخلّفه فيه
وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوّروا ان كل احد يُعرف ذلك
اليومَ بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير و الشرّ فيرتدع المُسيء عن اساءته
ويزدد المحسن في احسانه وليعلم ان العُصاة يوبّخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا و قوله وَإِذَا صُرِفَتْ

سورة الاعراف ۷ الجزء ۸ ع ۱۴

عَلَيْكُمْ وَلَآ اَنْتُمْ تَحْزَنُوْنَ ۝ وَنَادٰٓى اَصْحٰبُ النَّارِ اَصْحٰبَ الْجَنَّةِ اَنْ اَفِيْضُوْا عَلَيْنَا مِنَ الْمَآءِ اَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ ؕ
قَالُوْٓا اِنَّ اللّٰهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكٰفِرِيْنَ ۝ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِيْنَهُمْ لَهْوًا وَّلَعِبًا وَّغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنْسٰىهُمْ
كَمَا نَسُوْا لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا وَمَا كَانُوْا بِاٰيٰتِنَا يَجْحَدُوْنَ ۝ وَلَقَدْ جِئْنٰهُمْ بِكِتٰبٍ فَصَّلْنٰهُ عَلٰى عِلْمٍ هُدًى وَّرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ ۝ هَلْ يَنْظُرُوْنَ اِلَّا تَاْوِيْلَهٗ ؕ يَوْمَ يَاْتِيْ تَاْوِيْلُهٗ يَقُوْلُ الَّذِيْنَ نَسُوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا
بِالْحَقِّ ۚ فَهَلْ لَّنَا مِنْ شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوْا لَنَآ اَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِيْ كُنَّا نَعْمَلُ ؕ قَدْ خَسِرُوْٓا اَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ
مَّا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَ ۝ ع اِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِيْ سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ قف

اَبْصَارُهُمْ فيه انّ صارفًا يَصْرِف ابصارهم لينظروا فيستعيدوا و يُوَبِّخوا - وقرأ الاعمش وَ اِذَا قُلِبَتْ اَبْصَارُهُمْ - وقرئ اُدْخِلُوا الْجَنَّةَ على بناء للمفعول - وقرأ عكرمة دَخَلُوا الْجَنَّةَ - فان قلت كيف لام هاتين القراءتين قوله [لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا اَنْتُمْ تَحْزَنُوْنَ] - قلت تاويله اُدْخُلوا الجنةَ اودَخلوا الجنةَ مقولا لهم لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا اَنْتُمْ تَحْزَنُوْنَ - فان قلت ما محلّ قوله لَمْ يَدْخُلُوْهَا وَهُمْ يَطْمَعُوْنَ - قلت لا محلّ له لانه استيناف كانّ سائلا سأل عن حال اصحاب الاعراف فقيل لَمْ يَدْخُلُوْهَا وَهُمْ يَطْمَعُوْنَ يعني حالهم ان دخولهم الجنةَ استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم يَيْأَسوا - ويجوز ان يكون له محلّ بان يقع صفةً لرجال - مَا اَغْنٰى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ المالَ او كثرتكم و اجتماعكم - وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُوْنَ و استكباركم عن الحقّ وعلى الناس - وقرئ تَسْتَكْثِرُوْنَ من الكثرة [اَفِيْضُوْا عَلَيْنَا] فيه دليل ان الجنة فوق النار [اَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ] من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة - و يجوز ان يراد او اَلْقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام و الفاكهة كقوله * ع * علفتُها تبنًا وماءً باردا * و انما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابه اليه حيرةً في امرهم كما يفعل المضطرّ الممتحن [حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكٰفِرِيْنَ] منعهم شرابَ الجنة و طعامَها كما يُمنع المكلّف ما يحرّم عليه و يُحظر كقوله * ع * حرام على عينيّ ان تطعما الكرى * [فَالْيَوْمَ نَنْسٰىهُمْ] نفعل بهم فعلَ الناسين الذين ينسون عبيدَهم من الخير لا يذكرونهم به [كَمَا نَسُوْا لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا] كما فعلوا بلقائه فعلَ الناسين فلم يُخطِروه ببالهم و لم يهتمّوا به * [فَصَّلْنٰهُ عَلٰى عِلْمٍ] عالمينَ كيف تُفصّل احكامه و مواعظه و قصصه و سائر معانيه حتى جاء حكيمًا قيّمًا غيرَ ذي عوج * وقرأ ابن مُحَيْصن فَضَّلْنٰهُ بالضاد المعجمة يعني فَضّلناه على جميع الكتب عالمينَ انه اهل للتفضيل عليها [وَهُدًى وَّرَحْمَةً] حال من منصوب فَصَّلْنٰهُ كما انّ عَلٰى عِلْمٍ حال من مرفوعه [اِلَّا تَاْوِيْلَهٗ] الّا عاقبةَ امره و ما يؤل اليه من تبيّن صدقه وظهور صحة ماتطق به من الوعد والوعيد [قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ] اي تبيّن وصحّ انهم جاؤا بالحق [نُرَدُّ] جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل هَلْ لَّنَا مِنْ شُفَعَآءَ او هل نُرَدُّ و رافعُه وقوعه موقعًا يصلح للاسم كما تقول ابتداءً هل يضرب زيد ولا يُطلب له فعل آخر يعطف عليه فلايقدّر هل يَشفع لنا شافع او نردّ - وقرأ ابن ابي اسحٰق اونُرَدَّ بالنصب عطفًا على فَيَشْفَعُوْا - اوتكون

سورة الاعراف ٧ الجزء ٨ ع ١٤

يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَّالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرٰتٍ بِأَمْرِهٖ ۗ اَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ ۗ تَبٰرَكَ
اللّٰهُ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ ۝ (53) اُدْعُوْا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَّخُفْيَةً ۗ اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوْا فِي الْاَرْضِ بَعْدَ اِصْلَاحِهَا
وَادْعُوْهُ خَوْفًا وَّطَمَعًا ۗ اِنَّ رَحْمَتَ اللّٰهِ قَرِيْبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِيْنَ ۝ وَهُوَ الَّذِيْ يُرْسِلُ الرِّيٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

اَوْ بمعنى حتى اَن اي يشفعون لنا حتى نرقَّ فنعملَ - وقرأ الحسن بنصب نُرَدَّ و رفع فَنَعْمَلُ بمعنى فنحن نعمل [يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ] - وقرئ يُغَشِّي بالتشديد اي يُلْحِق الليلَ بالنهار او النهارَ بالليل بحتملهما جميعاً - والدليل على الثاني قراءة حُمَيد بن قَيْس يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ بفتح الياء و نصب الليل و رفع النهار اي يُدْرِك النهارُ الليلَ و [يَطْلُبُهُ حَثِيثًا] حسن الملاءمة لقراءة حُمَيْد [بِأَمْرِهٖ بمشيئته و تصريفه و هو متعلق بمُسَخَّرٰتٍ اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته و تدبيره و كما يريد ان يصرفها سمّى ذلك امرًا على التشبيه كانهن مامورات بذلك - وقرئ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بالرفع و لمّا ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال [اَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ] اي هو الذي خلق الاشياء و هو الذي صرّفها على حسب ارادته • [تَضَرُّعًا وَّخُفْيَةً] نصب على الحال اي ذوي تضرّع و خفية و كذلك خَوْفًا وَّطَمَعًا - والتضرُّع تفعُّل من الضراعة و هي الذلّ اي تذلّلا و تملّقا - و قرئ خِفْيَةً - وعن الحسن ان الله تعالى يعلم القلبَ التقيَّ و الدعاءَ الخفيَّ ان كان الرجل لقد جمع القرآن و ما يشعر به جارُه و ان كان الرجل لقد وَعَى الفقهَ الكثيرَ و لا يشعر الناسُ به و ان كان الرجل ليصلّي الصلوة الطويلةَ و عنده الزُّوّار و ما يشعر به و لقد ادركنا اقوامًا ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السرّ فيكون علانيةً ابداً و لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء و ما يُسْمَع لهم صوت ان كان الا همساً بينهم و بين ربّهم و ذلك ان الله تعالى يقول اُدْعُوْا رَبَّكُمْ و قد اثنى على زكريّا فقال اِذْ نَادٰى رَبَّهٗ نِدَاءً خَفِيًّا و بين دعوة السرّ و دعوة العلانية سبعون ضعفاً [اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ] اي المجاوزين ما اُمروا به في كل شيء من الدعاء و غيره - وعن ابن جُرَيْج هو رفع الصوت بالدعاء - وعنه الصياح في الدعاء مكروه و بدعة - و قيل هو الاسهاب في الدعاء - وعن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم سيكون قوم يعتدون في الدعاء و حسب المرأ ان يقول اللّهم اني اسألك الجنّةَ و ما قرّب اليها من قول و عمل و اعوذ بك من النار و ما قرّب اليها من قول و عمل ثم قرأ قوله اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ - [اِنَّ رَحْمَتَ اللّٰهِ قَرِيْبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِيْنَ] كقوله وَاِنِّيْ لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَاٰمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا - و انما ذكّر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحُّم - او لانه صفةٌ موصوفٍ محذوف اي شيء قريب - او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شُبّه ذاك به فقيل قُتَلاء و اُسَراء - او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض و الضغيب - او لان تانيث الرحمة غير حقيقي • قرئ نُشُرًا و هو مصدر نَشَرَ و انتصابه اما لانّ اَرْسَل و نَشَر متقاربان فكانه قيل نَشَرَها نشراً و اما على الحال بمعنى منتشرات - و نُشُرًا جمع نَشُور - و نُشْرًا تخفيف نُشُر كرُسُل و رُسْل - و قرأ مسروق نَشْرًا بمعنى منشورات

رَحْمَتِهٖ ؕ حَتّٰۤى اِذَاۤ اَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَاَنْزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ فَاَخْرَجْنَا بِهٖ مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ ؕ كَذٰلِكَ سورة الاعراف ۷
نُخْرِجُ الْمَوْتٰى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ ۝ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهٗ بِاِذْنِ رَبِّهٖ ؕ وَالَّذِيْ خَبُثَ لَا يَخْرُجُ اِلَّا نَكِدًا ؕ الجزء ۸
كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَّشْكُرُوْنَ ۝ ع لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوْحًا اِلٰى قَوْمِهٖ فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ ع ۱۵

فَعَلٌ بمعنى مفعول كنَفَض وحَسَب ومنه قولهم ضَمّ نَشَره - وبُشُرًا جمع بشير - و[بُشْرًا] بتخفيفه - وبَشْرًا بفتح الباء مصدر من بَشَره بمعنى بَشَره اي باشرات وبُشرى - [بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهٖ] امام نعمته وهي الغَيْث الذي هو من اجلّ النعم واحسنها اثرا - [اَقَلَّتْ] حملتْ ورفعتْ واشتقاقُ الاقلال من القِلّة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا [سَحَابًا ثِقَالًا] سحائبَ ثِقالا بالماء جمع سَحابة [سُقْنٰهُ] الضمير للسَّحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لأنّث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا [لِبَلَدٍ] مَّيِّتٍ لاجل بلد ليس فيه حَيًا ولِسقْيه - وقرئ [مَيِّتٍ - فَاَنْزَلْنَا بِهٖ] - بالبلد - او بالسحاب - او بالسَّوْق وكذلك فَاَخْرَجْنَا بِهٖ - [كَذٰلِكَ] مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات [نُخْرِجُ الْمَوْتٰى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ] فيؤديكم التذكّر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كلواحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه - [اَلْبَلَدُ الطَّيِّبُ] الارض العذاة الكريمة التُّربة [وَالَّذِيْ خَبُثَ] الارض السبخة التي لا تُنبت ما يُنتفع به [بِاِذْنِ رَبِّهٖ] بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يَخْرج نباته حسنًا وافيًا لانه واقع في مقابلة نَكِدًا - والنَّكِد الذي لا خير فيه - وقرئ يُخْرِجُ نَبَاتَهٗ اي يُخرجه البلد ويُنبته - وقوله والَّذِيْ خَبُثَ صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الّا نَكِدًا فحُذف المضاف الذي هو النبات واُقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مُقامه الّا انه كان مجرورًا بارزًا فانقلبَ مرفوعًا مستكنًّا لوقوعه موقع الفاعل - او يقدّر ونبات الذي خبث - وقرئ نَكَدًا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد - ونَكْدًا باسكانها للتخفيف كقوله نَزْهٍ عن الرِّيَب بمعنى نَزِهٍ وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيهُ من المكلّفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك - وعن مجاهد اٰدم وذريته منهم خبيث وطيّب - وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله بعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيّبة اصابها الغَيْث فانبتتْ والكافرُ بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزله بالبلد الميّت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد [كَذٰلِكَ] مثل ذلك التصريف [نُصَرِّفُ الْاٰيٰتِ] نردّدها ونكرّره [لِقَوْمٍ يَّشْكُرُوْنَ] نعمةَ الله وهم المؤمنون ليفكّروا فيها ويعتبروا بها - وقرئ يُصَرِّفُ بالياء اي يصرّفها الله * [لَقَدْ اَرْسَلْنَا] جواب قسم محذوف - فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الّا مع قَدْ وقلّ عنهم نحو قوله حلفتُ لها بالله حلفةَ فاجر لناموا - قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لاتُساق الّا تاكيدًا للجملة المُقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنّةً لمعنى التوقع الذي هو معنى قَدْ عند استماع المخاطب كلمة القسم - قيل اُرسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجّارا وهو نوحُ بنُ لَمَكَ بنِ مُتَوَشْلِخَ بنِ اُخْنُوخَ واخنوخُ اسم ادريس النبيّ عليه السلام - وقرئ [غَيْرُهٗ] بالحركات الثلاث - فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله

غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ
لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ

غيره - و الجرّ على اللفظ - و النصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من الٰه الّا اياه كقولك ما في الدار من احد الّا زيدا و غيرَ زيد - فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اُعْبُدُوا اللّٰهَ - قلت الاُولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة و الثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون مَن كانوا يعبدونه من دون الله - و [اليَوْمُ العَظِيم] يوم القيٰمة - او يوم نزول العذاب عليهم و هو الطوفان - [المَلَأ] الاشراف و السادة - و قيل الرجال ليس معهم نساء [فِي ضَلَالٍ] في ذهاب عن طريق الصواب و الحق و معنى الرؤية رؤية القلب - فان قلت لم قال [لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ] و لم يقل ضلال كما قالوا - قلت الضلالة اخصّ من الضلال فكان ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك أَلَكَ تمر فقلتَ ما لي تَمْرَة - فان قلت كيف وقع قوله وَلٰكِنِّي رَسُولٌ استدراكا للانتفاء عن الضلالة - قلت كونه رسولا من الله مبلّغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم نصحّ لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة * و قرئ اُبْلِغُكُمْ بالتخفيف - فان قلت كيف موقع قوله [اُبَلِّغُكُمْ] - قلت فيه وجهان - احدهما ان يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسولَ ربّ العٰلمين - و الثاني ان يكون صفة لرَسُولٌ - فان قلت كيف جاز ان يكون صفةً و الرسول لفظه لفظ الغائب - قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن الضمير المخاطب فكان في معناه كما قال *ع* انا الذي سَمَّتْني اُمّي حيدرَه *[رِسٰلٰتِ رَبِّي] ما اُوحي اليّ في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر و النواهي و المواعظ و الزواجر و البشائر و النذائر - و يجوز ان يريد رسالاته اليه و الى الانبياء قبله من صُحُف جدّه ادريس و هي ثلثون صحيفة و من صُحُف شيث و هي خمسون صحيفة [وَأَنْصَحُ لَكُمْ] يقال نصحتُه و نصحتُ له و في زيادة اللام مبالغة و دلالة على اخلاص النصيحة و انها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبهُ لا غير فربّ نصيحة ينتفع به الناصح فيقصد النفعين جميعا و لا نصيحة اصفى من نصيحة الله و رسوله [وَأَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] اي من صفات الله و احواله يعني قدرته الباهرة و شدة بطشه على اعدائه و ان بأسه لا يردّ عن القوم المجرمين - و قيل لم يسمعوا بقوم حلّ بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه - او اراد وَأَعْلَمُ من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اُوحي اليّ دونكم * [أَوَعَجِبْتُمْ] الهمزة للانكار و الواو للعطف و المعطوف عليه محذوف كانه قيل أَكَذَّبتم و عجبتم [أَنْ جَاءَكُمْ] من ان جاءكم [ذِكْرٌ] موعظة [مِنْ رَبِّكُمْ - عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ] على لسان رجل منكم كقوله مٰا وَعَدْتَنٰا عَلىٰ رُسُلِكَ و ذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوّة نوح و يقولون ما سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي اٰبَائِنَا الْأَوَّلِينَ يعنون ارسال البشر وَلَوْشَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلٰئِكَةً [لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا] ليحذّركم عاقبة الكفر و لتُوجَد

فَأَنْجَيْنٰهُ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمًا عَمِيْنَ ۝ وَإِلٰى عَادٍ أَخَاهُمْ
هُوْدًا ۖ قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُوْنَ ۝ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَوْمِهٖ إِنَّا لَنَرٰىكَ
فِيْ سَفَاهَةٍ وَّإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكٰذِبِيْنَ ۝ قَالَ يٰقَوْمِ لَيْسَ بِيْ سَفَاهَةٌ وَّلٰكِنِّيْ رَسُوْلٌ مِّنْ رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ
رِسٰلٰتِ رَبِّيْ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِيْنٌ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَلٰى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ ۖ وَاذْكُرُوْا
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوْحٍ وَّزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۚ فَاذْكُرُوْا اٰلَاءَ اللّٰهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ۝ قَالُوْا أَجِئْتَنَا

منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار [وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ] ولترحموا بالتقوى ان وُجدتْ منكم [وَالَّذِيْنَ مَعَهُ] - قيل كانوا اربعين رجلا و اربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سامٌ و حامٌ و يافثُ و ستةٌ ممن اٰمن به - فان قلت [فِي الْفُلْكِ] بم يتعلق - قلت هو متعلق بمعه كانه قيل و الذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك - و يجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة من الطوفان [عَمِيْنَ] عَمِي القلوب غيرَ مستبصرين - و قرئ عَامِيْنَ - و الفرق بين العَمِيْ و العَامِيْ ان العَمِيَ بدل على عمىً ثابت و العامي على عمىً حادث ونحوه قوله ضَائِقٌ بِهٖ صَدْرُكَ - [أَخَاهُمْ] واحدًا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم و انما جعل واحدا منهم لانهم افهمُ عن رجل منهم و اعرفُ بحاله في صدقه و امانته و هو هود بن شالَخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح وَأَخَاهُمْ عطف على نُوْحًا و [هُوْدًا] عطف بيان له - فان قلت لم حذف العاطف من قوله [قَالَ يٰقَوْمِ] و لم يقل فقال كما في قصة نوح - قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ و كذلك قَالَ الْمَلَأُ - فان قلت لم وصف الملأُ بالَّذِيْنَ كَفَرُوْا دون الملأ من قوم نوح - قلت كان في اشراف قوم هود مَنْ اٰمن به منهم مَرْثَد بن سعد الذي اسلم و كان يكتم اسلامَه فاُريدت المفرقة بالوصف و لم يكن في اشراف قوم نوح مؤمنٌ ونحوه قوله وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِلِقَاءِ الْاٰخِرَةِ - و يجوز ان يكون وصفًا واردًا للذم لا غير [فِيْ سَفَاهَةٍ] في خفة حُلم و سَخافة عقل حيث تجر دين قومك الى دين اٰخر - وجعلت السفاهة ظرفًا على طريق المجاز ارادوا انه متمكن فيها غير منفك عنها و في اجابة الانبياء عليهم السلام مَن نسبهم الى الضلال و السفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم و الإغضاء و ترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس و اسفههم ادبٌ حسنٌ و خُلقٌ عظيمٌ و حكايةُ الله عزوجل ذلك تعليمٌ لعباده كيف يُخاطبون السفهاءَ و كيف يُعْرِضون عنهم و يُسيِّبون أذيالهم على ما يكون منهم - [نَاصِحٌ أَمِيْنٌ] اي عرفتُ فيما بينكم بالنصح و الامانة فما حقي ان اُتهم - او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امينٌ على ما اقول لكم لا اكذب فيه [خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوْحٍ] اي خلفتموهم في الارض - او جعلكم ملوكًا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم [فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً] فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول و البدانة - قيل كان اقصرهم ستين ذراعا و اطولهم مائةَ ذراع [فَاذْكُرُوْا اٰلَاءَ اللّٰهِ] في استخلافكم و بسطة اجرامكم و ما سواهما من عطاياه - و واحد الآلاء اِلًى و نحوه اِدًى

سورة الاعراف ٧ لِنَعْبُدَ اللّٰهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ اٰبَآؤُنَا ۚ فَاْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ۝ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ
الجزء ٨ مِّنْ رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَّغَضَبٌ ؕ اَتُجَادِلُوْنَنِيْ فِيْٓ اَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوْهَآ اَنْتُمْ وَاٰبَآؤُكُمْ مَّا نَزَّلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ ؕ
ع ١٦ فَانْتَظِرُوْٓا اِنِّيْ مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظِرِيْنَ ۝ فَاَنْجَيْنٰهُ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ص وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا

و أناء وضلع و أضلاع وعنب وأعناب - فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه - قلت هو مفعول به و ليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم • [اَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّٰهَ وَحْدَهُ] انكروا و استبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة و ترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبًا لما نشأوا عليه و الفًا لما صادفوا آباءهم يتديّنون به - فان قلت ما معنى المجيء في قوله اَجِئْتَنَا - قلت فيه اوجه - ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنّث فيه كما كان يفعل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بحراء قبل المبعث فلمّا أُوحي اليه جاء قومه يدعوهم - و ان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لايرسل الّا الملائكة فكانّهم قالوا اَجئتنا من السماء كما يجيء الملك - و ان لا يريدوا حقيقة المجيء و لكن التعرّض بذلك و القصد كما يقال ذهب يشتمني ولايراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لِنَعْبُدَ اللّٰهَ وَحْدَهُ و تعرضت لنا بتكليف ذلك -[فَاْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا] استعجال منهم للعذاب - [قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ] اي حقّ عليكم و وجب - او قد نزل عليكم - جُعل المتوقع الذي لابدّ من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك - وعن حسّان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور و هو طفل فجاء يبكي فقال له يابُنيّ ما لك قال لسعني طُوَير كانه ملتفّ في بُردى حِبَرة نضمّه الى صدره وقال يا بُنيّ قد قلت الشعر - وَ الرِّجْس العذاب من الارتجاس و هو الاضطراب [فِيْٓ اَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوْهَا] في اشياء ما هي الّا اسماء ليس تحتها مسمّيات لانكم تسمّونها آلهة و معنى الالهيّة فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله مَا يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهٖ مِنْ شَيْءٍ - و معنى سَمَّيْتُمُوْهَا سمّيتم بها من قولك سمّيته زيدا - وقطع دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم - و قصتهم ان عادًا قد تبسّطوا في البلاد ما بين عُمان وحضرموت وكانت لهم اصنامًا يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيًّا وكان من اوسطهم و افضلهم حسبا فكذّبوه وازدادوا عتوًّا و تجبّرا فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى جُهدوا و كان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله لفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكّة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيّدهم معاوية بن بكر فجهّزت عاد الى مكّة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عتر و مرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكّة خارجًا من الحرم فانزلهم و اكرمهم و كانوا اخواله و صهاره فاقاموا عنده شهرًا يشربون الخمر و تُغنّيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلمّا راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمّه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه و كان يستحيي ان يكلّمهم خيفة ان يظنّوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قُل شعرًا نغنيهم

بِاٰيٰتِنَا ۚ وَ مَا كَانُوْا مُؤْمِنِيْنَ ۝ ع وَ اِلٰى ثَمُوْدَ اَخَاهُمْ صٰلِحًا ۘ قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ غَيْرُهٗ ۘ قَدْ جَآءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ ۘ هٰذِهٖ نَاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ اٰيَةً فَذَرُوْهَا تَاْكُلْ فِيْٓ اَرْضِ اللّٰهِ وَ لَا تَمَسُّوْهَا بِسُوْٓءٍ فَيَاْخُذَكُمْ عَذَابٌ

به لايدرون من قاله فقال معاوية * شعر * الا يا قَيْل ويحك قُمْ فهينِمْ * لعل اللّٰهَ يسقينا غماما * فيسقي ارضَ عادٍ ان عادًا * قد امسوا مايُبينون الكلاما * فلما غَنّتا به قالوا ان قومكم يتغوّثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادْخلوا الحرم و استسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لاتُسْقَون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتُبْتم الى الله سُقيتم و اَظْهر اسلامَه فقالوا لمعاوية احبسْ عنا مرثدا لايقدمنّ معنا مكّة فانه قد اتّبع دين هود و ترك ديننا ثم دخلوا مكّة فقال قَيْل اللّٰهم اسقِ عادًا ماكنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثًا بيضاءَ وحمراءَ وسوداءَ ثم ناداه منادٍ من السماء يا قَيْل اخترْ لنفسك ولقومك فقال اخترتُ السوداءَ فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادٍ لهم يقال له المُغيث فاستبشّروا بها وقالوا هذا عارض مُمطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود و المؤمنون معه فاَتَوْا مكّة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا ـ فان قلت ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله [وَمَاكَانُوْا مُؤْمِنِيْنَ] مع اثبات التكذيب بأيات الله ـ قلت هو تعريض بمن اٰمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا منهم و لم يكونوا مثل من اٰمن منهم ليوذن ان الهلاك خَصّ المكذبين ونجا الله المؤمنين * قرئ [اِلٰى ثَمُوْدَ] بمنع الصرف بتاويل القبيلة ـ و اِلٰى ثَمُوْدٍ بالصرف بتاويل الحيّ او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح ـ و قيل سُمّيت ثمود لقلّة مائها من الثمد و هو الماء القليل وكانت مساكنهم الحِجْر بين الحجاز والشام الى وادي القرى [قَدْ جَآءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ] اٰية ظاهرة و شاهد على صحة نبوّتي كانه قيل ماهذه البيّنة فقال [هٰذِهٖ نَاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ اٰيَةً] و اٰية نصب على الحال والعامل فيها ما دلّ عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اُشيرُ اليها اٰية ـ و لَكُمْ بيان لمَنْ هي له اٰية موجبة عليه الايمانَ خاصة وهو ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اُخْبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها و انها جاءت من عنده مُكوّنة من غير فحل و طَرِيقة اٰية من اٰياته كما تقول اٰية الله ـ و روي ان عادا لما اُهلكتْ عُمرت ثمود بلادَها وخلفوهم في الارض و كثروا و عُمّروا اَعْمارا طِوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدمُ في حيْوته فنحتوا البيوتَ من الجبال و كانوا في سعة و رخاء من العيش فعتَوْا على الله و افسدوا في الارض و عبدوا الوثانَ فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا و صالح من اوسطهم نسبًا فدعاهم الى الله فلم يتّبعه الّا قليل منهم مستضعفون فحذّرهم وانذرهم فسألوه اٰيةً فقال اَيّةَ اٰية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك و ندعو الهتنا فان استجيب لك اتّبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابةَ فلم تُجبهم ثم قال

اَلِيْمٌ ۝ وَاذْكُرُوْٓا اِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَّبَوَّاَكُمْ فِي الْاَرْضِ تَتَّخِذُوْنَ مِنْ سُهُوْلِهَا قُصُوْرًا وَّتَنْحِتُوْنَ الْجِبَالَ بُيُوْتًا ۚ فَاذْكُرُوْٓا اٰلَآءَ اللّٰهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْاَرْضِ مُفْسِدِيْنَ ۝ قَالَ الْمَلَاُ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا مِنْ قَوْمِهٖ لِلَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا

سيّدهم جُنْدع بن عَمرو و اشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اَخْرِجْ لنا من هذه الصخرة ناقةً مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البُخْتَ فان فعلت صَدّقناك واَجَبْناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلتُ ذلك لتؤمنُنّ ولَتُصدقُنّ قالوا نعم فصلّى ودعا ربه فتمخّضت الصخرة تمخُّض النَّتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عُشَراء جوفاء وبراء كما وصفوا لايعلم ما بين جنبَيْها الّا الله وعُظماؤهم ينظرون ثم نَتجتْ ولدًا مثلها في العِظم فآمن به جندع و رهط من قومه ومنع اعقابَهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجرةَ وتشرب الماءَ وكانت تردُ غِبًّا فاذا كان يومها وضعتْ رأسها في البير فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحّج فيحتلبون ماشاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون و يدّخرون قال ابو موسى الاشعريّ اتيتُ ارضَ ثمود فذرعتُ مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعًا وكانت الناقة اذا وقع الحرّ تصيّفت بظهر الوادي فتهرب منها اَنْعامهم فتهبط الى بطنه و اذا وقع البرد تشتّتْ ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشقّ ذلك عليهم وزيّنتْ عقرها لهم امرأتانِ عُنَيْزة امّ غنم وصدقةُ بنت المختار لما اضرّت به من مواشيهما وكانتا كثيرتَي المواشي فعقروها و اقتسموا لحمها و طبخوه فانطلق سَقْبُها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرَغَا ثلثا وكان صالح قال لهم اَدْرِكوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه و انفجّت الصخرة بعد رُغائه فدخلها فقال لهم صالح تُصْبحون غدًا و وجوهكم مُصفرّة وبعد غد و وجوهكم محمرّة و اليوم الثالث ووجوهكم مسودّة ثم يصبّحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فَاَنْجاه الله الى ارض فلسطينَ و لما كان اليوم الرابع و ارتفع الضحى تحنّطوا بالصبر و تكفّنوا بالاَنْطاع فاتتهم صَيْحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا [تَاْكُلْ فِيْٓ اَرْضِ اللّٰهِ] اي الارضُ ارض الله و الناقةُ ناقة الله فذروها تأكلْ في ارض ربّها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسّوها بسوء ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الاذى اكراما لآية الله تعالى - ويروى ان رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم حين مرّ بالحِجْر في غزوة تبوكَ قال لاصحابه لايدخلنّ احد منكم القريةَ ولا تشربوا من ماءها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين الّا ان تكونوا باكين ان يُصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلّى الله عليه و آله وسلّم يا عليُّ اتدري من اشقى الاولينَ قال الله و رسوله اعلم قال عاقرُ ناقة صالح قال اتدري من اشقى الآخرينَ قال الله و رسوله اعلم قال قاتلُك - و قرأ ابو جعفر في رواية تَاْكُلُ فِيْٓ اَرْضِ اللّٰهِ و هو في موضع الحال بمعنى آكلةً [وَّبَوَّاَكُمْ] ونزّلكم و المباءة المنزل [فِي الْاَرْضِ] في ارض الحِجْر بين الحجاز والشام [مِنْ سُهُوْلِهَا قُصُوْرًا] اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص و اللبن و الآجر - وقرأ الحسن وَتَنْحَتُوْنَ بفتح الحاء - و تَنْحَاتُوْنَ باشباع الفتحة كقوله * ع * ينباع من ذِفْرَيْ اسيلٍ حرةٍ * فان قلت علام انتصب [بُيُوْتًا] - قلت على الحال كما تقول خِطْ

لِمَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ اَتَعْلَمُوْنَ اَنَّ صٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّنْ رَّبِّهٖ ؕ قَالُوْٓا اِنَّا بِمَآ اُرْسِلَ بِهٖ مُؤْمِنُوْنَ ۝ قَالَ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْٓا اِنَّا بِالَّذِيْٓ اٰمَنْتُمْ بِهٖ كٰفِرُوْنَ ۝ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ اَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوْا يٰصٰلِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ اِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ ۝ فَاَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاَصْبَحُوْا فِيْ دَارِهِمْ جٰثِمِيْنَ ۝ فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ وَقَالَ يٰقَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ

هذا الثوبَ قميصاً و ابرِ هذه القصبةَ قلماً وهي من الحال المقدرة لان الجبل لايكون بيتاً في حال النحت ولا الثوبُ والقصبةُ قميصاً وقلماً في حال الخياطة والبري - وقيل كانوا يسكنون السهولَ في الصيف والجبالَ في الشتاء [لِلَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا] للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم - و[لِمَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ] بدل من الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا - فان قلت الضمير في مِنْهُمْ راجع الى ما ذا - قلت الى قومه او الى الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا - فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى - قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جُعل مَنْ اٰمَنَ مفسّرا لِمَنِ استضعف منهم فدلّ ان استضعافهم كان مقصوراً على المؤمنين - واذا رجع الى الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا لم يكن الاستضعاف مقصوراً عليهم ودلّ ان المستضعَفين كانوا مؤمنين وكافرين [اَتَعْلَمُوْنَ اَنَّ صٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّنْ رَّبِّهٖ] شيء قالوه على سبيل الطنز والسُخرية كما تقول للمُجسّمة اتعلمون ان الله فوق العرش - فان قلت كيف صحّ قولهم [اِنَّا بِمَآ اُرْسِلَ بِهٖ مُؤْمِنُوْنَ] جواباً عنه - قلت سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امراً معلوماً مكشوفاً مسلّماً لايدخله رَيْب كانهم قالوا العلم بارساله وبما أُرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكَفَرة [اِنَّا بِالَّذِيْٓ اٰمَنْتُمْ بِهٖ كٰفِرُوْنَ] فوضعوا اٰمَنْتُمْ بِهٖ موضعَ أُرسل به ردّاً لما جعله المؤمنون معلوماً واخذوه مسلّماً [فَعَقَرُوا النَّاقَةَ] أُسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضُهم وقد يقال للقبيلة الضَخْمة فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم [وَعَتَوْا عَنْ اَمْرِ رَبِّهِمْ] و تولّوا عنه و استكبروا عن امتثاله عاتين - وامرُ ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فَذَرُوْهَا تَاْكُلْ فِيْٓ اَرْضِ اللّٰهِ وشأن ربهم وهو دينه - و يجوز ان يكون المعنى وصدر عتوّهم عن امر ربهم كانّ امْر ربهم بتركها كانَ هو السبب في عتوّهم ونحو عَنْ هذه ما في قوله وَمَا فَعَلْتُهٗ عَنْ اَمْرِيْ [ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ] ارادوا من العذاب و انما جاز الاطلاق لانه كان معلوماً و استعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علّقوه بما هم به كافرون و هو كونه من المرسلين - [الرَّجْفَةُ] الصيحة التي زُلزلت لها الارض واضطربوا لها [فِيْ دَارِهِمْ] في بلادهم او في مساكنهم [جٰثِمِيْنَ] هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جُثَّم اي قعود لا حراك بهم ولا يتبسون نبسة ومنه المجثّمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى - وعن جابر ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا مرّ بالحجر قال لا تسئلوا الآيات فقد سألها قومُ صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبقَ منهم الا رجل واحد كان في حَرَم الله فلوا مَن هو قال ذلك ابو رِغال فلمّا خرج من الحَرَم اصابه ما اصاب قومَه - و رُوي ان صالحاً كان بعثه الى قوم فخالفَ امْرَه - و رُوي انه مرّ بقبر ابي رِغال فقال اتدرون مَن هذا قالوا اللّٰهُ و رسولُه

رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لَّا تُحِبُّوْنَ النّٰصِحِيْنَ ۝ وَلُوْطًا اِذْ قَالَ لِقَوْمِهٖٓ اَتَاْتُوْنَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ اَحَدٍ مِّنَ الْعٰلَمِيْنَ ۝ اِنَّكُمْ لَتَاْتُوْنَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُوْنِ النِّسَآءِ ؕ بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُوْنَ ۝ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهٖٓ اِلَّآ اَنْ قَالُوْٓا

اعلمُ فذكر قصةَ ابي رِغال وانه دُفن هٰهنا ودُفن معه غُصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصنَ - وتولّى عَنْهُمْ] الظاهر انه كان مشاهداً لما جرى عليهم وانه تولّى عنهم بعد ما ايصرهم جاثمين تولّيَ مغتمّ متحسّر على ما فاته من ايمانهم يتحزّن لهم ويقول يا قوم لقد بذلتُ فيكم وُسعي ولم آلُ جهداً في ابلاغكم والنصيحةِ لكم ولٰكنكم لا تُحبّون الناصحين - ويجوز ان يتولّى عنهم تولّيَ ذاهب عنهم منكرٍ لاصرارهم حين رأى العلاماتِ قبل نزول العذاب - وروي ان عَمْرهم الذاهَ كان يومَ الاربعاء ونزل بهم العذابُ يومَ السبت - وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفتَ فرأى الدخانَ ساطعاً فعلم انهم هَلكوا وكانوا الفاً وخمسمائة دار - وروي انه رجع بمَن معه فسكنوا ديارهم - فان قلت كيف صحّ خطاب الموتى وقوله [وَلٰكِنْ لَّا تُحِبُّوْنَ النّٰصِحِيْنَ] - قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو مَيّت وكان قد نَصَحه ولم يسمع منه حتى القى بنفسه في المَهلكة يا اخي كم نصحتُك وكم قلتُ لك فلم تنقبل مني وقوله وَلٰكِنْ لَّا تُحِبُّوْنَ النّٰصِحِيْنَ حكاية حالٍ ماضية * [وَلُوْطًا] وارسلنا لوطاً و [اِذْ] ظرف لارسلنا - اوَ اذكُرْ لُوطاً و اِذْ بدل منه بمعنى واذكرْ وقتَ قال لقومه [اَتَاْتُوْنَ الْفَاحِشَةَ] اتفعلون السيئة المتمادية في القبح [مَا سَبَقَكُمْ بِهَا] ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقتُه بالكُرة اذا ضربتَها قبله ومنه قوله عليه السلام سَبَقك بها عُكّاشةُ [مِنْ اَحَدٍ مِّنَ الْعٰلَمِيْنَ] من الاولى زائدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض - فان قلت ما موقع هذه الجملة - قلت هي جملة مستانفة انكر عليهم اولاً بقوله اَتَاْتُوْنَ الْفَاحِشَةَ ثم وبّخهم عليها فقال انتم اول من عملها - او على انه جواب لسوال مقدّر كانهم قالوا لِمَ لا ناتيها فقال مَا سَبَقَكُمْ بِهَا اَحَدٌ فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به - اِنَّكُمْ لَتَاْتُوْنَ الرِّجَالَ بيان لقوله اَتَاْتُوْنَ الْفَاحِشَةَ والهمزة مثلها في اَتَاْتُوْنَ للانكار والتعظيم - وقرئ [اِنَّكُمْ] على الاخبار لمستانف [لَتَاْتُوْنَ الرِّجَالَ] من اتى المرأة اذا غشيها [شَهْوَةً] مفعول له اي للاشتهاء لا حاملَ لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داعٍ آخر ولا ذمّ اعظمُ منه لانه وصفٌ لهم بالبهيميّة وانه لا داعيَ لهم من جهة العقل البتةَ كطلب النسل ونحوه - او حال بمعنى مشتهين تابعين لشهوة غيرَ ملتفتين الى النساجة بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُوْنَ] اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي تُوجب ارتكابَ القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتُهم الاسرفُ وتجاوزُ الحدود في كل شيء فمن ثَمّه اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُوْنَ - [وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهٖٓ اِلَّآ اَنْ قَالُوْا] يعني ما اجابوه بما يكون جواباً عما كلّمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسرف الذي هو اصل الشرّ كلّه ولكنهم جاؤا بشيء آخر لا يتعلّق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومَن معه من المؤمنين من قريتهم ضجراً بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم - وقولهم [اَنَّهُمْ اُنَاسٌ يَّتَطَهَّرُوْنَ] سخريةٌ بهم وبتطهّرهم

أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ۚ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۝ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۖ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ

من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من الفذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنّا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد - [وَأَهْلَهُ] ومن يختص به من ذويه ارمن المؤمنين [مِنَ الْغَابِرِينَ] من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم - وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت - وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن - وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار - وقيل خُسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشُذّاذهم - وقيل أُمطر عليهم ثم خُسف بهم - وروي ان تاجراً منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه - فان قلت اي فرق بين مَطَرَ وأَمْطَرَ - قلت يقال مطرتهم السماء وادٍ ممطور - وفي توابع الكلام حَرِيٌّ غيرُ مَطور حَرِيٌّ ان يكون غيرَ ممطور - ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم عاثتهم وراثتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ وامطرنا عليهم حجارة من سجيل - ومعنى [وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا] وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ - كان يقال لشعيب خطيبُ الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكائيل والموازين - [قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ] معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما أمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه [فَأَوْفُوا] وَلَا تَبْخَسُوا - فان قلت ما كانت معجزته - قلت قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ولانه لابد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتُصدّقه والا لم تصح دعواه وكان مُتنبئاً لا نبيًّا غير ان معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر اكثرُ معجزات نبينا عليه السلام فيه - ومن معجزات شُعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع اليه غنمه - وولادة الغنم الدُرّعَ خاصةً حين وعده ان يكون له الدُرع من اولادها - ووقوع عصا آدم على يده في المرآت السبع وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبئ موسى فكانت معجزات لشعيب - فان قلت كيف قيل [الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ] وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود - قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال - او سُمّي ما يكال به بالكيل كما قيل العَيْش لما يُعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان - ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس - وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم - او كانوا مُكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه كما يفعل أمراء الحرميين -

سورة الاعراف ٧ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
الجزء ٨ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
ع ١٨ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ

و روي انهم كانوا اذا دخل العريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد و قالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر او اعطوه بدلها زيوفا [بَعْدَ إِصْلَاحِهَا] بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبياء و اتباعهم العاملين بشرائعهم و اضافته كاضافة قوله بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بمعنى بل مكركم في الليل و النهار - او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف - [ذَٰلِكُمْ] اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل و الميزان و ترك البخس و الافساد في الارض او الى العمل بما امرهم به و نهاهم عنه - و معنى [خَيْرٌ لَّكُمْ] يعني في الانسانية و حسن الاحدوثة و ما تطلبونه من التكسب و لترجح ان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة و السوية [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] ان كنتم مصدقين لي في قولي ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ [وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ] و لا تقتدوا بالشيطان في قوله لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين و الدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ - و محل [تُوعِدُونَ] و ما عطف عليه النصب على الحال اي و لا تقعدوا موعدين و صادين عن سبيل الله و باغيها عوجا - فان قلت صراط الحق واحد وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ - وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ فكيف قيل بِكُلِّ صِرَاطٍ - قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف و حدود و احكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا رأوا احدا يشرع في شيء منها أوعدوه و صدوه - فان قلت الم يرجع الضمير في آمَنَ بِهِ - قلت الى كُلِّ صِرَاطٍ تقديره تُوعِدُونَ مَنْ آمَنَ بِهِ و تصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سَبِيلِ اللَّهِ موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم و دلالة على عظم ما يصدون عنه - و قيل كانوا يجلسون على الطرق و المراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة - و قيل كانوا يقطعون الطرق - و قيل كانوا عشارين - [وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا] و تطلبون لسبيل الله عوجا أي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدهم عن سلوكها و الدخول فيها - او يكون تبكيتا بهم و انهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج - [وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا] إذ مفعول به غير ظرف اي و اذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم [فَكَثَّرَكُمْ] الله و قرعددكم - قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط عليه السلام فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة و النماء فكثروا و نموا - و يجوز اذ كُنتُمْ مقلين وفراء فَكَثَّرَكُمْ فجعلكم مكثرين موسرين - او كنتم اقلة أذلة وأعزكم بكثرة العدد و العدد - [عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] اخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح و هود و صالح و لوط و كانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة - [فَاصْبِرُوا] فتربصوا و انتظروا [حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا] اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين و يظهرهم

وَهُوَ خَيْرُ الْحٰكِمِيْنَ ۝ قَالَ الْمَلَاُ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا مِنْ قَوْمِهٖ لَنُخْرِجَنَّكَ يٰشُعَيْبُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَآ اَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِيْ مِلَّتِنَا ؕ قَالَ اَوَلَوْ كُنَّا كٰرِهِيْنَ ۝ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اِنْ عُدْنَا فِيْ مِلَّتِكُمْ بَعْدَ اِذْ نَجّٰىنَا اللّٰهُ مِنْهَا ؕ وَمَا يَكُوْنُ لَنَآ اَنْ نَّعُوْدَ فِيْهَآ اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ اللّٰهُ رَبُّنَا ؕ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ؕ عَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْنَا ؕ رَبَّنَا افْتَحْ

عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فَتَرَبَّصُوْٓا اِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُوْنَ - او هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر و احتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم و ينتقم لهم منهم - ويجوز ان يكون خطاباً للفريقين اي ليصبرُ المؤمنون على اذى الكفار و ليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب [وَهُوَ خَيْرُ الْحٰكِمِيْنَ] لان حكمه حق و عدل لا يُخاف فيه الحيف اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم و اما عودكم في الكفر - فان قلت كيف خاطبوا شعيباً عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم اَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِيْ مِلَّتِنَا و كيف اجابهم بقوله اِنْ عُدْنَا فِيْ مِلَّتِكُمْ بَعْدَ اِذْ نَجّٰىنَا اللّٰهُ مِنْهَا وَمَا يَكُوْنُ لَنَآ اَنْ نَّعُوْدَ فِيْهَآ والانبياءُ لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلاً عن الكبائر فضلاً عن الكفر - قلت لما قالوا [لَنُخْرِجَنَّكَ يٰشُعَيْبُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَكَ] نعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لَتعودنَّ فغلّبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراءً للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال اِنْ عُدْنَا فِيْ مِلَّتِكُمْ بَعْدَ اِذْ نَجّٰىنَا اللّٰهُ مِنْهَا وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم و ان كان بريأً من ذلك اجراءً لكلامه على حكم التغليب - فان قلت فما معنى قوله [وَمَا يَكُوْنُ لَنَآ اَنْ نَّعُوْدَ فِيْهَآ اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ اللّٰهُ] و الله تعالى متعالٍ ان يشاء رِدّةَ المؤمنين وعودهم في الكفر - قلت معناه الا ان يشاء الله خذلاننا و مَنْعَنا الالطافَ لعلمه انها لا تنفع فينا و تكون عبثاً و العبثُ قبيح لا يفعله الحكيمُ و الدليلُ عليه قوله [وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا] اي هو عالم بكل شيء ممّا كان و ما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحوّل و تلوّنهم كيف تتقلّب و كيف تقسو بعد الرقّة و تمرض بعد الصحة و ترجع الى الكفر بعد الايمان - [عَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْنَا] في ان يُثبتنا على الايمان و يوفّقنا لازدياد الايقان - ويجوز ان يكون قوله اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ اللّٰهُ حسماً لطمعهم في العود لان مشيئة الله لعودهم في الكفر محالٌ خارجٌ عن الحكمة [اَوَلَوْ كُنَّا كٰرِهِيْنَ] الهمزةُ للاستفهام و الواو واو الحال تقديره أتُعيدوننا في ملّتكم في حال كراهتنا و مع كوننا كارهين [وَمَا يَكُوْنُ لَنَا] وما ينبغي لنا وما يصح [رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا] احكُمْ بيننا و الفتاحة الحكومة - او اظهرْ امرنا حتى ينفتح ما بيننا [وَبَيْنَ قَوْمِنَا] وينكشف بان تنزّل عليهم عذاباً يتبيّن معه انهم على الباطل [وَاَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِيْنَ] كقوله وَهُوَ خَيْرُ الْحٰكِمِيْنَ - فان قلت كيف اُسلوب قوله قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اِنْ عُدْنَا فِيْ مِلَّتِكُمْ - قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان - احد هما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجّب كانهم قالوا ما اَكْذَبَنَا على الله ان عُدْنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتدّ ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر مفترٍ على الله الكذبَ حيث يزعم

بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ۝ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا
إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۛ
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ۝ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ
فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝ ع وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَضَّرَّعُونَ ۝ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً

ان لله ندًا ولا ندّ له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبيّن له ما خفي عليه من التمييز بين الحقّ والباطل - والثاني ان يكون قسماً على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبًا * [وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ] اي اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان [لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ] لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ - وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية - فان قلت ما جواب القسم الذي وطأته اللامُ في لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ وجوابُ الشرط - قلت قوله إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ سادٌّ مسدّ الجوابين [الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا] مبتدأ خبره [كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا] وكذلك [كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ] وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان أُهلكوا واستُؤصلوا كأنْ لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبًا قد انجاهم الله الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستينافِ والابتداءِ وهذا التكريرِ مبالغةٌ في ردّ مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيهُ آرائهم واستهزاءٌ بنصحهم لقومهم واستعظامٌ لما جرى عليهم - الاسى شدة الحزن - قال العجّاج * ع * وانحلبتْ عيناه من فرط الاسى * اشتدّ حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتدّ حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم - ويجوز ان يريد لقد اعذرتُ اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذيرِ مما حلّ بكم فلم تسمعوا قولي ولم تُصدّقوني [فَكَيْفَ آسَىٰ] عليكم يعني انه لا يأسى عليهم لانهم لبسوا احقاء بالاسى - وقرأ يحيى بن وثّاب فَكَيْفَ إِيْسَى بكسر الهمزة - [إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ] بالبؤس والفقر [وَالضَّرَّاءِ] بالضرّ والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعزّزهم عليه [لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ] ليتضرعوا ويتذللوا ويخطوا آرية الكبر والعزة * [ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ] اي اعطيناهم بدلَ ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاءَ والسعةَ والصحةَ كقوله وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ [حَتَّىٰ عَفَوْا] كثروا ونموّا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشعر والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى - وقال الحُطَيْئة * ع * بمستأسد القُرْيان عاف نباتُه * وقال * شعر * ولكنّا نَعُضّ السيفَ منها * بأسْوق عافيات للشعير * وقالوا قد مسّ آباءنا الضرّاءُ والسرّاءُ [يعني ابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضرّاء والسرّاء وقد مسّ آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ◎ وَلَوْ اَنَّ اَهْلَ الْقُرٰٓى اٰمَنُوْا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكٰتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْاَرْضِ وَلٰكِنْ كَذَّبُوْا
فَاَخَذْنٰهُمْ بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ ◎ اَفَاَمِنَ اَهْلُ الْقُرٰٓى اَنْ يَّاْتِيَهُمْ بَاْسُنَا بَيَاتًا وَّهُمْ نَآئِمُوْنَ ◎ اَوَاَمِنَ اَهْلُ الْقُرٰٓى
اَنْ يَّاْتِيَهُمْ بَاْسُنَا ضُحًى وَّهُمْ يَلْعَبُوْنَ ◎ اَفَاَمِنُوْا مَكْرَ اللّٰهِ ۚ فَلَا يَاْمَنُ مَكْرَ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْخٰسِرُوْنَ ◎ اَوَلَمْ يَهْدِ
لِلَّذِيْنَ يَرِثُوْنَ الْاَرْضَ مِنْ بَعْدِ اَهْلِهَآ اَنْ لَّوْ نَشَآءُ اَصَبْنٰهُمْ بِذُنُوْبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُوْنَ ◎ تِلْكَ

الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيأت و الحسنات الا ان ناخذهم بالعذاب فاخذناهم اشدّ الاخذ و افظعهُ و هواخذهم فُجاءة من غير شعور منهم - اللام في [الْقُرٰى] اشارة الى القُرى التي دلّ عليها قوله وَمَآ اَرْسَلْنَا فِيْ قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كَذَّبوا و اُهلكوا [اٰمَنُوْا] بدل كفرهم [وَاتَّقَوْا] المعاصيَ مكان ارتكابها [لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكٰتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْاَرْضِ] لأتيناهم بالخير من كل وجه - وقيل اراد المطر و النبات [وَلٰكِنْ كَذَّبُوْا فَاَخَذْنٰهُمْ] بسوء كسبهم - و يجوز ان يكون اللام في القُرى للجنس - فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم - قلت تيسيرها عليهم كما يتيسّر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحتُ على القاري اذا تعذّرت عليه القراءة فيسّرتها عليه بالتلقين [بَيَاتًا] يكون بمعنى البيتوتة يقال باتَ بياتًا و منه قوله فَجَآءَهَا بَاْسُنَا بَيَاتًا اَوْهُمْ قَآئِلُوْنَ - و يكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بَيَّتَهُ العدوّ بياتًا فيجوز ان يراد ان ياتيهم بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيّتا او مُبيّتين - او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيتهم بأسنا بيتا و [ضُحًى] نصب على الظرف يقال اتانا ضُحًى و ضُحيًّا و ضُحاءً - والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقتْ وارتفعتْ - و الفاء والواو في اَفَاَمِنَ و اَوَاَمِنَ حرفا عطف دخلتْ عليهما همزة الانكار - فان قلت ما المعطوف عليه و لم عُطفت الاولى بالفاء و الثانية بالواو - قلت المعطوف عليه قوله فَاَخَذْنٰهُمْ بَغْتَةً وقوله وَلَوْ اَنَّ اَهْلَ الْقُرٰى الى يَكْسِبُوْنَ وقع اعتراضا بين المعطوف و المعطوف عليه وانما عُطف بالفاء لان المعنى فعلوا و صنعوا فاخذناهم بغتةً أبَعْدَ ذلك امنَ اهلُ القرى ان ياتيهم بأسنا بياتا و امنوا ان ياتيهم بأسنا ضحًى - وقرئ اَوْاَمِنَ على العطف بَلْ [وَهُمْ يَلْعَبُوْنَ] يشتغلون بما لا يُجدي عليهم كانهم يلعبون - فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله [اَفَاَمِنُوْا مَكْرَ اللّٰهِ] - قلت هو تكرير لقوله اَفَاَمِنَ اَهْلُ الْقُرٰى - ومَكْرُ اللّٰهِ استعارة لاخذه العبدَ من حيث لا يشعر و لاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمُحارب الذي يَخاف من عدوه الكمينَ و البياتَ و الغَيلةَ - وعن الربيع بن خُثَيم ان ابنته قالتْ له ما لي ارى الناسَ ينامون ولا اراك تنام قال يابنيّة ان اباكِ يخاف البياتَ اراد قوله اَنْ يَّاْتِيَهُمْ بَاْسُنَا بَيَاتًا - اذا قرئ اَوَلَمْ يَهْدِ بالياء كَاَنْ لَّوْ نَشَآءُ مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلُفون مَنْ خلا قبلهم في ديارهم و يرثونهم ارضَهم هذا الشانُ و هو انّا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا مَنْ قبلهم و اهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين - واذا قرئ بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم يبيّن الله للوارثين هذا الشانَ بمعنى اولم نُبيّن لهم انا لو نشاء [اَصَبْنٰهُمْ بِذُنُوْبِهِمْ] كما اصبنا

الْقُرٰى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ اَنْبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ فَمَا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْا بِمَا كَذَّبُوْا مِنْ قَبْلُ ؕ
كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوْبِ الْكٰفِرِيْنَ ۝ وَمَا وَجَدْنَا لِاَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ ۚ وَاِنْ وَّجَدْنَآ اَكْثَرَهُمْ لَفٰسِقِيْنَ ۝ ثُمَّ
بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُّوْسٰى بِاٰيٰتِنَآ اِلٰى فِرْعَوْنَ وَمَلَا۟ئِهٖ فَظَلَمُوْا بِهَا ۚ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِيْنَ ۝ وَقَالَ مُوْسٰى

مَن قبلهم و انما عُدّي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين - فان قلت بم تعلّق قوله نَطْبَعُ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ - قلت فيه اوجه - ان يكون معطوفا على ما دلّ عليه معنى اَوَ لَمْ نَهْدِ كانه قيل يغفلون عن الهداية و نطبع على قلوبهم او على يَرِثُوْنَ الْاَرْضَ - او يكون منقطعا بمعنى و نحن نطبع على قلوبهم - فان قلت هل يجوز ان يكون وَنَطْبَعُ بمعنى و طبعنا كما كان لَوْنَشَاءُ بمعنى لوشئنا و يعطف على اَصَبْنٰهُمْ - قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة مَن قبلهم من اقتراف الذنوب و الاصابة بها - و هذا التفسير يؤدّي الى خلوّهم عن هذه الصفة و ان الله لو شاء لاتّصفوا بها * [تِلْكَ الْقُرٰى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ اَنْبَآئِهَا] كقوله تعالى هٰذَا بَعْلِيْ شَيْخًا في انه مبتدأ و خبرٌ و حالٌ - و يجوز ان تكون الْقُرٰى صفةً لِتِلْكَ و نَقُصُّ خبرا - و ان يكون الْقُرٰى نَقُصُّ خبراً بعد خبر - فان قلت ما معنى تِلْكَ الْقُرٰى حتى يكون كلاما مفيدًا - قلت هو مفيد و لكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم - فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى بنَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ اَنْبَآئِهَا - قلت معناه ان تلك القرى المذكورةَ نقصّ عليك بعض انبائها و لها انباء غيرها لم نقصّها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرُّسُل بالبيّنات بما كذّبوه من ايات الله من قبل مجيء الرسل - او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذّبوا به اوّلاً حين جاءتهم الرسل اي استمرّوا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرّين لا يرعوون و لا تلين شكيمتهم في كفرهم و عنادهم مع تكرّر المواعظ عليهم و تتابع الآيات - و معنى اللام تاكيد النفي و ان الايمان كان منافياً لحالهم في التصميم على الكفر - و عن مجاهد هو كقوله وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ [كَذٰلِكَ] مثل ذلك الطبع الشديد [يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوْبِ الْكٰفِرِيْنَ] وَمَا وَجَدْنَا لِاَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ] الضمير للناس على الاطلاق اي و ما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقضَ عهد الله و ميثاقَه في الايمان و التقوى [وَاِنْ وَّجَدْنَا] و ان الشان و الحديث و جدنا [اَكْثَرَهُمْ لَفٰسِقِيْنَ] خارجين عن الطاعة مارقين و الآيةُ اعتراض - و يجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين و انهم كانوا اذا عاهدوا في ضرّ و مخافة لئن انجيتنا من هذه لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ لى قوله اِذَا هُمْ يَنْكُثُوْنَ - و الوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدًا ذا الحفاظ بدليل دخول اِن المخففة و اللام الفارقة و لا يسوغ ذلك الا في المبتدأ و الخبر و الافعال الداخلة عليهما [مِنْ بَعْدِهِمْ] الضمير للرُّسُل في قوله وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ او للامم - [فَظَلَمُوْا بِهَا] كفروا بايانا اُجْرِي الظلم مجرى الكفر لانهما من وادٍ واحد اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ - او ظلموا الناس بسببها

يُفْرِعُونُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۖ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ سورة الاعراف ٧
وَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ۝ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ الجزء ٩
فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ ع ٣

حين اوعدوهم وصدوهم عنها و اذوا من امن بها و لانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها و اضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان • يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة و كانه قال يا ملك مصر و كان اسمه قابوس - و قيل الوليد بن مصعب بن الريان - [حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَنْ لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ] فيه اربع قراءات - المشهورة و حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَّا أَقُولَ و هي قراءة نافع - و حَقِيقٌ أَنَ لَّا أَقُولَ و هي قراءة عبد الله - و حَقِيقٌ بِأَنْ لَّا أَقُولَ و هي قراءة أُبَيّ - و في المشهورة اشكال و لا تخلو من وجوه - احدها ان يكون مما يقلب من الكلام لأمن الالباس كقوله • ع • و تشقى الرماح بالضاطرة الحُمْر • و معناه وتشقى الضاطرة بالرماح و حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَّا أَقُولَ و هي قراءة نافع - و الثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له - و الثالث ان يُضمَّن حقيق معنى حريص كما ضُمن هَيجني معنى ذكّرني في بيت الكتاب - و الرابع وهو الوجه الادخل في نُكَت القرآن ان يُغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد رُوي ان عدو الله فرعون قال له لما قال إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب على قول الحق ان اكون انا قائله و القائم به ولا يرضى الا بمتلبي ناطقا به [فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ] فخلّهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم و مولد آبائهم و ذلك ان يوسف عليه السلام لما تُوفي و انقرضت الأسباط غلب فرعون نَسْلهم و استعبدهم فانقذهم الله بموسى و كان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر و اليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام - فان قلت كيف قال له [فَأْتِ بِهَا] بعد قوله إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ - قلت معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك بآية فأتني بها و احضرها عندي لنصحّ دعواك و يثبت صدقك - [ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ] ظاهرٌ امره لا يُشكّ في انه ثعبان - و روي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لَحيَيْه ثمانون ذراعا وضع لحيَهُ الاسفل في الارض و لحيَهُ الاعلى على سور القصر ثم توجّه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب و احدث و لم يكن احدث قبل ذلك و هرب الناس و صاحوا و حمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة و عشرون الفا قتل بعضهم بعضا و دخل فرعون البيت و صاح يا موسى خُذه و انا اؤمن بك و أرسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا - فان قلت بم يتعلق [لِلنَّٰظِرِينَ] - قلت يتعلق ببَيْضَاءُ و المعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجائب - و ذلك ما يروى انه اتى فرعون يده و قال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه و عاد مدرة

سورة الاعراف ٧ الجزء ٩ ع ٣

يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ
عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ
إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ

صوف و بزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس و كان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة •
[إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ] اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية و الأدم ابيض - فان قلت قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء و انه قال للملا وعزي هٰهنا اليهم - قلت قد قاله هو و قالوه هم فحكي قوله ثم و قولهم هٰهنا او قاله ابتداء فتلقفه منه الملا فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يروي الواحد منهم الرأي فيتكلم به من يليه من الخاصة ثم يتلقاه الخاصة العامة و الدليل عليه انهم اجابوه في قولهم أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ - و قرئ سَحَّارٍ اي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم و المهارة او بخير منه و كانت هذه مواضعة مع التبط - و قولهم [فَمَاذَا تَأْمُرُونَ] من أمرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك برأيي - و قيل فَمَاذَا تَأْمُرُونَ كلام فرعون قاله الملا لما قالوا له إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ كانه قيل فماذا تامرون فقالوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ و معنى [أَرْجِهْ وَأَخَاهُ] أخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما و تدبر امرهما - وقيل احبسهما - و قرئ أَرْجِئْهُ بالهمزة و أَرْجِهِ من أَرْجَأَ و أَرْجَاهُ - فان قلت هلا قيل وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ فقالوا - قلت هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذا جاؤه فأجيب بقوله قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا اي جعلا على الغلبة - و قرئ [إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا] على الاخبار و اثبات الاجر العظيم و الاجابة كانهم قالوا لابد لنا من اجر و التنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا و ان له لغنما يقصدون الكثرة - فان قلت وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ما الذي عطف عليه - قلت هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه [قَالَ] الايجابا لقولهم إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا [نَعَمْ] ان لكم اجرا [وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ] اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده و ان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب و هو التقريب و التعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه و يغتبط به اذا نال معه الكرامة و الرفعة - و روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل و آخر من يخرج - و روي انه دعا برؤساء السحرة و معلميهم فقال لهم ماصنعتم قالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به - و روي انهم كانوا ثمانين الفا - و قيل سبعين الفا - و قيل بضعة و ثلثين الفا - و اختلفت الروايات فمن مقل و من مكثر - و قيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى - و قيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر • تحييرهم آباه ادب حسن راعوا معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتقدمين قبل ان يتناولوا في الجدال و المتصارعين قبل ان يتأخذوا للصراع - و قولهم وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ | فيه مايدل على رغبتهم في ان يُلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل و تعريف الخبر - او تعريف الخبر و اقحام الفصل

عَظِيمٍ ۝ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ۝ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ۝ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۝ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ رَبِّ
مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۚ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا
أَهْلَهَا ۚ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ
رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۝ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۝ ع

وقد سوّغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراءً لشانهم وقلّةً مبالاةٍ بهم وثقةً بما كان بصدده من التائيد السماويّ وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدًا [سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ] اروها بالحيل والشعوذة وخيّلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يُخَيَّلُ إِلَيْهِمْ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ - روي انهم القوا حبالاً غلاظًا وخشبًا طوالاً فاذا هي امثال الحيّات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضًا [وَاسْتَرْهَبُوهُمْ] وارهبوهم ارهابًا شديدًا كانهم استدعوا رهبتهم [بِسِحْرٍ عَظِيمٍ] في باب السحر - روي انهم لوّنوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها مايوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق [مَا يَأْفِكُونَ] مَا موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزوّرنه او افكهم تسميةً للمافوك بالافك - روي انها لمّا تلقفت ملأ الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصًا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرّقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرًا لبقيت حبالنا وعصيّنا [فَوَقَعَ الْحَقُّ] فحصل وثبت - ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاتر فيها من قولهم فاسٌ وقيعٌ [وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ] وصاروا اذلاء مبهوتين - [وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ] وخرّوا سجّدًا كانما القاهم ملقٍ لشدة خرورهم - وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكانهم ألقوا - عن قتادة كانوا اول النهار كفّارًا سحرة وفي آخره شهداء برزة - وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفّار نشأوا في الكفر بذلوا انفسهم لله • [آمَنْتُمْ بِهِ] على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخًا لهم وتقريعًا - وقرئ ءَآمَنْتُمْ بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد [إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ] ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك بعرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويهًا على الناس لئلا يتّبعوا السحرة في الايمان - وروي ان موسى قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتينّ بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومننّ بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال - [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] وعيدٌ اجمله ثم فصّله بقوله [لَأُقَطِّعَنَّ] وقرئ لَأَقْطَعَنَّ بالتخفيف وكذلك [ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ مِنْ خِلَافٍ] من كل شقّ طرفًا - وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون [إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ] فيه اوجه - ان يريدوا انّا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك - او نقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب - او انّا جميعًا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا - او انّا لا محالة ميتون منقلبون الى الله

سورة الاعراف ۷ الجزء ۹ ع ۴

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ
وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ۝ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ
يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ

فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لابد لنا منه [وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا] وما تعيب منا الا الايمان بايات الله ارادوا ما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله * ع * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * [أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا] هَبْ لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا - وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اويغمره بالحياء والخجل - او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم [وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ] ثابتين على الاسلام - [وَيَذَرَكَ] عطف على يفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة * شعر * الم اك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء * والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك - وقرئ وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ بالرفع عطفا على أَتَذَرُ بمعنى أَتَذَرُهُ وأَيَذَرُكَ اي اتطلق له ذلك - او يكون مستانفا - او حالا على معنى أَتَذَرُهُ وهو يذرك وآلهتك - وقرأ الحسن وَيَذَرْكَ بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ كانه قيل أَصَّدَّقْ - وقرأ انس رضي الله عنه وَنَذَرَكَ بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها - وقرئ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ اي عبادتك - وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك - وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ - [سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ] يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد * [قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ] قال لهم ذلك حين قال فرعون سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم - فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها - قلت هي جملة مبتدأة مستانفة - واما وَقَالَ الْمَلَأُ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ - وقوله [إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ] يجوز ان يكون اللام للعهد وتراد ارض مصر خاصة كقوله وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ - وان تكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض

قَالَ عَسٰى رَبُّكُمْ اَنْ يُّهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْاَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَ ۝ وَلَقَدْ اَخَذْنَآ اٰلَ فِرْعَوْنَ
بِالسِّنِيْنَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ۝ فَاِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوْا لَنَا هٰذِهٖ ۚ وَاِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَّطَّيَّرُوْا بِمُوْسٰى وَمَنْ مَّعَهٗ ؕ اَلَآ اِنَّمَا طٰٓئِرُهُمْ عِنْدَ اللّٰهِ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝ وَقَالُوْا مَهْمَا تَاْتِنَا بِهٖ مِنْ

كما قال ضَمْرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنسَ و غرضُه ان يتناوله تناولا اوليًّا [وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ] بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم و من القبط و ان المشيئة متناولة لهم - و قرأ وَ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِيْنَ بالنصب ابيٌّ و ابنُ مسعود عطفًا على الْاَرْضَ - [اُوْذِيْنَا مِنْ قَبْلِ اَنْ تَاْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا] يعنون قتلَ ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استُنْبِئَ و اعادته عليهم بعد ذلك و ما كانوا يُستعبَدون به ويُمْتَهَنون فيه من انواع الخدم و المهن ويُمَسّون به من العذاب - [عَسٰى رَبُّكُمْ اَنْ يُّهْلِكَ عَدُوَّكُمْ] تصريح بما رمز اليه من البشارة قبلُ و كشفٌ عنه و هو اهلاك فرعون و استخلافهم بعده في ارض مصرَ [فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَ] فيرى الكائنَ منكم من العمل حَسَنه و قبيحه و شكرَ النعمة و كفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم - و عن عَمرو بن عُبَيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة و على ما ئدته رغيف او رغيفان فطلبَ زيادة لعمرٍو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استُخْلف فذكر له ذلك و قال قد بقي فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَ [بِالسِّنِيْنَ] بسنيِ القحط - و السَّنَةُ من الاسماء الغالبة كالدابّة و النجم ونحو ذلك و قد اشتقّوا منها فقالوا اَسْنَتَ القومُ بمعنى اَقْحطوا - وقال ابن عبّاس اما السنون فكانت لبادِيتهم واهل مواشيهم و اما نقصُ الثمرات فكان في امصارهم - و عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة [لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ] فيتنبّهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر و تكذيبهم لايات الله ولان الناس في حال الشدة اضرعُ خدودًا و الينُ اَعْطافا و ارقّ افئدة - و قيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم يرَ مكروهًا في ثلثمائة و عشرين سنةً ولو اصابه في تلك المدة وجع اوجوع اوحُمّى لما ادّعى الربوبية * [فَاِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ] من الخِصب و الرخاء [قَالُوْا لَنَا هٰذِهٖ] اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة و الرفاهية و اللامُ مثلها في قولك الجُلّ للفرس - [وَاِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ] من ضيقة وجدب [يَّطَّيَّرُوْا بِمُوْسٰى وَمَنْ مَّعَهٗ] يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لَمَا اصابتْنا كما قالت الكَفَرة لرسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم هٰذِهٖ مِنْ عِنْدِكَ - فان قلت كيف قيل فَاِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ بإذا و تعريف الحسنة وَاِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِاِنْ وتنكير السيئة - قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه و اما السيئة فلا يقع الا في الندرة و لا يقع الا شيء منها - و منه قول بعضهم قد عددتُ ايامَ البلاء فما عددتُ ايام الرخاء [طٰٓئِرُهُمْ عِنْدَ اللّٰهِ] اي سببُ خيرهم و شرّهم عند الله وهو حكمه و مشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة و السيئة وليس شؤم احد و لا يُمْنه بسبب فيه كقوله قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ - و يجوز ان يكون معناه اَلَا انما سبب شؤمهم عند الله و هو عملهم المكتوبُ عنده الذي يجري عليهم ما يسوؤهم لاجله و يعاقبون له بعد موتهم مما

سورة الاعراف ٧ الجزء ٩ ع ٥

اٰيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِيْنَ ۝ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوْفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ

وعدهم الله تعالى في قوله اَلَّا اِنَّمَا طٰٓئِرُهُمْ عِنْدَ اللّٰهِ وهو اسم لجمع طائر غير تكسير و نظيره التَّجر و الرَّكب - وعند ابي الحسن هو تكسير - [مَهْمَا] هي ما المضمنة معنى الجزاء ضُمّت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قوله متى ما تخرج اخرج اَيْنَمَا تَكُوْنُوْا يُدْرِكْكُّمُ الْمَوْتُ - فَاَمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ الآن الالف فأبدت هاءً استثقالاً لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري - ومن الناس من زعم ان مَهْ هي الصوت الذي يُصوّت به الكفّ وما للجزاء كانه قيل كُفَّ ما [تَأْتِنَا بِهٖ مِنْ اٰيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِيْنَ] - فان قلت ما محل مَهْمَا - قلت الرفع بمعنى اَيُّما شيء تأتنا به - او النصب بمعنى ايَّما شيء تُحضرنا تأتنا به - ومِنْ اٰيَةٍ تبيينٌ لمَهْمَا - والضميران في بِهٖ وبِهَا راجعان الى مَهْمَا لا ان احدهما ذُكّر على اللفظ والثاني أُنّث على المعنى لانه في معنى الاٰية ونحوه قول رهير * شعر * ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تُعْلم * وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي تُحيّرنا من لايدلّه في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتُك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسّر مهما تأتنا به من اٰية بمعنى الوقت فيلحد في ايات الله وهو لايشعُر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه - فان قلت كيف سمّوها اٰية ثم قالوا لِتَسْحَرَنَا بِهَا - قلت ما سمّوها اٰية لاعتقادهم انها اٰية وانما سمّوها اعتباراً لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهّي - و [الطُّوْفَان] مناطف بهم وغلبهم من مطر او سَيْل - قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مُطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمساً ولا قمراً ولا يقدر احدٌ ان يخرج من داره - وقيل اَرْسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوتُ القبط ماءً حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوتَ بني اسرائيل قطرة وفاض الماءُ على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعةَ ايام - وعن ابي قلابةَ الطوفانُ الجدريّ وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض - وقيل هو الموتانُ - وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادعُ لنا ربّك يكشف عنّا ونحن نؤمن بك فدعا فرُفع عنهم فما أمنوا فنبتَ لهم تلك السنة من الكلأ والزرع مالم يعهدوا بمثله فاقاموا شهراً فبعث الله عليهم الجرادَ فاكلت عامةَ زروعهم وثمارهم ثم اكلتْ كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء فقزعوا الى موسى ودعوه التوبةَ فكشف عنهم بعد سبعة ايام فخرج موسى عليه السلام الى الفضاء فاشار بعصاه نحوَ المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهراً فسلّط الله عليهم القُمّل وهو الحَمْنان في قول ابي عبيدة كبارُ القِردان - وقيل الدبا وهو اولاد الجراد - قيل ذرّت اجنحتها - وقيل البراغيث - وعن سعيد بن جُبَيْر السوس فاكل ما ابقاه الجرادُ ولَحَسَ الارضَ وكان يدخل

اٰيٰتٍ مُّفَصَّلٰتٍ قف فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِيْنَ ۝ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوْا يٰمُوْسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ۚ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ ۝ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ

بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصّه وكان يأكل احدهم طعاماً فيمتلئ قُمَلا وكان يُخرج احدهم عشرةَ اجربة الى الرحا فلا يردّ منها الّا يسيراً - وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيبٌ اعفرُ فضربه موسى بعصاه فصار قُمَلا فاخذ في اَبشارهم واَشعارهم واَشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودَهم كانه الجُدريّ فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرُفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآنَ انك ساحر وعزةِ فرعون لا نُصدّقك ابدًا فَاَرسل الله عليهم بعد شهرٍ الضفادعَ فدخلتْ بيوتَهم وامتلأتْ منها آنيتهم واطعمتهم فلا يَكشف احد شيأً من ثوب ولاطعام ولاشراب الّا وَجد فيه الضفادعَ وكان الرجل اذا اراد ان يتكلّم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرُقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تُغلى وفي التنانير وهي تَفور فبكَوْا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الّا ان نتوب التوبةَ النصوحَ ولا نعود فاخذ عليهم العهودَ ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدمَ فصارت مياههم دماً فشكَوْا الى فرعون فقال انه سَحَرَكم فكان يجمع بين القبطيّ والاسرائيليّ على اناءٍ واحدٍ فيكون ما يلي الاسرائيليَّ ماءً وما يلي القبطيَّ دمًا ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماءُ حتى ان المرأة القبطيّة تقول لجاريتها الاسرائيلية اجعلي الماءَ في فيكِ ثم مُجّيه في فيّ فيصير الماء في فيها دمًا وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمصّ الاشجار الرَّطْبةَ فاذا مضغها صار ماؤُها الطيّبُ مِلحاً اُجاجاً - وعن سعيد بن المُسيّب سَالَ عليهم النيلُ دمًا - وقيل سَلّط الله عليهم الرُعافَ - وروي ان موسى عليه السلام مكثَ فيهم بعد ما غَلب السَّحَرةَ عشرين سنةً يُريهم هذه الآياتِ - وروي انه لمّا اراهم اليدَ والعصا ونَقْصَ النفوس والثمرات قال يارَبِّ ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمةً ولقومي عظةً ولمَن بعدي آيةً فحينئذٍ بعثَ الله عليهم الطوفانَ ثم الجرادَ ثم ما بعده من النِقم - وقرأ الحسن وَالْقَمْلَ بفتح القاف وسكون الميم يريد القَمْل المعروف - [اٰيٰتٍ مُّفَصَّلٰتٍ] نصب على الحال ومعنى مُفَصَّلات مبيّنات ظاهرات لايُشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيرُه وانها عبرةٌ لهم ونقمةٌ على كفرهم - او فُصّل بين بعضها وبعضٍ بزمان يُمتحن فيه احوالهم ويُنظر ايستقيمون على ما وَعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم * بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ] مَا مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباءُ امّا ان يتعلق بقوله اُدْعُ لَنَا رَبَّكَ على وجهين - احدهما اَسْعِفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحقّ ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة - او ادعُ اللهَ لنا متوسّلا اليه بعهده عندك - واما ان يكون قَسَمًا مُجابًا لَنُؤْمِنَنَّ اي اقسمنا بعهد الله عندك [لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ - اِلٰٓى اَجَلٍ هُمْ بَالِغُوْهُ] الى حدٍ من الزمان هم بالغوه لا محالةً فمعذّبون فيه لا ينفعهم ما تقدّم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله -

سورة الاعراف ٧ الرِّجْزَ اِلٰٓى اَجَلٍ هُمْ بٰلِغُوْهُ اِذَا هُمْ يَنْكُثُوْنَ ۝ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَاَغْرَقْنٰهُمْ فِي الْيَمِّ بِاَنَّهُمْ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا وَكَانُوْا عَنْهَا
جزء ٩ غٰفِلِيْنَ ۝ وَاَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِيْنَ كَانُوْا يُسْتَضْعَفُوْنَ مَشَارِقَ الْاَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِيْ بٰرَكْنَا فِيْهَا ؕ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ
ع ٤ رَبِّكَ الْحُسْنٰى عَلٰى بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ بِمَا صَبَرُوْا ؕ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهٗ وَمَا كَانُوْا يَعْرِشُوْنَ ۝
الربع وَجٰوَزْنَا بِبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ الْبَحْرَ فَاَتَوْا عَلٰى قَوْمٍ يَّعْكُفُوْنَ عَلٰٓى اَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوْا يٰمُوْسَى اجْعَلْ لَّنَآ اِلٰهًا كَمَا لَهُمْ

[اِذَا هُمْ يَنْكُثُوْنَ] جواب لَمَّا يعني فلما كشفنا عنهم فَاجَاُوا النكثَ و بادروه لم يوخروه و لم كما كُشف عنهم نكثوا - [فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ] فاردنا الانتقامَ منهم [فَاَغْرَقْنٰهُمْ] و اليمُّ البحر الذي لا يُدرك قعره - و قيل هو لُجّة البحر و معظم مائه و اشتقاقهُ من اتيمٌ لان المستنفعين به يقصدونه [بِاَنَّهُمْ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا] اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات و غفلتهم عنها و قلّة فكرهم فيها - [الْقَوْمَ الَّذِيْنَ كَانُوْا يُسْتَضْعَفُوْنَ] هم بنو اسرائيل كانَ يستضعفهم فرعونُ و قومُه و [الْاَرْضِ] ارض مصر و الشام مَلَكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة و العمالقة و تصرّفوا كيف شاؤا في اطرافها و نواحيها الشرقية و الغربية [بٰرَكْنَا فِيْهَا] بالخصب و سعة الارزاق - [كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنٰى] قوله و نُرِيْدُ اَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا فِي الْاَرْضِ الى قوله مَا كَانُوْا يَحْذَرُوْنَ - و الحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة - و معنى تمّتْ على بني اسرائيل مضتْ عليهم و استمرّتْ من قولك تمّ على الامر اذا مضى عليه [بِمَا صَبَرُوْا] بسبب صبرهم و حسبك به حاثًّا على الصبر و دالًّا على ان من قابلَ البلاءَ بالجزع وَكَله الله اليه و مَن قابله بالصبر و انتظارِ النصر ضمن الله له الفرجَ - و عن الحسن عجبتُ ممن خفّ كيف خفّ و قد سمع قوله و تلا الاية و معنى خفّ طاش جزعًا و قلّة صبر و لم يرزن رزانة اولى الصبر - و قرأ عاصم في رواية وَتَمَّتْ كَلِمٰتُ رَبِّكَ الْحُسْنٰى و نظيره مِنْ اٰيٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى - [مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهٗ] ما كانوا يعملون و يُسوّون من العمارات و بناء القصور [وَمَا كَانُوْا يَعْرِشُوْنَ] من الجنات وَهُوَ الَّذِيْٓ اَنْشَاَ جَنّٰتٍ مَّعْرُوْشٰتٍ - او و ما كانوا يرفعون من الابنية المشيّدة في السماء كصرح هامان و غيره - و قرئ يَعْرِشُوْنَ بالكسر و الضم - و ذكر اليزيديّ ان الكسر افصح - و بلغني انه قرأ بعض الناس يَغْرِسُوْنَ من غرس الاشجار و ما احسبهُ الا تصحيفًا منه - و هذا اخر ما اقتصّ الله من نبأ فرعون و القبط و تكذيبهم بايات الله و ظلمهم و معاصيهم ثم اتبعه اقتصاصَ نبأ بني اسرائيل و ما احدثوه بعد انقاذهم من مَلكة فرعون و استعباده و معاينتهم للايات العظام و مجاوزتهم البحرَ من عبادة البقر و طلب رؤية الله جهرةً و غير ذلك من انواع الكفر و المعاصي ليعلم حال الانسان و انه كما وصفه ظلوم كفّار جَهُول كَنُود الا مَن عصمه الله وَقَلِيْلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُوْرُ و ليسلّي رسولَ الله صلى الله عليه و اله و سلم مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة - و روي انه عبر بهم موسى يومَ عاشوراءَ بعد ما اهلك الله فرعونَ و قومَه فصاموه شكرًا لله [فَاَتَوْا عَلٰى قَوْمٍ] فمرّوا عليهم [يَّعْكُفُوْنَ عَلٰٓى اَصْنَامٍ لَّهُمْ] يواظبون على عبادتها و يلازمونها - قال ابن جريج كانت تماثيلَ بقر و ذلك اول شان العجل - و قيل كانوا قومًا من لَخْم - و قيل كانوا من الكنعانيّين

اٰلِهَةً ط قَالَ اِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُوْنَ ۝ اِنَّ هٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيْهِ وَبٰطِلٌ مَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ۝ قَالَ اَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْغِيْكُمْ اِلٰهًا
وَّهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ ۝ وَاِذْ اَنْجَيْنٰكُمْ مِّنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُوْنَكُمْ سُوْٓءَ الْعَذَابِ ج يُقَتِّلُوْنَ اَبْنَآءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُوْنَ نِسَآءَكُمْ ط وَفِيْ ذٰلِكُمْ بَلَآءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌ ۝ ع وَوٰعَدْنَا مُوْسٰى ثَلٰثِيْنَ لَيْلَةً وَّاَتْمَمْنٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ

الذين امر موسى بقتالهم - و قرئ و جوّزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان و جوّزه و جاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه و علّاه و عالّاه - وقرئ يعكفون بضم الكاف و كسرها [اجعل لّنا الٰها] صنما نعكف عليه [كَمَا لَهُمْ اٰلِهَةٌ] اصنام يعكفون عليها - و ما كافّة للكاف و لذلك وقعت الجملة بعدها - و عن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلافكم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لّنا الٰها و لما تجف اقدامكم - [اِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُوْنَ] تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية العظمى و المعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق و اكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم و لا اشنع - [اِنَّ هٰٓؤُلَآءِ] يعني عبدة تلك التماثيل [مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيْهِ] مدمّر مكسّر ما هم فيه من قولهم اناء متبّر اذا كان فُضاضا و يقال لكسار الذهب التبراي يُتبّر الله و يعدم دينهم الذي هم عليه على يدي و تُحطّم اصنامهم هذه و يتركها رُضاضا [وَبٰطِلٌ مَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ] اي ما عملوا شيأ من عبادتها فيما سلف الا و هو باطلٌ مضمحلّ لا ينتفعون به و ان كان في زعمهم تقرّبا الى الله كما قال وَ قَدِمْنَا اِلٰى مَا عَمِلُوْا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰهُ هَبَآءً مَّنْثُوْرًا و في ايقاع هؤلاء اسما لانّ و تقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسمٌ لعبدة الاصنام بادنم هم المعرضون للتبار و انه لا يعدوهم البتة و انه لهم ضربةٌ لازب لتحذرهم عاقبةَ ما طلبوا و يُبغض اليهم ما احبّوا * [اَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْغِيْكُمْ اِلٰهًا] اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا و هو فعّل بكم ما فعّل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يُعطها احدا غيركم لتخصّوه بالعبادة و لا تُشركوا به غيره - و معنى الهمزة الانكار و التعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادةَ غير الله - [يَسُوْمُوْنَكُمْ سُوْٓءَ الْعَذَابِ] يبغونكم شدّة العذاب من سام السلعةَ اذا طلبها - فان قلت ما محلّ يَسُوْمُوْنَكُمْ - قلت هو استيناف لا محلّ له - و يجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من اٰلِ فِرْعَوْنَ - و [ذٰلِكُمْ] اشارة الى الانجاء او الى العذاب - و [البلاء] النعمة او المحنة - و قرئ يَقْتُلُوْنَ بالتخفيف - روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل و هو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون و ما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربّه الكتابَ فامره بصوم ثلثين و هو شهر ذي القعدة فلما اتمّ الثلثين انكر خُلوفَ فيه فتسوّكَ فقالت الملائكة كنّا نشمّ من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك - و قيل اوحى الله اليه اما علمتَ ان خلوف فم الصائم اطيبُ عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرةَ ايام من ذي الحجّة لذلك - و قيل امره بان يصوم ثلثين يوما و ان يعمل فيها بما يُقرّبه من الله ثم انزلت عليه التوراة في العشر و كم فيها و لقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة و فصّلها هٰهنا - و [مِيْقَاتُ رَبِّهٖٓ] ما وقّت له من الوقت و ضربه له - و [اَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً] نصب على الحال اي تمّ بالغا هذا العددَ -

١٣٩

مِيقَاتُ رَبِّهٖٓ اَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً ج وَقَالَ مُوْسٰى لِاَخِيْهِ هٰرُوْنَ اخْلُفْنِيْ فِيْ قَوْمِيْ وَاَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيْلَ الْمُفْسِدِيْنَ ۝
وَلَمَّا جَآءَ مُوْسٰى لِمِيْقَاتِنَا وَكَلَّمَهٗ رَبُّهٗ قَالَ رَبِّ اَرِنِيْٓ اَنْظُرْ اِلَيْكَ ط قَالَ لَنْ تَرٰىنِيْ وَلٰكِنِ انْظُرْ اِلَى

و [هٰرُوْنَ] عطف بيان لِاَخِيْهِ - وقرئ بالضم على النداء [اخْلُفْنِيْ فِيْ قَوْمِيْ] كُنْ خليفتي فيهم [وَاَصْلِحْ] وكُنْ مصلحًا - او واَصْلِحْ ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومَن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تُطِعْه [لِمِيْقَاتِنَا] الوقتنا الذي وَقَّتْنا له وحَدَّدْنا - ومعنى اللام الاختصاصُ فكأنه قيل واختصّ مجيئه لميقاتنا كما تقول اتيتُه لعشرٍ خَلَوْنَ من الشهر - [وَكَلَّمَهٗ رَبُّهٗ] من غير واسطة كما يكلّم الملَكَ وتكليمه ان يخلق الكلامَ منطوقًا به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطًا في اللوح - وروي ان موسى كان يسمع ذلك الكلامَ من كل جهة - وعن ابن عبّاس كلّمه اربعين يومًا واربعين ليلةً وكتب له الالواح - وقيل انما كلّمه في أوّل الاربعين [اَرِنِيْٓ اَنْظُرْ اِلَيْكَ] ثاني مفعولي اَرِنِيْ محذوف اي اَرِنِيْ نفسَك انْظُرْ اليك - فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل اَرِنِيْٓ اَنْظُرْ اِلَيْكَ - قلت معنى اَرِنِيْ نفسَك اجعلني متمكّنًا من رؤيتك بان تتجلّى لي فانظرَ اليك واراك - فان قلت فكيف [قَالَ لَنْ تَرٰىنِيْ] ولم يقل لن تنظر اليّ كقوله اَنْظُرْ اِلَيْكَ - قلت لمّا قال اَرِنِيْ بمعنى اجعلني متمكّنًا من الرؤية التي هي الادراك عُلم ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراكَ معه فقيل لَنْ تَرٰىنِيْ ولم يقل لن تنظر اليّ - فان قلت كيف طلب موسى ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواسّ وذلك انما يصحّ فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة - ومَنْع المجبرة احالتَه في العقول غير لازم لانه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبَه وقد قال حين اخذت الرجفةُ الذين قالوا اَرِنَا الله جهرةً اَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّآ الى قوله تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَآءُ فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضُلّالًا - فان قلت ما كان طالبه الرؤيةَ الا ليبكّت هؤلاء الذين دعاهم سفهاءَ وضُلّالًا وتبرأ من فعلهم وليُلْقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطاء ونَبّههم على الحق فلجّوا وتمادَوْا في لَجاجهم وقالوا لا بدّ ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النصّ من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لَنْ تَرٰىنِيْ ليتيقّنوا ويتراحَ عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رَبِّ اَرِنِيْٓ اَنْظُرْ اِلَيْكَ - فان قلت فلمّا قال لَهم ينظروا اليك - قلت لان الله سبحانه انما كلّم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلمّا سمعوا كلام رَبّ العزة ارادوا ان يُرِيَ موسى ذاتَه فيُبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوا معه ارادةً مبنيّةً على قياس فاسد فلذلك قال موسى اَرِنِيْٓ اَنْظُرْ اِلَيْكَ ولانه اذا زُجر عما طَلب وكُفّر عليه في نبوّته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار وان الرسول امامُ امّته وكان ما يخاطَبُ به او يخاطِبُ راجعًا اليه - وقوله اَنْظُرْ اِلَيْكَ وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجلّ صاحب الجُمل ان يجعل الله منظورًا اليه مقابلا بحاسّة النظر

الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ج فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَّ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا ج فَلَمَّآ
أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ يٰمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسٰلٰتِي

فكيف بمن هو اغرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عُبَيد و النظام وابي الهُزَيل والشيخين وجميع المتكلمين - فان قلت ما معنى لَنْ - قلت تاكيد النفي الذي يعطيه لاَ وذلك ان لاَ تنفي المستقبل تقول لا افعل غداً فاذا اكدت نفيها قلت لَنْ افعل غداً - و المعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَّلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ - وقوله لاَ تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ نفي للرؤية فيما يستقبل وَلَنْ تَرَانِي تاكيد وبيان لان المنفي مُنافٍ لصفاته - فان قلت كيف اتصل الاستدراكُ في قوله وَلٰكِنِ انْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ بما قبله - قلت اتصل به على معنى ان النظر اليّ محال فلا تطلبْهُ ولكن عليك بنظرٍ آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دَكًّا بسبب طلبك الرؤيةَ لتستعظم ما اقدمت عليه بما أُريك من عظم اثره كانه عَزَّ وعلا حَقَّق عند طلب الرؤية ما مَثَّله عند نسبة الولد اليه في قوله وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا اَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا - [فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ] كما كان مستقرًا ثابتًا ذاهباً في جهاته [فَسَوْفَ تَرَانِي] تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكّه دكًا ويسويه بالارض وهذا كلام مُدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تُخلِّص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بُني الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي [فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ] فلمَّا ظهر له اقتداره وتصدّى له امره وارادته [جَعَلَهُ دَكًّا] اي مدكوكًا مصدر بمعنى مفعول كضَرْب الامير والدكّ والدقّ اخوان كالشكّ والشقّ - وقرئ دَكَّاءَ والدكّاء اسم للربوة الناشزة من الارض كالدكّة - او ارضا دَكّاء اي مستوية ومنه قولهم ناقة دكّاء متواضعة السَّنام - وعن الشعبيّ قال لي الربيع بن خُثَيم ابسُطْ يدك دكّاء اي مُدَّها مستوية - وقرأ يحيى بن وَثّاب دُكًّا اي قطعًا دُكًّا جمع دَكّاء [وَخَرَّ مُوسٰى صَعِقًا] من هول ما رأى وصَعِق من باب فَعَلْتُه ففعِل يقال صَعَقه فصعِق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صَقَعه اذا ضربه على رأسه ومعناه خَرّ مغشياً عليه غشيةً كالموت - وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشيّ عليه فجعلوا يلكزونه بارجُلهم ويقولون يا ابن النساء الحُيَّض أَطمعتَ في رؤية رب العزة - [فَلَمَّا اَفَاقَ] من صعقته [قَالَ سُبْحٰنَكَ] انزّهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها [تُبْتُ اِلَيْكَ] من طلب الرؤية [وَاَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِيْنَ] بانك لستَ بمرئيّ ولا مدرَك بشيء من الحواس - فان قلت فان كان طلب الرؤية المعرض الذي ذكرته فمِمَّ تاب - قلت من اجرائه تلك المقالةَ العظيمةَ وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله - فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها و جعله دكًا وكيف اصعقهم ولم يُخلِ كليمه من نفيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبّح ربّه ملتجيا اليه و تاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه

سورة الاعراف ٧ الجزء ٩ ع ٦

وَبِكَلَامِي ز فَخُذْ مَا اٰتَيْتُكَ وَكُنْ مِّنَ الشّٰكِرِيْنَ ۝ وَكَتَبْنَا لَهٗ فِي الْاَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَّتَفْصِيْلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ج فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَّاْمُرْ قَوْمَكَ يَاْخُذُوْا بِاَحْسَنِهَا ط سَاُورِيْكُمْ دَارَ الْفٰسِقِيْنَ ۝ سَاَصْرِفُ

و قال اَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِيْنَ ثم تعجّب من المتسمّين بالاسلام المنتسبين باهل السنّة و الجماعة كيف تخذوا هذه العظيمه مذهباً ولا يغرّنك تستّرهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العداية فيهم • شعر • اَلجماعةُ سمّوْا هواهم سنّةً • وجماعةُ حُمْرٍ لعمري موكفه • قد شبّهوه بخلقه و تخوّفوا • شُنَعَ الورى فتستّروا بالبلكفه • و تفسير آخر و هو ان يريد بقوله اَرِنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ عَرِّفْنِي نفسك تعريفًا واضحًا جليًّا كانها ارادة في جلائها بآية مثل ايات القيمة التي تضطرّ الخلق الى معرفتك - اَنْظُرْ لَبَّيْكَ اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سَتَرَوْنَ ربّكم كما تَرَوْنَ القمرَ ليلةَ البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جليّة هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ و استوى - قَالَ لَنْ تَرٰنِيْ اي لن تُطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة - وَلٰكِنِ انْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فاني اوردُ عليه و اُظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجلّيها وَاسْتَقَرَّ مَكَانَهٗ ولم يتضعضع فَسَوْفَ تَرٰنِيْ تثبت لها وتطيقها - فَلَمَّا تَجَلّٰى رَبُّهٗ لِلْجَبَلِ فلما ظهرت له آية من آيات قدرته و عظمته جَعَلَهٗ دَكًّا وَّخَرَّ مُوْسٰى صَعِقًا لعظم ما رأى - فَلَمَّا اَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ اِلَيْكَ مما افترحتُ وتجاسرت - وَاَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِيْنَ بعظمتك و جلالتك وان شيأ لا يقوم لبطشك وبأسك • [اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ] اخترتُك على اهل زمانك و اثرتُك عليهم [بِرِسٰلٰتِيْ] و هي اَسْفار التورية [وَبِكَلَامِيْ] و بتكليمي اياك [فَخُذْ مَا اٰتَيْتُكَ] ما اعطيتك من شرف النبوّة و الحكمة [وَكُنْ مِّنَ الشّٰكِرِيْنَ] على النعمة في ذلك فيّ من اجلّ النعم - و قيل خرّ موسى صعقًا يوم عرفة و عُطي التورية يومَ النحر - فان قلت كيف قيل اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ و كان هرون مصطفًى مثله و نبيًّا - قلت اَجَلْ و لكنه كان تابعًا له و رِدْأً و وزيرًا والكليم هو موسى و الاصيل في حمل الرسالة - ذكروا في عدد الالواح و في جوهرها و طولها انها كانت عشرةَ الواح - و قيل سبعةً - و قيل اوحين - و انها كانت من زمرّد جاء بها جبرئيل - و قيل من زبرجدة خضراء و ياقوتة حمراء - و قيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صمّاء لَيّنها له فقطعها بيده و شقّها باصابعه - و عن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية - وان طولها كان عشرة ذرع - و قوله [مِنْ كُلِّ شَيْءٍ] في محل النصب مفعول كَتَبْنَا وَمَوْعِظَةً وَّتَفْصِيْلًا] بدل منه و المعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ و تفصيل الاحكام - و قيل انزلت التورية وهي سبعون وِقْرَ بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعةُ نفر موسى و يوشعُ و عُزير و عيسى - و عن مقاتل كُتب في الالواح انّي انا الله الرحمٰن الرحيم - لا تُشركوا بي شيأً - ولا تقطعوا السبيلَ - ولا تحلفوا باسمي كاذبًا فان من حلف باسمي كاذبًا لا اُزكّيه - ولا تقتلوا - ولا تزنوا - ولا تعقّوا الوالدين • [فَخُذْهَا] فتناوله خذها عطفًا على كُذ - و يجوز ان يكون بدلا من قوله فَخُذْ مَا اٰتَيْتُكَ و ضمير

عَنْ اٰيٰتِيَ الَّذِيْنَ يَتَكَبَّرُوْنَ فِي الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ؕ وَاِنْ يَّرَوْا كُلَّ اٰيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوْا بِهَا ۚ وَاِنْ يَّرَوْا سَبِيْلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوْهُ سَبِيْلًا ۚ وَاِنْ يَّرَوْا سَبِيْلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوْهُ سَبِيْلًا ؕ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا وَكَانُوْا عَنْهَا غٰفِلِيْنَ ۝ وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا وَلِقَآءِ الْاٰخِرَةِ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ ؕ هَلْ يُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ۝ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوْسٰى

في مُخَذْهَا لِلْاَلْوَاحِ - وَلِكُلِّ شَيْءٍ لانه في معنى الاشياء - او للرسلات - او للتَّوْرٰية - و معنى [بِقُوَّةٍ] بجهد و عزيمة مِثْلَ اُولِي العزم من الرُّسُل [يَاخُذُوْا بِاَحْسَنِهَا] اي فيها ما هو حسنٌ و احسنُ كالقصاص و العفو و الانتصار و الصبر فمُرْهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن و اكثر للصواب كقوله و اَتَّبِعُوْٓا اَحْسَنَ مَآ اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ - وقيل ياخذوا بما هو واجبٌ او ندبٌ لانه احسن من المباح - و يجوز ان يراد ياخذوا بما اُمروا به دون ما نُهوا عنه على قولك الصيفُ احرّ من الشتاء [سَاُرِيْكُمْ دَارَ الْفٰسِقِيْنَ] يريد دار فرعون و قومه و هي مصر كيف افقرتْ منهم و دمّرتْ لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فيُنكل بكم مثل نكالهم - و قيل منازل عادٍ و ثمودَ و القرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممرّكم عليها في اَسْفارِكم - و قيل دَارَ الْفٰسِقِيْنَ نار جهنم - و قرأ الحسن سَاُوْرِيْكُمْ وهي لغة فاشية بالحجاز يقال اَوْرِنِيْ كذا و اَوْرِيْتُه و وجهه ان يكون من اوريتُ الزَّند كانّ المعنى بَيِّنْه لي و اَرِهْ لِاَسْتبينه - و قرئ سَاُوْرِثُكُمْ وهي قراءة حسنة يصحّحها قوله تعالى و اَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِيْنَ كَانُوْا يُسْتَضْعَفُوْنَ [سَاَصْرِفُ عَنْ اٰيٰتِيَ] بالطبع على قلوب المتكبّرين و خِذلانهم فلا يفكّرون فيها و لا يعتبرون بها غفلةً و انهماكًا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم - و عن الْفُضَيْل بن عياض ذُكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم اذا عُظِّمتْ امتي الدنيا نُزع عنها هيبةُ الاسلام و اذا تركوا الامرَ بالمعروف و النهيَ عن المنكر حُرمتْ بركةَ الوحي - و قيل سَاَصْرِفُهُمْ عن ابطالها و ان اجتَهدوا كما اجتهد فرعون ان يُبطل اٰية موسى بان جمع لها السَّحرة فابى الله الا عُلوَّ الحق و انتكاسَ الباطل - و يجوز سَاَصْرِفُهُمْ عنها و عن الطعن فيها و الاستهانة بها و تسميتها سحرًا باهلاكهم و فيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يُصرَفون عن الايات لتكبّرهم و كفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيُسلك بهم سبيلُهم - [بِغَيْرِ الْحَقِّ] فيه وجهان - ان يكون حالًا بمعنى يتكبّرون غير مُحقّين لان التكبر بالحق لله و حده - و ان يكون علةً لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق و ما هم عليه من دينهم [وَاِنْ يَّرَوْا كُلَّ اٰيَةٍ] من الايات المنزلة عليهم [لَّا يُؤْمِنُوْا بِهَا] - و قرأ مالك بن دينار وَاِنْ يُّرَوْا بضم الياء - و قرئ سَبِيْلَ الرُّشْدِ - وَالرَّشَدِ - وَالرَّشَادِ كقولهم السُّقْم والسَّقَم والسَّقام وما اسفه من ركب المفازةَ ان رأى طريقًا مستقيمًا اعرضَ عنه و تركه وان رأى معتسفًا مُرديًا اخذَ فيه وسَلَكه فعاملُ نحو ذٰلك في دينه اسفهُ - [ذٰلِكَ] في محل الرفع - او النصب على معنى ذلك الصرفُ بسبب تكذيبهم - او صَرَفهم الله ذلك الصرفَ بسببه [وَلِقَآءِ الْاٰخِرَةِ] يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي و لقائهم الاخرةَ و مشاهدتهم احوالَها - و من اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الاخرة [مِنْ بَعْدِهٖ] من بعد فراقه اياهم الى الطور - فان قلت لم قيل وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوْسٰى عِجْلًا

سورة الاعراف ٧ الجزء ٩ ع ٧

مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ۝ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ وَلَمَّا

و المتّخذ هو السامريّ - قلت فيه وجهان - احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره و وُجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا و فعلوا و القائلُ و الفاعلُ واحد ولانهم كانوا مريدين لاتّخاذه راضين به فكانهم اجتمعوا عليه - و الثاني ان يراد و اتخذوه الٰها و عبدوه - و قرئ [مِنْ حُلِيِّهِمْ] بضم الحاء والتشديد جمع حَلْي كذُدْي وثُدِيّ - و من حِلِيِّهِمْ بالكسر للاتباع كدِلِيّ - و مِنْ حَلْيِهِمْ على التوحيد و الحَلْي اسم ما يتحسّن به من الذهب و الفضة - فان قلت لِم قال مِنْ حُلِيِّهِمْ و لم يكن الحُلِيّ لهم انما كانت عَوارِيَ في ايديهم - قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة و كونها عوارِيَّ في ايديهم كفى به ملابسةً على انهم قد ملكوها بعد المهلكينَ كما ملكوا غيرَها من املاكهم اَلَا ترى الى قوله عزّ و جلّ فَاَخْرَجْنٰهُمْ مِنْ جَنّٰتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذٰلِكَ وَاَوْرَثْنٰهَا بَنِي اِسْرَائِيلَ [جَسَدًا] بدناً ذا لحم ودم كسائر الاجساد - و [الخُوَار] صوت البقر - قال الحسن ان السامريَّ قَبَض قبضةً من تراب من اثر فرس جبرئيل عليه السلام يوم قَطَع البحرَ فقذفه في فى العجل فكان عجلًا له خوار - و قرأ عليّ رضي الله عنه جُؤَارٌ بالجيم و الهمزة من جَأَرَ اذا صاح - و انتصاب جَسَدًا على البدل من عِجْلًا [اَلَمْ يَرَوْا] حين اتخذوه الٰها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيلٍ حتى لاختاروه على من لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدادًا لِكَلِمٰتِهِ لَنَفِدَ البَحْرُ قَبلَ اَنْ تنفَدَ كَلِمٰتُه وهو الذي هدى الخلقَ الى سُبُل الحقّ ومناهجِه بما ركز في العقول من الادلّة وبما انزل في كُتُبه ثم ابتدأ فقال [اِتَّخَذُوهُ] اي تَمَّموا على ما اَقْدَموا عليه من الامر المنكر [وَكَانُوا ظٰلِمِينَ] واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعاً منهم ولا اوّل مناكيرهم • [وَلَمَّا سُقِطَ فِي اَيْدِيهِمْ] ولمّا اشتدّ ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان مَن اشتدّ ندمه وحسرته ان يعضّ يده غمًّا فتصير يده مسقوطًا فيها لان فاه قد وقع فيها - و سُقِطَ مُسْنَد الى فِي اَيْدِيهِمْ و هو من باب الكناية - وقرأ ابو السَّمَيفع سَقَطَ فِي اَيْدِيهِمْ على تسمية الفاعل اي وقع العضّ فيها - و قال الزجّاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالًا ان يكون في اليد تشبيهًا لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين [وَرَاَوْا اَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا] و تبيّنوا ضلالهم تبيّنًا كانهم ابصروه بعيونهم - و قرئ لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَتَغْفِرْ لَنَا بالتاء ورَبَّنَا بالنصب على النداء و هذا كلام التائبين كما قال آدم و حواء وَاِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا - [الاسف] الشديد الغضب فَلَمَّا اٰسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ - وقيل هو الحزين [خَلَفْتُمُونِي] قُمتم مقامي وكنتم خُلَفائي [مِنْ بَعْدِي] و هذ الخطاب امّا يكون لعَبَدة العجل من السامريّ واَشياعه - او لوجوه بني اسرائيل وهم هٰرون عليه السلام والمؤمنون معه و يدلّ عليه قوله اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي - و المعنى بئس ماخلفتموني حيث عبدتم العجلَ مكان عبادة الله - او حيث

رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى ۖ فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ ع

لم تكفوا مَن عبدَ غيرَ الله - فان قلت اين ما يقتضيه بِئْسَ من الفاعل و المخصوص بالذمّ - قلت الفاعل مضمر يفسّره مَا خَلَفْتُمُونِي و المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافةً خلفتمونيها من بعدي خلافتكم - فان قلت اي معنًى لقوله مِنْ بَعْدِي بعد قوله خَلَفْتُمُونِي - قلت معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله تعالى و نفي الشركاء عنه و اخلاص العبادة له - او من بعد ما كنتُ احمل بني اسرائيل على التوحيد و اكفّهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجْعَلْ لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ و من حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده و لا يخالفوا و نحوه فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة - يقال عجل عن الامر اذا تركه غيرَ تامّ و نقيضه تمّ عليه واعجله عنه غيره و يُضمَّن معنى سبق فيعدّى تعديته فيقال عجلتُ الامرَ - و المعنى اعجلتم عن امر ربكم و هو انتظار موسى حافظين لعهده و ما وصّاكم به فبنيتم الامرَ على ان الميعاد قد بلغ أُخرَه و لم ارجع اليكم فحدّثتم انفسكم بموتي فغيّرتم كما غيّرت الامم بعد انبيائهم - و روي ان السامريّ قال لهم حين اخرج لهم العجلَ وقال هذا الٰهكم و الٰه موسى ان موسى لن يرجع و انه قد مات - و روي انهم عدّوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا [وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ] و طرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديثَ العجل غضباً لله و حَمِيّةً لدينه وكان في نفسه حديدا شديدَ الغضب و كان هٰرون ليّنَ منه جانباً و لذلك كان احبَّ الى بني اسرائيل من موسى - و روي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسّرت فرُفع منها ستة اسباعها وبقي سُبُع واحد وكان فيما رُفع تفصيل كل شيء و فيما يقي الهدى و الرحمة [وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ] اي بشعر راسه [يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ] بذوابته و ذلك لشدّة ما ورد عليه من الامر الذي استفزّه و ذهب بفطنته وظنّاً باخيه انه فرّط في الكفّ [ٱبْنَ أُمَّ] قرئ بالفتح تشبيهاً بخمسةَ عشرَ - و بالكسر على طرح الاضافة - و ابْنَ امّي بالياء - و ابْنَ اِمّ بكسر الهمزة و الميم - و قيل كان اخاه لابيه وامّه فان صح فاذا اضافه الى الامّ اشارةً الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف و الرقة و اعظم للحق الواجب و انها كانت مؤمنة فاعتدّ بنسبها و لانها هي التي قامتْ فيه المخارفَ و السدائدَ فذكّره بحقها [إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى] يعني انه لم يالُ جهداً في كفّهم بالوعظ و الانذار و بما بلغته طاقته من بذل القوة في مُضادّتهم حتى قهروه و استضعفوه و لم يبقَ الّا ان يقتلوه [فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ] فلا تفعل بي ما هو أُمنيتهم من الاستهانة بي و الاساءة الي - و قرئ فَلَا تَشْمَتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يُحلّ به ما يشمتون به لاجله [وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ] ولا تجعلني في مَوْجدتك عليّ وعقوبتك

سورة الاعراف ۷ الجزء ۹ ع ۸

اِنَّ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ؕ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِيْنَ ۝
وَالَّذِيْنَ عَمِلُوا السَّيِّاٰتِ ثُمَّ تَابُوْا مِنْ بَعْدِهَا وَاٰمَنُوْا ۫ اِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُّوْسَى
الْغَضَبُ اَخَذَ الْاَلْوَاحَ ۚ وَفِيْ نُسْخَتِهَا هُدًى وَّرَحْمَةٌ لِّلَّذِيْنَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُوْنَ ۝ وَاخْتَارَ مُوْسٰى قَوْمَهٗ سَبْعِيْنَ

لي قريناً لهم وصاحباً - او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم - لمّا اعتذر اليه اخوه وذكره له شماتة الاعداء [قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِيْ وَلِاَخِيْ] ليُرضي اخاه ويُظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلاتتمّ لهم شماتتهم و استغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرّط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرّقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا و الاٰخرة [غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ] الغضبُ ما اُمروا به من قتل انفسهم و الذلّةُ خروجهم من ديارهم لان ذلّ الغربة مثلٌ مضروبٌ - و قيل هو ما نالَ ابناءهم وهم بنو قريظة و النضير من غضب الله بالقتل و الجلاء و من الذلة بضرب الجزية [الْمُفْتَرِيْنَ] المتكذّبين على الله ولا فريةَ اعظم من قول السامريّ هٰذَا اِلٰهُكُمْ وَاِلٰهُ مُوْسٰى - و يجوز ان يتعلق في الحيٰوة الدُّنْيَا بالذلّة وحدها و يراد سينالهم غضب في الاٰخرة و ذلّة في الحيوة الدنيا كقوله وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوْا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ [وَالَّذِيْنَ عَمِلُوا السَّيِّاٰتِ] من الكفر و المعاصي كلها [ثُمَّ تَابُوْا] ثم رجعوا [مِنْ بَعْدِهَا] الى الله تعالى و اعتذروا اليه [وَاٰمَنُوْا] واخلصوا الايمانَ [اِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا] من تلك العظائم [لَغَفُوْرٌ] لَستور عليهم مَحّاء لما كان منهم [رَّحِيْمٌ] مُنعم عليهم بالجنّة وهذا حكم عام يدخل تحته متّخذ العجل ومَن عداهم - عظّم جنايتهم اوّلاً ثم اردفها تعظيمَ رحمته ليعلم ان الذنوب و ان جلّتْ و عظمتْ فان عفوه و كرمه اعظم و اجلّ ولكن لا بدّ من حفظ الشريطة و هي وجوب التوبة و الانابة و ماوراءه طمع فارغ و اشعبيّة باردة لا يلتفت اليها حازمٌ [وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُّوْسَى الْغَضَبُ] هذا مثل كانّ الغضب كان يُغرية على ما فعل و يقول له قُلْ لقومك كذا وَاَلْقِ الالواح وجُرَّ برأس اخيك اليك فترك النطقَ بذلك وقطع الاغراء ولم تستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم و ذوقٍ صحيح الّا لذلك ولانه من قبيل شُعَب البلاغة و الّا فما لقراءة معاوية بن قُرّة وَلَمَّا سَكَنَ عَنْ مُّوْسَى الْغَضَبُ لا تجد النفس عندها شيأ من تلك الهزّة وطرفاً من تلك الروعة - وقرئ وَلَمَّا سُكِّتَ - وَاُسْكِتَ اي اَسْكته الله او اخوه باعتذاره اليه و تنصّله - و المعنى ولما طفئ غضبه [اَخَذَ الْاَلْوَاحَ] التي القاها [وَفِيْ نُسْخَتِهَا] و فيما نُسخ منها اي كتب والنُّسْخة فُعْلة بمعنى مفعول كالخُطبة [لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُوْنَ] دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخّر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفاً و نحوه لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُوْنَ و تقول لك ضربتَ * [وَاخْتَارَ مُوْسٰى قَوْمَهٗ] اي من قومه فحُذف الجارّ و اُوصل الفعل كقوله * ع * منها الذي اختير الرجالَ سماحةً * قيل اختار من اثني عشر سبطاً من كل سبط ستةً حتى تتمّوا اثنين و سبعين فقال ليتخلّفْ منكم رجلانِ فتشاحّوا فقال ان لِمَن قعد منكم مثلَ اجر من خرج فقعد كالبٌ و يوشعٌ - و روي انه لم يُصب الّا ستين شيخاً فاوحى الله

رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ۚ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ
مِنَّا ۚ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ۖ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ۖ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۝ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۖ قَالَ عَذَابِي
أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۚ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ

اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا - و قيل كانوا ابناء ما عدا العشرين و لم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل و الصبا فامرهم موسى ان يصوموا و يتطهروا و يطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه و كان امره ربه ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله و دنا موسى و دخل فيه و قال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام و قعوا سجدا فسمعوه و هو يكلم موسى يأمره و ينهاه افعل و لا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم و زجرهم و انكر عليهم فقالوا يا موسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً - فَقَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ يريد ان يسمعوا الرد و الانكار من جهته فاجيب بَلَىٰ تَرَانِي و رجف بهم الجبل فصعقوا - و لما كانت الرجفة قال موسى [رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ] و هذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول الناظم على الامر اذا رأى سوء المغبة لوشاء الله لاهلكني قبل هذا [أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا] يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه و اياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء و هم طلبوه سفها و جهلا [إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ] اي محنتك و ابتلاؤك حين كلمتني و سمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا و ضلوا [تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ] تضل بالمحنة الجاهلين عبر الثابتين في معرفتك و تهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت - و جعل ذلك اضلالا من الله و هدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا و اهتدوا فكانه اضلهم بها و هداهم على الاتساع في الكلام [أَنْتَ وَلِيُّنَا] مولانا القائم بامورنا [وَاكْتُبْ لَنَا] و اثبت لنا و اقسم [فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً] عافية و حيوة طيبة - او توفيقا في الطاعة [وَفِي الْآخِرَةِ] الجنة [هُدْنَا إِلَيْكَ] تبنا اليك و هاد اليه يهود اذا رجع و تاب و الهود جمع هائد و هو التائب و لبعضهم * شعر * يا راكب الذنب هُدْهُد * و اسجد كانك هُدْهُد * و قرأ ابو وجزة السعدي هِدْنَا بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه و اماله - و يحتمل امرين - ان يكون مبنيا للفاعل و للمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا و املنا ها - او حركنا اليك و املنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة و يجوز عدت بالاشمام و عدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض و قول القول - و يجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده [عَذَابِي] من حاله و صفته [أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ] اي من وجب عليّ في الحكمة تعذيبه و لم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة [وَ] اما [رَحْمَتِي] فمن حالها و صفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم

١٥٦

سورة الاعراف ٧ الجزء ٩ ع ٩

هُمْ بِاٰيٰتِنَا يُؤْمِنُوْنَ ۝ اَلَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ النَّبِيَّ الْاُمِّيَّ الَّذِيْ يَجِدُوْنَهٗ مَكْتُوْبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرٰىةِ
وَالْاِنْجِيْلِ ۖ يَاْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهٰىهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبٰٓئِثَ وَيَضَعُ
عَنْهُمْ اِصْرَهُمْ وَالْاَغْلٰلَ الَّتِيْ كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِهٖ وَعَزَّرُوْهُ وَنَصَرُوْهُ وَاتَّبَعُوا النُّوْرَ الَّذِيْٓ
اُنْزِلَ مَعَهٗٓ ۙ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ۝ قُلْ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اِنِّيْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ جَمِيْعًا الَّذِيْ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ

ولا كافرولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي. وقرأ الحسن مَنْ اَسَاءَ من الاساءة. فَسَاَكْتُبُ هذه الرحمة كتبة خاصة منكم بالذين يكونون في آخر الزمان من امة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم بجميع آيتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها. [اَلَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ] الذي يُوحي اليه كذا مختصا به وهو القرآن [النَّبِيَّ] صاحب المعجزات [الَّذِيْ يَجِدُوْنَهٗ] نجد نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل [مَكْتُوْبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرٰىةِ وَالْاِنْجِيْلِ. وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبٰتِ] ما حُرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها. او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذُكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت [وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبٰٓئِثَ] ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اُهِلَّ لغير الله به. او ما خبث في الحكم كالربوا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة [الاِصْر] الثقل الذي يامر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل النفس في صحة توبتهم [وَ] كذلك [الْاَغْلٰل] مثل لما كان في شرعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضا بالقصاص عمدًا كان او خطأً من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت. وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لمسوا المسوح وعلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة. وقرئ اٰصَارَهُمْ على الجمع. [وَعَزَّرُوْهُ] ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو. وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير الضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسمية الحد والحد هو المنع. و [النُّوْر] القرآن. فان قلت ما معنى قوله [اُنْزِلَ مَعَهٗ] وانما انزل مع جبرئيل. قلت معناه اُنزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به. ويجوز ان يتعلق باتَّبَعُوْا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه. او واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه. فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه. قلت انما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اُجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجابتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بايات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعُرّض بذلك في قوله وَاكْتُبْ لَنَا هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْاٰخِرَةِ اِنَّا هُدْنَا اِلَيْكَ وارد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين اٰمنوا برسول الله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يُحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم عن رحمة الله التي

وَ الْأَرْضِ ج لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ ص فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ كَلِمٰتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَ مِنْ قَوْمِ مُوسٰى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ ۝ وَ قَطَّعْنٰهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا

و سعت كل شيء [إِنِّي رَسُولُ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا] قيل بُعث كل رسول الى قومه خاصة و بُعث محمد صلى الله عليه و اله و سلم الى كافة الانس و كافة الجن - و جَمِيعًا نصب على الحال من إِلَيْكُمْ - فان قلت [الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ] ما محله - قلت الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني و هو الذي يسمى النصبَ على المدح - و يجوز ان يكون جرًّا على الوصف و ان حيل بين الصفة و الموصوف بقوله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا - و قوله [لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ] بدل من الصلة التي هي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ و كذلك يُحْيِي وَ يُمِيتُ و في لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ بيان للجملة قبلها لان مَن ملك العالمَ كان هو الاله على الحقيقة و في يُحْيِي وَ يُمِيتُ بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء و الاماتة غيرُه [وَ كَلِمٰتِهِ] و ما أُنزل عليه و على من تقدمه من الرُّسل من كُتُبه ووحيه - و قرئ وَ كَلِمَتِهِ على الافراد و هي القرآن - او اراد جنس ما كُلِّم به - و عن مجاهد اراد عيسى بن مريم - و قيل هي الكلمة التي تكوّن عنها عيسى وجميع خلقه و هي قوله كُنْ - و انما قيل ان عيسى كلمة الله فخُصّ بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سببٌ غير الكلمة و لم يكن من نُطْفة تمنّى [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] ارادةَ ان تهتدوا - فان قلت هلا قيل فآمنوا بالله و بي بعد قوله إِنِّي رَسُولُ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ - قلت عُدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أُجريت عليه و لما في طريقة الالتفات من مزيّة البلاغة و ليعلم ان الذي وجب الايمان به و اتّباعُه هو هذا الشخص المستقل بانه النبيّ الامّيّ الذي يؤمن بالله و كلماته كائنًا مَن كان انا او غيري اظهارًا للنصفة و تفاديًا من العصبية لنفسه *[وَ مِنْ قَوْمِ مُوسٰى أُمَّةٌ] هم المؤمنون الثابتون من بني اسرائيل - لمّا ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين و ارتدّوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادةِ العجل و استجارةِ رؤية الله تعالى ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين [يَهْدُونَ] الناس بكلمة الحق و يَدلّونهم على الاستقامة و يُرشدونهم - و بالحق [يَعْدِلُونَ] بينهم في الحكم لا يجورون - او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبيّ عليه السلام و آمن به من أعقابهم - و قيل ان بني اسرائيل لمّا قتلوا انبياءهم و كفروا و كانوا اثني عشر سبطا تبرّأ سبط منهم مما صنعوا و اعتذروا و سألوا الله ان يفرق بينهم و بين اخوانهم ففتح الله لهم نفقًا في الارض فساروا فيه سَنَةً و نصفًا حتى خرجوا من وراء الصين و هم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا - و ذكر عن النبيّ صلى الله عليه و اله و سلم ان جبرئيل ذهب به ليلةَ الاسراء نحوَهم فكلّمهم فقال لهم جبرئيل هل تعرفون مَن تكلّمون قالوا لا قال هذا محمد النبيّ الامّيّ فآمنوا به و قالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا مَن ادرك منكم احمدَ فليقرأ عليه منّي السلام فرَدّ محمد على موسى عليهما السلام ثم اقرأهم عشرَ سُوَر من القرآن نزلت بمكة و لم تكن نزلت فريضة غير الصلوة و الزكوة و مَرهم ان يقيموا مكانهم و كانوا يسبتون فامرهم ان يجمّعوا و يتركوا السبت - و عن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم

سورة الاعراف ۷ الجزء ۹ ع ۹

أُمَمًا ط وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ح فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ط
قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ط وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ط كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ط
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا
حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ط سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي

فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيأ من يدعي بالحق وبه يعدل - وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير ولا فقد طار الخبر بشريعة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يُبق الله اهلَ مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا برّ ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد ألقاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة [وَقَطَّعْنَاهُمْ] وصيّرناهم قطعًا اي فرقًا وميّزنا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم - وقرئ وَقَطَّعْنَاهُمْ بالتخفيف [اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا] كقولك اثنتي عشرة قبيلة - والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثنَيْ عشر ولدا من وُلد يعقوب عليه السلام - فان قلت مميّز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعًا وهلا قيل اثني عشر سبطًا - قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقًا لان المراد وقطّعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره ع • بين رماحَيْ مالك ونهشل • وإنما بدل من اثْنَتَيْ عَشْرَةَ بمعنى وقطّعناهم امما لان كل اسباط كانت امةً عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤمّ خلاف ما يؤمّه الاخرى لكان تأنف - وقرئ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ بكسر الشين - [فَانْبَجَسَتْ] فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج • ع • وكيف غربي دالج تبجّسا • - فان قلت هلا قيل فضرب فانبجست - قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببًا عن الامتثال بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن امتثال الامر وبه من ابتغاء الشكل بل حيث احتاج الى الافصاح به - وقوله [كُلُّ أُنَاسٍ] نظير قوله اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سِبْطًا يريد كل امة من تلك الامم اثنتي عشرة - والأُناس اسم جمع غير تكسير نحو رُخال وثُذاة وتؤام واخوات له - ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سُكارى وثُيارى من الفتحة [وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ] وجعلناه ظليلا عليهم في التيه - وكُلُوا] على ارادة القول وَمَا ظَلَمُونَا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرّون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم - و[إِذْ قِيلَ لَهُمُ] و ذكر ادْخُلُوا لَهُمْ - والقرية بيت المقدس - فان قلت كيف اختلفت العبارة هُهنا وفي سورة البقرة - قلت لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تدافع بين قوله اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وبين قوله وَكُلُوا لهم اذا اسكنوا القرية فتسببت سُكناهم للاكل منها فقد اجمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الواو لا يناقض اثباته - وقوله نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ

سورة الاعراف ٧ الجزء ٩ ع ١٠ النصف

قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ۘ
إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ ۚ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ

موعد بشئ بالغفران و بالزيادة وطرح لولا نحن بذلك له استيناف مرتب على تقدير قول القائل و ماذا بعد الغفران فقيل له سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ و كذلك زيادة منهم زيادة بيان و أَرْسَلْنَا - و أَنْزَلْنَا - و يَظْلِمُونَ - و يَفْسُقُونَ من باب واحد - و قرئ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ - و تُغْفَرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ - و خَطِيئَاتُكُمْ - و خَطِيئَتُكُمْ على البناء للمفعول - وَسْئَلْهُمْ وصل لليهود - و قرئ [وَ سْئَلْهُمْ] و هذا السؤال معناه التقرير و التقريع بقديم كفرهم و تجاوزهم لحدود الله و الاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي و نظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك أعدوتم في السبت - و القرية ايلة - و قيل مَدْيَن - و قيل طبرية و العرب تسمي المدينة قرية - و عن ابي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن و الحجاج يعني رجلين من اهل المدن [حَاضِرَةَ الْبَحْرِ] قريبة منه ركبة لشاطئه - [إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ] اذ يتجاوزون حد الله فيه و هو اعتداؤهم في يوم السبت و قد نُهوا عنه - و قرئ يَعْدُونَ بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال و نُقلت حركتها الى العين - و يُعْدُونَ من الاعداد و كانوا يُعَدُّونَ الات الصيد يوم السبت و هم مامورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة - و السبت مصدر سَبَتَت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد و الاشتغال بما تعتد معه يَعْدُونَ في تعظيم هذا اليوم و كذلك قوله يَوْمَ سَبْتِهِمْ معناه يوم تعظيمهم امر السبت و يدل عليه قوله وَ يَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ - و قراءة عمر بن عبد العزيز و يَوْمَ اسْبَتِهِمْ - و قرئ لَا يَسْبُتُونَ بضم الباء - و قرأ علي رضي الله عنه لَا يَسْبِتُونَ بضم الياء من أَسْبَتُوا - و عن الحسن لَا يَسْبَتُونَ على البناء للمفعول اي لا يدار لهم السبت و لا يومرون بان يسبتوا - فان قلت إِذْ يَعْدُونَ - وَ إِذْ تَأْتِيهِمْ ما محلهما من الاعراب - قلت امّا الاول فمجرور بدل من القرية و اضافة الحاضرة اليها كانه قيل و سَلْهم عن اهل القرية وقت عُدوانهم في السبت و هو من بدل الاشتمال - و يجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة - و اما الثاني فمنصوب بيَعْدُونَ - و يجوز ان يكون بدلا بعد بدل و [الْحِيتَانُ] السمك و اكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة [شُرَّعًا] ظاهرة على وجه الماء - و عن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شَرَع عليذا فلان اذا دنا منا و اشرف علينا و شرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا [كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ] مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم - [وَ إِذْ قَالَتْ] معطوف على إِذْ يَعْدُونَ و حكمه حكمه في الاعراب [أُمَّةٌ مِّنْهُمْ] جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين رفعوا الصعب و الذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لاخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم [لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ] اي مستأصلهم و معذبهم عذابا لا مطمع في نجاتهم منه [أَوْ مُعَذِّبُهُم عَذَابًا شَدِيدًا] لتماديهم في الشر انما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم - [قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ] اي موعظتنا ادّاء

وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا

عذرا الى الله و لئلا ينسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط [وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] و اطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء - و قرئ [مَعْذِرَةً] بالنصب اي وعظناهم مَعْذِرَةً الى رَبِّكُمْ - او اعتذرنا مَعْذِرَةً - [فَلَمَّا نَسُوا] يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكروهم به الصالحون تَرْكَ الناسي لما ينساه [أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا] الظالمين الراكبين للمنكر - فَان قلت الامة الذين قالوا لِمَ تَعِظُونَ من اي الفريقين هم أمن فريق الناجين ام المعذَّبين - قلت من فريق الناجين لانهم من فريق الذاهين و ما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم و اذا علم الناهي حالَ المنهيّ و ان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي و ربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكسين القاعدين على المأصرا و الجلّابين المرتّبين للتعذيب لتعظيم و تفقهم عما هم فيه كان ذلك عبثًا منك و لم يكن الا سببًا للتعامي بك و امّا الأخرون فانما لم يُعرضوا عنهم اما لان يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الرايين ولم يَخْبُرُوهم كما خبروهم - او لفرط حرصهم وجدّهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ. و قيل الامة هم الموعوظون لمّا وُعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم - و عن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فُعل بهؤلاء الذين قالوا لِمَ تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه و خالفوهم قالوا لِمَ تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عَرَفَتْه انهم قد نجوا - و عن الحسن نجت فرقتان و هلكت فرقة و هم الذين اخذوا الحيتان - و روي ان اليهود أُمروا باليوم الذي أُمرنا به و هو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبتَ فابتُلُوا به و حُرّم عليهم فيه الصيد و أُمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شُرّعًا بيضًا سمانًا كانها المخاض لا يُرى الماء من كثرتها و يوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهةً من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نُهيتم عن اخذها يوم السبت فاتّخذوا حياضًا يسوقون الحيتانَ اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها و يأخذونها يوم الاحد و اخذ رجل منهم حوتًا و ربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جارُه ريحَ السمك فتطلّع في تنّوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلم يره عُذّب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا و اكلوا و مَلّحوا و باعوا و كانوا فحوّا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثُلثٌ نَهَوا و كانوا نحوًا من اثني عشر الفا و ثُلث قالوا لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا و ثُلث هم اصحاب الخطيئة فلما ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب و للمعتدين باب و لعنهم داؤد عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم و لم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانًا فعَلَوا الجدارَ فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب و دخلوا عليهم فعرفت القرودُ انسباءها من الانس و الانسُ لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي نسيبه فيشمّ ثيابه و يبكي فيقول أَلَم ننهكم فيقول برأسه بلى - و قيل صار الشَبّاب قردةً و الشيوخ خنازير - و عن الحسن اكلوا

كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ
إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي
الْأَرْضِ أُمَمًا ۚ مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ فَخَلَفَ
مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ ۙ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ۚ وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ

والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خرباً في الدنيا واطولها عذاباً في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامرّ [بَئِيسٍ] شديد يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس - وقرئ بَئِس بوزن حَذِر - وبِئْس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كِبْد في كَبِد - وبِيْس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب - وبَيْئِس على وزن فَيْعِل بكسر الهمزة وفتحها - وبَيِّس بوزن رَيِّس على قلب همزة بَيْئِس ياءً وادغام الياء فيها - وبَيْس على تخفيف بَيِّس كهَيْن في هَيِّن وبائس على فاعل - [فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ] فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ [قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً] عبارة عن مسخهم قردة كقوله تعالى إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ - والمعنى ان الله عذّبهم اولاً بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم - وقيل فَلَمَّا عَتَوْا تكرير لقوله فَلَمَّا نَسُوا والعذاب البئيس هو المسخ * [تَأَذَّنَ رَبُّكَ] عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدّث نفسه به ويؤذنها بفعله واجري مجرى فعل القسم كعَلِمَ اللهُ وشَهِدَ اللهُ ولذلك أُجيب بما يجاب به القسم وهو قوله لَيَبْعَثَنَّ - والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه [لَيَبْعَثَنَّ] على اليهود [إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ] فكانوا يؤدّون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلّم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر - ومعنى لَيَبْعَثَنَّ عليهم ليُسلّطنّ عليهم كقوله بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ * [وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا] وفرّقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم [مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ] الذين آمنوا منهم بالمدينة - او الذين وراء الصين [وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ] ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطّون عنه وهم الكفرة والفسقة - فان قلت ما محل دُونَ ذَٰلِكَ - قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطّون عن الصلاح ونحوه وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ بمعنى وما منّا احد الّا له مقام [وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ] بالنعم والنقم [لَعَلَّهُمْ] ينتهون فينيبون [فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِ] المذكورين [خَلْفٌ] وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم [وَرِثُوا الْكِتَابَ] التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون به [يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ] اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هَٰذَا الْأَدْنَىٰ تخسيس وتحقير. والادنى امّا من الدنوّ بمعنى القرب لانه عاجل قريب - وامّا من دنوّ الحال وسقوطها وقلّتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامّة [وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا]

سورة الاعراف ٧ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَٰبِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ
الجزء ٩ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ۝
ع ١٠ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ۚ خُذُوا مَا آتَيْنَٰكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ع

لا يواخذنا الله بما أخذنا و فاعلُ سَبُقَّرُ الجار و المجرور وهو لَنَا - ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر يَأْخُذُوهُ [وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ] الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مُصرّون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفرانُ الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصرّ لا غفران له [أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَٰبِ] يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يُغفر له الا بالتوبة [وَدَرَسُوا مَا فِيهِ] في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب و الذي عليه أحبارهم هو مذهب اليهود بعينه كما ترى - و عن مالك بن دينار يأتي على الناس زمانٌ ان قصّروا عما أُمروا به قالوا سيغفر لنا لم نشرك بالله شيأ كلّ امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنةُ فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله و تلا الآية [وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ] من ذلك العرض الخسيس [لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ] الرشى و محارمَ الله - و قرئ وَرِثُوا الْكِتَٰبَ - و أَنْ لَا تَقُولُوا بالتاء - و إِنْ دَرَسُوا بمعنى تدارسوا [أَفَلَا يَعْقِلُونَ] بالياء والتاء - فان قلت ما موقع قوله أَنْ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ - قلت هو عطف بيان لميثاق الكتب و معنى ميثق الكتب الميثاق المذكور في الكتاب - وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثق الكتب وافتراء على الله وتقوّلٌ عليه بما ليس بحق - و ان فسر ميثاق الكتب بما تقدّم ذكره كان أَنْ لَا يَقُولُوا مفعولاً له و معناه لئلا يقولوا - ويجوز ان يكون أَنْ مفسرة وَلَا تَقُولُوا نهيا كانه قيل الم يُقَل لهم لا تقولوا على الله الا الحق - فان قلت علام عطف قوله وَدَرَسُوا مَا فِيهِ - قلت على أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتب و درسوا ما فيه * وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَٰبِ فيه وجهان - احدهما ان يكون مرفوعاً بالابتداء و خبره إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ - و المعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتب كقوله إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا - و الثاني ان يكون مجرورا عطفا على الَّذِينَ يَتَّقُونَ ويكون قوله إِنَّا لَا نُضِيعُ اعتراضاً - وقرئ [يُمَسِّكُونَ] بالتشديد وتنصره قراءة ابيّ وَالَّذِينَ مَسَّكُوا بِالْكِتَٰبِ - فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة و منها اقامة الصلوة فكيف أُفردت - قلت اظهارا لمزيّة الصلوة لكونها عماد الدين و فارقةً بين الكفر و الايمان - و قرأ ابن مسعود وَالَّذِينَ اسْتَمْسَكُوا بِالْكِتَٰبِ [وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ] قلعناه و رفعناه كقوله وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ و منه نَتَقَ السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه - و [الظُّلَّة] كل ما اظلّك من سقيفة او سحاب - و قرئ بالطاء من أَطَلَّ عليه اذا اشرف [وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ] وعلموا انه ساقط عليهم و ذلك انهم أَبَوْا ان يقبلوا احكام التوبة لعظمها و ثقلها فرفع الله الطورَ على رؤسهم مقدارَ عسكرهم و كان فرسخا في فرسخ و قيل لهم ان قبلتموها بما فيها و الا ليقعنّ عليكم فلما نظروا الى الجبل خرّ كل رجل منهم ساجدًا على

وَاِذْ اَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيْٓ اٰدَمَ مِنْ ظُهُوْرِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَاَشْهَدَهُمْ عَلٰٓى اَنْفُسِهِمْ ۚ اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۭ قَالُوْا بَلٰى ۚ شَهِدْنَا ۚ اَنْ تَقُوْلُوْا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غٰفِلِيْنَ ۝ اَوْ تَقُوْلُوْٓا اِنَّمَآ اَشْرَكَ اٰبَاۗؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْۢ بَعْدِهِمْ ۚ اَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُوْنَ ۝ وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ ۝ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَاَ

حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه ليمنى الى اسفل فرقا من سقوطه فذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر و يقولون هي السجدة التي رفعت بها عنا العقوبة ولما نشر موسى الالواح و فيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التوراة الا اهتز و انغض لها رأسه [خُذُوْا مَآ اٰتَيْنٰكُمْ] على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما اتيناكم - او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب [بِقُوَّةٍ] وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه [وَاذْكُرُوْا مَا فِيْهِ] من الاوامر و النواهي ولا تنسوه - او واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه - و يجوز ان يراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله اِنِ اسْتَطَعْتُمْ اَنْ تَنْفُذُوْا مِنْ اَقْطَارِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ فَانْفُذُوْا و اذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ] ما انتم عليه - وقرأ ابن مسعود وَتَذَكَّرُوْا - و فرئ وَاذَّكَّرُوْا بمعنى وتذكروا * [مِنْ ظُهُوْرِهِمْ] بدل من بَنِيْٓ اٰدَمَ بدل البعض من الكل - ومعنى اَخْذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا بعد نسل و اشهادهم على انفسهم - وقوله [اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوْا بَلٰى شَهِدْنَا] من باب التمثيل و التخييل و معنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته و وحدانيته و شبهت بما عقولهم و بصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة و الهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا و اقررنا بوحدانيتك و باب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز و علا اِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ اِذَآ اَرَدْنٰهُ اَنْ نَّقُوْلَ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ - وقال ائْتِيَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا قَالَتَآ اَتَيْنَا طَآئِعِيْنَ و قوله * شعر * ان قالت الانساع للبطن الحق * قالت له ريح الصبا قرقار * ومعلوم انه لا قول ثمه وانما هو تمثيل و تصوير للمعنى [اَنْ تَقُوْلُوْا] مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة اَنْ تَقُوْلُوْا [يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غٰفِلِيْنَ] لم ننبه عليه - او كراهة ان [تَقُوْلُوْٓا اِنَّمَآ اَشْرَكَ اٰبَاۗؤُنَا مِنْ قَبْلُ] وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد و ما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه و الاقبال على التقليد و الاقتداء بالاباء كما لا عذر لاسلافهم في الشرك و ادلة التوحيد منصوبة لهم - فان قلت بنو ادم و ذرياتهم من هم - قلت بنو بني ادم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ و بذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم من اخلافهم المقتدين بآبائهم و الدليل على انها في المشركين و اولادهم قوله اَوْ تَقُوْلُوْٓا اِنَّمَآ اَشْرَكَ اٰبَاۗؤُنَا مِنْ قَبْلُ والدليل على انها في اليهود الايات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها و ذلك قوله وَسْـَٔـلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِيْ - وَاِذْ قَالَتْ اُمَّةٌ مِّنْهُمْ - وَاِذْ نَتَقْنَا

سورة الاعراف ٧ الَّذِيٓ اٰتَيْنٰهُ اٰيٰتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاَتْبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغٰوِيْنَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنٰهُ بِهَا وَلٰكِنَّهٗٓ اَخْلَدَ اِلَى
الجزء ٩ الْاَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوٰىهُ ۚ فَمَثَلُهٗ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ۚ اِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ اَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ۗ ذّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ
ع ١١ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ ۝ سَآءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا وَاَنْفُسَهُمْ كَانُوْا

رَبُّكَ - وَاِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ - وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَاَ الَّذِيْٓ اٰتَيْنٰهُ اٰيٰتِنَا - [اَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُوْنَ] اي كانوا السببَ في شركنا لتاسيسهم لشركَ و تقدّمهم فيه و تركه سنّةً لنا [وَكَذٰلِكَ] ومثل ذلك التفصيل البليغ [نُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ] لهم [وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ] و ارادةَ ان يرجعوا عن شركهم نُفصّلها - و قرئ ذُرِّيَّتَهُمْ على التوحيد - وَاَنْ يَّقُوْلُوْا بالياء [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ] على اليهود [نَبَاَ الَّذِيْٓ اٰتَيْنٰهُ اٰيٰتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا] هو عالم من علماء بني اسرائيل - و قيل من الكنعانيين اسمه بلعمُ بن باعورا اُوتي علمَ بعض كتب الله - فَانْسَلَخَ مِنْهَ من الايات بان كفربها و نبذها وراء ظهره [فَاَتْبَعَهُ الشَّيْطٰنُ] فلحقه الشيطان و ادركه و صار قرينًا له - او فَاَتْبَعَهُ خطواته - و قرئ فَاَتْبَعَهُ بمعنى تَبِعه [فَكَانَ مِنَ الْغٰوِيْنَ] فصار من الضالّين الكافرين - روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى و من معه فابى و قال كيف ادعو على من معه الملائكة فَالَحّوا عليه و لم يزالوا به حتى فعل [وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنٰهُ بِهَا] لَعظّمناه و رفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الايات [وَلٰكِنَّهٗٓ اَخْلَدَ اِلَى الْاَرْضِ] اي مَالَ الى الدنيا و رَغِب فيها - و قيل مَالَ الى السفلة - فان قلت كيف عُلّق رفعه بمشيّة الله تعالى و لم يعلّق بفعله الذي يستحق به الرفع - قلت المعنى و لو لزم العمل بالايات و لم ينسلخ منها لرفعناه بها و ذلك ان مشيه الله تعالى رفعَهُ تابعةٌ للزومه الايات فذُكرت المشية و المراد ما هي تابعة له و مسببة عنه كانه قيل و لو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله وَلٰكِنَّهٗٓ اَخْلَدَ اِلَى الْاَرْضِ فاستدرك المشية بالخلاد الذي هو فعله فوجب ان يكون وَلَوْ شِئْنَا في معنى ما هو فعله و لو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنٰهُ و لكنّا لم نشا - [فَمَثَلُهٗ كَمَثَلِ الْكَلْبِ] صفته التي هي مثل في الخسّة و الضَعة كصفة الكلب في اخسّ احواله و ادلّها وهي حال دوام اللهث به و اتصاله سواء حمل عليه اي شُدّ عليه وهُيّج طُرد او تُرك غيرَ متعرض له بحمل عليه و ذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الّا اذا هُيّج منه و حُرّك و الّا لم يلهث و الكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا و كان حق الكلام ان يقال و لو شئنا لرفعناه بها و لكنه اخلد الى الارض فحططناه و وضعناه منزلته فوضع قوله فَمَثَلُهٗ كَمَثَلِ الْكَلْبِ موضع فحططناه ابلغ حظّ ان تمثيله بالكلب في اخسّ احواله و ادلّها في معنى ذلك - و عن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حُمل عليه او لم يُحمل عليه - و قيل معناه ان وعظته فهو ضالّ و ان لم تعظه فهو ضالّ كالكلب ان طردته فسعى لهث و ان تركته على حاله لهث - فان قلت ما محل الجملة الشرطية - قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلاً دائم الذلّة لاهثاً في الحالتين - و قيل لمّا دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره و جعل يلهث كما يلهث الكلب [ذٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا] من

يَظْلِمُونَ ۝ مَنْ يَّهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيْ ۚ وَمَنْ يُّضْلِلْ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ ۝ وَلَقَدْ ذَرَاْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيْرًا سورة الاعراف ۷
مِّنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ ز لَهُمْ قُلُوْبٌ لَّا يَفْقَهُوْنَ بِهَا ز وَلَهُمْ اَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُوْنَ بِهَا ز وَلَهُمْ اٰذَانٌ لَّا يَسْمَعُوْنَ بِهَا ط اُولٰٓئِكَ الجزء ۹
كَالْاَنْعَامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ ط اُولٰٓئِكَ هُمُ الْغٰفِلُوْنَ ۝ وَلِلّٰهِ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنٰى فَادْعُوْهُ بِهَا ص وَذَرُوا الَّذِيْنَ يُلْحِدُوْنَ فِيْٓ اَسْمَآئِهٖ ط ع ۱۱

اليهود بعد ما قرأوا نعتَ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في التورية و ذكر القرآن المعجز و ما فيه و بشّروا الناسَ باقتراب مبعثه و كانوا يستفتحون به - [فَاقْصُصِ] قصصَ بلعم الذي هو نحو قصصهم [لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ] فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحوَ سيرته و زاغوا شبهَ زيغه و يعلمون انك علمتَه من جهة الوحي فيزدادوا ايقاناً بك و تزداد الحجة لزوماً لهم [سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ] اي مثلُ القوم او ساء اصحابَ مثلِ القومُ - و قرأ الجحدري سَاءَ مَثَلُ الْقَوْمِ [وَاَنْفُسَهُمْ كَانُوْا يَظْلِمُوْنَ] امّا ان يكون معطوفاً على كَذَّبُوْا فيدخل في حيّز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله و ظُلْم انفسهم - و امّا ان يكون كلاماً منقطعاً عن الصلة بمعنى و ما ظلموا الّا انفسهم بالتكذيب و تقديمُ المفعول به للاختصاص كانه قيل و خصّوا انفسهم بالظلم لم يتعدّها الى غيرها [فَهُوَ الْمُهْتَدِيْ] حملٌ على اللفظ - و [اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ] حملٌ على المعنى [كَثِيْرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ] هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم و جعلهم في انهم لا يُلقون اذهانهم الى معرفة الحقّ و لا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظرَ اعتبار و لا يسمعون ما يتلى عليهم من ايات الله سماعَ تدبّر كانّهم عدموا فهمَ القلوب و ابصارَ العيون و استماعَ الاذان - و جعلهم لاغراقهم في الكفر و شدة شكائمهم فيه و انه لا يأتي منهم الّا افعال اهل النار مخلوقينَ للنار دلالةً على توغّلهم في الموجبات و تمكّنهم فيما يوهّلهم لدخول النار و منه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام تخذوا لك دلوكاً عُجن بخمر و اني لَاَظُنّكم آلَ المغيرة ذَرْأَ النار و يقال لمن كان عريقاً في بعض الامور ما خُلق فلانٌ الّا لكذا و المرادُ وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم مع علمهم انه النبيّ الموعود و انهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتّى منهم كانهم خُلقوا منهم [اُولٰٓئِكَ كَالْاَنْعَامِ] في عدم الفقه و النظر للاعتبار و الاستماع للتدبّر [بَلْ هُمْ اَضَلُّ] من الانعام عن الفقه و الاعتبار و التدبّر [اُولٰٓئِكَ هُمُ الْغٰفِلُوْنَ] الكاملون في الغفلة - و قيل الانعام تُبصر منافعها و مضارّها فتلزم بعضَ ما تُبصره و هؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيُقدم على النار * [وَلِلّٰهِ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنٰى] التي هي احسن الاسماء لانها تدلّ على معانٍ حسنة من تمجيد و تقديس و غير ذلك [فَادْعُوْهُ بِهَا] فسمّوه بتلك الاسماء [وَذَرُوا الَّذِيْنَ يُلْحِدُوْنَ فِيْٓ اَسْمَآئِهٖ] و اتركوا تسميةَ الذين يميلون عن الحق و الصواب فيها فيسمّونه بغير الاسماء الحسنى و ذلك ان يسمّوه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البَدْوَ يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيضَ الوجه يا نجيُّ - او ان يأتوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا اللّٰهُ و لا يقولوا يا رحمٰنُ و قد قال الله تعالى قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ اَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ اَيًّا مَّا تَدْعُوْا فَلَهُ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنٰى - و يجوز ان يراد وَلِلّٰهِ الاوصافُ الحسنى و هي الوصف بالعدل و الخير و الاحسان

سورة الاعراف ٧ الجزء ٩ ع ١٢

سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ◎ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ◎ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ
مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ◎ وَأُمْلِي لَهُمْ ط إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ◎ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ج مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ط
إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ◎ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ ۙ وَأَنْ عَسٰى
أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ج فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ◎ مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ط وَيَذَرُهُمْ فِي

و التقاء شبه اخلاق فصفوه بها - وذرؤا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشية القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التسبيه كالرؤية ونحوها - وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام الهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز - لما قال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله [وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ] - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم متلها وَمِنْ قَوْمِ مُوسٰى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ - وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى - وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب - وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين * الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة - قال الاعشى * شعر * فلو كنت في جب ثمانين قامة * ورقيت اسباب السماء بسلم * ليستدرجنك القول حتى تهره * وتعلم اني منكم غير معجم * ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه - وادرج الكتاب طواه شيأ بعد شيء - ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض - ومعنى [سَنَسْتَدْرِجُهُمْ] سنستدنيهم قليلا قليلا اى مايبكم ويضاعف عقابهم [مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ] مايراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة اردادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب تراؤف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه [وَأُمْلِي لَهُمْ] عطف على سَنَسْتَدْرِجُهُمْ وهو حال في حكم السين [إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ] سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان - [مَا بِصَاحِبِهِمْ] بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم [مِنْ جِنَّةٍ] من جنون وكانوا يقولون شَاعِرٌ مَجْنُونٌ - وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح [أَوَلَمْ يَنْظُرُوا] نظر استدلال [فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ] فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم [وَمَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ] وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف [وَأَنْ عَسٰى] أَنْ مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان - والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون [قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ] واجلهم يمرتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما يتجيهم قبل مفاجأة الاجل وحلول العقاب - ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقترابُ الساعة ويكون من كان الذي فيها ضمير الشان - فان قلت

طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ اَيَّانَ مُرْسٰىهَا ؕ قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّيْ ۚ لَا يُجَلِّيْهَا لِوَقْتِهَآ اِلَّا هُوَ ؕ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ؕ لَا تَاْتِيْكُمْ اِلَّا بَغْتَةً ؕ يَسْـَٔلُونَكَ كَاَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ؕ قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ

بم يتعلق قوله [فَبِاَيِّ حَدِيْثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُوْنَ] قلت بقوله عَسٰى اَنْ يَّكُوْنَ قَدِ اقْتَرَبَ اَجَلُهُمْ كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمانَ بالقرآن قبل الفوت وما ذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبايّ حديث احقّ منه يريدون ان يؤمنوا - قرئ وَيَذَرُهُمْ بالياء والنون والرفع على الاستيناف - وَيَذَرْهُمْ بالياء والجزم عطفاً على محل فَلَا هَادِيَ لَهُ كانه قيل من يُضلل الله لا يهده احد ويَذَرْهم * [يَسْـَٔلُوْنَكَ] قيل ان قومًا من اليهود قالوا يا مُحَمَّد اَخْبِرنا متى الساعةُ ان كنت نبيًّا فانّا نعلم متى هي وكان ذلك امتحاناً منهم مع علمهم ان الله قد استاثر بعلمها - وقيل السائلون قريش - والساعةُ من الاسماء الغالبة كالنجم للثريّا وسُمّيت القيٰمة بالساعة لوقوعها بغتةً - او لسرعة حسابها - او على العكس لطولها - او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق [اَيَّانَ] بمعنى متى - وقيل اشتقاقُه من ايّ فَعْلان منه لان معناه ايّ وقت وايّ فعل من اَوَيتُ اليه لان البعض اوٍ الى الكل متسانِدٌ اليه قاله ابن جنّيّ وابى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان - وقرأ السلمي اِيَّانَ بكسر الهمزة [مُرْسٰىهَا] ارساؤها - او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوُّه ثباتُه واستقراره ومنه رسا الجبلُ وارسى السفينةَ والمرسى الاَنْجر الذي تُرسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ والمعنى متى يُرسيها الله - [اِنَّمَا عِلْمُهَا] اي علم وقت ارسائها عنده قد استاثر به لم يخبر به احدا من مَلَك مقرّب ولا نبيّ مرسَل يكاد يُخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجرَ عن المعصية كما اخفى الاجلَ الخاص وهو وقت الموت لذلك [لَا يُجَلِّيْهَا لِوَقْتِهَا اِلَّا هُوَ] اي لا تزال خفية لا يُظهر امرها ولا يكسف خفاء علمها الّا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجلّيها بالخبر عنها قبل مجيئها احدٌ من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها [ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ] اي كلٌّ من اهلها من الملائكة والثقلين اَهَمَّه شانُ الساعة وبُوْدِه ان يتجلّى له علمها وشقّ عليه خفاؤها وثقل عليه - او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها - او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها [اِلَّا بَغْتَةً] الّا فجاءة على غفلة منكم - وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ان الساعة تَهيج بالناس والرجلُ يُصلح حوضه والرجلُ يسقي ماشيتَه والرجلُ يقوّم سلعتَه في سوقه والرجلُ يخفض ميزانَه ويرفعه [كَاَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا] كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السوال عنها لان مَن بالغ في المسئلة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصُنَ وهذا التركيب معناه المبالغة - ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استيصاله - واحفى في المسئلة اذا الحف - وحَفِي بفلان وتحفّى به بالغ في البرّ به - وعن مجاهد استحفيتَ عنها السوالَ حتى علمتَ - وقرأ ابن مسعود كَاَنَّكَ حَفِيٌّ بِهَا اي عالم بها بليغ في العلم بها - وقيل عَنْهَا متعلق بيَسْـَٔلُوْنَكَ اي يسئلونك عنها

سورة الاعراف ٧ الجزء ٩ ع ١٣

وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝ قُلْ لَّآ اَمْلِكُ لِنَفْسِيْ نَفْعًا وَّلَا ضَرًّا اِلَّا مَا شَآءَ اللّٰهُ ؕ وَلَوْ كُنْتُ اَعْلَمُ الْغَيْبَ
لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ۚ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوْٓءُ ۚ اِنْ اَنَا اِلَّا نَذِيْرٌ وَّبَشِيْرٌ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ ۝ ع هُوَ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ
مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَّجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ اِلَيْهَا ۚ فَلَمَّا تَغَشّٰىهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيْفًا فَمَرَّتْ بِهٖ ۚ فَلَمَّآ

كانك حفيّ اي عالم بها - وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا و بينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يَسْئَلُونَكَ عنها كانك حفيٌّ تتحقق بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اُخبرت بوقتها لمصلحة عزنها الله في اخبارك به لكنت مبلّغه القريبَ والبعيدَ من غير تخصيص كسائر ما اُوحي اليك - وقيل كانك حفيّ بالسؤال عنها تُحبّه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استاثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه - فان قلت لم كرر يَسْئَلُونَكَ - وانما علمها عِنْدَ اللّٰهِ - قلت للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كَاَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا وعلى هذا تكرير العلماء الحُذّاق في كُتُبهم لا يُخلون المكرر من فائدة رائدة منهم محمد بن الحسن صاحبُ ابي حنيفة [وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ] انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها * [قُلْ لَّآ اَمْلِكُ] هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلابَ نفع ولا دفعَ ضرر كما المماليكُ والعبيدُ [اِلَّا مَا شَآءَ] ربّي وما لكني من النفع لي والدفع عني [وَلَوْ كُنْتُ اَعْلَمُ الْغَيْبَ] لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسّني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب وراجحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير [اِنْ اَنَا اِلَّا] عبد اُرسلتُ نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب [لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ] يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما تنفعان فيهم - او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذيرٌ للكافرين وبشيرٌ لقوم يؤمنون * [مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ] وهي نفس آدم [وَّجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا] وهي حوّاء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه - او من جنسها كقوله جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا [لِيَسْكُنَ اِلَيْهَا] ليطمئنّ اليها ويميل ولا ينفران الجنس الى الجنس اميلُ وبه آنسُ واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحنّه محبةَ نفسه لكونه بضعة منه وقال لِيَسْكُنَ فذكّر بعد ما انّث في قوله وَاحِدَةٍ - مِنْهَا زَوْجَهَا ذهابا الى معنى النفس اُبهم ان المراد بها آدم والذكرَ هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها وكان التذكير احسنَ طباقا للمعنى - والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغَشَيان والاتيان [حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيْفًا] خفّ عليها ولم تلقَ منه ما تلقى بعضُ الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد سمع بعضهن تقول في ولدها ما كان اخفّه على كبدي حين حملته [فَمَرَّتْ بِهٖ] فمضت به الى وقت ميلاده من غير احداج ولا ارتياق - وقيل حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيْفًا يعني النطفةَ فَمَرَّتْ بِهٖ فقامت به وقعدت - وقرأ ابن عباس فَاسْتَمَرَّتْ بِهٖ - وقرأ يحيى بن يَعْمَر فَمَرَتْ بِهٖ

اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشكرين ◎ فلما اتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما
اتيهما ج فتعلى الله عما يشركون ◎ ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ◎ ولا يستطيعون لهم نصرا
ولا انفسهم ينصرون ◎ وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم ط سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ◎

بالتخفيف - وقرأ غيره فمارت به من المرية كقوله افتمرونه و افتمرونه - ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به - [فلما اثقلت] حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت - وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل [دعوا الله ربهما] دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى و يلتجى اليه فقالا [لئن اتيتنا] لئن وهبت لنا [صالحا] ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ - وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح و الجودة - والضمير في اتيتنا - ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما [فلما اتيهما] ما طلباه من الولد الصالح السوي [جعلا له شركاء] اي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك [فيما اتيهما] اي أتى اولادهما و قد دل على ذلك بقوله [فتعلى الله عما يشركون] حيث جمع الضمير و آدم و حواء بريئان من الشرك و معنى اشراكهم فيما أتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم - و وجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم آل قصي الترى الى قوله في قصة ام معبد * شعر * فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فخار لا يبارى وسودد * ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجا عربية قرشية ليسكن اليها - فلما اتيهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما اتيهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار و جعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه - وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء - او احدثا لله اشراكا في الولد - أجريت الاصنام مجرى اولى العلم في قوله [وهم يخلقون] بناء على اعتقادهم فيها و تسميتهم اياها آلهة - و المعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله تعالى وهم يخلقون لان الله خالقهم - او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم - [ولا يستطيعون لهم] لعبدتهم [نصرا ولا انفسهم ينصرون] فيدفعون عنها ما يعتورها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم و يحامون عليهم - [وان تدعوهم] وان تدعوا هذه الاصنام [الى الهدى] اي الى ما هو هدى ورشاد - او الى ان يهدوكم - والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير و الهدى [لا يتبعوكم] الى مرادكم و طلبتكم و لا يجيبوكم كما يجيبكم الله و يدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام صمتم عن دعائهم في انه لا نفاع معهم - فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية - قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله و اذا مس الناس ضر

سورة الاعراف ٧ الجزء ٩ ع ١٣

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ
بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ
ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۝ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۝ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم

مكانتم حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم يفترق الحال بين احدائكم دعاءهم و بين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم • [إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ] اي تعبدونهم و تسمونهم آلهة من دون الله [عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ] وقوله عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياءً عقلاءَ فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادًا امثالهم فقال [أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا] - وقيل عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ مملوكون امثالكم - و قرأ سعيد بن جُبَير إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ بتخفيف إِنْ و نصب عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ و المعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان المخففة عمل ما الحجازية [قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ] و استعينوا بهم في عداوتي [ثُمَّ كِيدُونِ] جميعا انتم و شركاؤكم [فَلَا تُنظِرُونِ] فاني لا ابالي بكم و لا يقول هذا الا واثق بعصمة الله و كانوا قد خوّفوه آلهتهم فأمر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ فقال لهم إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ [إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ] ان ناصري عليكم الله [الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ] الذي اوحى اليّ كذبه و اعزني برسالته [وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ] و من عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه و لا يخذلهم - [يَنظُرُونَ إِلَيْكَ] يشبهون الناظرين اليك لانهم صوّروا اعدامهم بصورة من قلب حَدَقته الى الشيء ينظر اليه [وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ] و هم لا يدركون المرئيّ • [الْعَفْوَ] ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس و أخلاقهم و ما اتى منهم و تسهّل من غير كُلْفة و لا تُدقّق و لا تطلب منهم الجهد و ما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يَسّروا و لا تُعسّروا قال • شعر • خذي العفو مني تستديمي مودّتي • و لا تنطقي في سَوْرتي حين اغضبُ • و قيل خذ الفضل و ما تسهّل من صدقاتهم و ذلك قبل نزول اية الزكوة فلما نزلت أُمر ان يأخذهم بها طوعا او كرها [و العُرف] المعروف و الجميل من الافعال [وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] و لا تكافي السفهاءَ بمثل سفههم و لا تمارهم و احلمْ عنهم و اغضِ على ما يسوءك منهم - و قيل لما نزلت الآية سأل جبرئيل فقال لا ادري حتى اسئل ثم رجع فقال يا مُحَمّد ان ربك امرك ان تصلَ مَن قطعك و تُعطيَ مَن حرمك و تعفوَ عمن ظلمك - و عن جعفر الصادق امر الله نبيّه صلّى الله عليه و آله وسلّم بمكارم الاخلاق و ليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها [وَإِمَّا

مُبْصِرُونَ ۝ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا
أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ

يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطٰنِ نَزْغٌ] واما ينخسنّك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما أُمرتَ به [فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ] ولا تُطعه - والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناسَ حين يُغريهم على المعاصي وجُعل النزغ نازغا كما قيل جَدَّ جدُّهُ - وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يا ربِّ والغضبُ فنزل وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ - ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه إنّ لي شيطانا يعتريني • طَٰٓئِفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ لَمَّةٌ منه مصدر من قولهم طاف به الخيالُ يطيف طَيْفًا قال • ع • اتى انّم بك الخيال يطيف • او هو تخفيف طَيِّف فَيْعِل من طاف يطيف كَلَيْنٍ او من طاف يطوف كَهَيْنٍ - وقرئ [طٰئِفٌ] وهو يحتمل الامرين وهذا تاكيد وتقريرٌ لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابتهم ادنى نزغ من الشيطان والمامٍ بوسوسته [تَذَكَّرُوا] ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السَّداد ودفعوا ما وُسْوس به اليهم ولم يُتبعوه انفسهم - واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين [يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ] اي يكونون مددًا لهم فيه ويعضدونهم - وقرئ يُمِدُّونَهُمْ من الامداد - وَيَمُدُّونَهُمْ بمعنى يعاونونهم - [ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ] ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يُصِرّوا ولا يرجعوا وقوله وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ كقوله • ع • قومٌ اذا الخَيْل حالوا في كوائبها • في ان الخبر جارٍ على غير ما هو له - ويجوز ان يراد بالإخوان الشياطينُ ويرجع الضمير المتعلق به الى الْجٰهِلِينَ فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان إِخْوَانُهُمْ في مقابلة الَّذِينَ اتَّقَوْا - فان قلت لم جمع الضمير في إِخْوَانُهُمْ والشَّيْطٰن مفرد - قلت المراد به الجنس كقوله تعالى أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ • اجتبى الشيءَ بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه - او جُبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جُليت اليه العروس فاجتلاها - ومعنى [لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا] هلا اجتمعتها انتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون إِنْ هٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى - او هلا اخذتها منزلةً عليك مقترحةً [قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ] ولستُ بمفتعل الآيات - اولست بمقترح لها [هٰذَا بَصَآئِرُ] هذا القرآن بصائر [مِن رَّبِّكُمْ] اي حُجج بيّنة يعود المؤمنون بها بُصَراء بعد العمى وهو بمنزلة بصائر القلوب • [وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْاٰنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا] ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقتَ قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة - وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت ثم صار سُنّةً في غير الصلوة ان يُنْصت القوم اذا كانوا في مجلس يُقرأ فيه القرآن - وقيل معناه واذا تلى عليكم الرسولُ القرآنَ عند نزوله فَاسْتَمِعُوا لَهُ فاعملوا بما فيه ولا تُجاوزوه [وَاذْكُرْ رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ] هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك [تَضَرُّعًا وَخِيفَةً] متضرعا وخائفا [وَدُونَ الْجَهْرِ] ومتكلما

بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغٰفِلِيْنَ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِهٖ وَيُسَبِّحُوْنَهٗ وَلَهٗ يَسْجُدُوْنَ ۝ ع

سورة الانفال ٨ الجزء ٩ ع ١٣ سجدة ١ الثلث

كلماتها ١٢٥٣ — سورة الانفال مدنية وهي خمس و سبعون اٰية و عشر ركوع — حروفها ٥٥٢٢

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۝

يَسْـَٔلُوْنَكَ عَنِ الْاَنْفَالِ ۭ قُلِ الْاَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُوْلِ ۚ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَصْلِحُوْا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۠ وَاَطِيْعُوا اللّٰهَ

كلاماً دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص و اقرب الى حسن التفكر [بِالْغُدُوِّ وَالْاٰصَالِ] لفضل هذين الوقتين - او اراد الدوام - و معنى بِالْغُدُوِّ باوقات الغدو وهي الغدوات - و قرىء وَالْاٰصَالِ من اَصَلَ اذا دخل في الاصيل كَاَقْصَر وَاَعْتَم و هو مطابق للغدو [وَلَا تَكُنْ مِّنَ الْغٰفِلِيْنَ] من الذين يغفلون عن ذكر الله و يلهون عنه [اِنَّ الَّذِيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ] هم الملائكة صلوات الله عليهم و معنى عند دنو الرتبة و القرب من رحمة الله و فضله لتوفرهم على طاعته و ابتغاء مرضاته [وَلَهٗ يَسْجُدُوْنَ] و يخصونه بالعبادة و لا يشركون به غيره و هو تعريض بمن سواهم من المكلفين - عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه و بين ابليس ستراً و كان اٰدم شفيعاً له يوم القيامة ۝

سورة الانفال

[النفل] الغنيمة لانها من فضل الله و عطائه - قال ابيد ۝ ع ۝ ان تقوى ربنا خير نفل ۝ و النفل ما يُنَفِّلُهُ الغازي اي يُعطاهُ زائدا على سهمه من المَغْنَم و هو ان يقول الامام تحريضاً على البلاء في الحرب مَن قتل قتيلاً فله سَلَبه - او قال السَّرِيَّة ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه و لا يُخَمَّس النَّفَل و يلزم الامامَ الوفاءُ بما وعد منه - و عند الشافعي رحمه الله في احد قوليه لا يلزم - و لقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر و في قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم كيف تقسم و لمن الحكم في قسمتها أللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعاً فقيل له قل لهم هي لرسول الله و هو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد فيها حكم - و قيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان يُنَفِّله فتسارَعَ شُبَّانهم حتى قتلوا سبعين و اسروا سبعين فلما يَسَّر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم و تنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون و قال الشيوخ و الوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم و فئة تنحازون اليها ان انهزمتم و قالوا لرسول الله صلى الله عليه و اله و سلم المغنم قليل و الناس كثير و ان تعط هؤلاء ما شرطتَ حرمتَ اصحابك فنزلت - و عن سعد بن ابي وقاص قُتل اخي عميرٌ يوم بدر فقتلتُ به سعيد بن العاص و اخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله فقلت له ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيفَ فقال ليس هذا لي و لا لك اطرحه في القبض فطرحته و بي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي و اخذ سلبي فما جاوزتُ الا قليلا حتى جاءني رسول الله و قد أُنزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيفَ و ليس لي و انه قد صار لي فاذهب فخُذْه - و عن عُبادة

وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ
زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

بن الصامت نزلت فينا يامعشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين - وقرأ ابن محيصن يَسْئَلُونَكَ عَلْفَالِ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عَنْ في اللام - وقرأ ابن مسعود يَسْئَلُونَكَ الْأَنْفَالَ اي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال - فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله [قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ] - قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما يقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضاً الى راي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك في ما بين المسلمين من التحاب والتصافي [فَاتَّقُوا اللَّهَ] في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله [وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ] وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم - وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض - فان قلت ماحقيقة قوله ذَاتَ بَيْنِكُمْ - قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بِذَاتِ الصُّدُورِ وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا اناءك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها - ومعنى قوله [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] ان كنتم كاملي الايمان - واللام في قوله [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ] اشارة اليهم اي انما الكاملوا الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا [وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ] فزعت - وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاماً له وتهيباً من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه - وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع - وقرئ وَجَلَتْ بالفتح وهي لغة نحو وَثِقَ في وَبِقَ - وفي قراءة عبد الله فَرِقَتْ [زَادَتْهُمْ إِيمَانًا] ازدادوا بها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل - وعن ابي هريرة الايمان سبع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان - وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها

حَقًّا ۚ لَهُمْ دَرَجٰتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ كَمَآ اَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ۖ وَاِنَّ فَرِيقًا
مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ لَكٰرِهُوْنَ ۝ يُجَادِلُوْنَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَاَنَّمَا يُسَاقُوْنَ اِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُوْنَ ۝

لم يستكمل الايمان [وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ] و لا يفوضون امورهم الى غير ربهم و لا يخشون و لا يرجون الا اياه - جمع بين اعمال القلوب من الخشية و الاخلاص و التوكل و بين اعمال الجوارح من الصلوة و الصدقة [حَقًّا] صفة للمصدر المحذوف اي اُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ ايماناً حقاً - او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقاً - و عن الحسن ان رجلا سأله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسئلني عن الايمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و الجنة و النار و البعث و الحساب فانا مؤمن و ان كنت تسئلني عن قوله اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ فو الله لا ادري انا منهم ام لا - و عن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد أمن بنصف الآية و هذا الزم منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا و بهذا تعلق من يستثني في الايمان و كان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه - و حكي عنه انه قال لعقادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعاً لابراهيم في قوله وَالَّذِيْ اَطْمَعُ اَنْ يَّغْفِرَ لِيْ فقال له هلا اقتديت به في قوله اَوَلَمْ تُؤْمِنْ قال بلى [دَرَجٰتٌ] شرف و كرامة و علو منزلة [وَمَغْفِرَةٌ] و تجاوز لسيئاتهم [وَّرِزْقٌ كَرِيْمٌ] نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم و هذا معنى الثواب [كَمَآ اَخْرَجَكَ رَبُّكَ] فيه وجهان - احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب - و الثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله اَلْاَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُوْلِ اي الانفال استقرت لله و الرسول و ثبتت مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك و هم كارهون و [مِنْ بَيْتِكَ] يريد بيته عليه السلام بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره و مسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه [بِالْحَقِّ] اي اخراجاً ملتبساً بالحكمة و الصواب الذي لا محيد عنه [وَاِنَّ فَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ لَكٰرِهُوْنَ] في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم - و ذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة و معها اربعون راكبا منهم ابو سفيان و عمرو بن العاص و عمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلى الله عليهما فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير و قلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب و ذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا - و قد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقال لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما ترضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع

اهل مكّة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير نقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكّة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القيّنات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السّنة ونزل جبرئيل فقال يا محمّد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبيّ صلّى الله عليه واله وسلّم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكّة على كل صعب وذلول فالعير احبّ اليكم ام النفير قالوا بل العير احبّ الينا من لقاء العدوّ فتغيّر وجه رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم ثم ردّد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدوّ فقام عند غضب النبيّ صلّى الله عليه واله وسلّم ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلّف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانّا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربّك فقاتلا انّا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انّا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم ثم قال اشيروا عليّ ايها الناس وهو يريد الانصار انهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انّا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبيّ صلّى الله عليه واله وسلّم يتخوّف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدوّ دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدوّنا انّا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما يقرّ به عينك فسر بنا على بركة الله فنشر رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم - وروي انه قيل لرسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فحداه العبّاس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبيّ صلّى الله عليه واله وسلّم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير [بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ] بعد اعلام رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبّه حالهم في فرط فزعهم

وَاِذْ يَعِدُكُمُ اللّٰهُ اِحْدَى الطَّآئِفَتَيْنِ اَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّوْنَ اَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُوْنُ لَكُمْ وَيُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يُّحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمٰتِهٖ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكٰفِرِيْنَ ۝ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُوْنَ ۝ اِذْ تَسْتَغِيْثُوْنَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ

و رعبهم وهم يساربهم الى الظفر و الغنيمة بحال من يُعَلَّلُ الى القتل و يُساق على الصغار الى الموت المتيقن و هو مشاهدٌ لاسبابه ناظرٌ اليها لا يَشكّ فيها - و قيل كان خوفهم لغلّة العدد و انهم كانوا رَجّالة - و روي انه ما كان فيهم الّا فارسان - [اِذْ] منصوب باضمار اُذكُر - و اَنَّهَا لَكُمْ بدل من [اِحْدَى الطَّآئِفَتَيْنِ] و الطائفتان العير و النفير - و [غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ] العير لانه لم يكن فيها الّا اربعون فارسا و الشوكة كانت في النفير لعددهم و عُدّتهم و الشوكةُ الحدّة مستعارة من واحدة الشوك و يقال شوك القنا لشَباها و منها قولهم شائك السلاح اي تتمنّون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لاحدّة لها و لا شدّة و لا تريدون الطائفة الاخرى [اَنْ يُّحِقَّ الْحَقَّ] ان يُثْبته و يُعليه [بِكَلِمٰتِهٖ] بآيه المنزلة في محاربة ذات الشوكة و بما امر الملئكةَ من نزولهم للنصرة و بما قضى من اسرهم و قتلهم و طرحهم في قليب بدر - و [الدابر] الآخر فاعلٌ من دبر اذا ادبر و منه دابرة الطئر - و قَطْع الدّابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدةَ العاجلةَ و سفسافَ الامور و ان لا تلقَوْا ما يزرؤكم في اَبْدانكم و احوالكم و اللّٰهُ عزّ و علا يريد معاليَ الامور و ما يرجع الى عمارة الدين و نُصرة الحق و علوّ الكلمة و الفوز في الدارين و شتّانَ ما بين المرادين و لذلك اختار لكم الطائفةَ ذاتَ الشوكة و كَسْرَ قوّتهم بضعفكم و غلب كثرتهم بقلّتكم و اعزّكم و اذلّهم و حصل لكم ما لا يعارض ادناه العيرُ و ما فيها - و قرئ بِكَلِمَتِه على التوحيد - فان قلت بما تعلق قوله [وَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ] - قلت بمحذوف تقديره لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْبَاطِلَ فعل ذلك ما فعله الّا لهما و هو اثبات الاسلام و اظهاره و ابطال الكفر و مَحْقَهُ - فان قلت أليس هذا تكريرا - قلت لا لان المعنيين متباينان و ذلك ان الاول تمييز بين الارادتين و هذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم و نصرتهم عليها و انه ما نصرهم و لا خذل اولئك الّا لهذا الغرض الذي هو سيّد الاغراض و يجب ان يقدّر المحذوف متاخّرا حتى يفيد معنى الاختصاص و ينطبق عليه المعنى - و قيل و قد تعلق بِيَقْطَعَ - فان قلت بم تعلق اِذْ تَسْتَغِيْثُوْنَ - قلت هو بدل من اِذْ يَعِدُكُمْ - و قيل بقوله لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْبَاطِلَ و استغاثتهم انهم لمّا علموا انه لابُدّ من القتال طفقوا يَدْعون الله يقولون اي ربِّ انصرنا على عدوك يا غياثَ المستغيثين اَغِثْنَا - و عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم نظر الى المشركين و هم الف و الى اصحابه و هم ثلثمائة فاستقبل القبلة و مدّ يديه يدعو اللّهم اَنْجِزْ لي ما وعدتني اللّهم ان تُهلك هذه العصابةَ لا تُعْبَد في الارض فما زال كذلك حتى سقط ردائه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه و التزمه من ورائه و قال يا نبيَّ الله كفاك مُناشدتُك ربك فانه سيُنجز لك ما وعدك [اَنِّيْ مُمِدُّكُمْ] اصله بانّي ممدّكم فحذف الجار و سلّط عليه اِسْتَجَابَ فنصب محله - و عن ابي عمرو انه قرأ اِنِّيْ مُمِدُّكُمْ بالكسر على ارادة القول او على اجراء اِسْتَجَابَ مجرى قال لان الاستجابة

لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ إِلَّا بُشْرٰى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ سورة الانفال ٨

الجزء ٩

ع ١٤

من القول - فان قلت هل قاتلت الملئكةُ يوم بدر - قلت اختلف فيه - فقيل نزل جبرئيل في خمس مائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر و ميكائيل في خمس مائة على الميسرة و فيها عليّ بنُ ابي طالب في صُوَر الرجال عليهم ثياب بيضٌ وعمائم بيض وقد أرخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلتْ - وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حُنَيْن - وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنّا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملئكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم - ورُوي انّ رجلا من المسلمين بينَا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوتَ ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خرّ مستلقيا وشُقّ وجهه فحدّث الانصاري رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال صَدَقت ذلك من مدد السماء - وعن ابي داؤد المازني تبعتُ رجلا من المشركين لاضربَهُ يوم بدر فوقع رأسه بين يديّ قبل ان يصل اليه سيفي - وقيل لم يُقاتلوا وانما كانوا يُكثّرون السواد و يثبّتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كُلّهم فان جبرئيل اهلك بريشه من جناحه مدائنَ قوم لوط و اهلك بلادَ ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة - وقرئ [مُرْدِفِيْنَ] بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه و منه قوله تعالى رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُوْنَ بمعنى ردفكم و اردفته اياه اذا اتبعته و يقال اردفته كقولك اتبعتُهُ اذا جئتَ بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى مُتْبِعين او مُتَّبعين - فان كان بمعنى مُتْبِعين اومُتَّبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى مُتْبِعين بعضَهم بعضًا او متبعين بعضهم لبعض - اوبمعنى مُتْبِعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم فيُتْبِعونهم انفسهم او متّبعين لهم يُشيّعونهم ويقدّمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم - او بمعنى مُتْبِعين انفسَهم ملئكة اخريْنَ او متّبعين غيرهم من الملئكة ويَعْضُد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بِثَلٰثَةِ آلٰفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُنْزَلِيْنَ - بِخَمْسَةِ آلٰفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُسَوِّمِيْنَ - ومن قرأ مُرْدَفِيْنَ بالفتح فهو بمعنى مُتْبَعين او مُتَّبَعين - وقرئ مُرِدِّفِيْنَ بكسر الراء وضمّها وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين ارمتّبعين من ارتدفه فادُغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحُرّكت الراءُ بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم - وعن السدّي بِآلٰفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران - فان قلت فبم يُعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسّر المُرْدِفين بارداف الملئكة ملئكةً اُخرين - والمُرِدِّفين بارتدافهم غيرَهم - قلت بان المراد بالالف مَن قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اَتْباع لهم - فان قلت الَم يرجع الضمير في [وَمَا جَعَلَهُ] - قلت الى قوله اَنِّيْ مُمِدُّكُمْ لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم - فان قلت فمن قرأ بالكسر - قلت الى قوله اِنِّيْ مُمِدُّكُمْ لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول - ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدلّ عليه مُمِدُّكُمْ [إِلَّا بُشْرٰى] الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرّعتم لقلّتكم وذلّتكم فكان الامداد بالملئكة بشارةً لكم بالنصر وتسكينًا منكم

سورة الانفال ٨ الجزء ٩ ع ١٥

إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ ع إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ

وربطاً على قلوبكم [وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] يريد ولا تحسبوا النصر من الملئكة فان الناصر هو الله لكم ولملئكة - او وَمَا النَّصْرُ بالملئكة وغيرهم من الاسباب إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ والمنصور مَن نصره الله * إِذْ يُغَشِّيكُمْ بدل ثان من إِذْ يَعِدُكُمْ - او منصوب بالنَّصْر او بما في مِنْ عِنْدِ اللَّهِ من معنى الفعل او بما جَعَلَهُ اللَّهُ او باضمار اُذْكُرْ - وقرئ [يُغَشِّيكُمْ] بالتخفيف والتشديد ونصب [النُّعَاسَ] والضمير لله عزوجل و [أَمَنَةً] مفعول له - فَانْ قلت اَمَا وجب ان يكون فاعل الفعل المعلّل والعلة واحداً - قلت بلى ولكن لما كان معنى يَغْشَاكُمُ النُّعَاسَ تنعسون انتصب أَمَنَةً على ان النعاس والامنة لهم والمعنى تنعسون امنه بمعنى امنا اي لِأَمَنِكم - و [مِنْهُ] صفة لها اي أَمَنَةً حاصلة لكم من الله - فَانْ قلت فعلى غير هذه القراءة - قلت يجوز ان تكون الامنةُ بمعنى الايمان اي يُنْعِسكم ايمانا مِنْهُ - او على يُغَشِّيكم النعاسَ فتنعسون امنا - فَانْ قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يَغْشَاكُمْ اي يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النُّعاس اسناد مجازيٌّ وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة - او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يُقدم على غشيانكم واذا غشيكم امنةً حاصلةً له من الله تعالى لولاها لم يغشاكم على طريقة التمثيل والتخييل - قلت لا تبعد مصاحة القرآن عن احتماله وله به نظائر وقد المّ به من قال * شعر * يهاب النوم ان يغشى عُيُونًا * تهابك فهو نفار شرود * وقرئ أَمَنَةً بسكون الميم ونظير اَمَنَ اَمَنَةً حِيَيَ حَيْوَةً ونحو اَمِنَ اَمْنَةً رَحِمَ رَحْمَةً والمعنى ان ماكان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طَأْمَنَ الله قلوبهم و اَمَّنهم رقدوا - وعن ابن عباس النعاس في القتال امنةٌ من الله وفي الصلوة وسوسةٌ من الشيطان - [وَيُنَزِّلُ] قرئ بالتخفيف والتثقيل - وقرأ الشعبي مَا يُطَهِّرَكُمْ قال ابن جنّي مَا موصولة وصلتها حرف الجر بما جرّ بكاه قال ما للطهور [وَ رِجْزَ الشَّيْطَانِ] وَسْوَسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش - وقيل الجنابة لانها من تخييله - وقرئ رِجْسَ الشَّيْطَانِ - وذلك انّ ابليس تمثّل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدامُ على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحابَ مُحَمَّدٍ تزعمون انكم على الحق وانتم تصلّون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الّا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا مَن احبّوا وساقوا بقيتكم الى مكّة فحزنوا حُزْنًا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فَتَطَهروا ليلاً حتى جرى الوادي واتخذ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابُه الحياضَ على عُدْوة الوادي وسَقَوا الركابَ واغتسلوا وتوضّأوا وتبدّد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس - والضمير في بِهِ الماء - ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر

سورة الانفال ٨ الجزء ٩ ع ١٥

أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا
مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞
ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۞

والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال [وَإِذْ يُوحِي] يجوز ان يكون بدلاً ثالثا من إِذْ يَعِدُكُمْ - وان ينتصب بيُثَبِّتَ [أَنِّي مَعَكُمْ] مفعول يُوحِي - وقرئ إِنِّي بالكسر على ارادة القول او على اجراء يُوحي مجرى يقول كقوله إِنِّي مُمِدُّكُمْ والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبّتوهم - وقوله [سَأُلْقِي - فَاضْرِبُوا] يجوز ان يكون تفسيرا لقوله أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكَفَرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب أَعْناقهم واجتماعهما غاية النصرة - ويجوز ان يكون غيرَ تفسير وان يراد بالتثبيت ان يُخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصحّ عزائمهم ونياتهم في القتال وان يُطهروا ما يتيقنون به انهم مُمَدّون بالملئكة - وقيل كان الملك يتشبّه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لنكشفنّ ويمشي بين الصَّفّين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه - وقرئ الرُّعْبُ بالتثقيل [فَوْقَ الْأَعْنَاقِ] اراد أعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزّا وتطييرا للرؤس - وقيل اراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال *ع* وَاضْرِبْ هامةَ لبطل المشيح *و* شعر *غَشَّيْتُهُ وهو في جاواء باسلة * عَضْباً اصاب شواءَ الرأس فانفلقا * و [الْبَنَان] الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المَقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او على غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا - ويجوز ان يكون قوله سَأُلْقِي الى قوله كُلَّ بَنَانٍ عقيب قوله فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا تلقينا للملئكة ما يثبّتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ - او كانهم قالوا كيف نثبّتهم فقيل قولوا لهم قولي سَأُلْقِي فالصارفون على هذا هم المؤمنون - [ذَٰلِكَ] اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء - و[بِأَنَّهُمْ] خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مُشاقتهم والمُشاقة مشتقة من الشقّ لان كلا المتعاديين في شِقّ خلاف شِقّ صاحبه - وسُئلتُ في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلتُ لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقّة لان هذا في خُصْم اي في جانب وذاك في خُصْم وهذا في شِقّ وذاك في شِقّ - والكاف في ذَٰلِكَ لخطاب الرسول اولخطاب كل احد منكم وفي [ذَٰلِكُمْ] للكفرة على طريق الالتفات ومحل ذَٰلِكُمْ الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ - ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ كقولك زيدا فاضربْه - [وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ] عطف على ذَٰلِكُمْ في وجهيه - او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الأجل الذي لكم في الأخرة فوضع الظاهر موضع الضمير - وقرأ الحسن وَإِنَّ لِلْكَافِرِينَ بالكسر - [زَحْفًا] حال من الَّذِينَ كَفَرُوا والزحف الجيش الدهم الذي يُرى لكثرته كانه يزحف اي يدبّ دبيبا من زحف الصبي اذا دبّ على استه قليلا قليلا سمّي بالمصدر والجمع

سورة الانفال ٨ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ
الجزء ٩ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۖ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ
ع ١٥ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ۝ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۚ

زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جمّ وانتم قليل فلا تفرّوا فضلاً ان تعادوهم في العدد او تساووهم - او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم - او حال من المؤمنين كانهم أُشعروا بما كان سيكون منهم يوم حُنين حين تولّوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنى عشر الفا و تقدمةُ نهي لهم عن الفرار يومئذ - وفي قوله [مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ] اشارة عليه [إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ] وهو الكر بعد الفر تحيّل عدوه انه منهزمٌ ثم يعطف عليه وهو باب من خُدَع الحرب ومكائدها [أَوْ مُتَحَيِّزًا] او منحازا [إِلَىٰ فِئَةٍ] الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها - وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجتْ سريّة و انا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلتُ يا رسول الله نحن الفرّارون فقال بل انتم العكّارون و انا فئتكم و انهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر فقال يا امير المؤمنين هلكتُ فررتُ من الزحف فقال عمر انا فئتك - و عن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر - فان قلت بم انتصب إِلَّا مُتَحَرِّفًا - قلت على الحال و إلّا لغو - او على الاستثناء من المولّين اي وَمَنْ يُوَلِّهِمْ الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا - و قرأ الحسن دُبُرَهُ بالسكون و وزن متحيّز متفيعل لا متفعّل لانه من حاز يحوز فبناء متفعّل منه متحوّز - لمّا كسروا اهلَ مكة وقتلوا واسروا واقبلوا على التفاخر فكان القاتل يقول قتلت و اسرت و لمّا طاعنّ قريش قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه قريش قد جاءت بخُيَلائها وفخرها يكذّبون رسولك اللّهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبرئيل فقال خُذْ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لمّا التقى الجمعان لعليّ رضي الله عنه اعطني قبضة من حَصْباء الوادي فرمى بها في وجوههم و قال شَاهَتِ الْوُجُوهُ فلم يبق مشرك الا شُغل بعينيه فانهزموا و ردفهم المؤمنون يقتلونهم و يأسرونهم فقيل لهم [فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ] و الفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم و لكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملئكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر و الظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع [وَمَا رَمَيْتَ] انت يا مُحَمَّد [إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ] يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لمّا بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رميةَ الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان صورتها وُجدت منه و نفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقها البشر فعل الله فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة و كانها لم توجد من الرسول اصلا - و قرئ وَلَٰكِنِ اللَّهُ فَذَاكَ - وَلِيُبْلِيَ اللَّهُ رَمْى بتخفيف لٰكِنْ و رفع ما بعده [وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ] وليعطيهم [بَلَاءً حَسَنًا] عطاء جميلا قال زهير * ع * ما بلاهما خير البلاء الذي يبلو * والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل و ما فعله الا لذلك * [إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ] لدعائكم [عَلِيمٌ] باحوالهم - [ذَٰلِكُمْ]

وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ ۚ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ ع
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ۝ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ

اشارة الى البلاء الحسن و محله الرفع اي الغرض ذلكم [وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ] معطوف على ذٰلِكُمْ يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين و توهين كيد الكفرين - وقرئ مُوَهِّنُ بالتشديد - وقرئ على الاضافة - وعلى الاصل الذي هو التنوين و الاعمال * [إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ] خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة و قالوا اللّٰهُمَّ انْصُرْ أَقْرَانَا للضيف و أَوْصَلَنَا للرحم وَأَهْدَانَا للعاني ان كان مُحَمَّد على حق فانصره وان كنّا على حق فانصرنا - و روي انهم قالوا اللّٰهُمَّ انصر اعلى الجُنْدَيْنِ و اهدى الفئتين و اكرم الحزبين - و روي ان ابا جهل قال يوم بدر اللّٰهُمَّ أيُّنا كان اهجر واقطع للرحم فَاحِنْهُ اليوم اي فَأَهْلِكْهُ - وقيل إِنْ تَسْتَفْتِحُوا خطاب للمؤمنين [وَإِنْ تَنْتَهُوا] للكفرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و اٰله وسلم [فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ] واسلم [وَإِنْ تَعُودُوا] لمحاربته [نَعُدْ] لنصرته عليكم وَأَنَّ اللّٰهَ] قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين كان ذلك - وقرئ بالكسر وهذه ارجه و يعضدها قراءة ابن مسعود وَاللّٰهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ - وقرئ وَلَنْ يُغْنِيَ عَنْكُمْ بالياء للفصل - [وَلَا تَوَلَّوْا] قرئ بطرح احدى التائين و ادغامها - والضمير في [عَنْهُ] لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و اٰله وسلم لان المعنى و اطيعوا رسول الله كقوله وَاللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ولان طاعة الرسول و طاعة الله شيء واحد مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان و الاجمال لا ينفع في فلان - ويجوز ان يرجع الضمير الى الامر بالطاعة اي ولا تولّوا عن هذا الامر و امتثاله وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَهُ - او ولا تتولوا عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و اٰله وسلم ولا تخالفوه [وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ] اي تصدّقون لانكم مؤمنون لستم كالصمّ المكذبين من الكفرة [وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا] اي ادّعوا السماع [وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ] لانهم ليسوا بمصدّقين فكانهم غير مسامعين والمعنى انكم تصدّقون بالقرآن و النبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم و غيرها كان تصديقكم كلا تصديق و اشبه سماعكم سماع من لا يؤمن - ثم قال [إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ] اي ان شرّ من يدبّ على وجه الارض - او ان شرّ البهائم الذين هم صُمٌّ عن الحق لا يَعْقِلُونَهُ - جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها [وَلَوْ عَلِمَ اللّٰهُ] في هؤلاء الصُّمِّ البُكْمِ [خَيْرًا] اي انتفاعا باللطف [لَأَسْمَعَهُمْ] لَلَطَفَ بهم حتى يسمعوا سماع المصدّقين ثم قال [وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا] اي ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم اَلْطَافَه - او ولو لطف بهم فصدّقوا لارتدّوا بعد ذلك و كذّبوا ولم يستقيموا - وقيل هم بنو عبد الدار بن قصيّ لم يُسلم منهم الّا رجلان مصعب بن عُمَير و سُوَيد بن حَرْمَلَة كانوا يقولون نحن صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ عما جاء به مُحَمَّد لا نسمعه ولا نجيبه فقُتلوا جميعا بأُحُد و كانوا اصحاب اللواء - وعن ابن جريج هم المنافقون - وعن الحسن اهل الكتاب [إِذَا دَعَاكُمْ] وحّد

تَوَلَّوْا وَّهُمْ مُّعْرِضُوْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اسْتَجِيْبُوْا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُوْلِ اِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيْكُمْ ۚ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ يَحُوْلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهٖ وَاَنَّهٗٓ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ ۝ وَاتَّقُوْا فِتْنَةً لَّا تُصِيْبَنَّ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْكُمْ خَآصَّةً ۚ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ

الضمير ايضا كما وحّده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم كاستجابته و انما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد و المراد بالاستجابة الطاعةُ و الامتثال و بالدعوة البعثُ و التحريض - و روى ابو هريرة ان النبيّ صلى الله عليه و آله وسلم مرّ على باب اُبيّ بن كعب فناداه و هو في الصلوٰة فعجّل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تُخبَر فيما اُوحي اليّ اسْتَجِيْبُوْا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُوْلِ قال لا جرم لاتدعوني الّا اجبتك و فيه قولان - احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير و اذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع الصلوة [لِمَا يُحْيِيْكُمْ] من علوم الديانات و الشرائع لان العلم حيٰوة كما ان الجهل موت و لبعضهم * شعر * لاتعجبنّ الجهول حلّتهُ * فذاك ميّت و ثوبه كفن * و قيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها اغلبوهم و قتلوهم كقوله وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ - و قيل للشهادة كقوله تعالى بَلْ اَحْيَآءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ [وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ يَحُوْلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهٖ] يعني انه يُميته فتفوته الفرصة التي هو واحدها و هي التمكن من اخلاص القلب و معالجة اَدْوائه و علله و ردّه سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة و اَخلصوا قلوبكم لطاعة الله و رسوله [وَاعْلَمُوْٓا اَنَّكُمْ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ] فيُثيبكم على حسب سلامة القلوب و اخلاص الطاعة - و قيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه و يغيّر نيّاته و مقاصده و يبدله بالخوف امنا و بالامن خوفا و بالذكر نسيانا و بالنسيان ذكرا و ما اشبه ذلك مما هو جائز على الله جلّ و عزّ فاما ما يثاب عليه العبد و يعاقب من افعال القلوب فلا - و المعجزة على انه يحول بين المرء و الايمان اذا كفر و بينه و بين الكفر اذا اٰمن تعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا - و قيل معناه انه يطّلع على كل ما يُخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه يحول بينه و بين قلبه - و قرئ بَيْنَ الْمَرِّ بتشديد الراء و وجهه انه قد حذف الهمزة و القى حركتها على الراء كالخَبِّ ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعُمَرّ - [فِتْنَةً] ذنبا - قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم - و قيل افتراق الكلمة - و قيل فِتْنَةً عذابا - و قوله لَا تُصِيْبَنَّ] لا تخلو من ان تكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفِتْنَةً - فاذا كانت جوابا للامر فالمعنى ان اصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة و لكنها تعمّكم و هذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نَهَوْا عن المنكر تعزيرًا فعمّهم الله بالعذاب - و اذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل و احذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب وبالهُ مَن ظلم منكم خاصة و كذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل وَاتَّقُوْا فِتْنَةً مقولا فيها لَا تُصِيْبَنَّ و نظيره قوله * شعر * حتى اذا جنّ الظلام و اختلط * جاؤا بمُذقٍ هل رايت الذئب قطّ * اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الذئب التي هي لون الذئب و تعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لَتُصِيْبَنَّ على جواب القسم

اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَاذْكُرُوٓا اِذْ اَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْاَرْضِ تَخَافُونَ اَنْ يَّتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَاٰوٰىكُمْ وَاَيَّدَكُمْ
بِنَصْرِهٖ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَخُوْنُوا اللّٰهَ وَالرَّسُوْلَ وَتَخُوْنُوٓا اَمٰنٰتِكُمْ وَاَنْتُمْ

المحذوف - و عن الحسن نزلتْ في عليّ و عمّار و طلحة و الزّبير و هو يومُ الجمل خاصة قال الزبير نزلتْ فينا و قرأناها زمانا و ما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيّون بها - و عن السدّي نزلتْ في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل - و روي ان الزبير كان يساير النبيّ صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم يوما اذْ اَقْبل عليّ رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم كيف حُبّك لعليّ فقال يا رسولَ الله بابي انتَ وامّي اني اُحبّه كحبي لولدي او اشدّ حبّا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله - فان قلت كيف جاز ان تدخل النون المؤكّدة في جواب الامر - قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت اُنْزِلْ عن الدابّة لايطرحنّك فلذلك جاز لا يطرحنّك - وَلَا تُصِيْبَنَّ - وَلَا يَحْطِمَنَّكُمْ - فان قلت فما معنى مِنْ في قوله الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْكُمْ - قلت التبعيضُ على الوجه الاول و التبيينُ على الثاني لان المعنى لَا تُصِيْبَنَّكُمْ خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس * [اِذْ اَنْتُمْ] نصبُهُ على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اَقِلّة ذِلّة مستضعفين [فِي الْاَرْضِ] ارضِ مكّة قبل الهجرة يستضعفكم قريش [تَخَافُوْنَ اَنْ يَّتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ] لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادّين مأواكم الى المدينة و اَيّدكم بنصره بمظاهرة الانصار وباصداد الملئكة يوم بدر [وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبٰتِ] من الغنائم [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ] ارادةَ ان تشكروا هذه النعم - و عن قتادة كان هذا الحيّ من العرب اذلّ الناس و اشقاهم عيشا و اعراهم جلدا و بينهم ضلالا يُؤكلون ولايأكلون فمكّن الله لهم في البلاد و وسّع لهم في الرزق و الغنائم و جعلهم ملوكا * ومعنى الخَوْن النقص كما ان معنى الوفاء التمام و منه تخوّنه اذا تنقّصه ثم استعمل في ضد الامانة و الوفاء لانك اذا خُنْتَ الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه و قد استعير نقيل خان الدلوَ الكربُ و خان المشتارَ السببُ لانه اذا انقطع به فكانّه لم يفِ له و منه قوله [وَتَخُوْنُوْٓا اَمٰنٰتِكُمْ] و المعنى لا تخونوا الله بان تعطّلوا فرائضه و رسوله بان لا تستنّوا به و اماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها [وَاَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ] تبعةَ ذلك و وباله - و قيل وَاَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمّد لا عن سهو - وقيل و انتم علماء تعلمون قبح القبيح و حُسْن الحَسَن - و روي ان نبيّ الله صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم حاصرَ يهود بني قريظة احدى و عشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اَذْرِعات واريحا من ارض الشام فابى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابَوْا و قالوا ارسل الينا ابا لبابة مروانَ بن المنذر و كان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالتْ قدماي حتى علمت اني قد خنتُ اللّٰه و رسوله فنزلتْ فشدّ نفسه على سارية من سواري المسجد و قال و اللّٰه لا اذوق طعاما و لا شرابا حتى اموت او يتوبَ اللّٰه عليّ فمكث سبعةَ

سورة الانفال ٨ تَعْلَمُونَ ۝ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ

الجزء ٩

ع ١٧

ايام حتى خرّ مغشيًا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحُلّ نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يحلّني فجاءه فحلّه بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبتُ فيها الذنبَ وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثُلُث أن تتصدّق به - وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه - وقيل آمَنتكُمْ ما ايتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده - فان قلت وَتَخُونُوا أجزم هو امّ نصبٌ - قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي - وان يكون نصبا باضمار أنْ كقوله تعالى وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ - وقرأ مجاهد وتَخُونُوا أَمَانَتَكُمْ على التوحيد * جعل الاموال والاولاد فتنةً لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده [وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ] فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدّي اليه هِمَمكم وتزهّدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحبّ الولد حتى تُورّطوا انفسكم من اجلهما كقوله تعالى أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ - وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده * [فُرْقَانًا] نصرًا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله يَوْمَ الْفُرْقَانِ - او بيانا وظهورا يُشهّر امركم ويبنّ صيتكم وآثاركم في أقطار الارض من قولهم بِتُّ افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر - او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور - او تفرقةً بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزيّة في الدنيا والآخرة - لمّا فتح الله عليه ذكّره مكرَ قريش به حين كان بمكّة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذْ يمكرون بك - وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امرُه فاجتمعوا في دار النَّدْوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامةَ دخلتُ مكّة فسمعتُ باجتماعكم واردتُ ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدّوا وثاقه وتسدّوا بابه غيرَ كُوّة تُلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريبَ المنون فقال ابليس بئس الراي يأتيكم مَن يقاتلكم من قومه وينتزعه من ايديكم فقال هشام بن عمرو ارى ان تحملوه على جمل وتُخرجوه من بين اظهركم فلا يضرّكم ما صنع واسترحتم فقال بئس الراي يفسد قومًا غيرَكم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفًا صارمًا فيضربوه ضربةَ رجلٍ واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلّهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايًا فتفرقوا على راي ابي جهل مُجْمعين على قتله فاخبر جبرئيل عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن له في الهجرة فامر عليًا رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشحّ ببُرْدتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه

سورة الانفال ٨ الجزء ٩ ع ١٧

يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا وَّيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّاٰتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ۝ وَاِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا
لِيُثْبِتُوْكَ اَوْ يَقْتُلُوْكَ اَوْ يُخْرِجُوْكَ ۗ وَيَمْكُرُوْنَ وَيَمْكُرُ اللّٰهُ ۗ وَاللّٰهُ خَيْرُ الْمٰكِرِيْنَ ۝ وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيٰتُنَا
قَالُوْا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاۤءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَآ ۙ اِنْ هٰذَآ اِلَّآ اَسَاطِيْرُ الْاَوَّلِيْنَ ۝ وَاِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ اِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ
مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ اَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ ۝ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَاَنْتَ فِيْهِمْ ۚ

و باتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فَنُهتوا و خيّب الله سعيهم و اقتصوا اثره فابطل مكرهم [لِيُثْبِتُوْكَ] ليسجنوك - او يوثقوك - او يثخنوك بالضرب و الجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراكَ به و لا براحَ و فلان مثبَتٌ وجعا - و قرئ لِيُثَبِّتُوْكَ بالتشديد - و قرأ النخعي لِيُبَيِّتُوْكَ من البيات - و عن ابن عباس لِيُقَيِّدُوْكَ و هو دليل لمن فسّره بالايثاق [وَيَمْكُرُوْنَ] و يُخفون المكائد له [وَيَمْكُرُ اللّٰهُ] و يُخفي الله ما اعدّ لهم حتى يأتيهم بغتة - [وَاللّٰهُ خَيْرُ الْمٰكِرِيْنَ] اي مكره انفذ من مكر غيره و ابلغ تاثيرا - او لانه لا يُنْزِل الّا ما هو حق و عدل و لا يصيب الّا بما هو مستوجب * [لَوْ نَشَاۤءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا] نفاجئهم منهم و صلفٌ تحت الراعدة فانهم لم يقولوا في مشيّتهم لو ساعدتهم الاستطاعة و الّا فما منعهم ان كانوا مستطعين ان يشاؤا غلبة مَن تحدّاهم و قرّعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلّى دونه مع فرط انفتهم و استنكافهم ان يُغْلَبوا في باب البيان خاصة وان يماثلهم واحد فيتعلّلوا بامتداع المشيّة و مع ما عُلم و ظهر غلبورَ الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسولَ الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و تألّبهم على ان يغمروه - و قيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبراً حين سمع اقتصاص الله احاديثَ القرون و شئتُ لقلتُ مثل هذا و هو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم و اسفنديارَ فزعم ان هذا مثل ذلك و انه من جملة تلك الاساطير و هو القائل اِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ و هذا اسلوبٌ من الجحود بليغ بمعنى ان كان القرآن هو الحقَّ فعاقبنا على انكاره بالسجّيل كما فعلتَ باصحاب الفيل او بعذاب آخر و مراده نفي كونه حقا و اذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل حقا فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً - و قوله [هُوَ الْحَقَّ] تبكّم ممن يقول على سبيل التخصيص و التعيين هذا هو الحق - و قرأ الاعمش هُوَ الْحَقُّ بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل و هي في القراءة الاولى فصل - و يقال اَمطرت السماء كقولك اَنعمتْ و اَسبلتْ و مطرتْ كقولك هتنتْ و هتلتْ و قد كثر الامطار في معنى العذاب - فان قلت ما فائدة قوله [مِنَ السَّمَاۤءِ] و الامطار لا يكون الّا منها - قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل و هي الحجارة المسوّمة للعذاب فوضع حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاۤءِ موضع السجّيل كما تقول صُبَّ عليه مسرودةً من حديد تريد درعا [بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ] اي بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجّيل بعض العذاب الاليم معذّبا به او بنوع آخر من انواعه - و عن معاوية انه قال لرجل من سَبَا ما اجهلَ قومَك حين ملّكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حين دعاهم الى الحق ان كان

وَمَا كَانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ط إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ط

هٰذَا هُوَ الْحَقَّ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً و لم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له * اللام لتاكيد النفي و الدلالة على ان تعذيبهم و انت بين اظهرهم غيرُ مستقيم في الحكمة لان عادة الله و قضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استيصال مادام نبيهم بين اظهرهم و فيه اشعار بانهم مُصَدون بالعذاب اذا هاجر عنهم و الدليل على هذا الاشعار قوله وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ و انما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال [وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ] وهو معذبهم اذا فارقتهم وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ - [وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] في موضع الحال و معناه نفي الاستغفار عنهم اي و لو كانوا ممن يؤمن و يستغفر من الكفر لَمَا عذبهم كقوله وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرٰى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ولكنهم لايؤمنون و لا يستغفرون و لا يُتوقع ذلك منهم - و قيل معناه وَمَا كَانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ و فيهم من يستغفروهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم من المستضعفين * [وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ] و اي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لاحظ لهم في ذلك و هم معذَّبون لامحالة و كيف لايعذَّبون [وَ] حالهم انهم يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] كما صدوا رسولَ الله صلى الله عليه و اله و سلم عامَ الحديبية و اخراجُهم رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم و المؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن وُلاة البيت والحرم نصد من نشاء وندخل من نشاء [وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ] و ما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا وُلاة امره واربابَه [إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ] من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره انما يستاهل ولايتَه من كان برا تقيا فكيف بالكَفَرة عَبَدة الاصنام [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] كانه استثنى مَن كان يعلم وهو يعاند و يطلب الرياسة ا و اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم * [المكاء] فُعال بوزن الغُناء و الرُغاء من مكا يمكو اذا صفر و منه لمُكّاء كانه سمّي بذلك لكثرة مُكائه و اصله الصفة نحو الوُضاء و القُراء - و قرئ مُكا بالقصر و نظيرهما البكا و البكاء - [و التصدية] التصفيق تفعلة من الصدا او من صديصدّ اذا قَوُمُك منه يصدّون - و قرأ الاعمش وَمَا كَانَ صَلَاتَهُمْ بالنصب على تقديم خبر كَانَ على اسمه - فان قلت ما وجه هذا الكلام - قلت هو من قوله *شعر * وما كنتُ اخشى ان يكون عطاؤه * اداهم سُودا او محدرجةً سُمْرا * و المعنى انه وضع القيود و الصياد موضع العطاء و وضعوا لمُكاء و التصدية موضع الصلوة و ذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عُراة الرجال و النساء وهم مشبّكون بين اصابعهم يصفرون فيها و يصفّقون و كانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم في صلوته يخلّطون عليه - [فَذُوقُوا] عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم و افعالكم التي لا يُقدم عليها الا كَفَرة - قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يُطعم كلُّ واحد منهم كل يوم عشر جزائر - و قيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب مُحَمَّد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اُصيب منا ببدر - و قيل نزلت في ابي سفيان و قد استاجر يوم اُحد الفين من الاحابيش

سورة الانفال ٨ الجزء ٩ ع ١٨

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ
تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ
وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ قُلْ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ۚ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ
فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ

سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان و اربعون مثقالا [لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] اي كان غرضهم في الانفاق الصدّ عن اتباع مُحَمَّد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك [ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً] اي تكون عاقبةُ انفاقها ندمًا و حَسْرة فكان ذاتها تصير ندماً و تنقلب حسرة [ثُمَّ يُغْلَبُونَ] اخرَ الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالاً قبل ذلك فيرجعون طُلَقاء كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي - [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] والكفرون منهم [إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ] لان منهم من اسلم و حسن اسلامه [لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ] الفريقَ الخبيثَ من الكفار [مِنَ] الفريق [الطَّيِّبِ] من المؤمنين فيَجْعل الفريق [الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا] عبارة عن الجمع و الضمّ حتى يتراكبوا كقوله كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا يعني لفرط ازدحامهم [أُولَٰئِكَ] اشارة الى الفريق الخبيث - وقيل لِيَمِيزَ المالَ الْخَبِيثَ الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مِنَ المال الطَّيِّب الذي أنفقه المسلمون كابي بكر و عمر و عثمان رضي الله عنهم في نصرته فَيَرْكُمَهُ فيجعله فِي جَهَنَّمَ في جملة ما يعذبون به كقوله تَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ الآية و اللام على هذا متعلقةٌ بقوله ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً و على الاول بِيُحْشَرُونَ و أُولَٰئِكَ اشارة الى الذين كفروا - وقرئ لِيَمِيزَ على التخفيف [قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] من ابي سفيان و اصحابه اي قُلْ لاجلهم هذا القول وهو [إِنْ يَنْتَهُوا] و لو كان بمعنى خاطِبْهم لَقيل ان تنتهوا يغفرلكم و هي في قراءة ابن مسعود و نحوه وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي إِنْ يَنْتَهُوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام [يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ لَهُمْ] من العداوة [وَإِنْ يَعُودُوا] لقتاله [فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ] منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر - او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدُمِّروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا - وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر و اسلموا غُفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسلّ الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجبّ ما قبله - وقيل الحربي اذا اسلم لم تبقَ عليه تبعة قط و اما الذمّي فلا يلزمه قضاء حقوق الله تعالى وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتجّ ابو حنيفة رحمه الله في ان المرتدّ اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردّة وقبلها وفسّروا إِنْ يَعُودُوا بالارتداد - وقرئ يَغْفِرْ لَهُمْ على ان الضمير لله عزّ وجلّ [وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ] اي ان لا يوجد منهم شرك قط [وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ] و يضمحلّ

سورة الانفال ٨ نِعْمَ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيْرُ ۝ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَاَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهٗ وَلِلرَّسُوْلِ وَلِذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى

(الجزء ١٠)

ع ١٨ عنهم كل دين باطل و يبقى فيهم دين الاسلام وحده [فَاِنِ انْتَهَوْا] عن الكفر و اسلموا [فَاِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ] يُثيبهم على توبتهم و اسلامهم - و قرئ تَعْمَلُوْنَ بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بَصِيْرٌ يُجازيكم عليه احسن الجزاء [وَاِنْ تَوَلَّوْا] ولم ينتهوا [فَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰىكُمْ] اي ناصركم و مُعينكم فثقوا بولايته و نصرته [اَنَّمَا غَنِمْتُمْ] ما موصولة و [مِّنْ شَيْءٍ] بيانهُ - قيل مِنْ شَيْءٍ حتى الخيط و المِخْيط [فَاَنَّ لِلّٰهِ] مبتدأ خبره محذوف تقديره فحقٌّ او فواجبٌ ان لله [خُمُسَهٗ] - و روى الجُعْفي عن ابي عَمرو فَاِنَّ لِلّٰهِ بالكسر و يُقويه قراءة النخعي فَلِلّٰهِ خُمُسُهٗ و المشهورة اكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بدّ من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به و التفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر و احتمل غير واحد من المقدّرات كقولك ثابتٌ واجبٌ حقٌّ لازمٌ وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النصّ على واحد - و قرئ خُمْسَهٗ بالسكون - فان قلت كيف قسمة الخُمُس - قلت عند ابي حنيفة انما كانت في عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على خمسة اسهم - سهم لرسول الله - و سهم لذوي قرباه من بني هاشم و بني المطّلب دون بني عبد شمس و بني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة و المظاهرة لما رُوي عن عثمان و جبير بن مطعم انهما قال لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم هٰؤلاء اخوتك بنو هاشم لا نُنكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المُطّلب اعطيتهم وحرمتنا و انما نحن و هم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطّلب شيء واحد و شبّك بين اصابعه - و ثلثة اسهم لليتامى و المساكين و ابن السبيل - و اما بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فسهمه ساقط بموته و كذلك سهم ذوي القربى و انما يُعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى و المساكين و ابن السبيل - و اما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة اسهم - سهم لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يصرف الى ما كان يَصْرفه اليه من مصالح المسلمين كعُدّة الغُزاة من الكُراع و السلاح ونحو ذلك - و سهم لذوي القربى من اغنيائهم و فُقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظّ الانثيين و الباقي للفرق الثلث - و عند مالك بن انس الامرُ فيه مفوّض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هٰؤلاء و ان رأى اعطاه بعضهم دون بعض و ان رأى غيرهم اولى واهمّ فغيرهم - فان قلت ما معنى ذكر الله و عطف الرسول و غيره عليه - قلت يحتمل ان يكون معنى لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُوْلِ لرسول الله كقوله تعالى وَاللّٰهُ وَرَسُوْلُهٗ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوْهُ - و ان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القُرَب - و ان يراد بقوله فَلِلّٰهِ خُمُسُهٗ ان من حق الخمس ان يكون متقرّبا به اليه لا غير ثم خُصّ من وجوه القُرَب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وَجِبْرِيْلَ وَمِيْكٰىلَ - على الاحتمال الاول مذهب الامامين - و على الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى

وَ الْمَسٰكِيْنِ وَ ابْنِ السَّبِيْلِ اِنْ كُنْتُمْ اٰمَنْتُمْ بِاللّٰهِ وَ مَآ اَنْزَلْنَا عَلٰى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعٰنِ ط سورة الانفال ٨
وَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝ اِذْ اَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوٰى وَ الرَّكْبُ اَسْفَلَ مِنْكُمْ ط وَ لَوْ تَوَاعَدْتُّمْ الجزء ١٠
ع ١٨

يصرف الى رتاج الكعبة - وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ الخُمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة - وقيل ان سهم الله لبيت المال - وعلى الثالث مذهب مالك بن انس - وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قُبض فاجرى ابو بكر الخُمسَ على ثلثة - وكذلك روي عن عمر ومَنْ بعدَه من الخلفاء - وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منعَ بني هاشم الخُمسَ وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوّج ايمكم ويُخدَم من لا خادمَ له منكم فاما الغنيّ منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنيّ لا يعطى من الصدقة شيأ ولا يقيمُ موسر - وعن زيد بن عليّ رضي الله عنهما كذلك قال ليس لنا ان نجنيَ منه قصورا ولا ان نركب منه البراذينَ - وقيل الخُمس كله للقرابة - وعن عليّ رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال وَ الْيَتٰمٰى وَ الْمَسٰكِيْنِ فقال ايتامنا ومساكيننا - وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه لوليّ الامر من بعده - وعن الكلبي ان الاية نزلت ببدر - وقال الواقدي كان الخُمس في غزوة بني قَيْنُقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة - فان قلت بمَ تعلق قوله [اِنْ كُنْتُمْ اٰمَنْتُمْ بِاللّٰهِ] قلت بمحذوف يدل عليه واعْلَمُوْا المعنى ان كنتم اٰمنتم بالله فاعلموا ان الخُمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اَطماعَكُمْ واقنعوا بالاَخْماس الاربعة وليس المراد بالعلم العلمَ المجردَ ولكنه العلمُ المضمّنُ بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر [وَمَآ اَنْزَلْنَا] معطوف على بِاللّٰهِ اي ان كنتم اٰمنتم بالله وبالمنزل [عَلٰى عَبْدِنَا] - وقرئ عُدُنا كقوله وَ عُبُدَ الطَّاغُوْتَ بضمتين [يَوْمَ الْفُرْقَانِ] يوم بدر و [الْجَمْعٰنِ] الفريقان من المسلمين والكفرين والمرادُ ما نُزل عليه من الأيات والملئكة والفتح يومئذ [وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ] يقدر على ان ينصر القليلَ على الكثير والذليلَ على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم - [اِذْ] بدل من يَوْمَ الْفُرْقَانِ - و [الْعُدْوَةَ] شط الوادي بالكسر والضم والفتح - وقرئ بهن - وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزاً غير حصين كما في الصِبْية - والدُنْيَا والقُصْوَى تانيث الادنى والاقصى - فان قلت كلتا هما فُعْلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو - قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعُلْيا واما القُصْوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القُصْيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال اسْتَصْوَب مع مجيء اسْتَصَاب واَغْيَلت مع اَغَالت - والعُدْوَة الدُنْيا مما يلي المدينة - والقُصْوى مما يلي مكة [وَالرَّكْبُ اَسْفَلَ مِنْكُمْ] يعني الركب الربعين الذين كانوا يقودون العيرَ اسفلَ منكم بالساحل - واَسْفَلَ نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر للمبتدأ - فان قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم - قلت الفائدة

سورة الانفال ٨ الجزء ١٠ ع ١٨

لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعٰدِ وَلٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللّٰهُ اَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۙ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيٰى مَنْ حَيَّ
عَنْ بَيِّنَةٍ ۗ وَاِنَّ اللّٰهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ اِذْ يُرِيكَهُمُ اللّٰهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ اَرٰىكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ

فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو و شوكته و تكامل عُدَّته و تمهُّد اسباب الغلبة له و ضعف شان المسلمين و انتياث امرهم و ان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعاً من الله و دليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله و قوته وباهر قدرته و ذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء و كانت ارضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا و هي خبار تسوخ فيها الارجل و لا يُمشى فيها الا بتعب و مشقة و كانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تُضاعف حميّتهم و تشحذ في المقاتلة عنها نيّاتهم و لهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظُعنهم و اموالهم ليبعثهم الذبُّ عن الحريم والغيرةُ على الحرم على بذل جُهْداهم في القتال و ان لا يتركوا وراءهم ما يحدّثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم و يضبط هممهم ويُوطّن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلّوا مراكزهم و يبذلوا منتهى نجدتهم و قصارى شدتهم وفيه تصويرٌ ما دبّر سبحانه من امر وقعة بدر لِيَقْضِيَ اللّٰهُ اَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا من اعزاز دينه و اعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبيّنة حتى خرجوا ليأخذوا العيرَ راغبين في الخروج و شخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرّض رسول الله صلّى عليه و آله وسلّم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم و سَبَب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا و هؤلاء بالعدوة القصوى و وراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق و كان ما كان - [وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ] انتم و اهل مكة و تواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لَخالَفَ بعضكم بعضا فثبّطكم قلّتكم و كثرتهم عن الوفاء بالموعد و ثبّطهم ما في قلوبهم من تهيُّب رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم و المسلمين فلم يتّفق لكم من التلاقي ما وَفّقه الله و سَبّب له [لِيَقْضِيَ] متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان يُفعل وهو نصر اوليائه و قهر اعدائه دبّر ذلك - وقوله [لِيَهْلِكَ] بدل منه و استعير الهلاك و الحيوة للكفر و الاسلام اي ليصدر كفرُ من كفر [عَنْ] وضوح [بَيِّنَةٍ] لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حُجّة و يصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه و التمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات الغُرّ المحجّلة اللتي مَن كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها - وقرئ لِيَهْلَكَ بفتح اللام - وَحَيَّ باظهار التضعيف [لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ] يعلم كيف يُدبّر اموركم و يسوّي مصالحكم - او لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ بكفر من كفر و عقابه و بايمان من آمن و ثوابه [اِذْ يُرِيكَهُمُ اللّٰهُ] نصبه باضمار اذكر - اوهو بدل ثان من يَوْمَ الْفُرْقَانِ - او متعلق بقوله لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ اي يعلم المصالح اذ يقلّلهم في عينك [فِي مَنَامِكَ] في رؤياك وذلك ان الله عزوجل اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم - وعن الحسن فِي مَنَامِكَ في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها - وهذا تفسير فيه تعسُّف وما احسب الرواية صحيحة فيه

سورة الانفال ٨ الجزء ١٠ ع ١

فِي الْأَمْرِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي
أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّٰهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۚ وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا
وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ

عن الحسن و ما يلائم علمهُ بكلام العرب ونصاحتهُ [لَفَشِلْتُمْ] لَجَبنتم وهبتم الاقدام [وَلَتَنَازَعْتُمْ] في الراي وتفرقت فيما تصدعون كلمتكم و ترجحتم بين انثبات و الفرار [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سَلَّمَ] اي عصم و انعم بالسلامة من الفشل والتنازع و الاختلاف - [إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر و الجزع * [وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ] الضميران صفعولان يعني و اذ يبصركم اياهم - و [قَلِيلًا] نصب على الحال و انما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم و يجدوا و يثبتوا - قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا حتى قلتُ لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا [وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ] حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور - فان قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم - قلت قد قللهم في اعينهم قبل التقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم فثمة مبالغة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم و ذلك قوله يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ و لئلا يستعدوا لهم و ليعظم الاحتجاج عليهم في استيضاح الاية البينة من قلتهم اولا و كثرتهم اخرا - فان قلت باي طريق يُبصرون الكثير قليلا - قلت بان يستر الله بعضه عنهم بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون له الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون له الواحد اثنين - قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين و كان بين يديه ديك و احد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة [إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً] اذا حاربتم جماعة من الكفار تركك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار و اللقاء اسم للقتال غالب [فَاثْبُتُوا] لقتالهم ولا تفروا [وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيرًا] في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به و اعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة و المثوبة - و فيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلباً و اكثر ما يكون همًّا و ان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره و ما هيك به في خُطب امير المؤمنين رضي الله عنه في ايام صفين و في مشاهده مع بُغاة و الخوارج من البلاغة و البيان و لطائف المعاني و بليغات المواعظ و النصائح دالة على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم - [وَلَا تَنَازَعُوا] قرئ بتشديد التاء [فَتَفْشَلُوا] منصوب باضمار أن - او مجزوم لدخوله في حكم النهي - و يدل على التقديرين قراءة من قرأ [وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ] بالتاء و النصب و قراءة من قرأ وَيَذْهَبْ رِيحُكُمْ بالياء و الجزم - و الريح الدولة شُبهت في نفوذ امرها و تمشيه بالريح و هبوبها تقول هبّت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره و منه قوله * شعر * تنظران قليلا ريث غفلتهم *

سورة الانفال ٨ الجزء ١٠ ع ٢

اللّٰهَ مَعَ الصّٰبِرِينَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّٰهِ ۗ وَاللّٰهُ
بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ
فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلٰى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرٰى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ اللّٰهَ ۗ وَاللّٰهُ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ع إِذْ يَقُولُ الْمُنٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ

ام تَعُدّوان فان الريح للعادي * وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله - وفي الحديث نُصِرتُ بالصبا واُهلكت عاد بالدبور - حَذّرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع لهم بأُحُد لمخالفتهم رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم [كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ] هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجُحْفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فاتى ابوجهل وقال حتى نقدم بدرًا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيانُ وتُطعم بها مَن حَضَرنا من العرب وذلك بطرهم ورياءهم الناسَ باطعامهم فوافوها فسَقَوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بَطَرين مُرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله * [وَ]اذكر [إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ أَعْمَالَهُمْ] التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خُطوات الشيطان وطاعتَه مما يُجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله - وكذا من الحسن كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم - وقيل لما اجتمعت قريش واجمعت على السَّير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سُراقةَ بن مالك بن جُعْشُم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه رايةٌ [وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ] واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملئكةَ تنزلُ نكصَ - وقيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال [إِنِّيٓ أَرٰى مَا لَا تَرَوْنَ] ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناسَ سراقةُ فبلغ ذلك سراقةَ فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان - وفي الحديث ما رُئي ابليسُ يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رُئي يوم بدر - فان قلت هلا قيل لا غالبًا لكم كما يقال لا ضاربًا زيدا عندنا - قلت لو كان لَكُمْ مفعولا لغالبَ بمعنى لا غالبًا اياكم لكان الامر كما قلتَ ولكنه خبرٌ تقديره لا غالب كائنٌ لكم [إِذْ يَقُولُ الْمُنٰفِقُونَ] بالمدينة [وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ] يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام - وعن الحسن هم المشركون - [غَرَّ هٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ] يعنون ان المسلمين اغترّوا بدينهم وانهم يتقوّون به ويُنصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعةَ عشرَ الى زُهاء الف ثم قال جوابًا لهم [وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَإِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ] غالب يسلط القليلَ الضعيفَ على الكثير القوي

فَاِنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ۝ وَلَوْ تَرٰٓى اِذْ يَتَوَفَّى الَّذِيْنَ كَفَرُوا الْمَلٰٓئِكَةُ يَضْرِبُوْنَ وُجُوْهَهُمْ وَاَدْبَارَهُمْ ۚ وَذُوْقُوْا عَذَابَ
الْحَرِيْقِ ۝ ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْكُمْ وَاَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ ۝ كَدَاْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ ؕ
كَفَرُوْا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ فَاَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوْبِهِمْ ؕ اِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ شَدِيْدُ الْعِقَابِ ۝ ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً
اَنْعَمَهَا عَلٰى قَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوْا مَا بِاَنْفُسِهِمْ وَاَنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ۝ كَدَاْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ ؕ كَذَّبُوْا
بِاٰيٰتِ رَبِّهِمْ فَاَهْلَكْنٰهُمْ بِذُنُوْبِهِمْ وَاَغْرَقْنَآ اٰلَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوْا ظٰلِمِيْنَ ۝ اِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِنْدَ اللّٰهِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا

[وَلَوْ تَرٰى] ولو عاينتَ وشاهدتَ لان لَوْ تردّ المضارع الى معنى الماضي كما تردّ ان الماضيَ الى معنى الاستقبال و [اِذْ] نصب على الظرف - وقرئ [يَتَوَفّٰى] بالياء والتاء - و [الْمَلٰٓئِكَةُ] رفعها بالفعل و [يَضْرِبُوْنَ] حال منهم - و يجوز ان يكون في يَتَوَفّٰى ضمير الله و الْمَلٰٓئِكَةُ مرفوعةٌ بالابتداء و يَضْرِبُوْنَ خبر - وعن مجاهد [اَدْبَارَهُمْ] اَسْتاهم ولكن الله كريم يَكْني و انما خصوهما بالضرب لان الخزي و النكال في ضربهما اشدّ - وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يُصبر ثم يُعطى الرجلُ القويُّ البطش شيأ عُمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة و له مَقْبض فيضربه على دبره ضربةً واحدةً بقوته فيجمد في مكانه - و قيل يَضْرِبُوْنَ ما اقبل منهم و ما ادبر - [وَذُوْقُوْا] معطوف على يَضْرِبُوْنَ على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا [عَذَابَ الْحَرِيْقِ] اي مقدّمة عذاب النار او ذُوْقُوْا عَذَابَ الْاٰخِرَةِ بشارةً لهم به - وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلّما ضربوا بها التهبت النار - او و يقال لهم يوم القيٰمة ذُوْقُوْا وجواب لَوْ محذوف اي لرأيت امرا فظيعا منكرا [ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْكُمْ] يحتمل ان يكون من كلام الله و من كلام الملٰئكة و ذٰلِكَ رفعٌ بالابتداء و بِمَا قَدَّمَتْ خبره [وَاَنَّ اللّٰهَ] عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم و معاصيكم و بان الله [لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ] لان تعذيب الكُفّار من العدل كاثابة المؤمنين - وقيل ظَلّام للتكثير لاجل العبيد - اولان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاقُ لكان المعذِّب بمثله ظلّاما بلغ الظلم متفاقمهُ - الكاف في محل الرفع اي دأب هؤلاء مثل [دَاْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ] و دأبهم عادتهم و عملهم الذي دأبوا فيه اي داوموا عليه و واظبوا و [كَفَرُوْا] تفسير لدَاْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ و - [ذٰلِكَ] اشارة الى ما حلّ بهم يعني ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له و لم يصح في حكمته ان ان يغيّر نعمته عند قوم حتى يغيّروا ما بهم من الحال - فان قلت فما كان من تغيير اٰل فرعون و مشركي مكّة حتى غيّر الله نعمته عليهم و لم تكن لهم حال مرضيّة فيغيّروها الى حال مسخوطة - قلت كما تُغيّر الحال المرضيّة الى المسخوطة تُغيّر الحال المسخوطة الى اسخط منها و اولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كَفَرَة عَبَدَة اصنام فلما بُعث اليهم بالايات البينات فكذّبوه وعادَوْه و تحزّبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيّروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغيّر الله ما انعم به عليهم من الامهال و عاجلهم بالعذاب [وَاَنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ] لما يقول مُكَذّبوا الرسل [عَلِيْمٌ] بما يفعلون - [كَدَاْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ] تكرير للتأكيد - وفي قوله [بِاٰيٰتِ رَبِّهِمْ] زيادة دلالة على كفران النعم و جحود الحقّ وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب [وَكُلٌّ كَانُوْا ظٰلِمِيْنَ] و كلهم من غرقى

سورة الانفال ٨ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي
الجزء ١٠ الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ
ع ٣ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ۝ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۖ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ

لقيط و تقلى قريش [كَانُوا ظَالِمِينَ] انفسهم بالكفر و المعاصي - [الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] اي اصروا على الكفر و لجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم ان لايعاونوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح و قالوا نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا و عاونوا معهم يوم الخندق و انطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم * [الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ] بدل من الَّذِينَ كَفَرُوا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا - جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم و شر المصرين الناكثون للعهود [وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ] لايخافون عاقبة الغدر و لا يبالون ما فيه من العار و النار - [فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ] فاما تصادفنهم و تظفرن بهم [فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ] فرق عن محاربتك و مناصبتك بقتلهم شر قتلة و النكاية فيهم من ورائهم من الكفرة حتى لايجسر عليك احد بعدهم اعتبارا بهم و تعاظما بحالهم - وقرأ ابن مسعود فَشَرِّذْ بالذال المعجمة بمعنى فرق و كانه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه - وقرأ ابو حيوة مِنْ خَلْفِهِمْ و معناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء فاوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين [لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ] لعل المشردين من ورائهم يتعظون - [وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ] معاهدين [خِيَانَةً] و نكثا بامارات تلوح لك [فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ] فاطرح اليهم العهد [عَلَى سَوَاءٍ] على طريق مستوقصد و ذلك ان تظهر لهم نبذ العهد و تخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك و بينهم و لاتناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ] فلا يكن منك اخفاء نكث العهد و الخداع - وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد - وقيل على استواء فى العداوة و الجار و المجرور في موضع الحال كانه قيل فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ ثابتا على طريق قصد سوي - او حاصلين على استواء فى العلم او العداوة على انها حال من العابد و المنبوذ اليهم معا [سَبَقُوا] فاتوا و افلتوا من ان يظفر بهم [إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ] انهم لايفوتون و لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم - و قرئ أَنَّهُمْ بالفتح بمعنى لانهم كل واحدة من المكسورة و المفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستيناف و المفتوحة تعليل صريح - وقرئ يُعَجِّزُونَ بالتشديد - وقرأ ابن محيصن يُعْجِزُونِ بكسر النون - و قرأ الاعمش وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بكسر الباء و بفتحها على حذف النون الخفيفة - وقرأ حمزة وَلَا يَحْسَبَنَّ بالياء على ان الفعل للذين كفروا - وقيل فيه اصله أن سبقوا فحذفت أَنْ كقوله وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ و استدل عليه بقراءة ابن مسعود أَنَّهُمْ سَبَقُوا - وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على أَنَّ الصلة و سَبَقُوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين - وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير

سورة الانفال ٨ الجزء ١٠ ع ٣

وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّٰهِ وَعَدُوَّكُمْ وَاٰخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ۚ لَا تَعْلَمُونَهُمْ ۚ اَللّٰهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا
مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ يُوَفَّ اِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝ وَاِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ ۚ اِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَاِنْ يُرِيدُوا اَنْ يَخْدَعُوكَ فَاِنَّ حَسْبَكَ اللّٰهُ ۚ هُوَ الَّذِي اَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَاَلَّفَ

لكونه مفهوما - وقيل وَلَا يَحْسَبَنَّ قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة - وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين [مِنْ قُوَّةٍ] من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها - وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله - وعن عكرمة هي الحصون - والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله - ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة - ويجوز ان يكون جمع رَبيط كفصيل وفصال - وقرأ الحسن وَمِنْ رُبُطِ الْخَيْلِ بضم الباء وسكونها جمع رباط - ويجوز ان يكون قوله [وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ] تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ - وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر * ع * ان الحصون الخيل لا مدر القرى * [تُرْهِبُونَ] قرئ بالتخفيف والتشديد - وقرأ ابن عباس ومجاهد تُخْزُونَ بِهِ - والضمير في [بِهِ] راجع الى مَا اسْتَطَعْتُمْ [عَدُوَّ اللّٰهِ وَعَدُوَّكُمْ] هم اهل مكة [وَاٰخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ] هم اليهود - وقيل المنافقون - وعن السدي هم اهل فارس - وقيل كفرة الجن - وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق - وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن * جنح له واليه اذا مال - والسلم تانث تانيث نقيضها وهي الحرب قال * شعر * السلم تاخذ منها ما رضيت به * والحرب تكفيك من انفاسها جرع * وقرئ بفتح السين وكسرها - وعن ابن عباس ان الاية منسوخة بقوله قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ - وعن مجاهد بقوله فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ - والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس يحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا - وقرأ الاشهب العقيلي فَاجْنُحْ بضم النون [وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ] ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم - قال مجاهد يريد قريظة * [فَاِنَّ حَسْبَكَ اللّٰهُ] فان محسبك الله قال جرير * شعر * اني وجدت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا * [وَاَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ] التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ايتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتحدوا وانشأوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض

سورة الانفال ٨ الجزء ١٠ ع ٤

بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ط لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ط إِنَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ ع يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
الْقِتَالِ ط إِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ج وَإِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ط فَإِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ج

و التمافت و كلفهم من الحب فى الله و البغض فى الله و لا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء و يصنع فيها ما اراد - و قيل هم الاوس و الخزرج كان بينهم من الحروب و الوقائع ما اهلك سادتهم و روساءهم و دق جماجمهم و لم يكن لبغضائهم امد و منتهى و بينهما التجاور الذي يهيج الضغائن و يديم التحاسد و التنافس و عادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما اتت اختها و تكرهه و تنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة و تصافوا و صاروا انصارا و عادوا اعوانا و ما ذاك الا بلطيف صنعه و بليغ قدرته [وَمَنِ اتَّبَعَكَ] الواو بمعنى مع و ما بعده منصوب تقول حسبك و زيدا درهم و لا تجز لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال * ع * فحسبك و الضحاك عضب مهند * و المعنى كفاك و كفى تباعك [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] اللهُ ناصرا - او يكون في محل الرفع اي كفاك الله و كفى المؤمنون و هذه الاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال - و عن ابن عباس نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه - و عن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه و آله وسلم ثلثة و ثلثون رجلا و ست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت * التحريض المبالغة فى الحث على الامر من الحرض و هو ان ينهكه المرض و يتبالغ فيه حتى يشفي على الموت - او ان يسميه حرضا و يقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر و ممرضا فيه ليهيجه و يحرك منه و يقال حركه و حرضه و حرشه و حربه بمعنى - و قرئ وحرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص و هذه عدة من الله و بشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله و تاييده ثم قال [بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ] اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب و طلب ثواب كالبهائم ثم فيقل ثباتهم و يعدمون لجهلهم بالله نصرته و يستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة و معه ما يستوجب به النصر و الاظهار من الله - و عن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا و يثبت الواحد للعشرة و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب - قيل ثم ثقل عليهم ذلك و ضجوا منه و ذلك بعد مدة طويلة فنسخ و خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين - و قيل كان بينهم فلا في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف - و قرئ ضعفا بالفتح و الضم كالمكث و المكث و الفقر و الفقر - و ضعفاء جمع ضعيف - و قرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء و الياء في الموضعين و المراد بالضعف الضعف في البدن - و قيل في البصيرة و الاستقامة في الدين و كانوا متفاوتين في ذلك - فان قلت لم كرر المعنى الواحد و هي مقارمة الجماعة الاكثر منها مرتين قبل التخفيف و بعده -

وَ اِنْ يَّكُنْ مِّنْكُمْ اَلْفٌ يَّغْلِبُوْٓا اَلْفَيْنِ بِاِذْنِ اللّٰهِ ؕ وَ اللّٰهُ مَعَ الصّٰبِرِيْنَ ۝ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يَّكُوْنَ لَهٗٓ اَسْرٰى حَتّٰى يُثْخِنَ فِي الْاَرْضِ ؕ تُرِيْدُوْنَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَ اللّٰهُ يُرِيْدُ الْاٰخِرَةَ ؕ وَ اللّٰهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ۝ لَوْلَا كِتٰبٌ مِّنَ اللّٰهِ

قلت للدلالة على ان الحال مع القلة و الكثرة واحدة لاتتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين و المائة الالف و كذلك بين مقاومة المائة المائتين و الالف الالفين - قرئ لِلنَّبِيِّ على التعريف - و اُسَارٰى - و يُثَخِّنَ بالتشديد - و معنى الاثخان كثرة القتل و المبالغةُ فيه من قولهم اثخنته الجراحاتُ اذا اثبتته حتى يثقل عليه الحركة و اثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ و الكثافة يعني حتى يُذلّ الكفر و يضعّفه باشاعة القتل في اهله و يُعزّ الاسلام و يقوّيه بالاستيلاء و القهر ثم الاسر بعد ذلك - و معنى [مَا كَانَ] ما صحّ له و ما استقام و كان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فَاِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَاِمَّا فِدَاءً - و روي ان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه و عقيلُ بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك و اهلك استبقهم لعلّ الله ان يتوب عليهم و خُذْ منهم فديةً تقوّي بها اصحابك و قال عمر كذّبوك و اخرجوك فقدّمهم و اضربْ اعناقهم فان هٰؤلاء ايمة الكفر و ان الله اغناك عن الفداء مَكِّنْ عليًّا من عقيل و حمزةَ من العباس و مكّني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله لَيُلَيِّن قلوبَ رجال حتى تكون الَيْن من اللبَن و ان الله لَيُشدّد قلوب رجال حتى تكون اشدّ من الحجارة و ان مثلك يا ابا بكر مثل ابرٰهيم قال فَمَنْ تَبِعَنِيْ فَاِنَّهٗ مِنِّيْ وَ مَنْ عَصَانِيْ فَاِنَّكَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ و مثلك يا عمر مثلُ نوح قال لَا تَذَرْ عَلَى الْاَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ دَيَّارًا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالةٌ فلا يُفلتنّ احد منهم الّا بفداء او ضرب عنق - و روي انه قال ان شئتم قتلتموهم و ان شئتم فاديتموهم و استُشهد منكم بعدّتهم فقالوا بل نأخذ الفداءَ فاستُشهدوا باُحُد و كان فداء الاسارى عشرين اوقية و فداء العباس اربعين اوقية - و عن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية و الاوقيةُ اربعون درهما و ستة دنانير - و روي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاٰية فدخل عمر على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فاذا هو و ابوبكر يبكيان فقال يارسولَ الله اَخْبِرني فان وجدتُ بكاء بكيت و ان لم اجد بكاء تباكيتُ فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداءَ و لقد عُرض عليّ عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرةٍ قريبةٍ منه - و روي انه قال لو نزل عذاب من السماء لَمَا نجا منه غير عمر و سعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب اليّ - [عَرَضَ الدُّنْيَا] حطامها سُمّي بذلك لانه حَدَثٌ قليل اللبث يريد الفداء [وَ اللّٰهُ يُرِيْدُ الْاٰخِرَةَ] يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل - و قرئ يُرِيْدُوْنَ بالياء - و قرأ بعضهم وَ اللّٰهُ يُرِيْدُ الْاٰخِرَةِ بجرّ الاٰخرة على حذف المضاف و ابقاء المضاف اليه على حاله كقوله * ع * و نارٍ تَوقّد بالليل نارا * و معناه و الله يريد عرض الاٰخرة على التقابل يعني ثوابها [وَ اللّٰهُ عَزِيْزٌ] يغلب اولياؤه على اعدائه و يتمكّنون منهم قتلا و اسرا و يطلق لهم الفداء و لكنه [حَكِيْمٌ] يؤخّر ذلك الى ان يكثروا و يعزّوا و هم يعجلون [لَوْلَا كِتٰبٌ مِّنَ اللّٰهِ سَبَقَ] لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح

سورة الانفال ٨ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا
الجزء ١٠ النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ
ع ٥ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ

وهو انه لا يُعاتب احدا بخطاء و كان هذا خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم و توبتهم و ان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله و خفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام و اهيبُ لمن وراءهم و اقلُّ لشوكتهم - و قيل كتابه انه سيُحِلُّ لهم الفديةَ التي اخذوها - و قيل ان اهل بدر مغفور لهم - و قيل انه لا يُعذِّب قوما الا بعد تاكيد الحجّة و تقديم النهي و لم يتقدم نهي عن ذلك * [فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ] روي انهم امسكوا عن الغنائم و لم يمدّوا ايديهم اليها فنزلت - و قيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم [وَاتَّقُوا اللَّهَ] فلا تُقْدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه - فان قلت فما معنى الفاء - قلت التسبيب و السبب محذوف معناه قد اتحتُ لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم - [حَلَالًا] نصب على الحال من المغنوم - او صفة للمصدر اي اكلا حلالا - و قوله [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم و رحمكم و تاب عليكم * [فِي أَيْدِيكُمْ] في مُلْكِكم كأنّ ايديكم قابضة عليهم - و قرئ مِنَ الْأَسْرَى - [فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا] خلوص ايمان و صحة نيّة [يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ] من الفداء إمّا ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الأخرة - وفي قراءة الاعمش يُثِبْكُمْ خَيْرًا - و عن العباس انه قال كنتُ مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا و كان احدَ الذين ضمنوا اطعامَ اهل بدر و خرج بالذهب لذلك - و روي ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال للعباس ادِ ابنَيْ اخيك عقيلَ بن ابي طالب و نوفلَ بن الحارث فقال يا مُحَمَّد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة و قلتَ لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدَثَ بي حدثٌ فهو لك و لعبد الله و عُبَيْد الله و الفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربّي قال العباس فانا اشهد انك صادق و ان لا اله الّا الله و انك عبدُه و رسولُه و انه لم يطلع عليه احدٌ الا الله و لقد دفعتُه اليها في سواد الليل و لقد كنتُ مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس وَأَبْدَلَنِي الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليَضْرب في عشرين الفا و اعطاني زمزمَ ما أُحِبُّ أنّ لي بها جميعَ اموال اهل مكة و انا انتظر المغفرة من ربي - و روي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مالُ البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلوة الظهر و ما صلّى حتى فرّقه و امر العباسَ ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله و كان يقول هذا خير مما أُخذ مني و ارجو المغفرة - و قرأ الحسن و شَيْبة مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ على البناء للفاعل [وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ] نكثَ ما بايعوك عليه من الاسلام و الردّة

اٰمَنُوْا وَ هَاجَرُوْا وَ جٰهَدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَ اَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَالَّذِيْنَ اٰوَوْا وَّ نَصَرُوْٓا اُولٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ؕ
وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَ لَمْ يُهَاجِرُوْا مَا لَكُمْ مِّنْ وَّلَايَتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتّٰى يُهَاجِرُوْا ۚ وَاِنِ اسْتَنْصَرُوْكُمْ فِى الدِّيْنِ فَعَلَيْكُمُ
النَّصْرُ اِلَّا عَلٰى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِّيْثَاقٌ ؕ وَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ۝ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ؕ
اِلَّا تَفْعَلُوْهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْاَرْضِ وَ فَسَادٌ كَبِيْرٌ ۝ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَ هَاجَرُوْا وَ جٰهَدُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَالَّذِيْنَ اٰوَوْا
وَّنَصَرُوْٓا اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ حَقًّا ؕ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّ رِزْقٌ كَرِيْمٌ ۝ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْ بَعْدُ وَ هَاجَرُوْا وَ جٰهَدُوْا
مَعَكُمْ فَاُولٰٓئِكَ مِنْكُمْ ؕ وَ اُولُوا الْاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ اَوْلٰى بِبَعْضٍ فِيْ كِتٰبِ اللّٰهِ ؕ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ۝

و استحباب دين اٰبائهم [فَقَدْ خَانُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ] في كفرهم به و نقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رأيتم يوم بدر فسيُمكّن منهم ان اعادوا الخيانة - و قيل المراد بالخيانة منع ما ضَمِنوا من الفداء الذين [هَاجَرُوْا] اي فارقوا اوطانهم و قومهم حُبًّا لله و رسوله هم المهاجرون [وَالَّذِيْنَ اٰوَوْ] هم الى ديارهم [وَنَصَرُوْ] هم على اعدائهم هم الانصار [بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ] اي يتولى بعضهم بعضا فى الميراث و كان المهاجرون و الانصار يتوارثون بالهجرة و النصرة دون ذوى القرابات حتى نُسخ ذلك بقوله وَ اُولُوا الْاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ اَوْلٰى بِبَعْضٍ - وقرئ [مِنْ وَّلَايَتِهِمْ] بالفتح و الكسر اي من تواليهم في الميراث - و وجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شُبّه بالعمل و الصناعة كانه بتوليه صاحبَه يزاول امرا ويباشر عملا [فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ] فواجبٌ عليكم ان تنصروهم على المشركين [اِلَّا عَلٰى قَوْمٍ] منهم [بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ] عهد فانه لا يجوز لكم نصركم عليهم لانهم لا يبتدأون بالقتال ان الميثاق مانع من ذلك * [وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ] ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله فى المسلمين اُولٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ و معناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا و موارثتهم و ايجابُ مباعدتهم و مصارمتهم و ان كانوا اقاربَ و ان يُتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال [اِلَّا تَفْعَلُوْهُ] اي الا تفعلوا ما اُمرتم به من تواصُل المسلمين و تولّي بعضهم بعضا حتى فى التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة و لم تقطعوا العلائق بينكم و بين الكفار و لم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل [فِتْنَةٌ فِى الْاَرْضِ] و مفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدًا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا و الفساد زائدا - وقرئ كَثِيْرٌ بالثاء - [اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ حَقًّا] لانهم صدّقوا ايمانهم و حققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن و مفارقة الاهل و الانسلاخ من المال لاجل الدين و ليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم و الشهادة لهم مع الوعد الكريم و الاولى للامر بالتواصل [وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْ بَعْدُ] يريد اللاحقين بعد السابقين لى الهجرة كقوله وَالَّذِيْنَ جَآءُوْا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِاِخْوَانِنَا الَّذِيْنَ سَبَقُوْنَا بِالْاِيْمَانِ الْحَقهم بهم و جَعَلهم منهم تفضلا منه وترغيبا [وَ اُولُوا الْاَرْحَامِ اولوا القرابات [اَوْلٰى] بالتوارث وهو نسخ التوارث بالهجرة و النصرة [فِيْ كِتٰبِ اللّٰهِ] في حُكمه وقسمته - و قيل فى اللوح - و قيل فى القرآن وهو اٰية المواريث و قد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوى الارحام - عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم من قرأ سورة الانفال و براءة فانا شفيع له يوم القيامة و شاهد انه بريء من النفاق و اُعطي

سورة التوبة ٩ الجزء ١٠ ع ٦

كلماتها ٢٥٣٧ سورة التوبة مدنية و هي مائة و تسع و عشرون اٰية و ست عشر ركوعا حروفها ١١٣٦٠

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهٖٓ اِلَى الَّذِيْنَ عَاهَدْتُّمْ مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۝ فَسِيْحُوْا فِي الْاَرْضِ اَرْبَعَةَ اَشْهُرٍ وَّاعْلَمُوْٓا اَنَّكُمْ غَيْرُ

عشر حسنات بعدد كل منافق و منافقة و كان العرش و حَمَلَته يستغفرون له ايامَ حيوٰته فى الدنيا *

سورة التوبة

لها عدّة اسماء براءة - التوبة - المُقَشْقِشة - المُبعْثِرة - المُشَرِّدة - المخزية - المثيرة - الفاضحة - الحافرة - المنكّلة - المُدَمْدِمة - سورة العذاب - لان فيها التوبة على المؤمنين - وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه - وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها - وتثيرها - وتحفر عنها - وتفضحهم - وتنكّلهم - وتشرّد بهم - وتخزيهم - وتدمدم عليهم - وعن حُذَيفة انكم تُسمّونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركتْ احدا الا نالت منه - فان قلت هلا صُدّرت باٰية التسمية كسائر السور - قلت سُئل عن ذلك ابنُ عباس عثمانَ فقال ان رسول الله صلّى الله عليه واٰله وسلّم اذا نزلتْ عليه السورة او الاٰية قال اجعلوها فى الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتُوفّي رسول الله صلّى الله عليه واٰله وسلّم ولم يُبيّن لنا ابن نضعها وكانت قصّتها شبيهة بقصتها فلذلك قُرنتْ بينهما وكانتا تُدْعَيان القرينين - وعن ابيّ بن كعب انما توهموا ذلك لان فى الانفال ذِكْر العهود وفي براءة نبذ العهود - وسُئل ابن عُيَيْنة فقال اسم الله سلامٌ واماتٌ فلا يكتب فى النبذ والمحاربة قال الله تعالى وَلَا تَقُوْلُوْا لِمَنْ اَلْقٰٓى اِلَيْكُمُ السَّلٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا فيل فان النبيّ صلّى الله عليه واٰله وسلّم قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمٰن الرحيم قال انما ذٰلك ابتداءٌ يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دُعي الى الله فاجاب ودُعي الى الجزية فاجاب فقد اتّبع الهدى فانما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلّم عليهم ولا يقال لا تخَفْ ولا تخَفْ ومترسْ ولا بأس هذا امانٌ كله - وقيل سورة الانفال والتوبة سورةٌ واحدة كلتاهما نزلت فى القتال تُعَدان السابعةَ من الطُوَل وهي سبع وما بعدها المائون وهذا قول ظاهر لانهما معًا مائتان وستّ فهما بمنزلة احدى الطُوَل - وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلّى الله عليه واٰله وسلّم فقال بعضهم الانفالُ و براءةُ سورة واحدة - وقال بعضهم هما سورتان تُرِكت بينهما فرجة لقول مَن قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة * [بَرَاءَةٌ] خبر مبتدأ محذوف اي هذه براءة - ومِنْ لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدَّيْن والمعنى هذه براءة واصلة [مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖٓ اِلَى الَّذِيْنَ عَاهَدْتُّمْ] كما تقول كتاب من فلان الى فلان - ويجوز ان يكون بَرَاءَةٌ مبتدأ لتخصُّصها بصفتها والخبر اِلَى الَّذِيْنَ عَاهَدْتُّمْ كما تقول رجل من بني تميم فى الدار - وقرئ بَرَاءَةً بالنصب على اسمعوا براءة - وقرأ اهل نجران مِنِ اللّٰهِ بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم - فان قلت لِمَ عُلّقت

مُعْجِزِي اللّٰهِ وَأَنَّ اللّٰهَ مُخْزِي الْكٰفِرِينَ ۝ وَأَذَانٌ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللّٰهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ سورة التوبة ٩

الجزء ١٠

ع ٦

البراءة بالله و رسوله والمعاهدةُ بالمسلمين - قلت قد اذن الله في معاهدة المشركين اوّلا ماتفق المسلمون مع رسول الله صلّى الله عليه و اله وسلّم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله لنبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدّد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله و رسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين - روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة و غيرهم من العرب فنكثوا الّا ناسا منهم وهم بنو ضمرة و بنو كنانة فَنُبذ العهد الى الناكثين و أُمروا ان يسيحوا [فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ] أمنين اين شاؤا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحُرُم في قوله فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ وذلك لصيانة الاشهر الحُرُم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتحُ مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عَتّاب بنَ اسيد فَأمر رسولُ الله ابا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليًا راكبَ العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بُعثتَ بها الى ابي بكر فقال لا يؤدّي عني الّا رجل مني فلمّا دنا عليّ سمع ابوبكر الرُّغاءَ فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلّى الله عليه و اله وسلّم فلما لحقه قال اميرٌ او مامور قال مامور - و روي ان ابابكر لمّا كان ببعض الطريق هبط جبرئيل عليه السلام فقال يا مُحَمّد لا يُبلّغنّ رسالتك الّا رجل منك فارسلَ عليًا فرجع ابوبكر الى رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسِرْ وانت على الموسم و عليّ ينادي بالأي فلما كان قبل التروية خطب ابوبكر و حَدّثهم عن مناسكهم وقام عليّ يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بما ذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اٰية - وعن مجاهد ثلث عشرة ثم قال أُمرت باربع - ان لا يقرب البيتَ بعد هذا العام مشركٌ - ولا يطوف بالبيت عريانٌ - ولا يدخلَ الجنة الّا كل نفس مؤمنة - و ان يُتِمّ الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك ياعليّ ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا و انه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح و ضرب بالسيوف - و قيل انما أُمر ان لا يبلّغ عنه الّا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيله رجل منها فلو تولّاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فَأُزيحت علتهم بتولية ذلك عليًا عليه السلام - فان قلت الاشهر الاربعة ما هي - قلت عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوالٌ و ذوالقعدة و ذوالحجة و المحرمُ - و قيل هي عشرون من ذي الحجة و المحرمُ و صفرُ و شهرُ ربيع الاول و عشرٌ من شهر ربيع الاخر و كانت حُرُماً لانهم اؤمنوا فيها و حُرّم قتالهم و قتالهم - او على التغليب لان ذا الحجة و المحرمَ منها - و قيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السَّنَة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة - فان قلت ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحُرُم و قد صانها الله عن ذلك - قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيها [غَيْرُ مُعْجِزِي اللّٰهِ] لا تفوتونه و ان امهلكم - وَهُوَ مُخْزِيكم اي مذلّكم في الدنيا بالقتل و في الاخرة بالعذاب * [وَأَذَانٌ] ارتفاعه

الْمُشْرِكِيْنَ ۝ وَرَسُوْلُهٗ ۚ فَاِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَاِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوْٓا اَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللّٰهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا
بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ ۝ اِلَّا الَّذِيْنَ عَاهَدْتُّمْ مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوْكُمْ شَيْـًٔا وَّلَمْ يُظَاهِرُوْا عَلَيْكُمْ اَحَدًا فَاَتِمُّوْٓا اِلَيْهِمْ

كارتفاع بَرَاءَةٌ على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على بَرَاءَةٌ كما لا يقال عَمْرٌو معطوف على زيدٌ في قولك زيدٌ قائم و عمرٌو قاعدٌ - و الاذان بمعنى الايذان و هو الاعلام كما ان الامان و العطاء بمعنى الايمان و الاعطاء - فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى و الثانية - قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت - فان قلت لم عقبت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين و علق الاذان بالناس - قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين و الناكثين منهم و اما الاذان فعام لجميع الناس مَن عاهدَ و من لم يعاهد و من نكث من المعاهدين و من لم ينكث [يَوْمَ الْحَجِّ الْاَكْبَرِ] يوم عرفة - و قيل يوم النحر لان فيه تمام الحج و مُعْظَم افعاله من الطواف والنحر و الحلق والرمي - وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يوم ك هذا خلّ عن دابتي - وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر - و وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحجّ الاصغر - او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم و اجباته لانه اذا فات فات الحج - و كذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يُفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر - وعن الحسن سُمّي يومَ الحج الاكبر لاجتماع المسلمين و المشركين فيه و موافقته لاعياد اهل الكتاب و لم يتفق ذلك قبله و لا بعده معظم في قلب كل مؤمن وكافر - حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا - و قرئ اِنَّ اللّٰهَ بالكسر لان الاذان في معنى القول و رَسُوْلُهٗ عطف على المنوي في [بَرِيْءٌ] - او على محل اِنَّ المكسورة و سمها - و قرئ بالنصب عطفا على اسم اِنَّ - او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم - وبالجر على الجوار - و قيل على القسم كقوله لَعَمْرُكَ - و يحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله بريأ من رسوله فانا منه بريء فَلَبَّبَهُ الرجل الى عمر فحكى الاعرابيُّ قراءته فعندها امر عمرُ بتعليم العربية [فَاِنْ تُبْتُمْ] من الكفر و الغدر [فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاِنْ تَوَلَّيْتُمْ] عن التوبة او ثبتم على التولي و الاعراض عن الاسلام و الوفاء [فَاعْلَمُوْٓا اَنَّكُمْ] غير سابقين الله و لا فائتين اخذه و عقابه - فان قلت ثم استثنى قوله اِلَّا الَّذِيْنَ عَاهَدْتُّمْ قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فَسِيْحُوْا فِي الْاَرْضِ لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله و رسوله الى الذين عاهدتم من المشركين بقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فَاَتِمّوا اليهم عهدهم و الاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين و لكن الذين لم ينكثوا فَاَتِمّوا اليهم عهدهم و لا تجروهم مجراهم و لا تجعلوا الوفيّ كالغادر اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ يعني ان قضية التقوى ان لا يسوّى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك [لَمْ يَنْقُصُوْكُمْ شَيْـًٔا] لم يقتلوا منكم احدا و لم يضروكم قط [وَلَمْ يُظَاهِرُوْا] و لم يعاونوا عليكم عدوًّا كما عَدَتْ بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم وظاهرتهم قريش

عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ
وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝ ع
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا

بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانشده * شعر * لاهم اني ناشد محمدا * حلف ابينا وابيك الاتلدا * ان قريشا اخلفوك الموعدا * ونقضوا ذمامك المؤكدا * هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا * فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا نصرت ان لم انصركم - وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقصوا عهدكم ومعنى [فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ] فأدوه اليهم تاما كملا - قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فأتم اليهم عهدهم [انْسَلَخَ] الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء و [الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ] التي أبيح فيها للناكثين ان يسيحوا [فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ] يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم [حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ] من حل او حرم [وَخُذُوهُمْ] و أسروهم و الاخيذ الاسير [وَاحْصُرُوهُمْ] وقيدوهم و امنعوهم من التصرف في البلاد - و عن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم و بين المسجد الحرام [كُلَّ مَرْصَدٍ] كل ممر و مجتاز ترصدونهم به و انتصابه على الظرف كقوله لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ [فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ] فاطلقوا عنهم بعد الاسر و الحصر - او تكفوا عنهم و لا تتعرضوا لهم كقوله * ع * خلّ السبيل لمن يبني المنار به * و عن ابن عباس دعوهم واتيان المسجد الحرام [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر و الغدر * [أَحَدٌ] مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره و ان استجارك أحد استجارك و لا يرتفع بالابتداء لان إنْ من عوامل الفعل لا تدخل على غيره و المعنى و ان جارك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك و بينه و لا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد و القرآن و يتبين ما بعثت له فأمنه [حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ] و يتدبره و يطلع على حقيقة الامر [ثُمَّ أَبْلِغْهُ] بعد ذلك دارَه التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر و لا خيانة و هذا الحكم ثابت في كل وقت - و عن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة - و عن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله ارياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ الآية - و عن السدي و الضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين - [ذَٰلِكَ] اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فأجره بسبب انهم [قَوْمٌ] جهلة [لَّا يَعْلَمُونَ] امر الاسلام و ما حقيقة ما تدعو اليه فلابد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا و يفهموا الحق * [كَيْفَ] استفهام في معنى الاستنكار و الاستبعاد لان [يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ] عند رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و هم اضداد وَغِرَّة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك و لا تحدثوا به نفوسكم و لا تفكروا في قيام ثم استدرك

سورة التوبة ٩ الجزء ١٠ ع ٧

لَهُمْ ط اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ ۝ كَيْفَ وَاِنْ يَّظْهَرُوْا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوْا فِيْكُمْ اِلًّا وَّلَا ذِمَّةً ط يُرْضُوْنَكُمْ بِاَفْوَاهِهِمْ وَتَاْبٰى
قُلُوْبُهُمْ ج وَاَكْثَرُهُمْ فٰسِقُوْنَ ۝ اِشْتَرَوْا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ ثَمَنًا قَلِيْلًا فَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِهٖ ط اِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ۝
لَا يَرْقُبُوْنَ فِيْ مُؤْمِنٍ اِلًّا وَّلَا ذِمَّةً ط وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُوْنَ ۝ فَاِنْ تَابُوْا وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ فَاِخْوَانُكُمْ فِي
الدِّيْنِ ط وَنُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ ۝ وَاِنْ نَّكَثُوْٓا اَيْمَانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوْا فِيْ دِيْنِكُمْ فَقَاتِلُوْٓا اَئِمَّةَ الْكُفْرِ اِنَّهُمْ

ذلك بقوله [اِلَّا الَّذِيْنَ عَاهَدْتُّمْ] اي ولكن الذين عاهدتم منهم [عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضَمْرة فتربّصوا امرهم ولا تُقاتلوهم [فَمَا اسْتَقَامُوْا لَكُمْ] على العهد [فَاسْتَقِيْمُوْا لَهُمْ] على مثله [اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ] يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين - [كَيْفَ] تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحُذف الفعل لكونه معلوما كما قال * شعر * وخبّرتماني انما الموت بالقُرى * فكيف وهاتا هضبةٌ وقليبُ * يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد [وَ] حالهم انهم [اِنْ يَّظْهَرُوْا عَلَيْكُمْ] بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم يَنْظروا في حلف ولا عهد ولم يُبقوا عليكم [لَا يَرْقُبُوْا اِلًّا] لا يُراعوا حلفا - وقيل قرابة وانشد لحسّان * شعر * لعمرك ان اِلَّك من قريش * كَاِلِّ السقب من رأل النعام * وقيل اِلًّا الٰهًا - وقرئ اِيْلًا بمعناه - وقيل جبرئيل وجَبْرَاِلّ من ذلك - وقيل منه اشتقّ الاِلُّ بمعنى القرابة كما اشتقّت الرحم من الرحمٰن والوجه ان اشتقاق الاِلّ بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الاِلّ وهو الجُؤار وله اَلِيل اي اَنين يرفع به صوته ودعت اَلَيْها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق اِلّ وسمّيت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق - [يُرْضُوْنَكُمْ] كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطنَ مقرّرٌ لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفةُ ما فيها من الاضغان لما يُجْرونه على اَلسنتهم من الكلام الجميل [وَاَكْثَرُهُمْ فٰسِقُوْنَ] متمرّدون خُلعاء لا مروة تزعمهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفّف عما يثلم العرض ويجرّ احدوثة السوء * [اِشْتَرَوْا] استبدلوا [بِاٰيٰتِ اللّٰهِ] بالقرآن والاسلام [ثَمَنًا قَلِيْلًا] وهو اتّباع الاهواء والشهوات [فَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِهٖ] فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم - وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيٰن واطعمهم [هُمُ الْمُعْتَدُوْنَ] المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة * [فَاِنْ تَابُوْا] عن الكفر ونقض العهد [فَاِخْوَانُكُمْ] فهم اخوانكم على حذف المبتدأ كقوله فَاِنْ لَّمْ تَعْلَمُوْٓا اٰبَآءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ - [وَنُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ] ونبيّنها وهذا اعتراض كانه قيل وانّ من تامّل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصّل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها * [وَطَعَنُوْا فِيْ دِيْنِكُمْ] وثلبوه وعابوه - [فَقَاتِلُوْٓا اَئِمَّةَ الْكُفْرِ] فقاتلوهم فوضع اَئِمَّةَ الْكُفْرِ موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاربياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوٰة واتوا الزكوٰة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدّوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمّد بشيء فهم ائمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشقّ

لَآ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ۝ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۚ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝

كافر غبارهم - وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العبد معقود معه على ان لايطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة [إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَانَ لَهُمْ] جمع يمين - وقرئ لَآ إِيمَانَ لَهُمْ اي لا اسلام لهم او لايُعْطَون الامان بعد الردة و النكث و لا سبيل اليه - فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وَإِنْ نَّكَثُوٓا يَمِينَهُم ثم نفاها عنهم - قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا أَيْمَانَ لَهُمْ على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابوحنيفة على ان يمين الكافر لا تكون يمينا - وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يُوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث [لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ] متعلق بقوله فَقَاتِلُوٓا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ اي ليكُنْ غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وُجد منهم ما وُجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المُسيء بالرحمة كلما عاد - فان قلت كيف لفظ أَئِمَّةَ - قلت همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة و الياء و تحقيقُ الهمزتين قراءة مشهورة و ان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون و من صَرّح بها فهو لاحنٌ محرّفٌ [أَلَا تُقَاتِلُونَ] دخلت الهمزة على لَا تُقَاتِلُونَ تقريراً بانتفاء المقاتلة و معناه الحضُّ عليها على سبيل المبالغة [نَكَثُوٓا أَيْمَانَهُمْ] اللتي حالفوها في المعاهدة [وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ] من مكة حين تشاوروا في امره بدار النَّدوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه [وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ] اي وهُم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءهم اولاً بالكتاب المنير وتحدّاهم به وعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال و البادي اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله و ان تصدموهم بالشر كما صدموكم - وبخهم بترك مقاتلتهم وحضّهم عليها ثم رَصّفهم بما يوجب الحضّ عليها و يقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد و اخراج الرسول و البداء بالقتال من غير موجب حقيقٌ بان لا يترك مصادمته وان يوبخ مَن فَرّط فيها [أَتَخْشَوْنَهُمْ] تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها [فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ] فقاتلوا اعداءه [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا تُخشى المؤمن الا ربّه ولا يبالي بمن سواه كقوله وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ * لما وبخهم على ترك القتال جرّد لهم الامر به فقال [قَاتِلُوهُمْ] ووعدهم ليثبّت قلوبهم و يصحح نياتهم انهم [يُعَذِّبْهُمُ] بايديهم قتلا وبخزيهم اسراً و يريهم النصر والغلبة عليهم ويشفي صُدُورَ طائفة من المؤمنين و هم خُزاعة - قال ابن عباس هم بطونٌ من اليمن و سبا قدموا مكة واسلموا فلقوا من اهلها اذىً شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَشْكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب [وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ] لما لقيتم منهم من المكروه و قد حَصّل الله لهم هذه المواعيد

سورة التوبة ٩ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
الجزء ١٠ وَلِيجَةً ط وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ع مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسٰجِدَ اللّٰهِ شٰهِدِينَ عَلٰى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ط
ع ٨

كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وصحّة نبوّته [وَيَتُوبُ اللّٰهُ عَلٰى مَنْ يَشَاءُ] ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم - وقرئ وَيَتُوبَ بالنصب باضمار أَنْ ودخول التوبة في جملة ما أُجيب به الامر من طريق المعنى [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ] يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان [حَكِيمٌ] لا يفعل الّا ما اقتضته الحكمة * [أَمْ] منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تُتْرَكون على ما انتم عليه حتى نتبيّن الخُلّص منكم وهم [الَّذِينَ جَاهَدُوا] في سبيل الله لوجه الله [وَلَمْ يَتَّخِذُوا] وَلِيجَةً اي بطانة من الذين يضادّون رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين - ولَمّا معناها التوقع وقد دلّت على ان تبيّن ذلك واتّضاحه متوقّع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يُميّز بينهم وبين المخلصين وقوله وَلَمْ يَتَّخِذُوا معطوف على جَاهَدُوا داخل في حيّز الصلة كانه قيل ولمّا يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله - والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل - والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك مني * [مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ] ما صحّ لهم وما استقام [أَنْ يَعْمُرُوا مَسٰجِدَ اللّٰهِ] يعني المسجد الحرام لقوله وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان - احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامُها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد - والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدّمته وهو أكد لان طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتاب الله كنتَ انفى لقراءته القرآنَ من تصريحك بذلك - و [شٰهِدِينَ] حال من الواو في يَعْمُرُوا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم [عَلٰى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ] ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عُراةً ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصيَ وكلما طافوا شوطا سجدوا لها - وقيل هو قولهم لَبَّيْكَ لا شريك لك الّا شريك هو لك تملكه وما ملك - وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على أُسارى بدر فعيّروهم بالشرك وطفق عليّ بن ابي طالب يوبّخ العباس بقتال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساويَنا وتكتمون محاسنَنا فقالوا أوَلكم محاسنُ قالوا نعم ونحن افضل منكم اجراً انّا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفكّ العانيَ فنزلت [حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمُ] التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفكّ العُناة واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمالَ الدينية الصحيحة اذا تعقّبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شٰهِدِينَ

أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ۚ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ

حبث جعله حالاً عنهم و دلّ على انهم فاربون بين العمارة و الشهادة بالكفر [عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ] في حال واحدة و ذلك محال غير مستقيم [إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ] و قرئ بالتوحيد اي انما يستقيم عمارة هؤلاء و تكون معتدًّا بها و العمارة تتناول كلّ ما استرمّ منها و تمّها و تنظيفها و تنويرها بالمصابيح و تعظيمها و اعتيادها للعبادة و الذكر و من الذكر درسُ العلم بل هو اجلّه و اعظمه و صيانتها مما لم تُبْنَ له المساجدُ من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجدَ فيُعدّون فيها حلقًا ذِكْرهم الدنيا وحبُّ الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة - و في الحديث الحديثُ في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمةُ الحشيشَ - و قال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجدُ وان زُوّاري فيها عُمّارها طُوبى لعبد تطهّر في بيته ثم زارني في بيتي فحقّ على المَزُور ان يُكرم زائرَه - و عنه من الف المسجدَ الفه الله - و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان - و عن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجًا لم تزل الملئكة و حَمَلة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءٌ - فان قلت هلاّ ذكر الايمان برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم - قلت لما عُلم و شُهر ان الايمان بالله قرينتُه الايمانُ بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة و الاذان و الاقامة و غيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفكّ احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمانُ بالرسول - و قيل دلّ عليه بذكر اقامة الصلوة و ايتاء الزكوة - فان قلت كيف قيل [وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ] و المؤمن يخشى المحاذير و لا يتمالك ان لا يخشاها - قلت هي الخشية و التقوى في ابواب الدين و ان لا يختار على رضاء الله رضاء غيره لتوقع مخوف و اذا اعترضه امران احدهما حقّ الله و الآخر حقّ نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه - و قيل كانوا يخشون الاصنامَ و يرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم [فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ] تبعيدٌ للمشركين عن مواقف الاهتداء و حسمٌ لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها و افتخروا بها و املوا عاقبتها بان الدين امنوا و ضمّوا الى ايمانهم العملَ بالشرائع مع استشعار الخشية و التقوى اهتداؤهم دائرٌ بين عسى و لعلّ فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون و نائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام و نحوه لطفٌ للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء و رفعٌ و رفض الاغترار بالله • السقاية و العمارة مصدران من سَقى و عَمَر كالصيانة و الوقاية و لابدّ من مضاف محذوف تقديرُه [أَجَعَلْتُمْ] اهل [سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ] و تُصدّقه قراءة ابن الزبير و ابي وَجْزَةَ السعدي و كان من القراءة

سورة التوبة ٩ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ ۝ اَلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِاَمْوَالِهِمْ وَ اَنْفُسِهِمْ اَعْظَمُ دَرَجَةً
الجزء ١٠ عِنْدَ اللّٰهِ ط وَ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ ۝ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَ رِضْوَانٍ وَّ جَنّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝ خٰلِدِينَ
ع ٩ فِيهَآ اَبَدًا ط اِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ اَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَتَّخِذُوٓا اٰبَآءَكُمْ وَ اِخْوَانَكُمْ اَوْلِيَآءَ اِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ
عَلَى الْاِيمَانِ ط وَ مَنْ يَّتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُونَ ۝ قُلْ اِنْ كَانَ اٰبَآؤُكُمْ وَ اَبْنَآؤُكُمْ وَ اِخْوَانُكُمْ وَ اَزْوَاجُكُمْ
وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ اَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَ تِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَ مَسٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ اَحَبَّ اِلَيْكُمْ مِّنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ
وَ جِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّٰى يَاْتِيَ اللّٰهُ بِاَمْرِهِ ط وَ اللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰسِقِينَ ۝ ع لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ فِي

سُقاةَ الحاجّ و عَمَرةَ المسجد الحرام و المعنى انكار ان يُشبّه المشركون بالمؤمنين و اعمالُهم المحبطةَ باعمالهم المثبتة و ان يسوّى بينهم و جَعَل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر - و روي ان المشركين قالوا لليهود نحن سُقاة الحجيج وعُمّار المسجد الحرام افنحن افضل ام مُحمّد و اصحابُه فقال لهم اليهود انتم افضل - وقيل ان عليّا رضي الله عنه قال للعباس يا عمّ لا تهاجرون الا تَلْحقون برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال الستُ في افضل من الهجرة اسقي حاجّ بيت الله واعمُر المسجدَ الحرامَ فلمّا نزلتْ قال العباس ما اراني الّا تاركَ سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فانّ لكم فيها خيرا * [هُمْ اَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّٰهِ] من اهل السقاية و العمارة عندكم [وَ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ] لا انتم و المختصون بالفوز دونكم - قرئ [يُبَشِّرُهُمْ] بالتخفيف و التثقيل و تنكير المبشّر به لوقوعه وراء صفة الواصف و تعريف المعرّف - و عن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة - كانَ قبل فتح مكة من اٰمن لم يتمّ ايمانه الّا بان يهاجر و يصارم اقاربه الكفرةَ و يقطع موالاتهم فقالوا يا رسولَ الله اِنْ نحن اعتزلنا مَن خالفنا في الدين قطعنا اباءنا و ابناءنا و عشائرنا و ذهبت تجاراتنا و هلكت اموالنا و خربت ديارنا و بقينا ضائعين فنزلتْ فهاجروا فجَعَل الرجلُ يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقربائه فلا يَلْتفت اليه و لا يُنْزله ولاينفق عليه ثم رُخّص لهم بعد ذلك - وقيل نزلتْ في التسعة الذين ارتدّوا و لحقوا بمكّة فنهى اللّٰهُ عن موالاتهم - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لا يطعم احدكم طَعْمَ الايمان حتى يُحبّ في الله و يُبغض في الله حتى يُحبّ في الله ابعد الناس و يُبغض في الله اقرب الناس اليه - و قرئ [عَشِيرَتُكُمْ] وَعَشِيرَاتُكُمْ - وقرأ الحسن وَعَشَائِرُكُمْ [فَتَرَبَّصُوا حَتّٰى يَاْتِيَ اللّٰهُ بِاَمْرِهِ] وعيدٌ - و عن ابن عباس هو فتح مكّة - و عن الحسن عقوبة عاجلة او اٰجلة و هذه اٰية شديدة لا ترى اشد منها كانها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين و اضطراب حبل اليقين فلينْصف اورعُ الناس و اتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلّب في ذات الله و الثبات على دين الله ما يستحبّ له دينه على الاٰباء و الابناء و الاخوان والعشائر و المال و المساكن و جميع حظوظ الدنيا و يتجرد منها لاجله ام يزوى اللّٰهُ عنه احقرَ منها لمصلحته فلا يدري ايّ طرفيه اطول و يعوّل [illegible] عن اجلّ حظّ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع على انفه ذباب فطيّره * مَواطن الحرب

مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَّ يَوْمَ حُنَيْنٍ اِذْ اَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَّ ضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْاَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُّدْبِرِيْنَ ۞ ثُمَّ اَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِيْنَتَهٗ عَلٰى رَسُوْلِهٖ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَ اَنْزَلَ جُنُوْدًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَعَذَّبَ الَّذِيْنَ

مَقاماتها و مَواقفها قال * شعر * وكم موطنٍ لولايَ طِحتُ كما هوى * بأجرامه من قُلّة النِيق منهوي * و امتناعُه من الصرف لانه جمع على صيغة لم يأت عليها واحد - و المَوَاطِن الكَثِيرَة] وقعات بدر و قريظة و النضير و الحديبية و خيبر و فتح مكة - فان قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يَوْمَ حُنَيْنٍ على المَوَاطِن - قلت معناه و مواطنَ يَوْم حُنَيْن او في ايام مَوَاطنَ كَثِيرَةٍ و يَوْمَ حُنَيْن - و يجوز ان يراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يَوْمَ حُنَيْنٍ منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر و موجبُ ذلك ان قوله اِذْ اَعْجَبَتْكُمْ] بدل من يَوْمَ حُنَيْنٍ فلو جعلتَ ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تُعْجبهم في جميع تلك المواطن و لم يكونوا كثيرًا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصًّا به الّا اذا نصبتَ اذْ باضمار اذْكُر - و حُنَيْنٌ وادٍ بين مكة و الطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين و هم اثنى عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضمًّا اليهم الفان من الطُلَقاء و بنو هوازن و ثقيف و هم اربعة آلاف فيمن ضامّهم من امْداد سائر العرب و كانوا الجمَّ الغفير فلمّا التقَوْا قال رجل من المسلمين لن نُغلب اليوم من قلة فساءت رسولَ الله صلّى الله عليه و آله وسلّم - و قيل قائلها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم - و قيل ابو بكر و ذلك قوله تعالى اَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فاقتتلوا قتالا شديدا و ادركت المسلمين كلمةُ الاعجاب بالكثرة و زلّ عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلّهم مكةَ و بقي رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم وحده و هو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الّا عمّه العباس آخذًا بلجام دابته و ابو سفيان ابن الحرث ابن عمه و ناهيك بهذه الواحدة شهادةً صدق على تناهي شجاعته و رباطة جاشه و ماهي الّا من أبات النبوّة و قال يارب ايتني بما وعدتني و قال للعباس و كان صيّتا اصْرُخ بالناس فنادى الانصارَ فَخِذًا فَخِذًا ثم نادى يا اصحابَ الشجرة يا اصحابَ البقرة فكرّوا عنقا واحدا و هم يقولون لبّيك لبّيك و نزلت الملئكة عليهم البياض على خيول بُلق فنظر رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمِيَ الوطيس ثم اخذ كفًّا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا و ربّ الكعبة فانهزَمُوا قال العباس كأنّي انظر الى رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم يركض خلفهم على بَغلته [بِمَا رَحُبَتْ] مَا مصدرية و الباء بمعنى مع اي مع رحبها و حقيقتُه ملتبسةً برحبها على ان الجارّ و المجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسًا بها لم احلّها يعني مع ثياب السفر و المعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه و نجاتكم لفرط الرعب فكأنّ الارض ضاقت عليكم [ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُّدْبِرِيْنَ] ثم انهزمتم [سَكِيْنَتَهٗ] رحمتَه التي سكنوا بها و امنوا [وَعَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ] الذين انهزموا - و قيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب [وَ اَنْزَلَ جُنُودًا] يعني الملئكة و كانوا ثمانيةَ آلاف - و قيل خمسةَ آلاف - و قيل ستة عشرَ الفا - [وَعَذَّبَ

سورة التوبة ٩ كَفَرُوا ط وَذٰلِكَ جَزَآءُ الْكٰفِرِينَ ۝ ثُمَّ يَتُوبُ اللّٰهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَلٰى مَنْ يَّشَآءُ ط وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝
الجزء ١٠ يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوٓا اِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا ج وَاِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً
ع ٩ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖٓ اِنْ شَآءَ ط اِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْاٰخِرِ

الَّذِيْنَ كَفَرُوْا]بالقتل و الاسر سبي النساء والذراري *[ثُمَّ يَتُوْبُ اللّٰهُ] اي يُسْلم بعد ذلك ناس منهم - و روي ان ناساً منهم جاؤا فبايَعُوْا رسولَ الله صلّى الله عليه و اله و سلّم على الاسلام و قالوا يا رسول الله انت خير الناس و ابرّ الناس و قد سُبي اهلونا و اولادنا واُخذتْ اموالنا - قيل سُبي يومئذٍ ستةُ آلاف نفس و اُخذ من الابل و الغنم ما لايحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا امّا ذراريكُمْ و نساءكم و امّا اموالكم قالوا ما كُنّا نعدل بالاَحْساب شيأ فقام رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم فقال ان هٰؤلاء جاؤا مسلمين و انّا خَيّرْنا هم بين الذراري و الاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يردّه فشانُهُ و من لا فليُعْطِنا و ليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنُعطيَه مكانه قالوا رضينا و سلّمنا فقال اني لا ادري لعلّ فيكم من لا يرضى فمُرُوْا عُرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعتْ اليه العُرَفاء ان قد رضوا *[اَلنَّجَس]مصدر يقال نجِس نجسا و قَذِر قذرا و معناه ذو نجس لان معهم الشركَ الذي هو بمعنى النجس و لانهم لايتطهّرون و لايغتسلون و لايجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جُعلوا كانّهم النجاسة بعينها مبالغةً في وصفهم بها - وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب و الخنازير - و عن الحسن مَن صافح مشركا توضّأ - و اهل المذهب على خلاف هذين القولين - و قرئ نِجْسٌ بكسر النون و سكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون جنسُ نِجْسٌ او ضربُ نِجْسٌ و اكثر ما جاء تابعاً لرجس و هو تخفيف نَجِس نحو كبْد في كَبِد [فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ] فلا يحجّوا و لا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية [بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا] بعد حجّ عامهم هذا و هو عام تسع من الهجرة حين اَمّر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم و هو مذهب ابي حنيفة و اصحابه و يدل عليه قول عليّ رضي الله عنه حين نادى ببراءة اَلّا يحجّ بعد عامنا هذا مشركٌ ولا يمنعون من دخول الحَرَم و المسجد الحرام و سائر المساجد عندهم - و عند الشافعي يُمْنَعون من المسجد الحرام خاصة - و عند مالك يمنعون منه و من غيره من المساجد - و عن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحَرَم و انّ على المسلمين ان لايمكّنوهم من دخوله - و نَهْيُ المشركين ان يقربوه راجعٌ الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه - و قيل المراد ان يمنعوا من تولّى المسجد الحرام و القيام بمصالحه و يعزلوا عن ذلك [وَاِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً] اي فقراً بسبب منع المشركين من الحج و ما كان لكم في قدومهم عليكم من الاَرْفاق و المكاسب [فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ] من عطائه او من تفضله بوجه اٰخر فاَرْسَلَ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا او اغزرها خيرَهم و اكثر مَيْرَهم و اسلم اهل تُبالةَ و جُرَشَ فحَمَلوا الى مكّة الطعامَ و ما يعاش به فكان ذلك اعوَدَ عليهم مما خافوا العيلة لفواته - و عن ابن عباس القى الشيطانُ في قلوبهم الخوفَ و قال من اين تاكلون

سورة التوبة ٩ الجزء ١٠ ع ١٠

وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صٰغِرُونَ ۝ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ وَقَالَتِ النَّصٰرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّٰهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ

فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية - وقيل بفتح البلاد والغنائم - وقرئ عَائِلَةً بمعنى المصدر كالعاقبة او حالا عَائِلَةً - ومعنى قوله [إِنْ شَاءَ] إن اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم [إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ] باحوالكم [حَكِيمٌ] لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب - مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ بيان للذين مع ما في حيزه - نفى عنه الايمان بالله لان اليهود مُشَبِّهَة والنصارى مثلثة وايمانهم [بِالْيَوْمِ الْآخِرِ] لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم [مَا حَرَّمَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ] لانهم لا يحرمون ما حُرم في الكتاب والسنة - ومن ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل وان يدينوا [دِينَ الْحَقِّ] وان يعتدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل - وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومُعتقَده - سُمِّيَتْ جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يَجْزوه اي يقضوه - او لانهم يجزون بها مَن مَنّ عليهم بالاعفاء عن القتل [عَنْ يَدٍ] اما ان تراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يُعطوها عَنْ يَدٍ اي عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يُعْطِ يدَه بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واَصْحَب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع رِبقةَ الطاعة عن عُنقه - او حَتّٰى يُعْطُوها عَنْ يَدٍ الى يد نقدًا غير نسيئة لا مبعوثًا على يدِ احدٍ ولكن على يد المعطي الى يد الآخذ - واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حَتّٰى يُعْطُوها عَنْ يَدٍ قاهرة مستولية - او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وتَرْكَ ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم [وَهُمْ صَاغِرُونَ] اي توخذ منهم على الصغار والذل وهو ان يأتي بها بنفسه ماشيًا غيرَ راكب ويسلّمها وهو قائم والمتسلّم جالس وان يُقْتَل تلتلة ويوخذ بتلبيبه ويقال له اَدِّ الجزية وان كان يودّيها ويزخ في قفاه - وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض - واختلف فيمن تُضرب عليه - فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمّي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدَهم - رَوى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صالحَ عَبَدَةَ الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قُلتموها دانت لكم بها العرب وادّت اليكم الجزيةَ العجمُ - وعند الشافعي لا توخذ من مشركي العجم - والماخوذُ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنى عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المُكْثِر ضعفُ الضعف ثمانية واربعون ولا توخذ من فقير لا كسب له - وعند الشافعي توخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب اولم يكن - [عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ] مبتدأ وخبر كقوله الْمَسِيحُ ابْنُ اللّٰهِ وعُزَيْر اسم اعجمي كعازَر وعَيْزار وعزرئيل ولعُجْمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نَوّن فقد جعله عربيا - واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ اَحَدُ اللّٰهُ - اولان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتحمّلْ

سورة التوبة ٩ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ
الجزء ١٠ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ۚ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝
ع ١٠

عنه مندوحةٌ وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلّهم - عن ابن عباس جاء رسولُ اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلّم سلامُ بن مشكم ونُعمانُ بن اوفى و شاسُ بنُ قيس ومالكُ بنُ الصيف فقالوا ذلك - و قيل قاله فنحاصٌ - وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع اللّٰهُ عنهم التوراة و محاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاهُ جبرئيل فقال له الى اين تذهب قال أطلبُ العلم فحفظه التوراةَ فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع اللّٰه التوراةَ في صدره وهو غلام الّا انه ابنه و الدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تُليتْ عليهم فما انكروا ولا كذّبوا مع تهالكهم على التكذيب - فان قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله [ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ] - قلت فيه وجهان - احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الّا لفظ يفوهون به فارغٌ من معنًى تحته كالالفاظ المهملة اللتي هي اجراس و نغم لا تدلّ على معانٍ وذلك ان القول الدالّ على معنًى لفظٌ مقول بالفم و معناه مؤثر في القلب وما لا معنًى له مقولٌ بالفم لا غير - والثاني ان يراد بالقول المذهبُ كقولهم قولُ ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم و دينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجّةَ معه ولا شبهة حتى توثر في القلوب و ذلك انهم اذا اعترفوا انه لاصاحبة له لم تبقَ شبهة في انتفاء الولد - يُضَاهِئُونَ لابدّ فيه من حذفِ مضافٍ تقديرُه يضاهي قولُهم قولَهم ثم حذفُ المضاف و اقيم الضمير المضاف اليه مقامَهُ فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلّم من اليهود و النصارى يضاهي قولُهم قولَ قُدمائهم يعني انه كُفْرٌ قديم فيهم غير مستحدث - او يضاهي قول المشركين المَلْئكةُ بَنَاتُ اللّٰهِ - وقبل الضمير للنّصارى اي يضاهي قولُهم المَسِيحُ ابْنُ اللّٰهِ قولَ اليهود عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ لانهم اقدم منهم - و قرئ [يُضَاهِئُونَ] بالهمز من قولهم امرأةٌ ضهيأ على فَعِيل وهي اللتي ضاهتِ الرجالَ في انها لا تحيض وهمزتُها مزيدة كما في غرقئ - [قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ] اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاءَ قاتلهم الله ما اسحبَ فعلَهم [أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ] كيف يصرفون عن الحق * اتخاذهم أَرْبَابًا ازعم اطاعوهم في الامر بالمعاصي و تحليلِ ما حرم اللّٰه وتحريم ما حلّله كما يطاع الارباب في اوامرهم و نحوهُ تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادةً بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان - وعن عديّ بن حاتم اتيتُ الى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم و في عنقي صليب من ذهب فقال أليسوا يحرّمون ما احلّ اللّٰه فتحرّمونه وتحلّون ما حرّمه فتحلّونه قلتُ بلى قال فتلك عبادتهم - وعن فضيل رضي اللّٰه عنه ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صلّيت لغير القبلة - واما المسيح فحين جعلوه ابنا للّٰه فقد اهّلوه للعبادة الاترى الى قوله قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ - [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا

سورة التوبة ٩ الجزء ١٠ ع ١٠ النصف

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ

الهاً واحداً] امرتهم بذلك ادلةُ العقل والنصوصُ في الانجيل و المسيحُ عليه السلام انه من يُشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة - [سُبْحَانَهُ] تنزيهٌ له عن الاشراك به و استبعاد له - و يجوز ان يكون الضمير في وَمَا أُمِرُوا للمتخذين اربابا او وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله و يوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا و هم ما مورون مستعبَدُون مثلهم - مَثَل حالهم في طلبهم ان يُبْطلوا نبوّة مُحَمّد عليه السلام بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبثٍّ في الآفاق يريد الله ان يزيده و يبلّغه الغايةَ القصوى من الاشراق و الاضاءة ليُطفئه بنفخه و يطمسه [لِيُظْهِرَهُ] ليظهر الرسولَ [عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ] على اهل الاديان كلهم - او ليظهر دين الحق على كل دين - فان قلت جاز أبى اللهُ الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا - قلت قد أُجْرِي أبى مجرى لم يُرِد الا ترى كيف قوبل يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا بقوله وَيَأْبَى اللهُ وكيف اوقع موقع و لا يريد الله إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ - *معنى اكل الاموال على وجهين - امّا ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعامَ و تناوله - و امّا على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب للاكل و منه قوله* شعر *ان لنا أَحْمِرةً عِجافا * يأكلْنَ كل ليلة اكافا *يريد علفا يشترى بثمن إكاف و معنى اكلهم بالباطل انهم كانوا يأخذون الرشى في الاحكام و التخفيف والمسامحة في الشرائع [وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ] يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار و الرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم أخذ البواطيل و كَنْز الاموال و الضنّ بها عن الانفاق في سُبُل الخير - و يجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين و يُقرن بينهم و بين المرتشين من اليهود و النصارى تغليظا و دلالة على ان من يأخذ منهم السحت و مَن لا يعطي منكم طَيِّب ماله سواءٌ في استحقاق البشارة بالعَذاب الأَلِيم - و قيل نسخت الزكوةُ آيةَ الكنز - و قيل هي ثابتة و انما عُني بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ما ادّي زكوته فليس بكنز و ان كان باطنا و ما بلغ ان يزكّى فلم يزكّ فهو كنز و ان كان ظاهرا - و عن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرزْ مالَكَ الذي اخذتَ احفرْ له تحت فراش امرأتك قال اليس بكنز قال ما أُدّي زكوته فليس بكنز - و عن عمر كل ما أُدّيت زكوته فليس بكنز و ان كان تحت سبع ارضين و ما لم تؤدَّ زكوته فهو الذي ذكر الله و ان كان على ظهر الارض - فان قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم تبًّا للذهب تبًّا للفضة قالها ثلثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لساناً ذاكراً و قلبا خاشعا و زوجةً تُعين احدكم على دينه و بقوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كُوي بها و تُوفّي رجل فوُجد في ميزره دينار فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كيّة - و تُوفّي آخر فوجد في

سورة التوبة ٩ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمٰى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوٰى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
الجزء ١٠ وَظُهُورُهُمْ ۖ هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ۝ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللّٰهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتٰبِ اللّٰهِ
ع ١٠

ميزره دينارانِ فقال كيتانِ - قلت كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فامّا بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالاً من حيث اذن له فيه و يوفّي عنه ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه و لقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمٰن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموالَ و يتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل و الادخلِ في الورع و الزهد في الدنيا و الاقتناءُ مباحٌ موسّع لا يذم صاحبه و لكل شيء حدّ - وما روي عن عليّ رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها نفقةٌ فما زاد فهو كنزٌ كلامٌ في الافضل - فان قلت لم قيل وَلَا يُنْفِقُونَهَا و قد ذكر شيأين - قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدّة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا - و قيل ذُهب به الى الكنوز - و قيل الى الاموال - و قيل معناه وَلَا يُنْفِقُونَهَا و الذهبَ كما ان معنى قوله * ع * ماني و قَيّار بها لغريب * وقيّار كذلك - فان قلت لم خُصّا بالذكر من بين سائر الاموال - قلت لانهما قانون التموّل و اثمان الاشياء و لا يكنزهما الا من فَضَلَ عن حاجته و من كثُرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائرَ اجناس المال و كان ذكر كنزهما دليلاً على ما سواهما - فان قلت ما معنى قوله [يَوْمَ يُحْمٰى عَلَيْهَا] وهلا قيل تحمى من قولهم حَمِي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد - قلت معناه ان النار يحمى عليها اي تُوقد ذاتَ حمي و حرّ شديد من قوله نَارًا حَامِيَةً ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى - فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذُكر الفعل - قلت لانه مسند الى الجارّ و المجرورِ اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يُحْمٰى عَلَيْهَا لانتقال الاسناد من النار الى عَلَيْهَا كما تقول رُفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصةَ قلتَ رفع الى الامير - و عن ابن عامر انه قرأ تُحْمٰى بالتاء - و قرأ ابو حَيْوَة فَيُكْوٰى بالياء - فان قلت لم خُصّت هذه الاعضاء - قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس و تقدّم و ان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل و يحيّون بالاكرام و يبجّلون و يُحْتشمون و من اكل طيبات يتضلعون منها و ينفخون جنوبهم و من لُبْس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم و طِلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قولُ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ذهب اهل الدثور بالاجور - و قيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عَبَسوا واذا ضمّهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولّوا باركانهم وولّوه ظهورهم - و قيل معناه يُكْوَون على الجهات الاربع مقاديمهم و ماخرهم و جنوبهم [هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ] على ارادة القول وقوله [لِأَنْفُسِكُمْ] اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم و تلتذّ و تحصل لها الاغراض التي حامت حولها و ما علمتم انكم كنزتموه لتستضرّ به انفسكم و تتعذّبَ وهو توبيخ لهم [فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ] وقرئ تَكْنُزُونَ بضم النون اي و بالَ المال الذي كنتم تكنزونه

يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ مِنْهَآ اَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۭ ذٰلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ ۙ فَلَا تَظْلِمُوْا فِيْهِنَّ اَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِيْنَ كَاۗفَّةً سورة التوبة ٩
كَمَا يُقَاتِلُوْنَكُمْ كَاۗفَّةً ۭ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ ۝ اِنَّمَا النَّسِيْۗءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُحِلُّوْنَهٗ عَامًا الجزء ١٠
ع ١٠

او وبالَ كونكم كائنين [فِيْ كِتٰبِ اللّٰهِ] فيما اثبته و اوجبه من حُكمه و رآه حكمةً وصوابًا - و قيل في اللوح [اَرْبَعَةٌ حُرُمٌ] ثلثة سَرْدٌ ذو القعدة وذو الحجّة و المحرم و واحدٌ فردٌ و هو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجّة الوداع اَلَا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقَ السموات و الارضَ السنةُ اثنى عشر شهرا منها اربعةٌ حرمٌ ثلثٌ متواليات ذو القعدة و ذو الحجّة و المحرم و رجب مضر الذي بين جمادى و شعبان - و المعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه و عاد الحجّ في ذى الحجّة و بطل النسيء الذي كان في الجاهلية و قد وافقت حجةُ الوداع ذا الحجّة و كانت حجّة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذى القعدة [ذٰلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ] يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دينُ ابراهيم و اسمٰعيل و كانت العرب قد تمسّكت به وراثةً منهما و كانوا يعظّمون الاشهر الحرم و يحرّمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتلَ ابيه او اخيه لم يهجْهُ و سمّوا رجبًا الاصمّ و مُنْصِل الاسنّة حتى احدثت النسيءَ فغيّروا - [فَلَا تَظْلِمُوْا فِيْهِنَّ] في الْحُرُم [اَنْفُسَكُمْ] اي لا تجعلوا حرامها حلالا - وعن عطاء بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحَرَم و لا في الاشهر الحُرُم الآن يقاتلوا و ما نُسخت - و عن عطاء الخراساني اَحلّت القتلَ في الاشهر الحرم بَرَاءَةٌ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ - و قيل معناه لا تأثموا فِيْهِنَّ بيانا لعظم حرمتين كما عَظّم اشهر الحجّ بقوله فَمَنْ فَرَضَ فِيْهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوْقَ الاية و ان كان ذلك محرّمًا في سائر الشهور [كَاۗفَّةً] حال من الفاعل او المفعول - [مَعَ الْمُتَّقِيْنَ] ناصرُلهم - حَثّهم على التقوى بضمان النصر لاهلها - [النَّسِيْۗءُ] تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر و ذلك انهم كانوا اصحاب حروب و غارات فاذا جاء الشهر الحرام و هم محاربون شقّ عليهم ترك المحاربة فَيُحِلّونه و يحرّمون مكانه شهرا اخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرّمون من شهور العام اربعةَ اشهر و ذلك قوله لِيُوَاطِـُٔوْا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ اي ليوافقوا العدّة التي هي الاربعة و لا يخالفوها و قد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين و ربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتّسع لهم الوقت و لذلك قال عزّ و علا اِنَّ عِدَّةَ الشُّهُوْرِ عِنْدَ اللّٰهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا يعني من غير زيادة زادوها - و الضمير في يُحِلُّوْنَهٗ - وَيُحَرِّمُوْنَهٗ للنَّسِيْۗءُ اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحُرُم عاما رجعوا فحرّموه في العام القابل - يروى انه حدث ذلك في كِنانة لانهم كانوا فقراء محاويجَ الى الغارة و كان جُنادة بن عَوف الكِنانيّ مطاعا في الجاهلية و كان يقوم على جَمَل في الموسم فيقول باعلى صوته ان اٰلهتكم قد اَحلّت لكم المحرم فَاَحِلّوه ثم يقوم في القابل فيقول ان اٰلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فَحَرِّمُوْهُ - جعل النسيء زِيَادَةً في الكفر لان الكافر كلّما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمنين اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا و هم يستبشرون - و قرئ يُضَلُّ على البناء للمفعول - وَيَضِلُّ بفتح الياء

سورة التوبة ٩ الجزء ١٠ ع ١١

وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللّٰهُ ؕ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ اَعْمَالِهِمْ ؕ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ
الْكٰفِرِيْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَا لَكُمْ اِذَا قِيْلَ لَكُمُ انْفِرُوْا فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اثَّاقَلْتُمْ اِلَى الْاَرْضِ ؕ اَرَضِيْتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا
مِنَ الْاٰخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فِى الْاٰخِرَةِ اِلَّا قَلِيْلٌ ۝ اِلَّا تَنْفِرُوْا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا ۙ وَّيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوْهُ شَيْـًٔا ؕ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيْرٌ ۝ اِلَّا تَنْصُرُوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ اِذْ اَخْرَجَهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ثَانِىَ

والضاد - ويُضِلُّ على ان الفعل لله عزوجل - وقرأ الزهري ليُوَطِّئُوا بالتشديد - والنسيء مصدر نَسَأَه اذا اَخَّره يقال نَسَأَه نَسْأً ونَساءً ونسيئاً كقولك مَسَّه مسّا ومَساسا ومسيسا - وقرئ بهن جميعا - وقرئ النَّسِيّ بوزن الدِّيّ - والنَّسْي بوزن النَّهْي وهما تخفيف النَّسِيْء - والنَّسْء - فان قلت ما معنى قوله [فَيُحِلُّوْا مَا حَرَّمَ اللّٰهُ] - قلت معناه فيُحِلّوا بمواطاة العدّة وحدها من غير تخصيص ما حَرّم الله من القتال او من ترك الاختصاص الاشهر بعينها [زُيِّنَ لَهُمْ سُوْٓءُ اَعْمَالِهِمْ] خَذَلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة [وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى] اي لايلطف بهم بل يخذلهم - وقرئ زَيَّنَ لَهُمْ سُوْءَ اَعْمَالِهِمْ على البناء للفاعل وهو الله عزوجل [اِثَّاقَلْتُمْ] تثاقلتم وبه قرأ الاعمش اي تباطأتم وتقاعستم وضُمّن معنى الميل والاخلاد فعُدّي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاقّ السفر ومتاعبه ونحوه اَخْلَدَ اِلَى الْاَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوٰىهُ - وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم - وقرئ اَثَّاقَلْتُمْ على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ - فان قلت فما العامل في اذا وحرف الاستفهام ما نعه ان يعمل فيه - قلت ما دلّ عليه - اوما في مَا لَكُمْ من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تُعْمله في الحال اذا قلتَ مالك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بُعد الشُّقّة وكثرة العدوّ فشقّ عليهم - وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة الا وَرّى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعدّ الناس تمام العُدّة [مِنَ الْاٰخِرَةِ] بدل الاٰخرة كقوله لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ - [فِى الْاٰخِرَةِ] في جنب الاٰخرة [اِلَّا تَنْفِرُوْا] سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم [وَيَسْتَبْدِلْ] بهم [قَوْمًا] اٰخرين خيرا منهم واطوع وانه غنيّ عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيأ - وقيل الضمير للرسول اي وَلَا تَضُرُّوْهُ لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووَعْد الله كائنٌ لامحالة - وقيل يريد بقوله قَوْمًا غَيْرَكُمْ اهلَ اليمن - وقيل ابناء فارس والظاهر مستغنٍ عن التخصيص - فان قلت كيف يكون قوله [فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ] جوابا للشرط - قلت فيه وجهان - احدهما اَلَّا تَنْصُرُوْهُ فسينصره مَن نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقلّ من الواحد فدلّ بقوله فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ الى انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت - والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده - واسند الاخراج الى الكفار كما اسنده اليهم في قوله مِنْ دِيَارِكُمْ الَّتِىْ اَخْرَجْتُكُمْ لانهم حين هموا باخراجه انّ الله له في الخروج فكانهم اخرجوه [ثَانِىَ اثْنَيْنِ] احدَ اثنين كقوله ثَالِثُ ثَلٰثَةٍ وهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابوبكر لصدّيق

اثْنَيْنِ اِذْ هُمَا فِي الْغَارِ اِذْ يَقُوْلُ لِصَاحِبِهٖ لَا تَحْزَنْ اِنَّ اللّٰهَ مَعَنَا ۚ فَاَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِيْنَتَهٗ عَلَيْهِ وَاَيَّدَهٗ بِجُنُوْدٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا السُّفْلٰى ۭ وَكَلِمَةُ اللّٰهِ هِيَ الْعُلْيَا ۭ وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ۝ اِنْفِرُوْا خِفَافًا وَّثِقَالًا وَّجَاهِدُوْا
بِاَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ۭ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ۝ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيْبًا وَّسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوْكَ
وَلٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۭ وَسَيَحْلِفُوْنَ بِاللّٰهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ۚ يُهْلِكُوْنَ اَنْفُسَهُمْ ۚ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ ۝ ع

رضي الله عنه - يروى ان جبرئيل عليه السلام لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابوبكر وانتصابه على الحال - وقرئ ثَانِي اثْنَيْنِ بالسكون و[اِذْ هُمَا]بدل من اِذْ اَخْرَجَهُ و[الْغَار] نقب في اعلا ثور وهوجبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا [اِذْ يَقُوْلُ]بدل ثان - قيل طلع المشركون فوق الغار فَاَشْفَق ابوبكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان تُصَب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما - وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله و العنكبوت فَنَسجتْ عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه - وقالوا من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة - [سَكِيْنَتَهٗ] ما القى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يَصلون اليه - و الجُنُوْد الملئكة يوم بدر والاحزاب وحُنَين و [كَلِمَةَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا] دَعْوتهم الى الكفر [وَكَلِمَةُ اللّٰهِ] دَعْوته الى الاسلام - و قرئ وَكَلِمَةَ اللّٰهِ بالنصب والرفعُ اوجه وهي فصل او مبتدأ و فيها تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم [اِنْفِرُوْا خِفَافًا وَّثِقَالًا] خِفَافاً في النفور لنشاطكم له وثِقَالاً عنه لمشقته عليكم - او خِفَافاً لقلة عيالكم و اذيالكم - و ثِقَالاً لكثرتها او خِفَافاً من السلاح وثِقَالاً منه - او رُكْبانا ومُشاة - او شُبّانا و شيوخا - او مهازيل و سمانا - او صحاحا و مراضا - و عن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعليَّ ان انفر قال نعم حتى نزل قوله لَيْسَ عَلَى الْاَعْمٰى حَرَجٌ - وعن ابن عباس نُسخت بقوله لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضٰى - و عن صفوان بن عمرو كنتُ واليا على حِمْصَ فلقيتُ شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عمّ لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه و قال يا ابن اخي استنفرنا الله خِفافا و ثِقالا اَلَا انه من يحبّه الله يبتله - و عن الزهري خرج سعيد بن المسيّب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل ادك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكّني الحربُ كثّرتُ السواد وحفظتُ المتاع [وَجَاهِدُوْا بِاَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ] ايجابٌ للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال و الحاجة * [الْعَرَض] ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرضٌ حاضرٌ يأكل منه البرُّ والفاجر اي لو كان ما دُعوا اليه غُنما قريبا سهل المنال [وَّسَفَرًا قَاصِدًا] وسطا مقاربا [الشُّقَّةُ] المسافة الشاقّة - وقرأ عيسى بن عمر بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقَّةُ بكسر العين والشين ومنه قوله *شعر* يقولون لا تَبْعُدْ وهم يدفنونه * ولابُعْدَ الا ما تُوارِي الصفائحُ * [بِاللّٰهِ] متعلق بسَيَحْلِفُوْنَ

سورة التوبة ٩ الجزء ١٠ ع ١٢

عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ ۚ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجٰهِدُوا بِأَمْوٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۗ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلٰكِنْ كَرِهَ اللّٰهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ

- او هو من جملة كلامهم و القولُ مراد في الوجهين اي سَيَحْلِفُونَ يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون [بِاللّٰهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ] او سَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ يقولون لو استطعنا و قوله لَخَرَجْنَا سدّ مسدّ جوابَيِ القسم و لَوْ جميعا و الاخبار بما سوف يكون بعد القفول من خلفهم و اعتذارهم و قد كان من جملة المعجزات - ومعنى الاستطاعة استطاعة العُدّة - او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا - وقرئ لَوُ اسْتَطَعْنَا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ - [يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ] امّا ان يكون بدلا من سَيَحْلِفُونَ - او حالا بمعنى مهلكين و المعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب و ما يحلفون عليه من التخلّف - و يحتمل ان يكون حالا من قوله لَخَرَجْنَا اي لخرجنا معكم و ان اهلكنا انفسنا و القيناها في التهلكة بما نحمّلها من المسير في تلك الشقّة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم لا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله لَيَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ فالعِبرةُ على حكم الاخبار و التكلّم على الحكاية [عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ] كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت - و [لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ] بيان لما كُني عنه بالعفو ومعناه مالكَ اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك و اعتلّوا لك بعللهم و هلا استأنيت بالاذن [حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكَ] مَن صدق في عذره ممن كذب فيه • وقيل شيأن فعلهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يؤمر بهما اذنهُ للمنافقين واخذهُ من الاسارى فعاتبهُ الله • [لَا يَسْتَأْذِنُكَ] ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وكان الخاصّ من المهاجرين و الانصار يقولون لا نستأذن النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم ابدا ولنجاهدنّ معه باموالنا وانفسنا ومعنى [أَنْ يُجٰهِدُوا] في ان يجاهدوا - او كراهةَ ان يجاهدوا [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ] شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدةٌ لهم بالجزل للثواب - [إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ] يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلثين رجلا [يَتَرَدَّدُونَ] عبارة عن التحيّر لان التردد ديدن المتحيّر كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر - قرئ عُدَّتَهُ بمعنى عُدَّتَهُ فُعل بالعُدّة ما فُعل بالعِدّة مَنْ قال • ع • واحلفوك عد الامر الذي وعدوا • من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها - و قرئ عِدَّةً بكسر العين بغير اضافة اوعِدَّهُ باضافة - فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك - قلت لما كان قوله وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ معطيا معنى نفي خروجهم و استعدادهم للغزو - و قيل [وَلٰكِنْ كَرِهَ اللّٰهُ انْبِعَاثَهُمْ] كانه قيل ما خرجوا و لكن تثبّطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن اليّ زيد و لكن اساء اليّ [فَثَبَّطَهُمْ] فكسّلهم و خذلهم و ضعّف رغبتهم في الانبعاث - [وَقِيلَ اقْعُدُوا] خُعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود - و قيل هو قول الشيطان بالوسوسة - و قيل هو قولهم لانفسهم - و قيل هو اذن رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم في القعود - فان قلت كيف جاز ان يوقع

سورة التوبة ٩ الجزء ١٠ ع ١٢

وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقٰعِدِينَ ۝ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أَوْضَعُوا خِلٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ۚ وَفِيكُمْ سَمّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰلِمِينَ ۝ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتّٰى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ

اللّٰهُ في نفوسهم كراهةَ الخروج الى الغزو وهي قبيحة و تعالى عن الهام القبيح - قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسناً و مصلحةً - فان قلت فلم خَطَأَ رسولَ اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم في الاذن لهم فيما هو مصلحة - قلت لان اذن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم لم يكن للنظر في هذه المصلحة و لا عَلِمَها الّا بعد القفول باعلام الله و لكن لانهم استأذنوه و اعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحّص عن كنه معاذيرهم و لا يتجوز في قبولها فمن ثمّه اتاه العتابُ - و يجوز ان يكون في ترك رسول الله الاذنَ لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحةٌ اخرى فباذنه لهم فُقدتْ تلك المصلحة و ذلك انه اذا ثبّطهم الله فلم ينبعثوا و كان قعودهم بغير اذن رسول الله قامت عليهم الحُجّة و لم تبقَ لهم معذرة و لقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم و شهد عليهم بالنفاق و انهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر - فان قلت ما معنى قوله [مَعَ الْقٰعِدِينَ] - قلت هو ذمّ لهم و تعجيز و الحاق بالنساء و الصبيان و الزَّمْنَى الذين شانهم القعودُ والجثومُ في البيوت و هم القاعدون و الخالفون و الخوالف ويُبيّنه قوله تعالى رَضُوا بان يكونوا مع الخوالف • [إِلَّا خَبَالًا] ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الّا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور و اذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعمّ العامّ الذي هو الشيء فكان استثناءً متصلاً لان الخبال بعض اعمّ العامّ كانّه قيل ما زادوكم شيأ الّا خبالا و الخبال الفساد و الشرّ [وَلَا أَوْضَعُوا خِلٰلَكُمْ] و لَسَعَوْا بينكم بالتضريب و النمائم و افساد ذات البين يقال وضع البعيرُ وضعا اذا اسرع و اوضعتُه انا و المعنى و لاوضعوا ركائبهم بينكم و المراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي - و قرأ ابن الزبير وَلَأَرْقَصُوا من رقصت الناقةُ رقصا اذا اسرعت و ارقصتُها قال •ع• و الراقصات الى منىً فالغبغب • و قرئ وَلَأَوْضَعُوا - فان قلت كيف خُطّ في المصحف وَلَا أَوْضَعُوا بزيادة الف - قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي و الخطّ العربيّ اختُرِع قريبا من نزول القرآن و قد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا و فتحتها الفا اخرى و نحوه أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ [يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ] يُحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم و يُفسدوا نيّاتكم في مغزاكم [وَفِيكُمْ سَمّٰعُونَ لَهُمْ] اي نمّامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم - او فيكم قوم يسمعون للمنافقين و يُطيعونهم - [لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ] اي العنتَ و نصبَ الغوائل و السعيَ في تشتيت شملك و تفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن أُبيّ يوم أُحد حين انصرف بمن معه - و عن ابن جُرَيْج وقفوا لرسول الله صلّى اللّٰه عليه و آله وسلّم على الثنيّة ليلة العقبة و هم اثنى عشر رجلا ليفتكوا به [مِنْ قَبْلُ] من قبل غزوة تبوك [وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ] و دبّروا لك الحِيَل و المكائد و دوّروا الآراء في

سورة التوبة ٩ الجزء ١٠ ع ١٢

أَمْرُ اللّٰهِ وَهُمْ كٰرِهُونَ ۝ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ۖ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لَمُحِيطَةٌ بِالْكٰفِرِينَ ۝ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۚ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا
وَهُمْ فَرِحُونَ ۝ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَنَا ۚ هُوَ مَوْلٰنَا ۚ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ
هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللّٰهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَ
تَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ۝ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فٰسِقِينَ ۝ وَمَا

ابطل امرك - و قرئ وَ قَلَّبُوا بالتخفيف [حَتّٰى جَاءَ الْحَقُّ] و هو تايبدك و نصرك [وَظَهَرَ أَمْرُ اللّٰهِ] و غلب
دينه و علا شرعه * [ائْذَنْ لِي] في القعود [وَلَا تَفْتِنِّي] و لا توقعني في الفتنة و هي الاثم بان لاتاذن لي فاني
ان تخلفتُ بغير اذنك اثمتُ - و قيل ولاتُلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هنك مالي و عيالي -
و قيل قال الجَدّ بن قيس قد علمت الانصار اني مستهترٌ بالنساء فلا تفتني ببنات الصفر يعني نساء
الروم ولكني اُعينك بمالي فاتركني - و قرئ وَلَا تُفْتِنِّي من افتنه [أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا] اي ان الفتنة هي
التي سقطوا فيها و هي فتنة التخلّف - و في مصحف ابَيّ سَقَطَ لان مَن موحّدُ اللفظ مجموعُ المعنى [مُحِيطَةٌ
بِالْكٰفِرِينَ] يعني انها تحيط بهم يوم القيمة او هي محيطة بهم الآنَ لانّ اسباب الاحاطة معهم فكانّهم في وسطها
[إِنْ تُصِبْكَ] في بعض الغزوات [حَسَنَةٌ] ظفر و غنيمة [تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ] نكبة و شدة في بعضها نحو
ما جرى يوم اُحد يفرحوا لحالهم في الانحراف عنك و [يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا] اي امرنا الذي نحن متسمون به
من الحذر و التيقّظ و العمل بالحزم [مِنْ قَبْلُ] من قبل ما وقع و تولّوا عن مقام التحدّث بذلك و الاجتماع له الى اهاليهم
[وَهُمْ فَرِحُونَ] مسرورون - و قيل تولّوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم - قرأ ابن مسعود قُلْ هَلْ
يُصِيبُنَا - و قرأ طلحة هَلْ يُصَيِّبُنَا بتشديد الياء و وجهه ان يكون يُفَيْعِل لا يُفْعَل لانه من بنات الواو لقولهم
الصواب و صاب السهم و يصوب و مصاب في جمع مصيبة فحقّ يفعّل منه يصوّب الا ترى الى قولهم صَوَّبَ
رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يَصيب و من قوله * ع * أَسْمِي الصائبات و الصَّيِّبُ * و اللام في قوله
[إِلَّا مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَنَا] مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا ما اختصّنا الله باثباته و ايجابه من النصرة
عليكم و الشهادة لا ترى الى قوله [هُوَ مَوْلٰنَا] اي الذي يتولّانا و نتولّاه ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا
وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] و حق المؤمنين ان لايتوكلوا على غير الله فليفعلوا
ما هو حقّهم [إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ] الاحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب و هما
النصرة و الشهادة [وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ] احدى السوأتين من العواقب إِمَّا أَنْ يُصِيبَكُمُ اللّٰهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ
و هو قارعة من السماء كما نزلت على عاد و ثمود [أَوْ] بعذاب [بِأَيْدِينَا] و هو القتل على الكفر [فَتَرَبَّصُوا] بنا ما ذكرنا من
عواقبنا [إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ] ما هو عاقبتكم فلابدّ ان يلقى كلّا ما يتربّصه و لا يتجاوزه * [أَنْفِقُوا] يعني في سبيل الله
و وجوه البرّ [طَوْعًا أَوْ كَرْهًا] نصب على الحال اي طائعين او مكرهين - فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال

سورة التوبة ٩ مَنَعَهُمْ اَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقٰتُهُمْ اِلَّآ اَنَّهُمْ كَفَرُوْا بِاللّٰهِ وَبِرَسُوْلِهٖ وَلَا يَاْتُوْنَ الصَّلٰوةَ اِلَّا وَهُمْ كُسَالٰى وَلَا يُنْفِقُوْنَ اِلَّا وَهُمْ
الجزء ١٠ كٰرِهُوْنَ ۝ فَلَا تُعْجِبْكَ اَمْوَالُهُمْ وَلَآ اَوْلَادُهُمْ ؕ اِنَّمَا يُرِيْدُ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ اَنْفُسُهُمْ وَهُمْ
ع ١٢

[لَنْ يُّتَقَبَّلَ مِنْكُمْ] - قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها و نحوه قوله تعالى اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَوْلَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ و قوله *ع* اَسِيْئِيْ بنا او اَحْسِنِي لا ملومةٌ* اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسات بنا او احسنت - فان قلت متى يجوز نحو هذا - قلت اذا دلّ الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا و غفر له - فان قلت لم فُعل ذلك - قلت لنكتة فيه وهي ان كُثَيِّرا كانه يقول لِعَزَّةَ امتحني لطف محلك عندي و قوة محبتي لك وعامليني بالاساءة و الاحسان و انظري هل تتفاوت حالي معك مسيئةً كنتِ او محسنةً و في معناه قولُ القائل * شعر * اخوك الذي ان قمتَ بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك في الودّ * وكذلك المعنى اَنْفِقُوْا و انظروا هل يتقبل منكم و استغفرْ لهم اولا تستغفر و انظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار و تركه - فان قلت ما الغرض في نفي التقبُّل اهو تركُ رسول الله تقبُّلَه منهم و ردّه عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباءً لا ثواب له - قلت يحتمل الامرين جميعا و قوله طَوْعًا اَوْ كَرْهًا معناه طائعين من غير الزام من الله و رسوله او مُلْزَمين و سمّي الالزام اكرهًا لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاقَ شاقًا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم - و روي انها نزلت في الجدّ بن قيس حين تخلّف عن غزوة تبوكَ و قال لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم هذا مالي اُعينك به فاتركني [اِنَّكُمْ] تعليل لردّ انفاقهم و المراد بالفسق التمرّد و العتوّ * [اَنَّهُمْ] فاعل مَنَعَ وهُمْ و اَنْ تُقْبَلَ مفعولاه - و قرئ اَنْ تُقْبَلَ بالتاء و الياء على البناء للمفعول - و[نَفَقٰتُهُمْ] و نَفَقَتُهُمْ على الجمع والتوحيد - و قرأ السلمي اَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقٰتِهِمْ على ان الفعل لله عزّ و جلّ [كُسَالٰى] بالضم و الفتح جمع كسلان نحو سُكَارٰى و غُيَارٰى في سَكْرَان و غَيْرَانَ و كسلهم لانهم لا يرجون بصلوتهم ثوابا و لا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله تعالى وَاِنَّهَا لَكَبِيْرَةٌ اِلَّا عَلَى الْخَاشِعِيْنَ - و قرأتُ في بعض الاخبار ان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كره للمؤمن ان يقول كسلتُ كانه ذهب الى هذه الآية و ان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يُسْنِده المؤمن الى نفسه - فان قلت الكراهية خلاف الطواعية و قد جعلهم الله طائعين في قوله طَوْعًا ثم وصفهم بانهم [لَا يُنْفِقُوْنَ اِلَّا وَهُمْ كٰرِهُوْنَ] - قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم - او من رؤسائهم و ما طوعهم ذاك الّا عن كراهة و اضطرار لا عن رغبة و اختيار * الاعجاب بالشيء ان يُسَرّ به سرور راض به متعجب من حسنه و المعنى فلا تستحسنْ و لا تفتتنْ بما اُوتوا من زينة الدنيا كقوله وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ وان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرّضه للتغنّم و السبي

كَٰفِرُونَ ۝ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ۖ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا
لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَٰتِ ۖ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ
يَسْخَطُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى اللَّهِ

وبلّاهم فيه بالآفات و المصايب و كلفهم الانفاق منه في ابواب الخير و هم كارهون له على رغم انوفهم و اذاقهم انواع الكلف و الجوائح في جمعه و اكتسابه و في تربية اولادهم - فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله تعالى فما بال زهوق انفسهم و هم كافرون - قلت اعراد الاستدراج بالنعم كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل و يريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا [وَهُمْ كَٰفِرُونَ] ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة • [لَمِنكُمْ] لمن جملة المسلمين [يَفْرَقُونَ] يخافون القتل و ما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية • [مَلْجَأً] مكانا يلجئون اليه متحصنين به من رأس جبل او قلعة او جزيرة [أَوْ مَغَٰرَٰتٍ] او غيرانا - وقرئ بضم الميم من اغار الرجل و غار اذا دخل الغور - وقيل هو تعدية غار الشيء و اغرته اذا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم - و يجوز ان يكون من اغار التعلب اذا اسرع بمعنى مغارب و مغار [أَوْ مُدَّخَلًا] او نفقا يندسون فيه و يتجحرون وهو مفتعل من الدخول - وقرئ مَدْخَلًا من دخل - و مُدْخَلًا من ادخل مكانا يُدْخلون فيه انفسهم - وقرأ أبيّ بن كعب مُنْدَخَلًا - وقرئ لَوَلَّوْا إِلَيْهِ لانجاروا اليه [يَجْمَحُونَ] يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام - و قرأ انس يُجْمِزُونَ تسئل فقال يجمحون و يشتدون و يجمزون واحدٌ [يَلْمِزُكَ] يعيبك [فِي] قسمة [الصَّدَقَٰتِ] و يطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم - وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقسم غنائم حُنَين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل - وقيل هو ابو الجوّاظ من المنافقين قال الاترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رُعاة الغنم و هو يزعم انه يعدل فقال رسول الله لا ابالك أما كان موسى راعيا أما كان داؤد راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا و محابّه فانهم منافقون - وقرئ يَلْمُزُكَ بالضم - و يُلَمِّزُكَ - و يُلامِزُكَ التثقيل و البناء على المفاعلة مبالغة في الغمز - ثم وصفهم بان رضاهم و سخطهم لانفسهم لا للدين و ما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه و [إِذَا] للمفاجاة اي وَ إِنْ لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا فَاجَأُوا السخط • جواب لَوْ محذوف تقديره [وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا] لكان خيرا لهم و المعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة و طابت به نفوسهم و ان قل نصيبهم و قالوا كفانا فضلُ الله و صنعه و حسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيوتينا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اكثر مما اتانا اليوم [إِنَّآ إِلَى اللَّهِ] في ان يغنمنا و يخولنا فضله لراغبون • [إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ] قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة و انها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم

سورة التوبة ٩ الجزء ١٠ ع ١٣

رَاغِبُونَ ۝ ع إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ط فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ط وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ط قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ط وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تُصرف الى الاصناف كلّها وان تُصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة - وعن حُذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزأك - وعن سعيد بن جُبَير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فُقَرَاء متعففين فجبرتهم بها كان احبّ اليّ - وعند الشافعيّ لابدّ من صرفها الى الاصناف - وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية - وعن الزهري انه كَذَب لعمر بن عبد العزيز تفريقَ الصدقات على الاصناف الثمانية [وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا] السُعاةَ الذين يقبضونها [وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ] اَشْراف من العرب كان رسول الله يستألفهم على ان يُسْلموا فيرضخ لهم شيأ منها حين كان في المسلمين قلّةٌ [وَالرِّقَابِ] المكاتبون يعانون منها - وقيل الأُسارى - وقيل تُبتاع الرقاب فتُعْتَق [وَالْغَارِمِينَ] الذين رَكِبتْهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصابَ - وقيل الذين تَحمّلوا الحمالات فتديّنوا فيها وغرموا [وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ] فقراءُ الغزاة والحجيجُ المنقطعُ بهم [وَابْنِ السَّبِيلِ] المسافر المنقطع عن ماله فهو فقيرٌ حيث هو غنيٌّ حيث ماله - [فَرِيضَةً] إفي معنى المصدر الموكّد لان قوله انّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ معناه فَرَضَ الله الصدقات لهم - وقرئ فَرِيضَةٌ بالرفع على تلك فريضةٌ - فان قلت لِمَ عدل عن اللام التي فِي في الاربعة الأخرة - قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدّق عليهم ممن سبق ذكره لان فِي للوعاء فنُبّه على انهم احقّاء بان توضع فيهم الصدقات ويُجعلوا مظنّةً لها ومصبًّا وذلك لما في فكّ الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فكّ الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ وبجمع العازي الفقيرُ او المنقطعُ في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابنُ السبيل جامعٌ بين الفقر والغربة عن الاهل والمال - وتكرير فِي في قوله وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغَارِمِينَ - فان قلت فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكائدهم - قلت دُلّ بكون هذه الاصناف مصارفَ الصدقات خاصةً دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسمًا لاطماعهم واشعارًا باستيجابهم الحرمانَ وانهم بُعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلّطهم على التكلم فيها ولَمْزِ قاسمها [الأُذُن] الرجل الذي يُصدّق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سُمّي بالجارحة التي هي آلة السماع كأنّ جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايداؤهم له هو قولهم فيه [هُوَ أُذُنٌ] - و [أُذُنُ خَيْرٍ] كقولك رجلُ صدقٍ تريد الجودة والصلاح كانه قيل نَعَمْ هو اذن ولكن نِعْمَ الاذنُ - ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأُذن في غير ذلك ودلّ عليه قراءة حمزة ورَحْمَةٍ بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله - ثم فسر كونه أُذن خير بانه يصدّق بالله لما قام عنده من الادلّة ويقبل من المؤمنين الْمُخْلِص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن

سورة التوبة ٩ الجزء ١٠ ع ١٣ الثلث

اَلِيْمٌ ۝ يَحْلِفُوْنَ بِاللّٰهِ لَكُمْ لِيُرْضُوْكُمْ ۚ وَاللّٰهُ وَرَسُوْلُهٗٓ اَحَقُّ اَنْ يُّرْضُوْهُ اِنْ كَانُوْا مُؤْمِنِيْنَ ۝ اَلَمْ يَعْلَمُوْٓا اَنَّهٗ مَنْ يُّحَادِدِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ فَاَنَّ لَهٗ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيْهَا ؕ ذٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيْمُ ۝ يَحْذَرُ الْمُنٰفِقُوْنَ اَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُوْرَةٌ

منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة - وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاستغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذي ونحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم - وقرئ اُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ على ان اُذُنٌ خبر مبتدأ محذوف وخَيْرٌ كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم - وقرأ نافع بتخفيف الذال - فان قلت لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام - قلت لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام الا ترى الى قوله وَمَآ اَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صٰدِقِيْنَ ما انبأه عن الباء ونحوه فَمَآ اٰمَنَ لِمُوْسٰٓى اِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهٖ - اَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْاَرْذَلُوْنَ - اٰمَنْتُمْ لَهٗ قَبْلَ اَنْ اٰذَنَ لَكُمْ - فان قلت ما وجه قراءة ابن ابي عبلة وَرَحْمَةً بالنصب - قلت هي علة معللها محذوف تقديره وَرَحْمَةً لَّكُمْ يأذن لكم فحذف لان قوله اُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يدل عليه * [لَكُمْ - لِيُرْضُوْكُمْ] الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق - وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضى الله ورضى رسوله وكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني - او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك * المحادة مفاعلة من حد كالمشاقة من الشق [فَاَنَّ لَهٗ] على حذف الخبر اي فحق ان له [نَارَ جَهَنَّمَ] - وقيل معناه فله - وان تكرير لان في قوله اَنَّهٗ توكيدا - ويجوز ان يكون فَاَنَّ لَهٗ معطوفا على اَنَّهٗ على ان جواب من محذوف تقديره اَلَمْ يَعْلَمُوْٓا اَنَّهٗ مَنْ يُّحَادِدِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ يهلك فَاَنَّ لَهٗ نَارَ جَهَنَّمَ - وقرئ اَلَمْ تَعْلَمُوْا بالتاء - كانوا يستهزؤن بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا - والضمير في عَلَيْهِمْ - وتُنَبِّئُهُمْ للمؤمنين - وفي قُلُوْبِهِمْ للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه - ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم - ومعنى [تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِيْ قُلُوْبِهِمْ] كانها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوا لها مذاعة

تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِءُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ
قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ
طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ ع الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ
وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ

منتشرة نكانها تخبرهم بها - وقيل معنى يَحْذَرُ الامرُ بالحذر اي ليحذر المُنَافِقُونَ - فان قلت الحذر واقع على انزال السورة في قوله يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ اَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ فما معنى قوله [مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَحْذَرُونَ] - قلت معناه محصّلٌ مُبْرِزٌ انزالَ السورة - او ان الله مُظْهِرٌ ما كنتم تحذرونه اي يحذرون اظهاره من نفاقكم * بينا رسولُ الله صلّى الله عليه و آله وسلّم يسير في غزوة تبوكَ و ركبٌ من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيَّه على ذلك فقال احبسوا عليَّ الركبَ فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبيَّ الله لا و الله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك و لكن كُنّا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصّر بعضنا على بعض السفرَ [اَبِاللّٰهِ وَاٰيٰتِهٖ وَرَسُوْلِهٖ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُوْنَ] لم يُعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجُعلوا كانهم معترفون باستهزائهم و بانه موجود منهم حتى وُبّخوه بخطائهم موقعَ الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير و ذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء و ثبوته * [لَا تَعْتَذِرُوْا] لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سرّكم [قَدْ كَفَرْتُمْ] قد اظهرتم كفركم باستهزائكم [بَعْدَ اِيْمَانِكُمْ] بعد اظهاركم الايمان [اِنْ نَّعْفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ] باخلاصهم التوبةَ و اخلاصهم الايمانَ بعد النفاق [نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِاَنَّهُمْ كَانُوْا مُجْرِمِيْنَ] مُصرّين على النفاق غير تائبين عنه - او ان نَّعْفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ لم يؤذوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و لم يستهزئوا فلم نعذّبهم في العاجل نُعَذِّبْ فى العاجل طَآئِفَةً بِاَنَّهُمْ كَانُوْا مُجْرِمِيْنَ موذين لرسول الله مستهزئين - و قرأ مجاهد اِنْ تُعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ على البناء للمفعول مع التانيث و لوجه التذكير ان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان تُرحَم طائفة فاذا ذاك و هو غريب و الجيد قراءة العامة اِنْ يُّعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ بالتذكير وتُعَذَّبْ طَآئِفَةٌ بالتانيث - وقرئ اِنْ يَّعْفُ عَنْ طَآئِفَةٍ يُعَذِّبْ طَآئِفَةً على ابناء الفاعل و هو الله عزّ وجلّ [بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ] اريد نفي ان يكونوا من المؤمنين و تكذيبهم في قولهم وَيَحْلِفُوْنَ بِاللّٰهِ اِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ و تقرير قوله وَمَا هُمْ مِّنْكُمْ ثم وصفهم بما يدلّ على مضادّة حالهم لحال المؤمنين [يَاْمُرُوْنَ بِالْمُنْكَرِ] بالكفر و المعاصي [وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوْفِ] عن الايمان و الطاعات [وَيَقْبِضُوْنَ اَيْدِيَهُمْ] شحّا بالمبارّ و الصدقات و الانفاق في سبيل الله [نَسُوا اللّٰهَ] اغفلوا ذكره [فَنَسِيَهُمْ] فتركهم من رحمته و فضله [هُمُ الْفٰسِقُوْنَ] هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلمَ زاجراً ان يُلمّ بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين

سورة التوبة ٩ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۝ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً
الجزء ١٠ وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ۚ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي
ع ١٤ خَاضُوا ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

حين بالغ في ذمهم و اذا كره رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين رموا بالكسل في قوله كُسَالَىٰ فما ظنك بالفسق [خَالِدِينَ فِيهَا] مقدرين الخلود [هِيَ حَسْبُهُمْ] دلالة على عظم عذابها فانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه - نعوذ بالله من سخطه وعذابه - [وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ] و اهانهم مع التعذيب و جعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة و الحقهم بالملائكة المكرمين [وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ] و لهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار - و يجوز ان يريد وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ معهم في العاجل لا ينفكون عنه و هو ما يقاسونه من تعب النفاق و الظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين و ما يحذرونه ابدا من الفضيحة و نزول العذاب ان اطلع على اسرارهم - الكاف محلها رفع على انتم مثل [كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ] او نصب على فعلتم مثل فعل الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ و هو انكم استمتعتم و خضتم كما استمتعوا و خاضوا و نحوه قول النمر * ع * كاليوم مطلوبا ولا طلبا * باضمار لم ار - و قوله [كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ] تفسير لتشبيههم بهم و تمثيل فعلهم بفعلهم - و الخَلَاق النصيب و هو ما خُلق للانسان اي قُدّر من خير كما قيل له قسم لانه قُسم و نصيب لانه نُصب اي أُثبت و الخوض الدخول في الباطل و اللهو [كَالَّذِي خَاضُوا] كالفوج الذي خاضوا - او كالخوض الذي خاضوه - فان قلت اي فائدة في قوله [فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ] و قوله [كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ] مغن عنه كما اغنى قوله [كَالَّذِي خَاضُوا] عن ان يقال و خاضوا فخضتم كالذي خاضوا - قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا و رضاهم بها و التهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة و طلب الفلاح في الآخرة و ان يخسس امر الاستمتاع و يبخس امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة عن سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير حرم و يعذب و يعسف و انت تفعل مثل فعله - و امر وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا] معطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باستناده اليه عن تلك التقدمة [حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] نقيض قوله وانه في الآخرة لمن الصالحين [وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ] و اهل مدين وهم قوم شعيب [وَالْمُؤْتَفِكَاتِ] مدائن قوم لوط - و قيل قريات قوم لوط وهود و صالح و ايتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر [فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ] فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح و ان يعاقبهم بغير جرم [وَلَٰكِنْ] ظلموا [أَنْفُسَهُمْ] حيث كفروا به فاستحقوا عقابه

عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَيُطِيعُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ ۚ اُولٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّٰهُ ۗ اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ سورة التوبة ٩
وَعَدَ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنٰتِ جَنّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّٰتِ الجزء ١٠
عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّٰهِ اَكْبَرُ ۚ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ يٰٓاَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَاغْلُظْ ع ١٥

[بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاءُ بَعْضٍ] في مقابلة قوله في المذمومين بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ [سَيَرْحَمُهُمُ اللّٰهُ] السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سَاَنْتَقِمُ منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا - وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى - سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ اُجُورَهُمْ - [عَزِيزٌ غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب [حَكِيمٌ] واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق * [وَمَسٰكِنَ طَيِّبَةً] عن الحسن قصورا من اللؤلؤ و الياقوت الاحمر و الزبرجد - و [عَدْنٍ] علم بدليل قوله جَنّٰتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمٰنُ و يدل عليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم عدن دار الله التي لم ترها عين و لم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون و الصديقون و الشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك - و قيل هي مدينة في الجنة - و قيل بحر جنته على حافاته [وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّٰهِ اَكْبَرُ] و شيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز و سعادة - و لانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه و كرامته و الكرامة اكبر اصناف الثواب - و لان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم و انما تتهنأ نعمة برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه و لم يجد لها لذة و ان عظمت - و سمعت بعض اولى الهمة البعيدة و النفس المرة من مشائخنا يقول لا تطمح عيني و لا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح و تنازع الى رضاه عني و ان اخسر في زمرة المهذبين المرضيين عنده [ذٰلِكَ] اشارة الى ما وعد الله - او الى الرضوان اي [هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] وحده دون ما يعده الناس فوزا - و روي ان الله عز و جل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون و ما لنا لا نرضى و قد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا و اي شيء افضل من ذلك قال اُحِلُّ عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا [جَاهِدِ الْكُفَّارَ] بالسيف [وَالْمُنٰفِقِينَ] بالحجة [وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ] في الجهادين جميعا و لا تحابهم و كل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة و تستعمل معه الغلظة ما امكن منها - عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه و ان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة و البغضاء و التبرؤ منه - و قد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها * اقام رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن و يعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس و الله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم و هم سادتنا و اشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل و الله ان محمدا صادق و انتم

سورة التوبة ٩ عَلَيْهِمْ ط وَمَأْوٰىهُمْ جَهَنَّمُ ط وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوا ط وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ
الجزء ١٠ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ج وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنٰىهُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ط فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ط وَإِنْ
ع ١٥ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّٰهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ط وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَمِنْهُمْ مَنْ عٰهَدَ
اللّٰهَ لَئِنْ آتٰنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصّٰلِحِينَ ۝ فَلَمَّا آتٰىهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ

شرّ من الحمار و بلّغ ذلك رسولَ الله فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللّهم انزلْ على عبدك و نبيّك تصديقَ الكاذب و تكذيبَ الصادق فنزل [يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوا] فقال الجُلاس يا رسول الله لقد عرض الله عليّ التوبةَ والله لقد قلتُه و صدق عامر فتاب الجُلاس و حسنتْ توبته [وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ] و اظهروا كفرَهم بعد اظهارهم الاسلامَ [وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا] و هو الفتكُ برسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم وذلك عند مرجعه من تبوكَ توثّق خمسة عشر منهم على ان يدعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنّم العقبةَ بالليل فاخذ عمّار بن ياسر بخطام راحلته يقودها و حُذَيْفة خلفها يسوقها فبينا هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل و قعقعة السلاح فالتفتَ فاذا قوم متلثّمون فقال اليكم اليكم يا اعداءَ الله فهربوا - و قيل هم المنافقون بقتل عامر لردّه على الجُلاس - و قيل ارادوا ان يتوجوا عبدَ الله بن اُبَيّ و ان لم يرضَ رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم -[وَمَا نَقَمُوا] وما انكروا و ما عابوا [إِلَّا أَنْ أَغْنٰىهُمُ اللّٰهُ] و ذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم المدينةَ في ضنك من العيش لا يركبون الخيل و لا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم و قتل للجُلاس مولًى فامر رسولُ الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بديته اثنى عشر الفا فاستغنى [فَإِنْ يَتُوبُوا] هي الآية التي تاب عندها الجُلاس - [فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] بالقتل و النار - روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادعُ الله ان يرزقني مالاً فقال عليه السلام يا ثعلبة قليلٌ تؤدّي شكرَه خيرٌ من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطينّ كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنمتْ كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا و انقطع عن الجماعة و الجمعة فسأل عنه رسولُ الله صلّى الله عليه و آله وسلّم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويحَ ثعلبةَ فبعث رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم مصدّقَيْن لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناسُ بصدقاتهم و مرّا بثعلبةَ فسألاه الصدقةَ واقرأه كتابَ رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم قبل ان يكلّماه يا ويحَ ثعلبةَ مرتين فانزلتْ فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملُك قد امرتُك فلم تُطِعْني فقبض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها و جاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها و هلك في زمن عثمان رضي الله عنه * وقرئ لَنَصَّدَّقَنَّ -

مُعْرِضُونَ ۝ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ۖ إِنْ تَسْتَغْفِرْ

وَ لَتَكُوْنَنَّ بالنون الخفيفة فيهما [مِنَ الصّٰلِحِيْنَ] قال ابن عباس يريد الحج * [فَاَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا] عن الحسن و قتادة ان الضمير للبخل بمعنى ماورثهم البخلُ نفاقا متمكنا في قلوبهم الله كان سببا فيه و داعيا اليه و الظاهر ان الضمير لله عزّ و جلّ و المعنى فخذلهم حتى نافقوا و تمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفكّ عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق و الصلاح و كونهم كاذبين و منه جُعل حُلْف الوعد ثُلُثَ النفاق - و قرىء يُكَذِّبُوْنَ بالتشديد وَاَلَمْ تَعْلَمُوْا بالتاء - و عن عليّ رضي الله عنه [سِرَّهُمْ وَنَجْوٰهُمْ] ما اسرّوه من النفاق و العزم على اخلاف ما وعدوه و ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين و تسمية الصدقة جزية و تدبير منعها * [اَلَّذِيْنَ يَلْمِزُوْنَ] محله النصب - او الرفع على الذمّ - و يجوز ان يكون في محل الجرّ بدلا من الضمير في سِرَّهُمْ وَنَجْوٰهُمْ - و قرىء يَلْمُزُوْنَ بالضم [الْمُطَّوِّعِيْنَ] المتطوّعين المتبرّعين - روي ان رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم حثّ على الصدقة فجاء عبد الرحمٰن بن عوف باربعين اوقية من ذهب - و قيل باربعة آلاف درهم و قال كان لي ثمانية آلاف فاقرضتُ ربي اربعةً وامسكتُ اربعةً لعيالي فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم بارك الله لك فيما اعطيتَ و فيما امسكتَ فبارك له حتى صولحتْ زُوجتُه عن ربع الثمن على ثمانين الفا - و تصدّق عاصم بن عديّ بمائة وسق من تمر - وجاء ابو عَقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بتُّ ليلي اجرّ بالجرير على صاعين فتركتُ صاعا لعيالي و جئتُ بصاع فامره رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون و قالوا ما اعطى عبدُ الرحمٰن و عاصمٌ الا رياءً و ان كان الله و رسوله لَغنيّين عن صاع ابي عَقيل و لكنه احبّ ان يذكر بنفسه ليعطي من الصدقات فنزلت [اِلَّا جُهْدَهُمْ] الّا طاقتهم - قرىء بالفتح و الضم - [سَخِرَ اللّٰهُ مِنْهُمْ] كقوله اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ في انه خبر غير دعاء الترى الى قوله [وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ] * سأل عبد الله بن عبد الله ابن اُبيّ رسولَ الله صلّى الله عليه و آله وسلّم و كان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال ان الله قد رخّص لي فسازيدُ على السبعين فنزلت [سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ اَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ اَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ] وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر و ان فيه معنى الشرط و ذكرنا لذكتة في المجيء به على لفظ الامر و السبعون جار مجرى المَثَل في كلامهم للتكثير - قال عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه * شعر * لاعجزنّ العاصَ وابنَ العاصِ * سبعين الفا عاقدي النواصي * - فان قلت كيف خفي على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو افصح العرب و اخبرهم باساليب الكلام و تضليلاته و الذي يُفهم من ذكر هذا العدد كثرةُ الاستغفار كيف و قد تلاه بقوله [ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَفَرُوْا] الاية فبيّن الصارف عن

سورة التوبة ٩ الجزء ١٠ ع ١٦

لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ ؕ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰسِقِينَ ۝ ع فَرِحَ
الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلٰفَ رَسُولِ اللّٰهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا
فِي الْحَرِّ ؕ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ؕ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ۚ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝
فَإِنْ رَجَعَكَ اللّٰهُ إِلٰى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ؕ
إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ۝ وَلَا تُصَلِّ عَلٰى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلٰى

المغفرة لهم حتى قال قد رخّص لي ربي فسازيد على السبعين - قلت لم يخف عليه ذلك و لكنه خيّل بما قال اظهارا لغاية رحمته و رأفته على من بعث اليه كقول ابراهيم وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ - وفي اظهار النبيّ الرحمة و الرأفة لطف لامّته و دعاء لهم الى ترحّم بعضهم على بعض * [الْمُخَلَّفُونَ] الذين استأذنوا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من المنافقين فاذن لهم و خلّفهم بالمدينة في غزوة تبوك - او الذين خلّفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان - [بِمَقْعَدِهِمْ] بقعودهم عن الغزو [خِلٰفَ رَسُولِ اللّٰهِ] خلفه يقال اقام خلاف الحيّ بمعنى بعدهم ظعنوا و لم يظعن معهم و تشهد له قراءة ابي حيوة خَلْفَ رَسُولِ اللّٰهِ - و قيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا و نهض و انتصابه على انه مفعول له - او حال اي قعدوا لمخالفته - او مخالفين له - [أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ] تعريض بالمؤمنين و بتحمّلهم المشاقّ العظام لوجه الله و بما فعلوا من بذل اموالهم و ارواحهم في سبيل الله و ايثارهم ذلك على الدعة و الخفض و كره ذلك المنافقون فكيف لا يكرهونه و ما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان و داعي الايقان [قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا] استجهال لهم لان من تصوّن من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصوّن في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل و لبعضهم * شعر * مسرّة احقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم اريها شبه الصاب * فكيف بان تلقى مسرة ساعة * وراء تقضّيها مساءة احقاب * * معناه فسيضحكون قليلا و يبكون كثيرا جزاء الّا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره - يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع و لا يكتحلون بنوم - و انما قال [إِلٰى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ] لان منهم من تاب من النفاق و ندم على التخلّف و اعتذر بعذر صحيح - و قيل لم يكن مخلّفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم [فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ] يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك - و [أَوَّلَ مَرَّةٍ] هي الخرجة الى غزوة تبوك و كان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلّفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الّا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلّفين [مَعَ الْخَالِفِينَ] قد مرّ تفسيره - و قرأ مالك بن دينار مَعَ الْخَلِفِينَ على قصر الخالفين - فان قلت مرّة نكرة وضعت موضع المرّات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها و هو دالّ على واحدة من المرّات - قلت اكثر اللغتين هند اكبر النساء و هي اكبر هن ثم ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه و لكن هي اكبر امرأة و اول مرة و آخر مرة - و عن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثنى عشر

سورة التوبة ٩ الجزء ١٠ ع ١٦

قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ۝ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۝ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ

رجلا قيل فيهم ما قيل - روي ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يقوم على قبور المنافقين و يدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبدُ الله بن ابيّ بعث اليه ليأتيَه فلما دخل عليه قال اهلكك حبُّ اليهود فقال يا رسول الله بعثتُ اليك لتستغفرلي لا لتؤنبني و سأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده و يصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حُبابٌ الى جنازته فسأله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحُبابُ اسم شيطان فلما هَمّ بالصلوة عليه قال له عمر أتصلي على عدوّ الله فنزلت - و قيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبرئيل - فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق و تكفينه في قميصه - قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له و ذلك ان العبّاس عمّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لما أُخذ اسيرًا ببدر لم يجدوا له قميصا و كان رجلا طُوالا فكساه عبد الله قميصَه و قال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمّد و لكنّا نأذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوةً حسنةً فشكر رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم له ذلك و اجابةً له الى مسئلته اياه فقد كان عليكم لا يبرق بارقا و كان يتوفر على دواعي المروة و يعمل بعادات الكرام و اكرامًا لابنه الرجل الصالح - فقد روي انه قال له اسألك ان تكفنه في بعض قمصانك و ان تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء و علماً بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه و بين غيره من الاكفان و ليكون لباسه اياه لطفًا لغيره - فقد روي انه قيل له لِمَ وَجّهت اليه بقميصك و هو كافر فقال ان قميصي لن يُغني عنه من الله شيأ و اني أومّل من الله ان يدخل في الاسلام كثيرٌ بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه طلبَ الاستشفاءَ بثوب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و كذلك ترحُّمه و استغفاره كان للدعاء الى التراحم و التعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يُظهر الايمان و باطنُه على خلاف ذلك دعا المسلمَ الى ان يتعطف على من واطأ قلبُه لسانَه و رأْسه حتماً عليه - فان قلت كيف جازت الصلوة عليه - قلت لم يتقدم نهيٌ عن الصلوة عليهم و كانوا يُجرَون مُجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة - و عن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلوة الا اني اعلم ان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم لا يخادَعُ [ماتَ] صفة لاحَد و انما قيل مَاتَ و مَاتُوا بلفظ الماضي و المعنى على الاستقبال على تقدير الكون و الوجود لانه كائن موجود لامحالة - [إِنَّهُمْ كَفَرُوا] تعليل للنهي * و قد أُعيد قوله [وَلَا تُعْجِبْكَ] لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له و تاكيده و ارادة ان يكون على بالٍ من المخاطب لايتساه ولا يسهو عنه و ليعتقد ان العمل به مُهمّ يعتنى الى فضل عناية به لا سيّما اذا ذراخى ما بين النزولين فاشبهَ الشيءَ الذي اهمّ صاحبَه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه و يتخلص اليه و انما أُعيد هذا المعنى لقوله فيما يجب ان يحذر منه * يجوز ان تراد السورة بتمامها و ان يراد بعضها في قوله [وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ] كما يقع القرآن و الكتاب على كله

سورة التوبة ٩
الجزء ١٠
ع ١٧

أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ الْقٰعِدِيْنَ ۝ رَضُوا بِاَنْ يَّكُوْنُوْا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ ۝
لٰكِنِ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهٗ جٰهَدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ ۚ وَاُولٰٓئِكَ لَهُمُ الْخَيْرٰتُ ۖ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ۝
اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ۚ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ۝ وَجَآءَ الْمُعَذِّرُوْنَ مِنَ الْاَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ
وَقَعَدَ الَّذِيْنَ كَذَبُوا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ ۚ سَيُصِيْبُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى
الْمَرْضٰى وَلَا عَلَى الَّذِيْنَ لَا يَجِدُوْنَ مَا يُنْفِقُوْنَ حَرَجٌ اِذَا نَصَحُوْا لِلّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِيْنَ مِنْ سَبِيْلٍ ۚ

و بعضه - و قيل هي بَرَاءَة لان فيها الامر بالايمان و الجهاد [اَنْ اٰمِنُوْا] هي ان المفسرة [اُولُوا الطَّوْلِ] ذووا الفضل و السعة من طال عليه طَوْلًا [مَعَ الْقٰعِدِيْنَ] مع الذين لهم عذر و علة في التخلف [فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ] ما في الجهاد من الفوز و السعادة و ما في التخلف من الشقاء و الهلاك [لٰكِنِ الرَّسُوْلُ] اي ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزوة من هو خير منهم و اخلص نية و معتقدا كقوله فَاِنْ يَّكْفُرْ بِهَا هٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا - فَاِنِ اسْتَكْبَرُوْا فَالَّذِيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ - [الْخَيْرٰتُ] تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ - و قيل الحور لقوله فِيْهِنَّ خَيْرٰتٌ * [الْمُعَذِّرُوْنَ] من عذر في الامر اذا قصر فيه و توانى و لم يجد و حقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل و لا عذر له - او المعتذرون بادغام التاء في الذال و نقل حركتها الى العين - و يجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين و ضمها لاتباع الميم و لكن لم تثبت بهما قراءة و هم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يَعْتَذِرُوْنَ اِلَيْكُمْ اِذَا رَجَعْتُمْ اِلَيْهِمْ - و قرئ الْمُعْذِرُوْنَ بالتخفيف و هو الذي يجتهد في عذر و يحتشد فيه - قيل هم اسد و غطفان قالوا ان لنا عيالا و ان بنا جهدا فَاْذَنْ لنا في التخلف - و قيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيء على اهالينا و مواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله عنكم - و عن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله - و عن قتادة اعتذروا بالكذب - و قرئ الْمُعَذِّرُوْنَ بتشديد العين و الدال من تعذر بمعنى اعتذر و هذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء و الزاء و الصاد في الْمُطَّوِّعِيْنَ وَ يَزَّكّٰى وَاصَّدَّقَ - و قيل اريد المعتذرون بالصحة و به فسر الْمُعَذَّرُوْنَ و لمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر [وَقَعَدَ الَّذِيْنَ كَذَبُوا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ] هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا و لم يعتذروا و ظهر بذلك انهم كذبوا الله و رسوله في ادعائهم الايمان - و قرأ ابي كَذَّبُوْا بالتشديد - [سَيُصِيْبُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ] من الاعراب [عَذَابٌ اَلِيْمٌ] في الدنيا بالقتل و في الاخرة بالنار * [الضُّعَفَآءِ] عن الغزو و الزمنى و [الَّذِيْنَ لَا يَجِدُوْنَ] الفقراء قيل هم مُزَيْنة و جُهَيْنة و بنو عُذْرة - و النصح لله و رسوله الايمان بهما و طاعتهما في السر و العلن و توليهما و الحب و البغض فيهما كما يفعل المتوالي الناصح بصاحبه [عَلَى الْمُحْسِنِيْنَ] على معذورين الناصحين - و معنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم و لا طريق للعاتب عليهم - [قُلْتَ] حال من الكاف في اَتَوْكَ و قد قبله مضمرة كما قيل في قوله اَوْ جَآءُوْكُمْ حَصِرَتْ صُدُوْرُهُمْ اي اذا ما اتوك قائلا لا اَجِدُ تولوا و لقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في

وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَّلَا عَلَى الَّذِيْنَ اِذَا مَآ اَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ اَجِدُ مَآ اَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ۖ تَوَلَّوْا وَّاَعْيُنُهُمْ
تَفِيْضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا اَلَّا يَجِدُوْا مَا يُنْفِقُوْنَ ۝ اِنَّمَا السَّبِيْلُ عَلَى الَّذِيْنَ يَسْتَاْذِنُوْنَكَ وَهُمْ اَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوْا بِاَنْ يَّكُوْنُوْا
مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝ يَعْتَذِرُوْنَ اِلَيْكُمْ اِذَا رَجَعْتُمْ اِلَيْهِمْ ۚ قُلْ لَّا تَعْتَذِرُوْا لَنْ نُّؤْمِنَ
لَكُمْ قَدْ نَبَّاَنَا اللّٰهُ مِنْ اَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُوْلُهٗ ثُمَّ تُرَدُّوْنَ اِلٰى عٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُوْنَ ۝ سَيَحْلِفُوْنَ بِاللّٰهِ لَكُمْ اِذَا انْقَلَبْتُمْ اِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوْا عَنْهُمْ ۚ فَاَعْرِضُوْا عَنْهُمْ ۚ اِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَّمَاْوٰىهُمْ جَهَنَّمُ ۚ
جَزَآءً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ ۝ يَحْلِفُوْنَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۚ فَاِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفٰسِقِيْنَ ۝

ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المؤنة فلم يجدوها - وقيل المستحملون ابو موسى الاشعريّ واصحابه - وقيل البكّاؤن وهم ستة نفر من الانصار [تَفِيْضُ مِنَ الدَّمْعِ] كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأنّ كلها دمع فائض ومِنْ للبيان كقولك اتديك من رجل ومحلُّ الجارّ والمجرور النصب على التمييز [اَلَّا يَجِدُوْا] لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حَزَنًا - فان قلت [رَضُوْا] ما موقعه - قلت هو استيناف كانه قيل ما بالهم استأذنوا وَهُمْ اَغْنِيَآءُ فقيل رَضُوْا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة [الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ] يعني ان السبب في استيذانهم رضاهم بالدناءة وخذلانُ الله اياهم - فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قُلْتَ لَآ اَجِدُ استئنافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تَوَلَّوْا فقيل ما لهم تولّوا باكين فقيل قُلْتَ لَآ اَجِدُ مَا اَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ الّا انه وُسِّط بين الشرط والجزاء كالاعتراض - قلت نعم وبحسن * [لَنْ نُّؤْمِنَ لَكُمْ] علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدَّق فيما يعتذر به فاذا عَلم انه مكذَّب وجب عليه الاخلال به - وقوله [قَدْ نَبَّاَنَا اللّٰهُ مِنْ اَخْبَارِكُمْ] علة لانتفاء تصديقهم لان الله عزّوجلّ اذا اوحى الى رسوله الاعلامَ باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشرّ والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم [وَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ] اتثبتون ام تثبتون على كفركم [ثُمَّ تُرَدُّوْنَ] اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسرّ وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك * [لِتُعْرِضُوْا عَنْهُمْ] فلا توبّخوهم ولا تعاتبوهم [فَاَعْرِضُوْا عَنْهُمْ] فاعطوهم طلبتهم [اِنَّهُمْ رِجْسٌ] تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعتب الدنيءُ ذو البَشَرة والمؤمن يوبّخ على زلّة تفرط منه ليُطهّره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطييرهم [وَمَاْوٰىهُمْ جَهَنَّمُ] يعني وكفتهم النار عقابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم * [لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ] اي غرضهم في احلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم [فَاِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ] فانّ رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عُرضة لعاجل عقوبته واجلها - وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهمٌ انّ رضى المؤمنين يقتضي رضى الله عنهم * قيل هم جدّ بن قيس ومعتّب بن قُشَير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلّموهم - وقيل جاء

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ
يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ع وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

عبد الله بن ابيّ يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا [الْأَعْرَابُ] اهل البدو [أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا] من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحّشهم ونشئهم في بُعْد من مشاهدة العلماء و معرفة الكتاب و السنّة [وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا] و احقّ بجهل [حُدُودَ] الدين و [مَا أَنْزَلَ اللَّهُ] من الشرائع و الاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء و القسوة في الفدادين - [وَاللَّهُ عَلِيمٌ] يعلم حال كل احد من اهل الوبر و المدر [حَكِيمٌ] فيما يصيب به مُسيئَهم ومحسنَهم من عقابه و ثوابه [مَغْرَمًا] غرامةً و خسرانا و الغرامة ما يُنْفقه الرجل و ليس يلزمه لانه لا ينفق الّا تقيةً من المسلمين و رياء لا لوجه الله و ابتغاء المثوبة عنده [وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ] دوائر الزمان دُوَله و عُقَبه انذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة [عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ] دعاء معترض دُعي عليهم بنحو ما دَعَوْا به كقوله عز و علا وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ - و قرئ السُّوْءِ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة - و السَّوْءَة بالفتح و هو ذمّ للدائرة كقولك رجلُ سَوْءٍ في نقيض قولك رجلٌ صدقٍ الى مَن دارت عليه ذامًّا لها [وَاللَّهُ سَمِيعٌ] لما يقولون اذا توجهتْ عليهم الصدقة [عَلِيمٌ] بما يضمرون - و قيل هم أَعْرَابُ اسد وغطفان و تميم [قُرُبَاتٍ] مفعول ثانٍ لِيَتَّخِذُ و المعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله [وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ] لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير و البركة ويستغفر لهم كقوله اللّهم صلّ على آل ابي اوفى و قال تعالى وَصَلِّ عَلَيْهِمْ فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قربات وصلوات [أَلَا إِنَّهَا] شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات و صلوات و تصديقٌ لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفَي التنبيه و التحقيق المُؤْذنين بثبات الامر و تمكّنه و كذلك [سَيُدْخِلُهُمُ] و ما في السين من تحقيق الوعد و ما ادلّ هذا الكلامُ على رضى الله عن المتصدّقين و ان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النيّةُ من صاحبها - و قرئ قُرُبَةٌ بضم الراء - و قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطُه - [السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ] هم الذين صلّوا الى القبلتين - و قيل الذين شهدوا بدرا - و عن الشعبي من بايع بالحديبية و هي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين و من الانصار اهل بيعة العقبة الاولى و كانوا سبعة نفر و اهلُ العقبة الثانية وكانوا سبعين و الذين أمنوا حين قدم عليهم ابو زُرارة مُصْعب بن عمير فعلّمهم القرآن - و قرأ عمر رضي الله عنه و الْأَنْصَارُ بالرفع عطفا على السَّابِقُونَ - و عن عمر رضي الله عنه انه كان يرى ان قوله وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ بغير واو صفة للأنصار حتى قال له زيد انه واو فقال ايتوني بابيّ فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وَآخَرِينَ مِنْهُمْ و اوسط الحشر وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ و اخر الانفال وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ - و روي انه

سورة التوبة ٩ الجزء ١١ ع ١

وَرَضُوا عَنْهُ وَاَعَدَّ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَآ اَبَدًا ط ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ۝ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ
مِّنَ الْاَعْرَابِ مُنٰفِقُوْنَ ج وَمِنْ اَهْلِ الْمَدِيْنَةِ ق مَرَدُوْا عَلَى النِّفَاقِ ق لَا تَعْلَمُهُمْ ط نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ط سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ
ثُمَّ يُرَدُّوْنَ اِلٰى عَذَابٍ عَظِيْمٍ ۝ وَاٰخَرُوْنَ اعْتَرَفُوْا بِذُنُوْبِهِمْ خَلَطُوْا عَمَلًا صَالِحًا وَّاٰخَرَ سَيِّئًا ط عَسَى اللّٰهُ اَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْهِمْ ط

سمع رجلا يقرأه بالواو فقالوا مَن اقرأك قال أُبيّ فدعاه فقال أقرأنيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وانك لتجيع القارئ بالبقاع قال صدقتَ و ان شئتَ قلت شهدنا وغبتم و نصرنا و خذلتم و آوينا وطردتم و من ثمه قال عمر رضي الله عنه لقد كنت أرانا رُفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا - و ارتفع السّٰبِقُوْنَ بالابتداء وخبرُه [رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ] و معناه رضي عنهم لاعمالهم [وَرَضُوْا عَنْهُ] لما اماض عليهم من نعمته الدينية و الدنيوية - و في مصاحف اهل مكة تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا و هي قراءة ابن كثير - و في سائر المصاحف [تَحْتَهَا] بغير مِنْ * [وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ] يعني حولَ بلدتكم و هي المدينة [مُنٰفِقُوْنَ] و هم جُهَيْنة و اسلم و اشجع و غفار كانوا نازلين حولها [وَمِنْ اَهْلِ الْمَدِيْنَةِ] عطف على خبر المبتدأ الذي هو مِمَّنْ حَوْلَكُمْ - و يجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدأ و الخبر اذا قدّرتَ وَمِنْ اَهْلِ الْمَدِيْنَةِ قوم مَرَدُوْا عَلَى النِّفَاقِ على ان مَرَدُوْا صفةٌ موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا - و على الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدأ او صفة مُنٰفِقُوْنَ فُصِل بينها و بينه بمعطوف على خبره [مَرَدُوْا عَلَى النِّفَاقِ] تمهروا فيه من مرن فلان على عمله و مرد عليه اذا دُرِبَ به و ضَرِيَ حتى لان عليه و مهر فيه و دلّ على مرانتهم عليه و مهارتهم فيه بقوله [لَا تَعْلَمُهُمْ] اي يخفون عليك مع فطنتك و شهامتك و صدق فراستك لفرط تنوّقهم في تعامي ما يشكك في امرهم ثم قال [نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ] اي لا يعلمهم الّا الله و ابطّع على سرّهم غيره انهم يُبْطِنون الكفر في سُوَيْداوات قلوبهم ابطاناً و يُبْرِزون لك ظواهر كظواهر المخلصين من المؤمنين لا تشكّ معه في ايمانهم و ذلك انهم مردوا على النفاق و ضَرُوا به فلم يبد البتة [سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ] قيل هما القتل و عذاب القبر - و قيل الفضيحة و عذاب القبر - و عن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرُجْ يا فلان فانك منافق اخرُجْ يا فلان فانك منافق فاخرج ناساً و فضحهم فهذا العذاب الاول و الثاني عذاب القبر - و عن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم و نهك ابدانهم - [اِلٰى عَذَابٍ عَظِيْمٍ] الى عذاب النار * [اعْتَرَفُوْا بِذُنُوْبِهِمْ] اي لم يعتذروا من تخلّفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم و لكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذمّمين نادمين و كانوا ثلثة ابولُبابة مروان بن عبد المُنْذر و اوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام - و قيل كانوا عشرة تسعة منهم اوثقوا انفسهم بلغتم ما نزل في المتخلّفين فَأَيْقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل المسجدَ فصلّى ركعتين و كانت عادته كلّما قدم من سفر مرّ بهم موثّقين فسأل عنهم فذكروا انهم اقسموا ان لا يحلّوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يحلّهم فقال و انا اُقسم ان لا احلّهم حتى اُومَر فيهم

سورة التوبة ٩ الجزء ١١ ع ١

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝
وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

فعرفت وطنهم و عذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك تصدق بها و طهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيا فنزلت خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ [عَمَلًا صَالِحًا] خروجا الى الجهاد [وَآخَرَ سَيِّئًا] تخلفا عنه - عن الحسن و عن الكلبي التوبة و الاثم - فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به - قلت كل واحد منهما مخلوط و مخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطتُ الماءَ و اللبنَ تريد خلطتُ كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطتُ الماءَ باللبن لانك جعلتَ الماء مخلوطًا و اللبنَ مخلوطا به و اذا قلتَ بالواو جعلتَ الماءَ و اللبنَ مخلوطين و مخلوطًا بهما كانك قلتَ خلطتُ الماءَ باللبن و اللبنَ بالماء - و يجوز ان يكون من قولهم بعتُ الشاءَ شاةً و درهمًا بمعنى شاةً بدرهم - فان قلت كيف قيل [أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ] و ماذكرت توبتهم - قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم و هو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم * و [تُطَهِّرُهُمْ] صفة لصدقة - و قرئ تُطَهِّرُهُمْ من طَهَّره بمعنى طَهُره - وَتُطَهِّرُهُمْ بالجزم جوابًا للامر و لم يقرأ وتُزَكِّيهِمْ الا بالياء - و التاء في تُطَهِّرُهُمْ للخطاب او لغيبة المونث - و التزكية مبالغة في تطهير و زيادة فيه و معنى الانماء و البركة في المال [وَصَلِّ عَلَيْهِمْ] و اعطف عليهم بالدعاء لهم و ترحم و السنة ان يدعو لمصدق اصحاب الصدقة اذا خذها - و عن الشافعي أُحِبُّ ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة أجرك الله فيما اعطيتَ و جعله طهورا وبارك لك فيما ابقيتَ - و قرئ [إِنَّ صَلَاتَكَ] على التوحيد [سَكَنٌ لَهُمْ] يسكنون اليه و تطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم [وَاللَّهُ سَمِيعٌ] يسمع اعترافهم بذنوبهم و دعاءهم [عَلِيمٌ] بما في ضمائرهم من الندم و الغم لما فرط منهم * قرئ [أَلَمْ يَعْلَمُوا] بالياء و التاء و فيه وجهان - احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم و تقبل صدقاتهم [أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ] اذا صحت و يقبل الصَّدَقَاتِ اذا صدرت عن خلوص النية و هُوَ للتخصيص و التوكيد [وَأَنَّ اللَّهَ] من شانه قبول توبة التائبين - و قيل معنى التخصيص في هُوَ ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انما الله هو الذي يقبل التوبة و يردها فاقصدوه بها و وجهوها اليه - [وَقُلِ] للمؤاخذين [اعْمَلُوا] فان عسكم لا تخفى خيرا كان او شرا على الله و عباده كما رأيتم و تبين لكم - والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة - فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون و لا يجالسون فما لهم فنزلت - فان قلت فما معنى قوله [وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ] - قلت هو مجاز عن قبوله لها - و عن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل و المعنى انه يتقبلها و يضاعف عليها و قوله [فَسَيَرَى اللَّهُ] وعيد لهم و تحذير من عاقبة الاصرار و الذهول

سورة التوبة ٩
الجزء ١١
ع ١

تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا
ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ

عن التوبة * قرئ [مُرْجَوْنَ] و مُرْجَئُونَ من ارجيته و ارجأته اذا اخرته و منه المرجئة يعني و اخرون من المتخلفين موقوف امرهم [إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ] ان بقوا على الاصرار و لم يتوبوا [وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ] ان تابوا و هم ثلثة كعب بن مالك و هلال بن أمية و مرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم اصحابه ان لايسلموا عليهم و لا يكلموهم و لم يفعلوا كما فعل ابو لبابة و اصحابه من شد انفسهم على السواري و اظمار الجزع و لغم فاما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله و اخلصوا نياتهم و نصحت توبتهم فرحمهم الله [وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] - و في قراءة عبد الله غَفُورٌ رَحِيمٌ - و إِمَّا للعباد اي خافوا عليهم العذاب و ارجوا لهم الرحمة - في مصاحف اهل المدينة و الشام الَّذِينَ اتَّخَذُوا بغير واو لانها قصة على حيالها - و في سائرها بالواو على عطف قصة مَسْجِد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم - روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف و قالوا نبني مسجدا و نرسل الى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم يصلي فيه و يصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل و الزيادة على إخوتهم و هو الذي سماه رسول الله الفاسق و قال لرسول الله يوم أحد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حُنَيْن فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام و ارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة و سلاح فاني ذاهب الى قيصر و آت بجنود و مخرج مُحَمَّدًا و اصحابه من المدينة فبنوا مسجدا بجنب مسجد قباء و قالوا للنبي صلى الله عليه و اله و سلم بَنَيْنا مسجدا لذي العلة و الحاجة و الليلة المطيرة و الشاتية و نحن نُحب ان تصلي لنا فيه و تدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر و حال شغل و اذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فاما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم و معن بن عدي و عامر بن السكن و وحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه و أحرقوه فَفَعل فَأَمَر ان تُتخذ مَكَانَهُ كُناسة تُلقى فيه الجِيَف و القُمامة و مات ابوعامر بالشام بقِنَّسْرين [ضِرَارًا] مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قُباء و معارَّة [وَكُفْرًا] و تقوية للنفاق [وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ] لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قُباء فيفتضّ بهم فاردوا ان يتفرقوا و تختلف كلمتهم [وَإِرْصَادًا] و اعدادا لاجل [مَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] و هو الراهب اعذره له ايصلي فيه و يظهر على رسول الله - و قيل كل مسجد بُني مباهاة او رياء و سُمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو الحق بمسجد الضرار * و عن شقيق انه لم يدرك الصلوة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه

سورة التوبة ٩ الجزء ١١ ع ١

وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ ۝ لَا تَقُمْ فِيْهِ اَبَدًا ؕ لَمَسْجِدٌ اُسِّسَ عَلَى التَّقْوٰى مِنْ اَوَّلِ يَوْمٍ اَحَقُّ اَنْ تَقُوْمَ فِيْهِ ؕ فِيْهِ
رِجَالٌ يُّحِبُّوْنَ اَنْ يَّتَطَهَّرُوْا ؕ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِيْنَ ۝ فَمَنْ اَسَّسَ بُنْيَانَهٗ عَلٰى تَقْوٰى مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ اَمْ

بُني على ضرار و كل مسجد بُني على ضرار او رياء او سُمْعة فان اصله ينتهي الى مسجد الذي بُني ضرارا - و عن عطاء لما فتح الله الامصارَ على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد و ان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما الآخر - فان قلت وَالَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا ما محله من الاعراب - قلت محله النصب على الاختصاص كقوله وَالْمُقِيْمِيْنَ الصَّلٰوةَ - و قيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه و فيمن وصفنا اَلَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا كقوله وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ - فان قلت بم يتصل قوله [مِنْ قَبْلُ] - قلت باتَّخَذُوْا اي اتَّخَذُوْا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف [اِنْ اَرَدْنَا] ما اردنا ببناء هذا المسجد [اِلَّا] الخصلة [الْحُسْنٰى] - او الارادة الحسنى و هي الصلوة و ذكر الله و التوسعة على المصلين - [لَمَسْجِدٌ اُسِّسَ عَلَى التَّقْوٰى] - قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و صلى فيه ايام مقامه بقباء و هي يوم الاثنين و الثلثاء و الاربعاء و الخميس و خرج يوم الجمعة و هو اولى لان الموازنة بين مسجدي قباء اوقع - و قيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة - و عن ابي سعيد الخدري سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مسجد الذي اُسس على التقوى فاخذ حصباءَ فضرب بها الارضَ وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة [مِنْ اَوَّلِ يَوْمٍ] من اول يوم من ايام وجوده [فِيْهِ رِجَالٌ يُّحِبُّوْنَ اَنْ يَّتَطَهَّرُوْا] قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و معه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال اَمؤمنون انتم فسكتَ القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسولَ الله انهم لمؤمنون و انا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون و ربِّ الكعبة فجلس ثم قال يا معشرَ الانصار ان الله عزّ وجلّ قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء و عند الغائط فقالوا يا رسول الله نُتبع الغائطَ الاحجارَ الثلثةَ ثم نُتبع الاحجارَ الماءَ فتلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم رِجَالٌ يُّحِبُّوْنَ اَنْ يَّتَطَهَّرُوْا - وقرئ اَنْ يَطَّهَّرُوْا بالادغام - و قيل هو عامّ في التطهر من النجاسات كلها - و قيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة و يُتبعون الماء اثر البول - و عن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة - و قيل يُحِبُّوْنَ اَنْ يَّتَطَهَّرُوْا بالحُمّى المُكفِّرة لذنوبهم فحُمُّوْا عن آخرهم - فان قلت ما معنى المحبتين - قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه و يحرصون عليه حرص المحبّ للشيء المشتهي له على ايثاره و محبةُ الله اياهم انه يرضى عنهم و يحسن اليهم كما يفعل المحبّ بمحبوبه - قرئ [اَسَّسَ بُنْيَانَهٗ] و اُسِّسَ بُنْيَانُهٗ على البناء للفاعل و المفعول - و اُسُسُ بُنْيَانِهٖ جمع اَساس على الاضافة - و اَسَاسُ بُنْيَانِهٖ بالفتح و الكسر جمع اُسّ - و اَسَاسُ بُنْيَانِهٖ على افعال جمع اُسّ ايضا - و اُسُّ بُنْيَانِهٖ و المعنى افمن اَسَّسَ بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة و هي الحق الذي هو تقوى الله و رضوانه خَيْرٌ اَمْ مَّنْ اسسه

مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ ۝ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً سورة التوبة ٩
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۗ الحزء ١١
ع ٢

على قاعدة هي اضعف القواعد و ارخاها و اوّلها بقاءً وهو الباطل و النفاق الذي مَثَلُه مَثَلُ سفِ جُرُفٍ هارٍ في قلّة الثبات و الاستمساك. وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جُعل مجازا عما ينافي التقوى. فان قلت فما معنى قوله فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. قلت لمّا جعل الجُرُف الهائر مجازا عن الباطل قيل فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ على معنى طاحَ به الباطل في نار جهنم لانه رُشِّح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجُرُف وليصوّران المبطل كانه اسّس بنيانا [عَلَى شَفَا جُرُفٍ] من اودية جهنم [فَانْهَارَ بِهِ] ذلك الجرف فهوى في قعرها. والشفا الحرفُ و الشفيرُ و جرفُ الوادي جانبه الذي يتحفّر اصله بالماء و تجرفه السيولُ فيبقى واهيا. و الهارُ الهائر و هو المتصدّع الذي اشفا على التهدم و السقوط و وزنه فَعَلٌ قُصِر عن فاعل كخَلِف من خالف ونظيره شاكٌ وصاتٌ في شائك و صائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه و اصله هَوِرٌ و شَوِكٌ و صَوِتٌ ولا ترى ابلغ من هذا الكلام و لا ادلّ على حقيقة الباطل و كنه امره. وقرئ جُرْفٍ بسكون الراء. فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى ابن عمر عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّٰهِ بالتنوين. قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نوّن اَلْحَقَها بجعفر. و في مصحف ابيّ فَانْهَارَتْ بِهِ قَوَاعِدُهُ. وقيل حُفرت بقعة من مسجد الضرار فرُئي الدخان يخرج منه. و روي ان مُجمّع بن حارثة كان امامهم في مسجد الضرار فكلّم بنو عمرو بن عوف اصحابُ مسجد قباء عمرَ بن الخطّاب في خلافته ان يأذن لمجمّع فيؤمّهم في مسجدهم فقال لا و لا نُعْمَةَ عَيْنٍ ايئس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجَلْ عليّ فو الله لقد صلّيت بهم و اللّٰهُ يعلم اني لا اعلم ما اضمروه فيه و لو علمتُ ما صلّيتُ معهم فيه كدتُ غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيا فعذره و صدّقه و امره بالصلوٰة بقومه. رِيبَةً شكّا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين. و انما حملهم على بناء ذلك المسجد كُفْرُهم و نفاقهم كما قال جلّ و عزّ ضِرَارًا وَكُفْرًا ولمّا هدمه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم ارتدوا لما غاظهم من ذلك وعَظُم عليهم تصميمًا على النفاق و مقتًا للاسلام فمعنى قوله [لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ] لا يزال هدمه سببَ شكّ و نفاق زائد على شكّهم و نفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم و لا يضمحلّ اثره إِلَّا أَنْ تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ قطعاً و تُفرّق اجزاء فحينئذ يَسْلون عنه و امّا ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكّنة. فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويراً لحال زوال الريبة عنها. و يجوز ان يراد حقيقة تقطيعها و ما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار. وقرئ يُقَطَّعَ بالياء. وتُقَطَّعَ بالتخفيف. وتَقَطَّعَ بفتح التاء بمعنى تتقطّع. وتُقَطِّعَ قُلُوبَهُمْ على ان الخطاب للرسول اي الّا ان تُقطّع انتَ قلوبهم بقتلهم. و قرأ الحسن اِلَى اَنْ. و في قراءة عبد الله وَلَوْ قُطِّعَتْ قُلُوبُهُمْ. و عن طلحة وَلَوْ تَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ

سورة توبة ٩ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ قف وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرٰىةِ وَالْاِنْجِيلِ وَالْقُرْاٰنِ ط وَمَنْ اَوْفٰى بِعَهْدِهِ
الجزء ١١ مِنَ اللّٰهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ط وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ اَلتَّائِبُونَ الْعٰبِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ
ع ٢

على خطاب الرسول او كل مخاطب - وقيل معناه الّا ان يتوبوا توبة تتقطّع بها قلوبهم ندمًا واسفًا على تفريطهم - مثّل الله اثابتهم بالجنّة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالسّروى - وروي تاجرهم فاعلى لهم الثمن - وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا - وعن الحسن انفسًا هو خلقها واموالًا هو رزقها - وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربّي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنّة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل - ومرّ برسول الله اعرابيّ وهو يقرأها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد - [يُقَاتِلُونَ] فيه معنى الامر كقوله تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِاَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ - وقرئ [فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ] على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس [وَعْدًا] مصدر موكّد اخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته [فِي التَّوْرٰىةِ وَالْاِنْجِيلِ] كما اثبته في القرآن ثم قال [وَمَنْ اَوْفٰى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ] لان خلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغنيّ الذي لا يجوز عليه القبيح قطّ ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ * [اَلتَّائِبُونَ] رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدلّ عليه قراءة عبد الله وابيّ رضي الله عنهما اَلتَّائِبِينَ بالياء الى وَالْحٰفِظِينَ نصبا على المدح - ويجوز ان يكون جرًّا صفةً للمؤمنين - وجوّز الزجّاج ان يكون مبتدأً خبره محذوف اي اَلتَّائِبُونَ الْعٰبِدُونَ من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وَكُلًّا وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنٰى - وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يُقَاتِلُونَ - ويجوز ان يكون مبتدأً وخبره الْعٰبِدُونَ وما بعده خبر بعد خبر اي التَّائِبُونَ من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال - وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرأوا من النفاق - و [الْعٰبِدُونَ] الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها و [السَّائِحُونَ] الصائمون شبّهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم - وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانّه * قيل قال صلّى الله عليه وآله وسلّم لعمّه ابي طالب انت اعظم الناس عليّ حقا واحسنهم عندي يدًا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت - وقيل لما افتتح مكّة سأل ايّ ابويه احدث به عهدًا فقيل امّك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امّي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فنزلت وهذا اصحّ لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة - وقيل استغفر لابيه - وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه

الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحٰفِظُونَ لِحُدُودِ اللّٰهِ ط وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝
مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ اٰمَنُوٓا اَنْ يَّسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا اُولِي قُرْبٰى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ اَنَّهُمْ اَصْحٰبُ
الْجَحِيمِ ۝ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ اِبْرٰهِيمَ لِاَبِيهِ اِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَّعَدَهَآ اِيَّاهُ ج فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ اَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّٰهِ تَبَرَّاَ مِنْهُ ط
اِنَّ اِبْرٰهِيمَ لَاَوَّاهٌ حَلِيمٌ ۝ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ اِذْ هَدٰىهُمْ حَتّٰى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَّا يَتَّقُونَ ط اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ اِنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ط يُحْيِي وَيُمِيتُ ط وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ
وَّلَا نَصِيرٍ ۝ لَقَدْ تَّابَ اللّٰهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهٰجِرِينَ وَالْاَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ

وهذا محمّد يستغفر لعمّه [مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ] ما صحّ له الاستغفار في حكم الله وحكمته [مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ اَنَّهُمْ اَصْحٰبُ الْجَحِيمِ] لانهم ماتوا على الشرك - قرأ طلحة وَمَا اسْتَغْفَرَ اِبْرٰهِيمُ لِاَبِيهِ - وعنه وَمَا يَسْتَغْفِرُ اِبْرٰهِيمُ على حكاية الحال الماضية [اِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَّعَدَهَا اِيَّاهُ] اي وعدها ابراهيم اباه وهو قوله لَاَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ - ويدلّ عليه قراءة الحسن وحمّاد الراوية وَعَدَهَا اَبَاهُ - فان قلت كيف خفي على ابراهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده - قلت يجوز ان يظنّ انه مادام يُرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما عُلم بالوحي لان العقل يُجوّز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله عليه السلام لعمّه لَاَسْتَغْفِرَنَّ لك ما لم اُنْهَ - وعن الحسن قيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت - وعن عليّ رضي الله عنه رأيتُ رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابراهيم - فان قلت فما معنى قوله [فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ اَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّٰهِ تَبَرَّاَ مِنْهُ] - قلت معناه فلمّا تبيّن له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ اَنَّهُمْ اَصْحٰبُ الْجَحِيمِ [اَوَّاهٌ] فعّال من اَوَّهَ كَلَّالٍ من اللؤلؤ وهو الذي يُكثر التأوّه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقّته وحلمه كان يتعطّف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لَاَرْجُمَنَّكَ يعني ما امر الله باتّقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبيّن انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسمّيهم ضُلّالا ولا يخذلهم الّا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتّقاء والاجتناب - واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه - وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي ان يُغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخلٌ في حكم الاضلال - والمراد بِمَا يَتَّقُونَ ما يجب اتقاؤه للنبي فامّا ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر وردّ الوديعة فغير موقوف على التوقيف [تَابَ اللّٰهُ عَلَى النَّبِيِّ] كقوله لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَاَخَّرَ وقوله وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الّا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبيّ والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوّابين صفة الانبياء

سورة التوبة ٩ الجزء ١١ ع ٢

قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ۚ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ۚ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ۚ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ

كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح - وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عَفَا اللَّهُ عَنْكَ [فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ] في وقتها والساعةُ مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم * شعر * غداةَ طَفَتْ عَلْمَاءُ بَكْرُ بنُ وائلٍ * عشيةَ قارَعْنا جُذامَ وحَمْيَرا * ع * اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى * والعسرةُ حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدوّد والشعيرَ المسوّس والاهالةَ الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصّها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارّة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة [كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ] عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كادَ ضمير الشان وشبّهه سيبويه بقولهم ليس خلقَ اللهُ مثلَهُ - وقرئ يَزِيغُ بالياء - وفي قراءة عبد الله مِنْ بَعْدِ مَا زَاغَتْ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لُبابة وامثاله [ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ] تكرير للتوكيد - ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم [الثَّلَاثَةِ] كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن اُميّة - ومعنى [خُلِّفُوا] خُلّفوا عن الغزو - وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم - وقرئ خَلَفُوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخلافة وخلوف الفم - وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه خَالَفُوا - وقرأ الاعمش وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الْمُخَلَّفِينَ بِمَا رَحُبَتْ] برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرّون فيها قلقا وجزعا مما هم فيه [وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ] اي قلوبهم لا يسعها اُنس ولا سرور لانها خرجت من فرط الوحشة والغم [وَظَنُّوا] وعلموا [أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ] سخط [اللَّهِ إِلَّا] الى استغفاره [ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا] ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرةً بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا - وليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم [إِنَّ اللَّهَ] توّاب على من تاب ولو عاد في اليوم مائةَ مرة - روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم من بدأ له وكره مكانه فلحق به - عن الحسن انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلّفني الا ظلّك وانتظار ثمرك اذهبْ فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطّأني ولا خلّفني الا الظنّ بك لاجرم والله لاكابدنّ المفاوز حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهلَ ولا مالَ فقال يا نفسِ ما خلّفني الا حبّ الحيوة لك والله لاكابدنّ الشدائد حتى الحقَ برسول الله فتأبّطَ زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يُصرّ عليها - وعن ابي ذرّ الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله

الرَّحِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا

عليه و اله وسلم ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده و يموت وحده و يبعث وحده - و عن ابي خيثمة انه بلغ بستانه و كانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل و بسطت له الحصير و قربت اليه الرطب و الماء البارد فنظر فقال ظل ظليل و رطب يانع و ماء بارد و امرأة حسناء و رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم في الضح و الريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته و اخذ سيفه و رمحه و مر كالريح فمر رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم و استغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلثة قال كعب لما ففل رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني و قال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن بردية و النظر الى عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا و اسلاما و نهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكرنا لنا الناس و لم يكلمنا احد من قريب و لا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا و لا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا و كنت كما وصفني ربي وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ و تتابعت البشارة فلبست ثوبي و انطلقت الى رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم فاذا هو جالس في المسجد و حوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني و قال لقبلك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم و هو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية - و عن ابي بكر الورق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على الذائب الارض بما رحبت و تضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك و صاحبيه [مَعَ الصَّادِقِينَ] - و قرئ مِنَ الصَّدِقِينَ وهم الذين صدقوا في دين الله نية و قولا و عملا او الذين صدقوا في ايمانهم و معاهدتهم الله و رسوله على الطاعة من قوله رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ - و قيل هم الثلثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم و ثباتهم - و عن ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين و الانصار و وافقوهم و انتظموا في جملتهم و اصدقوا مثل صدقهم - و قيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك - و عن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد و لا هزل و لا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرأوا ان شئتم وَكُونُوا مَعَ الصَّدِقِينَ فهل فيما من رخصة [وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ] امروا بان يصحبوه على الباساء و الضراء و يكابدوا معه الاهوال برغبة و نشاط و اغتباط و ان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله و اكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها و عزتها للخوض في شدة و هول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له و لا يكترث لها اصحابها و لا يقيموا لها وزنا و تكون اخف شيء عليهم و اهونه فضلا يربأوا بانفسهم عن متابعتها و مصاحبتها و يضنوا بها على ما سمح بنفسه

سورة التوبة ٩ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ۚ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَا يَطَئُونَ
الجزء ١١ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَا يُنْفِقُونَ
ع ٣ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّٰهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا
كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝ ع

عليه و هذا نهيٌ بليغٌ مع تقديح لامرهم و توبيخ لهم عليه وتهييجٌ لمتابعته بانفة وحميّة. [ذٰلِكَ] اشارة الى ما دلّ عليه قوله مَا كَانَ لَهُمْ اَنْ يَتَخَلَّفُوا من وجوب مشايعته كانه قيل ذٰلِكَ الوجوبُ بسبب [اَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ] شيء من عطش و لا تعب و لا مَجاعة في طريق الجهاد و لا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم و اَخْفاف رواحلهم و ارجلهم و لا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم و يُضيّق صدورهم [وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا] و لا يزرأ بنهم شيأ بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك [اِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ] و استوجبوا الثوابَ و نيلَ الزُّلفى عند الله و ذلك مما يوجب المشايعة - و يجوز ان يراد بالوطء الايقاعُ و الابادةُ لا الوطء بالاقدام و الحوافر كقوله عليه السلام اَخروطأة وطئها اللّٰهُ بوجّ - و المَوْطِئ امّا مصدر كالمَورِد و امّا مكان فان كان مكانا فهو يَغِيظُ الكُفّارَ يغيظهم و طؤه - و النَّيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا موكدا و ان يكون بمعنى المَنيل و يقال نال منه اذا زرأه و نقصه و هو عام في كل ما يسوؤهم و ينكيهم و يُلحق بهم ضررا و فيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام و قعود و مشي و كلام و غير ذلك و كذلك الشرّ - و بهذه الآية استشهد اصحاب ابي حنيفة ان المدد القائم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيشَ في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم و يَنكى فيهم ولقد اسهم النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم لبَني عامر و قد قدما بعد تقضّي الحرب و امدّ ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجرين ابي اُميّة و زيادَ بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا باسهم لهم - و عند الشافعي لا يشارك المددُ الغانمين - و قرأ عُبَيْد بن عُمَيْر ظَمَاءٌ بالمد يقال ظمئ ظماءة و ظمأ [وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً] و لو تمرةً و لو علاقةَ سوط [وَلَا كَبِيرَةً] مثلَ ما انفق عثمان رضي اللّٰه عنه في جيش العُسْرة [وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا] اي ارضا في ذهابهم و مجيئهم و الوادي كل منعرج بين جبال و اكام يكون منفذا للسيل و هو في الاصل فاعلٌ من ودى اذا سال و منه الوَدْي و قد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تَصِلْ في وادي غيرك [اِلَّا كُتِبَ لَهُمْ] ذلك من النفاق و قطع الوادي - و يجوز ان يرجع الضمير فيه الى عَمَلٌ صَالِحٌ - و قوله [لِيَجْزِيَهُمُ] متعلق بكُتِبَ اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء • اللام لتاكيد النفي و معناه ان نفير الكافّة عن ارطائهم لطلب العلم غير صحيح و لا ممكن و فيه انه لو صح و امكن و لم يؤدِّ الى مفسدة لوجب لوجوب التفقّه على الكافّة و لان طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة [فَلَوْلَا نَفَرَ] فهلّا لم يمكن نفير الكافّة و لم يكن مصلحةً فهلّا نفر [مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ - طَائِفَةٌ] اي من كل جماعة

سورة التوبة ٩ الجزء ١ ع ٤ الربع

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ وَإِذَا مَآ
أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ

كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير [لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ] ليتكلفوا الفقاهة ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها [وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ] وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عزوجل لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا [لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ] ارادة ان يحذروا لله فيعملوا عملا صالحا - ووجه آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجدال بالسيف - وقوله لِيَتَفَقَّهُوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم - وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين - إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه [يَلُونَكُمْ] يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وقد حارب رسول الله قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام - وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر - وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا مَن وَلِيَهُمْ ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى - وعن ابن عمر رضي الله عنه انه سئل عن قتال الديلم فقال عليكم بالروم - وقرئ غِلْظة بالحركات الثلث والغِلْظة كالشدة والغُلْظة كالصُعْطة والغَلْظة كالسَخْطة ونحوه وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ - وَلَا تَهِنُوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ [مَعَ الْمُتَّقِينَ] ينصر من اتقاه فلم يتراءف على عدوه [فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ] فمن المنافقين يقول بعضهم لبعض [أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ] السورة [إِيمَانًا] انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وأَيُّكُمْ مرفوع بالابتداء - وقرأ عُبَيْد بن عُمَير أَيَّكُمْ بالفتح على اضمار فعل يفسره زَادَتْهُ تقديره ايكم زادت زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا [فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا] لانها ازيد لليقين والثبات والثلج للصدر - او فَزَادَتْهُمْ عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على

سورة التوبة ٩ عَامٍ مَّرَّةً اَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَاِذَا مَآ اُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ اِلٰى بَعْضٍ ؕ هَلْ يَرٰىكُمْ مِّنْ اَحَدٍ
الجزء ١١ ثُمَّ انْصَرَفُوا ؕ صَرَفَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
ع ٤ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ؕ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ ع

الاعتقاد والعمل [فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا اِلٰى رِجْسِهِمْ] كُفْرًا مضمومًا الى كفرهم لانهم كلما جدّدوا بتجديد الله الوحيَ كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم - قرئ [اَوَلَا تَرَوْنَ] بالياء والتاء [يُفْتَنُونَ] يُبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثمّ لا ينتهون ولا يَتُوبُونَ عن نفاقهم ولا يَذَّكَّرُونَ ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم - او يُبتلون بالجهاد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويعاينون امره وما يُنزل الله عليه من نصرته وتاييده - او يُفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيقتلهم وينكّل بهم ثم لا ينزجرون • [نَظَرَ بَعْضُهُمْ اِلٰى بَعْضٍ] تغامزوا بالعيون انكارًا للوحي وسخريةً به - قائلين [هَلْ يَرٰىكُمْ مِّنْ اَحَدٍ] من المسلمين لننصرف فانّا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذًا يقولون هَلْ يَرٰىكُمْ مِّنْ اَحَدٍ - وقيل معناه وَاِذَا مَآ اُنْزِلَتْ سُورَةٌ في عيب المنافقين - [صَرَفَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ] دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح [بِاَنَّهُمْ] بسبب انهم [قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ] لا يتدبّرون حتى يفقهوا [مِّنْ اَنْفُسِكُمْ] من جنسكم ومن نسبكم عربيٌّ قُرَشيٌّ مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسةَ والمناسبةَ من النتائج بقوله [عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ] اي شديد عليه شاقّ لكونه بعضا منكم عَنَتُكم ولقاؤكم المكروهُ فهو يخاف عليكم سوءَ العاقبة والوقوعَ في العذاب [حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ] حتى لا يخرج احد منكم عن اتّباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به [بِالْمُؤْمِنِينَ] منكم ومن غيركم [رَءُوفٌ رَّحِيمٌ] وقرئ مِنْ اَنْفَسِكُمْ اي من اشرفكم وافضلكم - وقيل هي قراءة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفاطمةَ وعائشةَ رضي الله عنهما - وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله رَءُوفٌ رَّحِيمٌ [فَاِنْ تَوَلَّوْا] فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعنْ وفوّضْ اليه فهو كافيك معرّتهم ولا يضرّونك وهو ناصرك عليهم - وقرئ الْعَظِيمُ بالرفع - وعن ابن عباس العرش لا يَقدر احد قدرَه - وعن اُبيّ بن كعب آخر آية نزلت لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ - عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما نزل عليّ القرآن الّا آية آية وحرفًا حرفًا ما خلا سورةَ براءةَ وقُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ فانهما اُنزلتا عليّ ومعهما سبعون الفَ صفّ من الملٰئكة •

كلماتها ١٨٦١ — سورة يونس مكيّة و هي مائة و تسع آيات واحد عشر ركوعا — حرفها ٧٧٣٣ — سورة يونس ١٠ — الجزء ١١ — ع ٥

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۝

الٓرٰ قف تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ الْحَكِيْمِ ۝ اَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا اَنْ اَوْحَيْنَآ اِلٰى رَجُلٍ مِّنْهُمْ اَنْ اَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ

سورة يونس

[الٓرٰ] تعديدٌ للحروف على طريق التحدّي و [تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ] اشارةٌ الى ما تضمّنته السورةُ من الآيات - و الكتٰب السورة - و [الْحَكِيْمِ] ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها - او وُصف بصفة مُحدثه قال الاعشى • شعر • وغريبة تأتي الملوكَ حكيمةٍ • قد قلتُها ليقالَ مَن ذا قالَها • الهمزةُ لانكار التعجب والتعجيب منه - و [اَنْ اَوْحَيْنَا] اسمُ كانَ و عَجَبًا خبرُهُ - وقرأ ابنُ مسعودٍ عَجَبٌ فجعله اسمًا وهو نكرةٌ و اَنْ اَوْحَيْنَا خبرًا وهو معرفةٌ كقوله • ع • يكون مزاجَها عسلٌ و ماءٌ • والاجود اَنْ تكون كان تامّةً و اَنْ اَوْحَيْنَا بدلاً من عجب - فان قلت فما معنى اللام في قوله اَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا و ما الفرق بينه و بين قولك اَكَانَ عند الناس عجبًا - قلت معناه اَنَّهُمْ جعلوه لهم اُعجوبةً يتعجّبون منها و نصبوه علمًا لهم يوجّهون نحوه استهزاءهم و انكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى - والذي تعجبوا منه اَنْ يُوحى الى بشرٍ و اَنْ يكونَ رجلا من ابناء رجالهم دون عظيم من عُظمائهم فقد كانوا يقولون العجبُ اَنّ الله لم يجدْ رسولا يُرسلهُ الى الناس الّا يتيمَ ابي طالب و اَنْ يَذكُرَ لهم البعثَ و يُنذرَ بالنار و يُبشّر بالجنّة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرُسُل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الّا بشرًا مثلهم وقال اللّٰه تعالى قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْاَرْضِ مَلٰٓئِكَةٌ يَّمْشُوْنَ مُطْمَئِنِّيْنَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُوْلًا و ارسالُ الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لانّ اللّٰه تعالى انّما يختار من استحقّ الاختيارَ لجمعه اسبابَ الاستقلال بما اختيرَ له من النبوّة و الغنى و التقدمُ في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وَمَآ اَمْوَالُكُمْ وَلَآ اَوْلَادُكُمْ بِالَّتِيْ تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفٰى و البعثُ للجزاء على الخير و الشر هو الحكمة العظمى فكيف يكونُ عجبا انّما العجبُ العجيبُ والمنكرُ في العقول تعطيلُ الجزاء [اَنْ اَنْذِرِ النَّاسَ] اَنْ هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول - و يجوز ان تكون المخفّفةُ من المثقّلة و اصله اَنَّهُ انذرِ الناسَ على معنى اَنّ شأنَ قولنا اَنذرِ الناس - و [اَنَّ لَهُمْ] الباء معه محذوف [قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ] اي سابقةً و فضلاً و منزلةً رفيعةً - فان قلت لم سُمّيت السابقةُ قدمًا - قلت لمّا كان السعيُ و السبقُ بالقدم سُمّيت المسعاة الجميلة و السابقةُ قدمًا كما سمّيت النعمةُ يدًا لانها تُعطى باليد و باعًا لانّ صاحبَها يبوعُ بها فقيل لفلان قدمٌ في [illegible] و اضافته الى صدقٍ دلالة على زيادة فضلٍ و انّهُ من السوابق العظيمة - و قيل مقامَ صدقٍ [illegible] هذا الكتاب و ما جاءَ به محمّدٌ لَسِحْرٌ - و من قرأ [لَسٰحِرٌ] فهذا اشارةٌ الى رسول الله [illegible] عجزهم

سورة يونس ١٠ الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ط قال الكفرون إن هذا لسحر مبين ۝ إن ربكم الله الذي خلق السموت
الحزب ١١ والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ج يدبر الأمر ط ما من شفيع إلا من بعد إذنه ط ذلكم الله ربكم
ع ٥ فاعبدوه ط أفلا تذكرون ۝ إليه مرجعكم جميعا ط وعد الله حقا ط إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصلحت بالقسط ط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ۝
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ط ما خلق الله ذلك

و اعترافهم به و إن كانوا كاذبين في تسميته سحرا - وفي قراءة أُبَيّ ما هذا إلا سحر [يُدَبِّرُ] يقضي ويُقدِّرُ على حسب مقتضى الحكمة ويفعل مايفعل المتحري للصواب الناظر في أدبار الامور و عواقبها لئلا يلقاه مايكره آخرا و [الأمر] امر الخلق كله و امر ملكوت السموات و الأرض و العرش - فان قلت ما موقع هذه الجملة - قلت قد دلّ بالجملة قبلها على عظمة شانه و ملكه بخلق السموات و الارض مع بسطتها و اتساعها في وقت يسير و بالاستواء على العرش و أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة و انه لا يخرج امر من الامور من قضائه و تقديره و كذلك قوله [ما من شفيع إلا من بعد إذنه] دليل على العزة و الكبرياء كقوله يوم يقوم الروح و الملئكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن - و [ذلكم] اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو [ربكم] وهو الذي يستحق منكم العبادة [فاعبدوه] وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع [أفلا تذكرون] فان أدنى التفكر و النظر ينبهكم على الخطاء فيما انتم عليه - [إليه مرجعكم جميعا] اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه [وعد الله] مصدر موكد لقوله إليه مرجعكم و [حقا] مصدر موكد لقوله وعد الله [إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده] استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه و هو أن الغرض و مقتضى الحكمة بابتداء الخلق و اعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم - و قرئ أنه يبدؤا الخلق بمعنى لأنه - او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه - و قرئ وعد الله على لفظ الفعل و يبدئ من بدأ - و يجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدأ الخلق كقوله • شعر • احقا عباد الله أن لست جائيا • ولا ذاهبا الا علي رقيب • و قرئ حق أنه يبدؤ الخلق كقولك حق أن زيدا منطلق [بالقسط] بالعدل و هو متعلق بيجزي و المعنى ليجزيهم بقسطه و يوفيهم اجورهم او بقسطهم و بما اقسطوا و عدلوا و لم يظلموا حين آمنوا و عملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم و العصاة ظلام انفسهم و هذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون • الياء في [ضياء] منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها - و قرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا - و الضياء اقوى من النور [وقدره] و قدر القمر و المعنى و قدر مسيره [منازل] - او قدره ذا منازل كقوله تعالى و القمر قدرناه منازل [والحساب] و حساب الاوقات من الشهور و الايام و الليالي [ذلك] اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق

سورة يونس ١٠ الجزء ١١ ع ٦

اِلَّا بِالْحَقِّ ؕ يُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ ۝ اِنَّ فِي اخْتِلَافِ الَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّٰهُ فِي السَّمٰوٰتِ
وَ الْاَرْضِ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَّقُوْنَ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ لَا يَرْجُوْنَ لِقَآءَنَا وَ رَضُوْا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَ اطْمَاَنُّوْا بِهَا وَ الَّذِيْنَ هُمْ
عَنْ اٰيٰتِنَا غٰفِلُوْنَ ۝ اُولٰٓئِكَ مَاْوٰىهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَ عَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ يَهْدِيْهِمْ رَبُّهُمْ
بِاِيْمَانِهِمْ ۚ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمُ الْاَنْهٰرُ فِيْ جَنّٰتِ النَّعِيْمِ ۝ دَعْوٰىهُمْ فِيْهَا سُبْحٰنَكَ اللّٰهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيْهَا سَلٰمٌ ۚ
وَ اٰخِرُ دَعْوٰىهُمْ اَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ۝ ع وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللّٰهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ اِلَيْهِمْ اَجَلُهُمْ ؕ

الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا - وقرئ [يُفَصِّلُ] بالياء * خصّ المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر * [لَا يَرْجُوْنَ لِقَآءَنَا] لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحبّ العاجل عن التفطن للحقائق - اولا يأملون حسن لقاءنا كما يأمله السعداء - اولا يخافون سوء لقاءنا الذي يجب ان يخاف [وَرَضُوْا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا] من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله تعالى اَرَضِيْتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْاٰخِرَةِ [وَ اطْمَاَنُّوْا بِهَا] وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا [يَهْدِيْهِمْ رَبُّهُمْ بِاِيْمَانِهِمْ] يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل [تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمُ الْاَنْهٰرُ] بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها - ويجوز ان يريد يَهْدِيْهِمْ في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله تعالى يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَ الْمُؤْمِنٰتِ يَسْعٰى نُوْرُهُمْ بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ وَ بِاَيْمَانِهِمْ ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صوّر له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صوّر له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار - فان قلت فقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقرن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور - قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بِاِيْمَانِهِمْ اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بيّن واضح لا شبهة فيه [دَعْوٰىهُمْ] دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد - ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة وَاَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله تعالى وَمَا كَانَ صَلٰوتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ اِلَّا مُكَآءً وَّ تَصْدِيَةً [وَاٰخِرُ دَعْوٰىهُمْ] وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح [اَنِ] يقولوا [الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ] ومعنى وَتَحِيَّتُهُمْ فِيْهَا سَلٰمٌ ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام - وقيل هي تحية الملئكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول - وقيل تحية الله لهم - وان هي المخففة من الثقلية واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله * ع * ان هالك كل من يحفى وينتعل * وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد *

سورة يونس ١٠ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ۚ
الجزء ١١ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
ع ٦ الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝
ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ

اصله [وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ] تعجيله لهم الخير فوضع [اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ] موضع تعجيله لهم الخير اشعاراً بسرعة اجابته لهم و سعاته بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم و المراد اهل مكة وقولهم فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه [لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ] لَأَمِيتُوا وَأُهْلِكُوا - وقرئ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ على البناء للفاعل وهو الله عزوجل وينصره قراءة عبدالله لَقَضَيْنَا إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ - فان قلت فكيف اتصل به قوله [فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا] وما معناه - قلت قوله وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا يعجل لهم الشر ولا يقضي اليهم اجلهم فَنَذَرُهُمْ [فِي طُغْيَانِهِمْ] اي فنهملهم ونقيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم [لِجَنْبِهِ] في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا - فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال - قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان مُنْبَطِحًا عاجز النهض مُتَخَاذِلَ النَّوْءِ او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المَمْشَى والمُضْطَرَبَ الى ان يخف كل الخفة ويرق الصحة بكمالها و المَسْحَةَ بتمامها - ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس [مَرَّ] اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد - او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به [كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا] كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال * ع * كَأَنْ ثَدْيَاهُ حُقَّانِ * [كَذَٰلِكَ] مثل ذلك التزيين [زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ] زين الشيطان بوسوسته - او الله بخذلانه وتخليته [مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات [لَمَّا] ظرف لأَهْلَكْنَا والواو في وَجَاءَتْهُمْ للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات - وقوله [وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا] يجوز ان يكون عطفا على ظَلَمُوا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل [كَذَٰلِكَ] مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك [نَجْزِي] كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وقرئ يَجْزِي بالياء [ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ] الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد القرون اللتي اهلكنا

سورة يونس ١٠ الجزء ١١ ع ٦

الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ

لننظرَ اتعملون خيرا او شرّا فيُعاملكم على حسب عملكم و [كَيْفَ] في محل النصب بتَعْمَلُونَ لا بننظُرَ لان معنى الاستفهام فيه يجبُ ان يتقدم عليه عاملُهُ - فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى و فيه معنى المقابلة - قلت هو مستعارٌ للعلم المحقق الذي هو العلمُ بالشيء موجوداً شبّهَ نظر الناظر وعيان المعاين في تحقّقه ، غاظَهم ما في القرآن من ذمّ عبادة الاوثان و الوعيد للمشركين فقالوا [ائْتِ بِقُرْآنٍ] اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتّبعك [أَوْ بَدِّلْهُ] بان تجعل مكان اٰية عذاب اٰية رحمة وتُسقطَ ذكر الالهة و ذمّ عبادتها فأمر بان يُجيبَ عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان و هو ان يضع مكان اٰية عذاب اٰية رحمة مما أُنزل و ان يسقط ذكر الالهة و اما الاتيان بقرآن اخر فغير مقدور عليه للانسان [مَا يَكُونُ لِي] ماينبغي لي و ما يحلّ كقوله تعالى مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ - [أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي] من قبل نفسي - وقرئ بفتح التاء من غيران يأمرني بذلك ربي [إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ] لا اٰتي ولا اذَرُ شيأ من نحو ذلك الا متّبعا لوحي الله و اوامره ان نُسِخَتْ اٰيةٌ تبعتُ النَّسْخَ و ان بدّلتْ اٰية مكان اٰية تبعتُ التبديل و ليس اليَّ تبديل ولا نَسْخٌ [إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي] بالتبديل و النسخ من عند نفسي [عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] - فان قلت أمَا ظهر و تبيّن لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا - قلت بلى و لكنهم كانوا لا يعترفون بالعَجْز وكانوا يقولون لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا - و يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فينسبونه الى الرسول و يزعمونه قادراً عليه و على مثله مع علمهم بانّ العرب مع كثرة فُصَحائها وبُلَغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجزَ - فان قلت لعلّهم ارادوا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ من جهة الوَحْي كما اتيتَ بالقرآن من جهته و ان بقوله مَا يَكُونُ لِي ما يتسهّل لي و ما يُمكنُني ان ابدّله - قلت يَرُدّه قوله إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي - فان قلت فما كان غرضهم وهم أدْهى الناس و انكرهم في هذا الاقتراح - قلت الكيد و المكر أمّا اقتراح ابدال قرآن بقرآن فلعلّه انه مِنْ عندك و انك قادر على مثله فابدِلْ مكانه اٰخر وأمّا اقتراحُ التبديل و التغيير فللطمع والاختبار لحال و انه ان وُجد منه تبديلٌ فامّا ان يُهلكه الله فينحوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديلَ حُجّة عليه و تصحيحاً لافترائه على الله [لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ] يعني ان تلاوته ليست الا بمشيّة الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجلٌ اُمّيٌّ لم يتعلّم و لم يستمع و لم يشاهد العلماء ساعةً من عُمُره و لا نشأ في بلد فيه عُلَماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحاً يبهر كلّ كلام فصيح ويعلو على كل منثور و منظوم مشحوناً بعلوم من علوم الاصول و الفروع و اَخْبار مما كان و مما يكون ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها الا اللّٰهُ

سورة يونس ١٠ الجزء ١١ ع ٦

كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ۝ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ

وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطّلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اموره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احدٌ من اقرب الناس منه والصقهم به [وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ] ولا اعلمكم به على لساني - وقرأ الحسن وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ على لغة من يقول اعطاتُهُ و ارضاتُهُ في معنى اعطيتُهُ و ارضيتُهُ و يعضده قراءة ابن عباس وَلَا أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ وروادُ القراء وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ بالهمز - وفيه وجهان - احدهما ان يقلب الالف همزةً كما قيل لَبَأْتُ بالحج ورثأتُ الميتَ وخلأتُ السويقَ و ذلك لان الالف و الهمزة من واد واحد الثاني ان الالف اذا مسّتها الحركةُ انقلبت همزةً - والثاني ان يكون من درأتُهُ اذا دفعتُهُ و ادرأته اذا جعلتُهُ دارئًا و المعنى ولا جعلتكم بتلاوته خُصَمَاء تدرأونني بالجدال و تكذبونني - و عن ابن كثير وَلَأَدْرَاكُمْ بِهِ بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم وَلَأَعْلَمَكُمْ به على لسان غيري و لكنه يَمُنُّ على من يشاء من عباده فخصّني بهذه الكرامة ورأني لها اهلا دون سائر الناس [فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا] وقرئ عُمْرًا بالسكون يعني فقد اقمتُ فيما بينكم يافعًا وكهلًا لم تعرفوني متعاطيا شيأ من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنتُ متواصفا بعلم وبيانٍ تتهمونني باختراعه [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي و هذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا من اضافة الافتراء اليه [مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا] يحتمل - ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انّه ذو شريك وذو ولد - وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء [مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ] الاوثانُ التي هي جمادٌ اي لا تقدر على نفع ولا ضرّ - وقيل ان عبدوها لم تنفعهم و ان تركوا عبادتها لم تضرّهم و من حق المعبود ان يكون مُثيبًا على الطاعة معاقبًا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللّات واهلُ مكة العُزّى ومناةَ وهُبَل واسافاً ونائلةَ وكانوا [يَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ] و عن المُطّلب بن الحارث اذا كان يومُ القيامة شفعتْ لي اللّات والعُزّى [أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ] أتُخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباءٌ بما ليس بمعلوم لله و اذا لم يكن معلومًا له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيأ لان الشيء ما يُعلَم ويخبر عنه فكان خبرًا ليس له مُخبَرٌ عنه - فان قلت كيف انبأوا اللّٰهَ بذلك - قلت هو توهُّمُ بهم وبما ادّعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلامٌ بان الذي انبأوا به باطل غير مُنطوٍ تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يُخبِرُ الرجلُ الرجلَ بما لا يعلمه - وقرئ أَتُنَبِّئُونَ بالتخفيف وقوله [فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ] تاكيدٌ لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتفٍ معدومٌ [يُشْرِكُونَ] قرئ بالتاء والياء - وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يُشركونهم به او عن اشراكهم [وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً] حُنَفاء متّفقين على ملّة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم الى ان قَتَلَ قابيلُ

لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا ۚ
إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۝ ع وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ
أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ

هابيلَ - وقيل بعد الطوفان حين لم يذرِ الله من الكافرين ديّارا [وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ] وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيٰمة [لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] عاجلًا فيما اختلفوا فيه ولَمُيّز المحقّ من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبتْ ان تكون هذه الدارُ دارَ تكليف و تلك دارَ ثواب وعقاب وقالوا [لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ] ارادوا اٰيةً من الأيات الّتي كانوا يقترحونها و كانوا لا يعتدّون بما انزل عليه من الأيات العظام المتكاثرة الّتي لم يَنْزِلْ على احدٍ من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده اٰيةً باقيةً على وجه الدهر بديعةً غريبةً في الأيات دقيقةَ المسالك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانّه لم ينزل عليه اٰية قطّ حتى قالوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ واحدة مِنْ رَبِّهِ وذلك لفرط عنادهم و تماديهم في التمرّد وانهماكهم في الغيّ [فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ] اي هو المختصّ بعلم الغيب المستأثرُ به لا علم لي ولا لاحد به يعني أنّ انصارف عن انزال الأيات المقترحة امرٌ مُغيَّب لا يعلمه الّا هو [فَانْتَظِرُوا] نزولَ ما اقترحتموه [إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ] لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الأيات • سلّط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلمّا رحمهم طفقوا يَطْعَنون في أيات الله ويُعادون رسولَ الله ويكيدونه وإذا الاولى للشرط و الأخرةُ جوابها وهي للمفاجاة - والمكر اخفاءُ الكيد وطيُّه من الجارية الممكورة المطويّة الخلق - ومعنى [مَسَّتْهُمْ] خالطتهم حتى احسّوا بسوء اثرها فيهم - فان قلت ما وَصْفهم بسرعة المكر فكيف صحّ قوله أَسْرَعُ مَكْرًا - قلت بلى دلّت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال و اذا رَحِمْنا هم من بعد ضرّاء فاجأوا وقوعَ المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يفسحوا رؤسهم من مسّ الضرّاء و لم يتلبّثوا رَيْثما يُسيغون غُصّتهم - والمعنى ان الله تعالى دَبّر عقابكم وهو مُوقعهُ بكم قبل ان تُدبّروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام [إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ] اعلامٌ بانّ ما تظنّونه خافياً مطويًّا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم - و قرئ [يَمْكُرُونَ] بالتاء و الياء - و قيل مكرهم قولهم سُقينا بنَوْء كذا - و عن ابي هريرةَ ان الله لَيُصبّحُ القومَ بالذمة و يُمَسّيهم بها فتُصبح طائفةٌ منهم بها كافرين يقولون مُطرنا بنَوْء كذا - قرأ زيد بن ثابت يَنْشُرُكُمْ ومثله قوله فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ - ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ - فان قلت كيف جُعل الكونُ في الفلك غاية للتسيير والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك - قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير و لكنّ مضمونَ الجملة الشرطية الواقعة بعد حَتّى بما في حيزها كانه قيل يُسيّركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيتَ و كيتَ من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج و الظن للهلاك و الدعاء بالانجاء - فان قلت ما جواب اذا - قلت جاءتها - فان قلت فدعوا - قلت بدلٌ من ظنّوا لانّ دعاءهم من لوازم ظنّهم الهلاكَ فهو ملتبسٌ به - فان قلت ما فائدة عرف الكلام عن

سورة يونس ١٠ الجزء ١١ ع ٧

فِي الْفُلْكِ ۚ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ
مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ
الشَّاكِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ
مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ

الخطاب الى الغيبة - قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليُعَجِّبَهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح - فان قلت ما وجه قراءة امّ الدرداء في الفُلْكِيّ بزيادة ياء النسب - قلت قيل هما زائدتان كما في الخارجيّ والاحمريّ - ويجوز ان يراد به اللُّجّ والماء الغَمْر الذي لا تجري الفلك الّا فيه - والضمير في [جَرَيْنَ] للفُلْك لانه جمع فُلْك كالاُسْد في فَعَل اخي فُعْل - وفي قراءة ام الدرداء للفُلْك ايضا لان الفُلْكِيّ يدلّ عليه [جَاءَتْهَا] جاءت الريح الطيّبة اي تَلَقَّتْها - وقيل الضمير للفُلْك [مِنْ كُلِّ مَكَانٍ] من جميع امكنة الموج [أُحِيطَ بِهِمْ] اي أُهلكوا جُعل احاطةُ العدوّ بالحيّ مثلا في الهلاك [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] من غير اشراك به لانهم لا يَدْعون حينئذٍ غيرَه معه [لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا] على ارادة القول اولانّ دَعَوْا من جملة القول [يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ] يُفْسدون فيها ويعيثون متراقين في ذلك مُمْعِنين فيه من قولك بغى الجُرْحُ اذا ترامى الى الفساد - فان قلت ما معنى قوله [بِغَيْرِ الْحَقِّ] والبغي لا يكون بحق - قلت بَلَى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكَفَرَة وهدمُ دُوْرهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم كما فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ببني قُرَيْظَة - قرئ [مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] بالنصب - فان قلت ما الفرق بين القراءتين - قلت اذا رفعتَ كان المَتَاع خبراً للمبتدأ الذي هو بَغْيُكُمْ وعَلَى أَنْفُسِكُمْ صلته كقوله فَبَغَى عَلَيْهِمْ ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعةُ الحيوة الدنيا لابقاء لها - واذا نصبتَ فعَلَى أَنْفُسِكُمْ خبرٌ غيرُ صلة معناه انما بغيكم وبالٌ على انفسكم ومَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا في موضع المصدر المؤكّد كانه قيل يتمتّعون متاعَ الحيوة الدنيا - ويجوز ان يكون الرفع على هو مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بعد تمام الكلام - وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم انه قال ولا تمكر ولا تُعِنْ ماكرا ولا تَبْغِ ولا تُعِنْ باغيا ولا تَنْكُثْ ولا تُعِنْ ناكثا وكان يتلوها - وعنه عليه السلام اسرعُ الخير ثَوَابا صلةُ الرَّحِم واعجلُ الشرّ عقابا البغيُ واليمينُ الفاجرةُ - وروي ثِنْتان يعجّلهما الله تعالى في الدنيا البغيُ وعقوقُ الوالدين - وعن ابن عباس لو بغى جبلٌ على جبلٍ لَدُكَّ الباغي - وكان المامون يتمثّل بهذين البيتين في اخيه * شعر * ياصاحبَ البغي ان البغي مصرعةٌ * فارْبَعْ فخيرُ فَعَالِ المرء اعدلُهُ * فلو بغى جبلٌ يوماً على جبل * لاندكّ منه اعاليه واسفلُهُ * وعن محمد بن كعب ثلثٌ مَن كُنّ فيه كُنّ عليه البغيُ والنكثُ والمَكْر قال الله تعالى إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ * هذا من التشبيه المركّب شبهتْ حال الدنيا في سرعة تقضّيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حُطاماً بعد ما التفّ وتكاثف وزيّن الارض بخضرته ورفيفه [illegible] فاشتبك بسببه حتى خالط

السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ
وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ۚ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾

بعضه بعضاً [اَخَذَتِ الْاَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ] كلام فصيح جعلت الارض اخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فائتسقتها و تزينت بغيرها من الوان الزين و اصل ازّيّنت تزيّنت فادغم و بالاصل قرأ عبد الله - وقرئ وَ ازيّنت على افعلت من غير اعلال الفعل كاعيلت اي صارت ذات زينة - وَ ازْيَانَّتْ بوزن ابياضّت [قٰدِرُوْنَ عَلَيْهَا] متمكنون من منفعتها محصّلون لثمرتها راءون انفسهم [اَتٰهَا اَمْرُنَا] و هو ضرب زرعها بعض العاهات بعد امنهم و استيقانهم انه قد سلم [فَجَعَلْنٰهَا] فجعلنا زرعها [حَصِيْدًا] شبيهاً بما يُحصد من الزرع في قطعه و استيصاله [كَاَنْ لَّمْ تَغْنَ] كَاَنْ لم تَغْنَ زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لابدّ منه و الا لم يستقم المعنى - و قرأ الحسن كَاَنْ لَّمْ يَغْنَ بالياء على انّ الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع - و عن مروان انه قرأ على المنبر كَاَنْ لَّمْ يَتَغَنَّ بِالْاَمْسِ من قول الاعشى • ع • طويل الثواء طويل التَّغَنّ • والأمس مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تَغْنَ انفاً • دَارِ السَّلٰمِ] الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها - و قيل السّلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه و قيل و لفشوّ السلام بينهم و تسليم الملئكة عليهم الا قيلاً سلاماً سلاماً - [وَ يَهْدِيْ] ويوفق [مَنْ يَّشَاءُ] وهم الذين علم ان اللطف يُجدي عليهم لان مشيّته تابعة لحكمته و معناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام و لا يدخلها الا المهديون • [اَلْحُسْنٰى] المثوبة الحسنى [وَ زِيَادَةٌ] و ما يزيد على المثوبة و هي التفضّل و يدلّ عليه قوله تعالى وَ يَزِيْدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهٖ - و عن علي رضي الله عنه الزِّيَادَةُ غُرْفَةٌ من لؤلؤة واحدة - و عن ابن عباس اَلْحُسْنٰى الجنة و الزِّيَادَةُ عشر امثالها - و عن الحسن عشر امثالها الى سبع مائة ضعف - و عن مجاهد الزِّيَادَةُ مغفرة من الله و رضوان - و عن يزيد بن شجرة الزِّيَادَةُ ان تُمِرَّ السحابة باهل الجنة فتقول ما تُريدون أن أُمطركم فلا يريدون شيأ الا امطرتهم - و زعمت المستهزئة و المجبرة ان الزِّيَادَةُ النظر الى وجه الله - و جاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهلُ الجنة الجنةَ نودوا ان يا اهلَ الجنة فيُكشف الحجاب فينظرون اليه فو الله ما اعطاهم الله شيأ هو احبّ اليهم منه [وَلَا يَرْهَقُ وُجُوْهَهُمْ] لا يغشاها [قَتَرٌ] غبرة فيها سواد [وَلَا ذِلَّةٌ] و لا اثر هوان و كسوف حال و المعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكاراً لما يُقذفهم منه برحمته الا ترى الى قوله تعالى تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ - وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ - فان قلت ما وجه قوله [وَ الَّذِيْنَ كَسَبُوا السَّيِّاٰتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا] وكيف يتلاءم - قلت لا يخلو اما ان يكون وَالَّذِيْنَ كَسَبُوا معطوفا على قوله لِلَّذِيْنَ اَحْسَنُوا كانه قيل و للذين كسبوا السيّئات جزاءُ سيئة بمثلها و اما ان يقدّر وجزاء الذين كسبوا السيّئات جزاءُ سيئةٍ بمثلها على معنى جزاؤهم ان يجازى سيئةٌ واحدةٌ بسيئة مثلها لا يُزاد عليها و هذا ارجح من الاول لان في الاول عطفا على

سورة يونس ١٠ الجزء ١١ ع ٧

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ط مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ج كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ
قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ط أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ج هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا
مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ج فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا
عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ۝ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

عاملين و ان كان الاخفش يُجيزه و في هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضلُ لانه دلّ بترك الزيادة على السيئة على عدله ودلّ ثمّه باثبات الزيادة على المثوبة على فضله - وقرئ يَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ بالياء [مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ] اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه - و يجوز ما لهم من جهة الله و من عنده مَن يعصمهم كما يكون للمؤمنين [مُظْلِمًا] حال من اللَّيْل - ومن قرأ قِطْعًا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له و تعضده قراءة أُبيّ بن كعب كَأَنَّمَا يَغْشَى وُجُوهَهُمْ قِطْعٌ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٌ - فان قلت اذا جعلت مُظْلِمًا حالاً من اللَّيل فما العاملُ فيه - قلت لا يخلو - امّا ان يكون أُغْشِيَتْ من قبل أنّ مِنَ اللَّيْلِ صفةٌ لقوله قِطَعًا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة - و امّا ان يكون معنى الفعل في مِنَ اللَّيْلِ • [مَكَانَكُمْ] الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يُفعل بكم و [أَنْتُمْ] أكّد به الضمير في مَكَانَكُمْ لسدّه مسدّ قوله الزموا - [وَشُرَكَاؤُكُمْ] عطف عليه - و قرئ وَشُرَكَائُكُمْ على أنّ الواو بمعنى مع و العامل فيه ما في مَكَانَكُمْ من معنى الفعل [فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ] ففرّقنا بينهم وقطّعنا اقرانهم و الوُصَل التي كانت بينهم في الدنيا - او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف و تبرّؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا - وقرئ فَزَايَلْنَا بَيْنَهُمْ كقوله صاعر خدّه و صعّره و كالمته و كلّمته [مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ] انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتّخذوا لله اندادًا فأطعتموهم • [إِنْ كُنَّا] هي المخففة من الثقيلة - و اللام هي الفارقة بينها و بين النافية و هم الملٰئكة و المسيح و مَن عبدوه من دون الله من أولي العقل - وقيل الاصنام يُنطقها اللهُ عزّ و جلّ فتشافههم بذلك مكانَ الشفاعة التي زعموها و علّقوا بها أطماعهم - [هُنَالِكَ] في ذلك المقام و في ذلك الموقف - اوفي ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان [تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ] تختبر و تذوق [مَا أَسْلَفَتْ] من العمل فتعرف كيف هو اقبيحٌ ام حسنٌ انافعٌ ام ضارٌّ امقبولٌ ام مردودٌ كما يختبر الرجل الشيء و يتعرّفه ليكتنه حالَه و منه قوله تعالى يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ - وعن عاصم نَبْلُوا كُلَّ نَفْسٍ بالنون و نصب كُلَّ اي نختبرها باختبار ما أَسْلَفَتْ من العمل فتعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنًا فهي سعيدةٌ و ان كان سيّأً فهي شقيّةٌ و المعنى نفعل بها فعلَ الخابر كقوله تعالى لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا - ويجوز ان يراد نُصيب بالبلاء و هو العذاب كلَّ نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشرّ - و قرئ تَتْلُوا اي تتبع ما اسلفت لانّ عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنّة او الى طريق النار - او تقرأ في صحيفتها ما قدّمت من خير او شر [مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ] ربّهم الصادق ربوبيته

سورة يونس ١٠ الجزء ١١ ع ٨ النصف

يَفْتَرُونَ ۝ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ط وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ط فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ط فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ج فَمَاذَا
بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ج فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ هَلْ
مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ط قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ

لانهم كانوا يتولّون ما ليس لربوبيته حقيقة - او الذي يتولّى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا - وقرئ الحقّ بالفتح على تاكيد قوله رُدُّوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحقّ لا الباطل - او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد [وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ] و ضاع عنهم ما كانوا يدّعون انهم شركاء لله - او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب و شفاعة الآلهة [قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته و يوسّع رحمته [مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ] من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سُوّيا عليه من الفطرة العجيبة - او من يحميهما و يحصّنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته و حفظه [وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ] و من يلي تدبير امر العالم كلّه جاء بالعموم بعد الخصوص - [أَفَلَا تَتَّقُونَ] افلا تقون انفسكم و لا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال • [ذَٰلِكُمْ] اشارة الى من هذه قدرته و افعاله [رَبُّكُمُ الْحَقُّ] لثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقّق النظر [فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ] يعني ان الحق و الضلال لا واسطة بينهما فمن تخطّى الحق وقع في الضلال [فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ] عن الحق الى الضلال و عن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء • [كَذَٰلِكَ] مثل ذلك الحق [حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ] اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال - او كما حقّ انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقّت كلمة ربك [عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا] اي تمرّدوا في كفرهم وخرجوا الى الحدّ الاقصى فيه - و [أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك - او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان و ان ايمانهم غير كائن - او اراد بالكلمة العدة بالعذاب و انهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون - فان قلت كيف قيل لهم [هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ] و هم غير معترفين بالاعادة - قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادّا للظاهر البيّن الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلّما معترفا بصحته عند العقلاء - وقال لنبيه [قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ] فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم و مكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلّم عنهم • يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله مَنْ لَا يَهِدِّي - وقرئ لَا يَهِدِّي بفتح الهاء وكسرها و تشديد الدال و الاصل يهتدي فادغم و فتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها - و قرئ إِلَّا أَنْ يُهَدَّىٰ من هداه و هداه للمبالغة و منه

سورة يونس - ١١ ع ٨

مَنْ يَّهِدِّيْٓ اِلَى الْحَقِّ ۭ قُلِ اللّٰهُ يَهْدِيْ لِلْحَقِّ ۭ اَفَمَنْ يَّهِدِّيْٓ اِلَى الْحَقِّ اَحَقُّ اَنْ يُّتَّبَعَ اَمَّنْ لَّا يَهِدِّيْٓ اِلَّآ
اَنْ يُّهْدٰى ۚ فَمَا لَكُمْ ۣ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَ ۝ وَمَا يَتَّبِعُ اَكْثَرُهُمْ اِلَّا ظَنًّا ۭ اِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِيْ مِنَ الْحَقِّ شَيْـــًٔا ۭ اِنَّ
اللّٰهَ عَلِيْمٌۢ بِمَا يَفْعَلُوْنَ ۝ وَمَا كَانَ هٰذَا الْقُرْاٰنُ اَنْ يُّفْتَرٰى مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَلٰكِنْ تَصْدِيْقَ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيْلَ الْكِتٰبِ لَا رَيْبَ فِيْهِ مِنْ رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَ ۝ اَمْ يَقُوْلُوْنَ افْتَرٰىهُ ۭ قُلْ فَاْتُوْا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهٖ وَادْعُوْا مَنِ

قولهم تهدى و معناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركّب في المكلّفين من العقول و عطاهم من التمكين للنظر في الادلّة التي نَصَبَها لهم و بما لطف بهم و وفّقهم و ألهمهم و أخطر ببالهم و وفّقهم على الشرائع فهل من شُرَكائكم الذين جعلتم انداداً لله احدٌ من اشرفهم كالملئكة و المسيح و عُزَير يهدي الى الْحَقِّ مثل هدائة الله ثم قال [اَفَمَنْ يَّهِدِّيْٓ اِلَى الْحَقِّ] هذه الهداية [اَحَقُّ] بالاتباع [اَمَّنْ] الذي [لَّا يَهِدِّيْٓ] اي لا يهتدي بنفسه - او لا يهدي غيره الّا اَنْ يهديه الله - و قيل معناه ام لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه - [اِلَّآ اَنْ يُّهْدٰى] لّا ان يُنقل او لا يهتدي و لا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيواناً مكلّفاً فيهديه [فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَ] بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله [وَمَا يَتَّبِعُ اَكْثَرُهُمْ] في اقرارهم بالله [اِلَّا ظَنًّا] لانه قول غيرُ مستند الى برهان عندهم [اِنَّ الظَّنَّ] في معرفة الله [لَا يُغْنِيْ مِنَ الْحَقِّ] و هو العلم [شَيْـــًٔا] - وقيل ما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهةٌ و انها شفعاءُ عند الله اِلّا الظنّ و المراد بالاكثر الجميع [اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌۢ] وعيدٌ على ما يفعلون من اتباع الظنّ و تقليد الآباء - و قرئ تَفْعَلُوْنَ بالتاء ٭ [وَمَا كَانَ هٰذَا الْقُرْاٰنُ] افتراءً [مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَلٰكِنْ] كان [تَصْدِيْقَ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ] وهو ما تقدّمَهُ من الكُتُب المنزّلة لانه معجز دونها فهو عيارٌ عليها و شاهدٌ لصحّتها كقوله تعالى هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ - و قرئ وَلٰكِنْ تَصْدِيْقُ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيْلُ الْكِتٰبِ على ولكنْ هو تصديقُ و تفصيلُ - و معنى وَمَا كَانَ ان يُفْتَرٰى و ما صحّ و ما استقام و كان محالاً ان يكون مثله في علوّ امره و اعجازه مفترىً - [وَتَفْصِيْلَ الْكِتٰبِ] و تبيين ما كُتِبَ و فُرض من الاحكام و الشرائع من قوله كُتِبَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ - فان قلت بم اتصل قوله [لَا رَيْبَ فِيْهِ مِنْ رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَ] - قلت هو داخل في حيّز الاستدراك كانه قال و لكن كان تصديقا و تفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين - و يجوز ان يراد و لكن كان تصديقًا من رب العٰلمين و تفصيلا منه لاريب في ذلك فيكون مِنْ رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَ متعلقا بتَصْدِيق و تَفْصِيْل و يكون لَا رَيْبَ فِيْهِ اعتراضا كما تقول زيدٌ لا شكّ فيه كريمٌ [اَمْ يَقُوْلُوْنَ افْتَرٰىهُ] بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجّة عليهم - او انكار لقولهم و استبعادٌ و المعنيان متقاربان [قُلْ] ان كان الامر كما تزعمون [فَاْتُوْا] انتم على وجه الافتراء [بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهٖ] فانتم مثلي في العربية و الفصاحة - و معنى بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهٖ اي شبيهة به في البلاغة و حسن النظم - و قرئ بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهٖ على الاضافة اي بسورة كتاب مثله [وَادْعُوْا] من دون الله [مَنِ اسْتَطَعْتُمْ] من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني انّ الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احدٌ

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝ بَلْ كَذَّبُوْا بِمَا لَمْ يُحِيْطُوْا بِعِلْمِهٖ وَلَمَّا يَاْتِهِمْ تَاْوِيْلُهٗ ؕ كَذٰلِكَ كَذَّبَ
الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظّٰلِمِيْنَ ۝ وَمِنْهُمْ مَّنْ يُّؤْمِنُ بِهٖ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهٖ ؕ وَرَبُّكَ
اَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِيْنَ ۝ ع وَاِنْ كَذَّبُوْكَ فَقُلْ لِّيْ عَمَلِيْ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۚ اَنْتُمْ بَرِيْٓـُٔوْنَ مِمَّآ اَعْمَلُ وَاَنَا بَرِيْٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُوْنَ ۝
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّسْتَمِعُوْنَ اِلَيْكَ ؕ اَفَاَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوْا لَا يَعْقِلُوْنَ ۝ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّنْظُرُ اِلَيْكَ ؕ اَفَاَنْتَ

غيره فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه ﴿اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ﴾ ثم ابتداء ﴿بَلْ كَذَّبُوْا﴾ بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن و فاجأوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه و يعلموا كُنْهَ امره و قبل ان يتدبّروه و يقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عمّا يخالف دينهم و شرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشيء على التقليد من الحشوية اذا احسّ بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وانكانت أضوأ من الشمس في ظهور الصحة و بيان الاستقامة انكرها في اول وَهْلة واشمأزّ منها قبل ان يُحسّ ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه و فساد ما عداه من المذاهب - فان قلت ما معنى التوقع في قوله ﴿وَلَمَّا يَاْتِهِمْ تَاْوِيْلُهٗ﴾ - قلت معناه انهم كذّبوا به على البديهة قبل التدبّر ومعرفة التاويل تقليداً للآباء وكذبوه بعد التدبّر تمرداً و عناداً فذمّهم بالتسرّع الى التكذيب قبل العلم به و جاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعدُ علوّ شانه و اعجازَه لمّا كُرّر عليهم التحدّي و رازوا قُواهم في المعارضة و استيقنوا عجزهم عن مثله فكذّبوا به بغيًا و حسدًا ﴿كَذٰلِكَ﴾ اي مثل ذلك التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني قبل النظر في معجزات الانبياء و قبل تدبّرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلّدوا الآباء و عاندوا - و قيل هو في الذين كذّبوا وهم شاكّون - ويجوز ان يكون معنى ﴿وَلَمَّا يَاْتِهِمْ تَاْوِيْلُهٗ﴾ ولم يأتهم بعدُ تاويلُ ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبيّن لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتابٌ معجزٌ من جهتين من جهة اعجاز نظمه و من جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرّعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه و يُلوغه حدّ الاعجاز و قبل ان يَخْبُروا اخباره بالمغيبات و صدقَه وكذبَه * ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُّؤْمِنُ بِهٖ﴾ يصدّق به في نفسه و يعلم انه حقّ ولكنه يعاند بالتكذيب و منهم من يشكّ فيه لا يُصدّق به - او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به و منهم من سيصرّ - ﴿وَرَبُّكَ اَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِيْنَ﴾ بالمعاندين او المصرّين * ﴿وَاِنْ كَذَّبُوْكَ﴾ و ان تمادوا على تكذيبك و يَئِسْتَ من اجابتهم فتبرّأ منهم وخلّهم فقد اعذرتَ كقوله تعالى ﴿فَاِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ اِنِّيْ بَرِيْٓءٌ﴾ - و قيل هي منسوخة بآية السيف * ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّسْتَمِعُوْنَ اِلَيْكَ﴾ معناه و منهم ناس يستمعون اليك اذا قرأتَ القرآن وعلّمتَ شرائع ولكنهم لا يعون و لا يقبلون وناسٌ ينظرون اليك و يُعاينون ادلّة الصدق و أعلام النبوّة ولكنهم لا يُصدّقون - ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصمّ ولو انضمّ الى صممهم عدمُ عقولهم لان الاصمّ العاقل ربما تفرّس و استدلّ اذا وقع في صماخه دويُّ الصوت فاذا اجتمع سلبُ السمع و العقل جميعا فقد تمّ الامر واتحسب انك تقدر على هداية العُمْي ولو انضمّ الى العمى و هو فقد البصر فقدُ

سورة يونس ١٠ الجزء ١١ ع ٩

تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَيَوْمَ
يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝
وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ۚ
فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ

البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس و يتظنن و اما العمى مع الحمق مجهدة البلاء يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا و يصدقوا كالصم و العمي الذين لا بصائر لهم ولا عقول - و قوله [أَفَأَنْتَ] دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم و هدايتهم الا الله عز وجل بالقسر و الالجاء كما لا يقدر على رد الصم و العمى المسلوبي العقل حديدي السمع و البصر راجعي العقل الا هو وحده • [إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا] اي لا ينقصهم شيأ مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل و انزال الكتب و لكنهم يظلمون انفسهم بالكفر و التكذيب - و يجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيمة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل و الاستيجاب و لا يظلمهم الله به و لكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه • [إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ] يستقربون وقت لبثهم في الدنيا - و قيل في القبور لهول ما يرون [يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ] يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا و ذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم - فان قلت كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا و يَتَعَارَفُونَ كيف موقعهما - قلت - امّا الاولى فحال منهم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة - و اما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف و إمّا ان يكون مبينة لقوله كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً لان التعارف لا يبقى مع طول العهد و ينقلب تناكرا [قَدْ خَسِرَ] على ارادة القول اي يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قائلين ذلك - او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم و المعنى انهم وضعوا في تجارتهم و بيعهم الايمان بالكفر [وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ] للتجارة عارفين بها و هو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم • [فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ] جواب نَتَوَفَّيَنَّكَ و جواب نُرِيَنَّكَ محذوف كانه قيل وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ فِي الدنيا فذاك أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل ان نُرِيَكَه فنحن نُرِيكَهُ في الآخرة - فان قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى [ثُمَّ] - قلت ذكرت الشهادة و المراد مقتضاها و نتيجتها و هو العقاب كانه قال ثُمَّ اللَّهُ مُعَاقِبٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ - و قرأ ابن ابي عبلة ثُمَّ بالفتح اي هنالك - و يجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم و السنتهم و ايديهم و ارجلهم شاهدة عليهم • [وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ] يبعث اليهم ليذكرهم على التوحيد و يدعوهم الى دين الحق [فَإِذَا جَاءَ] هم [رَسُولُهُمْ] بالبينات فكذبوه و لم يتبعوه [قُضِيَ بَيْنَهُمْ] اي بين النبي و مكذبيه [بِالْقِسْطِ] بالعدل فَنُجِّيَ الرسول و عذب المكذبون كقوله وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا - و لكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه و تدعى به فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمُ الموقف ليشهد عليهم بالكفر و الايمان كقوله تعالى وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ • مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ]

أَ آمِلكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۖ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ۝ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ۖ آلْآنَ
وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ۚ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۝
وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ

استعجال لما وُعدوا من العذاب استبعاداً له [لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا] من مرض او فقر [وَلَا نَفْعًا] من صحة او غنى [إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ] استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب [لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ] يعني ان عذابكم له اجلٌ مضروبٌ عند الله وحدٌّ محدودٌ من الزمان [إِذَا جَاءَ] ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالةَ فلا تستعجلوا - وقرأ ابن سيرين فَإِذَا جَاءَ آجَالُهُمْ • [بَيَاتًا] نصب على الظرف بمعنى وقتَ بيات - فان قلت هلّا قيل ليلاً او نهاراً - قلت لانه اريد ان اتاكم عذابُهُ وقتَ بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يجيئ العدوّ المباغتُ والبياتُ بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله [نَهَارًا] معناه في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ - ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ - الضمير في [مِنْهُ] للعذاب والمعنى ان العذابَ كلّه مكروهٌ مُرّ المذاق موجبٌ للنفار فاي شيء يستعجلون منه وليس شيءٌ منه يوجب الاستعجالَ - ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب ان يكون مِنْ للبيان في هذا الوجه - وقيل الضمير في مِنْهُ لله تعالى - فان قلت بِمَ يتعلق الاستفهام واين جواب الشرط - قلت تعلق بأَرَأَيْتُمْ لان المعنى اخبروني مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ - وجوابُ الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطاءَ فيه - فان قلت هلّا قيل ماذا تستعجلون منه - قلت اُريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حقّ المجرم ان يخاف التعذيبَ على اجرامه ويهلك فزعاً من مجيئه وان أبطأ فحقٌّ ان يستعجله - ويجوز ان يكون مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ جواباً للشرط كقولك ان اتيتَني ماذا تُطعمني ثم تتعلق الجملة بأَرَأَيْتُمْ - وان يكون [أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ] جوابَ الشرط ومَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ اعتراضاً والمعنى اين اتاكم عذابُهُ آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمانُ ودخولُ حرف الاستفهام على ثُمَّ كدخوله على الواو والفاء في قوله أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى - أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى - [آلْآنَ] على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به ، وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ] يعني وقد كذبتم به تكذيبَ من كان استعجالهم على جهة التكذيب والانكار - وقرئ آلْآنَ بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام • [ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] عطف على قيل المضمر قبل آلْآنَ • [وَيَسْتَنْبِئُونَكَ] ويستخبرونك فيقولون [أَحَقٌّ هُوَ] وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء - وقرأ الاعمش أَحَقٌّ هُوَ وهو ادخل في الاستهزاء المتضمّن معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل - او اهو الذي سميتموه الحق - والضمير للعذاب الموعود

سورة يونس ١٠ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ط وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ج وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝
الجزء ١١ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ط أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
ع ١٠ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ يٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ۝ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ط هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

و[إِيْ] بمعنى نَعَمْ في القَسَم خاصَّةً كما كان هَلْ بمعنى قد في الاستفهام خاصَّة وسمعتهم يقولون في التصديق إِيْوَ فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده [وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ] بفائتين العذاب وهو لاحقٌ بكم لا محالة [ظَلَمَتْ]صفة لنَفْسٍ على وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نفس ظالمة [مَا فِي الْأَرْضِ]اي ما في الدنيا اليومَ من خزائنها و اموالها و جميع منافعها على كثرتها [لَافْتَدَتْ بِهِ] لَجَعَلَتْه فديةً لها يقال فداه فافتدى و يقال افتداه ايضاً بمعنى فداه [وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ] لانهم بُهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه و لم يخطر ببالهم و عاينوا مِنْ شدة الامر و تفاقُمه ما سَلَبهم قُوَاهم و بَهرهم فلم يُطيقوا عندَه بُكاءً ولا صُراخاً ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار النَّدَم و الحسرة في القلوب كما ترى المُقدَّم للصَّلب يُثخنه ما دَهِمه من فظاعة الخَطْب و يُعلَب حتى لا يَنْبِس بكلمة و يبقى جامداً مَبْهوتاً - وقيل اسَرَّ رؤساؤهم الندامةَ من سَفَلتهم الذين اطلّوهم حياءً منهم وخوفاً من توبيخهم - وقيل اسرّوها اخلصوها امّا لانّ اخفاءها اخلاصها و امّا من قولهم سِرُّ الشَّيءِ لِخالِصه وفيه تَهَكُّم بهم و باخطائهم وقت اخلاص الندامة - وقيل أَسَرُّوا النَّدَامَةَ اظهروها من قولهم اسرّ الشيء و اشرّه اذا اظهره و ليس هناك تجلّد - [وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] اى بين الظالمين و المظلومين دلّ على ذلك ذكر الظلم * ثم اَتْبع ذلك الاعلامَ بان له الملك كله و انه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب و العقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره و الى حسابه و جزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخافَ و يرجى ولا يغترّ به المغترّون * [قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ] اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة و تنبيه على التوحيد هو [شِفَاءٌ] اي دواء [لِمَا فِي] صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاءٌ الى الحق [وَرَحْمَةٌ] لمن آمن به منكم * اَصْل الكلام [بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ] فليفرحوا [فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا] و التكرير للتاكيد و التقرير و ايجاب اختصاص الفضل و الرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه و الفاءُ داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصّوهما بالفرح فانه لا مفروح به احقّ منهما - ويجوز ان يراد بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فليعتنوا فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا - ويجوز ان يراد قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ - بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فبمجيئها فَلْيَفْرَحُوا - وقُرِئ فَلْتَفْرَحُوا بالتاء و هو الاصل و القياس وهي قراءة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فيما رُوي - وعنه لِتَأْخُذُوا مَضَاجِعَكُمْ قالها في بعض الغزوات - وفي قراءة أُبَيّ فَافْرَحُوا - [هُوَ] راجع الى ذٰلِكَ - وقرئ [مِمَّا تَجْمَعُونَ] بالياء و التاء - وعن ابيّ بن كَعْب اَنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم تلا قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فقال بكتاب الله و الاسلام - وقيل فضله الاسلام و رحمته

لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ۗ قُلْ آللّٰهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّٰهِ تَفْتَرُونَ ۝ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ
يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۗ إِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝ ع وَمَا تَكُونُ
فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْاٰنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۗ وَمَا يَعْزُبُ
عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتٰبٍ مُبِينٍ ۝

ما وعد عليه (أَرَءَيْتُمْ) أخبروني و [مَّا أَنزَلَ اللّٰهُ] ما في موضع النصب بأنزل او بأرءيتم في معنى أخبروني
[فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا] اي انزله الله رزقا حلالا كله فجعلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله هٰذِهِ
أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ - مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا - [آللّٰهُ أَذِنَ لَكُمْ] متعلق
بأرءيتم و قُلْ تكريرٌ للتوكيد و المعنى اخبروني اللّٰهُ أَذِنَ لَكُمْ في التحليل و التحريم فانتم تفعلون ذلك
باذنه ام تتكذبون على الله في نسبة ذلك اليه - و يجوز ان تكون الهمزة للانكار و أَمْ منقطعة بمعنى بل اتفترون
على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يُسئل عنه من الاحكام و باعثة على وجوب
الاحتياط فيه و ان لا يقول احدٌ في شيء جائز او غير جائز الا بعد ايقان و اتقان و من لم يُوقن فليتق الله
و ليصمُت و الا فهو مفتر على الله [يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] منصوبٌ بالظن و هو ظنٌّ واقعٌ فيه يعني اي شيء
ظنُّ المفترين في ذلك اليوم ما يصنعُ بهم فيه و هو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة و هو وعيدٌ عظيم حيث
أبهم امره - و قرأ عيسى بن عمر وَمَا ظَنَّ على لفظ الفعل و معناه و اي ظن ظنُّوا يوم القيٰمة و جيء به
على لفظ الماضي لانه كائنٌ فكأنّ قد كان [إِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ] حيث انعم عليهم بالعقل
و رحمهم بالوحي و تعليم الحلال و الحرام [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ] هذه النعمة و لا يتبعون ما هُدُوا اليه
[وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ] مَا نافية و الخطابُ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و الشأنُ الامر و اصله الهمز
بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده - و الضمير في [مِنْهُ] للشان لان تلاوة القرآن شأنٌ من شان
رسول الله بل هو مُعظم شانه - او للتنزيل كانه قيل وَمَا تَتْلُوا من التنزيل مِنْ قُرْاٰنٍ لان كل جزء منه قرآن
و الاضمارُ قبل الذكر تفخيمٌ له - او لله عز و جل - و ما [تَعْمَلُونَ] انتم جميعا [مِنْ عَمَلٍ] اي عمل كان
[إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا] شاهدين رقباء نُحصي عليكم [إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ] من افاض في الامر اذا اندفع فيه
[وَمَا يَعْزُبُ] قرئ بالضم و الكسر و ما يبعد و ما يغيب و منه الرواض العازب - [وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا
أَكْبَرَ] القراءة بالنصب و الرفع و الوجه النصب على نفي الجنس و الرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه
- وفي العطف على محل مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ او على لفظ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكالٌ
لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكلٌ - فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله
في سورة سبا عٰلِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ - قلت حق السماء ان
تُقدَّم على الارض و لكنه لمَّا ذكر شهادته على شؤن اهل الارض و احوالهم و اعمالهم و وصل بذلك قوله

سورة يونس ١٠ الحزب ١١ ع ١١

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللّٰهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ ٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ اللّٰهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ ٦٤ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا ۚ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ٦٥ أَلَآ إِنَّ لِلّٰهِ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ

لا يَعْزُبُ عَنْهُ لاَدَمَ ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية - [أَوْلِيَاءَ اللّٰهِ] الذين يتولونه بالطاعة و يتولاهم بالكرامة و قد فسر ذلك في قوله [الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] فهو توليهم اياه [لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ] فهو توليه اياهم - وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سُئل مَن اولياءُ الله فقال هم الذين يُذكَرُ اللّٰهُ برؤيتهم يعني السمتَ و الهيئةَ - وعن ابن عباس الاخباتَ والسكينةَ - وقيل هم المتحابون في الله - وعن عُمَر رضي الله عنه سمعتُ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم يقول إنّ مِنْ عباد الله عباداً ما هم بانبياء و لا شهداء تَغبطهم الانبياءُ و الشهداءُ يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خَبِّرنا مَن هم و ما اعمالهم فلعلّنا نُحِبّهم قال هم قوم تحابّوا في الله على غير أرْحام بينهم و لا اموال يتعاطونها فوالله انّ وجوههم لنورٌ و انهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناسُ و لا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية - اَلَّذِينَ آمَنُوا نصبٌ او رفعٌ على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء و أُخبر لَهُمُ الْبُشْرَىٰ - و البشرى في الدنيا ما بشّر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه - وعن النبيّ صلى الله عليه و آله وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او تُرى له - وعنه عليه السلام ذهبت النبوّة وبقيت المبشّرات - وقيل هي محبة الناس له و الذكر الحسن - وعن ابي ذرّ قلتُ لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الرجلُ يعمل العمل لله و يُحبّه الناس فقال تلك عاجلُ بشرى المؤمن - وعن عطاء لَهُمُ الْبُشْرَىٰ عند الموت تأتيهم الملئكة بالرحمة قال الله تعالى تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ و اما البشرى في الأخرة فتلقي الملئكة اياهم مسلّمين مبشّرين بالفوز و الكرامة و ما يرون من بياض وجوههم و اعطاء الصحائف بأيمانهم و ما يقرؤن منها و غير ذلك من البشارات [لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ اللّٰهِ] لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله تعالى مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ - و [ذٰلِكَ] اشارة الى كونهم مبشّرين في الدارين و كلتا الجملتين اعتراض - [وَلَا يَحْزُنْكَ] و قرئ وَلَا يُحْزِنْكَ من أحزنه [قَوْلُهُمْ] تكذيبهم و تبديدهم و تشاورهم في تدبير هلاكك و ابطال امرك و سائر ما يتكلّمون به في شانك [إِنَّ الْعِزَّةَ] استيناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل إنّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا اي ان الغلبة و القهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيأ منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم و ينصرك عليهم كَتَبَ اللّٰهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي - أَنَا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا - و قرأ ابو حَيْوة أَنَّ الْعِزَّةَ بالفتح بمعنى لأنّ العزة على صريح التعليل ومَنْ جعله بدلاً من قَوْلُهُمْ ثم اذكره فالمذكّر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة به [هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] يسمع ما يقولون و يعلم ما يدبّرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك • [مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ] يعني العُقَلاء المميّزين وهم الملئكة

شُرَكَاءَ ط إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ط
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ط هُوَ الْغَنِيُّ ط لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ ط إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ط أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ ع

و الثقلان و انما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له و في ملكته فهم عبيد كلهم و هو سبحانه و تعالى ربهم و لا يصلح احد منهم للربوبية و لا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا و شريكا و ليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد و ترك النظر - و معنى وما يتبعون شركاء اي و ما يتبعون حقيقة الشركاء و ان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال - [إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا] ظنهم انها شركاء [وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ] يحزرون و يقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا - و يجوز ان يكون وَمَا يَتَّبِعُ في معنى الاستفهام بمعنى و اي شيء يتبعون وَشُرَكَاءَ على هذا نصب بِيَدْعُونَ و على الاول بِيَتَّبِعُ و كان حقه و مَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة - و يجوز ان يكون مَا موصولة معطوفة على مَنْ كانه قيل و لله مَا يَتَّبِعُهُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ اي و لله شركاؤهم - و قرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تَدْعُونَ بالتاء و وجهه ان يحمل وَمَا يَتَّبِعُ على الاستفهام اي و اي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملئكة و النبيين يعني انهم يتبعون الله و يطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ - ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال إِنْ يتبع هؤلاء المشركون إِلَّا الظَّنَّ و لا يتبعون ما يتبع الملئكة و النبيون من الحق - ثم نبه على عظيم قدرته و نعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة بانه جَعَلَ لهم اللَّيْلَ مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش [وَالنَّهَارَ] مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم و مكاسبهم [لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ] سماع معتبر متذكر • [سُبْحَانَهُ] تنزيه له عن اتخاذ الولد و تعجب من كلمتهم الحمقاء [هُوَ الْغَنِيُّ] علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من ولد و ما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا - [لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا [إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَٰذَا] ما عندكم من حجة بهذا القول و الباء حقها ان تتعلق بقوله إِنْ عِنْدَكُمْ على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موركاء قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان [أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين دل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل و ليس بعلم • [يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ] باضافة الولد اليه - [مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا] اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا و ذلك حيث ينعمون برياستهم في الكفر مناصبة النبي صلى الله عليه و اله وسلم بالتظاهر به ثم يلقون

سورة يونس ١٠ الجزء ١١ ع ١٢

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ۘ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيٰتِ اللّٰهِ فَعَلَى اللّٰهِ
تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ۝ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ
فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللّٰهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنٰهُ وَمَنْ

الشقاء المؤبّد بعده [كَبُرَ عَلَيْكُمْ] عظم عليكم و شقّ و ثقُل و منه قوله تعالى وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ويقال تعاظمه الامرُ [مَقَامِي] مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلانٌ ثقيلُ الظلّ و منه وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ بمعنى خاف ربّه - او قيامي و مكثي بين اظهركم مُدَداً طوالاً الف سنة الا خمسين عاما - او مقامي و تذكيري لانهم كانوا اذا وَعَظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بيّناً وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريّين قائما و هم قعود [فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ] من أجمع الامر و اجمعه اذا نواه و عزم عليه قال ع • هل أغدُوَنْ يوماً و امري مجمعُ • والواو بمعنى مع يعني فَأَجْمِعوا امركم مع شركائكم - و قرأ الحسن وَشُرَكَاؤُكُمْ بالرفع عطفا على الضمير المتصل و جاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول ضربْ زيدًا و عمرٌو - و قرئ فَأَجْمِعُوا من الجمع - وَشُرَكَاءَكُمْ نصب للعطف على المفعول اولان الواو بمعنى مع - وفي قراءة ابيّ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ - فان قلت كيف جاز اسناد الجماع الى الشركاء - قلت على وجه التهكّم كقوله قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِي - فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يُجْمعونه و امرهم الذي لا يكون عليهم غُمّة - قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي و احتشدوا فيه و ابذلوا وُسْعكم في كيدي و اما قال ذلك اظهارا لثقة بمبالاته وثقته بما وعده ربّه من كلاءته وعصمته و انهم لن يجدوا اليه سبيلا - واما الثاني فوجهان - احدهما ان يراد مصاحبتهم له و ما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم افعلوني لئلا يكون عيشكم بسببي غُصّة و حالكم عليكم غُمّة اي غمًّا و همًّا و الغمّ و الغُمّة كالكرب و الكربة - و الثاني ان يريد به ما اريد بالامر الاول و الغُمّة السترة من غمّه اذا ستره و منها قوله عليه السلام و لا غُمّة في فرائض الله اي لا تُستر و لكن يجاهر بها يعني و لا يكُنْ قصدكم الى اهلاكي مستوراً عليكم و لكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به [ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ] ذلك الامر الذي تريدون بي اي أدّوا اليّ قطعه و تصحيحه كقوله تعالى وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذٰلِكَ الْأَمْرَ او ادّوا اليّ ما هو حقّ عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه [وَلَا تُنْظِرُونِ] و لا تُمهلوني - و قرئ ثُمَّ انْضُوا إِلَيَّ بالفاء بمعنى ثم انفذوا اليّ بشرّكم - و قيل هو من افضى الرجلُ اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به اليّ و ابرزوه لي [فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ] فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي [فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ] مما كان عندي ما يُنفّركم عني و تتّهموني لاجله من طمع في امرائكم و طلب اجر على عظتكم [إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللّٰهِ] و هو الثواب الذي يُثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا [وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] الذين لا يأخذون على تعليم

مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنٰهُمْ خَلٰٓئِفَ وَاَغْرَقْنَا الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا ۚ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِيْنَ ۝ ثُمَّ
بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهٖ رُسُلًا اِلٰى قَوْمِهِمْ فَجَآءُوْهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ فَمَا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْا بِمَا كَذَّبُوْا بِهٖ مِنْ قَبْلُ ؕ كَذٰلِكَ نَطْبَعُ
عَلٰى قُلُوْبِ الْمُعْتَدِيْنَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُّوْسٰى وَهٰرُوْنَ اِلٰى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهٖ بِاٰيٰتِنَا فَاسْتَكْبَرُوْا وَكَانُوْا
قَوْمًا مُّجْرِمِيْنَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوْٓا اِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِيْنٌ ۝ قَالَ مُوْسٰٓى اَتَقُوْلُوْنَ لِلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَكُمْ ؕ اَسِحْرٌ هٰذَا ؕ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُوْنَ ۝ قَالُوْٓا اَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ اٰبَآءَنَا وَتَكُوْنَ لَكُمَا الْكِبْرِيَآءُ

الدين شيأ و لا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام و الذي كل مسلم مامور به و المرد ان يجعل الحجة لازمة لهم و يبرّئ ساحته فذكر ان تولّيهم لم يكن عن تفريط منه في سَوْق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه و انما ذلك لعنادهم و تمرّدهم لا غير [فَكَذَّبُوْهُ] فتمّوا على تكذيبه و كان تكذيبهم له في اٰخر المدة المطاولة كتكذيبهم في اولها و ذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان [وَجَعَلْنٰهُمْ خَلٰٓئِفَ] يخلفون الهالكين بالغرق [كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِيْنَ] تعظيمٌ لما جرى عليهم و تحذيرٌ لمن انذرهم رسولُ الله صلّى الله عليه و اٰله وسلّم عن مثله و تسليةٌ له • [مِنْ بَعْدِهٖ] من بعد نوح [رُسُلًا اِلٰى قَوْمِهِمْ] يعني هودا و صالحا و ابراهيم و لوطا و شعيبا [فَجَآءُوْهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ] بالحُجج الواضحة المثبتة لدعواهم [فَمَا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْا] فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدّة شكيمتهم في الكفر و تصميمهم عليه [بِمَا كَذَّبُوْا بِهٖ مِنْ قَبْلُ] يريد انهم كانوا قبل بِعْثة الرسل اهلَ جاهلية مكذّبين بالحق فما وقع فصلٌ بين حالتيهم بعد بِعثة الرسل و قبلها كأنْ لم يبعث اليهم احد - [كَذٰلِكَ نَطْبَعُ] مثل ذلك الطبع المحكم نطبع [عَلٰى قُلُوْبِ الْمُعْتَدِيْنَ] و الطبعُ جارٍ مجرى الكناية عن عنادهم و لجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء و وصفهم به [مِنْ بَعْدِهِمْ] من بعد الرسل [بِاٰيٰتِنَا] بالايات التسع [فَاسْتَكْبَرُوْا] عن قبولها و هو اعظم الكبر ان يتهاون العبيدُ برسالة ربّهم بعد تبيُّنها و يتعظّموا عن تقبُّلها [وَكَانُوْا قَوْمًا مُّجْرِمِيْنَ] كفّارا ذوي اٰثام عظام فلذلك استكبروا عنها و اجترأوا على ردّها • [فَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا] فلما عرفوا انه هو الحقّ و انه من عند الله لا من قبل موسى و هٰرون [قَالُوْا] لحُبّهم الشهوات [اِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِيْنٌ] و هم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الّا تمويهاً و باطلاً - فان قلت هم قطعوا بقولهم اِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِيْنٌ على انه سحر فكيف قيل لهم اَتَقُوْلُوْنَ - اَسِحْرٌ هٰذَا - قلت فيه اوجه - ان يكون معنى قوله [اَتَقُوْلُوْنَ لِلْحَقِّ] اتعيبونه و تطعنون فيه و كان عليكم ان تذعنوا له و تعظّموه من قولهم فلانٌ يخاف القالة و بين الناس تقاولٌ اذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه و نحو القول الذكرُ في قوله سَمِعْنَا فَتًى يَّذْكُرُهُمْ ثم قال [اَسِحْرٌ هٰذَا] فانكر ما قالوه في عيبه و الطعن عليه - و ان يحذف مفعول اَتَقُوْلُوْنَ و هو ما دلّ عليه قولهم اِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِيْنٌ كانه قيل اتقولون ما تقولون يعني قولهم اِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِيْنٌ ثم قيل اَسِحْرٌ هٰذَا - و ان يكون جملة قوله اَسِحْرٌ هٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُوْنَ حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح - وَلَا يُفْلِحُ

سورة يونس ١٠ فِي الْأَرْضِ ۖ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَحِيرٍ عَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ
جزء ١١ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۝ فَلَمَّا أَلْقَوْا ۚ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ ۖ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ
ع ١٣ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ
قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ۖ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ۝
وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ۝ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ

لسَّاحِرُونَ] كما قال موسى [السِّحْرَ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ * [لِتَلْفِتَنَا] لتصرفنا والَّفْت والقلب اخوان ومطاوعهما الالتفات والانقلاب [عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا] يعنون عبادة الاصنام [وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ] اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبّارُ ووصف بالصيد والشوس ولذلك وصف ابنُ الرقيات مُصْعباً في قوله * شعر * ملكه ملك رأفة ليس فيـــه جبروت منه ولا كبرياء * بنفي ما عليه الملوك من ذلك - ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارضَ مصر تجبَّرا وتكبَّرا كما قال القبطي لموسى إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ [وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ] اي مصدّقين لكما فيما جئتما به - وقرئ يَطْبَعُ - وَيَكُونَ لَكُمَا بالياء * [مَا جِئْتُمْ بِهِ] مَا موصولة واقعة مبتدأ و [السِّحْرُ] خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سمّاه فرعون وقومه سحرًا من آيات الله - وقرئ آلسِّحْرُ على الاستفهام فعلى هذه القراءة مَا استفهامية اي اي شيء جئتم به ا هو السحر - وقرأ عبد الله مَا جِئْتُمْ بِهِ سِحْرٌ - وقرأ ابيّ مَا أَتَيْتُمْ بِهِ سِحْرٌ والمعنى لا ما اتيتُ به [إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ] سَيَمْحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشَّعْوَذَة [لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ] لا يُثْبته ولا يديمه ولكن يُسلّط عليه الدمار [وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ] و يُثْبته [بِكَلِمَاتِهِ] باوامره وقضاياه - وقرئ بِكَلِمَتِهِ باوامره و مشيّته * [فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ] في اول امره [إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ] الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دَعَا الآباءَ فلم يجيبوه خوفًا من فرعون واجابَتْه طائفة من ابنائهم مع الخوف - وقيل الضمير في قَوْمِهِ لفرعون و لذرية مؤمنُ آل فرعون و آسيةُ امرأتُه و خازنهُ و امرأةُ خازنه و ما شطتُه - فان قلت الامُ يرجع الضمير في قوله [وَمَلَائِهِمْ] - قلت الى فِرْعَوْنَ بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعةُ و مضرُ اولاده ذو الصحاب يأتمرون له - و يجوز ان يرجع الى الذرّية اي على خوف من فرعون و خوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اتباعهم خوفا من فرعون عليهم و على انفسهم و يدل عليه قوله [أَنْ يَفْتِنَهُمْ] يريد ان يعذّبهم فرعون - [لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ] لغالب فيها قاهر [وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ] في الظلم و الفساد و في الكبر و العتوّ بادّعائه الربوبية * [إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ] صدّقتم به و بآياته [فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا] فانيه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شَرَط في التوكل الاسلامَ وهو ان يُسْلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمةً خالصةً لا حظَّ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط و نظيره في الكلام انْ ضربكَ زيدٌ فاضربهُ ان كانت بك قوة * [فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا] انما قالوا ذلك

سورة يونس ١٠ الجزء ١١ ع ١٣

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَ ۝ وَ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ ۝ وَ اَوْحَيْنَآ اِلٰى مُوْسٰى
وَ اَخِيْهِ اَنْ تَبَوَّاٰ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوْتًا وَّ اجْعَلُوْا بُيُوْتَكُمْ قِبْلَةً وَّ اَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ ؕ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ ۝ وَ قَالَ
مُوْسٰى رَبَّنَآ اِنَّكَ اٰتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَاَهٗ زِيْنَةً وَّ اَمْوَالًا فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۙ رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيْلِكَ ۚ رَبَّنَا اطْمِسْ
عَلٰٓى اَمْوَالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْا حَتّٰى يَرَوُا الْعَذَابَ الْاَلِيْمَ ۝ قَالَ قَدْ اُجِيْبَتْ دَّعْوَتُكُمَا

ان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قَبِلَ توكُّلهم و اجاب دعاءهم و نجاهم و اهلك من كانوا يخادونه و جَعَلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص - [لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً] موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا و يفتنوننا عن ديننا - او فِتْنَةً لهم يفتتنون بنا و يقولون لو كان هؤلاء على الحق لَمَا اصيبوا * تَبَوَّأَ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطناً و المعنى اجْعَلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما و مرجعا يرجعون اليه للعبادة و الصلوة فيه [وَّ اجْعَلُوْا بُيُوْتَكُمْ] تلك [قِبْلَةً] اي مساجد متوجهة نحو القبلة و هي الكعبة وكان موسى و من معه يصلون الى الكعبة و كانوا في اول امرهم مامورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكَفَرة لئلا يظهروا عليهم فيُؤذيهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة - فان قلت كيف نوع الخطاب مثنّى اولاً ثم جُمع ثم وُحّد اخرا - قلت خوطب موسى و هارون عليهما السلام ان يتبوأا لقومهما بيوتا و يختاراها للعبادة و ذلك مما يفوّض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاماً لهما و لقومهما باتخاذ المساجد و الصلوة فيها لان ذلك واجبٌ على الجمهور ثم خُصّ موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيما له وللمبشّر بها * [الزِّيْنَة] ما يتزين به من لباس او حُليّ او فُرُش او أثاث او غير ذلك - و عن ابن عباس كانت لهم من فُسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة و زبرجد و ياقوت - فان قلت ما معنى قوله [رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيْلِكَ] - قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله رَبَّنَا اطْمِسْ - وَاشْدُدْ وذلك انه لمّا عَرَض عليهم ايات الله و تبيناته عرضا مكرّرا و ردّد عليهم النصائح و المواعظ زمانا طويلا و حَذّرهم عذاب الله و انتقامه و أنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر و الضلال المبين ورأهم لا يزيدون على عرض الايات الا كفرا و على الانذار الا استكبارا و عن النصيحة الا ابَاءً و لم يبق له مطمع فيهم و عَلِم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا بَغْيٌ و ضلال و ان ايمانهم كامحال الذي لا يدخل تحت الصحة او عَلِم ذلك بوحي من الله اشتدّ غضبه عليهم و افرط مقته و كراهته لحالهم فدعا اللّٰهَ عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس و اخزى الله الكَفَرَة مع علمك انه لا يكون غير ذلك و ليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة و انهم لا يستاهلون الا ان تُخَذَلوا و يخلّى بينهم و بين صلاحهم يتمكّنون فيه كانه قال ليتمادوا على ما هم عليه من الضلال و ليكونوا ضُلّالاً وليبطع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا و ما عليّ منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا ما لم يقبل منه حسرةٌ على مافاتَه من قبول نصيحته و حرصًا عليه

وَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا
وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝
آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۖ

لا ان يريد خلاعته و اتباعه هواه و معنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها ايمان [فَلَا يُؤْمِنُوا] جواب الدعاء الذي هو اشْدُدْ - او دعاء بلفظ النهي و قد حملت اللام في لِيُضِلُّوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال مكانهم ارتوها ليضلوا - و قوله فَلَا يُؤْمِنُوا عطف على لِيُضِلُّوا - و قوله رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ دعاء معترض بين المعطوف و المعطوف عليه - و قرأ الفضل الرقاشي إِنَّكَ أَتَيْتَ على الاستفهام وَاطْمُسْ بضم الميم - قرئ دَعْوَاتُكُمَا قيل كان موسى يدعو و هرون يؤمن - و يجوز ان يكونا جميعا يدعوان و المعنى ان دعاءكما مستجاب و ما طلبتما كائن و لكن في وقته [فَاسْتَقِيمَا] فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة و الزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح عليه السلام في قومه الف عام الا خمسين عاما و لا تستعجلا - قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة [وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليقه الامور بالمصالح و لا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة و هذا كما قال لنوح عليه السلام إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ - و قرئ وَلَا تَتَّبِعَانِّ بالنون الخفيفة و كسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية و بتخفيف النون من تبع - قرأ الحسن وَجَوَّزْنَا من اجاز المكان و جَوَّزَه و جاوزه و ليس من جَوَّزَ الذي في بيت الاعشى ٭ع٭ و اذا تُجَوِّزُها جبال قبيلة ٭ لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال و جَوَّزْنَا بني اسرائيل في البحر كما قال ٭ع٭ كما جَوَّزَ السكي في الباب نيتق ٭ [فَأَتْبَعَهُمْ] فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته - و قرأ الحسن وَعَدُوًّا - و قرئ أَنَّهُ بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان - و إِنَّهُ بالكسر على الاستيناف بدلا من آمَنَتْ - كرر المخذول المعنى الواحد ثلث مرات في ثلث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط و كانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار و عند بقاء التكليف ٭ [آلْآنَ] اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق و أيست من نفسك - قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق يعني حين أوشك ان يغرق - و قيل قاله بعد ان غرق في نفسه و الذي يحكى انه حين قال آمَنْتُ اخذ جبرئيل من حال البحر ندسة في فيه مخافة ان يلحقه الغضب لله على الكافرين في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه و أما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله و ملائكته و فيه حماقتان - احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان المخرس فحال البحر لا يمنعه - و الاخرى ان من كره ايمان الكافر واجب رده على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر [مِنَ الْمُفْسِدِينَ] من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ - و روي ان جبرئيل عليه السلام اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله

وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ۝ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ فَإِنْ كُنْتَ فِي

و نعمته فكفر نعمته و جحد حقه و ادّعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليدُ بن مصعب جزاءُ العبد الخارج على سيّده الكافرِ نعماه ان يغرق في البحر فلما ألجمه الغرقُ تاوه جبرئيل خطّه نعرفه [نُنَجِّيكَ] بالتشديد و التخفيف نُبْعدك ممّا وقع فيه قومك من قعر البحر - و قيل نُلقيك بنجوة من الارض - و قرئ نُنَحِّيكَ بالحاء نُلقيك بناحية مما يلي البحر و ذلك انه طُرح بعد الغرق بجانب البحر - قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور [بِبَدَنِكَ] في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك و انما انت بدن - او ببدنك كاملا سويًّا لم ينقص منه شيءٌ و لم يتغير - او عريانا لستَ الآن بدنا من غير لباس - او درعك - قال عمر بن معد يكرب * شعره اعاذل صاحبي بدني وسيفي * و كل مقلّص سلِسَ القياد * و كانت له درع من ذهب يُعرف بها - و قرأ ابو حنيفة رحمه الله بِأَبْدَانِكَ وهو على وجهين - امّا ان يكون مثل قولهم هوى بأجْرامه يعني ببدنك كله واقيا باجزائه - او يريد بدروعك كله كان مظاهرا بينها [لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً] لمَنْ وراءك من الناس علامةً و هم بنو اسرائيل و كان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق - و روي انهم قالوا ما مات فرعون و لا يموت ابدا - و قيل اخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدّقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه و كان مطرحه كان على ممرّ من بني اسرائيل حتى قيل لِمَنْ خَلْفَكَ - و قيل لِمَنْ خَلَفَكَ لمن يأتي بعدك من القرون - و معنى كونه آيةً ان يظهر للناس عبوديته و مهانته و ان ما كان يدّعيه من الربوبية باطلٌ محالٌ و انه مع ما كان فيه من عظم الشان و كبرياء الملك آلَ امره الى ما ترون لعصيانه ربّه فما الظنّ بغيره - او لتكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأتَ عليه اذا سمعوا بحالك و بهوانك على الله - و قرئ لِمَنْ خَلَقَكَ بالقاف اي و لتكون لخالقك آيةً كسائر آياته - و يجوز ان يراد ليكون طرحُك على الساحل وحدك و تمييزُك من بين المغرقين آيةً يشتبه على الناس امرك و لئلا يقولوا ادّعائك العظيمةَ انّ مثله لا يغرق و لا يموت آيةً من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره و ليعلموا ان ذلك تعمُّد منه لاماطة الشبهة في امرك [مُبَوَّأَ صِدْقٍ] منزلا صالحا مرضيًّا و هو مصر و الشام [فَمَا اخْتَلَفُوا] في دينهم و ما تشعّبوا فيه شعبًا الا من بعد ما قرأوا التوراة و كسبوا العلم بدين الحق و لزعم التبات عليه و اتحاد الكلمة و علموا ان الاختلاف فيه تفرّق عنه - و قيل هو العلم بمحمّد صلى الله عليه و آله و سلم و اختلافُ بني اسرائيل و هم اهل الكتاب اختلافُهم في صفته و نعته و انه هو أم ليس به بعد ما جاءهم العلم و البيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ - فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم [فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ] مع قوله في الكفرة وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ - قلت ورق

سورة يونس ١٠ شَكٍّ مِّمَّآ اَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ فَسْـَٔلِ الَّذِيْنَ يَقْرَءُوْنَ الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ فَلَا تَكُوْنَنَّ
الجزء ١١ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ ۝ وَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ فَتَكُوْنَ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ
ع ١٤ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۝ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ اٰيَةٍ حَتّٰى يَرَوُا الْعَذَابَ الْاَلِيْمَ ۝ فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ اٰمَنَتْ

عظيم بين قوله وَاِنَّهُمْ لَفِيْ شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيْبٍ باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد و التحقيق و بين قوله فَاِنْ كُنْتَ فِيْ شَكٍّ بمعنى الفرض و التمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا و خَيَّل لك الشيطان خيالا منه تقديرا [فَسْـَٔلِ الَّذِيْنَ يَقْرَءُوْنَ الْكِتٰبَ] و المعنى ان الله عزّ وجلّ قدّم ذكر بني اسرائيل و هم قرأة الكتاب و وصفهم بان العلم قد جاء هم لان امر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مكتوبٌ عندهم في التورٰية و الانجيل و هم يَعْرِفُوْنَهٗ كَمَا يَعْرِفُوْنَ اَبْنَآءَهُمْ فاراد ان يوكّد علمهم بصحّة القرآن و صحّة نبوّة مُحمّد عليه السلام و يبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شكٌ فرضاً و تقديراً وسبيلُ من خالجتهُ شبهة في الدين ان يسارع الى حلّها واماطتها امّا بالرجوع الى قوانين الدين وادلّته وامّا بمقادحة العلماء المنبّهين على الحق فسَلْ علماء اهل الكتب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك و قتلها علماً بحيث يصلحون لمراجعة مثلك و مساءلتهم فضلاً عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحّة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال [لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ] اى ثبت عندك بالآيات و البراهين القاطعة انّ ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية [فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ ۝ وَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ] اي فاثبُتْ ودُمْ على ما انتَ عليه من انتفاء المرية عنك و التكذيب بآيات الله - و يجوز ان يكون على طريقة التهييج و الالهاب كقوله فَلَا تَكُوْنَنَّ ظَهِيْرًا لِّلْكٰفِرِيْنَ ۝ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ بَعْدَ اِذْ اُنْزِلَتْ اِلَيْكَ ولزيادة التثبيت و لعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشكُّ و لا اسألُ بل اشهد انه الحقّ - و عن ابن عباس لا والله ما شكّ طرفةَ عينٍ ولا سألَ احدًا منهم - و قيل خوطب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و المراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك ممّا انزلنا اليكم كقوله وَاَنْزَلْنَآ اِلَيْكُمْ نُوْرًا مُّبِيْنًا - و قيل الخطاب للسامع ممّن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عزّ اخوك فهُنْ - وقيل اِنْ للنفي اي فما كنتَ في شك فسَلْ يعني لا نأمُرُكَ بالسوال لانك شاكٌّ ولكن لتزداد يقينًا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى - و قرئ فَاسْـَٔلِ الَّذِيْنَ يَقْرَءُوْنَ الْكُتُبَ [حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ] ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح و اخبر به الملٰئكة انّهم يموتون كُفّارا فلا يكون غيره و تلك كتابةُ معلوم لا كتابةُ مقدّرٍ و مرادٍ تعالى الله عن ذلك • [فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ] فهلّا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابَتْ عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم توخّر كما اخّر فرعون الى اَنْ اُخذ بمخنّقه [فَنَفَعَهَآ اِيْمَانُهَآ] بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ اُبيٌّ وعبد الله فَهَلَّا كَانَتْ [اِلَّا قَوْمَ يُوْنُسَ] استثناء من القرى لان المراد اهاليها و هو استثناء منقطع بمعنى

فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ۚ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنٰهُمْ إِلٰى حِينٍ ۝ سورة يونس ١٠
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتّٰى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ الجزء ١١
لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ ع ١٤
وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ

و لكن قوم يونس لمّا آمنوا - و يجوز بان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس و انتصابه على اصل الاستثناء - و قرئ بالرفع على البدل هكذا روي عن الجرمي و الكسائي - روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلمّا فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح و عجّوا اربعين ليلة - و قيل قال لهم يونس ان احدكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك امنّا بك فلما مضت خمس و ثلثون اظلمت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم و تسودّ سطوحهم فلبسوا المسوح و برزوا الى الصعيد بانفسهم و نسائهم و صبيانهم و دوابّهم و فرّقوا بين النساء و الصبيان و الدّواب و اولادها فحنّ بعضها على بعض و علت الاصوات و العجيج و اظهروا الايمان و التوبة و تضرّعوا فرحمهم الله و كشف عنهم و كان يوم عاشوراء يوم الجمعة - و عن ابن مسعود بلغ من توبتهم انّ تراادّوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر و قد وضع عليه اساس بنائه فيردّه - و قيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حيّ حين لا حيّ و يا حيّ محيي الموتى و يا حيّ لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم - و عن الفضيل بن عياض قالوا اللّهم ان ذنوبنا قد عظمت و جلّت و انت اعظم منها و اجلّ افعل بنا ما انت اهله و لا تفعل بنا ما نحن اهله [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ] مشيّة القصر و الاجاء [لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ] على وجه الاحاطة و الشمول [جَمِيعًا] مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه ألا ترى الى قوله [أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ] يعني انما يقدر على اكراههم و اضطرارهم الى الايمان هو لا انت و ايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه و انما الشان في المكره مَنْ هو و ما هو الا هو وحده لا يشاركه فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان و ذلك غير مستطاع للبشر [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ] يعني من النفوس التي علم انها تؤمن [إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ] اي بتسهيله و هو منح الالطاف [وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ] قابل الاذن بالرجس و هو الخذلان و النفس المعلوم ايمانها بالّذين لا يعقلون و هم المصرّون على الكفر كقوله صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ و سمّي الخذلان رجسا و هو العذاب لانه سببه - و قرئ الرِّجْزَ بالزاي - و قرئ وَنَجْعَلُ بالنون [مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ] من الآيات و العبر [وَمَا تُغْنِي الْآيٰتُ وَالنُّذُرُ] و الرسل المنذرون او الانذارات [عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ] لا يقوع ايمانهم و هم الذين لا يعقلون - و قرئ وَمَا يُغْنِي بالياء و مَا نافية او استفهامية [أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ] وقائع الله

سورة يونس ١٠ الجزء ١١ ع ١٥

قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۝ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ ۚ حَقًّا عَلَيْنَا
نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۖ
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ

منهم كما يقال ايامُ العرب لوقائعها • [ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا] معطوف على كلام محذوف يدلّ عليه قوله إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ كانه قيل يُهلك الأُمَمَ ثم ننجّي رسلنا على حكاية الحوال الماضية [وَالَّذِينَ آمَنُوا] و مَن آمن معهم [كَذَٰلِكَ - نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ] مثل ذلك الانجاء نُنْجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين - وحقًّا عَلَيْنَا اعتراض يعني حَقَّ ذلك علينا حقا - وقرئ نُنَجِّ بالتشديد • [يَا أَيُّهَا النَّاسُ] يا اهل مكة [إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي] وصحته و سداده فهذا ديني فاسمعوا وصفَهُ و اعرضوه على عقولكم و انظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشكّ وهو انّي لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون مَن هو الٰهكم وخالقكم [وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ] و انّما وصفه بالتوفّي ليُريَهُم انه المحقيق بان يخاف ويُتّقى فيعبد دون ما لا يقدرُ على شيء [وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] يعني ان الله امرني بذلك بما ركّب فيّ من العقل و بما اوحى اليّ في كتابه - وقيل معناه ان كنتم في شكّ من ديني و ممّا انا عليه فاثبتُ عليه ام اتركه و أُوافقكم فلا تحدّثوا انفسكم بالمحال ولا تشكّوا في امري و اقطعوا عني أطماعكم و اعلموا اني لا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ و لا اختار الضلالةَ على الهدى كقوله قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ - [وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ] اصله بأن أكونَ فحذف الجارُّ وهذا الحذف يحتمل - ان يكون من الحذف المطّرد الذي هو حذف الحروف الجارّة مع أنْ و أنّ - وان يكون من الحذف غير المطّرد وهو قوله •ع• امرُكَ الخير فاصدَعْ بما تؤمر • فان قلت عطف قوله وَأَنْ أَقِمْ على أَنْ أَكُونَ فيه اشكالٌ لانّ أنْ لا تخلو من ان يكون اللتي للعبارة - او المتي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة و ان كان الامر مما يتضمّن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك و القولُ بكونها موصولةً مثل الأُولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو أَقِمْ لان الصلة حقّها ان تكون جملة تحتمل الصدق و الكذب - قلت قد سوّغ سيبويه ان توصل أنْ بالامر و النهي و شبّه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر و النهي دالّان على المصدر دلالةً غيرهما من الافعال [أَقِمْ وَجْهَكَ] استقِمْ اليه و لا تلتفت يمينًا وشمالا و [حَنِيفًا] حال من الدِّين او من الوَجْه • [فَإِنْ فَعَلْتَ] معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرّك فكنى عنه بالفعل ايجازًا [فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ] إِذًا جزاءٌ للشرط و جوابٌ لسؤال مقدرٍ كانّ سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان - و جُعل من الظالمين لانه اظلم اعظم من الشرك انّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ - اتبع النهي عن عبادة الاوثان و وَصْفَها بانها لا تنفع و لا تضرّ انّ الله عزّ وجلّ

سورة يونس ١٠ الجزء ١١ ع ١٥

الظّٰلِمِيْنَ ۝ وَاِنْ يَّمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهٗٓ اِلَّا هُوَ ۚ وَاِنْ يُّرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهٖ ؕ يُصِيْبُ بِهٖ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ
عِبَادِهٖ ؕ وَهُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ۝ قُلْ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكُمْ ۚ فَمَنِ اهْتَدٰى فَاِنَّمَا يَهْتَدِيْ لِنَفْسِهٖ ۚ وَمَنْ
ضَلَّ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ؕ وَمَآ اَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيْلٍ ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوْحٰٓى اِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتّٰى يَحْكُمَ اللّٰهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحٰكِمِيْنَ ۝ ع

هو الضارّ النافع الذي إن اصابك بضرّ لم يقدر على كشفه الّا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به و كذلك ان ارادك بخير لم يردّ احد ما يريده بك من فضله و احسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذنْ بان تُوَجِّهَ اليه العبادةَ دونها و هو ابلغ من قوله اِنْ اَرَادَنِيَ اللّٰهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كٰشِفٰتُ ضُرِّهٖٓ اَوْ اَرَادَنِيْ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكٰتُ رَحْمَتِهٖ - فان قلت لِمَ ذكر المسّ في احدهما و الارادةَ في الثاني - قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعاً الارادةَ و الاصابةَ في كل واحد من الضرّ و الخير وانه لارادّ لما يريدهُ منهما و لا مزيل لما يصيبُ به منهما فاوجزَ الكلام بانْ ذكر المسّ و هو الاصابة في احدهما و الارادةَ في الآخر ليدلّ بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابةَ بالخير في قوله تعالى [يُصِيْبُ بِهٖ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ] و المراد بالمشيّة مشيّةُ المصلحة * [قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ] فلم يبقَ لكم عذر و لا على اللّٰه حجّة فمن اختار الهدى و اتّباعَ الحقّ فما نفع باختياره الّا نفسه و من آثر الضلال فما ضرّ الّا نفسه - و اللامُ و عَلٰى دلّا على معنى النفع و الضرر وُكل اليهم الامر بعد ابانة الحق و ازاحة العلل و فيه حثٌّ على ايثار الهدى و اطّراح الضلال مع ذلك - [وَمَآ اَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيْلٍ] بحفيظ موكول اليّ امركم و حملكم على ما اريد انما انا بشير و نذير - [وَاصْبِرْ] على دعوتهم و احتمال اذاهم و اعراضهم [حَتّٰى يَحْكُمَ اللّٰهُ] لك بالنصر عليهم و الغلبة - و روي انها لما نزلتْ جمع رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم الانصارَ فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتّى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرتُ فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجَوَرة قال انسٌ فلم نصبرْ - و روي ان ابا قتادةَ تخلّف عن تلقّي معٰوية حين قدم المدينةَ و قد تلقّته الانصار ثم دخل عليه فقال له مالك لم تتلقّنا قال لم تكن عندنا دوابّ قال فاينَ النّواضحُ قال قطعناها في طلبك و طلب ابيك يوم بدر و قد قال صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم يا معشرَ الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معٰوية فماذا قال قال قال فاصبروا حتّى تلقوني قال فاصبر قال اذنْ نصبر فقال عبد الرحمٰن بن حسّان * شعر * اَلَا اَبْلِغْ معٰوية بن حرب * امير الظالمين نَتَا كلامي * بانّا صابرون فمُنْظِروكم * الى يوم التغابنُ و الخصام * عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم مَن قرأ سورة يونس

سورة هود ١١ — كلماتها ١٩٣٦ — سورة هود مكية و هي مائة و ثلث و عشرون آية و عشر ركوعا — حروفها ٧٩٢٤

الجزء ١١

ع ١٦

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۝

الٓرٰ قف كِتٰبٌ اُحْكِمَتْ اٰيٰتُهٗ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَّدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ ۝ اَلَّا تَعْبُدُوْٓا اِلَّا اللّٰهَ ط اِنَّنِيْ لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيْرٌ
وَّبَشِيْرٌ ۝ وَّاَنِ اسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوْٓا اِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا اِلٰٓى اَجَلٍ مُّسَمًّى وَّيُؤْتِ كُلَّ ذِيْ فَضْلٍ فَضْلَهٗ ط

اُعطي من الاجر عشرَ حسنات بعدد من صَدّق بيونس وكَذّب به وبعدد مَنْ غرق مع فرعون •

سورة هود

[اُحْكِمَتْ اٰيٰتُهٗ] نُظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصّف - ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حَكُمَ بضم الكاف اذا صار حكيماً اي جُعلت حكيمةً كقوله تعالى اٰيٰتُ الْكِتٰبِ الْحَكِيْمِ - و قيل مُنعت من الفساد من قولهم احكمتُ الدابة اذا وضعتَ عليها الحَكَمَة لتمنعها من الجماح قال جرير شعر • اَبَني حنيفة احكموا سفهاءكم • اني اخاف عليكم اَنْ اَغضبا • وعن قتادة اُحْكِمَتْ من الباطل [ثُمَّ فُصِّلَتْ] كما تفصّل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد و الاحكام و المواعظ و القصص - او جُعلت فصولا سورة سورة و اية اية - او فُرّقت في التنزيل و لم تنزل جملةً واحدةً - او فُصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بُيّن و لُخّص - و قرئ اَحْكَمْتُ اٰيٰتِهٖ ثُمَّ فَصَّلْتُ اي احكمتها انا ثم فصّلتها - وعن عكرمة و الضحاك ثُمَّ فَصَّلَتْ اي فرّقت بين الحق و الباطل - فان قلت ما معنى ثُمَّ - قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسنَ الاحكام ثم مفصّلة احسنَ التفصيل و فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل - وكِتٰبٌ خبر مبتدأ محذوف و اُحْكِمَتْ صفة له و قوله [مِنْ لَّدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ] صفة ثانية - و يجوز ان يكون خبراً بعد خبر - و ان يكون صلة لاُحْكِمَتْ و فُصِّلَتْ اي من عنده احكامها و تفصيلها و فيه طباق حسنٌ لان المعنى اَحْكمها حكيم و فَصّلها اي بيّنها و شرحها خبيرٌ عالمٌ بكيفيّات الامور [اَلَّا تَعْبُدُوْا] مفعولٌ له على معنى لئلّا تعبدوا - او تكون اَنْ مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا اِلَّا اللّٰهَ او اَمَركم ان لا تعبدوا اِلَّا اللّٰهَ [وَاَنِ اسْتَغْفِرُوْا] اي اَمَركم بالتوحيد و الاستغفار - و يجوز ان يكون كلاماً مبتدأً منقطعاً عمّا قبله على لسان النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم اغراءً منه على اختصاص اللّٰه بالعبادة و يدل عليه قوله اِنَّنِيْ لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيْرٌ وَّبَشِيْرٌ كانه قال تركَ عبادة غير اللّٰه انني لكم منه نذير كقوله تعالى فَضَرْبَ الرِّقَابِ - و الضمير في مِنْهُ للّٰه عزّ و جلّ اي انني لكم نذير و بشير من جهته كقوله رَسُوْلٌ مِّنَ اللّٰهِ - او هي صلة لنذير اي انذركم منه و من عذابه ان كفرتم و ابشّركم بثوابه ان اٰمنتم - فان قلت ما معنى ثُمَّ في قوله [ثُمَّ تُوْبُوْٓا اِلَيْهِ] - قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة - او اسْتَغْفِرُوْا و الاستغفار توبة ثم اَخلصوا التوبة و استقيموا عليها كقوله ثُمَّ اسْتَقَامُوْا يُمَتِّعْكُمْ يطوّل نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة و نعمة متتابعة [اِلٰٓى اَجَلٍ مُّسَمًّى]

سورة هود ١١ وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنِّيْٓ اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيْرٍ ۝ اِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ ۚ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝ اَلَآ اِنَّهُمْ
الجزء ١٢ يَثْنُوْنَ صُدُوْرَهُمْ لِيَسْتَخْفُوْا مِنْهُ ؕ اَلَا حِيْنَ يَسْتَغْشُوْنَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ ۚ اِنَّهٗ عَلِيْمٌۢ بِذَاتِ
ع ١٦ الصُّدُوْرِ ۝ وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الْاَرْضِ اِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ؕ كُلٌّ فِيْ كِتٰبٍ مُّبِيْنٍ ۝
وَهُوَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِيْ سِتَّةِ اَيَّامٍ وَّكَانَ عَرْشُهٗ عَلَى الْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ اَيُّكُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا ؕ وَلَئِنْ

الى ان يتوفاكم كقوله فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً [وَيُؤْتِ كُلَّ ذِيْ فَضْلٍ فَضْلَهٗ] و يُعطِ في الآخرة كل من كان له فضل في العمل و زيادة فيه جزاءَ فضله لا يبخس منه - او فضله في الثواب و الدَّرَجاتُ تتفاضل في الجنّة على قدر تفاضل الطاعات - [وَاِنْ تَوَلَّوْا] و ان تتولّوا [عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيْرٍ] هو يوم القيٰمة وُصف بالكبر كما وُصف بالعظم و الثقل و بيّن عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرًا على اشدّ ما اراد من عذابهم لا يعجزه - و قرئ فَاِنْ تُوَلُّوْا من ولّى • [يَثْنُوْنَ صُدُوْرَهُمْ] يزوّرون عن الحق و ينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازوّر عنه و انحرف ثنى عنه صدره و طوى عنه كشحه [لِيَسْتَخْفُوْا مِنْهُ] يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يُطلِعَ رسوله والمؤمنين على ازورارهم - ونظير اضمار يريدون لقود المعنى الى اضماره الاضمارُ في قوله تعالى اِضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ معناه فضرب فانفلق - ومعنى [اَلَا حِيْنَ يَسْتَغْشُوْنَ ثِيَابَهُمْ] و يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضاً كراهةً لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جَعَلُوْٓا اَصَابِعَهُمْ فِيْٓ اٰذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ثم قال [يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ] يعني انه لا تفاوتَ في علمه بين اسرارهم و اعلانهم فلا وجه لتوصّلهم الى ما يريدون من الاستخفاء و الله مطلع على ثَنْيِهم صدورَهم و استغشائهم ثيابهم و نفاقُهم غيرُ نافق عنده - روي انها نزلت في الاخنس بن شريق و كان يُظهر لرسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم المحبّةَ و له منطق حُلْو و حسنُ سياق للحديث فكان يُعجب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مجالسته و محادثته و هو يُضمر خلاف ما يُظهر - وقيل نزلت في المنافقين - و قرئ تَثْنَوْنِيْ صُدُوْرَهُمْ و اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة - قرئ بالتاء و الياء - و عن ابن عباس لِيَثْنَوْنِيْ صُدُوْرُهُمْ - و قرئ تَثْنَوِنُّ و اصله تَثْنَوْنِنُ تفعوعل من الثنّ و هو ما هشّ و ضعف من الكلأ يُريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهشُّ من النبات - او اراد ضعف ايمانهم و مرض قلوبهم - و قرئ تَثْنَئِنُّ من اثنأنّ افعالّ منه ثم همز كما قيل ابيأضّت و ادهأمّت - و قرئ تَثْنَوِيْ بوزن تَرْعَوِيْ - فان قلت كيف قال [عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا] بلفظ الوجوب و انما هو تفضّل - قلت هو تفضل الا انه لمّا ضمن ان يتفضّل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد - و المُسْتَقَرّ مكانه من الارض و مسكنه - و المُسْتَوْدَع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة [كُلٌّ] كل واحد من الدوابّ و رزقُها و مستقرها و مستودعها في لوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبيّن [وَكَانَ عَرْشُهٗ عَلَى الْمَآءِ] اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات و الارض و ارتفاعه فوقها الّا الماء - و فيه دليل على ان العرش و الماء كانا مخلوقين قبل السموات و الارض - و قيل

سورة هود ١١ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ
الحزب ١٢ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ ع
ج ١ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ۖ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ

وكان الماء على متن الريح و الله اعلم بذلك و كيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته و كلما ارادت الاجرام كادت احوج اليه و الى امساكه [لِيَبْلُوَكُمْ] متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة و هي ان يجعلها مساكن لعباده و ينعم عليهم فيها بفنون النعم و يكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي ممن شكر واطاع اثابه و من كفر وعصى عاقبه و لما اشبه ذلك اختبار المختبر قال لِيَبْلُوَكُمْ يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون - فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى - قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها و اسمع ايهم احسن صوتا لان النظر و الاستماع من طرق العلم - فان قلت كيف قيل [أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا] و اعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن و احسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن و قبيح - قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون و هم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم و تنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين و ترغيبا في حيازة فضلهم - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عقلا و اورع عن محارم الله تعالى و اسرع في طاعة الله - قرئ [وَلَئِنْ قُلْتَ أَنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ] بفتح الهمزة و وجهه ان يكون من قولهم ائت السوق علك تشتري لنا لحما و لعلك تشتري بمعنى لعلك اي و لئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم و ظنوه و لا تبتوا القول بانكاره فقالوا [إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ] باتين القول بطلانه - و يجوز ان يضمن قُلْتَ معنى ذكرت و معنى قولهم إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ان السحر امر باطل و ان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به - واشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره - و قرئ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سَاحِرٌ يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل • [الْعَذَابَ] عذاب الاخرة - وقيل عذاب يوم بدر - و عن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين إِلَىٰ أُمَّةٍ] الى جماعة من الاوقات [مَا يَحْبِسُهُ] ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء [وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ] منصوب بخبر لَيْسَ - و يستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس و ذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل [وَحَاقَ بِهِمْ] و احاط بهم [مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] العذاب الذي كانوا به يستعجلون و انما وضع يَسْتَهْزِئُونَ موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء و المعنى و تحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره • [الْإِنْسَانَ] للجنس [رَحْمَةً] نعمة من صحة و امن وجدة [ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ] ثم سلبناه

سورة هود ١١ — الجزء ١٢ — ع ١

لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّاٰتُ عَنِّيْ ؕ اِنَّهٗ لَفَرِحٌ فَخُوْرٌ ۝ اِلَّا الَّذِيْنَ صَبَرُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ ؕ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ
وَّاَجْرٌ كَبِيْرٌ ۝ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوْحٰٓى اِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهٖ صَدْرُكَ اَنْ يَّقُوْلُوْا لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ اَوْ جَآءَ
مَعَهٗ مَلَكٌ ؕ اِنَّمَآ اَنْتَ نَذِيْرٌ ؕ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَّكِيْلٌ ۝ اَمْ يَقُوْلُوْنَ افْتَرٰىهُ ؕ قُلْ فَاْتُوْا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهٖ
مُفْتَرَيٰتٍ وَّادْعُوْا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝ فَاِلَّمْ يَسْتَجِيْبُوْا لَكُمْ فَاعْلَمُوْٓا اَنَّمَآ اُنْزِلَ بِعِلْمِ

تلك النعمة [اِنَّهٗ لَيَئُوْسٌ] شديدُ اليأس من ان يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطعٌ رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع [كَفُوْرٌ] عظيم الكفران لما سلف له من التقلّب في نعمة الله نسّاء له [ذَهَبَ السَّيِّاٰتُ عَنِّيْ] اي المصائب التي ساءتني [اِنَّهٗ لَفَرِحٌ] اشر بطر [فَخُوْرٌ] على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر [اِلَّا الَّذِيْنَ] اٰمنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمةٌ ان يشكروا و ان زالت عنهم نعمة ان يصبروا • كانوا يقترحون عليه اٰيات تعنّتًا لا استرشادًا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت ايةٌ واحدةٌ مما جاء به كافيةً في رشادهم و من اقتراحاتهم لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ اَوْ جَآءَ مَعَهٗ مَلَكٌ و كانوا لا يعتدّون بالقراٰن و يتهاونون به و بغير ما جاء به من البيّنات فكان يضيق صدر رسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه و يضحكون منه فحرّك الله منه و هيّجه لاداء الرسالة و طرح المبالاة بردّهم و استهزائهم و اقتراحهم بقوله [فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوْحٰٓى اِلَيْكَ] اي لعلّك تترك ان تلقيه اليهم و تبلّغه اياهم مخافةَ ردّهم له و تهاونهم به [وَضَآئِقٌ بِهٖ صَدْرُكَ] بان تتلوه عليهم [اَنْ يَّقُوْلُوْا] مخافةَ ان يقولوا [لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ] اي هلّا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز و الملائكة ولِمَ اُنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال [اِنَّمَآ اَنْتَ نَذِيْرٌ] اي ليس عليك الّا ان تنذرهم بما اُوحي اليك و تبلّغهم ما اُمرت بتبليغه و لا عليك ردّوا اوتهاونوا او اقترحوا [وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَّكِيْلٌ] يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يُفعل فتوكّل عليه وكِلْ امرك اليه و عليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح و صدرٍ منشرحٍ غير ملتفت الى استكبارهم و لا مُبالٍ بسفههم و استهزائهم - فان قلت لِمَ عُدل عن ضَيّق الى ضَائق - قلت ليدلّ على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم كان افسح الناس صدرًا ومثله قولك زيد سيّد و جواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرّين فاذا اردت الحدوث قلت سائد و جائدٌ ونحوه كَانُوْا قَوْمًا عَامِيْنَ في بعض القراٰات وقول السمهري العُكْلِيّ • شعر • بمنزلة اَمَّا اللئيمُ فَسَامِنٌ • بها و كرام الناس بادٍ شحوبها • [اَمْ] منقطعة والضمير في [افْتَرٰىهُ] لما يُوْحٰى اليك - تحدّاهم اولًا بعشر سُوَر ثم بسورة واحدة كما يقول المُخائر في الخطّ لصاحبه اكتُبْ عشرةَ اسطر نحو ما اكتبُ فاذا تبيّن له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد [مِثْلِهٖ] بمعنى امثاله ذهابًا الى مماثلة كل واحدة منها له [مُفْتَرَيٰتٍ] صفة لعَشْرِ سُوَرٍ لمّا قالوا افتريتَ القراٰن و اختلقتَه من عند نفسك و ليس من عند الله قاوَدَهم على دعواهم و ارخى معهم العنانَ وقال هَبُوا انّي اختلقتُه

سورة هود ١١ الجزء ١٢ ع ١

اللّٰهِ وَ اَنْ لَّآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ۚ فَهَلْ اَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ۝ مَنْ كَانَ يُرِيْدُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَ زِيْنَتَهَا نُوَفِّ اِلَيْهِمْ اَعْمَالَهُمْ فِيْهَا
وَ هُمْ فِيْهَا لَا يُبْخَسُوْنَ ۝ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ اِلَّا النَّارُ ۖ وَ حَبِطَ مَا صَنَعُوْا فِيْهَا وَ بٰطِلٌ مَّا كَانُوْا
يَعْمَلُوْنَ ۝ اَفَمَنْ كَانَ عَلٰى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّهٖ وَ يَتْلُوْهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهٖ كِتٰبُ مُوْسٰٓى اِمَامًا وَّ رَحْمَةً ؕ اُولٰٓئِكَ

من عندي نفسي ولم يوحَ اليَّ و ان الامر كما قلتم فأتوا انتم ايضًا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عَرَبٌ فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام - فان قلت كيف يكون ما يأتون به مثلهُ وما يأتون به مفترًى وهذا غير مفترًى - قلت معناه مثله في حسن البيان و النظم و ان كان مفترًى - فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لَكُمْ - فَاعْلَمُوْا بعد قوله قُلْ - قلت معناه فان لم يستجيبوا لك و للمؤمنين لأنّ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله وسلّم و المؤمنين كانوا يتحدَّونهم وقد قال في موضع آخر فَاِنْ لَّمْ يَسْتَجِيْبُوْا لَكَ فَاعْلَمْ - و يجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله وسلّم كقوله ع • فان شئت حرَّمتُ النساء سواكم • و وجه آخر و هو ان يكون الخطاب للمشركين و الضمير في لَّمْ يَسْتَجِيْبُوْا لَكُمْ يعني فان لم يستجب لكم مَن تدعونه من دون اللّٰه الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه و أنّ طاقتهم اقصر من ان تبلغه [فَاعْلَمُوْٓا اَنَّمَآ اُنْزِلَ بِعِلْمِ اللّٰهِ] اي انزل ملتبسًا بما لا يعلمه الّا الله من نظم معجز لمخلوق و اخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه و اعلموا عند ذلك [اَنْ لَّآ اِلٰهَ اِلَّا] اللّٰهُ وحدهُ و ان توحيدهُ واجب و الاشراك به ظلم عظيم [فَهَلْ اَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ] مبائعون بالاسلام بعد هذه الحجّة القاطعة وهذا وجهٌ حسن مطّرد - و مَن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتُوْا على العلم الذي انتم عليه و ازدادوا يقينا و ثباتًا قدم على انه منزل من عند الله و على التوحيد و معنى فَهَلْ اَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ فهل انتم مخلصون [نُوَفِّ اِلَيْهِمْ] نُوْصل اليهم اجور اعمالهم وافيةً كاملةً من غير بخس في الدنيا و هو ما يُرزَقون فيها من الصحة و الرزق - وقيل هم اهل الرياء يقال للقُرّاء منهم اردتَ ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك و لمن وصل الرحم و تصدَّق فعلتَ حتى يقال فقيل ولمن قاتَل فقُتل قاتلتَ حتى يقال فلان جريءٌ فقد قيل - و عن انس بن مالك هم اليهود و النصارى ان اَعْطوا سائلا او وصلوا رحما عُجِّل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق و صحة في البَدَن - و قيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول اللّٰه فَاَسْهَمَ لهم في الغنائم - و قرئ يُوَفِّ بالياء على ان الفعل للّٰه عزّ و جلّ وتُوَفَّ اِلَيْهِمْ اَعْمَالَهُمْ بالتاء على البناء للمفعول - و في قراءة الحسن تُوَفَّ بالتخفيف و اثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله ع • يقول لا غائبٌ مالي ولا حرم • [وَ حَبِطَ مَا صَنَعُوْا فِيْهَا] و حبط في الآخرة ما صنعوه او ضيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا و قد وُفّي اليهم ما ارادوا [وَ بٰطِلٌ مَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ] اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح و العمل الباطل لا ثواب له - و قرئ وَبَطَلَ على الفعل - و عن عاصم وَبَاطِلًا بالنصب - وفيه وجهان - ان تكون مَا ابهامية وينتصب بيَعْمَلُوْنَ و معناه و باطلا اي باطل كانوا يعملون - وان تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا

سورة هود ١١ الجزء ١٢ ع ١

يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ

ما كانوا يعملون • [أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ] معناه أَمَنْ كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بيّنا واراد بهم من أمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ [مِنْ رَبِّهِ] اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل [وَيَتْلُوهُ] ويتبع ذلك البرهان [شَاهِدٌ مِنْهُ] اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن - مِنْهُ من الله - او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره أنفًا [وَمِنْ قَبْلِهِ] ومن قبل القرآن [كِتَابُ مُوسَىٰ] وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كِتَابُ مُوسَىٰ - وقرئ كِتَابَ مُوسَىٰ بالنصب ومعناه كان على بيّنة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويَتْلُوهُ ويقرأ القرآن شَاهِدٌ مِنْهُ شاهدٌ ممن كان على بينة كقوله وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ - قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ - وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ - وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ ويتلو من قبل القرآن التورية [إِمَامًا] كتابا موتمًا به في الدين قدوة فيه [وَرَحْمَةً] ونعمة عظيمة على المنزل اليهم [أُولَٰئِكَ] يعني من كان على بيّنة [يُؤْمِنُونَ بِهِ] يؤمنون بالقرآن [وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ] يعني اهل مكة ومن ضامّهم من المتحزّبين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ] وقرئ مُرْيَةٍ بالضم وهما الشك [مِنْهُ] من القرآن او من الموعد [يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ] يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم وتشهد عليهم [الْأَشْهَادُ] من الملئكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدًا وشريكًا ويقال [أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ] فواخزياه وافضيحتاه - والأشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب او اشراف [وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا] يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة - او يبغون اهلها ان يعوجّوا بالارتداد - وهُمْ الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به • [أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ] اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم مَن يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد [يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ] - وقرئ يُضَعَّفُ [مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ] اراد انهم لفرط تصامّهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعلّ بعض الجبرة يتوثّب اذا عثر عليه فيُوقِعُ به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجّه سمعي - ويحتمل ان يريد بقوله وَمَا كَانَ لَهُمْ - مِنْ أَوْلِيَاءَ انهم جعلوا البتهم أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بيّن نفي كونهم اولياء بقوله مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ

سورة هود ١١ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ لَا جَرَمَ
الجزء ١٢ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ
ع ٢ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ ع
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝
فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ۖ ع

السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ فكيف يصلحون للولاية وقوله يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ اعتراض بوعيد [خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ] اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله وكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسرانَ اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم [وَضَلَّ عَنْهُم] وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو [مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ] من الآلهة وشفاعتها • [لَا جَرَمَ] فُسِّر في مكان آخر [هُمُ الْأَخْسَرُونَ] لا ترى احدًا أبين خسرانًا منهم [وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ] واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدنيّ الخبيث قال • شعره • ينفع الطيبَ القليل من الرزقِ ولا ينفع الكثيرُ الخبيثُ • وقيل التاء فيه بدل من الثاء • شُبِّه فريق الكفرين بالاعمى والاصمّ وفريقَ المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللفّ والطباق . وفيه معينان - ان يشبّه الفريق تشبيهين اثنين كما شبّه امرؤ القيس قلوبَ الطير بالحشف والعُنّاب - وان يشبّهه بالذي جَمَع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو في وَالْأَصَمِّ وفي وَالسَّمِيعِ عطف الصفة على الصفة كقوله • ع • الصابح فالغانم فالآئب • [هَلْ يَسْتَوِيَانِ] يعني الفريقان [مَثَلًا] تشبيهًا • اي [أَرْسَلْنَا نُوحًا] بانّي لَكُمْ نَذِيرٌ ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ بالكسر فلما اتصل به الجارّ فتح كما فتح في كانّ والمعنى على الكسر وهو قولك انّ زيدا كالاسد - وقرئ بالكسر على ارادة القول [أَلَّا تَعْبُدُوا] بدل من انّي لَكُمْ نَذِيرٌ اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله - او تكون أَنْ مفسّرة متعلقة بأَرْسَلْنَا او بنَذِيرٌ - وَصْف اليوم بالأليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه - فان قلت فاذا وصف به العذاب - قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذَّب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجدّ جدُّه • [الْمَلَأُ] الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا اذا كان مطيقا له وقد مَلُؤَ بالامر لانهم مَلَؤُوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها - او لانهم يَتَمَالَؤُونَ اي يتظاهرون ويتساندون - او لانهم يملئون القلوب هيبةً والمجالس أبهةً - او لانهم ملأٌ بالاحلام والآراء الصائبة [مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا] تعريض بانهم احقّ منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هَبْ ذلك واحدٌ من الملأ وسوادٌ لهم في المنزلة فما جعلك احقَّ منهم الا ترى الى قولهم وما نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ - او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون مَلَكًا لا بشرًا - والأراذل جمع الارذل كقوله أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا - احاسنكم اخلاقا وقرئ [بَادِيَ الرَّأْيِ] بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الرأي وظاهر الرأي - وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم - او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه اراد ان

وَمَا نَرٰىكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كٰذِبِيْنَ ۝ قَالَ يٰقَوْمِ اَرَءَيْتُمْ اِنْ كُنْتُ عَلٰى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَاٰتٰنِيْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهٖ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ؕ اَنُلْزِمُكُمُوْهَا وَاَنْتُمْ لَهَا كٰرِهُوْنَ ۝ وَيٰقَوْمِ لَاۤ اَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ؕ اِنْ اَجْرِيَ اِلَّا عَلَى

سورة ١١ هود ١٢ الجزء ١٢ ع ٢

اتباعهم لك لما هو شي و عن لهم بديهة من غير روية ونظر و لما استرذلوا المؤمنين لفقرهم و تاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه و مال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك و يبنون عليه اكرامهم واهانتهم و لقد زل عندهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله و انما يبعده و لا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة و التاهيل لها على ان الانبياء كانوا مرغبين في طلب الاخرة و رفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف مما يبعد من الله و التشرف بما هو وضع عند الله [مِنْ فَضْلٍ] من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة [بَلْ نَظُنُّكُمْ كٰذِبِيْنَ] فيما تدعونه [اَرَءَيْتُمْ] اخبروني [اِنْ كُنْتُ عَلٰى بَيِّنَةٍ] على برهان [مِّنْ رَّبِّيْ] وشاهد منه يشيد بصحة دعواي [وَاٰتٰنِيْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهٖ] بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة - ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة و بالرحمة النبوة - فان قلت فقوله فَعُمِّيَتْ ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني و حقه ان يقال فعميتا - قلت الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة و ان يكون حذفه للاختصار على ذكره مرة و معنى عُمِّيت خفيت - و قرئ [فَعُمِّيَتْ] بمعنى اُخْفِيت - و في قراءة اُبَيّ فَعَمَّاهَا عَلَيْكُمْ - فان قلت ما حقيقته - قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومُبْصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي و لا يهدي غيره فمعنى فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمُ البينةُ دام تهديكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بعد بغيرها - فان قلت فما معنى قراءة ابيّ - قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله و تصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه و الدليل عليه قوله [اَنُلْزِمُكُمُوْهَا وَاَنْتُمْ لَهَا كٰرِهُوْنَ] يعني اُنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها و انتم تكرهونها و لا تختارونها و لا اكراه في الدين - و قد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا - و يجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك الزمكم اياها ونحوه سَيَكْفِيكَهُمُ اللّٰهُ و يجوز فسيكفيكهم اياهم - و حُكي عن ابي عمرو اسكان الميم و وجهه ان الحركة لم تكن الا خُلْسَةً خفيفة فظنها الراوي سكونا و الاسكان الصريح لحن عند الخليل و سيبويه و حُذّاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر و الضمير في قوله [لَاۤ اَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ] راجع الى قوله لهم اِنِّيْ لَكُمْ نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ اَلَّا تَعْبُدُوْۤا اِلَّا اللّٰهَ - و قرئ وَمَا اَنَا بِطَارِدِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بالتنوين على الاصل - فان قلت ما معنى قوله [اِنَّهُمْ مُّلٰقُوْا رَبِّهِمْ] قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم - او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم و ما اعرف غيره منهم - او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء امره نهم على باديء الرأي من غير نظر و تفكر و ما عليّ ان اشق عن قلوبهم و اتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان

سورة هود ١١ الجزء ١٢ ع ٢

اللّٰهِ وَمَآ اَنَا بِطَارِدِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ؕ اِنَّهُمْ مُّلٰقُوْا رَبِّهِمْ وَلٰكِنِّيْٓ اَرٰىكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُوْنَ ۝ وَيٰقَوْمِ مَنْ يَّنْصُرُنِيْ مِنَ
اللّٰهِ اِنْ طَرَدْتُّهُمْ ؕ اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ ۝ وَلَآ اَقُوْلُ لَكُمْ عِنْدِيْ خَزَآئِنُ اللّٰهِ وَلَآ اَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَآ اَقُوْلُ اِنِّيْ مَلَكٌ قف
وَّلَآ اَقُوْلُ لِلَّذِيْنَ تَزْدَرِيْٓ اَعْيُنُكُمْ لَنْ يُّؤْتِيَهُمُ اللّٰهُ خَيْرًا ؕ اَللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا فِيْٓ اَنْفُسِهِمْ ۚ اِنِّيْٓ اِذًا لَّمِنَ الظّٰلِمِيْنَ ۝
قَالُوْا يٰنُوْحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَاَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَاْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ۝ قَالَ اِنَّمَا يَاْتِيْكُمْ بِهِ اللّٰهُ
اِنْ شَآءَ وَمَآ اَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ ۝ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِيْٓ اِنْ اَرَدْتُّ اَنْ اَنْصَحَ لَكُمْ اِنْ كَانَ اللّٰهُ يُرِيْدُ اَنْ يُّغْوِيَكُمْ ؕ

لامر كما تزعمون ونحوه وَلَا تَطْرُدِ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ الآية - او هم مصدّقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة [تَجْهَلُوْنَ] تتسافهون على المؤمنين و تدعونهم اراذل من قوله * ع * اَلَا لا يجهلن احدٌ علينا * اَوْ تجهلون لقاء ربكم - اَوْ تجهلون انهم خير منكم [مَنْ يَّنْصُرُنِيْ مِنَ اللّٰهِ] من يمنعني من انتقامه [اِنْ طَرَدْتُّهُمْ] و كانوا يسألونه ان يطردهم ليؤمنوا به انفةً من ان يكونوا معهم على سواء * [اَعْلَمُ الْغَيْبَ] معطوف على عِنْدِيْ خَزَآئِنُ اللّٰهِ اي لا اقول عندي خزائن الله و لا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله فادّعي فضلاً عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وَمَا نَرٰى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ و لا ادّعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب و الافتراء - او حتى اطّلع على ما في نفوس اتباعي و ضمائر قلوبهم [وَلَآ اَقُوْلُ اِنِّيْ مَلَكٌ] حتى تقولوا لي ما انت الّا بشر مثلنا و لا احكمُ على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم اَنَّ لله [لَنْ يُّؤْتِيَهُمْ - خَيْرًا] في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدةً لكم و نزولاً على هَوَاكم [اِنِّيْٓ اِذًا لَّمِنَ الظّٰلِمِيْنَ] ان قلتَ شيأً من ذلك - والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه و ازرى به قصّر به يقال ازدرتْهُ عينه واقتحمته عينه * [جَادَلْتَنَا فَاَكْثَرْتَ جِدَالَنَا] معناه اردتَ جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب [فَاْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا] من العذاب المعجّل * [اِنَّمَا يَاْتِيْكُمْ بِهِ اللّٰهُ] اي ليس الاتيان بالعذاب اليّ انما هو الى من كفرتم به و عصيتموه [اِنْ شَآءَ] يعني ان اقتضت حكمته ان يعجّله لكم - و قرأ ابن عباس فَاَكْثَرْتَ جَدَلَنَا - فان قلت ما وجه ترادف هذين لشرطين - قلت قوله اِنْ كَانَ اللّٰهُ يُرِيْدُ اَنْ يُّغْوِيَكُمْ جزاؤه ما دل عليه قوله لَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِيْ و هذا الدالّ في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنتَ اليّ احسنتُ اليك ان امكنني - فان قلت فما معنى قوله [اِنْ كَانَ اللّٰهُ يُرِيْدُ اَنْ يُّغْوِيَكُمْ] - قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلّاه و شانَهُ و لم يُلجئه سُمّي ذلك اغواء و اضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمّي ارشادا وهداية - وقيل اَنْ يُّغْوِيَكُمْ ان يهلككم من غوى الفصيل غوىً اذا بشم فهلك و معناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله و مواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي * [فَعَلَيَّ اِجْرَامِيْ] واجرامي بلفظ المصدر و الجمع كقوله وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اِسْرَارَهُمْ واسرارهم نحو جُرمٍ و اجرامٍ قفلٌ و اقفالٌ و ينصر الجمع ان فسّره الاولون باثامي - والمعنى ان صحّ و ثبت اني افتريته فعليّ عقوبة اجرامي اي افترائي

هُوَ رَبُّكُمْ قف وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ط قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ۝ ع
وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ج إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ۝ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ قف وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ
مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ط قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ

وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني و تتالبوا عليّ [وَأَنَا بَرِيءٌ] يعني و لم يثبت ذلك و انا بريء منه و معنى [مِمَّا تُجْرِمُونَ] من اجرامكم في اسناد الافتراء اليّ فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم [لَنْ يُؤْمِنَ] اقناط من ايمانهم و انه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع [إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ] الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه و قد لتوقع و قد اعاب محزها *[فَلَا تَبْتَئِسْ] فلا تحزن حزن بائس مستكين قال * شعر * ما يقسم الله اقبل غير مبتئس * منه و اقعد كريما ناعم البال * والمعنى فلا تحزن لما فعلوه من تكذيبك و ايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم- [بِأَعْيُنِنَا] في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا و حقيقته ملتبسا باعيننا كأن لله معه اعينا تكلؤه ان يزيغ في صنعته عن الصواب و ان لا يحول بينه و بين عمله احد من اعدائه [وَوَحْيِنَا] و انا نوحي اليك و نلهمك كيف تصنع - عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصفعها مثل جؤجؤ الطائر [وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا] ولا تدعني في شان قومك و استدفاع العذاب عنهم بشفاعتك [إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ] انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك وقضي به القضاء و جف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك ج وإنهم آتيهم عذاب غير مردود *[وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ] حكاية حال ماضية [سَخِرُوا مِنْهُ] ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بيماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا [فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ] يعني في المستقبل [كَمَا تَسْخَرُونَ] منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا و الحرق في الاخرة - وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم في ما انتم عليه من الكفر و التعرض لسخط الله و عذابه فانتم اولى بالاستجهال منا - او ان تستجهلونا فان نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر و بناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق - و روي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين و كان طولها ثلثمائة ذراع و عرضها خمسون ذراعا و طولها في السماء ثلثون ذراعا و كانت من خشب الساج و جعل لها ثلثة بطون - فحمل في البطن الاسفل الوحوش و السباع و الهوام - و في البطن الاوسط الدواب و الانعام - و ركب هو و من معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد و حمل معه جسد آدم عليه السلام و جعله معترضا بين الرجال و النساء - و عن الحسن كان طولها الفا و مائتي ذراع و عرضها ستمائة - و قيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من

سورة هود ١١ الجزء ١٢ ع ٣

يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَ فَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ ۚ وَ مَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ وَقَالَ ارْكَبُوا

تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله و رسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه و قد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مُتّ و انا شابّ و لكنني ظننت انها الساعة فمن ثمه شبتُ قال حدّثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع و مائتي ذراع و عرضها ستمائة ذراع و كانت ثلث طبقات طبقة للدوابّ و الوحش و طبقة للانس و طبقة للطير ثم قال له عُد باذن الله كما كنت فعاد ترابا • [مَنْ يَأْتِيهِ] في محل النصب بتَعْلَمُونَ اي فسوف تَعْلَمُونَ الذي ياتيه [عَذَابٌ يُخْزِيهِ] و يعني به اياهم و يريد بالعذاب عذاب الدنيا و هو الغرق و يحلّ عليه حلول الدَّيْن و الحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه [عَذَابٌ مُقِيمٌ] وهو عذاب الآخرة • حَتَّىٰ] هي التي يُبْتَدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط و الجزاء - فان قلت وقعت غاية لما ذا - قلت لقوله وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ اي و كان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد - فان قلت فاذا اتصلت حتى بيَصْنَعُ فما تصنع بما بينهما من الكلام - قلت هو حال من يَصْنَعُ كانه قال يصنعها و الحال انه كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ - فان قلت فما جواب كُلَّمَا - قلت ارت بين امرين - اما ان تجعل سَخِرُوا جوابا و قَالَ استينافا على تقدير سوال سائل - او تجعل سَخِرُوا بدلا من مَرَّ او صفة لَمَلَأٌ و قَالَ جوابا [وَ أَهْلَكَ] عطف على اثْنَيْنِ و كذلك وَ مَنْ آمَنَ يعني و احمل اهلك و المؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا لعلم الله انه يختار الكفر لا لتقديره عليه و ارادته به تعالى الله عن ذلك - قال الضحاك اراد ابنه و امرأته [إِلَّا قَلِيلٌ] روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح و اهله و بنوه الثلثة ونساؤهم - و عن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال و خمس نسوة - و قيل كانوا اثنين و سبعين رجلا و امرأة واولاد نوح سامٌ و حامٌ و يافثُ ونساؤهم فالجميع ثمانية و سبعون نصفهم رجال و نصفهم نساء • يجوز ان يكون كلاما واحدا و كلامين فالكلام الواحد ان يتصل بِسْمِ اللّٰهِ بارْكَبُوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمّين الله او قائلين بِسْمِ اللّٰهِ وقت اجرائها و وقت ارسائها - اما ان المَجْرى و المُرْسى للوقت - و اما لانها مصدران كالاجراء و الارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم و مقدم الحاجّ - و يجوز ان يكون مكانا للاجراء و الارساء و انتصابهما بما في بِسْمِ اللّٰهِ من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول - و الكلامان ان يكون بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرِيهَا وَ مُرْسَاهَا جملة من مبتدأ و خبر مقتضبة اي باسم الله اجراؤها وارساؤها - يروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت فاذا اراد ان ترسو قال بِسْمِ اللّٰهِ فرستْ - و يجوز ان يفخم الاسم كقوله • ع • ثم اسم السلام عليكما • و يراد بالله اجراؤها و ارساؤها اي بقدرته و امره - و قرئ مَجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا بفتح الميم من جرى و رسى اما

فِيهَا بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرٖىهَا وَمُرْسٰىهَا ط اِنَّ رَبِّيْ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ وَهِيَ تَجْرِيْ بِهِمْ فِيْ مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ق وَنَادٰى سورة هود ١١
نُوْحُ ابْنَهٗ وَكَانَ فِيْ مَعْزِلٍ يّٰبُنَيَّ ارْكَبْ مَّعَنَا وَلَا تَكُنْ مَّعَ الْكٰفِرِيْنَ ۝ قَالَ سَاٰوِيْٓ اِلٰى جَبَلٍ يَّعْصِمُنِيْ الجزء ١٢
مِنَ الْمَآءِ ط قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ اِلَّا مَنْ رَّحِمَ ج وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِيْنَ ۝ ع ٣

مصدرين او وقتين او مكانين - و قرأ مجاهد مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله - فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة - قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مُجراها و مُرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته - ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله * ع * و جاؤنا بهم سكر علينا * فلا تكون كلاما برأسه ولكنْ فضلةً من فضلات الكلام الاول - و انتصابُ هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراةً و مرساةً باسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى ادْخُلُوْهَا خٰلِدِيْنَ [اِنَّ رَبِّيْ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ] لولا مغفرته لذنوبكم و رحمته اياكم لَمَا نجاكم - فان قلت بم اتصل قوله [وَهِيَ تَجْرِيْ بِهِمْ] - قلت بمحذوف دل عليه اركَبُوْا فِيْهَا بِسْمِ اللّٰهِ كانه قيل فركبوا فيها يقولون بِسْمِ اللّٰهِ * [وَهِيَ تَجْرِيْ بِهِمْ] اي تجري و هم فيها [فِيْ مَوْجٍ كَالْجِبَالِ] يريد موج الطوفان شبّهَ كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها - فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه و زخيره و كان الماء قد التقى و طَبَق ما بين السماء و الارض و كانت الفلك تجري في جوف الماء كما تَسْبَحُ السمكة فما معنى جريها في الموج - قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبالَ ألا ترى الى قول ابنه سَاٰوِيْ اِلٰى جَبَلٍ يَّعْصِمُنِيْ مِنَ الْمَآءِ - قيل كان اسم ابنه كنعانَ - وقيل يَامَ - وقرأ عليّ رضي الله عنه ابْنَهَا والضمير لامرأته - و قرأ محمد بن عليّ و عروة بن الزبير ابْنَهْ بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن - قال قتادة سألته فقال و اللّٰهِ ما كان ابنَهُ فقلت ان الله حكى عنه اِنَّ ابْنِيْ مِنْ اَهْلِيْ و انت تقول لم يكن ابنَهُ و اهلُ الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال و من يأخذ دينه من اهل الكتاب و استدل بقوله مِنْ اَهْلِيْ ولم يقل مني و لنسبته الى امّه و جهان - احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سَلَمة لرسول الله صلى الله عليه و اله و سلم - و ان يكون لغير رشدة - و هذه غضاضة عُصِمَتْ منها الانبياء عليهم السلام - و قرأ السُّدِّيْ و نَادٰى نُوْحُ ابْنَاهُ على الندبة و الترثّي اي قال يا ابناه - و المَعْزِل مفعلٌ من عزله عنه اذا نحّاه و ابعده يعني و كان في مكانٍ عَزَلَ فيه نفسه عن ابيه و عن مركب المؤمنين - و قيل كان في معزل عن دين ابيه [يٰبُنَيَّ] - قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة - و بالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بُنَيّا - او سقطت الياء و الالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة - [اِلَّا مَنْ رَّحِمَ] الا الراحمُ وهو الله تعالى - او لا عاصم اليوم من الطوفان اِلَّا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين و كان لهم غفورا رحيما في قوله اِنَّ رَبِّيْ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ و ذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكانُ مَن رحمهم الله ونجاهم يعني

سورة هود ١١ الجزء ١٢ ع ٣ الربع

وَقِيلَ يٰٓأَرْضُ ابْلَعِي مَآءَكِ وَيٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَآءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ۝ وَنَادىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ۖ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ

السفينة - وقيل لا عاصم بمعنى الا ذا عصمة الا من رحمه الله كقولك ماء دافق وعيشة راضية - وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل و لكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ - وقرئ إِلَّا مَن رُّحِمَ على البناء للمفعول • نداء الارض و السماء بما ينادى به العقلاء المميز على لفظ التخصيص و الاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يٰٓأَرْضُ وَيٰسَمَآءُ ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز و العقل من قوله ابْلَعِي مَآءَكِ وَأَقْلِعِي من الدلالة على الاقتدار العظيم و ان السموات و الارض و هذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته و جلالته و ثوابه و عقابه و قدرته على كل مقدور و تبينوا تحتم طاعته عليهم و انقيادهم له و هم يأبونه و يفرعون من التوقف دون الامتثال له و النزول على مشيته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس و لا ابطاء - والبلع عبارة عن النشف - والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر و اقلعت الحمى [وَغِيضَ الْمَآءُ] من غاضه اذا نقصه [وَقُضِيَ الْأَمْرُ] و انجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه [وَاسْتَوَتْ] واستقرت السفينة [عَلَى الْجُودِيِّ] وهو جبل بالموصل [وَقِيلَ بُعْدًا] يقال بَعِد بُعْدا وبَعْدا اذا ارادوا البُعْد البعيد من حيث الهلاك و الموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال و الكبرياء و ان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر بتكوين مكون قاهر و ان فاعلها فاعل واحد لا يشاركه في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك و يا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته و اقراره - ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية و رقصوا لها رؤسهم لاشتمالها على التجانس الكلمتين وهما قوله ابْلَعِي وَأَقْلِعِي وذلك وان كان لا يُحْلى الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور - وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين و مائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وحُبط بهم يوم عاشوراء - و روي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق - و روي ان نوحا صام يوم الهبوط و امر من معه فصاموا شكرا لله تعالى - نداؤه رَبَّهُ دعاؤه له وهو قوله رَبِّ مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله - فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رَبِّ فكيف عطف قَالَ رَبِّ على نَادىٰ بالفاء - قلت اريد بالنداء ارادة النداء و لو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله إِذْ نَادىٰ رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيًّا قال رَبِّ بغير فاء [إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي] اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله [وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ] و ان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي

سورة هود ١١ الجزء ١٢ ع ٣

أَحْكَمُ الْحٰكِمِيْنَ ۝ قَالَ يٰنُوْحُ اِنَّهٗ لَيْسَ مِنْ اَهْلِكَ ۚ اِنَّهٗ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهٖ عِلْمٌ ۭ اِنِّيْٓ اَعِظُكَ اَنْ تَكُوْنَ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ ۝ قَالَ رَبِّ اِنِّيْٓ اَعُوْذُ بِكَ اَنْ اَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِيْ بِهٖ عِلْمٌ ۭ وَاِلَّا تَغْفِرْ لِيْ وَتَرْحَمْنِيْٓ اَكُنْ مِّنَ الْخٰسِرِيْنَ ۝ قِيْلَ يٰنُوْحُ اهْبِطْ بِسَلٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلٰٓى اُمَمٍ

لا شك في انجازه و الوفاء به و قد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي [وَاَنْتَ اَحْكَمُ الْحٰكِمِيْنَ] اي اعلم الحكّام و اعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الّا بالعلم و العدل - ورُبّ عريق في الجهل و الجور من متقلّدي الحكومة في زمانك قد لُقّبَ اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبِرْ و استعبِرْ - ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع و حائض و طالق على مذهب الخليل - [اِنَّهٗ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ] تعليل لانتفاء كونه من اهله و فيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب و ان نسيبك في دينك و معتقدك من الاباعد في المنصب و ان كان حبشيًا وكنتَ قرشيا لَصِيقُكَ و خصيصُك و من لم يكن على دينك وان كان امسّ اقاربك رحمًا فهو ابعد بعيد منك - وجُعلت ذاته عملا غير صالح مبالغةً في ذمّه كقولها «ع» فانما هي اقبال و ادبارُ » وقيل الضمير لنداء نوح اي انّ نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك - فان قلت فهلّا قيل انه عمل فاسدٌ - قلت لمّا نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يُستبقى معها لفظ المنفي واذن بذلك انه لما انجى مَنْ انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلُك و اقاربك و انّ هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتٰهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا - وقرئ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ اي عمل غير صالح - وقرئ [فَلَا تَسْـَٔلْنِ] بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمسْ منّي ملتمسًا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقفَ على كنهه و ذكرُ المسئلة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه - فان قلت لم سمّي نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه - قلت قد تضمّن دعاؤه معنى السؤال و ان لم يصرّح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرقَ فقد استنجز و جعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا و غباوة و وَعَظه ان لا يعود اليه و الى امثاله من افعال الجاهلين - فان قلت قد وعده ان ينجي اهله و ما كان عنده انّ ابنه ليس منهم دينًا فلمّا اشفى على الغرق تشابهَ عليه الامر لان العدة قد سبقت له و قد عَرف اللّٰهَ حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح و خُلْف الميعاد فطلب اماطةَ الشبهة و طلبُ اماطة الشبهة واجب بل زُجر وسُمّي سؤاله جهلا - قلت ان الله عزّوعلا قدّم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء مَنْ سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح و ان كلهم ليسوا بناجين و ان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرقَ في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم معوّلا على ان اشتبه عليه ما يحسب ان لا يشتبه » [اَنْ اَسْـَٔلَكَ] من اَن اطلب منك في المستقبل مالا علمَ لي بصحّته تأدّبا بادبك و اتّعاظا بموعظتك [وَاِلَّا تَغْفِرْ لِيْ] ما فرط مني من ذلك

سورة هود ١١ الجزء ١٢ ع ٤

مِمَّنْ مَّعَكَ ط وَاُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝ تِلْكَ مِنْ اَنْۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوْحِيْهَآ اِلَيْكَ ۚ مَا كُنْتَ
تَعْلَمُهَآ اَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا ۛ فَاصْبِرْ ۛ اِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِيْنَ ۝ ع وَاِلٰى عَادٍ اَخَاهُمْ هُوْدًا ط قَالَ
يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ غَيْرُهٗ ط اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا مُفْتَرُوْنَ ۝ يٰقَوْمِ لَآ اَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا ط اِنْ اَجْرِيَ اِلَّا عَلَى
الَّذِيْ فَطَرَنِيْ ط اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ۝ وَيٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوْٓا اِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا وَّيَزِدْكُمْ قُوَّةً

[وَتَرْحَمْنِي] بالتوبة علي [اَكُنْ مِّنَ الْخٰسِرِيْنَ] اعمالا - و قرئ يٰنُوْحُ اهْبِطْ بضم الباء [بِسَلٰمٍ مِّنَّا] مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما [وَبَرَكٰتٍ عَلَيْكَ] و مباركا عليك - و البركات الخيرات النامية - و قرئ وَبَرَكَةٍ على التوحيد [وَعَلٰٓى اُمَمٍ مِّمَّنْ مَّعَكَ] يحتمل - ان يكون مِنْ للبيان فيراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات - او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم - و ان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك و هي الامم الى آخر الدهر و هو الوجه - و قوله [وَاُمَمٌ] رفع بالابتداء و [سَنُمَتِّعُهُمْ] صفته و الخبر محذوف تقديره و ممن معك اُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ و انما حذف لان قوله مِمَّنْ مَّعَكَ يدل عليه - و المعنى ان السلام مِنَّا و البركات عليك و على امم مؤمنين ينشأون ممن معك و ممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار و كان نوح عليه السلام ابا الانبياء و الخلق بعد الطوفان منه و ممن كان معه في السفينة - و عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن و مومنة الى يوم القيامة و فيما بعده من المتاع و العذاب كل كافر - و عن ابن زيد هبطوا و اللّٰه عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم و منهم من عذب - و قيل المراد بالامم الممتعة قوم هود و صالح و لوط و شعيب - [تِلْكَ] اشارة الى قصة نوح عليه السلام و محلها الرفع على الابتداء و الجمل بعدها اخبار اي ذلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك و عند قومك [مِنْ قَبْلِ هٰذَا] من قبل انحائي اليك و اخبارك بها - او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي - او من قبل هذا الوقت [فَاصْبِرْ] على تبليغ الرسالة و اذى قومك كما صبر نوح و توقع في العاقبة لك و لمن كذبك نحو ما فيض لنوح و لقومه [اِنَّ الْعَاقِبَةَ] في الفور و النصرة و الغلبة [لِلْمُتَّقِيْنَ] - و قوله وَلَا قَوْمُكَ معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم و وفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم و لا سمعوه و لا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد اللّٰه و لا اهل بلده [اَخَاهُمْ] واحدا منهم و اقتصابه للعطف على اَرْسَلْنَا نُوْحًا و [هُوْدًا] عطف بيان و [غَيْرُهٗ] بالرفع صفة على محل الجار و المجرور - و قرئ غَيْرِهٖ بالجر صفة على اللفظ [اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا مُفْتَرُوْنَ] تفترون على اللّٰه الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء - ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة و النصيحة لا يمحضها و لا يمحضها الا حسم المطامع و ما دام يتوهم شيء منها لم ينجع و لم ينفع [اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ] ان ترددون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من اللّٰه و هو ثواب الاخرة و لا شيء انفى للتهمة من ذلك - قيل [اسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ] امنوا به [ثُمَّ تُوْبُوْٓا اِلَيْهِ] من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان - وَالْمِدْرَار الكثيرة

سورة هود ١١ الجزء ١٢ ع ٤

إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ۝ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۖ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا

الدرور كالمغزار و انما قصد استمالتهم الى الايمان و ترغيبهم فيه بكثرة المطر و زيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع و بساتين و عمارات حراصا عليها اشدّ الحرص مكانوا احوج شيء الى الماء و كانوا مُدّين بما أُوتوا من شدة القوة و البطش و البأس و النجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية - و قيل اراد القوة في المال - و قيل القوة على النكاح - و قيل حُبس عنهم القطر ثلث سنين و عُقمت ارحام نسائهم - و عن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعضُ حُجّابه فقال اني رجل ذو مال و لا يولد لي فعلّمني شيئاً لعلّ الله يرزقني ولداً فقال عليك بالاستغفار فكان يُكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرّة فوُلد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هَلّا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وقول نوح وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ [وَلَا تَتَوَلَّوْا] و لا تُعْرضوا عني و عمّا ادعوكم اليه و ارغبكم فيه [مُجْرِمِينَ] مُصرّين على اجرامكم و اثامكم * [مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ] كذبٌ منهم و جحودٌ كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله و سلم لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ مع فوات آياته الحصرَ [عَنْ قَوْلِكَ] حال من الضمير في تَارِكِي آلِهَتِنَا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك [وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ] وما يصح من امثالنا ان يصدّقوا مثلك فيما يدعوهم اليه افناطاً له من الاجابة * [اعْتَرَاكَ] مفعول نَقُولُ و إلّا لغو - و المعنى ما نقول الا قولنا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ اي خبّلك و مسّك بجنون لسبّك اياها و صدّك عنها و عداوتك لها مكافاةً لك منها على هوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثمه تتكلم بكلام المجانين و تهذي بهذيان المبرسمين و ليس بعجب من اولئك ان يسمّوا التوبة و الاستغفار خَبلا و جنوناً و هم عادوا أعلام الكفر و اوثان الشرك و انما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمّون التائبَ من ذنوبه مجنوناً و المُنيبَ الى ربّه مخبّلاً و لم نجدهم معه على عُشر معشار ما كانوا عليه في ايام جاهليته من المودّة و ما ذاك الا لعرق من الالحاد ابى الّا ان ينبضَ و ضَبٍّ من الزندقة اراد ان يُطلع رأسه و قد دسّت اجوافهم المتقدمة على ان القوم كانوا جُفاةً غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت و لا يلتفتون الى النصح و لا تلين شكيمتهم للرشد و هذا الاخير دالّ على جهل مفرط و بله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر و تنتقم و اعلم حين اجازوا العقاب كانوا يُجيزون الثواب - من اعظم الآيات ان يواجهَ بهذا الكلام رجل واحد امّة عظاما الى ارافة دمه يرمونه عن قوس واحدة و ذلك لثقته بربّه و انه يعصمه منهم فلا تذهب فيه محالهم و نحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ - اكّد براءته من آلهتهم و شركهم و وثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامورَ بشهادة الله و شهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل

سورة هود ١١ تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَا مِنْ دَابَّةٍ
الجزء ١٢ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ
ع ٤ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ۚ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ

كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على اني لا افعله - فان قلت هلّا قيل اني اُشهد الله و اُشهدكم - قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهادٌ صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد و شدّ معاقده و امّا اشهادهم فما هو الا تهاونٌ بدينهم و دلالةٌ على قلة المبالاة بهم فحسب فعُدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما و جيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبسّ المَرى بينه و بينه اشهدْ على اني لا احبّك تهكّما به و استهانةً بحاله [مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ] من اشراككم اياه من دونه - او مما تشركونه من آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له و لم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا [فَكِيدُونِي جَمِيعًا] انتم و آلهتكم اجمل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم و بكيدكم و لا اخاف معرّتكم و ان تعاودتم عليّ و انتم الاقوياء الشداد فكيف تضرّني آلهتكم و ما هي الا جمادٌ لا تضرّ و لا تنفع وكيف تنتقم منّي اذا نلتُ منها و صددتُ عن عبادتها بان تخبّلني و تذهب بعقلي - ولما ذكر توكله على الله و ثقته بحفظه و كلاءته من كيدهم وصّفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه و عليهم و من كون كل دابّة في قبضته و ملكته وتحت قهره وسلطانه و الاخذُ بنواصيها تمثيل لذلك [إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] يريد انه على طريق الحق و العدل في مُلكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به * [فَإِنْ تَوَلَّوْا] فان تتولوا - فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاءً للشرط - قلت معناه فان تتولّوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الّا تكذيبَ الرسالة و عداوةَ الرسول [وَيَسْتَخْلِفُ] كلام مستانف يريد و يهلككم الله و يجيءُ بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم و اموالكم [وَلَا تَضُرُّونَهُ] بتوليكم [شَيْئًا] من ضرر قطّ لانه لا يجوز عليه المضارّ و المنافع و انما تضرّون انفسكم - و في قراءة عبد الله وَ يَسْتَخْلِفْ بالجزم و كذلك وَلَا تَضُرُّوهُ عطفا على محل فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ - و المعنى ان تتولوا يعذرني و يستخلفْ قوما بعدكم و لا تضرّوا الا انفسكم [عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ] اي رقيبٌ عليه مهيمنٌ فما تخفى عليه اعمالكم و لا يغفل عن مواخذتكم - او من كان رقيبًا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضارّ لم يضرّ مثلَهُ مثلُكم - [وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ] قيل كانوا اربعة آلاف - فان قلت ما معنى تكرير التنجية - قلت ذكر اوّلا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال [وَ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ] على معنى و كانت تلك التنجية من عذاب غليظ - وذلك ان الله عزّ و جلّ بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطّعهم عضوا عضوا - وقيل اراد بالثانية التنجيةَ من عذاب الآخرة و لا عذابَ

وَاتُّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا
لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝ ع وَإِلٰى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صٰلِحًا ۘ قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنْشَأَكُمْ
مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ۝ قَالُوا يٰصٰلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا
مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذَآ أَتَنْهَانَآ أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَ يٰقَوْمِ

اعظ منه واشد - وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له * [وَتِلْكَ عَادٌ] اشارة الى قبورهم و آثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها و اعتبروا - ثم استأنف وصف احوالهم فقال [جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ] لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لأنفرق بين أحد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده [كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ] يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل - و معنى اتباع امرهم طاعتهم - و انما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبتهم على وجوههم في عذاب الله - و[أَلَا] و تكرارها مع الدعاء على كفرهم و الدعاء عليهم تهويل لامرهم و تفظيع له و بعث على الاعتبار بهم و الحذر من مثل حالهم - فان قلت [بُعْدًا] دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم - قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله * شعر * اخوتي لا تبعدوا ابدا * و بلى و الله قد بعدوا * [قَوْمِ هُودٍ] عطف بيان لعاد - فان قلت ما الفائدة في هذا البيان و البيان حاصل بدونه - قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما و تجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه - و لان عادا عادان الأولى القديمة التي هي قوم هود و القصة فيهم و الاخرى ارم - [هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ] لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره و انشاؤهم منها خلق أدم من التراب [وَاسْتَعْمَرَكُمْ] و امركم بالعمارة و العمارة متنوعة الى واجب و ندب و مباح و مكروه - وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار و غرس الاشجار و عمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي - و عن معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء الارض في أخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل * شعر * ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا تكون له في الارض آثار * وقيل اسْتَعْمَرَكُمْ من العمر نحو استبقاكم من البقاء و قد جعل من العُمْرى وفيه وجهان - احدهما ان يكون اسْتَعْمَرَ في معنى أَعْمَرَ كقولك استهلكه في معنى اهلكه و معناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم - و الثاني ان يكون بمعنى جعلكم مُعَمَّرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره مَنْ بعده وكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره [قَرِيبٌ] داني الرحمة سهل المطلب [مُجِيبٌ] لمن دعاه و سأله * [فِينَا] فيما بيننا [مَرْجُوًّا] كانت تلوح فيك مخايل الخير و امارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك و تكون مشاورا في الامور و مسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك و علمنا

سورة هود ١١ الجزء ١٢ ع ٦

أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ قف فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ
تَخْسِيرٍ ۝ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ
قَرِيبٌ ۝ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ط ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
صَٰلِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ط إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ وَأَخَذَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ط أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ط أَلَا بُعْدًا
لِّثَمُودَ ۝ ع وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَٰمًا ط قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝

أنْ لاخير فيك - وعن ابن عباس فاضلًا خيرًا نقدّمك على جميعنا - وقيل كنّا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه [يَعْبُدُ آبَاؤُنَا] حكاية حال ماضية [مُرِيبٍ] من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين - او من اراب الرجلُ اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي - قيل [إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي] بحرف الشك وكان على يقين انه على بيّنة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدّروا اني على بيّنة من ربي واني نبيٌّ على الحقيقة وانظروا انّ تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله [فَمَا تَزِيدُونَنِي] اذن حينئذ [غَيْرَ تَخْسِيرٍ] يعني تخسّرون اعمالي وتبطلونها - او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسّركم اي انسُبكم الى الخسران واقولَ لكم انكم خاسرون [آيَةً] نصب على حال قد عمل فيها ما دلّ عليه اسم الاشارة من معنى الفعل - فان قلت فبما يتعلق لَكُمْ - قلت بآيَةً حالاً منها متقدمةً لانها لو تأخّرتْ لكانت صفةً لها فلمّا تقدمت انتصبت على الحال [عَذَابٌ قَرِيبٌ] عاجل لايستاخر عن مسّكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلثة ايام ثم يقع عليكم * [تَمَتَّعُوا] استمتعوا بالعيش [فِي دَارِكُمْ] في بلدكم وتُسمّى البلاد الديارَ لانه يُدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالَيْ مكّة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد - وقيل في دار الدنيا - وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت [غَيْرُ مَكْذُوبٍ] غير مكذوب فيه فاتّسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مُجْرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله * ويوم شهدناه * او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وُفي به فقد صدق ولم يكذب - او وعدٌ غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق [وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ] قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى إذْ وهو غير متمكن كقوله * ع * على حينَ عاتبت المشيب * فان قلت علامَ عُطف - قلت على نَجَّيْنَا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذلّه ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي مَن كان هلاكه بغضب الله وانتقامه - ويجوز ان يريد بيَوْمِئِذٍ يوم القيامة كما فُسّر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة - وقرئ الا إنّ ثَمُودَ - ولِثَمُودَ كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحيّ او الاب الاكبر - ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى

وَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ ۙ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوٓا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ

القبيلة [رُسُلُنَا] يريد الملئكة - عن ابن عباس جاءه جبرئيل عليه السلام وملكان معه - و قيل جبرئيل و ميكائيل و اسرافيل - و قيل كانوا تسعة - و عن السدي احد عشر [بِالْبُشْرَىٰ] هي البشارة بالولد - و قيل هلاك قوم لوط و الظاهر الولد [سَلَٰمًا] سلمنا عليك سلاما [سَلَٰمٌ] امركم سلام - و قرئ فَقَالُوا سِلْمًا قَالَ سِلْمٌ بمعنى السلام - و قيل سلم و سلام كحرم و حرام و انشد * شعر * مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت * كما الكتل بالدوق الغمام اللوائح * [فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ] فما لبث في المجيء به بل عجل فيه - او فما لبث مجيئه - و العجل ولد البقرة ويسمى الحسيل و الخبش بلغة اهل السراة و كان مال ابراهيم البقر [حَنِيذٍ] مشوي بالرضف في الاخدود - و قيل حَنِيذٍ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى تقطر عرقا و يدل عليه بعجل سمين * نكره و انكره و استنكره و منكر قليل في كلامهم و كذلك انا انكرك و لكن منكر و مستنكر و انكرك - و قال الاعشى * شعر * و انكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث الا الشيب و الصلعا * قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها - و قيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه و الا خافوه - و الظاهر انه احس بانهم ملئكة و نكرهم انه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ و انما يقال هذا لمن عرفهم و لم يعرف فيم أُرْسِلُوا [فَأَوْجَسَ] فاضمر و انما قالوا لَا تَخَفْ لانهم رأوا اثر الخوف و التغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله اوعلموا ان علمهم بانهم ملئكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب [وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ] قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم - و قيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم - و في مصحف عبد الله وَ امْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وَهُوَ قَاعِدٌ [فَضَحِكَتْ] سرورا بزوال الخيفة - او بهلاك اهل الخبائث - او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب - و قيل كانت تتولى لابراهيم اضم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه يذل بفلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت - و قيل فَضَحِكَتْ فحاضت - و قرأ محمد بن زياد الاعرابي فَضَحَكَتْ بفتح الحاء [يعقوبَ] رفع بالابتداء كانه قيل و من وراء اسحق يعقوب مولود و موجود اي من بعده - و قيل الوراء ولد الولد - و عن الشعبي انه قيل له أَهَٰذَا ابنك فقال نعم من الوراء و كان ولد ولده - و قرئ يَعْقُوبَ بالنصب كانه قيل و وهبنا لها اسحق و من وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله * ع * ليسوا مصلحين عشيرة * و لا ناعب * الالف في [يَٰوَيْلَتَىٰٓ] مبدلة من ياء الاضافة و كذلك في يا ليتنا و يا عجبا - و قرأ الحسن يَٰوَيْلَتِي بالياء على الاصل و [شَيْخًا] نصب بما دل عليه اسم الاشارة - و قرئ شَيْخٌ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هٰذَا بَعْلِي هو شَيْخٌ - او بَعْلِي بدل من المبتدأ و شَيْخٌ خبر او يكونان معا خبرين - قيل بُشِّرَتْ

عَلَيْكُمْ اَهْلَ الْبَيْتِ ۖ اِنَّهٗ حَمِيْدٌ مَّجِيْدٌ ۝ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ اِبْرٰهِيْمَ الرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ الْبُشْرٰى يُجَادِلُنَا فِيْ قَوْمِ
لُوْطٍ ۞ اِنَّ اِبْرٰهِيْمَ لَحَلِيْمٌ اَوَّاهٌ مُّنِيْبٌ ۝ يٰٓاِبْرٰهِيْمُ اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا ۚ اِنَّهٗ قَدْ جَآءَ اَمْرُ رَبِّكَ ۚ وَاِنَّهُمْ اٰتِيْهِمْ

ولها تسعون سنة و لابراهيم مائة و عشرون سنة [اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيْبٌ] ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله و انما انكرت عليها الملئكة تعجبها [فَقَالُوْٓا اَتَعْجَبِيْنَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ] لانها كانت في بيت الآيات و مهبط المعجزات و الامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر و لا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشيات في غير بيوت النبوة و ان تسبح الله و تمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملئكة صلوات الله عليهم في قولهم رَحْمَتُ اللّٰهِ وَبَرَكٰتُهٗ عَلَيْكُمْ اَهْلَ الْبَيْتِ ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة و يخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب - و [اَمْرِ اللّٰهِ] قدرته وحكمته - وقوله [رَحْمَتُ اللّٰهِ وَبَرَكٰتُهٗ عَلَيْكُمْ] كلام مستانف عُلِّلَ به انكار التعجب كانه قيل اياك و التعجب فان امثال هذه الرحمة و البركة متكاثرة من الله عليكم - وقيل الرحمةُ النبوة و البركاتُ الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم و كلهم من ولد ابراهيم [حَمِيْدٌ] فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده [مَّجِيْدٌ] كريم كثير الاحسان اليهم - و اَهْلَ الْبَيْتِ نصب على النداء - او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمٰن * [اَلرَّوْعُ] ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه و المعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف و مُلِئ سروراً بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة - فان قلت اين جواب لَمَّا - قلت هو محذوف كما حذف في قوله فَلَمَّآ ذَهَبُوْا بِهٖ وَاَجْمَعُوْٓا - وقوله [يُجَادِلُنَا] الكلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا - او فطن لمجادلتنا - او قال كيتَ و كيتَ ثم ابتدأ فقال يُجَادِلُنَا فِيْ قَوْمِ لُوْطٍ - و قيل في يُجَادِلُنَا هو جواب لَمَّا و انما جيء به مضارعاً لحكاية الحال - وقيل ان لَمَّا ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال * وقيل معناه اخذ يجادلنا و اقبل يجادلنا والمعنى يجادل رُسُلَنا و مجادلتُه اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية وقال ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلاً من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل واحدٌ مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لَنُنَجِّيَنَّهٗ و اهله [فِيْ قَوْمِ لُوْطٍ] في معناهم - و عن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رُفع عنهم العذاب - و عن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خيرٌ - وقيل كان فيها اربعة آلاف الف انسان [اِنَّ اِبْرٰهِيْمَ لَحَلِيْمٌ] غير عجول على كل من اساء اليه [اَوَّاهٌ] كثير التأوه من الذنوب [مُّنِيْبٌ] تائب راجع الى الله بما يحب و يرضى و هذه الصفات دالة على رقة القلب و الرأفة و الرحمة فبيّن ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاءَ ان يُرفع عنهم العذاب و يمهلوا لعلهم يحدثون التوبةَ و الانابةَ كما حمله على الاستغفار لابيه [يٰٓاِبْرٰهِيْمُ] على ارادة القول اي قالت له الملئكة [اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا] الجدال وان كانت الرحمة

عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۝ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَاءَهُ
قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ۖ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۝ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ۖ وَإِنَّكَ

دينك ولا فائدة فيه [إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ] و هو قضاؤه وحُكْمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة و العذاب نازل بالقوم لا محالة لا مَرَدَّ لَهُ بجدال ولا دعاء و لا غير ذلك - كانت مَسَاءَة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم إنسٌ فخاف عليهم خبث قومه و ان يعجز عن مقاومتهم و مدافعتهم - وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاما مشى معهم منطلقاً بهم الى منزله قال لهم أمَا بلغكم امر هذه القرية قالوا و ما امرهم قال أَشْهد بالله انها لَشرّ قرية في الارض عملاً يقول ذلك اربع مرّات فدخلوا معه منزله و لم يعلم بذلك احدٌ فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها - يقال يومٌ عصيبٌ وعَصْوَصَبٌ اذا كان شديداً من قولك عصبه اذا شدّه [يُهْرَعُونَ] يُسْرِعون كأنما يُدْفَعون دفعاً [وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ] و من قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضَرُوا بها و مَرَنُوا عليها وقلّ عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يُهْرَعون مجاهرين لا يكفّهم حياء - و قيل معناه و قد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك [هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي] اراد ان يقي اضيافه بذاته و ذلك غاية الكرم و اراد هؤلاء بناتي فتزوّجوهنّ و كان تزويج المسلمات من الكفار جائزاً كما زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنتَيْه من عُتْبة بن ابي لهب و ابي العاص بن وائل قبل الوحي و هما كافران - و قيل كان لهم سيّدان مطاعان فاراد ان يزوّجهما ابنتَيْه - وقرأ ابن مروان هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ بالنصب وضعّفه سيبويه و قال اجتنبي ابن مروان في لحنه - وعن ابي عمرو بن العَلاء من قرأ هُنَّ أَطْهَرُ فقد تربّع في لحنه وذلك انّ القصد على ان تجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقولك هٰذَا بَعْلِي شَيْخًا - او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء - وبَنَاتِي بَدَلٌ و يعمل هذا المضمر في الحال وهُنَّ فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خُرِّج له وجه لا يكون هُنَّ فيه فصلاً وذلك ان يكون هؤلاء مبتدأ بَنَاتِي هُنَّ جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا أخي هو و يكون أَطْهَرَ حالا [فَاتَّقُوا اللَّهَ] بايثارهنّ عليهم [وَلَا تُخْزُونِي] ولا تُبْدُوني و لا تفضحوني من الخزي - او لا تخجلوني من الخزاية و هي الحياء [فِي ضَيْفِي] في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل و ذلك من عراقة الكرم و اصالة المروّة [أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ] رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل و الكفّ عن السوء - و قرئ وَلَا تُخْزُونِ بطرح الياء - و يجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغةً في تواضعه لهم و اظهاراً لشدة اغتياظه مما أوردوا عليه طمعاً في ان يستحيوا منه و يرقّوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر و استقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه و بينهم

سورة هود ١١ الجزء ١٢ ع ٦

لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا
إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ
مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ

و من ثمه [قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ] مستشهدين بعلمه [مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ] لانك لا ترى مُناكحتنا و ما هو الا غرض سائرتي - و قيل لما اتخذوا اتيانَ الذكران مذهبًا و دينًا لقواطوهم عليه كان عندهم انه هو الحق و ان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه - و يجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة و الغرضُ نفي الشهوة [لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ] عَنَوْا اتيان الذكور و ما لهم فيه من الشهوة * جواب لَوْ محذوف كقوله وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ يعني او ان لي بكم قوة لفعلتُ بكم و صنعتُ يقال مالي به قوة - و مالي به طاقة - و نحوه لا قبل لكم بها - و مالي به يدان لانه في معنى لا اضطلعُ به و لا استقلّ به و المعنى لو قويتُ عليكم بنفسي او آويتُ الى قوي استندُ اليه و امتنعُ به فيحميني منكم فسُمّيَ القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته و منعته و لذلك قالت الملئكة و قد وجدت عليه ان ركنك لشديد - و قال النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم رحم الله اخي لوطًا كان يأوي الى ركن شديد - و قرئ او اوِيَ بالنصب باضمار اَنْ كانه قيل لو ان لي بكم قوة اَوْ وِيًا كقولهم * لَلُبْس عباءة وتَقَرَّ عيني * وقرئ الى رُكُنٍ بضمتين - و روي انه اغلق بابه حين جاؤا وجعل يراددهم ما حكى الله عنه و يجادلهم فتسوّروا الجدارَ فلما رأت الملئكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد [إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ] فافتح الباب و دَعْنا و اياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبرئيل عليه السلام ربّه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان و عليه وشاح من دُرّ منظوم و هو تراق الذنابا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله تعالى فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاءَ النجاءَ فان في بيت لوط قوما سَحَرة - لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه و لم يقدروا على ضرره - قرئ [فَأَسْرِ] بالقطع و الوصل [إِلَّا امْرَأَتَكَ] بالرفع و النصب - و روي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك [فَقَالُوا أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ] - و قرئ الصُّبُح بضمتين - فان قلت ما وجه قراءة من قرأ الَّا امْرَأَتَكَ بالنصب - قلت استثناها من قوله فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ و الدليلُ عليه قراءة عبد الله فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا امْرَأَتَكَ - و يجوز ان ينتصب عن لَا يَلْتَفِتْ على اصل الاستثناء و ان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها من اَحَدٌ - و في اخراجها مع اهله روايتان - رُوي انه اخرجها معهم و امر ان لا يلتفت منهم احدٌ الا هي فلما سمعت هدّة العذاب التفتت و قالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها - و روي انه امروا ان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسرِ بها و اختلافُ القراءتين لاختلاف الروايتين [جَعَلْنَا عَالِيَهَا

سجيل ٥ منضود ◎ مسومة عند ربك ط وما هي من الظلمين ببعيد ◎ والى مدين اخاهم سورة هود ١١
شعيبا ط قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ط ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اريكم بخير واني الجزء ١٢
اخاف عليكم عذاب يوم محيط ◎ ويقوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا ع ٧
النصف

سافلها] جعل جبرئيل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم و اتبعوا الحجارة من فوقهم [من سجيل] قيل هي كلمة معربة من سنگ گل بدليل قوله حجارة من طين - وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين و يدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة - و قيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل و سجل لفلان - [منضود] نضد في السماء نضدا معدا للعذاب - و قيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا [مسومة] معلمة للعذاب - و عن الحسن كانت معلمة ببياض و حمرة - و قيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض - و قيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به [وما هي] من كل ظالم [ببعيد] و فيه وعيد لاهل مكة - و عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انه سأل جبرئيل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة - و قيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مساريهم - ببعيد بشيء بعيد - و يجوز ان يراد و ما هي بمكان بعيد لانها و ان كانت في السماء و هي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه [اني اريكم بخير] يريد بثروة و سعة تغنيكم عن التطفيف - او اريكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون - او اريكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا [يوم محيط] مهلك من قوله و احيط بثمره و اصله من احاطة العدو - فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها - قلت بل وصف اليوم بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه - فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا - قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال و الميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي و تغييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه و بعث عليه - و جيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل و السوية من غير زيادة و لا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل و امر مندوب اليه و فيه توقيف على ان الموفي عليه ان يتوخى بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط و عدل فبذه ثلث فوائد - البخس النقص و يقال للمكس البخس قل ذلك او كثر * ع * و في كل ما باع امرؤ بخس درهم * و روي مكس درهم - كانوا ياخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل السماسرة - او كانوا يمكسون الناس - او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك - و المعنى

سورة هود ١١ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ بَقِيَّتُ اللّٰهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۝ قَالُوا يَا شُعَيْبُ
الجزء ١٢ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝
ع ٧ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا

فى الارض نحو السرقه و الغارة و قطع السبيل - و يجوز ان تجعل التطفيف و البخس عثيا منهم فى الارض
[بَقِيَّتُ اللّٰهِ] ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم [خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] بشرط ان تؤمنوا - فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسمون معها من تبعة البخس و التطفيف فلم شرط الايمان - قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر و في ذلك استعظام للايمان و تنبيه على جلالة شانه - و يجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي في ما اقول لكم و انصح به اياكم - و يجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ - و اضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه و اما الحرام فلا يضاف الى الله و لا يسمى رزقا فاذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله - و قرئ تَقِيَّةُ اللّٰهِ بالتاء و هي تقواه و مراقبته التي تصرف عن المعاصي و القبائح [وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ] و ما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم و اجازيكم عليها و انما بعثت مبلغا و منبها على الخير و ناصحا و قد اعذرت حين انذرت - كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات و كان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا و تضاحكوا فقصدوا بقولهم أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ السخرية و الهزء و الصلوة و ان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ و ان يقال ان الصلوة تامر بالجميل و المعروف كما يقال تدعو اليه و تبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز و جعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلوته و ارادوا ان هذا الذي تامر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته و ان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل و لا تامرك به امر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به امر هذيان و وسوسة شيطان و هو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك و نهارك و عندهم انها من باب الجنون و مما يتولع به المجانين و الموسوسون من بعض الاقوال و الافعال - و معنى [تَأْمُرُكَ أَنْ نَّتْرُكَ] تامرك بتكليف ان نترك [مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا] فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره - و قرئ أَصَلَوٰتُكَ بالتوحيد - و قرأ ابن ابي عبلة أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا تَشَاءُ بتاء الخطاب فيهما و هو ما كان يامرهم به من ترك التطفيف و البخس و الاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير - و قيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير و تقطيعها و ارادوا بقولهم [إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ] نسبته الى غاية السفه و الغي فعكسوا ليتكلموا به كما يفهم بالسحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك - و قيل معناه انك لَلْمَوْصُوفُ بالحلم و الرشد في قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك و ما شهرت به [وَرَزَقَنِي مِنْهُ] اي من لدنه [رِزْقًا

أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝
وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ
مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ۝ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا

حَسَنًا] و هو ما رزقه من النبوّة و الحكمة - و قيل رزقًا حَسَنًا حلالا طيّبا من غير بخس و لا تطفيف - فان قلت اين جواب أَرَأَيْتُمْ و ما له لم يُثْبَتْ كما أُثْبت في قصة نوح و لوط - قلت جوابه محذوف و انما لم يُثْبَت لان اثباته في القصتين دلّ على مكانه و معنى الكلام يناديه عليه - و المعنى اخبروني ان كنتُ على حجة واضحة و يقين من ربّي و كنتُ نبيًّا على الحقيقة ايصحّ لي ان لا اُصركم بترك عبادة الاوثان و الكفّ عن المعاصي و الانبياءُ لا يبعثون الّا لذلك - يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده و انت صادّ عنه - و خالفني عنه اذا وَلّى عنه و انت قاصده - و يلقاك الرجل صادرًا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردًا و انا ذاهب عنه صادرًا و منه قوله تعالى وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ يعني ان أَسْبقكم الى شهواتكم التي نُهيتكم عنها لَأَسْتَبِدَّ بها دونكم [إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ] ما اريد الا ان اُصْلحكم بموعظتي و نصيحتي و امري بالمعروف و نهيي عن المنكر [مَا اسْتَطَعْتُ] ظرف اي مدةَ استطاعتي للاصلاح و ما دمتُ متمكّنا منه لا اُوْنيه جهدا - او بدل من الإصْلَاح اي المقدار الذي استطعته منه - و يجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاحَ اصلاحَ ما استطعت - او مفعول له كقوله * ع * ضعيف النكاية اعداءَهُ * اي ما اريد الا ان اُصْلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم [وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ] و ما كوني موفّقا لاصابة الحق في ما آتي و آذر و وقوعه موافقًا لرضاء اللّٰه الا بمعونته و تاييده - و المعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سَدَده و طلب منه التاييد و الاظهارَ على عدوه و في ضمنه تهديدٌ للكفار و حسمٌ لاطماعهم فيه * جرمٌ مثل كسبَ في تعدّيه الى مفعول واحد و الى مفعولين تقول جرم ذنبا و كسبه و جرمتُهُ ذنبا و كسبتُهُ اياه قال * ع * جرمتْ فزارةَ بعدها أن يَغضبوا * و منه قوله تعالى [لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ] اي لا يكسبنّكم شقاقي اصابةَ العذاب - و قرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا و هو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكْسَبْته المالَ من كسبَ المالَ و كما لا فرق بين كسبته مالا و اكسبْتُه اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا و اجرمته اياه و القراءتان مستويتان في المعنى لا تفترق بينهما الّا ان المشهورة افصح لفظًا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبْتُه و المراد بالفصاحة انه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدْوَرُ و هم له اكثر استعمالا - و قرأ ابو حيوة و زيد عن نافع مِثْلَ مَا أَصَابَ بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله * ع * لم يمنع الشرب منها غير ان نطقتْ * [وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ] يعني انهم هلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم - او لا يبعدون منكم في الكفر و المعاصي و ما يستحق به الهلاك - فان قلت ما ابعيد لم يرد على

سورة هود ١١ تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرٰىكَ فِينَا ضَعِيفًا ۚ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنٰكَ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝ قَالَ يٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ
الجزء ١٢ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللّٰهِ ۖ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَيٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلٰى
ع ٧ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوٓا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝

ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه. قلت اما ان يراد و ما اهلاكهم ببعيد - او ما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد - و يجوز ان يسوّى في بعيد و قريب و قليل و كثير بين المذكر و المونث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل و النهيق و نحوهما [رَحِيمٌ وَدُودٌ] عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودّة بمن يودّه من الاحسان و الاجمال [مَا نَفْقَهُ] ما نفهم [كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ] لانهم كانوا لايلقون اليه اذهانهم رغبة عنه و كراهية له كقوله وَجَعَلْنَا عَلٰى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ - او كانوا يفقهونه و لكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه و قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول - او جعلوا كلامه هَذَيانًا و تخليطًا لا ينفهم كثير منه و كيف لا ينفهم كلامه و هو خطيب الانبياء - و قيل كان الثغ [فِينَا ضَعِيفًا] لا قوة لك و لا عزّ فيما بيننا فلاتقدر على الامتناع منّا ان اردنا بك مكروها. و عن الحسن ضَعِيفًا مهينا - و قيل ضَعِيفًا اعمى - و حِمْيَرُ تسمّي المكفوف ضعيفًا كما يسمّى ضريرا و ليس بسديد لان فِينَا يأباه أَلَا ترى انه لو قيل انّا لنرك فينا اعمى لم يكن كلامًا لان الاعمى اعمى فيهم و في غيرهم و لذلك قَتَلُوا قومَهُ حيث جعلوهم رهطا و الرهطُ من الثلثة الى العشرة - و قيل الى السبعة - و انما قالوا وَلَوْلَا هم احتراماً لهم و اعتداداً بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفاً من شوكتهم و عزتهم [لَرَجَمْنٰكَ] لقتلناك شرّ قتلة [وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ] اي لا تعزّ علينا و لا تكرم حتى نكرمك من القتل و نرفعك عن الرّجم و انما يعزّ علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا و لم يتبعوك دوننا و قد دلّ ايلاء ضميره حرفَ النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل و ما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزّة علينا و لذلك قال في جوابهم أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللّٰهِ و لو قيل و ما عززت علينا لم يصح هذا الجواب - فان قلت فالكلام واقع فيه و في رهطه و انهم الاعزّة عليهم دونه فكيف صح قوله أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللّٰهِ - قلت تهاونهم به و هو نبيّ الله تهاونٌ بالله فحين عزّ عليهم رهطه دونه كان رهطه اعزّ عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ [وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا] و نسيتموه و جعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لايعبأ به - و الظِهْرِيُّ منسوب الى الظهر و الكسر من تغييرات النسب و نظيره قولهم في النسبة الى الامس مِسِّيّ [بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] قد احاط باعمالكم علما و لا يخفى عليه شيء منها. [عَلٰى مَكَانَتِكُمْ] لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان يقال مَكان و مَكانة و مَقام و مَقامة - او تكون مصدرا من مَكُنَ مكانة فهو مكين - و المعنى اعملوا قارّين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك و الشنآن لي - او اعملوا متمكّنين من عداوتي مُطيقين لها [إِنِّي عَامِلٌ] على حسب ما يؤتيني الله

وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَّالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَهٗ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ۚ وَأَخَذَتِ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوْا سورة هود ١١
فِيْ دِيَارِهِمْ جٰثِمِيْنَ ۝ كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيْهَا ؕ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُوْدُ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوْسٰى بِأٰيٰتِنَا الجزء ١٢
وَسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ ۝ إِلٰى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِئِهٖ فَاتَّبَعُوْا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۚ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيْدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهٗ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ع ٨

من النصرة و التاييد و يمكنني [مَنْ يَّأْتِيْهِ] يجوز ان تكون مَنْ استفهامية معلّقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون ايّنا يأتيه عذاب يخزيه و ايّنا هو كاذب - و ان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقيّ الذي يأتيه عذاب يخزيه و الذي هو كاذب - فان قلت اىّ فرق بين ادخال الفاء و نزعها في سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ - قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل و نزعها وصل خفيّ تقديريّ بالاستيذاف الذي هو جواب لسوال مقدّر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا و عملتَ انت فقال سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ فوصل تارةً بالفاء و تارةً بالاستيذاف للتفنّن في البلاغة كما هو عادة بُلَغاء العرب و اقوى الوصلين و ابلغهما الاستيذافُ و هو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه [وَارْتَقِبُوْا] و انتظروا العاقبةَ و ما اقول لكم [إِنِّيْ مَعَكُمْ رَقِيْبٌ] اي منتظر و الرقيب بمعنى الراقب من رقبهُ كالضّريب و الصّريم بمعنى الضارب و الصارم - او بمعنى المراقب كالعشير و النديم - او بمعنى المرتقب كالفقير و الريح بمعنى المفتقر و المرتفع - فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم و عمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه و منهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه و من هو صادق حتى ينصرف مَنْ يَّأْتِيْهِ عَذَابٌ يُّخْزِيْهِ الى الجاحدين و من هو صادقٌ الى النبيّ المبعوث اليهم - قلت القياس ما ذكرتَ و لكنهم لمّا كانوا يدعونه كاذبًا قال و من هو كاذبٌ يعني في زعمكم و دعواكم تجهيلًا لهم - فان قلت ما بال سائقَيْ قصة عاد و قصة مدين جاءتا بالواو و السائقان الوسطيان بالفاء - قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد و ذلك قوله إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ - ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوْبٍ فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدتُه فلمّا جاء الميعاد كان كيتَ و كيتَ و اما الاُخريان فلم تقعا بتلك المثابة و انما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة * [الجاثم] اللازم لمكانه لا يريم كاللّابد يعني ان جبرئيل صاحَ بهم صيحةً فزهق كل واحد منهم بحيث هو قعصًا [كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا] كَأَنْ لم يقيموا في ديارهم احياءً متصرّفين مترددين * [البُعد] بمعنى البُعْد و هو الهلاك كالرُّشد بمعنى الرَّشَد الا ترى الى قوله كما بَعِدَتْ - و قرأ السُّلَمِيّ بَعُدَتْ بضم العين و لمعنى في البناءين واحدٌ و هو نقيض القرب الّا انهم ارادوا المفصلةَ بين البُعد من جهة الهلاك و بين غيره فغيّروا البناءَ كما فرقوا بين ضماني الخير و الشرّ فقالوا وَعَدَ و اَوْعَدَ و قراءة السُّلَمِيّ جاءت على الاصل اعتبارًا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان و مضى في معنى الموت - و قيل معناه بُعدًا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها [بِأٰيٰتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ] فيه وجهان - ان يراد انّ هذه الايات فيها سُلطان مُبين لموسى على صدق نبوته - و ان يراد بالسُّلطان المُبين

سورة هود ١١ وَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۖ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ۝
الجزء ١٢ ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرٰى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ۝ وَمَا ظَلَمْنٰهُمْ وَلٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ
ع ٨ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝ وَكَذٰلِكَ أَخْذُ
رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرٰى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۖ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۖ ذٰلِكَ يَوْمٌ

العصا لانها ايمرها [وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ] تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مُسكة من العقل و ذلك انه ادّعى الالٰهيّة و هو بشرٌ مثلهم و جاهرَ بالعسف و الظلم و الشرّ الذي لا يأتي الا من شيطان مارد و مثله بمعزل من الالٰهيّة ذاتا و افعالا فاتبعوهُ و سلّموا له دعواه و تتابعوا على طاعته - و الامرُ الرشيدُ الذي فيه رشد اي و ما في امره رشد انما هو غيٌّ صريح و ضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاءُ من يُرشدهم و يهديهم لا من يُضلّهم و يُغويهم و فيه انهم عاينوا الآيات و السلطانَ المبينَ في امر موسى عليه السلام وعلموا انّ معه الرشدَ و الحقَّ ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع مَن ليس في امره رشد قطّ * [يَقْدُمُ قَوْمَهُ] اي كما كان قدوةً لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار و هم يتبعونه - و يجوز ان يريد بقوله وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ و ما امره بصالح حميد العاقبة و يكون قوله يَقْدُمُ قَوْمَهُ تفسيرا لذلك و ايضاحا اي كيف يُرشد امرُ من هذه عاقبتُهُ و الرشدُ مستعمل في كل ما يُحمَد و يُرتضى كما استعمل الغيّ في كل ما يُذمّ و يُستخط و يقال قَدَمَهُ بمعنى تقدّمهُ و منه قادمة الرَّجل كما يقال قَدّمه بمعنى تقدّمهُ و منه مقدمة الجيش و اقدم بمعنى تقدم و منه مُقدِم العين - فان قلت هلّا قيل يقدم قومه فيوردهم و مَجيءُ بلفظ الماضي - قلت لان الماضي يدلّ على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النارَ لا محالة [و الوِرْد] المورد و [الْمَوْرُودُ] الذي وردوه شُبّه بالفارط الذي يتقدم الواردةَ الى الماء و شُبّه اتّباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه الذرّ ان الورد انما يراد لتسكين العطش و تبريد الاكباد والذرُ ضده * [وَ أُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ] في هذه الدنيا [لَعْنَةً] اي يُلعنون في الدنيا و يُلعنون في الآخرة [بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ] رفدهم اي بئس العونُ المُعانُ وذلك ان اللعنة في الدنيا رفدٌ للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة - وقيل بئس العطاء المعطى * [ذٰلِكَ] مبتدأ [مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرٰى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ] خبرٌ بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك [مِنْهَا] الضميرُ للقرى اي بعضها باقٍ و بعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه و الذي حُصد - فان قلت ما محل هذه الجملة - قلت هي مستأنفةٌ لا محل لها * [وَ مَا ظَلَمْنٰهُمْ] باهلاكنا اياهم [وَ لٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ] بارتكاب ما به أُهلكوا [فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ] فما قدرت ان ترد عنهم بأسَ اللّٰه [الَّتِي يَدْعُونَ] يعبدون وهي حكاية حال ماضية و [لَمَّا] منصوبٌ بما أغنت [أَمْرُ رَبِّكَ] عذابهُ و نقمتهُ [تَتْبِيبٍ] تخسير يقال تبّ اذا خسر و تبّبهُ غيره اذا اوقعه في الخسران * محل الكاف الرفعُ تقديره و مثل ذلك الاخذ اخذُ ربّك - و النصب فيمن قرأ وَ كَذٰلِكَ أَخْذَ رَبِّكَ بلفظ الفعل - و قرئ

مَجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ◎ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ◎ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ع سورة هود ١١

الجزء ١٢

ع ٨

اِذْ اَخْذَ الْقُرٰى [وَهِيَ ظَالِمَةٌ] حال من القرى [اَلِيْمٌ شَدِيْدٌ] وجيع صعب على الماخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة و لا يغتر بالامهال - [ذٰلِكَ] اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم [لَاٰيَةً لِّمَنْ خَافَ] لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا و ما هو الا انموذج مما اعد لهم في الاخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة و عظة و لطفا في زيادة التقوى و الخشية من الله تعالى و نحوه اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَّخْشٰى - [ذٰلِكَ] اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الاخرة دل عليه و [النَّاسُ] رفع باسم المفعول الذي هو مَجْمُوْعٌ كما يرفع بفعله اذا قلت يُجْمَعُ له الناس - فان قلت لاي فائدة اُوثر اسم المفعول على فعله - قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم و انه يوم لابد من ان يكون ميعاداً مضروباً لجمع الناس له و انه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو ايضاً لاسناد الجمع الى الناس و انهم لا ينفكون منه و نظيره قول المتهدد انك لَمَثْبُوب مأكَ محروبٌ تومك فيه من تمكن الوصف و ثباته ما ليس في الفعل و ان شئت فوازن بينه و بين قوله يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك و معنى يُجْمعون له يُجْمعون لما فيه من الحساب والثواب و العقاب [يَوْمٌ مَّشْهُوْدٌ] مشهود فيه واتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ع و يوم شهدناه سُلَيْمًا و عامراً * اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد و المراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه و منه قولهم لفلان مجلسٌ مشهودٌ و طعامٌ محضور قال * ع * في محفل من نواصي الناس مشهود * فان قلت فما منعك ان تجعل اليوم مشهوداً في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ - قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول و العظم و تميزه من بين الايام فان جعلته مشهوداً في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها و لم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده و كذلك قوله فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ الشهر منتصب ظرفاً لا مفعولاً به و كذلك الضمير في فَلْيَصُمْهُ و المعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه و لو نصبته مفعولاً فالمسافر و المقيم كلاهما يشهدان الشهرَ لا يشهدهُ المقيم و يغيب عنه المسافر * الاجلُ يطلق على مدة التأجيل كلها و على منتهاها فيقولون انقضى الاجل و بلغ الاجلُ اخره و يقولون حلّ الاجل فَاِذَا جَاءَ اَجَلُهُمْ يراد اخر مدة التأجيل و العدّ انما هو المدة لا لغايتها و منتهاها فمعنى قوله [وَمَا نُؤَخِّرُهُ اِلَّا لِاَجَلٍ مَّعْدُوْدٍ] الا لانتهاء مدة معدودة حذف

المضاف - و قرئ وَمَا يُؤَخِّرُهُ بالياء على قوله يَوْمَ يَأْتِ] بغير ياء و نحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل و سيبويه و حذفُ الياء و الاجتزاءُ عنها بالكسرة كثير في لغة هُذيل - فان قلت فاعل يَأْتِي ما هو - قلت الله عزوجل كقوله هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ - وجَاءَ رَبُّكَ وتعضده قراءة من قرأ وَمَا يُؤَخِّرُهُ بالياء و قوله بِإِذْنِهِ - و يجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ - فان قلت بما انتصب الظرف - قلت امّا ان ينتصب بلَا تَكَلَّمُ - و امّا باضمار اذكرْ و امّا بالانتهاء المحذوف في قوله إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ اي ينتهي الاجل يوم يأتي - فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم و حددت الشيء بنفسه - قلت المراد اتيان هوله و شدائده [لَا تَكَلَّمُ] لا تتكلم و هو نظير قوله لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ - فان قلت كيف يُوَفَّق بين هذا وبين قوله تعالى يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا و قوله تعالى هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ - قلت ذلك يوم طويل له مواقفُ و مواطنُ ففي بعضها يجادلون عن انفسهم و في بعضها يُكَفُّون عن الكلام فلا يؤذن لهم و في بعضها يؤذن لهم فيتكلمون و في بعضها يختم على افواههم و تكلّمُ ايديهم و تشهد ارجلُهم - [فَمِنْهُمْ] الضمير لاهل الموقف و لم يُذْكروا لان ذلك معلوم و لان قوله لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ يدلّ عليه و قد مرّ ذكر الناس في قوله مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ [والشقي] الذي وجبت له النار لسابقته [و السعيد] الذي وجبت له الجنة لاحسانه * قرأ العامة بفتح الشين - و عن الحسن شُقُوا بالضم كما قرئ سُعِدُوا و [الزفير] اخراج النفس و [الشهيق] رده قال الشماخ * بعيدُ مدى التطريب اول صوته * زفير و يتلوه شهيق محشرج * [مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ] فيه وجهان - احدهما ان تراد سموات الاخرة و ارضها وهي دائمة مخلوقة للابد و الدليلُ على ان لها سموات و ارضا قوله تعالى يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ و قوله وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ و لانه لابدّ لاهل الاخرة مما يُقلّهم ويُظلّهم امّا سماء يخلقها الله او يُظلّهم العرشُ وكل ما اظلّك فهو سماء - و الثاني ان يكون عبارة عن التابيد و نفي الانقطاع كقول العرب ما لاح كوكب و ما اختلف جديدان و ما الاح كوكبٌ و غير ذلك من كلمات التابيد - فان قلت فما معنى الاستثناء في قوله * [إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ] وقد ثبت خلود اهل الجنة و النار في الابد من غير استثناء - قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار و من الخلود في نعيم الجنة و ذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير و بانواع من العذاب سوى عذاب النار و بما هو اغلظ منها كما وهو سخط الله عليهم و خسؤه لهم و اهانته اياهم و كذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها و اجلّ موقعا منهم و هو رضوان الله كما قال وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ وما تفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء و الدليل عليه قوله عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ و معنى قوله في مقابلته

سورة هود ١١
الجزء ١٢
ع ٩

وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ۝ ع وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ

اِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيْدُ انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنّة عطاءه الذي لا انقطاعَ له فتامّله فان القرآن يفسّر بعضه بعضًا ولا يخدعنّك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروجُ اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويُسجّل بافترائهم وما ظنّك بقوم نبذوا كتاب الله لمّا روى لهم بعضُ النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص لَيَأتينّ على جهنم يومٌ تُصفّق فيه ابوابُها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا - وقد بلغني ان من الضُلّال من اغترّ بهذا الحديث فاعتقد ان الكفّار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحقّ ومعرفةً بكتابه وتنبيهًا على ان نعقل عنه ولئن صحّ هذا الحديث عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حرّ النار الى برد الزمهرير فذلك خلوّ جهنم وصفقُ ابوابها واقول امّا كان لابن عمرو في سيفيّه و مقاتلته بهما عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث [غَيْرَ مَجْذُوْذٍ] غيرَ مقطوع ولكنه ممتدّ الى غير نهاية كقوله لَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُوْنٍ * لما قصّ قصص عَبَدة الاوثان وذكر ما احلّ بهم من نِقمه وما اعدّ لهم من عذابه قال [فَلَا تَكُ فِيْ مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هٰٓؤُلَاءِ] اي فلا تشكّ بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرّضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسليةً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعِدَةً بالانتقام منهم وعيدًا لهم ثم قال [مَا يَعْبُدُوْنَ اِلَّا كَمَا يَعْبُدُ اٰبَاؤُهُمْ] يريد ان حالهم في الشرك مثل حال اٰبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل باٰبائهم فسينزلنّ بهم مثله وهو استيناف معناه تعليل النهي عن المرية - وما في مِمَّا وكَمَا يجوز ان تكون مصدريةً وموصولةً اي من عبادتهم وكعبادتهم - او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها [وَاِنَّا لَمُوَفُّوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ] اي حظّهم من العذاب كما وفّينا اٰباءهم انصباءهم - فان قلت كيف نصب [غَيْرَ مَنْقُوْصٍ] حالا عن النصيب الموفّى - قلت يجوز ان يوفّى وهو ناقص ويوفّى وهو كامل الا ترى تقول وفّيته شطر حقه وثلث حقه وحقّه كملا وناقصًا [وَاخْتُلِفَ فِيْهِ] اٰمن به قوم وكفر به قوم كما اختُلف في القرآن [وَلَوْلَا كَلِمَةٌ] يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة [لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضًا وَاِنَّ كُلًّا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه [لَيُوَفِّيَنَّهُمْ] جواب قسم محذوف واللامُ في لَمَّا موطّئةٌ للقسم ومَا مزيدة والمعنى والله ليوفّينّهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود - وقرئ وَاِنْ كُلًّا بالتخفيف على اعمال المخففة عملَ الثقيلة اعتبارًا للاصل الذي هو التثقيل

سورة هود ١١ الجزء ١٢ ع ٩

إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَرْكَنُوا

- وقرأ ابيّ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ على انّ إنْ نافية ولَمَّا بمعنى إلّا وقراءةُ عبد الله مفسّرة لها وَإِنْ كُلٌّ إِلَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ - وقرأ الزهريُّ وسليمن بن ارقم وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ بالتنوين كقوله أَكْلًا لَمًّا والمعنى وان كلّا مَلْمومينَ بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلًّا جميعًا كقوله فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ • [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ] فاستقِمْ استقامة مثل الاستقامة التي أُمرت بها على جادّة الحق غيرَ عادل عنها [وَمَنْ تَابَ مَعَكَ] معطوف على المستتر في اسْتَقِمْ وانما جاز العطف عليه ولم يؤكّد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقمْ انت وليستقم مَن تاب عن الكفر وآمن معك [وَلَا تَطْغَوْا] ولا تخرجوا عن حدود الدين [إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] عالم فهو مجازيكم به فاتّقوه - وعن ابن عباس ما نزلتْ على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في جميع القرآن آية كانت اشدّ ولا اشقّ عليه من هذه الآية ولهذا قال شَيَّبَتْنِي هودٌ والواقعةُ واخواتُهما - وروي ان اصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيبُ فقال شيّبتني هودٌ - وعن بعضهم رأيتُ رسولَ الله في النوم فقلت له رُوي عنك انك قلت شيّبتني هود فقال نعم فقلتُ ما الذي شيّبك منها أقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ - وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ قال افتقِرْ الى الله بصحّة العَزْم • قرئ [وَلَا تَرْكَنُوا] بفتح الكاف وضمّها مع فتح التاء - وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لُغة تميم في كسرهم حروفَ المضارعة إلّا الياء في كلِ ما كان من باب عَلِمَ يَعْلَمُ ونحوه قراءةُ من قرأ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ بكسر التاء - وقرأ ابنُ ابي عَبَلَةَ ولا تُرْكَنُوا على البناء للمفعول من اركنه اذا امالَه والنهي مُتناول للانحطاط في هَوَاهُمْ والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبّه بهم والتزيّي بزيّهم ومَدّ العينِ الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمّل قوله وَلَا تَرْكَنُوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله [إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا] اي الى الذين وُجِدَ منهم الظلمُ ولم يَقُلْ الى الظّلمينَ - وحُكي ان الموفّق صلّى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغُشِيَ عليه فلما افاق قيلَ له فقال هٰذا فيمن ركن الى مَن ظَلَمَ فكيف بالظّالم - وعن الحسن جَعَلَ الله الدين بين لَاءَيْنِ وَلَا تَطْغَوْا وَلَا تَرْكَنُوا - ولمّا خالَطَ الزهريّ السلاطينَ كتبَ اليه اخ له في الدين عافانا الله وايّاك ابابكر من الفتن فقد اصبحتَ بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحتَ شيخا كبيرا وقد اتعبتك نعمُ الله بما فهمك الله من كتابه وعلّمك من سنّة نبيّه وليس كذلك اخذَ الله الميثاقَ على العلماء قال الله سبحانه لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ واعلمْ ان ايسرَ ما ارتكبتَ واخفَ ما احتملتَ انك آنستَ وحشةَ الظلم وسهّلتَ سبيل الغيّ بدنوّك ممن لم يؤدِ حقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتّخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسُلّما يصعدون فيك الى ضلالهم يُدْخلون الشكَّ بكَ على العلماء ويقتادون بك قلوبَ الجهلاء فما ايسرَ ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثرَ ما اخذوا

الَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ اَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُوْنَ ۝ وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ ؕ اِنَّ الْحَسَنٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّاٰتِ ؕ ذٰلِكَ ذِكْرٰى لِلذّٰكِرِيْنَ ۝ وَاصْبِرْ فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيْعُ

منك ميما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ اَضَاعُوا الصَّلٰوةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداوِ دينك فقد دخله سقم وهَيِّئْ زادك فقد حضر السفر البعيد وَمَا يَخْفٰى عَلَى اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْاَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ والسلامُ - وقال سفيان في جهنم وادٍ لا يسكنه الا القُرّاء الزائرون للملوك - وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا - وعن محمد بن مسلمة الذُبابُ على العذرة احسنُ من قارئ على باب هٰؤلاء - وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احبّ ان يعصى الله في ارضه - ولقد سُئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في بريّة هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دَعْه يموت [وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ اَوْلِيَآءَ] حال من قوله فَتَمَسَّكُمُ اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال - ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره [ثُمَّ لَا تُنْصَرُوْنَ] ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم - فان قلت ما معنى ثُمَّ - قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذابَ واقتضاء حكمته له [طَرَفَيِ النَّهَارِ] غدوة وعشية [وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ] وساعات من الليل وهي ساعاتهُ القريبة من أخر النهار من ازلفه اذا قَرَّبَهُ وازدلف اليه وصلوةُ الغدوة الفجر وصلوةُ العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشيّ وصلوة الزلف المغرب والعشاء - وانتصاب طَرَفَيِ النَّهَارِ على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اتمتُ عنده جميعَ النهارِ واتيته نصفَ النهار اوّلَهُ واٰخِرَهُ تنصبُ هذا كُلَّهُ على اعطاء المضاف حكمَ المضاف اليه ونحوه واطرافَ النهار - وقرئ وَزُلَفًا بضمتين - وزُلَفًا بسكون اللام - وزُلْفى بوزن قُرْبى فالزُّلَف جمع زُلْفَة كظُلَم في ظلمة - والزُّلْف بالسكون نحو بُسْرَة وبُسْر - والزُّلُف بضمتين نحو بُسُر في بُسْر - والزُّلْفى بمعنى الزُّلْفة كما ان القُرْبى بمعنى القُرْبة وهو ما يَقْرُبُ من اٰخر النهار من الليل - وقيل وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ وقُرْبًا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اَقِم الصلوة طرفي النهار واقِمْ زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل [اِنَّ الْحَسَنٰتِ يُذْهِبْنَ] فيه وجهان - احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجْتُنِبت الكبائر - والثاني ان الحسنات يذهبن السيّات بان يكنّ لطفا في تركها كقوله اِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ - وقيل نزلت في ابي اليَسَر عمرو بن غَزِيّة الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبتهُ فقال لها ان في البيت اجودَ من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمّها الى نفسه وقبّلها فقالت له اتّقِ الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

سورة هود ١١ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ

الجزء ١٢

ع ٩

فاخبره بما فعل فقال انتظرْ امرَ ربي فلما صلّى صلوةَ العصر نزلت فقال نعم اذهبْ فانها كفّارة له عملتَ - و رُوي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استُرْ على نفسك و تُبْ الى الله فاتى عمرَ رضي الله عنه فقال له مثلَ ذلك ثم اتى رسولَ الله صلّى الله عليه و آله وسلّم فنزلت فقال عمر ألهذا له خاصه ام للناس عامةً فقال بل للناس عامة - و روي ان رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم قال له توضّأ و صلّ حسنا و صلّى ركعتين إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ [ذٰلِكَ] اشارة الى قوله فَاسْتَقِمْ فما بعده [ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ] عظةٌ للمتّعظين • ثم كرّر الى التذكير بالصبر بعد ماجاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا التكرير افضل خصوصية و مزيّة و تنبيه على مكان الصبر و محله كانّه قال و عليك بما هو اهمّ مما ذُكّرتَ به و احقّ بالتوصية و هو الصبر على امتثال ما أُمرتَ به و الانتهاء عما نُهيتَ عنه فلا يتمّ شيء منه الّا به [وَإِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] جاء بما هو مشتمل على الاستقامة و اقامة الصلوات و الانتهاء عن الطغيان و الركون الى الظالمين و الصبر و غير ذلك من الحسنات • [فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ] فهلّا كان - و قد حكوا عن الخليل كل لَوْلَا في القرآن نعمناها هلّا الّا اللتي في الصافات و ما صحّت هذه الحكاية ففي غير الصافات لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ - وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ - وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ • [أُولُوا بَقِيَّةٍ] اولوا فضل و خير و سمّي الفضل و الجودة بقيةً لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده و افضله فصار مثلا في الجودة و الفضل - و يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم و به فُسّر بيت الحماسة • ع • ان تُذْنبوا ثم يأتيني بقيتكم • و منه قولهم في البرايا خبايا و في الرجال بقايا - و يجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلّا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم و صيانة لها من سخط الله و عقابه - و قرئ أُولُوا بَقْوَةٍ بوزن تَقْوَة من بقاه يبقيه اذا راقبه و انتظره و منه بقينا رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم و البَقْيَة المرّة من مصدره و المعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم [إِلَّا قَلِيلًا] استثناء منقطع معناه و لكن قليلا ممن انجينا من القرون نَهَوْا عن الفساد و سائرهم تاركون للنهي - و مِنْ في [مِمَّنْ أَنْجَيْنَا] حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين و حدهم بدليل قوله تعالى وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا - فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه - قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولى البقية على النهي عن الفساد الّا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلّا قرأ قومك القرآن الّا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضّضين على قراءة القرآن و ان دلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الّا قليلا كان استثناء متصلا و معنىً صحيحا و كان انتصابه على اصل الاستثناء و ان كان الافصح ان يرفع على البدل [وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ] اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي

أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۚ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ
وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ

لم ينهوا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والتترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنيء ورضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم - وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا يعني واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه - ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك الباقون - فان قلت علام عطف قوله وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا - قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نَهَوْا - وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم - فان قلت فقوله وَكَانُوا مُجْرِمِينَ - قلت على أُتْرِفُوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام - اوارید بالاجرام اغفالهم للشكر - اوعلى اتَّبَعُوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك - ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون - [كَانَ] بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي و [بِظُلْمٍ] حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يُهلك الله القرى ظالما لها [وَأَهْلُهَا] قوم [مُصْلِحُونَ] تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم - وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر - [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً] يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال [وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ] الا اناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه [وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ] ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ] وهي قوله للملئكة [لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ] لعلمه بكثرة من يختار الباطل - [وَكُلًّا] التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبإ [نَقُصُّ عَلَيْكَ] و [مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ] بيان لكل و [مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ] بدل من كلا - ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاسالیب المختلفة وما نُثَبِّتُ به مفعول

سورة هود ١١ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّ

الجزء ١٢

ع ٩ فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة ا عملت - و روي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك و تب الى الله فاتى عمر رضي ا عنه فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم فنزلت فقال عمر أهذا له خ ام للناس عامة فقال بل للناس عامة - و روي ان رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم قال له تو و عمّا حسنا وصل ركعتين إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ [ذٰلِكَ] اشارة الى قوله فَاسْتَقِمْ وما بعده [ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ] عظة للمتعظين • ثم كرّر التذكير بالصبر بعد ماجاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا التكرير لفضل خصوصية و مزية و تنبيه على مكان الصبر و محله كانه قال و عليك بما هو اهمّ مما ذُكرتَ به واحو بالتوصية و هو الصبر على امتثال ما أُمرتَ به و الانتهاء عما نُهيتَ عنه فلا يتمّ شيء منه الا به [وَإِنَّ اللّٰ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] جاء بما هو مشتمل على الاستقامة و اقامة الصلوات و الانتهاء عن الطغيان و الركون الى الظالمين و الصبر و غير ذلك من الحسنات • [فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ] فهلّا كان - و قد حكوا عن الخليل كل لَ في القرآن فمعناها هلّا الا اللتي في الصافات و ما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لَوْلَا انَّ تَدَارَكَهُ نِعْ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ - وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ - وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ • [أُولُوا بَقِيَّةٍ] اولوا فضل و خير وسمّي الفضل و الجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده و افضله فصار مثلا في الجودة و الفضل - و يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم و به فُسّر بيت الحماسة • ع • ان تُذنبوا ثم يأتيني بقيتكم • و منه قولهم في الزوايا خبايا و في الرجال بقايا - و يجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلّا كان من دونا ابقاء على انفسهم و صيانة لها من سخط الله و عقابه - و قرئ أُولُوا بَقْيَةٍ بوزن تَقْيَة من بقاه يبقيه اذا راعه وانتظره و منه بقينا رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم و لَبَقْيَةُ المرّة من مصدره و المعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم إِلَّا قَلِيلًا] استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نَهَوْا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي - و مِنْ في [مِمَّنْ أَنْجَيْنَا] حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله تعالى أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه - قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلا كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولى البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منه كما تقول هلّا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضّضين على قراءة القرآ و ان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقيه الّا قليلا كان استثناء متصلا ومعنىً صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء و ان كان الافصح ان يرجع على البدل [وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ] اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي

سورة هود
الجزء ١٢
ع ٩

أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۚ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ
وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ

م ينتهوا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والتنرف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك وبذوه وراء ظهورهم - وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا يعني واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه - ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الاسناد كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر - فان قلت علام عطف قوله وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا - قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا - وان كان معناه واتبعوا جزاء الاترافهم فهو على المحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم - فان قلت فقوله وَكَانُوا مُجْرِمِينَ - قلت على أُتْرِفُوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام - اوارید بالاجرام اغفالهم للشكر - او على اتبعوا اي تبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك - ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون و [كَانَ] بمعنى صح و ستقام واللام لتاكيد النفي و [بِظُلْمٍ] حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يُهلك الله القرى ظالما لها [وَأَهْلُهَا] قوم [مُصْلِحُونَ] تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان هلاك المصلحين من الظلم - وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يُهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً] يعني لاضطرهم الى ان يكونوا كلهم امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال [وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ] الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه [وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ] ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني وذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ] وهي قوله لملائكته [لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ] لعلمه بكثرة من يختار الباطل • [وَكُلًّا] التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ [نَّقُصُّ عَلَيْكَ] و [مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ] بيان لكل و [مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ] بدل من كُلًّا - ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة ومَا نُثَبِّتُ به مفعول

سورة يوسف ١٢ الجزء ١٢ ع ١٠

به فؤادك ج وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ◎ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون ◎ وانتظروا ج انا منتظرون ◎ ولله غيب السموت والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه ط وما ربك بغافل عما تعملون ◎ ع

كلماتها ١٨٥٨ | سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشر اية و اثنا عشر ركوعا | حروفها ٧٤١١

بسم الله الرحمن الرحيم ◎

الر ق تلك ايت الكتب المبين ق ◎ انا انزلنه قرءنا عربيا لعلكم تعقلون ◎ نحن نقص عليك احسن

نَقُصُّ ومعنى تثبيت فؤاده زيادةُ يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبتُ للقلب و ارسخُ للحلم [وَجَاءَكَ فِي هٰذِهِ الْحَقُّ] اي في هذه السورة - او في هذه الانباء المقتصّه فيها ما هو حق وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٰى • [وَقُلْ لِّلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ] من اهل مكة و غيرهم [اعْمَلُوْا] على حالكم وجهتكم التي انتم عليها [اِنَّا عٰمِلُوْنَ وَانْتَظِرُوْا] بنا الدوائر [اِنَّا مُنْتَظِرُوْنَ] ان ينزل بكم نحوما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم • [وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ] لا يخفى عليه خافية مما يجري فيها فلا تخفى عليه اعمالكم [وَاِلَيْهِ يُرْجَعُ الْاَمْرُ كُلُّهٗ] فلابدّ ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم [فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ] فانه كافيك وكالئك [وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ] وقرئ تَعْمَلُوْنَ بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَن قرأ سورة هود أُعطي من الاجر عشرَ حسنات بعدد مَن صَدّق بنوح ومَن كذب به وهود و صالح وشعيب ولوط و ابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السُعداء ان شاء الله تعالى ذلك •

سورة يوسف

[تِلْكَ] اشارة الى أيات السورة [وَالْكِتٰبِ الْمُبِيْنِ] السورة اي تلك الأيات التي أُنزلت اليك في هذه السورة أياتُ السورة الظاهرِ امرُها في اعجاز العرب و تبكيتهم - او التي تُبيّن لمن تدبّرها انها من عند الله لا من عند البشر - او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم - او قد أُبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف - وقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سَلُوْا مُحَمَّدًا لِم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر و عن قصة يوسف [اَنْزَلْنٰهُ] انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه [قُرْءٰنًا عَرَبِيًّا] و سمّي بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على بعضه وكله [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ] ارادة ان تعقلوه و تحيطوا بمعانيه ولا تلتبس عليكم وَلَوْ جَعَلْنٰهُ قُرْءٰنًا اَعْجَمِيًّا لَّقَالُوْا لَوْلَا فُصِّلَتْ اٰيٰتُهٗ [اَلْقَصَص] على وجهين - يكون مصدرًا بمعنى الاقتصاص تقول قصّ الحديث يقصّه قَصًّا كقولك شَلّه يشلّه شَلًّا اذا طرده - و يكون فَعَلًا بمعنى مفعول كالنَقْض و الحَسَب و نحوه النَبَأ و الخَبَر في معنى المُنْبَأ به و المُخْبَر به - ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخَلق و الصيد - فان أُريد المصدر فمعناه نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ اَحْسَنَ

الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ ۖ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ

ع ١٠

الاقتصاص [بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ] اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون أَحْسَنَ منصوباً نصبَ المصدر لاضافته اليه و يكون المقصوص محذوفاً لان قوله بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ مغنٍ عنه . ويجوز ان ينتصب هَٰذَا الْقُرْآنَ بنَقُصُّ كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآنَ بايحائنا اليك . و المرادُ باحسن الاقتصاص انه اقتصّ على ابدع طريقة و اعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقاصّ في كُتُب الاولينَ و في كتب التواريخ و لا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقارباً لاقتصاصه في القرآن . و ان اريد بالقَصَص المقصوص فمعناه نحنُ نقُصّ عليك احسنَ ما يقصّ من الاحاديث و انما كان احسنه لما يتضمّن من العِبَر و النُكَت و الحِكَم و العجائب التي ليست في غيرها و الظاهرُ انه احسن ما يقاصّ في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس و افضلهم يراد في فنّه . فَان قلت ممَّ اشتقاق القَصَص . قلت من قصّ اثره اذا اتبعه لان الذي يقصّ الحديثَ يتبع ما حفظ منه شيأ فشيأ كما يقال تلا القرآنَ اذا قرأه لانه يتلو اي يتبع ماحفظ منه أية بعد أية [وَ إِنْ كُنْتَ] إنْ مخففة من الثقيلة و اللام هي التي تفرق بينها و بين النافية و الضميرُ في [قَبْلِهِ] راجع الى قوله مَا أَوْحَيْنَا و المعنى و ان الشان والحديث كنتَ من قبل ايحائنا اليك [مِنَ الْغَافِلِينَ] عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط و لا طَرَقَ سمْعَك طرفٌ منه . [إِذْ قَالَ يُوسُفُ] بدل من أَحْسَنَ الْقَصَصِ و هو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص و هو المقصوص فاذا قُصّ وقته فقد قُصّ . او باضمار اُذكُر . و يُوسُف اسم عبرانيّ . و قيل عربيّ و ليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سببٍ أخر سوى التعريف . فَان قلت فما تقول فيمن قرأ يُوسِفُ بكسر السين او يُوسَفُ بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من أسِفَ و انما منع الصرفَ للتعريف و وزن الفعل . قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربيةً تارةً و اعجميةً اخرى و نحو يُوسُفُ يُونُسُ رويت فيه هذه اللغات و لا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من أنِسَ و أُنِسَ . و عن النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله وسلّم اذا قيل مَن الكريم فقولوا الكريمُ ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ اسحٰقَ بنِ ابراهيمَ [يَا أَبَتِ] قرئ بالحركات الثلث . فَان قلت ما هذه التاء . قلت تاء تانيث وقعت عوضًا من ياء الاضافة و الدليلُ على انها تاء تانيث قلبُها هاءً في الوقف . فَان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر . قلت كما جاز نحو فوالك حمامةَ ذكرٌ و شاةٌ ذكرٌ و رجل رَبْعَةٌ و غلام يَفَعَةٌ . فَان قلت فلم سَاغَ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة . قلت لان التانيث و الاضافة يتناسبان في ان كل واحد منها زيادة مضمومة الى الاسم في أخره . فَان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زُحلفت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا . فَان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة

سورة يوسف ١٢ اِنِّي رَاَيْتُ اَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَّالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَاَيْتُهُمْ لِي سٰجِدِيْنَ ۝ قَالَ يٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلٰٓى

الجزء ١٢

ع ٤

التي اقتضتها التاء و تبقى التاء ساكنة . فان قلت امتنع ذلك هنا لانها اسم و الاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب و انما جاز تسكين الياء لاصالها ان تُحرَّك تخفيفًا لانها حرف لين و اما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها . فان قلت يشبه الجمع بين التاء و بين هذه الكسرة الجمعَ بين العوض و المعوَّض منه لانها في حكم الياء اذا قلتَ يا غلامِ و كما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابتِ . قلت الياء و الكسرة قبلها شيآن و التاء عوض من احد الشيئين و هو الياء و الكسرة غير متعرِّض لها فلا يُجمع بين العوض و المعوَّض منه الّا اذا جُمع بين التاء و الياء لا غيرُ الا ترى الى قولهم يا ابنًا مع كون الالف فيه بدلًا من الياء كيف جاز الجمع بينها و بين التاء و لم يعدّ ذلك جمعا بين العوض و المعوَّض منه فالكسرة ابعدُ من ذلك . فان قلت فقد دلّت الكسرة في يا غلامِ على الاضافة لانها قرينة الياء و لصيقتها فان دلّت على مثل ذلك في يا ابتِ فالتاء المعوَّضة لغوٌ وجودُها كعدمها . قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذ قلتَ يا ابتي فان قلت فما وجه من قرأ بفتح التاء و ضمّها . قلت امّا مَن فتح فقد حذف الالف من يا ابتا و استبقى الفتحة قبلها كما فعل مَن حذف الياء في يا غلامِ . و يجوز ان يقال حرّكها بحركة الياء المعوَّض منها في قولك يا ابتِ و امّا من ضمّ فقد رأى اسما في آخره تاء تانيث فاجراه مُجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابتُ كما تقول يا ثُبَةُ من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة . و قرئ اِنِّي رَاَيْتُ بتحريك الياء . و اَحَدَ عَشَرَ بسكون العين تخفيفًا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد و كذا الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان و رَاَيْتُ امن الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس و القمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدةً ليوسف في حال اليقظة لكانت اٰية عظيمة ليعقوب عليه السلام و امّا خفيت عليه و على الناس . فان قلت ما اسماء تلك الكواكب . قلت روى جابر ان يهوديًا جاء الى النبيّ صلّى الله عليه و اٰله و سلّم فقال يا مُحَمَّد اَخْبِرني عن النجوم التي رآهنّ يوسف فسكت رسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم فنزل جبرئيل عليه السلام فاخبره بذلك فقال النبيّ صلّى الله عليه و اٰله و سلّم لليهودي ان اَخْبرتُك هل تُسلم قال نعم قال جَرْيانُ و الطارقُ و الذيّال و قابِسٌ و عمودانُ و الفليقُ و المُصَبِّحُ و الضَّروحُ و الفرغُ و وَثّابٌ و ذو الكتفين رآها يوسف و الشمس و القمر نزلن من السماء و سجدن له فقال اليهودي اِيٍّ و الله انها لاسماؤها . و قيل الشمس و القمر ابواه . و قيل ابوه و خالته و الكواكب اخوته . و عن وهب ان يوسف رأى و هو ابن سبع سنين انّ احدى عشرة عصًى طوالا كانت مركوزةً في الارض كهيئة الدارة و اذا عصًى صغيرةٌ تثِبُ عليها حتى اقتلعتْها و غلبتْها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى و هو ابن ثنتَيْ عشرة سنةً الشمس و القمرَ و الكواكبَ تسجد له فقصّها على ابيه فقال له لا تقصّها عليهم فيدبّروا لك احتيالًا . و قيل كان بين رؤيا يوسف و مصير اخوته اليه اربعون سنة .

اِخْوَتِكَ فَيَكِيْدُوْا لَكَ كَيْدًا ۭ اِنَّ الشَّيْطٰنَ لِلْاِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ۝ وَكَذٰلِكَ يَجْتَبِيْكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَاْوِيْلِ الْاَحَادِيْثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهٗ عَلَيْكَ وَعَلٰٓى اٰلِ يَعْقُوْبَ كَمَآ اَتَمَّهَا عَلٰٓى اَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْحٰقَ ۭ

و قيل ثمانون - فان قلت لم اخّر الشمس و القمر - قلت اخّرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما و استبدادهما بالمزيّة على غيرهما من الطوالع كما اخّر جبرئيل و ميكائيل عن الملئكة ثم عطفهما عليها لذلك - و يجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس و القمر - فان قلت ما معنى تكرار رَاَيْتُ - قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤل وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اِنِّيْ رَاَيْتُ اَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال [رَاَيْتُهُمْ لِيْ سٰجِدِيْنَ] - فان قلت فلم اُجريت مُجرى العُقلاء في رَاَيْتُهُمْ سٰجِدِيْنَ قلت لانه لمّا وَصَفَها بما هو خاصٌ بالعقلاء و هو السُّجُوْد اجرى عَلَيْهَا حكمهم كانها عَاقِلَةٌ و هذا كثير شائعٌ في كلامهم ان يلابس الشيءُ الشيءَ من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابَسَة و المقاربة * عَرَفَ يعقوبُ عليه السلام دلالةَ الرؤيا على انّ يوسف يبلغه الله مبلغًا من الحكمة و يصطفيه للنبوّة و يُتِمّ عليه بشرف الدارين كما فعل بأبائه فخاف عليه حسدَ الاخوة و بغيَهم * و الرُّءْيَا بمعنى الرؤية الا انها مختصّةٌ بما كان منها في المنام دون اليقظة فُرق بينهما بحرفَي التانيث كما قيل الغربة و القربى - و قرئ رُءْيَاكَ بقلب الهمزة واوا و سمع الكسائي رُئَّاكَ و رِئَّاكَ بالادغام و ضم الراء و كسرها و هي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقوَ الادغام في قولهم اتّرر من الازار و اتّجر من الاجر [فَيَكِيْدُوْا] منصوب باضمار اَنْ و المعنى ان قصصتها عليهم كادوك - فان قلت هلّا قيل فيكيدوك كما قيل فَيَكِيْدُوْنِيْ - قلت ضُمّن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمّن فيكون أشد و ابلغ في التخويف و ذلك نحو فَيَحْنَثُوْا لَكَ الا ترى الى تاكيده بالمصدر - [عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ] ظاهرُ العداوة لما فعل بادم و حوّاء و لقوله لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيْمَ فهو يحمل على الكيد و المكر و كل شر لايورّط من يحماه و لا يؤمن ان يحملهم على مثله [وَكَذٰلِكَ] و مثل ذلك الاجتباء [يَجْتَبِيْكَ رَبُّكَ] يعني و كما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالّة على شرف و عزّ و كبرياء شان كذلك يجتبيك ربك لامور عظام و فوله [وَيُعَلِّمُكَ] كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل و هو يعلمك وَيُتِمُّ نِعْمَتَهٗ عَلَيْكَ - و الاجتباءُ الاصطفاء افتعال من جبيتُ الشيء اذا حصّلتَهُ لنفسك و جبيتُ الماء في الحوض جمعتُهُ و [اَلْاَحَادِيْثِ] الرُّؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان - و تاويلُها عبارتها و تفسيرها و كان يوسف اعبر الناس للرؤيا و اصحّهم عبارةً لها - و يجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كُتُب الله و سنن الانبياء و ما غمض و اشتبه على الناس من اغراضها و مقاصدها يفسّرها لهم و يشرحها و يدلّهم على مودعات حِكَمها و سُمّيت احاديثَ لانه يحدّث بها عن الله و رسُله فيقال قال الله و قال الرسول كذا و كذا الا ترى

سورة يوسف ١٢ — الجزء ١٢ — ع ١١

إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ع لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ۝ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا
وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ط إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ لا اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا

الى قوله تعالى فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ - اللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أُحْدوثة - و معنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا و ملوكا و نقلهم عنها الى الدرجات العُلى في الجنة - و قيل اتمّها على ابراهيم بالخُلّة و الانجاء من النار و من ذبح الولد وعلى اسحٰق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم و باخراج يعقوب و الاسباط من صُلبه - و قيل علمَ يعقوب ان يوسف يكون نبيًّا و اخوتهُ انبياءَ استدلالاً بضوء الكواكب فلذلك قال وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ - وقيل لمّا بلغت الرؤيا اخوةَ يوسف حسدوه وقالوا مارضي ان سجد له اخوته حتى سجد له ابواه - وقيل كان يعقوب مُؤْثرًا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المَخائل و كان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعفَ له المحبة فكان يضمّه كل ساعة الى صدره و لا يصبر عنه فتبالغَ فيهم الحسد - وقيل لمّا قصّ رؤياه على يعقوب قال هٰذا امرٌ مشتّتٌ يجمع اللّٰه لك بعد دهر طويل و [آلِ يَعْقُوبَ] اهله وهم نسله وغيرهم و اصلُ آل اهل بدليل تصغيره على أُهَيْل الّا انه لا يستعمل الّا فيمن له خطر يقال آل النبيّ و آل الملك ولا يقال آل الحائك و لا آل الحجّام ولكن اهلهما - و اراد بالابوين الجدَّ و ابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة و من ثمه يقولون ابن فلان و ان كان بينه و بين فلان عِدّة و [إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحٰقَ] عطف بيان لأَبَوَيْكَ [إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ] يعلم من يحقّ له الاجتباء [حَكِيمٌ] لا يتم نعمته الا على من يستحقها * [فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ] اي في قصتهم و حديثهم [آيَاتٌ] علامات و دلائل على قدرة اللّٰه و حكمته في كل شيء [لِلسَّائِلِينَ] لمن سأل عن قصتهم و عرفها - وقيل آيات على نبوّة محمّد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب - و قرئ آيَةٌ - وفي بعض المصاحف عِبْرَةٌ - و قيل انما قصّ اللّٰه تعالى على النبيّ عليه السلام خبرَ يوسف و بغيَ اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليأتسيَ به - و قيل اساميهم يَهُوذَا و رُوبِيلُ وشَمْعُونُ و لاوى و زِيالُونُ و يَشْجُرُ و دِينَةُ و دَانٌ و يَفْتَالِي و جادٌ و أُسُرُ السبعةُ الاولون كانوا من ليّا بنت خالة يعقوب و الاربعةُ الآخرون من سريّتين زُلْفَةَ و بُلْهَةَ فلما تُوفّيت ليّا تزوج اختها راحيلَ فولدت له بُنْيامينَ و يوسفَ * [لَيُوسُفُ] اللام للابتداء وفيها تاكيد و تحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه [وَأَخُوهُ] هو بُنْيامينُ و انما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة - و قيل [أَحَبُّ] في الاثنين لان افعل مِنْ لا يفرق فيه بين الواحد و ما فوقه و لا بين المذكر و المونث اذا كان معه مِنْ و لابد من الفرق مع لام التعريف و اذا أُضيف جاز الامران و الواو في [وَنَحْنُ عُصْبَةٌ] واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا و هم اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة و نحن جماعةٌ عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احقّ بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة و المنفعة

صٰلِحِيْنَ ۝ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوْا يُوْسُفَ وَاَلْقُوْهُ فِيْ غَيٰبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ اِنْ كُنْتُمْ فٰعِلِيْنَ ۝ قَالُوْا يٰٓاَبَانَا مَا لَكَ لَا تَاْمَنَّا عَلٰى يُوْسُفَ وَاِنَّا لَهٗ لَنٰصِحُوْنَ ۝ اَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَّرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَاِنَّا لَهٗ لَحٰفِظُوْنَ ۝

عليه ما [اِنَّ اَبَانَا لَفِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ] اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك. والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا. وقيل الى الاربعين سُمّوا بذلك لانهم جماعة تُعْصب بهم الامور ويُستكفون النوائب. وروى الخزّال بن سَبْرة عن علي رضي الله عنه نَحْنُ عُصْبَةٌ بالنصب. وقيل معناه ونحن نجتمع عُصْبَةً. وعن ابن الأنباري هذا كما تقول العرب انما العامري عمّته اي يتعصب عمّته [اُقْتُلُوْا يُوْسُفَ] من جملة ما حُكي بعد قوله اِذْ قَالُوْا كانهم اطبقوا على ذلك الامر قال لَا تَقْتُلُوْا يُوْسُفَ وقيل الأمر بالقتل شمعون. وقيل دانُ ولاوي كانوا راعين فجُعلوا أُمرين [اَرْضًا] ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العُمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف والابهامها من هذا الوجه نُصبت نصبَ الظروف المبهمة [يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ اَبِيْكُمْ] يُقبلْ عليكم اقبالة واحدة لا يلتفتْ عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم آياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه. ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال تعالى وَيَبْقٰى وَجْهُ رَبِّكَ. وقيل يَخْلُ لَكُمْ يفرغْ لكم من الشغل بيوسف [مِنْ بَعْدِهٖ] من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب. او يرجع الضمير الى مصدر اُقْتُلُوْا اَوِ اطْرَحُوْا [قَوْمًا صٰلِحِيْنَ] تائبين الى الله مما جنيتم عليه. او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تُمهدونه. او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلوّ وجه ابيكم. وَتَكُوْنُوْا اِمّا مجزوم عطفا على يَخْلُ لَكُمْ. واِمّا منصوب باضمار اَنْ والواو بمعنى مع كقوله وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ * [قَآئِلٌ مِّنْهُمْ] هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فَلَنْ اَبْرَحَ الْاَرْضَ قال لهم القتل عظيمٌ [اَلْقُوْهُ فِيْ غَيٰبَتِ الْجُبِّ] وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المُنخل * شعر * اِنْ انا يوما غيّبتْني غيابتي * فسيروا بسيري في العشيرة والاهل * اراد غيابة حفرته التي يُدْفَن فيها وقرئ غَيٰبٰتِ على الجمع وغَيّٰبٰتِ بالتشديد. وقرا الجحدري غَيْبَةِ. والجُبّ البير لم تُطْوَ لانّ الارض تحب جبّا لاغير [يَلْتَقِطْهُ] يأخذه [بَعْضُ السَّيَّارَةِ] بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق. وقرئ تَلْتَقِطْهُ بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله * ع * كما شرقتْ صدر القناة من الدم * ومنه ذهبتْ بعض اصابعه [اِنْ كُنْتُمْ فٰعِلِيْنَ] ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم وهذا هو الرأي * [مَا لَكَ لَا تَاْمَنَّا] قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام. وتِيْمَنّا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نُريد له الخير ونحبه ونُشفق عليه وما وُجد منّا في بابه ما يدلّ على خلاف النصيحة والمقة واردنا بذلك لمّا عزموا على كيد يوسف استنزالَهُ عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احسّ منهم بما اوجب ان لا يأمنهم عليه. نَرْتَعْ نتسع في اكل الفواكه وغيرها واصلُ الرتعة الخصب والسعة. وقرئ نَرْتَعِ من ارتعى يرتعي. وقرئ [يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ] بالياء. ويُرْتَعْ من اَرْتع ماشيته. وقرأ العلاء بن سيّابة يَرْتَعِ بكسر العين ويَلْعَبُ بالرفع على الابتداء. فان قلت كيف استجاز

سورة يوسف ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۝ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ
الجزء ١٢ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ۝ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ
ع ١١

لهم يعقوب عليه السلام اللعبَ - قلت كان لعبهم الاستباقَ و الانتضالَ ليُضْرُوا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وانما سمّوه لعبا لانه في صورته [لَيَحْزُنُنِي] اللام لام الابتداء كقوله إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ و دخولها احدُ ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة * اعتذر اليهم بشيئين - احدهما ان ذهابهم به و مفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة - والثاني خوفه عليه من عَدْوَة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم و لعبهم او قلّ به اهتمامهم ولم تصدُق بحفظه عنايتهم - و قيل رأى في النوم ان الذئب قد شدّ على يوسف فكان يحذره فمن ثمه قال ذلك فلقّنهم العلةَ و في امثالهم البلاء موكّل بالمنطق * و قرئ الذِّئْبُ بالهمز على الاصل و بالتخفيف - و قيل اشتقاقه من تذاءبت الريحُ اذا اتتْ من كل جهة القَسَم محذوفا تقديره و اللّٰه [لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ] و اللام موطئة للقسَم و قوله [إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ] جواب للقسَم سَجْزِيَ عن جزاء الشرط - و الواو في وَنَحْنُ عُصْبَةٌ واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم من بينهم و حالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تُعْصب الامور و تُكْفى الخطوب انهم اذًا لقومٌ خاسرون اي هالكون ضعفاً و خوراً و عجزاً - او مستحقون ان يهلكوا لانه لاغناء عندهم ولا جدوى في حيُوتهم - او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار و الدمار و ان يقال خَسَرهم اللّٰه و دَمّرهم حين اكل الذئب بعضهم و هم حاضرون - و قيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذًا و خسرناها - فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلمَ اجابوا عن احدهما دون الآخر - قلت هو الذي كان يغيظهم و يذيقهم الامرّين فاعاروه اُذاناً صُمّاً ولم يعبأوا به * [أَنْ يَجْعَلُوهُ] مفعول أَجْمَعُوا من قولك اجمع الامرَ و ارمعه فاجمعوا امركم - وقرئ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ - قيل هو ببيت المقدس - وقيل بارض الأُرْدُنّ - وقيل بين مصر و مدين - وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب * و جواب لَمّا محذوف و معناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرّية اظهروا له العداوة و اخذوا يؤذونه و يضربونه و كلما استغاث بواحد منهم لم يُغثه الا بالاهانة و الضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما تصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا أمَا اعطيتموني موثقا ألّا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجبّ تعلّق بثيابهم مَنَزعوها من يديه فتعلق بحائط البير فربطوا يديه و نزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردّوا علي قميصي اتوارى به و انما نزعوه ليلطّخوه بالدم و يحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادعُ الشمس و القمر والاحد عشر كوكبا تُؤنسك و دلّوه في البير فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت و كان في البير ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها و هو يبكي فناداه فظنّ انها رحمةٌ ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا و كان يهوذا يأتيه بالطعام - و يروى ان ابرهيم عليه السلام حين أُلقي في النار جُرّد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحٰق و اسحٰق الى يعقوب فجعله يعقوبُ في تعويذة

سورة يوسف ١٢ الجزء ١٢ ع ١١ الثلث

لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۝ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۝ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۖ

علقها في عنق يوسف فجاء جبرئيل فاخرجه و ألبسه اياه [وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ] قيل أوحي اليه في الصغر كما أوحي الى يحيى و عيسى - وقيل كان ان ذاك مدركا - وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة [لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا] و انما أوحي اليه ليؤنس في الظلمة و الوحشة و يُبشّر بما يؤل اليه امره ومعناه لتخلصنّ مما انت فيه ولتحدثنّ اخوتك بما فعلوا بك [وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] انك يوسف لعلوّ شانك و كبرياء سلطانك و بُعد حالك عن اوهامهم و طول العهد المبدّل للهيئات و الاشكال - و ذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم و هم له منكرون دعا بالصُواع فوضعه على يده ثم نقره فطنّ فقال انه ليُخبرني هذا الجامُ انه كان لكم اخٌ من ابيكم يقال له يوسف و كان يُدنيه دونكم و انكم انطلقتم به و ألقيتموه في غيابة الجبّ و قلتم لابيكم اكله الذئب و بعتموه بثمن بخس - و يجوز ان يتعلق وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بقوله وَأَوْحَيْنَا على انا أنسناه بالوحي و أزلنا عن قلبه الوحشة و هم لا يشعرون ذلك و يحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له - و قرئ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بالنون على انه وعيد لهم و قوله وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ متعلق بأَوْحَيْنَا لا غير - و عن الحسن عُشيًّا على تصغير عَشي يقال لقيته عُشيًا و عُشَيَّانا و أُصَيْلا و أُصَيْلانا - و رواه ابن جنّي عُشًى بضم العين و القصر و قال عُشُوّا من البكاء - و روي ان امرأةً حاكمتْ الى شُرَيح فبكتْ فقال له الشعبي يا ابا أُميّة اماتراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون و هم ظَلَمة و لا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما أُمر ان يقضي به من السنّة المرضيّة - و روي انه لما سمع صوتهم فزع و قال ما لكم يا بَنيَّ هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم و اين يوسف [قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ] اي نتسابق و الافتعالُ و التفاعلُ يشتركان كالانتضال و التناضل و الارتماء و الترامي و غير ذلك و المعنى نتسابق في العَدْو او في الرمي و جاء في التفسير ننتضل [بِمُؤْمِنٍ لَنَا] بمصدّق انا [وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ] و لو كنّا عندك من اهل الصدق و الثقة لشدّة محبّتك ليوسف فكيف و انت سيّئ الظنّ بنا غير واثق بقولنا [بِدَمٍ كَذِبٍ] ذي كذب - او وصفَ بالمصدر مبالغةً كانه نفس الكذب و عينه كما يقال للكذّاب هو الكذب بعينه و الزور بذاته و نحوه * ع * فمرّ به جود و ألمّ به بخلُ * و قرئ كَذِبًا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين - و يجوز ان يكون مفعولا له - و قرأت عايشة رضي الله عنها كَدِبٍ بالدال غير المعجمة اي كدرٍ وقيل طريّ - و قال ابن جنّي اصله من الكَدَب و هو الغوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد أثر في قميصه - روي انهم ذبحوا سَخْلة و لطّخوه بدمها و زلّ عنهم ان يمزّقوه - و روي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاحَ باعلا صوته وقال اين القميص فاخذه و ألقاه على وجهه و بكى حتى خضب وجهه بدم القميص و قال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلمَ من هذا اكل ابني و لم يمزّق عليه قميصه - و قيل كان في قميص يوسف ثلث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وَأَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا

سورة يوسف ١٢ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ
أجزاء ١٢ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝
ع ١١

و دليلا على براءة يوسف حين قُدَّ من دبر - فان قلت عَلَىٰ قَمِيصِهِ ما محله - قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال - فان قلت هل يجوز ان تكون حالا متقدمة - قلت لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه [سَوَّلَتْ] سهلت من السول و هو الاسترخاء اي سهلت [لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا] عظيما ارتكبتموه من يوسف و هونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم و بسلامة القميص - او اوحي اليه بانهم قصدوه [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ] خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اي فامري صبرٌ جميلٌ - او فصبرٌ جميلٌ امثلُ - و في قراءة ابيّ فَصَبْرًا جَمِيلًا - و الصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه و معناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ - و قيل لا اعاينكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنتُ - و قيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان و كثرةُ الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها اي وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ] اي استعينه [عَلَىٰ] احتمال [مَا تَصِفُونَ] من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه - [وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ] رفقة تسير من قبل مدين الى مصر و ذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه و كان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكنّ الا للرعاة - و قيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف [فَأَرْسَلُوا] رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء و الوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم [يَا بُشْرَىٰ] نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا من اوانك - و قرئ يَا بُشْرَايَ على اضافتها الى نفسه - و في قراءة الحسن و غيره يَا بُشْرَيَّ بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعتُ اهلَ السروات يقولون في دعائهم ياسيدي و مولَيّ - و عن نافع يَا بُشْرَايْ بالسكون و ليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف - قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلّق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسنَ ما يكون فقال يَا بُشْرَايَ [هَٰذَا غُلَامٌ] - و قيل ذهب به لما دنى من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به [وَأَسَرُّوهُ] الضمير للوارد و اصحابه اخفوه من الرفقة - و قيل اخفوا امره و وجدانهم له في الجب و قالوا لهم دعوه ايدنا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر - و عن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف و انهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا و سكت يوسف مخافة ان يقتلوه و [بِضَاعَةً] نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة و البضاعةُ ما بُضع من المال للتجارة اي قُطع [وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ] لم يخف عليه اسرارهم و هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم - او و اللهُ عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم و اخيهم من سوء الصنيع [وَشَرَوْهُ] وباعوه [بِثَمَنٍ بَخْسٍ] مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا - او زيف ناقص العيار [دَرَاهِمَ] لا دنانير

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ۚ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۝ ع وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ
أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ

[مَعْدُودَةٍ] فليلة تُعدّ عدًّا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون و يعدّون ما دونها - وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدّها لكثرتها - و عن ابن عباس كانت عشرين درهما - و عن السدّي اثنين وعشرين [وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ] ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طَفّ من الثمن لانهم النقطوه والملتقطُ للشيء متهاونٌ به لا يبالي بمّ باعه و لانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مُساوم باوكس الثمن - و يجوز ان يكون معنى وَشَرَوْهُ و اشتَرَوْهُ يعني الرُّفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه أبق فخافوا ان يُخطروا بمالهم فيه - و يروي ان اخوته اتّبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يأبق - وقوله فِيهِ ليس من صلة الزَّاهِدِينَ لان الصلة لا تتقدم على الموصول أَلَا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين و انما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه * [الَّذِي اشْتَرَاهُ] قيل هو قِطفيرُ او اطفيرُ و هو العزيز الذي كان على خزائن مصر و الملك يومئذ الريّان بن الوليد رجل من العماليق و قد أُمن بيوسف و مات في حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسفُ الى الاسلام فابى - و اشتراه العزيز و هو ابن سبع عشرة سنة - واقام في منزله ثلث عشرة سنة - و استوزره ريّان بن الوليد و هو ابن ثلثين سنة - و آتاه الله العلمَ و الحكمةَ و هو ابن ثلث و ثلثين سنة - و تُوُفّي و هو ابن مائة و عشرين سنة - و قيل كان الملك في ايامه فرعونَ موسى عاش اربع مائة سنة بدليل قوله وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ - و قيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف - و قيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا و روجَيْ نعل و ثوبين ابيضين - وقيل ادخلوه السوقَ يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنُهُ وزنَهُ مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ [أَكْرِمِي مَثْوَاهُ] اجعلي منزله و مقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ و المراد تفقّديه بالاحسان وتعهّديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبةً في صحبتنا ساكنةً في كنفنا - ويقال للرجل كيف ابو مثواك و ام مثواك لمن ينزل به من رجل او امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده و هل يُراعي حق نزولك به - و اللامُ في لِامْرَأَتِهِ متعلقة بقال لا باشْتَرَاهُ [عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا] لعله اذا تدرّب و راض الامور و فهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعُنا فيه بكفايته واصابته - او نتبنّاه و نقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرّس فيه الرُشد فقال ذلك - و قيل افرسُ الناس ثلثة العزيز حين تفرّس في يوسف فقال لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا و المرأة التي اتت موسى و قالت لابيها يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ و ابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما - و روي انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه - [وَكَذَٰلِكَ] الاشارةُ الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه - و الكافُ منصوب بتقديره و مثل ذلك الانجاء و العطف [مَكَّنَّا] له اي كما انجيناه

سورة يوسف ١٢ الْاَحَادِيْثِ ط وَاللّٰهُ غَالِبٌ عَلٰٓى اَمْرِهٖ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝ وَلَمَّا بَلَغَ اَشُدَّهٗٓ اٰتَيْنٰهُ حُكْمًا وَّعِلْمًا ط
الجزء ١٢ وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِيْنَ ۝ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِيْ هُوَ فِيْ بَيْتِهَا عَنْ نَّفْسِهٖ وَغَلَّقَتِ الْاَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ط
ع ١٢ قَالَ مَعَاذَ اللّٰهِ اِنَّهٗ رَبِّيْٓ اَحْسَنَ مَثْوَايَ ط اِنَّهٗ لَا يُفْلِحُ الظّٰلِمُوْنَ ۝ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ اَنْ رَّاٰ بُرْهَانَ

و عطفنا عليه العزيز كذلك مكّنّا له في ارض مصر و جعلناه ملكاً يتصرف فيها بامره و نهيه [وَلِنُعَلِّمَهٗ مِنْ تَاْوِيْلِ الْاَحَادِيْثِ] كان ذلك الانجاء و التمكين لان غرضنا ليس الّا ما تُحمَد عاقبته من علم و عمل - [وَاللّٰهُ غَالِبٌ عَلٰٓى اَمْرِهٖ] على امر نفسه لا يُمنَع عما يشاء و لا يُنازَع ما يريد و يقضي - او على امر يوسف يُدبّره و لا يكلُه الى غيره قد اراد اخوته به ما ارادوا و لم يكن الّا ما اراد الله و دبّره [وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ] ان الامر كلّه بيد الله * قيل في الاَشُدّ ثماني عشرة سنة - و عشرون - و ثلث و ثلثون - و اربعون - و قيل اقصاه ثنتان و ستون [حُكْمًا] حكمةً و هو العلم بالعمل و اجتناب ما يُجهَل فيه - و قيل حُكْمًا بين الناس و فقهاً [وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ] تنبيهٌ على انه كان محسنًا في عمله متّقيًا في عُنفوان امره و ان الله آتاه العلم و الحكم جزاءً على احسانه - و عن الحسن مَن احسن عبادةَ ربّه في شبيبته آتاه الله الحكمةَ في اكتهاله * [المراودة] مفاعلة من رادَ يرودُ اذا جاء و ذهب كانّ المعنى خادعتْهُ عن نفسه اي فعلتْ ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يُخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه و يأخذه منه و هي عبارة عن التمحّل لمواقعته ايّاها [وَغَلَّقَتِ الْاَبْوَابَ] قيل كانت سبعة - قرئ [هَيْتَ] بفتح الهاء و كسرها مع فتح التاء و بناؤه كبناء اَيْنَ و عِيطَ - و هَيْتِ كجَيْر - و هَيْتُ كحَيْث - و هِئْتُ بمعنى تهيّأت يقال هاءَ يهيءُ كجاء يجيء اذا تهيّأ - و هُيِّئْتُ لَكَ و اللامُ من صلة الفعل و اما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلمّ لك - [مَعَاذَ اللّٰهِ] اعوذُ بالله معاذًا [اِنَّهٗ] ان الشان و الحديث [رَبِّيْ] سيّدي و مالكي يريد قِطفيرَ [اَحْسَنَ مَثْوَايَ] حين قال لكِ اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة و اخونه فيهم [اِنَّهٗ لَا يُفْلِحُ الظّٰلِمُوْنَ] الذين يُجازون الحسنَ بالسيّء - و قيل اراد الزُناة لانهم ظالمون انفسهم - و قيل اراد اللهَ تعالى لانه مسبّب الاسباب * هَمَّ بالامر اذا قصده و عزم عليه قال * شعر * هممتُ و لم افعلْ و كِدتُ و ليتني * تركتُ على عثمٰن تبكي حلائلُهُ * و منه قولك لا افعل ذلك و لا كيدًا و لا همًّا و لا اكادُ ان افعله كيدا و لا اهمّ بفعله همًّا حكاه سيبويه و منه الهُمام و هو الذي اذا همّ بامر امضاه و لم ينكُل عنه - و قوله [وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ] معناه و لقد همّتْ بمخالطته [وَهَمَّ بِهَا] و همّ بمخالطتها [لَوْلَآ اَنْ رَّاٰ بُرْهَانَ رَبِّهٖ] جوابه محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لخالطها فحُذف لان قوله وَهَمَّ بِهَا يدلّ عليه كقولك هممتُ بقتله لولا اني خِفتُ الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته - فان قلت كيف جاز على نبيّ الله ان يكون منه همٌّ بالمعصية و قصدٌ اليها - قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة و نازعت اليها عن شهوة الشباب و قرمه ميلا يُشبه الهمّ به و القصد اليه و كما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول و العزائم

و هو يكسر ما به و يرتّه بالنظر في برهان الله الماخوذ على المكلّفين من وجوب اجتناب المحارم و لو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمّى همّا لسدّته لمّا كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء و شدّته و لو كان همّه كبعض عزيمة لمّا مدحه الله بانه من عباده المخلصين - و يجوز ان يريد بقوله وَ هَمَّ بِهَا و شارف ان يهمّ بها كما يقول الرجل قتلتُه لولم اخف الله يريد مشارفة القتل و مشابهتَه كانه شرع فيه - فان قلت قوله وَ هَمَّ بِهَا داخلٌ تحت حكم القسم في قوله و لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ام هو خارج منه - قلت الامران جائزان و من حق القارئ اذا قدّر خروجه من حكم القسم و جعله كلاما برأسه ان يقف على قوله وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ و يبتدئ قوله وَ هَمَّ بِهَا لَوْلَا اَنْ رَّاٰ بُرْهَانَ رَبِّهٖ و فيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمّين - فان قلت لم جعلت جواب لَوْلَا محذوفا يدلّ عليه هَمَّ بِهَا وهلّا جعلته هو الجواب مقدّما - قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط و الشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيّزه من الجملتين مثلُ كلمة واحدة و لا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض و اما حذف بعضها اذ ادلّ الدليل عليه فجائز - فان قلت فلم جعلت لَوْلَا متعلقة بهَمَّ بِهَا وحده و لم تجعلها متعلقة بجملة قوله وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لان الهمّ لا يتعلّق بالجواهر و لكن بالمعاني فلابدّ من تقدير المخالطة و المخالطةُ لا تكون الّا من اثنين معا فكانّه قيل و لقد همّا بالمخالطة لولا ان منع مانعٌ احدَهما - قلت نعم ما قلتَ و لكن الله سبحانه قد جاء بالهمّين على سبيل التفصيل حيث قال وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَ هَمَّ بِهَا فكان اعفاؤه الغاءً له فوجب ان يكون التقدير و لقد همّت بمخالطته وهمّ بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصّلها الى ما هو حظّها من قضاء شهوتها منه و توصّله الى ما هو حظّه من قضاء شهوته منها لَوْلَا اَنْ رَّاٰ بُرْهَانَ رَبِّهٖ فترك التوصل الى حظّه من الشهوة فذاك كانت لولا حقيقة بَاَنْ تُعَلَّق بهَمَّ بِهَا وحده - و قد فُسّر همّ يوسف بانه حلّ الهميانَ و جلس منها مجلس المُجامِع و بانه حلّ تكّة سراويله و قعد بين شُعَبها الاربع وهي مستلقية على قفاها - و فُسّر البرهان بانه سمع صوتا اياك و اياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اَعْرِضْ عنها فلم يلتفت فيه حتى مُثّل له يعقوب عاضّا على انمّلته - و قيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله - و قيل كل ولد يعقوب له اثنى عشر ولداً الّا يوسف فانه وُلد له احد عشر ولداً من اجل ما نقص من شهوته حين همّ - وقيل صيح به يا يوسف لا تكُنْ كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له - و قيل بدت كفّ فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وَ اِنَّ عَلَيْكُمْ لَحٰفِظِيْنَ كِرَامًا كَاتِبِيْنَ فلم ينصرف ثم رأى فيها وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنٰٓى اِنَّهٗ كَانَ فَاحِشَةً وَ سَآءَ سَبِيْلًا فلم ينته ثم رأى فيها وَ اتَّقُوْا يَوْمًا تُرْجَعُوْنَ فِيْهِ اِلَى اللّٰهِ فلم يتجع فيه فقال الله لجبرئيل عليه السلام ادرِكْ عبدي قبل ان يصيب الخطيئةَ فانحطّ جبرئيل وهو يقول يا يوسفُ اتعمل عمل السّفهاء و انت مكتوب في ديوان الانبياء - و قيل رأى تمثال العزيز - و قيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فستَرتْهُ و قالت اَستحيي ان يرانا قال

ع ١٢ يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يُبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم وروايتهم بحمد الله بسبيل ولو وُجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لَنُعِيَتْ عليه وذُكرت توبته واستغفاره كما نُعيت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذُكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمّي مُخلَصًا نعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحْض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرًا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كُتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها لِيَجْعَلَ لَهُ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ كما جعله لجده الخليل ابراهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله السورةَ التي هي احسن القصص في القرآن العربيّ المبين ليقتدي بنبيّ من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حلّ تكّته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلثَ كرّات ويصاح به من عنده ثلث صَيْحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفَدَ غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحلُ ولا ينتهي ولا ينتبهُ حتى يتداركه الله بجبرئيل وباجباره ولو انّ اوقح الزُناة واشطرهم راجدهم حدقة واجلحهم وجهًا لقي بادنى ما لقي به نبيّ الله مما ذكروا امَا بقي له عِرقٌ ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينهُ [كَذَٰلِكَ] الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبّتناه - او مرفوعه اي الامر مثل ذلك [لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ] من خيانة السيّد [وَالْفَحْشَاءَ] من الزنا [إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ] الذين اخلصوا دينهم لله - وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بأنْ عَصمهم - ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القُبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك - وقوله مِنْ عِبَادِنَا معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين - او هو ناشيء منهم لانه من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ * [وَاسْتَبَقَا الْبَابَ] وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ - او على تضمين اسْتَبَقَا معنى ابتدرا فمرّ منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروجَ - فان قلت كيف وحّد الباب وقد جمعه في قوله وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ - قلت اراد الباب البرّانيّ الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار - وقد روى كعب انه لمّا هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب [وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ] اجتذبتهُ من خلفه فانقدّ اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعتهُ تمنعه [وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا] وصادفا بعلها وهو تطفير تقول المرأة لبعلها سيّدي - وقيل انما لم يقل

مِنْ دُبُرٍ وَّاَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ اَرَادَ بِاَهْلِكَ سُوْٓءًا اِلَّآ اَنْ يُّسْجَنَ اَوْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِيْ عَنْ نَّفْسِيْ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ اَهْلِهَا ۚ اِنْ كَانَ قَمِيْصُهٗ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكٰذِبِيْنَ ۝ وَاِنْ كَانَ قَمِيْصُهٗ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ۝ فَلَمَّا رَاٰ قَمِيْصَهٗ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ

سيدهما الى ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيّدًا له على الحقيقة - قيل الفيا سيدها مقبلًا يريد ان يدخل - وقيل جالسًا مع ابن عم للمرأة لمّا اطّلع منها زوجها على تلك الهيئة المُريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يُواتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضَيْها وهما تبرية ساحتها عند زوجها من الريبة والغضبُ على يوسف وتخويفُهُ طمعًا في ان يُواتيها خيفةً منها ومن مكرها وكرهًا لمّا ايست من مواتاته طوعًا الا ترى الى قولها وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَآ اٰمُرُهٗ لَيُسْجَنَنَّ - ومَا نافية اي ليس جزاؤه الا السجن - ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اىّ شيء جزاؤه الا السجن كما تقول مَن في الدار الا زيد - فان قلت كيف لم تصرّح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوء - قلت قصدت العمومَ وان كل من اراد باهلك سوءً فحقُّه ان يسجن او يعذّب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف - وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط * ولمّا اغرتْ به وعرّضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال [هِيَ رَاوَدَتْنِيْ عَنْ نَّفْسِيْ] ولولا ذلك لكَمَّ عليها [وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ اَهْلِهَا] قيل كان ابنَ عمّ لها وانما القى الله الشهادة على لسان مَن هو من اهلها لتكون اوجبَ للحجّة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه - وقيل هو الذي كان جالسًا مع زوجها لدى الباب - وقيل كان حكيمًا يرجع اليه الملك ويستشيره - ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصرها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق - وقيل كان ابنَ خال لها صبيًّا في المهد - وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم تكلّم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون - وشاهد يوسف - وصاحب جُريج - وعيسى - فان قلت لِمَ سمّي قوله شهادةً وما هو بلفظ الشهادة - قلت لمّا ادّى مؤدّى الشهادة في ان تبت به قول يوسف وبطل قولها سُمّي شهادةً - فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة - قلت لانها قول من القول - او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهدٌ فقال اِنْ كَانَ قَمِيْصُهٗ - فان قلت ان دلّ قدُّ قميصه من دُبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعتْهُ واجتبذت ثوبه اليها فقدّتْهُ فمن اين دلّ قدُّه من قبل على انها صادقة وانه كان تابعَها - قلت من وجهين - احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعتْهُ عن نفسها قدّتْ قميصه من قدامه بالدفع - والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثّر في مقادم قميصه فيشقّه - وقرئ مِنْ قُبُلٍ وَمِنْ دُبُرٍ بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قُبل القميص ومن دُبره واما التذكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر - وعن ابن ابي اسحق انه قرأ مِنْ قُبُلٍ وَمِنْ دُبُرٍ بالفتح كانه جعلهما عَلَمَيْن للجهتين فمنعهما الصرفَ للعلمية والتانيث - وقُرئا بسكون العين - فان قلت كيف جاز الجمع بين اِنْ الذي هو للاستقبال وبين كَانَ - قلت ان

سورة يوسف ١٢ اِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ط اِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيْمٌ ۝ يُوْسُفُ اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا سكته وَاسْتَغْفِرِيْ لِذَنْبِكِ ج اِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخٰطِئِيْنَ ۝ ع
الجزء ١٢ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِيْنَةِ امْرَاَتُ الْعَزِيْزِ تُرَاوِدُ فَتٰىهَا عَنْ نَّفْسِهٖ ج قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ط اِنَّا لَنَرٰىهَا فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ۝
ع ١٣ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ اَرْسَلَتْ اِلَيْهِنَّ وَاَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَاً وَّاٰتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيْنًا وَّقَالَتِ اخْرُجْ

المعنى اِن يُعلَمْ انه كان قميصه قُدّ ونحوه قولك ان احسنتَ اليّ فقد احسنتُ اليك من قبلُ لمن يمتنُّ عليك باحسانه تريد اِن تمتنَّ عليَّ اَمْتنَّ عليك [فَلَمَّا رَاٰ] يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها [قَالَ اِنَّهُ] انّ قولك مَا جَزَاءُ مَنْ اَرَادَ بِاَهْلِكَ سُوْءً - اوانّ هذا الامر وهو طمعها في يوسف [مِنْ كَيْدِكُنَّ] الخطابُ لها ولامّتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الّا ان النساء الطفُ كيدًا وانفذُ حيلةً ولهن في ذلك نيقةٌ ورفقٌ وبذلك يغلبْنَ الرجال ومنه قوله تعالى وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ والقصريات من بينهنّ معهنّ ما ليس مع غيرهنّ من البوائق - وعن بعض العلماء انا اخافُ من النساء اكثر مما اخافُ من الشيطان لان لله تعالى يقول اِنَّ كَيْدَ الشَّيْطٰنِ كَانَ ضَعِيْفًا وقال للنساء اِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيْمٌ * [يُوْسُفُ] حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله [اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا] الامر واكتُمْه ولا تحدّثْ به [وَاسْتَغْفِرِيْ] انتِ [لِذَنْبِكِ اِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخٰطِئِيْنَ] من جملة القوم المتعمّدين للذنب يقال خطيَ اذا اذنب متعمّدا وانما قال مِنَ الْخٰطِئِيْنَ بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الّا رجلا حليما - وروي انه كان قليلَ الغيرة [وَقَالَ نِسْوَةٌ] وقال جماعة من النساء وكُنّ خمسًا امرأةُ الساقي وامرأةُ الخبّاز وامرأةُ صاحب الدوابّ وامرأةُ صاحب السجن وامرأةُ الحاجب - والنسوةُ اسم مفرد لجمع المرأة وتانيثهُ غير حقيقي كتانيث اللُّمَة ولذلك لم تلحق فعلَهُ تاءُ التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمّها [فِي الْمَدِيْنَةِ] في مصر [امْرَاَتُ الْعَزِيْزِ] يُرْدِنَ قطفير والعزيزُ الملك بلسان العرب [فَتٰىهَا] غلامَها يقال فتايَ وفتاتي اي غلامي وجاريتي [شَغَفَهَا] خرقَ حبُّه شغافَ قلبها حتى وَصَلَ الى الفؤاد - والشغافُ حجاب القلب - وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة * شعر * وقد حالَ همٌّ دون ذلك ولجٌ * مكان الشغاف تبتغيه الاصابعُ * وقرئ شَعَفَهَا بالعين من شعف البعيرُ اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءةَ الرجلُ الطالي و[حُبًّا] نصبٌ على التمييز [فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ] في خطاء وبُعْد عن طريق الصواب * [بِمَكْرِهِنَّ] باغتيابهنّ وسوء قالتهنّ وقولهنّ امرأة العزيز عشقتْ عبدَها الكنعانيَّ ومقتها وسمّي الاغتياب مكرًا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفى الماكرُ مكرَهُ - وقيل كانت استكتمتْهنّ سرّها فافشينه عليها * [اَرْسَلَتْ اِلَيْهِنَّ] دعتْهنّ - قيل دعتْ اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات [وَاَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَاً] ما يتّكين عليه من نمارقَ - قصدتْ بتلك الهيئة وهي قعودهنّ متكيات والسكاكينُ في ايديهنّ ان يُدهَشْنَ ويُبهتن عند رؤيته ويشغلْنَ عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعْنَها لان المتكئ اذا بُهت لشيء وقعت يده على يده - ولا يبعد ان

عَلِيمٌ ج فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۖ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا ۚ إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝ سورة يوسف ١٢

الجزء ١٢

ع ١٣

تقصد الجمع بين المكر به و بين فتضع الخناجر في ايديهن لتقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة و لتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه - وقيل مُتَّكَأً مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين و لذلك نُهي ان يأكل الرجل متكئا و أتتهن السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن - وقيل مُتَّكَأً طعاماً من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تُكَأَةً يتكي عليها قال جميل * شعر * نظللنا بنعمة و اتكأنا * وشربنا الحلال من قُلله * وعن مجاهد مُتَّكَأً طعاما يحز حزاً كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين - وقرئ مُتَّكَا بغير همز - وعن الحسن مُتَّكَاً بالمد كانه مُفْتَعال و ذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح و نحوه بذباع بمعنى بذبح - وقرئ مُتْكَا وهو الأُتْرُجّ وأنشد * شعر * فأهدت مُتْكة لبني ابيها * تخب بها العثمثمة الوضاح * وكانت اهدت أُتْرجّة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داؤد في سُنَنه انها شُقّت بنصفين و حُملا كالعدلين على جمل - وقيل الزماورد - وعن وهب أُتْرُجًّا و مَوْزا و بِطّيخا - وقيل أعتدت لهن ما يقطع من مَتَكَ الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه - وقرأ الاعرج مَتْكاً مُفْعلا من تكى يتكأ اذا اتكأ - [أَكْبَرْنَهُ] عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع و الجمال الفائق - قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء - وعن النبي صلى الله عليه و آله و سلم مررت بيوسف الليلة التي عُرج بي الى السماء فقلت لجبرئيل مَن هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر - وقيل كان يوسف اذا سار في ارقة مصر يُرى تلألؤ وجهه على الجُدران كما يُرى نور الشمس من الماء عليها - وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف - و قيل كان يُشبه آدم يوم خَلقه ربّه - و قيل ورث الجمال من جدته سارة - وقيل أكْبَرْنَهُ بمعنى حِضْنَ و الهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر و كان ابا لطيب اخذ من هذا التفسير قوله * شعر * خف الله و استُرِدّا الجمالَ ببرقع * فان لُحْتَ حاضت في الخدور العواتق * [قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ] جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعتُ يدي تريد جرحتُها * حَاشَا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال * شعر * حاشا ابي ثوبان ان به * وقماً عن الملحاة و الشتم * وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حَاشَا لِلّٰهِ براءة الله وتنزيه الله - وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى اللّٰه اضافة البراءة - ومن قرأ حَاشَا لِلّٰهِ فنحو قولك سَقْياً لك كانه قال براءةٌ ثم قال لِلّٰهِ لبيان من يبرئ و ينزّه - والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابي لسمال حَاشًا لِلّٰهِ بالتنوين - و قراءة ابي عمرو حَاشَ لِلّٰهِ بحذف الالف الاخرة - وقراءة الاعمش حَسًا لِلّٰهِ بحذف الالف الاولى - و قرئ حَاشْ لِلّٰهِ بسكون الشين على ان الفتحة أُتبعت الالف في السقاط وهي

سورة يوسف ١٢ فَذٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ

الجزء ١٢

ع ١٣ ضعيفة لما فيها من اجتماع الساكنين على غير حده - و قرئ حَاشَا اللّٰهِ - فان قلت ولم جاز في حاشا لله ان لا ينوّن بعد اجرائه مجرى براءة لله - قلت مراعاةً لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلستُ من عَنْ يمينه كيف تركوا عَنْ غير معرب على اصله و علّى في قوله غدتْ من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير - و المعنى تنزيه الله تعالى من صفات العجز و التعجّب من قدرته على خلق جميل مثله و اما قوله حَاشَا لِلّٰهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوْءٍ فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله [مَا هٰذَا بَشَرًا] نفَيْنَ عنه البشرية لغرابة جماله و مباعدة حسنه لما عليه محاسن الصُوَر و اثبتْنَ له المَلَكيّة و بتتْنَ به الحكم و ذلك لان الله عزّ و جلّ ركزّ في الطباع ان لا احسنَ من الملك كما ركزّ فيها ان لا اقبح من الشيطان و لذلك يُشَبَّهُ كل متناهٍ في الحسن و القبح بهما و ما ركزّ ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركزّ في الطباع ان لا ادخلَ في الشرّ من الشياطين و لا اجمعَ للخير من الملئكة الا ما عليه الفئة الخاسية المجبرة من تفضيل الانسان على الملك و ما هو الا من تعكيسهم للحقائق و جحودهم للعلوم الضرورية و مكابرتهم في كل باب - و اعمال مَا عمل ليس هي اللغة القُدمى الحجازية و بها ورد القرآن و منها قوله تعالى مَا هُنَّ اُمَّهَاتِهِمْ - و مَن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بَشَرٌ بالرفع و هي في قراءة ابن مسعود - و قرئ مَا هٰذَا بِشْرًى اي ما هو بعبد مملوك لئيم [اِنْ هٰذَا اِلَّا مَلَكٌ كَرِيْمٌ] تقول هذا بِشْرًى اي حاصل بِشْرًى بمعنى هذا مشريّ و تقول هذا لك بِشْرًى ام بِكْرًى و القراءة هي الاولى لموافقتها المصحف و مطابقة بَشَر لمَلَك [قَالَتْ فَذٰلِكُنَّ] و لم تقل فهذا و هو حاضر رفعًا لمنزلته في الحسن و استحقاق ان يُحَبّ و يُفْتَتن به و ربًا بحاله و استبعادًا لمحله - و يجوز ان يكون اشارة الى المعنيّ بقولهن عشقتْ عبدَها الكنعانيّ تقول هو ذاك العبد الكنعانيّ الذي صوّرتُنّ في انفسكنّ ثم [لُمْتُنَّنِي فِيْهِ] تعني انكنّ لم تصوّرنَهُ بحق صورته لو صورتُنّهُ لما عاينتنّ لعذرتُنّني في الافتتان به [الاستعصام] بناء مبالغة يدلّ على الامتناع البليغ و التحفّظ الشديد كانه في عصمة و هو تجنيد في الاستزادة منها و نحوه استمسكَ و استوعرَ الفتقُ و استجمع الرأيُ و استفحل الخطبُ و هذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه و برهان لاشيء انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسّروا به الهمّ و البرهان - فان قلت الضمير في [اٰمُرُهُ] راجع الى الموصول ام الى يوسف - قلت بل الى الموصول و لمعنى ما آمره فحذف الجار كما في قولك امرتُك الخير - و يجوز ان تجعل مَا مصدرية فيرجع الى يوسف و معناه و لئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري و مقتضاه - قرئ [وَلَيَكُوْنًا] بالتشديد و التخفيف و التخفيفُ اولى لان النون كتبت في المصحف الفًا على حكم الوقف و ذاك لا يكون الّا في الخفيفة - و قرئ اَلسِّجْنُ بالفتح على المصدر و قال [يَدْعُوْنَنِي] على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تقصّحْنَ له و زيّنّ له مطاوعتها و قُلْنَ له اياك و القاءَ نفسك في السجن و الصغار

وَلَيَكُونًا مِّنَ الصّٰغِرِيْنَ ۝ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ اَحَبُّ اِلَيَّ مِمَّا يَدْعُوْنَنِيْٓ اِلَيْهِ ۚ وَاِلَّا تَصْرِفْ عَنِّيْ كَيْدَهُنَّ
اَصْبُ اِلَيْهِنَّ وَاَكُنْ مِّنَ الْجٰهِلِيْنَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهٗ رَبُّهٗ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۭ اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ۝ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ
مِّنْۢ بَعْدِ مَا رَاَوُا الْاٰيٰتِ لَيَسْجُنُنَّهٗ حَتّٰى حِيْنٍ ۝ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيٰنِ ۭ قَالَ اَحَدُهُمَآ اِنِّيْٓ اَرٰىنِيْٓ
اَعْصِرُ خَمْرًا ۚ وَقَالَ الْاٰخَرُ اِنِّيْٓ اَرٰىنِيْٓ اَحْمِلُ فَوْقَ رَاْسِيْ خُبْزًا تَاْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۭ نَبِّئْنَا بِتَاْوِيْلِهٖ ۚ اِنَّا نَرٰىكَ

فالتجأ الى ربّه عند ذلك و قال ربّ نزول السجن احبّ اليّ من ركوب المعصية - فان قلت نزول السجن مشقّة على النفس شديدة و ما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احبّ اليه من اللذة - قلت كانت احبّ اليه و آثر عنده نظرًا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله و في قبح المعصية و في عاقبة كل واحدة منهما لا نظرًا في مشتهى النفس و مكروهها [وَاِلَّا تَصْرِفْ عَنِّيْ كَيْدَهُنَّ] فزعٌ منه الى الطاف الله و عصمته كعادة الانبياء و الصالحين فيما عزم عليه و وطّن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفّف و الاجاء اليه [اَصْبُ اِلَيْهِنَّ] اَمِلْ اليهن و الصبوةُ الميل الى الهوى و منها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها و رَوْحها - و قرئ اَصَبَّ اِلَيْهِنَّ من الصبابة [مِّنَ الْجٰهِلِيْنَ] من الذين لا يعملون بما يعلمون لانّ مَن لا جَدْوى لعلمه فهو و مَن لا يعلم سواء - او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح * و انما ذكر الاستجابة و لم يتقدّم الدعاء لان قوله وَاِلَّا تَصْرِفْ عَنِّيْ فيه معنى طلب الصرف و الدعاء باللطف [السَّمِيْعُ] لدعوات الملتجئين اليه [الْعَلِيْمُ] باحوالهم و ما يُصلحهم * [بَدَا لَهُمْ] فاعله مضمر لدلالة ما يفسّره عليه و هو لَيَسْجُنُنَّهٗ و المعنى بدا لهم بدا لي ظهر لهم رأي [لَيَسْجُنُنَّهٗ] - و الضمير في لَهُمْ للعزيز و اهله [مِّنْۢ بَعْدِ مَا رَاَوُا الْاٰيٰتِ] وهي الشواهد على براءته و ما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها و قتلها منه في الذروة و الغارب و كان مطواعة لها و جُمَيْلا ذُلولًا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات و عمل برأيها في سَجْنه و الحاق الصغار به كما اوعدته به و ذلك لما آيست من طاعته لها او لطمعها في ان يُذِلّه السجن و يسخّره لها - و في قراءة الحسن لَتَسْجُنُنَّهٗ بالتاء على الخطاب خطّب به بعضُهم العزيزَ و مَن يليه - او العزيزَ وحده على وجه التعظيم [حَتّٰى حِيْنٍ] الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تُبصر ما يكون منه - و في قراءة ابن مسعود عَتّٰى حِيْنٍ وهي لغة هُذيل - و عن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ عَتّٰى حِيْنٍ فقال مَن اقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا و انزله بلغة قريش وَاقْرِى الناس بلغة قريش و لا تُقرئهم بلغة هُذيل و السلام * [مَعَ] يدلّ على معنى الصحبة و استعدادها تقول خرجتُ مع الامير تريد مصاحبًا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له [فَتَيٰنِ] عبدانِ للملك خبّازه و شرابيّه رُقّي اليه انهما يسمّانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعةَ أُدخل يوسف عليه السلام [اِنِّيْٓ اَرٰىنِيْ] يعني في المنام و هي حكاية حال ماضية [اَعْصِرُ خَمْرًا] يعني عنبًا تسمية للعنب بما يؤل اليه - و قيل الخمر بلغة عُمان

سورة يوسف ١٢ الجزء ١٢ ع ١٤

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ
إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ

اسم للعنب. و في قراءة ابن مسعود اَعْصِرُ عِنَبًا [مِنَ الْمُحْسِنِينَ] من الذين يُحسنون عبارةَ الرؤيا اي يُجيدونها رأياه يقصّ عليه بعضُ اهل السجن رؤياه فيُوَلها له فقالا له ذلك. او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم. او مِنَ الْمُحْسِنِينَ الى اهل السجن فاحسِنْ الينا بان تفرّج عنّا الغُمّة بتاويل ما رأينا ان كانتْ لك يد في تأويل الرؤيا. روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه و اذا اضاق اوسع له و اذا احتاج جمع له. و عن قتادة كان في السجن ناسٌ قد انقطع رجاؤهم و طال حزنهم فجعل يقول اَبْشِروا اصبروا تُؤْجَروا انّ لهذا لاجرًا فقالوا باركَ الله عليك ما احسنَ وجهَك و ما احسنَ خلقَك لقد نُوِّرك لنا في جوارك فمَن انتَ يا فتى قال انا يوسف بن صفيّ الله يعقوب بن ذبيح الله اسحٰق بن خليل الله ابراهيمَ فقال له عامل السجن لو استطعتُ خلّيتُ سبيلك و لكني اُحسن جوارك فكُنْ في ايّ بيوت السجن شئتَ. و روي ان الفتيين قالا له انّا لَنُحبّك من حين رأيناك فقال اَنشدكما بالله ان لا تُحبّاني فوالله ما احبّني احد قطّ الّا دخل عليّ من حبّه بلاء لقد احبّتْني عمّتي فدخل عليّ من حبّها بلاء ثم احبّني ابي فدخل عليّ من حبّه بلاء ثم احبّتْني زوجة صاحبي فدخل عليّ من حبّها بلاء فلا تحبّاني بارك الله فيكما. و عن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابيّ اراني في بستان فاذا باصل حَبَلة عليها ثلثة عناقيد من عنب فقطفتُها و عصرتُها في كأس الملك و سقيتُه. وقال الخبّاز اني اراني و فوق رأسي ثلث سِلال فيها انواع الاَطْعمة و اذا سباع الطير تنهش منها. فان قلت الامَ يرجع الضمير في قوله نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ. قلت الى ما قصّا عليه و الضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كانه قيل نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِ ذلك. لمّا استعبراه و وصفاه بالاحسان افترض ذلك فوصل به وَصْف نفسه بما هو فوق علم العلماء و هو الاخبار بالغيب و انه يُنبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان يأتيهما ويصفه لهما و يقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيتَ و كيتَ فيجدانه كما اخبرهما و جعل ذلك تخلّصا الى ان يذكر لهما التوحيد و يعرض عليهما الايمان و يزيّنه لهما و يقبّح اليهما الشرك بالله و هذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجُهّال و الفَسَقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدّم اليه الهدايةَ و الارشادَ و الموعظةَ و النصيحةَ اولًا و يدعوه الى ما هو اولى به و اوجب عليه مما استُفتي فيه ثم يُفتيه بعد ذلك. و فيه ان العالم اذا جُهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده و غرضُه ان يُقتبس منه و يُنتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية [بِتَأْوِيلِهِ] ببيان ماهيته و كيفيته لان ذلك يُشبه تفسيرَ المشكل و الاعرابَ عن معناه [ذَٰلِكُمَا] اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل و الاخبار بالمغيبات [مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي] و اوحى به اليّ و لم اقله عن تكهّن و تنجّم. [إِنِّي تَرَكْتُ] يجوز ان يكون كلاما مبتدأ. و ان يكون تعليلا لما قبله اي علّمني

سورة يوسف ١٢ الجزء ١٢ ع ١٤

مَا كَانَ لَنَآ أَنْ نُّشْرِكَ بِاللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ ۝ يٰصَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّآ أَسْمَآءً
سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّٰهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذٰلِكَ
الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يٰصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ

ذلك و اوحى اليّ الذي رفضت ملّة اولئك و اتبعت ملّة الانبياء المذكورين وهي الملّة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهلَ مصر و مَن كان الفتيان على دينهم و تكريرهم الدلالة على انهم خصوصا كافرون بالأخرة و انّ غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها و هم الذين على ملّة ابراهيم و لتوكيد كفرهم بالجزاء تذييلها على ما هم عليه من الظلم و الكبائر التي لا يرتكبها الآمَن هو كافر بدار الجزاء - و يجوز ان يكون فيه تعريض بما مُني به من جهتهم حين ادّعوه السجنَ بعد ما رأوا الآيات الشاهدةَ على براءته وان ذلك ما لا يُقدم عليه الآمَن هو شديد الكفر بالجزاء - و ذكر أباه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرّفهما انه نبيّ يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوّي رغبتهما في الاستماع اليه و اتباع قوله * مَا كَانَ لَنَا] ماصحّ لنا معشرِ الانبياء [أَنْ نُّشْرِكَ بِاللّٰهِ] ايّ شيء كان من ملَك او جنّيّ او انسيّ فضلا ان نُشرك به صنمًا لا يسمع و لا يُبصر ثم قال [ذٰلِكَ] التوحيد [مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ] اي على الرسل و على المرسَل اليهم لانهم نبّهوهم عليه و ارشدوهم اليه [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ] المبعوث اليهم [لَا يَشْكُرُونَ] فضلَ اللّٰه فيُشركون و لا يتنبّهون - و قيل ان ذلك من فضل اللّٰه علينا لانه نصبَ لنا الادلّة التي ننظر فيها و نستدلّ بها و قد نُصب مثل تلك الادلّة لسائر الناس من غير تفاوت و لكن اكثر الناس لا ينظرون و لا يستدلّون اتّباعًا لاهوائهم فيبقَون كافرين غيرَ شاكرين * يٰصَاحِبَيِ السِّجْنِ] يريد يا صاحبيّ في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارقَ الليلة نكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره و هو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبَيْك يا صاحبيّ الصدقِ فتُضيفهما الى الصدق و لا تريد انهما صحبا الصدقَ و لكن كما تقول رجلا صدقٍ و سمّيتهما صاحبين لانهما صحباك - و يجوز ان يريد يا ساكنَي السجن كقوله أَصْحٰبُ النَّارِ - وَأَصْحٰبُ الْجَنَّةِ [ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ] يُريد التفرق في العدد والتكاثُر يقول أ ان تكون لكما ارباب شتّى يَستعبدكما هذا و يستعبدكما هذا [خَيْرٌ] لكما [أَمِ] ان يكون لكما رب واحد قَهّار لا يغالَبُ و لا يشارَكُ في الربوبية بل هو القهّار الغالب وهذا مثلٌ ضربه لعبادة اللّٰه وحده و لعبادة الاصنام - [مَا تَعْبُدُونَ] خطاب لهما و لمن على دينهما من اهل مصر [إِلَّآ أَسْمَآءً] يعني انكم سمّيتم ما لا يستحق الالٰهيّة الٰهةً ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسمّيات تحتها - و معنى [سَمَّيْتُمُوهَا] سمّيتم بها يقال سمّيته بزيد و سمّيته زيدًا [مَا أَنزَلَ اللّٰهُ بِهَا] اي بتسميتها [مِنْ سُلْطَانٍ] من حجّة [إِنِ الْحُكْمُ] في امر العبادة و الدين [إِلَّا لِلّٰهِ] ثم بيّن ما حكم به فقال [أَمَرَ أَلَّا

سورة يوسف ١٢ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ط قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۝ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا
الجزء ١٢ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ج فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۝ ع وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى
ع ١٥

تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ] الثابت الذي دلّت عليه البراهين * [أَمَّا أَحَدُكُمَا] يريد الشرابيّ [فَيَسْقِي رَبَّهُ] سيّده. و قرأ عكرمة فَيُسْقَى رَبُّهُ اي يُسقى ما يروى به على البناء للمفعول - روي انه قال للاول ما رأيت من الكرمة و حسنها هو الملك و حسن حاله عنده و امّا القضبان الثلثة فانها ثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج و تعود الى ما كنت عليه - و قال للثاني ما رأيت من السلال ثلثة ايام ثم تُخْرَج فتُقْتَل [قُضِيَ الْأَمْرُ] قُطع و تمّ ما [تَسْتَفْتِيَانِ] فيه من امركما و شانكما - فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد - قلت المراد بالامر ما أتيا به من سمّ الملك و ما سُجنا من اجله و ظنّا ان ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما أعَافيتُه لنجاة ام هلاك فقال لهما قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ اي ما يجرّ اليه من العاقبة و هي هلاك احدهما و نجاة الاخر - و قيل جحدا و قالا ما رأينا شيأ على ما رُوي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما * [ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ] الظنّ هو يوسف ان كان تاويله بطريق الاجتهاد - و ان كان بطريق الوحي فالظنّ هو الشرابيّ - او يكون الظنّ بمعنى اليقين [اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ] صِفْني عند الملك بصفتي و قُصّ عليه قصّتي لعلّه يرحمني و ينتشلني من هذه الورطة [فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ] فانسى الشرابيّ [ذِكْرَ رَبِّهِ] ان يذكره لربّه - و قيل فانسى يوسفَ ذكرَ الله حين وكلَ امره الى غيره [بِضْعَ سِنِينَ] البضع ما بين الثلث الى التسع و اكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين - فان قلت كيف يَقْدر الشيطان على الانساء - قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه و يزلّ عن قلبه ذكره و امّا الانساءُ ابتداءً فلا يقدر عليه الّا الله عزّ و جلّ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا - فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربّه اذا اريد به الملك و ما هي باضافة المصدر الى الفاعل و لا الى المفعول - قلت قد لابَسه في قوله فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذكرَه لربّه او عند ربّه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة - او على تقدير فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذكر اخبار ربّه فحذف المضاف الذي هو الاخبار - فان قلت لم انكر على يوسف الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه و قد قال الله تعالى وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى - و قال حكاية عن عيسى عليه السلام مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللّٰهِ - و في الحديث الله في عَوْن العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم - من فرّج عن مؤمن كربة فرّج الله عنه كربة من كُرَب الاخرة - و عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لم يأخذه النوم ليلةً من الليالي و كان يطلب من يحرسه حتى جاء سعدٌ فسمعت غطيطَه و هل ذلك الا مثل التداوي بالادوية و التقوّي بالاشربة و الاطعمة و ان كان ذلك لان الملك كان كافرًا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفّار في دفع الظلم و الغرق و الحرق و نحو

سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ سورة يوسف ١٢

الجزء ١٢

ع ١٥

ذلك من المضار - قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور و افضلها و اولاها و الاحسن و الاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه و لا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار و يقولوا لو كان هذا على الحق و كان له رب يغيثه لما استغاث بنا - و من الحسن انه كان يبكي اذا قرأها و يقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس * اما دنى فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس و سبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان و رأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها و سبعا اخر يابسات قد استحصدت و ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها [سمان] جمع سمين و سمينة وكذلك رجال و نسوة كرام - فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع و ان يقال سبع بقرات سمانا - قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن و لو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن - فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة - قلت التمييز موضوع لبيان الجنس و العجاف وصف لا يقع البيان به وحده - فان قلت فقد يقولون ثلثة فرسان و خمسة اصحاب - قلت الفارس و الصاحب و الراكب و نحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها و جاز فيها ما لم يجز في غيرها الا ترى لا تقول عندي ثلثة ضخام و اربعة غلاظ - فان قلت ذلك مما يشكل و ما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات - قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل و قد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف - و العجف الهزال الذي ليس بعده و السبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء افعل و فعلاء لا يجمعان على فعال حملة على سمان لانه نقيضه و من دأبهم حمل النظير على النظير و النقيض على النقيض - فان قلت هل في الاية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر - قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف و السنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع و يكون قوله و أخر يابسات بمعنى و سبعا اخر - فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله و أخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل - قلت يودي الى تدافع و هو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة و لفظ الاخر يقتضي ان تكون غير السبع بيده انك تقول عندي سبعة رجال قيام و قعود باجر فيصح انك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام و القعود على ان بعضهم قيام و بعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام و اخرين قعود تدافع نفسك [أيها الملأ] كانه اراد الاعيان من العلماء و الحكماء - و اللام في قوله للرؤيا

سورة يوسف ١٢ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ۝ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ
الجزء ١٢ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ۝ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ
ع ١٥

إمّا ان تكون للبيان كقوله وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ وإمّا ان تدخل الى العامل اذا تقدّم عليه معموله لم يكن في قوّته على العمل فيه مثلهُ اذا تأخر عنه مُعضد بها كما يعضد بها اسمُ الفاعل اذا قلتَ هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوّة - ويجوز ان يكون لِلرُّءْيَا خبرَ كانَ كما تقول كان فلانٌ لهذا الامر اذا كان مستقلًّا به متمكّنًا منه و [تَعْبُرُونَ] خبر آخر - او حال - و ان يضمّن تَعْبُرُونَ معنى فعل يتعدي باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقةُ عبرتُ الرؤيا ذكرتُ عاقبتَها وآخرَ امرها كما تقول عبرتُ النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عِبره ونحوه اوّلتُ الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعَبَرْتُ الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عَبّرت بالتشديد والتعبيرَ والمعبّرَ وقد عثرتُ على بيت انشده المبرّد في كتاب الكامل لبعض الاعراب * شعر * رأيت رؤيا ثم عَبّرتها * وكنت للاحلام عَبّارا * [أَضْغَاثُ الْأَحْلَامِ] تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جُمع من اخلاط النبات وحُزمَ الواحدةُ ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى مِن اي اضغاث من الاحلام والمعنى هي اضغاث احلام - فان قلت ما هو الاحلام واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا - قلت هو كما تقول فلانٌ يركب الخيل ويلبس العمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة وردة تزيّدًا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيّدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام - ويجوز ان يكون قد قصّ عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها [وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ] اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة - واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام بحقارير * قرئ [وَادَّكَرَ] بالدال وهو الفصيح - وعن الحسن وَاذَّكَرَ بالذال المعجمة اي تذكّر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسفَ وما شاهد منه [بَعْدَ أُمَّةٍ] بعد مدة طويلة وذلك انه حين استقضى الملكُ في رؤياه واعضل على الملأ تاويلها تذكّر الناجي يوسفَ وتاويلَهُ رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك - وقرأ الشعب العُقيلي بَعْدَ إِمَّةٍ بكسر الهمزة والإمّة النعمة قال عديّ * شعر * ثم بعد الفلاح والملك والإمّة وارتهم هناك القبورُ * اي بعد ما نعم عليه بالنجاة - وقرئ بَعْدَ أَمَهٍ بعد نسيان يقال امهَ يأمهُ امها اذا نسي - ومن قرأ بسكون الميم فقد خطّي [أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ] انا اخبركم به ممّن عنده علمه - وفي قراءة الحسن أَنَا آتِيكُمْ بِتَأْوِيلِهِ وَأَرْسِلُونِ] فابعثوني اليه لاسأله ومُروني باستعباره - وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة - المعنى فارسلوه الى يوسف فأتاه فقال [يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ] ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احوالَهُ وتعرّف صدقَهُ في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أوّلَ ولذلك كلّمه كلامَ محترز وقال [لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ] لانه ليس على يقين من الرجوع فربّما

وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ۚ
فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ
إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝ ع وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي

اختُرم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا - ومعنى لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ لعلهم يعلمون فضلك و مكانك من العلم فيطلبوك ويُخلصوك من محنتك [تَزْرَعُونَ] خبر في معنى الامر كقوله تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ - وَتُجَاهِدُونَ - وانما يُخرّج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يُخبر عنه - و الدليلُ على كونه في معنى الامر قوله فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ [دَأَبًا] بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دَأَبَ في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب - [فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ] لئلا يتسوس • و [يَأْكُلْنَ] من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن [تُحْصِنُونَ [تُحرزون وتخبأون • [يُغَاثُ النَّاسُ] من الغوث - او من الغيث يقال غِيثت البلاد اذا مُطرت - ومنه قول الاعرابية غِثنا ما شئنا [يَعْصِرُونَ] بالياء والتاء يَعْصِرون العنب و الزيتون و السمسم - و قيل يحلبون الضروع - و قرئ يُعْصَرُونَ على البناء للمفعول من عَصره اذا انجاه و هو مطابق للاغاثة - ويجوز ان يكون المبنيّ للفاعل بمعنى يُنْجون كانه قيل فيه يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يغيثون اي يُغيثهم اللّٰه و يُغيث بعضهم بعضا - وقيل يُعْصَرُونَ يمطرون من اعصرت السحابةُ و فيه وجهان - اما ان يضمّن أعصرت معنى مُطرت فيعدّى تعديته - واما ان يقال الاصل أُعصرت عليهم فحذف الجارّ وأُوصل الفعل - تأوّل البقراتِ السمانَ والسنبلاتِ الخُضْرَ بسنين مخاميب والعجافَ و اليابساتِ بسنين مُجْدِبة ثم بَشّرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم و ذلك من جهة الوحي - و عن قتادة زاده اللّٰه علم سَنة - فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت أن علمَ ذلك من جهة الوحي - قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصّلا وقوله فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ تفصيل لحال العام و ذلك لا يعلم الا بالوحي • انما تأنّى و تثبّت في اجابة الملك و قدّم سؤال النسوة ليُظهر براءة ساحته عما قُرف به و سُجن فيه لئلا يتسلّق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده و يجعلوه سُلّما الى حطّ منزلته لديه و لئلا يقولوا ما خُلّد في السجن سبعَ سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حُقّ به ان يسجن و يعذّب و يستكفّ شرّه - وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التُّهَم واجب وجوبَ اتقاء الوقوف في مواقفه قال عليه السلام مَن كان يؤمن باللّٰه و اليوم الآخر فلا يقفَنّ مواقف التُّهَم - و منه قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم لمارّين به في معتكفه و عنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة - وعن النبيّ صلى اللّٰه عليه و آله و سلم لقد عجبتُ من يوسف وكرمه و صبره واللّٰهُ يغفر له حين سُئل عن البقرات العجاف والسمان و لو كنتُ مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يُخرجوني و لقد عجبتُ منه حين اتاه الرسول فقال ارجِعْ

سورة يوسف ١٢ الجزء ١٣ ع ١٦

به ج فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ط إِنَّ رَبِّي
بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَّفْسِهِ ط قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ط
قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ز أَنَا رَاوَدْتُّهُ عَنْ نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي
لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۝ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ج إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا

الى ربك و لو كنت مكانه و لبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة و بادرتهم الباب و لما ابتغيت العذر ان كان حليما ذا اناة - و انما قال سل الملك عن حال النسوة و لم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السوال مما يهيج الانسان و يحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السوال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة و نص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل - و قرئ النسوة بضم النون - و من كرمه و حسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به و تسببت فيه من السجن و العذاب و اقتصر على ذكر المقطعات ايديهن [إِنَّ رَبِّي] ان الله تعالى [بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ] اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره - او استشهد بعلم الله على انهن كدنه و انه برىء مما قرف به - او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه * [مَا خَطْبُكُنَّ] ما شانكن [إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ] هل وجدتن منه ميلا اليكن [قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ] تعجبا من عفته و ذهابه بنفسه عن شيء من الريبة و من نزاهته عنها [قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ] اي ثبت و استقر - وقرئ حُصْحِصَ على البناء للمفعول و هو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال * شعر * تحصحص في صم الصفا ثفناته * و دأى بسلمى نوءة ثم صمما * و لمزيد على شهادتهن له بالبراءة و النزاهة و اعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانبن خصومه و اذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق و هو على الباطل لم يبق لاحد مقال - و قالت المجبرة و الحشوية نحن قد بقي لنا مقال و لا بد لنا ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته * [ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ] من كلام يوسف اي ذلك التثبت و التسبر لظهور البراءة ليعلم العزيز [أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ] بظهر الغيب في حرمته و محل [بِالْغَيْبِ] الحال من الفاعل او المفعول على معنى و انا غائب عنه خفي عن عينه - او و هو غائب عني خفي عن عيني - و يجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب و هو الخفاء و الاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة [وَ] ليعلم [أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ] لينفذه و لا يسدده و كانه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها و به في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه - و يجوز ان يكون تاكيدا لامانته و انه لو كان خائنا لما هدى الله كيده و لا سدده * ثم اراد ان يتواضع لله و يهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا و لحالها في الامانة معجبا و مفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم انا سيد ولد آدم و لا فخر و ليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده و انما هو بتوفيق الله و لطفه و عصمته فقال [وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي] من الزلل و ما اشهد لها بالبراءة الكلية و لا ازكيها - و لا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق

مَا رَحِمَ رَبِّيَ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ

السهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم - واما ان يريد عموم الاحوال [إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ] اراد الجنس اي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات [إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ] الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة - ويجوز ان يكون مَا رَحِمَ في معنى الزمان اي الا وقتَ رحمة ربي يعني انها أمّارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة - ويجوز ان يكون استثناءً منقطعاً اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الامارة كقوله وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً - وقيل معناه ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اللّٰهُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ لان المعصية خيانة - وقيل هو من كلام امرأة العزيز اي ذٰلِكَ الذي قلتُ لِيَعْلَمَ يوسفُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سُئلتُ عنه وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنتُهُ حين قرفته وقلتُ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها انَّ كل نفس لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ الا نفساً رحمها اللّٰه بالعصمة كنفس يوسف [إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ] استغفرتْ ربَّها واسترحمتْهُ مما ارتكبتْ - فان قلت كيف صحّ ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك - قلت كفى بالمعنى دليلاً قائداً الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ثم قال فَمَاذَا تَأْمُرُونَ وهو من كلام فرعون لخاطبهم ويستشيرهم - وعن ابن جُرَيْج هذا من تقديم القرآن وتاخيره ذهب الى انّ ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ متصل بقوله مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ - ولقد لفّقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال إِنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ قال له جبرئيل ولا حين هممتَ بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللتَ تكّة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بَهْت اللّٰه ورُسله * يقال استخلصه واستخصّه اذا جعله خالصاً لنفسه وخاصاً به [فَلَمَّا كَلَّمَهُ] وشاهدَ منه ما لم يحتسب [قَالَ] ايها الصدّيق [إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ] ذو مكانة ومنزلة [أَمِينٌ] مؤتمنٌ على كل شيء - روي ان الرسول جاءه فقال أجِبِ الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللّٰهم اعْطِف عليهم قلوبَ الاخيار ولا تُعمِّ عليهم الاخبارَ فهمْ اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكُتبَ على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظّف من درن السجن ولبس ثيابا جُدُدا فلما دخل على الملك قال اللّٰهم انّي اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزّتك وقدرتك من شرّه ثم سلّم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان أبائي وكان الملك يتكلّم بسبعين لسانا وكلّمه بها فاجابه بجميعها فتعجّب منه وقال ايها الصّدّيق اني احبّ ان اسمع رؤياي منك فقال رأيتَ بقرات وصفَ لونهنّ واحوالهنّ ومكانَ خروجهنّ ورَصَفَ السنابلَ وما كان منها على اليابسة التي رأها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقّك ان تجمع الطعام في الغرّاء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك

سورة يوسف ١٢ الجزء ١٣ ع ١٦

الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ ۚ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۖ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ

و يجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك • [اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ] وَلِّنِي خزائنَ ارضك [إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ] امينٌ احفظ ما تستحفظُنيه عالم بوجوه التصرف وصفًا لنفسه بالامانة و الكفاية اللتين هما طَلِبة الملوك ممن يولّونه - و انما قال ذلك ليتوصّل الى امضاء احكام الله تعالى و اقامة الحق و بسط العدل و التمكّن مما لاجله تُبْعث الانبياء الى العباد و لعلمه ان احدًا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التوليةَ ابتغاءَ وجه الله لا لحبّ المُلك و الدنيا - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ لاستعمله من ساعته و لكنه اَخّر ذلك سنة - فان قلت كيف جاز ان يتولّى عملا من يد كافر و يكون تبعًا له و تحت امره و طاعته - قلت روى مجاهد انه كان قد اسلم - و عن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولّى الانسانُ عملا من يد سلطان جائر - و قد كان السلف يتولّون القضاءَ من جهة البُغاة و يرونه - و اذا علم النبيّ او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله و دفع الظلم الّا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به - و قيل كان الملك يصدر عن رأيه و لا يعترض عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع له و المطيع • [وَكَذَٰلِكَ] و مثل ذلك التمكين الظاهر [مَكَّنَّا لِيُوسُفَ] في ارض مصر - روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين [يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ] - قرئ بالنون و الياء اي كل مكان اراد ان يَتّخذه منزلا و متبوّأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها و دخوله تحت ملكته و سلطانه - روي ان الملك تَوّجه و خَتَمه بخاتمه وَرَدّاه بسيفه و وَضع له سريرا من ذهب مكلّلا بالدر و الياقوت - و روي انه قال له امّا السرير فاشدّ به ملكك و امّا الخاتم فادبّر به امرك و امّا التاج فليس من لباسي و لا لباس آبائي فقال فقد وضعته اجلالاً لك و اقراراً بفضلك فجلس على السرير و دانت له الملوك و فوّض الملك اليه امره و عزل قطفير ثم مات بعدُ فزوّجه الملكُ امرأته زليخا فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبتِ فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيمَ و ميشا و اقام العدل بمصر و احبّته الرجال و النساء و اسلم على يديه الملك و كثير من الناس - و باع من اهل مصر في سنّي القحط لطعامَ بالدنانير و الدراهم في السنة الاولى حتى لم يبقَ معهم شيء منها ثم بالحُليّ و الجواهر ثم بالدوابّ ثم بالضياع و العقار ثم برقابهم جميعا حتى استرقّهم جميعا فقالوا و الله ما رأينا كاليوم ملكا اجلّ و لا اعظم منه فقال للملك كيف رأيتَ صنع الله بي فيما خوّلني فما ترى قال الرأي رأيك قال فاني اُشهد الله و اُشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم و رددتُ عليهم اَملاكهم و كان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطًا بين الناس و اصاب ارضَ كنعان و بلادَ الشام نحوَ ما اصاب ارضَ مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بُنْيامين [بِرَحْمَتِنَا] بعطائنا في الدنيا من المُلك و الغنى و غيرهما من النعم [مَنْ نَشَاءُ] من اقتضت

سورة يوسف ١٢ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ ع وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۝ وَلَمَّا جَهَّزَهُم
الجزء ١٣ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ
ع ١ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ۝ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ۝ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي

الحكمة ان نشاء له ذلك [وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] ان نأجرهم في الدنيا [وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ] لهم - قال سفين بن عُيَيْنة المؤمن يُثاب على حسناته في الدنيا و الآخرة و الفاجرُ يُعجّل له الخير في الدنيا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ و تلا هذه الآية [لَمْ يَعْرِفُوهُ] لطول العهد و مفارقته اياهم في سنّ الحداثة و لاعتقادهم انه قد هلك و لذهابه عن اوهامهم لقلّة فكرهم فيه و اهتمامهم بشانه و لبُعد حاله للتي بلغها من المُلك و السلطان عن حاله اللتي فارقوه عليها طريحًا في البئر مَشريًا بدراهم معدودة حتى لو تخيّل لهم انه هو لَكَذّبوا انفسهم و ظنونَهُمْ و لان المُلك مما يبدّل الزيّ و يلبس صاحبَهُ من التهيّب و الاستعظام ما ينكر له المعروف - و قيل رأوه على زيّ فرعون عليه ثياب الحرير جالسًا على سرير في عنقه طوق من ذهب و على رأسه تاج فما خطر ببالهم انه هو - و قيل ما رأوه الّا من بعيد بينهم و بينه مسافة و حُجّاب و ما وقفوا الّا حيث يقف طُلّاب الحوائج - و انما عرفهم لانه فارقهم و هم رجال و رأى ربّهم قريبا من زيّهم اذ ذاك و لان همته كانت معقودة بهم و بمعرفتهم فكان يتأمّل و يتفطّن - و عن الحسن ما عرفهم حتى تعرّفوا له * [وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ] اي اصلحهم بعُدّتهم وهي عُدّة لسفر من الزاد و ما يحتاج اليه المسافرون واوقرَ ركائبهم بما جاؤا له من الميرة - و قرئ بِجِهَازِهِمْ بكسر الجيم [قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ] لابدّ من مقدمة سبقت له معهم حتى اجترّ القولُ هذه المسئلةَ - روي انه لمّا رآهم وكلّموه بالعبرانية قال لهم اَخْبِرُونِي مَن انتم و ما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رُعاةٌ اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عُيونًا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذَ الله نحن اخوةٌ بنو ابٍ واحدٍ و هو شيخ صدّيق نبيّ من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كُنّا اثنى عشر فهلك منّا واحد قال فكم انتم هٰهنا قالوا عشرة قال فاينَ الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلّى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون و ان الذي تقولون حقّ قالوا انّنا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعُوا بعضكم عندي رهينة و ائتوني باخيكم من ابيكم و هو يحمل رسالة من ابيكم حتى اُصدّقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعونَ و كان احسنهم رأيًا في يوسف فخلّفوه عنده و كان قد احسن انزالهم و ضيافتهم * [وَلَا تَقْرَبُونِ] فيه وجهان - احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فَلَا كَيْلَ لَكُمْ كانه قيل فانْ لم تأتوني به تُحْرَموا ولا تقربوا - و ان يكون بمعنى النهي * [سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ] سنخادعه عنه و سنجتهد و نحتال حتى ننتزعه من يده [وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ] و انّا لقادرون على ذلك لانتعانى به - او و انّا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرّط فيه و لا نتوانى * لِفِتْيَتِهِ - و قرئ [لِفِتْيَانِهِ] و هما جمع فتىً كاخوة و اخوان في اخ و بِعْلَةٌ لنقلة

سورة يوسف ١٢ الجزء ١٣ ع ١

بِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا اِذَا انْقَلَبُوٓا اِلٰٓى اَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ فَلَمَّا رَجَعُوٓا اِلٰٓى اَبِيهِمْ قَالُوا يٰٓاَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ
فَاَرْسِلْ مَعَنَآ اَخَانَا نَكْتَلْ وَاِنَّا لَهُ لَحٰفِظُونَ ۝ قَالَ هَلْ اٰمَنُكُمْ عَلَيْهِ اِلَّا كَمَآ اَمِنْتُكُمْ عَلٰٓى اَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ط فَاللّٰهُ
خَيْرٌ حٰفِظًا ص وَهُوَ اَرْحَمُ الرّٰحِمِينَ ۝ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ اِلَيْهِمْ ط قَالُوا يٰٓاَبَانَا مَا نَبْغِي ط
هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ اِلَيْنَا ج وَنَمِيرُ اَهْلَنَا وَنَحْفَظُ اَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ط ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ۝ قَالَ لَنْ

و فِعْلان للكثرة اي لغلمانه الكيّالين [لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا] لعلهم يعرفون حق ردها و حق المكرم باعطاء البدلين [اِذَا انْقَلَبُوٓا اِلٰٓى اَهْلِهِمْ] و فرّغوا ظروفهم [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] لعلّ معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا و كانت بضاعتهم النعال والادم - و قيل تخوّف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به - و قيل لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه و اخوته ثمناً - و قيل علم ان ديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة لايستحلون امساكها فيرجعون لاجلها - و قيل معنى لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ لعلهم يردّونها * [مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ] يريدون قول يوسف فَاِنْ لَّمْ تَاْتُونِي بِهٖ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ انهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد مُنع الكيل [نَكْتَلْ] نرفع المانعَ من الكيل و نكتَلْ من الطعام ما نحتاج اليه - و قرىء يَكْتَلْ بمعنى يَكْتَلْ اخونا فينضمّ اكتياله الى اكتيالنا - او يكُنْ مبنياً للاكتيال فان امتناعه بسببه * [هَلْ اٰمَنُكُمْ عَلَيْهِ] يريد انكم قلتم في يوسف وَاِنَّا لَهُ لَحٰفِظُونَ كما تقولونه في اخيه ثم خستم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال [فَاللّٰهُ خَيْرٌ حٰفِظًا] نتوكّل على الله وبه و دفعهُ اليهم - و حٰفِظًا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا - و لله دره فارساً - و يجوز ان يكون حالا - و قرىء حِفْظًا - و قرأ الاعمش فَاللّٰهُ خَيْرٌ حَافِظ - و قرأ ابو هريرة خَيْرُ الْحٰفِظِينَ [وَهُوَ اَرْحَمُ الرّٰحِمِينَ] فَاَرْجو ان يُنْعم عليَّ بحفظه و لا يجمع عليّ مصيبتين * و قرىء رِدَّتْ اِلَيْنَا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نُقلت الى الراء كما قيل قِيل و بِيع - و حكى قُطْرُب ضُرِبَ زيدٌ على نقل كسرة الراء فيمن سَكّنها الى الضاد - [مَا نَبْغِي] للنفي اي ما نبغي في القول و ما نتزيّد في ما وصفنا لك من احسان الملك و اكرامه - و كانوا قالوا له انّا قدمنا على خير رجل انزلنا و اكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامتهُ - او ما نبتغي شيأ وراءَ ما فعلَ بنا من الاحسان - او على الاستفهام بمعنى اىّ شيء نطلب وراءَ هذا - و في قراءة ابن مسعود مَا تَبْغِي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اىّ شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من انشاهد على صدقنا - و قيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى - و قوله [هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ اِلَيْنَا] جملة مستانفة موضحة لقوله مَا نَبْغِي والجُمَل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا رُدّت الينا فسنستظهر بها [وَنَمِيرُ اَهْلَنَا] في رجوعنا الى الملك [وَنَحْفَظُ اَخَانَا] مما يصيبه شيء مما نخافه و نزداد باستصحاب اخينا وَسْق بعير زائدا على اوسق اباعرنا فاىّ شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا و نوسّع ذات ايدينا و انما قالوا [وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ] لمّا ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حِمل بعير للتقسيط - فان قلت هذا اذا فسّرت البغي بالطلب فاما اذا فسّرته بالكذب و التزيّد في القول كانت

أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتّٰى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللّٰهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهٖٓ إِلَّآ أَنْ يُّحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ اٰتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللّٰهُ عَلٰى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝ وَقَالَ يٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَّاحِدٍ وَّادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِي عَنْكُمْ

الجملة الاولى و هي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم و انتفاء التهمة عن قيلهم فما تصنع بالجمل البوقي - قلت اعطفها على قوله مَا نَبْغِيْ على معنى لا نبغي فيما نقول وَنَمِيْر اهلنا و نفعل كيت و كيت - و يجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك و ينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيتُ في حاجة فلان واجتهدتُ في تحصيل غرضه و يجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر - ويجوز ان يراد مَا نَبْغِيْ و ما ننطق الا بالصواب فيما نُشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هٰذِهٖ بِضَاعَتُنَا نستظهر بها وَنَمِيْر أَهْلَنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يدفون في رأيهم و انهم مصيبون فيه و هو وجه حسن واضح [ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيْرٌ] اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون مايكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم - او يكون ذٰلِكَ اشارة الى كَيْلَ بَعِيْر اي ذلك الكيل شيء قليل نُجيبنا اليه الملك و لا يضايقنا فيه - او سهل عليه متيسّر لايتعاظمه - ويجوز ان يكون من كلام يعقوب و ان حمل بعير واحد شيءٌ يسيرٌ لا يخاطَرُ لمثله بالولد كقوله ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ * [أَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ] منافٍ لحالي وقد رأيتُ منكم ما رأيتُ ارسالُه معكم [حَتّٰى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللّٰهِ] حتى تعطوني ما اوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحالف باللّٰه مُوْثِقا منه لان الحالف به مما تُؤكد به العهودُ وتُشَدّ وقد اذنَ الله في ذلك فهو اذنٌ منه [لَتَأْتُنَّنِي بِهٖ] جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لَتَاتُنَّنِي به [إِلَّآ أَنْ يُّحَاطَ بِكُمْ] الا ان تُغلبوا فلم تطيقوا الاتيانَ به - او الا ان تهلكوا - فان قلت اَخْبِرْني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال - قلت أَنْ يُّحَاطَ بِكُمْ مفعول له و الكلام المثبت الذي هو قوله لَتَاْتُنَّنِيْ بِهٖ في تاويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعمّ العامّ في المفعول له والاستثناءُ من اعمّ العامّ لا يكون الا في النفي وحده فلابدّ من تاويله بالنفي و نظيرهُ من الاثبات المتأوّل بمعنى النفي قولهم اقسمتُ باللّٰه لمّا فعلتَ و الّا فعلتَ تريد ما اطلب منك الا الفعلَ [عَلٰى مَا نَقُوْلُ] من طلب المَوْثق و اعطائه [وَكِيْلٌ] رقيب مطّلع * و انما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء و شارة حَسَنة وقد استشهروهم اهلُ مصر بالفرية عند الملك و انكرمة نجابة اللتي لم تكن لغيرهم فكانوا مَظِنّة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع و يقال هٰؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنَهُم من فتيان و ما احقّهم بالاكرام لاسيّما اكرمهم الملك و قرّبهم وفضّلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبةً واحدةً فيُعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم واذنك لم يوصّهم بالتفرّق في الكرّة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس - فان قلت هل للاصابة بالعين وجه تصحّ عليه - قلت يجوز ان يحدث الله عزّ و جلّ عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه

سورة يوسف ١٢ الجزء ١٣ ع ٢

مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّٰهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ
أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ۖ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۖ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا
عَلَّمْنَاهُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ۝

ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحقق من اهل الحشو ويقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا الآية - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة [وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ] يعني ان اراد الله بكم سوء لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرتُ به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة [إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّٰهِ] ثم قال [وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ] اي متفرقين [مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ] رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيأ قط حيث اصابهم ماصابهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصُواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم [إِلَّا حَاجَةً] استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة [فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا] وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به [وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ] يعني قوله وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر ٭ [آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ] ضَمَّ اليه بُنيامين - وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بُنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيًّا لَاَجْلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدًا فَاَجْلَسه معه على مائدته وجعل يُواكله وقال انتم عشرة فاينزل كل اثنين بيتًا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمّه اليه ويشمّ رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتقتُ اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحبّ ان اكون اخاك بدل اخيك اجابك قال من يجد اخًا مثلك ولكن لم يلدك يعقوبُ ولا راحيلُ فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له [إِنِّي أَنَا أَخُوكَ يُوسُفُ فَلَا تَبْتَئِسْ] فلا تحزنْ [بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تُعْلِمْهم بما أَعْلمتُك - وعن ابن عباس تعرّف اليه - وعن وهب انما قال له أَنَا أَخُوكَ بدل اخيك المفقود فَلَا تَبْتَئِسْ بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد انتهى - وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمتَ اغتمام والدي بي فاذا حبستُك ازداد غمّه ولا سبيلَ الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعلْ ما بدا لك قال فاني ادسّ صاعي في رحلك ثم اُنادي عليك بانك قد سرقته ليتهيا لي ردّك بعد تسريحك معهم قال افعلْ ٭ [لِسِقَايَةَ] مشربة يُسقى بها وهي الصُّواع - قيل كان يُسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به - وقيل كانت الدراهي

قَالُوا وَاَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَّاذَا تَفْقِدُوْنَ ۝ قَالُوْا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَآءَ بِهٖ حِمْلُ بَعِيْرٍ وَّاَنَا بِهٖ زَعِيْمٌ ۝ قَالُوْا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْاَرْضِ وَمَا كُنَّا سٰرِقِيْنَ ۝ قَالُوْا فَمَا جَزَآؤُهٗٓ اِنْ كُنْتُمْ كٰذِبِيْنَ ۝ قَالُوْا جَزَآؤُهٗ مَنْ وُّجِدَ فِيْ رَحْلِهٖ فَهُوَ جَزَآؤُهٗ ۭ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظّٰلِمِيْنَ ۝ فَبَدَاَ بِاَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ اَخِيْهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِّعَآءِ اَخِيْهِ ۭ

تسقى بها و يكال بها - و قيل كانت اناء مستطيلا يشبه المَكُّوك - و قيل هي المَكُّوك الفارسيّ الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم - و قيل كانت من فضة مموّهة بالذهب - و قيل كانت من ذهب - و قيل كانت مرصّعة بالجواهر [ثُمَّ اَذَّنَ مُؤَذِّنٌ] ثم نادى منادٍ يقال اذنه اعلمه و آذن اكثر الاعلامَ ومنه المؤذّن لكثرة ذلك منه - روي انهم ارتحلوا و امهلهم يوسفُ حتى انطلقوا ثم امر بهم فأُدركوا و حُبسوا ثم قيل لهم ذلك - و العِيرُ الابل اللتي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب و تجيء - و قيل هي قافلة الحَمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عيرٌ كانها جمع عَيْر و اصلها فَعْل كسَقْف وسُقُف فُعِل به ما فُعِل ببِيض وعِيد، و المراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي - و قرأ ابن مسعود وَجَعَلَ السِّقَايَةَ على حذف جواب لَمَّا كانه قيل فلما جهّزهم بجهازهم و جعل السقاية في رحل اخيه أمْهلهم حتى انطلقوا ثم اذّن مؤذّن - و قرأ ابو عبد الرحمٰن السلمي تُفْقِدُونَ من افقدته اذا وجدته فقيدا - و قرئ صُوَاع و صَاع و صَوْع و صُوْع بفتح الصاد و ضمّها و العين معجمة و غير معجمة [وَّاَنَا بِهٖ زَعِيْمٌ] يقوله المؤذّن يريد و انا بحمل البعير كفيل أؤدّيه الى من جاء به و اراد وسق بعير من طعام جُعلاً لمن حصّله * [تَاللّٰهِ] تسم فيه معنى التعجب مما أُضيف اليهم و انما قالوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم و امانتهم في كرّتَيْ مجيئهم و مداخلتهم للملك و لانهم دخلوا و افواهُ رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق و لانهم ردّوا بضاعتهم اللتي وجدوها في رحالهم [وَمَا كُنَّا سَارِقِيْنَ] و ما كنّا قطّ نُوصَف بالسرقة و هي منافية لحالنا - [فَمَا جَزَآؤُهٗ] الضمير للصُّواع اي فما جزاء سرقته [اِنْ كُنْتُمْ كٰذِبِيْنَ] في جحودكم وادّعائكم البراءة منه [قَالُوْا جَزَآؤُهٗ مَنْ وُّجِدَ فِيْ رَحْلِهٖ] اي جزاء سرقته اخذُ من وُجد في رحله و كان حكم السارق في آل يعقوب ان يُسترقّ سنةً فلذلك استفتوا في جزئه - و قولهم [فَهُوَ جَزَآؤُهٗ] تقرير للحكم اي فَأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حقّ زيد ان يكسى و يطعم وينعم عليه فذلك حقُّه اي فهو حقُّه لتُقرّر ما ذكرته من استحقاقه و تُلزمه - و يجوز ان يكون جَزَآؤُهٗ مبتدأ و الجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مُقام المضمر و الاصل جزاؤه من وُجد في رحله فهو هو فوُضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك مَن اخو زيد فيقول لك اخوه مَن يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى مَنْ والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مُعيدا للمظهر مقام المضمر - و يحتمل ان يكون جَزَآؤُهٗ خبر مبتدأ محذوف اي المسؤل عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم مَنْ وُّجِدَ فِيْ رَحْلِهٖ فَهُوَ جَزَآؤُهٗ كما يقول من يُستفتى في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول وَمَنْ قَتَلَهٗ مِنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ [فَبَدَاَ بِاَوْعِيَتِهِمْ] - قيل قال لهم من وُكّل

سورة يوسف ١٢ كَذٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ط مَا كَانَ لِيَأْخُذَ اَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ اِلَّا اَنْ يَّشَاءَ اللّٰهُ ط نَرْفَعُ دَرَجٰتٍ مَّنْ نَّشَاءُ ط
الجزء ١٣ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝ قَالُوٓا اِنْ يَّسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ اَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ ط فَاَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهٖ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ج قَالَ
ع ٢

بهم لابدّ من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بُنْيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظنّ هذا اخذ شيأ فقالوا و الله لا نتركه حتى ننظر في رحله فانه اطيب لنفسك و انفسنا فاستخرجوه منه - و قرأ الحسن وُعَاءِ اَخِيْهِ بضم الواو و هي لغة - و قرأ سعيد بن جبير اِعَاءِ اَخِيْهِ بقلب الواو همزة - فان قلت لم ذكّر ضمير الصواع مرّات ثم انّثه - قلت قالوا رجع بالتانيث على السقاية - او انّث الصواع لانه يذكّر و يؤنّث - و لعلّ يوسف كان يسمّيه سقاية و عبيدهُ صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقايةً وفيما يتصل بهم منه صواعا [كَذٰلِكَ كِدْنَا] مثل ذلك الكيد العظيم كِدنا [لِيُوسُفَ] يعني علّمناه ايّاه و اوحينا به اليه [مَا كَانَ لِيَأْخُذَ اَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ] تفسير للكيد و بيان له لانه كان في دين ملك مصر و ما كان يحكم به في السارق ان يغرّم مثليْ ما اخذ لا ان يُلزم و يُستعبد [اِلَّا اَنْ يَّشَاءَ اللّٰهُ] اي ما كان يأخذه الّا بمشيّة الله و اذنه فيه [نَرْفَعُ دَرَجٰتٍ مَّنْ نَّشَاءُ] في العلم كما رفعنا درجةَ يوسف فيه - و قرئ يَرْفَعُ بالياء - و دَرَجٰتٍ بالتنوين [وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ] فوقه ارفع درجة منه في علمه - او و فوق العلماء كلهم عليمٌ هم دونه في العلم و هو الله عزّ و علا - فان قلت ما اذنَ الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن ايّ وجه حسُنَ هذا الكيد و ما هو الّا بهتان و تسريق لمن لم يسرق و تكذيب لمن لم يكذب و هو قوله اِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ - فَمَا جَزَاؤُهُ اِنْ كُنْتُمْ كٰذِبِينَ - قلت هو في صورة البهتان و ليس ببهتان في الحقيقة لان قوله اِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف - و قيل كانَ ذلك القول من المؤذّن لا من يوسف و قوله اِنْ كُنْتُمْ كٰذِبِينَ فرض لانتفاء براءتهم و فرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صُرّح لهم بالتكذيب كما صرّح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَاَكَلَهُ الذِّئْبُ هذا - و حكم هذا الكيد حكم الحِيَل الشرعية التي يتوصّل بها الى مصالح و منافع دينية كقوله تعالى لايّوب عليه السلام وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ليتخلص من جلدها و لا يحنث و كقول ابراهيم عليه السلام هِيَ اُخْتِي لتسلم من يد الكافر و ما الشرائع كلّها الّا مصالح و طُرُق الى التخلص من الوقوع في المفاسد و قد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقّنها يوسف مصالحَ عظيمةً فجعلها سُلّما و ذريعة اليها فكانت حسنة جميلة و انزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا [اَخٌ لَّهُ] ارادوا يوسف - روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بُنيامين نكّس اخوته رؤسهم حياء و اقبلوا عليه و قالوا له ما ذا الذي صنعتَ فضحتَنا و سوّدتَ وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذتَ هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضعَ البضاعةَ في رحالكم - و اختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنماً لجدّه ابي امّه فكسره و القاه بين الجِيَف

أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ۝ ع فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا

في الطريق - وقيل دخل كنيسة واخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه. وقيل كانت في المنزل عَناق او دجاجة فاعطاها السائل. وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحٰق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسفَ وهي عمّته بعد وفاة امّه وكانت لا تصبر عنه فلما شبّ اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدتُ منطقة اسحٰق فانظروا مَن اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلمٌ افعلُ به ما شئت فخلّاه يعقوب عندها حتى ماتت [فَأَسَرَّهَا] اضمار على شريطة التفسير تفسيرُه أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وانما انّث لان قوله أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفةَ من الكلام كلمةً كانه قيل فَأَسَرَّ الجملة او الكلمة اللتي هي قوله أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا - والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا بدل من أَسَرَّهَا - وفي قراءة ابن مسعود فَأَسَرَّهُ على التذكير يريد القول او الكلام - ومعنى أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا شرّ منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة ليسرقتكم اخاكم من ابيكم [وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ] يعلم انه لم يصحّ لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون ۞ استعطفوه باذكارهم اياه حقّ ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السنّ او كبير القدر وانّ بنيامين احبُّ اليه منهم وكانوا قد اخبروه بانّ ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلانُ وانه مستانس باخيه [فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ] فخذ بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد [إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] الينا فَأَتْمِمْ احسانك - او من عادتك الاحسانُ فَأَجْرِ على عادتك ولا تُغَيِّرْها - [مَعَاذَ اللَّهِ] هو كلام موجَهُ ظاهره انه وجب على قضية فتواكم أَخْذُ من وُجد المتاع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى اليّ باخذ بنيامين واحتبسه لمصلحة او لمصالح جمّة عَلِمها في ذلك فلو اخذتُ غيرَ من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي - ومعنى مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاُضيف المصدر الى المفعول به وحذف مِن - و [إِذًا] جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمناه [اسْتَيْأَسُوا] يئسوا وزيادةُ السين والتاء في المبالغة نحو ما مرّ في استعصم - والنَّجِيّ على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والنسير بمعنى المُعاشر والمُسامر ومنه قوله تعالى وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا - وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قومٌ نجيٌّ كما قيل وإذْهم نجوىً تنزيلا للمصدر منزلة الوصف - ويجوز ان يقال هم نجيّ كما قيل هم صَديق لانه بزنة المصادر - وجُمع النجيّ وقال ۞ ع ۞ اني اذا ما القوم كانوا النجيّ ۞ ومعنى [خَلَصُوا] اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم [نَجِيًّا] ذوي نجوى - او موجا نجيّا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحّضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجدّ وانتباه

سورة يوسف ١٢ نَجِيًّا ط قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ج فَلَنْ أَبْرَحَ
الجزء ١٣ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِيْ ج وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ ۝ ارْجِعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ
ع ٣ ابْنَكَ سَرَقَ ج وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۝ وَسْـَٔلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ
الَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ط وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ط فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ط عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ
جَمِيعًا ط إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَٰهُ مِنَ الْحُزْنِ

كانهم في انفسهم صورةُ التناجي وحقيقتهُ وكان تُناجيهم في تدبير امرهم على ايّ صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايَوْا بما دَهِمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور [كَبِيرُهُمْ] في السنّ وهو روبيل - وقيل رئيسهم وهو شمعون - وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو يهوذا [مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ] فيه وجوه - ان تكون مَا صلةً اي ومن قبل هذا قصّرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم - وان تكون مصدريةً على ان محل المصدر الرفعُ على الابتداء وخبره الظرف وهو مِنْ قَبْلُ ومعناه ووقع من قبلُ تفريطكم في يوسف - او النصب عطفا على مفعول أَلَمْ تَعْلَمُوْا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اَخْذ ابيكم عليكم مَوثقا وتفريطكم من قبل في يوسف - وان تكون موصولةً بمعنى ومن قبلِ هذا ما فرّطتموه اي قدّمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين [فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ] فلن أُفارق ارض مصر [حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيْ أَبِيْ] في الانصراف اليه [أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِيْ] بالخروج منها - او بالانتصاف ممن اخذ اخي - او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب [وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ] لانه لا يحكم ابدًا الّا بالعدل والحقّ - وقرئ سُرِقَ اي نُسب الى السرقة * [وَمَا شَهِدْنَا] عليه بالسرقة [إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا] من سرقته وتيقّنّاه لان الصواع استُخرج من وعائه ولا شيء ابينُ من هذا [وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ] وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك المَوثق - او ما علمنا انك تُصاب به كما اصُبت بيوسف - ومن قرأ سُرِقَ فمعناه وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بقدر ما علمنا من التسريق وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ للامر الخفيّ حَٰفِظِينَ أَسَرَقَ بالصحة ام دُسّ الصاع في رحله ولم يَشْعر * [الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا] هي مصر اي أَرْسِلْ الى اهلها فسَلْهم عن كنه القصة [وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا] واصحابَ العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب - وقيل من اهل صنعاء - معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فـ[قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا] اردتموه والّا فما ادرى ذلك الرجلَ ان السارق يُؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم - [بِهِمْ جَمِيعًا] بيوسف واخيه وروبيل اوغيره [إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ] بحالي في الحزن والاسف [الْحَكِيمُ] الذي لم يبتلني بذلك الّا لحكمة ومصلحة [وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ] واعرض عنهم كراهة لما جاؤا به * [يَٰأَسَفَىٰ] اضاف الاسف وهو اشدّ الحزن والحسرة الى نفسه والالفُ بدل من ياء الاضافة والتجانسُ بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعًا غير متعمّل فيملح ويبدع ونحوه إِنَّا قَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ رَضِيتُمْ - وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ - يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ - مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ - وعن النبي صلّى الله

فَهُوَ كَظِيمٌ ◎ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ◎ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي سورة يوسف ١٢

الجزء ١٣

ع ٣

عليه وآله وسلم لم تعط امة من الامم إنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا أسفى - فان قلت كيف تأسف على يوسف دون اخيه و دون الثالث و الرزء الاحدث اشد على النفس و اظهر اثرا - قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف و انه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا * ع * ولم تنسني اولى المصيبات بعده * وان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في راده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به [وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ] اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين و قلبته الى بياض كدر - قيل قد عمي بصره - و قيل كان يدرك ادراكا ضعيفا * قرىء مِنَ الْحُزْنِ - و مِنَ الْحَزَنِ - الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن - قيل ماجفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب - و عن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم انه سأل جبرئيل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد و ما ساء ظنه بالله ساعة قط - فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ - قلت الانسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن و لذلك حمد صبره و أن يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لايحسن - و لقد بكى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم على ولده ابراهيم و قال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب و انا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح و النياحة ولطم الصدور و الوجوه وتمزيق الثياب - و عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه بكى على ولد بعض بناته و هو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي و قد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء و انما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح و صوت عند الترح - و عن الحسن انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب [فَهُوَ كَظِيمٌ] فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وَهُوَ مَكْظُومٌ من كظم السقاء اذا شده على ملئه و الكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ بكظامه [تَفْتَؤُا] اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام و النون ونحوه * ع * فقلت يمين الله ابرح قاعدا * و معنى لَا تَفْتَؤُا لا تزال - و عن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء و الفتور اخوين يقال ما فتي يفعل قال ارس * شعر * فما فتئت خيل تثوب وتدعي * ويلحق منها لاحق وتقطع * [حَرَضًا] مشفيا على الهلاك مرضا و احرضه المرض و يستوي فيه الواحد و الجمع و المذكر و المونث لانه مصدر و الصفة حَرِض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف و جاءت القراءة بهما جميعا - و قرأ الحسن حُرُضًا بضمتين ونحوه في الصفات

سورة يوسف ١٢ الجزء ١٣ ع ٣

وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟
مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا
ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ۝ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم

رجل جُنُب و غُرُب - البَثُّ اصعب الهمّ الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثّه الى الناس اي ينشره و منه بثّه امرهُ و ابثّه اياه - و معنى [إِنَّمَا أَشْكُوا] انّي لا اشكو الى احد منكم و من غيركم انما اشكو الى ربّي داعيًا له و ملتجيًا اليه فخلّوني و شكايتي و هذا معنى تولّيه عنهم اي فتولّى عنهم الى الله و الشكاية اليه - و قيل دخل على يعقوب جارٌ له فقال يا يعقوب قد تهشّمتَ و فنيتَ و ما بلغتَ من السنّ ما بلغ ابوك فقال همّي و احزاني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا ربّ خطيئة اخطأتها فاغفرلي فغفرله فكان بعد ذلك اذا سُئل قال إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ - و روي انه اوحي الى يعقوب انما وجدتُ عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تُطعموه و ان احبّ خلقي اليّ الانبياءُ ثم المساكين فاصنَعْ طعاما و ادعُ عليه المساكين - و قيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكتْ حتى عميتْ [وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] اي اعلمُ من صنعه و رحمته و حسن ظنّي به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسبُ - و روي انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضتَ روح يوسف فقال لا و الله هو حيّ فاطلبهُ - و قرأ الحسن و حَزَنِيْ بفتحتين - وَحُزْنِيْ بضمتين قتادة - [فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ] تتعرّفوا منهما و تطلّبوا خبرهما - و قرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات و هما تفعّل من الاحساس و هو المعرفة فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ - و من الجسّ و هو الطلب - و منه قالوا لمشاعر الانسان الحواسّ و الجواسّ [مِن رَّوْحِ اللَّهِ] من فرجه و تنفيسه - و قرأ الحسن و قتادة مِنْ رُوحِ اللهِ بالضم اي من رحمته التي يحيى بها العباد • [الضُّرّ] الهزال من الشدة و الجوع [مُزْجَاةٍ] مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبةً عنها و احتقارا لها من ازجيتُهُ اذا دفعتُهُ و طردته - و الريح تزجي السحاب - قيل كانت من متاع الاعراب صوفا و سمنًا - و قيل الصَّنَوْبَر و حبّة الخضراء - و قيل سويق المُقل و الاقِط - و قيل دراهمُ زيوفا لا تؤخذ الّا بوضيعة [فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ] الذي هو حقّنا [وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا] و تفضّل علينا بالمسامحة و الاغماض عن رداءة البضاعة - او زِدنا على حقّنا فسمّوا ما هو فضل و زيادة لا تلزمه صدقةً لان الصدقات محظورة على الانبياء - و قيل كانت تحلّ لغير نبيّنا - و سُئل ابن عُيَيْنة عن ذلك فقال الم تسمع وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا اراد انها كانت حلالًا لهم و الظاهرُ انهم تمسكنوا له و طلبوا اليه ان يتصدّق عليهم و من ثمه رقّ لهم و ملكتهُ الرحمة عليهم فلم يتمالكْ ان عرّفهم نفسه و قوله [إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ] شاهدٌ لذلك لذكر الله و جزائه - و الصدقةُ العطيّة التي تُبتغى بها المثوبة من الله - و منه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدّق عليّ ان الله تعالى لا يتصدّق انما يتصدّق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضّل علي او ارحمني • [قَالَ هَلْ

مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ اَخِيْهِ اِذْ اَنْتُمْ جَاهِلُوْنَ ۝ قَالُوْٓا ءَاِنَّكَ لَاَنْتَ يُوْسُفُ ؕ قَالَ اَنَا يُوْسُفُ وَ هٰذَآ اَخِيْ ز

سورة يوسف ١٢

الجزء ١٣

ع ٣

عَلِمْتُمْ] انهم من جهة الدين وكان حليماً موقّفاً فكلّمهم مستفهماً عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه المذنب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم [بِيُوْسُفَ وَ اَخِيْهِ اِذْ اَنْتُمْ جَاهِلُوْنَ] لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتُبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح و الاستقباح يجرّ الى التوبة فكان كلامه شفقةً عليهم و تنصّحاً لهم في الدين لا معاتبةً و تثريبا ايثاراً لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفّس فيه المكروب و ينفث المصدور و يتشفّى المغيظ المحنق و يدرك الموتور منه اخلاق الانبياء ما اوطأها و اسجحها و لله حصى عقولهم ما ارزنها و ارجحها - و قيل لم يُرد نفيَ العلم عنهم انهم كانوا علماء و لكنهم لمّا لم يفعلوا ما يقتضيه العلم و لا يُقدم عليه الا جاهل سمّاهم جاهلين - و قيل معناه انْ انتم صبيان في حدّ السفه و الطيش قبل ان تبلغوا اوان الحُلم و الرزانة - روي انهم لما قالوا مَسَّنَا وَ اَهْلَنَا الضُّرُّ و تصرّعوا اليه ارفضّت عيناه ثم قال هذا القول - و قيل اَدّوا اليه كتاب يعقوب - من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحٰق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اَمّا بعدُ فانا اهل بيت موكّل بنا البلاء اما جدّي فشُدّت يداه و رجلاه و رُمي به في النار ليحرق فنجاه الله و جعلت النار عليه برداً و سلاماً و امّا ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله و امّا انا فكان لي ابن و كان احبّ اولادي اليّ فذهب به اخوته الى البرية ثم اتَوني بقميصه ملطّخاً بالدم و قالوا قد اكله الذئب فذهبتْ عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن و كان اخاه من امّه و كنتُ اتسلّى به فذهبوا به ثم رجعوا و قالوا انه سَرق و انك حبستَهُ لذلك و انا اهل بيت لا نسرق و لا نلد سارقاً فان رددته عليّ و الّا دعوتُ عليك دعوة تدرك السابع من ولدك و السلامُ - فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك و عِيلَ صبره فقال لهم ذلك - و روي انه لما قرأ الكتاب بكى و كتب الجواب اصبِرْ كما صبروا تظفَرْ كما ظفروا - فان قلت ما فعلهم باخيه - قلت تعريضهم اياه للغمّ و الثكل بافراده عن اخيه لابيه و امّه و جفاؤهم به حتى كان لايستطيع ان يكلّم احداً منهم الّا كلامَ الذليل للعزيز و ايذاؤهم له بانواع الاذى - قرئ [اَ اِنَّكَ] على الاستفهام - و اِنَّكَ على الايجاب - و في قراءة ابيّ اَئِنَّكَ اَرَ اَنْتَ يُوْسُفُ على معنى اَئِنّك يوسف اَرَ انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه و هذا كلامُ متعجّب مستغرب لما يسمع فهو يكرّر الاستثبات - فان قلت كيف عرفوه - قلت رأوا في رُوائه و شمائله حين كلّمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بانّ ما خاطبهم به لا يصدر مثله الّا عن حنيف مسلم من سِنخ ابراهيم لا عن بعض اعزّاء مصر - و قيل تبسّم عند ذلك فعرفوه بثناياه و كانت كاللؤلؤ المنظوم - و قيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوبَ و سارةَ مثلها تُشبه الشامةَ البيضاءَ - فان قلت قد سألوه عن نفسه فلم اجابهم عنها و عن اخيه على ان اخاه كان معلوما لهم - قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سألوه عنه - [مَنْ يَّتَّقِ] من يخف الله و عذابَه

سورة يوسف ١٢ الجزء ١٣ ع ٤

قَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنَا ؕ اِنَّهٗ مَنْ يَّتَّقِ وَيَصْبِرْ ۙ فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيْعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ ۝ قَالُوْا تَاللّٰهِ لَقَدْ
اٰثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَاِنْ كُنَّا لَخٰطِـِٕيْنَ ۝ قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ؕ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ ۫ وَهُوَ اَرْحَمُ الرّٰحِمِيْنَ ۝
اِذْهَبُوْا بِقَمِيْصِيْ هٰذَا فَاَلْقُوْهُ عَلٰى وَجْهِ اَبِيْ يَاْتِ بَصِيْرًا ۚ وَاْتُوْنِيْ بِاَهْلِكُمْ اَجْمَعِيْنَ ۝ ع وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيْرُ

[وَيَصْبِرْ] على المعاصي وعلى الطاعات [فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيْعُ] اجرهم فوضع المُحْسِنِيْنَ موضع الضمير لاشتماله على المتقين و الصابرين • [لَقَدْ اٰثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا] اي فضّلك علينا بالتقوى و الصبر و سيرة المحسنين و ان شاننا و حالنا انّا كنّا خاطئين متعمّدين للاثم لم نتّق و لم نصبر لا جرم ان الله اعزّك بالملك و اذلّنا بالتمسكن بين يديك [لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ] لا تاديب عليكم و لا عتب و اصلُ التثريب من الثرب و هو الشحم الذي هو ناشية الكرش و معناه ازالة الثرب كما ان التجليد و التقريع ازالة الجلد و القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال و العجف الذي ليس بعده فضرب مثلاً للتقريع الذي يمزق الاعراض و يذهب بماء الوجوه - فان قلت بمَ تعلق اَلْيَوْمَ - قلت بالتثريب - او بالمقدر في عَلَيْكُمُ من معنى الاستقرار - اوبيَغْفِرُ و المعنى لا اُثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنّة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال [يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ] فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك و يغفر الله لك على لفظ الماضي و المضارع جميعا - و منه قول المشمّت يَهْدِيكم اللّٰه و يُصْلِح بالَكُمْ - او اَلْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ بشارةٌ بعاجل غفران الله لما تجدّد يومئذٍ من توبتهم و ندمهم على خطيئتهم - و روي ان رسول الله صلّى الله عليه و اله وسلّم اخذ بعضادتَيْ باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلاً بكم قالوا نظنّ خيرا اخٌ كريم و ابنُ اخٍ كريم و قد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ اَلْيَوْمَ - و روي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيتَ الرسولَ فاتلُ عليه قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ ففعل فقال رسول الله صلّى الله عليه و اله وسلّم غفر الله لك ولمن عَلّمك - و يروى ان اخوته لمّا عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرةً و عشيةً و نحن نستحيي منك لما فرط منّا فيك فقال يوسف ان اهل مصر و انْ ملكتُ فيهم فانهم ينظرون اليّ بالعين الاُولى و يقولون سبحان من بلّغ عبدا يبيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفتُ الآن بكم وعظمتُ في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي و اني من حفدة ابراهيم [اِذْهَبُوْا بِقَمِيْصِيْ] قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنّة امّره جبرئيل عليه السلام ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلىً ولا سقيم الّا عُوفي [يَاْتِ بَصِيْرًا] يصرْ بصيراً كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار و يشهد له فَارْتَدَّ بَصِيْرًا - او يَاْتِ اليّ وهو بصير و ناصره قوله [وَاْتُوْنِيْ بِاَهْلِكُمْ] اي يأتني ابي و يأتني اله جميعا - و قيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فأفرحه كما احزنته - و قيل حمله وهو حافٍ حاسرٌ من مصر الى كنعانَ و بينهما مسيرة ثمانين فرسخا • [فَصَلَتِ الْعِيْرُ] خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد

قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ۝ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ۝ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ
الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قَالُوا يَا أَبَانَا
اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۝ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ

مصولا اذا انفصل منه و جاز حيطانه - و قرأ ابن عباس فَلَمَّا انْفَصَلَ الْعِيرُ [قَالَ] لولد ولده ومن حواه من قومه [إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ] أوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان [و التفنيد] النسبة الى الفند و هو الخرف و انكار العقل من هرم يقال شيخ مفنّد و لا يقال عجوز مفنّدة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتُفنّد في كبرها و المعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني - [لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ] لفي ذهابك عن الصواب قديماً في افراط محبتك ليوسف و لَهَجك بذكره و رجائك للقائه و كان عندهم انه قد مات * [أَلْقَاهُ] طرح البشيرُ القميصَ على وجه يعقوب - او القاه يعقوب [فَارْتَدَّ بَصِيرًا] فرجع بصيرا يقال ردّه فارتدّ و ارتدّه اذا ارتجعه [أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ] يعني قوله إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ او قوله وَلَا تَايْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ - وقوله [إِنِّي أَعْلَمُ] كلام مبتدأ لم يقع عليه القول و لك ان تُوقعه عليه و تريد قوله إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ - وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ - و روي انه سأل البشيرَ كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنعُ بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة [سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ] - قيل آخر الاستغفار الى وقت السحر - و قيل الى ليلة الجمعة ليتعمّد به وقت الاجابة - وقيل ليتعرّف حالهم في صدق التوبة و اخلاصها - وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف و عشرين سنة - وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللّٰهم اغفرلي جزعي على يوسف و قلّة صبري عنه و اغفر لولدي ما أتوا الى اخيهم فاوحي اليه ان الله قد غفرلك ولهم اجمعين - و روي انهم قالوا له و قد علّمهم الكآبة مايغني عنّا عفوكما ان لم يعفُ عنّا ربّنا فان لم يوحَ اليك بالعفو فلا قرّت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو و قام يوسف خلفه يؤمّن و قاموا خلفهما ادنةً خاشعين عشرينَ سنةً حتى بلغ جُهْدهم و ظنّوا انها الهلكة نزل جبرئيل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة - وقد اختلف في استنبائهم * [فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ] قيل وَجّه يوسف الى ابيه جهازا و مائتَي راحلة ليتحمّل اليه بمن معه و خرج يوسف و الملك في اربعة آلاف من الجند و العظماء و اهلُ مصر باجمعهم فتلقّوا يعقوبَ و هو يمشي يتوكّأ على يهوذا فنظر الى الخيل و الناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما التقيا قال يعقوب عليه السلام السلامُ عليك يا مُذهبَ الاحزان - و قيل ان يوسف قال له اما استحييت مني حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيتُ ان تُسلب دينك فيحال بيني وبينك - وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان و سبعون ما بين رجل و امرأة و خرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة

سورة يوسف ١٢ الجزء ١٣ ع ٤

يُوسُفَ اٰوٰٓى اِلَيْهِ اَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوْا مِصْرَ اِنْ شَآءَ اللّٰهُ اٰمِنِيْنَ ۝ وَرَفَعَ اَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوْا لَهٗ
سُجَّدًا ۚ وَقَالَ يٰٓاَبَتِ هٰذَا تَاْوِيْلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ ۖ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّيْ حَقًّا ۭ وَقَدْ اَحْسَنَ بِيْٓ اِذْ اَخْرَجَنِيْ
مِنَ السِّجْنِ وَجَآءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ مِنْۢ بَعْدِ اَنْ نَّزَغَ الشَّيْطٰنُ بَيْنِيْ وَبَيْنَ اِخْوَتِيْ ۭ اِنَّ رَبِّيْ لَطِيْفٌ لِّمَا

الف وخمس مائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف [اٰوٰى اِلَيْهِ اَبَوَيْهِ] ضمهما اليه واعتنقهما - قال ابن ابي اسحٰق كانت امه تحيى - وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اُمًّا لقيامها مقام الامّ - اولان الخالة امّ كما ان العمّ اب ومنه قوله وَاِلٰهَ اٰبَآئِكَ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ - فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر - قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثمه فدخلوا عليه وضمّ اليه ابويه ثم [قَالَ لَهُمُ ادْخُلُوْا مِصْرَ اِنْ شَآءَ اللّٰهُ اٰمِنِيْنَ] ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير [وَخَرُّوْا لَهٗ] يعنى الاخوة الاحد عشر والابوين [سُجَّدًا] - ويجوز ان يكون قد خرج في قُبّة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامرهما ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبّة فاراهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك اُدْخُلُوْا مِصْرَ - فان قلت بمَ تعلقت المشيّة - قلت بالدخول مقيّدا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم فكانه قيل لهم اِسلموا وأْمنوا في دخولكم ان شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجعْ سالما غانما ان شاء الله فلا تُعلّق المشيّة بالرجوع مطلقا ولكن مقيّدا بالسلامة والغنيمة مقيّدا بهما والتقديرُ اُدْخلوا مصر اٰمنين ان شاء الله دخلتم اٰمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذى الحال - ومن بدع التفاسير ان قوله اِنْ شَآءَ اللّٰهُ من باب التقديم والتاخير وان موضعها ما بعد قوله سَوْفَ اَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيْ في كلام يعقوب وما ادري ما اقول فيه وفي نظائره - فان قلت كيف جازلهم ان يسجدوا لغير الله - قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحيّة والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال شُهرت في التعظيم والتوقير - وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سُجّدًا بآباه - وقيل معناه وخرّوا لاجل يوسف سُجّدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نَبْوة يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه قال * ع * اَسِيْئِيْ بِنَا او اَحْسِنِيْ لا ملومة * [مِّنَ الْبَدْوِ] من البادية لانهم كانوا اهلَ عَمَد واصحابَ مواشٍ ينتقلون في المياه والمناجع [نَّزَغَ] افسد بيننا واغرى واصله من نَخْس الرائض الدابّةَ وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه [لَطِيْفٌ لِّمَا يَشَآءُ] لطيفُ التدبير لاجله رفيقٌ حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب - وروي ان يوسف اخذ بيعقوب فطاف به في خزائنه فاوّلها خزائنَ الورق والذهب وخزائنَ الحُلي وخزائنَ الثياب وخزائنَ السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بُنيّ ما اعقّك عندك هذه القراطيسُ وما كتبتَ اليّ على ثمان مراحل قال امرني جبرئيل قال افما تسأله قال انت ابسطُ اليه مني فسَلْه قال جبرئيل

يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ۝ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ

عليه السلام اللّٰهُ تعالى امرني بذلك لقولك وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ قال فهلّا خفتني - و روي ان يعقوب اقام معه اربعا و عشرين سنة ثم مات و اوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحٰق فمضى بنفسه ودفنه ثمه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثًا وعشرين سنة فلما تمّ امره وعلم انه لا يدوم له طابت نفسُه الملكَ الدائمَ الخالد فتاقتْ نفسه اليه فتمنّى الموتَ - و قيل ما تمنّاه نبيٌّ قبله ولا بعده فتوفّاه الله طيّبًا طاهرا فتخاصمَ اهلُ مصر و تشاحّوا في دفنه كل يُحبّ ان يدفن في محلّتهم حتى همّوا بالقتال فرأوا من الرأي ان عملوا له صندوقا من مرمر و جعلوه فيه و دفنوه في النيل بمكان يمرّ عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلّهم فيه شَرْعًا واحدًا و وُلد له افرائيم و ميشا و وُلد لافرائيم نونٌ ولنونَ يوشع فتى موسى و لقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصرَ و لم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف و أبائه الى ان بعث الله مُحَمّدا صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم [مِنْ] في مِنَ الْمُلْكِ - و مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ للتبعيض لانه لم يعطَ الّا بعضَ ملك الدنيا او بعضَ ملك مصر و بعضَ التاويل [أَنْتَ وَلِيِّي] انت الذي تتولّاني بالنعمة في الدارين و بوصل الملك الفاني بالملك الباقي [تَوَفَّنِي مُسْلِمًا] طلبٌ للوفاة على حال الاسلام ولان يختمَ له بالخير و الحسنى كما قال يعقوب لولده وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ - و يجوز ان يكون تمنّيًا للموت على ما قيل [وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ] من أبائي - او على العموم - و عن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مَهران بات عنده فرأه كثيرَ البكاء و المسئلة للموت فقال له صَنَعَ الله على يديك خيرا كثيرا احييتَ سُنّنا و امتّ بدعًا و في حيوتك خير و راحة للمسلمين فقال انا اكون كالعبد الصالح لمّا اقرّ الله عينَهُ و جمع له امره قال تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ - فان قلت علامَ انتصب فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ - قلت على انه وصف لقوله رَبِّ كقولك احا زيد حسنَ الوجه - او على النداء ، [ذٰلِكَ] اشارة الى ما سبق من نبإ يوسف و الخطابُ لرسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم ومحله الابتداء و قوله [مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ] خبران - و يجوز ان يكون اسمًا موصولا بمعنى الذي وَمِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ صلته و نُوحِيهِ الخبر و المعنى ان هذا النبإ غيب لم يحصل لك الّا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اَجْمعوا امرهم و هو القاؤهم اخاهم في البئر كقوله وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ و هذا تهكّم بقريش و بمن كذّبه لانه لم يخفَ على احد من المكذّبين انه لم يكن من حَمَلة هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا و لا سمع منه و لم يكن من علم قومه فاذا اخبرهم و قصّ هذا القصص العجيب الذي اعجز حملَةَ رُواتِه لم تبق شبهة في انه ليس منه و انه من جهة الوحي فاذا انكروه تُهكّم بهم و قيل

سورة يوسف ١٢ الجزء ١٣ ع ٥

حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ۝ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ
غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَى
بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي
إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ
خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ

لهم قد علمتم يا مكابرة انه لم يكن منه هذا لمن مضى من القرون الخالية و نحوه وما كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ
إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ [وَهُمْ يَمْكُرُونَ] بيوسف و يدفون اله الغوائل • [وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ] يريد العموم كقوله
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ - وعن ابن عباس اراد اهل مكة اي وما هم بِمُؤْمِنِينَ [وَلَوْ حَرَصْتَ] وتهالكت
على ايمانهم لتصميمهم على الكفر و عنادهم وما تسألهم على ما تُحدثهم به وتُذكرهم ان يُنيلوك منفعة
وجدوى كما يعطى حَمَلَة الاحاديث و الاخبار • [إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ] عظة من الله [لِلْعَالَمِينَ] عامة وحث على طلب
النجاة على لسان رسول من رُسُله • [مِنْ آيَةٍ] من علامة ودلالة على الخالق و على صفاته و توحيده [يَمُرُّونَ عَلَيْهَا]
ويشاهدونها وهم مُعْرِضون عنها لا يعتبرون بها - وقرئ وَالْأَرْضُ بالرفع على الابتداء و يَمُرُّونَ عَلَيْهَا خبره - وقرأ السدي
وَالْأَرْضَ بالنصب على و يطئون الارض يمرّون عليها - وفي مصحف عبد الله وَالْأَرْضُ يَمْشُونَ عَلَيْهَا برفع الارض -
والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العِبَر • [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ] في اقراره بالله وبانه خَلَقَه
و خَلَقَ السموات و الارض الا وهو مشرك بعبادته الوثن - وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك و ايمان -
وعن ابن عباس هم الذين يشبّهون الله بخلقه • [غَاشِيَةٌ] نقمة تَغْشاهم - وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم -
وقيل الصواعق • [هَٰذِهِ سَبِيلِي] هذه السبيلُ التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سَبِيلِي والسبيل و الطريق
يذكّران و يؤنّثان ثم فسّر سبيله بقوله [أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ] اي ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير
عمياء وَأَنَا تاكيد للمستتر في أَدْعُو [وَمَنِ اتَّبَعَنِي] عطف عليه يريد أَدْعو اليها انا و يدعو اليها من اتبعني -
و يجوز ان يكون أَنَا مبتدأ و عَلَىٰ بَصِيرَةٍ خبرًا مقدمًا وَمَنِ اتَّبَعَنِي عطفا على أَنَا اخبارا مبتدأ بانه و من
اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى - ويجوز ان يكون عَلَىٰ بَصِيرَةٍ حالا من أَدْعُو عاملة الرفع في أَنَا وَمَنِ
اتَّبَعَنِي [وَسُبْحَانَ اللَّهِ] و انزهه من الشركاء • [إِلَّا رِجَالًا] لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
- وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امرأة - وقيل في سجاح المتنبئة • ع • ولم تزل انبياء الله ذُكرانًا • وقرئ
[نُوحِي إِلَيْهِمْ] بالنون [مِنْ أَهْلِ الْقُرَى] لانهم اعلم و احلم و اهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة
[وَلَدَارُ الْآخِرَةِ] و لدار الساعة - او الحال الاخرة [خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا] للذين خافوا الله فلم يشركوا به
ولم يعصوه - وقرئ [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] بالتاء والياء • [حَتَّىٰ] متعلقة بمحذوف دلّ عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا

مَنْ نَّشَآءُ ط وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِيْنَ ۝ لَقَدْ كَانَ فِيْ قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ط مَا كَانَ حَدِيْثًا سورة يوسف ١٢
يُّفْتَرٰى وَلٰكِنْ تَصْدِيْقَ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَّهُدًى وَّرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ ۝ ع الجزء ١٣
ع ٥

من قبلك الا رجالاً فنراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر و ظنّوا انهم قد كُذِبُوا اي كَذَبتهم انفسهم حين حدّثتهم بانهم يُنْصرون - او رجاؤهم لقولهم رجاءٌ صادقٌ و رجاءٌ كاذبٌ - و المعنى ان مدة التكذيب و العداوة من الكفّار و انتظار النصر من الله و تاميله قد تطاولت عليهم و تمادت حتى استشعروا القنوطَ و توهّموا ان لا نصر لهم فى الدنيا [فَجَاءَهُمْ نَصْرُنَا] فُجَاءةً من غير احتساب - وعن ابن عباس و ظنّوا حين ضَعفوا و غُلبوا انهم قد أُخْلفوا ما وعدهم الله من النصر و قال كانوا بَشرًا و تلا قوله وَزُلْزِلُوْا حَتّٰى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهٗ مَتٰى نَصْرُ اللّٰهِ فان صحّ هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظنّ ما يخطر بالبال و يعجس فى القلب من شبه الوسوسة و حديث النفس ملى ما عليه البشرية و اما الظنّ الذي هو ترجُّح احد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بالُ رُسُل الله الذين هم اعرف الناس بربّهم و انه متعالٍ عن خُلْف الميعاد منزّهٌ عن كل قبيح - و قيل و ظنّ المرسَل اليهم ان الرُّسُل قد كُذبوا اي أُخْلفوا - او و ظنّ المرسل اليهم انهم كُذبوا من جهة الرُّسُل اي كَذَبتهم الرُّسل في انهم يُنْصرون عليهم و لم يَصْدقوهم فيه - و قرئ كُذِّبُوْا بالتشديد على و ظنّ الرسل انهم قد كَذّبتهم قومهم فيما وعدهم من العذاب و النصرة عليهم - و قرأ مجاهد كَذَبُوْا بالتخفيف على البناء للفاعل على و ظنّ الرسُل انهم قد كَذبوا فيما حدّثوا به قومهم من النصرة امّا على تاويل ابن عباس و امّا على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرًا قالوا لهم انكم قد كَذَبْتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم - او و ظنّ المرسَل اليهم ان الرسل قد كَذَبوا و لو قرئ هذا مشدّدا لكان معناه و ظنّ الرسل ان قومهم كَذّبوهم في موعدهم - قرئ فَنُنْجِيْ بالتخفيف و التشديد من انجاه و نجّاه - و [فَنُجِّيَ] على لفظ الماضي المبنيّ للمفعول - و قرأ ابن مُحيصن فَنَجّا و المراد بِـ[مَنْ نَّشَآءُ] المؤمنون لانهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم و قد بيّن ذلك بقوله [وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِيْنَ] • الضمير في [قَصَصِهِمْ] للرُّسل و ينصره قراءة من قرأ في قِصَصِهِمْ بكسر القاف - و قيل هو راجع الى يوسف و اخوته - فان قلت فلمَ يرجع الضمير في [مَا كَانَ حَدِيْثًا يُّفْتَرٰى] فيمن قرأ بالكسر - قلت الى القرآن اي ما كان القرآن حديثاً يفترى [وَلٰكِنْ] كان [تَصْدِيْقَ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ] اي قبله من الكتب السماوية [وَتَفْصِيْلَ كُلِّ شَيْءٍ] يُحْتاج اليه فى الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنّةُ و الاجماعُ و القياسُ بعد ادلّة العقل - و انتصاب ما نصب بعد لٰكِنْ للعطف على خبر كان - و قرئ ذلك بالرفع على وَلٰكِنْ هو تصديق الذي بين يديه - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عَلّموا أرِقّاءكم سورةَ يوسف و ايّما مسلم تلاها و عَلّمها اهله و ما ملكت يمينُه هوّنَ الله عليه سكراتِ الموت و اعطاه القوّة ان لا يحسد مسلماً •

سورة الرعد ١٣ كلماتها ٨٦٣ سورة الرعد مكية وهي ثلث و اربعون اية وستة ركوعا حروفها ٣٦١٤

الجزء ١٣

ع ٦

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۝

الٓمٓرٰ ۚ تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ ۗ وَالَّذِيْٓ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۝ اَللّٰهُ
الَّذِيْ رَفَعَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَّجْرِيْ لِاَجَلٍ
مُّسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ يُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوْقِنُوْنَ ۝ وَهُوَ الَّذِيْ مَدَّ الْاَرْضَ وَجَعَلَ فِيْهَا رَوَاسِيَ
وَاَنْهٰرًا ۗ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ جَعَلَ فِيْهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ ۗ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَّتَفَكَّرُوْنَ ۝ وَفِي الْاَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجٰوِرٰتٌ وَّجَنّٰتٌ مِّنْ اَعْنَابٍ وَّزَرْعٌ وَّنَخِيْلٌ صِنْوَانٌ وَّغَيْرُ صِنْوَانٍ يُّسْقٰى

سورة الرعد

[تِلْكَ] اشارة الى أيات السورة و المراد بالكتاب السورة اي تلك الايات أيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال [وَالَّذِيْٓ اُنْزِلَ اِلَيْكَ] من القرآن كله هو[الْحَقُّ] الذي لا مرية عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول النمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفها تريد الكلمة * [اَللّٰهُ] مبتدأ و [الَّذِيْ] خبره بدليل قوله وَهُوَ الَّذِيْ مَدَّ الْاَرْضَ - ويجوز ان يكون صفة وقوله يُدَبِّرُ الْاَمْرَ - يُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ خبر بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الايات [رَفَعَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا] كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لها كذلك - و قيل هي صفة لعمد و يعضده قراءة ابيّ تَرَوْنَهٗ - وقرئ عُمُدٍ بضمتين [يُدَبِّرُ الْاَمْرَ] يدبر امر ملكوته و ربوبيته[يُفَصِّلُ]اياته في كتبه المنزلة[لَعَلَّكُمْ- تُوْقِنُوْنَ]بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لابد لكم من الرجوع اليه - وقرأ الحسن نُدَبِّرُ بالنون*[جَعَلَ فِيْهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ] خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك و تنوعت - وقيل اراد بالزوجين الاسود و الابيض و الحلو و الحامض و الصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة [يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ] يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا - وقرئ يُغَشِّيْ بالتشديد [قِطَعٌ مُّتَجٰوِرٰتٌ] بقاعٌ مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبةٌ الى سبخة وكريمةٌ الى زهيدة وصُلبة الى رِخْوة وصالحةٌ للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية و ذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه و كذلك الزروع والكروم و النخيل النابتة فى هذه القطع مختلفة الاجناس و الانواع و هي تُسْقٰى بِمَاءٍ وَّاحِدٍ و تراها متفاوتة التمر فى الاشكال و الالوان و الطعوم و الروائح متفاضلة فيها - وفي بعض المصاحف قِطَعاً مُتَجٰوِرٰتٍ على وجعل - و قرئ وَجَنّٰتٍ بالنصب العطف على زَوْجَيْنِ - او بالجر على كُلِّ الثَّمَرٰتِ - وقرئ وَزَرْعٍ و نَخِيْلٍ بالجر عطفا على اَعْنَابٍ اوجَنّٰتٍ - و الصِّنْوَانُ جمع صِنْوٍ وهي النخلة لها رأسان و اصلهما واحد - و قرئ بالضم وبالكسر لغة اهل الحجاز و الضم لغة بني

سورة الرعد ١٣ الجزء ١٣ ع ٧

بِمَآءٍ وَّاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلٰى بَعْضٍ فِي الْاُكُلِ ؕ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ ۝ وَاِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ
قَوْلُهُمْ ءَاِذَا كُنَّا تُرٰبًا ءَاِنَّا لَفِيْ خَلْقٍ جَدِيْدٍ ؕ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ ۚ وَاُولٰٓئِكَ الْاَغْلٰلُ فِيْٓ اَعْنَاقِهِمْ ۚ
وَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ۝ وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ
الْمَثُلٰتُ ؕ وَاِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلٰى ظُلْمِهِمْ ۚ وَاِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيْدُ الْعِقَابِ ۝ وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا
لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِّنْ رَّبِّهٖ ؕ اِنَّمَآ اَنْتَ مُنْذِرٌ وَّلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝ اَللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ اُنْثٰى وَمَا تَغِيْضُ

تميم وقيس ر تُسْقٰى]بالتاء و الياء [وَنُفَضِّلُ]بالنون وبالياء على البناء للفاعل و المفعول جميعا [فِي الْاُكُلِ] بضم الكاف و سكونها [وَاِنْ تَعْجَبْ] يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيبٌ حقيقٌ بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدّد عليك من الفطر العظيمة و لم يَعْيَ بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه و ايسره فكان انكارهم اُعْجوبة من الاعاجيب [ءَاِذَا كُنَّا] الى آخر قولهم - يجوز ان يكون في محل الرفع بدلاً من قَوْلُهُمْ - و ان يكون منصوبا بالقول و اِذَا نصبٌ بما دلّ عليه قوله ءَاِنَّا لَفِيْ خَلْقٍ جَدِيْدٍ -[اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ] اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم [وَاُولٰٓئِكَ الْاَغْلٰلُ فِيْٓ اَعْنَاقِهِمْ] وصف بالاصرار كقوله اِنَّا جَعَلْنَا فِيْٓ اَعْنَاقِهِمْ اَغْلٰلًا و نحوه *ع* لهم من الرشد اغلال و اقياد *او هو من جملة الوعيد* [بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ] بالنقمة قبل العافية و الاحسان اليهم بالامهال و ذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاءً منهم بانذاره [وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلٰتُ] اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا و المَثُلَةُ العقوبة بوزن السَمُرة - و المُثْلَةُ لما دين العقاب و المعاقَب عليه من المماثلة وَجَزٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ويقال امثلتُ الرجلَ من صاحبه و اقصصته منه و المثال القصاص - وقرئ الْمُثُلٰتُ بضمتين لاتباع الفاء العين - و الْمَثْلٰتُ بفتح الميم و سكون الثاء كما يقال السَمْرة - و المُثْلٰتُ بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المُثُلٰتُ بضمتين - و المَثَلٰتُ جمع مَثَلة كركْبة و رَكَبَات [لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلٰى ظُلْمِهِمْ] اي مع ظلمهم انفسَهم بالذنوب و محله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم و فيه اوجه - ان يريد السيئات المكفّرة لمجتنب الكبائر - او الكبائر بشرط التوبة - او يريد بالمغفرة الستر و الامهال - و روي انها لما نزلت قال النبيّ عليه السلام لولا عفو الله و تجاوزه ما هنّأ احدًا العيشُ و لولا وعيده و عقابه لاتّكل كل احد * [لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِّنْ رَّبِّهٖ] لم يعتدّوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم عنادًا فاقترحوا نحو آيات موسى و عيسى من انقلاب العصا حيّةً و احياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه و اله وسلم انما انت رجل اُرْسِلَ منذر او مخوِّفًا لهم من سوء العاقبة و ناصحا كغيرك من الرسل و ما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر و صحّةُ ذلك حاصلة بآية أية كانت و الآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها و الذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبيّ آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح و تقديره لها [وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ] من الانبياء يهديهم الى الدين و يدعوهم الى الله بوجه من الهداية و باية خُصّ

الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ
أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

بما ولم يجعل الانبياء شرعًا واحدًا في أيات مخصوصة - ووجهٌ أخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك أيات و يعاندون فلا يُهِمَّنَّك ذلك انما انتَ منذرٌ فما عليك الّا ان تُنذر لا ان تُثبت الايمان في صدورهم و لست بقادر عليه وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ قادرٌ على هدايتهم بالاتيان و هو الله تعالى و لقد دلَّ بما اردفه من ذكر أيات علمه و تعديده الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاءه كل منذر أيات خلافَ أيات غيره امر مدبّر بالعلم النافذ مقدّر بالحكمة الربانية و لو عام في اجابتهم الى مقترحهم خيرا و مصلحة لَأَجَابَهم اليه - و اما على الوجه الثاني فقد دلّ به على ان من هذه قدرته و هذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بايّ طريق يهديهم و لا سبيل الى ذلك لغيره • [اَللّٰهُ يَعْلَمُ] يحتمل ان يكون كلاما مستانفا - و ان يكون المعنى هو الله تفسيرا لما اُبهم على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم [مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى] و ما في مَا تَحِيضُ و مَا تَغِيضُ و مَا تَزْدَادُ اما موصولة و اما مصدرية - فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اىّ حال هو من ذكورة و انوثة و تمام و خداج و حسن و قبح و طول و قصر و غير ذلك من الاحوال الحاضرة و المترقّبة وَيعلم مَا تَغِيضه الْأَرْحَامُ اي تنقصه يقال غاضَ الماء و غضتُهُ انا و منه قوله تعالى وَغِيضَ الْمَاءُ - وَمَا تَزْدَادُه اي تأخذه زيدًا تقول اخذت منه حقي و ازددت منه كذا و منه قوله تعالى وَازْدَادُوا تِسْعًا و يقال زدته فزاد بنفسه و ازداد و مما تنقصه الرحم و تزداده عددُ الولد فانها تشتمل على واحد و قد تشتمل على اثنين و ثلثة و اربعة - و يروى ان شريكا كان رابعَ اربعةٍ في بطن امّه - و منه جسد الولد فانه يكون تامّا و مخدجا - و منه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر و ازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة و الى اربع عند الشافعيّ و الى خمس عند مالك - و قيل ان الضحاك وُلد لسنتين و هرمَ بن حيان بقي في بطن امّه اربع سنين و لذلك سُمّي هرِمًا - و منه الدم فانه يقلّ و يكثر - و ان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى و يعلم غَيْض الارحام و ازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك و من اوقاته و احواله - و يجوز ان يراد غيض ما في الارحام و زيادته فاسند الفعل الى الارحام و هو لما فيها على ان الفعلين غير متعدّيين و يعضده قول الحسن الغيضوضةُ ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك و الازديادُ ان تزيد على تسعة اشهر - و عنه الغيضُ الذي يكون سقطا غير تمام و الازديادُ ما وُلد لتمام [بِمِقْدَارٍ] بقدر وحدّ لا يجاوزه و لا ينقص عنه كقوله انّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ [الْكَبِيرُ] لعظيم الشان الذي كل شيء دونه [الْمُتَعَالِي] المستعلي على كل شيء بقدرته - او الذي كبر عن صفات المخلوقين و تعالى عنها • [سَارِبٌ] ذاهب في سَربه بالفتح اي في طريقه و وجهه يقال سَرَب في الارض سروبًا و المعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد - فان قلت كان حق

خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا
فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ۝ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝
وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ۚ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي

العبارة ان يقال ومَن هو مستخف بالليل ومَن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدًا هو مستخف وسارب - قلت فيه وجهان - احدهما ان قوله وَسَارِبٌ عطف على مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ لا على مُسْتَخْفٍ - والثاني انه عطف على مُسْتَخْفٍ الا ان مَنْ في معنى الاثنين كقوله * ع * نكن مثل مَنْ يا ذئبُ يصطحبان * كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار * والضمير في [لَهُ] مردود على مَنْ كانه قيل لمن اسرّ ومن جهر ومن استخفى ومن سرب [مُعَقِّبَاتٌ] جماعات من الملئكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ بمعنى المعتذرون - ويجوز مُعَقِّبَاتٌ بكسر العين ولم يقرأ به - او هو مُفَعِّلات من عَقَّبه اذا جاء على عقبه كما يقال قَفَّاه لان بعضهم يعقب بعضا - او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه [يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ] هما صفتان جميعا وليس مِنْ أَمْرِ اللَّهِ بصلة للحفظ كانه قيل معقبات من امر الله - او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة عليّ رضي الله عنه وابن عباس وزيد بن عليّ وجعفر بن محمد وعكرمة يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ - او يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يُمْهله رجاءَ ان يتوب ويُنيب كقوله قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ - وقيل المُعَقِّبات الحَرَس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به - وقرئ لَهُ مَعَاقِيبُ جمع مُعَقِّب او معقبة والياءُ عوض من حذف احدى القافين في التكسير [إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ] من العافية والنعمة [حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ] من الحال الجميلة بكثرة المعاصي [مِنْ وَالٍ] ممن يلي امرهم ويدفع عنهم * [خَوْفًا وَطَمَعًا] لا يصح ان يكونا مفعولًا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلّل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع - او على معنى اخافة واطماعًا - ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البَرْق كانه في نفسه خوف وطمع - او على ذا خوف وطمع - او من المخاطبين اي خائفين وطامعين - ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب * شعر * فتى كالسحاب الجون تُخشى وتُرتجى * يُرجّى الحيا منها ويُخشى الصواعقُ * وقيل يُخاف المطر مَن له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيى به [السَّحَابَ] اسم الجنس والواحد سحابة و [الثِّقَالَ] جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء * [وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ] ويسبح

اللّٰهِ ۚ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ

ع ٧

سامع الرعد من لعباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله و الحمد لله - و عن النبي عليه السلام انه كان يقول سُبْحَانَ من يُسبّح الرعدُ بحمده - و عن علي رضي الله عنه سُبْحَانَ من سَبّحت له - و اذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك و لا تُهلكنا بعذابك و عافنا قبل ذلك - و عن ابن عباس ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه و آله وسلم عن الرعد ما هو فقال مَلَكٌ من الملئكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب - و عن الحسن خلقٌ من خلق الله ليس بملك - و من بدع المتصوّفة الرعدُ صعقات الملئكة و البرق زفرات انفاسهم و المطر بكاؤهم [وَالْمَلٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ] و يسبّح الملئكة من هيبته و اجلاله - ذكر علمه النافذ في كل شيء و استواء الظاهر و الخفي عنده و ما دلّ على قدرته الباهرة و وحدانيته ثم قال [وَهُمْ] يعني الذين كفروا و كذّبوا رسول الله و انكروا آياته [يُجَادِلُونَ فِي اللّٰهِ] حيث يُنكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث و اعادة الخلائق بقولهم مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ و يردّون الوحدانية باتخاذ الشركاء و الاضداد و يجعلونه بعض الاجسام المتولدة بقولهم الْمَلٰٓئِكَةُ بَنَاتُ اللّٰهِ فهذا جدالهم بالباطل كقوله وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ - و قيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم و ذلك ان اربدَ اخا لبيد بن ربيعةَ العامري قال لرسول الله حين وفد عليه مع عامر بن الطُّفَيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدّة كغدّة البعير و مات في بيت سلولية و ارسل على اربدَ صاعقة فقتله اخبرني عن ربّنا أ من نُحاس هو ام من حديد [الْمِحَالِ] المماحلة وهي شدة المماكرة و المكايدة و منه تمحّل لكذا اذا تكلّف استعمال الحيلة و اجتهد فيه و مَحَل بفلان اذا كاده و سعى به الى السلطان و منه الحديث ولا تجعلّه علينا ماحلا مصدقاً و قال الاعشى * شعره * فرعٌ نبع يهتز في غصن المجد * غزير الندى شديد المحال * و المعنى انه شديد المكر و الكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون - و قرأ الاعرج بفتح الميم على انه مَفْعل من حال يحول مَحالا اذا احتال و منه احولُ من ذئب اي اشدّ حيلة - و يجوز ان يكون المعنى شديد الفقار و يكون مثلا في القوة و القدرة كما جاء فساعدُ الله اشدّ و مُوساه احدّ لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة و الاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر و ذلك ان الفقار عمود الظهر و قوامه - [دَعْوَةُ الْحَقِّ] فيه وجهان - احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمةُ الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصّة به و انها بمعزل من الباطل و المعنى ان الله سبحانه يُدْعى فيستجيب الدعوة و يُعطي الداعيَ سُؤْلَه ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجّه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى و النفع بخلاف ما لا ينفع و لا يُجدي دعاؤه - و الثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عزّ و علا على معنى دعوة المدعوّ الحق الذي يَسْمع فيُجيب - و عن الحسن الحق هو الله و كل دعاء

كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ۝ وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَّكَرْهًا وَّظِلٰلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ قُلْ مَنْ رَّبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ قُلِ اللّٰهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ
مِّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَّلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمٰى وَالْبَصِيرُ ۝ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي
الظُّلُمٰتُ وَالنُّورُ ۝ أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَّهُوَ

اليه دعوةُ الحقّ - فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله - قلت امّا على قصة ابيدَ فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله و مكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليه و على صاحبه بقوله اللّهم اكفِهما بما شئتَ فأُجيب فيهما فكانت الدعوة دعوةَ حقّ - وامّا على الاول فوعيد للكَفَرة على مجادلتهم رسولَ الله بمحاولٍ محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ان دعا عليهم فيهم [وَالَّذِينَ يَدْعُونَ] و الآلهةُ الذين يدعوهم الكفار [مِنْ] دُوْنِ اللّٰهِ [لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ] بشيء من طَلِباتهم [إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ] الّا استجابةً كاستجابة باسط كفّيه اي كاستجابة الماء من بسط كفّيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه و الماءُ جماد لا يشعر ببسط كفّيه و لا بعطشه وحاجته اليه و لا يقدر ان يجيب دعاءه و يبلغ فاه وكذلك ما يَدْعونه جماد لا يحسّ بدعائهم و لا يستطيع اجابتهم و لا يقدر على نفعهم - و قيل شُبّهوا في قلّة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرًا اصابعه فلم تلقّ كفّاه منه شيأ و لم يبلغ طَلِبته من شربه - و قرئ تَدْعُوْنَ بالتاء - كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ بالتنوين [إِلَّا فِي ضَلٰلٍ] الّا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يُجبهم و ان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم • [وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ] اي ينقادون لإحداث ما اراده فيهم من افعاله شاءوا او أَبَوْا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه و تنقاد له [ظِلٰلُهُمْ] ايضا حيث تتصرف على مشيته في الامتداد و التقلّص والفيء و الزوال - و قرئ بِالْغُدُوِّ وَالْإِيصَالِ من أصلوا اذا دخلوا في الاصيل • [قُلِ اللّٰهُ] حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات و الارض لم يكن لهم بدّ من ان يقولوا الله كقوله قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ وهذا كما يقول المُناظر لصاحبه أهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقرارَه تقريرًا له عليه و استيثاقًا منه ثم يقول له فَيَلْزمك على هذا القول كيتَ وكيتَ - و يجوز ان يكون تلقينًا اي ان كَعّوا عن الجواب فلقّنهم فانهم يتلقّنونه ولا يقدرون ان ينكروه [أَفَاتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ] أبعد ان علمتموه ربَّ السموات و الارض اتّخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم و اقراركم سببَ الاشراك [لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَّلَا ضَرًّا] لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد أثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابيَنَ ضلالتكم [أَمْ جَعَلُوا] بل أجعلوا ومعنى الهمزة الانكار و [خَلَقُوا] صفة لشُرَكَاءَ يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خَلْق الله وخَلْقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقّوا العبادة فتتّخذهم له شركاء و نعبدهم كما يُعبد الله

سورة الرعد ١٣ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ اَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ؕ وَمِمَّا يُوْقِدُوْنَ
الجزء ١٣ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ اَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهٗ ؕ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَاَمَّا الزَّبَدُ
ع ٧ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۚ وَاَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْاَرْضِ ؕ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ ۝ لِلَّذِيْنَ اسْتَجَابُوْا

لا فرق بين خالق و خالق و لكنهم اتّخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخالق فضلاً ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق [قُلِ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] لا خالقَ غيرُ الله و لا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة [وَهُوَ الْوَاحِدُ] المتوحّد بالربوبية [الْقَهَّارُ] لا يغالَبُ و ما عداه مربوب و مقهور * هذا مثل ضربه الله للحق واهله و الباطل و حزبه كما ضرب الاعمى و البصير و الظلمات و النور مثلاً لهما فمثّل الحقّ واهلَهُ بالماء الذي ينزله من السماء فتسيلُ به اودية الناس فيحيون به و ينفعهم انواعَ المنافع و بالفِلِزّ الذي ينتفعون به في صَوْغ الحُليّ منه و اتخاذ الاواني و الآلات المختلفة و لو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به و ان ذلك ماكثٌ في الارض باقٍ بقاءً ظاهرا يثبت الماء في منافعه و تبقى آثاره في العيون و البئار و الجبوب و الثمار اللتي تنبت به مما يُدَّخر و يكنز و كذلك الجواهر تبقى ازمنةً متطاولة - وشبّه الباطل في سرعة اضمحلاله و وشك زواله و انسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به و بزبد الفِلِزّ الذي يطفو فوقه اذا أُذيب - فان قلت لم نكّرت الاودية - قلت لان المطر لا يأتي الّا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض - فان قلت فما معنى قوله [بِقَدَرِهَا] - قلت بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضارّ الا ترى الى قوله وَاَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة و لا يكون كبعض الامطار و السيول الجواحف - فان قلت فما فائدة قوله [ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ اَوْ مَتَاعٍ] - قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله بِقَدَرِهَا لانه جمع الماء و الفِلِزّ في النفع في قوله وَاَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ لان المعنى و امّا ما ينفعهم من الماء و الفِلِزّ فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه و يذاب و هو الحلية و المتاع و قوله وَمِمَّا يُوْقِدُوْنَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ اَوْ مَتَاعٍ عبارة جامعة لانواع الفِلِزّ مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هِجّيزى الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجرّ اَوْقِدْ لِيْ يٰهَامٰنُ عَلَى الطِّيْنِ و مِنْ لابتداء الغاية اي و منه ينشأ زبد مثل زبد الماء - او للتبعيض بمعنى و بعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل [جُفَآءً] يجفأه السيل اي يرمي به و جفأت القدر بزبدها و اجفأ السيل و اجفل - و في قراءة رُؤْبة بن العجّاج جُفَالاً - و عن ابي حاتم لا يقرأ بقراءة رُؤْبة لانه كان يأكل الفأر - و قرئ يُوْقِدُوْنَ بالياء اي يوقد الناس - [لِلَّذِيْنَ اسْتَجَابُوْا] اللام متعلقة بيَضْرِبُ اي كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ للمؤمنين الذين اسْتَجَابُوْا او للكفرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين [وَالْحُسْنٰى] صفة لمصدر اسْتَجَابُوْا اي استجابوا الاستجابة الحسنى - و قوله [لَوْ اَنَّ لَهُمْ] كلام مبتدأ في ذكر ما اعدّ لغير المستجيبين - و قيل قد تمّ الكلام عند

لِرَبِّهِمُ الْحُسْنٰى ۚ وَالَّذِيْنَ لَمْ يَسْتَجِيْبُوْا لَهٗ لَوْ اَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْاَرْضِ جَمِيْعًا وَّمِثْلَهٗ مَعَهٗ لَافْتَدَوْا بِهٖ ۚ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ سُوْٓءُ الْحِسَابِ ۙ وَمَاْوٰىهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ اَفَمَنْ يَّعْلَمُ اَنَّمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ اَعْمٰى ۚ اِنَّمَا يَتَذَكَّرُ اُولُوا الْاَلْبَابِ ۝ الَّذِيْنَ يُوْفُوْنَ بِعَهْدِ اللّٰهِ وَلَا يَنْقُضُوْنَ الْمِيْثَاقَ ۝ وَالَّذِيْنَ يَصِلُوْنَ مَآ اَمَرَ اللّٰهُ بِهٖٓ اَنْ يُّوْصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُوْنَ سُوْٓءَ الْحِسَابِ ۝ وَالَّذِيْنَ صَبَرُوا ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ

قوله كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ وما بعده كلام مستانف - وَالْحُسْنٰى مبتدأ خبره لِلَّذِيْنَ اسْتَجَابُوْا و لمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة [وَالَّذِيْنَ لَمْ يَسْتَجِيْبُوْا] مبتدأ خبره اَوْصع ما في حيزه [وَسُوْءُ الْحِسَابِ] المناقشة فيه- وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء * دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله [اَفَمَنْ يَّعْلَمُ] لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم انما اُنزل اليك مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ] باستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز [اِنَّمَا يَتَذَكَّرُ اُولُوا الْاَلْبَابِ] اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا [الَّذِيْنَ يُوْفُوْنَ بِعَهْدِ اللّٰهِ] مبتدأ و اُولٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ خبره كقوله وَالَّذِيْنَ يَنْقُضُوْنَ عَهْدَ اللّٰهِ اُولٰٓئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ - و يجوز ان يكون صفة لاُولي الْاَلْبَابِ و الاول اوجه - و عهدُ الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته و اشهدهم على انفسهم اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوْا بَلٰى [وَلَا يَنْقُضُوْنَ الْمِيْثَاقَ] و لا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم و قبلوه من الايمان بالله و غيره من المواثيق بينهم و بين الله و بين العباد تعميم بعد تخصيص [مَا اَمَرَ اللّٰهُ بِهٖٓ اَنْ يُّوْصَلَ] من الارحام و القرابات و يدخل فيه وصل قرابة رسول الله و قرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ اِخْوَةٌ بالاحسان اليهم على حسب الطاقة و نصرتهم و الذب عنهم و الشفقة عليهم و النصيحة لهم و طرح التفرقة بين انفسهم و بينهم و افشاء السلام عليهم و عيادة مرضاهم و شهود جنائزهم و منه مراعاة حق الاصحاب والخدم و الجيران و الرفقاء في السفر و كل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة و الدجاجة - و عن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله و كونوا من حيث شئتم و اعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله و كانت له دجاجة فَنَسَاءَ اليها لم يكن من المحسنين [وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ] اي يخشون وعيده كله [وَيَخَافُوْنَ] خصوصا [سُوْءَ الْحِسَابِ] فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسَبُوْا [صَبَرُوْا] مطلق فيما يصبرعليه من المصائب في النفوس و الاموال و مشاق التكليف - [اِبْتِغَاءَ وَجْهِ اللّٰهِ] لا ليقال ما اصبره و احمله للنوازل واوقره عند الزلازل و لا لئلا يعاب بالجزع و لئلا يشمت به الاعداء كقوله * ع * و تجلدي للشامتين اريهم * و لا لانه لا طائل تحت الجاع و لا مرد فيه للفائت كقوله * شعر * ما ان جزعت و لا هلعت ولا يرى بكائي رندا * و كل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوي منه ما به كان حسنا عند الله و الأم يستحق به ثواباً و كان فعلا كلا فعل [مِمَّا رَزَقْنٰهُمْ] من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا و لا يسمى

سورة الرعد ١٣ وَاحِدٌ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ
ع ٢ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ
ع ٣ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ
ع ٤ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ
ع ٥ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ
ع ٦ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ۝ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ
ع ٧ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ
ع ٨ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ
ع ٩ مِن وَالٍ ۝ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ
ع ١٠ مِنْ خِيفَتِهِ ۖ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ۚ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ۝ لَهُ دَعْوَةُ
ع ١١ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ
ع ١٢ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم
ع ١٣ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ
ع ١٤ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۚ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ
ع ١٥ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
ع ١٦ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ
ع ١٧ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ
ع ١٨ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۚ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا

لربهم حق وحق رسله أن يعبدوه وحده لا شريك له فيما يعبد عليه حق نفسه أن يتفرد على جميع خلقه بحق الألوهية فإن الله خالق كل شيء وما سواه مخلوق له فلا يستحق أن يكون إلها غيره ولا يستقيم أن يكون له شريك في الحق لما يكون له شريك في عبادة ، وهو الواحد في ألوهيته المتوحد بربوبيته القهار لجميع ما يغالبه وما عداه مربوب ومقهور له مفتقر إلى الله خلقه وإنشاؤه وباطل وجوده كما غاب الأعمى والبصير والظلمات والنور منه فمثل الحق والباطل . ثم ذكر أن ما يدعى بدونه من الأصنام فمثل له وإن المشركين به ويدعون معه الأوثان الذي ينتفعون به في جميع أحوالهم من الأدوية والآلات مختلفة ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد الذي به وإن ذلك مما ثبت في الأرض التي يقوم عليها يثبت له في منافعه وتبقى آثاره في العيون والآبار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجوهر الذي يتخذ حلية متطاولة . وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله وسلاحه عن المنفعة بالزبد الذي يرمي به والزبد الذي يطفو فوقه كالذباب . فإن قلت ما ذكرت الأودية . قلت لأن المطر لا يأتي إلا على طريق هذه الأودية بين البقاع فيسيل بعض الأودية أكثر من بعض . فإن قلت فما معنى قوله بقدرها . قلت تقديرها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار لا كما جرى في قوله وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ فإن قلت فما فائدة قوله [ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ وَمَتَاعٍ] . قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله بِقَدَرِهَا لأنه جمع الحلي والمتاع في نفع في قوله وَمِمَّا يَنفَعُ النَّاسَ لأن المعنى وأما ما ينفعهم من هذا وغيره فكذلك يضرب الله المثل للحق والباطل وقوله وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ وَمَتَاعٍ عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء في ذكره على وجه تهاون به كما هو مختبر لذلك كما جاء في ذكر الرزق يُقَتِّرُ عَلَىٰ مَن قَدَرَ عَلَيْهِ ومن ابتدائية أي ومنه يبتدأ الزبد مثل الذي منه . أو التبعيض بمعنى وبعضه زبد مثله مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفاه السيل أي يرميه به وجفأت القدر بزبدها وجفأ السيل واجفل . وفي قراءة أبي جفالا من الجفل جفل الناس في الحرب لا أبا بكرة لأنه كان يأسر الناس . وقرئ يُوقِدُونَ بالياء أي ولاة الناس . لِيَذْكُرُوا فيتعظوا اللام معناه يَضْرِبُ الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا والمقرين لدين الله ليستجيبوا أي هذا مثل الفريقين [وَالْحُسْنَىٰ] صفة لمصدر اسْتَجَابُوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى . وقرئ سُوءُ الْحِسَابِ كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين . وقيل قد تم الكلام عند

سورة الرعد ١٣ الجزء ١٣ ع ٨ النصف

لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ ۝ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ ع أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ
أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۝ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۝ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

قوله كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ وما بعده كلام مستأنف - والحسنى مبتدأ خبره لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة [وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا] مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه [وَسُوءُ الْحِسَابِ] المناقشة فيه - وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء • دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله [أَفَمَن يَعْلَمُ] لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم [أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ] واستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز [إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ] اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا [الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ] مبتدأ واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ - ويجوز ان يكون صفة لأولي الألباب والاول اوجه - وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ [وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ] ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص [مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ] من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة - وعن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فأساء اليها لم يكن من المحسنين [وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ] اي يخشون وعيده كله [وَيَخَافُونَ] خصوصا [سُوءَ الْحِسَابِ] فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا [صَبَرُوا] مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف - [ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ] لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله • ع • وتجلدي للشامتين اريهم • ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله • شعر • ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكائي زندا • وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل [مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ] من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند

وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ
فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ
فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا

الى الله [سِرًّا وَّ عَلَانِيَةً] يتناول النوافل لانها في السرّ افضل و الفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيًا للتهمة [وَ يَدْرَءُوْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ] و يدفعونها - عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يردّ عليهم من سيّء غيرهم - و عن الحسن اذا حُرموا اعطوا و اذا ظُلموا عفوا و اذا قُطعوا وصلوا - و عن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا - و قيل اذا رأوا منكرا امروا بتغييره [عُقْبَى الدَّارِ] عاقبة الدنيا و هي الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا و مرجع اهلها و [جَنَّاتُ عَدْنٍ] بدل من عُقْبَى الدَّارِ * و قرئ فَنَعْمَ بفتح النون و الاصل نِعْمَ فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها و من فتح فقد سكن العين و لم يَنْقل - و قرئ يُدْخَلُوْنَهَا على البناء للمفعول - و قرأ ابن ابي عبلة صَلُحَ بضم اللام و الفتحُ افصح - اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجرّدت من الاعمال الصالحة - و أزواجهم جمع ابوَيْ كل واحد منهم فكانه قيل مِنْ أَبَائِهِمْ و امّهاتهم * [سَلَامٌ عَلَيْكُمْ] في موضع الحال لان المعنى قائلين سَلَامٌ عَلَيْكُمْ - او مسلّمين - فان قلت بم تعلق قوله [بِمَا صَبَرْتُمْ] - قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر و متاعبه هذه الملاذّ و النعم و المعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله * ع * بما قد ارى فيها اوانس بُدّنا * و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ - و يجوز ان يتعلق بسَلَامٌ اي تُسلّم عليكم و تُكرمكم بصبركم * [مِنْ بَعْدِ مِيْثَاقِهِ] من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف و القبول [سُوْءُ الدَّارِ] يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عُقْبَى الدَّارِ - و يجوز ان يراد بالدار جهنم و بسوءها عذابها * [اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ] اي الله وحده هو يبسط الرزق و يقدره دون غيره و هو الذي بسط رزق اهل مكة و وسّعه عليهم [وَ فَرِحُوْا] بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر و اشر لا فرح سرور بفضل الله و انعامه عليهم و لم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة و خفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيأ نزرا يتمتع به كعُجالة الراكب و هو ما يتعجله من تمرات او شربة سويق او نحو ذلك * فان قلت كيف طابق قولهم [لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ] قوله قُلْ اِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَّشَاءُ - قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم و ذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة التي أُوتيها رسول الله لم يؤتها نبيّ قبله و كفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها و لم يعتدّوا بها و جعلوه كأنّ آية لم تنزل عليه قطّ كان موضعا للتعجب و الاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم و ما اشدّ تصميمكم على كفركم [اِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَّشَاءُ] ممن كان على صفتكم من التصميم و شدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم

وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فِي الْاٰخِرَةِ اِلَّا مَتَاعٌ ۝ وَيَقُولُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِّنْ رَّبِّهٖ ۭ قُلْ اِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَّشَاۗءُ وَيَهْدِيْٓ اِلَيْهِ مَنْ اَنَابَ ۝ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَتَطْمَىِٕنُّ قُلُوْبُهُمْ بِذِكْرِ اللّٰهِ ۭ اَلَا بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَىِٕنُّ الْقُلُوْبُ ۝ اَلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ طُوْبٰى لَهُمْ وَحُسْنُ مَاٰبٍ ۝ كَذٰلِكَ اَرْسَلْنٰكَ فِيْٓ اُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَآ اُمَمٌ لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِيْٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُوْنَ بِالرَّحْمٰنِ ۭ قُلْ هُوَ رَبِّيْ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَاِلَيْهِ مَتَابِ ۝ وَلَوْ اَنَّ قُرْاٰنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ اَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْاَرْضُ اَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتٰى ۭ بَلْ لِّلّٰهِ الْاَمْرُ جَمِيْعًا ۭ

و ان انزلت كل اية و يهدي اليه من كان على خلاف صفتكم [اَنَابَ] اقبل الى الحق و حقيقته دخل في نوبة الخير و [اَلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا] بدل من مَنْ اَنَابَ [وَتَطْمَىِٕنُّ قُلُوْبُهُمْ بِذِكْرِ اللّٰهِ] بذكر رحمته و مغفرته بعد القلق و الاضطراب من خشيته كقوله ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُوْدُهُمْ وَقُلُوْبُهُمْ اِلٰى ذِكْرِ اللّٰهِ - او تطمئنّ بذكر دلائله الدالة على وحدانيته - او تطمئنّ بالقرآن لانه معجزة بيّنة تسكن القلوب و تثبت اليقين فيها • [اَلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا] مبتدأ و [طُوْبٰى لَهُمْ] خبره - و يجوز ان يكون بدلا من القُلُوْب على تقدير حذف المضاف اي تطمئنّ القلوب قلوب الذين أمنوا - و طُوْبٰى مصدر من طاب كبُشْرى و زُلْفى و معنى طُوْبٰى لك اصبتَ خيرا و طيبا و محلها النصب او الرفع كقولك طيبًا لك و طيبٌ لك و سلامًا لك و سلامٌ لك - و لقراءة في قوله وَحُسْنُ مَاٰبٍ بالرفع و النصب تدلك على محلّيها و اللام في لَهُمْ للبيان مثلها في سقيًا لك و الواو في طُوْبٰى منقلبة عن ياء لضمة ماقبلها كمُوْقن و مُوْسر - و قرأ مَكْوزة الاعرابي طِيْبٰى لَهُمْ بكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بِيض و مَعِيشة [كَذٰلِكَ اَرْسَلْنٰكَ] مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالًا له شان و فضل على سائر الارسالات ثم فسّر كيف ارسله فقال [فِيْٓ اُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَآ اُمَمٌ] اي ارسلناك في امّة قد تقدّمتها امم كثيرة فهي أخر الامم و انت خاتم الانبياء [لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِيْٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ] لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك [وَهُمْ يَكْفُرُوْنَ] و حال هؤلاء انهم يكفرون [بِالرَّحْمٰنِ] بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء و ما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم و انزال هذا القرآن المعجز المصدّق لسائر الكتب عليهم [قُلْ هُوَ رَبِّيْ] الواحد المتعالي عن الشركاء [عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ] في نصرتي عليكم [وَاِلَيْهِ مَتَابِ] فيثيبني على مصابرتكم و مجاهدتكم • [وَلَوْ اَنَّ قُرْاٰنًا] جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمتُ اليك و تترك الجواب و المعنى و لو ان قرانا [سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ] عن مقارّها و زُعزعت عن مضاجعها [اَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْاَرْضُ] حتى تتصدع و تتزايل قطعا [اَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتٰى] فتسمع و تجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير و نهاية في الانذار و التخويف كما قال لَوْ اَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلٰى جَبَلٍ لَّرَاَيْتَهٗ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ و هذا يعضد ما فسّرتُ به قوله لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِيْٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ من ارادة تعظيم ما اُوحي الى رسول الله من القرآن - و قيل معناه و لو ان قرانا وقع به تسيير الجبال و تقطيع الارض و تكليم الموتى و تنبيههم لَمَا أمنوا به و لَمَا تنبهوا عليه كقوله وَلَوْ اَنَّنَا نَزَّلْنَآ اِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ الاية - و قيل ان اباجهل

سورة الرعد ١٣ اَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَنْ لَّوْ يَشَآءُ اللّٰهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيْعًا ؕ وَلَا يَزَالُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا تُصِيْبُهُمْ بِمَا صَنَعُوْا
الجزء ١٣ قَارِعَةٌ اَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتّٰى يَاْتِيَ وَعْدُ اللّٰهِ ؕ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيْعَادَ ع وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ
ع ١٠

بن هشام قال لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم سَيِّرْ بقرآنك الجبالَ عن مكّة حتى تتّسع لنا فنتّخذ فيها البساتين و القطائع كما سُخّرت لداؤد عليه السلام ان كنت نبيًّا كما تزعم فلست بِاَهْوَن على الله من داؤد او سَخّر لنا به الريح لنركبها و نتّجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شقّ علينا قطع المُسافَرِ البعيد كما سُخّرت لسليمٰن عليه السلام - او ابعث لنا به رجلين او ثلثةً ممن مات من آبائنا منهم قُصَيّ بن كلاب فنزلتْ - و معنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير و مجاوزتُها - و عن الفرّاء هو متعلق بما قبله و المعنى وَهُمْ يَكْفُرُوْنَ بِالرَّحْمٰنِ و لو انّ قرآنا سُيّرت به الجبالُ و ما بينهما اعتراض و ليس ببعيد من السداد - و قيل قُطّعت به الارض شُقّقت فجعلت انهارا و عيونا [بَلْ لِلّٰهِ الْاَمْرُ جَمِيْعًا] على معنيين - احدهما بل لله القدرة على كل شيء و هو قادر على الآيات التي اقترحوها الّا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه - و الثاني بل لله ان يُلجئهم الى الايمان و هو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار و يعضده قوله [اَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَنْ لَّوْ يَشَآءُ اللّٰهُ] يعني مشية الالجاء و القسر [لَهَدَى النَّاسَ جَمِيْعًا] و معنى اَفَلَمْ يَايْئَسِ افلم يعلم - قيل هي لغة قوم من النخع - و قيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف و النسيانُ في معنى الترك لتضمن ذلك قال سُحَيم بن وَثيل الرياحي • شعر • اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني • الم تيأسوا انّي ابن فارس زهدم • و يدلّ عليه ان عليّا و ابن عباس و جماعةً من الصحابة و التابعين قرأوا اَفَلَمْ يَتَبَيَّنْ و هو تفسير اَفَلَمْ يَايْئَسِ - و قيل انما كتبه الكاتب و هو ناعس مستوى السينات و هذا و نحوه مما لا يصدّق في كتاب الله الذي لَا يَاْتِيْهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهٖ و كيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتًا بين دفتي الامام و كان متقلّبًا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المُهَيْمِنين عليه لا يغفلون عن جلائله و دقائقه خصوصًا عن القانون الذي اليه المرجع و القاعدة التي عليها البناء هذه و الله فرية ما فيها مرية - و يجوز ان يتعلق اَنْ لَّوْ يَشَآءُ بِاٰمَنُوْا على اَوَ لم يقنط عن ايمان هٰؤلاء الكفرة الذين اٰمنوا بانْ لو يشاء الله لهدى الناس جميعا و لهداهم [تُصِيْبُهُمْ بِمَا صَنَعُوْا] من كفرهم و سوء اعمالهم [قَارِعَةٌ] داهية تقرعهم بما يحلّ الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا و المصائب في نفوسهم و اولادهم و اموالهم - او تحل القارعة قريبًا منهم فيفزعون و يضطربون و يتطاير اليهم شرارها و يتعدى اليهم شرورها [حَتّٰى يَاْتِيَ وَعْدُ اللّٰهِ] و هو موتهم او القيٰمة - و قيل و لا يزال كفّار مكّة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة و التكذيب قارعةٌ لان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كان لا يزال يبعث السرايا فتُغير حول مكّة و تختطف منهم و تصيب من مواشيهم او تَحُلُّ انت يا مُحَمَّد قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ بجيشك كما حلّ بالحديبية حَتّٰى يَاْتِيَ وَعْدُ

فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ
وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ۗ قُلْ سَمُّوهُمْ ۗ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۗ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۝ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۗ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۗ
أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۗ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ۝ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ

الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك * الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يسمن فيها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم لآيات على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استهزاء به وتسلية له * [أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ] احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو قائم رقيب [عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ] صالحة وطالحة [بِمَا كَسَبَتْ] يعلم خيره وشره ويُعدّ لكل جزاءه كمن ليس كذلك - ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وَجَعَلُوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه [وَجَعَلُوا] له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده [شُرَكَاءَ ۗ قُلْ سَمُّوهُمْ] اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال [أَمْ تُنَبِّئُونَهُ] على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ [أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ] بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقولك دَعْوَاهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ - مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها منزل على نفسه بلسان طابق ذلك انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ - وقرئ أَتُنَبِّئُونَهُ بالتخفيف [مَكْرُهُمْ] كيدهم للاسلام بشركهم [وَصُدُّوا] قرئ بالحركات الثلث - وقرأ ابن ابي اسحاق وَصَدَّ بالضم [وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ] ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي [فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ] فما له من احد يقدر على هدايته * [لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا [وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ] ومن لهم من حافظ من عذابه - او ما لهم من جنته واق من رحمته * [مَثَلُ الْجَنَّةِ] صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصناه عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كما تقول صفة زيد اسمر - وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد - وقرأ علي رضي الله عنه أَمْثَالُ الْجَنَّةِ على الجمع اي صفاتها [أُكُلُهَا دَائِمٌ] كقوله لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ [وَظِلُّهَا] دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس [وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ] يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام

سورة الرعد ١٣ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟
الجزء ١٣ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ
ع ١١ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ
بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا

و كعب و اصحابهما و من اسلم من النصارى و هم ثمانون رجلا اربعون بنجران و اثنان و ثلثون بارض الحبشة و ثمانية من اهل اليمن هؤلاء [يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ] يعني و من احزابهم و هم كفرتهم الذين تحزّبوا على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الاشرف و اصحابه و السيد و العاقب أُسْقُفَيْ نجران و اشياعهما [مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ] لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص و بعض الاحكام و المعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرّف و كانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام و نعت رسول الله و غير ذلك مما حرّفوه و بدّلوه من الشرائع . فان قلت كيف اتصل قوله [قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ] بما قبله . قلت هو جواب للمنكرين معناه قل انما أُمرت فيما انزل اليّ بان اعبد الله و لا أُشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله و توحيده فانظروا ما ذا تنكرون مع ان عاقلكم يوجب عبادة الله و ان لا يشرك به قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا . و قرأ نافع في رواية ابي خليد وَلَا أُشْرِكُ بالرفع على الاستيناف كانه قال و انا لا أُشرك به . و يجوز ان يكون في موضع الحال على معنى أُمرت ان اعبد الله غيرَ مشرك به [إِلَيْهِ أَدْعُوا۟] خصوصا لا ادعو الى غيره [وَإِلَيْهِ] لا الى غيره مرجعي و انتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم . [وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ] و مثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله و توحيده و الدعوة اليه و الى دينه و الانذار بدار الجزاء [حُكْمًا عَرَبِيًّا] حكمة عربية مترجمة بلسان العرب و انتصابه على الحال كانوا يدّعون رسول الله الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلّي الى قبلتهم بعد ما حوّله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهواء و شبهة بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين و الحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر و اهلكك فلا يقيك منه واق و هذا من باب الالهاب و التهييج و البعث للسامعين على الثبات في الدين و التصلّب فيه و ان لا يزلّ زلّ عند الشبهة بعد استمساكه بالحجّة و الا فكان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم من شدة الشكيمة بحيث كانوا يعيبونه بالزواج و الولد كما كانوا يقولون مَا لِهَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ و كانوا يقترحون عليه الآيات و ينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج و ذرية و ما كان لهم ان يأتوا بآيات برأيهم و لا يأتون بما يقترح عليهم و الشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال و الاوقات و لكلّ وقت حكم يكتب على العبد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم [يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ] ينسخ ما يستصوب نسخه و يُثْبِت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ . و قيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة و لا سيّئة لانهم ما مورون بكتبة كل قول و فعل [وَيُثْبِتُ] غيره . و قيل

نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلٰغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ
نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ط وَاللّٰهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ط وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلِلّٰهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ط يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ط وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَسْتَ مُرْسَلًا ط قُلْ كَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتٰبِ ۝ ع

يمحو كفر التائبين و معاصيهم بالتوبة و يُثبت ايمانهم و طاعاتهم - وقيل يمحو بعض الخلائق و يُثبت بعضا من الاناسيّ و سائر الحيوان و النبات و الاشجار و صفاتها و احوالها و الكلامُ في نحو هذا واسع المجال [وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتٰبِ] اصل كل كتاب و هو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه - و قرئ وَيُثَبِّتُ * وَإِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ] و كيف ما دارت الحال اريناك مَصارعهم و ما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الّا تبليغ الرسالة فحسبُ و عَلَيْنَا لا عليك حسابهم و جزاؤهم على اعمالهم فلا يُهمّنك اعراضهم ولاتستعجل بعذابهم * [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ] ارض الكفر [نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا] بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب و نزيد في دار الاسلام و ذلك من آيات النصرة و الغلبة و نحوه أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغٰلِبُونَ - سَنُرِيهِمْ آيٰتِنَا فِي الْآفَاقِ و المعنى عليك بالبلاغ الذي حملته و لا تهتمّ بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتمّ ما وعدناك من الظفر و لا يُضجرك تأخّرهُ فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طَيَّبَ نفسه و نَفَّس عنها بما دبّر من طلوع تباشير الظفر - و قرئ نُنَقِّصُهَا بالتشديد [لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ] لارادّ لحكمه و المعقّب الذي يكرّ على الشيء فيُبطله و حقيقته الذي يعقّبه اي يُقفّيه بالردّ و الابطال و منه قيل لصاحب الحق معقّب لانه يقفّي غريمه بالاقتضاء و الطلب قال لبيد * ع * طلبُ المعقّب حقّه لمظلوم * والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار و الانتكاس [وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ] فعمّا قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا - فان قلت ما محل قوله لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ - قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل و الله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا * [وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلامكر بالاضافة الى مكره فقال [فَلِلّٰهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا] ثم فسّر ذلك بقوله [يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ] لانّ من علم ما تكسب كل نفس و اعدّ لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون و هم في غفلة مما يراد بهم - و قرئ الْكُفَّارُ - وَالْكَافِرُونَ - وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَالْكُفْرَ اي اهله و المراد بالكافر الجنس - و قرأ جناح بن حُبَيْش وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ من أعلمه اي سيُخبر [كَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا] لما اظهر من الادلّة على رسالتي [وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتٰبِ] والذي عنده علم القرآن و ما الّف عليه من النظم المعجز الفائت لقُوى البشر - وقيل و من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم - وقيل هو الله عزّ و علا و الكتابُ اللوح المحفوظ *

بسم الله الرحمن الرحيم

الر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۙ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ ٱلَّذِينَ

و عن الحسن لا والله ما يعني الا الله و المعنى كفى بالذي يستحق العبادة و بالذي لا يعلم علم ما في الروح الا هو شهيدا بيني و بينكم و تعضده قراءة من قرأ و من عنده علم الكتاب على من الجارة اي و من لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله و لطفه - و قرئ و من عنده علم الكتب على من الجارة و علم على البناء للمفعول - و قرئ و بمن عنده علم الكتب - فان قلت لم ارتفع علم الكتب - قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة او حال في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه - و في القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى و كل سحاب يكون الى يوم القيامة و يعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله *

سورة ابراهيم

[كِتَٰبٌ] هو كتاب يعني السورة - و قرئ لِيُخْرِجَ النَّاسَ - و الظلمات و النور استعارتان للضلال و الهدى [بِإِذْنِ رَبِّهِمْ] بتسهيله و تيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب و ذلك ما يمنحهم من اللطف و التوفيق [إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ] بدل من قوله إِلَى ٱلنُّورِ بتكرير العامل كقوله لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ - و يجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد و قوله [ٱللَّهِ] عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته و اختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا - و قرئ بالرفع على هو الله - الويل نقيض الوأل و هو النجاة اسم معنى كالبلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقوله سَلَٰمٌ عَلَيْكَ - و لما ذكر اخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل - فان قلت ما وجه اتصال قوله مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ بالويل - قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد و يضجون منه و يقولون يا ويلاه كقوله دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا [ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ] مبتدأ خبره أُولَٰئِكَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ - و يجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين - و منصوبا على الذم - او مرفوعا على اعني الذين يَسْتَحِبُّونَ - او هم الذين يستحبون و الاستحباب الايثار و الاختيار و هو استفعال من المحبة

يَسْتَحِبُّونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْاٰخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ط اُولٰٓئِكَ فِي ضَلٰلٍ بَعِيدٍ ۝ سورة ابراهيم ١٤
وَمَآ اَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ اِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهٖ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ط فَيُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ يَّشَآءُ وَيَهْدِيْ مَنْ يَّشَآءُ ط وَهُوَ الْعَزِيْزُ الجزء ١٣
ع ١٢

لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها و افضل عندها من الاخر - و درأ الحسن وَ يُصِدُّوْنَ بضم الياء و كسر الصاد يقال صدّه عن كذا و اصدّه قال اُناس ٭ ع ٭ اصدّوا الناسَ بالسيف عنهم ٭ و الهمزة فيه داخلة على صدَّ صدودًا لتنقله من غير التعدي الى التعدي و اما صدّه فموضوع على التعدية كمنَعه و ليست بفصيحة كأرفه لان الفصحاء استغنوا بصدَّه و وقفَهُ عن تكلف التعدية بالهمزة [وَ يَبْغُوْنَهَا عِوَجًا] و يطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا و ان يدلّوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية و الاصلُ ويبغون لها فحُذف الجار و اُوصل الفعل [فِيْ ضَلٰلٍ بَعِيْدٍ] اى ضلّوا عن طريق الحق و وقعوا دونه بمراحل - فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبُعد - قلت هو من الاسناد المجازي و البعد في الحقيقة للضالّ لانه هو الذي يتباعد من الطريق فوُصف به فعله كما تقول جدّ جِدُّه - و يجوز ان يراد في ضلالٍ ذي بُعدٍ او فيه بعدٌ لان الضالَّ قد يضلّ عن الطريق مكانا قريبا و بعيدا ٭ [اِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهٖ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ] اي ليفقهوا عنه ما يَدْعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله و لا يقولوا لم نفهَمْ ما خُوطبْنا به كما قال وَلَوْ جَعَلْنٰهُ قُرْاٰنًا اَعْجَمِيًّا لَّقَالُوْا لَوْلَا فُصِّلَتْ اٰيٰتُهٗ - فان قلت لَمْ يبعث رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم الى العرب وحدهم و انما بُعث الى الناس جميعا قُلْ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اِنِّيْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ جَمِيْعًا بل الى الثقلين و هم على اَلْسنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجّة فلغيرهم الحجّة و ان لم تكن لغيرهم حجّة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجّة ايضا - قلت لا يخلو امّا ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الألسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويلَ فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اَولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه ماذا فهموا عنه وتبيّنوه وتُنُوْقِلَ عنهم و انتشر فاصت التراجم ببيانه و تفهيمه كما ترى الحال و تُشاهدها من نيابة التراجم في كل اُمّة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة و الأقطار المتنازحة و الامم المختلفة و الأجْيال المتفاوتة على كتاب واحد و اجتهادهم في تعلُّم لفظه و تعلُّم معانيه و ما يتشعّب من ذلك من جلائل الفوائد و ما يتكاثر في اتعاب النفوس و كدّ القرائح فيه من القُرَب و الطاعات المفضية الى جزيل الثواب و لانه ابعد من التحريف و التبديل و اسلم من النزاع و الاختلاف و لانه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها و كثرتها و كان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها و كلّم الرسولُ العربيّ كلَّ اُمّة بلسانها كما كلّم اُمّته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرًا قريبا من الانجاء - و معنى بِلِسَانِ قَوْمِهٖ بلغة قومه - و قرئ بِلُسُنِ قَوْمِهٖ و اللِسنُ و اللسانُ كالريش و الرياش بمعنى اللغة - و قرئ بِلُسْنِ قَوْمِهٖ بضم اللام و السينُ مضمومةٌ او ساكنةٌ و هو جمع لسان كعمان و عُمُد و عُمْد على التخفيف - و قيل الضمير في قَوْمِهٖ لمحمد صلى الله عليه و اله وسلم رووه عن الضحاك

سورة ابراهيم ١٤ الحكيم ۝ وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوْسٰى بِاٰيٰتِنَآ اَنْ اَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ ۝ وَذَكِّرْهُمْ بِاَيّٰمِ اللّٰهِ ط
الجزء ١٣ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُوْرٍ ۝ وَاِذْ قَالَ مُوْسٰى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ اَنْجٰىكُمْ مِّنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ
ع ١٢

و ان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبيّ بلغة قومه و ليس بصحيح لان قوله لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ضمير القوم وهم العرب فيودي الى ان الله انزل التورٰية من السماء بالعربية ليبيّن للعرب و هذا معنى فاسد [فَيُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ يَّشَاءُ وَيَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ] كقوله فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَّمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ لان الله لا يضلّ الا من يعلم انه لن يؤمن و لا يهدي الا من يعلم انه يؤمن - و المرادُ بالاضلال التخليةُ و منع الالطاف و بالهداية التوفيقُ و اللطف فكان ذلك كناية عن الكفر و الايمان [وَهُوَ الْعَزِيْزُ] فلا يُغْلَب على مشيّته [الْحَكِيْمُ] فلا يَخْذل الّا اهلَ الخذلان ولا يلطف الّا باهل اللطف • [اَنْ اَخْرِجْ] بمعنى اي اَخْرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه و قلنا له اَخْرِجْ - و يجوز ان تكون اَن الناصبةَ للفعل و انما صلح ان توصلَ بفعل الامر لان الغرض وصلها بما يكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل و الامر و غيره سواء في الفعلية و الدليلُ على جواز ان تكون الناصبةَ للفعل قولهم اَوْعزَ اليه بان اَفْعل فَاَدْخلوا عليها حرف الجر و كذلك التقدير بِاَنْ اخرجْ قومَك [وَذَكِّرْهُمْ بِاَيّٰمِ اللّٰهِ] و اَنْذِرهم بوقائعه اللتي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح و عاد و ثمود - و منه ايام العرب لحروبها و ملاحمها كيوم ذي قارٍ و يوم الفجار و يوم قضةَ و غيرها و هو الظاهر - و عن ابن عباس نعماؤه و بلاؤه فاما نعماؤه فانه ظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى و فلقَ لهم البحر و اما بلاؤه فاهلاك القرون [لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُوْرٍ] يصبر على بلاء الله و يشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبّهَ على ما يجب عليه من الصبر و الشكر و اعتبرَ - و قيل اراد لكل مؤمن لان الشكر و الصبر من سجاياهم تنبيهًا عليهم [اِذْ اَنْجٰىكُمْ] ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامَهُ عليكم ذلك الوقتَ - فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعَلَيْكُمْ - قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غيرَ صلة اذا اردت بالنعمة العطيّةَ فاذا كان صلةً لم يعمل فيه و اذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمةَ الله مستقرة عليكم عمل فيه و يتبيّن الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضةً او نحوها و الّا كان كلاما - و يجوز ان يكون اِذْ بدلا من نِعْمَةَ اللّٰهِ اي اذكروا وقت انجائكم و هو من بدل الاشتمال - فان قلت في سورة البقرة يُذَبِّحُوْنَ و في الاعراف يُقَتِّلُوْنَ وههنا وَيُذَبِّحُوْنَ مع الواو فما الفرق - قلت الفرق ان التذبيح حيث طُرح الواو جُعل تفسيرا للعذاب و بيانًا له و حيث اُثبت جُعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس اٰخر - فان قلت كيف كان فعل اٰل فرعون بلاءً من ربهم - قلت تمكينهم و امهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاءً من الله - و وجه اٰخر و هو ان ذٰلِكَ اشارة الى الانجاء و هو بلاء عظيم و البلاء يكون ابتلاءً بالنعمة و المحنة جميعا قال تعالى وَنَبْلُوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً - و قال زهير • ع • فابلاهما خيرَ البلاء الذي [illegible] • [وَاِذْ تَاَذَّنَ رَبُّكُمْ] من جملة

يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۞ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ
لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۖ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي

ما قال موسى لقومه و انتصابه للعطف على قوله نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ كانه قيل و اِذْ قَالَ مُوْسٰى لِقَوْمِهٖ اذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ و اذكروا حين تَاَذَّنَ رَبُّكُمْ - و معنى تَاَذَّنَ رَبُّكُمْ أذن ربكم ونظير تَاَذَّنَ و أذن توعد و اوعد وتفضّل و افضل و لابدّ في تفعّل من زيادة معنى ليس في أفعل كانه قيل و اِذْ أذن ربكم ايذاناً بليغا تنتفي عنده الشكوك و تنزاح الشُبَه و المعنى وَاِذْ تَاَذَّنَ رَبُّكُمْ فقال [لَئِنْ شَكَرْتُمْ] او اجري تَاَذَّنَ مجرى قال لانه ضربٌ من القول - و في قراءة ابن مسعود وَاِذْ قَالَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ماخوّلتكم من نعمة الانجاء و غيرها من النعم بالايمان الخالص و العمل الصالح [لَاَزِيْدَنَّكُمْ] نعمةً الى نعمة و لاُضاعفنّ لكم ما اُتيتكم [وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ] و غمطتم ما انعمتُ به عليكم [اِنَّ عَذَابِيْ لَشَدِيْدٌ] لِمَنْ كفر نعمتي • [وَقَالَ مُوْسٰى اِنْ تَكْفُرُوْا اَنْتُمْ] يا بني اسرائيل و الناس كلهم فانما ضررتم انفسكم و حَرَمتموها الخيرَ الذي لابدّ لكم منه و لتم اليه محاريج [وَاللّٰهُ غَنِيٌّ] عن شكركم [حَمِيْدٌ] مستوجب للحمد بكثرة انعمه و اياديه وان لم يحمده الحامدون • [وَ اَلَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ اِلَّا اللّٰهُ] جملة من مبتدأ و خبر وقعت اعتراضا - او عطف اَلَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ على قَوْمِ نُوْحٍ وَلَا يَعْلَمُهُمْ اِلَّا اللّٰهُ اعتراض و المعنى انهم من الكثرة بحيث لا يَعْلم عددهم اِلّا الله - و عن ابن عباس بين عدنان و اسمعيل ثلثون ابا لا يُعْرَفون - و كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسّابون يعني انهم يدّعون علم الانساب وقد نهى الله علمها عن العباد [فَرَدُّوْا اَيْدِيَهُمْ فِيْ اَفْوَاهِهِمْ] فعضّوها غيظا و ضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عَضُّوْا عَلَيْكُمُ الْاَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ او ضحكا و استهزاءً كمن عليه الضحك فوضع يده على فيه - او اشاروا بايديهم الى اَلْسنتهم وما نطقت به من قولهم [اِنَّا كَفَرْنَا بِمَا اُرْسِلْتُمْ بِهٖ] اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا عدة اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فَرَدُّوْا اَيْدِيَهُمْ فِيْ اَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوْا اِنَّا كَفَرْنَا بِمَا اُرْسِلْتُمْ بِهٖ وهذا قول قوي - او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اُطْبِقوا افواهكم و اسْكُتوا - او ردّوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت - او وضعوها على افواههم يسكتونهم و لا يدرونهم يتكلمون - و قيل الايدي جمع يد و هي النعمة بمعنى الايادي اي رَدّوا نعم الانبياء اللتي هي اجلّ النعم من مواعظهم و نصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع و الآيات في افواههم لانهم اذا كذّبوها و لم يقبلوها فكانهم ردّوها في افواههم و رجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل [مِمَّا تَدْعُوْنَنَا اِلَيْهِ] من الايمان بالله - و قرئ تَدْعُوْنَّا بادغام النون [مُرِيْبٍ] مُوقِع في الريبة - او ذي ريبة من ارابه و اراب الرجلُ و هي قلق للنفس وان لا تطمئنّ الى الامر [اَفِي اللّٰهِ شَكٌّ] اَدْخلت همزة الانكار على

سورة ابراهيم ١٤ الجزء ١٣ ع ١٤ التبت

شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُوْنَنَآ اِلَيْهِ مُرِيْبٍ ۝ قَالَتْ رُسُلُهُمْ اَفِي اللّٰهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ؕ يَدْعُوْكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ
ذُنُوْبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ اِلٰٓى اَجَلٍ مُّسَمًّى ؕ قَالُوْٓا اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ؕ تُرِيْدُوْنَ اَنْ تَصُدُّوْنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ اٰبَآؤُنَا
فَاْتُوْنَا بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ ۝ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ اِنْ نَّحْنُ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَمُنُّ عَلٰى مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ ؕ
وَمَا كَانَ لَنَآ اَنْ نَّاْتِيَكُمْ بِسُلْطٰنٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ ؕ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ ۝ وَمَا لَنَآ اَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّٰهِ
وَقَدْ هَدٰىنَا سُبُلَنَا ؕ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلٰى مَآ اٰذَيْتُمُوْنَا ؕ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُوْنَ ۝ ع وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا

الطرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة و شهادتها عليه [يَدْعُوْكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ] اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم - اويدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني - و دعوته ليأكل معي وقال * شعر * دعوت لما نابني مسورا * فلبى فلبى يدي مسور - فان قلت ما معنى التبعيض في قوله مِنْ ذُنُوْبِكُمْ - قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكفرين كقوله وَاتَّقُوْهُ وَاَطِيْعُوْنِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ - يٰقَوْمَنَآ اَجِيْبُوْا دَاعِيَ اللّٰهِ وَاٰمِنُوْا بِهٖ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ - وقال في خطاب المؤمنين هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلٰى تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ اَلِيْمٍ الى ان قال يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء و كان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد - وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها [وَيُؤَخِّرَكُمْ اِلٰٓى اَجَلٍ مُّسَمًّى] الى وقت قد سماه الله و بين مقداره فبلغكموه ان امنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت [اِنْ اَنْتُمْ] ما انتم [اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا] لا فضل بيننا و بينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملئكة [بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ] بحجة بينة وَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ وَالْحُجَجِ وانما ارادوا بالسلطن المبين اية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا * [اِنْ نَّحْنُ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ] تسليم لقولهم و انهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَمُنُّ عَلٰى مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ] بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم [اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ] ارادوا ان الاتيان بالاية اللتي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشية الله [وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ] امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا و امروها به كانهم قالوا و من حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم و معاداتكم و ما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله [وَمَا لَنَآ اَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّٰهِ] ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه [وَقَدْ هَدٰىنَا] و قد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين - فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل - قلت الاول لاستحداث التوكل و قوله [فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُوْنَ] معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم و قصدهم الى انفسهم على ما تقدم [لَنُخْرِجَنَّكُمْ - اَوْ لَتَعُوْدُنَّ] ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم و اما عودكم

لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ
مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ
وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ

حالفين على ذلك . فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها . قلت معاذ الله و لكن العود بمعنى الصيرورة و هو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لاتكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد . ما عدت اراه . عاد لايكلمني . ما عاد لفلان مال . او خاطبوا به كل رسول ومن أمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد [لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ] حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه . و قرأ ابو حيوة لَيُهْلِكَنَّ وَ لَيُسْكِنَنَّكُمْ بالياء اعتبارا لأوحى و ان لفظه لفظ الغيبة و نحوه قولك اقسم زيد ليخرجن و لأخرجن و المراد بالارض ارض الظالمين و ديارهم و نحوه وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا . وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ . وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من آذى جاره وَرَّثَهُ الله داره و لقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها و يؤذيني فيه فمات ذلك العظيم و ملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها و يدخلون في دورها و يخرجون و يأمرون و ينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله [ذَٰلِكَ] اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين و اسكان المؤمنين ديارهم لمن ذلك الامر حق [لِمَنْ خَافَ مَقَامِي] موقفي و هو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة . او على اقحام المقام . و قيل خاف قيامي عليه و حفظي لاعماله و المعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . [وَ اسْتَفْتَحُوا] و استنصروا الله على اعدائهم إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ . او استحكموا الله و سألوه القضاء بينهم من الفتاحة و هي الحكومة كقوله تعالى رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ و هو معطوف على أَوْحَى إِلَيْهِمْ . و قرئ وَاسْتَفْتَحُوا بلفظ الامر و عطفه على لَنُهْلِكَنَّ اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن و قال لهم استفتحوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ معناه فنصروا و ظفروا و افلحوا [وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ] و هم وصفهم . وقيل و استفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق و ترسل على الباطل و خاب كل جبار عنيد منهم و لم يفلح باستفتاحه [مِنْ وَرَائِهِ] من بين يديه قال شعرا عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب و هذا وصف حاله و هو في الدنيا انه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها . او وصف حاله في الاخرة حين يبعث و يوقف . فان قلت علام عطف وَيُسْقَى . قلت على محذوف تقديره من وراءه جهنم يلقى فيها ما يلقى [وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ] كاد اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ . فان قلت ما وجه قوله تعالى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ . قلت صَدِيدٍ عطف بيان لماء قال وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صَدِيدٍ و هو ما يسيل من جلود اهل النار

بِمَيِّتٍ ۖ وَمِنْ وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ
عَاصِفٍ ۖ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۖ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا

[تَتَجَرَّعُهُ] يتكلف جرعه و لا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني و لا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة فقوله لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها [وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ] كان اسباب الموت و اصنافه كلها قد تألبت عليه و احاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الالم - و قيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله - و قيل من اصل كل شعرة [وَمِنْ وَرَائِهِ] و من بين يديه [عَذَابٌ غَلِيظٌ] اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشدّ مما قبله و اغلظ - و عن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد - و يحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا و الفتح المطر في سني القحط التي أُرسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلم يُسقَوا فذكر سبحانه ذلك و انه خَيّب رجاء كل جبار عنيد و انه يسقى في جهنم بدل سقياه ماءً آخر و هو صديد اهل النار و اسْتَفْتَحُوا على هذا التفسير كلام مستانف منقطع عن حديث الرسل و أممهم * [هُوَ] مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره و فيما يقص عليكم مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ و المثلُ مستعار للصفة التي فيها غرابة - و قوله أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ جملة مستانفة على تقدير سوال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ - و يجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم - او هذه الجملة خبر للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون و ماله مبذول - او يكون أَعْمَالُهُمْ بدلا من مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا على تقدير مثل اعمالهم و كَرَمَادٍ الخبر - و قرئ الرِّيَاحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ جُعل العصف لليوم و هو لما فيه و هو الريح او الرياح كقولك يوم ماطرٌ و ليلةٌ ساكنةٌ و انما السكون لريحها - و قرئ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ بالاضافة و أَعْمَالُ الكَفَرَة المكارمُ التي كانت لهم من صلة الارحام و عتق الرقاب و فداء الأسارى و عَقْر الابل للاضياف و اغاثة الملهوفين و الاجارة و غير ذلك من صنائعهم شَبّهها في حبوطها و ذهابها هباءً منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله و الايمان به و كونها اوجهه برماد طيّرته الريح العاصف [لَا يَقْدِرُونَ] يوم القيمة [مِمَّا كَسَبُوا] من اعمالهم [عَلَىٰ شَيْءٍ] اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يُقدر من الرماد المطيّر في الريح على شيء [ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ] اشارة الى بُعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب * [بِالْحَقِّ] بالحكمة و الغرض الصحيح و الامر العظيم و لم يخلقها عبثا و لا سدى - و قرئ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ] اي هو قادر على ان يُعدم الناس و يخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه بانه قادر على اعدام الموجود و ايجاد المعدوم يقدر على الشيء و جنس ضده [وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ] بمتعذّر بل هو هيّن عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء و انتفى الصارف

وَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا
اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ۝ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ

تكون من غير توقف كتحريكك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطاهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء * [وَبَرَزُوا لِلَّهِ] ويبرزون يوم القيمة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ - وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ ونظائره ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية - او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه - فان قلت لم كتب الضُّعَفَاؤُا بواو قبل الهمزة - قلت كتب على لفظ من يضم الالف قبل الهمزة تمثيلا الى الواو ونظيره مَلَؤُا بَنِي إِسْرَائِيلَ والضعفاء الاتباع والعوام - والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم [تَبَعًا] تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب - او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا - فان قلت اي فرق بين مِنْ في مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وبينه في مِنْ شَيْءٍ - قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله - ويجوز ان تكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله - فان قلت فما معنى قوله [لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ] - قلت الذي قال لهم الضُّعَفَاؤُا كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان صدر منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهديناهم و لم يضلوهم اما مورطين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا - لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ - ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان - وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لارشدنا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة [سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا] مستويان علينا الجزع والصبر الهمزة وأم المتسوية ونحوه اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ - وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سَوَاءٌ عَلَيْنَا - فان قلت كيف اتصل قوله سَوَاءٌ عَلَيْنَا بما قبله - قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان

وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ
فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۗ

جزعا مما هم فيه فقالوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا يريدون انفسهم و اياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع و التوبيخ و لا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر و الامرُ من ذلك ط - ولما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لهديناكم و انجيناكم اتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا [مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ] اي منجىً و مهرب جزعنا ام صبرنا - و يجوز ان يكون من كلام الضعفاء و المستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سَوَاءٌ عَلَيْنَا كقوله ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ نَبِيَّ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ - والمحيصُ يكون مصدرا كالمغيب و المشيب و مكانا كالمبيت و المصيف ويقال حاص عنه و جاص بمعنىً واحد ٭ [لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ] لما قطع الامر و فرغ منه و هو الحساب و تصادُر الفريقين و دخول احدهما الجنةَ و دخول الأخر النارَ - روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن و الانس ويقول ذلك [إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ] وهو البعث و الجزاء على الاعمال ووفى لكم بما وعدكم [وَوَعَدْتُكُمْ] خلاف ذلك [فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ] من تسلط و قهر فَأُقْسِرَكم على الكفر و المعاصي و أُجيركم اليها [إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ] الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي و تزييني و ليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب [فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ] حيث اغتررتم بي و اطعتموني اذ دعوتكم و لم تطيعوا ربكم ان دعاكم و هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة و يحصّلها لنفسه و ليس من الله الا التمكين و لا من الشيطان الا التزيين و لو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني و لا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر و اجبركم عليه - فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به - قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبيّن الله بطلانه و اظهر انكاره على انه لا طائل له في التطرق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ كيف اتى فيه بالحق و الصدق و في قوله وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ و هو مثل قول الله تعالى إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ [مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ] لا ينجي بعضُنا بعضًا من عذاب الله و لا يُغيثه و الاصراخُ الاغاثة - و قرئ بِمُصْرِخِيِّ بكسر الياء وهي ضعيفة و استشهدوا لها ببيت مجهول ٭ شعر ٭ قال لها هل لكِ يا تافيِّ ٭ قالت له ما انت بالمرضيِّ - و كانه قدّر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل لتقاء الساكنين و لكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصايَ فما بالها و قبلها ياء - فان قلت جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل - قلت هذا قياس حسن و لكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه التدابير

إِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ

مَا في [بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي] مصدرية و [مِن قَبْلُ] متعلقة بِأَشْرَكْتُمُونِي يعني كفرتُ اليوم باشراكم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله تعالى وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه و استنكاره له كقوله تعالى إِنَّا بُرَءٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ كَفَرْنَا بِكُمْ - وقيل مِن قَبْلُ يتعلق بكَفَرْتُ و مَا موصولة اي كفرتُ من قبل حين أبيت السجودَ لآدم بالذي اشركتموني به وهو الله عزّ وجلّ تقول شركتُ زيدا فاذا نقلتَ بالهمزة قلتَ اشركتُه فلان اي جعلني له شريكا ونحو مَا هذه مَا في قولهم سبحان ما سخركنّ لنا و معنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزيّنه لهم من عبادة الاوثان و غيرها وهذا آخر قول ابليس و قوله وإِنَّ الظَّٰلِمِينَ] قول الله عزّ وجلّ - ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس و انما حكى الله عزّ وعلا ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم و الاستعداد لما لابدّ لهم من الوصول اليه و ان يتصوّروا في انفسهم ذلك المقامَ الذي يقول الشيطان فيه ما يقول فيخافوا و يعملوا ما يُخلّصهم منه و يُنجيهم - و قرئ فَلَا يَلُومُونِي بالياء على طريقة الالتفات كقوله تعالى حَتّٰىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم • و قرأ الحسن و عمرو بن عبيد وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا على فعل المتكلم بمعنى و أُدخلُ انا و هذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس [بِإِذْنِ رَبِّهِمْ] متعلق بأُدْخِلَ اي ادخلتهم الملئكة الجنةَ باذن الله و امره - فان قلت فبمَ يتعلق في القراءة الاخرى و قولك وأُدخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم - قلت الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله بِإِذْنِ رَبِّهِمْ بما بعده اي [تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ] بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يعني ان الملئكة تحيّونهم باذن ربهم • قرئ أَلَمْ تَرْ ساكنة الراء كما قرئ مَنْ يَتَّقْ و فيه ضعف [ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا] اعتمد مثلا و وضعه و [كَلِمَةً طَيِّبَةً] نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة [كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ] و هو تفسير لقوله ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كقولك شرّف الامير زيدا كساه حُلّة و حملَه على فرس - و يجوز ان ينتصب مَثَلًا و كَلِمَةً بضَرَبَ اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة [أَصْلُهَا ثَابِتٌ] يعني في الارض ضارب بعروقه فيها [وَفَرْعُهَا] واعلاها و رأسها في السَّمَاءِ] - و يجوز ان يريد و فروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس - و قرأ انس بن مالك كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتٍ أَصْلُهَا - فان قلت اي فرق بين القراءتين - قلت قراءة الجماعة اقوى معنًى لان في قراءة انس أُجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجلٍ ابوه قائمٌ فهو اقوى معنًى من قولك مررت برجلٍ قائمٍ ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجلٌ - و الكلمةُ الطيّبةُ كلمة التوحيد - وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار و التوبة والدعوة - و عن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله - و اما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيّبة الثمار كالنخلة و شجرة التين و العنب و الرمّان وغير ذلك - و عن ابن

سورة ابراهيم ١٤ طَيِّبَةٍ اَصْلُهَا ثَابِتٌ وَّفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ ۝ تُؤْتِيْٓ اُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍ بِاِذْنِ رَبِّهَا ؕ وَيَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ لِلنَّاسِ
الجزء ١٣ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيْثَةِ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْاَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۝ يُثَبِّتُ اللّٰهُ
ع ١٥ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْاٰخِرَةِ ۚ وَيُضِلُّ اللّٰهُ الظّٰلِمِيْنَ ۙ وَيَفْعَلُ اللّٰهُ مَا يَشَآءُ ۝ ع

عمر ان رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنتُ صبيًّا فوقع في قلبي انها النخلة فثبتُ رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم أنْ اقولها و انا اصغر القوم - و ردي فمنعني مكان عمرو استحييت فقال لي عمر يا بُنَيَّ لو كنت قلتها لكانت احبَّ اليّ من حُمُر النَّعَم ثم قال رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم الا انها النخلة - و عن ابن عباس شجرة في الجنة - و قوله في السَّماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يُرِد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه [تُؤْتِيْٓ اُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍ] تعطي ثمرها كل وقت وَقّته الله لاثمارها [بِاِذْنِ رَبِّهَا] بتيسير خالقها و تكوينه [لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ] لان في ضرب الامثال زيادة افهام و تذكير و تصوير للمعاني [كَشَجَرَةٍ خَبِيْثَةٍ] كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها - وقرئ وَمَثَلَ كَلِمَةٍ بالنصب عطفا على كَلِمَةً طَيِّبَةً - و الكلمةُ الخبيثةُ كلمة الشرك - و قيل كل كلمة قبيحة - واما الشجرةُ الخبيثةُ فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك * و قوله [اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْاَرْضِ] في مقابلة قوله اَصْلُهَا ثَابِتٌ و معنى اجْتُثّت اُسْتُوصلت و حقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها [مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ] اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يُعْضَد بحجة فهو داحض غير ثابت و الذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطلُ لَجلَجٌ - و عن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرًّا و لا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة * [اَلْقَوْلِ الثَّابِتِ] الذي يثبت بالحجة و البرهان في قلب صاحبه و تمكن فيه فاعتقده و اطمأنت اليه نفسه و تثبيتُهم به في الدنيا انهم اذا فُتنوا في دينهم لم يزلّوا كما ثبت الذين فُتنهم اصحاب الاخدود و الذين نُشروا بالمناشير و مُشطت لحومهم بأمشاط الحديد و كما ثبت جرجيسُ وشمسونُ و غيرهما و تثبيتُهم في الآخرة انهم اذا سُئلوا عند توافف الاشهاد عن معتقدهم و دينهم لم يتلعثموا و لم يُبهتوا و لم تُحيّرهم اهوالُ المحشر - و قيل معناه لثبات عند سوال القبر - وعن البراء بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيُجلسانه في قبره و يقولان له من ربك و ما دينك و من نبيُّك فيقول ربي الله و ديني الاسلام و نبيي مُحَمّد فينادي منادٍ من السماء اَنْ صدق عبدي فذلك قوله يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ [وَيُضِلُّ اللّٰهُ الظّٰلِمِيْنَ] الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم و انما اقتصروا على تقليد كبارهم و شيوخهم كما قلد المشركون اباهم فقالوا اِنَّا وَجَدْنَا اٰبَآءَنَا عَلٰى اُمَّةٍ و اضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ

في مواقف الفتن وتزلّ اقدامهم اول شيء وهم في الآخرة اضلّ وازلّ [وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ] اي ما توجبه الحكمة لان مشية الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم او التخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم [بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ] اي شكر نعمة الله [كُفْرًا] لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيّروا الشكر الى الكفر وبدّلوه تبديلا ونحوه وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه - ووجه آخر هو انهم بدّلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سُلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوّام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم - او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين أُسروا وقُتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم - وعن عمر رضي الله عنه هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أُميّة فاما بنو المغيرة فكُفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمُتّعوا حتى حين - وقيل هم متنصّرة العرب جبلة بن الأيهم واصحابه [وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ] ممن تابعهم على الكفر [دَارَ الْبَوَارِ] دار الهلاك وعطف جَهَنَّمَ على دَارَ الْبَوَارِ عطف بيان * قرئ [لِيَضِلُّوا] بفتح الياء وضمها - فان قلت الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الأنداد فما معنى اللام - قلت لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب [تَمَتَّعُوا] ايذانٌ بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الاستمتال لامر الشهوة [فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ] - ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ * المقول محذوف لان جواب قُلْ يدل عليه وتقديره [قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا] أقيموا الصلوة وأنفقوا [يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا] وجوّزوا ان يكون يُقِيمُوا ويُنْفِقُوا بمعنى ليقيموا وليعفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قُلْ عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداءً بحذف اللام لم يجز - فان قلت علام انتصب [سِرًّا وَعَلَانِيَةً] - قلت على الحال اي ذوي سرّ وعلانية بمعنى مسرّين ومعلنين - او على الظرف اي وقتي سرّ وعلانية - او على المصدر اي انفاق سرّ وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلانُ بالواجب - والخِلال المُخالّة - فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه [لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ] - قلت من قبل ان الناس يُخرجون اموالهم

سورة ابراهيم ١٤ الجزء ١٣ ع ١٧

وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنٰهُمْ سِرًّا وَّعَلَانِيَةً مِّنْ قَبْلِ اَنْ يَّاْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيْهِ وَلَا خِلٰلٌ ۝ اَللّٰهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ
وَالْاَرْضَ وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَاَخْرَجَ بِهٖ مِنَ الثَّمَرٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِاَمْرِهٖ ۚ
وَسَخَّرَ لَكُمُ الْاَنْهٰرَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝ وَاٰتٰىكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا
سَاَلْتُمُوْهُ ۭ وَاِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَتَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوْهَا ۭ اِنَّ الْاِنْسَانَ لَظَلُوْمٌ كَفَّارٌ ۝ وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ

في عقود المعاوضات فيُعْطون بدلا ليأخذوا مثله و في المكارمات و مهاداة الاصدقاء ليستجرّوا بهداياهم امثالها او خيرا منها و ما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وَمَا لِاَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِّعْمَةٍ تُجْزٰٓى اِلَّا ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْاَعْلٰى فلا يفعله الا المؤمنون المُخْلِص فَبُعِثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيعَ فيه و لا خلالَ اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالّة و لا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات و المكارمات و انما يُنْتفع فيه بالانفاق لوجه الله - وقرئ لَا بَيْعٌ فِيْهِ وَلَا خِلٌ بالرفع • [اللّٰهُ] مبتدأ و [الَّذِيْ خَلَقَ] خبره و [مِنَ الثَّمَرٰتِ] بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات - و يجوز ان يكون مِنَ الثَّمَرٰتِ مفعول اَخْرَجَ - و [رِزْقًا] حالا من المفعول - او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رَزَقَ [بِاَمْرِهٖ] بقوله كُنْ [دَآئِبَيْنِ] يَدْأبان في سيرهما و ابارتهما وَدَرْئِهما الظلمات و اصلاحهما ما يُصْلحان من الارض و ابدان و النبات [وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ] يتعاقبان خِلفةً لمعاشكم و سُباتكم [وَاٰتٰىكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَاَلْتُمُوْهُ] مِن للتبعيض اي اتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم - وقرئ مِنْ كُلٍّ بالتنوين وَمَا سَاَلْتُمُوْهُ نفيٌ ومحله النصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه - و يجوز ان يكون ما موصولة على وَاٰتٰىكُمْ مِّنْ كل ذلك ما احتجتم اليه و لم تَصْلح احوالكم و معايشكم الا به فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال [لَا تُحْصُوْهَا] لا تحصروها ولا تطيقوا عدّها و بلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدّوها على الاجمال و اما التفصيل فلا يقدر عليه و لا يعلمه الا الله [اِنَّ الْاِنْسَانَ لَظَلُوْمٌ كَفَّارٌ] يظلم النعمة باغفال شكرها كَفَّارٌ شديد الكفران لها - وقيل ظَلُوْمٌ في الشدة يشكو و يجزع كَفَّارٌ في النعمة يجمع و يمنع - و الانسان للجنس فيتناول الاخيارَ بالظلم والكفران من يُوجَدان منه • [هٰذَا الْبَلَدَ] يعني البلد الحرام اراده لله امنًا و كفاه الله كل باغٍ و ظالم و اجاب فيه دعوة خليله ابراهيم [اٰمِنًا] ذا امن - فان قلت اي فرق بين قوله اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا اٰمِنًا وبين قوله اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ اٰمِنًا - قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها و لا يخافون و في الثاني ان يُخْرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا [وَاجْنُبْنِيْ] - وقرئ وَاجْنِبْنِيْ وفيه ثلث لغات جَنَبه الشرّ و جَنَّبه و اَجْنَبه فاهل الحجاز يقولون جَنِّبني شره بالتشديد واهل نجد جَنَبْني شره و اَجْنِبني و المعنى ثَبِّتْنا و اَدِمْنا على اجتناب عبادتها [وَبَنِيَّ] اراد بنيه من صلبه - و سئل ابن عُيَيْنة كيف عبدت العرب الاصنامَ فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتجّ بقوله وَاجْنُبْنِيْ وَبَنِيَّ اَنْ نَّعْبُدَ الْاَصْنَامَ انما كانت اَنْصابُ حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون

سورة ابراهيم ١٤ الجزء ١٣ ع ١٧

اٰمِنًا وَّاجْنُبْنِيْ وَبَنِيَّ اَنْ نَّعْبُدَ الْاَصْنَامَ ۝ رَبِّ اِنَّهُنَّ اَضْلَلْنَ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ ۚ فَمَنْ تَبِعَنِيْ فَاِنَّهٗ مِنِّيْ ۚ
وَمَنْ عَصَانِيْ فَاِنَّكَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ رَبَّنَآ اِنِّيْٓ اَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِيْ بِوَادٍ غَيْرِ ذِيْ زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ
رَبَّنَا لِيُقِيْمُوا الصَّلٰوةَ فَاجْعَلْ اَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِيْٓ اِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُوْنَ ۝

بذلك الحجر و يُسمّونه الدُّوّار فاستحبّ ان يقال طاف بالبيت و لا يقال دار بالبيت [اِنَّهُنَّ اَضْلَلْنَ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ] فاعوذ بك ان تعصمني و بنيّ من ذلك و انما جُعلن مُضلّات لان الناس ضلّوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا و غرّتهم اي افتتنوا بها و اغترّوا بسببها [فَمَنْ تَبِعَنِيْ] على ملّتي و كان حنيفا مسلما مثلي [فَاِنَّهٗ مِنِّيْ] اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي و ملابسته لي و كذلك قوله مَنْ غَشَّنَا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغشّ ليس من افعالهم و اوصافهم [وَمَنْ عَصَانِيْ فَاِنَّكَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ] تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدأ له فيه و استحدث الطاعة لي - و قيل معناه و من عصاني فيما دون الشرك • [مِنْ ذُرِّيَّتِيْ] بعض اولادي و هم اسمٰعيل و من وُلد منه [بِوَادٍ] و هو وادي مكّة [غَيْرِ ذِيْ زَرْعٍ] لا يكون فيه شيء من زرع قطّ كقوله قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِيْ عِوَجٍ بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير - و قيل للبيت المحرّم لان الله حرّم التعرّض له و التهاون به و جعل ما حوله حرما لمكانه - او لانه لم يزل ممنّعا عزيزا يهابه كل جبّار كالشيء المحرّم الذي حقه ان يجتنب - او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحلّ انتهاكها - او لانه حُرّم على الطوفان اي مُنع منه كما سمّي عتيقا لانه اُعتق منه فلم يستولِ عليه [لِيُقِيْمُوا الصَّلٰوةَ] اللام متعلقة بَاَسْكَنْتُ اي ما اسكنتهم هذا الواديَ الخلاء البلقع من كل مرتفق و مرتزق الّا ليقيموا الصلوٰة عند بيتك المحرّم و يعمروه بذكرك و عبادتك و ما تُعمر به مساجدك و متعبّداتك متبرّكين بالبقعة التي شرّفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقرّبين اليك بالعكوف عند بيتك و الطواف به و الركوع و السجود حوله مستنزلين الرحمة التي اثرت بها سُكّان حرمك [اَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ] افئدة من افئدة الناس و مِنْ للتبعيض و يدلّ عليه ما روي عن مجاهد لو قال اَفْئِدَةَ النَّاسِ لزحمتكم عليه فارس و الروم و الترك و الهند - و يجوز ان يكون مِنْ للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل اَفْئِدَةَ نَاسٍ و انما نكّرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الاٰية نكرة ليتناول بعض الافئدة - و قرئ اٰفِدَةً بوزن عافدة و فيه وجهان - احدهما ان يكون من القلب كقولك اٰدر في اَدْؤُر - و الثاني ان يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون اليهم و يعجلون نحوهم - و قرئ اَفِدَةً و فيه وجهان - ان تطرح الهمزة للتخفيف و ان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين - و ان يكون من اَفِدَ [تَهْوِيْٓ اِلَيْهِمْ] تُسرع اليهم و تطير نحوهم شوقا و نزاعا من قوله • ع • يهوي مخارمها هُوِيَّ الاجدل • و قرئ تُهْوٰى اِلَيْهِمْ على البناء للمفعول من هوى اليه و اهواه غيره - و تَهْوٰى اِلَيْهِمْ من هوِيَ يهوى اذا احبّ ضُمّن معنى تنزع فعُدّي تعديته [وَارْزُقْهُمْ

رَبَّنَآ اِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِيْ وَمَا نُعْلِنُ ۭ وَمَا يَخْفٰى عَلَى اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْاَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاۗءِ ۝ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ وَهَبَ لِيْ عَلَى الْكِبَرِ اِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ ۭ اِنَّ رَبِّيْ لَسَمِيْعُ الدُّعَاۗءِ ۝ رَبِّ اجْعَلْنِيْ

مِنَ الثَّمَرٰتِ] مع سُكْناهم واديا ما فيه شيء منها بان تحلب اليهم من البلاد [لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُوْنَ] النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عزوجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا تُجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد و اكثرها ثمارا و في اي بلد من بلاد الشرق و الغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير و الفواكه المختلفة الازمان من الربيعية و الصيفية و الخريفية في يوم واحد و ليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه و وفقنا لشكر نعمه و ادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم عليه السلام و رزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم * النداء المكرر دليل التضرع و اللجاء الى الله [اِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِيْ وَمَا نُعْلِنُ] تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك و المعنى انك اعلم باحوالنا و ما يُصلحنا و يُفسدنا منا و انت ارحم بنا و انصح لنا منا بانفسنا و لها فلا حاجة الى الدعاء و الطلب و انما ندعوك اظهارا للعبودية لك تخشعا لعظمتك و تذللا لعزتك و افتقارا الى ما عندك و استعجالا لنيل ايادیك و ولها الى رحمتك و كما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة - و عن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يُذكره فقال مثلك لا يُذكّر استقصارا و لا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها - و قيل مَا نُخْفِيْ من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وَمَا نُعْلِنُ من البكاء و الدعاء - و قيل مَا نُخْفِيْ من كآبة الافتراق وَمَا نُعْلِنُ يريد ما جرى بينه و بين هاجر حين قالت له عند الوداع الى مَن تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف [وَمَا يَخْفٰى عَلَى اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ] من كلام الله عزوجل تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ - او من كلام ابرهيم يعني وَمَا يَخْفٰى على الله الذي هو عالم الغيب مِنْ شَيْءٍ في كل مكان و من لا ستغراق كانه قيل وما تخفى عليه شيء ما * [عَلَى] في قوله عَلَى الْكِبَرِ بمعنى مع كقوله

شعر * اني على ما ترين من كبري * اعلم من حيث تؤكل الكتف * وهو في موضع الحال معناه وهب لي و انا كبير و في حال الكبر - روي ان اسمعيل وُلد له و هو ابن تسع و تسعين سنة ووُلد له اسحق و هو ابن مائة و ثنتي عشرة سنة - و قد روي انه وُلد له اسمعيل لاربع و ستين و اسحق لتسعين - وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة - و انما ذكر حال الكبر لان المدة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع اليأس من الولادة و الظفر بالحاجة على عقب اليأس من اجل النعم و احلاها في نفس الظافر و لان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم [اِنَّ رَبِّيْ لَسَمِيْعُ الدُّعَاۗءِ] كان قد دعا ربه و سأله

مُقِيمَ الصَّلٰوةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ق رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۝ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ۝ ع

الولد فقال رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصّٰلِحِينَ فشكر لله ما اكرمه به من اجابته - فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يُجبه - قلت هو من قولك سمع الملك كلامَ فلان اذا اعتدّ به و قبله و منه سمع الله لمن حمده و في الحديث ما اذن الله لشيء كأذنه لنبيّ يتغنّى بالقرآن - فان قلت ما هذه الاضافة اضافةُ السَّميع الى الدُّعاء - قلت اضافة الصفة الى مفعولها و اصله لَسميعٌ الدعاءَ و قد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عملَ الفعل كقولك هذا ضَرُوبُ زيدًا و ضَرَّابُ اخاه و مِنحارٌ ابلَهُ و حِذرٌ امورًا و رحيمٌ اباه - و يجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله و يجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي و المراد سماع الله [وَمِنْ ذُرِّيَّتِي] و بعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجْعَلْنِي و انما بعّض لانه علمَ باعلام الله انه يكون في ذريته كفّار و ذلك قوله لَا يَنَالُ عَهْدِي الظّٰلِمِينَ [وَتَقَبَّلْ دُعَائِي] اي عبادتي و اَعتزالكم و ما تَدْعون من دون الله - في قراءة لُبَيّ وَلِأَبَوَيَّ - و قرأ سعيد بن جبير وَ لِوَالِدِيَّ على الافراد يعني اباه - و قرأ الحسن من عليّ رضي الله عنهما وَلِوَلَدَيَّ يعني اسمٰعيل و اسحٰق - و قرئ لِوُلْدِيَّ بضم الواو و الوُلْد بمعنى الولد كالعُدْم و العَدَم - و قيل جمع وَلَد كأَسَد في أُسْد - و في بعض المصاحف وَلِذُرِّيَّتِي - فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين - قلت هو من مجوّزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الّا بالتوقيف - و قيل اراد بوالديه آدمَ و حوّاءَ - و قيل بشرط الاسلام و يأباه قوله الأَوَّل اِبْرٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم [يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ] اي يثبت و هو مستعار من قيام القائم على الرجل و الدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها و نحوه قولهم ترجّلت الشمس اذا اشرقت و ثبت ضوءها كانها قامت على رجل - و يجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا - او يكون مثل وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ - و عن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يَعْبد احد من ولده صنما بعد دعوته وَجَعَل البلد آمنا و رَزَق اهله و جعله اماما و جعل في ذريته من يُقيم الصلوٰة واراه مناسكه و تاب عليه - و عن ابن عباس انه قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابراهيم رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم - فان قلت يتعالى الله عن السهو و الغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو اعلم الناس به غافلا حتى قيل [وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غَافِلًا] - قلت ان كان خطابا لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم ففيه وجهان - احد هما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب اللّٰهَ غافلا كقوله وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ كما جاء في الامر يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ - و الثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء و انه معاقبهم على قليله و كثيره على سبيل الوعيد و التهديد كقوله وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ تريد الوعيد - و يجوز ان يراد و لا تحسبنّه

سورة ابرهيم ١٤ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظّٰلِمُوْنَ ۚ اِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيْهِ الْاَبْصَارُ ۝ مُهْطِعِيْنَ مُقْنِعِيْ
الحزء ١٣ رُءُوْسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ اِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۚ وَاَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝ وَاَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَاْتِيْهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا رَبَّنَآ اَخِّرْنَآ
ع ١٨ اِلٰٓى اَجَلٍ قَرِيْبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ اَوَلَمْ تَكُوْنُوْٓا اَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ ۝

يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير و القطمير - و ان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سوال فيه - و عن ابن عُيَيْنَة تسلية للمظلوم و تهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب و قال انما قاله مَنْ علمه - و قرئ يُؤَخِّرُهُمْ بالنون و الياء [تَشْخَصُ فِيْهِ الْاَبْصَارُ] اي ابصارهم لا تقرّ في اماكنها من هول ما ترى [مُهْطِعِيْنَ] مسرعين الى الداعي - و قيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئيّ تديم النظر اليه لا تطرف [مُقْنِعِيْ رُءُوْسِهِمْ] رافعيها [لَا يَرْتَدُّ اِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ] لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون و لكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان - او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم [هَوَآءٌ] الخلاء الذي لم تشغله الاجرام تُوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جَبَانًا لا قوّة في قلبه و لا جرأة و يقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير • ع • من الظلمان جُؤْجُؤُه هواءُ • لان النعام مثل في الجُبن و الحُمق وقال حسان • ع • فانت مجوّف نخبٌ هواءُ - و عن ابن جُرَيج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه - و قال ابو عبيد جوف لا عقول لهم [يَوْمَ يَاْتِيْهِمُ الْعَذَابُ] مفعول ثان لاَنْذِرْ وهو يوم القيمة و معنى [اَخِّرْنَآ اِلٰٓى اَجَلٍ قَرِيْبٍ] رُدّنا الى الدنيا و اَمْهِلْنا الى امد وحدّ من الزمان قريب نتدارك ما فرّطنا فيه من اجابة دعوتك و اتّباع رسلك - او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل - او يوم موتهم معذبين بشدّة السكرات و لقاء الملائكة بالشرى و انهم يسْئلون يومئذ ان يؤخّرهم ربّهم الى اجل قريب كقوله لَوْلَآ اَخَّرْتَنِيْٓ اِلٰٓى اَجَلٍ قَرِيْبٍ فَاَصَّدَّقَ [اَوَلَمْ تَكُوْنُوْٓا اَقْسَمْتُمْ] على ارادة القول و فيه وجهان - ان يقولوا ذلك بطرًا و اشرًا و لما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه - و ان يقولوه بلسان الحال حيث نَزَوا شديدا و املوا بعيدا و [مَا لَكُمْ] جواب القسم و انما جاء بلفظ الخطاب لقوله اَقْسَمْتُمْ و لو حكي لفظ المقسمين لقيل ما لنا [مِّنْ زَوَالٍ] و المعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت و الفناء - و قيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله وَاَقْسَمُوْا بِاللّٰهِ جَهْدَ اَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللّٰهُ مَنْ يَّمُوْتُ - يقال سكن الدار و سكن فيها و منه قوله تعالى [وَسَكَنْتُمْ فِيْ مَسٰكِنِ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْٓا اَنْفُسَهُمْ] لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديته بفي كقولك قرّ في الدار و غنيَ فيها و اقام فيها ولكنه لما نُقل الى سكون خاص تُصُرّف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوّأها و اوطنها - و يجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قرّوا فيها و اطمأنّوا طيّبي النفوس سائرين سيرةَ من قبلهم في الظلم و الفساد لا يحدّثونها بما لقي الاولون من ايام الله و كيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا و يرتدعوا [وَتَبَيَّنَ لَكُمْ] بالاخبار و المشاهدة كيف اهلكناهم و انتقمنا منهم - و قرئ وَنُبَيِّنُ لَكُمْ بالنون

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسٰكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا اَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْاَمْثَالَ ۝ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ
وَعِنْدَ اللّٰهِ مَكْرُهُمْ ۭ وَاِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُوْلَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۝ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهٖ رُسُلَهٗ ۭ اِنَّ اللّٰهَ
عَزِيْزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۝ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْاَرْضُ غَيْرَ الْاَرْضِ وَالسَّمٰوٰتُ وَبَرَزُوْا لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝ وَتَرَى الْمُجْرِمِيْنَ

[وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْاَمْثَالَ] اي صفات ما فعلوا و ما فُعل بهم و هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم [وَقَدْ مَكَرُوْا مَكْرَهُمْ] اي مَكْرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جُهدهم [وَعِنْدَ اللّٰهِ مَكْرُهُمْ] لا يخلو امّا ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على معنى و مكتوبٌ عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظمُ منه - او يكونَ مضافا الى المفعول على معنى وَعِنْدَ اللّٰهِ مَكْرُهُمُ الذي يمكرهم به و هو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون و لا يحتسبون [وَاِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُوْلَ مِنْهُ الْجِبَالُ] و ان عظم مكرهم و تبالغ في الشدة تَضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه و شدته اي و ان كان مكرهم مسوًّى لازالة الجبال معدًّا لذلك - وقد جعلت اِنْ نافية و اللام موكّدة لها كقوله تعالى وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِيعَ اِيمَانَكُمْ و المعنى و محال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله و شرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا و تمكّنا و تنصره قراءة ابن مسعود وَمَا كَانَ مَكْرُهُمْ - و قرئ لَتَزُوْلُ بلام الابتداء على و ان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال و تنقلع عن اماكنها - و قرأ عليّ و عمر رضي الله عنهما وَاِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ * [مُخْلِفَ وَعْدِهٖ رُسُلَهٗ] يعني قوله اِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا - كَتَبَ اللّٰهُ لَاَغْلِبَنَّ اَنَا وَرُسُلِيْ - فان قلت هلا قيل مُخلفَ رسلِه وعدَهُ و لم قدّم المفعول الثاني على الاول - قلت قدّم الوعد ليُعلم انه لا يُخْلف الوعد اصلا كقوله اِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيْعَادَ ثم قال رُسُلَهُ ليؤذن انه اذا لم يُخلف وعده احدا و ليس من شانه اخلاف المواعيد كيف يُخلفه رسلَهُ الذين هم خِيَرَته و صفْوته - و قرئ مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهِ بجرّ الرسل و نصب الوعد و هذه في الضعف كمن قرأ قَتْلَ اَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ [عَزِيْزٌ] غالب لا يمكر [ذُو انْتِقَامٍ] لاوليائه من اعدائه - [يَوْمَ تُبَدَّلُ الْاَرْضُ] انتصابه على البدل من يَوْمَ يَاْتِيْهِمْ - او على الظرف للانتقام و المعنى يوم تُبدّل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غيرَ هذه المعروفة و كذلك السموات - و التبديلُ التغيير و قد يكون في الذوات كقولك بدّلت الدراهمَ دنانيرَ و منه بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا - وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ - و في الاوصاف كقولك بدّلت الحلقة خاتمًا اذا اذبتَها و سوّيتها خاتما فغلتها من شكل الى شكل و منه قوله تعالى فَاُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّاٰتِهِمْ حَسَنٰتٍ - و اختلف في تبديل الارض و السموات فقيل تبدّل اوصافها فتسيّر على الارض جبالها و تُفجّر بحارها و تسوّى فلا يرى فيها عِوج و لا اَمْتٌ - و عن ابن عباس هي تلك الارض و انما تغيّر و تُمدّ * شعر * و ما الناس بالناس الذين عهدتهم * و لا الدار بالدار التي كنتَ تعلمُ * و تبدّلُ السماء بانتثار كواكبها و كسوف شمسها و خسوف قمرها و انشقاقها و كونها ابوابا - وقيل تُخلق بدلها ارض و سموات اُخر - و عن ابن مسعود و انس تُحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة - و عن عليّ رضي الله عنه تُبدّل ارضا

سورة ابراهيم ١٤ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ۝ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ط
جزء ١٣ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝ ع
ع ١٨

من فضّة وسموات من ذهب - وعن الضحاك ارضا من فضّة بيضاء كالصحائف - وقرئ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ بالنون - فان قلت كيف قال [الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ] - قلت هو كقوله لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ لان الملك اذا كان لواحد غلّاب لا يغالَبُ ولا يعازّ فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامرُ في غاية الصعوبة والشدة * [مُقَرَّنِينَ] قُرِن بعضهم مع بعض او مع الشياطين - او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغلّلين وقوله [فِي الْأَصْفَادِ] اما ان يتعلق بمُقَرَّنِينَ اي يقرّنون في الاصفاد - واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرّنين مُصَفَّدين - والاصفادُ القيود - وقيل الاغلال وأُنشد لسلامة بن جندل * شعر * وزيدُ الخيل قد لاقى صفادا * يعضّ بساعد وبعظم ساق * [الْقَطِرَانِ] فيه ثلث لغات قَطِرَانٌ وقَطْرَانٌ وقِطْرَانٌ بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلّب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فتُهنأ به الابل الجربى فيُحرق الجربَ بحرّه وحدّته والجلدَ وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون مُنتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القُمُص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللونُ الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعد الله او اوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادَرُ قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسمّيات ثمه فبكرمه الواسع نعوذُ من سَخَطه ونسأله التوفيقَ فيما يُنجينا من عذابه - وقرئ مِنْ قِطْرٍ آنٍ والقطر النحاس او الصفر المُذاب والآني المتناهي حرّه [وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ] كقوله تعالى أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ لان الوجه اعزّ موضع في ظاهر البدن واشرفُهُ كالقلب في باطنه ولذلك قال تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ - وقرئ وَتَغَشَّىٰ وُجُوهَهُمْ بمعنى تتغشى اي يفعل بالمجرمين ما يفعل [لِيَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ] مجرمة [مَا كَسَبَتْ] - او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم عُلم انه يثيب المطيعين لطاعتهم * [هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ] كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله وَلَا تَحْسَبَنَّ الى قوله سَرِيعُ الْحِسَابِ [وَلِيُنذَرُوا] معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا [بِهِ] بهذا البلاغ - وقرئ وَلِيَنْذَرُوا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعدّ له [وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ] لانهم اذا خافوا ما أُنذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية امّ الخير كله - عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مَنْ قرأ سورة ابراهيم أُعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مَن عبد الاصنام وعدد مَن لم يعبد *

كلماتها ٦٦٣ — سورة الحجر مكية و هي تسع و تسعون اية و ستة ركوعا — حروفها ٢٩٠٧ — سورة الحجر ١٥ الجزء ١٤ ع ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايت الكتب و قرءان مبين ◎ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ◎ ذرهم ياكلوا و يتمتعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون ◎ و ما اهلكنا من قرية الا و لها كتاب معلوم ◎ ما تسبق من امة اجلها

سورة الحجر

[تلك] اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات - و الكتاب و القرآن المبين السورة و تنكير القرآن للتفخيم و المعنى تلك ايات الكتاب الكامل في كونه كتابا و اي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال و الغرابة في البيان * قرئ ربما - و ربتما بالتشديد - و ربما بالضم و الفتح مع التخفيف - فان قلت لم دخلت على المضارع و قد ابوا دخولها الا على الماضي - قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود - فان قلت متى تكون ودادتهم - قلت عند الموت - او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم و حال المسلمين - و قيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار و هذا ايضا باب من الودادة - فان قلت فما معنى التقليل - قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك و ربما ندم الانسان على ما فعلت و لا يشكون في تندمه و لا يقصدون تقليله و انهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل ان العقلاء يتحذرون من التعرض للغم المظنون كما يتحذرون من المتيقن و من القليل منه كما من الكثير و كذلك المعنى في الاية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف و هم يودونه في كل ساعة و [لو كانوا مسلمين] حكاية ودادتهم و انما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن و لو قيل حلف بالله لافعلن و لو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا - و قيل تذهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل * [ذرهم] يعني اقطع طمعك من ارعوائهم و دعهم عن النهي عما هم عليه و الصد عنه بالتذكرة و النصيحة و خلهم ياكلوا و يتمتعوا بدنياهم و تنفيذ شهواتهم و يشغلهم املهم و توقعهم لطول الاعمار و استقامة الاحوال و ان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا [فسوف يعلمون] سوء صنيعهم و الغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان و انهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه و انه لا زاجر لهم و لا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ و لا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم و شانهم و لا يشتغل بما لا طائل تحته و ان يداغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة و فيه الزام للحجة و مبالغة في الانذار و اعذار فيه و فيه تنبيه على ان ايثار التلذذ و التنعم و ما يؤدي اليه طول الامل و هذه هجيري اكثر الناس ليس

سورة الحجر ١٥ الجزء ١٤ ع ١٩ وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۝ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

من اخلاق المؤمنين - وعن بعضهم التمرغ فى الدنيا من اخلاق الهالكين - وَلَهَا كِتَابٌ جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال فى الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني و عليه ثوب [كِتَابٌ مَعْلُومٌ] مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبُيّن الا ترى الى قوله [مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا] في موضع كتابها و انّث الامة اولا ثم ذكرها أخرا حملا على اللفظ والمعنى و قال [وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ] بحذف عنه لانه معلوم • قرأ الاعمش يَا أَيُّهَا الَّذِي أُلْقِيَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ و كان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ و كيف يُقرون بنزول الذكر عليه و ينسبونه الى الجنون و التعكيسُ في كلامهم للاستهزاء و التهكُّم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها بَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ - إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ و قد يوجد كثيرا في كلام العجم و المعنى انك لتقول قول المعاندين حين تدّعي ان الله نزّل عليك الذكر - لَوْ رُكِّبَتْ مع لا و مَا لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره و معنى التحضيض و اما هَلْ فلم تركّب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل • شعر • لوما الحياء و لوما الدين عِبتكما • ببعض ما فيكما اذ عِبتما عوري • والمعنى هلا تأتينا بالملئكة يشهدون بصدقك و يعضدونك على ادراك كقوله تعالى لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا - او هلا تأتينا بالملئكة للعقاب على تكذيبك ان كنت صادقا كما كانت تأتى الامم المكذّبة برسلها • قرئ تُنَزِّلُ بمعنى تتنزل و تُنَزَّلُ على البناء للمفعول من نزّل - و [نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ] بالنون و نصب الملئكة [إِلَّا بِالْحَقِّ] الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تأتيكم عيانا تشاهدونهم و يشهدون لكم بصدق النبي لانكم حينئذ مصدّقون عن اضطرار وهذه قوله تعالى وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ - و قيل الحق الوحي او العذاب و [إِذًا] جواب وجزاء لانه جواب لهم و جزاء الشرط مقدر تقديره و لو نزلنا الملئكة ما كانوا مُنْظَرِين وما أُخّر عذابهم • [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ] ردّ لانكارهم و استهزائهم في قولهم يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ لذلك قال إِنَّا نَحْنُ فأكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي بعث به جبرئيل الى مُحَمَّد صلّى الله عليه و آله و سلّم وبين يديه و من خلفه رصد حتى نزل وبُلّغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة و نقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتولّ حفظها و انما استحفظها الربانيين و الاحبارَ فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه - فان قلت فحين كان قوله إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ردّا لانكارهم و استهزائهم فكيف اتصل به قوله [وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] - قلت قد جعل ذلك دليلا على انه مُنْزَل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرّق عليه الزيادة و النقصان كما

لَحٰفِظُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝
كَذٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا
مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ۝ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ
بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ۝
وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ
لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ۝ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ

يتطرّق على كل كلام سواه - و قيل الضمير في لَهُ لرسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم كقوله تعالى وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ [فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ] في فِرَقهم و طوائفهم و الشيعةُ الفرقة اذا اتفقوا على مذهب و طريقة و معنى أَرْسَلْنَاه فيهم نبأناه فيهم و جعلناه رسولا فيما بينهم • [وَمَا يَأْتِيهِمْ] حكاية حال ماضية لان مَا لا يدخل على مضارع الّا و هو في معنى الحال و لا على ماضٍ الّا و هو قريب من الحال • يقال سلكتُ الخيط في الإبرة و اسلكتُهُ اذا ادخلتَهُ فيها و نظمتَهُ - و قرئ نُسْلِكُهُ و الضمير المذكر اي مثل ذلك السلك و نحوه نسلك الذكر [فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ] على معنى انه يُلقيه في قلوبهم مكذّباً مستهزأ به غيرَ مقبول كما لو انزلتَ بلئيم حاجةً فلم يُجبك اليها فقلت كذلك أُنزلها بالئام تعني مثل هذا الانزال أُنزلها بهم مردودة غير مقضيّة - و محل قوله [لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ] النصب على الحال اي غير مؤمن به - او هو بيان لقوله كَذٰلِكَ نَسْلُكُهُ [سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ] طريقتهم التي سَنّها اللّٰه في اهلاكهم حين كذّبوا برسلهم و بالذكر لمنزل عليهم و هو وعيد لاهل مكّة على تكذيبهم - قرئ [يَعْرُجُونَ] بالضم و الكسر و [سُكِّرَتْ] حُيّرت او حُبست من الابصار من السُّكر او السكر - و قرئ سُكِّرَتْ بالتخفيف اي حُبست كما يحبس النهر من الجري - و قرئ سَكِرَتْ من السُّكر اي حارت كما يُحار السَّكران و المعنى ان هٰؤلاء المشركين بلغ من غلوّهم في العناد انّ لو فُتح لهم باب من ابواب السماء و يسّر لهم معراج يصعدون فيه اليها و رأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له و لقالوا قد سحرنا مُحَمَّدٌ بذلك - و قيل الضمير للملئكة اي لو اريناهم الملئكة يصعدون في السماء عياناً لقالوا ذلك - و ذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون - و قال انّما ليدلّ على انهم يبتّون القول بان ذلك ليس الّا تسكيراً للابصار [مَنِ اسْتَرَقَ] في محل النصب على الاستثناء - او في محل الجر بدلا من كُلِّ شَيْطَانٍ - و عن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما وُلد عيسى مُنعوا من ثلث سموات فلما وُلد مُحَمَّد مُنعوا من السموات كلها [شِهَابٌ مُبِينٌ] ظاهر للمبصرين • [مَوْزُونٍ] وُزن بميزان الحكمة وقُدّر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة و لا نقصان - او له وزن وقدر في ابواب النعمة و المنفعة - و قيل ما يوزن من نحو الذهب و الفضة و النحاس و الحديد و غيرها • [مَعَايِشَ] بياء صريحة بخلاف الشمائل و الخبائث و نحوها فان تصريح الياء فيها خطأ و الصواب الهمزة او اخراجُ

سورة الحجر ١٥ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ۖ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
الجزء ١٤ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ع
ع ٢ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ

الياء بين بين - و قد قرئ مَعَائِشَ بالهمز على التشبيه [وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ] عطف على مَعَايِشَ - او على محل لَكُمْ كانه قيل وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَجعلنا لكم مَّن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ - او وَجَعَلْنَا لَهُم مَّعَايِشَ وَلِمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ و اراد بهم العيال و المماليك و الخدم الذين يحسبون انهم يَرْزقونهم و يخطئون فان الله هو الرزاق يرزقكم و اياهم و يدخل فيه الانعام و الدواب و كل ما يتلك المذابة مما الله رازقه و قد سبق الى ظنهم انهم الرازقون - و لا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لَكُمْ لانه لا يعطف على الضمير المجرور * ذكر الْخَزَائِن تمثيل و المعنى و ما من شيء ينتفع به العباد الا و نحن قادرون على ايجاده و تكوينه و الانعام به و ما نُعْطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور [لَوَاقِحَ] فيه قولان - احدهما ان الريح لا تلقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب مطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم - و الثاني ان اللواقح بمعنى المَلَاقح كما قال * ع * و مختبط مما تُطيح الطوائحُ * يريد المَطَاوح جمع مُطيحة - و قرئ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ على تاويل الجنس [فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ] فجعلناه لكم سُقيا [وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ] نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء و انزاله منها و ما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته و اظهار العجز هم * [وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ] اي الباقون بعد هلاك الخلق كله - و قيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه و منه قوله صلى الله عليه و آله و سلم في دعائه و اجعله الوارث منا * [وَلَقَدْ عَلِمْنَا] من استقدم ولادة و موتا و من تاخر من الاولين و الآخرين - او مَن خرج من اصلاب الرجال و من لم يخرج بعد - او من تقدم في الاسلام و سبق الى الطاعة و من تاخر - و قيل الْمُسْتَقْدِمِينَ في صفوف الجماعة و الْمُسْتَأْخِرِينَ - و روى ان امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها و بعض يستاخر ليبصرها فنزلت * [هُوَ يَحْشُرُهُمْ] اي هو وحده القادر على حشرهم ; لعلم بحصرهم مع كثرتهم و تباعد اطراف عددهم [إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ] باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة و الصواب و قد احاط علما بكل شيء * [الصَّلْصَال] الطين اليابس الذي يُصلصل و هو غير مطبوخ و اذا طُبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل و ان توهمت فيه ترجيعا فهو صَلْصَلة - و قيل هو تضعيف صَلَّ اذا انتن - و الحمأ الطين الاسود المتغير - و المسنون المصور من سنة الوجه - و قيل المصبوب المُفْرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها -

رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا
لَهُ سَٰجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ ۖ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ ۝ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا
لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ ۝ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ قَالَ
فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ۝ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝
قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

وقيل المُنْتن من سننتُ الحجر على الحجر اذا حككتَهُ به فالذي يسيل بينهما سنينٌ ولا يكون الا منتنا [مِّنْ حَمَإٍ] صفة لصَلْصَالٍ اي خلقه من صلصال كائن من حمأ وحق مَّسْنُونٍ بمعنى مصوّر ان يكون صفة لصَلْصَالٍ كانه افرغ الحمأ فصوّر منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيّره بعد ذلك الى جوهر آخر [وَ الْجَآنَّ] للجن كآدم للناس - و قيل هو ابليس - وقرأ الحسن و عمر بن عبيد وَالْجَآنَّ بالهمز [مِنْ نَّارِ السَّمُومِ] من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءً من سموم النار التي خلق الله منها الجانّ * [وَ اِذْ قَالَ رَبُّكَ] و اذكر وقت قوله * [سَوَّيْتُهُ] عدلت خلقته و اكملتها و هيأتها لنفخ الروح فيها و معنى [وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي] و احييته و ليس ثمه نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به ميته * واستثنى ابليس من الملئكة لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلّب اسم الملئكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم القوم الا زيدا و [أَبَىٰٓ] استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك و استكبر عنه - وقيل معناه ولكن ابليس ابى - حرف الجر مع ان محذوف تقديره [مَا لَكَ] في [أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ] بمعنى اي غرض لك في ابائك السجود واي داع لك اليه * اللام في [لِأَسْجُدَ] للتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني و ينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر - [رَجِيمٌ] شيطان من الذين يرجمون بالشهب - او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة و الابعاد منها - و الضمير في مِنْهَا راجع الى الجنة - او السماء - او الى جملة الملئكة - و غرب يَوْمِ الدِّينِ جدا لان اللعنة انما لازمه بعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقولهم مَا دَامَتِ السَّمٰوٰتُ وَ الْأَرْضُ في التاييد - و اصل ان يراد انك مذموم مدعوّ عليك باللعن في السموات و الارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عُذبت بما ينسى اللعن معه - و يَوْمِ الدِّينِ - و يَوْمِ يُبْعَثُونَ - و يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ في معنى واحد و لكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة - و قيل انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يُبْعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يُجَبْ الى ذلك و انظر الى آخر ايام التكليف [بِمَآ أَغْوَيْتَنِي] الباء للقسم و مَا مصدرية و جواب القسم [لَأُزَيِّنَنَّ] و المعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيّه بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فاداه ذلك الى غيّه و ما الامر بالسجود الا حسن و تعريض للثواب بالتواضع و الخضوع لامر الله و لكن ابليس اختار الاباء و الاستكبار فهلك والله تعالى بريء

سورة الحجر ١٥ الجزء ١٤ ع ٣

وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ
عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ۖ لِكُلِّ بَابٍ
مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ۝ ع إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ

من غيّه و من ارادته و الرضاء به و نحو قوله بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ قوله فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ في اند إقسام الا ان احدهما اقسام بصفته و الثاني اقسام بفعله - و قد فَرّق الفقهاء بينهما - و يجوز ان لا يكون قسما و يقدر قسم محذوف و يكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اُقسم لافعلنّ بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازيّن لهم المعاصيَ و اُوَسْوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم [فِي الْأَرْضِ] في الدنيا اللتي هي دار الغرور كقوله تعالى اَخْلَدَ اِلَى الْاَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوٰىهُ - او اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدرُ - او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارضَ ولاوقعنّ تزييني فيها اي لازينّنها في اعينهم ولاحدّثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخرة و يطمئنّوا اليها دونها ونحوه • ع • يجرح في عراقيبها نَصْلي • استثنى الْمُخْلَصِينَ لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم و لا يقبلون منه • اي [هٰذَا] طريق حق [عَلَيَّ] اُن اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته - و قرئ عُلِيٌّ وهو من علو الشرف والفضل [لَمَوْعِدُهُمْ] الضمير لِلْغَاوِينَ - و قيل ابواب النار اطباقها وَدَرَاكها - فاعلاها للموحّدين - و الثاني للمقتصدين - و الثالث للنصارى - و الرابع للصابئين - والخامس للمجوس - والسادس للمشركين - والسابع للمنافقين - و عن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية - و لظىً لعَبَدة النار - و الحُطَمة لعَبَدة الاصنام - وسقر لليهود - والسعير للنصارى - والجحيم للصابئين - والهاوية للموحّدين - و قرئ جُزْءٌ بالتخفيف والتثقيل - وقرأ الزهري جُزٌّ بالتشديد كانه حذف الهمزة و القى حركتها على الراء كقولك خَبٌّ في خَبءٍ ثم وقف عليه بالتشديد كقوله الرجلّ ثم اجرى الوصل مجرى الوقف • المتّقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نُهي عنه - و عن ابن عباس اتقوا الكفر و الفواحش و لهم ذنوب تكفّرها الصلوات و غيرها [اُدْخُلُوهَا] على ارادة القول - وقرأ الحسن اُدْخِلُوهَا [بِسَلْمٍ سالمين - اومسلّما عليكم تسلّم عليكم الملئكة [الغِلّ] الحقد الكامن في القلب من الغَلّ في جوفه وتغاغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غلّ على اُخر نزع الله ذلك من قلوبهم و طيّب نفوسهم - و عن عليّ رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة و الزبير منهم - و عن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له عليٌّ مرحبا بك يا ابنَ اخي انا و الله لارجو ان اكون انا و ابوك ممن قال الله تعالى وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ فقال له قائل كلّا الله اعدلُ من ان يجمعك و طلحةَ في مكان واحد فقال وممن هذه الاية لا امّ لك - و قيل معناه طهّر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة و نزع منها كل غلّ والقى فيها تودّد والتحابّ - و [اِخْوَانًا] نصب على

إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا
سَلَامًا ۖ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ
الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا

الحال و [عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ] كذلك - و عن مجاهد تدور بهم الاسرة حيث ما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين • لما اتم ذكر الوعد و الوعيد اتبعه [نَبِّئْ عِبَادِي] تقريرا لما ذكر و تمكينا له في النفوس - و عن ابن عباس غفورٌ لمن تاب و عذابه لمن لم يتب - و عطف [وَنَبِّئْهُمْ] على نَبِّئْ عِبَادِي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرةً يعتبرون بها سخط الله و انتقامه من المجرمين و يتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم [سَلَامًا] اي نسلم عليك سلما - او سلمت سلاما [وَجِلُونَ] خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل - و قيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت - و قرأ الحسن لَا تُوجَلْ بضم التاء من اوجله يُوجله اذا اخافه - و قرئ لَا تَأْجَلْ - وَلَا تُوَاجَلْ من واجله بمعنى اوجله - و قرئ نُبَشِّرُكَ بفتح النون و التخفيف [إِنَّا نُبَشِّرُكَ] استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل ارادوا انك بمثابة الآمن المبشَّر فلا توجل • يعني [أَبَشَّرْتُمُونِي] مع مسّ الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر [فَبِمَ تُبَشِّرُونَ] هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فبأيّ اعجوبة تبشرونني - او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فبأيّ شيء تبشرون يعني لا تبشرونني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء - و يجوز ان لا يكون صلة لَبَشَّر و يكون سؤالا عن الوجه و الطريقة يعني بأيّ طريقة تبشرونني بالولد و البشارةُ به لا طريقة لها في العادة • و قوله [بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ] يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشّرناك باليقين الذي لا لبس فيه - او بشّرناك بطريقة هي حق وهي قولُ الله و وعدُه و انه قادر على ان يُوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فانٍ و عجوز عاقر - و قرئ تُبَشِّرُونِ بفتح النون و بكسرها على حذف نون الجمع و الاصل تبشرونني - و تُبَشِّرُونْ بادغام نون الجمع في نون العماد - و قرئ مِنَ الْقَانِطِينَ من قنط يقنَطُ - و قرئ وَمَنْ يَقْنَطُ بالحركات الثلث في النون اراد وَمَن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريقَ الصواب او الا الكافرون كقوله لَا يَايْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله - فان قلت قوله تعالى [إِلَّا آلَ لُوطٍ] استثناء متصل ام منقطع - قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان - و ان يكون استثناء من الضمير في مُجْرِمِينَ فيكون متصلا لانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ - فان قلت هل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين - قلت نعم و ذلك ان آل لوط مخرَجون

سورة الحجر ١٥ الْمُرْسَلُونَ ۝ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ۝ إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ
الجزء ١٤ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ۝ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۝
ع ٤ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ

في المنقطع من حكم الارسال و على انهم أُرسلوا الى القوم المجرمين خاصة و لم يرسلوا الى آل لوط عملا - و معنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب و الاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين و لكن آل لوط انجيناهم - و اما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال و على ان الملئكة أُرسلوا اليهم جميعا ليُهلكوا هؤلاء و يُنجُوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلّصا بمعنى الاهلاك و التعذيب كما في الوجه الاول - فان قلت فقوله [إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ] بم يتعلق على الوجهين - قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكنْ في الاتصال بآلَ لُوطٍ لان المعنى لكن آل لوط منجّون و اذا اتصل كان كلاما مستانفا كانّ ابرهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انّا لَمُنَجُّوهُمْ - فان قلت قوله [إِلَّا امْرَأَتَهُ] ممّ استثني وهل هو استثناء من استثناء - قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لَمُنَجُّوهُمْ و ليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه - و ان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلّق انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة - و في قول المقرّ لفلان عليّ عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان إِلَّا آلَ لُوطٍ متعلق بأَرْسَلْنَا او بمُجْرِمِينَ و إِلَّا امْرَأَتَهُ قد تعلق بمُنَجُّوهُمْ فانّى يكون استثناءً من استثناء - و قرئ لَمُنْجُوهُمْ بالتخفيف و التثقيل - فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله [قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ] و التعليق من خصائص افعال القلوب - قلت لتضمّن فعل التقدير معنى العلم و لذلك فسّر العلماء تقدير الله اعمالَ العباد بالعلم - فان قلت فلم أسند الملئكة فعل التقدير و هو لله وحده الى انفسهم و لم يقولوا قدّر الله - قلت لما لهم من القرب و الاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصّةُ الملك دبّرنا كذا و امرّنا بكذا و المدبر و الآمر هو الملك لا هم و انما يُظهرون بذلك اختصاصهم و انهم لا يتميّزون عنه - و قرئ قَدَرْنَا بالتخفيف [مُنْكَرُونَ] اي تُنكركم نفسي و تنفر منكم فاخافُ ان تطرقوني بشرّ بدليل قوله [بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ] اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك و سرورك و تشفيك من عدوّك و هو العذاب الذي كنتَ تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه و يكذبونك [بِالْحَقِّ] باليقين من عذابهم [وَإِنَّا لَصَادِقُونَ] في الاخبار بنزوله بهم - و قرئ [فَأَسْرِ] بقطع الهمزة و وصلها من اسرى وسرى - و روى صاحب الاقليد فَسِرْ من السير - و القِطْعُ في آخر الليل قال - شعر - افتحى الباب و انظري في النجوم - كم علينا من قطع ليل بهيم - و قيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل - فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم و نهيهم عن الالتفات - قلت قد بعث

الَّيْلِ وَاتَّبِعْ اَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ اَحَدٌ وَامْضُوْا حَيْثُ تُؤْمَرُوْنَ ۝ وَقَضَيْنَآ اِلَيْهِ ذٰلِكَ الْاَمْرَ اَنَّ دَابِرَ
هٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوْعٌ مُّصْبِحِيْنَ ۝ وَجَآءَ اَهْلُ الْمَدِيْنَةِ يَسْتَبْشِرُوْنَ ۝ قَالَ اِنَّ هٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِيْ فَلَا تَفْضَحُوْنِ ۝
وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَلَا تُخْزُوْنِ ۝ قَالُوْٓا اَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعٰلَمِيْنَ ۝ قَالَ هٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيْٓ اِنْ كُنْتُمْ فٰعِلِيْنَ ۝ لَعَمْرُكَ

الله اهلاك على قومه و نجاه و اهله اجابة لدعوته عليهم و خرج مهاجراً فلم يكن له بدّ من الاجتهاد في شكر الله و ادامة ذكره و تفريغ باله لذلك فأمر بان يقدّم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطّلعا عليهم و على احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال الهوْلة المحذورة و لئلا يتخلّف منهم احد لغرض له نيصيبه العذاب و ليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدّم سربه و يفوت به - و نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقّوا لهم و ليوطّنوا نفوسهم على المهاجرة و يطيّبوها عن مساكنهم و يمضوا قُدُمًا غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسّر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اَخَادِعَهُ كما قال * شعر * تلفّتُّ نحوَ الحيّ حتى وجدتُني * وجعتُ من الاصغاء ليتًا و اخدعا * او جُعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير و ترك التواني و التوقف لان من يتلفّت لابدّ له من ادنى وقفة [حَيْثُ تُؤْمَرُوْنَ] قيل هو مصر - و عدّي وَامْضُوْا الى حَيْثُ تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة و كذلك الضمير في تُؤْمَرُوْنَ * و عدّي قَضَيْنَا بالى لانه ضمّن معنى اوحينا كانه قيل و اوحينا اليه مقضيًّا مبتوتًا و مسرودًا الامر بقوله [اَنَّ دَابِرَ هٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوْعٌ] و في ابهامه و تفسيره تفخيمٌ للامر و تعظيم له - و قرأ الاعمش اِنَّ بالكسر على الاستيناف كانّ قائلا قال اَخْبِرْنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هٰؤلاء - و في قراءة ابن مسعود وَقُلْنَا اِنَّ دَابِرَهُمْ هٰؤُلَاءِ - و دابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد * [اَهْلُ الْمَدِيْنَةِ] اهل سَدُوم التي ضُرب بقاضيها المثل في الجور مُستبشرين بالملئكة [لَا تَفْضَحُوْنِ] بفضيحة ضيفي لانّ من أُسيء الى ضيفه او جاره فقد أُسيء اليه كما ان من أكرم من يتصل به فقد أكرم [وَلَا تُخْزُوْنِ] ولا تذلّوني بالذال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوّروا بي من الخزاية وهي الحياء [عَنِ الْعٰلَمِيْنَ] أن عن تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا و بينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد و كان يقوم صلى الله عليه و آله و سلم بالنهي عن المنكر و الحجْر بينهم و بين المتعرض له فاوعدوه و قالوا لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يٰلُوْطُ لَتَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِيْنَ - و قيل عن ضيافة الناس و انزالهم و كانوا نهوه ان يضيف احدا قطّ [هٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيْٓ] شارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيّها رجالهم بنوه و نساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن و خلّوا بيني فلا تعرضوا لهم [اِنْ كُنْتُمْ فٰعِلِيْنَ] شكّ في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم و ما اظنّكم تفعلون - و قيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احلّ الله دون ما حرّم [لَعَمْرُكَ] على ارادة القول اي قالت الملئكة لوط عليه السلام لعمرك [اِنَّهُمْ لَفِيْ سَكْرَتِهِمْ] اي غوايتهم التي اذهبت عقولهم و تمييزهم بين الخطاء الذي هم عليه و بين الصواب

سورة الحجر ١٥ الجزء ١٤ ع ٥

إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۝ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً
مِّن سِجِّيلٍ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِن
كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ۝ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۝
وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝
فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ

الذي تُشير به عليهم من ترك البنين الى البنات [يَعْمَهُونَ] يتحيّرون فكيف يقبلون قولك و يُصغون الى نصيحتك - وقيل الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم و انه اقسم بحيوته و ما اقسم بحيوة احد قطّ كرامةً له - والعَمْر و العُمْر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخفّ فيه و ذلك لان الحلف كثير الدور على ألسنتهم و لذلك حذفوا الخبر و تقديره لعمرك مما أُقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله - وقرئ فِي سُكْرِهِمْ - وفِي سَكَرَاتِهِمْ * [الصَّيْحَةُ] صيحة جبرئيل عليه السلام [مُشْرِقِينَ] داخلين في الشروق و هو بزوغ الشمس [مِّن سِجِّيلٍ] قيل من طين عليه كتاب من السجلّ و دليله قوله تعالى حِجَارَةً مِّن طِينٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ اي مُعلمة بكتاب [لِّلْمُتَوَسِّمِينَ] للمتفرّسين المتأمّلين وحقيقة المتوسمين النُّظّار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسّمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه - و الضمير في عَالِيَهَا سَافِلَهَا لقُرى قوم لوط - [وَإِنَّهَا] و ان هذه القُرى يعني آثارها [لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ] ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعدُ و هم يبصرون تلك الآثار و هو تنبيه لقريش كقوله وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ [أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ] قوم شعيب [وَإِنَّهُمَا] يعني قُرى قوم لوط و الايكة - و قيل الضمير للايكة و مدين لانّ شعيبا كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دلّ بذكرها على مدين فجاء بضميرهما [لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ] لبطريق واضح و الامام اسم لما يؤتمّ به فسمّي به الطريق و مطمر البنّاء و اللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتمّ به [أَصْحَابُ الْحِجْرِ] ثمود و الحِجر واديهم و هو بين المدينة و الشام [الْمُرْسَلِينَ] يعني بتكذيبهم صالحا لانّ من كذّب واحدا منهم فكانما كذّبهم جميعا - او اراد صالحا و من معه من المؤمنين كما قيل الخُبَيْبيون في ابن الزبير و اصحابه - وعن جابر مررنا مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على الحِجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الّا ان تكونوا باكين حذرًا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم راحلتَهُ فاسرع حتى خلّفها - [آمِنِينَ] لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدّم و يتداعى بنيانها و من نقب اللصوص [illegible] الاعداء و حوادث الدهر - او آمِنِينَ من عذاب الله [illegible] ان الجبال تحميهم منه [illegible] من بناء البيوت الوثيقة و الاموال و العُدد [لَا [illegible]] [illegible] بسبب العدل و الانصاف يوم الجزاء [illegible] [السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ] و [illegible] من [illegible] ذلك و ايّاهم على

فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ◎ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ◎ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ◎ سورة الحجر ١٥
لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ◎ وَقُلْ إِنِّي الجزء ١٤
ع ٥

حمناذلك و سيّئاتهم فانه ما خلق السموات و الارض و ما بينهما الّا لذلك [فَاصْفَحِ] فَاعْرِضْ عنهم و احتمِلْ ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم و اغضاء - و قيل هو منسوخ بآية السيف - و يجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ] الذي خَلَقَك وخَلقهم و هو [الْعَلِيمُ] بحالك و حالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم و هو يحكم بينكم - او ان ربّك هو الذي خلقكم و علم ما هو الاصلح لكم و قد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلحَ - و في مصحف أُبَيّ و عثمان إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ و هو يصلح للقليل و الكثير و الخَلّاق للكثير لا غير كقولك قطّع الثيابَ و قطّع الثوبَ و الثيابَ * [سَبْعًا] سبعَ آيات وهي الفاتحة - او سبعَ سُوَر و هي الطُّوَل - و اختلف في السابعة - و قيل الانفال و براءة لانهما في حكم سورة و لذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية - و قيل سورة يونس - و قيل هي الْ حٰم - او سبعَ صحائف وهي السباع - و [الْمَثَانِي] من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرّر قراءتها في الصلوٰة وغيرها - او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله - الواحدة مَثْنَاة او مَثْنِيَّة صفة لآية و اما السُّوَر او السباع فلما وقع فيها من تكرير القصص و المواعظ و الوعد و الوعيد و غير ذلك و لما فيها من الثناء كانها تُثْنِي على الله تعالى بافعاله العظمى و صفاته الحسنى - و مِنْ اما للبيان - او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحةَ او الطُّوَل - و للبيان اذا اردت السباع - و يجوز ان يكون كُتب الله كلها مثانيَ لانها تُثْنِي عليه و لما فيها من المواعظ المكررة و يكون القرآن بعضها - فان قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع و هل هو الّا عطف الشيء على نفسه - قلت اذا عُنِي بالسبع الفاتحة او الطُّوَل فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْآنَ يعني سورةَ يوسف - و اذا عُنِيت السباع فالمعنى و لقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني و القرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين و هو الثناء او التثنية والنظم * اي لا تطمحْ ببصرك طموح راغب فيه متمنٍّ له [إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ] اصنافا من الكفّار - فان قلت كيف وصل هذا بما قبله - قلت يقول لرسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم قد أُوتيتَ النعمة العظمى اللتي كُلّ نعمة و ان عظمتْ فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به و لا تمدّ عينيك الى متاع الدنيا و منه الحديث ليس منّا مَن لم يتغنَّ بالقرآن و حديث ابي بكر من أُوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صَغّر عظيما وعَظّم صغيرا - وقيل رأتْ من بُصْرى و اذرعات سبعُ قوافل لليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البزّ و الطيب و الجوهر و سائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوّينا بها و لانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله لقد اعطيتُكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل

سورة الحجر ١٥ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۝ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۝ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝

الجزء ١٤

ع ٥

السبع [وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ] اي لاتتمنّ اموالهم ولاتحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام و ينتعش بهم المؤمنون - و تواضع لمن معك من فقراء المؤمنين و ضعفائهم و طبْ نفسا عن ايمان الاغنياء و الاقوياء [وَقُلْ] لهم [إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ] أُنذركم ببيان و برهان ان عذاب الله نازل بكم - فان قلت بم تعلق قوله [كَمَا أَنْزَلْنَا] - قلت فيه وجهان - احدهما ان يتعلق بقوله وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب و هم المقتسمون [الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ] حيث قالوا بعنادهم و عدوانهم بعضه حق موافق للتورٰية و الانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق و باطل و عضّوه - و قيل كانوا يستهزءون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي و يقول الاٰخر سورة اٰل عمران لي - و يجوز ان يراد بالقراٰن ما يقرؤنه من كتبهم و قد اقتسموه بتحريفهم و بان اليهود اقرّت ببعض التورٰية و كذّبت ببعض و النصارى اقرّت ببعض الانجيل و كذّبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم عن صنيع قومه بالقراٰن و تكذيبهم و قولهم سحر و شعر و اساطير بانّ غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم - والثاني ان يتعلق بقوله وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود و هو ما جرى على قريظة و النضير جُعل المتوقع بمنزلة الواقع و هو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان - و يجوز ان يكون الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ منصوبا بالنَّذِير اي انذر المعضّين الذين يجزّئون القراٰن الى سحر و شعر و اساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين و هم الاثنى عشر الذين اقتسموا مداخل مكّة ايامَ الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفّروا الناس عن الايمان برسول الله يقول بعضهم لا تغترّوا بالخارج منّا فانه ساحر و يقول الاٰخر كذّاب و الاٰخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر و قبله باٰفات كالوليد بن المغيرة و العاص بن وائل و الاسود بن المطّلب وغيرهم - او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيّتوا صالحا عليه السلام والاقتسامُ بمعنى التقاسم - فان قلت اذا علّقت قوله كَمَا أَنْزَلْنَا بقوله وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ فما معنى توسط لَا تَمُدَّنَّ الى اٰخره بينهما - قلت لمّا كان ذلك تسلية لرسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم عن تكذيبهم و عداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم و التأسّف على كفرهم ومن الامر بان يُقبل بمجامعه على المؤمنين - عِضِين اجزاء جمع عِضَة و اصلها عِضوة فعلة من عضّى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة * ع * و ليس دين الله بالمعضّى * وقيل هي فعلة من عَضَهْتُه اذا بهتّه - وعن عكرمة العضة السحر بلغة قريش يقولون للساحر عاضهة و لعن النبيّ صلّى الله عليه و اٰله و سلّم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء - [لَنَسْأَلَنَّهُمْ] عبارة عن الوعيد - و قيل يسألهم سوال تقريع - وعن ابي العالية يُسأل العباد عن خلّتين عما كانوا يعبدون وما ذا اجابوا المرسلين [فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ] فاجهر به و اَظْهره يقال صدع بالحجّة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرّح بها من الصديع و هو الفجر و الصدعُ في

عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ
مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝ ع

كلماتها ١٨٧١ — سورة النحل مكية وهي مائة و ثمان وعشرون اٰية و ستة عشر ركوعا — حروفها ٧٩٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ

الرجاجة الابانة - وقيل فاصْدَعْ فارق بين الحق و الباطل - بِمَا تُؤْمَرُ والمعنى بما تؤمر به من اسرع فحذف الجار كقوله * ع * امرتك الخيرَ فافعل ما أُمرتَ به * ويجوز ان يكون مَا مصدرية اي بامرك مصدر من المبني للمفعول - عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان و شرف الوليدُ بن المغيرة - والعاصُ بن وائل - و الاسودُ بن عبد يغوث - و الاسودُ بن المطلب - و الحرثُ بن الطُّلاطلة - وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبرئيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أُمرتُ ان اكفيكهم - فاومى الى ساق الوليد فمرّ بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات - و اومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لُدغتُ فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات - و اشار الى عين الاسود بن المطلب فعمي - و اشار الى انف الحرث بن قيس فامتخط قيحاً فمات - و الى الاسود بن عبد يغوث و هو قاعد في اصل شجرة فجعل يقطع رأسه بالشجرة و يضرب وجهه بالشوك حتى مات * [بِمَا يَقُولُونَ] من اقاويل الطاعنين فيك و في القرآن [فَسَبِّحْ] فافزعْ فيما نابك الى الله و الفزعُ الى الله هو الذكر الدائم و كثرة السجود يكفك و يكشف عنك الغمّ و دُمْ على عبادة ربك [حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ] اي الموت اي ما دمتَ حيّاً فلا تخلّ بالعبادة - و عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم انه كان اذا حزنه امر فزع الى الصلوٰة - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين و الانصار و المستهزئين بمحمد صلى الله عليه و آله وسلم *

سورة النحل

كانوا يستعجلون ما وُعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاءً و تكذيبا بالوعد فقيل لهم [أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ] الذي هو بمنزلة الآتي الواقع و ان كان منتظرا لقرب وقوعه [فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ] - روي انه لما نزلت اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزلت اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ فاشفقوا و انتظروا فوقها

مِنْ عِبَادِهٖٓ اَنْ اَنْذِرُوْٓا اَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّآ اَنَا فَاتَّقُوْنِ ۝ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ ؕ تَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ۝
خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ فَاِذَا هُوَ خَصِيْمٌ مُّبِيْنٌ ۝ وَالْاَنْعَامَ خَلَقَهَا ۚ لَكُمْ فِيْهَا دِفْءٌ وَّمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَاْكُلُوْنَ ۝

وعما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع الناس رؤسهم فنزلت فَلَا تَسْتَعْجِلُوْهُ فاطمأنوا - وقرئ يَسْتَعْجِلُوْهُ بالتاء والياء [سُبْحٰنَهٗ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ] تبرأ وجل عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء - او عن اشراكهم على ان مَا موصولة او مصدرية - فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم - قلت لان استعجالهم استهزاء و تكذيب و ذلك من الشرك - وقرئ يُشْرِكُوْنَ بالتاء و الياء • قرئ [يُنَزِّلُ] بالتخفيف و التشديد - و قرئ تَنَزَّلُ الْمَلٰٓئِكَةُ اي تتنزل [بِالرُّوْحِ مِنْ اَمْرِهٖ] بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه - او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد - و اَنْ اَنْذِرُوْٓا بدل من الرُّوْح اي ينزلهم بِاَنْ اَنْذِرُوْا و تقديره بانه اَنْذِرُوْا اي بان الشان اقول لكم اَنْذِرُوا - او تكون اَنْ مفسرة لان تنزيل الملئكة بالوحي فيه معنى القول - ومعنى [اَنْذِرُوْٓا اَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّآ اَنَا] اعلموا بان الامر ذلك من انذرت بكذا اذا عامته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لَآ اِلٰهَ اِلَّآ اَنَا فَاتَّقُوْنِ • ثم دل على وحدانيته و انه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان و ما يصلحه وما لا بد منه من خلق البهائم لاكله وركوبه و جر اثقاله و سائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره - وقرئ يُشْرِكُوْنَ بالتاء والياء • [فَاِذَا هُوَ خَصِيْمٌ مُّبِيْنٌ] فيه معنيان - احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مُبِين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به و لا حركة دالة على قدرته - و الثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل مَنْ يُّحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل و التمادي في كفران النعمة - و قيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى النبي صلى الله عليه و اله وسلم فقال يا محمد ترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم • [الْاَنْعَام] الازواج الثمانية و اكثر ما تقع على الابل و انتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله وَالْقَمَرَ قَدَّرْنٰهُ - و يجوز ان يعطف على الْاِنْسَانَ اي خلق الانسان و الانعام - ثم قال [خَلَقَهَا لَكُمْ] اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان و [الدِّفْء] اسم ما يدفأ به كما ان الملاء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر - و قرئ دِفْءٌ بطرح الهمزة و القاء حركتها على الدال [وَّمَنَافِعُ] هي نسلها و درها و غير ذلك - فان قلت تقديم الظرف في قوله وَمِنْهَا تَاْكُلُوْنَ مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها - قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج و البط و صيد البر و البحر فكغير المعتد به و كالجاري مجرى التفكه - و يحتمل ان طعمتكم منها لاكم تحرثون بالبقر فالحطب و الثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل و تبيعون نتاجها و البانها و جلودها • مَنَّ الله بالتجمل بها كما مَنَّ بالانتفاع بها لانه من اغراض

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ

اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرُّعيان اذا روّحوها بالعشيّ و سرّحوها بالغداة تزيّنت بارواحها و تصريحها الافنية و تجاوبت فيها الثُّغاء و الرُّغاء أنست اهلها و فرحت اربابها و اجلّتهم في عيون الناظرين اليها و كسبتهم الجاهَ و الحرمة عند الناس و نحوه لِتَرْكَبُوهَا وَ زِينَةً - يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَ رِيشًا - فان قلت لم قدّمت الراحة على التسريح - قلت لان الجمال في الراحة اظهر اذا ابتلت ملأ البطون حافلةَ الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها - و قرأ عكرمة حِينًا تُرِيحُونَ وَحِينًا تَسْرَحُونَ على ان تُرِيحُونَ و تَسْرَحُونَ وصف للحين و المعنى ترجعون فيه و تسرحون فيه كقوله تعالى يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ - قرئ [بِشِقِّ الْأَنفُسِ] بكسر الشين و فتحها - و قيل هما لغتان في معنى المشقة و بينهما فرق و هو ان المفتوح مصدر شَقَّ الامر عليه شقًّا و حقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع و اما الشِّق بالكسر فكانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد - فان قلت ما معنى قوله [لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ] كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابلُ اثقالَهم - قلت معناه و تحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تُخلَق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة - فان قلت كيف طابق قوله لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ قولَه وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ و هلّا قيل لم تكونوا حامليها اليه - قلت طِباقه من حيث ان معناه و تحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد و مشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم - و يجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس - و قيل أَثْقَالَكُمْ اجرامكم - و عن عكرمة البلدُ مكة [لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ] حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل و تيسير هذه المصالح [وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ] عطف على الانعام اي و خلق هؤلاء للركوب والزينة - و قد احتجّ على حرمة اكل لحومهن بان علّل خلقها بالركوب و الزينة و لم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام - فان قلت لم انتصب وَزِينَةً - قلت لانه مفعول له و هو معطوف على محل لِتَرْكَبُوهَا - فان قلت فلمّا ورد المعطوف و المعطوفُ عليه على سَنَنٍ واحد - قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق - وقرئ لِتَرْكَبُوهَا زِينَةً بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها - او تجعل زِينَةً حالا منها اي وخلقها لتركبوها وهي زينة و جمال [وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ] - يجوز ان يريد به ما يخلق فينا و لنا مما لا نعلم كنهه و تفاصيله ويمنّ علينا بذكره كما منّ بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته - و يجوز ان يخبرنا بانّ له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك و ان طوى عنا علمه لحكمة له في طيّه وقد حمل على ما خلق في الجنة و النار مما لم يبلغه وهْمُ احد ولا خطر على قلبه * المراد بالسَّبِيل الجنس ولذلك اضاف اليها القَصْد وقال وَمِنْهَا جَائِرٌ والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيلٌ قصدٌ وقاصدٌ اي مستقيم كانه يقصد

سورة النحل ١٦ الجزء ١٤ ع ٧

السَّبِيْلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ط وَلَوْ شَاءَ لَهَدٰىكُمْ اَجْمَعِيْنَ ۝ هُوَ الَّذِيْٓ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً لَّكُمْ مِّنْهُ شَرَابٌ وَّمِنْهُ شَجَرٌ فِيْهِ تُسِيْمُوْنَ ۝ يُنْۢبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُوْنَ وَالنَّخِيْلَ وَالْاَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ ط اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ط وَالنُّجُوْمُ مُسَخَّرٰتٌۢ بِاَمْرِهٖ ط اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ ۝ وَمَا ذَرَاَ لَكُمْ فِي الْاَرْضِ مُخْتَلِفًا اَلْوَانُهٗ ط اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِّقَوْمٍ يَّذَّكَّرُوْنَ ۝ وَهُوَ الَّذِيْ سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَاْكُلُوْا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَّتَسْتَخْرِجُوْا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُوْنَهَا ج وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيْهِ وَلِتَبْتَغُوْا مِنْ

وجه الذي يؤمه السالك لايعدل عنه - ومعنى قوله [وَعَلَى اللّٰهِ قَصْدُ السَّبِيْلِ] ان هداية الطريق الموصل الى الحق وجبة عليه كقوله اِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدٰى - فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله [وَمِنْهَا جَائِرٌ] - قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين و ما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر - وقرأ عبد الله وَمِنْكُمْ جَائِرٌ يعني ومنكم جائر جار عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه [وَلَوْ شَاءَ لَهَدٰىكُمْ اَجْمَعِيْنَ] قسرا و الجاء *[لَّكُمْ]متعلق بانزل او بشراب خبرا له و الشراب ما يشرب [شَجَرٌ] يعني الشجر الذي ترعاه المواشي - و في حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ [تُسِيْمُوْنَ] من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة و اسامها صاحبها و هو من السومة و هي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض * قرئ [يُنْبِتُ] بالياء و النون - فان قلت لم قيل [وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ] - قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة و انما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة [يَّتَفَكَّرُوْنَ] ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته - والاٰية الدلالة الواضحة - وعن بعضهم يُنْۢبِتُ بالتشديد - و قرأ ابي بن كعب يُنْۢبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُوْنَ وَالنَّخِيْلَ وَالْاَعْنَابَ بالرفع - قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات - او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل و نفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره - و يجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل و سخرها لكم تسخيرات بامره - و قرئ بنصب الليل و النهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء و الخبر - و قرئ وَالنُّجُوْمُ مَسَخَّرٰتٌ بالرفع وما قبله بالنصب : قال [اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ] فجمع الاٰية و ذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة و ابين شهادة للكبرياء و العظمة [وَمَا ذَرَاَ لَكُمْ] معطوف على الليل و النهار يعني ما خلق فيها من حيوان و شجر و ثمر و غير ذلك مختلف الهيئات و المناظر [لَحْمًا طَرِيًّا] هو السمك و وصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه - فان قلت مابال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى - قلت مبنى الايمان على العادة و عادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق

مَضِلِّهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلَامَاتٍ ط وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ط أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ط إِنَّ اللَّهَ

ان لا يفهم منه السمك و اذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار و مثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث [حِلْيَةً] هي اللؤلؤ و المرجان و المراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم و لانهن انما يتزينّ بها من اجلهم فكانها زينتهم و لباسهم - المخرُ شقّ الماء بجيزومها - و عن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح - وَابْتِغَاءِ الْفَضْلِ التجارة * [أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ] كراهةَ ان تميل بكم و تضطربَ و المائدُ الذي يدار به اذا ركب البحر - قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملئكة ما هي بمقرِ احد على ظهرها فاصبحت و قد أُرسيت بالجبال لم تدر الملئكة مم خلقت [وَأَنْهَارًا] و جعل فيها انهارا لأن ألقى فيه معنى جعلَ الا ترى الى قوله أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا [وَعَلَامَاتٍ] هي معالم الطرق و كل ما تستدل به السابلةُ من جبل و منهل و غير ذلك - و المراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس - و عن السدّي هو الثريا و الفرقدان و بنات نعش و الجدي - و قرأ الحسن و بالنُّجُم بضمتين و بضمة و سكون و هو جمع نجم كرهن و رُهُن و السكون تخفيف - و قيل حذف الواو من النُّجُوم تخفيفا - فان قلت قوله [وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ] مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مُقحم فيه هُمْ كانه قيل و بالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم - قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسائرهم و كان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم و الاعتبار الزم لهم فخُصصوا - فان قلت مَنْ لَا يَخْلُقُ اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولى العلم - قلت فيه اوجه - احدها انهم سمّوها آلهة و عبدوها فاجروها مجرى أُولى العلم الا ترى الى قوله على اثره وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ - و الثاني المشاكلة بينه و بين مَنْ يَخْلق - و الثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من أُولى العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا يعني ان الآية حالهم منحطّة عن حال من لهم ارجل و ايد و آذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف يصح لهم العبادة لانها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يُعْبَدوا - فان قلت هو الزام لمن عبدوا الوثان و سمّوها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق - قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه و العبادة له و سوّوا بينه و بينه فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات و شبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ [لَا تُحْصُوهَا] لا تضبطوا عددها و لا تبلغه طاقتكم فضلا ان تُطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدّد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر و لا ينعدّ [إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] حيث يتجاوز عن

سورة النحل ١٦ الجزء ١٤ ع ٨

غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝
أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝ إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ
مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۝ لَا جَرَمَ أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۖ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ۝ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ

تقصيركم في اداء شكر النعمة و لا يقطعها عنكم لتفريطكم و لا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ] من اعمالكم وهو وعيد • [وَالَّذِينَ يَدْعُونَ] والآلهة الذين يدعوهم الكفار [مِنْ دُونِ اللّٰهِ] - وقرئ بالتاء - و قرئ يُدْعَوْنَ على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب - و معنى [أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ] انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت و امرهم على العكس من ذلك - و الضمير في يُبْعَثُونَ للداعين اي لا يشعرون متى يبعث عَبَدتهم و فيه تهكم بالمشركين و ان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم و فيه دلالة على انه لابد من البعث و انه من لوازم التكليف - و وجه آخر و هو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت و التصوير و هم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عَبَدتهم - أَمْوَاتٌ جمادات لا حيوة فيها - غَيْرُ أَحْيَاءٍ يعني ان من الاموات ما يعقب موته حيوة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا و اجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حيوة وذلك اعرق في موتها [وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ] اي و ما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حيّ الا الحيّ القيوم سبحانه - و وجه ثالث وهو ان يراد بالذين يَدْعُونَ الملئكة و كان ناس منهم يعبدونهم و انهم أَمْوَاتٌ اي لابد لهم من الموت غَيْرُ أَحْيَاءٍ غير باقية حيوتهم وَمَا يَشْعُرُونَ ولا علم لهم بوقت بعثهم - و قرئ إِيَّانَ بكسر الهمزة [إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ] يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون الآلهة لغيره و انها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية و وضوح دليلها استمرارهم على شركهم و ان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مُسْتَكْبِرُونَ عنها و عن الاقرار بها [لَا جَرَمَ] حقاً [أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ] سرهم و علانيتهم فيجازيهم و هو وعيد [إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ] - يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين - و يجوز ان يعمّ كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه • [مَّاذَا] منصوب بأَنزَلَ بمعنى اي شيء [أَنزَلَ رَبُّكُمْ] - او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزاه ربكم فاذا نصبت فمعنى [أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ] ما يدعون نزوله اساطير الاولين - و اذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ فيمن رفع - فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزلَ ربهم و اساطيرَ - قلت هو على السخرية كقوله إِنَّ رَسُولَكُمُ و هو كلام بعضهم

يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ۝ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ
السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ
الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ۚ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ فَادْخُلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۚ

البعض - اوقول المسلمين لهم - و قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله قالوا احاديث الاولين و اباطيلهم [لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ] اي قالوا ذلك اضلالا للناس و صدا عن رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم فحملوا اوزار ضلالهم كاملة و بعض اوزار من ضل بضلالهم و هو وزر الاضلال لان المضل و الضال شريكان هذا يضله و هذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر - و معنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا كقولك خرجتُ من البلد مخافةَ الشرّ [بِغَيْرِ عِلْمٍ] حال من المفعول اي يضلون مَن لا يعلم انهم ضُلّال و انما وُصف بالضلال و احتمال الوزر مَن اضلوه و ان لم يَعلم لانه كان عليه ان يبحث و ينظر بعقله حتى يميز بين المُحِق و المُبطل - القَواعد اساطين البناء التي تعمده - و قيل الاساس و هذا تمثيل يعني انهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها اللّهَ و رسولَه فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا و عمدوه بالاساطين فأُتي البنيان من الاساطين فان ضُعضعت فسقط عليهم السقف و هلكوا و نحوه من حفر لاخيه جُبّا و قع فيه منكبّا - و قيل هو نمرود بن كنعانَ حين بنى الصرح ببابلَ طوله خمسة آلاف ذراع - و قيل فرسخان فاهبّ الله الريح فخرّ عليه و على قومه فهلكوا - و معنى اتيان الله اتيان امره [مِنَ الْقَوَاعِدِ] من جهة القواعد [مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ] من حيث لا يحتسبون و لا يتوقعون - و قرئ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السُّقُفُ بضمتين • [يُخْزِيهِمْ] يُذلهم بعذاب الخزي رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الأخرة [شُرَكَائِيَ] على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبّخهم بها على طريق الاستهزاء بهم [تُشَاقُّونَ فِيهِمْ] تعادُّون و تخاصمون المؤمنين في شانهم و معناهم - و قرئ تُشَاقُّونِ بكسر النون بمعنى تشاقّونني لان مشاقّة المؤمنين كانها مشاقّة الله [قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ] هم الانبياء و العلماء من أُممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان و يعظونهم فلايلتفتون اليهم و يتكبرون عليهم و يشاقّونهم يقولون ذلك شماتة بهم و حكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه - و قيل هم الملئكة - قرئ [تَتَوَفَّاهُمُ] بالتاء والياء - و قرئ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ بادغام التاء في التاء [فَأَلْقَوُا السَّلَمَ] فاسلموا اذ اخبتوا رجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق و الكبر و قالوا إِمَّا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ] وجحدوا ما وجد منهم من الكفر و العدوان ردّ عليهم اولوا العلم [إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] فهو يجازيكم عليه و هذا ايضا من الشماتة و كذلك فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ - [خَيْرًا] انزل خيرا - فان قلت

سورة النحل ١٦ الجزء ١٤ ع ١٠

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ط وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ط وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۝ جَنّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ط كَذٰلِكَ يَجْزِي اللّٰهُ الْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ تَتَوَفّٰهُمُ الْمَلٰئِكَةُ طَيِّبِينَ
يَقُولُونَ سَلٰمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلٰئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ط
كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ط وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ج وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ ع وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا
وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ط كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ج فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلٰغُ الْمُبِينُ ۝ وَلَقَدْ

لم نُصب هذا و رفع الاول - قلت فصلا بين جواب المقرّ و جواب الجاحد يعني ان هؤلاء لمّا سُئلوا لم يتلعثمو و اطبقوا الجواب على السوال بيّنا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيراً اي انزل خيرا و اولئك عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين و ليس من الانزال في شيء - و روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم مَن يأتيهم بخبر النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فاذا جاء الوافد كفّه المقتسمون و امروه بالانصراف و قالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شرّ وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمّد و اراه فيلقى اصحابَ رسول الله فيُخبرونه بصدقه و انه نبيّ مبعوث فهم الذين قالوا خيرا - و قوله [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا] و ما بعده بدل من خَيْراً حكاية لقول الذين اتّقوا اي قالوا هذا القولَ فقدّم عليه تسميته خيرا ثم حكاه - و يجوز ان يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين و يجعل قولهم من جملة احسانهم و يحمدوا عليه [حَسَنَةٌ] مكافاة في الدنيا باحسانهم و لهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فَآتٰهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ [وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ] دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره و [جَنّٰتُ عَدْنٍ] خبر مبتدأ محذوف - و يجوز ان يكون المخصوصَ بالمدح * [طَيِّبِينَ] طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر و المعاصي لانه في مقابلة ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ [يَقُولُونَ سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ] قيل اذا اشرف العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلامُ عليك ياوليّ اللّٰهِ اللّٰهُ يقرأ عليك السلام و بشّره بالجنة [يَأْتِيهِمُ الْمَلٰئِكَةُ] قرئ بالتاء و الياء يعني ان تأتيهم لقبض الارواح و [أَمْرُ رَبِّكَ] العذاب المستاصل او القيٰمة [كَذٰلِكَ] اي مثل ذلك الفعل من الشرك و التكذيب [فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ط وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ] بتدميرهم [وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير [سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا] جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا هذا من جملة ما عدّد من اصناف كفرهم و عنادهم من شركهم بالله و انكار وحدانيته بعد قيام الحُجج و انكار البعث و استعجاله استهزاء منهم به و تكذيبهم الرسول و شقاقهم و استكبارهم عن قبول الحق * يعني انهم اشركوا بالله و حرّموا ما احلّ الله من البحيرة و السائبة و غيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله و قالوا لو شاء لم نفعل و هذا مذهب المجبرة بعينه [كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] اي اشركوا و حرّموا حلال الله فلما نُبّهوا على قبح فعلهم وركّوه على ربّهم [فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ] الّا ان

بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ
عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ
وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
كَاذِبِينَ ۝ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا

يبلّغوا الحق و ان الله لا يشاء الشرك و المعاصيَ بالبيان و البرهان و يُطْلعوا على بطلان الشرك و قبحه و براءة الله تعالى من افعال العباد و انهم فاعلوها بقصدهم و ارادتهم و اختيارهم و الله تعالى باعثهم على جميلها و موفّقهم له و زاجرهم عن قبيحها و مُوعدهم عليه و لقد امدّ ابطال قدر السوء و مشيّة الشرّ بانه ما من امّة الا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الايمان و عبادة الله و باجتناب الشرّ الذي هو طاعة الطاغوت [فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ] اي لطف به لانه عَرَفه من اهل اللطف [وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ] اي ثبت عليه الخذلان و الترك من اللطف لانه عَرَفه مصمّما على الكفر لايأتي منه خير [فَسِيرُوا . فَانظُرُوا] ما فعلتُ بالمكذّبين حتى لا يبقى لكم شبهة في انّي لا اقدّر الشرّ و لا اشاءه حيث افعلُ ما افعلُ بالاشرار * ثم ذكر عناد قريش و حرص رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على ايمانهم و عرّفه انهم من قسم من حَقّت عليه الضلالة و انه [لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ] اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث و الله تعالى متعالٍ عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه . و قرئ لَا يُهْدَى اي لا تقدر انت و لا احد على هدايته و قد خذله الله و قوله [وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ] دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة . و يجوز ان يكون لَا يَهْدِي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى . و في قراءة ابيّ فَإِنَّ اللَّهَ لَا هَادِيَ لِمَن يُضِلُّ و لِمَنْ أَضَلَّ و هي معاضدة لمن قرأ لَا يُهْدَى على البناء للمفعول . و في قراءة عبد الله يَهِدِّي بادغام تاء يهتدي و هي معاضدة للاولى . و قرئ بَضِنٌّ بالفتح . و قرأ النخعي إِن تَحْرِصْ بفتح الراء و هي لُغَيْثة * [وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ] معطوف على وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ايذانا بانهما كُفْرَتانِ عظيمتانِ موصوفتانِ بان تُحْكيا و تُدَرْنا توريك ذنوبهم على مشيّة الله و انكارهم البعث مقسمين عليه . و [بَلَىٰ] اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم و وعدُ الله مصدر مؤكّد لما دلّ عليه بَلَىٰ لانّ يَبْعَثُ موعد من الله و بَيّن ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة [وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] انهم يبعثون . او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل و لا غيره من مواجب الحكمة [لِيُبَيِّنَ لَهُمْ] متعلق بما دلّ عليه بَلَىٰ اي يبعثهم ليبيّن لهم و الضمير لِمَن يَمُوتُ و هو عام للمؤمنين و الكافرين و الذي اختلفوا فيه هو الحق [وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا] انهم كَذَبوا في قولهم لَوْشَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ و في قولهم لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ . و قيل

لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ

يجوز ان يتعلق بقوله وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا اي بعثناه ليبيّن لهم ما اختلفوا فيه و انهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب * [قَوْلُنَا] مبتدأ و [أَنْ نَقُولَ] خبره و [كُنْ فَيَكُونُ] من كان التامة اللتي بمعنى الحدوث و الوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الّا ان نقول له احدُثْ فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف و هذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه و ان وجوده عند ارادته تعالى غير متوقف كوجود المامور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل و لا قولَ ثمه - و المعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شقّ المقدورات - و قرئ فَيَكُونَ عطفا على نَقُولَ * [وَالَّذِينَ هَاجَرُوا] هم رسول الله و اصحابه ظلمهم اهل مكة فقرّروا بدينهم الى الله منهم مَن هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين و منهم من هاجر الى المدينة - و قيل هم الذين كانوا محبوسين معذّبين بعد هجرة رسول الله و كلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال و صُهَيب و خَبّاب و عمّار - و عن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم و ان كنت عليكم لم اضرّكم فافتدى منهم بماله و هاجر فلما رآه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيبُ و قال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه و هو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف [فِي اللَّهِ] في حقه ولوجهه [حَسَنَةً] صفة للمصدر اي لنبوّئنهم تبوئة حسنة - و في قراءة عليّ رضي الله عنه لَنُثَوِّيَنَّهُمْ و معناه الثواء حسنة - و قيل لَنُمَكِّنَنَّهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم و على العرب قاطبةً و على اهل المشرق و المغرب - و عن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خُذْ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا و ما ذخر لك في الآخرة اكثر - و قيل لنبوّئنهم مباءة حسنة و هي المدينة حيث آواهم اهلها و نصروهم [لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا و الآخرة لرغبوا في دينهم - و يجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم و صبرهم [الَّذِينَ صَبَرُوا] على هم الذين صبروا - او اعني الذين صبروا و كلاهما مدح اي صبروا على العذاب و على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأسهم و على المجاهدة و بذل الارواح في سبيل الله * قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا] يُوحَى إِلَيْهِمْ على ألسنة الملئكة [فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ] وهم اهل الكتاب ليُعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا - فان قلت بم تعلق قوله [بِالْبَيِّنَاتِ] - قلت له متعلقات شتى - فاما ان يتعلق بما أَرْسَلْنَا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رِجَالًا اي و ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الّا زيدا بالسوط لان اصله ضربتُ زيدا بالسوط

سورة النحل ١٦ الجزء ١٤ ع ١١ النصف

وَ اَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ اِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ ۝ اَفَاَمِنَ الَّذِيْنَ مَكَرُوا السَّيِّاٰتِ اَنْ يَّخْسِفَ
اللّٰهُ بِهِمُ الْاَرْضَ اَوْ يَاْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَ ۝ اَوْ يَاْخُذَهُمْ فِيْ تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَ ۝
اَوْ يَاْخُذَهُمْ عَلٰى تَخَوُّفٍ ؕ فَاِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوْفٌ رَّحِيْمٌ ۝ اَوَلَمْ يَرَوْا اِلٰى مَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ يَّتَفَيَّؤُا
ظِلٰلُهٗ عَنِ الْيَمِيْنِ وَ الشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلّٰهِ وَ هُمْ دَاخِرُوْنَ ۝ وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَ مَا فِي الْاَرْضِ مِنْ دَآبَّةٍ

و اما برجالاً صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات - و اما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين و الاول على كلام واحد - و اما بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات - و اما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت و الالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي و قوله فَسْئَلُوْا اَهْلَ الذِّكْرِ اعتراض على الوجوه المتقدمة و اهل الذكر اهل الكتاب - و قيل للكتاب الذكر لانه موعظة و تنبيه للغافلين [مَا نُزِّلَ اِلَيْهِمْ] يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به و نهوا عنه و وعدوا و اوعدوا [وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ] و ارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا و يتاملوا • [مَكَرُوا السَّيِّاٰتِ] اي المكرات السيئات و هم اهل مكة و ما مكروا به رسول الله [فِيْ تَقَلُّبِهِمْ] متقلبين في مسائرهم و متاجرهم و اسباب دنياهم [عَلٰى تَخَوُّفٍ] متخوفين و هو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب و هم متخوفون متوقعون و هو خلاف قوله مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَ - و قيل هو من قولك تخوفته و تخوفته اذا تنقصته قال زهير • شعر • تخوف الرحل منها تامكا قردا • كما تخوف عود النبعة السفن • اي يأخذهم على ان يتنقصهم شيأ بعد شيء في انفسهم و اموالهم حتى يهلكوا - و عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا و انشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا و ما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم [فَاِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوْفٌ رَّحِيْمٌ] حيث يحلم عنكم و لا يعاجلكم مع استحقاقكم . قرئ [اَوَلَمْ يَرَوْا - و يَتَفَيَّؤُا] بالتاء و الياء و ما موصولة بخلق الله و هو مبهم بيانه مِنْ شَيْءٍ يَّتَفَيَّؤُا ظِلٰلُهٗ - و اليمين بمعنى الايمان - و [سُجَّدًا] حال من الظلال [وَ هُمْ دَاخِرُوْنَ] حال من الضمير في ظِلٰلُهٗ لانه في معنى الجمع و هو ما خلق الله من كل شيء له ظل و جمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء - او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب - و المعنى او لم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها و شمائلها اي عن جانبي كل واحد منها و شقيه استعارة من يمين الانسان و شماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ و الاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا يمتنع • [مِنْ دَآبَّةٍ] يجوز ان يكون بيانا لما في السموات و ما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض - و ان يكون بيانا لما في الارض وحده و يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح - و ان يكون بيانا لما في الارض وحده و يراد بما في السموات

سورة النحل ١٦ الجزء ٤ ع ١٢ سجدة

وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ ۝ يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ ۝ ع وَقَالَ اللّٰهُ لَا تَتَّخِذُوْٓا اِلٰهَيْنِ
اثْنَيْنِ ۚ اِنَّمَا هُوَ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ ۚ فَاِيَّايَ فَارْهَبُوْنِ ۝ وَلَهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَهُ الدِّيْنُ وَاصِبًا ؕ اَفَغَيْرَ
اللّٰهِ تَتَّقُوْنَ ۝ وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ ثُمَّ اِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَاِلَيْهِ تَجْـَٔرُوْنَ ۝ ع ثُمَّ اِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ

الملٰئكه و كرّر ذكرهم على معنى و الملٰئكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق و اعبدهم ۔ و يجوز ان يراد بما في السمٰوٰت ملٰئكتهن و بقوله وَالْمَلٰٓئِكَةُ ملٰئكة الارض من الحفظة و غيرهم ۔ فان قلت سجود المكلّفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبّر عن النوعين بلفظ واحد ۔ قلت المراد بسجود المكلّفين طاعتهم و عبادتهم و بسجود غيرهم انقياده لارادة الله و انها غير ممتنعة عليها و كلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبّر عنهما بلفظ واحد ۔ فان قلت فهلّا جيء بمَنْ دون مَا تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم ۔ قلت لانه لو جيء بمَنْ لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء و غيرهم ارادة العموم ۔ [يَخَافُوْنَ] يجوز ان يكون حالا من الضمير في لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ اي لا يستكبرون خائفين ۔ و ان يكون بيانا لنفي الاستكبار و تاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته [مِّنْ فَوْقِهِمْ] ان علّقته بيَخَافُوْنَ فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم ۔ و ان علّقته بربّهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهٖ ۔ وَاِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُوْنَ وفيه دليل على ان الملٰئكة مكلفون مُدارون على الامر و النهي و الوعد و الوعيد كسائر المكلّفين و انهم بين الخوف و الرجاء ۔ فان قلت انما جمعوا بين العدد و المعدود فيما وراء الواحد و الاثنين فقالوا عندي رجال ثلثة و افراس اربعة لان المعدود عارٍ عن الدلالة على العدد الخاص و اما رجل و رجلان و فرس و فرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد و رجلان اثنان فما وجه قوله اِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۔ قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد و التثنية دالّ على شيئين على الجنسية و العدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعنيّ به منهما والذي يُساق اليه الحديث هو العدد شُفع بما يؤكّده فدلّ به على القصد اليه و العناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن و خيّل انك تثبت الالٰهية لا الوحدانية [فَاِيَّايَ فَارْهَبُوْنِ] نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم و جاز لان الغائب هو المتكلم و هو من طريقة الالتفات و هو ابلغ في الترهيب من قوله و اياه فارهبوه و من ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم * [الدِّيْنُ] الطاعة [وَاصِبًا] حال عمل فيه الظرف و الواصبُ الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ۔ و يجوز ان يكون من الوصب اي و له الدين ذا كلفة و مشقة و لذلك سمّي تكليفا ۔ او وله الجزاء ثابتا دائما سرمدا لا يزول يعني الثواب و العقاب * [وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ] واي شيء حلّ بكم او اتصل بكم من نعمة فهو مِنَ اللّٰهِ [فَاِلَيْهِ تَجْـَٔرُوْنَ] فما تتضرعون الا اليه و الجُؤار رفع الصوت بالدعاء و الاستغاثة قال الاعشى يصف راهبا * شعر * يراوح من صلوات المليك * طورا سجودا و طورا جؤارا * وقرئ تَجْرُوْنَ بطرح الهمزة و القاء حركتها على الجيم ۔ و قرأ قتادة

اِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُم بِرَبِّهِم يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَآ اٰتَيْنٰهُمْ ط فَتَمَتَّعُوا ق فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا
مِّمَّا رَزَقْنٰهُمْ ط تَاللّٰهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنٰتِ سُبْحٰنَهٗ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَاِذَا
بُشِّرَ اَحَدُهُمْ بِالْاُنْثٰى ظَلَّ وَجْهُهٗ مُسْوَدًّا وَّهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوٰرٰى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوْٓءِ مَا بُشِّرَ بِهٖ ط اَيُمْسِكُهٗ عَلٰى
هُوْنٍ اَمْ يَدُسُّهٗ فِي التُّرَابِ ط اَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ج وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ
الْاَعْلٰى ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ع وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّٰهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَّةٍ وَّلٰكِنْ يُّؤَخِّرُهُمْ

كَاشَفَ الضُّرَ على فاعَلَ بمعنى فعَل و هو اقوى من كَشَفَ لان بناء المغالبة يدلّ على المبالغة . فان قلت
فما معنى قوله [اِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُم بِرَبِّهِم يُشْرِكُونَ] . قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ
فَمِنَ اللّٰهِ عاما . و يريد بالفريق فريق الكَفَرة . وان يكون الخطاب للمشركين و مِنْكُمْ للبيان لا للتبعيض كانه
قال فاذا فريق كافر و هم انتم . و يجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فَلَمَّا نَجّٰيهُمْ اِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ
[لِيَكْفُرُوا بِمَآ اٰتَيْنٰهُمْ] من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفرانَ النعمة [فَتَمَتَّعُوا
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] تخلية و وعيد . و قرئ فَيَتَمَتَّعُوا بالياء مبنيًّا للمفعول عطفا على لِيَكْفُرُوا . و يجوز ان يكون ليكفروا
فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان و التخلية و اللامُ لام الامر * [لِمَا لَا يَعْلَمُونَ] اي لِالٰهتهم و معنى
لا يعلمونها انهم يسمّونها آلهة و يعتقدون فيها انها تضرّ و تنفع و تشفع عند الله و ليس كذلك و حقيقتها
انها جماد لا يضرّ و لا ينفع فهم اذا جاهلون بها . و قيل الضمير في لَا يَعْلَمُونَ للآلهة اي للاشياء غير موصوفة
بالعلم و لا تشعر اجعلوا لها نصيبا في أنعامهم و زروعهم ام لا و كانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم [لَتُسْـَٔلُنَّ]
وعيد [عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ] من الافك في زعمكم انها آلهة و انها اهل للتقرب اليها * كانت خزاعة و كنانة
تقول الملئكة بنات الله [سُبْحٰنَهٗ] تنزيهٌ لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم [وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ]
يعني البنين . و يجوز في مَا يَشْتَهُونَ الرفع على الابتداء . و النصب على ان يكون معطوفا على البنات اي
و جعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور . و [ظَلَّ] بمعنى صار كما يستعمل بات و اصبح و امسى بمعنى
الصيرورة . و يجوز ان يجيء ظَلَّ لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظلّ نهاره مغتمّا مربدَّ الوجه من الكآبة و الحيا
من الناس [وَهُوَ كَظِيمٌ] مملوّ حنقا على المرأة [يَتَوٰرٰى مِنَ الْقَوْمِ] يستخفي منهم من اجل سوء المبشّر به
و من اجل تعييرهم و يحدّث نفسه و ينظر ايمسك مَا بُشِّر به [عَلٰى هُوْنٍ] على هَوان و ذُلّ
[اَمْ يَدُسُّهٗ فِي التُّرَابِ] ام يئدُه . و قرئ اَيُمْسِكُهَا عَلٰى هُوْنٍ اَمْ يَدُسُّهَا على التانيث . و قرئ عَلٰى هَوَانٍ
[اَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ] حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله و يجعلون لانفسهم مَن هو على
عكس هذا الوصف [مَثَلُ السَّوْءِ] صفة السوء و هي الحاجة الى الاولاد الذكور و كراهة الاناث و ادهنّ
خشية الاملاق و اقرارهم على انفسهم بالشحّ البالغ [وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْاَعْلٰى] و هو العَلِيّ عن العالمين والغنيّ
عن صفات المخلوقين و هو الجواد الكريم * [بِظُلْمِهِمْ] بكفرهم و معاصيهم [مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا] اي على

سورة النحل ١٦ الجزء ١٤ ع ١٤

إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ۝ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ
أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ ع وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم

الارض [مِنْ دَابَّةٍ] قط و لاهلكها كلها بشوم ظلم الظالمين - و عن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضرّ الا نفسه فقال بلى و الله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم - و عن ابن مسعود كان الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة - و عن ابن عباس مِنْ دَابَّةٍ من مشرك يدبّ عليها - و قيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء * [وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ] لانفسهم من البنات و من شركاء في رياستهم و من الاستخفاف برسلهم و التهاون برسالاتهم و يجعلون له ارذل اموالهم و لاصنامهم اكرمها [وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ] مع ذلك [أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ] عند الله كقوله وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ - و عن بعضهم انه قال لرجل من ذوى اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين و اعوانهم فيؤتى بالدوابّ و الثياب و انواع الاموال الفاخرة و اذا قال هاتوا ما دفع لي فيؤتى بالكسر و الخرق و ما لا يوبه له اما تستحيي من ذلك الموقف - و عن مجاهد أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ هو قول قريش لنا البنون - وَأَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ بدل من الْكَذِبَ - و قرئ الْكُذُبَ جمع كَذُوب صفة للألسنة [مُّفْرَطُونَ] قرئ بالفتح و الكسر مخففا و مشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا و فرطته في طلب الماء اذا قدمته - و قيل منسيّون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته و نسيته - و المكسور المخفف من الافراط في المعاصي و المشدد من التفريط في الطاعات و ما يلزمهم * [فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ] حكاية الحال الماضية اللتي كان يزيّن لهم الشيطان اعمالهم فيها - او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا و معنى وليهم قرينهم وَبِئْسَ الْقَرِينُ - او يجعل فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذّبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه - و يجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش و انه زيّن للكفار قبلهم اعمالهم فهو وليّ هؤلاء لانهم منهم - و يجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو وليّ امثالهم الا * [وَهُدًى وَرَحْمَةً] معطوفان على محل لِتُبَيِّنَ لانهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتابَ و دخل اللام على [لِتُبَيِّنَ] لانه فعلُ المخاطَب لا فعل المنزِل - و انما ينتصب مفعولا له ما كان فعلَ فاعل الفعل المعلّل و [الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ] البعث لانه كان فيهم من يؤمن به و منهم عبد المطّلب و اشياعه من التحريم و التحليل و الانكار و الاقرار [لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ] سماعَ انصاف و تدبّر لانّ مَن لم يسمع بقلبه فكانه اصمّ

مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَّدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشّٰرِبِيْنَ ۝ وَمِنْ ثَمَرٰتِ النَّخِيْلِ وَالْاَعْنَابِ
تَتَّخِذُوْنَ مِنْهُ سَكَرًا وَّرِزْقًا حَسَنًا ؕ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ ۝ وَاَوْحٰى رَبُّكَ اِلَى النَّحْلِ اَنِ اتَّخِذِيْ

لا يسمع - ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم ثوب اكياش و لذلك رجع الضمير اليه مفردا و اما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع - ويجوز ان يقال في الأنعام وجهان - احدهما ان يكون تكسير نَعَم كَأَجْبال في جَبَل - و ان يكون اسما مفردا مقتضيا المعنى الجمع كنَعَم فاذا ذكّر نكما يذكّر نَعَم في قوله * شعره في كل عام نعمٌ تحوونه * يلقحه قوم و تنتجونه * و اذا انّث ففيه وجهان - انه تكسير نعم - و انه في معنى الجمع - و قرئ نُسْقِيكُمْ بالفتح و الضم و هو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث و دم اي يخلق الله اللبن وسيطاً بين الفرث و الدم يكتنفانه و بينه و بينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون و لا طعم و لا رائحة بل هو خالص من ذلك كله - قيل اذا اكلت البهيمةُ العلفَ فاستقرّ في كرشها طبختْهُ فكان اسفله فرثا و اوسطه لبنا و اعلاه دما و الكبد مسلّطة على هذه الاصناف الثلثة تقسمها فتُجْرِي الدمَ في العروق و اللبنَ في الضروع وتُبْقِي الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظمَ قدرتَه و الطفَ حكمتَه لمن تفكّر و تأمّل - وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم [سَائِغًا] سهلَ المرور في الحلق و يقال لم يغصّ احد باللبن قطّ - و قرئ سَيِّغًا بالتشديد و سَيْغًا بالتخفيف كهَيِّن ولَيْن - فان قلت اي فرق بين من الاولى و الثانية - قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا - و الثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث و الدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة لنُسْقِيكُمْ كقولك سقيته من الحوض - و يجوز ان يكون حالا من قوله لَبَنًا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث و دم الا ترى انه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث و دم كان صفة له و انما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم - وقد احتجّ بعض من يرى ان المنيّ طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية و اله ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث و دم طاهرا - فان قلت بم تعلق قوله [وَمِنْ ثَمَرٰتِ النَّخِيْلِ وَالْاَعْنَابِ] - قلت بمحذوف تقديره وَنُسْقِيكُمْ من ثمرات النخيل و الاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نُسْقِيكُمْ قبله عليه - وقوله [تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا] بيان وكشف عن كنه الاسقاء - او تعلق بتَتَّخِذُونَ و [مِنْهُ] من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها - و يجوز ان يكون تَتَّخِذُونَ صفة موصوف محذوف كقوله * يكفّي كان من ارمى البشر * تقديره و من ثمرات النخيل و الاعناب ثمر تتخذون منه سكرا و رزقا حسنا لانهم يأكلون بعضها و يتّخذون من بعضها السكر - فان قلت فلمَ يرجع الضمير في مِنْهُ اذا جعلته ظرفا مكررا - قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى لَوْهُمْ قَائِلُونَ الى الاهل المحذوف - و السكر الخمر سُمّيت بالمصدر من سكر سَكَرًا و سُكْرا نحو رشد رَشَدا و رُشْدا قال * شعره * وجاؤنا بهم سكرى علينا *

سورة النحل ١٦ الجزء ١٤ ع ١٣

مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَّمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُوْنَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِيْ مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ فَاسْلُكِيْ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ؕ يَخْرُجُ مِنْ بُطُوْنِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ اَلْوَانُهٗ فِيْهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ؕ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ ﴿٦٩﴾ وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّٰكُمْ

و جلى اليوم و السكران صاحي • و فيه وجهان - احدهما ان تكون مدسوخة و ممن قال بنسخها الشعبي والنخعي - و الثاني ان يجمع بين العذاب و المنّة - و قيل السكر النبيذ و هو عصير العنب و الزبيب و التمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد و هو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر و يحتج بهذه الآية و بقوله صلى الله عليه و آله و سلم الخمر حرام لعينها و السكر من كل شراب و بأخبار جمّة و لقد صنّف شيخنا ابو علي الجُبّائي قدّس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيّخ و أخذت منه السنّ العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنّفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فيسمح في الدرجة - و قيل السكر الطعم و أنشد • ع • جعلت اعراض الكرام سكرا • اي تنقلت باعراضهم - و قيل هو من الخمر و انه اذا ابتزك في اعراض الناس فكانه تخمّر بها - و الرزق الحسن الخلّ و الربّ و التمر و الزبيب و غير ذلك - و يجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر و رزق حسن • الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها و تعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه و الا فتَيْقتها في صنعتها و لطفها في تدبير امرها و اصابتها فيما يصلحها دلائل بيّنة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك و فطنها كما أولى أولى العقول عقولهم - و قرأ يحيى بن وثّاب اِلَى النَّحْلِ بفتحتين و هو مذكر كالنخل و تانيثه على المعنى [أَنِ اتَّخِذِيْ] هي أن المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول - قرئ بُيُوْتًا بكسر الباء لاجل الياء و [يَعْرِشُوْنَ] بكسر الراء و ضمها يرفعون من سقوف البيوت - و قيل ما يبنون للنحل في الجبال و الشجر و البيوت من الاماكن التي تتعسّل فيها - و الضمير في يَعْرِشُوْنَ للناس - فان قلت ما معنى مِنْ في قوله أَنِ اتَّخِذِيْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوْتًا - وَ مِنَ الشَّجَرِ - وَمِمَّا يَعْرِشُوْنَ و هلا قيل في الجبال و في الشجر - قلت اريد معنى البعضية و ان لا تبني بيوتها في كل جبل و كل شجر و كل ما يعرش و لا في كل مكان منها [مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ] احاطة بالثمرات التي تحرسها النحل و تعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتِها [فَاسْلُكِيْ سُبُلَ رَبِّكِ] اي الطرق التي الهمكِ و افهمكِ في عمل العسل - او فاسلكي ما اكلت في سبل ربكِ اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النَّوْرَ المرّ عسلا من اجوافك و مذاق مأكلك - او اذا اكلت الثمارَ في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعّر عليك و لا تضلّين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب الخجعة - او اراد بقوله ثُمَّ كُلِيْ ثم اقصدي اكل الثمرات وَاسْلُكِيْ في طلبها في مضانّها سُبُلَ رَبِّكِ [ذُلُلًا] جمع ذلول و هي حال من السُّبُل لان الله ذلّلها لها و وطّأها و سهّلها كقوله هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ ذَلُوْلًا - او من الضمير في فَاسْلُكِيْ اي و انت ذلل منقادة لما أُمرت به غير ممتنعة [شَرَابٌ ،

وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۗ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

يريد العسل لانه مما يشرب [مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ] منه ابيض و اسود و اصفر و احمر [فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ] لانه من جملة الاشفية و الادوية المشهورة النافعة و قلّ معجون من المعاجين لم يذكر الاطبّاء فيه العسلَ - و ليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك - و تنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان فيه بعض الشفاء و كلاهما محتمل - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنَهُ فقال اذهَبْ واسقِهِ العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهبْ واسقِهِ عسلا فقد صدق الله و كذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما أُنشط من عقال - و عن عبد الله بن مسعود العسلُ شفاء من كل داء و القرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين القرآنِ و العسلِ - و من بدع تاويلات الرافضة ان المراد بالنحل عليّ و قومه - و عن بعضهم انه قال عند المهديّ انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك و شرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهديّ و حدّث به المنصورَ واتخذوه أُضحوكة من اضاحيكم [أَرْذَلِ الْعُمُرِ] الى اخسّه و احقره و هي خمس و سبعون سنة عن عليّ رضي الله عنه - و تسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم [لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا] ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان و ان يعلم شيأ ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سُئل عنه - و قيل لئلا يعمل من بعد عقله الاول شيأ - و قيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه * اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم و هم بشر مثلكم و اخوانكم فكان ينبغي ان تردّوا فضل ما رُزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس و المطعم كما يحكى عن ابي ذر انه سمع النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون و أطعموهم مما تطعمون فما رُؤي عبده بعد ذلك الّا و ردائه رداؤه و ازاره ازاره من غير تفاوت [أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ] فجعل ذلك من جملة جحود النعمة - و قيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاءَ فقال لهم انتم لا تسوّون بينكم و بين عبيدكم فيما انعمتُ به عليكم و لا تجعلونهم فيه شركاء و لا ترضَوْن ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاءَ - و قيل المعنى ان الموالي و المماليك اذا ارزقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبنّ الموالي انهم يردّون على مماليكهم من عندهم شيأ من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم - و قرئ تَجْحَدُونَ بالتاء و الياء * [مِنْ أَنْفُسِكُمْ] من جنسكم - و قيل هو خلق حواء من ضلع آدم - و الحَفَدة جمع حافد و هو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة و الخدمة و منه قول القانت و اليك نسعى و نحفد و قال * شعر * حفد الولائد بينهن و أسلمت * باكفهنّ ازمّة الاجمال * و اختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات - و قيل اولاد الاولاد -

سورة النحل ١٦ الجزء ١٤ ع ١٥

أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ۖ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ۝ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝

وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول - وقيل المعنى وَجَعَلَ لَكُمْ حَفَدَةً اي خدما يحفدون في مصالحكم ويُعينونكم - ويجوز ان يراد بالحَفَدة البنون انفسهم كقوله سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين [مِنَ الطَّيِّبٰتِ] يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها [أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ] وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهمٌ باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن - ونعمةُ اللّٰه المشاهدةُ المعاينة اللتي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز - هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول - وقيل الباطلُ ما يسوّل لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمةُ اللّٰه ما احلّ لهم - الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شَيْئًا كقوله اَوْ اِطْعَامٌ يَتِيمًا على لا يملك ان يرزق شيئاً - وان اردت المرزوق كان شَيْئًا بدلا منه بمعنى قليلا - ويجوز ان يكون تاكيدا للَايَمْلِكُ اي لا يملك شيئاً من الملك - ومِنَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا - او صفة ان كان اسما لما يرزق - والضمير في [وَلَا يَسْتَطِيعُونَ] لمَا لانه في معنى الالهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ - ويجوز ان يكون للكُفّار يعني ولا يستطيع هٰؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولوا الالباب من ذلك فكيف بالجماد الذي لا حسّ به - فان قلت ما معنى قوله وَلَا يَسْتَطِيعُونَ بعد قوله لَا يَمْلِكُ وهل هما الا شيء واحد - قلت ليس في لَا يَسْتَطِيعُونَ تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدّر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيدُ او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم • [فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ] تمثيل الاشراك باللّٰه والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبّه حالا بحال وقصةً بقصة [إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ] كُنْهَ ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم [وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] كُنْهَهُ وكُنْهَ عقابه فذاك هو الذي جرّكم اليه وجرّأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك - ويجوز ان يراد فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ان اللّٰه يعلم كيف يضرب الامثال وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ثم علّمهم كيف تضرب فقال مَثَلكم في اشراككم باللّٰه الاوثانَ مَثَل مَن سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه اللّٰه مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء - فان قلت لِم قال [مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ] وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف - قلت اَمّا ذكر المملوك فليميّز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد اللّٰه واَمّا لَا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ فليجعل غير مكتب

سورة النحل ١٦ الجزء ١٤ ع ١٦

ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ وَّمَنْ رَّزَقْنٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَّجَهْرًا ط هَلْ
يَسْتَوُوْنَ ط اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ط بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝ وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ اَحَدُهُمَآ اَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ
وَّهُوَ كَلٌّ عَلٰى مَوْلٰىهُ اَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَاْتِ بِخَيْرٍ ط هَلْ يَسْتَوِيْ هُوَ وَمَنْ يَّاْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلٰى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيْمٍ ۝ ع وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ط وَمَآ اَمْرُ السَّاعَةِ اِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ اَوْ هُوَ اَقْرَبُ ط اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝ وَاللّٰهُ اَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُوْنِ اُمَّهٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ شَيْئًا وَّجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ وَالْاَفْئِدَةَ

ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف - واختلفوا في العبد هل يصح له ملك و المذهب الظاهر انه لا يصح له - فان قلت مَنْ في قوله [وَّمَنْ رَّزَقْنٰهُ] ما هي - قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل و حرًّا رزقناه ليطابق عَبْدًا و لا يمتنع ان تكون موصولة - فان قلت لم قيل يَسْتَوُوْنَ على الجمع - قلت معناه هل يستوي الاحرار و العبيد * [اَلْاَبْكَمُ] الذي وُلد اخرس فلا يَفْهم و لا يُفْهم [وَهُوَ كَلٌّ عَلٰى مَوْلٰىهُ] اي ثقل و عيال على من يلي امره و يعوله [اَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ] حيثما يرسله و يصرّفه في مطلب حاجة او كفاية مهمّ لم ينفع و لم يات بنُجْح [هَلْ يَسْتَوِيْ هُوَ وَمَنْ] هو سليم الحواسّ نفّاع ذو كفايات مع رشد و ديانة فهو [يَاْمُرُ] الناس [بِالْعَدْلِ] و الخير [وَهُوَ] في نفسه [عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ] على سيرة صالحة و دين قويم و هذا مثل ثانٍ ضربه لنفسه و لما يفيض على عباده و يشملهم من آثار رحمته و الطافه و نعمه الدينية و الدنيوية و للاصنام اللتي هي اموات لا تضرّ و لا تنفع - و قرئ اَيْنَمَا يُوَجِّهْ بمعنى اينما يتوجّه من قولهم اينما اُوجِّهْ الق سعدا - قرأ ابن مسعود اَيْنَمَا يُوَجَّهْ على البناء للمفعول * [وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ] اي يختصّ به علم ما غاب فيهما عن العباد و خفي عليهم علمه - او اراد بغَيْب السَّمٰوات و الاَرْض يوم القيٰمة على ان علمه غائب عن اهل السموات و الارض لم يطّلع عليه احد منهم [اِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ اَوْ هُوَ اَقْرَبُ] اي هو عند الله ان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه نحوه قوله وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُّخْلِفَ اللّٰهُ وَعْدَهٗ وَاِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَاَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّوْنَ اي هو عنده دانٍ و هو عندكم بعيد - و قيل المعنى ان اقامة الساعة و اماتة الاَحْياء و احياء الاموات من الاولين و الآخرين يكون في اقرب وقت و اوحاه [اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ] فهو يقدر على ان يُقيم الساعة و يبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دلّ على قدرته بما بعده * قرئ [اُمَّهٰتِكُمْ] بضم الهمزة و كسرها و الهاء مزيدة في اُمّات كما زيدت في اَراق فقيل اَهْراق و شدّت زيادتها في الواحدة قال * ع * امّهتي خندف و الياس ابي * [لَا تَعْلَمُوْنَ شَيْئًا] في موضع الحال و معناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون و سوّاكم و صوّركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة و قوله [وَجَعَلَ لَكُمْ] معناه و ما ركّب فيكم هذه الاشياء الّا آلات لازالة الجهل الذي وُلدتم عليه و اجتلاب العلم و العمل به من شكر المنعم و عبادته و القيام بحقوقه و الترقي الى ما يُسعدكم - و الاَفْئِدة في فؤاد كالاَغْربة

سورة النحل ١٦ الجزء ١٤ ع ١٧

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ۖ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ
وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ
مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۝
فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ۝ ع وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن

في غُراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يَرد في السماع غيرها كما جاء شُسوع في جمع شِسع لا غير فجرت ذلك المجرى • قرئ [أَوَلَمْ يَرَوْا] بالتاء والياء [مُسَخَّرَاتٍ] مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك - والجَوّ الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو والسَّكاك ابعد منه واللّوح مثله [مَا يُمْسِكُهُنَّ] في قبضهن وبسطهن وقوتهن [إِلَّا اللَّهُ] بقدرته • [مِّن بُيُوتِكُمْ] التي تسكنونها من الحجر والمدر والأخبية وغيرها - والسَّكَن فَعَل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه ويُنقطع اليه ومن بيت او الف [بُيُوتًا] هي القباب والأبنية من الأدَم والأنطاع [تَسْتَخِفُّونَهَا] تَرَوْنها خفيفةَ الحمل في الضرب والنقض والنقل [يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ] اي يوم ترحلون خفّ عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها - او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليَوْم بمعنى الوقت [وَمَتَاعًا] وشيئًا ينتفع به [إِلَىٰ حِينٍ] الى ان تقضوا منه أوطاركم - او الى ان يبلى ويفنى - او الى ان تموتوا - وقرئ يَوْمَ ظَعْنِكُمْ بالسكون - [مِّمَّا خَلَقَ] من الشجر وسائر المستظلات [أَكْنَانًا] جمع كِنّ وهو ما يستكنّ به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف [سَرَابِيلَ] هي القُمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها [تَقِيكُمُ الْحَرَّ] لم يذكر البرد لان الوقاية من الحرّ اهمّ عندهم - وقلما يهمّهم البردُ لكونه يسيرا محتملا - وقيل ما يقي من الحرّ يقي من البرد فدلّ ذكر الحرّ على البرد [وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ] يريد به الدروع والجواشن - والسربالُ عام تقع على كل ما كان من حديد وغيره [لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ] اي تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له - وقرئ تَسْلَمُونَ من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب - او تسلم قلوبكم من الشرك - وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع • [فَإِن تَوَلَّوْا] فلم يقبلوا منك فقد تمهّد عذرك بعد ما ادّيتَ ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدلّ على المسبّب • [يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ] التي عَدَدناها حيث يعترفون بها وانها من الله [ثُمَّ يُنكِرُونَهَا] بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله والهتنا بشفاعة الهتنا - وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا - وقيل قولهم لولا فلان ما اصبتُ كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يُعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها [وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ] اي الجاحدون غير المعترفين - وقيل نعمة الله نبوة مُحمّد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم

كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ
وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا
إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ۝ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ
أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

الجاحدون المنكرون بقلوبهم - فان قلت ما معنى ثُمَّ - قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكره. [شَهِيدًا] نبيها يشهد لهم و عليهم بالايمان و التصديق و الكفر و التكذيب [ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] في الاعتذار و المعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم و لا عذر و كذا من الحسن [وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ] و لا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل - فان قلت ما معنى ثُمَّ هذه - قلت معناه انهم يُمنعون بعد شهادة الانبياء بما هو اطم منها و هو انهم يُمنَعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة و لا ادلاء بحجة و انتصاب الْيَوْمَ بمحذوف تقديره و اذكر يَوْمَ نَبْعَثُ - او يَوْمَ نَبْعَثُ و قعوا فيما و قعوا فيه و كذلك إِذَا رَأَوا الْعَذَابَ بغتهم و ثقل عليهم [فَلَا يُخَفَّفُ] عليهم [وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ] كقوله بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ الآية - ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شُرَكَاؤُنَا الهتنا اللتي دَعَوْناها شركاء - و ان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر و قرناؤهم في الغي و [نَدْعُوا] بمعنى نعبد - فان قلت لم قالوا [إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ] و كانوا يعبدونهم على الصحة - قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة و الدليل عليه قول الملئكة كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا - او كذبوهم في تسميتهم شركاء و آلهة تنزيها لله من الشريك - و ان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ كما يقول الشيطان إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ. [وَأَلْقَوْا] يعني الذين ظلموا و القاء السلم الاستسلام لامر الله و حكمه بعد الاباء و الاستكبار في الدنيا [وَضَلَّ عَنْهُمْ] و بطل عنهم [مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ] من ان لله شركاء و انهم ينصرونهم و يشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم. [الَّذِينَ كَفَرُوا] في انفسهم و حملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم - و قيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حُمتها اربعين خريفا - وقيل يُخرَجون من النار الى الزمهرير فينادون من شدة برده الى النار [بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ] بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله. [شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ] يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم [وَجِئْنَا بِكَ] يا محمد [شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ] على امتك [تِبْيَانًا] بيانا بليغا و نظير تبيان تلقاء في كسر اوله و قد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن - فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لِّكُلِّ شَيْءٍ - قلت المعنى انه بَيّن كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها و احالة على السنة

سورة النحل ١٦ الجزء ١٤ ع ١٨

وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ۚ
وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ۚ
تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته. وقيل وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ وحثا على الاجماع في قوله وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله صلى الله عليه وآله وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا وطأوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثمة كان تبيانا لكل شيء * [الْعَدْلَ] هو الواجب لان الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم [وَالْإِحْسَانَ] الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لابد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا ازدد فيها ولا انقصت فلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وآله وسلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل. والفواحش ما جاوز حدود الله. والمنكر ما ينكره العقول. والبغي طلب التطاول بالظلم. وحين استطت من الخطب لعنة اللاعنين على امير المؤمنين علي رضي الله عنه اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا فاعقب الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعلي من عاداه وكانت حبب اسلام عثمن بن مظعون. عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الاسلام إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ [وَلَا تَنْقُضُوا] ايمان البيعة [بَعْدَ تَوْكِيدِهَا] اي بعد توثيقه باسم الله. وَكَّد وأكّد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل [كَفِيلًا] شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مُهَيْمِن عليه. [وَلَا تَكُونُوا] في نقض الايمان كالمرأة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته [أَنْكَاثًا] جمع نكث وهو ما ينكث فتله. قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن [تَتَّخِذُونَ] حال و دَخَلًا احد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها [دَخَلًا بَيْنَكُمْ] اي مفسدة ودغلا [أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ] بسبب ان تكون امة يعني جماعة رئيس [هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ] هي ازيد عددا واوفر مالا. مِنْ أُمَّةٍ من جماعة المؤمنين [إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ] الضمير يعود الى أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى ليظهر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم وكنتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم

مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ
وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا
صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

وقوتهم و قلة المؤمنين و فقرهم وضعفهم [وَلَتُبَيِّنُنَّ لَكُمْ] انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام * [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً] حقيقة مسلمة على طريق الالجاء و الاضطرار و هو قادر على ذلك [وَلَٰكِنْ] الحكمة اقتضت ان [يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ] وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر و يصمم عليه [وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ] و هو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف و الخذلان و الثواب و العقاب و لم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك و حققه بقوله [وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] ولو كان هو المضطر الى الضلال و الاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه * ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان [دَخَلًا بَيْنَكُمْ] تاكيدا عليهم و اظهارا لعظم ما يركب منه و فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا] فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها [وَتَذُوقُوا السُّوءَ] في الدنيا بصدودكم عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بخروجكم من الدين - او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة و ارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها [وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] في الاخرة * كان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش و استضعافهم المسلمين و ايذائهم ايهم و لما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم فذكرتهم الله [وَلَا تَشْتَرُوا] و لا تستبدلوا [بِعَهْدِ اللَّهِ] و بيعة رسول الله [ثَمَنًا قَلِيلًا] عرضا من الدنيا يسيرا و هو ما كانت قريش يعدونهم و يمنونهم ان رجعوا [إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ] من اظهاركم و تغنيمكم و من ثواب الاخرة [خَيْرٌ لَكُمْ مَا عِنْدَكُمْ] من اعراض الدنيا [يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ] من خزائن رحمته [بَاقٍ] لا ينفد - وقرئ [لَنَجْزِيَنَّ] بالنون والياء [الَّذِينَ صَبَرُوا] على اذى المشركين و مشاق الاسلام - فان قلت لم وحدت القدم و نكرت - قلت للاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة * فان قلت مَنْ متناول في نفسه للذكر و الانثى فما معنى تبيينه بهما - قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل [مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ] على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا [حَيَاةً طَيِّبَةً] يعني في الدنيا و هو الظاهر لقوله وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ وعده الله ثواب الدنيا و الاخرة كقوله فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ و ذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه و ان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه و هو القناعة و الرضا بقسمة الله و اما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره و ان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه - و عن ابن عباس الحياة الطيبة الرزق الحلال - و عن

بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من
الله ج ولهم عذاب عظيم ۝ ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكفرين ۝
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم ج واولئك هم الغفلون ۝ لا جرم انهم في الاخرة هم الخسرون ۝
ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ع ۝ يوم تاتي

[ولكن من شرح بالكفر صدرا] اي طاب به نفسا واعتقده [فعليهم غضب من الله] - ويجوز ان يكون بدلا من المبتدأ الذي هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون - او من الخبر الذي هو الكذبون على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه - ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لان جواب من شرح دل عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب - روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا واما سمية فقد ربطت بين بعيرين وجيء في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه واتى عمار رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهو يبكي فجعل النبي صلى الله عليه واله وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا - فان قلت اي الامرين افضل اتعمل عمار ام فعل ابويه - قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام - وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال ما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا واعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له [ذلك] اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الاخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم - [اولئك هم الغفلون] الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها - [ثم ان ربك] دالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه - ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه ويكون محميا منفوعا غير مضرور [من بعد ما فتنوا] بالعذاب والاكراه على الكفر - وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه [من بعدها] من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر [يوم تاتي] منصوب برحيم او باضمار

كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ سورة النحل ١٦
اٰمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِاَنْعُمِ اللَّهِ فَاَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا الجزء ١٤
كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَاَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظٰلِمُونَ ۝ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلٰلًا ع ٢٠

اذكُرْ - فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس - قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسهُ وفي نقيضه غيرهُ والنفسُ الجملة كما هي والنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يُهمّه شان غيره كل يقول نفسي نفسي - ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هٰؤُلَاءِ اَضَلُّونَا - مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ونحو ذلك * [وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا قَرْيَةً] اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فَاَبْطَرتهم النعمة فكفروا وتولّوا فانزل الله بهم نِقمته فيجوز ان تراد قرية مقدّرة على هذه الصفة - وان تكون في قُرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها [مُّطْمَئِنَّةً] لايُزعجها خوف لان الطُمانينة مع الامن و الانزعاجَ و القلقَ مع الخوف [رَغَدًا] واسعا - و الانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع و ادرع - او جمع نُعْم كبُؤْس و ابْؤُس - و في الحديث نادى منادي النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بالموسم بمِنى انها ايام طُعم ونُعم فلا تصوموا - فان قلت الاذاقة و اللباس استعارتان فما وجه صحتهما و الاذاقة المستعارة مُوقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه - قلت اما الاذاقة فقد جرتْ عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا و الشدائد و ما يمسّ الناسَ منها فيقولون ذاق فلان البؤس و الضرّ و اذاقه العذابَ - شبّه ما يدرك من اثر الضرر و الالم بما يدرك من طعم المرّ البشع و اما اللباس فقد شُبّه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسانَ و التبس به من بعض الحوادث و اما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع و الخوف فلانه لمّا وقع عبارة عما يغشى منهما و يلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع و الخوف - و لهم في نحو هذا طريقان لابدّ من الاحاطة بهما فانّ الاستنكار لا يقع الا لمن فقد هما - احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نُظر اليه ههنا و نحوه قول كُثَيِّر * شعر * غَمْرُ الرداء اذا تبسّم ضاحكا * غلقتْ لضحكته رقاب المال * استعار الرداءَ للمعروف لانه يصون عِرض صاحبه صونَ الرداء لما يُلقى عليه و وَصَفَهُ بالغمر الذي هو وصف المعروف و الذوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له - و الثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله * شعر * يذازعني ردائيَ عبدُ عَمرو * رويدك يا لخ عمرو بن بكر * لِيَ الشطر الذي ملكتْ يميني * ودونك فاعتجِرْ منه بشطر * اراد برداءه سيفَه ثم قال فاعتجِرْ منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار و لو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع و الخوف و لقال كُثَيِّر ضاحي الرداء اذا تبسم ضاحكا * وَهُمْ ظٰلِمُونَ] في حال التباسهم بالظلم كقوله الَّذِينَ تَتَوَفّٰهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ ظَالِمِيْ اَنْفُسِهِمْ نعوذ بالله من مفاجاة النقمة و الموت على الغفلة - وقرئ وَالْخَوْفَ عطفا على اللِبَاسَ - او على تقدير حذف المضاف و اقامة المضاف اليه مقامه اصله و لباسَ الخوف -

طَيِّبًا وَّاشْكُرُوْا نِعْمَتَ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ اِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَ ۝ اِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيْرِ وَمَآ اُهِلَّ
لِغَيْرِ اللّٰهِ بِهٖ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَّلَا عَادٍ فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ وَلَا تَقُوْلُوْا لِمَا تَصِفُ اَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هٰذَا
حَلٰلٌ وَّهٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوْا عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ ؕ اِنَّ الَّذِيْنَ يَفْتَرُوْنَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُوْنَ ۝ؕ مَتَاعٌ قَلِيْلٌ ۖ
وَّلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝ وَعَلَى الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَا ظَلَمْنٰهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوْٓا
اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ ۝ ثُمَّ اِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِيْنَ عَمِلُوا السُّوْٓءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوْا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَاَصْلَحُوْٓا اِنَّ رَبَّكَ
مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ ع اِنَّ اِبْرٰهِيْمَ كَانَ اُمَّةً قَانِتًا لِّلّٰهِ حَنِيْفًا ؕ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۝ۙ شَاكِرًا لِّاَنْعُمِهٖ ؕ

و قرئ لِبَاسَ الْخَوْفِ وَالْجُوْعِ • لمّا وعظهم بما ذكر من حال القرية و ما اُتيت به من كفرها و سوء صنيعها وَصَل بذلك بالفاء في قوله [فَكُلُوْا] صدّهم عن افعال الجاهلية و مذاهبهم الفاسدة اللتي كانوا عليها بأنّ امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيّب و شكر انعامه بذلك و قال [اِنْ كُنْتُمْ اِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَ] يعني تطيعون - او ان صحّ زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده - ثم عدّد عليهم محرّمات الله و نهاهم عن تحريمهم و تحليلهم باهوائهم و جهالاتهم دون اتّباع ما شرع الله على لسان انبيائه - و انتصاب الكَذِبَ بِلَا تَقُوْلُوْا على و لا تقولوا الكذبَ لما تصفه اَلْسِنَتكم من البهائم بالحلّ و الحرمة في قولكم مَا فِيْ بُطُوْنِ هٰذِهِ الْاَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُوْرِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلٰى اَزْوَاجِنَا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله - الى قياس مستند اليه و اللام مثلها في قولك و لا تقولوا لما احلّ الله هو حرام و قوله [هٰذَا حَلٰلٌ وَّهٰذَا حَرَامٌ] بدل من الكَذِبَ - و يجوز ان يتعلق بتَصِفُ على ارادة القول اي و لا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال و هذا حرام و لك ان تنصب الكذب بتَصِفُ و تجعل مَا مصدرية و تُعلّق هٰذَا حَلٰلٌ وَّهٰذَا حَرَامٌ بِلَا تَقُوْلُوْا على و لا تقولوا هذا حلال و هذا حرام لوصف السنتكم الكذبَ اي لا تحرّموا و لا تحلّلوا لاجل قول تنطق به السنتكم و يجول في افواهكم لا لاجل حجة و بيّنة ولكن قول ساذج و دعوى فارغة - فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذبَ - قلت هو من فصيح الكلام و بليغه جعل قولهم كانه عين الكذب و محضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلّت الكذبَ بحليته و صوّرته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمالَ - و عينها تصف السحرَ - و قرئ الْكَذِبِ بالجر صفة لمَا المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بِدَمٍ كَذِبٍ و المراد بالوصف وصفها البهائم بالحلّ و الحرمة - و قرئ اَلْكُذُبُ جمع كَذُوْبٍ بالرفع صفة للألسنة و بالنصب على الشتم - او بمعنى الكلم الكوذب - او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جنّي - و اللام في [لِتَفْتَرُوْا] من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض [مَتَاعٌ قَلِيْلٌ] خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة و عقابها عظيم • [مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ] يعني في سورة الانعام • [بِجَهَالَةٍ] في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله و بعقابه - او غير متدبّرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم [مِنْ بَعْدِهَا] من بعد التوبة • [كَانَ اُمَّةً] فيه وجهان -

اجْتَبٰىهُ وَهَدٰىهُ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ۝ وَاٰتَيْنٰهُ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً ۭ وَاِنَّهٗ فِى الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ ۝ ثُمَّ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ اَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا ۭ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۝ اِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَي الَّذِيْنَ

احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله • شعره • وليس لله بمستنكر • ان يجمع العالم في واحد • وعن مجاهد كان مؤمنا وحده و لناس كلهم كفار • والثاني ان يكون اُمَّةً بمعنى ما موم اي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير • او بمعنى موتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فُعْلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قَالَ اِنِّيْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَامًا • وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطتَ انما هو ابراهيم فقال الاُمَّةُ الذي يعلم الخير و القانتُ المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك • وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الامة معلموا الخير • والقانتُ القائم بما امره الله • والحنيفُ المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تعريضا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم [شَاكِرًا لِاَنْعُمِهٖ] روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملئكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على ان عافاني وابتلاكم [اِجْتَبٰىهُ] اختصه واصطفاه للنبوة • وَهَدٰىهُ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ] اي ملة الاسلام • [حَسَنَةً] عن قتادة هي تنويهُ الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه • وقيل الاموال والاولاد • وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم [لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ] لمن اهل الجنة [ثُمَّ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ] في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم • واحلال محله والايذان بان اشرف ما اُوتي خليل الله ابراهيم من الكرامة و اجلَّ ما اُولي من النعمة اتباعُ رسول الله ملتهُ من قبل انا دللنا على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي انثى الله عليه بها • [السَّبْتُ] مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جُعل وبال السبت وهو المسخ [عَلَى الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ] واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة و حرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه و تعظيمهُ • والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته • فان قلت ما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محقين او مبطلين • قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى • وجه آخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة

اخْتَلَفُوا فِيهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۝ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ

و ان يكون يومَ الجمعة فابَوْا عليه و قالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات و الارض و هو السبت الّا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه و بعضهم اختار عليه الجمعةَ فبيّنَ الله لهم في السبت و ابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون فيه و اعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون ارلئك و هو يحكم [بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه و معنى جُعل السبت فُرض عليهم تعظيمه و ترك الاصطياد فيه - و قرئ إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتَ على البناء للفاعل - و قرأ عبد الله انّا اَمَرْنَا السَّبْتَ ٭ [إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ] الى الاسلام [بِالْحِكْمَةِ] بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح المزيل للشبهة [وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ] وهي اللتي لا يخفى عليهم ادلّ تناصحهم بها و تقصد ما ينفعهم فيها - و يجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة و موعظة حسنة [وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] بالطريقة اللتي هي احسن طرق المجادلة من الرفق و اللين من غير فظاظة و لا تعنيف [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ] بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليلُ و المصيحة اليسيرة و من لا خير فيه عجزت عنه الحِيَلُ و كانك تضرب منه في حديد بارد ٭ سمّى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة و المعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله و لا تزيدوا عليه - قرئ وَإِنْ عَقَبْتُمْ فَعَقِّبُوا اي و ان تقفّيتم بالانتصار فتقفّوا بمثل ما فُعل بكم - روي ان المشركين مثّلوا بالمسلمين يوم اُحد فقروا بطونهم و قطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم على حمزة و قد مُثّل به و روي فرآه مبقورَ البطن فقال اما و الذي احلفُ به لَأَنْ اظفرني الله بهم لامثلنّ بسبعين مكانك فنزلت فكفّر عن يمينه و كفّ عما اراده و لا خلاف في تحريم المثلة و قد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور - اما ان يرجع الضمير في [لَهُوَ] الى صبرهم و هو مصدرُ صبرتم و يراد بالصّابِرِينَ المخاطبون اي و لَئِنْ صبرتم لَصَبْرُكم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد - او وصفهم بالصفة اللتي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة - و اما ان يرجع الى جنس الصبر و قد دلّ عليه صَبَرْتُمْ و يراد بالصابرين جنسهم كانه قيل و الصبر خير للصابرين و نحوه قوله تعالى فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ثم قال لرسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم [وَاصْبِرْ] انت فعزم عليه بالصبر [وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللّٰهِ] اي بتوفيقه و تثبيته و ربطه على قلبه [وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ] اي على الكفرين كقوله لَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ - او على المؤمنين و ما تعمل بهم الكفرون [وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ] - وقرئ

إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۝ ع

سورة بني اسرايل ٧
الجزء ١٥
ع ٢٢

كلماتها ١٥٨٢ — سورة بني اسرايل مكية و هي مائة و احدى عشر اية و اثنا عشر ركوعا — حروفها ٦٧١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ

وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ اي و لا يضيقن صدرك من مكرهم - و الضَّيْق تخفيف الضَّيِّق اي في امر ضيِّق - و يجوز ان يكون الضِّيق و الضَّيْق مصدرين كالقيل و القول • [إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا] اي هو وليّ الذين اجتنبوا المعاصيَ ووليّ الذين هم محسنون في اعمالهم - و عن هرم بن حيّان انه قيل له حين احتُضر أَوْصِ فقال انما الوصية من المال و لا مال لي و أُوصيكم بخواتم سورة النحل - عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم مَن قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا و ان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات و احسن الوصيةَ •

سورة بني اسرايل

[سُبْحَانَ] عَلَمٌ للتسبيح كعثمان للرجل و انتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أُسبّح الله سبحانَ ثم نُزّل سبحانَ منزلة الفعل فسدّ مسدّه ودلّ على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداءُ الله و [أَسْرَىٰ] وسرى لغتان و [لَيْلًا] نصب على الظرف - فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل - قلت اراد بقوله لَيْلًا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء و انه اسرى به في بعض الليل من مكّة الى الشام مسيرةَ اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله و حذيفة مِنَ اللَّيْلِ اي بعض الليل كقوله وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً يعني الامر بالقيام في بعض الليل - و اختلف في المكان الذي أُسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه و هو الظاهر - و روي عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بَيْنَا انا في المسجد الحرام في الحِجر عند البيت بين النائم و اليقظان اذ اتاني جبرئيل عليه السلام بالبراق - و قيل أُسري به من دار امّ هانئ بنت ابي طالب - و المراد بالمَسْجِد الحَرَام الحرم لاحاطته بالمسجد و التباسه به - و عن ابن عباس الحرم كله مسجد - و روي انه كان نائما في بيت امّ هانئ بعد صلوة العشاء فأُسري به و رجع من ليلته و قصّ القصّة على امّ هانئ و قال مُثّل لي النبيّون فصليتُ بهم و قام ليخرج الى المسجد فتشبّثت امّ هانئ بثوبه فقال مالك قالت اخشى ان يكذّبك قومك ان اخبرتهم قال و ان كذّبوني فخرج فجلس اليه ابوجهل فاخبره رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لُؤيّ هلمّ فحدّثهم فمن بين مصفّق و واضع يده على رأسه تعجبا و انكارا و ارتدّ ناس ممن كان أمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا

سورة بني اسرائيل ١٧ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي
جزء ١٥ وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ
ع ٢٢

التصدّقه على ذلك قال اني لأصدّقه على ابعد من ذلك نسمّي الصديق و فيهم من سافر الى مائتي واستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه و ينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقدوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها و احوالها و قال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنيّة فقال قائل منهم هذه و الله الشمس قد شرقت فقال آخر و هذه و الله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمّد ثم لم يؤمنوا و قالوا ما هذا الا سحر مبين - و قد عُرج به الى السماء في تلك الليلة و كان العروج به من بيت المقدس و اخبر قريشا ايضا بما رأى في السماء من العجائب و انه لقي الانبياء و بلغ البيتَ المعمورَ و سدرة المنتهى - و اختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة - و عن انس و الحسن انه كان قبل البعث - و اختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام - و عن عائشة رضي الله عنها انما فُقدت و الله ما فُقد جسد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لكن عُرج بروحه - و عن معاوية انما عُرج بروحه - و عن الحسن كان في المنام رؤيا رآها و اكثر الاقاويل بخلاف ذلك [وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَا] بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد [بَارَكْنَا حَوْلَهُ] يريد ببركات الدين و الدنيا لانه متعبّد الانبياء من وقت موسى و مهبط الوحي و هو محفوف بالانهار الجارية و الاشجار المثمرة - و قرأ الحسن لِيُرِيَهُ بالياء و لقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اَسْرَى ثم بَارَكْنَا ثم لِنُرِيَهُ على قراءة الحسن ثم مِنْ آيَاتِنَا ثم انَّهُ هُوَ و هي طريقة الالتفات التي هي من طُرُق البلاغة [أَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لاقوال مُحَمَّد [الْبَصِيرُ] بافعاله العالم بنيّاتها و خلوصها فيكرمه و يقرّبه على حسب ذلك [أَلَّا تَتَّخِذُوا] قرئ بالياء على لئلا يتخذوا - و بالتاء على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا [وَكِيلًا] ربّا تكلون اليه اموركم [ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا] نصب على الاختصاص - و قيل على النداء نبههم قرأ لَا تَتَّخِذُوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح و قد يجعل وَكِيلًا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مفعولَيْ تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا و من ذرية المحمولين مع نوح عيسى و عزير عليهم السلام - و قرئ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا بالرفع بدلا من واو تَتَّخِذُوا - و قرأ زيد بن ثابت ذِرِّيَّةَ بكسر الذال - و روي عنه انه قد فسّرها بولد الولد - ذكّرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق [إِنَّهُ] ان نوحا [كَانَ عَبْدًا شَكُورًا] قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني و لو شاء اجاعني و اذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني و لو شاء اظمأني و اذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني و لو شاء اعراني و اذا احتذى قال الحمد لله الذي حذّاني و لو شاء احفاني و اذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية و لو شاء حبسه - و روي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن

تُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ
شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا

به فان وجده محتاجا أثره به فان قلت قوله إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ما وجه ملاءمته لما قبله - قلت كانه قيل لاتتخذوا من دوني وكيلا ولا تُشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من أمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم - ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص - ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد [وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ] واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يُفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون [فِي الْكِتَابِ] في التوراة و [لَتُفْسِدُنَّ] جواب قسم محذوف - ويجوز ان يجرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لَتُفْسِدُنَّ جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن - وقرئ لَتُفْسَدُنَّ على البناء للمفعول - وَلَتُفْسُدُنَّ بفتح التاء من فسد [مَرَّتَيْنِ] أولاهما قتل زكريا وحبس أرميا حين انذرهم سخط الله والاخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم * [عِبَادًا لَنَا] وقرئ عَبِيدًا لَنَا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده - وقيل بُخت نصر وعن ابن عباس جالوت وقتلوا علمائهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا - فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه - قلت معناه خذلنا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله تعالى وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وكقول الداعي وخالف بين كلمهم - واسند الجوس وهو التردد خلل الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم - وقرأ طلحة فَحَاسُوا بالحاء - وقرئ فَجَوَسُوا وَخَلَلَ الدِّيَارِ - فان قلت ما معنى وَعْدُ أُولَاهُمَا - قلت معناه وعد عقاب اولاهما [وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا] يعني وكان وعد العقاب وعدا لابد ان يفعل * [ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ] اي الدولة والغلبة على الذين بُعثوا عليكم حين تُبتم ورجعتم عن الفساد والعلو - قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل أسراءهم واموالهم ورجوع الملك اليهم - وقيل هي قتل داود جالوت [نَفِيرًا] مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه - وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم - وعن علي رضي الله عنه ما احسنتُ الى احد ولا اسأتُ اليه وتلاها [فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ] المرة [الْآخِرَةِ] بعثناهم [لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ] حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وقرئ لِيَسُوءُوا الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث - وَلِيَسُوءَنَّ بالنون - وفي قراءة علي لَنَسُوءَنَّ وَلِيَسُوءُنَّ - وقرئ

سورة بني اسرائيل ١٧ الجزء ١٥ ع ١

وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ۚ
وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ۝ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا

لَنَسُوءَنَّ بالنون الخفيفة و اللامُ في [لِيَدْخُلُوا] على هذا متعلق بمحذوف و هو و بعثناهم ليدخلوا وَلَنَسُوءَنَّ جواب إذا جاءَ [مَا عَلَوْا] مفعول لِيُتَبِّرُوا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه - او بمعنى مدة علوهم - [عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ] بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وازجرتم عن المعاصي [وَإِنْ عُدْتُمْ] مرة ثالثة [عُدْنَا] الى عقوبتكم و قد عادوا وعاد الله اليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم - و عن الحسن عادوا وبعث الله محمدا فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون - و عن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فما منهم في عذاب الى يوم القيمة [حَصِيرًا] محبسا يقال للسجن محصر وحصير - و عن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول • [لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ] للحالة التي هي اقوم الحالات و اسدها - او للملة - او للطريقة و ايتما قدرت لم تجد مع اثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف اما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تُفْقَد مع ايضاحه - وقرئ وَيُبْشِرُ بالتخفيف - فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار و الكفار و لم يذكر الفسقة - قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك و انما حدث اصحاب المنزلتين بعد ذاك - فان قلت علام عطف وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ - قلت على أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم و بعقاب اعدائهم - و يجوز ان يراد و يخبرهم ان الذين لا يؤمنون معذبون • اي و يدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه و اهله و ماله كما يدعو لهم بالخير كقوله وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ [وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا] يسترسل الى طلب كل ما يقع في قلبه و يخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر - و عن النبي صلى الله عليه و اله و سلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له مالك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده و هرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه و اله و سلم دعا به فاعلم بشانه فقال صلى الله عليه و اله و سلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة و ان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه و اله و سلم اني سألت الله ان يجعل لعنتي و دعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلقرد سودة يديه - و يجوز ان يريد بالانسان الكافر و انه يدعو بالعذاب استهزاء و يستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال - و عن ابن عباس هو النضر بن الحارث قال اللهم إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا • فيه وجهان - احدهما ان يراد ان الليل و النهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة في آية الليل و آية

اٰيَةَ الَّيْلِ وَ جَعَلْنَآ اٰيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوْا فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوْا عَدَدَ السِّنِيْنَ وَ الْحِسَابَ ؕ وَ كُلَّ شَيْءٍ
فَصَّلْنٰهُ تَفْصِيْلًا ۝ وَ كُلَّ اِنْسَانٍ اَلْزَمْنٰهُ طٰٓئِرَهٗ فِيْ عُنُقِهٖ ؕ وَ نُخْرِجُ لَهٗ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ كِتٰبًا يَّلْقٰىهُ مَنْشُوْرًا ۝ اِقْرَاْ كِتٰبَكَ ؕ
كَفٰى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيْبًا ۝ مَنِ اهْتَدٰى فَاِنَّمَا يَهْتَدِيْ لِنَفْسِهٖ ۚ وَ مَنْ ضَلَّ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ؕ

النهارِ للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فَمَحَوْنَا الاٰية اللتي هي الليل و جعلنا الاٰية اللتي هي النهار مبصرةً - والثاني ان يراد و جعلنا نيّري الليل و النهار اٰيتين يريد الشمس و القمر فَمَحَوْنَا اٰيَةَ الَّيْلِ اي جعلنا الليل ممحوّ الضوء مطموسَهُ مظلما لايستبانُ فيه شيء كما لايستبانُ ما في اللوح الممحوّ وَ جَعَلْنَا النهار مبصرا اي تُبْصَر فيه الاشياء و تستبانُ - او فَمَحَوْنَا اٰية الليل اللتي هي القمر حيث لم يخلق لها شعاعا كشعاع الشمس فتُرى به الاشياء رؤية بيّنة و جعلنا الشمس ذات شعاع يُبْصر في ضوءها كل شيء [لِّتَبْتَغُوْا فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ] لتتوصّلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم و التصرف في معايشكم [وَلِتَعْلَمُوْا] باختلاف الجديدين [عَدَدَ السِّنِيْنَ] [وَ] جنس [الْحِسَابَ] و ما تحتاجون اليه منه و لولا ذلك لَمَا علمَ احدٌ حسبان الاوقات و لتعطّلت الامور [وَ كُلَّ شَيْءٍ] مما تفتقرون اليه في دينكم و دنياكم [فَصَّلْنٰهُ] بيّناه بيانا غير ملتبس فَاَزَحْنا عِللكم و ما تركنا لكم حجّة علينا • [طٰٓئِرَهٗ] عمله و قد حقّقنا القول فيه في سورة النمل - و عن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني اَلْزمناه ما طار من عمله و المعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغُلّ لا يُفكّ عنه و منه مثل العرب تقلّدها طوقَ الحمامة - و قولهم الموت في الرقاب - وهذا رِبقة في رقبته - و عن الحسن يا ابن اٰدم بُسطتْ لك صحيفة اذا بُعثتَ قُلّدتَها في عنقك - وقرئ في عُنُقِهِ بسكون النون - وقرئ [نُخْرِجُ] بالنون و يُخْرِجُ بالياء و الضمير لله عزّ وجلّ - و يُخْرَجُ على البناء للمفعول - و يَخْرُجُ من خرج و الضمير للطّائر اي يخرج الطائر كِتٰبًا و انتصاب كِتٰبًا على الحال و قرئ يُلَقّٰهُ بالتشديد مبنيا للمفعول - [يَلْقٰىهُ مَنْشُوْرًا] صفتان للكتاب - او يَلْقٰىهُ صفة و مَنْشُوْرًا حال من يَلْقٰىهُ [اِقْرَاْ] على ارادة القول - و عن قتادة يقرأ ذلك اليوم مَن لم يكن في الدنيا قارئاً و [بِنَفْسِكَ] فاعلُ كَفٰى و [حَسِيْبًا] تمييز و هو بمعنى حاسب كضريب القِداح بمعنى ضاربها و صريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه و عَلٰى متعلق به من قولك حسب عليه كذا - و يجوز ان يكون بمعنى الكافي وُضع موضع الشهيد فعُدّي بعَلٰى لان الشاهد يكفي المدّعي ما اهمّه - فان قلت لم ذُكر حسيبا - قلت لانه بمنزلة الشهيد و القاضي و الامير لان الغالب ان هذه الامور يتولّاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا - و يجوز ان يتأوّل النفس بالشخص كما يقال ثلثة انفس - و كان الحسن اذا قرأها قال يا ابن اٰدم اَنْصَفك و اللهِ من جعلك حسيبَ نفسك • اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى [وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ] و ما صحّ منّا صحّة تدعو اليها الحكمة ان نعذّب قوما الّا بعد ان [نَبْعَثَ] اليهم [رَسُوْلًا] فنُلزمهم الحجّة - فان قلت الحجّة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم ادلّة العقل اللتي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر و هم متمكّنون

سورة بني اسرائيل ١٧ الجزء ١٥ ع ١

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ

منه و استيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم و كفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف و العملُ بها لا يصح الا بعد الايمان - قلت بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كُنّا غافلين فلولا بعثتَ الينا رسولا ينبّهنا على النظر في ادلّة العقل ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾ و اذا دنا وقت اهلاك قوم و لم يبق من زمان امهالهم الا قليل [أَمَرْنَا] هم [فَفَسَقُوا] اي امرناهم بالفسق ففعلوا و الامرُ مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسُقوا و هذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا و وجه المجاز انه صبّ عليهم النعمة صبّا فجعلوها ذريعة الى المعاصي و اتّباع الشهوات فكانهم ما مورون بذلك لتسبّب ايلاء النعمة فيه و انما خوّلهم اياها ليشكروا و يعملوا فيها الخير و يتمكّنوا من الاحسان و البرّ كما خلقهم اصحاء اقوياء و اقدرهم على الخير و الشرّ و طلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلمّا فسقوا حَقّ عليهم القولُ و هو كلمة العذاب فدمّرهم - فان قلت هلّا زعمت ان معناه أَمَرْنَاهم بالطاعة فَفَسَقُوا - قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف بحذف ما الدليل قائم على نقيضه و ذلك أن المامور به انما حذف لان فَسَقُوا يدلّ عليه و هو كلام مستفيض يقال امرته فقام و امرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة و لو ذهبت تقدّر غيره فقد رمتَ من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك منافٍ للامر مناقض له و لا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالّا على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منويّ لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به و كانه يقول كانّ مني امر فلم يكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يُعْطي و يمنع و يأمر و ينهى غيرُ قاصد الى مفعول - فان قلت هلّا كان ثبوت العلم بانّ الله لا يأمر بالفحشاء و انما يأمر بالقصد و الخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا - قلت لا يصحّ ذلك لان قوله فَفَسَقُوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا و انت تدّعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجهَ و نظير أَمَرْتُهُ في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لَأَحْسَنَ اليك و لو شاءَ لَأَسَاء اليك تريد لو شاء الاحسان و لو شاء الاساءة فلو ذهبت تُضمر خلاف ما اظهرتَ و قلت قد دلّت حال من اسندتَ اليه المشيّة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به و اضمر ما دلّت عليه حال صاحب المشيّة لم تكن على سداد - و قد فسّر بعضهم أَمَرْنَا بكثّرنا و جعل أمرته فآمر من باب فَعلته ففَعل كثّرته فكثّر - و في الحديث خير المال سكّة مأبورة و مُهْرة مامورة اي كثيرة النتاج - و روي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم انه سيأمَرُ اي

بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ
جَهَنَّمَ ۚ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ
مَشْكُورًا ۝ كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

سيكثُرُ و سيكبُرُ - و قرئ أَمَرْنَا من أَمِرَ و أَمَرَهُ غيره - وأَمَّرْنَا بمعنى أَمَرْنَا او من أَمُرَ امارة و أَمَّرَهُ الله اي جعلناهم أُمراء وسلّطناهم • [كَمْ] مفعول [أَهْلَكْنَا] و [مِنَ الْقُرُونِ] بيان لكَمْ وتمييزله كما يميّز العدد بالجنس يعني عادا و ثمودا و قرونا بين ذلك كثيرا و نبّه بقوله [وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا] على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير و انه عالم بها و معاقب عليها • من كانت العاجلة همّه و لم يُرد غيرها كالكفرة و اكثر الفسقة تفضّلنا عليه من منافعها بِمَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ فقيّد الامر تقييدين - احدهما تقييد المعجّل بمشيته - و الثاني تقييد المعجّل له بارادته و هكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنّون ما يتمنّون و لا يعطون الّا بعضا منه و كثيرا منهم يتمنّون ذلك البعض و قد حُرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا و فقر الآخرة و اما المؤمن التقيّ فقد اختار مراده و هو غنى الآخرة فما يبالي أُوتي حظّا من الدنيا او لم يوتَ فان أُوتي فبها و الا فربّما كان الفقر خيرا له و اعون على مراده وقوله [لِمَنْ نُرِيدُ] بدل من لَهُ و هو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى مَنْ وهو في معنى الكثرة - وقرئ يَشَاءُ - و قيل الضمير لله تعالى فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى - و يجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا و ان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك - وقيل هو مَن يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق و المرائي و المهاجر للدنيا و المجاهد للغنيمة و الذكر كما قال صلّى الله عليه و آله و سلّم فمن كانت هجرته الى الله و رسوله فهجرته الى الله و رسوله و من كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه [مَدْحُورًا] مطرودا من رحمة الله • [سَعْيَهَا] حقها من السعي و كفاءها من الاعمال الصالحة - اشترط ثلث شرائط في كون السعي مشكورا - ارادة الآخرة بانْ يعقد بها همّه و يتجافى عن دار الغرور - و السعيَ فيما كُلّف من الفعل و الترك - و الايمانَ الصحيحَ الثابتَ - وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت و نيّة صادقة و عمل مصيب وتلا هذه الآية - و شكرُ الله الثواب على الطاعة • [كُلًّا] كل واحد من الفريقين و التنوين عوض من المضاف اليه [نُمِدُّ] هم نزيدهم من عطائنا و نجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع و العاصيَ جميعا على وجه التفضل [وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ] و فضله [مَحْظُورًا] اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه • [انْظُرْ] بعين الاعتبار [كَيْفَ] جعلناهم متفاوتين في التفضل و في الآخرة التفاوت اكبر لانها ثواب و أعواض و تفضل وكلها متفاوتة - و روي ان قوما من الأشراف فمَنْ دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال و صهيب فشقّ على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أُتينا من قِبلنا انهم دُعوا ودُعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا و ابطأنا و هذا باب

سورة بني اسرائيل ١٧ الجزء ١٥ ع ٢

عَلٰى بَعْضٍ ط وَلَلْاٰخِرَةُ اَكْبَرُ دَرَجٰتٍ وَّاَكْبَرُ تَفْضِيْلًا ۝ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوْمًا مَّخْذُوْلًا ۝ ع
وَقَضٰى رَبُّكَ اَلَّا تَعْبُدُوْٓا اِلَّآ اِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا ط اِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ اَحَدُهُمَآ اَوْ كِلٰهُمَا فَلَا تَقُلْ لَّهُمَآ اُفٍّ

عمر فكيف التفاوت في الاٰخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لَمَا اعدّ الله لهم في الجنّة اكثرُ - و قرئ وَ اَكْثَرُ تَفْضِيْلًا - و عن بعضهم ايّها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الاٰخرة وهي اكبر و افضل * [فَتَقْعُدَ] من قولهم شحذ الشفرةَ حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذمّ و ما يتبعه من الهلاك من الٰهك و الخذلانَ و العجزَ عن النصرة ممن جعلته شريكا له * [وَقَضٰى رَبُّكَ] و امرَ امرًا مقطوعا به [اَلَّا تَعْبُدُوْا] اَنْ مفسرة و لَا تَعْبُدُوْا نهي او بَاَنْ لا تعبدوا [وَ بِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا] و اَحْسِنُوا بالوالدين احسانا - او بان تُحْسِنُوا بالوالدين احسانا - و قرئ وَ اَوْصٰى - و عن ابن عباس وَ وَصّٰى - و عن بعض ولد معاذ بن جبل وَ قَضَاءُ رَبِّكَ - و لا يجوز ان يتعلق الباء في بِالْوَالِدَيْنِ بالاِحْسَان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته [اِمَّا] هي اِن الشرطية زيدت عليها مَا تاكيدًا لها و لذلك دخلت النون الموكّدة في الفعل و لو اُفْرِدَتْ اِنْ لم يصح دخولها لا تقول اِن تكرمنّ زيدا يكرمك و لكن اِمّا تكرمنّه و [اَحَدُهُمَا] فاعل يَبْلُغَنَّ وهو فيمن قرأ يَبْلُغَانِّ بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين و [كِلٰهُمَا] عطف على اَحَدُهُمَا فاعلا و بدلا - فان قلت لو قيل اِما يبلغانّ كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلًا فما لك زعمت انه بدل - قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظمَ في حكمه فوجب ان يكون مثله - فان قلت ما ضرّك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا و عطفتَ التوكيد على البدل - قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل اَحَدُهُمَا اَوْ كِلٰهُمَا عُلم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول [اُفٍّ] صوت يدلّ على تضجر - و قرئ اُفّ بالحركات الثلث منوّنًا و غير منوّن الكسرُ على اصل البناء و الفتحُ تخفيف للضمة و التشديدُ كثُمّ و الضمُّ اتباعٌ كمُنْذُ - فان قلت ما معنى عِنْدَكَ - قلت هو ان يكبرا و يعجزا و كانا كَلًّا على ولدهما لا كافلَ لهما غيره فهما عنده في بيته و كنفه و ذلك اشقّ عليه و اشدّ احتمالا و صبرا و ربما تولّى منهما ما كان يتولّيانِ منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطأة الخُلق و لين الجانب و الاحتمالَ حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اُفٍّ فضلا عما يزيد عليه - و لقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حتى افتتحها بانْ شفّع الاحسان اليهما بتوحيده و نظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيّق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخّص في ادنى كلمة تَنْفلتُ من المتضجّر مع موجبات الضجر و مقتضياته و مع احوال لا يتكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة [وَلَا تَنْهَرْهُمَا] و لا تزجُرْهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك و النهيُ و النهرُ و النهمُ اخوات [وَقُلْ لَّهُمَا] بدل التافيف و النهر [قَوْلًا كَرِيْمًا] جميلا كما يقتضيه حسن الادب و النزول على المروة - و قيل هو ان يقول يا ابتاه يا امّاه كما قال ابراهيم

وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

لابيه يا ابت مع كفره و لايدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء و سوء الادب و عادة الكفار قالوا و لا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها لحلفني ابوبكر كذا - و قرئ جَنَاحَ الذُّلِّ والذِّلِّ بالضم و الكسر - فان قلت ما معنى قوله [جَنَاحَ الذُّلِّ] - قلت فيه وجهان - احدهما ان يكون المعنى و اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذُّل اوالذِّل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول - والثاني ان تجعل لذُلّه او لذِلّه لهما جناحا خفيضًا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرّة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما [مِنَ الرَّحْمَةِ] من فرط رحمتك لهما و عطفك عليهما لكبرهما و افتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس و لا تكتف برحمتك عليهما اللتي لا بقاء لها و ادع الله بأنْ يرحمهما رحمته الباقية و اجعَلْ ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك و تربيتهما لك - فان قلت الاسترحام لهما انما يصحّ اذا كانا مسلمين - قلت و اذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية و الرشاد - ومن الناس من قال كان الدعاء للكفّار جائزا ثم نُسِخَ - وسُئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميّت فقال كل ذلك واصلٌ اليه و لاشيء انفع له من الاستغفار و لو كان شيء افضل منه لأمركم به في الابوين و لقد كرّر الله سبحانه في كتابه الوصيةَ بالوالدين - و عن النبيّ صلى الله عليه و اله و سلم رِضى الله في رِضى الوالدين و سخطهُ في سخطهما - و روي يفعل البارّ ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار و يفعلُ العاقّ مايشاء ان يفعل فلن يدخل الجنّة - و روى سعيد بن المسيّب ان البارّ يموت ميتة سوء - و قال رجل لرسول الله صلى الله عليه و اله و سلم ان ابويَّ بلغا من الكبر انّي اَليْ منهما ما وَليا مني في الصغر فهل قضيتُهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك و هما يُحبّان بقاءك و انت تفعل ذلك وانت تريد موتهما - و شكا رجل الى رسول الله اباه و انه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكّا على عصًى فسأله فقال انه كان ضعيفا و انا قوي و فقيرا و انا غني فكنتُ لا امنعه شيئًا من مالي و اليومَ انا ضعيف و هو قويّ و انا فقير و هو غنيّ و يبخل عليّ بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و قال ما من حَجَر و لا مَدَر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت و مالك لابيك انت و مالك لابيك - و شكا اليه أخر سوء خلق امّه فقال لم تكن سيّئة الخلق حين حملتْك تسعة اشهر قال انها سيّئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيّئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرتْ لك ليلها و اظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلتُ قال حججتُ بها على عاتقي قال ما جزيتَها و لو طلقة - وعن ابن عمر انه رأى رجلا في الطواف يحمل امّه و يقول اني لها مطيّة لا تُذْعِر اذا الركاب نفرتْ لا تنفر ما حملت و ارضعتني اكثر الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنّني جزيتُها يا ابن عمر قال لا و لو زفرة واحدة - و عنه عليه السلام اياكم و عقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام و لا يجد ريحها عاقّ ولا قاطع رحم

صَغِيرًا ۞ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۖ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۞ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۞

ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين - وقال الفقهاء لايذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها - وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد - وعن حذيفة انه استأذن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دَعْه يلِهِ غيرك - وسُئل الفضيل بن عياض عن برّ الوالدين فقال أنْ لاتقوم الى خدمتهما عن كسل - وسُئل بعضهم فقال أن لاترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يَرَيا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأنْ تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اَوِدّائهما من بعدهما فمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ان من ابرّ البرّ ان يصل الرجلُ اهلَ ودّ ابيه [بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ] بما في ضمائركم من قصد البرّ الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير [إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ] قاصدين الصلاح والبرّ ثم فرطتْ منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنةٌ تؤدي الى اذاهما ثم ايتمّ الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور [لِلْأَوَّابِينَ] للتوّابين - وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الاّ الخيرَ - وعن سعيد بن المسيّب الاوّاب الرجل كلما اذنبَ بادرَ بالتوبة - ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطتْ منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائبُ من جنايته لوروده على اثره • [وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ] وصّى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقَّهم وحقُّهم اذا كانوا محارمَ كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا أنْ ينفق عليهم عند ابي حنيفة - والشافعيُّ لايرى النفقة الاّ على الولد والوالدين فحسبُ وان كانوا مياسير اوّلم يكونوا محارم كابناء العمّ فحقهم صلتهم بالمودّة والزيارة وحسن المعاشرة والموالفة على السرّاء والضرّاء والمعاضدة ونحو ذلك [وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ] يعني وآتِ هؤلاء حقهم من الزكوٰة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتي ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال - وقيل اراد بذي القربى اقرباءَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم • التبذيرُ تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقُه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتياسرُ عليها وتُبذّر اموالها في الفخر والسُّمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويُزلف - وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه - وعن مجاهد لو انفق مُدّا في باطل كان تبذيرا - وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير - وعن عبد الله بن عمرو مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسعد وهو يتوضّأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال اَوَ في الوضوء سرف قال نعم وان كنتَ على نهر جار [إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ] امثالهم في الشرارة

وَاِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ تَرْجُوْهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُوْرًا ۝ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوْلَةً اِلٰى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوْمًا مَّحْسُوْرًا ۝ اِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ اِنَّهٗ كَانَ

و هي غاية المذمّة لانه لا شرّ من الشيطان - او هم اخوانهم و اصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف - او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد [وَكَانَ الشَّيْطٰنُ لِرَبِّهٖ كَفُوْرًا] فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله - و قرأ الحسن اِخْوَانَ الشَّيْطٰنِ • و ان اعرضت عن ذي القربى و المسكين و ابن السبيل حياء من الردّ [فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُوْرًا] فلا تتركهم غير مُجابين اذا سألوك - وكان النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم اذا سُئل شيئا و ليس عنده اعرض عن السائل و سكت حياء و قوله اِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم و تطييبا لقلوبهم اِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم - و اما ان يتعلق بالشرط اي و ان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمّى الرزق رحمة فردّهم ردّا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء و الابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب - ويجوز ان يكون معنى وَاِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ وان لم تنفعهم و لم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة و اريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه - يقال يُسِرَ الامرو عُسِر مثل سُعد الرجل و نُحس فهو مفعول - و قيل معناه فقل لهم رزقنا الله و اياكم من فضله على انه دعاء لهم يُيسّر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور و هو اليسر اي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح و اعطاء المعرف • و امرٌ بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف و التقتير [فَتَقْعُدَ مَلُوْمًا] فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضيّ عنده و عند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا و حرمني و يقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة و عند نفسك اذا احتجت ندمت على ما فعلتَ [مَّحْسُوْرًا] منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه و حسره بالمسئلة - و عن جابر بينا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم جالس اتاه صبيٌّ فقال ان امّي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعُد الينا فذهب الى امّه فقالت له قل له ان امّي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه و اعطاه و قعد عريانا و اذن بلال و انتظروا فلم يخرج للصلوة - و قيل اعطى الاقرعَ بن حابس مائة من الابل و عيينةَ بن حصن فجاء عبّاس بن مرداس و انشأ يقول • شعر • اتجعل نهبي و نهب العُبَيْـد بين عيينة و الاقرع • و ما كان حصن و لا حابس • يفوقان جدّيّ في مجمع • و ما كنت دون امرئ منهما • و من تضع اليوم لا يرفع • فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلتْ ثم سلّى رسولَ الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عما كان يرهقه من الاضاقة بانّ ذلك ليس لهوان منك عليه و لا لبخل به عليك و لكن لان مشيّته في بسط الارزاق و قدرها تابعة للحكمة و المصلحة - و يجوز ان يريد

بِعِبَادِهٖ خَبِيْرًا بَصِيْرًا ۝ ع وَلَا تَقْتُلُوْٓا اَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ اِمْلَاقٍ ؕ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَاِيَّاكُمْ ؕ اِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْاً كَبِيْرًا ۝
وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنٰٓى اِنَّهٗ كَانَ فَاحِشَةً ؕ وَسَآءَ سَبِيْلًا ۝ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِيْ حَرَّمَ اللّٰهُ اِلَّا بِالْحَقِّ ؕ وَمَنْ قُتِلَ
مَظْلُوْمًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهٖ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفْ فِّي الْقَتْلِ ؕ اِنَّهٗ كَانَ مَنْصُوْرًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوْا مَالَ الْيَتِيْمِ اِلَّا بِالَّتِيْ
هِيَ اَحْسَنُ حَتّٰى يَبْلُغَ اَشُدَّهٗ ص وَاَوْفُوْا بِالْعَهْدِ ج اِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُوْلًا ۝ وَاَوْفُوا الْكَيْلَ اِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوْا

ان البسط و القبض انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا . ويحتمل انه عز و علا بسط لعباده او قبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده و لا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه • فاستنّوا بسنّته فقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خَشْيَة الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم . و قرئ خِشْيَة بكسر الخاء . و قرئ خِطْأً وهو الاثم يقال خَطِئَ خِطْأً كاثم اثمًا و خَطَأً وهو ضد الصواب اسم من اَخْطَأ . وقيل هو و الخِطْ كالحَذَر و الحِذْر . و خِطَاءً بالكسر و المد . و خَطَاءً بالفتح و المد . وخَطْأً بالفتح و السكون . و عن الحسن خَطًا بالفتح وحذف الهمزة كالخب . وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز [فَاحِشَةً] قبيحة زائدة على حدّ القبح [وَسَآءَ سَبِيْلًا] و بئس طريقا طريقه و هو ان تغصب على غيرك امرأتَهُ او اختَهُ او بنتَهُ من غير سبب و السببُ ممكن و هو الصهر الذي شرعه الله • [اِلَّا بِالْحَقِّ] الا باحدى ثلث الا بان تكفُرَ او تقتل مؤمنا عمدا او تزني بعد احصان [مَظْلُوْمًا] غير راكب واحدة منهن [لِوَلِيِّهٖ] الذي بينه و بينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له وليّ فالسلطان وليّه [سُلْطٰنًا] تسلّطا على القاتل في الاقتصاص منه . او حجّة يثبُ بها عليه [فَلَا يُسْرِفْ] الضمير للوليّ اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين و القاتلُ واحد كعادة الجاهلية كان اذا قُتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بُجَيْرَ بنَ الحارث بن عبّاد بؤْ بشسع نعل كليب وقال • شعر • كل قتيل في كليب غرّة • حتى ينال القتلُ آلَ مرّة • و كانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء . و قيل الاسراف المُثْلة . و قرأ ابو مسلم صاحب الدولة فَلَا يُسْرِفُ بالرفع على انه خبر في معنى الامر و فيه مبالغة ليست في الامر . وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول . و قرئ فَلَا تُسْرِفْ على خطاب الوليّ . او قاتل المظلوم . و في قراءة ابيّ فَلَا تُسْرِفُوْا ردّه على و لا تقتلوا [اِنَّهٗ كَانَ مَنْصُوْرًا] الضمير . امّا للوليّ يعني حَسْبه ان الله قد نصره بأنْ اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك و بانّ الله قد نصره بمعونة السلطان و باظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه . واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله و ينصره في الآخرة بالثواب . و امّا للذي يقتله الوليّ بغير حق و يسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف [بِالَّتِيْ هِيَ اَحْسَنُ] بالخصلة او الطريقة اللتي هي احسن و هي حفظه عليه وتثميره [اِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُوْلًا] اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيّعه ويفيَ به . و يجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثتَ و هلا وُفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بِاَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ . و يجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا •

بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ

قرئ [بِالْقُسْطَاسِ] بالضم و الكسر و هو القَرَسْطُوْن - و قيل كل ميزان صغرَ او كبرَ من موازين الدراهم و غيرها [وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] و احسن عاقبة هو تفعيل من آلَ اذا رجع و هو ما يؤول اليه • [وَلَا تَقْفُ] و لا تتبع - و قرئ و لا تَقُفْ يقال قفا اثره و قافه و منه القافة يعني و لا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يَتْبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضالّ و المراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم و ان يعمل بما لا يعلم و يدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يُعْلَم صحّته من فساده - و عن ابن الحنفية شهادة الزور - و عن الحسن لا تقفُ اخاك المسلم اذا مرّ بك فتقول هذا يفعل كذا و رأيتُهُ يفعل و سمعتُهُ يفعل و لم تر و لم تسمع و قيل القَفْوُ شبيه بالعضيهة و منه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج و أُنشد • و مثل الدُّمى شُمّ العرانين ساكن • بهنّ الحياء لا يُشعنَ التقافيا • اي التقاذف وقال الكميت • شعر • و لا ارمي البريَّ بغير ذنب • و لا اقفو الحواصنَ ان قُفينا • و قد استدلّ به مبطل الاجتهاد و لم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالبَ الظنّ مُقام العلم و امر بالعمل به [أُولَٰئِكَ] اشارة الى السمع و البصر و الفؤاد كقوله • ع • و العيشَ بعد اولئك الايام • و [عَنْهُ] في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسئولا عنه فمَسْئول مسند الى الجارّ و المجرور كالمَغْضوب في قوله غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ يقال للانسان لِم سمعت ما لم يحلّ لك سماعه و لِم نظرت الى ما لم يحلّ لك النظر اليه و لِم عزمت على ما لم يحلّ لك العزم عليه - و قرئ وَالْفَوَادَ بفتح الفاء و الواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفُؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح • [مَرَحًا] حال اي ذا مرح - و قرئ مَرِحًا - و فضّل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التاكيد [لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ] لن تجعل فيها خَرْقا بدَوْسك لها و شدة وطأتك - و قرئ لَنْ تَخْرُقَ بضم الراء [وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا] بتطاولك وهو تهكّم بالمحتال - قرئ سَيِّئَةً - و [سَيِّئُهُ] على اضافة سَيِّئ الى ضمير كل وسَيِّئًا في بعض المصاحف و سَيِّئَاتٍ - و في قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كَانَ شَأْنُهُ - فان قلت كيف قيل سَيِّئَةً مع قوله مَكْرُوهًا - قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب و الاثم زالّ عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه و لا فرق بين من قرأ سَيِّئَةً و سَيِّئًا لا ترك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيّئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر و مؤنث - فان قلت فما ذُكر من الخصال بعضها سيّئ و بعضها حسن و لذلك قرأ من قرأ سَيِّئُهُ بالاضافة فما وجه من قرأ سَيِّئَةً - قلت كل ذلك احاطة بما نُهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة [ذَٰلِكَ] اشارة الى ما تقدم من قوله لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ الى هذه الغاية و سمّاه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه - و عن ابن عباس هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى - اولها

سورة بني اسرائيل ١٧ الجزء ١٥ ع ٣

طُولًا ۝ كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝ ذٰلِكَ مِمَّآ أَوْحٰٓى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ
مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا اٰخَرَ فَتُلْقٰى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝ أَفَأَصْفٰىكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلٰٓئِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ
لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْاٰنِ لِيَذَّكَّرُوا ۖ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝ قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ
كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلٰى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۝ سُبْحٰنَهُۥ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ
السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا اٰخَرَ قال الله تعالى وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وهي عشر اٰيات في التوراة و لقد جعل الله خاتمتها و خاتمتها النهيَ عن الشرك لان التوحيد هو رأس كل حكمة و ملاكها و مَن عدمه لم تنفعه حِكَمُهُ وعلومه و ان بذّ فيها الحكماءَ وحلّ بياقوخه السماءَ و ما اغنت عن الفلاسفة اسفارُ الحِكَم و هم عن دين الله اضلّ من النَّعم * [أَفَأَصْفٰىكُمْ] خطاب للذين قالوا الملٰئكة بنات الله و الهمزةُ الانكار يعني افخصّكم ربّكم على وجه الخلوص و الصفاء بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه و اتخذ ادونهم و هي البنات و هذا خلاف الحكمة و ما عليه معقولكم و عادتكم فان العبيد لا يُؤْثَرون باجود الاشياء و اصفاها من الثوب و يكون اردأها و ادونها للسادات [إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا] باضافتكم اليه الاولادَ و هي خاصة بالاجسام ثم بانكم تُفضّلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأنْ تجعلوا الملٰئكة و هم اعلى خلق الله و اشرفهم ادونَ خلق الله و هم الاناث * [وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْاٰنِ] يجوز ان يريد بهذا القرأن ابطالَ اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرّفه و كرّر ذكره و المعنى و لقد صرّفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه و جعلناه مكانا للتكرير - و يجوز ان يشير بِهٰذَا الْقُرْاٰنِ الى التنزيل و يريد و لَقَدْ صَرَّفْنَاه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فتركَ الضمير لانه معلوم - و قرئ صَرَّفْنَا بالتخفيف و كذلك [لِيَذَّكَّرُوا] قرئ مشددا و مخففا اي كررناه ليتّعظوا و يعتبروا و يطمأنّوا الى ما يحتجّ به عليهم فـ[مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا] عن الحق و قلة طمانينة اليه - و عن سفيان كان اذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداك نفورا - قرئ [كَمَا يَقُولُونَ] بالتاء و الياء و [إِذًا] دالّة على ان ما بعدها و هو لَابْتَغَوْا جواب عن مقالة المشركين و جزاء لَوْ و معنى [لَّابْتَغَوْا إِلٰى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا] لطلبوا الى من له الملك و الربوبيّة سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لَوْ كَانَ فِيهِمَآ اٰلِهَةٌ إِلَّا اللّٰهُ لَفَسَدَتَا - و قيل لَتَقَرّبوا اليه كقوله أُولٰٓئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلٰى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ * [عُلُوًّا] في معنى تعاليًا و المراد البراءة عن ذلك و النزاهة و معنى وصف العلوّ بالكبر المبالغةُ في معنى البراءة و البعد مما وصفوه به و المراد انها تسبّح له بلسان الحال حيث تدلّ على الصانع و على قدرته و حكمته فكانها تنطق بذلك و كانها تُنزّه الله عزّ و جلّ مما لا يجوز عليه من الشركاء و غيرها - فان قلت فما تصنع بقوله [وَلٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ] و هذا التسبيح مفقوهٌ معلوم - قلت الخطاب للمشركين و هم و ان كانوا اذا سُئلوا عن خالق

غَفُورًا ۝ وَاِذَا قَرَأْتَ الْقُرْاٰنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُوْرًا ۝ وَّجَعَلْنَا عَلٰى قُلُوْبِهِمْ اَكِنَّةً اَنْ يَّفْقَهُوْهُ وَفِيْٓ اٰذَانِهِمْ وَقْرًا ۭ وَاِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْاٰنِ وَحْدَهٗ وَلَّوْا عَلٰٓى اَدْبَارِهِمْ نُفُوْرًا ۝ نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُوْنَ بِهٖٓ اِذْ يَسْتَمِعُوْنَ اِلَيْكَ وَاِذْ هُمْ نَجْوٰٓى اِذْ يَقُوْلُ الظّٰلِمُوْنَ اِنْ تَتَّبِعُوْنَ اِلَّا رَجُلًا مَّسْحُوْرًا ۝ اُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوْا لَكَ الْاَمْثَالَ فَضَلُّوْا فَلَا يَسْتَطِيْعُوْنَ سَبِيْلًا ۝ وَقَالُوْٓا ءَاِذَا كُنَّا عِظَامًا وَّرُفَاتًا ءَاِنَّا

السمٰوات و الارض قالوا اللّٰهُ الا انهم لمّا جعلوا معه الٰهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا و لم يُقِرّوا لان نتيجة النظر الصحيح و الاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذًا لم يفقهوا التسبيحَ و لم يستوضحوا الدلالةَ على الخالق - فان قلت مَنْ فيهنّ يستبحون على الحقيقة و هم الملٰئكة و الثقلان و قد عُطفوا على السّمٰوات و الارض فما وجهه - قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه و الا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة و المجاز [اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًا] حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم و صدود نظركم و جهلكم بالتسبيح و شركم • [حِجَابًا مَّسْتُوْرًا] ذا ستر كقولهم مَيْل مقعم ذو اقعام - و قيل هو حجاب لا يُرى فهو مستور - و يجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حُجُب فهو مستور بغيره - او حجاب يُستَر ان يُبصَر فكيف يُبصَر المحتجب به و هذه حكاية لما كانوا يقولونه وَقَالُوْا قُلُوْبُنَا فِيْٓ اَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُوْنَنَآ اِلَيْهِ وَفِيْٓ اٰذَانِنَا وَقْرٌ وَّمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ كانه قال و اذا قرأت القراٰن جعلنا على زعمهم [اَنْ يَّفْقَهُوْهُ] كراهة ان يفقهوه - او لان قوله وَجَعَلْنَا عَلٰى قُلُوْبِهِمْ اَكِنَّةً فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل و منعناهم ان يفقهوه - يقال وَحَدَ يَحِدُ وحدًا وحدة نحو وعَدَ يعِدُ وعدًا وعدة و [وَحْدَهٗ] من باب رجع عَوْدَهٗ على بدئه و افعلْهُ جهدَكَ و طاقتَكَ في انه مصدر سادّ مسدّ الحال اصله يحِدُ وحدَهٗ بمعنى واحدا وحده - و النُّفُور مصدر بمعنى التولية - او جمع نافر كقاعد و قُعُود اي يحبّون ان تذكر معه الٰهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا [بِمَا يَسْتَمِعُوْنَ بِهٖ] من الهُزْء بك و بالقراٰن و من اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من عبد الدار و رجلان منهم عن يساره فيصفّقون و يصفِرون و يخلّطون عليه بالاشعار - و بِهٖ في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهُزْء اي هازئين و[اِذْ يَسْتَمِعُوْنَ] نصب بِاَعْلَمُ اي اعلمُ وقت استماعهم بما به يستمعون [وَاِذْ هُمْ نَجْوٰى] و بما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى [اِذْ يَقُوْلُ] بدل من اِذْ هُمْ [مَّسْحُوْرًا] سُحِر فجُنّ - و قيل هو من السحر و هو الرئة اي هو بشر مثلكم • [ضَرَبُوْا لَكَ الْاَمْثَالَ] مثّلوك بالشاعر و الساحر و المجنون [فَضَلُّوْا] في جميع ذلك ضلالَ من يطلب الى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحيّر في امره لا يدري ما يصنع • لما قالوا ءَاِذَا كُنَّا عِظَامًا قيل لهم [كُوْنُوْا حِجَارَةً اَوْ حَدِيْدًا] فرَدّ قوله كُوْنُوْا على قولهم كُنّا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا و لا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم و المعنى انكم تستبعدون ان يجدّد اللّٰه خلقكم و يردّه الى حال الحيوٰة و الى رطوبة الحيّ و غضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحيّ بل هي عمود خلقه الذي

لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَنْ
يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ
قَرِيبًا ۝ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ع وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ۝ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِنْ يَشَأْ
يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ

يُبْنَى عليه سائرة فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة و رطوبة الحيّ ومن جنس ما ركّب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة اوحديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة [أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ] يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يُحييه - وقيل ما يكبر في صدوركم الموت - وقيل السموات والارض [فَسَيُنْغِضُونَ] فسيحركونها نحوك تعجبا و استهزاء • والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز و المعنى يوم يدعنكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله [بِحَمْدِهِ] حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتابى ويتمنّع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تُحمّل عليه وتقسر قسرا حتى انك تاين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه - وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك [وَتَظُنُّونَ] وترون الهول تعدّه تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم - وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الآخرة [وَقُلْ لِعِبَادِي] وقل للمؤمنين [يَقُولُوا] للمشركين الكلمة [الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] و الين ولا يخاشنوهم كقوله وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وتفسر التي هي احسن بقوله [رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ] يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله [إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ] اعتراض يعني يُلقي بينهم الفساد ويُغري بعضهم على بعض ويوقع بينهم المشارّة و المشاقّة [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا] اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتُجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فداروهم و مُرْ اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقّة و المكاشفة وذلك قبل نزول اية السيف - وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو - وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت - وقيل الكلمة الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَنْ يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله - وقرأ طلحة يَنْزَغُ بالكسر وهما لغتان نحو يَعْرِشُونَ و يَعْرُشُونَ • هو ردّ على اهل مكة في انكارهم و استبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيًا وان تكون العُراة الجُوع اصحابه كصهيب وبلال وخبّاب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ۝ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ
الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ
عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا
شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ

وباحوالهم و مقاديرهم و بما يستاهلُ كل واحد منهم و قوله [وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ] اشارة الى تفضيل رسول الله صلّى الله عليه و اله وسلّم - وقوله [وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا] دلالة على وجه تفضيله و هو انه خاتم الانبياء و ان امّته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داؤد قال الله تعالى وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ وهم محمّد وامّته - فان قلت هلا عُرّف الزبور كما عُرّف في قوله وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ - قلت يجوز ان يكون الزبورُ و زبورُ كالعبّاس و عبّاس والفَضْل و نَضْل - و ان يريد وآتينا داؤد بعض الزُّبُر وهي الكُتُب - و ان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم من الزبور فسُمّي ذلك زبورا لانه بعض لزبور كما سمّي بعض القرآن قرآنا * هم الملئكة - و قيل عيسى بن مريم و عزير - و قيل نفر من الجنّ عَبَدهم ناس من العرب ثم اسلم الجنّ و لم يشعروا اي ادعُوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضرّ من مرض او فقر او عذاب و لا ان يحوّلوه من واحد الى آخر او يبدلوه - و [أُولَٰئِكَ] مبتدأ و [الَّذِينَ يَدْعُونَ] صفته و [يَبْتَغُونَ] خبره يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله تعالى و [أَيُّهُمْ] بدل من واو يَبْتَغُونَ واي موصولة اي يبتغي مَن هو اقرب منهم وآلف الوسيلةَ الى الله فكيف بغير الاقرب - او ضُمّن يَبْتَغُونَ الْوَسِيلَةَ معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله و ذلك بالطاعة و ازدياد الخير والصلاح [وَيَرْجُونَ - وَيَخَافُونَ] كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة [إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ] حقيقا بان يحذره كلّ احد من ملك مقرّب ونبيّ مرسل فضلا عن غيرهم * [نَحْنُ مُهْلِكُوهَا] بالموت والاستيصال - [أَوْ مُعَذِّبُوهَا] بالقتل وانواع العذاب - و قيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة - و عن مقاتل وجدتُ في كُتُب الضحّاك بن مزاحم في تفسيرها امّا مكة فيخرّبها الحبشة و تهلك المدينة بالجوع و البصرةُ بالغرق و الكوفةُ بالترك و الجبالُ بالصواعق و الرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا [فِي الْكِتَابِ] في اللوح المحفوظ * استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة و الثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيبُ الاولين و المراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا و من احياء الموتى و غير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صَرَفَنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذّب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلتْ لكذّبوا بها تكذيبَ اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذابَ المستاصل و قد عزمنا ان نؤخّر امر من بُعثتَ

مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا
الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ۝ ع

اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أُرسلت فأُهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثارهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يُبصرها صادرهم وواردهم [مُبْصِرَةً] بيّنة. وقرئ مَبْصَرَةً بفتح الميم [فَظَلَمُوا بِهَا] فكفروا بها [وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ] ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها [إِلَّا تَخْوِيفًا] من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدّمة له فان لم يخافوا وقع عليهم - وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الّا تخويفًا وانذارًا بعذاب الآخرة • [وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ] واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بَشّرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ - قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ وغير ذلك فجعله كأنّ قد كان ووُجد فقال أَحَاطَ بِالنَّاسِ على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر والنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في العَريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو و يقول اللّهم اني اسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يُحرّض الناس ويقول سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ لعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر و اللّٰهِ لَكَأنّي انظر الى مصارع القوم و هو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلانٍ هذا مصرع فلان فتسامعتْ قريش بما أُوحي الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من امر يوم بدر و ما أُريَ في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون و يستسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ جعلوها سخرية و قالوا ان مُحَمَّدًا يزعم ان الجحيم تُحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر و ما قدر اللّٰهَ حقّ قدره مَن قال ذلك و ما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لايأكله النار فهذا وبر السمندل و هو دُوَيْبّة ببلاد الترك تُتّخذ منه مناديل اذا اتّسخت طُرحت في النار فذهب الوسخ و بقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار و ترى الغمامة تبتلع الجمر و قطع الحديد الحُمر كالجَمْر باحماء النار فلا تضرّها ثم اقربُ من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها - و المعنى ان الآيات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خُوّفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما [أَرَيْنَاكَ] منه في منامك بعد الوحي اليك [إِلَّا فِتْنَةً] لهم حيث اتّخذوه سخريا و خُوّفوا بعذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما اثّر فيهم ثم قال فيهم [وَنُخَوِّفُهُمْ] اي نخوفهم بمخارف الدنيا و الآخرة [فَمَا يَزِيدُهُمْ] التخويف [إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا] فكيف بخاف قومٌ هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات - و قيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلّق من يقول كان الاسراء في المنام و مَن قال كان في اليقظة فسّر الرؤيا بالرؤية - و قيل انما سمّاها رؤيا على قول المكذّبين حيث قالوا له لعلّها رؤيا رأيتها وخيال خُيّل اليك استبعادا منهم كما سمّى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ - أَيْنَ شُرَكَائِيَ - ذُقْ

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِأٰدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ ۖ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ
عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ
جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَٰلِ

انَّكَ انْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ - و قيل هي رؤياه انه سيدخل مكّة - و قيل رأى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكُرة - فان قلت اين لُعنت شجرة الزقوم في القرآن - قلت لُعنت حيث لُعن طاعموها من الكَفَرة و الظَّلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة و انما وصفت بلعن اصحابها على المجاز - و قيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعادُ من الرحمة و هي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة - و قيل يقول العرب لكل طعام مكروه ضارٍّ ملعونٌ - و سألتُ بعضهم فقال نِعْم الطعام الملعون القشب المحرق - و عن ابن عباس هي الكَشُوث اللتي تتلوى بالشجر يجعل في الشراب - و قيل هي الشيطان - و قيل ابو جهل - و قرئ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك * [طِينًا] حال امّا من الموصول و العامل فيه اَسْجُدُ على ءَأَسْجُدُ له وهو طين اي اصله طين - او من الراجع اليه من الصلة على ءَأَسْجُدُ لِمَنْ كان في وقت خلقه طِينًا - [أَرَءَيْتَكَ] الكاف للخطاب و [هٰذَا] مفعول به و المعنى اخبرني عن هذا [الَّذِي] كرّمته [عَلَيَّ] اي فضّلته لم كرّمته عليّ و انا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال [لَئِنْ أَخَّرْتَنِي] و اللام موطّئة للقسم المحذوف [لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ] لَأَستأصلنّهم بالاغواء من احتنك الجرادُ الارضَ اذا اكله كلّه و جردها عليها اكلًا و هو من الحنك و منه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي اكلهما - فان قلت من اين عُلم ان ذلك يتسهّل له و هو من الغيب - قلت امّا ان سمعه من الملئكة و قد اخبرهم الله به - او خرّجه من قولهم أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا - او نظر اليه فتوسّم في مخائله انه خلق شهوانيّ - وقيل قال ذلك لمّا عملتْ وسوستُهُ في آدم - و الظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة * [اذْهَبْ] ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء انما معناه امضِ لشانك الذي اخترتَهُ خذلانا و تخلية و عقّبه بذكر ما جرّه سوءُ اختياره في قوله [فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ] كما قال موسى عليه السلام للسامري فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ - فان قلت امّا كان من حق لضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى مَنْ تَبِعَكَ - قلت بلى و لكن التقدير فان جهنم جزاؤهم و جزاؤك ثم غُلّب المخاطب على الغائب فقيل جَزَاؤُكُمْ - و يجوز ان يكون للتابعين على طريق الالتفات و انتصب [جَزَاءً مَّوْفُورًا] بما في فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ من معنى تجازَوْن - او باضمار تجازَوْن - او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور و الموفورُ الموفّر يقال فِرْ لصاحبك عَرْضه مرّة * استفزّه استخفّه و الفزّ الخفيف [وَأَجْلِبْ] من الجلبة وهي الصياح و الخيلُ الخيّالة و منه قول النبيّ

سورة بني اسرايل ١٧ الجزء ١٥ ع ٧

وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ
وَكِيلًا ۝ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ
فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۚ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۝ أَفَأَمِنْتُمْ

صلى الله عليه و آله وسلم يا خيلَ الله اركبي - و الرَّجْل اسم جمع للراجل و نظيره الرَّكْب و الصَّحْب - و قرئ وَ رَجِلِكَ على ان فَعِلا بمعنى فاعل نحو تَعِب و تاعب و معناه و جمعك الرجِل و تضمّ جيمه ايضا فيكون مثل حَدِث و حَدُث و نَدِس و نَدُس و اخوات لهما يقال رَجُل رَجُل - و قرئ وَ رِجَالِكَ و رُجَّالِكَ - فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته و اجلابه بخَيْله و رَجِله - قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثّلت حاله في تسلّطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوّت بهم صوتا يستفزّهم من اماكنهم و يقلقهم عن مراكزهم و اجلب عليهم بجنده من خَيّالته و رَجّاله حتى استاصلهم - و قيل بصوته بدعائه الى الشرّ و خَيْله و رَجِله كل راكب و ماشٍ من اهل العَيْث - و قيل بجوزان يكون لابليس خَيْل و رِجَال - و اما المشاركة في الاموال و الاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربوا و المكاسب المحرمة و البحيرة و السائبة و الانفاق في الفسوق و الاسراف و منع الزكوٰة و التوصل الى الاولاد بالسبب الحرام و دعوى ولد بغير سبب و التسمية بعبد العزّى و عبد الحرث و التهويد و التنصير و الحمل على الحِرَف الذميمة و الاعمال المحظورة و غير ذلك [وَعِدْهُمْ] المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة و الكرامة على الله بالانساب الشريفة و تسويف التوبة و مغفرة الذنوب بدونها و الاتكال على الرحمة و شفاعة الرسول في الكبائر و الخروج من النار بعد ان يصيروا حُمَما و ايثار العاجل على الآجل * [إِنَّ عِبَادِي] يريد الصالحين [لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ] اى لا تقدر ان تغويهم [وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا] لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك و نحوه قوله إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ - فان قلت كيف جاز ان يأمر الله ابليس بان يتسلّط على عباده مغويا مضلّا داعيا الى الشرّ صادّا عن الخير - قلت هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان و التخلية كما قال للعصاة اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ [يُزْجِي] يُجْري و يُسيّره و الضرّ خوف الغرق [ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ] ذهب عن اوهامكم و خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الّا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه و لا تدعونه في ذلك الوقت و لا تعتقدون برحمته رجاءكم و لا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم - او لم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوّين - و يجوز ان يراد ضلّ مَن تدعون من الآلهة عن اغاثتكم و لكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع * [أَفَأَمِنْتُمْ] الهمزة للانكار و الفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض - فان قلت بم انتصب جَانِبَ الْبَرِّ - قلت بيَخْسِفَ مفعولا به كالارض في قوله فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ - و [بِكُمْ] حال و المعنى ان يخسف جَانِبَ الْبَرِّ اي يقلبه و انتم عليه - فان قلت فما معنى ذكر الجانب - قلت معناه ان الجوانب و الجهات كلها في قدرته سواء

أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ
تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ۝ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا
بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝ يَوْمَ

وله في كل جانب برّا كان او بحرا سببٌ مرصدٌ من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البرّ ما هو مثله و هو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبرّ و البحر عنده سيّان يقدر في البرّ على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب و حيث كان [أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا] و هي الريح اللتي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني أَوْ ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشدّ عليكم من الغرق في البحر [وَكِيلًا] من يتوكل بصرف ذلك عنكم [أَمْ أَمِنْتُمْ] ان يقوّي دواعيكم و يوفّر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجّاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل [عَلَيْكُمْ قَاصِفًا] و هي الريح اللتي لها قصيف و هو الصوت الشديد كانها تتقصّف اي تتكسّر - و قيل اللتي لا تمرّ بشيء الا قصفته [فَيُغْرِقَكُمْ] - و قرئ بالتاء اي الريح - و بالنون و كذلك نَخْسِفَ و نُرْسِلَ و نُعِيدَكُمْ قرئت بالياء و النون - التبيع المطالب من قوله فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ اي مطالبة قال الشمّاخ • ع • كما لاذ الغريمُ من التبيع • يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مُصَيْطر عليه مطالب له بحقه و المعنى انّا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منّا و دركا للثار من جهتنا و هذا نحو قوله وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا [بِمَا كَفَرْتُمْ] بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجّاهم • قيل في تكرمة ابن آدم كرّمه الله بالعقل و النطق و التمييز و الخطّ و الصورة الحسنة و القامة المعتدلة و تدبير امر المعاش و المعاد - و قيل بتسليطهم على ما في الارض و تسخيره لهم - و قيل كل شيء يأكل بفيه الّا ابن آدم - و عن الرشيد انه أحضر طعاما فدعا بالملاعق و عنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدّك ابن عباس قوله تعالى وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ جعلنا لهم اصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردّها واكل باصابعه [عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا] هو ما سوى الملئكة وحسبُ بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملئكة و هم هم و منزلتهم عند الله منزلتهم و العجبُ من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء و كابروا حتى جسّرتهم عادة المكابرة على العظيمة اللتي هي تفضيل الانسان على الملك و ذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم و تكثيره مع التعظيم ذكرهم و علموا اين اسكنهم و اتى قرّبهم و كيف نزّلهم من أنبيائه منزلة انبيائه من امهم ثم جرّهم فرط التعصب عليهم الى ان لفّقوا اقوالا و اخبارا - منها قالت الملئكة ربنا ادك اعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها و يتمتعون و لم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال و عزّتي و جلالي لا اجعل ذرية من خلقتُ بيديّ كمن قلتُ له كُنْ فكان - و رووا عن ابي هريرة انه قال

سورة بني اسرايل ١٧ الجزء ١٥ ع ٨

نَدْعُوْا كُلَّ اُنَاسٍ بِاِمَامِهِمْ ۚ فَمَنْ اُوْتِيَ كِتٰبَهٗ بِيَمِيْنِهٖ فَاُولٰٓئِكَ يَقْرَءُوْنَ كِتٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُوْنَ فَتِيْلًا ۝ وَمَنْ كَانَ فِيْ هٰذِهٖٓ اَعْمٰى فَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ اَعْمٰى وَاَضَلُّ سَبِيْلًا ۝ وَاِنْ كَادُوْا لَيَفْتِنُوْنَكَ عَنِ الَّذِيْٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ

لمؤمنُ اكرم على الله من الملئكة الذين عنده - و من ارتكابهم انهم فسروا كَثِيْرًا بمعنى جميع في هذه الأية وخُذلوا حتى سُلبوا الذوق فلم يحسّوا ببشاعة قولهم و فضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم عَلٰى جَمِيْعِ مِمَّنْ خَلَقْنَا اشجى لحُلوقهم و اقذى لعُيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظُرْ الى تمحّلهم و تشبّثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة الملأ الاعلى كأنّ جبرئيل عليه السلام غاظهم حين اهلك مدايين قوم لوط فتلك السخيمة لاتنحلّ عن قلوبهم - قرئ [يَدْعُوْا] بالياء و النون - و يُدْعٰى كُلُّ اُنَاسٍ على البناء للمفعول - و قرأ الحسن يُدْعَوْا كُلُّ اُنَاسٍ على قلب الالف واوا في لغة من يقول اَفْعَوْ و الظرف نصب باضمار اذكُرْ - و يجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في وَاَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا و الرفع مقدر كما في يدعى و لم يؤتَ بالنون قلةَ مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الّا علامة [بِاِمَامِهِمْ] بمن ايتمّوا به من نبيّ او مقدَّم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اَتْباع فلان يا اهل دين كذا و كتاب كذا - و قيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير و يا اصحاب كتاب الشرّ - وفي قراءة الحسن بِكُتُبِهِمْ - و من بدع التفاسير ان الإمام جمع اُمّ و ان الناس يُدْعون يوم القيٰمة بأُمّهاتهم و ان الحكمة في الدعاء بالامّهات دون الأباء رعاية حق عيسى عليه السلام و اظهار شرف الحَسَن و الحسين و ان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحّة لفظه اَمْ بهاء حكمته [فَمَنْ اُوْتِيَ] من هؤلاء المدعوّين [كِتٰبَهٗ بِيَمِيْنِهٖ فَاُولٰٓئِكَ يَقْرَءُوْنَ كِتٰبَهُمْ] قيل اُولٰئِكَ لان مَنْ اُوْتِيَ في معنى الجمع - فان قلت لم خصّ اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأنّ اصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم - قلت بلى ولكن اذا اطّلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما يأخذ المطالَبَ بالنداء على جنايته و الاعتراف بمساويه اَمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء و الخجل و الانخزال و حُبْسة اللسان و التتعتع و العجز عن اقامة حروف الكلام و الذهاب عن تسوية القول فكأنّ قراءتهم كلا قراءة و اما اصحابُ اليمين فامرهم على عكس ذلك لاجرم انهم يقرؤن كتابهم احسن قراءة و اَبينها و لا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هَاؤُمُ اقْرَءُوْا كِتٰبِيَهْ [وَلَا يُظْلَمُوْنَ فَتِيْلًا] و لا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله وَلَا يُظْلَمُوْنَ شَيْئًا و لا يخاف ظلما و لا هضما * معناه و من كان في الدنيا اعمى فهو في الأخرة اعمى كذلك [وَاَضَلُّ سَبِيْلًا] من الاعمى و الاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصَرات لفساد حاسّته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اَمّا في الدنيا فلفقد النظر و اما في الأخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه - و قد جوّزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل و من ثمه قرأ ابو عمرو الاولَ مُمالًا و الثانيَ مفخّما لان افعل التفضيل تمامه بمِنْ فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالُكُمْ و اما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرّضة للامالة * روي ان ثقيفا قالت للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نُحْشَر و لا نُحْشَر و لا نجبي في

سورة بني اسرائيل ١٧ الجزء ١٥ ع ٨

لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ق وَّ اِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيْلًا ۝ وَلَوْلَآ اَنْ ثَبَّتْنٰكَ لَقَدْ كِدْتَّ تَرْكَنُ اِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيْلًا ۝ اِذًا لَّاَذَقْنٰكَ ضِعْفَ الْحَيٰوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيْرًا ۝ وَاِنْ كَادُوْا لَيَسْتَفِزُّوْنَكَ مِنَ الْاَرْضِ

صلوتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا و ان تمتعنا بالثلاث سنة و لا نكسرها بايدينا عند رأس الحول و ان تمنع من قصد وادينا وج نعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يُعشرون و لا يُحشرون فقالوا و لا يجبّون فسكت رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب و لا يجبّون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسل سيفه وقال أشعرتم قلب نبيّنا يا معشر ثقيف أشعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم محمدا فنزلت - و روي ان قريشا قالوا له اجعل أية رحمة أية عذاب وأية عذاب أية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت [وَاِنْ كَادُوْا لَيَفْتِنُوْنَكَ] ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية و المعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين [عَنِ الَّذِيْٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ] من اوامرنا و نواهينا و وعدنا و وعيدنا [لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا] لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما اداروه عليه من تبديل الوعد وعيدا و الوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله مالم يُنزله عليه [وَاِذًا لَّاتَّخَذُوْكَ] اي و لواتبعت مرادهم لَاتَّخَذُوْكَ [خَلِيْلًا] و لكنت لهم وليّا وخرجت من ولايتي [وَلَوْلَآ اَنْ ثَبَّتْنٰكَ] و لو لا تثبيتنا لك و عصمتنا [لَقَدْ كِدْتَّ تَرْكَنُ اِلَيْهِمْ] لقاربت ان تميل الى خدعهم و مكرهم وهذا تهييج من الله له و فضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة [لَّاَذَقْنٰكَ ضِعْفَ الْحَيٰوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ] اي لاذقناك عذاب الأخرة وعذاب القبر مضاعفين - فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام - قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الأخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله فَاٰتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مُقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف نقيل ضِعْفَ الْحَيٰوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ كما لو قيل لاذقناك اليمَ الحيوة و اليمَ الممات - و يجوز ان يراد بضِعْفَ الْحَيٰوةِ عذاب الحيوة الدنيا وبضِعْفَ الْمَمَاتِ ما يعقب الموت من عذاب القبر و عذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجّل للعُصاة في الحيوة الدنيا و ما نُؤخره لما بعد الموت - وفي ذكر الكيدودة و تقليلها مع اتباعها الوعيدَ الشديدَ بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بيّن على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته - ومن ثمه استعظم مشائخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائحَ الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا - وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادّة لله وخروج عن ولايته و سببٌ موجبٌ لغضبه و نكاله فعلى المؤمن اذا تلى هذه الأية ان يجثو عندها و يتدبّرها فهي جديرة بالتدبر و ان يستشعر الناظر فيها الخشية

لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ

و ازدياد التصلّب في دين الله - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم انها لما نزلت كان يقول اللّهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين * [وَإِنْ كَادُوا] و ان كاد اهل مكة [لَيَسْتَفِزُّونَكَ] لَيُزْعِجونك بعداوتهم و مكرهم [مِنَ الْأَرْضِ] من ارض مكة [وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ] لا يبقون بعد اخراجك [إِلَّا] زمانا [قَلِيلًا] فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أُهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل - وقيل معناه و لو اخرجوك لاستوصلوا عن بكرة ابيهم ولم يُخرجوه بل هاجر بامر ربّه - وقيل من ارض العرب - وقيل من ارض المدينة - وذلك ان رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم لمّا هاجر حسدته اليهود و كرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه و قالوا يا ابا القسم ان الانبياء انما بُعثوا بالشام و هي بلاد مقدسة و كانت مهاجَر ابراهيم فلو خرجت الى الشام لآمنّا بك واتّبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الّا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على اميال من المدينة - و قيل بذي الحُلَيْفة حتى يجتمع اليه اصحابه و يراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع - و قرئ لَا يُلْبَثُونَ - و في قراءة ابيّ لَا يَلْبَثُوا على اعمال إذًا - فان قلت ما وجه القراءتين - قلت أمّا الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل و هو مرفوع لوقوعه خبر كَادَ و الفعل في خبر كَادَ واقع موقع الاسم و اما قراءة ابيّ ففيها الجملة برأسها التي هي إذًا لَّا يَلْبَثُوا عطف على جملة قوله وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ - و قرئ خِلْفَكَ قال * شعر * عفت الديار خلافهم فكانما * بَسط الشواطبُ بينهن حصيرا * اي بعدهم * [سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا] يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فَسُنَّة الله ان يهلكهم و نُصبت نصب المصدر المؤكد اي سنّ الله ذلك سنّة * دلكت الشمس غربت - وقيل زالت - و روي عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم اتاني جبرئيل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلّى بي الظهر - واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس و ان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر - والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء [وَقُرْآنَ الْفَجْرِ] صلوة الفجر سمّيت قرآنا و هو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا و سجودا و قنوتا و هي حجّة على ابن عُلَيّة والاصمّ في زعمهما ان القراءة ليست بركن [مَشْهُودًا] يشهده ملئكة الليل و النهار ينزل هؤلاء و يصعد هؤلاء فهو في أخر ديوان الليل و اول ديوان النهار - او يشهده الكثير من المصلّين في العادة - او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة - و يجوز ان يكون وَقُرْآنَ الْفَجْرِ حثًّا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب و لذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة [وَمِنَ اللَّيْلِ] و عليك بعض الليل [فَتَهَجَّدْ بِهِ] و التهجّد ترك الهجود للصلوة و نحوه التأثّم و التحرّج و يقال ايضا في النوم تهجّد

فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ق عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ۝ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ط إِنَّ

[نَافِلَةً لَّكَ] عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلةً موضع تهجّدًا لان التهجّد عبادة زائدة فكان التهجد و النافلة يجمعهما معنىً واحد و المعنى ان التهجد زيدَ لك على الصلوات المفروضة فريضةً عليك خاصة دون غيرك لانه تطوعٌ لهم [مَقَامًا مَّحْمُودًا] نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيٰمة فيُقيمك مقاما محمودا - اوضُمّن يَبْعَثَكَ معنى يُقيمك - و يجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود - و معنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه و كل من رأٰه و عرفه و هو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات - و قيل المراد الشفاعة و هي نوع واحد مما يتناوله - و عن ابن عباس مقام يحمدك فيه الاولون و الاٰخرون و تُشرَف فيه على جميع الخلائق تَسأل فتُعطى و تَشفع فتُشفّع ليس احد الا تحت لوائك - و عن ابي هريرة عن النبيّ صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم هو المقام الذي اشفعُ فيه لامّتي - و عن حذيفة يُجمَع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول مدعوّ مُحمّد صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم فيقول لبّيك و سعديك و الشرّ ليس اليك و المهديّ مَن هديتَ وعبدُك بين يديك و بك و اليك لا ملجا و لا منجىً منك الا اليك تباركتَ و تعاليتَ سبحانك ربَّ البيت قال فهذا قوله عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا - قرىء [مُدْخَلَ] و [مُخْرَجَ] بالضم و الفتح بمعنى المصدر و معنى الفتح ادخلني فاُدخَل مَدخل صدق اي ادخلني القبر مَدْخل صدق ادخالا مرضيًا على طهارة و طيب من السيأت واَخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقىً بالكرامة اٰمنًا من السخط يدلّ عليه ذكره على اثر ذكر البعث - و قيل نزلت حين اُمر بالهجرة يريد ادخال المدينة و الاخراجَ من مكّة - و قيل ادخالهُ مكّةَ ظاهرا عليها بالفتح واخراجَهُ منها اٰمنا من المشركين - و قيل ادخالهُ الغار و اخراجَهُ منه سالما - و قيل ادخالهُ فيما حُمّله من عظيم الامر و هو النبوة و اخراجَهُ منه مؤدّيا لما كُلّفه من غير تفريط - و قيل الطاعة - و قيل هو عام في كل ما يدخل فيه و يلابسه من امر و مكان [سُلْطٰنًا] حجّةً تنصرني على من حالفني - او مُلكا و عزّا قويّا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ - فَإِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغَالِبُونَ - لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ - لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ و وعده لينزعنّ ملك فارس و الروم فيجعله له - و عنه صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم انه استعمل عتّاب بن اَسِيْد على اهل مكّة و قال انطلق فقد استعملتُكَ على اهل اللّٰه فكان شديدا على المريب ليّنًا على المؤمن و قال لا و اللّٰهِ لا اعلم متخلّفا يتخلّف عن الصلوٰة في جماعة الا ضربت عنقه وانه لا يتخلّف عن الصلوٰة الا منافق فقال اهل مكّة يا رسول اللّٰه لقد استعملتَ على اهل اللّٰه عتّاب بن اَسِيْد اعرابيا جافيا فقال صلّى اللّٰه عليه و اٰله و سلّم اني رأيت فيما يرى النائم كانّ عتّاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا

سورة بني اسرايل ١٧ الجزء ١٥ ع ١٠

الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْاٰنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَّرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَا يَزِيْدُ الظّٰلِمِيْنَ اِلَّا خَسَارًا ۝ وَاِذَآ
اَنْعَمْنَا عَلَى الْاِنْسَانِ اَعْرَضَ وَنَاٰ بِجَانِبِهٖ ۚ وَاِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَـُٔوْسًا ۝ قُلْ كُلٌّ يَّعْمَلُ عَلٰى شَاكِلَتِهٖ ؕ فَرَبُّكُمْ
اَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ اَهْدٰى سَبِيْلًا ۝ وَيَسْـَٔلُوْنَكَ عَنِ الرُّوْحِ ؕ قُلِ الرُّوْحُ مِنْ اَمْرِ رَبِّيْ وَمَآ اُوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ اِلَّا قَلِيْلًا ۝

شديدا حتى فُتح له فدخلها فاعزّ الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير • كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم - وعن ابن عبّاس كانت لقبائل العرب تحجّون اليها و ينحرون لها فشكى البيتُ الى الله فقال اي ربّ حتى متى تُعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني سأُحدث لك نوبة جديدة فاملأك خدودا سُجّدا يدنّون اليك دنيفَ النسور و يحنّون اليك حنين الطير الى بَيْضها لهم عجيج حولك بالتلبية - ولما نزلت هذه الأية يوم الفتح قال جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خُذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتي صنما صنما و هو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ فينكبّ الصنم لوجهه حتى القاها جميعا و بقي صنم خزاعة فوق الكعبة و كان من قوارير صُفر فقال يا عليّ ارمِ به فحمله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر من مُحَمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم - و شكايةُ البيت و الوحيُ اليه تمثيل و تخييل [وَزَهَقَ الْبَاطِلُ] اذهب و هلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت - و الحقّ الاسلام - و الباطل الشرك [كَانَ زَهُوْقًا] كان مضمحلّا غير ثابت في كل وقت • [وَنُنَزِّلُ] قرئ بالتخفيف و التشديد [مِنَ الْقُرْاٰنِ] مِنْ للتبيين كقوله مِنَ الْاَوْثَانِ - او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرأن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا و يستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى - و عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من لم يستشف بالقرأن فلا شفاه الله و لا يزداد به الكفرون [اِلَّا خَسَارًا] اي نقصانا لتكذيبهم به و كفرهم كقوله تعالى فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا اِلٰى رِجْسِهِمْ • [وَاِذَا اَنْعَمْنَا عَلَى الْاِنْسَانِ] بالصحة و السعة [اَعْرَضَ] عن ذكر الله كانه مستغنٍ عنه مستبدّ بنفسه [وَنَاٰ بِجَانِبِهٖ] تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يولّيه عُرْض وجهه - والعلي بالجانب ان يلوي عنه عطفه و يولّيه ظهره - او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين [وَاِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ] من فقر او مرض او نازلة من النوازل [كَانَ يَـُٔوْسًا] شديد اليأس من روح الله وَاِنَّهُ لَا يَيْاَسُ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكٰفِرُوْنَ - و قرئ وَنَاٰ بِجَانِبِهٖ بتقديم اللام على العين كقولهم رَاٰ في رأى - و يجوز ان يكون من نَاَ بمعنى نهض - [قُلْ كُلٌّ] احد [يَّعْمَلُ عَلٰى شَاكِلَتِهٖ] اي على مذهبه و طريقته التي تشاكل حاله في الهدى و الضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعّب منه والدليل عليه قوله [فَرَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ اَهْدٰى سَبِيْلًا] اي اسدّ مذهبا وطريقة • الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر بعلمه - و عن ابن ابي بُرَيْدَة لقد مضى النبيّ صلّى الله

سورة بني سراءيل ١٧ الجزء ١٥ ع ١٠

وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهٖ عَلَيْنَا وَكِيْلًا ۝ اِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ ؕ اِنَّ فَضْلَهٗ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيْرًا ۝ قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰٓى اَنْ يَّاْتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَاْتُوْنَ بِمِثْلِهٖ وَلَوْ كَانَ

عليه و آله وسلّم و مايعلم الروح - وقيل هو خلق عظيم روحانيّ اعظم من الملك - وقيل جبرئيل عليه السلام - وقيل القرآن و [مِنْ اَمْرِ رَبِّيْ] اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر - بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف و عن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبيّ و ان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبيّ فبيّن لهم القصتين وابهم امر الروح و هو مبهم في التورٰية فندموا على سوالهم [وَمَآ اُوْتِيْتُمْ] الخطاب عام - و روي ان رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصّون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤتَ من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعةً تقول وَمَنْ يُّؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ اُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيْرًا وساعةً تقول هذا فنزلت وَلَوْ اَنَّ مَا فِي الْاَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ اَقْلَامٌ و ليس ما قالوه بلازم لان القلة و الكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه و بالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة اللتي اُوتيها العبد خير كثير في نفسها الّا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة - و قيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلّى الله عليه و آله وسلّم قد اُوتينا التورٰية و فيها الحكمة وقد تلوت وَمَنْ يُّؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ اُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيْرًا فقيل لهم ان علم التورٰية قليل في جنب علم الله • [لَنَذْهَبَنَّ] جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط و اللام الداخلة على اَنْ موطّئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن و محوناه عن الصدور و المصاحف فلم نترك له اثرا و بقيتَ كما كنتَ لاتدري ما الكتاب [ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ] بعد الذهاب [بِهٖ] من يتوكل علينا باسترداده و اعادته محفوظا مسطورا [اِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ] الّا ان يرحمك ربّك فيردّه عليك كانّ رحمته تتوكل عليه بالردّ - او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى و لكن رحمةً من ربّك تركته غير مذهوب به و هذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنّة العظيمة في تنزيله و تحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنّتين و القيام بشكرهما و هما منّة الله عليه بحفظ العلم و رسوخه في صدره و منّته عليه في بقاء المحفوظ - و عن ابن مسعود ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة و آخر ما تفقدون الصلوٰة و ليصلّينّ قوم ولا دين لهم و ان هذا القرآن تصبحون يوما و ما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا و اثبتناه في مصاحفنا نعلّمه ابناءنا و يعلّمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف و ينزع ما في القلوب • [لَا يَاْتُوْنَ] جواب قسم محذوف و لولا اللام الموطّئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله • ع • يقول لا غائبٌ مالي ولا حرم • لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته و حسن نظمه وتاليفه و فيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله - والعجب من النوابت و من زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز و انما يكون العجز حيث تكون القدرة فنفس الله قادر على خلق

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْاٰنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۖ فَاَبٰٓى اَكْثَرُ النَّاسِ اِلَّا كُفُوْرًا ۝
وَقَالُوْا لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْاَرْضِ يَنْۢبُوْعًا ۝ اَوْ تَكُوْنَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيْلٍ وَّعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ
الْاَنْهٰرَ خِلٰلَهَا تَفْجِيْرًا ۝ اَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا اَوْ تَاْتِيَ بِاللّٰهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ قَبِيْلًا ۝ اَوْ يَكُوْنَ لَكَ
بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ اَوْ تَرْقٰى فِي السَّمَآءِ ۭ وَلَنْ نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّٰى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتٰبًا نَّقْرَؤُهٗ ۭ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ

الاجسام و لعبادُ عاجزون عنه و اما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة و لا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه و لا هو معجز و لو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة و قلب الحقائق [وَلَقَدْ صَرَّفْنَا] رددنا و كررنا [مِنْ كُلِّ مَثَلٍ] من كل معنىً هو كالمثل في غرابته وحسنه - والكفورُ الجحود - فان قلت كيف جاز [فَاَبٰٓى اَكْثَرُ النَّاسِ اِلَّا كُفُوْرًا] ولم يجز ضربتُ الا زيدا - قلت لان اَبَى متاوّل بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا • لما تبين اعجاز القرآن و انضمت اليه المعجزات الأُخَر والبيّنات و لزمتهم الحجّة و غُلبوا اخذوا يتعللون باقتراح آيات فعلَ المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فـ[ـقَالُوْا لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى] وحتى [تَفْجُرَ] تفتح - وقرئ تَفْجُرَ بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة [يَنْۢبُوْعًا] عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعولٌ من نبع الماءُ كيعبوب من عبّ الماء [كَمَا زَعَمْتَ] يعنون قول الله تعالى اِنْ نَّشَاْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْاَرْضَ اَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَآءِ - قرئ كِسَفًا بسكون السين جمع كِسفة كسدرة وسدر وبفتحه [قَبِيْلًا] كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى اوتأتي بالله قبيلا وبالملئكة قُبُلا كقوله • شعر • كنت منه ووالدي بريًا • فاني وقيارٌ بها لغريبُ • او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ اَوْ نَرٰى رَبَّنَا - او جماعةً حالاً من الملئكة [مِّنْ زُخْرُفٍ] من ذهب [فِي السَّمَآءِ] في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقيَ في السلّم وفي الدرجة [وَلَنْ نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ] ولن نؤمن لاجل رقيك [حَتّٰى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتٰبًا] من السماء فيه تصديقك - عن ابن عباس قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلّما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصكّ منشور معه اربعة من الملئكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد و اللجاج ولو جاءتهم كل أية لقالوا هذا سحر كما قال عز وجل وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتٰبًا فِيْ قِرْطَاسٍ - وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَآءِ فَظَلُّوْا فِيْهِ يَعْرُجُوْنَ و حين انكروا الأية الباقية التي هي القرآن و سائر الأيات و ليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل [قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ] وقرئ قَالَ سُبْحَانَ رَبِّيْ اي قال الرسول - وسُبْحَانَ رَبِّيْ تعجب من اقتراحاتهم عليه [هَلْ كُنْتُ اِلَّا] رسولا كسائر الرسل [بَشَرًا] مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الأيات فليس امر الأيات اليّ انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها عليّ ان الاولى نصب مفعول ثان لمَنَعَ و الثانية رفع فاعل له - و [الْهُدٰٓى] الوحي اي وما منعهم الايمانَ بالقرآن و بنبوة مُحَمَّد صلى الله عليه و آله

هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝
قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۝ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ
مِنْ دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ
سَعِيرًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا

وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم و هي انكارهم ان يرسل الله البشر و الهمزة في أَبَعَثَ اللَّهُ للانكار و ما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه [لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ] على اقدامهم كما يمشى الانس و لا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها و يعلموا ما يجب علمه [مُطْمَئِنِّينَ] ساكنين فى الارض قارين [لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا] يعلمهم الخير و يهديهم المراشد عاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم و ارشادهم . فان قلت هل يجوز ان يكون بَشَرًا وَمَلَكًا منصوبين على الحال من رَسُولًا . قلت وجه حسن و المعنى له أَجْوَبُ [شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ] على انى بلغت ما ارسلت به اليكم و انكم كذبتم و عاندتم [إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ] المنذرين و المنذرين [خَبِيرًا] عالما باحوالهم فهو مجازيهم و هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و وعيد للكفرة و شهدا تمييز او حال * [وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ] و من يوفقه و يلطف به [فَهُوَ الْمُهْتَدِي] لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه [وَمَنْ يُضْلِلْ] و من يخذل [فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ] انصارا على وجوههم كقوله يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ - وقيل لرسول الله صلى الله عليه و اله و سلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم [عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا] كما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون و لا ينطقون بالحق و يتصامون عن استماعه فهم فى الأخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم و لا يسمعون ما يلذ مسامعهم و لا ينطقون بما يقبل منهم وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ - ويجوز ان يحشروا مؤوفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد أخبر عنهم في موضع اخر انهم يقرؤن و يتكلمون [كُلَّمَا خَبَتْ] كلما اكلت جلودهم و لحومهم و افنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة * كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على أجزاءهم تأكلها و تفنيها ثم يعيدها ليزاد على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث و لانه ادخل فى الانتقام من لجاحد و قد دل على ذلك بقوله [ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ] الى قوله [أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا] - فان قلت علام عطف قوله وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا . قلت على قوله [أَوَلَمْ يَرَوْا] لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات و الارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ

مَسْحُورًا ۝ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ۚ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝
فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ۝ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ
فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟

اويخبرك و معنى اذ جاءهم اذ جاء اباهم [مَسْحُورًا] سحرت فخولط عقلك [لَقَدْ عَلِمْتَ] يا فرعون [مَا أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ] الايات الا الله عز وجل [بَصَآئِرَ] بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا - وقرئ عَلِمْتُ بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الايات منزلها رب السموات و الارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك [مَثْبُورًا] هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته و مكابرتك لايات الله بعد وضوحها و اما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب - وقال الفراء مَثْبُورًا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك - وقرأ ابيّ بن كعب وَإِنْ أَخَالُكَ يَٰفِرْعَوْنُ لَمَثْبُورًا على ان المخففة و اللام الفارقة [فَأَرَادَ] فرعون ان يستخف موسى و قومه من ارض مصر و يخرجهم منها - او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل و الاستيصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه [ٱسْكُنُوا ٱلْأَرْضَ] التي اراد فرعون ان يستفزكم منها [فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ] يعني قيام الساعة [جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا] جمعا مختلطين اياكم و اياهم ثم يحكم بينكم و يميز بين سعدائكم و اشقيائكم و اللفيف الجماعات من قبائل شتى [وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ] و ما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله و ما نزل الا ملتبسا بالحق و الحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير - اوما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملئكة و ما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين [وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ] الا لتبشرهم بالجنة و تنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك [وَقُرْءَانًا] منصوب بفعل يفسره فَرَقْنَٰهُ - و قرأ ابيّ فَرَّقْنَٰهُ بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما - و عن ابن عباس انه قرأه مشددا و قال لم ينزل في يومين او ثلثة بل كان بين اوله و اخره عشرون سنة يعني ان فَرَق بالتخفيف يدل على فصل متقارب [عَلَىٰ مُكْثٍ] بالفتح و الضم على مهل و تؤدة و تثبت [وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا] على حسب الحوادث [قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا۟] امر بالاعراض عنهم و احتقارهم و الازراء بشانهم و ان لا يكترث بهم و بايمانهم و بامتناعهم عنه و انهم ان لم يدخلوا في الايمان و لم يصدقوا بالقرآن و هم اهل جاهلية و شرك فان خيرا منهم و افضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب و علموا ما الوحي و ما الشرائع قد آمنوا به و صدقوه و ثبت عندهم انه النبيّ العربيّ الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا و سبحوا لله تعظيما لامره و لانجاز

سورة بني اسرايل ١٧ الجزء ١٥ ع ١٢ السجدة

الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهٖٓ اِذَا يُتْلٰى عَلَيْهِمْ يَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَّ يَقُوْلُوْنَ سُبْحٰنَ رَبِّنَآ اِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُوْلًا ۝
وَ يَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ يَبْكُوْنَ وَ يَزِيْدُهُمْ خُشُوْعًا ۝ قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ اَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ ؕ اَيًّا مَّا تَدْعُوْا فَلَهُ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنٰى ۚ
وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَ لَا تُخَافِتْ بِهَا ۖ وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيْلًا ۝ وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا

ما وعد في الكُتب المنزلة و بشّر به من بعثة مُحمّد صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم و انزال القراٰن عليه و هو المراد بالوعد في قوله [اِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُوْلًا] • [وَ يَزِيْدُهُمْ خُشُوْعًا] اي يزيدهم القراٰن لين قلب و رطوبة عين - فان قلت اِنَّ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهٖ تعليل لماذا - قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله اٰمِنُوْا بِهٖٓ اَوْ لَا تُؤْمِنُوْا - و ان يكون تعليلا لقُلْ على سبيل التسلية لرسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم و تطييب نفسه كانه قيل تسلَّ عن ايمان الجَهَلة بايمان العلماء - و على الاول ان لم تؤمنوا به لقد اٰمن به من هو خير منكم - فان قلت ما معنى الخرور للذقن - قلت السقوط على الوجه و انما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقنُ - فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خرّ على وجهه و على ذقنه فما معنى اللام في خرّ لذقنه و لوجهه قال • ع • فخرّ صريعا لليدين و للفم • قلت معناه جعل ذقنه و وجهه للخرور و اختصّه به لان اللام للاختصاص - فان قلت لِمَ كرّر يَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ - قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين و خرورهم في حال كونهم باكين • عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا اللّٰه يا رحمٰن فقال انه ينهانا ان نعبد اٰلهين و هو يدعو اٰلها اٰخر - و قيل ان اهل الكتاب قالوا انك تُقلّ ذكر الرحمٰن و قد اكثر اللّٰهُ في التورٰية هذا الاسم فنزلت - و الدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء و هو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا - و اللّٰه و الرحمٰن المراد بهما الاسم لا المسمى - و اَوِ للتخيير فمعنى [ادْعُوا اللّٰهَ اَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ] سمّوا بهذا الاسم او بهذا و اذكروا اما هذا و اما هذا و التنوين في اَيًّا عوض من المضاف اليه و مَا صلة للابهام المؤكد لما في اَيّ اي اَيّ هٰذين الاسمين سمّيتم و ذكرتم [فَلَهُ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنٰى] و الضمير في فَلَهُ ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين و لكن الى مسماهما و هو ذاته تعالى لان التسمية للذات لا للاسم و المعنى اَيًّا مَّا تَدْعُوْا فهو حسن فوضع موضعه قوله فَلَهُ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنٰى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها و معنى كونهما احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد و التقديس و التعظيم - بِصَلَاتِكَ بقراءة صلوتك على حذف المضاف لانه لا يُلبس من قبل ان الجهر و المخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير - و الصلوة اَفعال و اَذكار و كان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اٰله وسلّم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا و سبّوا فاُمر بان يَخفض من صوته و المعنى [وَلَا تَجْهَرْ] حتى تُسمع المشركين [وَلَا تُخَافِتْ] حتى لا تُسمع مَن خلفك [وَابْتَغِ بَيْنَ] الجهر و المخافتة [سَبِيْلًا] وسطا - و روي ان ابا بكر رضي اللّٰه عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلوته و يقول اُناجي ربي و قد علم حاجتي - و كان عمر رضي اللّٰه عنه يرفع صوته و يقول ازجر الشيطانَ و اُوقظ الوسنانَ فامر ابا بكر ان

وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝ ع

سورة الكهف ١٨ الجزء ١٥ ع ١٣

كلماتها ١٩٠٨ — سورة الكهف مكية و هي مائة وعشر أيات و اثنا عشر ركوعا — حروفها ٦٩٢٠

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۝

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْٓ اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتٰبَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا لِّيُنْذِرَ بَاْسًا شَدِيْدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ

يرفع قليلا و عمر ان يخفض قليلا - وقيل معناه وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ كلها وَلَا تُخَافِتْ بِهَا كلها وَابْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيْلًا بان تجهر بصلوٰة الليل و تخافت بصلوٰة النهار - و قيل بِصَلَاتِكَ بدعائك - و ذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله اُدْعُوْا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَّخُفْيَةً - و ابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة [وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ] ناصر من الذل و مانع له منه لاعتزازه به - او لم يوالِ احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته - فان قلت كيف لائق وصفه بنفي الولد و الشريك و الذل بكلمة التحميد - قلت لان مَنْ هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد - و كان النبي صلى الله عليه و اله و سلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علّمه هذه الاية - عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم مَن قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطارا في الجنة و القنطارُ الف اوقية و مائتا اوقية رزقنا اللّٰهُ بفضله العميم و احسانه الجسيم •

سورة الكهف

لقّن اللّٰه عباده و فقّههم كيف يثنون عليه و يحمدونه على اجزل نعمائه عليهم و هي نعمة الاسلام و ما [اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ] مُحَمَّد صلى الله عليه و اله و سلم من [الْكِتٰبَ] الذي هو سبب نجاتهم و فوزهم [وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عِوَجًا] ولم يجعل له شيئا من العوج قطّ و العِوَج في المعاني كالعَوَج في الاعيان و المراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة و الاصابة فيه - فان قلت بم انتصب [قَيِّمًا] قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر و لا يجعل حالا من الكتاب لان قوله وَلَمْ يَجْعَلْ معطوف على اَنْزَلَ فهو داخل في حيّز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال و ذي الحال ببعض الصلة - تقديره و لم يجعل له عوجا جعله قيّما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة - فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج و اثبات الاستقامة و في احدهما غنىً عن الاخر - قلت فائدته التاكيد فرُبَّ مستقيم مشهود له بالاستقامة و لا يخلو من ادنى عوج عند السَّبْر و التصفّح - و قيل قَيِّمًا على سائر الكتب مُصَدِّقا لها شاهدا بصحتها - و قيل قَيِّمًا بمصالح العباد و ما لابدّ لهم منه من الشرائع - و قرئ قِيَمًا - اِنْذَارٌ متعدٍ الى مفعولين كقوله اِنَّا اَنْذَرْنٰكُمْ عَذَابًا قَرِيْبًا فاقتصر على احدهما و اصله [لِيُنْذِرَ] الذين كفروا [بَاْسًا شَدِيْدًا] و البأس من قوله بِعَذَابٍ بَئِيْسٍ و قد بؤس العذاب و بؤسَ الرجل بأسا و بأسةً [مِّنْ لَّدُنْهُ] صادرا من عنده - و قرئ مِن لَّدُنِهِ بسكون الدال مع اشمام

سورة الكهف ١٨ الجزء ١٥ ع ١٣

الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الصّٰلِحٰتِ اَنَّ لَهُمْ اَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّاكِثِيْنَ فِيْهِ اَبَدًا ۝ وَّيُنْذِرَ الَّذِيْنَ قَالُوا اتَّخَذَ
اللّٰهُ وَلَدًا ۝ مَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ وَّلَا لِاٰبَآئِهِمْ ؕ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ ؕ اِنْ يَّقُوْلُوْنَ اِلَّا كَذِبًا ۝ فَلَعَلَّكَ
بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلٰٓى اٰثَارِهِمْ اِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوْا بِهٰذَا الْحَدِيْثِ اَسَفًا ۝ اِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْاَرْضِ زِيْنَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ
اَيُّهُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَاِنَّا لَجٰعِلُوْنَ مَا عَلَيْهَا صَعِيْدًا جُرُزًا ۝ اَمْ حَسِبْتَ اَنَّ اَصْحٰبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيْمِ كَانُوْا

الضمة وكسر الذون [وَيُبَشِّرَ] بالتخفيف والتثقيل - فان قلت لم اقتصر على احد مفعولَيْ انذر - قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق اليه فوجب الاقتصار عليه و الدليل عليه تكرير الانذار في قوله [وَيُنْذِرَ الَّذِيْنَ قَالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا] متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذَر به كما ذكر المبشَّر به في قوله اِنَّ لَهُمْ اَجْرًا حَسَنًا استغناءً بتقدم ذكره - والاجرُ الحسنُ الجنة - [مَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ] اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم و لكن عن جهل مفرط و تقليد للآباء و قد اشتملته آبارُهم من الشيطان و تسويله - فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل مَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ - قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاءُ العلم بالشيء اما للجهل بالطريق المُوْصل اليه و اما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به - قرئ [كَبُرَتْ كَلِمَةً] وكَلِمَةً بالنصب على التمييز و الرفع على الفاعلية و النصبُ اقوى و ابلغ و فيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمةً و [تَخْرُجُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ] صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها و اخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس و يحدّثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوّهوا به و يطلقوا به ألسنتهم بل يكظمون عليه تشوُّرا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر - وقرئ كَبُرَتْ بسكون الباء مع اشمام الضمة - فان قلت الامَ يرجع الضمير في كَبُرَتْ - قلت الى قولهم اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا و سمّيت كلمةً كما يسمون القصيدة بها • شبه واياهم حين تولّوا عنه و لم يؤمنوا به و ما تداخله من الوجد و الاسف على تولّيهم برجل فارقه احبّتُهُ واعزّته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدًا عليهم و تلهفا على فراقهم - و قرئ [بَاخِعٌ نَفْسَكَ] على الاصل و على الاضافة اي قاتلَها و مهلكها و هو للاستقبال فيمن قرأ اِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوْا و للمضيّ فيمن قرأ اَنْ لَّمْ يُؤْمِنُوْا بمعنى لَأَنْ لم يؤمنوا [بِهٰذَا الْحَدِيْثِ] بالقرآن [اَسَفًا] مفعول له اي لفرط الحزن - و يجوز ان يكون حالا و الاسفُ المبالغة في الحزن و الغضب يقال رجل آسِفٌ و اسيفٌ [مَا عَلَى الْاَرْضِ] يعني ما يصلح ان يكون زينة لها و لاهلها من زخارف الدنيا و ما يستحسن منها [لِنَبْلُوَهُمْ اَيُّهُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا] و حسن العمل الزهد فيها و ترك الاغترار بها ثم زهّد في الميل اليها بقوله و [اِنَّا لَجٰعِلُوْنَ مَا عَلَيْهَا] من هذه الزينة [صَعِيْدًا جُرُزًا] يعني مثل ارض بيضاء لا نباتَ فيها بعد ان كانت خضراء مُعْشِبة في ازالة بَهْجته و اماطة حسنه و ابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان و تجفيف النبات و الاشجار و نحو ذلك - ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض مما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها و ازالة ذلك كله كأنْ لم يكن

مِنْ اٰيٰتِنَا عَجَبًا ۝ اِذْ اَوَى الْفِتْيَةُ اِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوْا رَبَّنَآ اٰتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَّهَيِّئْ لَنَا مِنْ اَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلٰٓى اٰذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِيْنَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنٰهُمْ لِنَعْلَمَ اَيُّ الْحِزْبَيْنِ اَحْصٰى لِمَا لَبِثُوْٓا اَمَدًا ۝ ع نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَاَهُمْ بِالْحَقِّ ۭ اِنَّهُمْ فِتْيَةٌ اٰمَنُوْا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنٰهُمْ هُدًى ۝ وَّرَبَطْنَا عَلٰي قُلُوْبِهِمْ

ثم قال [اَمْ حَسِبْتَ] يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف و ابقاء حيوتهم مدة طويلة - و الكهف الغار الواسع في الجبل - و الرَّقِيمُ اسم كلبهم - قال امية بن ابي الصلت * شعر * و ليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم و القوم في الكهف هُمَدُ * و قيل هو لوح من رصاص رُقمت فيه اسمائهم جعل على باب الكهف - و قيل ان الناس رقموا حديثهم نقرًا في الجبل - و قيل هو الوادي الذي فيه الكهف - و قيل الجبل - و قيل قريتهم - و قيل مكانهم بين غضبان و ايلة دون فلسطين [كَانُوْا] أية [عَجَبًا] مِنْ اٰيٰتِنَا وصفا بالمصدر - او على ذات عجب * [مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً] اي رحمة من خزائن رحمتك و هي المغفرة و الرزق و الامن من الاعداء [وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ اَمْرِنَا] الذي نحن عليه من مفارقة الكفار [رَشَدًا] حتى نكون بسببه راشدين مهتدين - او اجعل امرنا رَشَدًا كله كقولك رأيت منك اسدا - [فَضَرَبْنَا عَلٰٓى اٰذَانِهِمْ] اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصواتُ كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع و لا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة [سِنِيْنَ عَدَدًا] ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة - و ان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لَمْ يَلْبَثُوْٓا اِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ - و قال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعدّ و اذا كثر احتاج الى ان يعدّ * اَيُّ يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لِنَعْلَمَ فلم يعمل فيه - و قرئ لِيُعْلَمَ و هو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يُعْلَم اليه و فاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نَعْلَمَ [اَيُّ الْحِزْبَيْنِ] المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك و ذلك قوله قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوْا لَبِثْنَا يَوْمًا اَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوْا رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ و كان الذين قالوا رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول - او لِنَعْلَمَ اَيُّ الْحِزْبَيْنِ المختلفين من غيرهم و [اَحْصٰى] فعل ماض اي اَيهم ضبط امدًا للوقات لبثهم - فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل - قلت ليس بالوجه السديد و ذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس و نحو اعدى من الجرب و افلس من ابن المذلق شاذ و القياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به و لان امدًا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعلُ لا يعمل و اما ان ينصب بلَبِثُوْا فلا يسدّ عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه اَحْصٰى كما اضمر في قوله * ع * و اضربَ منا بالسيوف القوانسا * على نضرب القوانس فقد ابعدتَ المتناول و هو قريب حيث ابيتَ ان يكون اَحْصٰى فعلًا ثم رجعتَ مضطرا الى تقديره و اضماره - فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم - قلت الله عزّ و جلّ لم يزل عالما بذلك و انما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا و اعتبارا و يكون لطفا لمؤمني

سورة الكهف ١٨ الجزء ١٥ ع ١٤

اِذْ قَامُوْا فَقَالُوْا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ لَنْ نَّدْعُوَا مِنْ دُوْنِهٖٓ اِلٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ اِذًا شَطَطًا ۝ هٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهٖٓ اٰلِهَةً ؕ لَوْلَا يَاْتُوْنَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ ؕ فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا ۝ وَ اِذِ اعْتَزَلْتُمُوْهُمْ وَ مَا يَعْبُدُوْنَ اِلَّا اللّٰهَ فَاْوٗٓا اِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهٖ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ اَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا ۝ وَ تَرَى الشَّمْسَ اِذَا طَلَعَتْ تَّزٰوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِيْنِ وَ اِذَا غَرَبَتْ تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِيْ فَجْوَةٍ مِّنْهُ ؕ

زمانهم و اٰية بيّنة لكفاره [وَ زِدْنٰهُمْ هُدًى] بالتوفيق و التثبيت [وَ رَبَطْنَا عَلٰى قُلُوْبِهِمْ] وقويناها بالصبر على هجر الاوطان و النعيم و الفرار بالدين الى بعض الغيران و جسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام [اِذْ قَامُوْا] بين يدي الجبار و هو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم [فَقَالُوْا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ]- [شَطَطًا] قولا ذاشطط و هو الافراط فى الظلم و الابعاد فيه من شط اذا بعد و منه اشط فى السوم و في غيره • [هٰٓؤُلَآءِ] مبتدأ و [قَوْمُنَا] عطف بيان و [اتَّخَذُوْا] خبر و هو خبر في معنى انكار [لَوْلَا يَاْتُوْنَ عَلَيْهِمْ] هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف [بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ] و هو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال و هو دليل على فساد التقليد و انه لابد فى الدين من الحجة حتى يصح و يثبت [افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا] بنسبة الشريك اليه - [وَ اِذِ اعْتَزَلْتُمُوْهُمْ] خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم [وَ مَا يَعْبُدُوْنَ] نصب عطف على الضمير يعني و اذ اعتزلتموهم و اعتزلتم معبوديهم [اِلَّا اللّٰهَ] يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق و يشركون معه كما اهل مكة - و ان يكون منقطعا - و قيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفئة انهم لم يعبدوا غير الله [مِّرْفَقًا] قرئ بفتح الميم و كسرها و هو ما يرتفق به اي ينتفع - اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله و قوة في رجائهم لتوكلهم عليه و خضوع يقينهم - و اما ان يخبرهم به نبيٌّ في عصرهم - و اما ان يكون بعضهم نبياً • [تَّزٰوَرُ] اي تمايل اصله تتزاور فخففت بادغام التاء في الزاء او حذفها - و قد قرئ بهما - وقرئ تَزْوَرُّ - و تَزْوَارُّ بوزن تَحْمَرُّ وَتَحْمَارُّ وكلها من الزَّوَر و هو الميل و منه زاره اذا مال اليه و الزور الميل عن الصدق [ذَاتَ الْيَمِيْنِ] جهة اليمين و حقيقتها الجهة المسماة باليمين [تَقْرِضُهُمْ] تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة و الصرم قال ذو الرمة • شعره • الى ظُعُن يقرضن اقواز مُشْرف • شمالا و عن ايمانهن الفوارسُ • [وَهُمْ فِيْ فَجْوَةٍ مِّنْهُ] و هم في متسع من الكهف و المعنى انهم في ظلّ نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرّض لاصابة الشمس لو لا ان الله حجبها عنهم - وقيل في متفسح من غارهم يذالهم فيه رَوْح الهواء و برد النسيم و لا يحسون كرب الغار [ذٰلِكَ مِنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ] اي ماصنعه الله بهم من ازورار الشمس و قرضها طالعة و عاربة اٰية من اٰياته يعني ان ما كان في ذلك الوقت تصيبه الشمس و لا تصيبهم اختصاصاً لهم بالكرامة - و قيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة ابدا و معنى ذٰلِكَ مِنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ ان شانهم و حديثهم من اٰيات الله [مَنْ يَّهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ] ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم

ذٰلِكَ مِنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ ؕ مَنْ يَّهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۚ وَمَنْ يُّضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهٗ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝ وَتَحْسَبُهُمْ
اَيْقَاظًا وَّهُمْ رُقُوْدٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِيْنِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۚ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيْدِ ؕ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ
مِنْهُمْ فِرَارًا وَّلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۝ وَكَذٰلِكَ بَعَثْنٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوْا بَيْنَهُمْ ؕ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ؕ قَالُوْا لَبِثْنَا
يَوْمًا اَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ؕ قَالُوْا رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ۚ فَابْعَثُوْٓا اَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهٖٓ اِلَى الْمَدِيْنَةِ فَلْيَنْظُرْ اَيُّهَآ اَزْكٰى طَعَامًا

فلطف بهم و اعانهم و ارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية و الاختصاص بالأية العظيمة وان كل مَن سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح و اهتدى الى السعادة و مَن تعرض للخذلان فلن يجد مَن يليه ويرشده بعد خذلان الله• [وَتَحْسَبُهُمْ] بكسر السين و فتحها خطاب لكل احد - و الأيقاظ جمع يقظ كأنكاد في نكد - قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر اذلك أيقاظا - وقيل لكثرة تقلبهم - و قيل لهم تقلبتان في السنة - وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء - وقرئ وَيُقَلِّبُهُمْ بالياء و الضمير لله تعالى - و قرئ وَتَقَلُّبَهُمْ على المصدر منصوبا و انتصابه بفعل مضمر يدل عليه وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم - وقرأ جعفر الصادقُ وَكَالِبُهُمْ اي و صاحب كلبهم [بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ] حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المُضيّ و اضافته اذا اضيف حقيقيةٌ معربة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية - و الوصيدُ الفناء - وقيل العتبة - وقيل الباب و انشد • شعر • بارض فضاء لا يسدّ وصيدها • عليّ ومعروفي بها غير منكر • وقرئ وَلَمُلِئْتَ بتشديد اللام للمبالغة - وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياءً و [رُعْبًا] بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملؤه و ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة - وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم - وقيل لوحشة مكانهم - وعن معوية انه غزا الروم فمرّ بالكهف فقال لو كُشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا و قال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم - و قرئ لَوُ اطَّلَعْتَ بضم الواو• [وَكَذٰلِكَ بَعَثْنٰهُمْ] و كما نَمْنَاهم تلك النومةَ كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الادامة و البعث جميعا ليسأل بعضهم بعضا و يعرفوا حالهم و ما صنع الله بهم فيعتبروا و يستدلّوا على عظم قدرة الله تعالى و يزدادوا يقينا و يشكروا ما انعم به عليهم و كُرّموا به [قَالُوْا لَبِثْنَا يَوْمًا اَوْ بَعْضَ يَوْمٍ] جواب مبنيّ على غالب الظن و فيه دليل على جواز الاجتهاد و القول بالظنّ الغالب و انه لا يكون كذبا و ان جاز ان يكون خطاء [قَالُوْا رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ] انكار عليهم من بعضهم و ان الله اعلم بمدة لبثهم كانّ هؤلاء قد علموا بالادلّة او بالهام من الله انّ المدة متطاولة و انّ مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله - وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنّوا انهم في يومهم فلمّا نظروا الى طول اظفارهم و أشعارهم قالوا ذلك - فان قلت كيف وصلوا قولهم فَابْعَثُوْا بتذاكر حديث المدة - قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم - والورِقُ الفضة

سورة الكهف ١٨ الجزء ١٥ ع ١٥

فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ
وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ۝ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ۚ إِذْ يَتَنَازَعُونَ
بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝

مضروبةً كانت او غير مضروبة و منه الحديث ان عُرْجَة أُصيب انفُه يوم الكُلاب فاتّخذ انفاً من ورق فامره رسول الله ان يتّخذ انفا من ذهب - قرئ بِوَرِقِكُمْ بسكون الراء و الواوُ مفتوحة او مكسورة - و قرأ ابن كثير بِوَرِقِكُمْ بكسر الراء و ادغام القاف في الكاف - و عن ابن مُحَيْصن انه كسر الواو و اسكن الراء و ادغم و هذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حدّه - و قيل المدينة طرسوس قالوا و تزوّدهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليلٌ على ان حمل النفقة و ما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات و على ما في اوعية القوم من النفقات - و منه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن مُحْرِم يشدّ عليه همیانه أوَثِقٌ عليك نفقتك - و ما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديدَ الحنين الى ان يرزق حجّ بيت الله و تُعوِّمَ منه ذلك نكلت مياسيرُ اهل بلده كلما عزم منهم فوج على حجّ اتوه فبذلوا له ان يحجّوا به و الحّوا عليه فيعتذر اليهم و يحمد اليهم بَذْلهم فاذا انفضّوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شدّ الهميان و التوكل على الرحمٰن [أَيُّهَا] اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ [أَزْكَىٰ طَعَامًا] احلّ و اطيب و اكثر و ارخص [وَلْيَتَلَطَّفْ] و ليتكلّف اللطف و الذيقة في ما يباشره من امر المبايعة حتى لا يُغْبَن - او في امر التخفي حتى لا يعرف [وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا] يعني و لا يفعلنّ ما يودي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمّي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في أيّها * [يَرْجُمُوكُمْ] يقتلوكم اخبث القتلة و هي الرجم و كانت عادتهم [أَوْ يُعِيدُوكُمْ] او يدخلوكم [فِي مِلَّتِهِمْ] بالاكراه العنيف و يصيّروكم اليها و العودُ في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عُدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل [وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا] ان دخلتم في دينهم * [وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ] و كما انمناهم و بعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم [أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ] و هو البعث لان حالهم في نومتهم و انتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث و [إِذْ يَتَنَازَعُونَ] متعلق بأَعْثَرْنَا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم و يختلفون في حقيقة البعث - فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد - و بعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف و ليتبيّن ان الاجساد تبعث حيّة حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت [فَقَالُوا] حين توفّى الله اصحاب الكهف [ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا] اي على باب كهفهم لئلا يتطرّق اليهم الناس ضنًّا بتربتهم و محافظةً عليها كما حفظت تربة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بالحظيرة [قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ] من المسلمين و مَلِكهم و كانوا اولى بهم و بالبناء عليهم

سَيَقُولُونَ ثَلٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِالْغَيْبِ ۚ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَّثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ

[لَنَتَّخِذَنَّ] على باب الكهف [مَسْجِدًا] يصلّي فيه المسلمون و يتبرّكون بمكانهم - و قيل اذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ اَمْرَهُمْ اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف و يتكلمون في قصتهم و ما اظهر الله من الآية فيهم - اَوْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ تدبير امرهم حين تُوُفُّوا كيف يخفون مكانهم و كيف يسدّون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا - روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا و طغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام و اكرهوا على عبادتها و ممن شدّد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك و توعّدهم بالقتل فابَوْا الا الثبات على الايمان و التصلّبَ فيه ثم هربوا الى الكهف و مرّوا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون مني انا اُحبّ احبّاء الله فناموا و انا اَحرسكم - و قيل مرّوا براعٍ معه كلب فتبعهم على دينهم و دخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم و قيل ان بعثهم الله مَلَكَ مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفينَ و جاحدينَ فدخل الملك بيته و اغلق بابه و لبس مسحا و جلس على رماد و سأل ربه ان يُبيّن لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رُعيانهم فهدم ما سُدّ به فمّ الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه و لما دخل المدينة مَن بعثوه لابتياع الطعام و اخرج الورق و كان من ضرب دقيانوس اتّهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقصّ عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه و ابصروهم و حمدوا الله على الآية الدالّة على البعث ثم قالت الفتية للملك سنودعك الله و نعيذك به من شرّ الجن و الانس ثم رجعوا الى مضاجعهم و توفّى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه و امر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرأُهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج و بنى على باب الكهف مسجدا - رَبُّهُمْ اَعْلَمُ بِهِمْ من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم و تناقلوا الكلام في انسابهم و احوالهم و مدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا رَبُّهُمْ اَعْلَمُ بِهِمْ - او هو من كلام الله عزّ و جلّ رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين - او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم من اهل الكتاب - [سَيَقُولُونَ] الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم من اهل الكتاب و المؤمنين سألوا رسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم عنهم فاَخّر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت إخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم و ان المصيب منهم من يقول سَبْعَةٌ وَّثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ - قال ابن عباس انا من اولئك القليل - و روي ان السيد و العاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبيّ صلّى الله عليه و اٰله و سلّم فجرى ذكر اصحاب الكهف - فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثَلٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ - و قال العاقب و كان نسطوريا كانوا خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ - و قال المسلمون كانوا سَبْعَةٌ وَّثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ فحقق الله قول المسلمين و انما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلّى الله عليه و اٰله و سلّم

سورة الكهف ١٨ الجزء ١٥ ع ١٦

قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَاهِرًا ۖ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ ع
وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَنْ يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُرْ رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَنْ

عن لسان جبرئيل عليه السلام - و عن عليّ رضي الله عنه هم سبعة نفراسماؤهم يَمْلِيخا و مَكْشَلِينيا و مَشْلِينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك - و كان عن يسارة مَرْنُوش و دَبَرْنُوش و شاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره و السابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من مَلِكهم دقيانوس و اسم مدينتهم افسوس و اسم كلبهم قِطْمِير - فان قلت لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الأخرين - قلت فيه وجهان - ان تدخل الأخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم و انعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا - و ان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له [رَجْمًا بِالْغَيْبِ] رميًا بالخبر الخفيّ و اتيانًا به كقوله وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ اي يأتون به - اووضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنًا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظنّ مكان قولهم ظنّ حتى لم يبقَ عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير • ع • وما هو عنها بالحديث المرجّم • اي المظنون - و قرئ ثَلَاثٌ رَابِعُهُمْ بادغام الثاء في تاء التانيث - و ثَلَاثَةٌ خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلثة وكذلك خمسةٌ و سبعةٌ و رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ جملة من مبتدأ و خبر واقعة صفة لثَلَاثَةٌ و كذلك سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ و ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ - فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة و لم دخلت عليها دون الاولين - قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل و معه أخر و مررت بزيد و في يده سيف و منه قوله تعالى وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ وفائدتة تاكيد لصوق الصفة بالموصوف و الدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر و هذه الواو هي التي أذنت بان الذين قالوا سَبْعَةٌ و ثَامِنُهُم كلبهم قالوه عن ثبات علم و طمانينة نفس و لم يرجموا بالظنّ كما غيرهم و الدليل عليه ان الله سبحانه اتبع القولين الاولين قولَهُ رَجْمًا بِالْغَيْبِ و اتبع القول الثالث قوله مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ - و قال ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدةٌ عادّ يلتفت اليها و ثبت انهم سبعة و ثامنهم كلبهم على القطع و الثبات - و قيل إِلَّا قَلِيلٌ من اهل الكتاب و الضميرُ في سَيَقُولُونَ على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا و كذا و لاعلم بذلك الا في قليل منهم و اكثرهم على ظنّ و تخمين [فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ] فلا تجادِلْ اهلَ الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالاً ظاهرا غير متعمّق فيه و هو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب و لا تزيد من غير تجهيل لهم و لا تعنيف بهم في الردّ عليهم كما قال وجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [وَلَا تَسْتَفْتِ] و لا تسأل احدا منهم عن قصتهم سوالَ متعنّت له حتى يقول شيئا فتردّه عليه و تزيّف ما عنده لان ذلك خلاف ما وُصّيت به من المدارأة و المجاملة و لا سوال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم [وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ] و لا تقولنّ لاجل شيء تعزم عليه [إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ] الشيء [غَدًا]

يُهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَدًا ◎ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ◎ قُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ

اي فيما يستقبل من الزمان و لم يُرد الغد خاصة [إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ] متعلق بالنهي لا بقوله إِنِّي فَاعِلٌ لانه لو قال اني فاعل كذا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ كان معناه الا ان تعترض مشيّة اللّٰه دون فعله و ذلك مما لا مدخل فيه للنهي - و تعلّقه بالنهي على وجهين - احدهما و لا تقولنّ ذلك القول الا ان يشاء اللّٰه ان تقوله بان يأذن لك فيه - و الثاني و لا تقولنّه الا بان يشاء اللّٰه اي الّا بمشيّة اللّٰه و هو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشيّة اللّٰه قائلا ان شاء اللّٰه - و فيه وجه ثالث وهو ان يكون إِنْ شَاءَ اللّٰهُ في معنى كلمة تابيد كانه قيل و لا تقولنّه ابدا و نحوه قوله وَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ ان عودهم في ملّتهم مما لن يشاءه اللّٰه و هذا نهي تاديب من اللّٰه لنبيّه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح و عن اصحاب الكهف و ذي القرنين فسألوه فقال ايتوني غدًا أُخبركم و لم يستثن فابطأ عليه الوحيُ حتى شقّ عليه و كذّبته قريش [وَاذْكُرْ رَبَّكَ] اي مشية ربك و قُلْ ان شاء اللّٰه اذا فرط منك نسيان لذلك و المعنى إِذَا نَسِيتَ كلمة الاستثناء ثم تنبّهتَ عليها فتداركها بالذكر - و عن ابن عباس و لو بعد سنة ما لم تحنث - و عن سعيد بن جبير و لو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة - و عن طاؤس هو على ثُنْياه ما دام في مجلسه - و عن الحسن نحوه - و عن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة - و عند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا - و يحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابنَ عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره ليُنكر عليه فقال ابو حنيفة هذا يرجع عليك ادلك تأخذ البَيْعة بالأيمان اترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه و رضي عنه - و يجوز ان يكون المعنى وَاذْكُرْ رَبَّكَ بالتسبيح و الاستغفار إِذَا نَسِيتَ كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها - و قيل وَ اذْكُرْ رَبَّكَ اذا تركت بعض ما امرك به - و قيل و اذكُرْه اذا اعتراك النسيان ليُذكّرك المنسيَّ و قد حُمل على اداء الصلوٰة المنسيّة عند ذكرها و هذا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف و معناه لعل اللّٰه يؤتيني من البيّنات و الحجج على اني نبيّ صادق ما هو اعظم في الدلالة و اقرب رَشَدًا مِنْ نبأ اصحاب الكهف و قد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء و الأخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك و ادلّ و الظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك و ذكرُ ربك عند نسيانه ان يقول [عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي] لشيء آخر بدل هذا المنسيّ اقرب منه [رَشَدًا] وادنى خيرا و منفعة و لعل النسيان كان خيرة كقوله أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا * [وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ] يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة و هو بيان لما أُجمل في قوله فَضَرَبْنَا عَلٰى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا - و معنى قوله قُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم لمدة لبثهم و الحق ما أخبرك اللّٰه به - و عن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب و قُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ رد عليهم - و قال في حرف عبد اللّٰه و قالوا لبثوا - و سِنِينَ عطف بيان لثَلٰثَ مِائَةٍ - و قرئ ثَلٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ

سورة الكهف ١٨ الجزء ١٥ ع ١٦

بِمَا لَبِثُوا ۚ لَهُ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۖ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ۚ وَلَا يُشْرِكُ فِي
حُكْمِهِ أَحَدًا ۝ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝
وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰوةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنٰكَ عَنْهُمْ ۚ تُرِيدُ زِينَةَ

بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا - و في قراءة ابيّ ثَلٰثَ مِائَةٍ سَنَةٍ [تِسْعًا] تسع سنين لان ماقبله يدلّ عليه - و قرأ الحسن تَسْعًا بالفتح ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض و خفي فيهما من احوال اهلها و من غيرها و انه هو وحده العالم به و جاء بما دلّ على التعجب من ادراكه المسموعات و المبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حدّ ما عليه ادراك السامعين و المبصرين لانه يُدْرِك الطفّ الاشياء و اصغرها كما يدرك اكبرها حَجْمًا واكثفها جِرْمًا و يُدْرِك البواطن كما يدرك الظواهر [مَا لَهُمْ] الضمير لاهل السموات و الارض [مِنْ وَلِيٍّ] من متولٍّ لامورهم [وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ] في قضائه [أَحَدًا] منهم - و قرأ الحسن وَلَا تُشْرِكْ بالتاء والجزم على النهي * كانوا يقولون له ايت بقرآن غير هذا او بدّله فقيل له [وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ] من القرآن و لا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مُبَدِّل لكلمات رَبِّكَ اي لا يقدر احد على تبديلها و تغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده و اذا بَدَّلْنَا ايَةً مَكَانَ ايَةٍ [وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا] ملتجأ تعدل اليه ان هممتَ بذلك * قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نَحِّ هؤلاء الموالي الذين كانّ ريحهم ريح الضان وهم صُهَيْب و عَمّار و خَبّاب و غيرهم من فقراء المسلمين حتى نُجالسك كما قال قوم نوح أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ فنزلت [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ] واحبسها معهم و ثبّتها - قال ابو ذؤيب * شعر * فصبرت عارفةً لذلك حُرَّةً * ترسو اذا نفس الجبان تطلّعُ * [بِالْغَدٰوةِ وَالْعَشِيِّ] دائبين على الدعاء في كل وقت - و قيل المراد صلوة الفجر والعصر - و قرئ بِالْغَدٰوَةِ - و بِالْغُدْرَةِ اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال و ادخال اللام على تاويل التنكير كما قال - و الزيد زيد المعارك - و نحوه قليل في كلامهم - يقال عداه اذا جاوزه و منه قولهم عدا طورَهُ وجاوزي القوم عدا زيدا و انما عُدّي بعَنْ لتضمين عدا معنى نبا و علا في قولك نبَتْ عنه عينه و علَتْ عنه عينه اذا اقتحمتْه و لم تعلق به - فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلّا قيل ولا تعدُهم عيناك اولا تعلُ عيناك عنهم - قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنًى فقد الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك و لا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم و نحوه قوله تعالى وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ اي و لا تضمّوها اليها اكلين لها - وقرئ وَلَا تُعْدِ عَيْنَيْكَ - وَلَا تُعْدُ عَيْنَيْكَ من اعداه وعدّاه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو - و منه قوله * ع * فعدّ عما ترى اذ لا ارتجاع له * لان معناه فعدّ همّك عما ترى - نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبوَ عينه عن رثاثة رثّهم طموحًا الى زيّ الاغنياء و حسن شارتهم [تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا] في موضع الحال [مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ]

الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۚ وَلَا تُطِعْ مَنْ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوٰىهُ وَكَانَ اَمْرُهُ فُرُطًا ۝ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكُمْ ۟ فَمَنْ شَآءَ فَلْيُؤْمِنْ وَّمَنْ شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ اِنَّآ اَعْتَدْنَا لِلظّٰلِمِيْنَ نَارًا اَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۭ وَاِنْ يَّسْتَغِيْثُوْا يُغَاثُوْا بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوْهَ ۭ بِئْسَ الشَّرَابُ ۭ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ اِنَّا لَا نُضِيْعُ اَجْرَ مَنْ اَحْسَنَ عَمَلًا ۝ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ جَنّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمُ الْاَنْهٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيْهَا مِنْ اَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَّيَلْبَسُوْنَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُنْدُسٍ وَّاِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٕيْنَ فِيْهَا عَلَى الْاَرَآئِكِ ۭ نِعْمَ الثَّوَابُ ۭ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۝ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِاَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ اَعْنَابٍ وَّحَفَفْنٰهُمَا بِنَخْلٍ وَّجَعَلْنَا

مَن جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان - او وجدناه غافلا عنه كقولك اَجْبَنته و اَفْحمته و اَبْخلته اذا وجدته كذلك - او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نَسِمْه بالذكر و لم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان و قد ابطل الله توهم المجبرة بقوله وَاتَّبَعَ هَوٰىهُ - و قرئ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُ باسناد الفعل الى القلب على معنى حَسِبْنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا [فُرُطًا] متقدما للحق و الصواب نابذًا له وراء ظهره من قولهم فرس فُرُط متقدم للخيل [وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكُمْ] اَلْحَقُّ خبر مبتدأ محذوف و المعنى جاء الحق و زاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك - وجيء بلفظ الامر و التخيير لانه لما مُكّن من اختيار ايّهما شاء فكانه مخيّر مامور بان يتخيّر ما شاء من النجدين - شُبّه ما يحيط بهم من النار بالسُّرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفُسْطاط و بيت مُسَرْدق ذو سُرادق - و قيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار - و قيل حائط من نار يطيف بهم [يُغَاثُوْا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ] كقوله - فاُعْتِبوا بالصَّيْلم - وفيه تهكّم - و المهل ما اُذيب من جواهر الارض - و قيل دردي الزيت [يَشْوِى الْوُجُوْهَ] اذا قُدّم ليشرب انشوى الوجه من حرارته - عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم هو كعكر الزيت فاذا قُرّب اليه سقطت فروة وجهه [بِئْسَ الشَّرَابُ] ذلك [وَسَآءَتْ] النار [مُرْتَفَقًا] متكأ من المرفق و هذا لمشاكلة قوله وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا و الّا فلا ارتفاق لاهل النار و لا اتكاء الّا ان يكون من قوله

• شعره • اني ارقتُ فبتُّ الليل مرتفقا • كأنّ عينيّ فيها الصابُ مذبوح •

[اُولٰٓئِكَ] خبر انّ وَ اِنَّا لَا نُضِيْعُ اعتراض - ولك ان تجعل اِنَّا لَا نُضِيْعُ و اُولٰٓئِكَ خبرين معا - او تجعل اُولٰٓئِكَ كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم - فان قلت اذا جعلت اِنَّا لَا نُضِيْعُ خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدأ - قلت مَنْ اَحْسَنَ عَمَلًا و الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ ينتظمهما معنًى واحد فقام من احسن مقام الضمير - او اردت مَن احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم - مِن الاولى للابتداء و الثانية للتبيين - و تذكير اَسَاوِرَ لابهام امرها في الحسن - و جمع بين السُّنْدُس و هو ما رقّ من الديباج و بين الاِسْتَبْرَق و هو الغليظ منه جمعا بين النوعين و خص الاتكاء لانه هيئة المنعّمين و الملوك عملى اَسرّتهم • [وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ] اي و مَثّل حال الكفرين و المؤمنين بحال رجلين و كانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قُطْرُس

بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ اٰتَتْ اُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۙ وَّفَجَّرْنَا خِلٰلَهُمَا نَهَرًا ۝ وَّكَانَ لَهٗ ثَمَرٌ ۚ فَقَالَ
لِصَاحِبِهٖ وَهُوَ يُحَاوِرُهٗٓ اَنَا اَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَّاَعَزُّ نَفَرًا ۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهٗ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهٖ ۚ قَالَ مَآ اَظُنُّ اَنْ تَبِيْدَ

والأخر مؤمن اسمه يهوذا - وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ اِنِّيْ كَانَ لِيْ قَرِيْنٌ ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها - فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اَشْتَرِي منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به - ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به - ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور - ثم اشترى اخوه خَدَما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله - وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد [جَنَّتَيْنِ مِنْ اَعْنَابٍ] بستانين من كروم [وَحَفَفْنٰهُمَا بِنَخْلٍ] وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها موزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد وتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به [وَّجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا] جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه - ووَصَفَ العمارة بانها متواصلة متشاركة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق - ونَعَتَهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السَّيْح بالنهر الجاري فيها - والأُكُلُ الثمر - وقرئ بضم الكاف [وَلَمْ تَظْلِمْ] ولم تنقص - واٰتَتْ حمل على اللفظ لان كِلْتَا لفظه لفظ مفرد ولو قيل أَتَتَا على المعنى لجاز - وقرئ وَفَجَّرْنَا على التخفيف - وقرأ عبد الله كُلُّ الْجَنَّتَيْنِ اٰتَى اُكُلَهُ برد الضمير على كُلَ [وَكَانَ لَهٗ ثَمَرٌ] اي انواع من المال من ثَمَّر ماله اذا كثره - وعن مجاهد الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما وكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء [وَاَعَزُّ نَفَرًا] يعني انصارا وحشما - وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث - يُحَاوِرُهٗ يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسألته فما احار كلمة يعني قطرس اخذ بيد اخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويُرِيه ما فيهما ويُعْجِبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه - فان قلت ولم افرد الجنة بعد التثنية - قلت معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما [وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهٖ] وهو معجب بما أُوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه مُعَرِّض بذلك نفسه لسخط الله وهو انحس الظلم اخبارٌ عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي

هٰذِهٖٓ اَبَدًا ۝ وَّمَآ اَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً وَّلَئِنْ رُّدِدْتُّ اِلٰى رَبِّيْ لَاَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ۝ قَالَ لَهٗ صَاحِبُهٗ سورة الكهف ١٨
وَهُوَ يُحَاوِرُهٗٓ اَكَفَرْتَ بِالَّذِيْ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوّٰىكَ رَجُلًا ۝ لٰكِنَّا۠ هُوَ اللّٰهُ رَبِّيْ وَلَآ اُشْرِكُ الجزء ١٥
بِرَبِّيْٓ اَحَدًا ۝ وَلَوْلَآ اِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللّٰهُ لَا قُوَّةَ اِلَّا بِاللّٰهِ ۚ اِنْ تَرَنِ اَنَا اَقَلَّ مِنْكَ مَالًا ع ١٧

غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يُطلقوا بنحو هذا لسنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه [وَلَئِنْ رُّدِدْتُّ اِلٰى رَبِّيْ] اقسام منه على انه ان ردّ الى ربّه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدنّ في الأخرة خيرًا من جنته في الدنيا تطمُّعًا وتمنّيا على الله وادّعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجّه كقوله اِنَّ لِيْ عِنْدَهٗ لَلْحُسْنٰى - لَاُوْتَيَنَّ مَالًا وَّوَلَدًا - وقرئ خَيْرًا مِّنْهُمَا ردّا على الجنتين [مُنْقَلَبًا] مرجعًا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها باقية وتلك باقية [خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ] اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكانّ خلقه خلقاله [سَوّٰىكَ] عدّلك وكمّلك انسانا ذكرًا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكّه في البعث كما يكون المكذّب بالرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم كافرا - لٰكِنَّا۠ هُوَ اللّٰهُ رَبِّيْ اصله لكن اَنَا فحذفت الهمزة و اُلقيت حركتها على نون لٰكِنَّ فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل • شعر • وترميني بالطرف اي انت مذنب • وتقليني لكنّ اياكِ لا اَقْلي • اي لكن انا لا اقليك وهُوَ ضمير الشان والشان اللّٰه ربي والجملة خبر اَنَا والراجع منها اليه ياء الضمير - وقرأ ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحَسَن ذاك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيرُه لايُثْبتها الا في الوقف - وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لِكَنَّهْ - وقرئ لٰكِنْ هُوَ اللّٰهُ رَبِّيْ بسكون النون وطرح انا - وقرأ ابيّ بن كعب لٰكِنْ اَنَا على الاصل - وفي قراءة عبد الله لٰكِنْ اَنَا لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ رَبِّيْ - فان قلت هو امتدراك لما ذا - قلت لقوله اَكَفَرْتَ قال لاخيه انت كافر باللّٰه انكي مؤمن موحّد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر [مَا شَآءَ اللّٰهُ] - يجوز ان تكون مّا موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر مَا شَآءَ اللّٰهُ - او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى ايّ شيء شاء اللّٰه كان ونظيرها في حذف الجواب لَوْ في قوله وَلَوْ اَنَّ قُرْاٰنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ والمعنى هلّا قلتَ عند دخولها والنظر الى ما رزقك اللّٰه منها الامر ما شاء اللّٰه اعترافا بانها وكلّ خير فيها انما حصل بمشية اللّٰه وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرةً وان شاء خرّبها وقلت [لَا قُوَّةَ اِلَّا بِاللّٰهِ] اقرارًا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا باللّٰه تعالى - وعن عروة بن الزبير انه كان يتلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردّد هذه الاية حتى يخرج - من قرأ اَقَلَّ بالنصب فقد جعل اَنَا فصلا - ومن رفع جعله مبتدأ وَاَقَلَّ خبره والجملة مفعولا ثانيا لتَرَنِي - وفي قوله [وَوَلَدًا] نصرة لمن فسّر

سورة الكهف ١٨ الجزء ١٥ ع ١٧

وَوَلَدًا ۝ فَعَسٰى رَبِّيْٓ اَنْ يُّؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيْدًا زَلَقًا ۝
اَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيْعَ لَهٗ طَلَبًا ۝ وَاُحِيْطَ بِثَمَرِهٖ فَاَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلٰى مَآ اَنْفَقَ فِيْهَا وَهِيَ
خَاوِيَةٌ عَلٰى عُرُوْشِهَا وَيَقُوْلُ يٰلَيْتَنِيْ لَمْ اُشْرِكْ بِرَبِّيْٓ اَحَدًا ۝ وَلَمْ تَكُنْ لَّهٗ فِئَةٌ يَّنْصُرُوْنَهٗ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَمَا كَانَ

النفر بالاولاد في قوله وَاَعَزُّ نَفَرًا و المعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة [خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ] و يسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك. و اُحْسبانٌ مصدر كالغُفران و البُطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدّره الله و حسبه و هو الحكم بتخريبها. و قال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك. و قيل حُسْبَانًا مَرامي الواحدةُ حسبانة و هي الصواعق [صَعِيْدًا زَلَقًا] ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها. زَلَقًا وَغَوْرًا كلاهما وصف بالمصدر. [وَاُحِيْطَ] به عبارة عن اهلاكه و اصله من احاط به العدوّ لانه اذا احاط به فقد ملكه و استولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك و منه قوله تعالى اِلَّآ اَنْ يُّحَاطَ بِكُمْ و مثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدوّ اذا جاءهم مستعليًا عليهم. و تقليب الكفّين كناية عن الندم و التحسر لان النادم يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ظهرا لبطن كما كُني عن ذلك بَعَضّ الكفّ و السقوط في اليد و لانه في معنى الندم عُدّي تعديته بعلى كانه قيل فَاَصْبَحَ يندم [عَلٰى مَآ اَنْفَقَ فِيْهَا] اي انفق في عمارتها [وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلٰى عُرُوْشِهَا] يعني ان كرومها المعرّشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم. قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها [يٰلَيْتَنِيْ] تَذَكّر موعظة اخيه فعلم انه اُتي من جهة شركه وطغيانه فتمنّى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه. و يجوز ان يكون توبةً من الشرك وندمًا على ما كان منه و دخولا في الايمان. و قرئ [وَلَمْ يَكُنْ] بالتاء والياء و حمل يَنْصُرُوْنَهٗ على المعنى دون اللفظ كقوله فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَاُخْرٰى كَافِرَةٌ فان قلت ما معنى قوله [يَنْصُرُوْنَهٗ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ]. قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل [وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا] و ما كان ممتنعا بقوّته عن انتقام الله [اَلْوَلَايَةُ] بالفتح النصرة و التولي و بالكسر السلطان و الملك. و قد قرئ بهما و المعنى هُنَالِكَ اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله وَلَمْ يَكُنْ لَّهٗ فِئَةٌ يَّنْصُرُوْنَهٗ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ. او هُنَالِكَ السلطان و الملك لِلّٰهِ لا يُغْلَب ولا يمتنع منه. او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى اللّٰهَ و يؤمن به كل مضطرّ يعني ان قوله يٰلَيْتَنِيْ لَمْ اُشْرِكْ بِرَبِّيْ اَحَدًا كلمة اُلجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها. و يجوز ان يكون المعنى هُنَالِكَ اَلْوَلَايَةُ لِلّٰهِ ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكَفَرة و ينتقم لهم و يشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمنَ و صدق قوله عسى رَبِّيْ اَنْ يُّؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ و يعضده قوله [خَيْرٌ ثَوَابًا وَّخَيْرٌ عُقْبًا] اي لاوليائه. وقيل هُنَالِكَ

مُنْتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلّٰهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَّ خَيْرٌ عُقْبًا ۝ ع وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ اَنْزَلْنٰهُ
مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهٖ نَبَاتُ الْاَرْضِ فَاَصْبَحَ هَشِيْمًا تَذْرُوْهُ الرِّيٰحُ ۗ وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝ اَلْمَالُ
وَ الْبَنُوْنَ زِيْنَةُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْبٰقِيٰتُ الصّٰلِحٰتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَّ خَيْرٌ اَمَلًا ۝ وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ
وَتَرَى الْاَرْضَ بَارِزَةً ۙ وَّ حَشَرْنٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ اَحَدًا ۝ وَعُرِضُوْا عَلٰى رَبِّكَ صَفًّا ۗ لَقَدْ جِئْتُمُوْنَا كَمَا خَلَقْنٰكُمْ
اَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ اَلَّنْ نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا ۝ وَ وُضِعَ الْكِتٰبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِيْنَ مُشْفِقِيْنَ مِمَّا فِيْهِ وَ يَقُوْلُوْنَ

اشارة الى الأخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ - وقرئ الْحَقُّ بالرفع والجر صفة للوَلَايَةُ واللّٰهِ - وقرأ عمرو بن عُبَيْد بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحقَّ لا الباطلَ وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عُبَيْد من افصح الناس وانصحهم - وقرئ عُقُبًا بضم القاف وسكونها - و عُقْبَى على فُعلى كلها بمعنى العاقبة * [فَاخْتَلَطَ بِهٖ نَبَاتُ الْاَرْضِ] فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا - وقيل نجع في النبات الماءُ فاختلط به حتى روي ورفّ رفيفًا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط نبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه - و الهشيم ما تهشّم وتحطّم الواحدةُ هشيمة - وقرئ [تَذْرُوْهُ الرِّيٰحُ] - وعن ابن عباس تُذْرِيْهِ الرِّيٰحُ من اذرى - شبّه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك و الفناء بحال النبات يكون اخضر وارفًا ثم يهيج فتطيّره الرياح كأنْ لم يكن [وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ] من الانشاء و الافناء [مُّقْتَدِرًا] * [اَلْبٰقِيٰتُ الصّٰلِحٰتُ] اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان ويغنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا - وقيل هي الصلوات الخمس - وقيل سبحانَ اللّٰه والحمدُ لله ولا اله الا الله واللّٰهُ اكبرُ - وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خَيْرٌ ثوابًا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الأخرة - قرئ تُسَيَّرُ من سُيِّرت و [نُسَيِّرُ] من سَيَّرنا - وتَسِيْرُ من سارت اي تسير في الجوّ او يُذهب بها بان تجعل هباء منبثًّا - و قرئ وَتُرَى الْاَرْضُ على البناء للمفعول [بَارِزَةً] ليس عليها ما يسترها مما كان عليها [وَحَشَرْنٰهُمْ] رجمعناهم الى الموقف - و قرئ [فَلَمْ يُغَادِرْ] بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدرُ ترك الوفاء و الغديرُ ما غادره السيل - وشُبّهت حالهم بحال الجند المعرضين على السلطان [صَفًّا] مصطفّين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا [لَقَدْ جِئْتُمُوْنَا] اي قلنا لهم لقد جئتمونا و هذا المضمر هو عامل النصب في يَوْمَ نُسَيِّرُ - ويجوز ان ينصب باضمار ذكر و المعنى لقد بعثناكم كما انشأناكم اوّل مرّة - و قيل جئتمونا عُراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا كقوله وَلَقَدْ جِئْتُمُوْنَا فُرَادٰى - فان قلت لم جيء تَحَشَرْنٰهُمْ ماضيا بعد نُسَيِّرُ - وتَرَى - قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك [مَّوْعِدًا] وقتا لانجاز ما وُعدتم على ألسنة الانبياء من البعث و النشور [اَلْكِتٰبُ] للجنس وهو صحف الاعمال [يَوْمَئِذٍ] يناقشون هَلَكَتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات

سورة الكهف ١٨ الجزء ١٥ ع ١٩

يٰوَيْلَتَىٰ مَالِ هٰذَا الْكِتٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَّلَا كَبِيرَةً اِلَّآ اَحْصٰىهَا ۚ وَوَجَدُوْا مَا عَمِلُوْا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ
اَحَدًا ۝ وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْٓا اِلَّآ اِبْلِيْسَ ۗ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ اَمْرِ رَبِّهٖ ۗ اَفَتَتَّخِذُوْنَهٗ
وَذُرِّيَّتَهٗٓ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِيْ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۗ بِئْسَ لِلظّٰلِمِيْنَ بَدَلًا ۝ مَآ اَشْهَدْتُّهُمْ خَلْقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ
وَلَا خَلْقَ اَنْفُسِهِمْ ۖ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّيْنَ عَضُدًا ۝ وَيَوْمَ يَقُوْلُ نَادُوْا شُرَكَآئِيَ الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ

[صَغِيْرَةً وَّلَا كَبِيْرَةً] هنةٌ صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي اِلَّآ اَحْصٰىهَا اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار و اما كبار - ويجوز ان يريدوا ما كان عندهم صغائر و كبائر - وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر و هي المناقشة - و عن ابن عباس الصغيرةُ التبسمُ و الكبيرةُ القهقهةُ - وعن سعيد بن جبير الصغيرةُ المسيسُ والكبيرةُ الزنا - و عن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجّوا و الله من الصغائر قبل الكبائر [اِلَّآ اَحْصٰىهَا] الا ضبطها و حصرها [وَوَجَدُوْا مَا عَمِلُوْا حَاضِرًا] في الصحف عتيدا - او جزاء ما عملوا [وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ اَحَدًا] فيكتب عليه ما لم يعمل - او يزيد في عقاب المستحق - او يعذبه بغير جرم كما يزعم مَن ظَنّ الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم [كَانَ مِنَ الْجِنِّ] كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كانّ قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ اَمْرِ رَبِّهٖ - و الفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجنّ سببا في فسقه لانه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن امر الله لان الملئكة معصومون البتّة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجنّ و الانس كما قال لَا يَسْبِقُوْنَهٗ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِاَمْرِهٖ يَعْمَلُوْنَ وهذا الكلام المعترض تعمّدٌ من الله تعالى لصيانة الملئكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البونَ بين ما تعمّده الله و بين قول من ضادّه و زعم انه كان ملكا و رئيسا على الملئكة [فَعَصٰى] فلُعن و مُسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس - و معنى [فَسَقَ عَنْ اَمْرِ رَبِّهٖ] خرج عما امره به ربه من السجود قال * ع * فواسقًا عن قصدها جوائرا * وصار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ [اَفَتَتَّخِذُوْنَهٗ] الهمزة للانكار و التعجيب كانه قيل اَعُقَيب ما وجد منه تتّخذونه [وَذُرِّيَّتَهٗٓ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِيْ] وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله ابليسُ لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته * [مَآ اَشْهَدْتُّهُمْ] - وقرئ ما اَشْهَدْتُهُمْ يعني انكم اتّخذتموهم شركاء في العبادة و انما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله مَآ اَشْهَدْتُّهُمْ خَلْقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لاعتضدَ بهم في خلقها [وَلَا خَلْقَ اَنْفُسِهِمْ] اي ولا اشهدتُ بعضهم خلق بعض كقوله وَلَا تَقْتُلُوْٓا اَنْفُسَكُمْ [وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّيْنَ] بمعنى وما كنتُ متّخذهم [عَضُدًا] اي اعوانا فوضع المضلّين موضع الضمير ذمًّا لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة - و قرئ وَمَا كُنْتَ بالفتح الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و المعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتزبهم - وقرأ علي رضي الله عنه وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّيْنَ بالتنوين على الاصل - و قرأ الحسن عُضْدًا بسكون العين و نقل ضمتها الى

سورة الكهف ١٨ الجزء ١٥ ع ٢٠

فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ۝ وَرَأَ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝ ع
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْاٰنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ط وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ
أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدٰى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝ وَمَا نُرْسِلُ
الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ج وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا اٰيٰتِي وَمَا
أُنْذِرُوا هُزُوًا ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِاٰيٰتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدٰهُ ط إِنَّا جَعَلْنَا عَلٰى

العين - و قرئ عَضْدًا بالفتح وسكون العين - وعُضُدًا بضمتين - وعَضَدًا بفتحتين جمع عاضد كخادم و خَدَم و راصد و رَصَد من عضده اذا قوّاه واعانه * [يَقُولُ] بالياء و النون و اضافةُ الشركاء اليه على زعمهم توبيخاً لهم و اراد الجنّ - و المَوْبِق المهلك من وبق يبق وبوقاً و وبق يوبق وبقاً اذا هلك و اوبقه غيره - ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد و الموعد يعني و جعلنا بينهم وادياً من اودية جهنم هو مكان الهلاك و العذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا - و عن الحسن مَوْبِقًا عداوةً و المعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لَا يَكُنْ حُبُّكَ كلفاً و لا بغضك تلفاً - و قال الفرّاء البينُ الوصل اي و جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيٰمة - و يجوز ان يريد الملٰئكة و عزير و عيسى و مريم و بالمَوْبِق البرزخ البعيد اي و جعلنا بينهم امدا بعيدا تَهْلِكُ فيه الاشواط لفرط بُعْده لانهم في قعر جهنم و هم في اعلى الجنان [فَظَنُّوا] فايقنوا [مُوَاقِعُوهَا] مُخالطوها واقعون فيها [مَصْرِفًا] مَعْدِلاً قال * ع * ازهيرُ هل عن شيبةٍ من مصرف * [أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا] اكثر الاشياء اللتي يتأتّى منها الجدل ان فصّلتها واحدا بعد واحد خصومة و ممارأة بالباطل - و انتصاب جَدَلًا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء و نحوه فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * أن الاولى نصب و الثانيةُ رفع و قبلها مضاف محذوف تقديره [وَمَا مَنَعَ النَّاسَ] الايمانَ و الاستغفارَ [إِلَّا] انتظار [أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ] و هي الاهلاك [أَوْ] انتظار أن [يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ] يعني عذاب الاٰخرة - قِبَلًا عيانا - وقرئ [قُبُلًا] انواعًا جمعُ قبيل - وقَبَلًا بفتحتين مستقبلا * [لِيُدْحِضُوا] ليُزيلوا و يُبطلوا من ادحاض القدم و هو ازلاقها و ازالتها عن موطئها [وَمَا أُنْذِرُوا] - يجوز ان تكون مَا موصولة و يكون الراجع من الصلة محذوفًا اي و ما أُنذروه من العذاب - او مصدرية بمعنى و انذارهم - و قرئ هُزْءًا بالسكون اي اتّخذوها موضع استهزاء و جدالهم قولهم للرسل مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا - وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَأَنْزَلَ مَلٰئِكَةً و ما اشبه ذلك * [بِاٰيٰتِ رَبِّهِ] بالقراٰن و لذلك رجع اليها الضمير مذكّرا في قوله أَنْ يَفْقَهُوهُ [فَأَعْرَضَ عَنْهَا] فلم يتذكّر حين ذُكّر ولم يتدبّر [وَنَسِيَ] عاقبة [مَا قَدَّمَتْ يَدٰهُ] من الكفر و المعاصي غير مفكّر فيها و لا ناظر في ان المُسيء و المحسن لابدّ لهما من جزاء ثم عَلّل اعراضهم و نسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم و جمع بعد الافراد حملاً على لفظ مَنْ و معناه - [فَلَنْ يَهْتَدُوا] فلا يكون منهم اهتداء البتةَ كانّه محال منهم لشدة تصميمهم ابداً مدة التكليف كلها - و اذا جزاء و جواب فدلّ على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا [illegible]

سورة الكهف ١٨ الجزء ١٥ ع ٢١

قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۝ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو
الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۖ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ۝ وَتِلْكَ
الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ۚ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝ ع وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ

يكون سببَ وجود الاهتداء سبباً في انتفائه - و على انه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصاً على اسلامهم فقيل وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا • [الْغَفُورُ] البليغ المغفرة [ذُو الرَّحْمَةِ] الموصوفُ بالرحمة - ثم استشهد على ذلك بترك مواخذة اهل مكّة عاجلاً من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم [بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ] و هو يوم بدر [لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا] منجىً و لا ملجأ يقال وَأَلَ اذا نجا و آلَ اليه اذا لجأ اليه • [وَتِلْكَ الْقُرَىٰ] يريد قُرى الاولين من ثمود و قوم لوط و غيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا - تِلْكَ مبتدأ و الْقُرَىٰ صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس و [أَهْلَكْنَاهُمْ] خبر - و يجوز ان يكون تِلْكَ الْقُرَىٰ نصبا باضمار أَهْلَكْنَا على شريطة التفسير و المعنى و تِلْكَ اصحاب الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ [لَمَّا ظَلَمُوا] مثلَ ظلم اهل مكّة [وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا] و ضربنا لاهلاكهم وقتاً معلوماً لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكّة يوم بدر و المُهْلَك الاهلاك و وقته - و قرئ لِمَهْلِكِهِمْ بفتح الميم و اللامُ مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقتَ هلاكهم و الموعدُ وقت او مصدر • [لِفَتَاهُ] لعبده و في الحديث لِيَقُلْ احدكم فتايَ و فتاتي و لا يقُلْ عبدي و أَمَتي - و قيل هو يوشع بن نون و انما قيل فَتَاهُ لانه كان يخدمه و يتّبعه - و قيل كان يأخذ منه العلم - فان قلت [لَا أَبْرَحُ] ان كان بمعنى لا ازولُ من برح المكان فقد دلّ على الاقامة لا على السفر و ان كان بمعنى لا ازالُ فلابدّ من الخبر - قلت هو بمعنى لا ازالُ و قد حذف الخبر لان الحال و الكلام معا يدلّان عليه اما الحال فلانها كانت حالَ سفر و اما الكلام فلانّ قوله [حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ] غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلابدّ ان يكون المعنى لَا أَبْرَحُ اسيرُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ - و وجه آخر و هو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على انّ حَتَّىٰ أَبْلُغَ هو الخبر فلمّا حذفَ المضاف أُقيم المضاف اليه مقامه و هو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم و هو وجه لطيف - و يجوز ان يكون المعنى لَا أَبْرَحُ ما انا عليه بمعنى الزم المسيرَ و الطلبَ و لا اتركه و لا أُفارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان - و مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ المكان الذي وُعد فيه موسى لقاء الخَضِر و هو ملتقى بحريْ فارس و الروم مما يلي المشرق - و قيل طنجه - و قيل افريقيه - و من بدع التفاسير انّ البحرين موسى و الخَضِر لانهما كانا بحرين في العلم - و قرئ مَجْمِعَ بكسر الميم و هي في الشذوذ من يَفْعَل كالمشرق و المطلع من يفعُل [أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا] او اسيرَ زماناً طويلا و الحقبُ ثمانون سنة - و روي انه لمّا ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل و استقرّوا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكّر قومه النعمةَ فقام فيهم خطيباً فذكر نعمة الله و قال انه اصطفى نبيّكم و كلّمه فقالوا له قد علمنا هذا فايّ الناس اعلم

أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ
آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا

قال انا نعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله واوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين و هو الخضر و كان الخضر في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام و كان على مقدمة ذي القرنين الاكبر و بقي الى ايام موسى - و قيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني و لا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت و وقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال و انى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت و انت على علم علمك الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي و علمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر [نَسِيَا حُوتَهُمَا] اي نسيا تفقد امره و ما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة - و قيل نسي يوشع ان يقدمه و نسي موسى ان يأمره فيه بشيء - و قيل كان الحوت سمكة مملوحة - و قيل ان يوشع حمل الحوت و الخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة و نام موسى فلما اصاب السمكة بردُ الماء و رَوْحه عاشت - و روي انهما اكلا منها - و قيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش و وقع في الماء [سَرَبًا] امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق و حصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر [فَلَمَّا جَاوَزَا] الموعد و هو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت و ما كان منه و نسيان يوشع ان يذكر لموسى ما رأى من حيوته و وقوعه في البحر - و قيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة و الغد الى الظهر و ألقي على موسى النصب و الجوع حين جاز الموعد و لم ينصب و لا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت و طلبه و قوله [مِنْ سَفَرِنَا هَذَا] اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة - فان قلت كيف نسي يوشع ذلك و مثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها و لكونه معجزتين ثنتين و هما حيوة السمكة المملوحة المأكول منها - و قيل ما كانت الا شق سمكة و قيام الماء و انتصابه مثل الطاق و نفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد و حتى طلب موسى عليه السلام الحوت - قلت قد شغله الشيطان

سورة الكهف ١٨ الجزء ١٥ ع ٢١

أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۖ فَارْتَدَّا عَلَىٰ
آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ
هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ
مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي

بوساوسه فذهب بفكره كلّ مذهب حتى اعتراه النسيان وانضمّ الى ذلك انه ضريّ بمشاهدة امثاله عند موسى عليه السلام من العجائب واستأنس باخواته فاعانَ الالفُ على قلّة الاهتمام * [اَرَيْتَ] بمعنى اخبرني - فان قلت ما وجه التيام هذا الكلام فان كل واحد من اَرَيْتَ و اِذْ اَوَيْنَا و فَاِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ لا متعلق له - قلت لما طلب موسى الحوتَ ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كانه قال اَرَاَيْتَ ما دهاني اِذْ اَوَيْنَا اِلَى الصَّخْرَةِ فَاِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ فحذف ذلك - وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت و [اَنْ اَذْكُرَهُ] بدل من الهاء في اَنْسَانِيهُ اي وما انساني ذكره الا الشيطان - وفي قراءة عبد الله اَنْ اَذْكُرَكَهُ - و [عَجَبًا] ثاني مفعولَيْ اتَّخَذَ مثل سَرَبًا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب - او قال عَجَبًا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها - او مما رأى من المعجزتين وقوله وَمَا اَنْسَانِيهُ اِلَّا الشَّيْطَانُ اَنْ اَذْكُرَهُ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه - وقيل ان عَجَبًا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك * [ذٰلِكَ] اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنّا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر - قرئ [نَبْغِ] بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو - واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعاً لخط المصحف [فَارْتَدَّا] فرجعا في اَدْراجهما [قَصَصًا] يقصّان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا - او فارتدّا مقتصّين [رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا] هي الوحي والنبوّة [مِنْ لَدُنَّا] مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب * [رُشْدًا] قرئ بفتحتين - وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشدُ به في دنيا - فان قلت اَمَا دلّت حاجته الى التعلّم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبيّ يجب ان يكون اعلم اهل زمانه و اِمامهم المرجوعَ اليه في ابواب الدين - قلت لا غضاضةَ بالنبيّ في اخذ العلم من نبيّ مثله وانما يغضّ منه ان يأخذه ممن دونه - وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى و ان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله * نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانّها مما لا يصح ولا يستقيم وعلّل ذلك بانه يتولّى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح نكيف اذا كان نبيّا لا يتمالك ان يشمئزّ ويمتعض ويجزع اذا رأى ذلك ويأخذ في الانكار و [خُبْرًا] تمييز اي لم يحط به خبرك - او لان لَمْ تُحِطْ به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر * [وَلَا اَعْصِي] في محل النصب عطف على صَابِرًا اي سَتَجِدُنِي صابرا وغير عاص - او في لا محل عطفا على سَتَجِدُنِي - رجّا موسى عليه السلام لحرصه على العلم و ازدياده ان يستطيع

عَنْ شَيْءٍ حَتّٰى اُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ ع فَانْطَلَقَا ق حَتّٰى اِذَا رَكِبَا فِي السَّفِيْنَةِ خَرَقَهَا ط قَالَ اَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ اَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا اِمْرًا ۝ قَالَ اَلَمْ اَقُلْ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِيْ بِمَا نَسِيْتُ
وَلَا تُرْهِقْنِيْ مِنْ اَمْرِيْ عُسْرًا ۝ فَانْطَلَقَا ق حَتّٰى اِذَا لَقِيَا غُلٰمًا فَقَتَلَهُ قَالَ اَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ط

معه صبرًا بعد افصاح الخضر عن حقيقة الامر فوعده بالصبر معلّقا بمشيّة الله علماً منه بشدّة الامر وصعوبته وان الحميّة التي تأخذ المُصْلح عند مشاهدة الفساد شيءٌ لا يطاقُ هذا مع علمه ان النبيّ المعصوم الذي أمَرَه الله بالمسافرة اليه واتّباعه و اقتباسه العلمَ منه بريّ من ان يُباشر ما فيه غميزة في الدين و انه لابدّ لما يُستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يَعْلم - قرئ فَلَا تَسْئَلَنِّيْ بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتّباعك لي انك اذا رأيتَ مني شيئًا وقد علمتَ انه صحيح الّا انه خفيَ عليك وجه صحّته فحميتَ وانكرتَ في نفسك ان لا تُفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكونَ انا الفاتحَ عليك وهٰذا من آداب المتعلّم مع العالم والمتبوع مع التابع • [فَانْطَلَقَا] على ساحل البحر يطلبان السفينةَ فلمّا ركبا قال اهلُها هما من اللصوص وأمَرهما بالخروج فقال صاحبُ السفينة ارى وجوهَ الانبياء - وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نَوْل فلما لَجّجوا اخذ الخضر الفأس فخَرق السفينة بان قلع لوحين من الْواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسدُّ الخرق بثيابه ويقول [اَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ اَهْلَهَا] وقرئ لِتَغْرَقَ بالتشديد - وَلِيَغْرَقَ اَهْلُهَا من غرق واَهْلُهَا مرفوع [جِئْتَ شَيْئًا اِمْرًا] اتيتَ شيئًا عظيما من اَمِرَ الامرُ اذا عظم قال • ع • داهيةٌ دهياءُ ادًّا امرًا • [بِمَا نَسِيْتُ] بالذي نسيته - او بشيء نسيته - او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي - او اخرج الكلامَ في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يُوهمه انه قد نسيَ ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصّل الى الغرض كقول ابراهيم هٰذِهٖ اُخْتِيْ - وَاِنِّيْ سَقِيْمٌ - او اراد بالنسيان الترکَ اي لاتؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة-يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تُغْشني [عُسْرًا] مِنْ اَمْرِيْ وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسّر عليّ متابعتك ويَسّرها عليّ بالاغضاء وترك المناقشة - وقرئ عُسُرًا بضمتين [فَقَتَلَهُ] قيل كان قتلُه قتلَ عنقه - وقيل ضربَ رأسه الحائطَ - وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين - فان قلت لِمَ قيل حَتّٰى اِذَا رَكِبَا فِي السَّفِيْنَةِ خَرَقَهَا بغير واو وحَتّٰى اِذَا لَقِيَا غُلٰمًا فَقَتَلَهُ بالفاء - قلت جُعل خَرْقُها جزاءً للشرط وجُعل قَتْلُه من جملة الشرط معطوفًا عليه والجزاء قَالَ اَقَتَلْتَ - فان قلت فلم خُولف بينهما - قلت لان خرق السفينة لم يتعقّب الركوبَ وقد تعقب القتلُ لقاءَ الغلام - وقرئ زَاكِيَةً - وزَكِيَّةٌ وهي الطاهرة من الذنوب اِمّا لانها طاهرة عنده انه لم يرها قد اذنبتْ واِمّا لانها صغيرة لم تبلغ الحنث [بِغَيْرِ نَفْسٍ] يعني لم تقتل نفسا فيقتصّ منها - وعن ابن عبّاس ان نجدة الحروريّ كتبَ اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالمُ موسى فلك ان تقتل [نُكْرًا] - وقرئ

سورة الكهف ١٨ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝ قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَّكَ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ اِنْ سَاَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا
الجزء ١٦ فَلَا تُصٰحِبْنِيْ ۚ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَّدُنِّيْ عُذْرًا ۝ فَانْطَلَقَا ۖ حَتّٰٓى اِذَآ اَتَيَآ اَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ اَهْلَهَا فَاَبَوْا اَنْ
ع ٢٢ يُّضَيِّفُوْهُمَا فَوَجَدَا فِيْهَا جِدَارًا يُّرِيْدُ اَنْ يَّنْقَضَّ فَاَقَامَهٗ ؕ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ اَجْرًا ۝ قَالَ هٰذَا فِرَاقُ بَيْنِيْ

بضمتين و هو المنكر - و قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهونُ من اغراق اهل السفينة - و قيل معناه جئتَ شيئًا انكر من الاول لان ذلك كان خرقاً يمكن تداركه بالسدّ و هذا لا سبيل الى تداركه - فان قلت ما معنى زيادة لَكَ - قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية و الوصم بقلّة الصبر عند الكرّة الثانية • [بَعْدَهَا] بعد هذه الكرة او المسئلة [فَلَا تُصٰحِبْنِيْ] فلا تقارِبْني و ان طلبتُ صحبتك فلا تتابعني على ذلك - و قرئ فَلَا تَصْحَبْنِيْ فلا تكُنْ صاحبي - و قرئ فَلَا تُصْحِبْنِيْ اي فلا تُصْحبني اياك و لا تجعَلْني صاحبك [مِنْ لَّدُنِّيْ عُذْرًا] قد اعذرتَ - و قرئ لَدُنِيْ بتخفيف النون - و لَدْنِيْ بسكون الدال و كسر النون كقولهم في عَضُد عَضْد - و عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم رحمَ الله اخي موسى استحيى فقال ذلك و قال رحمةُ الله علينا و على اخي موسى لو لبث مع صاحبه لَاَبْصر اعجبَ الاعاجيب [اَهْلَ قَرْيَةٍ] هي انطاكيّة - و قيل الاُبُلّة وهي ابعد ارض الله من السماء [اَنْ يُّضَيِّفُوْهُمَا] و قرئ يَضْيِفُوْنَهُمَا يقال ضافه اذا كان له ضيفا و حقيقته مالَ اليه من ضاف السهم عن الغرض و نظيره زاره من الازورار و اضافه و ضيّفه انزله و جعله ضيفه - و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم كانوا اهلَ قرية لئاماً - و قيل شرّ القُرى اللتي لايضافُ الضيفُ فيها و لا يُعرف لابن السبيل حقه [يُرِيْدُ اَنْ يَّنْقَضَّ] استعيرت الارادة للمداناة و المشارفة كما استعير الهمّ و العزم لذلك قال الراعي • شعر • في مهمهٍ قلقتْ به هاماتها • قلقَ الفؤوس اذا اردْنَ نصولا • وقال • شعر • يُريد الرمحُ صدرَ ابي براء • ويعدل عن دماء بني عقيل • وقال حسّان • شعر • ان دهرا يلفُّ شملي بجُمْل • لزمانٌ يهمّ بالاحسان • وسمعت من يقول عزمَ السراجُ ان يطفأ وطلبَ ان يطفأ و اذا كان القولُ والنطقُ و الشكايةُ و الصدقُ و الكذبُ و السكوتُ والتمرّدُ و الاباءُ و العزةُ و الطواعيةُ و غير ذلك مستعارةٌ للجماد و لما لا يعقل فما بال الارادة قال • ع • اذا قالتِ الانساعُ للبطن الْحِقِ • تقول • ع • سنّي للنواة طِنّي • ع • لا ينطق اللهو حتى ينطق العود • ع • و شكا اليّ بعبرة و تحمحم • ع • فان يك ظني صادقا و هو صادقي • وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُّوْسَى الْغَضَبُ - تمرّد مارد وعزّ الابلقُ - و لبعضهم • ع • يابى على اجفانه اغفاءه • ع • همّ اذا انقاد الهموم تمردا • ع • ابت الروادف و الثدي لقُمصها • ع • مسّ البطون و لم تمسّ ظهورا • قَالَتَآ اَتَيْنَا طَآئِعَيْنِ - و لقد بلغني ان بعض المحرّفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كانَ يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل و سقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقةً ادناه منزلةً فتمحّل ليردّه الى ما هو عنده اصحّ و افصح و عنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز - و انقضّ اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر و هو يفعلّ مطاوعُ قضضته - و قيل افعلّ من النقض كاحمرّ من الحمرة - و قرئ اَنْ يُّنْقَضَّ من

وَبَيْنَكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ
أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا
طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ

النقض - وَأَنْ يَنْقَاضَ من انقاضت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة - منقاض ومنكثب بالصاد غير معجمة [فَأَقَامَهُ] قيل اقامه بيده - وقيل مسحه بيده فقام واستوى - وقيل اقامه بعمود عمده به - وقيل نقضه وبناه - وقيل كان طولُ الجدار في السماء مائة ذراع - كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة الى اخرِ كسبِ المرءِ وهو المسئلة فلم يجدا مواسيًا فلما اقام الجدارَ لم يتمالكْ موسى لما رأى من الحرمان ومماس الحاجة ان [قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا] وطلبت على عملك جُعْلا حتى نتعش ونستدفع به الضرورة - وقرئ لَتَخِذْتَ - والتاء في تَخِذَ اصل كما في تبع واتخذ افتعلَ منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء - فان قلت [هٰذَا] اشارة الى ماذا - قلت قد تصوّر فراق بينهما عند حاول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ - ويجوز ان يكون اشارةً الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن ابي عبلة فأُضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به * [لِمَسَاكِينَ] قيل كانت لعشرة اخوةٍ خمسةٌ منهم زَمْنى وخمسةٌ يعملون في البحر [وَرَاءَهُمْ] امامهم كقوله تعالى وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ - وقيل خلفهم - وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبرة فأعلم الله به الخضرَ وهو جُلندى - فان قلت قوله [فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا] مسبّب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتأخر عن السبب فلم قدّم عليه - قلت الذيّة به التأخير وانما قدّم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيدٌ ظنّي مقيمٌ - وقيل في قراءة ابيّ وعبد الله كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ - وقرأ الجحدري وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَانِ على ان كانَ فيه ضمير الشان [فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا] فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانًا عليهما وكفرًا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرًّا وبلاءً - او يقرن بايمانهما طغيانه وكفرَهُ فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغٍ كافرٌ - او يعديهما بدائه ويضلّهما بضلاله فيرتدّا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منهما ذلك لان الله تعالى اعلمَه بحاله واطّلعه على سرّ امره وامّره اياه بقتله كاختراعه لمفسدة عرفها في حيوته - وفي قراءة ابيّ فَخَافَ رَبُّكَ والمعنى فكرهَ ربّك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيّره - ويجوز ان يكون قوله فَخَشِينَا حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا كقوله لَأَهَبَ لَكِ - وقرئ يُبْدِلَهُمَا بالتشديد - والزكوةُ الطهارةُ والنقاء من الذنوب - والرُّحْم الرحمةُ والعطفُ - وروي انه وُلدت لهما جارية تزوّجها نبيّ ولدتْ نبيًا هدى الله على يديه امّة من الامم - وقيل ولدت

سورة الكهف ١٨ الحزب ١٦ ع ١

فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ۚ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ۖ
رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي
الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾

سبعين نبيًّا - وقيل ابدلهما بدًا مؤمنًا منهما - قيل اسماء الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين - واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة - وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبتُ لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبتُ لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبتُ لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبتُ لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبتُ لمن يعرف الدنيا وتقلّبها باهلها كيف يطمئنّ اليها لا اله الا الله محمد رسول الله - وقيل صحفٌ فيها علم - والظاهر لاطلاقه انه مال - وعن قتادة أُحلّ الكنز لمن قبلنا وحُرّم علينا وحُرمت الغنيمة عليهم وأُحلّت لنا اراد قوله تعالى وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ [وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا] اعتدادٌ بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما - وعن جعفر بن محمد الصادق كان بين الغلامين وبين الاب الذي حُفظا فيه سبعة آباء - وعن الحسين بن علي رضي الله عنه انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدّي خير منه فقال قد انبأنا الله انكم قوم خصمون [رَحْمَةً] مفعول له - او مصدر منصوب بأَرَادَ رَبُّكَ لانه في معنى رحمهما [وَمَا فَعَلْتُهُ] وما فعلتُ ما رأيتَ [عَنْ أَمْرِي] عن اجتهادي ورائي وانما فعلتُهُ بامر الله * ذُو الْقَرْنَيْنِ هو الاسكندر الذي ملك الدنيا - قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان - وكافران نمرود وبخت نصّر وكان بعد نمرود - واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا مكّنه الله الارض واعطاه العلم والحكمة وألبسه المهابة وسخّر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه - وقيل نبيًّا - وقيل مَلَكًا من الملئكة - وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللّهم غفرًا ما رضيتم ان تتسمّوا باسماء الانبياء حتى تسمّيتم باسماء الملئكة - وعن علي رضي الله عنه سخّر له السحاب ومُدّت له الاسباب وبُسط له النور - وسُئل عنه فقال احبّ الله فاحبّه - وسأله ابن الكوا ما ذو القرنين املَكٌ ام نبيّ فقال ليس بملك ولا نبيّ ولكن كان عبدا صالحا ضُرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضُرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسُمّي ذا القرنين وفيكم مثله - قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيُحييه الله تعالى - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سُمّي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها - وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان - وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس - وعن وهب انه ملك الروم وفارس - ودوي الروم والترك - وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس - وقيل كان لتاجه قرنان - وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين - ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمّى الشجاع كبشًا لانه ينطح اقرانه - وكان من الروم ولدَ عجوز ليس لها ولد غيره - والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان - وقيل سأله ابوجهل

حَتّٰى اِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِيْ عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَّوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ۭ قُلْنَا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِمَّآ اَنْ تُعَذِّبَ سورة الكهف ١٨
وَاِمَّآ اَنْ تَتَّخِذَ فِيْهِمْ حُسْنًا ۝ قَالَ اَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهٗ ثُمَّ يُرَدُّ اِلٰى رَبِّهٖ فَيُعَذِّبُهٗ عَذَابًا نُّكْرًا ۝ وَاَمَّا مَنْ اٰمَنَ الجزء ١٦
وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهٗ جَزَاۗءَ الْحُسْنٰى ۚ وَسَنَقُوْلُ لَهٗ مِنْ اَمْرِنَا يُسْرًا ۝ ثُمَّ اَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتّٰٓى اِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ع ١

و اشياعه و الحطاب في [عَلَيْكُمْ] لاحد الفريقين [مِنْ كُلِّ شَيْءٍ] اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه [سَبَبًا] طريقاً موصلاً اليه و السببُ مايتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغَ المغرب فَاَتْبَعَ سَبَبًا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فَاَتْبَعَ سَبَبًا و اراد بلوغ السدّين فَاَتْبَعَ سَبَبًا - وقرئ [فَاَتْبَعَ] - قرئ [حَمِئَةٍ] من حميت البير اذا صار فيها الحَمَأة - و حَامِيَةٍ بمعنى حارّة - و عن ابي ذر كنتُ رديف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال يا ابا ذر اتدري اين تغرب هذه فقلتُ الله و رسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود و طلحة و ابن عمر و ابن عمير و الحسن - و قرأ ابن عباس حَمِئَةٍ - وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حَامِيَةٍ فقال ابن عباس حَمِئَةٍ فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وَجّه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة - و روي في ثأط فوافق قول ابن عباس و كان ثمة رجل فانشد قول تُبَّع *شعر* فرأى مغيب الشمس عند ما بها *في عين ذي خلب وثأط حرمد * اي في عين ماء ذي طين و حمأ اسود و لاتنافي بين الحمئة و الحامية فجائز ان يكون العين جامعة للوصفين جميعا * كانوا كَفَرة فخيّره الله بين ان يعذّبهم بالقتل و ان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة و الاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاءَ على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذلك هو المعذَّب في الدارين [وَاَمَّا مَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ] ما يقتضيه الايمان فَلَهٗ جَزَاۗءَ الْحُسْنٰى - و قيل خيّره بين القتل و الاسر وسمّاه احسانا في مقابلة القتل فَلَهٗ جَزَاۗءَ الْحُسْنٰى فله ان يجازى المثوبة الحسنى - اوفله جزاء الفَعْلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة - و قرئ [فَلَهٗ جَزَاۗءَ الْحُسْنٰى] اي فله الفعلة الحسنى جزاءً - و عن قتادة كان يُطْبَخ مَن كفر في القدور وهو العذاب النكر و مَن امن اعطاه و كساه [مِنْ اَمْرِنَا يُسْرًا] اي لا نأمره بالصعب الشاق و لكن بالسهل المتيسّر من الزكوة و الخراج و غير ذلك و تقديره ذا يسر كقوله قَوْلًا مَّيْسُوْرًا - و قرئ يُسُرًا بضمتين - و قرئ مَطْلَعَ بفتح اللام وهو مصدر - و المعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله * ع * كأنّ مجرّ الرامسات ذيولُها * يريد كان آثار مجرّ الرامسات [عَلٰى قَوْمٍ] قيل هم الزنج - و لستر الابنية - و عن كعب ارضهم لا تُمْسك الابنية و بها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم - و عن بعضهم خرجتُ حتى جاوزتُ الصينَ فسألت عن هؤلاء فقيل بينك و بينهم مسيرة يوم و ليلة فبلغتُهم فاذا احدهم يفرش اذنه و يلبس الاخرى و معي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له حينئذ ننظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي عليّ ثم افقت و هم

وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝
حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّي
فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ

يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلوا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك و يطرحونه في الشمس فينضج لهم - و قيل الستر اللباس - و عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض [كَذَٰلِكَ] اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره [وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ] من الجنود و الآلات و اسباب الملك [خُبْرًا] تكثيرا لذلك - و قيل لَمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال و الحصون و الابنية و الاكنان من كل جنس و الثياب من كل صنف - و قيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها - و قيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم و حكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر و احسانه الى من أمن منهم [بَيْنَ السَّدَّيْنِ] بين الجبلين و هما جبلان سدّ ذو القرنين ما بينهما - قرئ بالضم و الفتح - و قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم و ما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السُّد بالضم فُعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله تعالى و خلقه و السَّد بالفتح مصدر حدث يُحدثه الناس - و انتصب بَيْنَ على انه مفعول به صلوغ كما انجرّ على الاضافة في قوله هٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ و كما ارتفع في قوله لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنُكُمْ لانه من الظروف التي تستعمل اسماً و ظرفاً و هذا المكان في منقطع ارض التُرك مما يلي المشرق [مِن دُونِهِمَا قَوْمًا] هم الترك [لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا] لا يكادون يفهمونه الا بجهد و مشقة من اشارة و نحوها كما يفهم البُكم - و قرئ يُفْقِهُونَ اي لا يُفْهِمون السامعَ كلامَهم و لا يُبيّنونه لان لغتهم غريبة مجهولة • [يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ] اسمان اعجميان بدليل منع الصرف و قُرئا مهموزين - و قرأ رؤبة أُجُوجَ وَمَأْجُوجَ و هما من ولد يافث - و قيل ياجوج من الترك و ماجوج من الجيل و الدَّيلم [مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ] قيل كانوا يأكلون الناس - و قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه و لا يابسا الا احتملوه و كانوا يأتون منهم قتلا و اذى شديدا - و عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذَكَرٍ من صلبه كلهم قد حمل السلاح - و قيل هم على صنفين طوال مفرطوا الطول - و قصار مفرطوا القصر - قرئ [خَرْجًا] - وَخَرَاجًا اي جُعْلا نخرجه من اموالنا و نظيرهما النَّوْل و النَّوَال - و قرئ سَدًّا بالفتح و الضم • [مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ] ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال و اليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان صلوات الله عليه و سلم

الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا
اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾
وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا

فَمَا اٰتٰنِيَ اللّٰهُ خَيْرٌ مِمَّا اٰتَيْتُكُمْ - قرئ بالادغام وبفكه [فَاَعِيْنُوْنِيْ بِقُوَّةٍ] بفعلة اراد البنائين و صُنّاع يحسنون البناء و العمل و بالآلات [رَدْمًا] حاجزاً حصيناً موثقاً - و الردم اكبر من السدّ من قولهم ثوب مردّم رقاع فوق رقاع - قيل حفر الاساس حتى بلغ الماءَ و جعل الاساسَ من الصخر و النُحاس المُذاب و البنيانَ من زُبَر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سدّ ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المناوخ حتى اذا صارت كالنار صبّ النحاس المذاب على الحديد المحميّ فاختلط و التصق بعضه ببعض و صار جبلاً صلداً - و قيل بُعْد ما بين السدّين مائة فرسخ - و قرئ سَوًى - و سُوِيَ - و عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبّر طريقة سوداء و طريقة حمراء قال قد رأيته - و الصَّدَفان بفتحتين جانبا الجبلين اللذين يتصادفان اي يتقابلان - و قرئ الصُّدُفَيْن بضمتين - والصُّدْفَيْن بضمة وسكون و الصَّدُفَيْن بفتحة و ضمة - و القِطْر النحاس المذاب لانه يقطر - و [قِطْرًا] منصوب بأُفْرِغْ و تقديره أتوني قطراً أُفْرِغ عليه قطرًا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه - و قرئ قَالَ اِيْتُوْنِيْ اي جيؤني [فَمَا اسْطَاعُوْا] بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء - و قرئ فَمَا اِصْطَاعُوْا بقلب السين صادًا و اما مَن قرأ بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد [اَنْ يَّظْهَرُوْهُ] ان يعلُوْه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه و انملاسه و لا نقب لصلابته وثخانته - [هٰذَا] اشارة الى السدّ اي هذا السدّ نعمة من الله و رحمة على عباده - او هذا الاقدار و التمكين من تسويته [فَاِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّيْ] يعني فاذا دنا مجيء يوم القيامة و شارف ان يأتي جعل السدّ دَكًّا اي مدكوكًا مبسوطا مسوًى بالارض و كل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندكّ و منه الجمل الادكّ المنبسط السنام - و قرئ [دَكَّاءَ] بالمد اي ارضا مستوية [وَكَانَ وَعْدُ رَبِّيْ حَقًّا] أخبر حكاية قول ذي القرنين - [وَتَرَكْنَا] وجعلنا [بَعْضَهُمْ] بعض الخلق [يَمُوْجُ فِيْ بَعْضٍ] اي يضطربون و يختلطون انسهم و جنّهم حيارى - و يجوز ان يكون الضمير لِيَاْجُوْج وَمَاْجُوْج و انهم يموجون حين يخرجون مما وراء السدّ مزدحمين في البلاد - و روي يأتون البحر فيشربون ماءه و يأكلون دوابّه ثم يأكلون الشجر و مَن ظفروا به ممن لم يتحصّن منهم من الناس و لا يقدرون ان يأتوا مكّةَ و المدينةَ و بيتَ المقدس ثم يبعث الله نغفًا في اقفائهم فيدخل في اذانهم فيموتون [وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ] و برّزناها لهم فرأوها و شاهدوها [عَنْ ذِكْرِيْ] عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم - او عن القرآن و تامّل معانيه و تبصرها و نحوه صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ [وَكَانُوْا لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ سَمْعًا] يعني و كانوا صمًّا عنه الا انه ابلغ لان الاصمّ قد يستطيع السمع اذا صِيْحَ به

عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۝ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ
سَعْيُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰيٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْنًا ۝ ذٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا اٰيٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ
اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَ
الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
مِثْلُكُمْ يُوحٰى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝ ع

و هؤلاء كانهم اصمتت اسماعهم فلا استطاعة لهم للسمع [عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ] هم الملئكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكي عنهم سُبْحٰنَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ - وقرأ ابن مسعود أَفَظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا - وقراءة عليّ رضي الله عنه أَفَحَسْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا اي افكافيهم و مُحْسِبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء و الخبر - او على الفعل و الفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعلَ في العمل كقولك انائمٌ الزيدانِ و المعنى ان ذلك لا يكفيهم و لا ينفعهم عند الله كما حسبوا و هي قراءة محكمة جيّدة [النُّزُل] ما يقام للنزيل وهو الضيف و نحوه فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * [ضَلَّ سَعْيُهُمْ] ضاعَ و بطلَ وهم الرُّهبانُ - عن عليّ رضي الله عنه كقوله عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ - وعن مجاهد اهل الكتاب - و عن عليّ رضي الله عنه ان ابن الكوّا سأله عنهم فقال منهم اهل حَرُوراء - و عن ابي سعيد الخُدْري يأتي ناس باعمالٍ يوم القيٰمة هي عندهم في العظم كجبال تهامةَ فاذا وزنوها لم تزن شيئًا [فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْنًا] فنزدري بهم و لا يكون لهم عندنا وزن و مقدار - وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحّدين - وقرئ فَلَا يُقِيمُ بالياء - فان قلت الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في ايّ محل هو - قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ لانه جواب عن السوال - و يجوز ان يكون نصبًا على الذم - او جرًّا على البدل * [جَهَنَّمُ] عطف بيان لقوله جَزَاؤُهُمْ * [الحِوَل] التحوّل يقال حالَ من مكانه حِوَلًا كقولك عادني حبّها عِودًا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم و امانيّهم و هذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في ايّ نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه - ويجوز ان يراد نفي التحوّل وتاكيد الخلود [المِدَاد] اسم ما تمدّ به الدواة من الحبر و ما يمدّ به السراج من السليط و يقال السَّماد مِداد الارض - و المعنى لو كتبت كلمات علم الله و حكمته وكان البحر مدادًا لها و المرادُ بالبحر الجنس [لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ] الكلمات [وَلَوْ جِئْنَا] بمثل البحر مدادا لنفد ايضًا و الكلمات غير نافدة - و مِدَادًا تمييز كقولك لي مثله رجلا و المدد مثل المداد و هو ما يمدّ به - و عن ابن عباس رضي الله عنه [بِمِثْلِهِ مِدَادًا] - و قرأ الاعرج مِدَدًا بكسر الميم جمع مِدّة و هي ما يستمدّه الكاتب فيكتب به - وقرئ يَنْفَدَ بالياء - و قيل قال حُيَيّ بن اخطب في كتابكم وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ثم يقرؤن وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا فنزلت يعني

ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله [فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ] ممن كان يؤمل حسن لقاء ربه و ان يلقاه لقاءَ رضىً و قبولٍ و قد فسّرنا اللقاء - او فمن كان يخاف سوء لقائه - و المراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائيَ بعماله و انْ لا يبتغي به الا وجْهَ ربه خالصا لا يخلط به غيره - و قيل نزلت في جندب بن زهير قال للنبي صلّى الله عليه و آله وسلّم اني اعمل العمل لله فاذا اطُّلع عليه سرّني فقال ان الله لا يقبل ما شُورِك فيه - و روي انه قال لك اجران اجر السرّ و اجر العلانية و ذلك اذا قصد ان يقتدى به - و عنه صلّى الله عليه و آله وسلّم اتّقوا الشركَ الاصغرَ قالوا و ما الشرك الاصغر قال الرياء - عن رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم مَن قرأ سورة الكهف من أخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه و من قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء - و عنه صلّى الله عليه و آله وسلّم مَن قرأ عند مضجعه قُلْ اِنَّمَا اَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشْوَ ذلك النور ملْئة يصلّون عليه حتى يقوم و ان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشْوَ ذلك النور ملْئة يصلّون عليه حتى يستيقظ و الله اعلم *

الجزء ١٦

ع ٢

تم النصف الاول من الكشاف بعون الله تعالى و منّه و الحمد لله رب العالمين و الصلوٰة على رسوله مُحَمّد و آله و صَحْبه اجمعين *

كمل الكتاب و لله الحمد على اكماله و الصلوة و السلام على نبيه محمد و اله فرغ من تنميقه العبد المذنب الضعيف المقر بذنبه المفتقر الى رحمة ربه محمد بن ابى الفتوح بن عثمان الصوفي فى النصف الاخير من شهر ذى القعدة سنة سبع و خمسين و ستمائة و الحمد لله رب العالمين و الصلوة التامة على سيد الانبياء محمد و اله و اصحابه و اوليائه اجمعين *

I have two or three other copies without dates; one a very excellent, correct, and complete MS. in folio, containing on the margin the *Tafsír al-Madárik*, and written, apparently, for some person of rank.

In conclusion I must apologise for the delay which has taken place in bringing out this number. It was chiefly caused by the dilatoriness of the type cutters, who kept me *four* months waiting for the *ramoozi auqáf*. Regarding these stops I had hoped to have written a few remarks; but ill-health has forced me, suddenly, to give up, for the present, all my labours, and to leave India. I must, therefore, crave the indulgence of the reader for any signs of hurriedness he may find in these prefatory remarks, which have been written while I am preparing for my departure to Europe. This volume, also, contains some twenty-five pages less than it should. The deficiency will be made up in the next, the editing of which, I regret, I will be unable to take any part in. I confide it, however, with confidence to my co-editors, who, though at first they were unacquainted with the principles of critically editing a text, are now quite equal to it. I am greatly indebted to them for the able assistance they have given me in editing this volume. To Mawlawí Kabír al-Dín Ahmad of the College of Fort William, also, I would wish to return my thanks, for aiding in collating some of the manuscripts; and to all those gentlemen who have so liberally lent me their valuable copies of this Commentary, my grateful acknowledgements are due.

W. NASSAU LEES.

Fort William College,
April 21*st*, 1856.

No. 2. This is a good copy, and contains a considerable portion of a good *Hashiah*. It is the property of Mawlawí 'Ajíb Ahmad, by whom it was obligingly lent:—Written A. H. 1093.

وافق فراغ زبرة عصر يوم السبت سادس شهر ذى الحجة الحرام من عام ثلاث و تسعين و الف و لله الحمد على ذلك و الشكر على ما هنالك امين امين •

No. 3. This is a very correct copy of the first half of the Kashsháf, and it has done me good service. I am indebted, for the loan of it, to Mawlawí Mohammad Shokoor, of Jánpoor:—Written A. H. 774.

صدق الله و صدق رسوله و الحمد لله رب العالمين و صلواته على نبيه محمد و اله اجمعين و فرغ من تحريره في يوم الثلثا خامس شهر الله المبارک رمضان المعظم لسنة اربع و سبعين و سبعمائة الهجرية على يد العبد الفقير اضعف عباد الله تعالى بايزيد الكاتب السروي •

No. 4. I must not omit to notice, also, a very fine copy (579 years of age) of the seventh portion of the Qorán, *i. e.*, from the Soorah *al-Noor* to that of *al-Ahzáb*, which I received through the kindness of the owner of the last mentioned manuscript. The handwriting of this fragment is bold and very clear:—It was Written A. H. 774.

تمت كتابة هذا السبع بعون الله و حسن توفيقه على يدي العبد الضعيف الغريق في بحار عصيانه الراجي [الى] رحمة ربه و غفرانه حمد بن محمد بن احمد لقبه سراج النساخ الفرعي محتدا و السمرقندي مسكنا في الحادي و العشرين من شهر الله المبارک رمضان عظم الله بركته لسنة ثلاث و تسعين و ستمائة •

No. 5. This very fine old manuscript (599 years of age) is the property of my esteemed friend Dr. Sprenger. It is written in a clear and good hand, and contains many valuable marginal notes and explanations. I regret that I have only lately had the use of it:—Written A. H. 673.

وافق الفراغ من نسخه يوم الثلثا لاستقبال ذي القعدة وقت الضحى من سنة ثلث و سبعين و ستماية بمدينة السلام بمدرسة التشيه رضي الله عن موقفها و هو الجزء الاول من الكشف من حقائق التنزيل من اصل جزوين و كتبه العبد الفقير الى رحمة ربه عز وجل عبد الله بن عباس بن اسد بن المثنى الحيقي تجاوز الله عنه و عن والديه و عن جماعة المسلمين و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد النبي و على اله الطيبين الطاهرين و سلم •

No. 6. This copy was purchased by me, some years ago, for the Asiatic Society of Bengal. Its age, *viz.* 615 years, is very respectable, and the hand-writing is clear and neat, but the copy is not by any means as accurate as others I have had the use of. The manuscript is complete, but though the handwriting is not dissimilar, portions of two copies have apparently been taken to make it so:—Written A. H. 657.

sciences of understanding when composed, and of composing rhetorically and well-arranged sentences.[1]—has passed much time in mastering them, laboured for ages in acquiring his knowledge of them, and has been instigated in pursuing his course to the wished-for goal, by a fixed resolution to acquire a knowledge of the word of God,[2] and an ardent desire to have explained the miracles of His messenger [on him be blessings &c.,]—after he shall have acquired something of all other sciences, shall have been practised in [critical] enquiry and [the exercise of] memory, have studied much, consulted and re-consulted his authorities, been long a pupil and long a master, have himself advanced arguments and replied to those of others, be well versed in the science of inflexion, a leader among those skilled in philology,[3] moreover, of even temper, with complete command over it, of a bright genius, of an active mind, quick to perceive the slightest glance, and alive to understand the most secret sign, not rude and harsh in temper, well versed and practiced in the art of prose and poetical composition, disciplined and skilled in moulding sentences to his will, well acquainted with the manner of composing and arranging the several portions of a well-formed speech, have often been puzzled and frequently fallen into difficulties.[4]

Our apparatus for ĕditing this text is, upon the whole, very good. We have four complete copies, and several of half the book, besides other fragments. In addition to these, we have the two best Commentaries on the *Kashshâf*, that have been written, *viz:* that of Al-Tibí and Qotb al-Dín al-Rází, and also another *Hashia* which is unfortunately defective in the beginning. Who the author of it may be I am unable to say.

The best copy at our disposal, is, strange to say, of the latest date. It is the property of the heirs of the late *Qádhí al-Qodhát* of Calcutta, who have kindly lent it to me. It is written with the greatest care, containing all the vowels, different readings, and many marginal notes. It will be observed from the following extract that it was copied from a copy which was read to a very celebrated grammarian:—Written A. H. 1153.

كان الفراغ من كتابته ضحوة يوم الاثنين الرابع و العشرين من شهر شعبان سنة ثلث و خمسين و مائة بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلوات و السلام نقلا من نسخة صحيحة مقروة على العلامة الجاربردي رحمه الله تعالى كتبتها و تشرفت بزيرها يد العبد الفقير الى عفو مولاه الغني القدير احمد بن محمد بن عبد الهادي بن صالح قاطن وفقه الله لصالح الاعمال وبلغه بكرمه و فضله غاية الامال و رزقه فهم معاني كتابه الكريم و العمل بما فيه انه ذو الفضل العظيم و ختم له بالتوفيق و الهداية الى واضح الطريق و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و اله و صحبه الاكرمين سلم تسليما *

[1] The *'ilm al-m'ánî wa al-baián* is generally called rhetoric, but the author I think uses these terms in a much more extensive sense. Al-Boqlaini [*apud* the Kashf al-Zonoon] objects, that this Science could have nothing to do with the interpretation of the Qorán, because it was unknown in the days of the Companions, who, it would be absurd to say, were ignorant of the right sense of the Book. Al-Soyooti coincides in his opinion with reference to the Science, but thinks the argument absurd.

[2] The Qorán is styled "the argument of God"—حجة الله

[3] In grammatical treatises the work of Sibawaih is, *par excellence*, styled the Book, as is the Qoran in Theological and Legal Works.

[4] Lit. Slippery places.

task he undertook are curious, so much so that I have thought a translation of them would not be unacceptable. He says :—

"Be it known that the ranks of the learned, and the steps of men of art, in the principles of every science and art, are close and equal. If a *savant* has surpassed a brother *savant*, it is but by a few steps: or if one artificer has gone a head of another, he has done so by very little. But that indeed in which the ranks [of men] are far apart, in which the struggle for precedence has been severe,[1] and much jockeying, and jostling, for advancement has taken place, and difference and distinction have occurred to an extent that surpasses conception, and increased to such a pitch, that one has become one thousand,—is, what is to be found in the Sciences and Arts, of the beauties and elegance of speech, niceties of significations containing matter for deep thought, and occult secrets concealed by a veil of mystery which cannot be raised but by the most superior and best of them, or [speaking metaphorically] those whom we may style the centre beads and signet jewels.[2] Common minds are, as regards the perception of the truths of these mysteries, blind, held in leading strings by those they are compelled to imitate, without hope of release[3]! Again, of all Sciences, the one which is most replete with that which overpowers the mind, and most pregnant with that which overcomes the understanding of men ripe in years,[4] viz., those uncommon niceties, the road to a right understanding of which is extremely intricate, and the most inviolable of those mysteries, the clue to which is exceedingly fine,—is the Science of [rightly] expounding [the Holy Word of God,] to grasp which, and to reflect rightly therein, all men of learning are unequal,[5]—as *al-Jáhiz* in the *Nazm al-Qorán* says:—Not the Juris-consult, though he surpass his contempories in the Science of judgments and legal decisions; not the Dialectic Theologist, though he may have overcome the whole world in his knowlege of this Science: not the Historian, though his memory be more retentive than that of Ibn Qirríyah[6]; not the Preacher, though he be more eloquent than al-*H*asan al-Biçrí;[7] not the Grammarian, though his knowledge of syntax be superior to that of Sibawaihi; not the Lexicographer, though he be thoroughly acquainted with the sense of every word[8]—not one of them is capable of treading those paths, or obtained anything from the depths of these hidden truths, but he who has excelled in those two sciences, special and peculiar to the Qorán, *viz.*, the

---

them; and secondly, because it would appear that the word *Anzala* is not his, for a different form of the same verb occurs in the next sentence, which, though not a breach of the rules of good composition, would here be an inelegancy. As to his having substituted the word *J'ala*, the idea is absurd. To introduce the identical word in the same line twice in the same sense, would be a gross breach of the rules of good composition, and a blunder, that no man of sound sense would be guilty of accusing the most profound philoger and elegant scholar of his age. The word *J'ala* is understood before the words قرانا عربيا which occur lower down, and will there, no doubt, be taken in the sense of *Khalaqa*. I am satisfied that Ibn Khallikán's statement, which I am surprised to see that al-Soyooti has endorsed, is without foundation.

[1] Literally trials of skill in archery.

[2] The allusion is to the centre pearl or bead of an eastern necklace, which is usually the largest, the others becoming progressively small towards the two extremities. The Stones selected for signet rings are generally of a superior quality.

[3] The original is "scalped and set free" in allusion to an ancient custom of the Arabs. عادة العرب فى اطلاق اسرائهم ان يجزوا نواصيهم عند الاطلاق امارة للمزلة—al-Rázi.

[4] The author makes use in the above passage of the rhetorical figure called *tarshíh*.

[5] Al-Jáhiz, 'Amr b Bahr, a M'otazal'i and a dialectic Theologian, of very extensive learning. He was the founder of a sect, who were from him, styled the Jáhizíyah. He had studied the Greek philosophers and translated many of their works into Arabic, mixing their doctrines with his own. He is, said [*Milal wa Nahal*, p. 36,] to have been of opinion that the damned should not be condemned to remain eternally in hell as a punishment, but that they should become of the nature of Hell fire, which should itself attract them without their going to it.—Al Shahrastání.

[6] See Ibn Khallikán, No. 105.

[7] Ditto No. [illegible].

[8] Literally though he may have masticated every word, or all language, by the power of his jaws.

truths of the *Soorah, al-Baqarah ;* treating the subject at great length, inserting therein many arguments after the manner of question and answer, and entering fully into detail. My object, in doing so, was to draw attention to the numerous niceties of this science, and that it might be a beacon by which they should be directed, and an example for their guidance. But I had determined to return to the neighbourhood of God, and to journey again to his Holy House. I therefore set out for the purpose of visiting Makkah. In my travels I met in every country those of its inhabitants of medium acquirements, and a few whose hearts thirsted for information regarding that composition, who were moved by a love for it, and most desirous of becoming acquainted with its contents. What I saw, certainly, incited my inclinations, and excited within me pleasurable feelings, before at rest. But it was on my descending to Makkah, that I met with that noble branch of the house of *Hasan*,[1] the Amír, the Very Excellent, the pride of the progeny of the Prophet (on whom be blessings, &c.,) Aboo al-*Hasan* 'Alyí bin *Hamzah*, the brightest ornament of the members of the family of *Hasan*, notwithstanding their numerous virtues and great merits, of all men the most thirsty at heart, and who burned with the most ardent desire [to have expounded these secret truths.] He informed me that he had intended, during my absence from *Hijáz*, notwithstanding the weight of much business, to undertake the difficulties of a long and tedious journey to reach me at Khawrazm, in order to accomplish his wishes.[2] When I heard this, I confessed that I [المستعفى] had neither alternative, nor excuse. Yet I found that I was feeble and shrivelled,[3] and I had reached, in years, that tenth which the Arabs call the 'break-neck'.[4] I therefore adopted greater brevity of style than before, including, however, a vast deal that was profitable, and collecting much that was scattered,—and God granted me grace to finish my labours.

I completed my task in a period of time, equal in length to the *Khiláfat* of Aboo Bakr,[5] although thirty years[6] and upwards, would be a suitable time within which to accomplish such a work. This feat, therefore, could not but be one of the miracles of this Sacred Temple—and a blessing vouchsafed to me from this Holy House. I pray God to render the labour I have taken in compiling this work, a cause of my salvation, and a shining light both before and on my right hand, to lighten my path, on the road to Paradise :—for, He, truly, is the most fitting to whom to address our prayers.

Zamakhshari's preface is altogether the most remarkable part of his book, and it has consequently attracted particular attention. Some assert that the book originally opened with these words "Praise be to God who created [*khalaqa*] the Qorán," the word *anzala* being afterwards substituted for *khalaqa*. Indeed *M'otazali* doctrines pervade the whole Preface.[7] His remarks regarding the difficulties of the

---

[1] The word in the original [الدوحة] means tree. There is, in this passage, a play upon the word *Hasan* which is lost in the English rendering.

[2] That is, to induce Zamakhshari to write this commentary.

[3] The words اخذت منى السن are thus explained by Qotb al-Dín al-Rází اى - اخذت من قوى *Taq'aq'aa al-Shan* means, the shrivelling of leather from age.

[4] That is the seventh.

[5] Aboo Bakr reigned two years, three months, and ten days.

[6] The first *four Khalifahs* reigned almost this number of years.

[7] Ibn Khallikán states that the autograph contained the word *Khalaqa*, but that on the author being told that if he left it standing, men would abhor his book, he changed it to *J'ala* ; which word, he adds, the *M'otazalis* use in the same sense as *Khalaqa*, but that he himself never wrote the word *Anzala*. Firawzabádí (*apud* the *Kashf al-Zonoon*) on the other hand says, that he asked his master regarding it, and that he told him he had seen at Baghdad, in the *Imám* Aboo Hanífah's tomb, the Author's autograph, and that it bore no signs of erasure or emendation. The commentator, al-Razi, in replying to this charge, points out that it would have been ridiculous in Zamakhshari to erase the word *Khalaqa*, when he left standing in the line below, the words صفات مبتدا مبتدع الا وما هى which have exactly the same sense, and the argument is not certainly inconclusive. I have myself seven or eight good copies, and some of them, as will be seen below, are very old, yet in none of them occur either of the words, *khaluqa* or *J'alu*. But let us look at the text. It is not at all improbable that al-Zamakhshari originally did write *Khaluqa*,—first because, instead of being ashamed of his doctrines, he was proud

others *denounced* the whole as an elegant composition, a rhetorical effusion, refusing it the dignity of being ranked among the commentaries on the holy Word of God. None, however, dared to deny, that it was a work of the highest merit, and the less bigoted and most honest, though opposed to his principles, have acknowledged that, divesting it of *M'otazalí* doctrine, a commentary on the Qorán of like merit, has never been written.[1] It must not be supposed, however, that al-Zamakhsharí had not his supporters; on the contrary, he had many ardent admirers,[2] and if he was fiercely attacked, he was as warmly defended. Several good commentaries were composed upon his book, and many able replies were written to the attacks that were made upon him.[3] Even men of the most opposite religious opinions, made abridgements of his commentary, a no-insignificant proof of its worth.

Regarding the origin of the Book, the author, himself, gives us in his Preface, the following account:

"Truly I observed my brethren in religion, the most excellent of that sect which shall be saved, the defenders of Justice,[4] who united to a [sound] knowledge of the Arabic language, an acquaintance with the principles of religion, when they turned towards me that I should expound for them a verse (of Holy writ), and I disclosed from behind the veil which concealed them, any of the mysterious truths it contained, that they freely expressed their praise and admiration, and desired much a composition which should embrace the whole. At last, in a body, they pressed me to write for them a book containing an exposition of the hidden truths of the *Tanzíl*, and of the best interpretations [of others].[5] I begged to be excused. They would not, however, hear of it; but sought the interference and recommendation of the dignatories of religion, and the learned of the defenders of the Justice and Unity [of the Deity.][4] Now that which induced me to beg to be excused,—notwithstanding I was conscious that what they requested was incumbent upon me;[6] since to acquire a knowledge of this science, is a necessary duty,—was what I beheld in the times of vileness, the imbecility of men, and their shortcomings with regard to the most elementary rudiments of this science, not to mention the total incapability of their minds to reach [the sense] of that Word, which is founded on the principles of the 'sciences of signification and explanation.'[7] I therefore wrote a few questions for them regarding the initial letters [فواتح] of the *Soorahs*, and part of a dissertation on the hidden

---

[1] لم يصنف قبله مثله :—Ibn Khallikan. See also *Hájí* Khalífah

[2] Al-*Tibí* in the opening of his commentary on the Kashsháf says.—"Before I commenced (my book) I saw a vision, and lo the Prophet stood before me, holding in his hand a cup of milk, and motioning me to drink. I took it and drank and returned it to the Prophet, who drank also of it."—*Fotoch al-Ghaib* &c.

[3] *Hájí* Khalífah gives us a list of three complete and two incomplete Commentaries, twenty-nine *H*ashiahs five Scholias upon *H*ashiahs, eight Abridgements, &c. Of the last mentioned the best known is the *Anwár al-Tanzíl* of Baidhawí, for an edition of which, we are indebted to the talented Professor Fleischer.

[4] The word العدلية has a hidden signification here. The *M'otazalites* called themselves the *Ahl al-'Adl*, because they denied that God was the author of evil, and asserted that he was bound to reward and punish his servants according to their deserts; and *ahl* al-Tawhíd, because they rejected all his eternal attributes.

[5] The Scholiast states that the distinction made here is, that by the one passage (*i. e.* the former) is meant the explanation of the Qorán according to the interpretation of the Prophet and his Companions, and by the other, the same, according to the rules of the Arabic language, and composition بوجوه التاويل

[6] It would appear that the above passage contains something self-sufficient. To explain the Qorán, and thus remove the doubts of others, is one of the duties called *fardh al-Kifáyah*, *i. e.* what if performed by one of a congregation suffices for all; but if a particular individual should in any age be peculiarly qualified and alone capable of performing this duty, it then becomes for him *fardh al-'Ain*:—Qotb al-Din Rá.

[7] Rhetoric is usually called the *'ilm al-m'aání wa al-baián*, but the author means something more than the sense of the word rhetoric usually conveys

repentance, would be deserving of everlasting damnation in hell, but their punishment should be lighter than that of the Infidels.[1]

Of this sect was the *Imám* Aboo al-Qásim Mahmood b. 'Omar b. Mohammad b. 'Omar al-Zamakhsharí, the author of this commentary. He was born at Zamakhshar, a town in Khwárazm, on Wednesday the 27th of *Rajab*, A. H. 476.[2] A Commentator on the Qorán, a *Mohaddis*, a grammarian of the first order, a lexicographer, a rhetorician, a lawyer, a poet, he is admitted by all writers —not excepting the most bitter enemies of his sect.—to have been a man of the most brilliant talents, and profound learning; while some have stated that Persia never, at any time anterior or subsequent to that in which he lived, produced his equal.[3] Although Khwárazm was his native country, al-Zamakhsharí spent the greatest portion of his time at Makkah.[4] He was unfortunate enough in his travels in Khwárazm to lose one of his feet from the severity of the frost, which obliged him to use crutches, and he was so sensitive lest it should be suspected that the limb had been amputated as the punishment of a crime,[5] that he invariably carried about with him a document, in which the facts of the case were attested by many who knew the true cause of his misfortune. His compositions are very numerous,[6] but the most important, and most learned of his works, that indeed which has immortalized his name, is his commentary on the Qoran. Few books that have been written on this subject, if any, have ever attracted so much public attention, or given rise to so much controversy. That heterodox opinions should be openly, and avowedly, introduced into a commentary on the Qorán, and therein supported by arguments, clothed in elegant language, by a man of the gigantic genius and profound knowledge of al-Zamakhsharí, alarmed the orthodox for the preservation of the true interpretation of the Book. Nor was this alarm groundless, for the work no sooner appeared, "than it flew [طَ]" says al-Soyooti[7] "to all the parts of world from East to West," and was eagerly sought for by all lovers of dialectic theology, "of which class," to use the words of the author just quoted, "al-Zamakhsharí was the *Soltán*." The author was attacked upon all sides, criticised, abused, condemned, literally torn in pieces. Some published extracts from his book, containing heterodox opinions: some put together the *Ahádíth* it contained, asserting that many were false; while

---

[1] This they held, says al-Shahrastání, to be in accordance with the doctrine of promises and threats وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا

[2] Ibn Khallikán

[3] Táj al-Din al Kindí, *apud* Ibn Khallikán.

[4] From his constant residence near the holy temple, or House of God as it is called, al-Zamakhshari received the *sobriquet* of "neighbour of God," by which name he is most universally known.

[5] At least so says Ibn Khallikán, but I do not quite understand the matter. Amputation of a limb is only awarded for theft, and all doctors are agreed that both hands should be amputated before either of the feet. The words in the original, however, are *bi-ruibatin*, which do not exactly signify "crime," and the author's meaning may be something else.

[6] Ibn Khallikán gives the names of thirty-one, and adds that he has not given all.

[7] It is hardly necessary to note that al-Soyooti was himself the author of the greater portion of the well-known commentary entitled the *Tafsír Jalalain*.

The *M'otazalís* asserted that the Word of God was created [1] That eternity was the highest quality of God's essence اخص وصف ذاته, denying, *in toto*, the eternal attributes of the Deity, *i. e.*, as distinct from his essence;[2] and holding that he was omniscient, omnipotent and everlasting, by his essence,[3] not by his knowledge, power, or vitality; arguing moreover that if they, [the attributes,] participated with it, [the essence,] in its eternity, or highest quality, they must also participate in its divinity. They denied that the Most High would be seen with the corporeal eye, in the next world; and forbad all similitudes, or comparisons of latitude, place, appearance, body, &c. &c., with him. Man, according to the M'otázalites had power over his own actions, and was the author of them, both good and bad,[4] deserving, according to his deeds, of reward or punishment in the next world; they further declared that the Most High was too pure to be accused of evil and wickedness, and that to do so was infidelity and a sin, for the creator of wickedness must be wicked as the creator of justice is just.[5] It was their belief also that the definitions of good and evil could be ascertained only by knowledge; that to pursue good and avoid evil was man's duty; and that the sending by God, through his prophets, of precepts, تكليف was a kindness, in so much as he made them trials for his servants, that he might not destroy or save any without proof. They asserted that a *moomin* who died in a state of obedience to God, and repentant was worthy of a return and reward, and even more; but those who should depart this life, having committed any of the grievous sins[6] without

---

considered *Momins*, Wáçil gave it as his opinion, that they were neither one nor the other, but were in a middle stage منزلة بين منزلتين Al-*Hasan* on this drove him out of the school, and he was accompanied by 'Amr b 'Obaid, and soon joined by a large party. Hence he and his sect were called Seceders—*Ibn Khallikán* No. 791. It is related, however, also, that they were so called by *Hasan* al-Bçrí himself, and elsewhere that they received the name from Qatadah b D'oámah.

[1] Al-Shahrastáni says, مخلوق في محل which the illustrious, and very learned Pocock translates, created *in subjecto*. I believe, however, the sense to be that the word of God was created as are our words, which expire when once uttered, though they may be recorded. He [Al-Shahrastáni] adds, that it consisted of letters and sounds, the resemblance of which were written, or, as it were, transferred from the original عنه حكايات and further, that what existed *in mahal* was an accident, or non-essential, and perished there and then, *i. e.* when uttered:—*Milal wa Nahal*, p. 30.

I have noticed this tenet first, though no Arabic author that I have met with has done so, because of its great importance. It gave rise to great dissentions among the Arabs, and in the reign of al-Mamoon and his successors, was the cause of much bloodshed. Mamoon adopted the doctrine and endeavoured to make all his subjects, by force, assent to it: he could not, however, succeed, and many rebelled. Some, through fear, admitted it, but others forfeited their lives, rather than publicly acknowledge what would have been tantamount to a forfeiture of their faith. Of the number of those who were persecuted was Ahmad b. *Hanbal*, the great *imám*, who was scourged by *al*-M'otasim A. H. 220,—*Al-Soyooti*.

[2] Al-Shahrastani and *Mowáfiq*.

[3] The terms in the original are literally positive هو عالم لذاته قادر لذاته حي لذاته

[4] On that account they received the appellation of *Qadariyah*, but they denied that such a designation was applicable to them, remarking that it befitted rather the predestinarians. The epithet was obnoxious in consequence of the following two *Ahádith*, القدرية مجوس هذه الامة and هم خصماء الله في القدر

[5] Aboo Moosa, al-Mozdár (the founder of one of the subordinate M'otazali sects) held the very opposite opinion, asserting in support of his omnipotence, that it was possible for God to be both unjust and a liar:—*Mowáfiq*.

[6] Of grievous sins there were, according to some, seven; according to others (Ibn 'Abbás) seven hundred;—*Al-Bizawi*.

The information to be obtained from Arabian history does not appear sufficiently clear to enable us to fix, accurately, the date at which heretical opinions were first entertained by *Moslims*. I am satisfied, however, that it was with the expiry of Mohammad's Companions, that the last link of that chain which held together his church gave way. Reason then usurped the place of the Prophet. Argument assumed the position of the fathers of *islám*. The result was,—what has taken place in the Christian in common with most other Churches,—discord and confusion. Numerous opinions regarding metaphysical subtleties, and some the most absurd,[1] were broached by men who occupied themselves with the study of dialectic theology. All met with some ready to embrace them, and from an examination of the tenets of several, it would appear that no sooner was a new doctrine regarding the essence or attributes of the Supreme Being taken up, and a religious sect formed, than opinions the very opposite were broached by others, and sects were thus multiplied.[2] This state of things lasted until certain masters gave shape to the crude opinions of the various blind speculators in metaphysics, and founded schools for the propagation of their several systems of theology. Of the number of those which it may be admissible to designate as distinct churches, it is difficult to determine. Some reduce the number to four[3] others however enumerate six,[4] eight[5] and ten[6] One of the first, and the most important of all the sects, was the *M'otazali*,[7] the founder of which it is stated, was, Wáçil b. 'Atáa who died A. H. 131,[8]

---

1 One (Al-Jáhiz) asserted that the Qorán was a body, and might assume sometimes the form of a man, and sometimes that of a beast, or as the author of the Mowáqif has it,—a woman. Another ('Abd Allah b. Saba) held that 'Alyí had not been killed, but in his room a devil, who had assumed his form; that he now resides in the clouds, and that the lightning is his whip, and the thunder the sound of his voice, &c.—*Milal wa Nahal*

2 Ibn al-Jawzí says that the *Mukhlooqiyah* (which according to him were a division of the *Jahmiyah* sect) asserted that the Qorán was created; that the *Waqifiyah* professed not to assert that it was or was not created لا نقول القران مخلوق و لا غير مخلوق; and that the *Lafziyah* were of opinion that the *words* of the Qorán as pronounced by man, and not the Qorán itself were created. The *Muctáribah*, again, (a division of the *Jabarîyah*) held, that actions are not of men but of God. The *Af'aáliyah* that actions are of men, who have no power over them, but are as brutes led by ropes.—*Talbis Iblis*. It is not impossible that in the classification and enumeration of the sects, some additions may have been made by theologians, who were bound to see the Prophecy of Mohammad fulfilled. The Prophet is stated to have said "The Jews were divided into seventy-one sects, all in error but one, which merited salvation 'The Christians into seventy-two sects all, &c.' And subsequently, ye shall be divided into seventy-three, all, &c.'" There are two or three versions of this *Hadith*. It is not, however, to be found in Bokhári, or I believe Moslim, though al-Tirmidzí gives it. Another and a similar *Hadith* is as follows:—ستفترق امتى ثلاثا وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة و هى ما انا عليه و اصحابى

3. Al-Shahrastání—The *Mutazaliyah* the *Cifátiyah*, the *Khárijiyah*, and the *Shí'iyah*.

4. Aboo al-Faraj the Christian: Ibn al-Jawzí, in common with many others, calls the *M'otazalites*, *Qadarians*, and of this sect, according to him, there were 12 divisions. The other five are the *Harooriyah* (12 divisions) *Jahmiyah* (12), *Morjiyah* (12), *Ráfidhah* (12 including the *Shí'ites*) [? MS.] (12) = 72 + 1, the *Ahl al-Sonnat wa al Jama'at*, or the true *Moslims*:—*Talbis Iblis*

5. 'Adhod al-Din al-Iyí;—He calls the *Najjáriyah* and the *Moshabbahiyah* chief sects.

6. 'Abdal Qádir al-Jílání adds the *Dhirárîyah* and *Kitabiyah*:—*Ghonyat al-Talibin*.

7. Under this sect al-Shahrastání, and the author of the *Mowáfiq* record twenty divisions. The curious regarding the doctrines of the minor divisions of this sect, will consult, with advantage, the learned Pocock's Spec Arab.'

8. Al-Sam'aání in his *Kitab al-Ansáb* relates that on it being asserted in the school of al-Hasan al-Basrí by some of the *Khárijis*, that those guilty of grievous sins الكبائر were *Káfirs*, and by others that they were entitled to be

no available aid should be neglected. The opinions of all, whether of the established church or dissenters, orthodox or heterodox, should be brought to bear upon the text. The subject is of sufficient importance to men of research, to render it advisable that it should be examined from *all* points of view, for by no other means can we hope to obtain as clear an insight into the origin of *Islàm*, as by a careful study of the book which contains its fundamental principles.[1]

While the great *Moslim* lived, he was, of course, the best expounder of the Qoran, and of the religion he had founded. Next to the Prophet, we must rank those of his companions, who, while living in the closest connection with him, and being admitted to the highest share of his confidence, and consequently most likely to have been well informed regarding his ideas and thoughts—were held to be authorities in the early ages of *islàm*. In those times religious controversies were unknown.[2] Did a question arise,—was a point of faith discussed,—the decision of such men as Aboo Bakr, 'Omar, Aboo 'Obaidah b. al-Jarráh, M'oádz b. Jabal, supported, as was most usually the case, by the words "I heard the Messenger of God say,"—was accepted without a murmur. But these great authorities no more; the excitement which resulted from the first foreign conquests over; and men, having not only more leisure, but, from the progress of learning among them, being more capable of examining the principles of the faith they had embraced, religious controversies became frequent. To decide them was now the difficulty. The *Khalífah* was no more revered as the head of the Church. An *Imâm*[3] had long since been murdered by some of his congregation. A large body of *Moslims*[4] had revolted from his successor, the true Prince of the Faith,—the son-in-law of the Prophet himself. The seeds of *political* dissention[5] had been sown in the congregation, which, at his death, Mohammed had left a united Church;—The time for the fulfilment of his prophecy had arrived.[6]

---

[1] The collections of *Ahádíth* are, most undoubtedly, of the highest value for this purpose, when studied in connection with the Qorán.

[2] كان المسلون عند وفات النبى على عقيدة واحدة وطريقة واحدة الا من كان يبطن النفاق و يظهر الوفاق Al-Ámidí (?) *apud Shar*h Mowáqif.

[3] 'Othman b. 'Affán.

[4] The disaffected were about twelve thousand, in number; they revolted from 'Alyí because he agreed to refer his right to the *Khalífat* to arbitration. They were called *Mohakkamis*, and often, though not properly I think, *Khárijis*. The Schohast on the *Mowáfiq* says:—ثم فشا الخلاف فى ما بينهم اولا فى امور اجتهادية لا توجب امانا و لا كفرا .... كما اختلافهم فى الامامه .... ثم اختلافهم فى قتله [اى عثمان] و فى خلافة على و معوية و ماجرى من وقعة الجمل و صفين .... و كان الخلاف يتدرج و يترقى شيا فشيا الى اخر ايام صحابة حتى ظهر معبد الجهني و غيلان الدمشقي و يونس الاسوارى و خالفوا فى القدر و اسناد جميع اشياء الى تقدير الله و لم يزل الخلاف يتشعب و الاراء يتفرق حتى تفرق اهل الاسلام و ارباب مقالات الى ثلاث و سبعين فرقة

[5] The first revolt from 'Alyí was a political scism. The *Kharijís*, however, subsequently became a distinct religious sect.

[6] See next page, note 2.

PREFACE.

THE QORAN—the book of civil and religious law of a people who once conquered the greater portion of the civilized world, and who still form so large a portion of the inhabitants of this globe, needs, in these days, no prefatory remarks to introduce it to the reader. As, however, with so many editions of this book before the public, the publication of a new one may cause some surprise,—notwithstanding it is believed that the accompanying text will be found to be, in some respects, more complete than any edition that has yet appeared in Europe,—it may be proper to mention that it is printed rather to enable the reader to follow and connect the arguments of the commentator, and for more ready reference, than as an independent work,—a fact which I mention to correct any erroneous impression that might be caused by the title of this book.[1]

Commentaries on the QORAN are held in high estimation by Moslims; and there can be no doubt, that, to understand, thoroughly, this wonderful book, the aid of those learned men, Arabs and others, who have devoted themselves to the careful study of it, is not only desirable, but necessary. It will be learned, then, I have no doubt, with some surprise, that, notwithstanding the very large section of the population of this country which professes the Mo*h*ammadan faith,—it has been reserved for a European to publish the first ancient Arabic commentary on the QORAN ever printed in India.[2] That we have not, in a complete form, any *very* ancient commentaries, is to be regretted; for the aid that has hitherto been available, has not, I am afraid, been sufficient to make any European investigator complete master of this great composition. I would not, however, be understood to imply, that a careful examiner of the obscure passages of the QORAN, would act wisely in placing implicit reliance on the interpretations of a single scholiast, however ancient or erudite, or upon the commentators in general, as some expounders have done. On the contrary, I would rather recommend that the opinions of commentators regarding abstruse passages, be received with much caution, and that their disputes be taken as an index to direct the attention of the critical interpreter to a more careful study and examination of his text.[3] Under all circumstances the task will be found a difficult one ; but

[1] I think it necessary, also, to mention the above, because in giving my first notice of this publication, I stated that it would contain the commentary only. I was afterwards induced, on the solicitation of some learned Moslims, to add the text, which will, of course, considerably increase the size and cost of the book.

[2] The *M'aálim* al-*Tanzíl* of Baghawí, who died a few years earlier than the author of the *Kashsháf*, has been lithographed at Bombay. It is, unfortunately, so badly done, as to be unworthy of notice. The Tafsírs *Jaláláin*, and *Hosainí*, I do not rank among the old Commentaries.

[3] See page 7, note 7.

TO

THE CHAIRMAN, DEPUTY CHAIRMAN,

AND

THE DIRECTORS

OF

THE HONORABLE EAST INDIA COMPANY,

This Work

IS RESPECTFULLY INSCRIBED,

IN GRATEFUL ACKNOWLEDGMENT OF THE BENEFITS

CONFERRED ON HIM,

BY THEIR SERVANT,

W. NASSAU LEES.

The Quran;

WITH

THE COMMENTARY

OF THE

IMAM ABOO AL-QASIM MA*H*MOOD BIN 'OMAR AL-ZAMAKHSHARI,

ENTITLED

"THE KASHSHAF 'AN *H*AQAIQ AL-TANZIL."

EDITED BY

W. NASSAU LEES,

SECRETARY AND MEMBER OF THE BOARD OF EXAMINERS, AND LATE OFFICIATING PRINCIPAL OF THE MOHAMMADAN COLLEGE AT CALCUTTA, PERSIAN TRANSLATOR TO THE GOVERNMENT OF INDIA, VISITOR AND DIRECTOR OF THE MADRASSAH AT HOOGHLY, EXAMINER OF CANDIDATES FOR THE SITUATION OF LAW OFFICER, &c. &c. &c.

AND

MAWLAWIS KHADIM *H*OSAIN AND 'ABD AL-*H*AYI,

PROFESSOR AND ASSISTANT PROFESSOR IN THE CALCUTTA MADRASSAH.

321408
21. 11 35

Calcutta:

PRINTED AND PUBLISHED BY W. NASSAU LEES.

1856.

3 1761 04765539 4